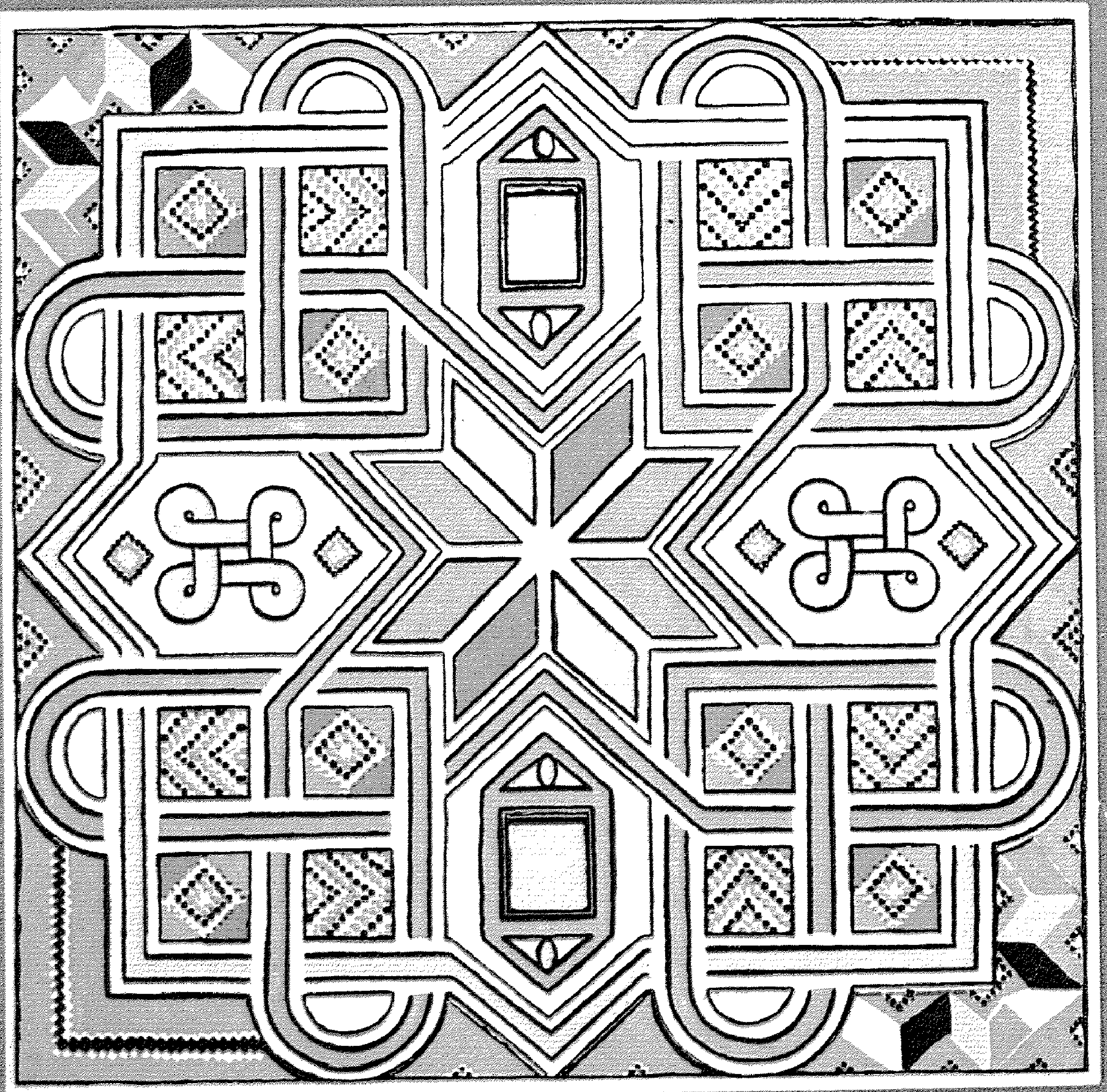
# شؤون فلسطينية

٢٣

تموز (يوليو) ١٩٧٣



# شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

رقم ٢٣ — تموز ( يوليو ) ١٩٧٣

دورية فكرية لمعالجة احداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
تصدر شهريا عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .





**العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني ( متفرع من السادات ) ، راس بيروت ، بيروت — لبنان ، ص.ب ١٦٩١ ، تلفون : التحرير ٣٥١٢٦٠ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ، برقيا مرأبحاث ، بيروت .**


---


ثمن العدد : ٢ ١/٢ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٣ ١/٢ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٥ ل.ل. في اوروبا وافريقيا وآسيا ، ٨ ل.ل. في سائر دول العالم .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٣٠ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٤٠ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٦٠ ل.ل. في اوروبا وافريقيا وآسيا ، ٩٠ ل.ل. في سائر دول العالم .

الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٤٥ ل.ل. في جميع الدول غير العربية .




الغلاف : [illegible] فولكلورية فلسطينية

٨

# المحتويـــات

١٦٩ **مراجعات** : سياسة اسرائيل الخارجية في افريقيا . سعيد جواد . النعويضات الالمانية الغربية لاسرائيل . أ. ن. سعد . محمود درويش شاعر الارض المحتلة . الياس خوري . أوري افنيري او الصهيونية المستحدثة ، الياس سحاب .

١٨٩ **تقارير** : السكان في الاراضي المحتلة بعد حرب ١٩٦٧ : تحليل احصائي وتقديرات ، الدكتور محمد فريد البستاني . مذكرة مقدمة الى مؤتمر الزراعيين لدول البحر الابيض المتوسط : اوضاع العمال الزراعيين الفلسطينيين . حقيقة القدرة الاسرائيلية على ضرب اهداف عربية بعيدة . هشام عبدالله . اشتباكات أيار الدامية في لبنان وردود الفعل في الضفة الغربية ، عيسى الشعيبي .

٢٢١ **شهريات** : (١) المقاومة الفلسطينية . ع. ص. (٢) القضية الفلسطينية عربيا ، ناجي علوش . (٣) القضية الفلسطينية دوليا ، داود تلحمي . (٤) المناطق المحتلة . عبد الحفيظ محارب . (٥) اسرائيليات ، عماد شقور . (٦) ثقافة ، أ. خ. (٧) القضية الفلسطينية عسكريا ، المقدم الهيثم الايوبي . مع ملحق عن الجديد في التسليح الاسرائيلي . هـ. ع. جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية وآخر بالعمليات التي اعترف بها العدو الصهيوني من ٥/١٤ — ١٩٧٣/٦/١٣ ، غازي خورشيد .

# الثورة الفلسطينية والتسوية السياسية

الدكتور نبيل علي شعث

بعد ستة أعوام من حرب حزيران ، واحتلال العدو الصهيوني لكامل التراب الوطني الفلسطيني بالاضافة الى سيناء المصرية والجولان السورية ظلت الثورة الفلسطينية الطليعة الثورية المقاتلة في المنطقة العربية . فبينما استمر العدو الاسرائيلي في تعميق احتلاله للارض العربية باستيطانها ومحاولة نزع صبغتها العربية وتهويدهـا . وفي تحقيق هزيمة نفسية ساحقة بمعظم الانظمة العربية اقنعتها بالانسحاب من المعركة . وفك ارتباطها بالقوى العربية المقاتلة او التي يمكن لها القتال . وحولتها الى قوى قمع ضد القوى الثورية وعلى راسها الثورة الفلسطينية . استمرت الثورة الفلسطينية في نضالها الطليعي المسلح داخل الارض المحتلة وخارجها بالرغم من كل الصعاب التـي تواجهها من العدو الاسرائيلي والامبريالية الامريكية واعوانهما من العملاء العرب . وأمام تنازلات وتراجعات استراتيجية قدمتها بعض الانظمة العربيـة نتيجـة الهجمة الصهيونية ـ الامبريالية . ظلت الثورة الفلسطينية تمثل الرفض الثوري للاستسلام . الرفض السياسي والعسكري الذي تدعمه التضحيات وآلاف الشهداء ، وتجاه التشرذم العربي في مواجهة اسرائيل استمرت الثورة في محاولتها لتحقيق عمل وحدوي داخلها . وبينها وبين القوى المشاركة والداعمة للثورة في الوطن العربي وخارجه . فحققـت نجاحا ملموسا زاد من فعاليتها .

وبالرغم من هزيمة الثورة وتراجعها في الاردن . وبالرغم من برودة الحدود العربيـة المحيطة باسرائيل . وبعد سنة كاملة من الانحسار وتعذيب النفس مرت بها الثـورة بعد سقوط جرش في صيف ١٩٧١ ، تصاعدت عمليات الثـورة في الارض المحتلـة فاشتعلت مدن الضفة والقطاع بالنضال السياسي الحاد . واشتدت ضرباتها على العدو الاسرائيلي في الداخل والخارج . وصمدت بصلابة امام هجمة ايار في لبنـان . وزاد التحامها بجماهيرها في كل مكان . صحيح ان الثورة لم تحرر مواقع في فلسطين ولا هي الحقت هزيمة عسكرية ساحقة بالعدو الاسرائيلي ، وهي اعمال غير ممكنة ولا متوقعة في هذه المرحلة . ولكنها بقيت دوما بؤرة النضال الثوري العربي الاولى ، وطليعـة الرفض الحقيقية للاستسلام العربي امام العدو . ولهذا توجـه اليهـا الامبرياليـة والصهيونية وعملاؤها الضربات والهجمات والمؤامرات . ومن أجل هذا يقول بارليف : « حربنا مع الفلسطينيين طويلة وقذرة » . وتخصص لها امريكا فرقا خاصة بقيادة سفير امريكا السابق في لبنان لقتالها والتصدي لها .

ولكن الحرب ضد الثورة الفلسطينية لم تكن ابدا حربا عسكرية تستهدف التصفيـة الجسدية فقط وانما كانت وبنفس الدرجة حربا بالسياسة تستهدف استدراج الثورة الى

مواقع التنازل والتراجع فتفقد قيمتها الطليعية فتنشق عنها جماهيرها وتتزعزع ثقة كوادرها وتفقد مصداقيتها ، وهي نفس اساليب الحرب التي شنتها امريكا واسرائيل على الانظمة العربية الوطنية خلال السنوات الست التي مرت بعد هزيمة حزيران بواسطة ما سمي «بالتسوية السياسية لازمة الشرق الاوسط»، وتشهد منطقتنا في حزيران ١٩٧٣ آخر واخطر فصول هذه الحرب السياسية . وهو ما سنوجه الاهتمام اليه فيما يلي .

## الاستراتيجية الامريكية في الشرق الاوسط

لكي نستطيع فهم دوافع التحرك السياسي الاخيرة ومظاهره لا بد لنا من النظر بايجاز شديد الى الاستراتيجية الامريكية في منطقتنا . فتطور أزمة النفط العالمية يزيد من اهمية مصالح امريكا في المنطقة ومن ضرورة استمرار سيطرتها عليها ، وهو ما يعتقد المخطط الاستراتيجي الامريكي انه لا يمكن تحقيقه الا باعادة ترتيب الاوضاع في المنطقة العربية لصالحه، وتخفيض الاعتماد على القوى العربية العميلة او المتحالفة معه في حماية هذه المصالح بتنمية الاعتماد على القوتين غير العربيتين المحيطتين بالشرق الاوسط العربي : اسرائيل وايران . ان العداء العربي لاسرائيل واحتمالات تغير انظمة الحكم العربية بثورات وانقلابات داخلية امران يؤرقان المخطط الامريكي، وقد اديا تدريجيا الى نمو اعتماد الاستراتيجية الامريكية على هذين المخفرين الاماميين : اسرائيل بالدرجة الاولى ، واخيرا ايران .

وقد ركزت السياسة الامريكية جهدها في البداية على تقوية اسرائيل ودفعها لتحقيق انتصار على الانظمة الوطنية الرئيسية واهمها مصر ثم تحولت الى استدراج مصر بالعمل السياسي لاحداث تغييرات داخلية جذرية فيها ، وللقضاء على تحالفها مع الاتحاد السوفياتي وبذلك انهاء الوجود السوفياتي في المنطقة وتقليص مساعدته لدولها وقواها الثورية . وعمدت هذه الاستراتيجية ايضا الى دعم بعض الانظمة العربية الرجعية واستخدامها كقوى قمع رئيسية ضد الانظمة الوطنية والقوى الثورية . ولقي النظام الاردني اهتماما خاصا في هذا المجال مكنه من تحقيق انتصار على الثورة الفلسطينية والقوى الوطنية الاردنية . تحول بعدها النظام الاردني الى قوة قمع متحركة وداعمة للوجود الامبريالي في الخليج العربي منطقة النفط الحساسة والاستراتيجية . والى قوة ضغط وتهديد للانظمة الوطنية في سوريا والعراق . ولكن خوف امريكا المستمر من حدوث انقلابات في الدول ذات الصلة الوثيقة بها أدى الى تحول الاستراتيجية الامريكية عن الاستعانة بالانظمة العربية بشكل رئيسي لحماية مصالحها في المنطقة . كما أن تنامي قدرة نظام الشاه القمعية ونمو الاقتصاد الايراني ساهما في بلورة الاستراتيجية الامريكية الجديدة وهي الان تتلخص بما يلي :

١ — استخدام القوى القمعية العربية الموالية لامريكا كخط دفاع أول عن المصالح الامريكية مع اعادة ترتيب الاوضاع في الانظمة العربية لاستعمالها في اداء هذا الدور .

٢ — الاعتماد على اسرائيل في تحقيق السيطرة على الاردن وسوريا ولبنان والبحر الاحمر والتصدي لمصر والثورة الفلسطينية .

٣ — الاعتماد على ايران في تحقيق السيطرة على منطقة الخليج والتصدي للعراق .

٤ — الاعتماد على الوجود السياسي والاقتصادي الكثيف لامريكا لاحداث التغييرات السياسية المطلوبة في المنطقة ، وابقاء التدخل العسكري الامريكي كخط دفاع أخير وكاحتمال قائم دائما لتأمين النفط ومصالح امريكا الاخرى في المنطقة .

## دور العمل السياسي في الاستراتيجية الامريكية

استخدمت أمريكا العمل السياسي لحل ما يسمى « بأزمة الشرق الاوسط » كأداة رئيسية لدفع الانظمة الوطنية والعميلة نحو تقديم مجموعة من التنازلات والتراجعات تؤدي بالضرورة الى اعادة ترتيب الاوضاع الداخلية فيها بما يضمن تحقيق اهداف الاستراتيجية الامريكية . وقد وقع معظم الانظمة العربية في فخ هذه الاستراتيجية فدار تحركها السياسي حول قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ وتفسيراته المختلفة ، معتبرة ان تحقيقه يعيد لها الارض التي احتلتها اسرائيل في يونيو ١٩٦٧ لقاء تنازلات قانونية وشرعية اعتبرتها هذه الانظمة ــ في البداية على الاقل ــ شكلية ويمكن التراجع عنها . وكان على رأس الانظمة العاملة بهذه السياسة جمهورية مصر العربية التي وجهت جزءا هاما من مواردها وجماهيرها لبناء جيش قوي قاتل على القناة وفي سيناء ببسالة . وانما وجه أساسا للضغط من أجل اعطاء فرصة اكبر للعمل السياسي وقوة مساومة اكبر في التحركات الدبلوماسية .

وعملت الاستراتيجية الامريكية بمهارة في هذا المجال . فهي تدعم اسرائيل لتقف موقفا صلبا امام الانظمة العربية ولتعمق احتلالها للاراضي العربية ولترفض اي تراجع عنها. ثم تضغط على الانظمة العربية لتقديم تنازلات يمكن على أساسها الادعاء باحداث الضغط على اسرائيل لتحريك العمل السياسي ، وبعد تقديم كل مجموعة من التنازلات تتصلب اسرائيل وترفض وتمر فترة من الركود ، تنتكس فيها الامال العربية في الحلول السلمية ويبدأ الاعداد للقتال . فتدخل امريكا مرة اخرى ــ بشكل مباشر او غير مباشر ــ لتنعش الامال في انفراج سياسي جديد تتقاضى ثمنا له تنازلات جديدة . تتصلب بعدها اسرائيل وهكذا .

ان هذا الشرح للاستراتيجية الامريكية يبالغ في تبسيطه للامور فهناك لا شك ادوار اخرى مستقلة تلعب في المنطقة ولا تتحرك رهن اشارة متخذ القرار الامريكي . وحتى الدور الاسرائيلي له في كثير من الاحيان درجة من الاستقلال والحرية في التحرك . وهناك الادوار الاوروبية . وهناك بالطبع العمل المضاد الذي تقوم به قوى وطنية داخل هذه الانظمة ، وهناك دور الاتحاد السوفياتي والصين . وهناك الدور الضاغط الرافض للثورة الفلسطينية . بل وهناك العوامل الذاتية داخل الانظمة العربية وتعقيداتها . وهناك فجوات بين ما يريده المخطط الامريكي وما يستطيع الحصول عليه من خلال محصلة القوى وفي اطار تحركه في المناطق الاخرى الهامة من العالم ، وتحت تأثير العوامل الداخلية في امريكا ذاتها ، ولكن يبقى أن خط التحرك الامريكي الرئيسي ــ من خلال كل هذه العوامل او بالرغم من بعضها ــ نجح حتى الان في تحقيق الكثير من اهدافه ان لم يكن جميعها بطبيعة الحال .

## التنازلات السياسية العربية ونتائجها

ان التنازل الاساسي والرئيسي الذي عملت امريكا والعدو الاسرائيلي على انتزاعه من معظم الانظمة العربية هو الاعتراف باسرائيل والقبول بها كدولة قائمة ذات سيادة كاملة وذات حقوق في الوجود والسلامة الارضية والاستقلال السياسي والامن على جزء ــ على الاقل ــ من التراب الفلسطيني . والكثير من التنازلات الاخرى يترتب على هذا التنازل الاساسي .

ويشكل هذا التنازل صلب القرار رقم ٢٤٢ الذي أصدره مجلس الامن في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ ، والذي وافقت عليه مصر والاردن فورا وعلنا ثم اعتمدته دول عربية اخرى بشكل مباشر أو غير مباشر أو بتصويتها على قرارات الجمعية العامة التي تعتمد قرار

مجلس الامن اساسا لحل ازمة الشرق الاوسط . ان هذا الاعتراف بشرعية اغتصاب اسرائيل للتراب الفلسطيني هو سحب للاعتراف بحقوق الشعب العربي الفلسطيني على كامل هذا التراب وهو ينطوي على تنازل العرب عن كافة مطالبهم السابقة تجاه اسرائيل بما فيها المطالب التي كانت قد تبنتها هيئة الامم نفسها . كما أنه اجهاض لكل النضالات السابقة التي قدمها الشعب العربي بشكل عام والشعب العربي الفلسطيني بشكل خاص من أجل عروبة فلسطين وحريتها .

وقد ظل هذا التنازل الاول والاساسي يحاط بقيود وتحفظات فهو يربط اساسا في القرار بانسحاب اسرائيل من الارض التي احتلتها بعد ١٩٦٧ . وظل تنفيذ القرار يصطدم بعقبات تم تذليل معظمها وبقيت عقبتان رئيسيتان ( سنناقشهما فيما بعد ) هما :

أ ـ المفاوضات المباشرة بين العرب واسرائيل .

ب ـ حقوق الشعب الفلسطيني .

وقد قدمت تنازلات فرعية عديدة ترتبط بحرية الملاحة في العقبة والقناة الخ . . . كما قدمت تنازلات اخرى هامة ترتبط بالسيادة على الارض العربية التي احتلت سنة ١٩٦٧ اهمها الخاص بالتنازل عن القدس ومناطق اخرى في الضفة الغربية وكذلك غزة ضمنا . ثم « باعطاء » شرم الشيخ للمجتمع الدولي . وبابقاء قوات دولية في سيناء وفي نزع سلاح المناطق العربية المحيطة باسرائيل وفي حمايتها مستقبلا من الاعمال العسكرية النظامية وغير النظامية . كما قدمت تنازلات هامة تتعلق باعادة ترتيب الاوضاع الداخلية للانظمة. وكذلك بتحالفاتها الخارجية وبوجود قوات أجنبية صديقة على أرضها لحمايتها . وبالتصدي لقوات الثورة الفلسطينية على ارضها ايضا .
وقد حدث تراجع كبير بالنسبة للربط بين تحقيق هذه التنازلات والانسحاب الاسرائيلي من الارض المحتلة في حزيران ١٩٦٧ .

أما عن نتائج هذه التنازلات فهي صفر من الناحية الايجابية للدول العربية ، اذ لم تنسحب اسرائيل شبرا واحدا بل تعمق احتلالها وتضاعفت قوتها وازداد عدوانها الاجرامي واستمرت في خلق « الحقائق » على الارض التي احتلتها في العام ١٩٦٧ .

ولكن النتائج السلبية على الدول العربية كانت مروعة . فلقد أدت مسيرة العمل في التسوية السياسية الى اضعاف الانظمة الوطنية العربية والقضاء على وحدة القوى الجماهيرية داخلها . فقد فقدت مصداقيتها تجاه جماهيرها ونجاه الاصدقاء والاعداء . وترتب على ذلك تردي الاوضاع الداخلية ووهن العزائم وتدهور ارادة النضال والتصميم عليه . وبروز قوى طائفية ورجعية وانهزامية عملت احيانا بشكل مكشوف وخطر ووصلت في بعض الاحيان الى مراكز خطيرة داخل الانظمة عملت من خلالها على احباط الكثير من الانجازات الجماهيرية السابقة وقد تم ذلك كله بتكلفة اقتصادية عالية جدا بالاضافة الى الكلفة السياسية والاجتماعية .

كما أن هذه المسيرة تسببت في الكثير من التناقضات بين الانظمة الوطنية والقوى الثورية وهي تناقضات استغلتها القوى المعادية كمظلة لضرب الثورة الفلسطينية والقوى الوطنية الاخرى . واستخدمتها الانظمة العميلة كالنظام الاردني كمبرر للانسحاب من المعركة مع اسرائيل ولضرب القوى الثورية . بل أن الانظمة الوطنية اضطرت من اجل استمرار العمل على التسوية السياسية الى مهادنة الانظمة الرجعية والعميلة بل والى السماح لها بتحقيق مكاسب وانجازات داخلية على حسابها .

## جولة الربيع وحقوق الشعب الفلسطيني

ظل مسلسل التسوية السياسية يحوم حول الشعب الفلسطيني وتمثيله ودوره دون أن يقترب كثيرا نتيجة لاستمرار الثورة الفلسطينية في نضالها المسلح . وقد حدثت محاولات عديدة معروفة للاقتراب من هذا الموضوع فطرحت قضية تمثيل الشعب الفلسطيني وسربت مشروعات عديدة لاقامة دولة فلسطينية على جزء من التراب الفلسطيني ، واعلن مشروع المملكة العربية المتحدة ، وطرح اقتراح تشكيل حكومة المنفى واثيرت احتمالات دخولها في مداولات التسوية السياسية وقد تصاعدت هذه المحاولات بعد انحسار وجود الثورة في الاردن وتصور القوى المعادية ان الثورة في وضع ضعيف يمكن ان يضعها في اطار الهزيمة النفسية التي مني بها الكثير من الانظمة العربية بعد حزيران ١٩٦٧ وترتب عنها تيار التنازلات والتراجعات .

وقد عملت قوى عربية عديدة على محاولة اشراك الفلسطينيين في سياسة التسوية السياسية بهدف حل العقبة الكؤود الرئيسية الباقية في مسلسل التنازلات الا وهي حقوق شعب فلسطين ، فترجمة هذه الحقوق الى صيغة مقبولة من الفلسطينيين ومن الاسرائيليين والامريكيين في نفس الوقت اصبح مهمة ضرورية للانظمة العربية التي تريد التنصل من مسئولياتها امام جماهيرها والتي تريد التقدم نحو العقبة الاخرى وهي « المفاوضات المباشرة » دون خوف من جبهة الرفض الاساسية وتأثيراتها الجماهيرية العربية .

ولقد توجهت جولة الربيع السياسية لسنة ١٩٧٣ مباشرة نحو التنازلين الرئيسيين الباقيين ( حقوق الفلسطينيين والمفاوضات المباشرة ) وشهدت مناقشات مجلس الامن في حزيران ١٩٧٣ توجها عربيا رئيسيا نحو هاتين القضيتين ، واكبها تصريحات الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة ثم اخيرا شروح وزير خارجية مصر السيد محمد حسن الزيات .

والواقع ان اهتمامنا بهذا الموضوع لا ينبع من وجود ادنى شك في احتمالات تحقيق الحل السلمي نتيجة للتنازلين الاخيرين لان اسرائيل لا تقبل بأي وجود فلسطيني مستقل على اي جزء من التراب الفلسطيني كما انها لن تسلم شبرا واحدا من الارض بعد مائة عام من المفاوضات المباشرة . فليس هناك اي تغيير في محصلة القوى ولا في الظروف السياسية العربية والدولية مما ينبىء عن احتمال تغير الاستراتيجية السياسية الامريكية — الاسرائيلية بعد نجاحها مدة ستة اعوام . وليس هناك ما ينبىء عن احتمال قيام اسرائيل تبرعا وانسانية بالتراجع عن الارض المحتلة او اي شبر منها وهي في وضع القوة الذي يطمئنها الى احتمالات الحصول على كل التنازلات العربية مجانا ومع احتفاظها بكل الارض . ولكن الخطورة تكمن في ان هذه التنازلات الجديدة ستؤدي الى مزيد من الاضعاف لشرعية النضال العربي والى اجهاض روح النضال كما انها تهدد بتشكيك الجماهير الفلسطينية وشرذمتها واضعاف وحدتها والتحامها بالثورة الفلسطينية .

ولكي نستطيع رؤية وتتبع التحرك الجديد لا بد لنا من العودة لقرار مجلس الامن ٢٤٢ . الذي لا يشير الى الفلسطينيين الا بجملة «ايجاد حل عادل لمشكلة اللاجئين» . ولذلك فالقرار بشكله الحالي يصمت كلية عن الشعب الفلسطيني ومصيره وحقوقه ويتجاهل وجوده تجاهلا كاملا . وهو بذلك لا يتجاهل فقط الحقوق القومية والانسانية الثابتة التي يتمتع بها الشعب الفلسطيني . بل انه تجاهل ايضا الشروط التي نص عليها كل من وعد بلفور ومشروع التقسيم وقرارات الجمعية العامة المتكررة منذ ١٩٤٨ والتي

كانت ترتب التزامات على اسرائيل امام الاسرة الدولية تجاه الشعب الفلسطيني(١). لذلك فان القرار لا يعترف للشعب الفلسطيني بحقوقه الطبيعية الثابتة كما انه لا يطالب الشعب الفلسطيني بالتنازل عن هذه الحقوق او جزء منها ، بالاعتراف باسرائيل ووجودها على التراب الفلسطيني او اجزاء منه .

ان جزءا من الجهود التي بذلها السيد محمد حسن الزيات وزير خارجية مصر العربية وغيره من السياسيين العرب والافارقة والاوروبيين في جولة الربيع كانت موجهة لهذه النقطة بالذات ، أي محاولة ادخال الفلسطينيين في صلب القرار بالاعتراف بهم كشعب ( تحدث عنهم مرارا مستخدما تعبير الامة الفلسطينية ) وبالتالي اشراكهم في المحادثات والمحاولات السياسية والدبلوماسية على نفس الاسس التي تشارك فيها الدول العربية . ينسحب الاسرائيليون من جزء من التراب الفلسطيني لتقيم عليه « الامة الفلسطينية » دولة مقابل اعتراف الفلسطينيين بشرعية اسرائيل وامنها وسلامتها الاقليمية على بقية التراب الفلسطيني .

يطالب السيد الزيات « بحق الفلسطينيين في ان يعيشوا بسلام داخل حدود آمنة معترف بها ، وهي نفس الحقوق التي كانت تنشدها الدولة اليهودية ومنحت لها » ويقول « ان على الدول التي اعترفت باسرائيل بعد تصويت الجمعية العامة عام ١٩٤٧ بتقسيم فلسطين الى دولتين يهودية وعربية ان تشعر بالتزام ايضا لاجراء اعتراف مماثل بدولة فلسطين » ويطالب « باعتراف دولي بالامة الفلسطينية التي يجب ان تقتسم الارض مع اسرائيل » ويقترح بأن تكون حدود هذه الدولة هي التي تضمنها قرار التقسيم . والزيات بذلك يربط بين قرار مجلس الامن ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ وبين مشروع تقسيم فلسطين لعام ١٩٤٧ . وهذا الربط لا يشكل اعترافا رسميا باسرائيل وموافقة من دولة عربية على تقسيم فلسطين فحسب ، ولكنه يستهدف ان يقر الفلسطينيون انفسهم تلك الحقيقة .

يشرح السيد الزيات موقفه في حديث لجريدة النهار البيروتية في ١٩٧٣/٦/١٦ فيبين انه ليس لاسرائيل الحق في الارض العربية خارج فلسطين لانها لا تخضع لقرار التقسيم ، ولا في الارض الفلسطينية التي خصصت للفلسطينيين في القرار ، « اما الارض الفلسطينية التي أعطيت الى اسرائيل بموجب قرار التقسيم وبموافقة عدد من الدول التي اعترفت باسرائيل . . . فهي الوحيدة التي يمكن ان يقال ان لاسرائيل شبه الحق في الوجود داخلها » ولكنه يقرر ان هذا الحق هو تجاه الدول التي اعترفت باسرائيل كالولايات المتحدة ! ثم يضيف « ان وجود اسرائيل في جزء من فلسطين لا يمكن ان يكون شرعيا بالنسبة للفلسطينيين الا اذا اعترفوا **هم** لاسرائيل بهذا الوجود ». «وفي ما يخص العالم والقانون الدولي فقد تكون لاسرائيل شرعية الوجود داخل فلسطين في حدود التقسيم . اما كيف تحدد هذه الحدود ومن يحددها لتصبح بعد ذلك آمنة ومعترفا بها ومتفقا عليها فهذا أمر يخص الفلسطينيين **وهم وحدهم يستطيعون اذا أرادوا ان يعترفوا لاسرائيل بهذه الحدود ، شرط ان تكون لهم هم ايضا حدود آمنة ومعترف بها ومتفق عليها** » .

ويصر الزيات في حديثه على ان المهم في الموضوع هو رفض معاملة الفلسطينيين كارهابيين او كلاجئين وقال انه اكد في مجلس الامن « على ان اي حدود لاسرائيل لن تكون آمنة بمعنى الكلمة ولن تكون معترفا بها بمعنى الكلمة الا اذا منحها الفلسطينيون

---

١ — انظر مقالة الدكتور فايز صايغ «ملاحظات على قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢» في مجلة شؤون فلسطينية ، العدد ١٥ ، تشرين الثاني ( نوفمبر ) ١٩٧٢ .

انفسهم هذا الامن وهذا الاعتراف وهذا الاتفاق » اي انه اذا اعترف للفلسطينيين بأنهم « شعب وشعب عريق لا يمكن تناسيه » وله حق تقرير المصير كغيره من الشعوب فهم عندئذ يستطيعون تقرير الامن والاعتراف لاسرائيل بدورهم .

وقد أيد سكالي مندوب اميركا ذلك بقوله « ان أية تسوية دائمة وعادلة يجب ان تأخذ في الاعتبار الآمال الشرعية للفلسطينيين » ، وان « الولايات المتحدة تعتبر ان على الفرقاء ان يحددوا تماما ماذا يعني ذلك » . والمشكلة التي يشير اليها سكالي في تحديد معنى آمال الفلسطينيين لا تخص اسرائيل فقط ، بل الاردن ايضا الذي اشار تكواع مندوب اسرائيل الى أن تحقيق آمال الفلسطينيين كما يريد الزيـــات تعني شرذمته . وهي النقطة التي نفاها الزيات ثم أوضحها لمندوب النهار بما يعني امكانية قيام اتحاد فدرالي على نسق المملكة العربية المتحدة بين فلسطين والاردن .

ان هذا التطور الجديد يمثل أخطر تنازل عربي منذ القبول بقرار مجلس الامن . فهو يشكل دعوة صريحة للفلسطينيين للاعتراف باغتصــــاب اسرائيل لوطنهم وبطردهـــم وتشتيتهم لقاء وعد لا يمكن تحقيقه باعطائهم السيادة على جزء من ارض وطنهم . كما انها دعوة لتحميلهم وحدهم المسؤولية الكاملة عن كل التنازلات العربية .

## الثورة الفلسطينية والحل السياسي

لقد أدركت الثورة الفلسطينية منذ انطلاقتها في اول يناير ١٩٦٥ ان النضال المسلح بأسلوب حرب الشعب حتى تحرير كامل التراب الفلسطيني هو الطريق والاستراتيجية الوحيدة البديلة للاستسلام وضياع الاوطان . وقد عبرت الثورة عـــن ذلك في كل مواثيقها وبرامجها السياسية ومواقفها وأدبياتها . ولذلك فقد رفضت الثورة المشاركة في مسيرة التسوية السياسية دون تردد وفي كل المراحل . وأدركت ان الدخول في هذه المسيرة يجهض الاسس الاستراتيجية التي بنيت عليها الثورة بالاضافة الى انه لا يحقق للشعب والوطن شيئا ولو ضئيلا .

والثورة بذلك لا ترفض رفضا طفوليا - عاطفيا - انتحاريا بل ان تجارب السنوات الست قد أثبتت صحة رؤيتها وأكدت عقلانية موقفها الثوري النضالي . فقيادة الثورة ظلت تمارس العمل السياسي المرتبط باستراتيجية التحرير الاساسية . فقد طرحت الثورة شعار وبرنامج الدولة الديمقراطية اللاطائفية الفلسطينية كنتيجة للتحرير واستخدمته كدليل لعملها السياسي كما عملت منظمة التحرير من خلال ممثليها في هيئة الامم المتحدة وفي الدول والمنظمات الاخرى على طرح القضية الفلسطينية وابراز حق شعب فلسطين في تقرير مصيره على أرضه وحقه في انشاء دولته الوطنية على ترابه . ونجحت في اقناع العديد من الدول الصديقة بتبني قرارات تدعم حقوق شعب فلسطين وتتصدى تكتيكيا لانتهاكات اسرائيل لهذه الحقوق . ولكن هذا التحرك السياسي كان ينطلق دائما من استراتيجية واضحة ترفض الاعتراف بالاغتصاب والهزيمة وتصر على حق الثورة الفلسطينية في قيادة نضال الشعب الفلسطيني لتحرير كامل تراب الوطن .

وقد واصلت منظمة التحرير الفلسطينية عملها السياسي المنبثق من هذا الاطار باعتماد مندوبها لدى هيئة الامم المتحدة لتقديم وجهة نظر المنظمة في المحادثات الدائرة حـــول حقوق الشعب الفلسطيني وهي وجهة النظر التي تعتبر الميثاق الوطني الفلسطيني والبرنامج السياسي لمنظمة التحرير والقاضية برفض التسوية السياسية المبنية على قرار مجلس الامن والاصرار على حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره على كامل ترابه الوطني وحقه المشروع في النضال من اجل تحقيق الدولة الديمقراطية الفلسطينية

بعد التحرير . ان العمل السياسي في كل مجال لتأكيد وجود الشعب الفلسطيني وحقوقه وللتصدي لاعدائه ومغتصبيه ولتحقيق مكاسب تكتيكية في هـذا المجال تتراكم لتخدم استراتيجية التحرير هو عمل مطلوب وضروري ولكن هذا يختلف تماما عما يطرح في مجلس الامن وخارجه ويشرح على صفحات الجرائد ويطلب تورط الثورة فيه .

والواضح ان قيادة منظمة التحرير مستفيدة من تجارب السنوات الست ، وخصوصا تجربة مشروع روجرز ، قد تجنبت الدخول في صراعات تخلق تناقضات جديدة مع الانظمة العربية التي تتبنى المواقف المشار اليها وهو موقف حكيم وواع . لقد بدأت تباشير نهاية جولة الربيع بالفشل المعتاد بتصريحات دايان عن الاستيطان في الضفة الغربية والجولان وشرم الشيخ وبايقاف محادثات مجلس الامن دون قرارات انتظارا لقمـة بريجنيف ـ نكسون التي لن ينتج عنها شيء بالنسبة للشرق الاوسط.ولذلك فان قيادة الثورة الفلسطينية مطالبة بأن تستفيد من هذا الفشل الجديد بالتوجه للانظمة العربية وخصوصا النظام الوطني في مصر تطالبها بالعودة للنضال المسلح ، ولاستنهاض همم الجماهير من أجل تحرير الوطن . ولادارة ظهرها نهائيا لامريكا ومحاولاتها وللتصدي لمصالحها في وطننا . ويبقى على الثورة الفلسطينية ـ طليعة الرفض الثوري المسلح ـ ان تستمر في عملها الاساسي فتعمق من التحامها بجماهيرها وتقدم لهؤلاء الجماهـير أمثولة العنف الثوري الناجح الذي يلهب حماسها . وفكر الثورة الواضح الذي يعبئها وينظمها ويدفع بها لتحرير الوطن .

# عن العلاقات اللبنانية الفلسطينية

كريم مروة

● طرحت الاحداث الاخيرة التي جرت في لبنان بين المقاومة الفلسطينية والسلطة اللبنانية ، مجموعة من القضايا الاساسية في مقدمتها قضية العلاقات اللبنانية — الفلسطينية . واهمية هذه القضية انها مرتبطة بالقضية الفلسطينية التي تلتقي حول الاهتمام بها ، ولو بالشكل ، ولو بالظاهر ، كل القوى العربية ، على اختلاف مواقعها ومواقفها . ويعود هذا الاهتمام الى عمق ارتباط القضية الفلسطينية بالوجود العربي وبالخطر الذي يشكله وجود اسرائيل العدواني في قلب الوطن العربي وعلى حدود اكثر من دولة عربية ، على هذه الدول جميعها . وعلى شعوبها ، فضلا عن العلاقة القومية التي تربط شعوب البلدان العربية بهذه القضية ، وهي القضية القومية الوحيدة التي لا يثير الالتقاء حولها اي حاجز من أي نوع .

وقد كان من النتائج المباشرة لقوة وجود القضية الفلسطينية بالنسبة للشعوب والبلدان العربية ، أن ثلاث حروب حتى الان — هي الحروب الوحيدة التي خاضتها البلدان العربية ، في ربع قرن — كانت حروبا عربية جماعية ضد اسرائيل . بصرف النظر عن شكل المشاركة ومستواها من قبل هذا البلد العربي او ذاك .

وكان من نتائج الوجود القوي لهذه القضية . ايضا . ان كل البلدان العربية . بدون استثناء ، يتواجد الان على أرضها قسم من الشعب الفلسطيني المشرد خارج وطنه . وبالطبع فان حصة البلدان الاكثر قربا من الارض الفلسطينية . من هذا التواجد ومستلزماته ، هي . بالضرورة . اكبر من حصة البلدان الاخرى .

القضية الكبرى والواقع الراهن الذي فرضه بقاؤها بدون حل . أمران متلازمان . وليس بمقدور أحد ، لا في السلطة . ولا خارجها . ان يتجاهل الامرين . او ان يتجاهل أحدهما .

وقد كان يمكن لهذا الوضع الا يكون . تماما كما هو عليه الان . موضع نزاع وصراع . بين أصحاب القضية . الا ان ظروفا ذاتية وموضوعية تضافرت لجعل هذا الوضع واقعا صعبا ومعقدا يزداد عمق ارتباطه بالحياة اليومية في البلدان العربية وفي لبنان بشكل خاص ، مع مرور الايام .

ويظن البعض . في لبنان . ان مجرد الرغبة في رفض امر واقع يكفي لازالته من الوجود . الا ان الواقع المادي اقوى من الرغبات .

وفي الحقيقة ، فان وجود الفلسطينيين . اولا . ثم المقاومة . بالتالي . على ارض لبنان بهذه الكثافة كان مسألة طبيعية . فقبل قيام دولة اسرائيل كانت العلاقات بين أبناء جنوب لبنان ومدن وقرى فلسطين . اقوى مما كانت عليه بينهم وبين المناطق اللبنانية الاخرى ، بما في ذلك العاصمة . وخلال الحرب التي نشأت في اعقاب قيام اسرائيل تعرضت قرى بكاملها في الجنوب ليس فقط للاحتلال وللتدمير . بل للقتل الجماعي ، بشكل يذكر بفظائع النازية أيام الحرب .

لم يكن أمرا مستغربا ، اذن ، ان يلجأ المواطن الفلسطيني الهارب او المطرود من جحيم النازية الصهيونية الى لبنان . ومع الايام ، ومع النكبات التي تعاقبت على هذا الشعب، كان لبنان يستقبل ، بسهولة ، اعدادا جديدة ، وكان يكبر هذا العدد ، بفعل التكاثر الطبيعي ، حتى اصبح ، في هذه الايام ، موازيا لرقم ( ٤٠٠ الف ) أذهل الذين باتوا يضيقون « بالضيف » الشقيق . ولكن هذا الواقع الذي لا تريد الاعتراف بوجوده الفئة الرجعية الانعزالية من البرجوازية اللبنانية ، تغير ، أيضا ، باتجاه التفاقم ، بمعنى التزايد عددا والاتساع تأثيرا ، بفعل النتائج التي أسفرت عنها حرب حزيران .

فماذا خلفت هذه الحرب ؟ لقد خلفت امورا عديدة :

**الامر الاول** ، آثار العدوان واهمها احتلال كامل الارض الفلسطينية واجزاء من اراضي ثلاثة بلدان عربية . **الامر الثاني** ، ممارسة يومية للعدوان ولانتهاك السيادة الوطنية بالنسبة للبنان ، على وجه الخصوص . **الامر الثالث** ، حالة حرب ، هي ليست حربا، وحالة سلم، هي ليست سلما، اي حالة عجز، حتى الان، على مستوى الدول العربية كلها ، عن ازالة آثار العدوان، فضلا عن العجز عن ايجاد حل للقضية الفلسطينية . **الامر الرابع**، ثورة فلسطينية على غير ارض الشعب الفلسطيني بشكل أساسي ، لم يكن ممكنا، حتى الان، تواجدها في غير الاماكن التي تمارس نشاطها فيها، ومن هذه الاماكن أرض لبنان .

هذه الامور الاربعة هي التي ينبغي الانطلاق منها ، الان ، للبحث في جوهر العلاقات اللبنانية ــ الفلسطينية . والمنطق الاساسي الذي يحكم هذه العلاقات هو : اولا ، كون القضية ، بالنسبة للشعب اللبناني ، قضية مصيرية ، وثانيا ، كون تواجد الثورة الفلسطينية ، جزئيا ، على أرض لبنان ، لا يعود لاختيار سهل ، بقدر ما يعود لظروف موضوعية ، مفروض على شعب لبنان ، وعلى الدولة اللبنانية ، ان يتعاملا معها بمسؤولية . فكيف تعاملت السلطة اللبنانية مع هذا الواقع ؟

لقد حاولت ، منذ البدء ، ان تفرض بقوة القمع المسلح الحيلولة دون اتساع وجود المقاومة الفلسطينية في لبنان، وفي مقدمة اهدافها ، اولا ، أن تمنع تحرر سكان المخيمات، بالاستناد الى المقاومة ، من الاضطهاد الذي كانوا يتعرضون له ، ثانيا ، ان تمنع تطور عملية تحول الفلسطينيين في لبنان الى شعب له قضية ، ثالثا ، ان تمنع قيام تضامن وطني لبناني مع هذا الشعب ومع حركته الوطنية المسلحة .

ولكن الذي حصل هو أن عملية القمع هذه اصطدمت بجدار من عدة طبقات : قوة القضية وصمود أبطالها وتضامن الفلسطينيين مع حركتهم الوطنية والتفاف القوى الوطنية اللبنانية حول المقاومة والنزول الى الشارع للدفاع عنها ووقوف العالم العربي ضد عملية القمع وعدم السماح باستمراره .

وهكذا تم توقيع اتفاقية القاهرة . ولكن المسألة لم تنته عند هذا الحد . وتكررت المعارك والصدامات . وسقط العشرات من شهداء المقاومة . وظلوا يسقطون ، تارة على يد القوة الاسرائيلية المعتدية واحيانا ، على يد السلطة اللبنانية .

وكان واضحا بالنسبة للقوى التقدمية اللبنانية ، ولقيادة المقاومة ، ان معركة اكثر شمولا ، لا بد واقعة ، من اجل تصفية المقاومة الفلسطينية .

وكان ذلك يعني ، بالنسبة للقوى التقدمية اللبنانية ، ليس فقط موقفا لبنانيا من قضية عربية ، بل ، كذلك ، موقفا رسميا لبنانيا من قضية داخلية ذات طابع مصيري . ولذلك اعطت القوى التقدمية لمؤامرة تصفية المقاومة اهتماما اساسيا ، في تكتيكها واستراتيجيتها ، تكتيك واستراتيجية النضال الثوري من اجل احداث تغيير أساسي في

سياسة لبنان الداخلية والعربية والدولية ومن اجل اقامة الحكم الوطني الديمقرطي البديل .

فهي تعتبر ان الموقف من المقاومة الفلسطينية ، يعبر في ظروف التركيب الطبقي والسياسي للسلطة في لبنان ، عن امور ذات اهمية أساسية :

**الامر الاول** ، الاعتراف أو عدم الاعتراف بأهمية القضية الفلسطينية ودور لبنان فيها .

**الامر الثاني** . الاقرار او عدم الاقرار بوجود حركة المقاومة ، كتعبير عن الشخصية المستقلة للشعب الفلسطيني وعن تصميمه على النضال ، بمختلف الوسائل ، من اجل حقه في وطنه وأرضه .

**الامر الثالث** ، الاقدام او الاحجام عن المشاركة في المعركة لتصفية آثار العدوان والتصدي للاعتداءات الاسرائيلية المتكررة ، مع ما يستوجب ذلك من وضع خطة دفاعية ومن تعاون وتنسيق مع البلدان العربية ومن موقف حازم من الدول الامبريالية ، ومن توطيد للعلاقات مع الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية .

**الامر الرابع** ، الرضوخ او الصمود ازاء الضغوط التي تمارسها اسرائيل والامبريالية الاميركية والرجعية العربية ،لضرب المقاومة ولضرب القوى التقدمية معها .

ولكل موقف من هذه المواقف سياسة متكاملة بالنسبة للسلطة القائمة تتحدد ، في ضوئها ، الخطة العامة لنضال الحركة التقدمية . وعندما نطرح قضية الموقف من المقاومة نأخذ بعين الاعتبار الوضع الذي نشأت فيه هذه الحركة والمؤامرات التي تعرضت لمنعها من التطور .

وقد كان طبيعيا أن تتجند ليس فقط للدفاع عن المقاومة ، بل للاسهام في عملية تطويرها، كل القوى التقدمية في البلدان العربية . لان ذلك يشكل مهمة من مهماتها الراهنة . ومع التطور الذي حصل في سياسة المقاومة وفي اتجاهاتها وتحالفاتها ، اشتدت المؤامرة الاستعمارية الصهيونية الرجعية لتصفيتها . فقد كانت كل القوى المعادية تريد لها أن تظل في نفس الاطار الذي نشأت فيه ، ولا تتجاوز حدود المفاهيم التي كانت في أساس نشوئها . الا ان ذلك كان ضد منطق الاشياء . ولو أن حركة المقاومة ظلت تراوح مكانها من حيث العلاقات بين فصائلها ، ومن حيث المفاهيم ، ومن حيث المواقف السياسية والتحالفات . لكانت لعبت دورا سلبيا ، ليس ضد نفسها وقضيتها وحسب . بل ضد كل حركة التحرر الوطني العربية . وقد لعبت دورا مؤثرا في هذا التطور ، عوامل عديدة ، داخلية وخارجية . ومن بين هذه العوامل :

**اولا** . تردي الوضع العربي وبروز دور الاجنحة اليمينية في حركة التحرر الوطني العربية . **ثانيا** . تعقد أزمة العدوان وتعمق المأزق أمام ضرورة الحل . **ثالثا** ، تزايد دور الاحزاب الشيوعية ، ولا سيما الحزب الشيوعي اللبناني ، في مساندة حركة المقاومة بكل الوسائل وتعميق صلاته السياسية معها . وتقديم الشهداء في الدفاع عنها وفي خوض المعارك معها . **رابعا** . تطور مواقف اليسار الفلسطيني داخل الحركة وتعاظم الدور الذي لعبه داخلها . **خامسا** . انكفاء الرجعية العربية عنها ومشاركتها في التآمر الصهيوني الامبريالي لتصفيتها . **سادسا** ، تعمق واتساع تحالفاتها الدولية، مع الاتحاد السوفياتي وبلدان المعسكر الاشتراكي وكل الحركة الشيوعية والثورية العالمية .

وانطلاقا من التحديد الذي تعطيه القوى التقدمية للسلطة السياسية في لبنان كانت هذه القوى على قناعة . زادتها الاعمال الملموسة قوة . بأن هذه السلطة تحضر، بالاتفاق مع

اعداء المقاومة في البلدان العربية وخارجها ، مؤامرة لتصفيتها . وقد ساعدت اسرائيل باعتداءاتها المتكررة ، في اعطاء المبررات من اجل القيام بهذه الحملة .

وهكذا كان عدوان العاشر من نيسان المبرر والذريعة للبدء بالمعركة . وقد عجل بهـا رعب السلطة ازاء تظاهرة ربع المليون استنكارا للعدوان وتضامنا مع ابطال المقاومة الذين اغتالتهم مخابرات اسرائيل في قلب شوارع بيروت .

وهكذا كانت الاحداث الدامية التي خلقت معها وضعا خطيرا لم تكن تظاهرة ربع المليون الا تعبيرا عن امكانية وقوعه في حال تعرض المقاومة للضرب .

وكان يمكن للمبررات المباشرة الا تكون مبررات للبدء في عمليات الثاني من ايار لو أن السلطة لم تكن تخطط للضرب . اذ ان حالات عديدة من النوع الذي حصل ، — وهو امر لا نقره ولا نوافق عليه ولا يتفق مع خطة القيادة السياسية للمقاومة — كان يجري تلافيها بمخابرة تليفونية او باجتماع لا يستغرق وقتا طويلا .

ولكن السلطة جربت الضرب ولم تنجح . ولعبت في عدم النجاح عوامل عديدة :

**أولا** ، صمود المقاومة في الدفاع عن النفس . **ثانيا** ، تضامن الحركة الوطنية معها .

**ثالثا** ، وقوف معظم الدول العربية ضد تصفيتها ، ولا سيما سوريا التي استخدمت اقفال الحدود كشكل من اشكال الضغط المؤثرة . **رابعا** ، وقوف الاتحاد السوفياتي معها ، ضد ضربها ، ونشاطه في سبيل حل سلمي للازمة الناشئة بينها وبين السلطة، ووقوف كل الدول الاشتراكية ، موقفا متضامنا معها ، وكذلك وقوف العديد من الاحزاب الشيوعية والثورية في البلدان الراسمالية ، معها . **خامسا** ، عدم انجرار عدد من الدول الاوروبية الغربية ، كفرنسا ، في تأييد مخطط التصفية ، بالنظر للمخاطر التي يشكلها مثل هذا الامر على الوضع في كل المنطقة . **سادسا** ، عدم اجماع البرجوازية اللبنانية ، باطرافها المختلفة ، على موقف التأييد للسلطة في عملية التصفية ، واتخاذ بعض اطرافها مواقف تهدئة . **سابعا** ، ردة الفعل التي أحدثها ضرب الاحياء الاسلامية بالمدفعية والطائرات واتخاذ التحرك الذي قامت به الهيئات الاسلامية طابعا طائفيـا خطير النتائج . **ثامنا** ، تحرك القطاعات الاقتصادية بتأثير النتائج التي تركتها الاحداث على الوضع الاقتصادي .

جميع هذه العوامل لعبت دورا في ايقاف القتال وفي الخروج الحالي التدريجي من الازمة. ولكن الازمة لم تنته والقضية لا تزال قائمة . والسؤال لا يزال مطروحا :

هل هناك جولة ثانية ؟ وهل ستتكرر نفس الاسباب لتقود الى نفس النتائج ؟

ذلك ان اسرائيل تحضر الان لعدوان على لبنان . وبات الجميع يتحدثون عن هـذا العدوان . واميركا تنشط ، بشكل محموم ، عبر سفارتها ومبعوثيها السريين والعلنيين، ولا سيما عبر عملاء مخابراتها المبثوثين في لبنان ، والبعثة العسكرية ذات الخبرة في حرب الشوارع ، التي تزور لبنان ، من أجل الضغط للقيام بجولة ثانية .

ولكن المقاومة ، ومعها القوى الوطنية والتقدمية وقوى اخرى كبيرة التأثير ، ستقف بوجه هذه المحاولة من اجل احباطها ، وستسهم في منع الصدام جميع العوامل التـي اسهمت في وقف اطلاق النار . وسواء وقع اتفاق محدد ام لم يوقع ، فالقضيـة تبقى قضية ادراك جميع الاطراف المعنية بضرورة العمل لايجاد صيغة للتعايش لا مفر من البحث عنها وتحديد بنودها . وليس مهما شكل الاتفاق ، بل المهم هو مضمونه والالتزام بتنفيذه ، أي بالامتناع عن كل ما من شانه ان يعيد الاقتتال . وقد يكون صعبا بالنسبة للسلطة اللبنانية ان تعترف بواقع ظلت ترفضه ، برغم وجوده وتطوره ، خلال السنوات

الماضية . الا أن التعامل مع الواقع ، في مثل هذه القضية ، هو ضرورة وطنية ، فضلا عن كونه ضمانة لمنع حدوث ما هو اكثر ايلاما . وقد أثبتت الاحداث الاخيرة أن الوضع اللبناني في حال تكرر الصدام ، قابل للتفجر بشكل تصبح معه الامور اكثر صعوبة وتكون النتائج المدمرة صعبة التقدير . فليس لبنان مثل الاردن ، ولا هو في وضع أي بلد عربي آخر من نواح عديدة . ولذلك، ولكي لا تتكرر الاحداث الدامية ، ولكي تتكون الضمانات الكافية ، في المرحلة الراهنة ، من أجل تعايش مقبول ، يصبح من الضروري الاخذ بما اقترحته الاحزاب التقدمية في المؤتمر الصحفي الذي عقده كمال جنبلاط . وهذه الاقتراحات هي : « **اولا** : اجراء تبديل جوهري اساسي في العلاقة بين السلطة اللبنانية وبين المقاومة ، يعود بنا تلقائيا ونهائيا الى تنفيذ سياسة التعاون والمشاركة لاجل تحقيق الانضباط العام في اطار الاتفاقيات المعقودة . « **ثانيا** : وضع وتنفيذ سياسة خطة دفاعية تهدف الى صيانة الاجواء والشواطىء اللبنانية ، والتخلي عن سياسة تنمية القوى المسلحة لغاية القمع الداخلي والتصدي للحركة الشعبية الديمقراطية النامية . « **ثالثا** : تحطيم دوامة الحلقة المفرغة ، التي ادخلت نفسها فيها الحكومات المتعاقبة ، الامر الذي ادى عمليا الى تنفيذ المخطط الاسرائيلي في مواجهة المقاومة الفلسطينية . وكان الاعتداء الاسرائيلي ، عوض ان يلقى صدا ودفاعا عن الارض وعن الاجواء ، اية كانت الخسائر والضحايا، يصبح محرضا للسلطة على التضييق على المقاومة او الاقتصاص منها أحيانا في منطق عجيب يتناسى فيه الحكم بأنه الشريك الطبيعي للمقاومة في النضال العربي لأجل التحرير . « **رابعا** : العودة بالبلاد الى تنفيذ الدستور ومضامينه واعرافه البرلمانية ، في سعي جدي لتحقيق المشاركة الحقيقية في سياق ما اقترحناه بصدد تنظيم الممارسة الدستورية . « **خامسا** : تنفيذ علاقة لبنان الرسمي بالعالم العربي ، والابتعاد عن سياسة المحاور ، وعن الانحياز الدولي ، في خطة تعبر ، ضمن الظروف الجديدة ، عن المبادىء الاساسية التي ارتكز اليها الميثاق الوطني والعهد الاستقلالي الاول . « **سادسا** : تحقيق التوازن الوطني في القوى المسلحة لضمان خطة الاعتدال في التقرير، وهو المقوم الرئيسي الذي يقوم عليه الكيان اللبناني ويرتكز اليه التفاهم الشعبي في هذه المرحلة من التاريخ التي لم يتوصل بعد فيها اللبنانيون الى مستوى التوحد والانصهار . وهم لا يزالون يعانون من نظام الكونفدرالية السياسية الطائفية مما يعيق هذا التوحد الاخير المنشود في نظام ديمقراطي علماني حقيقي تتحقق فيه واقعا وفعلا المساواة الدستورية . علما اننا ، كأحزاب وقوى تقدمية ، طالما ناضلنا من اجل الغاء الطائفية ووضع حد لمحاولات افتعال الفتن الطائفية ، هذه المحاولات التي طالما استخدمت لامتصاص النقمة الشعبية ، ولتمويه حقيقة التناقض الاجتماعي الاساسي في لبنان ، ومؤكدين على الدوام ان الصراع الاساسي في لبنان ليس صراعا طائفيا ، بل صراعا سياسيا اقتصاديا اجتماعيا ... ونحن نؤكد من جديد دعوتنا الى ازالة الطائفية السياسية في كافة مجالات الادارة والتمثيل السياسي كي تتأمن المساواة الحقيقية بين المواطنين حيث تحل الكفاءة والامكانيات مكان جميع أنواع التمييز الطائفي . »

# القمر لم يسقط في البئر

محمود درويش

**[ فصل آخر من كتاب عن تجربة محمود درويش الاسرائيلية ]**

ـــ ماذا تفعل يا أبي ؟

● ابحث عن قلبي الذي وقع في تلك الليلة .

ـــ وهل تجده هنا ؟

● أين أجده اذن !. انحني على الارض والتقطه حبات حبات كما تجمع الفلاحات ، في تشرين ، حبات الزيتون .

ـــ ولكنك تلتقط حصى !

● شيء كهذا يمرن الذاكرة والبصيرة . وما ادراك ، قد يكون هذا الحصى تكلس قلبي. واذا لم يكن ـــ أكون قد تعودت على محاولة البحث وحدي عن شيء حين ضاع ضيعني . وان مجرد البحث عنه دليل على أنني أرفض الاندماج بضياعي . وعلى الطرف الثاني من المحاولة دليل على أنني ضائع طالما لم أجد الشيء الذي أضعته .

ـــ وما تفعل أيضا يا أبي ؟

● أعثر على الحصى الذي يشبه قلبي وأحوله بأصابعي الملتهبة الى كلمات تجعلني في حوار مع البلد البعيد . نصير لغة قابلة للتجسيد .

ـــ الا تقول كلاما آخر ؟

● أقول ولكنني لا أفهمه ، وتصير المرأة التي أخاطبها غربة ثانية .

ـــ حين كنت صغيرا .. كنت تخاف القمر ؟

● **يقولون ذلك . ولكن ليس صحيحا ان الاطفال يخافون القمر دائما ..**

**.. لولاه لكنت يتيما قبل أواني . لم يكن قد سقط في البئر . كان أعلى من جبيني وأقرب من شجرة التوت التي توسطت دار جدي . وكان الكلب ينبح عندما يقترب . وحين دوت أول رصاصة دهشت لحفلة زفاف تحدث في المساء . وحين ساقوني الى القافلة الطويلة**

رافقنا القمر الى طريق عرفت فيما بعد انها طريــق المنفى . ولولاه ــ كما قلت لك ــ لضعت عن والديّ .

ــ ماذا تذكر ايضا ؟

● اذكر أني تعلمت السفر وحدي في سن مبكرة . سافرت أمي الى عكا فغضبت لانها تركتني . وكم كنت أحب عكا ! . كانت أبعد نقطة في العالم قبل سنين . وصارت الآن ــ ويا للمفارقة ــ أبعد نقطة في العالم مرة أخرى . كنت أحمل خمس سنين وامشي على الشارع الاسود في اتجاه عكا .

ــ وكيف عرفت الاتجاه ؟

● كان الشارع المعبد السائر نحو الغرب لا يعني الا السفر الى عكا . كان الحر شديدا فبكيت من الشمس والعطش . وجلست مرارا لاستريح . فكرت بالعودة فخجلت من الهزيمة .

ــ ماذا كانت تعني الهزيمة لك ؟

● أن اطلب شيئا ولا يتحقق . أن أبدأ ولا اكمل . وأكملت طريقي الى عكا . ووقفت عند مدخلها أمام مفترق طرق . كان استخدام الاتجاه الذي جئت منه ساقطا من حسابي . جربت الاتجاه الجنوبي فأوصلني الى هضبة رملية تطل على البحر . ليست أمي هنا . فعدت الى المفترق . جربت الاتجاه الشمالي فكان يقود الى بيروت . وليست أمي هناك . فعدت الى المفترق . جربت الاتجاه الغربي فأوصلني الـــى قلب المدينة . دخلت مكانا وطلبت ماء فأسقوني وسألوني عمن أبحث فقلت : أبحث عن أمي .

ــ كيف يبحث طفل قروي عن أمه في مدينة مزدحمة ؟

● كما فعلت أنا . كنت واثقا من أنني سأجدها بين آلاف الوجوه ، ولولا خوفي من المساء الذي صار يقترب لما عدت الى القرية وحدي . ولكن طفلا في الخامسة لا بد وان يهزم . عدت الى مفترق الطرق واستعملت الاتجاه الذي جئت منه خائبا . خشيت من الليل القادم من السهل فوقفت على حافة الشارع . وقفت سيارة شحن وسألتني الى اين أنا ذاهب ، فقلت الى البروة . كانت أمي في البيت . وكان أهل البيت والجيران يبحثون عني في كل آبار القرية . حين يضيع الطفل فلا بد أن يكون قد سقط في بئر . بكت أمي وبكيت معها ، وحين أكملت فرحتها ضربتني فأخذني جدي واعطاني حلوى . . وانتهى سفري الاول .

هذا هو طعم عكا الاول . دائما أبحث فيها عن شيء لا أجده . فتشت فيها عن أمي فكانت قد عادت الى القرية . وبعد سنين فتشت فيها عن حبيبتي فكانت تزف الى رجل آخر . وفتشت فيها عن عمل فكان الفقر يلاحقني . وفتشت فيها عن شعبي فوجدت الزنزانة والضابط الوقح . كانت آخر حدود العالم ، وأولى المحاولات والخيبة . وكان سورها يتآكل في الزمن .

ــ تذكر شيئا آخر عن بداية العالم ؟

● أذكر شكلا غامضا ساعدني على الاستعانة بالخيال والحلم . كان الواقع يتعرض لعملية انقطاع قبل أن يأخذ شكله النامي في وعيي . وفي ظروف لاحقة كان لزاما عليّ

ان اعود اليه لاحتفظ بوجودي ، فكان الحلم هو المكمل . وهذا ما يجعلني في حالة حلم دائم محدودا بمبررات الضرورة . لا منطلقا باجنحة الوهم المترف . تصير الارض صخرة وعصفورا في آن واحد . فالواقع على حالته الراهنة ـــ حتى وان لم يكن قانونيا ـــ لا يعود جزءا منك بدون رباط الحلم الذي يصير اكثر واقعية من شجرة ثابتة . والحلم على حالته العامة ـــ وان لم يكن مترفا ـــ لا يعود حافزا لك بدون ارتباط بصخرة مهما تغيرت أشكالها . صحيح ان الاشياء لا تكون مقدسة الى هذا الحد الا اذا كانت حالتها محكا لانتمائك الى الوجود ، الا اذا كانت موضع صراع . ولكن كونك محروما منها ليس هو الحيوية الوحيدة لثمنها العزيز الى هذا الحد . والا ، فكيف نفهم اقدام فقراء البلدان المستلبة على الموت في سبيل العودة الى فقر قديم ؟ ثمة شيء ننساه في زحمة التسابق على حفظ الجمل الثورية الجميلة . هذا الشيء هو الكرامة البشرية . ليس وطني دائما على حق . ولكنني لا أستطيع أن أمارس حقا حقيقيا الا في وطني .

ـــ لماذا تتحاشاني . . هل تبتعد عن الايام القديمة ؟

● لأفسر لك اني لا أدافع عن سعادة قديمة ، ولا أتغنى بتعاسة ماضية . ليس للعمال وطن ؟. ولكن للمحرومين من الوطن وطنا . ومن حسن حظنا ـــ ربما ـــ ان وطننا حق وجمال . انه لم يأخذ هذا الشكل اللاذع في جماله من اسقاطات حرماننا عليه . انه حلم في واقعه وواقع في حلمه . نحن لا نشتاق الى قفر . ولكننا نشتاق الى جنة . نشتاق الى ممارسة انسانيتنا في مكان لنا .

ـــ قف عند هذه النقطة !

● لقد وقفت حياة آلاف الضحايا والشهداء عند هذه النقطة . لم يكونوا مخدوعين . بعضهم ما رآه . فمات من عدوى الحب . ولكن الخارطة ليست على خطأ دائما ، وليس التاريخ على خطأ دائما . لماذا اجتمع الانبياء والفقراء والغزاة على حبه حتى درجـــة القتل ؟. ان الرقصة الجنسية التي يمارسها البحر الابيض المتوسط مع خاصرة الكرمل تنتهي بولادة بحيرة طبريا . وهناك بحر . سموه البحر الميت لانه ينبغي أن يموت شيء في هذه الجنة لكي لا تصبح الحياة مملة . ومن شدة ما ازدحم الجليل الاعلى بالغابات ، كان لا بد أن تبرهن القدس على أن الصخور قادرة على امتلاك حيوية اللغة. هذا هو وطني. ولم يكن والد صديقي المقيم في بيروت يبالغ حين ثم تفتح أزهار الليمون في بيارات يافا في موعدها . . ومات .

ـــ هو الفردوس المفقود ؟

● احذر هذا المصطلح. لان القناعة به تسليم بحالة قانونية ووجودية بلغت حد النهاية. الفرق بين الفردوس المفقود بالمعنى المطلق وبين الفردوس المفقود بالمعنى الفلسطيني هو خلو حالة الحنين والانتماء النفسي والشرعي من منطقة الصراع . ما دام الصراع قائما فان الفردوس لا يكون مفقودا بل يكون محتلا وقابلا للاستعادة . لا أعني الارتكاز الى مفهوم خسارة المعركة وعدم خسارة الحرب الذي ينطوي على دفاع عن النفس امام خسارة المعركة . ولكني أعني أنه ليس بوسع الفلسطيني أن يعامل وطنه بهذا المفهوم كما يعامل العرب الاندلس وكما ينتظر المؤمنون الجائزة . ان بين فلسطين والاندلس فرقا يشبه الموت . وان بعض السياح الثوريين ممن ينظرون الى المسألة مـــن زاوية التشابه حسن النية وسيىء النتيجة ينطلقون مـــن موقع الجمالية الشكليـــة وضبط التضامن . انهم سيكونون أكثر منك لو سلمت بهذا التشابه وحاصرت حقوقك ووجودك بسياج الحنين الملهم . ولكن حين يلجأ الحنين الى البندقية تعبيرا عن بعد المسافة بين

فلسطين والاندلس ، فستجد هؤلاء السياح المغرمين ببكائيات الشعوب القديمة يحتجون على انتهاك جمال الانسجام التاريخي . ان فكرة الفردوس المفقود تغري الشعراء المفتقرين الى موضوع مؤثر ولكنها تصيب الحالة الفلسطينية بتراكم الدموع وفقر الدم. وهذا هو تفوق وطني على الجنة ، لانه يشبهها ولانه ممكن .

— الم تقف ، يوما ، على هذه الحافة حين وجدت نفسك خارج ملكية الطفولة ؟

● قبل هذا ، لا تملك الطفولة دعوى في المكان . ليس المكان الذي ولدت فيه هو دائما وطنك ، الا اذا كانت ولادتك جماعية وطبيعية . اذا كانت الولادة فردية واصطناعية فان المكان يكون صدفة . وذلك ما يشكل الفرق التاريخي بين ولادة محمود ويسرائيل في مكان واحد الآن . ان يتناسل غزاة في أرض الاخرين لا يؤلف حقا وطنيا لهم . ولكن ان يتناسل شعب في وطنه هو ديمومة الوطنية وشرعيتها . والحيلولة القسرية دون تكامل هذا الوضع ، الآن ، بسبب النفي لا تغير شيئا حاسما في تركيب الاشياء . أي أن تكامل معادلة الولادة لا يتم الا اذا كان نتيجة زواج الشعب والارض والحق . الولادة المعادية تتم الآن نتيجة علاقة بين غزاة وسيف وتوراة . ومن هنا ، لا نخشى تحول مفاهيم الحق في هذه الحالة .

معنى ذلك كله أنني لم اجد نفسي خارج ملكية الطفولة . وقد ساعدني على عدم الاقتراب من الاحساس بهذه الخسارة المعادل الآخر للوضع الذي توقف فجأة ولكنه لم يتغير في وجداني ، لان رحيلي لم يكن اختياريا . لم يكن سفرا . كان نفيا وطردا . ذلك المعادل كان مجابهة مع ظروف قاسية في المنفى لا ينحصر الحل في رفضها وينضج في مقاومتها من داخلها بل في العودة الى جذوري .. التي تبدأ من التساؤل عما أوصلني اليها . نحن الآن في سن أكبر . وبوسعنا أن نعترض على ظاهرة رد البؤس الفلسطيني الى ظروف المنفى الداخلية وحدها ، فذلك يشكل انتصارا لاسباب المنفى ومسببي النفي حيث استطاع المجرم ان يوقع بين الجرحى وادارة المستشفى . لا أقول هذا لأشيد بحسن الادارة وصحتها. بل للتذكير بأن الغزاة لا يجب أن يغيبوا عن البال حين ننشغل بجزئيات العمل الداخلي بيننا .

لم تكن قادرا على لجم الغضب حين كان أترابك في المنفى ينبهونك الى أنك فلسطيني وليس من حقك أن تتفوق في الدروس . كانت تلك الاهانات أول مفاتيح وعيك بحالة ستسيطر على كيانك بعد بضع سنوات ، تفهم عندها ان قضيتك لا تنحصر في المطالبة بمساواة في الحقوق والحصول على مزيد من الخبز في ظروف طارئة . ولكنك في السن المبكرة اياها تلمست،بشكل غريزي، ان خلاصك من الاهانة يتم في تخلصك من الظروف التي سببت لك الاهانة . وكانت تلك بداية ارتباطك الضروري — لا الصدفي — بعالمك الاول . فتحولت قريتك الغامضة ذات الازقة الضيقة الواقفة على مرتفع صغير في سهل عكا الى حل لمشكلة لا تفهمها . ومن هنا ، صارت أشياء الطفولة المتروكة هناك والعودة للاحتفاظ بها اسلحة تبرهن بها على تشابهك العادي مع الآخرين ، وأدلة على امتلاكك لشروط انسانية لا تشكل سببا لتعرضك الى الاهانة . وكان احساسك بهذا البرهان يلتهب ، بشكل خاص ، في أيام الاعياد . كان الاطفال الآخرون يرتدون الثياب الجديدة ويتحدثون عن طعام العيد . وكنت تقف مع ابيك وجدك في طابور الشحاذين لتحصل على حصتك من طعام ولباس لا تعرف مصدره .

— متى حدث ذلك ؟

● في عام ١٩٤٩ . بعد عام على الرحيل .

ــ ولماذا لم يحدث في عام ١٩٤٨ .. في عام الرحيل ؟

● آه . كنا سياحا يومها . كان جدي يحمل كيسا كبيرا من النقود ، وينزهنا في لبنان . يأخذنا الى كروم التفاح لنختار الفاكهة المعلقة على الشجر . ويأخذنا ، كل اسبوع ، الى بيروت التي كانت اول مدينة أراها بعد عكا . لم تكن هجرة .. كانت سفرا ونزهة . كنا ننتظر انتصار الجيوش العربية على الغزاة خلال اسابيع ونعود بعدها الى البروة . لم نسكن مخيما . مررنا في رميش ، ثم بتنا ليلة في بنت جبيل التي ازدحمت بصراخ المنفيين وكانت حظيرة بشرية . كانت الليلة الثانية التي نبيتها خارج البيت . الليلة الاولى كانت في أحد مضارب البدو في الجليل حيث أكل عشرات من « الضيوف » بيضا مقليا من اناء واحد . وفي جزين ــ حيث أقمنا ــ رأيت السواقي التي تسكن البيوت ، ورأيت الشلال . وحين اشتد البرد هناك انتقلنا الى الدامور وعبرنا كروم الموز ، ولعبنا على الشاطىء ، وسبحنا في البحر . عبرت الشارع الواسع يوما قبل أخي الذي لحق بي فضربته سيارة لم تصبه بجروح ولكنها أصابته بذهول لم ينج منه الا بعد سنين . وكان جدي قارئا جيدا للصحف التي وعدته بالعودة القريبة . وكنا نتحلق حوله وهو يقرأ الاخبار بنبرة عالية ونظارة نازلة . وكانت الجريدة تنقله من حزم الامتعة الى التريث قليلا ومــن ثم الى الانتظار ، حتى لاحظنا وهنا بطيئا يزحف الى نبرته التي أخذت بالانخفاض ونظارته التي اخذت بالارتفاع الى مكانها الطبيعي . وفي ليالي الشتاء كان اخــوان الغربة والسمر يتبادلون الراي حول المعارك الدائرة على ارض فلسطين ، وقرأوا عن سقوط البروة .

ــ الم تسقط من قبل ؟

● سقطت ليلة واحدة . ثم حررها اصحابها الفلاحون بأسلحتهم البدائية وبمساعدة من القرى المجاورة . وفور تحريرها استعدوا لجمع الحصــاد الذي كان ينتظرهم على البيادر . ولكن جيش الانقاذ استولى على القرية ، بعد تحريرهــا ، ولا نعرف كيف استلمها اليهود بعد ذلك .

بعد عشرين سنة ، وبعد سقوط مدن عربية كثيرة لم تعجب آرائي التي عبرت عنها بلغة عبرية لصديقي رجلا كان يجلس في المطعم ، فانبرى للدفاع عن الظلم الاسرائيلي بذريعة ظنها مفحمة . قال لي انك لا تعرف العرب ولو كنت تعرفهم لما تكلمت عن العدل بهذه اللهجة . طلبت منه أن يزيدني علما ، فقطب حاجبيه وسألني ان كنت قد سمعت بقرية اسمها البروة . قلت : لا ، فأين هي ؟ قال : لن تجدها على سطح الارض ، فقد نسفناها ومشطنا ارضها من الحجارة ثم حرثناها واخفيناها تحت الاشجار . قلت : لاخفــاء الجريمة ؟ احتج مصححا : بل لاخفاء جريمتها تلك الملعونة . قلت : وما جريمتها ؟ فقال : لقد قاومتنا .. حاربتنا . كلفتنا خسائر كثيرة واضطررنا الى احتلالها مرتين . في المرة الاولى ، كنا نتناول طعام العشاء ، وكان الشاي ساخنا ففاجأنا الفلاحون واستردوها منا . كيف نقبل هذه الاهانة ؟ انت لا تعرف العرب وها أنذا اقول لك .

حين اخبرته انها قريتي حاول الاعتذار بلباقة شاقة وحدثني عن السلام . ثم دعاني لزيارة دكانه الذي يعــرض فيه للمزاد العلني الامتعــة والأدوات المنزليــة المسروقة من مدينة القنيطرة .

بعد أيام ، كانت مستوطنتان يهوديتان تحتفلان باليوبيل الفضي لنشوئهما على اراضي البروة . وكنت اتحدث في مؤتمر صحفي عن الظلم اللاحق بالعرب ، فتصدى لي مراسل صحيفة الاستيطان . لوحت له بنبأ الاحتفال فحاول الاعتذار بلباقة شاقة وحدثني عن السلام .

هكذا هم .. يرتكبون الجريمة وينفونها وحين تواجههم الضحية ينحرفون بالكلام الى السلام .

« واعطيتكم أرضا لم تتعبوا فيها . ومدنا لم تبنوها فأقمتم بها ، وكروما وزيتونا لـم تغرسوها وأنتم تأكلونها » .

— وهل حدث أن زرتها بعد ذلك ؟

● حين أدرك جدي أن وجودنا في لبنان ليس سفرا ولا نزهة ، وانما هو منفى ، وان الحرب انتهت بسقوط كل شيء . وأدرك أن الكروم التي غرسها يأكلها اليهود ، وهي تتحول في يده الى بطاقة الاغاثة . بدأ يشعر ان الخروج خطأ . صار يعي الغربة والنفي . فلجأ الى استرداد الآمال المعلقة على الجيوش بضرورة استرداد انتمائه الواقعي الى ارضه بحضور عملي . هذه الصدمة التي خلقتها خيبـة الاعتماد على سلاح يحملـه آخرون — وأنت أعزل الا من الحق ، خلقت « وعي التسلل » الى الارض المحتلة مهما كان الثمن والنتيجة . من اجل تحقيق الحضور والتخلص من الاهانة . تسللنا في الليل الوعر تحت خطر الموت . لم نذهب سوية خوفا من تفكك العائلة في حالة تعرض قافلة المتسللين الى الخطر . التقينا بعد ليلتين من الزحف المضني في قرية هناك . ها نحن مرة أخرى في فلسطين . هذه هي العودة . لم نعرف أننا نستبدل اللجوء في لبنان باللجوء في الوطن . ولم نعرف ان حضورنا الجسدي في الوطن هو غياب في القانون الذي وضعه الغزاة بسرعة بالغة . سمونا «الحاضرين الغائبين» كي لا يكون لنا حق في شيء . ولكننا عرفنا أن آلافا من العائدين كانوا يوضعون — فور القاء القبض عليهم — في شاحنات عسكرية ويقذف بهم الى الحدود كما تقذف البضائع الفاسدة . وكنا نعرف ان مئات منهم قتلوا بالرصاص كي يكفوا عن محاولة التفكير بالعودة . وعرفنا ان زوج خالتي — مثلا — تسلل من لبنان منذ ذلك الحين ولم يصل حتى الآن . أيهما أكثر ايلاما : أن تكون لاجئا في ارض سواك ام أن تكون لاجئا في أرضك ؟ هذا سؤال يطرحه على الدوام القهر النفسي الذي يخلقه الواقع الاسرائيلي حين يرى المواطن العربي الحراث الاسرائيلي وهو يغوص في ترابه وجسده لاستخراج الحنطة والعنب من أجل القادمين من كل انحاء العالم ، وهو يمنع من مجرد الحج الى أرضه . هل يكون التراب قدسيا الى هـذا الحد ؟ بالنسبة للفلسطيني نعم . تحاط القرى بسياج من الانظمة العسكرية يكلف اختراقهـا سجنا وغرامة . والقرى التي عوقبت بالهدم — وهي عشرات — اما بسبب خصوبة أرضها واما بسبب مقاومتها السيف الطالع من التوراة — يمنع أصحابها من الاقتراب منها مهما طرأت تغييرات على سياج الامن الاسرائيلي . من هنـا ، كان الوصول الى القريـة مستحيلا . اكتشفنا ان العودة لم تكن حلا لمسألة معيشية ولا حلا لاغتراب نفسي . ولكنها كانت تعميقا للحضور الذاتي وبديلا للنفي الاختياري ومجازفة في الاقتراب من اصول الحق والهوية . هذه هويتي وما أشد اغترابي . ولكن اغترابي هنا ايجابي لان مصدره خارج عن ارادتي ولانني حاضر . والحرقة التي تشحن علاقتي بالتربة المقدسة الممنوعة تتحول الى طاقة للرفض . وعلى الطريق من دير الاسد الى عكا تقف البروة على الهضبة اياها . لم تدلني عليها اللائحة التي تحمل اسما آخر . دلتني عليهـا شجرة الخروب الضخمة التي بدأت منها البحث عن امي قبل سنين . ودلتني عليها حبات قلبي التي اكتنزت بالمطر والحنين . ليس المكان مساحة فحسب . انه حالة نفسية ايضا . ولا الشجر شجرا انه اضلاع الطفولة . كان البكاء ينهمر من اطراف اصابعي ايضا . ومرت سيارة الباص بسرعة . وعند العودة تجددت احزان طفولتي . هذا الحلم الواقف أمامي، لماذا لا أرتديه مرة لاقول وصلت الى اللذة القاتلة؟ ان الجنود يحرسون الحلم، وسأدخله حين ينامون ؟

ــ وهل ناموا . . ودخلت ؟

● حدث ذلك في وقت لاحق . لم يعد البكاء لائقا بمن هم في مثل سني . كنت اختبر قدرتي على مواجهة الطفل الذي تركته هنا في السابعة من العمر . صار الشوك أطول مني ومنه فضعنا معا . لم نعد نعرف أينا سيعثر على الآخر . ولكنني لم أر، من قبل، عصافير بمثل هذه الالوان الخضراء والزرقاء . جرحتني شوكة حادة ففرحت لانها نقطة الوصول . كنت غارقا في الاحساس بالحج ، ولكن لم اجد الكعبة . من أعطى الارض هذه الوحشية الا الهجر ؟. كبرت اشجار الصبار التي رمى الانجليز أبي فيها وقطعوها عليه بالفؤوس، فأخرج الطبيب من جلده مائة شوكة غير التي اختفت في اللحم . من اكثر حظا يا ابي ؟ ذاك الذي أكل الشوك وواصل تربية الارض ، ام ذاك الذي جاء الى الارض فلم يجد الا الشوك ؟. وهذا الراعي الصغير الذي ادهشته تحيتي : من أين أنت ؟ من اليمن ؟ أخبرته انني من هذه القرية . فظنني رومانيا لانه يعتقد أن هذه الاطلال آثار قرية رومانية . « وإذا رحلنا الى منطقة فيها من الحيوانات البرية ما ليس اليهود متعودين عليه ، مثل الافاعي الكبيرة ، سأستخدم اهل البلاد ــ قبل أن اعطيهم اعمالا في البلدان المجاورة ــ ليقضوا على مثل هذه الحيوانات وسأعطي جوائز كبيرة لمن يأتي بجلد الافاعي وبيضها » هكذا قال هرتسل . . ولعل هذا الراعي القادم من اليمن يحسبني أبحث عن أفعى . واصلت طريق الشوك والحجارة القديمة بحثا عن الطفل الذي تركته هنا . لم اجد شجرة التوت التي كان يتسلقها ولا الساحة التي كان يضيع فيها . لا شيء . . لا شيء الا هيكل كنيسة ضاع منها الجرس . دخلت الكنيسة فكانت الابقار تجترني بكسل . بعد ربع قرن ستدق اجراس الكنائس اعلانا عن موت العدالة في فلسطين بعدما انفجرت مأساة كفربرعم . تأخرت . . تأخرت كثيرا . وليس لهذه الكنيسة جرس يعلن شيئا . ما عاد بوسعي ان ارضى بالاطلال تجسيدا للحلم ، لان انتمائي لم يعد غريزيا . . صار اكثر وعيا ، وصار مضمون الحلم ــ لا انفجاره ــ هو قضيتي .

ــ لم تقل لي لماذا خرجتم . لماذا لم تصلوا الى هذه القناعات الا بعد هذه الخسارة ؟

● أبي يقول انهم لم يفهموا ماذا يحدث . كانت معركة عابرة مضمونة النتيجة كما تصوروا . كان الخروج من القرى تخليصا للجسد من الموت دون أن يقابله معنى التنازل عن الارض . لم تكن فكرة الوطن تحتاج ــ على ما يبدو ــ الى الاجتهاد الفكري والتعبئة الجماعية والتخطيط . لم يكن المنزل والكرم والمحراث مسلحين ، ولم تكن الدعوة الى البقاء ــ على ما يبدو ــ جزءا من المعركة لانها لم تكن محددة القوى والابعاد . هل يعني ذلك أن الحس الوطني كان رديئا ؟. كلا . بدليل ان الفلاحين كانوا يتطوعون للجهاد من تلقاء انفسهم وبدوافع وطنية خالصة . ولكن التنظيم كان هو الرديء . وكان الانطباع الشائع ــ أو الخديعة اذا شئت ــ يقول ان الخروج مؤقت ، لايام معدودة . فلماذا بموت الاطفال والشيوخ والنساء بهذا الشكل المجاني اذا كان الخروج المؤقت يضمن سلامتهم ويضمن النصر معا ؟. ان الاسرائيليين يأخذون من خروج العرب ذريعة للادعاء بغياب حس الانتماء الى الوطن والافتقار الى الجدارة بوطن تخلوا عنه بسهولة . والاسرائيليون لا يخدعون الا انفسهم حين يصدقون ادعاءهم ، فقد قابلوا الانطباع الشائع بأن الخروج مؤقت ببنادقهم وخناجرهم التي اضافت سببا قويا لدفع العرب الى الخروج . ووضعوا أمامهم الاختيار التالي : اما الموت ، واما النزوح لعدة أيام . وأن تفريغ فلسطين من العرب لم يكن اجراء طارئا استدعته ظروف الحرب ، بل كان خطة ثابتة في استراتيجية العمل الصهيوني قبل انشاء اسرائيل ، وخلال الحرب ، وبعدها . وقد نفذوها بالعنف المسلح ، ووجدوا فتوى دينية لها في مثال يهوشع بن نون وفي أن « يوم الرب هو يوم ارهاب » . ووجدوا فتوى سياسية لها في أمثلة تطبيقاتهم ،

ومناحيم بيغن هو الذي قال: «لولا النصر في دير ياسين، لما كانت هناك دولة اسرائيل». ولم يخفوا الغاية من مذبحة دير ياسين ، وقتها ، حين طافت سياراتهم تعلن في مكبرات الصوت الاختيار التالي : اما ان تخرجوا ، واما ان يحدث لكم ما حدث في دير ياسين . وفي كل القرى التي احتلوها ، فيما بعد ، كانوا يجمعون السكان في الساحة ويبقونهم ساعات تحت الشمس ، ثم يختارون أجمل الشباب ويقتلونهم على مرأى من أهل القرية، لكي يضعوهم امام الاختيار ولكي تصل انباء المجزرة الى القرى التي لم تحتل بعد ولكي يفرغوا احقادهم التاريخية المكبوتة . ووجد الاسرائيليون ايضا فتوى قانونية تقول ان العرب باعوا أراضيهم . ومن المؤسف ان تلتقي قناعات عربية معينة مع هذه القناعة الاسرائيلية ، دون ان يحاول اصحاب هذه القناعات معرفة ان اليهود لم يملكوا حتى عام ١٩٤٨ اكثر من ٦ بالمائة من مجموع اراضي فلسطين .

— وأنتم . . ماذا فعلتم بأرضكم ؟

● اسأل عم فعلت بنا الارض ؟ قتلت جدي من القهر والانتظار . وشيبت أبي من الكدح والبؤس . وأخذتني الى الوعي المبكر بالظلم . كان جدي ملاكا موفور الحال . وحين حدث ما حدث ، وصار هو « حاضرا غائبا » كان يقضي ايامه امام مكتب الحاكم العسكري في انتظار تصريح سفر الى مدينة عكا لا لشيء الا ليرى ارضه من خلال نافذة سيارة الباص . يقضي يومه في قراءة الجرائد ويقضي ليله في التأمل واستعادة الذكريات .. وينتظر . هو الذي رباني وكنت احبه أكثر من ابي الذي كان مشغولا بالضنى واستخراج الخبز من مقالع الصخر . علمني جدي القراءة ومساحة الارض وأعمار الزيتون . وكان يشتري لي كتبا من عكا ويأخذني الى اصدقائه ليفاخر بالطفل الذي يقرأ الجريدة والكتب ويحفظ الشعر القديم ، ولا يخطىء الا في قراءة سورة يس. يقرأ لهم من سيرة عنترة والزير وروايات جرجي زيدان التاريخية الى ان ينام . وفي الصباح اذهب الى المدرسة التي لا تسجل اسمي لأن أبي غير مسجل في ملفات الحكومة . من ذهب الى لبنان وعاد بعد عام او عامين لا يعود مواطنا . ومن جاء من وارسو بعد ألفي سنة يملك الحق والوطن .

وفي ساعة متأخرة من الليل يدق ضابط الشرطة باب البيت الطيني بعصاه ، ويوقظ الاسرة المؤلفة من الجد والجدة والوالدين والابناء الاربعة — وكلهم مكدس في غرفة واحدة هي الصالون وغرفة النوم والمطبخ. يتوجه الضابط الى الجد ليسأله : هل عاد أبناؤك من لبنان ؟ يعترف الجد « بالجريمة » ، ويسوق الضابط الاب والعم الى الاعتقال بتهمة التسلل الى بلادهم !.

ولم يتوقف جدي عن ممارسة الامل ، فانتقل الى قرية اخرى قريبة من أرضه . وذات صيف احتال على القانون ، فاستأجر من تاجر يهودي موسم البطيخ المزروع في أرضه . وهكذا أتيحت الفرصة لصاحب الارض ان يشتري ما تنتجه ارضه . وكان جدي قليل الدراية بالتجارة فخسر الصفقة ولكنه ربح فرصة للتمدد ساعات طويلة في حقله القديم وشرح لي ، تحت الشمس ، تاريخ هذا التراب الذي لا تجد فرقا بسيطا بينه وبين جلده. كان تعلق جدي بشكل الانتماء الوطني المتجسد في ملكية التراب وحنينه الى اعادة الصلة المقطوعة ، قانونيا ، والمتلاحمة ، تاريخيا ووجدانيا ، أقوى من البؤس المفاجيء الذي تعرض له نتيجة حرمانه من مصدر رزقه . فلو كان انتماؤه معيشيا لحل المشكلة بفك هذا الانتماء المعيشي الذي سيضمن له الرخاء . ولكنه آثر الحرمان على بيع الارض ، لم تعد الارض تعني بالنسبة له مصدر العيش كما كانت قبل ان تتحول الى شرط الكرامة. صارت تعني له الان ، بعد مصادرتها ، مصدر البؤس المعيشي من ناحية وصيانة الكرامة الشخصية والوطنية من ناحية أخرى . وقد فضل المعنى الثاني ومات على مرأى من

ساحة الجريمة والعذاب « لن ابيعهم ارضي حتى لو مت جوعا » . وقد أورث هذا المعنى لابي الذي كان امتحانه اقسى وأعنف . انه يعيل أسرة من ثمانية افراد تسكن بيتا من الطين لا يصلح حظيرة لحيوان مدلل . ولا مصدر رزق للاسرة الكبيرة التي تطالب بالاكل والثياب والدواء والكتب غير انتحاره البطيء على مقالع الحجارة ، يصحو في الخامسة صباحا ويعود في الخامسة مساء الى النوم ليصحو قادرا على مواصلة العذاب اليومي . كان المقلع بعيدا في منطقة مصادرة سموها منطقة مناورات عسكرية ، وكـــان الوصول اليها يقتضي التوقيع على وثيقة الموت التي تحمل تنازل حاملها عن حياته واهدائها الى دولة اسرائيل في حالة تعرضه الى الموت .

نصحوه ببيع أرضه ليخفف من عبء لا يحتمله « لن أبيع ولو مت بين الصخور » . كان يقول دائما : ليس العمل الاسود عيبا ولكن الضمير الاسود هو العيب . كنت في السنة الاخيرة من المدرسة الابتدائية حين القيت قصيدتي الاولى على جمهور كبير جمعه اعوان الحكم العسكري للاحتفال بذكرى قيام اسرائيل . قلت كلامـــا ضد الحكومة والانتصار وضد الظلم والاستعمار . فجن جنون مختار القرية المسؤول عن الاحتفال وقال : هـــذا الصبي جاء ليخرب بيتنا بعدما خرب بيته وبيت أهله . لماذا لا يراعون أصول الضيافة .. وغيره من الكلام الـــذي نسمعه الان . وفي اليوم التالي استدعاني الحـــاكم العسكري واسمه دوف . فوبخني وضربني فما بكيت . وحين قال لي : سأمنع اباك من العمل في مقلع الحجارة وأقطع عنه تصريح الموت ، بكيت في طريق العودة الى البيت ، لان هـــذا معناه ان ازداد جوعا وبردا . والا انتقل الى المدرسة الثانوية ذات التكاليف الباهظة ، فليس التعليم مجانيا كما يظن البعض . وفي البيت شجعني أبي وقال الله يرزقنا . كان أبي بطل الصبر والامل ولم يزل .

وكانت عين الماء شحيحة في القرية وما عندنا مال لاستئجار بئر . واللاجئون ملعونون في بلادهم وخارج بلادهم . لا يعطينا أحد ماء بالمجان الا السماء ايام الشتاء . فكانت أمي تقضي نصف نهارها في انتظار امتلاء الجرة من عين الماء التي تعطي قطرات بخيلة . كانت جميلة وقاسية تنشر الرعب في البيت . وحين تكون وحدها تبكي بلا مناسبة وبلا انقطاع وتهدهد أختي الصغيرة بأغان شجية تذكر فيها سوء الطالع والحنين الى اشياء ضائعة كأنها مزامير بدائية . لم تذهب يوما الى أعراس القرية ولكنها أول من يذهب الى جنازة في القرية والقرى المجاورة . عاجزة عن الفرح قادرة على البكاء . وبارعة في السخرية .

وكان عمي ينفذ وعد هرتسل . فيعمل أجيرا عند سكان المستوطنة التي قامت على أرضه وأرض أبيه ، في أعمال البناء والترميم والفلاحة وغيرها من الاعمال السوداء « التي لـــم يتعود عليها اليهود » ولا يحصل على جائزة لانه لم يحمل لهم جلد الافاعي وبيضها ، ولكنه كان يسرق عنقودا من العنب من الدالية التي غرسها وصارت ملك اليهود . وفي المساء يجمع أهل البيت ليوزع العنقود حبة .. حبة .

هكذا ، آثروا جميعا ، بالفطرة والكرامة ، أن يبقوا في وضع خانق طال توقيته ، لانـــه يحفظ لهم الحق في سعة العالم والغد ، على أن يستريحوا قليلا مقابل التنازل عن قطعة أرض تفقدهم عالمهم الذي ليس لهم .. وليس لاعدائهم ، ولكنه لابنائهم .

— وماذا أخذتَ عنهم ؟

● المعاني ذاتها ولكن في اطار مختلف . كان انتظارهم سلبيا ، وكانت الارض تعني لهم تفاصيل من التراب والكروم وملكية تصون الكرامة والعيش . أما بالنسبة لابناء جيلي فانها تعني — بالاضافة الى ذلك — ساحة صراع ومستقبل . فالحنين طاقة انسانية غير متحركة . انه سلاح سلبي . وقد أخذ الصراع أشكالا متدرجة أولها الرفض والايمان

بالقدرة على التغيير ، ثم الصراع ضد القوى والظروف التي جعلت مواطنا بلا وطن ، في اطار عمل جماعي لا يحاصر نفسه بالذكريات ، بل يطلقها باستشراف حياة أخرى عن طريق الممارسة اليومية . الانتماء الى الارض — الوطن لا يحقق فعالية الا اذا ارتبط بانتماء الى قوة من قوى الصراع . هكذا ادركنا في جيل مبكر .

— كان هذا ممكنا ؟

● في اطار الاختيارات المحدودة .

— من أين كان يأتي الامل ؟

● من الخارج .. من الخارج دائما . ان الاسرى يصارعون ضمن امكانياتهم . ولكن تحطيم السجن كليا لا يأتي الا من النافذة . وكانت النافذة اوسع في البداية لان الاخوة كانوا أقرب .

— من اين يأتيك الحزن ؟

● من مسام جلدي .

— ومن أين يأتيك الفرح ؟

● من بكاء الاطفال القادمين الى الجحيم . ومن أحذية المقاتلين الذاهبين الى الجنة .

— تذكر متى افترقنا ؟

● حين مات جدنا ولم يدفن في قبر اختاره ، ولم تخجل الاذاعة .

— ولماذا تذهب الى العالم دائما ؟

● انا لا أذهب الى العالم . ولكن العالم هو الذي يأتي الي دائما .. ويحاصرني .

— متى نلتقي ثانية ؟

— حين تدق جدار صدري وتقفز منه لتجلس في مواجهتي كعادتك . ولكن لا تكثر من زياراتك .. ارجوك . لا ينقصني حزن وبراءة .

— تقتلني ؟

— حين يقتل الانسان طفولته ينتحر . وانا بحاجة اليك كشهادة على جيل . لا تأت كثيرا لان البشاعة تملأ المدن . واصدقائي يموتون كثيرا في هذه الايام .

— لا تنسني .

وعاد الى صدري ليتسلق جذع شجرة التوت في ساحة البيت القديم ، ويقطف القمر الذي لم يسقط في البئر .

# جيش الانقاذ
# ( ١٩٤٧ — ١٩٤٩ )

هاني الهندي

**هذا هو الجزء الاول من دراسة الاستاذ هاني الهندي عن جيش الانقاذ ، بمناسبة مرور ربع قرن على عملياته في فلسطين . وسوف ننشر الجزء الثاني والاخير في العدد القادم .**

## ملاحظات تمهيدية

في بداية هذه الدراسة لا بد من تسجيل بعض الملاحظات التمهيدية . أول هذه الملاحظات أني تعمدت التركيز على الجوانب والوقائع والعلاقات السياسية اكثر من الجانب العسكري رغم ان الدراسة تتعلق بمؤسسة عسكرية وتجربة عسكرية عربية أريد لها يومذاك « ان تكون طليعية قومية رائدة » . وذلك لان العمل العسكري هو في صميمه سياسي ويسعى لتحقيق أهداف سياسية ، ولاعتقادي ان فشلنا في مواجهة الصهيونية في الجولات الثلاث في اعوام ١٩٤٨ و ١٩٥٦ و ١٩٦٧ لا ترجع أسبابه في الاصل الى افتقادنا للسلاح والخبرات فقط بل لان وراء هذه النكبات أسبابا اعمق وأهم ، هي أسباب اجتماعية وسياسية لمسها عارف العارف أحد أبرز المؤرخين الكلاسيكيين العرب المعاصرين — لمسا خفيفا عابرا حين تحدث عن مشاهدات الوفد الشعبي الفلسطيني الذي زار العواصم العربية في اواخر نيسان ٤٨ فقال في تفسير خيبة أمل اعضاء الوفد انهم رأوا « الفرقة والخلاف بين اعضاء الجامعة العربية ... وان الامور في البلاد العربية فوضى لا سائس لها ولا زاجر ... وان رجال الحكم تنقصهم الكفاءة والقدرة على التنظيم ... » ويحدد سبب هذا الوضع متابعا « وذلك لان معظمهم من الاقطاعيين الذين لا يرغبون ان تتبدل الاوضاع والامور »(١) .

والملاحظة الثانية ان في هذه الدراسة معلومات ووقائع حصلت عليها من بعض من اتيح لهم أن يشاركوا في تجربة جيش الانقاذ وكان لبعض من قدم هذه المعلومات رغبة في كتمان اسمه لاسباب ارتآها ولا مجال لشرحها ، وطبيعي أن أنزل عند رغبته .

وثالثة الملاحظات — وقد تكون في نظر الكثيرين شكلية — تتعلق برتب العسكريين الذين ورد ذكرهم في هذه الدراسة اذ أوردت رتبهم ، كما كانت أيام تجربة الانقاذ وليس بالرتب الاعلى فيما اذا كان أصحابها قد تقدموا في السلم العسكري ، كما ان تسميات تلك الرتب اعتمدت التسمية الموحدة المعمول بها حاليا في معظم الاقطار العربية لا كما كانت في تلك الايام .

ويبقى علي ان اسجل شكري وامتناني العميقين للاستاذ وليد الخالدي والمقدم الهيثم الايوبي لما قدماه من اراء وافكار وملاحظات نافعة وبناءة افادتني في وضع مشروع هذه الدراسة .

## مقدمة

تعرضت تجربة جيش الانقاذ لتقييمات ونظرات متباينة تراوحت بين المغالاة في الاطراء والمديح من ناحية ، وبين النقد والنقد الظالم بل حتى التجني احيانا من ناحية ثانية .

تواجه دراسة هذه التجربة صعوبات وتعقيدات عديدة في مقدمتها ان الامانة العامة لجامعة الدول العربية ، وهي التي اشرفت على تأسيس هذا الجيش وتمويله وتسليحه، احتفظت بوثائق الانقاذ وقيوده وسجلاته وكافة اوراقه الرسمية وأودعتها في خزائنها ومستودعاتها ، واعتذرت عن نشر هذه المواد الهامة كما لم تسمح لاحد بالأطلاع عليها رغم ما تعرضت له الجامعة العربية من نقد واتهام حول مسؤولياتها القومية ابان تلك النكبة . ونتيجة لحجب هذه الوثائق تعددت التفسيرات وطرحت الاراء المتباينة وضاعت الحقيقة ، أو معظمها ، حين تكاثر متهمو جامعة الدول العربية في حين ان مسؤوليتها في احداث تلك الفترة نسبية لا تقاس بمسؤولية تلك الحكومات والانظمة العربية التي كانت الامانة العامة صلة الوصل والتنسيق بينها .

وصعوبة ثانية تواجه أية محاولة دراسية موضوعية ان تجربة الانقاذ كانت في الواقع أول مشروع « رسمي » عربي استهدف المشاركة في تحرير فلسطين ، وقد انتهى هذا المشروع ، باعتباره جزءا من المواجهة العربية العامة ، لا بهزيمة عسكرية فحسب بل بكارثة قومية وانسانية لا مثيل لها في التاريخ المعاصر .

لقد كان طموح العرب آنذاك عظيما يمكن ان تلخصه كلمات فوزي القاوقجي — قائد الانقاذ — يوم وصل الى جبع — في منطقة المثلث — مخاطبا عرب فلسطين حيث قال : « أتيناكم بقلب واحد ولهدف واحد هو : الغاء قرار هيئة الامم المتحدة في التقسيم ودك معالم الصهيونية وتصفيتها نهائيا وتنفيذ قرارات الجامعة العربية وتثبيت عروبة فلسطين »(٢) . ولكن تطور الاحداث ونتائجها خلال الشهور القليلة التالية جاء اقسى من أسوأ التوقعات والاحتمالات . اذ لم تكن المنجزات دون مستوى المطامح فحسب ، ولم تكن الهزيمة عسكرية للقوات الشعبية والنظامية فقط بل ان شهور تلك السنة شهدت نقيض بيانات القادة والزعماء . اذ شرد شعب فلسطين من وطنه وقامت دولة اسرائيل ونجحت هذه الدولة في اغتصاب مساحات زادت كثيرا على ما «خصصته» لها هيئة الامم المتحدة من وطننا . فكانت الهزيمة لانظمتنا الاجتماعية القائمة يومذاك وليس لقواتنا الشعبية والرسمية فقط .

وازاء هذا الانهيار الاليم والسقوط المذل كان طبيعيا ان يحاول كل مسؤول عن احداث تلك السنة ، سياسيا كان ام عسكريا ، أن يفسر الوقائع بما تنطبق عليه خلاصة تجربة نابليون المريرة حين قال : « الهزيمة يتيمة بينما للنصر الف أب » ، وخاصة حين يعود اولئك المسؤولون الى تذكر ما قالوه للجماهير العربية في بداية عام ١٩٤٨ ليواجهوا واقع الحال في نهاية تلك السنة ذاتها وما انتهى اليه الوضع العربي بشكل عام . ومن هنا كانت الصعوبة بالغة جدا في ان نجد الحقائق والوقائع الموضوعية في أجواء تلك الهزيمة حين نعود لدراسة ما تركه القادة عن تلك الفترة من مذكرات وبيانات لانها ، في جوهرها، تمثل دفاعا عن مواقف اصحابها وتبريرا لما قاموا به من اعمال وتصرفات ، ايجابية كانت أم سلبية ، ولذلك بقيت صورة الانقاذ ، من خلال ما نشر ، ذاتية ومجزأة وليست موضوعية وشاملة .

والصعوبة الثالثة هي ان جيش الانقاذ ، خلافا للجيوش النظامية العربية ، لم يكن يعمل وحده في الميدان ، كذلك لم يكن له قطاع خاص محدد تولى مسؤوليته وحده معظم الوقت ، بل كانت تقف معه قوات شعبية فلسطينية ( الجهاد المقدس والوحدات المحلية المستقلة ) قبل ١٥ ايار ١٩٤٨ خاصة ، بالاضافة الى قوات نظامية عربية ( الجيوش

العربية ) بعد ١٥ أيار خاصة . وعلى هذا فليس يسيرا او سهلا ان تدرس تجربة الانقاذ بشكل مستقل منفرد ولا بد لكل دارس جاد من أن يحاول ان يفرد أو يباعد ، قدر الامكان ، بين مسؤوليات الانقاذ وواجباته وبين مسؤوليات وواجبات القوى الاخرى التي شاركته القتال في ساحة معينة او في زمن محدد ، وعليه ، في الوقت نفسه ، ان يأخذ ، عند التقييم الخاص او العام ، كون الانقاذ جزءا من صورة عامة شاملة عسكريا ، فكانت مهماته ومسؤولياته ، بكلمة اخرى ، متداخلة ومترابطة ، في معظم الاحيان ، مع مسؤوليات هذه القوى الشعبية والنظامية في حالتي التنسيق والتعاون الطوعيين او عند افتقادهما . والى هذه الصعوبات يجب ان يضاف الوضع النضالي المتميز لفوزي القاوقجي ودوره الذاتي في الكفاح العربي . فقد كان له منذ عام ١٩٢٦ دور نضالي متميز في تاريخ الثورات العربية . ففي تلك السنة ، وبعد اتصالات سرية اجراها مع قادة الثورة السورية ٢٥ ــ ١٩٢٧ من موقعه في حماه حيث كان احد ضباط الحامية الفرنسية ، حاول اشعال الثورة في منطقة حماه لتخفيف الضغط الفرنسي عن قوات الثورة في غوطة دمشق وجبل العرب . وكاد فوزي ان يقضي على معظم العسكريين الفرنسيين هناك لولا تآمر بعض الاسر الاقطاعية وتخاذل بعض الوجهاء في حماه . ومع ذلك بقي يقاتل في صفوف الثورة حتى اضطر اخر الامر الى مغادرة سورية الى الاردن فالسعودية والعراق . كما غادرها معظم قادتها . وفي عام ١٩٣٦ برز القاوقجي من جديد كقائد للثورة الفلسطينية حين تسلل من العراق مع عدد من المتطوعين العرب ليقاتل البريطانيين والصهاينة بشكل فعال ومؤثر . ثم لعب دورا في القتال الذي نشب بين الحكومة الوطنية العراقية وبين القوات البريطانية في احداث مايس ١٩٤١ في معارك الصحراء حيث اصيب بجراح بليغة نقل على اثرها الى المانيا للمعالجة وبقي فيها حتى نهاية الحرب العالمية الثانية .

هذا السجل النضالي القومي تضاف له صفحة اخرى كان يذكرها مصطفى كمال ــ اتاتورك ــ بشكل احترام شخصي ومحبة خاصة لفوزي ، منذ ان كان هذا ملازما في الجيش العثماني يقاتل ضمن الفيالق التركية المتراجعة في صيف ١٩١٨ امام القوات البريطانية في منطقة الاغوار بفلسطين ، ويومها اتيح لفوزي ان ينقذ ذلك القائد التركي الكبير مع اركانه من خطر الوقوع في الاسر البريطاني ، فبقي اتاتورك يحفظ له ذلك الجميل حتى اخر سنواته . وطبيعي وهذه صورة القاوقجي السياسية ان يتعرض لموقفين متضادين . الاول جعل منه « غاريبالدي العرب » ، ذلك « البطل المنتصر ابدا »، وتلك « الاسطورة القومية الخالدة . . . » الى اخر هذه الاوصاف والنعوت التي كانت تطلق عليه حتى اواخر عام ١٩٤٧ وكان يطرب لها ويرتاح كثيرا . والموقف الثاني كان يوجه له اقسى الاتهامات التي تتراوح بين التشكيك في نزاهته واتهامه « بالطمع وحب المال . . . وحب الظهور والمغالاة في التقارير التي كان يرفعها الى اللجنة العسكرية . . . وعدم صلاحه للقيادة »(٣) ــ حسب اقوال اللواء الركن اسماعيل صفوت ــ وتصل الى حد الطعن بوطنيته واخلاصه القومي حسب ما سجلته منشورات المكتب العربي في برلين ١٩٤٣ الذي كان يعمل تحت اشراف الحاج امين الحسيني ، ويبلغ الامر اقصاه حين « يعتبره مفتي فلسطين رجلا يعمل في خدمة المخابرات البريطانية منذ ان اشترك في الثورة الفلسطينية عام ١٩٣٨ . . . »(٤). فكانت هذه الاحكام المتناقضة مدعاة لتعقيد امكانية الدراسة الموضوعية لجيش الانقاذ الذي قاده القاوقجي منذ كانون الاول ١٩٤٧ حتى منتصف تشرين الثاني ١٩٤٨ ، نظرا لاختلاط الاراء وتضاربها خاصة وان وثائق الانقاذ الاساسية محجوبة وغير متداولة .

هذا ويقول أحد الذين شاركوا في مسؤوليات الانقاذ ان التجربة ولدت في ظروف عسيرة معقدة وعاشت أياما على قصرها كانت صعبة تعيسة ، وحين ذبلت وماتت ، كانت أيام النهاية أقسى واشد هولا منها حين بدأت . والى هذه الظروف المتأزمة يمكن ان تعزى

بعض اسباب صعوبة هذه الدراسة بعيدا عن روح التعصب لها من ناحية ، او بعيدا عن روح التعصب ضدها بحيث تصل المواقف حد الحقد والعداء للتجربة ومن تولى قيادتها من ناحية ثانية . وان فهم تلك الظروف التي احاطت بتشكيل الانقاذ وادراك حقيقتها ومعرفة معالمها الاساسية من شأنه ان يساعد كثيرا في تتبع تلك التجربة وفهم دقائقها والتوصل الى موقف موضوعي منها . فكيف كانت أوضاع المنطقة العربية في تلك الفترة؟

## ( ١ )

## الاوضاع السياسية

كانت الحركة القومية قد تعرضت في المشرق العربي الى سلسلة من النكسات والهزائم قبيل الحرب العالمية الثانية واثناءها خلال معاركها النضالية ضد الاستعماريين البريطاني والفرنسي . ففي عام ١٩٣٨ طردت فرنسا رجال الكتلة الوطنية ( الاتاسي ومردم والجابري والقوتلي ) من الحكم بعد ان كانت قد وقعت معهم ايام حكم الجبهة الشعبية على معاهدة تمنح سورية بموجبها « استقلالا » شبيها « باستقلال » العراق ومصر ، وتراجعت فرنسا عن ذلك لامتناع برلمانها عن تصديق المعاهدة واعادت فرض أعوانها على حكم البلاد وطاردت العناصر والقوى الوطنية وشردتها من البلاد .

وفي اواخر صيف ١٩٣٩ كان الكفاح المسلح الفلسطيني يتعرض لضغوط كبيرة أدت الى توقفه وانتهائه مع بداية نشوب الحرب العالمية الثانية بين المانيا النازية والحلفاء .

وفي اخر ايار ١٩٤١ سحق الحكم القومي في العراق حين نجحت القوات البريطانية في احتلال بغداد واعادة الامير عبد الاله ونوري السعيد الى الحكم حيث اضطهدت القوى القومية وتعرضت للبطش والتنكيل فيما لوحق القادة الوطنيون القادمون من فلسطين وسورية والذين كانوا قد التجأوا الى العراق فرارا من بطش بريطانيا وفرنسا . وفي ايار ١٩٤٥ انطفأت نيران الحرب العالمية في اوربا باستسلام المانيا النازية والقائها السلاح دون قيد أو شرط . وخرجت من هذه الحرب قوتان عالميتان جديدتان أخذ دورهما العالمي ينمو ويتعاظم هما الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة ، فيما بدأت دول الاستعمار القديم مرحلة الهبوط والانحدار رغم انتصارها في تلك الحرب .

كانت الحرب العالمية الثانية احدى أهم نقاط التحول الكبرى في تاريخ الانسانية في هذا القرن خاصة . كانت من نتائجها البارزة وآثارها على المنطقة العربية ان عادت فرنسا الى احتلال اقطار المغرب العربي وحاولت اخضاعها من جديد الى عسفها واستغلالها فنظمت من اجل ذلك حملات الارهاب والمذابح الوحشية ( مذبحة سطيف في ايار ١٩٤٥ ) لقطع الطريق على الحركات الثورية هناك وارهاب الجماهير العربية في المغرب .

وعمدت بريطانيا في المشرق العربي الى احكام سيطرتها على اقطاره من خلال قواتها العسكرية المنتشرة من حدود ايران شرقا حتى اواسط ليبيا غربا ، ومن خلال معاهداتها التي عقدتها مع الانظمة الحاكمة — ممثلة تحالف الاقطاع وزعماء العشائر وكبار التجار — في العراق ومصر وشرق الاردن . وهذه المعاهدات مكنت بريطانيا من التدخل في أدق الشؤون الداخلية لهذه البلاد . وكانت سيطرة بريطانيا ملموسة وبارزة كذلك من خلال الامتيازات والاحتكارات الاقتصادية التي حصلت عليها في هذه الاقطار لاستغلال خيراتها وثرواتها مثل نفط العراق ومنتجاته الزراعية وقطن وادي النيل وقناة السويس. وأخضعت بريطانيا منطقة الخليج العربي والشواطىء الشرقية والجنوبية للجزيرة العربية لنفوذها المباشر . وكانت السعودية وامامة اليمن المتوكلية تمالئان بريطانيا وتسايرانها ، وفيما كانت الاسرتان الحاكمتان تمارسان حكم الاقطاع الديني المستبد وتعيشان في اجواء القرون الوسطى ومفاهيمها انفردت الاسرة السعودية الحاكمة بان سبقت الحكام العرب الاخرين بفتح الباب عريضا ، منذ الثلاثينات ، امام شركات النفط

الاميركية ومنحها امتيازات سخية لاستثمار هذه الكنوز الدفينة واستغلالها . واما فلسطين فقد كانت نتائج الحرب العالمية الثانية عليها اكثر سوءا وضررا اذ استطاعت بريطانيا والحركة الصهيونية خلالها ان تسددا ضربات عنيفة للحركة الوطنية فيها فشردت قياداتها واضطهدت اطاراتها وابعدت ، فيما فتحت السلطة المنتدبة ابواب فلسطين امام سيل الهجرة اليهودية القادمة من اوربا ، وسهلت للصهاينة ايضا سبل الاستقرار والسيطرة الاقتصادية فازدهرت الصناعة وازدادت مساحة الاراضي التي استولت عليها المشاريع والمؤسسات الصهيونية كما تم تدريب الاف الصهاينة في معسكرات بريطانيا وقواعدها . فساعدت بذلك كله على ارساء اسس « الدولة اليهودية » التي اصبح اعلان قيامها مطلب الحركة الصهيونية وشعارها منذ مؤتمر بيلتمور في ايار ١٩٤٢ .

كانت سورية ولبنان هما البلدان العربيان الوحيدان اللذان نجحا في الحصول على « استقلالهما غير المشروط » في عام ١٩٤٦ . ولكنهما بقيا يتعرضان ، وخاصة سورية ، للمؤامرات البريطانية — مثل مشروع سورية الكبرى ونشاطات الملك عبدالله ضد الحكم الوطني — واستهدفت هذه المشاريع تقييد استقلالهما واخضاعهما للنفوذ البريطاني ومحاولته الحلول مكان النفوذ الفرنسي فيهما . هذا كما رفض الحكم الوطني في سورية ولبنان كل محاولات التغيير الاجتماعي فبقي الاقطاع والبورجوازية التجارية الكبيرة — التي نمت خلال الحرب — القوة الاساسية التي تسيطر على الحكم وتوجهه . وكانت المنطقة ضمن هذا النفوذ البريطاني الطاغي تعيش حالة من التناقضات من أبرز ملامحها ذلك الجو من التنافس والتزاحم بين الاسر المالكة وخاصة بين الاسرة الهاشمية ( العراق والاردن ) والاسرة السعودية المتحالفة انذاك مع الاسرة العلوية ( مصر ) . وكان هذا التناقض ، في جوهره . غطاء لبدايات التناقض والصراع بين النفوذين الاستعماريين الانكليزي والاميركي على استغلال ثروات المنطقة ونهبها .



وفي هذه الفترة كانت الحركة الوطنية العربية تحاول ان تدرس اوضاع المنطقة على ضوء التطورات والتغيرات الجارية فيها فكانت القوى الوطنية في تونس والمغرب والجزائر تعيد النظر في اوضاعها السياسية والتنظيمية وتضع الخطط لاشعال نيران الثورة المسلحة للخلاص من الاستعمار الفرنسي . وكانت الاحزاب والمنظمات الوطنية في مصر ( الوفد والاخوان المسلمون والشيوعيون والمجموعات اليسارية ) وفي العراق ( الشيوعيون وحزب الاستقلال والحزب الديمقراطي ) تناضل لالغاء المعاهدات التي فرضتها بريطانيا ، والتي تسعى لتجديدها بعد الحرب وتمديد مفعولها . وكانت القوى التقدمية في سورية تسعى لحماية الاستقلال وتطوير الاوضاع الاجتماعية فيها بتحرير الفلاحين من نير العبودية والاقطاع وحماية حقوق العمال وتنظيمهم .

أما الحركة الوطنية في فلسطين فلم تكن قد استعادت قدرتها على النهوض من وطأة الضربات التي لحقتها خلال السنوات القليلة الماضية وكانت قياداتها مضطهدة محاصرة من قبل البريطانيين والصهيونيين والرجعيين العرب ، ولكن هذه القيادة ، وخاصة مفتي فلسطين ، تميزت برفضها للتسويات وكانت تسعى وتعد للكفاح المسلح ضد البريطانيين والاستيطان الصهيوني منذ اواخر ١٩٤٦ عن طريق ارسال مجموعات من الشباب الفلسطيني كانوا يصلون سرا الى سورية ليتدربوا في احد المعسكرات القريبة من دمشق ، من ناحية ، وعن طريق شراء الاسلحة وتخزينها في مستودعات سرية في فلسطين ولبنان وسورية ، من ناحية ثانية . هذا رغم افتقار هذه القيادة للوضوح النظري والقدرة على التنظيم الجماهيري وحذرها المفرط من المنظمات التقدمية والنقابية وذلك بحكم تكوينها الاجتماعي المحافظ ، والمماثل لغالبية القيادات الوطنية في المشرق العربي يومذاك .

وباختصار شديد ففيما كانت الحركة الوطنية العربية في المشرق خاصة تعيش أسوأ الظروف واقساها كانت القوى السياسية في الغرب ، وخاصة في الولايات المتحدة وبريطانيا ، تتزاحم وتتنافس على اكتساب ود الحركة الصهيونية التي نقلت مقراتها القيادية ومراكز ثقلها من لندن الى نيويورك ، وكان الاتحاد السوفيتي منهمكا في اعادة تعمير ما خربته الحرب في بلاده وتركيز الاوضاع الجديدة في بلدان اوربا الشرقية ، وكانت الصين تعيش المرحلة الحاسمة من تلك الحرب الاهلية الطويلة الدائرة على امتداد قرابة ربع قرن بين الحزب الشيوعي والكومنتانغ ، في حين كانت البلدان المستعمرة في آسيا خاصة تكافح لنيل استقلالها وحريتها .

وفي ١٩٤٧/٤/٢ عمدت بريطانيا ، تحت ضغط اميركا والحركة الصهيونية ، الى احالة قضية فلسطين الى الامم المتحدة للبت فيها على ضوء التطورات الجديدة وتقرير مصيرها. وسرعان ما شكلت المنظمة الدولية لجنة تحقيق من ( ١١ ) مندوبا لدراسة هذه المسألة وتقديم المقترحات لايجاد الحلول لها .

ازاء هذه التطورات الدولية وخاصة بعد صدور تقريري اللجنة الدولية اجتمع مجلس جامعة الدول العربية في عاليه ( لبنان ) في ١٩٤٧/١٠/٧ خصيصا لدراسة ما يجب اتخاذه من اجراءات للوقوف في وجه المؤامرة على عروبة فلسطين والتي تبلورت ملامحها بشكل جلي واضح في توصيات اللجنة الدولية . والغريب في أمر هذا المؤتمر ان المندوبين العرب اجتمعوا في غياب ممثلي فلسطين ومن وراء ظهر حركتها الوطنية ، الا ان مفتي فلسطين فاجأ المؤتمرين بان جاء من القاهرة سرا الى بيروت واحدث ازمة حين دخل على المجتمعين ليؤكد اصراره على تمثيل عرب فلسطين في هذا المؤتمر . واستطاعت الدبلوماسية اللبنانية المشهورة بمرونتها منذ تلك الايام ، ان تلعب دور التهدئة فكان ان اقنع رياض الصلح مندوبي العراق والاردن ( صالح جبر وتوفيق ابي المهدى ) بعدم الانسحاب والقبول بمشاركة الحسيني . ولكن مجلس الجامعة رفض معظم مقترحاته وفي طليعتها اعلان قيام حكومة عربية تتكلم باسم عرب فلسطين .

وكانت أهم قرارات مجلس الجامعة « تأليف لجنة عسكرية من ممثلي الدول العربية لدرس القضية الفلسطينية من الناحية العسكرية ومعاونة أهل فلسطين في الدفاع عن انفسهم وكيانهم وذلك بالاشراف على ادارة العمل وتنظيمه وصرف الاموال التي تخصصها الدول العربية لمعاونة أهل فلسطين »(٥). وتشكلت هذه اللجنة برئاسة اللواء الركن اسماعيل صفوت ـ العراق ـ وعضوية العقيد محمود الهندي ـ سورية ـ والمقدم الركن شوكت شقير ـ لبنان ـ وصبحي الخضرا ـ فلسطين ـ « ولم ترسل مصر والاردن واليمن والسعودية احدا من رجالها العسكريين ليمثلوها في اللجنة »(٦) ورأت وزارة الدفاع العراقية في غياب هؤلاء ما « يدل على عدم اهتمام الحكومات المذكورة بالناحية العسكرية ، وان شئت فقل على حذرها من أن تتقيد بالتزامات عسكرية لا ترغب فيها »(٧) .

وفي ٤٧/١٠/٩ قدمت اللجنة العسكرية تقريرها الاول الى مجلس الجامعة وقد تضمن تأكيدا في قسمه الاول « الصهيونيون » على ان للعدو في فلسطين « منظمات وتشكيلات سياسية وعسكرية وادارية على درجة قصوى من النظام والاحكام وفي وسعها ان تنقلب فورا الى حكومة صهيونية لها كل ما تحتاج اليه من الوسائل والوسائط اللازمة للحكم » وان لديهم « قوة كبيرة من الرجال والسلاح والعتاد في الوقت الحاضر » وتقدرها التقرير بـ ٦٥ ـ ٧٥ الف مقاتل ( من الهاغانا والارغون وشتيرن ) كذلك فان لديهم امكانية تجنيد قوى احتياطية كبيرة « فيما اذا اعلنوا النفير العام » . وشدد التقرير على خطورة مصير عرب فلسطين وخاصة منهم اولئك الذين كانوا يقطنون المناطق التي يشكل اليهود فيها

اكثرية طاغية واكد احتمال لجوء العدو الى « القتل الجمـــاعي » وهم بالتالي مهددون « بالفناء » نظرا لخشية الصهاينة من « بقاء عرب فلسطين وراء ظهرهم خاصة وان لهم تجارب وخبرات قتالية ضد بريطانيا والصهاينة طيلة سنوات الاحتـــلال والانتداب » . ولهذا طالبت اللجنـــة بوجوب المباشرة فورا بتسليح الفلسطينيين وتدريبـــهم وتنظيمهم وطلبت امدادهم بعشرة الاف بندقية وبالرشاشات وانواع الذخـــائر والعتاد ، كدفعة أولى ، مع المواد الهندسية اللازمة والاسمنت خاصة ليستطيعوا بناء وسائل الدفاع عن الاحياء في المدن والقرى العربية . بالاضافة الى تخصيص الاموال اللازمة لتنفيذ مثل هذه المشاريع لحماية عروبة فلسطين . وكانت التوصية الثانية البدء بفتح ابواب التطوع امام العرب للمشاركة في الكفاح في فلسطين وذلك باعـــداد المعسكرات والمـــدربين وتوفير الاسلحة اللازمة لقوى المتطوعين العرب . وكانت التوصية الثالثة هي حشد الجيوش العربية على حدود فلسطين لتكون جاهزة للتدخل اذا ما انسحب البريطانيون منفلسطين وكان ميزان القوى لصالح العدو . وقد وافق مجلس الجامعة على هذه التوصيات .

لقد كان الرأي يومذاك انه « يجب ان يترك للفلسطينيين انفسهم عبء الدفاع عن بلادهم على ان تزودهم الحكومات العربية بالمال والسلاح والخبراء العسكريين »(٨) . ولكن هذه الاقتراحات لقيت اعتراضا حادا من البريطانيين الذين راحوا يضغطون من خلال اعوانهم لتغيير مضمون هذه السياسة . أي عدم تسليح عرب فلسطين وعدم السماح لهم بتحمل عبء المعركة لا حبا بهم وبقصد تجنيبهم مآسي القتال وآلامه ولكـــن لتحقيق اغـــراض سياسية محددة . وكانت بريطانيا تقاوم هذا الاتجاه بالضغط على الحكومات العربية من خلال سفاراتها في العواصم العربية ومن خلال الاتصالات والنشاطات التي كان يقوم بها الجنرال كلايتون ــ مسؤول المخابرات البريطـــانية في المنطقة العربية وكان مقيمـــا في القاهرة ــ ومن خلال غلوب باشا الذي كان يوجه سياسة الحكم في الاردن ، ومن خلال الكولونيل فوكس ــ الخبير بوزارة الدفاع السورية ــ والكولونيل ستيرلنـــغ الذي « أحب » دمشق وأقام فيها ..! وغيرهم من انكليز وعرب .



كانت بريطانيا تسعى لتقسيم فلسطين ، باعتباره الوسيلة الفعالة لحماية مصالحهـــا في المنطقة ، وذلك منذ ان أصدرت لجنة بيل الملكية البريطانية توصياتها عام ١٩٣٧ . وقد رفض العرب هذه السياســـة واستأنف الفلسطينيون القتال ثانية في عام ١٩٣٧ واستمروا فيه حتى اواخر صيف ١٩٣٩ . ويومها اضطرت بريطانيا الى تجميد هذه السياسة بسبب تطورات الوضع الدولي وتزايد النشـــاط النازي والفاشي في اوروبا وافريقيـــا والشرق الاقصى ، فعمدت الى التظاهر بشيء من التراجع فاعلنت الكتاب الابيض ١٩٣٩ الذي استهدفت من ورائه تهدئة العرب ريثما تجتاز الفترة الصعبة التي كـــانت تواجهها من تصاعد الروح العدوانية لدى دول المحور الثلاث ، في حين انهـــا بقيت عمليا تسانـــد مشاريع الصهيونيين في الهجرة واكمال استعداداتهم لتأسيس الدولة اليهودية . وقـــد تزايد هذا الدعم البريطاني باتساع النفوذ الاميركي خلال الحرب العالمية وبعدها وبتزايد نشاط الحركة الصهيونية في فلسطين وخارجها .

في أوائل الاربعينات كانت مواقف القيادات السياسية العربية ، في فلسطين والمنطقة ، تتبلور ازاء المشاريع الصهيونية والامبريـــالية في تيارين اساسيين يمكن تلخيص أبـــرز ملامحهما كما يلي :

**الاول** كان يرى ان يقبل العـــرب بتسوية سياسية يتفق عليها مع بريطانيا ، وتقضي اساسا بقبول تقسيم فلسطين الى دولتين عربية ويهودية ، وذلك انطلاقا من « عدم قدرة العرب على مواجهة الانكليز والقبول بالحلول الواقعيـــة ... الخ » ولان العـــرب لا يستطيعون الوقوف امام مشاريع بريطانيا والصهيونية ، ولهذا فعلى العرب ان يعملوا

وفق سياسة « خذ وطالب » ، وهي السياسة الاستسلامية التي درج اعوان بريطانيا على اتباعها في المنطقة العربية . وبكلمة اخرى فان هذا الفريق يتبنى سياسة بريطانيا ومشاريعها ويرفض فكرة المقاومة ومبدأ الكفاح المسلح . وعلى رأس هؤلاء كان يقف اصدقاء الانكليز وفي مقدمتهم الملك عبد الله الذي كان يطمع بضم « المنطقة العربية في فلسطين من مشروع التقسيم » وكذلك نوري السعيد وبعض الرجعيين الفلسطينيين .
**والثاني** كان يرفض الاتجاه الاول بقوة ويرى فيه انحرافا وتنازلا عن حقوق شعب فلسطين في وطنه ويؤكد على وجوب اعلان استقلال فلسطين وان « النظام الوحيد الذي يقبله العرب لفلسطين هو انشاء دولة عربية سيدة ومستقلة ... وان عرب فلسطين يؤكدون قطعا بانهم لا يعترفون بحق دولة أو دول أجنبية بحرمانهم من حقهم الطبيعي في الاستقلال أو بان تخضع بلادهم لتدخل الاجانب وافتئاتهم ... »(٩) وان الطريق الوحيد لتحقيق ذلك هو المقاومة المسلحة والقتال . وكان اصحاب هذا الموقف يصرون على ضرورة اتاحة الفرصة لعرب فلسطين ليناضلوا من أجل حقهم في الحرية والاستقلال ، وعليه فان عبء الكفاح يقع ، بالدرجة الاولى ، على عاتق عرب فلسطين .
كان هذا الموقف امتدادا للكفاح البطولي الذي خاضه شعب فلسطين ضد بريطانيا والصهيونية خلال فترة الانتداب وخاصة في فترة النصف الثاني من الثلاثينات ، اذ كان الكفاح الفلسطيني المسلح أحد ابرز الثورات القومية في العالم كله خلال السنوات التي سبقت الحرب العالمية الثانية وكانت أخباره تحتل مكانة هامة جدا بين اخبار النضال في البلدان الخاضعة للاستعمار والانتداب .
وعلى رأس هذا الفريق كانت تقف القيادات الوطنية في فلسطين وعلى رأسها الحاج امين الحسيني ، والحركة الوطنية العربية . وكان هؤلاء يطالبون باتاحة الفرصة لعرب فلسطين ليتدربوا ويتسلحوا ويخوضوا القتال بمعونة العرب ودعمهم . وكان الاقتناع راسخا انه اذا تم تنظيم ذلك فان استقلال فلسطين وتحريرها يمكن الوصول اليهما .
وصدر قرار تشكيل جيش الانقاذ عن اللجنة العسكرية بموافقة عبد الرحمن عزام — الامين العام لجامعة الدول العربية وباعتباره رئيسا للجنة فلسطين التي كانت تضم مندوبين عن الدول العربية ، وهذه اللجنة مسؤولة عن متابعة تنفيذ القرارات السياسية والعسكرية الصادرة عن مجلس الجامعة — . ولقد صدر قرار اللجنة العسكرية في تشرين الاول ١٩٤٧ . وكان أهم قراراتها ، في ظل تلك الظروف الدولية التي اعقبت الحرب العالمية ، وفي ظل تلك الاوضاع العربية المعقدة التي اتسمت بضعف الحركة الوطنية العربية وطبيعة تكوينها ونوعية قياداتها ، وتحت وطأة الخلافات الدائرة بين تلك القوى والتيارات المتصارعة في فلسطين والمنطقة العربية ، وتحت تأثير الموقفين العربيين المتناقضين في فهم مسألة فلسطين وكيفية التصدي للمشاريع والمؤامرات الرامية الى تهويدها وابتلاعها .

## ( ٢ )

## تشكيل جيش الانقاذ

جاء قرار تأسيس جيش الانقاذ ليعكس موقفا وسطا ذا طابع توفيقي بين الاتجاهين العربيين بالنسبة للكفاح المسلح ودور عرب فلسطين الاساسي في هذا الكفاح . فقد كانت اولى توصيات اللجنة العسكرية في تقريرها الاول في ١٩٤٧/١٠/٩ تؤكد على ضرورة المباشرة بتسليح عرب فلسطين فورا واعتبارهم القوة الاساسية في مقاومة التقسيم في المراحل الاولى على الاقل . وكانت التوصية الثانية تقترح تشكيل قوات متحركة من المتطوعين العرب لتتسلل الى فلسطين لتقاتل مع شعبها وبالتعاون مع قوى الداخل .
وكان موقف الانكليز واعوانهم من تسليح عرب فلسطين جليا واضحا وهو رفض هذا الاتجاه ومقاومته . ولما كانت الجماهير العربية في حالة غليان وحماسة لنصرة عرب

فلسطين وتاييدهم في رفض قرار التقسيم فقد ادركت بريطانيا واعوانها صعوبة تحدي هذا الموقف الجماهيري فكان أن لجأت الى مجموعة اجراءات ماكرة منها فرض حظر على بيع السلاح للعرب في أسواق أوربا ، ومنها أن أعوانها من الحكام العرب راحوا يحجبون السلاح المقرر تسليمه الى عرب فلسطين من خلال اللجنة العسكرية . أو يقدمون السلاح القديم الفاسد ( بعضه استعمل في النصف الاول من القرن الماضي في معارك ابراهيم باشا والوهابيين في نجد ) بعد المواعيد المفروضة، ومنها تأخير تسديد الالتزامات المالية المطلوبة من الحكومات العربية . وكان القصد من ذلك كله اضعاف قدرات المقاومة المسلحة لشعب فلسطين او تقليص حجمها .

وكان الوجه الآخر لمقاومة دعاة محاربة التقسيم هو القبول الشكلي بانشاء القوة العربية المتحركة ولكن بعد تقييدها من ناحية الحجم والتسليح وبمحاولة التحكم بقيادتها وكان القصد من القبول بهذه القوة هو أن تلعب دورا سياسيا . بالدرجة الاولى . يستهدف تخدير الجماهير العربية وتغطية مسالة عدم تسليح عرب فلسطين واظهار « تأكيد المشاركة العربية في حماية عروبة فلسطين » .. الخ . وبالاضافة فان هذه القوة تشكل نوعا من البديل للمقاومة الشعبية الفلسطينية . وكان وراء هذا القبول الشكلي لانشاء جيش الانقاذ ذي الطابع العربي هدف سياسي آخر أكثر خبثا ولؤما ويرمي الى زيادة تعقيد مسالة الوحدة الوطنية في ساحة فلسطين خاصة . مما يتيح لاعوان الانكليز أن يلعبوا دورهم ويمارسوا سياستهم الحقيقية (التقسيم) حين يحين الوقت المناسب لفرض قرار التقسيم او على الاقل لتولي ما سيبقى من فلسطين خارج حدود الدولة اليهودية — وهذا ما طرحه توفيق أبو الهدى — رئيس حكومة الاردن — على ارنست بيفن — وزير خارجية بريطانيا — في آذار ١٩٤٨(١٠).

لقد اعتبر الانكليز وأعوانهم جيش الانقاذ وسيلة . أو بالاحرى . شرا لا بد منه لتقليص حجم الكفاح الفلسطيني . بعد أن تبين لهؤلاء استحالة الوقوف في وجه الجماهير الغاضبة وصعوبة اعلان تأييدهم قرار التقسيم ومعارضة الدعوة للكفاح المسلح بسبب تلك الحماسة الشعبية الجارفة لمقاومة قيام دولة يهودية في فلسطين .

ولكن هذا جانب واحد من الصورة . انما من الواجب التذكر بل ومن الضروري جدا أن لا تغيب عن الذهن اطلاقا انه كانت هناك نظرة أخرى وجانب ثان مغاير تماما . كانت النظرة الثانية تعتبر التطوع في جيش الانقاذ عملا وطنيا ومقدسا وترى في الالتحاق به تجسيدا لاغلى أماني العرب القومية . وان هذا الجيش هو رمز لموقف نضالي عربي جاد وممارسة كفاحية شعبية حقيقية تساهم جديا مع عرب فلسطين في تحرير الوطن والقضاء على المشاريع الاستعمارية والصهيونية . بهذه الروحية جاء آلاف المتطوعين العرب الى مكاتب « لجنة انقاذ فلسطين » في بغداد مطالبين بتسهيل سفرهم الى سوريه للالتحاق بافواج الانقاذ ، وكذلك فعل آلاف من الشباب السوريين واللبنانيين الذين جاءوا الى مكاتب اللجنة العسكرية و« لجان تحرير فلسطين » في دمشق وحلب للتطوع والى « مكتب فلسطين الدائم » في بيروت للقتال والنضال . وجاء كذلك الى ساحات فلسطين أكثر من ( ١٥٠٠ ) مقاتل من قبائل الاردن — الحويطات وبني صخر وبني خالد خاصة — ليشاركوا الفلسطينيين ، في صفوف الانقاذ ، في معارك القدس وباب الواد والجليل . واراد مثل هذا العدد من أبناء المغرب وخاصة من تونس وليبيا أن يلتحقوا بجيش الانقاذ ، بعد أن اجتازوا الصحارى والمسافات الطويلة ، ولكن حكومة محمود فهمي النقراشي رأت الحاقهم بقوات المتطوعين العاملين في جنوب فلسطين ...
هذا الحماس الشعبي لم يكن كله عفويا عاطفيا بل شاركت فيه واندفعت القيادات الوطنية والعناصر الواعية اذ التحقت بعض قيادات الاحزاب العربية وقواعدها ، فقد انتظم في صفوف الانقاذ وشارك في معاركه في الجليل والمنطقة الوسطى مئات من أعضاء

احزاب البعث العربي والعربي الاشتراكي ( أكـرم الحوراني ) والحزب الاشتـراكي المصري ( أحمد حسين ) والاخوان المسلمين من مصر ( سريـة النقيب محمود عبده ) والاخوان المسلمين من سوريه ( مصطفى السباعي ) وبعض عناصر الحزب السوري القومي ( صلاح الشيشكلي وغسان جديد ) ، وكذلك ترك عشرات الضباط السوريين قطعاتهم والتحقوا بقوات الانقاذ وحاولت هيئة الضباط الاحرار بقيادة جمال عبدالناصر الاشتراك في الكفاح المسلح اذ اتصلت هذه المجموعة السرية يومذاك بمفتي فلسطين وقيادة الانقاذ عارضة امكانية مشاركة ضباطها في النضال بعد صدور قرار التقسيم مباشرة ، ولكن حكومة النقراشي وقفت في طريقها ، وكان أن اشترك عدد من الضباط الاحرار ( أبرزهم كمال الدين حسين ) مع قوات احمد عبد العزيز ومتطوعي الاخوان المسلمين المصريين في المنطقة الجنوبية .



اتخذت اللجنة العسكرية قرية ( قدّسية ) ـــ قرب دمشق ـــ مقرا لها . ثم انضم الى عضويتها طه الهاشمي بصفة خبير في البداية ، ثم كمفتش عام لقوات المتطوعين . ويعتبر الهاشمي أقدم الضباط الوطنيين العرب وأكثرهم كفاءة وثقافة ، وقد عين في هذا المنصب بناء عى اقتراح قدمه شكري القوتلي ـــ رئيس الجمهورية السورية ـــ الى عبد الرحمن عزام ، المشرف على اللجنة العسكرية . وأحدث تعيين الهاشمي استياء ظاهرا لدى أعوان الانكليز في عمان وبغداد .

وبدأت اللجنة . بالانفاق مع وزارة الدفاع السورية ، بفتـح ابواب معسكرات قطنا ـــ قرب دمشق ـــ لاستقبال المتطوعين وتدريبهم من قبل ضباط ورتباء سوريين أفرزتهم قيادة جيشهم خصيصا لهذا الغرض .

وكان تعيين قائد الانقاذ احدى المشاكل الصعبة التي واجهت اللجنة في بداية عملهـا . فالقوتلي كان يضغط لتعيين فوزي القاوقجي « لاعتبـارات وحسابات محلية وعربية وعسكرية أيضا . منها انه أراد أن يوازن به نفوذ مفتي فلسطين وشعبيته العربية بقائد له سمعة نضالية واسعة ، ومنها أنه أراد قطع الطريق على المفتي الذي كان يلح على تسمية عبدالقادر الحسيني أو غيره لقيادة القوات العاملة في فلسطين ولكنه كان يعترض بشدة على تعيين القاوقجي . ومنها أنه أراد بهذا التعيين اشعار المفتي بعدم ارتياحه لما يعتبره القوتلي « أساليب المفتي غير السليمة » وخاصة انه كان قانعا أن للحسيني دورا في تكتيل المنظمات والهيئات الدينية التي تحدت قوائم الحـزب الوطني في الانتخابات النيابية التي جرت في حزيران ١٩٤٧ وفي منطقة دمشق خاصة . وبالاضافة لذلك فقد اعتقد الرئيس السوري أن تسمية القاوقجي يمكن أن تخفف من حدة الملك عبدالله الذي أغضبه تعيين الهاشمي »(١١)، في حين ان الملك كان يرتاح للقاوقجي ويطمئن له بعض الشيء . . . هذا كما ان القوتلي كان حريصا على أن لا يكون التفاهم عميقا بين العسكريين اذ كان يخشى تكتلهم لانه كان يحمل انطباعات سلبية عن تجربة الضباط القوميين في العراق . . . وكانت اللجنة تفكر في تسمية احد الضباط العرب الاكفاء . « وأخيرا وبعد نشوب القتال بين الفلسطينيين والصهاينة على اثر صدور قرار التقسيم وتطور الحوادث بسرعة اضطرت اللجنة العسكرية أن تبت بالامر »(١٢)فكان أن نزل أعضاء اللجنة ، أو بالاحرى معظمهم . عند اقتراح تسمية القاوقجي قائدا للجيش في أوائل كانون الاول اي « بعد مرور شهرين من تأليف اللجنـة بينما كان الامر يتطلب الاستعجال وعدم ضياع الوقت الثمين »(١٣).

ولكن قد يكون من الانسب أن ندرس الاهداف التي كانت وراء تشكيل الجيش ولماذا جاء تكوينه بالطريقة التي تم فيها قبل دراسة قيادة الانقاذ ، من حيث تشكيل هذه القيادة وكيفية عملها والاسلوب المتبع .

( ٣ )

## لماذا تشكل جيش الانقاذ ؟

كان الغرض من قرار مجلس جامعة الدول العربية في تشرين الاول ١٩٤٧ تأليف لجنة عسكرية عربية دائمة تضع الخطط والمقترحات العسكرية الرامية الى « الحيلولة دون تشكيل حكومة يهودية في فلسطين وارغام اليهود على الرضوخ للمطاليب العربية » . وقد تعرضت الاقتراحات الاولى التي قدمتها اللجنة الى الضغوط السياسية بأشكال مختلفة . ورافق ذلك انفجار القتال بين العرب والصهاينة اثر صدور قرار تقسيم فلسطين مباشرة بحيث أدى ذلك كله الى تبلور دور أهم للقوة العربية المتحركة ، وكان أن تشكل جيش الانقاذ وعلقت عليه آمال ومطامح أكبر وأشمل من الطاقات والقدرات المتوفرة وكان مطلوبا منه أن يكون طليعة الصدام الحاسم بين الجيوش النظامية والعدو .

ولكن هذا الغرض العام — أي منع قيام حكومة صهيونية — لم يكن واضحا ، كذلك لم يكن الدور المطلوب من الانقاذ محددا ومبلورا . يؤكد الرائد الركن عامر حسك — احد كبار ضباط جيش الانقاذ — على أن « التحديد الدقيق الواضح للغرض أساسي جدا » ويتساءل قائلا : « فهل تبنى العسكريون العرب غرضا محددا في خوض المعركة ؟ هل كان الغرض طرد اليهود ورميهم في البحر ؟ أم الاحتفاظ بالقسم العربي الذي وهبته الامم المتحدة الى العرب من ارض الآباء والاجداد ؟ . . . هل درست العوامل المؤثرة على بلوغ الغرض وأهمها معرفة عدد قوات اليهود وتسليحها ونوعية السلاح وتدريبها وأسلوب تموينها ومصادر هذا التموين ومعنوياتها ؟ . . »(١٤) .

فاذا تركنا الغرض العام للخطة العربية الشاملة ( قوات المقاومة الشعبية الفلسطينية وقوات المتطوعين العرب وقوات الجيوش النظامية ) وحاولنا حصر الغرض الخاص بتشكيل جيش الانقاذ . . . فهل كان هذا الامر واضحا ومحددا ؟ وهل كان للانقاذ غرض محدد هو ضرب خطوط المواصلات الصهيونية وتقطيع شرايين العدو بعد أن لعب الضغط السياسي دوره في تقليص دور المقاومة الشعبية الفلسطينية ؟ وهل استطاعت الجهات العسكرية ( اللجنة العسكرية وقيادة الانقاذ ) توفير مثل هذه القوة الضاربة ؟ وهل كانت مدربة مجهزة لمثل هذه المهمة ؟ ولماذا فشل العسكريون العرب في تحقيق ذلك ؟

هذه الاسئلة تتداخل في الجواب عليها العوامل السياسية والاجتماعيـة مع العوامل العسكرية والتي يمكن تلخيصها بأن جوهر المسألة هو أن الانظمة القائمة لم تكن جادة كما لم تكن طبيعتها الاجتماعية وتكوينها وارادتها ، مع ارتباطاتها الخارجية ، تجعلها قادرة على أن توفر الشروط الضرورية لاعداد مثل هذه القوة المقترحة والمكلفة بتحقيق ذلك الغرض العام .

ولكن اذا تركنا هذه الاسئلة جانبا وحاولنا حصر المسألة في الجانب العسكري وضمن المعطيات القائمة آنذاك . وتساءلنا : هل كان العسكريون أنفسهم متفقـين على هذا الغرض الذي يصر الرائد حسك على ان « التحديد الدقيق الواضح أمر أساسي جدا ؟ » ماذا يقول قادة الانقاذ وضباط الميدان فيه عن الغرض وكيف فهموه ؟

يقول فوزي القاوقجي في تحديد مهمة جيش الانقاذ عند عودته الى المثلث بعد أن غادره قبل ( ١٢ ) سنة تقريبا : « أتيناكم بقلب واحد ولهدف واحد هو : الغاء قرار هيئة الامم المتحدة في التقسيم ودك معالم الصهيونية وتصفيتها نهائيا وتنفيذ قرارات الجامعة العربية وتثبيت عروبة فلسطين »(١٥) .

فهل كان هذا غرض جيش الانقاذ ؟ وهل كان قادرا على تحقيقه ؟ والاهم من ذلك كله هل كان كبار ضباط الانقاذ ، من اعوانه ، يشاركونه هذا الراي يومذاك ؟

يقول عامر حسك في شرحه « الغرض من تشكيل جيش الانقاذ » انه « حينما التحقت بقوات الانقاذ العاملة في القسم الشمالي من فلسطين واطلعت على تشكيلاتها وتنظيماتها وتسليحها سألت المقدم أديب الشيشكلي ـــ وكان يومها قائدا للانقاذ في شمال فلسطين حتى أوائل حزيران ١٩٤٨ ـــ عن الغرض من تشكيل هذه القوة وهي على هذا النمط فلخصها لي في نقاط ثلاث : ١ ـــ تقوية معنويات الاهلين في فلسطين ، ٢ ـــ معرفة قوات اليهود ونوعية أسلحتها مع الوقوف على أساليب قتالها ودرجة تدريبها ، ٣ ـــ معرفة مدى تدخل الانكليز اثناء الاعمال العسكرية التي تحدث ما بين العرب واليهود »(١٦). ولا شك أن الفارق كبير جدا بين ما كان يريده القاوقجي وبين مـــا حدده الشيشكلي ـــ القائد الثاني في قيادة الانقاذ ـــ . واذا كان « الغرض » الذي حدده القاوقجي اكبر بكثير من قدرات جيش الانقاذ وطاقاته فان « الغرض » المتواضع الذي حدده الشيشكلي لا يصمد أبدا أمام المناقشة التي يطرحها حسك ، ذلك لان « تقوية معنويات الاهلين . . . ومعرفة قوات اليهود ونوعية أسلحتها . . . » تتطلبان التعرض والهجوم ، ومتطلبات التعرض كثيرة وعديدة لا تتوفر في قوات الانقاذ من حيث « تنظيمها وتشكيلاتها وتسليحها حيث نجدها أبعد ما تكون عن تحقيق هذا الغرض » . . . لان مـــن خصائص القوة التعرضية « ان تكون مزودة بالاسلحة الثقيلة كالمدفعية والدبابات والمصفحات والطائرات وغيرها من الاسلحة الهجومية الاخرى وان يكون لديها من العتاد مـــا يكفي لعمليات تعرضية من هذا النوع . يضاف الى ذلك أن تكون على جانب كبير من التدريب ولديها العدد الكافي من السيارات للتنقلات السريعة والمناورات اللازمة مع كمية كافية من مواد التخريب والمتفجرات لنسف مواقع اليهود وتحصيناتهم . فضلا عن وجوب توفر العدد الكافي من الضباط وضباط الصف للاشراف على الادارة والقيادة والسيطرة والضبط»(١٧). اما النقطة الثالثة وهي معرفة تدخل الانكليـــز فيرد المؤلف بأن هؤلاء « أعلنوا انهم لا يسمحون بأية اجراءات عسكرية قبل انتهاء أمد انتدابهم في يوم ٤٨/٥/١٥ ولا سيما في المناطق التي تحتلها قواتهم وفي المناطق التي تؤثر على استراتيجية اليهود . ولقد اقرنوا القول بالفعل عندما هاجمت الطائرات المصرية مطارا يهوديا بالقرب من حيفا، اذ تصدت لها الطائرات الانكليزية وأسقطت خمسا منها مقابل ثلاث طائرات انكليزية ، وغيرها من الحوادث التي تدخلت القوات الانكليزية فيها لصالح اليهود كلما شعرت برجحان كفة العرب »(١٨). ويضيف المؤلف مفندا امكانية تكليف الانقاذ بمهمات دفاعية نظرا لافتقاد هذه القوات « الاسلحة الدفاعية كالمدافع الخاصة والاسلحة المضادة للدروع واقامة تحكيمات فنية محاطة بالاسلاك الشائكة وتزرع امامها الالغام وغير ذلك مما يتطلبه امر الدفاع . . . » ( ص ١٠٩ ) .

هذا هو رأي عامر حسك - الذي كان معاونا للشيشكلي، ثم اصبح ضابط ركن القاوقجي حين نقلت قوات الانقاذ من المنطقة الوسطى الى الجليل في أوائل حزيران ، ثم تولى عامر حسك قيادة لواء اليرموك الاول في ٤٨/٨/١٩ حتى سقوط الجليل في نهاية تشرين الاول من العام نفسه .

ولكن ضابطا آخر من ضباط الانقاذ يطرح الامر من زاويـــة أوسع واشمل اذ يقول في مناقشته الغاية من تشكيل الانقاذ : « شعرت الجامعة العربية حينما أعلنت هيئة الامم المتحدة التقسيم انها عاجزة عن العمل بالوسائل الدبلوماسيـــة وان قوة الصهيونيـــة الخارجية كبيرة وتستطيع أن تضغط على الرأي العالمي ، ولهذا ارادت ان تتظاهر بالقوة، ومن جهة أخرى وجدت قوة الفلسطينيين غير كافية لمقاومة اليهـــود والانكليز معا . وخصوصا ان الهيئة العربية العليا كانت تشرف على القتـــال والنضال ، وهذه كانت مكروهة لدرجة كبيرة من بريطانيا ومن أتباع الاستعمار الفلسطينيين والعرب ، لذلك قررت أن تمد هؤلاء بالسلاح وان تحضر جيشا تشرف عليه الجامعة العربية ، ولا تمانع

بريطانيا في تشكيله ، بعد أن يئست من قيادات الجيوش العربية . وهذه جميعا كانت تنصح بعدم التدخل بالجيوش النظامية . والحقيقة كان موقف الجامعة العربية حرجا ، لم تجد أمامها على حد رأيها في ذلك الوقت الا طريقين هما تسليح الفلسطينيين نسبيا وتحضير جيش الانقاذ وادخاله فلسطين ليدافع عن البلاد ريثما تعتمد الجيوش العربية على دخول الحرب . ومن جهة اخرى ايهام هيئة الامم المتحدة ، ومنها بريطانيا والولايات المتحدة لتعدل عن قرار التقسيم وتؤجل تطبيقه لوقت آخر . غير ان مجرى الامـــور ومحاولات اقناع الحكومات العربية لتتدخل بقواتها العسكرية أدت الى تعديل الخطط وابعاد أهل البلاد الفلسطينيين عن أمور الدفاع عن مدنهم وقراهم ارضاء للملك عبدالله أو لغلوب باشا قائد جيشه . ورغم كل ذلك فان هذا لم يدخل الحرب وانما كان يطبق حدود التقسيم »(١٩).

فالقصري يبرز أهمية العامل السياسي ويركز عليه اذ يرى ان الجامعة العربية استخدمت جيش الانقاذ كوسيلة « تظاهر بالقوة » . ولم تستخدمه كقوة فعلية ، واذا اسقطنا الفقرة المتعلقة « بقيادات الجيوش العربية . . . التي كانت تنصح بعدم التدخل » ، لان هناك وقائع تشير الى غير ذلك(٢٠) فان الغرض من تشكيل الانقاذ كان مائعا وبعيدا عن أن يحقق ما أنشىء من أجله ليس لعجز في الجيش نفسه بل لان الجامعة العربية نفسها لم تكن تنوي تحقيق الغرض جديا بل كانت تناور وتتظاهر ، اما لقناعة بعدم القدرة أو لتناقضات بين دولها أو لضغوط عديدة .

هذا ما يقوله قائد جيش الانقاذ وبعض ضباطه العاملين في الميدان . أما ما يقوله المقدم الركن شوكت شقير — أحد أعضاء اللجنة العسكرية المشرفة على الجيش — عن الغرض من تشكيله فيلخصه بما يلي : « ان المهمة الاساسية كانت مواجهة تحركات القوات اليهودية في المدن والقرى الفلسطينية والحيلولة دون تمكينها مـــن احتلال هذه المدن والقرى او السيطرة عليها . والاستيلاء على المناطق التي تجلو عنها القوات الانكليزية وكذلك تأمين السلاح والمتطوعين العرب لمؤازرة الفلسطينيين في كفاحهم للحفاظ على عروبة فلسطين وذلك قبل أن تتدخل الجيوش العربية اثنـــاء فترة الانتداب . أما بعد ٥/١٥ فان الانقاذ مكلف بمشاركة القوات النظامية في مهماتها القتالية التي يكلف بهـــا ويصبح جزءا من القوات التي كان مفروضا فيها أن تحرر فلسطين »(٢١).

هذا وقد يكون من المفيد أن نناقش بعض الآراء التي أصدرت أحكاما متجنية ظالمة على جيش الانقاذ وبعيدة عن الواقع وقد صورته على غير حقيقته ، وكانت لا ترى الا جانبا واحدا من الاحداث الجارية في فلسطين وفي المنطقة العربية . من هذه الاحكام ما يقوله كامل الشريف — أحد قادة الاخوان المسلمين المصريين — في وصف الانقاذ ، اذ يقول :
« وحتى هذه السرايا التي أتعب القواد أنفسهم في اعدادها والانفاق عليها لم تأت بالنتائج المطلوبة ، اذ كانت ضعيفة الى أبعد الحدود في التدريب ، فوق ان افرادها كانت تنقصهم الروح المعنوية العالية ، اذ كانت غالبيتهم من العمال المتعطلين الذين ضاقت بهم سبل العيش في بلادهم ووجدوا الجهاد فرصة سانحة للكسب ، فما كادوا يدخلون البلاد حتى تعددت حوادث السلب والنهب والتهجم على الاعراض والمتاجر . . . »(٢٢).

وواضح ان في هذا الكلام ما هو أكثر من المبالغة وتحريف الحقائق ، ذلك ان الغالبية العظمى من أفراد الجيش لم تكن « تنقصهم الروح المعنوية العالية » — بشهادة المصادر والمراجع الاجنبية والصهيونية — ولا « كانوا في غالبيتهم من العاطلين . . . » ان اقوال الشريف هذه تبقى على تجنيها وقسوتها مائعة وغير مبلورة وهي لا تحدد بوضوح الغرض من تشكيل الانقاذ ، ولكن مصطفى السباعي — المراقب العـــام للاخوان المسلمين في سوريه — يطرح اتهاماته بوضوح وجلاء شديدين فهو يقول :

« ١ — ان جيش الانقاذ الذي الفته الجامعة العربية ... لم يكن الا تسكينا لشعور العرب الهائج في كل بلد ، وانه لم يكن يقصد منه ان يقاتل ويمنع سقوط المدن والقرى العربية بأيدي اليهود ، ٢ — ان قيادة جيش الانقاذ لم تخض معركة جدية واحدة في فلسطين... » ثم يتابع الاتهام ليصل الى الذروة في التجني والظلم حين يقول: « ٣ — ان جيش الانقاذ كانت مهمته تحطيم منظمة الجهاد المقدس التي انخرط فيها شباب الفلسطينيين ... »(٢٣).

وكل ما يمكن قوله تعليقا على هذه الآراء والاحكام ، انه اذا كانت النقطة الثالثة خاصة هي مهمة جيش الانقاذ فماذا ترك الشريف والسباعي لغلوب وكلايتون واصدقائهما من الساسة العرب المعروفين من أدوار قاموا بها في المأساة خلال تلك الايام ؟

والخلاصة فان الغرض من تشكيل الانقاذ لم يكن « دقيقا واضحا » وهو ما يعتبر العسكريون توفره « أمرا أساسيا جدا »،بل كانت وراء تشكيله أغراض متعددة تراوحت بين تصور القدرة على استخدام مناورات عرض القوة العسكرية لتحقيق أهداف سياسية دون دفع ثمن جدي ، وبين الاندفاع المعنوي والحماسة العاطفية التي تصور أصحابها أنهم بمثل تلك الاوضاع السياسية والاجتماعية ، وبمثل هذه الامكانيات الضئيلة كانوا قادرين على تحرير فلسطين وتصفية مشاريع الاستعمار والصهيونية في بلادنا .

كان كل شيء يشير الى التشتت في الاتجاه وعدم وضوح الرؤية السياسية وغياب الاستراتيجية والبرنامج السياسي ، وقد أدى هذا الى عدم تحديد العدو من الصديق ، ومن يمكن تحييده ، وكان هناك غموض في تحديد الغرض الاساسي لتلك المرحلة وتداخل بينه وبين الاغراض الثانوية ، بالاضافة الى فقدان الدراسة الموضوعية الشاملة للامكانيات الفعلية ، وحجم هذه الامكانيات والقدرات وحدودها ، كما تعذر ادراك حقيقة طاقات الخصم وعدم الالمام بامكانياته . وما ولده ذلك من « خلافات بين السياسيين والعسكريين »(٢٤) من حيث نظرتهم وتقديراتهم للموقف السياسي والعسكري .

وفي الحقيقة ، فان هذه العوامل الهامة كانت كلها من النتائج الطبيعية والمنطقية لضعف حركة التحرر الوطني العربية ولطبيعة انظمة الحكم وتكوينها الاجتماعي القائم يومذاك .

## ( ٤ )

## قيادة الانقاذ

يمكن القول نظريا ان الامانة العامة لجامعة الدول العربية كانت تشرف من خلال اللجنة العسكرية على القوات غير النظامية العاملة في كافة ميادين فلسطين قبل انتهاء الانتداب في ١٥ أيار . وكانت هذه القوات تتألف من : ١ — قوات الانقاذ ، وكانت غالبية متطوعيها من سوريه والعراق ولبنان والاردن ، وكان القاوقجي قائدها ، ٢ — قوات الجهاد المقدس ، وكانت الغالبية المطلقة لمنتسبيها من فلسطين وتولى قيادتها عبد القادر الحسيني ، ٣ — حاميات محلية فلسطينية كان لها نوع من الاستقلال ولم تكن مرتبطة بالهيئة العربية العليا كما هو شأن الجهاد المقدس ، ٤ — القوات العاملة في جنوب فلسطين وكانت غالبية المتطوعين فيها من مصر ( من الاخوان المسلمين خاصة ومجموعة من الجيش المصري ) ثم من بعض اقطار المغرب العربي والسودان وكان قائدها المقدم احمد عبدالعزيز . والتحقت مع هذه القوات أيضا كتيبتان كان على رأس الاولى المقدم عبد الجواد طبالة وقاد الثانية النقيب محمود عبده . ولم تكن هذه المجموعات الاربع في الواقع تخضع للجامعة العربية ، اذ كانت قوات جنوب فلسطين ( أحمد عبد العزيز ) مستقلة كليا عن اللجنة العسكرية ، وكانت تتلقى التوجيه والدعم من الحكومة المصرية . وفي حين ان المفروض ان تكون المجموعات الثلاث الاولى ( الانقاذ والجهاد والحاميات )

خاضعة للجامعة ومرتبطة بها سياسيا وعسكريا واداريا وماليا ، لكن الواقع كان غير ذلك ، اذ كانت نسبة ارتباط كل مجموعة مختلفة ومتباينة جدا عن نسبة ارتباط المجموعات الاخرى .

لقد كانت قوات الجهاد المقدس تخضع عمليا لتوجيهات الهيئة العربية رغم اعتمادها المالي والتسليحي ــ الى حد ما ــ على الجامعة في حين كان الانقاذ اكثرها اعتمادا واستنادا الى الجامعة ولجنتها العسكرية . وعلى هذا الاساس يمكن القول ان هذه المجموعات المسلحة العديدة كانت تفتقد الرأس السياسي الموحد أو حتى الرأس المنسق فيما بينها . ولا شك ان افتقاد القيادة السياسية المشرفة قد أضعف القدرات العسكرية لهذه القوات التي كانت تمولها الجامعة العربية وقد « وصل عدد افرادها الى أكثر من عشرة آلاف مقاتل »(٢٥) .

ولكن اذا تركنا جانبا قيادات « قوات الجنوب والجهاد المقدس والحاميات » وحاولنا تفحص أوضاع قيادة الانقاذ فاننا نجد أن الجهاز القيادي العسكري كان يتألف على الشكل التالي : على رأس الهرم العسكري كان المفتش العام لقوات المتطوعين ( طه الهاشمي ) . وتليه اللجنة العسكرية وكانت برئاسة اللواء اسماعيل صفوت ، والعضوية العاملة فيها لمندوبي العراق وسوريه ولبنان وفلسطين فقط ، ولم ترسل بقية الدول العربية مندوبيها الى اللجنة . وكان النسق الثالث هو قيادة الميدان ، اي قائد الجيش ــ القاوقجي ــ . ويليه مباشرة قادة الافواج . وبعد اعادة التنظيم للجيش ، اصبح قادة الالوية وقائد الفوج العلوي حيث كان لهذا الفوج شيء من الوضع المتميز ، يشكلون النسق الرابع في السلم القيادي .

في دمشق وفي قرية ( قدسية ) ــ القريبة من دمشق ــ كانت تقيم مكاتب المفتشية واللجنة العسكرية ومراكز عمل المسؤولين فيها ، وكانت هذه المجموعة تشكل ( القيادة العامة ) . في حين كانت قيادة الجيش والافواج تشكل ( قيادة الميدان ) . ولكن قيادة الميدان كانت لها عمليا منطقتان مستقلتان تعبويا ( تكتيكيا ) . كانت هناك المنطقة الوسطى حيث عملت غالبية قطعات الانقاذ بقيادة القاوقجي نفسه ، وقد اتخذ ( جبع ) مقرا لقيادته . وكانت هناك المنطقة الشمالية حيث عملت مجموعة وحدات بقيادة المقدم الشيشكلي الذي اتخذ قرية الصفصاف في الجليل مقرا له . وقد بقي هذا الاستقلال قائما حتى وصول القاوقجي في أوائل حزيران الى الجليل حيث الحقت به كل وحدات الشيشكلي واتخذ قرية عيترون ــ جنوب لبنان ــ مقرا لقيادة الانقاذ . أما قيادات الافواج فكان لكل فوج مركز لقيادته في منطقة انتشار سراياه .



كانت المسألة التنظيمية الهامة التي واجهت قيادة الانقاذ هي افتقادها لهيئة أركان عامة . فالمعروف ان للجيوش النظامية ، أو شبه النظامية ، هيئات أركان تتشكل عادة من دوائر وشعب تقوم بمسؤوليات شؤون الافراد ، والاستخبارات ، والعمليات وما يتبعها من تدريب وتوجيه معنوي ، والشؤون الادارية أي الامداد والتموين والنقل . ويلتقي رؤساء هذه الشعب دوريا برئاسة رئيس الاركان أو قائد الجيش لوضع الخطط وترتيب المسؤوليات وتوزيع المهمات ومتابعتها .

كانت هذه الهيئة مفقودة تماما في قيادة الميدان . ولكن هذا لا يعني انه لم يكن مع القاوقجي عدد من الضباط والاداريين الذين كانوا يرافقونه في تنقلاته وتحركاته أكثر من كونهم يشكلون هيئة أركان أو مقرا عاما(٢٦) . فلقد كان معه النقيب محمود الرفاعي حيث اشغل واجبا هو أقرب ما يكون الى أمانة السر لقائد الجيش . وكان معه النقيب سليم الاصيل الذي تولى مسؤولية الاستخبارات وحين أعيد الى الجيش السوري شغل مكانه الملازم مصطفى رام الحمداني . وكان معه علي الدندشي ــ مسؤول الشؤون الادارية في

مقر القيادة — . وبعد انتقال الانقاذ الى الجليل حاول المقدم شقير والرائد حسك — كلاهما ضابط ركن — تنظيم شؤون المقر العام ولكن يبدو انهما لم يستطيعا ذلك .
وفي دمشق كانت أوضاع اللجنة العسكرية التنظيمية افضل نسبيا اذ اعتمدت على بعض الضباط والرتباء الذين تطوعوا من الجيش ودوائر الحكومة السورية ومن بعض الهيئات الشعبية . فلقد كان في دمشق نوع من المقر أو المركز ، ولكن لم يكن هناك ما هو أكثر من ذلك .

وعلى أي حال فانه يمكن القول ان قيادة الانقاذ ( الخلفية والامامية ) افتقدت ذلك النوع من هيئات الاركان العاملة في الجيوش النظامية ، كما انها لم تكن تملك ، في الوقت نفسه ، ذلك النوع من هيئات الاركان لقوات الانصار التي أقامتها القيادة السوفييتية أو القيادة اليوغوسلافية برئاسة المارشال تيتو أثناء حرب التحرير الوطنية. ولا مجال طبعا للاشارة والمقارنة مع هيئة أركان ماوتسي تونغ والمارشال تشوته خلال الحروب الثورية الطويلة التي خاضها الشيوعيون الصينيون .

لم تكن العلاقات بين قيادة الانقاذ والمفتشية العامة بدمشق تسير طيلة التجربة على نمط واحد اذ يبدو ان الامور كانت « في الفترة الاولى من تشكيل الجيش وبدء عمله تسير بشكل معقول وسليم نسبيا . وكانت تحكم هذه العلاقة الرغبة المشتركة في تحقيق نصر سريع ؛ وعلى ذلك ساد الحد الادنى من الانضباط وتقيدت قيادة الميدان بتعليمات القيادة العامة . ولكن هذه الفترة لم تطل كثيرا اذ أعقبها استقلال وانفراد تزايدا لمدة من الزمن لا من قيادة الميدان وحدها فحسب بل ومن قادة الافواج والوحدات ؛ وحدثت تصرفات لم ترض عنها القيادة . بل بالاصح كانت تعترض عليها . وهذا الامر هو الذي حدا بالقيادة العامة للمطالبة بحل بعض الافواج واعادة تنظيم بعضها الآخر ؛ وذلك بأمل ان يسود القطعات شيء من الانضباط والتنظيم العسكريين »(٢٧) .

ولكن كانت هناك وقائع عديدة تشير الى وجود انقطاع شبه كامل بين القيادة العامة وبين قيادة الميدان . كانت هناك دائرتان منقطعتان وشبه مستقلتين . اذ لم تكن هناك اجتماعات رسمية دورية يلتقي فيها هذا الجهاز القيادي ليناقش الخطط ويتابع التنفيذ ويدرس المعارك والاحداث ويستخلص النتائج والدروس المستفادة .

هذا ولقد كانت هنـاك خلافات شكلية بسيطة تبدأ ، مثلا ، باصرار كـل طرف بتسمية الانقاذ باسم معين ؛ فالقاوقجي كان يطلق على الانقاذ اسم « جيش الانقاذ » ، في حين كانت اللجنة العسكريـة تسميه « قوات الانقاذ »(٢٨) . كما كانت هنـاك خلافات على قضايا اساسية وهامة وقد اشار القاوقجي الى حادثة درعا ليلة ٤٨/١/٢٢ ، عند مرور فوج اليرموك الاول بقيادة المقدم محمد صفا بها الى فلسطين عبر الاردن ؛ وكيف انه رفض تنفيذ أوامر الهاشمي الـذي طلب ان تدخـل القوات عبر الاردن دون استئذان حكومة عمان(٢٩) . وكما كان القاوقجي ينفرد ويمارس استقلالا كذلك كان الهاشمي وبعض اعضاء اللجنة — احيانا — يلجأون الى تجاوز القاوقجي واصدار الاوامر والتوجيهات الى بعض قادة الافواج أو الحاميات خلافا لاصول التسلسل والضبط المعمول بها عـادة في الجيوش النظامية . بل يبدو ان الهاشمي وضع خطة عمليات لبعض قطعات الانقـاذ ؛ ومن حق المرء ان يشك بان القاوقجي لم يطلع عليها ، وهذا ما يفهم من أمر المفتشية رقم ( ٣٩١٠ ) تاريخ ٤٨/٦/٣ والذي تضمن تحديد القوة والمهمة الخ . . . الخاصة بمعركة المالكية الثانية التي استردت بها بعض قطعات الانقاذ والجيشين السوري واللبنـاني مواقع المالكية وقدس والمناطق المحيطة بها . . . (٣٠) .

اما عن علاقة قيادة الميدان بقـادة الافواج فلم تكن افضل مما هي عليه في المستويـات الاعلى . فهناك دلائل كثيرة تشير الى انعدام ذلك النوع من التنظيم العسكري التقليدي،

وقد يكون ذلك طبيعيا نتيجة عـدم سير الامور على المستويـات الاعلى بشكل سليم وصحيح . كذلك يمكن القول بان القاوقجي لم يكن يعقد اجتماعات دورية منتظمة مـع قادة الافواج لتدارس الموقف وتبادل الاراء في الخطط الواجب اتباعهـا لمواجهة العدو وتحركاته . وفي الواقع فقد مارس قـادة الافواج نوعا من الاستقـلال كان قريبا من استقلال الحاميات المحلية الفلسطينية . يقول أحد ضباط المدفعية الذين رافقوا الانقاذ طيلة تجربته في الجليل ما يلي : « ويمكن ان نقول بصورة اصح كان قادة الافواج لوحدهم يشتبكون مع العدو بدون تحضير ، وحينما يتغلبون عـلى العدو يدعون القائد العام ، وهذا يحضر ومعه وفد من الصحفيين والسياسيين ، يرون المعركة من المرصد ويكتبون عن وصفها ما يريدون ، ويعودون في اليوم الثاني الى الخلف »(٣١).

هذا ويعتقد احد الاداريين العاملين في الانقـاذ انه « كثيرا ما شعر وكـأن ما كان يربط معظم ضباط الميدان بالقيادة العامة واستمرار اتصالهم بها انما يرجع بشكـل اساسي الى حاجة هؤلاء لتامين ما تحتاجه الوحدات في الخـط الامامي ، اي التموين والتمويل والاسلحة والذخيرة ، ولولا ذلك لانقطع كل رابط لهذه القطعات بقيادتها العامة كما كان حاصلا بالنسبة للحاميات المحلية المستقلة »(٣٢). ومع المبالغة التي قد يلمسها المرء في هذا القول فان تقديري ان عجـز القيادة العامة عن السيطرة عـلى الامور يرجع الى اسباب عديدة منها عدم قدرتها على تلبية طلبات الوحدات ، ومنهـا انخفاض مستوى التدريب ، وعـدم تجمع الوحدات بل انتشارهـا ، بالاضافة الى تواجدهـا مع قوات شعبية ، وعدم قيام تعاون وتنسيق جديين بين قوات عربية تقاتل عدوا واحدا ، وهناك أيضا سبب هام جدا هو غياب التوجيه السياسي والتوعية ، والذي لو توفر لامكن خلق القناعة بسلامة الموقف وتعميقها وتعزيز الايمان بالاهداف والمثـل التي يقاتل افـراد الجيش من اجلها . فقد كان معظـم قادته يفكرون ببناء الانقاذ عـلى اساس ان يكون جيشا نظاميا عربيا تقليديا يقوم على الطاعة التامـة والضبط الحديدي لا على اساس الطاعة الواعية والالتزام الطوعي القائم على الايمان باتجاه سياسي معين . وكان هذا التفكير هو حصيلة تجاربهم النضالية وبحكم تكوينهم السياسي ، اذ شارك معظمهم في النضالات القومية السابقة من خلال المؤسسة العسكرية القائمة يومذاك، ولعبوا ادوارا وطنية بناءة وهامة دون ان يكونوا منتمين لكتل سياسية أو أحزاب ولم تكن لهم ارتباطات بهيئات معينة قائمة يومذاك .



اما عن الناحية المالية ، فقد كانت قوات الانقـاذ تمول من قبـل جامعة الدول العربية بمعرفة لجنة سمت اعضاءها الدائرة المالية في الامانة العامة وكانت تعرف باسم « لجنة الخبراء الماليين » وكان يرأسها احمد عبـد الغفار باشا ــ من مصر ــ . والغريب في الامر انه لم تكن هنالك ميزانية محددة ، كما انه يصعب تحديد ميزانية الجيش الشهرية أو السنوية اذ لم تكن تستقر على رقم معين . وكان هناك تفاوت واضح بين نفقات كل شهر بالنسبة للشهر الاخر . هذا وقد قدمت الامانة العامة مبلـغ مليون جنيه مصري للجنة العسكرية عند تشكيلها في تشرين الاول ١٩٤٧ ثم دفعت مليونا ثانيا بعد اجتماع مجلس الجامعة في القاهرة في أوائل كانون الاول ١٩٤٧ . وكان المفروض ان تمول هذه « الميزانية الفلسطينية » من قبل الدول الاعضاء السبع فتدفع كل منها حصة تماثل النسبة المئوية التي تدفعها كالتزام سنوي لتمويل ميزانية الجامعة ، فكانت مصر تتحمل النسبة الاعلى وهي ٤٢٪ في حين كانت المملكة اليمنية تقدم ٣٪ وهي النسبة الادنى . كانت المفتشية العامة ــ عن طريق دائرة المحاسبة فيها ــ تتولى امور الانفاق وتقوم بتدقيق حسابات قوات الانقاذ وترسل في اول كل شهر محاسبين وامناء صندوق للافواج المختلفة حيث كانوا يقومون بدفع المخصصات والرواتب والسلف لافراد الوحدات في أماكن تواجدهم.

( ٥ )

## تشكيلات الانقاذ وتنظيمه

ليست دراسة تشكيلات الانقاذ بأمر يسير نظرا لافتقاد الوثائق من ناحية ، ولان قوات الانقاذ اعيد تنظيمها اكثر من مرة كما جرى ابدال اسماء الافواج ، فبعد اسابيع قليلة من وصول فوج الحسين من بغداد الى سورية ففلسطين جرى حله ووزعت سراياه . كذلك فان المقدم مهدي صالح العاني كان يقود فوج القادسية بينما كان النقيب ميشال العيسى يقود فوج اجنادين . وبعد سقوط يافا اعيد تنظيم الفوجين ليتولى العاني قيادة فوج اجنادين . وهناك صعوبة اخرى هي ان كثيرا من الافواج لم يتح لها ان تقاتل كوحدات لمدة طويلة بل كانت تفرز منها سرية او اكثر لتنتقل الى مواقع اخرى تقاتل فيها بعيدا عن قيادة فوجها واحيانا خارج مسؤوليات جيش الانقاذ ( سرية النقيب فاضل عبد الله في القدس وضعت بإمرة الجهاد المقدس . وغير هذه السرية نجد عددا آخر عانى من مثل هذا النقل الذي كان ضروريا اثناء القتال ) . كذلك كانت هناك حاميات تتشارك قيادة الانقاذ في مسؤوليتها دون ان تمارس عليها اشرافا حقيقيا ، من ذلك حامية يافا بقيادة المقدم عادل نجم الدين . وحامية عكا بقيادة الملازم عدنان مراد ثم خليل كلاس ، وفي غزة كان للانقاذ مائة مقاتل من اصل ( ٤٧١ ) وتولى قيادة هذه المنطقة المقدم عبد الحق عزاوي ثم اوفد العقيد عاهد السخن(٢٣) .

اذا تركت هذه المصاعب في دراسة التشكيلات جانبا فاننا نجد ظاهرة هامة هي ان الاقبال كان كبيرا على التطوع حين اعلن قبول المتطوعين للقتال في فلسطين . ففي العراق « لبى الدعوة زهاء ( ١٥ ) الف شخص سجلوا أسماءهم في سجل المتطوعين من اجل انقاذ فلسطين . جلهم ـــ ان لم نقل كلهم ـــ ممن سبق لهم ان انخرطوا في سلك الجندية ( في الجيش أو الشرطة ) جنودا وضباطا »(٢٤) . ولم تكن الحماسة قاصرة على قطر واحد بل كانت تشمل اقطارا عربية عديدة . ويقول العارف ان « عدد المتطوعين الذين تم تدريبهم في معسكر الجيش السوري بقطنا في ٤٨/٢/٨ بلغ ( ٤٩٧٦ ) ، كان منهم ( ٢٩٨٧ ) سوريا و ( ٨٠٠ ) فلسطيني و ( ٨٠٠ ) عراقي ... »(٢٥) وهو يستند في هذا الرقم على تقرير رفعته اللجنة العسكرية الى الجامعة العربية . اما القصري فانه يشير الى « ان عدد المتطوعين في هذا الجيش قد بلغ عشرة الاف في البداية الا ان قسما منه استنكف . ولم يبق منه سوى خمسة الاف الا انه سار فعلا منهم حتى شباط ١٩٤٨ بالدقة ( ٤٦٣٠ ) متطوعا من سائر البلاد العربية »(٢٦) .

وفي مصر « أبرق حسن البنا المرشد العام للاخوان المسلمين . الى مجلس الجامعة عند اجتماعه في عاليه في ٤٧/١٠/٩ يقول انه على استعداد لان يبعث كدفعة أولى بعشرة الاف مجاهد من الاخوان »(٢٧) . ولكن حكومة النقراشي لم تكن راغبة في الاشتراك في الحرب الفلسطينية .

ويبدو ان هذه الحماسة الشعبية الجارفة هي التي كانت تدفع بالصحافة العربية الى تضخيم ارقام المقاتلين في جيش الانقاذ والمبالغة في قوته . فقد ذكرت « النهار » البيروتية انه جاءها « من مصدر ثقة ان القوات الاولى من جيش التحرير العربي ( المقصود الانقاذ ) البالغ عددها ( ١٥ ) الف جندي قد بدأت هجومها على فلسطين فجر اليوم بقيادة الزعيم القاوقجي وان الاهالي العرب استقبلوا طليعة الانقاذ بفرح وسهلوا العمليات الحربية »(٢٨) وهناك غير النهار من وضع ارقاما اكبر وضخم الامور بشكل ملفت جدا .

هذه المبالغة لم تقتصر على الصحافة وحدها بل ان المسؤولين العرب شاركوا في حملة التضخيم وتضليل الجماهير ، بعضهم عن حسن نية وبعضهم الاخر عن سوء نية ،

فوزير الدفاع السوري ، مثلا ، صرح « ان العرب قد ألفوا جيشا يزيد على ( ٧٠ ) الف مقاتل لتحرير فلسطين من الصهيونيين »(٢٩) أما حقيقة حجم الانقاذ فقد كانت دون ذلك. يقول احد كبار الاداريين المدنيين وقد اشرف على مسؤوليات ادارية يومذاك « ان حجم الجيش في الفترة الاولى من تشكيله بلغ ثلاثة الاف متطوع واخذ يتسع تدريجيا ولكن قدرات الاستيعاب وقلة الكوادر وضآلة الامكانيات المالية والتسليحية اضطرت اللجنة العسكرية الى ايقاف التوسع في قبول المتطوعين »(٤٠). أما القاوقجي فانه يسجل ان عدد مقاتلي الجيش « بلغ حوالي اربعة الاف ضمنهم قرابة ( ١٥٠٠ ) فلسطيني »(٤١). وفي تقديري فان أية ارقام عن الانقاذ تحتاج الى ربطها بتاريخ محدد حتى تكون دقيقة ومعتمدة ، ذلك ان ارقام المتطوعين لم تكن ثابتة طيلة قيام الانقاذ بواجباته .

وكانت هذه الالاف العديدة من المتطوعين موزعة على أفواج عديدة وسرايا مستقلة انتشرت في المنطقة الوسطى والشمالية حتى اوائل حزيران ٤٨ حيث عادت فتجمعت كلها في الشمال :

١ ـ مجموعة المنطقة الوسطى وكان يقودها فوزي القاوقجي وتألفت من :

ـ فوج اليرموك الاول قاده المقدم محمد صفا . وقد غادر سورية الى فلسطين في ٤٨/١/٢٢ واتخذ مراكز له في منطقة جنين ـ بيسان ثم انتقل الى الجليل في اوائل حزيران . وخاض عدة معارك كانت أهمها معركة الزراعة في شباط ٤٨ .

ـ فوج القادسية قاده المقدم مهدي صالح العاني ودخل فلسطين في شباط ٤٨ وكان بتصرف القيادة في جبع . وقام بالجهد الاساسي في معركة مشمار هاعيمك ، واشترك في معارك باب الواد والقدس ، وانتقل الى الشمال بعد اعادة تنظيمه وتسميته بفوج اجنادين . وقد اشتركت وحدات هذا الفوج بقيادة العاني في الدفاع عن منطقة ترشيحا خلال الهجوم الصهيوني على الجليل في تشرين الاول ٤٨ .

ـ فوج الحسين قاده الرائد الطيار محمود هندي . وقد دخل الى منطقة المثلث ثم ما لبث ان اعفيت قيادته ووزعت سراياه على الافواج الاخرى .

ـ فوج حطين قاده النقيب مدلول عباس . وقد دخل الى منطقة طوباس في اذار ٤٨ وشاركت سراياه في معارك مشمار هاعيمك والقدس . وانتقل الى الشمال في اوائل حزيران حيث تحمل عبء القتال في الشجرة والناصرة ونزلت به خسائر كبيرة واصابات كثيرة شملت كل ضباطه تقريبا . فقد استشهد النقيب هرمز شابو والشاعر الفلسطيني الملازم عبد الرحيم محمود وجرح قائده مدلول عباس جراحا بليغة وكذلك الملازم اكرم دبري .

ـ فوج اليرموك الثالث قاده الرائد عبد الحميد الراوي . دخل منطقة القدس ورام الله في نيسان واشترك في معارك باب الواد والمدينة المقدسة .

ـ فوج اجنادين قاده النقيب ميشال العيسى واشترك في معركة يافا في اواخرها وشارك في القتال في باب الواد ثم انتقل الى الشمال .

ـ فوج العراق قاده المقدم عادل نجم الدين وقد دخلت معظم مراتب هذا الفوج الى يافا وتولى نجم الدين قيادة حاميتها المحلية مع وحداته في ٤٨/٢/١٦ وبقي فيها حتى ٤٨/٤/٣٠ حيث ترك المدينة دون اذن قيادته ودون ان يسلم مسؤولياته فيها الى خلفه النقيب ميشال العيسى .

وكانت في المنطقة الوسطى عدة سرايا لها وضع خاص منها السرية اللبنانية التي كان يقودها النقيب حكمت علي وقد جرى توسيع هذه السرية عند الانتقال الى الجليل حيث قاد النقيب حكمت الفوج اللبناني الذي اشترك في معارك محلية صغيرة اهمها كفرمندا

واشترك في الدفاع عن السموعي وكفرعنان اثناء الهجوم الصهيوني على الجليل في تشرين الاول. وكانت هناك سرية الفراتيين التي قادها النقيب خالد مطرجي وقد وصلت هذه السرية الى المنطقة الوسطى في ٤٨/٢/٣ وبقيت فيها حتى ٤٨/٥/٢٤ . وكانت زرعين اولى معارك هذه السرية مع العدو في منطقة السامرة التي وقعت في ٤٨/٢/٢٣ . ثم نقلت هذه السرية الى الجبهة السورية وفي اول تموز ارسلت الى الجليل وبقيت فيه حتى اواخر تشرين الاول وقد اشتركت في معارك ترشيحا والمغار وسعسع والمنارة في المنطقة الشمالية(٤٢). وكانت هناك « سرية منكو » الاردنية التي اشتركت في معركة باب الواد. وسرية اسود الشهباء التي قاتلت في القدس . هذا وقد « التحقت بهذه الافواج بطارية ونصف بطارية من المدفعية بقيادة النقيب مأمون البيطار ومعه الملازم الاول عفيف البزري وسليمان الحلو ... وكان تعداد بطارية المدفعية بين ٨١ — ١٢٠ جنديا ومعهم اربعة مدافع في الترتيب الافرنسي ( سورية ) ... »(٤٣).

ان القصري يذكر ان قوات المنطقة الوسطى « كانت تتألف من أربعة افواج مشاة هي : فوج اليرموك الاول وفوج القادسية وفوج حطين وفوج اجنادين .. »(٤٤) ولكن الواقع هو ان ما ذكره القصري ليس دقيقا ، اذ بالاضافة للافواج الاخرى المذكورة كانت هناك مجموعة من العناصر المسلحة المحلية التي تعاونت مع الانقاذ ايضا .

٢ — مجموعة المنطقة الشمالية وكان يقودها المقدم اديب الشيشكلي وتالفت من :

— فوج اليرموك الثاني بقيادة الشيشكلي . وقد دخلت هذه القوة المنطقة الشمالية عبر لبنان بتاريخ ٤٨/١/٢٣ . « وفي شهر شباط توزعت قواته على مناطق : صفد بقيادة الملازم الاول احسان كمالماز . عكا بقيادة الملازم عدنان مراد ، والمالكية بقيادة الملازم الاول فتحي الاتاسي ، والصفصاف بقيادة الملازم الاول محمد جديد غريب . وفي شهر نيسان افرزت قيادة الجيش السوري بطارية مدفعية مع الملازم الاول فائز القصري والملازم وديع نعمة »(٤٥). هذا ويقول القصري ان « قوات اديب الشيشكلي كانت في ذلك الوقت ( لم يحدده المؤلف ) لا تتجاوز ( ٨٠٠ ) مجاهد ومتطوع ومسلح ، ومع كل فرد ما يقرب من ( ٢٠٠ ) خرطوشة »(٤٦).

والى جانب قوات الشيشكلي كان هناك فوج جبل العرب الذي قاده الرائد شكيب وهاب واتخذ مواقعه في منطقة شفا عمرو ، قرب الناصرة . ولكن هذا الفوج لم يكن مرتبطا بالشيشكلي اذ كان له شيء من الاستقلال . هذا ويقول عامر حسك ان المجموعة الشمالية بقيادة المقدم الشيشكلي كانت تتشكل — عدا فوج جبل العرب — من المفارز التالية : المفرزة العراقية بقيادة الملازم حسين عبد اللطيف ، المفرزة الحموية بقيادة الملازم صلاح الشيشكلي . المفرزة الشركسية بقيادة الملازم جلال برقوق . المفرزة الادلبية بقيادة الرئيس عبد الغفار ، المفرزة الاردنية بقيادة الرئيس ساري فنيش . السرية السورية النظامية بقيادة الملازم عثمان حاجو . المفرزة اللبنانية بقيادة الملازم الاول محمد زغيب . حامية عكا بقيادة خليل كلاس ، المفرزة البدوية بقيادة الملازم محسن يعيش ، مفرزة مجدل شمس الدرزية ، واخيرا التحقت المفرزة اليوغوسلافية بقيادة الرئيس الاول شوقي اليوغسلافي ، وفصيل مدفعية من مدفعين بقيادة الملازم فائز .. »(٤٧) والغريب ان المؤلف يضيف قائلا بعد ان يعدد هذه المفارز والوحدات « ان عدد هذه القوة يتراوح بين ٣٥٠ و ٤٠٠ جندي »(٤٨). وكانت في الجليل قوات من المتطوعين المحليين كان يقودهم ابو ابراهيم الصغير وابو محمود الصفوري وابو اسعاف وقد تعاونوا مع الانقاذ . وحين سحبت قوات الانقاذ من المنطقة الوسطى الى معسكر قطنا للراحة واعادة التدريب والتنظيم جرت اعادة تشكيل قوات الانقاذ كلها على اساس الوية هي : لواء اليرموك الاول بقيادة المقدم محمد صفا ، ولواء اليرموك الثاني بقيادة

المقدم اديب الشيشكلي ، ولواء اليرموك الثالث بقيادة المقدم مهدي صالح العاني — فيه نواقص كثيرة — والفوج العلوي بقيادة غسان جديد .

**الكوادر** : المقصود هنا الضباط والرنباء ( ضباط الصف ) . كانت قلة عدد الضباط هي احدى اصعب المشاكل التي واجهت قيادة الانقاذ . « اذ لم يتطوع عدد كاف من الضباط وضباط الصف للقيادة والادارة ، واكثر من تطوع من هؤلاء كان من الجيش السوري النظامي »(٤٩) . هذا ويقول العميد الركن عبد الله عطفه — رئيس اركان الجيش السوري يومذاك — « ان القيادة قد افرزت ( ٤٦ ) ضابطا سوريا و ( ٤٠٠ ) ضابط صف وجندي والحقتهم بقوات الانقاذ للقتال والتدريب »(٥٠) . وفي رأي المقدم الركن شوكت شقير ان هذا الرقم قد لا يكون دقيقا اذا كان المقصود به أنه كان في الانقاذ مثل هذا العدد من الكوادر النظامية السورية في فترة محددة ، ولكنه يعتقد ان هذا الرقم يمثل مجموع من تطوع في الانقاذ من الجيش السوري طيلة فترة عمل الانقاذ »(٥١) . وفي كل الاحوال فان عدد الضباط السوريين هبط كثيرا بعد ١٥ ايار اذ عاد عدد كبير منهم الى جيشهم ليشتركوا في معارك الجبهة السورية .

وكان الى جانب الضباط السوريين عدد من الضباط العراقيين وكان معظمهم من العناصر الوطنية التي اخرجها عبد الاله ونوري السعيد من الجيش في اعقاب الاحتلال البريطاني بعد حركة مايس ١٩٤١ . وكان هناك عدد اقل من الضباط الاردنيين واللبنانيين ، ولكن لم يتجاوز « عدد ضباط الانقاذ مائة »(٥٢) في أية فترة من الفترات . هذا ويشير مصدر اخر الى « انضمام ( ٦٧ ) مرشح ضابط الى الانقاذ بعد انسحابه من الجليل هم افراد دورة خاصة من الشباب الفلسطيني أشرف على تدريبها في قطنا النقيب حازم الخالدي والملازم الاول وجيه المدني »(٥٣) .

لقد أدى هذا النقص في الكوادر الى نتائج خطيرة وبعيدة الاثر ، « فكثيرا ما كنا نجد بعض السرايا يقودها ضابط اعاشة برتبة ملازم وبعضها يقودها ضابط صف ، اما اكثرية الفصائل فقد كان يقودها متطوعون لم تسبق لهم خدمة عسكرية من قبل »(٥٤) . وكان من نتائج هذا النقص في الكوادر ، برأي الرائد عامر حسك ان « جرد قوات الانقاذ من الادارة الحسنة والقيادة الصحيحة والضبط العسكري الحازم ، وهي أهم مميزات ما يرتكز عليه أمر قيادة الاشخاص فأدى ذلك في النهاية الى ان تعمد بعض الوحدات الى ترك مواضعها من تلقاء نفسها ولو من دون أن تجابه ضغطا يضطرها على ذلك من القوات اليهودية كما امتنع بعضها عن اطاعة الاوامر الصادرة اليها لاحتلال مواضع جديدة ورفض بعضها الاخر ان يخف الى نجدة قوات كانت بحاجة ماسة الى النجدة والاغاثة »(٥٥) .

ويرى القصري في شرح أهمية نقص الكوادر وخطورة المسألة فيقول : « كانت فكرة انشاء جيش الانقاذ خاطئة من مبدئها ، فالجيش لا يشكل من المدنيين قبل العمليات مباشرة ... وتدل فكرة جمع هذا الجيش على ان الاشخاص الذين طلبوا الشروع به نظريون ومدنيون يجهلون مبادىء الحشد وقيمة العمليات الحربية وانهم سياسيون لا يقصدون سوى الدعاية ... »(٥٦) . ويضيف قائلا « ان الانقاذ لم يعتمد على الضباط للنقص الكبير فيهم ولا على ضباط الصف لقلتهم ايضا ... وان هذا النقص يؤدي الى ضياع النواحي الاساسية المطلوبة من القيادة ... واذا ما ضاعت هذه فان القائد يصبح فردا عاديا ويفقد قيمته العسكرية وبالتالي لا يستطيع ان يسيطر ويثبت ويستمر في تحقيق هدفه ... وبصورة عامة لم يكن في الفوج الواحد اكثر من أربعة الى خمسة ضباط بينما يلزمه ( ١٥ ) ضابطا على الاقل »(٥٧) .

واضح كم هو هام واساسي وجود العدد الكافي من الضباط في الجيش وخطورة الدور الذي يلعبونه في قيادته وادارته ، مع ملاحظة أن حسك والقصري يهملان تماما عامل

التوعية والتوجيه السياسي الذي يمكن ان يخفف الى حد ما من نقص الضباط . وهذا العامل كان مفقودا في الانقاذ .



كان عدد الرتباء دون المطلوب بكثير . ويقول احد الاداريين « ان ظروف تكوين الافواج كانت تتحكم في عددهم ، بالاضافة الى ان معظمهم لم يكونوا من محترفي الجندية سابقا ، أي كان ينقصهم التدريب والخبرة ، اذ جاءوا الى الانقاذ متطوعين عاديين ثـم تدرجوا ليكتسبوا رتبهم خلال الفترة التي قضوها في الخدمة في جيش الانقاذ »(٥٨).

كان نقص الكوادر في الانقاذ كبيرا جـدا . في حين ان العدو نظـر الى مسألة الضباط والرتباء نظرة مختلفة تماما عن نظرتنا لها . لقد ركز العدو اهتمامه عـلى هذه الناحية تركيزا يرجع الى سنوات كثيرة قبل معارك ١٩٤٨ . وكتاب آلون عن « بنـاء الجيش الاسرائيلي » يفيض بتفاصيل البرامج بساعاتها الطويلة ، النظريـة والتطبيقية ، التي كانت تهدف الى بناء كوادر ذات كفاءات عالية . ولقد لخص آلون رأي القادة الاسرائيليين في هذه المسألة حيث قال : « ان احراز النصر في معاركنا الكبرى قد تم سلفا وذلـك في برامج تدريب الرتباء ( ضباط الصف ) التي وضعتها الهاغانا والبالماخ »(٥٩).

هذا عن الضباط والرتباء . أما المتطوعون فقد كان تدريبهـم ومستواه ونوعيته موضع نقاش وجدل مستمرين بين الاطراف التي تابعت تجربة الانقاذ .

**التدريب** : كانت تعليمات قيادة الانقاذ تقضي « بقبول انضمام المتطوعين الى قوات الانقاذ بصرف النظر عن جنسيتهم او بلادهم عندما تتوفر في المتطوع حسن النية والاخلاص والغرض الذي تطوع من اجله . وعلى هذا الاساس تطوع في هذه القوة اناس من جميع الجنسيـات والاقطـار ممن هزتهم المشاعر الانسانية وسيطـر عليهم عامل الجهـاد المقدس »(٦٠). وعلى الرغم من ان غالبية المتطوعين كـانت من ابناء العراق وسورية بشكل خاص الا ان التباين الفكري والاجتماعي والسياسي كان كبيرا وهذا حتم ان يكون هناك « مستودع خاص للتدريب تنصهر في بوتقته هذه النواحي المتباعدة حتى يكون من الممكن لتلك المجموعة ان تتبع اسلوبا واحدا في التدريب وفي كيفية تلقي الاوامر وتنفيذها وبما يقتضيه الضبط والطاعة »(٦١). ولم يكن التباين وحده السبب الذي يحتم التركيز على التدريب ولكن طبيعة العدو الـذي نقاتله بالاضافة الى اهتمامه الخـاص بمسألة التدريب ، كلها عوامل كـانت تستدعي ان يكون امر التدريب موضـع اهتمام وعناية ومتابعة خاصة من قبل القيادة المسؤولة عن هذه الناحية . لذلك كان المفروض ان يمر المتطوعون في دورات تـدريب راقية ليستطيعوا اداء واجباتهم ويحملوا مسؤولياتهـم القتالية بالشكل المناسب والمطلوب .

كان المتوقع من جيش كالانقاذ ، وضعت له اهداف وتصورات كبيرة ، ان يؤمن له عدد كـاف من المـدربين المؤهلين ليوفروا للمتطوعين تدريبا راقيا في مستواه وخـلال مدة معقولة . وان يتاح لهؤلاء المتطوعين اجـراء الرمايات على مختلف الاسلحـة في الليل والنهار ، وان تكون في برامجهم مسيرات وتدريبات ليلية وان تكون لمعظمهم ان لم يتوفر لهم جميعا برامج تدريب صاعقة ، وتدريبات على العبور ومجابهة المدرعات والرمي ضد الطائرات واستخدام اسلحة الدعم المتوسطة والثقيلة . وان يتضمن برنامـج التدريب اهتماما خاصا بالنواحي الهندسية وخاصة الالغام والمتفجرات والتمويه وفتح الثغرات في حقول الالغام .. الخ . ولكن لم يتوفر شيء من ذلك .

يقول خالد المطرجي ــ قائد سرية الفراتيين ــ ان مقاتلي دير الزور الذين قادهم « لـم يمكثوا في معسكرات قطنا الا ثلاثة ايام ... وقد وصلوا فلسطين في ٤٨/٢/٣ ... وقد تام مع معاونيه بتدريبهم خلال ( ١٥ ) يوما وجعل « منهم جنودا يلمون ببعض الشيء بفن

التسديد واحكام الرماية . . . » وفي ٢٣ شباط ( أي بعــد ( ٢٠ ) يومــا من وصولهم ) خاضوا معركة ناجحـــة حين دافعوا عن قرية زرعين واستطـــاعوا رد هجوم العــدو المركز . . . »(٦٢).

وواضح ان مثل هذا التدريب لا يمكنه ان يحقق الاهـــداف المرجوة من قوة مقاتلة لهـــا اهداف بحجم اهداف الانقاذ .

واما القصري فانه يقول لقد « اهتمت الجامعة العربية بتشكيل جيش التحرير ( المقصود الانقاذ ) من المتطوعين العرب ، وكـــان معظمهـــم من المدنيين الذين لم يتلقوا تدريبـــا عسكريـــا ، وخصصت ( ٢٠٠ ) الف جنيه للانفـــاق عليهم . . . »(٦٣) ويتابع مضيفا في وصف اسلوب الجامعة « بانها جمعت بعض المتطوعين وباشرت بتدريبهم وتسليحهم على عجل وشكلت منهم وحدات عسكرية شبه نظامية . وبمدة شهر ارسلت قسما منهم الى ميادين القتال . والحقيقة لم يكن لدى هؤلاء المتطوعين الاستعداد الكافي ليقاتلوا كوحدات نظامية أو كوحدات غير نظامية لان العدو كان مدربا ومسلحا يجب أن يقابل بقوة أشد منه . . »(٦٤).

اما عامر حسك فيقول « ان المتطوع كان يدخل معسكر التدريب وبدلا من ان يتلقى فيه قدرا كافيـــا من التدريب والضبط العسكري كان يخرج وهو على حـــالة من الفوضى بالاضافة الى قصر مدة التدريب »(٦٥).

هذا ما يقوله بعض ضباط الوحدات في الميدان . أما المسؤولون في اللجنة العسكريـــة والمفتشية العامة فان اقوالهم لا تختلف في جوهرها عن ملاحظات ضباط الميدان .

ان المقدم الركن شوكت شقير يقر « باهمية التدريب وضرورته لمواجهة التنظيم العسكري الصهيوني ، وهو يعتقد ان مستوى التدريب في الانقاذ كان اقل من الوسط . ومن رأيه ان اسباب ذلك ان الجيش تشكل عـــلى عجل ، في فترة قصيرة جدا ، وفي فترة انفجر القتال فيها بعد قرار التقسيم مباشرة ، بالاضافة الى قلة عدد المدربين المطلوبين لاعداد الاف المتطوعين وتأهيلهم . . . »(٦٦). هذا ويقول الاداري المدني « انه عندما بدأ تشكيل قوات انقاذ فلسطين وضع مخطط لتدريب وتأهيل المتطوعين للقتال . وذلك باخضاعهم لدورات تدريبية كانت تتم في معسكرات الجيش السوري في قطنا . وقد تم فعلا تدريب عدد من المتطوعين تراوح بين ٧٠٠ ــ ٨٠٠ في المراحل الاولى . . . وعندمـــا توسعت اعمال التطويع ، بعد اسابيع قليلة ، لم يعد هناك مجـــال لاخضاع المتطوعين لدورات تدريبية ، بل كانت المعسكرات تتخذ كمراكز تجمع وتسفير المتطوعين لالحاقهم بالقطعات التي نسبوا اليها . وكانت هذه العمليات لا تستغرق اكثر من اسبوع كحد أقصى لكـــل مجموعة من المتطوعين . . . والملاحظ ان هذا الاجراء ــ التجميع والتسفير ــ بدأ تنفيذه بعد قرار اتخذ يقضي بانتقاء المتطوعين من الذين لديهـــم خبرات سابقة في استعمـــال الاسلحة ، وليس بالضرورة ان تكون لهم خبرة بالقتال . . . »(٦٧). ويتابع هذا الاداري ملاحظاته ليضيف مؤكدا انه « ليست صحيحة أبدا الاشاعات التـــي روجت في بعض الاحيان من أن بعض المتطوعين لم يتقنوا استعمال السلاح الذي كان بين أيديهم ، بل بالعكس فان جميع المتطوعين كانوا يحسنون استعمال الاسلحة التي كانت بحوزتهم ، على انه يستثنى من هذا بعض المتطوعين العاملين في مجالات التنظيم والادارة وغير ذلك من العمليات غير الميدانية ، حيث من الجائز ان يكون بـــين هؤلاء من كان غير ملـــم باستعمال الاسلحة . . . أما عن التدريب على القتال الليلي والنهاري فان قوات الانقاذ بحكم تكوينها من عناصر غير مدربة عسكريا بشكل نظامي فانها كثيرا مـــا كانت تنفذ العمليات التي تكلف بها وفق التخطيط الموضوع لها وكان يشرف على هذه العمليات ضباط او ضباط صف ممن لهم الخبرة في هذه المجالات »(٦٨). هذا ويضيف معلقا ان البعض يحلو له ان يعطي مسألة ضعف مستوى التدريب حجما اكبر من الحقيقة بكثير وهـــم

يعتمدون على حوادث معينة منتقاة ويتناسون الوجه الآخر من المسالة . وهو ان اكثر من نصف جنود الانقاذ كانوا مدربين سابقا في سلك الجندية او الشرطة ، في العراق وسوريه ، كما ان فريقا من المهتمين بتجربة الانقاذ قد يجهلون وجود مجموعات من المتطوعين كان تدريبهم جيدا بالفعل . ولكن لم تجر الاستفادة منهم بالشكل المناسب . من هؤلاء قرابة مائتي متطوع فلسطيني كانوا جنودا في « قوات حدود شرقي الاردن » — أصحاب الزنار الاحمر — شكلوا سرية عقربا ، قرية قرب نابلس ، ذلك ان معظم أفرادها كانوا من تلك المنطقة . كذلك هناك أفراد الفوج العلوي — وهو أكبر افواج الانقاذ ، وصل تعداده الى ( ٦٠٠ ) مقاتل وكان أفراده من منطقة اللاذقية وغالبيتهم ممن تدربوا في الجيش الفرنسي اثناء الانتداب وكانت خبرتهم جيدة ، ويمكن أن يقال الشيء نفسه عن مجموعتي الشراكسة — ومعظمهم من سوريه — والارمن — ومعظمهم من لبنان — وكان تعداد هاتين المجموعتين يزيد على ( ٣٥٠ ) مقاتلا وقد تدربوا كالعلويين في صفوف الجيش الفرنسي . بالاضافة الى المجموعة اليوغوسلافية التي كان يقودها الرائد شوقي والتي قاتلت في صفوف الجيش الالماني خلال الحرب العالمية الثانية . . . وواضح أن هذه نظرة مخالفة كثيرا لنظرة المقاتلين والعاملين في الوحدات .

كان ضعف التدريب يعني الشيء الكثير في القتال بالنسبة لجيش الانقاذ . يقول القصري « لم يكن تدريب جنود الانقاذ في مستوى لائق فكانوا يعملون كعصابات أو كأفراد يدخلون ويخرجون من المعركة متى شاءوا وبدون أمر . . . وكان الجميع يخشون الليل ويتركون أماكنهم بمجرد الهجوم عليهم ليلا . ولم يكن لديهم انضباط نار أي كانوا يطلقون النار بكميات كبيرة ثم ينسحبون بعد أن تنفد ذخيرتهم ، وربما لاستلام ذخيرة جديدة . ولم تستخدم المعدات الحديثة كأجهزة اللاسلكي والمخابرات اللازمة وأدوات الهندسة الضرورية وما يتبعها من الغام وأفخاخ ( مصائد ) . ولم تستخدم المدفعية رغم وجودها في المهمات المناسبة : لقد استخدم المدفع لاحتلال الاهداف والقضاء على المقاومات الصغيرة عوضا عن المشاة والمغاوير . وأحيانا كان المدفع يقف في الصفوف الاولى قبل المشاة لرفع المعنويات والمحافظة على الخطوط الامامية . . . »(٦٩) .

ان مستوى التدريب المتدني لم يكن يمثل - على ما يبدو - مشكلة جيش الانقاذ وحده اذ لم يكن قاصرا عليه ويبدو أن ضعف التدريب كان ظاهرة عسكرية عربية اذ أن جيوشا نظامية عربية كانت تشكو مثل هذا النقص الخطير . ان احد قادة الاخوان المسلمين المصريين ، وهو من الذين قاتلوا في غزة والنقب مع القوات المصرية الخفيفة وخاض مع المتطوعين معارك مشتركة مع الجيش المصري ضد الصهاينة ، كتب يقول : « ان الجنود المصريين — على الرغم من هذه الروح العالية وما اظهروه في بداية الحرب من شجاعة وثبات — كان واضحا ما عليه من نقص في التدريب والمقدرة خاصة فيما يتعلق « بالاعمال الليلية » حين كانت هذه الناحية متوفرة تماما في قوات العدو ، ولا أظن الا أن الضباط ممن اشتركوا في الحملة يوافقونني على هذه الملاحظة ، اذ كان العدو يقوم بأغلب معاركه في الليالي المظلمة وبصورة تنبيء عن مقدرة فائقة ومستوى عال في التدريب »(٧٠) . ويعيد الكاتب تأكيده على أهمية مسألة التدريب حين يلخص الخبرات ونتائج القتال بقوله : « رابعا — كان واضحا ما عليه جنودنا من قصور وعجزهم في التدريب خاصة فيما يتعلق بالاعمال الليلية . ولو كانوا يحسنون هذا النوع من العمليات لهاجموا المستعمرات ليلا واستفادوا من ميزة المفاجأة ولما تعرضوا للخسائر الكثيرة من جراء الهجمات النهارية »(٧١) .

كان تقييم العدو لمستوى تدريب الانقاذ مختلفا بعض الشيء . يقول كورزمان في كتابه الضخم عن « الحرب العربية الاسرائيلية الاولى » انه « كان للقاوقجي جيش قوي يقف وراءه : حوالي أربعة آلاف رجل موزعين على اربعة افواج . كان معظمهم من الجنود

السابقين في الجيوش النظامية والشرطة العربية ، وعديدون منهم قاتلوا تحت قيادته في الثورات العربية العديدة ضد السيطرة الغربية منذ الحرب العالمية الاولى . وكان عدد من الضباط الكبار والرتباء لا يزالون على لوائح الخدمة الفعلية في الجيش السوري ، ولكنهم ، نظريا ، غائبون باجازات غير محددة . كان بعض رجاله ، بالطبع ، غير مدربين ، ولكنهم تلقوا تدريبا اساسيا لعدة أسابيع في معسكر للجيش السوري »(٧٢).

ولكن هل يعني هذا أن العدو لم يكن يشكو من مشاكل التدريب وان جنوده كافة كانوا على مستوى راق من التدريب والخبرات القتالية ؟ وهل كانوا في المستوى الذي تتطلبه المقاييس العسكرية الصرفة لجيش تقليدي ؟ على هذين السؤالين يجيب ضابطان صهيونيان خدما في صفوف الجيش البريطاني وتوليا مراكز قيادية هامة في « اللواء اليهودي » الذي شكله البريطانيون واشترك في معارك الحرب العالمية الثانية : « من ناحية ثانية فان الجيش الاسرائيلي تشكل على عجل وفي أقسى فترات الحرب حين كان العدو يمسك بخناقنا . ولم يكن لدينا وقت . وكثيرا ما كنا ندمج بعض الوحدات « اداريا » ونرسلها الى المعركة من دون تدريب عملي . وفي احيان كثيرة لم يكن التجهيز كافيا او مناسبا ، وفي أحيان أخرى كان الضباط غير مدربين بشكل كاف ... وهذه الفوارق تطلبت من الجنود المدربين في الجيش البريطاني تكيفا سريعا ومرنا مع الظروف التي كان جيش الدفاع الاسرائيلي يتشكل فيها . وبالتالي لم يكن من الممكن دائما أن تتم الافادة الكاملة من معارفهم في بناء وتدريب وحدات القتال ... »(٧٣).

وبالاضافة الى ما ذكره الضابطان الصهيونيان فان هناك وقائع عديدة تشير الى أن المتطوعين العرب كانوا يواجهون بعض جنود العدو الذين لا يدل اداؤهم في القتال على مستوى راق في التدريب كما كانت هناك وحدات معادية اشتبكت في معارك اظهرت تدريبها المتدني . هذا ويقول عامز حسك ان وحدات الانقاذ قاتلت في معارك الشجرة جنودا غير مدربين من العدو . من هؤلاء « الاسير ابراهام الذي التجأ الى الانقاذ ليلة ١٢/٧/٤٨ فارا من صفوف الصهاينة بسبب كثرة القتلى والجرحى الذين سقطوا حوله...وقد افاد الاسير ان اليهود اخذوه قسرا الى معسكر التدريب لمدة اربعة اسابيع الهدنة فقط وجيء به تلك الليلة الى الشجرة مع خمسين من أمثاله فظهر انه لم يتعلم في التدريب حتى كيف يطلق البندقية ... »(٧٤).



كان تدني مستوى التدريب العسكري في الانقاذ ظاهرا ، وهو عندنا دون العدو بكثير ولا تجوز المقارنة . ولكن مع ذلك كان من الممكن التقليل من آثاره السلبية الى حد كبير ، لو اهتمت قيادة الانقاذ بالجانب الآخر من التدريب والاعداد ، اي بالتوجيه السياسي والتعبئة المعنوية والشحن الروحي . ففي الوقت الذي كان فيه متطوعو الانقاذ يفتقدون التدريب العسكري المطلوب نجد أن قيادتهم لم تهتم أبدا بالجانب الايديولوجي الذي يلعب دورا هاما جدا في تصليب المقاتل وتعميق ايمانه ليستطيع التغلب على ما يعانيه من مشاق ومن هبوط مستوى وعيه السياسي وتخلفه الفكري والاجتماعي . لقد كانت قيادة الانقاذ لا تعطي العامل الايديولوجي الاهمية التي يستحقها ، شأنها في ذلك شأن كل الجيوش النظامية العربية يومذاك . بينما نجد أن العدو كان ، منذ عام ١٩٣٨ « يعطي أهمية خاصة للدافع الايديولوجي »(٧٥) وذلك بناء على توصيات الكابتن البريطاني اورد وينغيت الذي درب الكوادر الاساسية للهاغانا وانشأ « الوحدات الليلية الخاصة » . وبقي اهتمام القيادة الصهيونية واعيا جدا ومنصبا على هذه الناحية اذ « كان واجبها الاول هو التحسين النوعي للمادة البشرية . ولما كانت نسبة عالية من المهاجرين الجدد قد جاءت من اقطار شرقية حيث تسود الامية معظم سكانها فكان من الواضح وجوب البدء في اعطائهم مبادىء التعليم الاوربي . واضطلع الجيش باكمال التعليم العادي الذي تلقاه

هؤلاء في المدارس بتزويدهم بتعليم أساسي عام وفني مع التركيز الخاص على الثقافة الايدلوجية بقصد مساعدتهم على فهم الاهداف الوطنية والاجتماعية للدولة وللقضية التي طلب منهم الدفاع عنها ... »(٧٦).

ومن الطبيعي أن لا تكون قيادة الانقاذ وحدها المسؤولة عن التقصير في مجال التوعية والاهتمام بالعامل الايديولوجي . ان مسؤوليتها ، في هذا المجال ، كانت نسبية بالتأكيد ، لان ما كان يعانيه الانقاذ من ضعف وتخلف في هذا المجـــال انما يرجع الى الاوضاع الاجتماعية العامة التي كان الانقاذ جزءا منها ، بالاضافة الى الاعلام المضلل الذي لعب دورا في التوجيه السياسي السيىء ، ولعل مقارنة بين ما كان ينشر عندنا ــ كنموذج ــ وبين ما كان العدو يركز عليه يوضح الفارق النوعي بين المفهومين السائدين عندنا وعند الخصم حول اثر التوجيه السياسي والتعبئة الروحية والمعنوية ... ففي تلك الفترة كتبت احدى أقوى الصحف العربية يومذاك تقول : « ان الدوائر المصرية العالية تلقت انباء رسمية تفيد أن تحول أميركا في مسألة فلسطين أصبح مائة في المائة . وان مصدرا عربيا مسؤولا قال أن عدول أميركا عن فكرة التقسيم الى وصاية موقتة ان هو الا حل انتقالي ، وان هذه الفترة ستنفضي حتما بفلسطين الى دولة عربية موحدة »(٧٧) . وهكذا فيما تحتاج الجماهير العربية الى التعبئة النفسية والتوجيه السياسي السليم لتعيش حالة الحرب والقتال نجد الاعلام العربي يلجأ الى التخدير والتضليل وتعليق الآمال الكاذبة على تحول السياسة الاميركية . أما كيف تصرف العدو ، وهو في أسوأ أوضاعه حين كانت الجيوش العربية تمتلك زمام المبادرة وتتقدم في كل الاتجاهات قبيل الهدنة الاولى فهذا نموذج مقابل :

« كانت القوات الاسرائيلية ، بوجه عام ، لا تزال دون العرب في العدد والتجهيزات والوضع الجغرافي السياسي ، ولكنها متفوقة في التنظيم والانضباط والروح القتاليـــة والوحدة مع الاحساس بأن **« لا بديل »** . فاما أن تربحوا الحرب أو تقذفوا في البحر المتوسط ، أنتم كأفراد ومع الامة ككل . كان هذا معنى « اللابديل » ، وهو شعـــار استخدم على نطاق واسع في هذه الفترة من قبل الجنود والمدنيين بقصد التعبير عن وعي الامة بأنها كانت تقاتل من أجل بقائها ... »(٧٨) .

فهل تتحمل قيادة الانقاذ وحدها مسؤولية التقصير في مجال الاعداد والتدريب العسكري الايديولوجي ــ وهما متداخلان ومترابطان في القتال ــ ؟ وهل تلام اذا ما قصرت وكل شيء حولها ما كنا نراه يومذاك ؟

**التسليح** : كان العرب يعانون في فترة ١٩٤٨ من مشكلة النقص الخطير في السلاح . وكانت ــ برأي العارف ــ « من أعوص المشاكل التي اعتورت سبيل الجهاد العربي في فلسطين ، لا بل كانت أعوصها طرا ، وأبعدها أثرا في مصير هذا الجهاد »(٧٩) . ولقد واجهت جيش الانقاذ والجهاد المقدس والجيوش النظامية ، كما انها كانت تواجه كل الحركات الوطنية في المنطقة العربية ، فقد كانت مسألة التسلح هي احدى نقاط الخلاف الكبيرة بين الحكم الوطني في العراق وبين بريطانيا في بداية الثلاثينات وكانت من اسباب تأزم العلاقات بينهما ونشوب معارك مايس ١٩٤١ . وكانت مسألة التسلح من متاعب الحكم الوطني في سوريه في ١٩٤٨ وبعد هذه السنة ، وهذه المشكلة نفسها كانت من الاسباب الرئيسية التـــي دفعت بالرئيس عبدالناصر في ١٩٥٥ الى التوجه الى الكتلة الاشتراكية بعد أن أيقن أن الدول الغربية لا تريد حل هذه المشكلة .

كان المفروض أن تقدم الحكومات العربية عشرة آلاف بندقية لعرب فلسطين ، حسب قرارات الجامعة في عاليه بتشرين الاول ١٩٤٧ ، ولكن ذلك لم يتم عمليا كما كان مقررا ، وبعد صدور قرار التقسيم اجتمعت اللجنة السياسية للجامعة في القاهرة في ٤٧/١٢/٧ واقرت طلب اللجنة العسكرية بتقديم عشرة آلاف بندقية اخرى ... وفي الوقت نفسه

تعاقدت سوريه ، لحساب الجامعة العربية ، مع مصانع سكودا التشيكية على شراء عشرة آلاف بندقية والفي رشيش و( ١٢٠٥ ) مليون طلقة . ولكن مواد هذه الصفقة لم تصل الى مستودعات اللجنة العسكرية اذ يقال ان هذه الاسلحة تحولت الى العدو بفضل نشاط استخباراته ويقال أيضا ان الباخرة التي كانت تحملها جرى اغراقها في مياه اليونان بعد أن غادرت البحر الادرياتيكي .

كانت مشكلة قلة السلاح سببا مستمرا لتذمر قيادة الانقاذ والجهاد المقدس من اللجنة العسكرية ، وسببا لتذمر اللجنة من الامانة العامة للجامعة العربية التي لم تكن تستطيع أن تفرض على الحكومات العربية الوفاء بما التزمت به . وكانت الهيئة العربية العليا المشرفة على الجهاد المقدس تتهم ، من ناحية اخرى ، اللجنة العسكرية « بايثار جيش الانقاذ على المجاهدين الفلسطينيين »(٨٠) . ولقد نجم عن قلة السلاح ان ازدهرت تجارته وارتفعت اسعاره اذ بلغ « ثمن البندقية الواحدة مائة وخمسون جنيها ، بل ومئتا جنيه ... »(٨١) .

كانت الاسلحة المستعملة في الانقاذ « خليطا من انواع مختلفة من البنادق الانكليزية والفرنسية والبلجيكية ومن نزر قليل من مدافع الهاون المختلفة الانواع والعيارات وقليل من الرشاشات المختلفة بأنواعها مع بعض المصفحات التي كان أغلبها من المغانم اليهودية ... وكانت الاسلحة على قلتها غير متناسقة في انواعها ، ولم تكن مصنفة بحيث يسلح كل فوج بأكمله بنوع واحد من السلاح ... ولا شك ان هذا يؤدي الى خلق الصعوبات والمشاكل في تموين العتاد . وقد بذلت محاولات كثيرة لتوحيد انواع هذه الاسلحة ضمن الافواج فذهبت تلك المحاولات سدى نظرا لان الجنود كانوا يحتفظون بما يغنمونه من الاسلحة اليهودية عندهم »(٨٢) .

وكان العتاد قليلا لدى الانقاذ وعانى الكثير من جراء ذلك . ويعتقد عامر حسك « ان الحكومات العربية لو كانت قد اهتمت بتسليح قوات الانقاذ تسليحا وافيا بالمرام لامكنها ان تفعل ذلك مما كان مخزونا لديها من فائض الاسلحة القديمة ، ولا سيما من المدفعية الجبلية التي كانت تلك الحكومات قد عزفت عن استعمالها في جيوشها فبعثت بها لتحفظ في المستودعات »(٨٣) . والمؤلف يشير هنا الى أنواع معينة من المدافع كانت مخزونة في مستودعات الجيش العراقي .

هذا وكان الانقاذ يشكو فقرا في مختلف التجهيزات والذخائر كالمتفجرات والادوات الهندسية وأجهزة الاتصال اللاسلكي ووسائط النقل نظرا لعدم قيام الحكومات العربية بتقديم ما وافقت على الالتزام به للانقاذ والجهاد المقدس عبر اللجنة العسكرية . الا ان هناك من يرى ان مسألة قلة السلاح والذخيرة خضعت في بعض الاحيان للمبالغة ، وفي أحيان أخرى للضغط والتهويش، وذلك لان الفقر في هذا الميدان لم يكن قاصرا على الانقاذ بل ان الجيوش العربية نفسها كانت تشكو في معارك ٤٨ من قلة السلاح والذخيرة وليس أدل على ذلك مما يقوله القصري « واذا علمنا ان الجيش السوري ، وبعد شهر من القتال ، كان يشتري الذخيرة من البدو ومن المهربين الاتراك بشتى الوسائل لتبين لنا مقدار النقص الذي وقع به العرب في ذلك الوقت ، مع التحفظ في ذكر ان بعض الذخيرة كان يصرف بدون فائدة أو يسرق »(٨٤) .

لقد كان احتياط الانقاذ من العتاد سيئا من دون أدنى شك ولكنه ، رغم قلته لم يكن أسوأ من حالة احتياط بعض الجيوش العربية التي عرض قادتها ما لديهم بالتفصيل في مؤتمر القاهرة العسكري، ١٠ــ١٣ تشرين الثاني ١٩٤٨ . فاذا كانت الجيوش النظامية تشكو من هذا العجز فطبيعي ان يكون حال الانقاذ في منتهى السوء وذلك لانه لم يكن يملك موارد ذاتية ولا مستودعات خاصة بل كان يعتمد ــ بشكل أساسي على ما في مستودعات

تلك الجيوش من سلاح وعتاد ، اذ لم يكن لقادة الانقاذ ( اللجنـة العسكرية وقيادة الميدان ) اية «سلطة على مستودعات أي جيش عربي ولا على اية حكومة مستقلة»(٨٥) .

وقد يكون من المفيد ان نشير هنا الى ان الانقاذ كان متفوقا على العدو بالمدفعية في المرحلة الاولى ، اي حتى بداية الهدنة الاولى ، اذ لم يكن لدى الصهاينة آنذاك مدافع ميدان بل كانوا يعتمدون على استخدام مدافع الهاون ، كما ان العدو لم تكن في حوزته أسلحة وفيرة . ولن نعتمد هنا على ما تردده المصادر الصهيونية بعد انتهاء معارك ٤٨ لتضخم حجم انتصاراتها ، بل يمكن الرجوع بهذا الشأن الى « نشرة استخبارات القيادة العامة لقوات فلسطين» المؤرخة في ٤٨/٥/٥ والتي أوردت تحت بند « التسلح » ما يلي: « الملاحظ في العمليات التي تدور الان ان سلاح اليهود ليس موحدا . وقد يعني هذا انهم يعانون نقصا في الاسلحة ، أو أنهم يوفرون سلاحهم الموحد للعمليات المقبلة ... ولم يظهر حتى الان ما يدل على ان لديهم مدفعية ميدان او مدفعية ثقيلة ... » .

**الادارة والتموين** : أشرف على الشؤون الادارية والتموين والمالية جهاز من العناصر غير العسكرية وكان معظمهم من الشباب العاملين في الميدان الوطني في سورية وبعضهم ممن ناضل ضد الاستعمار الفرنسي خاصة . وكان أبرزهم علي عبد الكريم الدندشي ــ أحد أبرز قادة الحركة الكشفية في سوريه ــ وقد عين مسؤولا للشؤون الادارية في قيادة الميدان، وعزت الشربجي ــ من أعضاء النادي العربي في دمشق ــ وقد نظم كافة شؤون التموين ، وخالد القنواتي ــ من اعضاء النادي العربي في دمشق وممن رافقوا القاوقجي في نضاله في فلسطين ١٩٣٦ وفي العراق ١٩٤١ ، وحسين جابر ، الذي كان مقررا للجنة العسكرية والمحاسب المالي فيها ، وعزالدين الحفار ، المحامي الذي عمـل في شؤون القضاء العسكري للانقاذ ، وموفق الحوراني وسعيد الزين وآخرون عديدون . وكان هؤلاء موزعين بين اللجنة العسكرية وقيادة الميدان والافواج .

كانت قيادة الجيش السوري قد وفرت للجنة العسكرية وقيادة الانقاذ مستودعات خاصة لخزن اللوازم والاسلحة والذخائر والتجهيزات ، ومكاتب خاصة لتصريف شؤون الانقاذ وأفرزت عددا من الرتباء والجنود المدربين للاشراف على هـذه المستودعات وتسيير أعمالها وخاصة ما تعلق منها بشؤون السلاح والذخيرة .

كانت هناك مراكز أمامية ومستودعات متقدمة ، ففي « بنت جبيل ــ بجنوب لبنان ــ أسس مستودع عام لتموين القطعات بالارزاق الجافة وبحالة جيدة على الدوام ، غير ان الارزاق الطرية كاللحوم والخضروات كانت تؤمن محليا باعطاء سلف لآمري الوحدات والمفارز »(٨٦). وكذلك أسس في سعسع ــ بشمال فلسطين ــ مركز تخزين أمامي . وكان في منطقة نابلس مستودع عام لقوات الانقاذ العاملة في لواء السامرة . ومع ذلك فقد كانت القطعات تشكو من نقص بعض الادوات اللازمة لشؤون الاعاشة كما كانت « تفتقد الخيام والاغطية الكافية والمشمعات المطرية وجل مـا كان الجنود يجهزون به العباءات الصوفية . ولذلك كانت الوحدات تضطر لايواء جنودها داخل القرى ... »(٨٧) فكان لهذا محاذير اجتماعية وسياسية وعسكرية .

**الشؤون الصحية** : انشأت اللجنة العسكرية دائرة صحية خاصة وعينت لهـا طبيبا ذا كفاءة وله ماض سياسي عريق في النضال القومي . وقد التحق الدكتور امين رويحة ــ مسؤول هذا القسم ــ بقوات الانقاذ التي دخلت الى لواء السامـرة . وفي نابلس اسس مستشفى كبيرا يضم ( ٢٠٠ ) سرير وبقي يستقبل جرحى الانقاذ والجهاد المقدس والمتطوعين المحليين ومرضاهم حتى انسحاب الانقاذ من هذه المنطقـة اذ تم تسليمه يومذاك الى القوات العراقية التي وصلت الى نابلس .

وفي أوائل ١٩٤٨ التحق الدكتور فيصل الركبي ــ حماه ــ بالقوات التي قادها الشيشكلي

في الجليل . ولقد طرأ تحسن واضح ، نسبيا ، على الخدمات الطبية في الانقاذ اثر انتقال قواته وتجمعها في الجليل . فقد أسس الدكتور رويحــة مستشفى في الناصرة تولى مسؤوليته الدكتور أحمد السواح ــ دمشق ــ وكان مع المشرفين على هذا المستشفى آخر من انسحب من الناصرة حين سقطت بيد العدو في ١٦ تموز ١٩٤٨ ، بعد أن نقلوا الجرحى وكافة التجهيزات والمواد الطبية(٨٨) . ثم أنشأ رويحة مستشفى ميدان في الرامة، ثم نقله الى ترشيحا في أيلول ١٩٤٨ ، وبقي يعمل في هذا المستشفى حتى احتل الصهاينة الجليل في أواخر تشرين الاول .

كان يعاون رويحة في ادارة الخدمات الطبية عدد من الاطباء هم : احمد السواح وسعيد سيد درويش ــ حلب ــ ووهيب الغانم ــ اللاذقية ــ .

هذا في داخل فلسطين . أما خارجها فقد كانت هناك مجموعة من الاطباء اللبنانيين الذين قاموا بدور هام في تقديم الخدمات للجرحى والمرضى من متطوعي الانقاذ في مستشفيات بنت جبيل وصور . ثم في بيروت حيث أقام الدكتور بشارة الدهان مستشفى كبيرا في مبنى الدرك السيار . بعد أن غادر عكا اثر سقوطها . وكان يستقبل جرحى الانقــاذ ومرضاه مما كانوا بحاجة لعلاج متقدم لا تستطيع تقديمه المستشفيات الامامية . ولقد تأسست هذه المراكز الطبية بتبرعات المواطنين العرب .

وفي قرية ( قدسية ) قرب دمشق أقام الدكتور رويحة مستشفى آخر . كما كان هناك تعاون مع الخدمات الطبية في الجيش السوري اذ كان الانقاذ يحيل بعضا من جرحاه الى مستشفى المزة العسكري ، قرب دمشق .

والواقع ان مسألة العناية الطبية كانت موضع اهتمام من قبل هيئات شعبية ورسمية ولقد تشكلت لجان لتجنيد الاطباء فأعلنت ، مثلا ، لجنة الاغاثة في بيروت . التي كان يرئسها الدكتور جورج حنا وتولى أمانة سرها الدكتور سليم ادريس ، أكثر مــن نداء واعلان تؤكد الحاجة الى « أطباء جراحين وممرضات للعمل في مستشفيات فلسطين لقاء راتب شهري قدره ألف ليرة لبنانية للطبيب ومائتي ليرة لبنانية للممرضة . . . »(٨٩) ولكن لم يلب هذا النداء الا قلة قليلة جدا . ولذلك « لم يتيسر للالوية او الافواج والمفارز أي طبيب ولم تلحق بها اية مفرزة صحية للاسعافات الاولية ولذلك كان الجريح او المريض كثيرا ما يبقى مدة غير قصيرة من دون اسعافات أولية أو ينــال اية رعاية صحيــة تذكر . . . »(٩٠) ويرجع السبب لعدم توفر الكوادر الطبية ولقلــة المواد والتجهيزات اللازمة .

هذا ويؤكد أحد الاداريين المدنيين العاملين في الانقاذ بأن « الخدمات الصحية كانت مثالية قياسا على الامكانات المادية المتوفرة »(٩١) .

**القضاء العسكري** : كانت هناك محكمة عسكرية خاصة بقوات الانقاذ يرئسها ، معظم الوقت ، ضابط حقوقي متطوع ، وكانت هذه الهيئة تنظر بالقضايا التي تحال اليها من قبل قيادات الجيش والمتعلقة بالتهم المنسوبة الى افراد تلــك القوات ، او المواطنين المقيمين في المناطق التي تعسكر بها وحدات الانقاذ .

كانت الاجراءات والاصول المتبعة في هذه المحكمة تسير وفق مــا هو متبع في المحاكم العسكرية السورية ، وكانت أحكامها تخضع لتصديق قائد الجيش لتصبح نافذة المفعول . وجدير بالذكر « ان هذه المحكمة كانت تتمتع باحترام وتقدير الجميع لعدالة الاحكام الصادرة عنها »(٩٢) . ولقد كانت احدى أهم القضايا التي عالجتها قضية ضابطين ــ برتبة ملازم اول ــ عراقي وفلسطيني ، أحيلا اليها بتهمة ارتكاب تجاوزات وجرائم ضد مواطنين فلسطينيين في الجليل ، وقد أصدرت حكما باعدامهما رميا بالرصاص ، كما أصدرت أحكاما عديدة ضد عسكريين من الانقاذ ومواطنين اتهموا بارتكاب الجرائم والتجسس وغير ذلك من المخالفات .

## الحواشي

١ ــ عارف العارف : **النكبة** ــ نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود ١٩٤٧ ــ ١٩٥٢ ــ منشورات المكتبة العصرية للطباعة والنشر : صيدا ــ بيروت . الجزء الاول ــ ص ١٧٨ .

٢ ــ جريدة « **النهار** » ــ بيروت ــ عدد (٣٨٢٩) تاريخ ١٩٤٨/٣/٩ .

٣ ــ العارف : **النكبة** ــ الجزء الثاني ــ ص ( ٤٦١ ) .

٤ ــ محمود الدرة : الحرب العراقية ــ البريطانية ١٩٤١ ــ ص (٣٢٦) ــ دار الطليعة ــ بيروت.

٥ ــ صالح صائب الجبوري : **محنة فلسطين واسرارها السياسية والعسكرية** ــ ص (١١١).

٦ ــ عارف العارف ــ **النكبة** : الجزء الاول ــ ص ( ١٦ ) .

٧ ــ العارف : **النكبة** : الجزء الاول ــ حاشية في ص ( ١٦ ) مقتبسة من تقرير لوزارة الدفاع العراقية بتاريخ ٤٩/٧/٢٥ .

٨ ــ العارف : **النكبة** ــ الجزء الاول ــ ص ١٤ ــ ١٥ .

٩ ــ من برقية مفتي فلسطين الى الامم المتحدة : جريدة **النهار** رقم ( ٣٨٤٨ ) تاريخ ١٩٤٨/٤/١.

١٠ ــ Jon and David Kimche : *Both Sides of the Hill*, p. 105-106. London 1960.

١١ ــ في مؤتمر درعا الذي عقده كبار المسؤولين السياسيين والعسكريين في سورية ولبنان والاردن بالاضافة الى عبد الرحمن عزام والعميد سعد الدين صبور ــ مندوب الجيش المصري ــ يقول احد الذين حضروا المؤتمر ان المجتمعين لمسوا كم كان حقد اعوان الانكليز على الهاشمي شرسا وعميقا من خلال شتائم الملك عبدالله واهاناته المباشرة للهاشمي بسبب وجوده في منصب مسؤول وحضوره المؤتمر .

١٢ ــ الجبوري : « **محنة فلسطين** » ص (١١٤).

١٣ ــ الجبوري **المصدر ذاته** ص (١١٤) .

١٤ ــ عامر حسك : **من ماساة فلسطين** ــ ص ١٥٥ ــ ١٥٦ ــ مطبعة المعارف ــ بغداد ــ ١٩٦٠ .

١٥ ــ جريدة **النهار** : عدد ( ٣٨٢٩ ) تاريخ ٣/٩/ ١٩٤٨ .

١٦ ــ حسك : **المصدر ذاته** ــ ص ( ١٠٧ ) .

١٧ ــ حسك : **المصدر ذاته** ــ ص ١٠٧ ــ ١٠٨.

١٨ ــ حسك : **المصدر ذاته** ــ ص ١٠٨ .

١٩ ــ العميد المتقاعد محمد فائز القصري : **حرب فلسطين** عام ١٩٤٨ ــ **الجزء الثاني** ــ ص ( ٢٥١ ) ــ دمشق ــ ١٩٦٢ .

٢٠ ــ وثائق اللجنة العسكرية وتقاريرها تشير الى ان التدخل العسكري النظامي كان مطلب اللجنة وخاصة بعد صدور قرار التقسيم . وان احد اهم أسباب استقالة اللواء اسماعيل صفوت من رئاسة اللجنة هو عدم طلبه بوجوب التدخل النظامي قبل ١٥ ايار لا بعده . كذلك يؤكد المقدم شوكت شقير ــ مندوب لبنان العسكري ــ في مقابلة اجراها الكاتب في ٢٠/ ٧٣/٣ ان اللجنة العسكرية كانت قد وضعت خطة عسكرية شاملة لدخول القوات النظامية العربية كانت تهدف الى تحرير الشواطىء الفلسطينية من الشمال والجنوب ، كأحد المحاور الاساسية، ولكن الملك عبدالله أصر على تعديل الخطة في ١٤ ايار وكان أن سحب الجيش السوري من جنوب لبنان ليكلف بواجب في منطقة سمخ والبحيرة ...

٢١ ــ مقابلة في بيروت في ٧٣/٣/٢٠ .

٢٢ ــ كامل الشريف : **الاخوان المسلمون في حرب فلسطين** ــ ص ( ٣٨ ) ــ مكتبة وهبة ــ القاهرة ــ الطبعة الثانية .

٢٣ ــ السباعي : مجلة **حضارة الاسلام** ــ مقتبسة من كتاب **القصري** ــ ص ٢٥٧ ــ ٢٥٨.

٢٤ ــ من المفيد قراءة ما كتبه « الجبوري » في « **محنة فلسطين** » ص ١٢١ ــ ١٣٢ و«العارف» في **النكبة** الجزء الاول ص ٢٨٣ ــ ٢٨٩ عن مؤتمر عمان العسكري بتاريخ ٤٨/٤/٣٠وخلافات العسكريين السياسيين حول تقديراتهم لحجم القوات العربية المطلوبة لمنع قيام الدولة اليهودية ، وكذلك عن ملاحظات العسكريين عن السياسيين الذين اجتمعوا في مؤتمر القاهرة العسكري في ١٠ ــ ١٣ تشرين الثاني ١٩٤٨ ــ راجع « الجبوري » : ص ٣٣٠ ــ ٣٣٤ ، « العارف » : الجزء الثالث ص ٧٥٤ ــ ٧٦٢ ــ هذا ويمكن ان يضاف هنا أن احد العسكريين الذين حضروا هذين المؤتمرين يقول عن بعض وقائع مؤتمر عمان ان عبد الرحمن عزام اجتمع الى العسكريين وناقشهم في تقديراتهم ، واخيرا،

ازاء اصرارهم « أمر اليهم أن المطلوب منهم هو القيام بعمليات عسكرية وقتال لـ ٥ — ٧ أيام فقط ، وبعدها ستحل المشكلة دوليا ... وبعد أن لمس عدم ارتياح المؤتمرين عاد ليؤكد لهم ان لديه معلومات قاطعة بأن بريطانيا ستتدخل عن طريق الامم المتحدة لحل المشكلة لصالحنا وذلك بتجميد قرار التقسيم موقتا ... الخ . » هذا ويبدو ان عزام كان قانعا « بحسن نوايا الانكليز » بدليل ما ينقله ايضا « محمد نمر الخطيب » في كتابه « **أحداث فلسطين** » من أنه سمع من « عزام باشا امين الجامعة العربية منه ذاته عينه نفسه ... تأكيدات جازمة بأن حيفا لن يتركها الانكليز لتسقط بيد اليهود » . ص ٢٥٨ .

٢٥ — مقتبسة من مذكرة خطية اعدها احد الاداريين المدنيين الذين عملوا في القيادة العامة وقد آثر كتمان اسمه ومؤرخة في ١٥ شباط ١٩٧٣ .

٢٦ — يقول عامر حسك في كتابه « **من مأساة فلسطين** » عن عدم وجود « مقررات بالمعنى المفهوم بحيث تضم اشخاصا يستطيعون القيام بواجب القيادة والادارة ... حتى انه حدث في مرة من المرات ان رحل القاوقجي فرحل معه الجميع ، وما كان مني الا ان ابرقت اليه البرقية التالية بواسطة جهاز الجيش اللبناني: ( لم يبق يوم رحيلكم في المقر غيري أنا والخيمة ... ) . » — ص ١٠٠ .

٢٧ — من مذكرة احد الاداريين المدنيين مؤرخة في ٧٣/٢/١٥ .

٢٨ — مقابلة مع شوكت شقير في ١٩٧٣/٣/٢٠ .

٢٩ — Al-Qawuqji, *Memoirs*, 1948, Part I, *Journal of Palestine Studies:* Vol. 1, No 4, Summer 1972, p. 27-29

٣٠ — حسك : **المصدر ذاته** — ص ٢٩ — ٣٢ .

٣١ — محمد فايز القصري : **حرب فلسطين ١٩٤٨** — الجزء الثاني — ص ( ٢٥٤ ) .

٣٢ — مقتبسة من مذكرة خطية اعدها أحد الاداريين المدنيين بتاريخ ٧٣/٢/١٥ .

٣٣ — العارف : **النكبة** — الجزء الثاني — ص ( ٣٩٢ — ٣٩٣ ) .

٣٤ — العارف : **النكبة** — الجزء الاول — ص ( ٤٩ ) .

٣٥ — العارف : الجزء الاول — ص ( ١٠٢ ) .

٣٦ — القصري : الجزء الثاني — ص ( ٢٤٤ ) .

٣٧ — العارف : الجزء الثاني — ص ( ٣٩٨ ) .

٣٨ — **النهار** عدد ( ٣٨٠٨ ) في ١٩٤٨/٢/١٣ .

٣٩ — **النهار** : عدد ( ٣٨٣٠ ) تاريخ ٤٨/٣/١٠ .

٤٠ — مذكرة احد الاداريين مؤرخة في ٧٣/٢/١٥ .

٤١ — **مذكرات القاوقجي**
Al-Qawuqji, *Memoirs*, JPS, Vol. 1, No. 4, Summer 1972, p. 27.

٤٢ — محمد خالد مطرجي : « **مع ابطالنا في فلسطين** » — طبع في ٢٥—٣—١٩٥٤ — لا ذكر لدار النشر — ص ( ٥٧ — ٥٨ ) .

٤٣ — القصري : الجزء الثاني — ص ( ٢٥٠ ) .

٤٤ — القصري : **المصدر ذاته** — ص ( ٢٤٩ — ٢٥٠ ) .

٤٥ — القصري : **المصدر ذاته** — ص ( ٢٤٩ ) .

٤٦ — القصري : **المصدر ذاته** — ص ( ٢٧٣ ) .

٤٧ — عامر حسك : من **مأساة فلسطين** — ص ( ٩٨ — ٩٩ ) .

٤٨ — عامر حسك : **المصدر ذاته** — ص ( ٩٩ ).

٤٩ — عامر حسك : ص ( ٩٧ ) .

٥٠ — العارف : الجزء الاول — ص ( ٤٠ ) .

٥١ — شوكت شقير — مقابلة في ٧٣/٣/٢٠ .

٥٢ — القصري : الجزء الثاني — ص ( ٢٤٠ ) .

٥٣ — اداري مدني : مذكرة خطية تاريخ ٢/١٥/ ٧٣ .

٥٤ — عامر حسك : ص ( ٩٧ ) .

٥٥ — حسك : **المصدر ذاته** — ص (٩٧ — ٩٨).

٥٦ — القصري : الجزء الثاني — ص ( ٢٥٠ — ٢٥١ ) .

٥٧ — القصري : الجزء الثاني — ص ( ٢٥٣ — ٢٥٤ ) .

٥٨ — من المذكرة الخطية لاحد الاداريين — مؤرخة في ٧٣/٢/١٥ .

٥٩ — Yigal Allon: *The Making of Israel's Army*, p. 127; Vallentine, Mitchell - London, 1970.

٦٠ — عامر حسك : ص ( ٩٦ ) .

٦١ — عامر حسك : ص ( ٩٦ ) .

٦٢ — خالد المطرجي : « **مع ابطالنا في فلسطين** » — ص ( ٤٩ — ٥١ ) .

٦٣ — القصري : الجزء الثاني — ص ( ٢٤٣ ) .

٦٤ — القصري : ذات المصدر — ص ( ٢٤٤ ) .

٦٥ — حسك : ص ( ٩٧ ) .

٦٦ — مقابلة في ٧٣/٣/٢٠ .

٦٧ — مذكرة خطية اعدها احد الاداريين المدنيين مؤرخة في ١٥/٢/٧٢ .

٦٨ — المذكرة الخطية المؤرخة في ١٥/٢/٧٢ .

٦٩ — القصري : الجزء الثاني — ص ( ٢٥٢ ).

٧٠ — كامل الشريف : الاخوان المسلمون في حرب فلسطين — ص ( ١٥٣ ) .

٧١ — كامل الشريف : ذات المصدر — ص (١٧١)

٧٢ — Dan Kurzman : Genesis 1948, *The First Arab-Israeli War*, p. 62, The World Publishing Co., New York and Cleveland, 1970.

٧٣ — Tamir and Karmon : The Legacy of the Jewish Brigade, quoted in Allon's book, *The Making of Israel's Army*, p. 230-231.

٧٤ — عامر حسك : من ماساة فلسطين — ص ( ٥٧ ) .

٧٥ — Y Allon : *The Making of Israel's Army*, p. 11.

٧٦ — Y. Allon : *The Making of Israel's Army*, p. 47-48.

٧٧ — جريدة اخبار اليوم — القاهرية — عدد ( ١٧٨ ) تاريخ ٣/٤/١٩٤٨ .

٧٨ — Y Allon : *The Making of Israel's Army*, p. 36-37.

٧٩ — العارف : النكبة — الجزء الاول — ص ( ٥٤ ) .

٨٠ — العارف : النكبة — الجزء الاول — ص ( ٢٧٨ ) .

٨١ — محمد نمر الخطيب : احداث النكبة — ص ( ٣١٠ ) .

٨٢ — عامر حسك : من ماساة فلسطين — ص ( ١٠٢ — ١٠٣ ) .

٨٣ — حسك : المصدر ذاته — ص ( ١٠٣ ) .

٨٤ — القصري : الجزء الثاني — ص ( ٢٥٥ — ٢٥٦ ) .

٨٥ — القصري : المصدر ذاته — ص ( ٢٤٠ ) .

٨٦ — حسك : المصدر ذاته — ص ( ١٠٤ ) .

٨٧ — حسك : المصدر ذاته — ص ( ١٠٤ — ١٠٥ ) .

٨٨ — مقابلة مع الدكتور امين رويحة — في حمانا بلبنان — بتاريخ ٢/٢/٧٣ .

٨٩ — جريدة النهار : عدد ( ٣٧٩٢ ) تاريخ ٢٥/١/٤٨ .

٩٠ — عامر حسك : ص ( ١٠٥ ) .

٩١ — مذكرة خطية بتاريخ ١٥/٢/١٩٧٣ .

٩٢ — مذكرة خطية اعدها احد الاداريين مؤرخة في ١٥/٢/١٩٧٣ .

# سياسة الملك حسين الفلسطينية عبر بياناته

عصام الصالح

في اليوم الثاني من شهر أيار الماضي مرت الذكرى السنوية العشرون لتسلم حسين بن طلال سلطاته الدستورية ملكا على المملكة الاردنية الهاشمية . وخلال هذه السنوات العشرين التي خضع فيها جزء كبير من الشعب الفلسطيني لحكم مفروض عليه فرضا لم يختره بمشيئته الحرة ، لم يترك حاكم عربي او نظام بصماته على تاريخ هذا الشعب بمثل ما صنع حسين الذي حفر في وجدان الفلسطينيين أخاديد غائرة ستظل والى مدى غير منظور من ابرز العوامل واشدها تأثيرا في تشكيل سلوكية الانسان الفلسطيني وفي تكوين عقله وصنع وعيه الجمعي على حد سواء . فمن بين جميع اشكال السلوك المضاد التي تعرض لها الفلسطينيون سواء أفي مهاجرهم أم في ظـل الاحتلال كان النمط الهاشمي متفردا بينها جميعا : فبالاضافة الى تآمره على القضية الفلسطينية من حيث هي قضية اتخذ حسين محورا متميزا اختص به ، بعد أن ورثه عن جده الملك عبدالله ، يتجه نحو انهاء الوجود الفلسطيني من حيث هو وجود ، وكان ابرز ملامح هذا المحور طمس معالم الشخصية الفلسطينية وانساءها ذاتها ومحو آثارها لدى الفلسطينيين الذين وقعوا تحت حكمه ، ثم يتطور هذا المحور في شكل تصاعدي ليصل الى درجة ابادة الجنس التي بلغت حدها الاقصى في خريف ١٩٧٠ وصيف ١٩٧١ ، ثم ليدفع الفلسطينيين مـن حيث هم مواطنون في دولة مزدوجة الاصول السكانيـة الى الصف الادنى في المواطنة فيصبحوا مواطنين من الدرجة الثانية وهم اغلبية السكان . هذا النمط من السلوك المضاد ان كان يتحمل مسؤوليته مجمل النظـام في الاردن بكل تركيباته الاجتماعيـة والاقتصاديـة والسياسية ، فان حسين باعتباره محصلة لجميع تلك التركيبات من جهة ولكونه يفعل فيها ويؤثر بحكم كونه حاكما مطلقا من جهة ثانية يتحمـل النصيب الاوفى مـن هذه المسؤولية ، فهو من جانب « بنية فوقية » تلتقي فيها ومن حولها جميع اشكال السلوك المضاد وهو من جانب آخر « اساس تحتي » يفرز انماطا من السلوك المضاد يستقطب حولها قوى معادية ويمنحها الحماية والدعم والتغذيـة . وهذا البحث سيلقي بعض الاضواء على شخصية الملك الظاهرة وسياسته الفلسطينية ، ليس من خلال ما كتب عن حسين وانما **من خلال ما قاله حسين نفسه في تصريحاته وخطبه التي تشكـل المصادر الاساسية والوحيدة تقريبا لهذا البحث** ، في محاولة للتعرف عـن كثب على هذا الذي انتصب في نظر شعبنا رمزا لجميع المثل الهابطة .

## عن التصريحات

يكاد الباحث لا يجد مسؤولا عربيا او غير عربي يتحدث ويخطب ويدلي بتصريحات ويوجه رسائل أكثر من حسين . فخلال العام ١٩٦٩ استطاع الباحث ان يحصي اكثر من خمسة وخمسين حديثا للملك حسين بين مقابلة اذاعية او تلفزيونية او حديث صحافي أو خطاب أمام مجموعات مختلفة ، وفي شهر واحد من العام نفسه هو شهر نيسان تمكن الباحث من احصاء عشرة احاديث اذاعية وصحافية . وبالتأكيد فهناك غيرها لم يكن بالامكان

الاحاطة بها . ان ظاهرة كثرة الكلام هذه والملفتة للنظر يمكن ان تفسر ضمن الاطار التالي : لقد استقطب الاردن بعد العام ١٩٦٧ اهتمام أجهزة الاعلام العربية والاجنبية بعد أن اصبح الاردن ساحة رئيسية للوجود المقاوم من جهة وميدانا للصراع بين هذا الوجود والنظام من جهة أخرى ، وكانت معرفة الآراء والاتجاهات التي تصطرع على هذه الساحة أحد الاهتمامات الكبيرة التي حظيت بانتباه هذه الاجهزة التي وجهت همها بشكل كثيف لاكتشاف حقائقها . ومثالا على ذلك نذكر انه في العام ١٩٦٩ وهو العام الذي شهر ارتقاء المقاومة الى اقصى ذراها حصلت اجهزة الاعلام الاجنبية ( اذاعة وتلفزيون وصحافة ) على أكثر من ١٣ حديثا من الملك حسين ، وحصلت هذه الاجهزة العربية على أكثر من ١٢ حديثا . بجانب هذا فقد كان الملك حسين حريصا في أوقات الازمات التي كانت تتعرض لها المقاومة في الاردن على توضيح سياسته وتعبئة القوى المضادة تعبئة يقوم بها شخصيا . ونذكر مثالا على ذلك ان حسين قام في شهر أيار ١٩٧٠ وهو الشهر الذي سبق أزمة حزيران ١٩٧٠ بجولات « تفقدية » على قطعات الجيش الاردني والقى فيها خطبا وقد تمكنا من احصاء ثماني زيارات من هذا النوع خلال شهر واحد هو الشهر المذكور بالاضافة الى خطبه وتصريحاته العامة الاخرى . اذا اضفنا الى ذلك ان المراسلين والصحافيين وجدوا في حسين هدفا سهلا لتوطيد سمعتهم المهنية في اجراء مقابلات مع رجل في قمة المسؤولية في بلده توضحت لنا أسباب كثرة الكلام الذي يصدر عن الملك . فمن خلال استعراضنا لأسماء الصحف التي « حظيت » بأحاديث حسين لاحظنا ان كثيرا منها صحف مغمورة غير واسعة الانتشار ، كما بدا واضحا ان كثيرا من الصحافيين الذين أجروا احاديث مع الملك كانوا يسعـون الى تدريب أنفسهم مهنيا أو تحسـين اوضاعهم . ونذكر مثالا على هذا الامر المقتطف التالي من مقابلة اجرتها احدى الصحف العربية : « في غرفة مكتب أنيقة بقصر بسمان .. مد الي الملك الشاب يده مصافحا .. جذب يدي الى يده في حرارة تعكس حيوية فائرة تمتلىء بها ملامح وجهه العريض .. كان الملك يرتدي ثيابا بسيطة مجرد قميص وبنطلون .. وأمامه كوب شاي لم يفرغ منه بعد. وفي المكان نفسه صافحت عيناي بهجت التلهوني رئيس الديوان الملكي او ابو عدنان كما تعارف الجميع على تسميته ... الخ »(١). وينبغي أن نبرز هنا ان الملك حسين في اغرائه اجهزة الاعلام على محادثته قد فتح ابوابه في أواخر العام ١٩٦٨ امام **صحافيين اسرائيليين ليجروا مقابلات مع الملك** . فقد كتبت صحيفة « التايمز » اللندنية(٢) ان حسين استقبل في قصره بسمان في ١٩٦٨/١١/٢٣ سولومون ستيكول الذي يحمل الجنسية الاسرائيلية واخذ هذا معه الى اسرائيل شريطا مسجلا اذاعه راديو اسرائيل في ١/١٢/ ١٩٦٨ . وقالت الصحيفة ان ستيكول طار من اسرائيل الى باريس حيث حصل على تأشيرة دخول أردنية ثم الى بيروت فعمان . وقد ولد ستيكول في جنوب افريقيه واحتفظ بجواز سفره جنوب الافريقي الذي سهل له دخول لبنان والاردن علـى الرغم من أنه يعيش في اسرائيل منذ عشرين سنة وقالت الصحيفة انه لم يخف حقيقة مكان سكناه في اسرائيل أمام الذين قابلهم في عمان . وقد نشرت الصحيفة نفسها في عدد لاحق(٣) رسالة من ستيكول قال فيها انه لم يكن هناك شك قط لدى جميع السلطات الاردنية بالنسبة لهويته الحقيقية واضاف « ان اذاعة مقابلة الملك حسين من راديو اسرائيل كانت بموافقة تامة من جلالته وان هذه الموافقة مسجلة على شريط المقابـلة ... لقد سألته بشكل محدد اذا كان يوافق على أن تذاع هذه المقابلة المسجلة الى شعب اسرائيل في اسرائيل فوافق الملك » . كما أدلى الملك حسين بحديث صحافي آخر الى ادا لوتشياني التي تعمل مراسلة لمجلة « اسبرسو » الايطالية وفي الوقت نفسه مراسلة لصحيفة « معاريف » الاسرائيلية . وقد نشرت المقابلة في الصحيفتين الايطالية والاسرائيلية في ١٩٧٢/١/٢٨ في وقت واحد(٤)، كما ذكرت « رويتر » ان الملك واعضاء حاشيتـه كانوا يعلمون ان لوتشياني يهودية ومراسلة لصحيفة « معاريف » الاسرائيلية(٥).

يلاحظ في خطب الملك وتصريحاته مستويان متباينان من حيث الشكل : المستوى الاول ذلك المكتوب والذي يتميز بكفاءة لغوية وانشائية مرتفعة يعززها صوت حسين نفسه الاذاعي ، والمستوى الثاني ذلك الذي يلقيه ارتجالا والذي يتصف بالابتذال الشكلي بالاضافة الى فراغ المضمون . وسنذكر هنا بعض الامثلة التي توضح ما نريد . مقابل الانشائية وفحولة اللفظ التي ترد في هذا النص : « اذا هوى احدنا هوى واحدى يديه على الجرح وأخرى تحتضن التراب الغالي المغسول بمسفوح النجيع ، شعارنا المنية ولا الدنية ، الصبر أو القبر ، وهتافنا لبيك اللهم لبيك نحن الخلف لذلك السلف ... يذهب غيرنا بالخزي ونذهب نحن بالشرف ، ويهوي غيرنا الى الحضيض ونعلو نحن للذرى ، يلبس غيرنا العار ونلبس نحن المروءة والفخار ... »(٦)، ومقابل هذا النص التالي الذي القاه في احد مؤتمرات القمة : « ان التغني بالمجد لا يصنع المجد وغناء السائر في الظلام لا يطرد عن نفسه الفزع ، فالمجد منذ أن كان طريقه واحد وما لم يكن القلب شجاعا باسلا عجزت كل الدنيا عن طرد الخوف الذي يقيم فيه »(٧)، مقابل هذا الاسلوب المثقل بصنوف البيان والبديع نقرأ هذا الاسلوب من الصنف الآخر : « كل انسان في هذا البلد هو عضو في هذه الاسرة اللي بننتمي اليها ولو أراد هذا الشعب انه يثور وانه يغير وانه يبدل لو كان فيه وعي عنا كان يعتقد بأنه كانت العملية سهلة جدا وكان ثم اي تغيير يريده هذا الشعب كثير من الجهات حاولت ان تقسم وتفرق لكن بطبيعة الحال لا هذا صحيح ولا هو واقع وشعبنا عنده من الوعي عنده من التصميم عنده من القدرة على انه يدرس الامور ويوصل الى النتائج الشيء الكثير ... »(٨). هذا التفاوت في الاسلوبين المكتوب والمرتجل يعزز الاعتقاد بأن خطب حسين من انشاء غيره ، وقد رجح لدينا من خلال مراجعة هذه الخطب ان كاتبها ( او كاتبيها ) ذو ثقافة شكليـــة يهتم بالمحسنات اللفظية وبالكلام المنمق الذي يصل الى حد استعارة الاساليب العربية القديمة في التعبير، وهي أساليب يعجب بها خريجو الازهر مثلا في عهده القديم .

## صورة شخصية

يحاول حسين في خطبه بشكل خاص ان يرسم لنفسه صورة شخصية نستطيع ان نتلمس ملامحها كما يلي : يطرح حسين نفسه ليس كملك على بلد معروف الامكانات المحدودة وانما كزعيم ينطق باسم الامة العربية جمعاء . ففي أواسط العام ١٩٦٤ قام بزيارة عدد من الدول الاجنبية وحال عودته القى خطابا قال فيه(٩): « لقد ذهبت الى مجموعة كبيرة من الدول والاقطار لاتحدث هناك باسم الملايين من العرب في كل مكان » . ويصف تأثير زيارته تلك على الرأي العام العالمي بأن « ذلك الراي قد تزحزح عن مواقفه وان أساسا متينا قد أرسي في صفوف الملايين من العالم الغربي ... وأكثر من ذلك فان قلوب هذه الملايين قد أصبحت مفتوحة ومستعدة لاستقبال دعوة الحق العربي » . هذا « الانجاز » الذي حققه حسين في زيارة واحدة يخفي خلفه شخصية دون كيشوتية طريفة لا تعرف حقيقة قدرها وهي في الوقت نفسه تكيل لنفسها المديح بلا حساب وبأسلوب مبتذل قل له نظير : « لقد عدت بالامس الى بلدي الحبيب ومعي آلامي التي ترتحل معي وتعايشني الليل والنهار . وعاد معي الى جانبها قدر غير يسير من التعبوالارهاق والاجهاد اراد الله ان يصبح من زمان جزءا من حياتي . واقبلت على صحف اليـــوم اقرأها بشوق واتفحصها بدقة **فوجدت فيها سطورا تشيد بالجهد الذي ابذله لخدمة قضيتنا المقدسة** وما سيكون لذلك الجهد في سائر ابعاده من نتائج على المعركة »(١٠). وهو اذ يكيل المديح لنفسه لا يبخل بالقيم ينثرها جزافا على هذه النفس ، « لقد منّ الله علينا سبحانه فمكن لنا من العزم والمضاء ما يرفعنا الى مستوى آمالنا الكبار نستخف بالموت لوعيد الله ، ونستهين بالحتوف ابتغاء لقاء وجهه ، يستهوينا في المعامع السقوط على الثرى المقدس وأرواح انفاس الجنة . اذا اختار غيرنا الراحة مع الذل عشقنا نحن ازيز الرصاص

ولعلعة السلاح وهدير المدافع »(١١). و « انا قبل كل شيء وبعد كل شيء وريث رسالة وهبت لخدمتها عمري وحامل امانة افتديتها بدمي وروحي »(١٢). غير ان هذه الملامح التي تصلح لقائد عظيم تقابلها جوانب أخرى هي بالتأكيد جوانب حقيقية من شخصيته : شخصية المترف المدلل الذي يمارس هواياته الشخصية المترفة ويتعمد أن يسرب للصحافة العالمية اخبار هذه الهوايات . فتكتب مجلة « التايم » الاميركية(١٣) انه يتزلج في مياه العقبة ويتجول في قصره على دراجة بخارية ويرسل زوجته الاميرة منى كل بضعة أشهر لتجدد ملابسها في باريس او لندن ، وتنشر له المجلة صورة وهو راكب دراجة بخارية في قصره . كما تنشر له « الجارديان » صورة أخرى وهو يطفىء شموع عيد ميلاده السادس والثلاثين(١٤). حتى والدم يلطخه كله في ايلول الاسود لا يجد حرجاً في أن يمارس هوايته في الاتصال بالراديو مع هواة هذه اللعبة في بريطانيه والولايات المتحدة(١٥).

بجانب ذلك يحرص الملك حسين على اعطاء الانطباع في كل مناسبة وبدون مناسبة بأنه هو الحاكم الوحيد المطلق في الاردن . فكتب التكليف التي يوجهها لرؤساء وزرائه تكون عادة تفصيلية مطولة ترسم سياسة الحكومة للفترة القادمة(١٦). كما يحرص الملك على ان يوجه الى رؤساء وزرائه رسائل تنشرها وسائط الاعلام في المناسبات التي يرى ان تدخله العلني ضروري لتنفيذ أمر معين ، كتلك الرسالة التي وجهها الى وصفي التل في تشرين الثاني ١٩٦٦ والتي طلب فيها اتخاذ الاجراءات لسوق المواطنين للخدمة الاجبارية(١٧). وقد جاء ذلك الاجراء في اعقاب التظاهرات الصاخبة التي قام بها المواطنون في الاردن في اعقاب معركة السموع الشهيرة . كذلك تلك الرسالة التي وجهها الى التل نفسه في حزيران ١٩٧١ والتي يدعوه فيها الى الوقوف بحزم ضد حركة المقاومة(١٨). وهو في مثل تلك الرسائل يحاول أن يؤكد صورته بأنه الحاكم المطلق الذي يصف رئيس وزرائه بـ « وزيري ومستشاري الاول »(١٩). وحسين يهمه جداً ان يظهر بهذه الصورة . فعندما نشرت صحيفة « صنداي تيليجراف » في العام ١٩٦٨ ان حسين عرض الوزارة على وصفي التل الذي اشترط شروطاً معينة لقبول هذا المنصب(٢٠)، سارع حسين الى ارسال رسالة الى الصحيفة نفسها نشرتها في عددها التالي قال فيها « انني شخصيا لا أزال مهندس السياسة الاردنية »(٢١).

ان خطب حسين من ناحية سيكولوجية تبرز جانبا مرضيا من شخصيته ، جانب عشق الذات الذي تظهر اعراضه ، بالاضافة الى ما ذكرناه من مدح نفسه ، في ذكر اسمه شخصيا في كثير من الخطب والاحاديث : « تحية لابناء الضفة الغربية ، تحية لهم جميعا من **الحسين** »(٢٢) ، «أكرم باسم كل **أخوة الحسين** على هذه الارض العربية الطهور... سلاحنا المدرع ... »(٢٣). وعندما يخاطب مؤتمر اتحاد اذاعات الدول العربية الذي عقد في عمان في ١٩٧٠/٢/٢٨ يطلب من المؤتمرين ان « تولوا للانسان العربي كل ما يجعل منه انساناً افضل واتوى وانبل، تولوا له كل لحظة ودقيقة ... **ان في الاردن ... حسينا** عاهد الله والوطن أن يعيش للامة والقضية ... »(٢٤). هذه الظاهرة المرضية غذاها أولئك المستفيدون من حكمه فصوروه لنفسه بأنه القائد الملهم الذي لا يخطىء . سنذكر هنا مثلا على ذلك . لقد وجه حسين في العام ١٩٦٧ رسالة الى رئيس وزرائه سعد جمعة يتحدث فيها عن الادب والفن ويطرح آراء ليس هذا البحث مجالها(٢٥). ويكتب جمعة الرسالة التالية الى حسين جوابا على رسالته : « تلقيت بالاجلال والتعظيم رسالة جلالتكم السامية التي تفضلتم فحملتموها **قبساً من نور حكمتكم الهادية** وطرفا من شعلة الضياء التي تنير اعمق الاعماق من قلبكم الكبير المتلىء أبدا بالمحبة الصافية والوفاء الاصيل ... ولقد تمت على الفور يا مولاي بتحويل الرسالة الى معالي وزير الاعلام ليتولى بدوره حسب أمركم الكريم نشرها في صحفنا حتى يستطيع كل مواطن في بلدكم الغالي بضفتيه أن يعيش مع ما احتوته من **رفيع الفكر وعميق الوطنية وأصيل**

الرأي ... انني واثق من ان رائعة جلالتكم الاخيرة هذه ستعلمنا جميعا كيف نملأ كل لحظة من لحظات حياتنا بالجليل الرفيع من الفكر والعمـــل . الخادم الامين سعـــد جمعة »(٢٦) .

هذه الصورة التي يرسمها حسين لنفسه تكتمل مع مواقفه السياسية وهي الموضوع الرئيسي في هذا البحث . وسنعرض لهذه المواقف تحت عناوين فرعية نتيح بها لحسين أن يلقي هو نفسه الضوء على افكاره وآرائه وسياساته خلال فترة امتدت من اواسط العام ١٩٦٤ عندما انشئت منظمة التحرير الفلسطينية حتى الآن .

## اسرائيل

ان فهم موقف الملك حسين من اسرائيل يوضح كثيرا من مواقفه السياسية تجاه القضية الفلسطينية والمقاومة معا . وقد أوجز حسين هذا الموقف من اسرائيل في مؤتمر صحافي عقده في عمان في ١٩٦٩/٤/٢٩ قال فيه : « ان العالم معنا وعلى استعداد لمساعدتنا ودعمنا فيما يتعلق بحقنا واسترجاع ما فقدناه من ارضنا في حزيران عام ١٩٦٧ ولكن هذا العالم أيضا مع بقاء اسرائيل في هذه المنطقة »(٢٧) . اي بكلمات اخرى ان « حقنا » يتوقف عند خطوط الرابع من حزيران ١٩٦٧ فقط ، كما ان الارض التي قامت عليها اسرائيل حتى ذلك التاريخ ليست من « ارضنا » . وهذا الاعتراف بالوجود الاسرائيلي لم يكن طارئا بسبب حرب حزيران وانما يعود الى ما قبل هذه الحرب . ففي مطلع العام ١٩٦٧ دعا حسين في مقابلة اجرتها معه صحيفة « الصانداي اكسبرس » البريطانية(٢٨)، دعا الاسرائيليين الى التعاون من اجل قهر الطبيعة القاسية والصحراء . غـــير ان هذا الاعتراف الواقعي باسرائيل والذي وصفه حسين في شهر تشرين الثاني ١٩٦٧ بأنه «أمر قائم»(٢٩) كان يصطدم ، من إجل أن يتحول الى «اعتراف قانوني»، بتعنت اسرائيل وتمسكها بما احتلته من أرض في العام ١٩٦٧ . فحسين على استعداد لمثل هذا الاعتراف كما اخبر صحيفة « الاوبزرفر » البريطانية في شباط ١٩٧١(٣٠) كما انه على استعداد لتوقيع معاهدة صلح معها اذا ما انسحبت من الاراضي العربية المحتلة . كذلك فقد ابلغ حسين مجلة « لوي » الفرنسية في العام ١٩٧١ انه سيكون على استعداد للبحث في امكان الوصول الى **اتفاق ثنائي مع اسرائيل** اذا ما قدمت اسرائيل اقتراحا واضحا لذلك، واكد انه ليس خائفا من معالجة القضية وحده مع الاسرائيليين(٣١) . ويصل به الامر في مطلع العام ١٩٧٢ الى التفكير بالاتحاد مع اسرائيل « ولكن لم يحن بعد الاوان للتحدث عن فكرة الاتحاد مع اسرائيل » كما أبلغ صحيفة « الاكسبرس » الفرنسية(٣٢) . ويكشف لصحيفة « السياسة » الكويتية انه في مؤتمر الخرطوم كان رأيه « عدم التقيد بالشعار الذي قال لا صلح ولا مفاوضات ولا أعتراف باسرائيل ، ما دامت خطتنا هي البحث عن وسيلة سلمية لاستعادة أرضنا »(٣٣) . بيد ان اسرائيل لم تعطه « شرف » تحقيق ذلك ، فسياستها تجاه الاراضي المحتلة كانت ولا تزال التشبث بها لاطول فترة ممكنة وخلق « حقائق » جديدة فيها لابتزاز أكثر ما يمكن من تنازلات من الجانب العربي . وقد تمثلت تنازلات حسين بالاضافة الى تآمره على المقاومة الفلسطينية ومساومته على حق الشعب الفلسطيني ، باعلانه انه على استعداد لقبـــول تغييرات في « الحدود » الاردنيـــة الاسرائيلية . فقد ابلغ صحيفة « نيويورك تايمز » اواخر العام ١٩٧٠ « اننا لن نقول لا لبعض التصحيح الذي يجعل الخط معقولا اكثر ومنطقيا اكثر في سياق حل المشكلة»(٣٤) . وهو يوضح حجم هذا التصحيح في مقابلة أجرتها معه صحيفة « دي فيلت » الالمـــانية الغربية(٣٥) بقوله « ان المرء يستطيع **أن يتفاوض في شأن شوارع وقرى وخطوط** غير مقبولة » .

وقد حاول حسين ان يعطي هذا الاتجاه في موقفه من اسرائيل تبريرات نظرية، فبالاضافة الى ما ورد في الفقرة السابقة عن « ان العالم مع بقـــاء اسرائيل » ، يجد حسين ان

لاسرائيل ثلاثة وجوه ( كما ذكر ذلك في رسالة بعث بها الى بهجت التلهوني رئيس وزرائه في العام ١٩٦٨ )(٣٦) « يطغى أحدهما على الوجهين الآخرين بين آونة وأخرى : وجـــه متطرف ... تتعدى اطماعه حب السيطرة على كل المناطق التي تحتلها اسرائيل اليوم الى مناطق أخرى في وطننا العربي ... الوجه الثاني يحاول أن يقول لابناء فلسطين وللعالم ان المشكلة هي فلسطينية اسرائيلية ... محـــاولا الوصول الى اقامة دويلة هزيلة ... والوجه الثالث هو **وجه معتدل يريد دولة يهودية بغالبية سكانها وحلا لمشاكله مع جيرانه** ... » . بمثل هذه النظرة التي تزور الواقع ينظر حسين الى اسرائيل ويطلب من حكومته ان تتخذ هذه النظرة سياسة رسمية . وهـــو في الوقت نفسه ينظر الـــى مستقبل اسرائيل في المنطقة ليس من خلال الواقع العربي وامكاناته وانما من خلال ما يقرره القادة الاسرائيليون لها ، فلدى سؤاله في مقابلة مع صحيفة « الصاندي تايمز » عن مشاعره الخاصة تجاه مستقبل اسرائيل كدولة ، اجاب « ان ذلك يعتمد على القادة الاسرائيليين وعما اذا كانوا قادرين على اغتنام الفرصة لارساء سلام دائم في المنطقة وعلى تقريرهم ما اذا أرادوا ان تتقبل كدولة في المنطقة او تبقـــى عنصرا غريبا محاطا بالعداء »(٣٧). وقد عبر حسين عن رايه في هؤلاء القادة بوضوح ففي مقابلة تلفزيونية في نيويورك(٣٨) قال عن موشيه ديان « اني معجب به كثيرا كرجل عسكري قدير ومخلص لعمله » ، وفي مقابلة تلفزيونية أخرى في باريس(٣٩) أبلغ حسين ان ديان مدحه مؤخرا فقال « ان ذلك لطف منه وهو رجل كفؤ » ، كما وصفه في مناسبة اخرى(٤٠) بأنه « جندي قدير جدا ولانني جندي فاني أكن له احتراما كبيرا » . كما قال عن جولدا مئير « ان المسز مئير تحتل دون شك مركزا مرموقا جدا بكفاءة »(٤١) .

## الولايات المتحدة الاميركية

ليس افضل من كلام صلاح ابو زيد ، الوزير الاردني المقرب من ملكه ، وصفا للعلاقة التي تربط حسين بالولايات المتحدة الاميركية . ففي مقابلة مع « النيويورك تايمز »(٤٢) قال ابو زيد الذي كان آنذاك وزيرا للاعلام: « اليس من الملاحظ ان هذا الملك بعد هزيمته في السنة الفائتة قد ثابر على صداقته للولايات المتحدة ؟ في هذا الوقت وفي قلب العالم العربي حيث يحذر كل انسان من الولايات المتحدة ، يقف هذا الملك ويقول في مجالس القادة العرب ( لقد كنا ولا نزال وسوف نظل اصدقاء للولايات المتحدة . اننـــا نؤمن بالولايات المتحدة ) » . وحسين نفسه يصرح بهـــذه الصداقة ، ففي تصريح له لوكالة « الاسوشيتدبرس » يقول(٤٣): « كنت دائما اعتبر نفسي صديقا للولايات المتحدة ، وكنت فخورا بعلاقاتنا » . وهو من اجل هذه « الصداقة » يمارس اكبر عملية غش سياسي عندما يزيف مواقف أميركه أمام الرأي العام ويظهرها على غير حقيقتها . ففي مقابلة مع تلفزيون الجمهورية العربية المتحدة في العام ١٩٦٨(٤٤) يؤكد ان هناك « تحسنا » في موقف الولايات المتحدة بالنسبة لازمة الشرق الاوسط . وعن شكل هذا التحسن يقول انه « مزيد من الشعور بأن عليهم واجبا يجب ان يؤدوه وما في شك مشكلتنا هـــي في الولايات المتحدة بالنسبة لنفوذ الصهيونية هناك . على سبيل المثـــال اعتقد بأنه فيه انزعاج الى حد كبير من قضية الازدواج في الولاء ... وفيه فهم للقضية » . وعن موقف الرئيس نيكسون قال في اثناء زيارة قام بها الى الولايات المتحدة في شهر نيسان ١٩٦٩ « ان نيكسون يريد أن يمارس ضغطا على الاسرائيليين اكثر ممـــا كان في عهد الادارة السابقة وانه يريد سلاما في الشرق الاوسط عادلا بالنسبـــة لجميع الاطراف »(٤٥) . وتلخيصا لزيارته المذكورة القى خطابا في الراديو والتلفزيون الاردنيين قال فيه: « غادرتها [ الولايات المتحدة ] وانا اشعر بتحول ملموس وحسن في الموقف على المستوى الرسمي بشكل خاص والمستوى الشعبي بشكل عام »(٤٦) . كما عقد مؤتمرا صحفيا اكد فيه ان أميركه « غير حريصة على الظهور بمظهر الانحياز الى جانب دون الآخر »(٤٧) . هذا

الاصرار على تبرئة الولايات المتحدة من الانحياز كان يصفع أحيانا بخيبة أمل حسين في قيمة صداقته مع اميركه . فاذا كانت الولايات المتحدة تريده فعلا أكثر من صديق فان مراهنتها الاساسية في المنطقة العربية هي على جوادها الرابح دائما وغير القابل للتبدل، نعني اسرائيل . وتظل مراهنتها على أصدقائها الآخرين في المنطقة من أمثال حسين مرهونة بظروف المنطقة من جهة وبقدرة هذا الصديق على تنفيذ سياستها بكفاءة وفعالية من جهة أخرى . لذلك فمع كل التزوير الذي مارسه حسين بالنسبة لحياد اميركه وعدم انحيازها فان الولايات المتحدة لم تكن حريصة على تبييض وجه حسين على حساب استراتيجيتها في المنطقة الرامية الى تعزيز قدرة اسرائيل العدوانية . ويدرك حسين هذه الحقيقة فيقول في مقابلة على التلفزيون الاميركي : « ان السؤال الذي يوجه الي باستمرار من عدد كبير من الزعماء في العالم العربي بصفتي صديقا للولايات المتحدة هو ماذا عملت الولايات المتحدة لك وللاردن في أزمتكم الحالية ، ومع الاسف فانني اجد من الصعوبة جدا الاجابة على هذا السؤال »(٤٨). ربما كان اكثر ما يؤلم حسين أن اميركه عاملته صديقا من الدرجة الثانية . ففي مقابلة له مع وكالة الاسوشيتدبرس(٤٩) يعلن انه كان دائما يعتبر نفسه صديقا للولايات المتحدة وأنه كان دائما يسعى الى اقامة علاقات اوثق واكثر ودا معها « لكن هذا لم يقابل بالمثل لسوء الحظ » . بيد ان صداقة الولايات المتحدة تأكدت بشكل حاسم عندما اثبت حسين في أيلول ١٩٧٠ انه صديق كفؤ يعتمد عليه . وكان برهان الثقة الاميركية في الملك الذي أرتفع بالتأكيد الى رتبة صديق من الدرجة الاولى قد جاء مباشرة بعد مجزرة ايلول . ففي الزيارة التي قام بها حسين الى واشنطن في نهاية العام ١٩٧٠ حصل على وعود تشمل تزويده بـ ١٨ مطاردة اضافية من طراز ستارفايتر ف ــ ١٠٤ ، ٤٥ دبابة من طراز باتون م ٤٨ ، ٩٠ مدرعة خفيفة لنقل الجنود ، اعتمادات عسكرية مجموعها يبلغ ٣٠ مليون دولار بالاضافة الى المساعدات التي وافق عليها مجلس النواب الاميركي وهي بالقيمة نفسها(٥٠). كما كشف حسين نفسه في اثناء هذه الزيارة في مقابلة تلفزيونية أذيعت في نيويورك انه طلب من الرئيس الاميركي خلال اجتماعه به مبلغ ٢٠٠ مليون دولار مساعدات عسكرية موزعة على خمس سنوات او عشر سنوات(٥١). ومقابل هذا البرهان الذي تلقاه حسين من الولايات المتحدة نشط شخصيا في ترويج الدعوة الى السياسة الاميركية . ففي اعقاب زيارة أخرى قام بها الى الولايات المتحدة في العام ١٩٧٢ خطب في اجتماع للقادة العسكريين في الاردن قائلا « لقد أعطينا في تلك الزيارة الى الولايات المتحدة صورة واضحة عن بلدنا ... انهم هناك يحترمون واقعنا ويقدرونه ويقدرون شجاعة هذا الشعب وهذه الاسرة التي ننتمي اليها »(٥٢).

## المقاومة وموضوعة تمثيل الشعب الفلسطيني

ان موقف حسين من اسرائيل ، الذي توضح في الفقرات السابقة ، يعكس بالضرورة موقفه من المقاومة الفلسطينية وموضوعة تمثيل الشعب الفلسطيني . ذلك ان ثمة تناقضا اساسيا بين المقاومة والملك حسين في مسألة الوجود الاسرائيلي على الارض الفلسطينية . فبينما تستهدف المقاومة في نضالها هذا الوجود نفسه ينظر حسين الى اسرائيل باعتبارها أمرا واقعا يقر ويقبل ببقائه . ومن هذا المنطلق ، من واقع الاعتراف بالوجود الاسرائيلي واستمراريته ، كان تعامل حسين مع المقاومة منذ ان كانت المقاومة حتى الآن. واذا كانت هناك فترات جهر فيها حسين بتأييده للمقاومة في خطبه وتصريحاته فاننا سنرى في فترات لاحقة ان ذلك الموقف الذي أعلنه حسين لم يكن أصيلا ، وانما كان رضوخا لارادة تغلبت على ارادته ، ولاهداف ابعد ما تكون عن تلك التي قاتلت المقاومة من أجل انجازها . اما الموقف الثابت الذي وقفه حسين فهو معاداة المقاومة من جهة وانكارها حقها وحق منظمة التحرير الفلسطينية في تمثيل الشعب الفلسطيني من جهة

ثانية . وهذا الموقف لم يتبدل قيد شعرة في جوهره على الرغم من موجة **التأييد اللفظي** التي امتدت خلال الفترة التي أعقبت الكرامة في آذار ١٩٦٨ وحتى أزمة حزيران ١٩٧٠ . وسنتعرض هنا لاقوال حسين في هذه الفترة بالاضافة الى فترة سبقتها ابتدات منذ اواسط العام ١٩٦٤ حتى معركة الكرامة ، وفترة لحقتها تبتدىء مع ازمة حزيران ١٩٧٠ حتى الآن .

**المرحلة الاولى ــ اواسط العام ١٩٦٤ حتى معركة الكرامة :** شهدت هذه المرحلة أحداثا كبيرة كان لها تأثيرها الحاسم في مجرى القضية الفلسطينية : قيام منظمة التحرير الفلسطينية ( م ت ف ) في ايار ١٩٦٤ ، بدء الثورة الفلسطينية في مطلع العام ١٩٦٥ ، حرب حزيران ١٩٦٧ ، استئناف العمل الفلسطيني المسلح في آب ١٩٦٧ ، واختتمت بمعركة الكرامة التي اعتبرت بنتائجها انعطافا حادا في مسيرة الثورة الفلسطينية نحو الاتساع والتصاعد . وخلال هذه المرحلة كلها كان النظام الاردني وعلى رأسه حسين يجاهر بموقفه المضاد للثورة الفلسطينية الممثلة بالعمل المسلح داخل الارض المحتلة وبالنشاط السياسي الذي كانت تقوم به ( م ت ف ) بهدف ارساء قضية تمثيلها للشعب الفلسطيني . وكانت اقوال حسين المتعددة في هذه المرحلة لا تخفي هذا الموقف المضاد .

كان فهم حسين لدواعي انشاء المنظمة هو ما عبر عنه بقوله : « اما المنظمة فقد فهمنا ان تشكيلها ما هو الا لملء الفراغ في المجتمعات الدولية وابقاء القضية الفلسطينية حية في الاذهان **والقيام بتنظيم وتعبئة طاقات الفلسطينيين خارج الاردن** »(٥٣). غير أن (م ت ف) ارادت غير ذلك،وعندما وجهت همها للعمل داخل الاردن ــ حيث اكثرية الفلسطينيين ــ اصطدمت بمواقف حسين منها الذي ابتدأ بشن حملة على المنظمة نفسها وبعملية تشكيك بالاغراض التي تسعى الى انجازها.وقد اتخذت هذه الحملة عدة محاور نجملها كما يلي: بدأ حسين بالتأكيد على وحدة الضفتين : « امتزجت الضفتان في مشاركة حقيقية في كل شيء ... وكل ما سمعناه ونسمعه اخيرا من نزوات مريبة ونغمات نشاز لا يقصد بها الا تفتيت البناء الواحد وتمزيق الكيان الواحد وهو ما لا نسمح به بحال من الاحوال »(٥٤). وحسين من هذا المنطلق يسعى الى ان يوحي بأن أهداف المنظمة هي فصل الضفة الغربية عن الضفة الشرقية ، واكثر من ذلك ، العمل على شق وحدة الشعب في الاردن ، فهو يقول « ان الاردن يعتبرها قضية حياة او موت منذ أن اندمجت الضفتان وانصهر الشعبان واصبحت فلسطين هي الاردن والاردن فلسطين ... ان تشجيع الانقسام هو خيانة وطنية وان كل فرد يقدم في مثل هذه الظروف ... على الاخلال بالامن هو خائن او منحرف أو عميل»(٥٥). هذه الايحاءات اخذت لها شكلا واضحا صريحا عندما تأزم الموقف بين حسين و ( م ت ف ) في العام ١٩٦٦ . في مطلع ذلك العام دعا حسين الى « مؤتمر شعبي كبير »(٥٦) خطب فيه قائلا « الحملة الغريبة المريبة التي وجهها الينا رئيس منظمة التحرير واجهزته لا يمكن انتفسر بغير كونها تستهدف ضعضعة الاوضاع في الاردن وتمزيق شمل الاسرة الواحدة » . ثم في مناسبة اخرى اوضح حسين ما ذهب اليه بقوله : « ان الشقيري اخذ يشن حملة متجنية على الاردن ... تستهدف بجلاء ووضوح سلخ المواطن الاردني الفلسطيني في غرب نهر الاردن عن اخيه المواطن الاردني الفلسطيني في شرق النهر »(٥٧).

ومحور آخر سار عليه حسين في حملته على المنظمة وتشكيكه بتوجهاتها هو ان هدف ( م ت ف ) هو « الخروج عن نطاق القيادة العربية الموحدة التي هي الامل الاخير في معركة التحرير »(٥٨)، كما انها « تستهدف نسف مؤتمرات القمة ومقرراتها وتمزيق وحدة العرب وكشف المقررات السرية ذات الطابع العسكري والتنكر لميثاق التضامن العربي »(٥٩). وحسين يعتبر « ان الخطة الشيوعية تقضي بتدمير مؤتمرات القمة العربية ، وهذه الخطة مسؤولة عن جميع المتاعب وانواع الضغط التي يتعرض لها

الاردن »(٦٠). لذلك ففي الخطاب الذائع الصيت الذي القاه في عجلون في ١٤ حزيران ١٩٦٦ والذي اعلن فيه زوال « امكان التعامل مع هذه المنظمة بمضمونها الحالي جملة وتفصيلا » في هذا الخطاب « وحد » حسين بين الشيوعية و ( م ت ف ) وشن هجوما عنيفا على « المخربين الذين كفروا بعروبتهم يوم اعتنقوا كل مبدأ هدام وفكر دخيل ووحدوا صفوفهم اليوم في العمالة للشيوعية الدولية ، ليطلوا اليوم جميعا بوجوههم الكالحة وحقدهم الاسود ونواياهم الخبيثة من خلف اقنعة البطولة والحرص على القضية التي ارتدوها في غفلة من الزمن فأوصلتهم فيما اوصلتهم حتى الى منظمة التحرير »(٦١). واستطرادا علينا أن نذكر هنا أن جميع الحملات التي قام بها النظام الاردني ضد الحركة الوطنية في الاردن كانت تتستر بقناع مقاومة الشيوعية في البلد. وفي هذا الخطاب الاخير اعتبر حسين أن الشيوعية اشد خطرا من اسرائيل فـ « الشيوعية بقواها الهائلة ومخططاتها لبلشفة العالم يتضاءل بالمقارنة بها الخطر الصهيوني ذاته على ابواب وطننا العربي » . وواضح من مثل هذا الطرح ان حسين كان جادا في صرف انظار شعبه عن الخطر الحقيقي الماثل في قلب الدار نفسها . وفي اكثر من مناسبة ربط حسين بين الشيوعية و( م ت ف ) . فقد أعتبر ان الهجوم الذي شنته القوات الاسرائيلية على قرية السموع في ١٩٦٦/١١/١٣ « كان تدبيرا مدروسا وفق مخطط مدروس يرمي الى جر قواتنا الى معركة مفتعلة مصطنعة تسند العدو فيها قوى اخرى [ هي ] قوى الاستعمار وقوى الماركسية ... وقوى الطابور الخامس من بني قومنا وفي طليعته منظمة التحرير الفلسطينية »(٦٢)، كما اعتبر أن التظاهرات التي عمت الضفة الغربية في أعقاب الهجوم على السموع « نجمت عن ثلاثة اسباب مجتمعة : الهجوم الاسرائيلي وأعمال الشيوعيين والماركسيين واعمال منظمة التحرير الفلسطينية »(٦٣).

على هذه المحاور مجتمعة سار حسين في حملته ضد المنظمة وعمل على مجابهتها في الاردن . وكان للمنظمة في هذه المرحلة مطلبان رئيسيان في الاردن : تشكيل وحدات عسكرية وحق تنظيم الشعب الفلسطيني . وكان موقف حسين من المطلب الاول هو كما يلي : « بما أن هذا الشعب في هذا البلد هو شعب فلسطين فلا مجال ولا مكان لاية تشكيلة عسكرية اخرى مهما صغرت لا تخضع لقيادته [ الجيش الاردني ] ولا تحمل شعاره ولا تنضوي تحت راياته الخفاقة بالشرف »(٦٤). ولم يكتف حسين بذلك بل اعتبر ان جيشه هو « جيش التحرير الفلسطيني » الذي كانت المنظمة قد انشأت تشكيلاته في غزة وسوريا والعراق . ففي خطاب له يقول : « ان قواتنا المسلحة ... هي جيش فلسطين ... وان جيشنا ... هو جيش التحرير »(٦٥)، ولذلك فـ « اذا كان هذا الجيش هو جيش فلسطين وجيش التحرير فلا لزوم ولا ضرورة لخلق تشكيلات جديدة تابعة لجهات تعيش في غير هذا البلد »(٦٦). لقد رفض حسين تشكيل قوات فلسطينية في الاردن ، وكمحاولة منه لتطويق هذا المطلب الشعبي الذي اشتد بشكل خاص بعد الهجوم على السموع طلب الملك من وصفي التل ، رئيس وزرائه ، في رسالة وجهها اليه في ١٩٦٦/١١/١٩(٦٧) ان يتخذ مع المسؤولين الاخرين جميع الترتيبات لاقتياد كل انسان يصلح للخدمة العسكرية فورا الى التجنيد . وقال حسين انه ليس على من ينشد خدمة بلده الا ان يقدم نفسه للجهات المسؤولة ليجند « اما اذا ظهر فينا بعد ذلك من تسول له نفسه الانصراف عن هذا الشرف الى الفوضى والتخريب واتباع المضللين فليعاقب بلا هوادة ... » وقد اقر مجلس الوزراء بعد أقل من اسبوع مشروع قانون للخدمة الاجبارية(٦٨) التي ادخلت الشباب في قفص معسكرات الاعتقال .

اما بالنسبة للمطلب الثاني الذي رفعته المنظمة وهو حقها بتنظيم الشعب الفلسطيني في الاردن فقد قال حسين : « اذا كان ابناء فلسطين من العائدين قد بدأوا منذ زمن غير بعيد في تنظيم صفوفهم في غير الاردن فقد بدأنا ذلك نحن قبل سنوات وسنوات »(٦٩).

كذلك اشرنا الى ان حسين فهم ( او اراد ان يفهم ) ان نشكيل المنظمة هو للقيام بتنظيم وتهيئة طاقات الفلسطينيين خارج الاردن « اذ أن الاردن مستمر في ذلك التنظيم منذ زمن طويل »(٧٠). وحسين لا يوضح ماهية هذا « التنظيم » ولكنه يعلن انه « لا تنظيم في هذا البلد لا ينبثق عن حاجته للتنظيم من خلال اجهزته ولا تجنيد لاحد في غير صفوف قواته المسلحة »(٧١). وبذلك الغى حسين مبرر وجود المنظمة في الاردن التي اتهمها بأنها « تعمل لقلب الحكم في الاردن ولذلك فهو لا يستطيع ان يسلم عنقه للجلاد »(٧٢). وهذا الامر دفعه الى سحب اعترافه بالمنظمة في رسالة بعثت بها الحكومة الاردنية الى جامعة الدول العربية في كانون الثاني ١٩٦٧ (٧٣). وكانت هذه خاتمة مطاف مرحلة من العلاقة ابتدأت بمؤتمر صحافي عقده حسين في الاسكندرية في ١٩٦٤/٩/١٥ زعم فيه « بالنسبة للكيان [ الفلسطيني ] انا الحقيقة مسرور للغاية لانه تحقق هدف من أهداف اخواننا أبناء فلسطين ، وواثق من انه راح يكون بينا وبين اخوانا في الوطن العربي التعاون حتى نتمكن فعلا من افساح المجال بكل معنى الكلمة لابناء فلسطين ليكونوا في الطليعة في سبيل استرداد الحقوق العربية في فلسطين »(٧٤).

كان يوازي موقف حسين من ( م ت ف ) موقف مماثل من العمل الفدائي الذي لم يكن الملك في هذه المرحلة ليخفي عداءه له ووقوفه في وجهه ، فقد كان هذا العمل لا يزال غضا غير قادر على فرض ارادته . في العام ١٩٦٥ ، أي عام انطلاق الثورة الفلسطينية ، كان حسين يصف نشاط المنظمات بأنه « نشاط غريب مريب » وهي « تعمل على ما قد يسلب العرب زمام المبادرة ويهيء لاعداء العرب الحجة والفرصة التي يتوقون اليها لضرب أمتنا قبل ان تكمل استعدادها وتتهيأ للمعركة الفاصلة »(٧٥). وفي العام ١٩٦٦ كرر هذا المعنى واعتبر العمل الفدائي « نزوة ضارة » تخالف تعليمات القيادة الموحدة »(٧٦). وهو كذلك يشكك في هذا العمل ويقول عنه انه « يساعد الاسرائيليين في تحقيق اغراضهم بتزويدهم بحجة يتمكنون من استعمالها للوصول الى غاياتهم »(٧٧)، وبأن « الفدائيين يرتكبون اعمال تخريب بسبب شعورهم بالغضب او اليأس او لمنح الاسرائيليين ذريعة للهجوم » كما ذكر في مؤتمر صحافي عقده في عمان(٧٨). وعندما يسأل في المؤتمر نفسه عن مطالبة المتظاهرين في الضفة الغربية بعدم التعرض للفدائيين الذين يهاجمون اسرائيل يقول انه لن يغير سياسته « ولا مكان لهم هنا » . وحسين في هذه الفترة أيضا يدعو اسرائيل الى الوقوف في وجه الفدائيين تماما كما يقف هو . ففي حديث خاص ادلى به لوكالة « الاسوشيتدبرس » في ١٩٦٦/١١/٢٩ قال : « اذا كان الارهابيون يتسللون عبر الحدود رغم جميع التدابير التي نتخذها فان اسرائيل تتحمل مسؤولية مساوية تقضي عليها باغلاق الجانب الخاص بها من الخط . واذا كانت لا تفعل ذلك فانها تتحمل لوما مماثلا عما قد يتبع ذلك »(٧٩).

وقد استمر هذا الموقف من العمل الفدائي في الاشهر التالية التي اعقبت حرب حزيران حتى معركة الكرامة . ففي مقابلة مع « وكالة الانباء الاردنية » في شهر ايلول ١٩٦٧ ( وكان قد مضى نحو شهر على استئناف العمل الفدائي ) قال حسين « انني اعتبرها جريمة لا مثيل لها ان تعمد اي جهة الى ارسال من يسمون بالفدائيين للقيام بأعمال نعطي العدو حجة في أن يتمكن من اعناق اخواننا وابنائنا هناك [ في الضفة الغربية ] ... واذا كنت اقف ضد هذا الاسلوب فان من واجبي وواجب كل مواطن وكل عربي ان يقاومه بكل قوة »(٨٠)، كما انه يصر في مقابلة اخرى تلفزيونية في لندن لدى سؤاله عن موقفه عن « ازدياد اعمال التخريب في الاراضي التي تحتلها اسرائيل » على « أن تشجيع مثل هذه الاعمال لم تكن من سياستنا ابدا سواء في الماضي او الحاضر » وقال انه ضد هذه الاعمال و« اننا نعمل كل ما في وسعنا لوقفها »(٨١).

مع هذا الموقف من العمل المسلح حاول حسين ان يجير لمصلحته الخاصة اعمال المقاومة

السلبية مثل التظاهرات التي خرجت في بعض مدن الضفة الغربية في اعقاب الاحتلال ، ففي حديث له لصحيفة « دير شبيجل » الالمانية قال « يوجد هناك مقاومة حقيقية في الضفة الغربية من الاردن ويقوم بها الناس الذين يعتبرون أنفسهم اردنيين وقعوا تحت الاحتلال الاجنبي والذين هم ليسوا على استعداد للتعاون مع القوة المحتلة اكثر من الضرورة القصوى ... اننا فخورون جدا بأن لنا اتصالات مع شعبنا في الضفة الغربية وان الغالبية الكبرى منهم يواجهون الحوادث المؤسفة كأردنيين »(٨٢). غير أنه مع اشتداد اعمال المقاومة في الارض المحتلة وابتداء توجهها نحو اتخاذ الاردن مرتكزات انطلاق لها ، ادرك حسين أن الامر يكاد يفلت من يده ، فانتهز فرصة قيام القوات الاسرائيلية بغارة على منطقة الاغوار في شباط ١٩٦٨ ليوجه من الراديو حملة عنيفة على المقاومة في لهجة تهديد واضحة : « انني وانا احمل مسؤولية قيادة بلدي وشعبي ... لن اقبل بأن يقدم احد لاعداء بلدي وامتي ذريعة يتذرعون بها ... او حجة يطلع بها اولئك الاعداء على العالم ليدفعوه الى المزيد مما اوقعوه به من وهم وتضليل ... ان احدا فوق هذه الارض لا يستطيع ان يبيعنا وطنية او يتتايه علينا وفاء لاهداف او سعيا لآمال . ولن يقوى امرؤ على المزايدة علينا قيادة وشعبا وجيشا لا من قريب ولا من بعيد ... ان كل عمل مخلص هادف ينبغي ان ينطلق من ارضنا هذه ومن خلالنا نحن وفي اطار ما نرسم ونخطط ونعد ... ان اية فئة تتجاهل هذا الموقف منا بعد اليوم وتتخذ لنفسها نهجا غير نهجنا وتتعامى عن بابنا الذي كان وسيظل مفتوحا لكل متطلع الى المعركة بشوق واخلاص هي ليست منا ولسنا منها ، وهي ليست من القضية في شيء قليل ولا كثير ، ونحن لذلك عليها وضدها بكل قوة وتصميم »(٨٣). هل فكر حسين في ذلك الوقت المبكر بخوض معركة مع العمل الفدائي؟ ان ذلك الخطاب كان يفوح بذلك التوجه، غير ان تهديده بضرب المقاومة لم يكتب له الوقت الكافي ليتخذ مداه ومفعوله ، فبعد شهر وبضعة أيام كانت معركة الكرامة التي غيرت في موازين القوى والتي كانت مطلع مرحلة جديدة في موقف النظام الاردني والملك حسين من المقاومة .

**المرحلة الثانية ــ من معركة الكرامة الى أزمة حزيران ١٩٧٠** : ادخل النصر الذي حققته المقاومة في هذه المعركة والنشاط التعبوي الواسع الذي قامت به في اعقابها ، ادخلا المقاومة مرحلة جديدة كان ابرز سماتها اندفاع الجماهير العربية اندفاعا حماسيا كثيفا نحو دعمها ، مما وطد ثقة المقاومة بصحة منطلقاتها فصعدت من عملها المسلح ونشاطها السياسي على حد سواء ، الامر الذي اكسبها مرة اخرى مؤيدين ومنتظمين بعرض العالم العربي كله ، مما جعل اي محاولة تستهدف الانتقاص من قدر المقاومة او التشكيك بمنطلقاتها محكومة بنقمة الجماهير وغضبها ، خاصة اذا صدرت مثل هذه المحاولة عن نظام مهزوم كنظام الملك حسين الذي كان همه الاساسي الدفاع عن وجوده الذي كانت الدلائل تشير الى احتمال انهياره ، والذي كانت مصلحته تحتم عليه عدم الدخول في معارك مواجهة مع هذا المد الجماهيري المتصاعد الذي كان يهدد ــ في حالة استعدائه ــ رأس النظام نفسه . من هنا كان من الطبيعي ان تتغير لهجة حسين لدى حديثه عن المقاومة ، ويصل به القول الى أنه « الفدائي الاول »(٨٤). غير أن تغير اللهجة لم يكن يعني بالتالي تغيرا في الموقف . فحتى في حمى استعار هذا « التأييد » اللفظي الذي وجد حسين نفسه منساقا اليه بضغوط غير نابعة من قناعاته بالتأكيد ، كان الملك يجد مبررات وفرصا لكشف موقفه الثابت من المقاومة : وجودها نفسه واهدافها ومنطلقاتها .

وقبل التطرق الى تبين موقف حسين في هذه الفترة سنلقي نظرة على كيفية تناوله لمعركة الكرامة . كان رد الفعل الاول الذي سببه الهجوم الاسرائيلي الكبير على الكرامة ذعرا تجلى في برقية حسين الى الرؤساء والملوك العرب في يوم المعركة نفسه قال فيها : «لئن **أخذتم تسمعون عنا وليس منا بعد هذا اليوم** فلأننا والله قد طالت نداءاتنا ... »(٨٥).

غير أن النصر الفدائي في المعركة وما احيط به هذا النصر من هالات مجد دفع حسين الى محاولة سرقته . ففي مؤتمر صحافي عقده بعد يومين من المعركة قال : « كانت العمليات عمليات اردنية »(٨٦)، وعندما سئل في المؤتمر ان كان بين القتلى المدنيين في الكرامة فدائيون لم يجزم بذلك وقال « ربما كان ذلك ، ولكن الحقيقة هو ان سكان الكرامة قاوموا ببسالة ومن الصعب ان نميز بين الفدائي وغيره » . ومنذ ذلك الحين دخل المصطلح الملكي تعبير جديد هو « الجيش الاردني جيش الكرامة »(٨٧)، واذا كانت المقاومة قد فاخرت بأن عناصر من الجيش الاردني قد شاركت في صنع النصر في معركة الكرامة فان حسين في المقابل يطوب هذا النصر لجيشه دون اشارة من قريب او بعيد الى « الدور » الذي قامت به المقاومة في تلك المعركة . ففي خطاب له يقول :« لقد كانت القوات الاردنية المسلحة عنوان ذلك الصمود ودرعه المتين، **على يديها ذاق البلد وذاقت الامة العربية طعم النصر يوم الكرامة لاول مرة** »(٨٨)، ويخص حسين بعض جيشه بهذا النصر ، نعني لواء المدرعات . ففي رسالة وجهها حسين الى زيد بن‌شاكر قائد هذا اللواء بمناسبة منحه احد الاوسمة في أيار ١٩٧٠ كتب : « وخرج من اللواء من خرج من معركة حزيران ليخوض معركة الكرامة ويسجل لنا نحن العرب في اعقاب هزيمة لحقت بكل العرب لحظة ونقطة تحول ... »(٨٩).

كان حسين يدرك حقيقة ان الكرامة كانت نقطة تحول حتى في اسلوب تعامله مع حركة المقاومة . وقد بدأ هذا التحول في الاسلوب منذ الايام القليلة التي اعقبت الكرامة وافتتح هذا الاسلوب في المؤتمر الصحافي المشار اليه في الفقرة السابقة عندما تحدث عن المقاومة فوصفها بأنها « أمر طبيعي مارسه كثير من الشعوب التي ترزح تحت احتلال اجنبي في ظروف مشابهة لظروفنا الحاضرة » ، وعن العمل الفدائي قال « قد نصل الى مرحلة معينة نصبح فيها جميعا من الفدائيين وربما يتم هذا في المستقبل القريب »(٩٠). لقد كان حسين سريعا في اكتشاف آفاق المرحلة المقدم عليها ، وكان وتوقفه صريحا ضد معطياتها كفيلا بأن يجعله يخسر كثيرا وربما كانت هي الخسارة الاخيرة بالنسبة له . ولادراكه ذلك كان تحركه سريعا وواسعا في اتجاه اعلان «تأييده» المقاومة ، فلم يترك مناسبة تفوت دون التذكير بهذا الموقف : اعلاميا كان يؤكد ان « مقاومة الاحتلال حق مشروع وحق كل انسان واضح في ان يقدم حياته في سبيل الدفاع عن ارضه »(٩١) و« في الحقيقة الاردن ككل وبكل انسان فيه هو بلد الفداء والفدائيين ... والفدائيون ثوارنا من اخواننا العرب هم بلا شك محل التقدير والمحبة »(٩٢)، كما حاول حسين ان يوحي ان هذا الموقف اصيل داخل في صلب سياسة حكومته . ففي رسالة بعث بها الى بهجت التلهوني ، رئيس وزرائه ، في ١٩٦٨/٩/١٣ كتب : « اننا من اشد انصار المقاومة المشروعة للاحتلال بشكليها السلبي والايجابي »(٩٣). كما أكد هذا الايحاء في خطاب العرش الذي القاه في مجلس الامة في ١٩٦٩/١١/١ بقوله : « ان الكفاح المسلح والمقاومة المشروعة اللذين فجرهما العدوان الاسرائيلي في صفوفنا وفي صفوف الشعب العربي الفلسطيني من اجل التحرير واسترداد الحق المغتصب هما كفاح مقدس خالص لله والوطن ... واذا كان من واجب غيرنا ان يتخذ من ذلك الكفاح موقف الدعم والتأييد فان من حقنا في هذا البلد ان نؤكد بأن ذلك الكفاح هو نحن ، هو جزء من صمودنا وقطعة من وجودنا »(٩٤). وكان حسين في اثناء ذلك كله حريصا على ادعاء ان وجود المقاومة في الاردن كان منسجما مع ارادته وبرخصة منه . يقول : « نمت المقاومة في هذا البلد واستمرت لاننا آمنا بهذا الحق المشروع ... **ونمت لاننا اردنا ان تنمو** »(٩٥). وفي محاولة لدفع التهمة عن نفسه بتصفية المقاومة في أزمة تشرين الثاني ١٩٦٨ قال : « لو اردنا فعلا تصفية العمل الفدائي لما سمحنا به منذ البداية »(٩٦).

غير ان حقيقة هذا الزعم تكشفها الرسالة التي بعث بها حسين الى صحيفة « الصاندي تيليجراف » حول مقال كانت الصحيفة قد كتبته عن الوضع في الاردن . وقد جاء في مقال

الصحيفة(٩٧) «ان الملك حسين يصوغ مخططات طوارىء عنيفة موجهة ضد اسرائيل... وتشمل هذه المخططات تحويل الاردن الى دولة فدائيين Guerrilla State ... ومن المقرر كذلك ان تعطى منظمات الفدائيين الفلسطينيين حرية العمل ضد اسرائيل بدعم كامل من الجيش الاردني » . وقد وجه الملك رده على هذا المقال في عـــدد لاحق مستغلا ابشع استغلال تشابه لفظين في اللغة الانجليزية : الاول Guerrilla — حرب العصابات او المشارك في حرب العصابات ، والثاني Gorrilla — القرد المعروف بهذا الاسم (غوريلا)، لينفث حقده على المقاومة . يقول حسين في رسالته : « ليس لدي النية لان احول الاردن الى Guerrilla State او دولة شمبانزي ، كما انه ليس لدي ادنى اهتمام بأي شكل من اعمال القرود »(٩٨).

مدخل آخر يقود الى فهم موقف الملك حسين من المقاومة في هذه الفترة هو اتجاهه نحو استغلال وجود المقاومة في الاردن وعملها العسكري ضد القوات الاسرائيلية لاتخاذها اداة ضغط على اسرائيل في الجهود الرامية الى حل « ازمـــة الشرق الاوسط » حلا سياسيا . فمن الواضح ان حسين ليس متشبثا بهذا الوضع غير الطبيعي الذي يسود المنطقة العربية والذي ينذر دائما بالتفجر الذي قد يكون حسين نفســـه احد ضحاياه الاوائل . كما ان حسين ليس غير راض عن عودة اجزاء من الضفـــة الغربية لنهـــر الاردن الى مملكته لكي ينهي بعودتها بعض معضلاته السياسية والاجتماعية التي خلفتها حرب حزيران . لذلك فان حسين لا يريد من العمل الفدائي أكثر من ان يقوم بهذا الدور : دور الاداة الضاغطة على اسرائيل المؤدية الى الحل السياسي . ففي مقابلـــة له مع صحيفة « النهار » البيروتية(٩٩) يقول : « الحل العادل والمشرف الذي نسعى اليه مبني على قرار مجلس الامن ... [ و ] اذا كنا سنفشل في الوصول الى النتيجة التي نتوخاها في ايجاد حل عادل لقضيتنا فكل واحد منا فدائي ». وقد اكد حسين هذا التوجه في خطاب له من الاذاعة الاردنية وتلفزيون عمان(١٠٠) بقوله انه وجد في العمـــل الفدائي حركة مشروعة « لانها تستهدف مقاومة غازية غاصبة غير مشروعة ولانها تعمل عن طريق النضال والكفاح المسلح ما نعمل نحن لبلوغه عن طريق السياسة » . وفي الحقيقة بدأ هذا التوجه من جانب الملك منذ أواخر العام ١٩٦٨ ومطلع العام ١٩٦٩ عندما ابتدأت المقاومة تثبت كفاءتها العسكرية ومقدرتها على توجيه ضربات قاسية لاسرائيل . وكان حسين يستغل هذه الضربات التي توجهها المقاومة ليعلن : « طالما ان اسرائيل ماضية في عدم قبولها لقرار مجلس الامن وتطبيقه ... وطالما ان اسرائيل ماضية في احتلالهـــا للضفة الغربية والمناطق الاخرى فانها مسؤولة عن تردي الاوضاع . ولذلك **فاننا غير مسؤولين عن حماية قوات الاحتلال في تلك المناطق** . اننا نكن كل الاحترام لاولئك الذين هم على استعداد لتقديـــم ارواحهم في سبيل القضية دفاعـــا عن ديارهم ووطنهـــم وحقهم »(١٠١). وحسين حريص على أن يظهر في توجهه هذا موضوعين أكد عليهما في كثير من أقواله : الاول ان ظهور المقاومة كان بسبب الاحتلال الاسرائيلي الذي حدث في العام ١٩٦٧ ، والثاني ان انتهاء المقاومة مرتهن بالوصول الى حل سياسي . ففي مقابلة تلفزيونية اذيعت في الولايات المتحدة(١٠٢) قال : « انني اعتقد ان العمل الفدائي تطور طبيعي حقا ونتيجة لاستمرار احتلال المناطق العربية من قبل اسرائيل... وهذه المقاومة تزداد كلما تلاشى الامل في الوصول الى تسوية عادلة ومشرفة ودائمة » . كما زعم في مقابلة مع صحيفة « توربيو » الايطالية الاسبوعية(١٠٣) « ان الفدائيين الفلسطينيين سيوقفون هجماتهم على اسرائيل اذا قبل الاسرائيليون قرار مجلس الامن الدولي حول الشرق الاوسط » واضاف « ان عناد الاسرائيليـــين هو الذي يحـــرض على وجود الفدائيين » . وعندما سئل حسين في احدى مقابلاته الصحافية(١٠٤) « اذا نجح الحل السلمي الا تزداد امكانات الصدام [ مع المقاومة ] » اجاب : « لن يكون هناك صدام ابدا لاننا واثقون من ان الغالبية العظمى من اخواننا على درجة كبيرة من الوعي بحيث

اذا تحقق لهم الحل السياسي او السلمي سيدركون واقعيته وسيعمدون الى تنفيذه انهاء للمشكلة » . غير ان حسين لم يكن بالتأكيد معتمدا على هذا « الوعي » بل كان يراهن على قدرته على كسب اي صدام محتمل مع المقاومة في حال تنفيذ الحل السياسي . ومنذ وقت مبكر ظهرت مراهنته تلك في اثناء زيارته الى الولايات المتحـــدة في شهر نيسان ١٩٦٩ . لقد طرح حسين في نادي الصحافة في واشنطـــن في ١٩٦٩/٤/١٠ مشروعا « للسلام » من ست نقاط تتضمن « ١ ــ انهاء حالة الحرب . ٢ ــ احترام سيادة دول المنطقة ووحدة اراضيها واستقلالها السياسي والاعتراف بها . ٣ ــ الاعتراف بحق جميع هذه الدول في العيش بسلام داخل حدود آمنة ومعترف بها . ٤ ــ ضمانات لجميع هذه الدول بحرية الملاحة في خليج العقبة وقناة السويس . ٥ ــ ضمانات لاراضي جميع الدول في المنطقة باتخاذ اية اجراءات مناسبة بما في ذلك اقامة مناطق مجردة من السلاح . ٦ ــ القبول بتسوية عادلة لمشكلة اللاجئين »(١٠٥). وهذا المشروع الذي حمله معـــه حسين الى الولايات المتحدة كان يعني ، في حال تنفيذه ، تصفية نهائية ليس للمقاومة فحسب وانما للقضية الفلسطينية بمجملها ، الامر الذي لا بد من ان يجعل الصدام محتما بين نظامه والمقاومة . وقد ذكرت صحيفة « نيويورك تايمز »(١٠٦) ان الملك حسين أكد لحكومة نيكسون انه قادر على « ضبط » منظمات الفدائيين الفلسطينيين في حالة ايجاد « تسوية معقولة » في الشرق الاوسط ، وقد جاءت هذه التأكيدات في اثناء اجتماع تم بين حسين والرئيس نيكسون وكبار مساعديه . وباجمال كان « الحل السياسي لازمة الشرق الاوسط » قد بدأ منذ هذه الفترة ينعكس على موقف حسين من المقاومة الفلسطينية وهو موقف تطور في المرحلة التالية ، التي سترد حقا ، ليتخذ له شكلا آخر منسجما مـــع معطيات المرحلة نفسها . ونختتم هذه الفقرة بتصريح ادلى به حسين لمجلة « التايم » الاميركية يلخص فيه نظرته الى العلاقة بين المقاومة والحل السياسي . لقد سأل مراسل الصحيفة الملك « هل هو قول صحيح انك القيت بقدرك الى جانب المقاتلين مـــن أجل الحرية ؟ » فأجاب « حتى الان لا ، فما دام ثمة لا يزال أخفت بصيص من أمل في التسوية السلمية فسوف أبقي الاختيارات أمامي مفتوحة »(١٠٧).

ومع هذا ، وعلى الرغم من هذا التأييد اللفظي الذي الزمت معطيات المرحلة الملك حسين على اتباعه حتى ليصل به القول « لا نستطيع أن نوقفهم [ الفدائيين ] وليست لدي اي سلطة ولا أرغب في ان تكون لي سلطة على حقوقهم في القتال من أجل بلادهم »(١٠٨)، مع هذا فقد كان الملك يستغل كل مناسبة ، وأحيانا بدون مناسبة، للتشكيك في جدوى العمل الفدائي وفي كفاءته وفاعليته . ففي رسالة بعث بها الى بهجت التلهوني ، رئيس وزرائه، يقول « ان تناثر العمل في مجال المقاومة المشروعة وتعدد التنظيمات وتفرقها وانعدام التنسيق بينها وعدم ارتباطها بتخطيط موحد هادف ، من شأنه أن يلحق الضرر بدلا من تحقيق النفع ويحدث أثرا عكسيا على الدوافع النبيلة التي ينطلق من أجلها ويتيح للعدوان ان يستهين بها ويستغلها لتوجيه الضربات »(١٠٩). وعندمـــا يتحدث حسين عن الكفاح المسلح يؤكد هذا الاتجاه الرامي الى التشكيك في العمل الفدائي بشكل موارب غير قادر على المواجهة الصريحة . ففي خطاب العرش الذي القاه في اثناء أحداث تشرين ١٩٦٩ في لبنان يجري حسين مقارنة بين الكفاح المسلح الفلسطيني وبين قواته المسلحة فيؤكد « اننا . . . حريصون على ان يتوفر لذلك الكفاح ما ينبغي أن يتوفر لصمودنا كله وللقوات المسلحة من نظام وانتظام ، حريصون على أن تخلو صفوفه ، خلو صفوف تلك القوات ، من أية عناصر مشبوهة بعيدة عن حقيقة الكفاح ومعانيه ، حريصون علـــى ان يبتعد الكفاح بعد تلك القوات عن اي مظهر او مسلك يؤذيه او يشوه روعتـــه وقدسيته ، حريصون ايضا على الا تراق نقطة دم عربية واحدة ، هنا او في اي بلد عربي وان لا تطلق رصاصة عربية واحدة هنا او في اي بلد عربي في غـــير ساح الشرف والبطولة والاستشهاد »(١١٠).

غير ان هذا الاسلوب غير المباشر في التشكيك في المقاومـة الفلسطينية رافقه في هذه الفترة هجومان مسلحان شنهما النظام الاردني على المقاومة : الاول في تشرين الثاني ١٩٦٨ والثاني في شباط ١٩٧٠ ، وقد رافق هاتين الهجمتين تصعيد في الحملة الملكية على المقاومة ، ففي أعقاب ازمة تشرين الثاني ١٩٦٩ « وجـه حسين رسالة الـى الاسرة الاردنية »(١١١) جاء فيها : « في هذه المرحلة التي يقف فيها شباب هذه المملكة في قواتنا العربية المسلحة على خط الدماء والفداء ، في هذا الوقت الذي يذود فيه الجيش الاردني، جيش الكرامة العربية وفخر الامة ودرعها القوي المكين عن حرية البلد واستقلاله ويحمي شرف الامة وكرامتها ... اندست بين الصفوف الامينة المتراصة فئة عميلة حاقدة ، وجماعة مأجورة مجرمة ، ترتدي رداء الرجولة والرجولة منها براء ، وتنتحل خدمة القضية وهي عدو القضية وسلاح أعدائها عليها ، وراحت تعمـل ضمن خطة مدبرة ومرسومة تستهدف صمود هذا البلد ... لقد تسترت تلك الفئـة وراء رداء ترتديه وتقنعت من خلال سلاح تحمله وشعارات ترفعهـا ، وراحت تنفث سمومهـا وتنشر دسائسها وتروج لاكاذيبها ... لم تكن الارض المحتلة ميدان عمل تلك الفئة وانما كانت الضفة الشرقية هي بالذات ... عرفهم المواطنون في عمان وسواها يبتزون الاموال ويسيئون للنضال وشرفه ويستغلون الابرياء مـن بناتنا وأبنائنا ... وحين امهلتهم السلطات وأخذتهم بالصبر والاناة ... حسبوا الامهال تخـاذلا والصبر ضعفا ... واصبح من واجب الدولة أن تضع للشر حـدا والاستهتار نهايـة ... ولسوف تعيد للمواطنين طمأنينتهم وتحمي للوطن مقوماته وأسباب صموده وتصون للمواطن أسباب أمنه وسلامته ، وتطهر النفوس من كل ما يعتورها من زيف وشائبة لتقف متراصة قوية وراء جيش الكرامـة والفداء ، جيش الحـرية والاستقلال ، جيش الاردن والعرب أجمعين » . هل كانت منظمة كتائب النصر ( جماعة طاهر دبلان ) التي قيل انها افتعلت الازمة هي المخاطبة بهذه الرسالة الملكية ام مجمـل العمل الفدائي ؟ ان الهجمة التي تعرضت لها فصائل المقاومة جميعا في تلك الازمة تشير الى ان جماعة دبلان ليست هي المخاطبة بهذه الاوصاف التي أطلقها حسين وانما المقاومة الفلسطينية جميعا . ونلاحظ هنا ان الملك قد أعطى اشارة البدء في هذه الرسالة لحملة استهدفت تعبئـة القوات المسلحة الاردنية تعبئة مضادة لحركة المقاومة ( وقد ظهرت نتائج هذه الحملة في وقت لاحق ) وقد تأكدت هذه الحملة في ذلك الوقت المبكر في الاجتماع الذي تراسه حسين وحضره كبار رجال الدولة في ١٩٦٨/١١/٦(١١٢). وقد قال حسين في هذا الاجتماع : « توجد أمور يجب أن نضعها في نصابها ، يوجد قانون ، ويوجد نظام وأيضا مفهوم دولة. فاذا زالت هذه الاعمدة والاسس انتهينا . وفي سلامة مواطنين، وفي حق هؤلاء المواطنين في أن ينتظروا من السلطة أن تحافظ عليهم وعلى أمنهم وسلامتهم . يوجد جيش خاض المعركة ويخوضها كل يوم ... ووقف يتحمل ويؤدي الواجب برجولة . لقد سمعتها من كل ضباطي ومن كل أبنائي واخواني في القوات المسلحة الذين هم أبناؤكم أيضا . لهم طلب واحد ، ان نحمي مؤخرتهم وان نساندهم حتى ينصرفوا لاداء الواجب . هذا الجيش هو جيش الكرامة العربية ، وهذا الجيش هو أمل هذه الامة ، هنا دولة وهنا جيش وهنا نظام وهنا قانون ، وسيحافظ على هذه الدولة وعلى سيادتها ومن يخرج على القانون سيعاقب بشدة » . وفي هذه المناسبة نفسها هدد حسين : « اذا تكرر من جديد ما كاد ان يقع في عمان وفي سواها ... فأسحق نهائيا الوضـع ومسببيه بكل شراسة وبكل قوة »(١١٣). وعندما حاول حسين ان ينفذ تهديده في شباط ١٩٧٠ كانت المقاومـة قد اشتد ساعدها ونمت نموا جعلها قادرة على الدفاع عن نفسهـا وافشال الهجمة التي تعرضت لها آنذاك. وقد انعكس هذا الفشل في المؤتمر الصحافي الذي عقده الملك حسين بعد انتهاء الازمة والذي توضحت فيه طبيعة المناورة التي اتبعها حسين : تراجع عن أهداف الهجمة التي كان ابرزها تجريد المقاومة من اسلحتها كما جاء في بيان الحكومة

الاردنية في ١٠/٢/١٩٧٠ وتصوير ابعادها بأنها ليست سوى «التذكير ببعض القوانين»، تأكيد التأييد اللفظي للمقاومة ، تملق الجيش والتلميح الى أن المقاومة تسيء له ، هجوم مبطن على المقاومة . ونذكر هنا فقرات توضح هذه المناورة كما جاءت في هذا المؤتمر الصحافي المشار اليه(١١٤): « فيما يتعلق بالموقف وتطوراته في المرحلة الاخيرة قامت الحكومة من جانبها بالتذكير ببعض القوانين والانظمة المرعية في هذا البلد ... وهي لا تستطيع ان تتخلى عن واجباتها من جهة ولا تستطيع من جهة اخرى ان تبطل مفعول القوانين والانظمة القائمة في هذا البلد... مع الاسف وقع ما وقع نتيجة لسوء الفهم... نمت المقاومة في هذا البلد واستمرت لاننا آمنا بهذا الحق المشروع، حقنا في مقاومة الظلم والعدوان ومقاومة الاحتلال ... ونمت لاننا أردناها أن تنمو . لم يستهدف أحد ولن يستهدف أحد في يوم من الايام المقاومة ، هي منا ونحن منها واليها ... ويبقى هذا البلد وهذا الشعب يدا واحدة وقلبا واحدا خلف قواته المسلحة المصممة القادرة على أن تؤدي واجبها ودورها على أكمل وجه والتي هي مفخرة كل انسان في هذا البلد ومفخرة كل انسان في الوطن العربي الكبير ، ومن حق هذه القوات المسلحة ان تنال الاحترام والتقدير والمحبة ، ان تعيش في قلب كل انسان ، ومن حقها ايضا ان تطمئن الى ان الصفوف خلف الصفوف متراصة حتى تؤدي دورها على اكمل وجه ... وجدنا في عملية احصاء انه نتيجة الحوادث على الطرق وربما بسبب عدم استخدام السلاح بالشكل الصحيح في أماكن عامة وغيرها ان خسارتنا في السنة الماضية عدد كبير جدا من الابرياء من الرجال والنساء والاطفال ، وكان ان وجدنا النسبة بلغت حدا عاليا جدا . هذه من ضمن العوامل جعلت من الضروري بالفعل ان يكون هناك تنظيم وتنسيق يحول الى حد ما دون وقوع مثل هذه الحوادث المؤسفة ... نحن لسنا ضد حمل او خزن السلاح في مدن الاردن ... ونحن لسنا ضد تسلح الشعب ولا توجد لدينا اية نية لاخذ السلاح من أيدي أبناء الشعب » . وقال عن الاجراءات التي اتخذتها الحكومة ( اجتمعت في ١٠/٢/١٩٧٠ واتخذت اجراءات من ١٢ نقطة تستهدف تقييد حركة المقاومة )(١١٥)، قال انه « تقرر في ضوء الظروف ، وكان من بينها سوء الظن باجراءاتنا، ان تجمد هذه القرارات . وكان السبب الرئيسي في ذلك هو ما لمسناه من الشعور المخلص الصادق من جميع المعنيين بالامر الذين ارتفعوا الى مستوى المسؤولية وتقدير المصلحة العامة وبذلك بدات الامور تعود الى حالتها الطبيعية في الوقت الذي يجري فيه حوار حتى يكون هناك وضع سليم مئة بالمئة وبحيث يتم حشد الطاقات من أجل المعركة »(١١٦).

باجمال ، كان موقف حسين في هذه المرحلة محكوما بالمعطيات التي افرزتها والتي كان عنوانها العريض ان هذه المرحلة تمثل عهد تصاعد حركة المقاومة ومدها الجماهيري الواسع وقوتها الفاعلة المؤثرة ، ومن هنا كان نهج حسين في تعامله مع المقاومة نهجا مراوغا : ● اعلان الدعم اللفظي للمقاومة. ● محاولة ضربها بهدف تقليصها وتقزيمها لتخدم اغراضه المساومة. ● التراجع في حال الفشل. ● الالتزام بالتشكيك في المقاومة. ● محاولة تأليب الجيش عليها . غير ان هذه المرحلة انتهت بالصدام الكبير الذي حدث في حزيران ١٩٧٠ والذي كان مقدمة لمرحلة اختلفت فيها المعطيات وبالتالي موقف حسين نفسه .

**المرحلة الثالثة ــ عود على بدء** : بدات توجهات النظام الاردني بصورة كثيفة نحو تصفية المقاومة في الساحة الاردنية في اعقاب ازمة شهر شباط مباشرة ، وقد تأكدت هذه التوجهات في حملات التعبئة التي قادها النظام في صفوف الجيش والعشائر وتشكيل القوات الخاصة ، ثم في المواجهة المسلحة التي فرضت على المقاومة في حزيران ١٩٧٠ . وكانت جميع الدلائل تشير الى ان هذا التوجه سيأخذ مداه الكامل : فالتحرك الاميركي في نيسان ١٩٧٠ من خلال زيارات جوزيف سيسكو ، مساعد وزير الخارجية الاميركية ، الى المنطقة كانت توحي بأن تحريك « أزمة الشرق الاوسط » عن مواقعها الجامدة

القديمة بات في وارد الاحتمال . وقد تعزز هذا الايحاء عندما اعلنت الحكومة الاسرائيلية في بيان سياسي القته جولدا مئير في الكنيست في ١٩٧٠/٥/٢٦ عن تأكيد قبول اسرائيل لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢(١١٧). في مقابل ذلك كانت سلطة المقاومة الشعبية في الساحة الاردنية تشتد وتنمو ، الامر الذي يجعل تمرير اية تسوية ، مع وجود هذه السلطة الشعبية ، أمرا محكوما بالفشل . وقد ظهرت نتائج تأثيرات هذه السلطة في الساحة الاردنية في التظاهرات الشعبية التي اندلعت في عمان في ١٩٧٠/٤/١٥ والتي ادتّ الى الغاء الزيارة التي كان من المقرر ان يقوم بها سيسكو في اليوم التالي . وقد اعلنت وزارة الخارجية الاميركية ان الغاء الزيارة كان بسبب التظاهرات العنيفة التي شهدتها عمان(١١٨) . كان لا بد اذن من الحسم تجاه المقاومة كي يكون النظام حرا في تحركه نحو التسوية . وكانت أحداث حزيران ١٩٧٠ خطوة نحو هذا الحسم الذي أصبح اكثر الحاحا بعد مواجهة حزيران عندما أعلن وليام روجرز ، وزير الخارجية الاميركية ، مبادرته الخاصة بأزمة الشرق الاوسط . وقد جاء هذا الاعلان رسميا في مؤتمر صحافي عقده روجرز في ١٩٧٠/٦/٢٥ ، وفي ١٩٧٠/٧/٢٣ اعلنت مصر قبولها بالمقترحات الاميركية ولحقها الاردن فأعلنت حكومته موافقتها على المقترحات في ١٩٧٠/٧/٢٦ . وكان أيلول ١٩٧٠ نتيجة طبيعية لهذه المقدمات كما كانت معارك الاحراج في تموز ١٩٧١ وتصفية الوجود العلني للمقاومة الفلسطينية في الساحة الاردنية حصاداً لها . وسنعرض فيما يلي أقوال حسين التي تلخص دوره في صنع الاحداث من جهة ، وانعكاس الاحداث في سياسته من جهة أخرى .

لقد فشلت هجمة حزيران ١٩٧٠ في تحقيق اهدافها وابتلع حسين هذا الفشل ورضي بالهزيمة وبالتنازل عن اثنين من أقرب معاونيه : ناصر بن جميل ، القائد العام للقوات المسلحة ، وزيد بن شاكر ، قائد سلاح المدرعات . ولم يكن أمام حسين ازاء هذا الفشل الا سبيلين ينهجهما : الاول تبرئة نفسه من محاولة تصفية المقاومة ، والثاني الالتجاء الى قوى القمع لديه وتعبئتها لمعركة ثأرية قادمة أرادها فاصلة . وفي مؤتمر صحافي عقده حسين اثر انتهاء المعارك تحدث عن الازمة الماضية قائلا : « الحقيقة الاولى ان أحداث الاردن الدامية خلال الاسبوع الماضي لم تكن عفوية ولا طبيعية ، وانما هي مؤامرة مخططة وفتنة مدبرة أعدت في الظلام . والحقيقة الثانية ان تلك المؤامرة كانت تستهدف البلد بمجموعه : الجيش والشعب والفدائيين على حد سواء . والحقيقة الثالثة ان تفادي القتال بين الجيش والفدائيين كان همي الاكبر منذ نشوب الازمة . والحقيقة الرابعة انني أصدرت الاوامر على الفور بعدم دخول الجيش الى عمان وكان هدفي الاول الحفاظ على أرواح المواطنين بقدر ما كان أيضا الحفاظ على المقاومة وعلى أرواح الفدائيين . وقد استطعنا نتيجة تعاون السلطة واللجنة المركزية ان ننقذ البلد من الفتنة »(١١٩) . غير ان تنفيذ مطلب المقاومة بابعاد ناصر بن جميل وزيد بن شاكر كان ورقة استغلها حسين في تعبئة قواته المسلحة ففي رسالة وجهها الى جميع الرتب في الجيش اثر انتهاء الازمة تتعلق « باستقالة » ناصر وزيد كتب حسين : « تعرفون ايها الاخوة حقيقة التطورات الاخيرة التي اعقبت كل الحلم منا في وجه اساءة فهمه ومعناه وكل التحديات لقواتنا المسلحة قادة وضباطا وافرادا . أما عمان فقد آثرنا حتى الساعة ان يبقى الجيش خارجها يدافع عن نفسه والاماكن المتواجد فيها فقط . وقد اعتدي عليها وعليه مرات ومرات وكان اجتماع وكان بحث وكانت مقررات . اما التنفيذ فقد تعذر مع الاسف واشترط الجانب المتواجد دون الجيش في عمان عاصمتنا ، اشترط علينا اليوم شروطا قاسية استهدفت خالي قائد القوات المسلحة وأخي قائد السلاح المدرع الملكي وبلّن في تخليهم عن مناصبهم الآن ما يؤمن فورا من جانبهم تنفيذ الاتفاق وعودة جميع الامور الى حالتها الطبيعية في عمان وسواها . اما الحالة في عمان فهي كما يلي : تتواجد فيها بعض العصابات المسلحة تباشر السلب والنهب والقتل وهي تتعرض لاقسى ما عاشت ...

اقد رفضت قبول الشرط القاسي الذي يحمل هؤلاء [ ناصر وزيد ] ما لا يجوز ان يتحملوه ... ولكني عدت عن ذلك نتيجة التماس اللواء الشريف ناصر بن جميل القائد العام للقوات المسلحة والاخ الزعيم الركن زيد بن شاكر قائد اللواء المدرع الملكي اللذين أصرا على ان يقدما دليلا جديدا على التضحية في سبيل المصلحة العامة التي عرفت عن آل البيت »(١٢٠). وفي المؤتمر الصحافي المشار اليه اعلاه قال حسين « نحن نواجه أزمة، الجيش غاضب لانه شعر انه مس عندما أبعدنا القائدين » .

جاء مشروع روجرز ليسارع في هذه التعبئة ويكثفها وصولا الى جولة حاسمة . وكان تفسير الملك لهذا المشروع كما يلي : « رأينا بكل اقتناع ان المبادرة الاميركية الاخيرة التي عرضت علينا للموافقة لم تخرج عن كونها صيغة من الصيغ الداعية لتنفيذ قرار مجلس الامن وانها هذه المرة اكتسبت تقبل الاتحاد السوفياتي »(١٢١). وقد وجد في قبول مصر لهذه المبادرة فرصة لاخلاء مسؤوليته تجاهها : « قابلنا المقترح الاميركي الأخير للدخول في مباحثات مع المبعوث الدولي من أجل تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ مقابلة ايجابية وذلك لعدة اسباب أهمها اننا نعمل وشقيقتنا الكبرى ج ع م يدا بيد ... نقبل ما نقبله معا ونرفض ما نرفضه معا كذلك »(١٢٢). غير انه كان من الواضح ان هذا المشروع الذي ينهي في مراميه البعيدة قضية الشعب الفلسطيني اعطى اشارة البدء للملك حسين ونظامه للانطلاق الجاد في تصفية المقاومة الفلسطينية وصولا الى خلق حالة صالحة لتنفيذ المشروع.
وفي الفترة التي أعقبت اعلان مشروع روجرز اتبع حسين تكتيكا ذكيا في الاعداد للمواجهة الحاسمة : التعبئة المكثفة في صفوف الجيش والعشائر ، تطمين المقاومة اللفظي واعطاؤها ضمانات بالابقاء على حكومة عبد المنعم الرفاعي التي جاءت بعد احداث حزيران والتي كانت تضم في صفوفها بعض العناصر المحسوبة على الحركة الوطنية ، استنزاف قوى المقاومة تدريجيا في افتعال معارك متفرقة بدأت في ١٩٧٠/٨/٢٨، التركيز على محاولة شق حركة المقاومة برفع شعار المقاومة الشريفة ، « فالمقاومة الشريفة والجيش هما هدف المؤامرة الحقيقي ... ومن العناصر الشريفة في المقاومة بالذات منظمة التحرير الفلسطينية وفتح اللتان لمسنا منهما حرصا على المصلحة الواحدة والتخوف على المصير »(١٢٣). ويلخص خطاب القاه حسين في ١٩٧٠/٧/٢٩ الخطوط الاعلامية ـ التعبوية التي ارساها لحملته : « المقاومة الشريفة تمثل حقيقة الارادة الوطنية الكامنة في شعبنا...وشهد الله ان هذه المقاومة التي ترعرعت ونمت وازدهرت في رحابنا وبذلنا معها ومن أجلها كل غال ورخيص قد تجسدت في نفوسنا وضمائرنا ... واننا لنأسف ونأسى حين نقرأ في صحائفها ونشاهد من بعض مظاهرها ما يشير الى ان هذه الحركة تتوهم الصدام مع سلطة الدولة ... فاذا تحركت قواتنا المسلحة لاي سبب حول العاصمة او عند المدينة او القرية صورت المقاومة لنفسها وللناس ان هذا التحرك يستهدفها ، كأنه ليس من حق الجيش ان يتحرك عند بلدته وفي جوار اهله وهو جيش الشعب ودرع الوطن وأمل الامة المكين وصاحب الحق في التحرك على كل ارضنا ... نؤثر ان لا نرد عليها ايمانا منا بأن سهمنا ان صابها فانما يصيب قوة نريدها نضالية نامية ومنا ولنا. ولو لم نكن موقنين بهذا الاعتبار لما رضينا للدولة أن تمس وللحكومة ان تجرح وللجيش ان يعاب وللشعب أن يرهب »(١٢٤). وعندما كانت قوات الجيش والاجهزة الخاصة ترتكب جرائمها بحق الشعب في اثناء معارك الاستنزاف التي ابتدأت اواخر شهر آب كان حسين يعلن « ان المقاومة ... موجودة على الساحة بملء ارادتنا وهي موضع تقديرنا ورعايتنا ... ولان المقاومة تنبثق من هذا الشعب وتنتمي اليه فلا مجال اذن للتفكير مطلقا في تصفية المقاومة ولن نفكر في ذلك ابدا »(١٢٥). وفي سياق «التطمين» كان حسين قد اعلن في خطاب سابق ثقته بحكومته برئاسة الرفاعي وبرئيس اركان الجيش ، مشهور حديثه ، الذي كان يعتبر ايضا صديقا للمقاومة : « انني وقد حملت الحكومة مسؤولياتها فان لي كامل الثقة والتقدير بمجلس الوزراء ، رئيسه واعضائه ،

كما ان لي كامل الاعتماد على رئيس اركان قواتنا المسلحة وقدرته مع اعوانه على حمل المسؤوليات الموكولة اليه ، وكذلك طلبت من الوزارة ان تتصل باللجنة المركزية لقيادة حركة المقاومة لتقوم من جانبها بضبط الامور بين فصائلها بحيث تستطيع الحكومة بالجهد المشترك مع قيادة المقاومة ان تمنع اية حركة استفزازية وان تسيطر على الفتنة وتضمن الامن والسلامة العامة »(١٢٦).

نضجت حملة التعبئة في منتصف أيلول واستكمل الملك ادوات المواجهة ، وهو نفسه يكشف هذا الامر لصحيفة « الفيجارو » الفرنسية قبل يوم واحد من تشكيل الحكومة العسكرية التي وضعها حسين واجهة للصدام في مجازر أيلول . فقد ذكر الملك لهذه الصحيفة بعد تفقده لوحدات من الفرقة المدرعة الاولى التي تحيط بعمان انه « تبين لي ان صبرها قد نفد . ان الجيش الاردني صبر كثيرا وهو غير معتاد على تلقي الاهانة ، كما انه لم يعتد ان يمس به احد او ان يستنفر من دون انقطاع . على الفدائيين احترام الاتفاقات التي يعقدونها مع الحكومة والا فعليهم تحمل النتائج »(١٢٧). وقال حسين في هذه المقابلة الصحافية انه في اثناء تفقده احدى الوحدات رأى ضابطا يعلق ضفيرة على هوائي دبابته ، وعندما سأله عن ذلك اجاب الضابط لاننا نساء ، واضاف حسين ان السكان المحليين في عدد من الاماكن قد اخذوا امر مطاردة الفلسطينيين على عاتقهم لاعادتهم الى مخيماتهم(١٢٨). وكان ذلك ايذانا ببدء المواجهة الشاملة التي كان موقفه فيها هو ما صرح به لاريك رولو مراسل صحيفة « لوموند » في قصر الحمر اثناء المعارك نفسها : « لا اريد ان اسمع شيئا اكثر عن اللجنة المركزية ولا عن منظمات الفدائيين »(١٢٩).

بعد ايلول لم يعد حسين حريصا على اخفاء معاداته لحركة المقاومة ، وفي رسالة وجهها الى وصفي التل ، رئيس وزرائه ، قبل معارك الاحراج وتمهيدا لها قال : « اننا نحب ان تكون وقفتنا في وجههم [الفدائيين] حازمة حاسمة باسلة ، لا مكان للتردد ولا للتسامح والتسويات »(١٣٠). وقد مهد حسين لمجزرة الاحراج بحملة اعلامية شارك هو شخصيا فيها . ففي رسالة وجهها الى الدكتور محمد الفحام ، شيخ الازهر ورئيس مؤتمر البحوث الاسلامية الذي انعقد في القاهرة في اذار ١٩٧١ ، كتب يقول : « ان جماعة ممن حجب الله عنهم هداه فضلوا السبيل قد انتحلوا عمل الفداء فأساؤوا الى سمعة العمل الفدائي الشريف وعاشوا في هذا البلد يروعون الاطفال والنساء وينتهكون حرمة المساكن ويقلقون راحة المواطنين الآمنين ويهدمون اقتصاد البلد . ولم يكتفوا بذلك بل راحوا يعتدون على جنود الجيش العربي ومخافر الامن وهم الذين نذروا انفسهم لله والوطن »(١٣١). وقد استمرت الحملة التعبوية بعد مجزرة الاحراج التي كان حسين يصفها بأنها « عملية امنية »(١٣٢)، وتلقي الرسالة التي وجهها حسين الى جلال السيد ، السياسي السوري المنفي في لبنان ، جوابا على رسالة مفتوحة وجهها السيد الى حسين في صحيفة « النهار » ، تلقي هذه الرسالة اضواء على مرتكزات هذه الحملة التي قادها الملك ضد المقاومة . كتب حسين : « واخذت موجات التذمر والشكوى تتدافع على موجة بعد اخرى ، ولعله لا يخطر ببالك ان يكون منها مثلا عجز الجندي عن الوصول الى بيته لشهر او شهرين ، او اضطرار الضابط الى مغادرة معسكره متنكرا بملابس مدنية ، او توقف مصنع بكامله عن العمل لاستحالة وصول عماله وفنييه اليه ، او انقطاع الدراسة في عشرات المدارس ومئاتها ... او تحلل الاجهزة الحكومية وانعدام نشاطها ... او شلل الحركة التجارية والاقتصادية ... توالت موجات الانحراف على المسيرة الفدائية التي ضلت الكثرة الكاثرة عن الطريق واصبح الزمام كل الزمام في يد فئة مدسوسة على الفداء وانتقلت السلطة كل السلطة الى يد مجموعة من المنحرفين العملاء . وايقنت ان الجيش قد فقد ثقته بي او يكاد واحسست ان الشعب قد هجر وطنه وتشرد في المشارق والمغارب »(١٣٣). وقد نشط حسين في حملته التعبوية بالزيارات

التي كان يقوم بها الى قطعات الجيش الاردني بهدف تثبيت « الانتصار » الذي حققه جنده . ففي زيارة له للفرقة الرابعة خطب قائلا « الجميع مدين لقواتنا المسلحة حيث اصبح المواطن امينا على نفسه وبيته ورزقه واولاده ... اما ان تكون المقاومة في عمان في المدن والقرى تتعرض لكرامات المواطنين ، للمزارعين ، للجنود ، مقاومة تحرق المحاصيل ، هذه ليست مقاومة ويجب ان نتصدى لها جميعا لانها جميعا تعمل على تنفيذ مخطط العدو ... ولن نسمح باعادتها على ارضنا »(١٣٤) . حتى في اثناء محادثات جدة كان حسين يؤكد هذا المعنى ، ففي كلمة القاها في احدى الوحدات العسكرية قال « ان الارض مفتوحة لاي قوة عربية تتواجد عليها اذا كانت بامرنا وكانت جزءا من قواتنا ... هناك استحالة مطلقة في ان نسمح ولو بجزء بسيط من الصورة البشعة التي كانت هنا ان تعود »(١٣٥) ويعطي لقواته العسكرية ( في تخريج دفعة من الكلية العسكرية ) عهدا بـ « ان الذي انتهى في بلدنا ايها الاخوة لن يرجع ولن يعود ، ذلك عهدي لكم ، وللقوات الباسلة »(١٣٦) ويعتبر ان الذي « حققه » جيشه معجزة ، فيقول في مواقع الفرقة الاولى: « بفضل الوعي والتصميم تحققت معجزة ... وبتصور بأنه كل مواطن في هذا البلد الصامد بالتالي يدين الى كل واحد منكم لما قدمتم وبذلتم ... اكبر من معجزة تحققت في هذا البلد ، كوننا على حق من جهة وقبل كل شيء توفيق الباري عز وجل ومن جهة ثانية ما قدمتموه جميعا ، رجولة واخلاص ووعي وايمان . عاد الهدوء والاستقرار الان ... والكل مدين لكم جميعا »(١٣٧) . وحسين يحرص في اثناء ذلك كله على نقل هذه الصورة ، صورة « ان كل شيء قد انتهى وان هذه هي النهاية »(١٣٨) الى الراي العام في الخارج لاقناعه بأنه مسيطر على الوضع وقادر على التصرف . ففي حديث ادلى به لمجلة « لوي » الفرنسية اكد حسين أنه « لا يوجد مكان لهم في مدننا بين نسائنا واطفالنا وفي مصانعنا وقرانا وغاباتنا ولم تعد توجد مواقع للفدائيين هنا في الضفة الشرقية او اية قواعد »(١٣٩) .

ان هذا التطمين الذي يصر عليه حسين تفصيلا من خلال نفي الوجود الفدائي في كل مكان واي مكان في الاردن يدرك مغزاه ومراميه بالاقتران مع موضوعة تمثيل الشعب الفلسطيني التي برزت في هذه المرحلة بروزا واضحا وملحا . وقد كان بروز هذه الموضوعة مترافقا مع التلويح بامكان التسوية التي تفترض وجود طرف مفاوض ومساوم قادر على تقديم التنازلات . لذلك رفض حسين ان تكون المقاومة الفلسطينية ممثلة للشعب الفلسطيني « ووصف قول الفدائيين الفلسطينيين بانهم المتحدثون الشرعيون باسم الشعب الفلسطيني بأنه سخيف »(١٤٠)، وعلى الرغم من ان اتفاق عمان في ١٣/١٠/١٩٧٠ يؤكد ان الثورة الفلسطينية تمثل الشعب الفلسطيني الا ان الملك ينقض ذلك فيما بعد ويقول « نحن اعترفنا للقيادات الفدائية بحقها في السلطة على افراد المقاومة لا على الناس كلهم في عمان »(١٤١) . وهو كبديل لذلك يطرح نفسه ونظامه ممثلين للشعب الفلسطيني ، وقد اخذ هذا الموقف بالتبلور بشكل حاسم في الايام التي اعقبت مشروع روجرز وسبقت مجزرة ايلول ، وهو في طرح نفسه ممثلا للشعب الفلسطيني يقرن ذلك بموضوع التسوية . ففي مقابلة اجرتها معه صحيفة « لوموند » قال جوابا على سؤال حول قرار اتخذه المجلس الوطني الفلسطيني ( اواخر اب ١٩٧٠ ) يدين اي شخص يدعي حق التكلم باسم الفلسطينيين : « ان حكومتي في الوقت الحاضر هي وحدها التي يحق لها التكلم بالنيابة عن الفلسطينيين . والشعب الفلسطيني ينتمي الى الاسرة الكبيرة التي احكمها » وعندما سئل عن الموقف الذي سيتخذه من المنظمات الفلسطينية التي تعارض الحل السلمي اجاب « ان من المؤكد ان عدد المتطرفين سيقل تدريجيا كلما اقتربنا من حل وسنعمل ضد جميع الذين سيعرضون وحدة امتنا او وجودنا لخطر »(١٤٢). وقد استعرت دعوى الملك بتمثيل الفلسطينيين ورفضه ان تكون المقاومة ممثلة للشعب الفلسطيني بعد معارك الاحراج وبعد ان استفرد حسين بالوضع في

الساحة الاردنية . ففي رسالة وجهها الى العقيد معمر القذافي في تموز ١٩٧١ اثر دعوة الزعيم الليبي الى عقد مؤتمر قمة عربي كتب حسين: «كل خطوة تتم بتكريس اي جهة من الجهات كصاحبة الحق في تقرير ذلك المصير نيابـــة عن الشعب الفلسطيني هي خطوة خاطئة لا يرضى بها الشعب الفلسطيني نفسه . فالشعب الفلسطيني في حاجة لمن يعينه على تحرير ارضـه وليس بحاجة لمن يتكلم باسمه رغما عنه . وان اكثرية ذلك الشعب تعيش في الاردن . فهناك الاهل في الارض المحتلة ولهم قبل غيرهم ان يختاروا ويقرروا بعيدا عن اية غوغائية او تسلط او ارهاب »(١٤٢).

ويلاحظ انه بدأت في هذه الفترة بالذات حملة لتأكيد « حق » سكان الضفة الغربية بتمثيل الفلسطينيين . وهذا التأكيد يمكن فهمه من منطلقين : الاول تجريد المقاومة الفلسطينية من حقها بتمثيل الشعب الفلسطيني وتجيير هذا الحق الى جهة لا تؤهلها ظروفها تحت الاحتلال على ادعاء هذا الحق وبالتالي فان الوضع القانوني للضفة الغـــربية باعتبارها جزءا من المملكة الاردنية يجعل السلطة السياسية في عمان وهي المعترف بها دوليا هي صاحبة الحق في الادلاء برأيها في اية تسوية ممكنة . والمنطلق الثاني ان وجهـــاء الضفة الغربية وكبار تجارها ورؤساء بلدياتها الذين ترعرعوا في احضان النظام الهاشمي قبل الاحتلال وارتبطت مصالحهم الاقتصادية بهذا النظام عبر الجسور المفتوحة بعد الاحتلال كانوا مخاطبين بهذا الاتجاه الملكي الرامي الى ابراز « حق » سكـــان الضفة الغربية في تمثيل الشعب الفلسطيني . وهذه الفئة ، بحكم ارتباط مصالحها مع النظـــام الحاكم في عمان ، لن تكون من الجهة الاولى بقادرة على الخروج على ارادة النظام ، كما انها بحكم مواقعها الطبقية سوف تكون ، من الجهة الاخرى ، مجرورة الى مواقـــع مساومة مـــع سلطات الاحتلال في اية تسوية تصفوية وهو ما يتماشى مع اتجاه حسين وينسجم مـــع سياسته . من هنا كان تأكيد حسين : « ان سكان الضفة الغربية هم احق في التحدث باسم الشعب الفلسطيني من السادة الذين يجتمعون في دمشق وبيروت والقاهرة»(١٤٤).

وعندما سئل حسين في مقابلة صحافية عن حق ( م ت ف ) في تمثيل الشعب الفلسطيني اجاب « ان خلف اسوار الاحتلال شعبنا واهلنا واخواننا . قـــد يكون عندهم اكثر من مدرسة فكرية وقد يرضون بأن يمثلهم فلسطينيو الخارج او لا يرضون »(١٤٥). وبالتأكيد فإن هذه « المدرسة الفكرية » التي يشير اليها حسين ليست معنية ابدا بالتعبير عن ارادة الشعب الفلسطيني في تحرير وطنه ، وانما هي تلك المرشحة لتمرير اية تسوية . يقول حسين في مقابلة صحافية اخرى : « في جدة اختلفنا حول من يمثل فلسطين . نحن عندما نقول بأن الذي يمثل فلسطين هو ياسر عرفات او جورج حبش ، النتيجة ان اخواننا في الضفة الغربية والتي هي جزء من تسوية سلمية قد لا يعجبهم ذلك . اخواننا هناك ربما شكلوا تنظيما اخر وربما قالوا بأننا احق بتمثيل فلسطين من غيرنا »(١٤٦).

ان دعوى الملك بحقه في تمثيل الشعب الفلسطيني وضعه على عتبة التسوية الشاملة وجعلته في وضع الاستعداد لتنفيذها في حال موافقة اسرائيـــل عليها . وتبرز اقـــوال حسين ابعاد توجهه نحو هذه التسوية التصفوية وفهمه لها ولآفاقها . وهذا التوجه يقوم على الاسس التالية : ● التسليم بالوجود الاسرائيلي على الارض الفلسطينية . ● اقامة علاقات « حسن جوار » كمرحلة اولى وتمهيدية مع اسرائيل في ظل « الامر الواقع » . ● الدخول في محادثات ثنائية ومباشرة مع اسرائيل تنهي حالة الحرب وتؤدي الى عقد صلح معها . ● تصفية قضية الشعب الفلسطيني عن طـــريق اغرائه ورشوته باقليم فلسطيني في « المملكة العربية المتحدة » . والنماذج التالية من اقوال حسين تسند هذا التصور . في مقابلة نشرت في مجلـــة « اسبرسو » الايطـــالية وصحيفة « معاريف » الاسرائيلية في وقت واحد يوم ١٩٧٢/١/٢٨ قال حسين « انه يقر بأن اسرائيل عامـــل دائم في حقائق الشرق الاوسط وقد قبلنا ذلك عندما قبلنا قـــرار مجلس الامن الدولي في ١٩٦٧/١١/٢٢ »(١٤٧). وفي مقابلة صحافية اخرى سئل حسين : في قرار مجلس الامن

اعتراف بوجود اسرائيل فهل يجدي من الناحية القومية اجراء مفاوضات مباشرة معها ؟ وقد اجاب : « هذا هو رأي الدول الكبرى . في الخرطوم كان رايي ورأي المرحوم الرئيس جمال عبد الناصر عدم التقيد بذلك الشعار الذي قال لا صلح ولا مفاوضات ولا اعتراف باسرائيل . كنا نقول اتركوا الامر معلقـــا طالما ان خططنـــا البحث عن وسيلة سلمية لاستعادة ارضنا ، طالما اننا غير مستعدين عسكريا ، ولكن الاكثرية رفضت ذلك وصدر قرار لا صلح ولا مفاوضات ولا اعتراف . . . ولم يكن معروفا بالنسبة لقرار مجلس الامن ولا للمبادرة [ مبادرة روجرز ] كيفية الانسحاب . أما أسلوب تطبيق الاتفاق فليس مهما ان يكون بمحادثات غير مباشرة او مباشرة »(١٤٨). وكان حسين قد اعلن « انه سيكون على استعـــداد للبحث في امكان التوصـــل الى اتفاق ثنائي مع اسرائيـــل اذا ما قدمت اسرائيل اقتراحا واضحا لذلك كمـــا انه ليس خائفا من معالجـــة القضية وحده مـــع الاسرائيليين »(١٤٩). وفي مقابلة اخرى اجرتها معه « لوموند »(١٥٠) قال « اننا مستعدون لعقد سلام شامل مع كل ما يترتب على ذلك من مضاعفات من خلال مفاوضات مباشرة مع الحكومة الاسرائيلية » . وقال انه مستعد لان يدرس برنامجـــا زمنيا للانسحـــاب الاسرائيلي من الضفة الغربية للاردن اذا وافقت اسرائيل علـــى مبدأ الانسحاب كما انه مستعد لاجراء تعديلات طفيفة في الحدود . وذكر الملك « ان افضل ضمان لامن دولة من الدول هو اقامة علاقات حسن جوار مع الدول الاخرى»، وأوضح « كنت منذ البداية من انصار السلام ولم أومن يوما بالحرب كوسيلة لحل المشاكـــل الدولية » . وقال انه هو صاحب سياسة الجسور المفتوحة بين ضفتي الاردن . وقد أكد حسين سياسة « حسن الجوار » بينه وبين اسرائيل في اكثر من مناسبة ، ففي مقابلة صحافية(١٥١) دافـــع عن هذه السياسة التي قامت منذ حرب حزيران بين الاردن واسرائيل والتي كانت قبل الان « عدوها اللدود » واشار الى التجارة الكبيرة المتبادلة بين السكان العرب عـــلى جانبي « الحدود » وقال ان ما فعله في هذا الصدد « مجرد شيء طبيعي وعادي » . وفي مقابلة صحافية أخرى(١٥٢) « اعترف بوجود مشاريع في طور التنفيذ للسماح بالسياح بالمـــرور بحرية بين الاردن واسرائيل . كما يبدو ان ثمة تجارة نامية بينهما . وعندما سئل عمـــا اذا كانت هذه التجارة تعتبر سيئة في ظل غياب معاهدة سلام ، اعطى حسين جوابـــا براجماتيا ، فقد تساءل ببساطة « هل هو امر سيء ان نبيع منتوجاتنا ؟ » وعندما سئل اذا كانت اسرائيل والاردن تنحوان نحو سلام بالامر الواقع ، اجـــاب حسين ان الزمن سيخبر بذلك » .

استتبعت هذه التوجهات نحو الاعتراف باسرائيل وعلاقات حسن الجوار معها استبعاد فكرة الحرب نهائيا . وقد انهالت تصريحات الملك الداعية الى رفض الحرب بعد تصفية الوجود الفدائي في الاردن اثر معارك الاحراج في تموز ١٩٧١ . ففي مقابلة اذاعية اذيعت في نيويورك قال الملك : « انه ليس له ان يجر العالم العربي الى حرب كما ان ليس لاي دولة عربية ان تفعل ذلك . وقال مذيع وهو يقدم جزءا من المقابلة ان الملك قال للمراسل انه اذا ذهبت مصر الى ما هو ابعد من الحديث عن الحرب فان حسين لن يساعد»(١٥٣). وبهذه المقابلة دخل المصطلح الملكي تعبير جديد هو « ان يجر الى الحرب » فقد كرر هذا التعبير في أكثر من مناسبة ، ففي مقابلة مع صحيفة « نيويورك تايمز » قال : « ان الدول العربية غير مستعدة لحرب مع اسرائيل وان الاردن بوجه خاص ليس مستعدا لان يجر الى مثل هذه الحرب »(١٥٤). كما اعلن لصحيفة واشنطن بوست « انه لن يدع احـــدا يجره الى حرب جديدة ضد اسرائيل لان كارثة كتلك التي وقعت في حزيران ١٩٦٧ تعني دمار العالم العربي »(١٥٥). كذلك استبعد حسين في تصريح له لصحيفة « دي فيلت » بصورة عملية امكانية اشتراك الاردن في حرب مع اسرائيل وقال لن انسى درس العام ١٩٦٧ حتى نهاية حياتي »(١٥٦).

اما بالنسبة لمشروع « المملكة العربية المتحدة » الذي يعتبر الحلقة الاخيرة في استراتيجية

التصفية الهاشمية فان حسين يريده بديلا عن تحرير كامل التراب الفلسطيني وهو الهدف الاستراتيجي لحركة المقاومة ، وبالاضافة الى ذلك فقد جاء المشروع لمواجهة التطلعات الفلسطينية لتأكيد الشخصية الفلسطينية وحق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير وامتصاص هذه التطلعات وشقها وتحويلها عن مجراها الطبيعي . وقد جاء في خطاب العرش الذي القاه حسين في ١٩٧٢/١١/١ اي بعد اعلان المشروع بعدة اشهر ( اعلن المشروع في ١٩٧٢/٣/١٥ ) ما يلي : « بوحي من مصلحة القضية التي يجيش بها ضميرنا وحفاظا على المعطيات الاساسية لوحدة شعبنا وبلدنا وحرصا على الشخصية الفلسطينية التي تعاورتها الانواء وتقاذفتها التيارات المتصارعة ووفاء لطموحات الانسان الفلسطيني وتطلعاته، وتلبية للحاجات التي يمليها بناء الدولة على اسس راسخة وحديثة ... فقد اعلنا في اذار المنصرم مشروعنا لاقامة المملكة العربية المتحدة »(١٥٧). وحسين عندما طرح المشروع كان يراهن على ان يجد صدى لدى وجهاء الضفة الغربية وقطاع غزة من خلال ارتباط مصالحهم بالنظام الهاشمي عبر الجسور المفتوحة . ففي مقابلة مع تلفزيون هيئة الاذاعة البريطانية عرضت في لندن قال حسين انه متأكد من ان الفلسطينيين سيؤيدون مشروعه لاقامة مملكة عربية متحدة تضم ضفتي الاردن وعندما سئل عن السبب الذي يجعله يعتقد ان اغلبية الفلسطينيين ستؤيد المشروع قال ان ايمانه هذا ناجم عن ان الغالبية العظمى من الفلسطينيين موجودة في الارض المحتلة والحكومة الاردنية على اتصال وثيق بهم طول الوقت(١٥٨). ومن الواضح ان اتصالات الحكومة الاردنية تتم في حالة حدوث ذلك مع تلك الرموز التي ارتبطت مصالحها بمصالح النظام . ومن استعراض اقوال حسين نلمح ان مشروعه ( الذي جاء نسخة منقحة عن مشروع ايجال الون ) سيضم بالاضافة الى الضفة الشرقية اجزاء من الضفة الغربية في حال انسحاب اسرائيل من بعضها بموجب مفاوضات مباشرة وثنائية وهو ما عبر حسين عنه « باجراء تعديلات على الحدود تشمل شوارع وقرى وخطوطا غير مقبولة يستطيع المرء ان يتفاوض بشأنها »(١٥٩). كما ان قطاع غزة يقع ضمن اطماع المشروع : « فوضع غزة كوضع الضفة الغربية ... ونحن لا نميز بين غزة والضفة الغربية وبين الضفة الغربية والضفة الشرقية ... وقطاع غزة وشعبه منا ولنا »(١٦٠). كما اعلن حسين « ان مشروع المملكة المتحدة لقي قبولا في الضفة الغربية وفي قطاع غزة لانه يعكس اماني الشعب حيث يمنحهم حق تقرير المصير »(١٦١). وقد استعان حسين بانصاره في القطاع المستفيدين بتجارتهم من وجوده لتأكيد تطلعه نحو قطاع غزة . ففي زيارة قام بها رشاد الشوا ، رئيس بلدية غزة السابق ، الى عمان على رأس وفد للتعزية بوفاة الملك طلال ، ادلى بتصريح قال فيه « ان اهالي القطاع يعتبرون جلالة الحسين رمزا للاخوة العربية وان الحاق قطاع غزة بالضفة الغربية المحتلة وضمه الى مشروع المملكة العربية المتحدة الذي اقترحه جلالة الحسين افضل من استيلاء اسرائيل عليه »(١٦٢).



ان سياسة حسين الفلسطينية ان اختلفت في مظاهرها ، فهي في جوهرها ودوافعها ومراميها ظلت منسجمة مع الدور التاريخي الذي مثلته « الهاشمية » على مسرح المنطقة العربية : اجهاض اي ارادة تحررية والمساومة عليها ، وهو دور جسدته مسيرة حسين كلها بتعرجاتها المختلفة لكن التي ينتظمها شامل واحد هو معاداة الارادة الفلسطينية وتصفية قضيتها وانهاء وجود الشعب نفسه .

---

١ — مجلة « **اخر ساعة** » القاهرية ٦٩/٨/١٣.
٢ — صحيفة « **التايمز** » اللندنية ١٩٦٨/١٢/٢.
٣ — **المصدر نفسه** ١٩٦٨/١٢/١٦ .
٤ — انظر صحيفة « **النهار** » اللبنانية ٧٢/١/٢٩.
٥ — انظر صحيفة « **الاهرام** » القاهرية ١٩٧٢/١/٢٩ .

٦ — خطاب في تخريج دورة من ضباط الاركان ، نشرته صحيفة « **فلسطين** » الاردنية ١٢/٢٨/ ١٩٦٦ .

٧ — صحيفة « **الدستور** » الاردنية ١٩٦٧/٩/١.

٨ — خطاب في القدس ، « **فلسطين** » ١/٢٦/ ١٩٦٧ .

٩ — صحيفة « **المنار** » الاردنية ١٩٦٤/٥/٢٦ .

١٠ — من خطاب وجهه الى سعد جمعة ، رئيس وزرائه ، عن الادب والفن ، نشرته «**الدستور**» ١٩٦٧/٩/١٤ .

١١ — المصدر المذكور في حاشية ( ٦ ) .

١٢ — رسالة الى وصفي التل ، رئيس وزرائه ، نشرتها صحيفة « **النهار** » ١٩٧١/٦/٣ .

١٣ — مجلة « **التايم** » الامريكية ١٩٧١/٧/٥ .

١٤ — صحيفة « **الجارديان** » البريطانية ١١/٢٢/ ١٩٧١ .

١٥ — صحيفة « **نيويورك تايمز** » الامريكية ١٩٧٠/٩/١٨ .

١٦ — انظر كمثال رسالة تكليف عبد المنعم الرفاعي ، نشرتها « **الدستور** » ١٩٧٠/٦/٢٨.

١٧ — نشرتها « **النهار** » ١٩٦٦/١١/٢٠ .

١٨ — نشرتها « **النهار** » ١٩٧١/٦/٣ .

١٩ — في رسالة بعث بها الى بهجت التلهوني ، نشرتها « **الدستور** » ١٩٦٨/٩/١٤ .

٢٠ — صحيفة « **صنداي تليجراف** » البريطانية ١٩٦٨/١٠/٦ .

٢١ — **المصدر نفسه** ، ١٩٦٨/١٠/١٣ .

٢٢ — من خطاب القاه من الراديو ، نشرته « **الدستور** » ١٩٦٧/١٠/١٧ .

٢٣ — من رسالة وجهها الى زيد بن شاكر ، قائد سلاح المدرعات الاردني ، نشرتها «**الدستور**» ١٩٧٠/٥/٥ .

٢٤ — « **الدستور** » ١٩٧٠/٣/١ .

٢٥ — المصدر المذكور في حاشية ( ١٠ ) .

٢٦ — **المصدر نفسه** .

٢٧ — « **الدستور** » ١٩٦٩/٤/٣٠ .

٢٨ — اعادت نشر فقرات منها صحيفة « **اخبار فلسطين** » ١٩٦٧/٢/٦ .

٢٩ — انظر « **النهار** » ١٩٦٧/١١/٩ .

٣٠ — صحيفة « **الاوبزرفر** » البريطانية ٢/٢٨/ ١٩٧١ .

٣١ — مقابلة اجرتها صحيفة « **لوي** » الفرنسية في ١٩٧١/١١/٢٥ واعادت نشر فقرات منها صحيفة « **المحرر** » اللبنانية ١٩٧١/١١/٢٦ .

٣٢ — صحيفة « **الاكسبرس** » الفرنسية ٢/١٨/ ١٩٧٢ .

٣٣ — صحيفة « **السياسة** » الكويتية ٧٢/٢/٥.

٣٤ — « **نيويورك تايمز** » ١٩٧٠/١٢/١٣ .

٣٥ — نقلا عن « **النهار** » ١٩٧١/٤/٢٨ .

٣٦ — نشرتها « **الدستور** » ١٩٦٨/٩/١٤ .

٣٧ — « **الصاندي تايمز** » ١٩٦٩/١/١٩ .

٣٨ — انظر « **النهار** » ١٩٧٠/١٢/١٢ .

٣٩ — انظر صحيفة « **انترناشينال هيرالد تريبيون** » الامريكية ١٩٧٠/١٢/١٥ .

٤٠ — المصدر المذكور في حاشية ( ٣١ ) .

٤١ — **المصدر نفسه** .

٤٢ — « **نيويورك تايمز** » ١٩٦٨/٩/٢٤ .

٤٣ — انظر « **النهار** » ١٩٧٠/٣/٣ .

٤٤ — نقلت المقابلة « **الدستور** » ١٩٦٨/٧/١٠ .

٤٥ — مجلة « **التايم** » ١٩٦٩/٤/١٨ .

٤٦ — انظر « **النهار** » ١٩٦٩/٤/٢٩ .

٤٧ — « **الدستور** » ١٩٦٩/٤/٣٠ .

٤٨ — انظر « **الدستور** » ١٩٧٠/٥/٤ .

٤٩ — اوردتها « **النهار** » ١٩٧٠/٣/٣ .

٥٠ — وكالات الانباء العالمية ، انظر « **النهار** » ١٩٧٠/١٢/١١ .

٥١ — « **النهار** » ١٩٧٠/١٢/١٢ .

٥٢ — « **الدستور** » ١٩٧٢/٤/٣٠ .

٥٣ — من رسالة وجهها حسين الى الرئيس الراحل جمال عبد الناصر في ١٩٦٦/٧/١٤ ، نشرتها صحيفة « **الحياة** » اللبنانية ١١/١٦/ ١٩٦٦ .

٥٤ — من خطاب في الديوان الملكي بمناسبة عودته من مؤتمر القمة العربية الثالث في الدار البيضاء ، نشرته صحيفة « **الجهاد** » الاردنية ١٩٦٥/١٠/٥ .

٥٥ — خطاب بمناسبة ١٥ ايار ، نشرته «**الحياة**» ١٩٦٥/٥/١٤ .

٥٦ — صحيفة « **المنار** » الاردنية ١٩٦٦/١/٦ .

٥٧ — المصدر المصدر المذكور في حاشية ( ٥٣ ) .

٥٨ — **المصدر نفسه** .

٥٩ — المصدر المذكور في حاشيته ( ٥٦ ) .

٦٠ — مؤتمر صحافي في ١٩٦٦/١١/٢٩ ، « **الحياة** » ١٩٦٦/١١/٣٠ .

٦١ — الصحف الاردنية ١٩٦٦/٦/١٥ .

٦٢ — من خطاب القاه في احتفال جرى في ١٢/

١٩٦٦/١٢ لتخريج دورة من مرشحي الضباط ، الصحف الاردنية ١٩٦٦/١٢/١٣ .

٦٣ — **مقابلة مع مجلة « يو اس نيوز اند وورلد ريبورت » الامريكية ١٩٦٦/١٢/١٩ .**

٦٤ — المصدر المذكور في حاشية (٥٦) .

٦٥ — خطاب في خريجي الجامعة الاردنية ، نشرته « **الجهاد** » ١٩٦٦/٦/٣٠ .

٦٦ — خطاب في « وفود امت الديوان الملكي » ، صحيفة « **الدفاع** » الاردنية ١٩٦٦/٦/٢٢ .

٦٧ — نشرتها « **النهار** » ١٩٦٦/١١/٢٠ .

٦٨ — « **الحياة** » ١٩٦٦/١١/٢٤ .

٦٩ — المصدر المذكور في حاشية (٥٤) .

٧٠ — « **الحياة** » ١٩٦٦/١١/٢٦ .

٧١ — المصدر المذكور في حاشية (٥٤) .

٧٢ — مقابلة مع صحيفة « **لو موند** » الفرنسية ١٩٦٦/١١/٢٥ .

٧٣ — « **الاهرام** » ٢٧/١/ ١٩٦٧ .

٧٤ — « **الجهاد** » ٣/٩/ ١٩٦٤ .

٧٥ — خطاب في الديوان الملكي ، « **الجهاد** » ١٩٦٥/١٠/٥ .

٧٦ — خطاب عجلون ١٩٦٦/٦/١٤ . .

٧٧ — المصدر المذكور في حاشية (٦٣) .

٧٨ — « **الحياة** » ١٩٦٦/١١/٣٠ .

٧٩ — نشرته « **الحياة** » ١٩٦٦/١١/٣٠ .

٨٠ — « **الدستور** » ١٩٦٧/٩/٥ .

٨١ — « **الدستور** » ١٩٦٧/١٠/٣ .

٨٢ — نقلته صحيفة « **الانوار** » اللبنانية ١٧/٩/ ١٩٦٧ .

٨٣ — « **الدستور** » ١٩٦٨/٢/١٨ .

٨٤ — في مؤتمر صحافي عقده ناصر بن جميل ، خال الملك ، في عمان قال انه « بعد قول جلالة الملك المعظم انه هو ندائي الاول فان كل فرد في هذا البلد هو ندائي منتظم » ، « **الدستور** » ١٩٦٩/٧/١ .

٨٥ — « **الاهرام** » ١٩٦٨/٣/٢٢ .

٨٦ — « **الدستور** » ١٩٦٨/٣/٢٤ .

٨٧ — انظر كمثال رسالة وجهها حسين من الراديو ونشرتها « **الدستور** » ١٩٦٨/١١/٥ ، كذلك خطاب في اجتماع ترأسه حسين وحضره كبار رجال الدولة ، اوردته « الدستور » ١٩٦٨/١١/٧ .

٨٨ — « **الدستور** » ١٩٦٨/١٢/٢٠ .

٨٩ — « **الدستور** » ١٩٧٠/٥/٥ .

٩٠ — المصدر المذكور في حاشية (٨٦) .

٩١ — مقابلة مع التلفزيون الاردني ، نشرتها « **الحياة** » ١٩٦٨/١١/١ .

٩٢ — مقابلة مع التلفزيون اللبناني ، نشرتها « **الدستور** » ١٩٦٩/٣/١٤ .

٩٣ — « **الدستور** » ١٩٦٨/٩/١٤ .

٩٤ — « **الدستور** » ١٩٦٩/١١/٢ .

٩٥ — مؤتمر صحافي اثر ازمة شباط ١٩٧٠ ، « **الدستور** » ١٩٧٠/٢/١٥ .

٩٦ — في خطاب في القصر ، « **الدستور** » ٧/١١/ ١٩٦٨ .

٩٧ — « **الصنداي تليجراف** » ١٩٦٨/١٠/٦ .

٩٨ — **المصدر نفسه** ١٩٦٨/١٠/١٣ .

٩٩ — « **النهار** » ١٩٦٩/٣/١ .

١٠٠ — « **النهار** » ١٩٦٩/٤/٢٩ .

١٠١ — مؤتمر صحافي في عمان ، « **الدستور** » ١٩٦٨/١١/٧ .

١٠٢ — نقلتها « **الدستور** » ١٩٦٩/١٠/١٢ .

١٠٣ — نقلتها « **النهار** » ١٩٧٠/٤/٣ عن صحيفة « **توريبو** » الايطالية ١٩٧٠/٤/٢ .

١٠٤ — « **النهار** » ١٩٦٩/٣/١ .

١٠٥ — « **المحرر** » ١٩٦٩/٤/١٢ .

١٠٦ — « **نيويورك تايمز** » ١٩٦٩/٤/١٨ .

١٠٧ — « **التايم** » ١٩٦٩/٤/١٨ .

١٠٨ — مقابلة مع تلفزيون هيئة الاذاعة البريطانية في ١٩٦٩/١/١٣ ، نشرت اجزاء منها « **النهار** » ١٩٦٩/١/١٤ .

١٠٩ — « **الدستور** » ١٩٦٨/٩/١٤ .

١١٠ — خطاب العرش في مجلس الامة في ١/١١/ ١٩٦٩ ، نشرته « **الدستور** » ١٩٦٩/١١/٢ .

١١١ — نشرتها « **الدستور** » ١٩٦٨/١١/٥ .

١١٢ — انظر « **الدستور** » ١٩٦٨/١١/٧ .

١١٣ — **المصدر نفسه** .

١١٤ — اوردته « **الدستور** » ١٩٧٠/٢/١٥ .

١١٥ — انظر : خليل هندي واخرون ، **المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني** ( مركز الابحاث ، بيروت ، ١٩٧١ ) ، ص ٥٥ .

١١٦ — **المصدر نفسه** ، ص ٦٠ .

١١٧ — مركز الابحاث ، **اليوميات الفلسطينية** ، المجلد الحادي عشر ، ص ٤٤٣ .

١١٨ — **المصدر نفسه** ، ص ٣١٨ .

١١٩ — « **النهار** » ١٩٧٠/٦/١٨ .

١٢٠ — نشرتها « **الحياة** » ١٩٧٠/٦/١٢ .

١٢١ — من رسالة وجهها حسين الى الرئيس العراقي احمد حسن البكر ، نشرتها صحيفة « **الانوار** » اللبنانية ١٩٧٠/٨/٥ .
١٢٢ — خطاب القاه من الاذاعة والتلفزيون في ١٩٧٠/٧/٢٩ ، نشرته صحيفة « **الدفاع** » الاردنية ١٩٧٠/٨/٣٠ .
١٢٣ — المصدر المذكور في حاشية ( ١١٩ ) .
١٢٤ — « **الدفاع** » ١٩٧٠/٨/٣٠ .
١٢٥ — خطاب اذيع من راديو عمان في ١٩٧٠/٩/٦ ، انظر « **النهار** » ١٩٧٠/٩/٧ .
١٢٦ — خطاب من الاذاعة ، « **الدفاع** » ١٩٧٠/٩/٤ .
١٢٧ — نقلا عن « **النهار** » ١٩٧٠/٩/١٦ .
١٢٨ — نقلا عن صحيفة « **دايلي ستار** » اللبنانية، ١٩٧٠/٩/١٦ .
١٢٩ — صحيفة « **لوموند ويكلي** » ١٩٧٠/٩/٣٠ .
١٣٠ — « **النهار** » ١٩٧٠/٦/٣ .
١٣١ — « **الحياة** » ١٩٧١/٣/٣١ .
١٣٢ — في رسالة وجهها حسين الى الملوك والرؤساء العرب اثر مجازر الاحراج نشرتها « **الدستور** » ١٩٧١/٧/٢٣ .
١٣٣ — « **النهار** » ١٩٧١/١٠/٢٦ .
١٣٤ — « **الدستور** » ١٩٧١/٨/٢٩ .
١٣٥ — « **الحياة** » ١٩٧١/٩/١٦ .
١٣٦ — « **النهار** » ١٩٧١/٩/٢٢ .
١٣٧ — « **الدستور** » ١٩٧١/٩/٢٦ .
١٣٨ — في مؤتمر صحافي عقده في وادي ابو الصوان في ١٩٧١/٧/١٧ ، « **الدستور** » ١٩٧١/٧/١٨ .
١٣٩ — نقلا عن « **المحرر** » ١٩٧١/١١/٢٦ .
١٤٠ — حديث لصحيفة « **ديرشتيرن** » الالمانية نقلته « **الحياة** » ١٩٧١/١٢/٢١ .
١٤١ — مقابلة مع مجلة « **الحوادث** » اللبنانية ١٩٧١/١١/٢٦ .
١٤٢ — نقلا عن « **النهار** » ١٩٧٠/٩/٩ .
١٤٣ — « **النهار** » ١٩٧١/٧/٣٠ .
١٤٤ — تصريح « **للوموند** » ١٩٧١/٨/١٠ ، نقلته « **النهار** » ١٩٧١/٨/١١ .
١٤٥ — « **الحوادث** » ١٩٧١/١١/٢٦ .
١٤٦ — مقابلة مع صحيفة « **السياسة** » الكويتية ١٩٧٠/٢/٥ .
١٤٧ — نقلا عن « **النهار** » ١٩٧٢/١/٢٩ .
١٤٨ — المصدر المذكور في حاشية ( ١٤٦ ) .
١٤٩ — مقابلة مع « **لوي** » نقلا عن « **المحرر** » ١٩٧١/١١/٢٦ .
١٥٠ — نقلا عن « **النهار** » و « **دايلي ستار** » ١٩٧٢/١١/٤ .
١٥١ — صحيفة « **دي فيلت** » نقلا عن « **المحرر** » ١٩٧٢/٦/٧ .
١٥٢ — « **انترناشينال هيرالد تريبيون** » ١٩٧٢/٤/١٧ .
١٥٣ — « **النهار** » ١٩٧١/١١/٢١ .
١٥٤ — انظر « **النهار** » ١٩٧١/١٢/١٣ .
١٥٥ — نقلا عن « **النهار** » ١٩٧٢/٤/١٨ .
١٥٦ — انظر « **المحرر** » ١٩٧٢/٦/٧ .
١٥٧ — « **الدستور** » ١٩٧٢/١١/٢ .
١٥٨ — « **الدستور** » ١٩٧٢/١١/١ .
١٥٩ — المصدر المذكور في حاشية ( ٣٥ ) .
١٦٠ — مقابلة مع « **النهار** » ١٩٧٢/٨/٢٤ .
٦١ — حديث لصحيفة « **اليفيتروس كوزموس** » اليونانية ، نقلا عن صحيفة « **بيروت** » اللبنانية ١٩٧٢/٧/٢ .
١٦٢ — تصريح لوكالة الانباء العراقية نشرته « **الدستور** » ١٩٧٢/٨/١٦ .

# شاؤول تشرنحوفسكي : بين التمرد والاستسلام

د. عبد الوهاب م. المسيري

تتضح كل تناقضات الفكر الصهيوني في اشعار وكتابات الشاعر شاؤول تشرنحوفسكي الذي ولد في روسيا في ٢٠ اغسطس ١٨٧٥ ، وتعلم العبرية والروسية في طفولته ، وقرأ عديدا من الكتب الادبية العالمية،فمن بين قراءاته نجد قصص جول فيرن واسكندر دوماس والالياذة والاوديسة واشعار شللي ، جنبا الى جنب مع التلمود والكتب اليهودية القديمة . ودرس تشرنحوفسكي الطب في هايدلبرج في المانيا ، حيث تزوج من سيدة روسية مسيحية من أصل ارستقراطي ، تقية ورعة متمسكة بأهداب دينها وتعاليمه . وبعد ذلك رحل تشرنحوفسكي الى سويسرا حيث مارس مهنته ، ومنها هاجر عام ١٩٣١ الى فلسطين ، واستقر فيها حتى حانت منيته عام ١٩٤٣ .

## تشرنحوفسكي العلماني المتمرد

تتسم قراءات تشرنحوفسكي ، بل وحياته ، بضرب من الازدواجية العميقة التي تعبر عن نفسها في أدبه ، سواء من ناحية الشكل ام المضمون ، فأدبه أدب يهودي متمرد على اليهودية في الوقت ذاته . فعلى سبيل المثال نجده ينصرف عن الاشكال الادبية العبرية ليقلد الاشكال الادبية الغربية من سوناتا الى ملحمة الى خمريات انكارونية أغريقية ، بل انه ترجم كثيرا من الاشعار الغربية الى العبرية ، وهو مشهور كمترجم شهرته كشاعر . هذا من ناحية الشكل ، أما من ناحية المضمون فتمرده يظهر بشكل اجلى وأوضح ، فتشرنحوفسكي من أتباع الفيلسوف الصهيوني بيرديشفسكي الذي نادى بتخليص اليهودية من روحانيتها المتطرفة ، ومن تركيزها الزائد على البؤس والشقاء والاستشهاد ، كما أنه نادى باعلاء قيم اخلاقية نيتشوية ، كان يعدها البعض غير يهودية ، مثل الفرح والقوة الجسدية والعدوانية ، وقد حاول تشرنحوفسكي ان يطرح جانبا القيم اليهودية التقليدية التي تثقل كاهله . ففي قصيدة « اني أعتقد » ، على سبيل المثال ، يتغنى ببعث الانسان اليهودي الجديد ، وبالشعب اليهودي الذي لا ينوء تحت نير الغيبيات الدينية .

شعبي هو الاخر سيزدهر ، وفوق الارض سيظهر نشء جديد .
سيلقي بالسلاسل التي تغل يديه ، وسيرى النور امام عينيه .
شعب يعيش ويحب ويعمل ويفعل ، يقينا انهم احياء على الارض .
وليس في العالم الاخر — لا يعيشون على الامل في السماء ولا يقرون عينا بالعقيدة الخاوية .

ويلقي تشرنحوفسكي بنفسه في احضان الطبيعة لينسى يهوديته . والهرب الى الطبيعة له دلالة خاصة بالنسبة لليهود، اذ ان الديانة اليهودية من أكثر الديانات معاداة للطبيعة، فبؤرة الوجدان اليهودي عبر التاريخ كانت دائما وابدا القبيلة والجماعة ، واذا كانت الشعوب الوثنية تعبد العناصر الطبيعية مثل الشمس والقمر والاشجار ، فقد كان على اليهود أن يؤكدوا استقلالهم عن طريق ابتعادهم كلية عن اي عبادة لتلك العناصر ، وبهذا

يكون من المنطقي لليهودي المتمرد على يهوديته ان يعود للطبيعة والوثنية القديمة ، وهذا هو ما فعله تشرنحوفسكي في كثير من تراجمه وقصائده . فهو قد ترجم الى العبرية عديدا من القصائد « الوثنية » مثل الالياذه والاوديسة ، كما انه عـــادة ما يشير في شعره الى آلهة وثنية مثل ابولو وأدونيس . كما ان الشاعر يتخذ موقفا وثنيـــا اغريقيا في بعض قصائده مثل السونت رقم ١١ من سلسلة السونتات المعنونة « الى الشمس » :

أن قلبي ليحثني على ان أتغنى بالكواكب والشمس
هل ستنصبون من أنفسكم قضاة وتمرغونني في التراب
لانني لا أصب خمري لاله الجماهير
لا ولا أضع على رأسه الاكاليل ، راقصا مع الناس
لانه في معبده السماوي ، لا يتجسد في صورة ولا يظهر في كتاب
وهو يسري في جمال كل الاشياء التي تصدر عن الكل الكامل ، وملاكه السماوي لا يجيب على سؤال .
كما انه لم يأت قط ليظلم نور عيوني بكتاب الاسلاف المتغطرس
كتاب أمهرته بتوقيعي حسب شريعة القانون كميثاق غبي
ولكن ان مرت عليك موجات من الوحي المقدس
وسرت فيك رجفة الفرح اثناء الخلق النبوي
وان شعرت بغزارة حياة القلب تسري كل الاشياء الخفية

ان شعرت بكل هذا ، يقول الشاعر ، فلتعرف اذن أن اله الطبيعة قد تقبلك . وهو اله ، كما نرى ، يقف في مقابـــل الاله اليهودي القديم الـــذي يسن القوانين ويرسل بالكتب المتغطرسة التي ينوء اليهودي بحملها . أن هذه القصيدة تذكرنـــا بقول موسى هس ، الفيلسوف اليهودي ، ان الدين اليهودي مثـــل المصيبة التي لا يملك اليهـــودي الا ان يحملها . ولكن تشرنحوفسكي يفضل ان يهرب بكل جوارحه الى اله الطبيعة والى عالم الاغريق الوثني ، يقول في سوناتا رقم ١٣ :

يا آلهة العالم الذي اختفى امسكي بي ، انا لا املك الفرار
يا آلهة الامة التي تضفي الجمال على كل ما لمسته يداها .
أضحى الجمال حكمتها ، وحكمتها الجمال .
ان روعتك لتسقط مثل المطر على العالم السفلي وعلى المحيط .

وهو يتساءل في اخر هذه القصيدة :

أي السبل سأختار ، وأي الدروب سأسلك ؟
هل أصب زيتي للرب ، ام سأختار زيوس ؟

والتساؤل هنا خطابي ، فلقد اختار الشاعر طريـــق الجمال والفرح ، طريق اليونـــان والوثنية ، مخلفا وراءه تاريخ اليهود الطويل بكل مآسيه وآهاته ، فلقد قال الشاعر في السوناتا الاولى مخاطبا الشمس :

انني أنحني لك في صمت ، انني انحني في بهجة لاصلي لك
مثلي مثل سنبلة ذهبية في حقل قمح مترع بالحبوب .

ان كيانه وذاتيته اليهودية يذوبان تماما في هذا الكل الرائع ، او كما يقول في السوناتـــا الثامنة :

سأشدو في جوقة اللانهاية ، ولن أكف عن الشدو .
ففي قلبي يقطن الندى الذي لا يزال يتساقط فوق التلال .

والنماذج السابقة التي اقتبسناهـــا يسري فيها تيار قوي للغاية من وحـــدة الوجود ، فالشاعر تبتلعه موجات الوحي المقدس التي تجري « في كل الاشياء الخفية » ، والشاعر

نفسه يصبح شيئا : « سنبلة ذهبية » في حقل كوني مترع بالحبوب ، وهو سيشدو في « جوقة اللانهايـــة » لان قلبه امتزج بالطبيعة ويتساقط عليه الندى . ان الهروب الى الطبيعة ، الى جانب انه هروب من الذات التاريخية المحددة ، هو أيضا هروب من العقل ومن التاريخ بل ومن الوعي سواء كان يهوديا ام انسانيا . يقول الشاعر في سلسلـــة أخرى من السوناتات تسمى « عن الدم » :

من الفخ الى الهاوية ، ومن الظلال الى الظلام نسقط ، مثل بقايا نيران خامدة .
نبارك بدنس لنستمد الوحي وبخفة نثني على العقل ... ذلك الضوء الزائف .
الذي ينيم ارواحنا حتى تنسى آلامها بنيمها بالفرح المترع ، وبموسيقى القيثار ،
وبالحدود والقواعد والقوانين نصل الى نظريات متحضرة ، معقدة ولا حياة فيها .
فلنكن مثل الاطفال الصغار مرة اخرى
مثل قطرة في الفيضان ، أو تنهدات المروج ،
لا بحث ، ولا هدف ، ولا قاعدة ، ولا طغيان ،
مثلما كنا في الايام القديمة ، قبل ان نتحكم
في الارض والضياء ، قبل ان نصيب الحكمة ،
وقبل ان يرهقنا الانبياء .

ان العودة للطبيعة هي عودة للبراءة المطلقة ، براءة تجعل من الانسان طفلا ، بل قطرة في اللانهاية السائلة ، لا تمارس اي احساس بالذنب او بالتاريخ ولا تشعر بأي حدود .

## تشرنحوفسكي اليهودي القبلي

ولكن ثمة نبرة يهوديـــة متميزة في شعر تشرنحوفسكي تختلف اختلافـــا بينا عن النبرة المتمردة « العلمانية » الوثنية ، ففي قصيدة « في احلامي » نجد انه يستخدم الاشكـــال الشعرية العبرية القديمة ، فالقصيدة هي اساسا نواح من أجل العودة الى صهيون ، وهذا موضوع تقليدي كتب عنه الشعراء العبريون منذ العصور الوسطى حتى منتصف القرن العشرين . في هذه القصيدة يسمع الشاعر في احد أحلامه بلبلا يصدح في سكون الليل في فلسطين . ان الطائر يتغنى بالشعب الذي كان يقطن يوما ما هذه الارض ولكنه الان يجوب في أطراف الارض ومسالكها ، ويغمر الحزن قلب الشاعر ، بل ان البراعم والازهار والنخيل واشجار الزيتون تحزن هي الاخرى لشدو الطائر الحزين .

واحساس اليهودي بأنه منفصل عن الجوييم ، عدو لهم ، يتضح في قصيدة « فليكن هذا هو ثأرنا » : يقول الشاعر في القصيدة ان اضطهاد الجوييم لليهود سيملؤهم بالدنس ، وسيفقدهم طهارتهم ، اذ « أن دم اليهود سيتخلل كيانهم حتى يسمم أساس وجـــودهم ذاته» ، والقصيدة تجسيد لحقد مسموم لا يمكن لاي انسان سوي فهمه او معرفة كنهه. وهي تعبير عن احساس بالالم لا يزيد صاحبه انسانية ، بـــل يعمق من كرهه وحقده ، ولعل هذه الابيات توضح للقارىء بشكل ملموس تعميماتنا النقدية :

سيأتي اليوم ( الذي تفقد فيه ايها المضطهد طهارتك ) وتغرس حد سكينك في عنق أخيك ، ابن امك ،
كأنك تذبح خنزيرك المفضل
في عيد القيام ، في الفناء او في ميدان القرية ،
وستكون رنين أنات موته مثل الموسيقى
أو المهرجان في اذنيك الملتهفتين .
يـــا يوم الثار !
يوم ينتف ابنك شعر ذقنك التي علاها الشيب ،
ويرفع في وجهك قبضته الصلبة مهددا ،
وسيناديك من حنجرته الحيوانية :

« أيها الشرير ! » وأنت تذرف الدمع
أمام كل الناس !
يا يوم الثأر والعقاب !
حين تعرض ابنتك الحبيبة نفسها ، عاهرة صفيقة ،
ملكتها الرغبة العارمة ، وسكرت من الخمر ،
وأخذت تهمهم لك بكل قصص الزنا
الذي ارتكبت ...
هذا هو ثأرنا !
فليعش ثأرنا
نرثه جيلا بعد جيل !

واذا كان من الصعب أن نسمي مثل هذا السباب شعرا ، الا انه في الوقت ذاته يبين لنا بوضوح وجلاء الجانب اليهودي القبلي من شعر تشرنحوفسكي .

ومن أشهر قصائده اليهودية ، قصيدة « باروخ المغنتسي » ، وهي عبارة عن مونولوج طويل يناجي فيه بطل القصيدة قبر زوجته ، محدثا اياها عن اتراحه واوجاعه واحقاده ، وتدور حوادث القصيدة في العصور الوسطى حينما تمر الحملة الصليبية الاولى على بلدة مغنتسيا على نهر الراين ، ويقوم الجنود بقتل بعض اليهود ويحملون البعض الاخر على اعتناق المسيحية ، وكان من بين الفريق الاخير يهودي يسمى اوري ، وحسب الوقائع التاريخية نعرف ان الندم قد تملك اوري بعد فعلته هذه ، فقتل ابنتيه ، ثم انتحر بـأن أحرق نفسه ، ولكن تشرنحوفسكي غير هذا الجـزء من القصة جاعلا منها قصة ثـأر واستشهاد ( البطل والشهيد بدلا من الضحية ) ، فغير اسم اوري الى باروخ (المبارك)، ثم حوله الى بطل يقوم باضرام النار في الدير والمدينة ، وتهلـك ابنتاه اثناء الحريـق . والقصيـدة طويلة للغاية ، لذا فسنكتفي بترجمة بعض المقتطفـات منها ، عارضين لها بالتحليل : تبدأ القصيدة بالحديث عن هذا الموضوع الشائع المتكرر في كل الادب العبري، اضطهاد اليهود واستشهادهم :

في الشوارع تجري جموع الفلاحين والحرفيين ، رجال على الخيول ،
أنات الموتى ، وبكاء الاطفال ، أصوات النساء يلتمسن الرحمة ،
الاواني المحطمة ، والملابس المهلهلة والدماء تجري فوق الطين كالماء ،
وصيحات تملأ الروح بالرعشة : فلنضربهم حتى الموت .

في وسط هذا الهرج والمرج ، ينقذ باروخ جسده بأن يعتنق المسيحية . ولكن مأساته كما يراها هو ليست مأساة فرد وقـع ضحية اضطهاد الاغلبية ، بـل هي مأساة الشعب اليهودي ككل ، ولذا تفقد المأساة حدتها بل عمقها الانساني ، وتتحول الى صراع بـين كتل مجردة : اليهود والجوييم :

حينئذ لعنت شعبي ، اسرائيل ، ضرع امي ، مربيتي ،
الهي ... وكل مقدسات أبي بصقت عليها لاعنا !

بعد بؤسه الجماعي يتذكر باروخ بؤسه الفردي ، ولكنه حتى في هذه اللحظة ، كل مـا يوجعه انه يسجد لآلهة غريبة ، وليس لاله قبيلته المألوف لديه :

حينئذ لعنت كل آمالي ، وخنقت كل كياني ،
اقول « أبي » للغريب ، واقول « أمي » للغريبة ،
وأخذت عهودا على نفسي لاله غريب لا اعرفه ، ولا اشعر نحوه بأي ولاء .
ثم انحنيت له ولكل قديسيه .

ان ما يؤلمه ليس مأساته كانسان وكفرد ، بـل كيهودي اضطر للانسلاخ عن جماعته ،

ولذا فاعتراضه على الاله المسيحي ليس اعتراضا عقلانيا او حتى عاطفيا ، بل هو اعتراض قبلي من العسير علينا كبشر وكأفراد التعاطف معه او تقبله ، ولان احساسه بمأساته قبلي ، فانه يتذكر على التو طفولته بكل سماتها وطقوسها اليهودية :

الهتي الجديدة ! تجري أمام عيوني
صور من أيام طفولتي : رجل لم يبلغ الثالثة عشر بعد ،
نخور في البداية بالبارمتسفا ، وبيد مبتدىء مرتجفة ،
الف حولي التفيليم ، ( الشال ) ، خشية ان يسقط ...
وتحت نير التوراة انحني ، توراة آبائي .

وحينما يرسم لنا الشاعر صورة حياته اليهودية السابقة ، نكتشف انها « لم تجلب له سوى السعادة » ، فالريح الرقيقة تمر على منزله الصغير تداعبه ، والنحل ينتقل بين الازهار ، واوراق الاشجار خضراء ، اما الثمار فذهبية ، والطيور تشدو وتغرد وتطير فرحة من غصن الى غصن ومن فنن الى فنن .

بعد هذه الصورة المفرطة في الرومانسية ، ينفجر ينبوع الحقد في داخل باروخ ، ويستمطر لعنات الهه على اعدائه من الجوييم :

فليسرع الرب بهلاككم ، وليصيبكم بالاوبئة ،
حتى تدخلوا الرعب على قلوبكم وتلوذوا بالفرار من أنفسكم .

ثم يطلب بعد ذلك من الله ان يبتليهم بالاحزان ، وان تحتقرهم الاشياء الزاحفة السامة التي يمقتها التراب ، وان يبلغوا من القبح درجة يخافون معها من النظر الى وجوههم ذاتها ، ويصل هذا الدعاء الكريه الى ذروته القبلية في هذه الابيات التي تذكرنا بدعوات بعض انبياء العهد القديم :

فلترسل يا الهي — اني اضرع اليك ان ترسل سيفك لتثأر منهم ،
ولتتركهم في بؤس شديد ، دون ذرية .
فلتصب حنقك على الامم التي لا تعرفك ،
ولتصب غضبك على الممالك التي لا تنادي اسمك ،
لانهم قد دمروا مساكن شعبك وأكلوا نصيب يعقوب .

وهو في مناجاته لحبيبته يتحول الى ما يشبه الفامبير ، مصاص الدماء :

في كل ليلة نصعد ، نصعد من قبورنا حيث دفنا ،
لنشرب دماء هؤلاء الجزارين حتى تسكر ارواحنا .
نرضع من أنهار الدم ، رشفة رشفة ، قطرة قطرة ،
نسكر من الحزن ونسكر من الآهات حتى تراهم عيناي يرتجفون .
لا يبل لي صدى ، واشعر بالشماتة من نظراتهم وقد تجمدت اثناء الليل من العاصفة ،
ومن شعرهم الذي يقف من الرعب .

ان عقدة شمشون تسيطر على العقل اليهودي ، فشمشون لم تعلمه هزيمته حب الانسان ، ولم تطهره آلامه من الدنس ، بل كان كل همه ان يحل الخراب على اعدائه حتى ولو أدى هذا الى فنائه هو شخصيا ، وقد استمد العون من ربه في عبارته الشهيرة « علي وعلى اعدائي يا رب » ، وهذا هو حال باروخ ، فهو الاخر شمشون لم يطهره الالم ، بل زاد من ضراوته وانعزاله ، ولذا فهو يشعل النار التي ستأتي على الدير وعلى المدينة ، والتي ستحرق بناته وتؤدي الى هلاكه في نهاية الامر :

انظر هناك ! ان السنة اللهب المتألقة تقفز الى أعلى ،
بداي هاتان هما اللتان قامتا بهذا الفعل ،

بدي هي التي أوقدت هذه النار الجنائزية ،
حتى تلتهم السنتها عظمة وذنوب أمة فاسدة ـــ
تتحول الى خراب أبد الدهر ـــ ينعق اليوم فوق تلاعها في الليل .

وفي جزء اخر من القصيدة يصف باروخ مشاعره اثناء التهام السنة النار للمدينة :

وفي أثناء الضوضاء والفوضى جريت في شوارع المدينة ،
لارى أعدائي بأرواحهم المحطمة ولاشهد هزيمتهم ،
ولاراقب الدموع تسيل من عيون الاب حينما يسمع
صوت ابنه يئن وهو يحترق في الفرن ، واشعر بالشماتة .
لقد ضحكت وضحكت في شوارع المدينة على الامهات الباكيات .

وباروخ لا يقوم بفعله هذا كنتيجة لاستجابة عاطفية مباشرة لموقفه ، او بناء عـــلى تدبر عقلاني ، بل اننا نكتشف انه مثل شمشون ، لا يتصرف الا بناء عـــلى وحي رباني ( أو وحي قبلي بمعنى أصح ) :

تتملكني روح عملاقة تستيقظ في صدري
تهمس ، وتتحدث ، وتنصح ، ممسكة بأوتار قلبي .
تخبرني ماذا ينبغي ان أفعل ، تشعل داخلي شرارة ،
ولكنها تهمس لي برفق . الان يحل السكون والظلمة ،
وتخيم سحابة رمادية ، سيدة الظلام .

وبحلول الظلام يحاول البطل أن يعرف ماذا يطلب منه هذا الصوت الرباني ، وفي نهاية الامر يعرف ان عليه أن يفعل شيئا ولكنه لا يعرف طبيعته على وجه التحديد . وسريعا ما تنقشع الغيمة ، وينبعث صوت الـــرب مثل هدير الانهـــار مرتفعا ، يغطي على صوت الدنيا ، الى ان يرى باروخ :

فوق صورة قديس شمعة وحيدة تشير الي ، واقفة يرتعش لهيبها .
وهكذا احضرها ربي الى يدي مثل نور الخلاص .
وبغتة أضاءت حجرات روحي المظلمة .

ويبدأ الحريق وتبدأ السنة النيران في التهام كل شيء ، ولكنها نيران ولا شك ربانية :

آلاف الالسنة الصغيرة والشرارات تمطر فوق كل شيء ،
كما لو كان نور الله قد تساقط متناثرا من السماء نفسها فوق الارض .

ومن الغريب ان الشاعر يربط بين نور الخـــلاص ونور الله من جهة ، والنار المهلكـــة الحارقة من جهة اخرى ، ولكن الالـــه القبلي لا يكترث الا بأبناء قبيلته . والشاعـــر في القصيدة نفسها ، عن وعي أو عن غير وعي ، يصف النار وصفا اقرب الى الصدق من وصفه اياها في الابيات السابقة :

ان النار مثل آلاف الالسنة العملاقة جاءت تلعق الحوائط .

وهو بهذا يربط بين النار والاشياء الكريهة داخله ، ثم يضيف قائلا :

ارتفعت السنة النار واحرقت ، ولعقت السقف .
مثل الثعابين الصغيرة التي تلتف في صمت وتضحك في خبث .

ان نار باروخ أبعد ما تكون عن الطهر والبراءة ، واستخدام الشاعر لصورة الثعبان ، وهي صورة الشيطان التقليدية ، ليدل أكبر دلالة على انها ليست بنـــار ربانية ، أو ان باروخ من عبدة اله من نوع خاص لا تدخل الرحمة او الشفقة على قلبه ، ولعـــل هذا يفسر لماذا تعصف نيران هذا الاله بكل مظـــاهر البراءة في القصيدة ، فهي تحرق بيت

الشاعر نفسه ، وتأتي على اشجار حديقته ، وهي كما رأينا من قبل تهلك الاطفـــال ، بل ان باروخ ليجد لذة خاصة في مشاهدة هلاك الابرياء :

حينما أمسكت النيران بالحائط ،
امسى قلب العصفورة الخائف مثل قطعة ثلج ،
وحومت دون جدوى حول العش .
ثم اسرعت عائدة مرة اخرى ،
أجنحتها المرتجفة تغطي العش ،
تصرخ من اجل اولادها عند صدرها ،
مرتجفة ، مرتعشة ، باكية من الخوف .
ونحوم مرة اخرى فألسنة اللهب تقترب
مرة تلو الاخرى تدور حول العش ،
ولكن ليس هناك من ينقذها او يحميها .
لو أنني اردت ، لانقذت العش
والمخلوقات التي فيه بكل يسر .
ولكن لم استطع ان افعل شيئا ... كما لو كانت قواي
كلها ولت ... لبرهة وجيزة .
ألم تكوني أنت مثل
العصفورة واولادها ؟
من تملكته الشفقة عليك ؟ ألم يكن مصيرك
أنت واولادك ، مثل مصير العصفورة القاسي الفظ ؟

ووصف الشاعر لهذه الحادثة غني عن التعليق ، فهي تجسد وبشكل حاد عنصريته ولا انسانيته .

ويبدو أن تشرنحوفسكي كان ينجذب دائما الى الشخصيات المتطرفة العتيقة الانتحارية في التاريخ اليهودي ، وبركوخبـــا هو احدى هذه الشخصيـــات الشمشونية ( ان صح التعبير ) التي اتخذ منها الشاعر اليهودي مثلا أعلى ، ففي قصيدة كتبها في شبابه ، يشكو الشاعر من الظلم الذي لحق بابن الكوكب (بركوخبا) (والكوكب هو رمز المسيح المخلص) الذي سماه شعبه الجحود ابن الكذب ( بركوذيبا ) ( وكوذيبا هي القرية التي ولد فيهـــا بركوخبا ، وكان يسمى بركوذيبا قبل تقمصه شخصية المسيح المنتظر ) ، ويعبر عن أمله في أن أجيال المستقبل ستزيل هذا العار ، وأن شعبا قد تطهـــر من ادران النفي سيعيد الى البطل اعتباره وما يستحق من تبجيل . وقد كتب تشرنحوفسكي مسرحيته الشعرية الوحيدة عن ثورة بركوخبا وعن انتحاره هو واتباعه .

من كل ما تقدم يمكن ان نخلص الى ان التيـــار اليهودي القبلي في شعر تشرنحوفسكي قوي وواضح أيما قوة ووضوح ، وان رؤيته ، في كثير من الوجوه ، قد شكلتها نشأتـــه وقيمه اليهودية .

## الغيبيات العلمانيـــة

ولكن لكل من القطبين ، العلماني والديني ، رغم تعارضهما بـــل وتناقضهما ، وجـــود حقيقي في شعر تشرنحوفسكي ، ولذا كان على الشاعر ان يحسم هذا التناقض بطريقة ما ، وقد لجأ تشرنحوفسكي الى الحـــل الصهيوني الا وهو الابقاء على الجوهر الغيبي الاسطوري للفكر القبلي اليهودي ، واضفاء غلالة رقيقة من العلمانية المعاصرة عليه . يقترح الشاعر ، على سبيل المثال ، ان يعاد بناء اليهودية في أرض فلسطين ، واليهودية التي ينادي بها تشرنحوفسكي ليست هي اليهودية التقليدية « المتحجرة والمبنية عـــلى

الدراسة والتفقه » ، بل هي يهودية جديدة عفوية ، تؤمن بالروح ، وتعادي الفكر ، وهو يرحب بظهور الصهيونية ، لانها — في تصوره — هي نتاج هذا الضرب من اليهودية : « ان اليهودية الجهولة ( المعادية للفكر ) قد اعطتنا هرتزل واتباعه . . . وجابوتنسكي ورجال جماعة البيلو ، ومعظم الحالوتسيم ( الرواد ) ، وهذا النوع من اليهودية ، وليست اليهودية التقليدية ، هي التي ستبني الوطن القومي » . ان اليهودية الجديدة لا علاقة لها بالتراث اللاهوتي اليهودي ، او بكتب المفسرين والشراح والمعلقين التي لا حصر لها ولا عدد ، بل ان هذه اليهودية الجديدة لا علاقة لها بالقديم من الناحية الوجدانية . يقول تشرنحوفسكي : « ان العالم يتكون من المنتصرين والمنهزمين . . . والمنهزمون اكثر عددا من المنتصرين . . . وانا حامل لواء انشودة النصر ، واريد أن أشق طريقي في العالم كأحد المنتصرين . وحظي كيهودي ان أكون شاعر الهزيمة . . . ولكني حتى كيهودي سأظل أحمل أنشودة الغزو » . انه يرفض تاريخ الاستشهاد والخنوع والهزيمة ، بمعنى انه يرفض التاريخ اليهودي كله ، والشخصية اليهودية برمتها ، وينادي بيهودية جديدة لا وجود لها .

ولكن تشرنحوفسكي ، على طريقة الصهاينة ، يعود الى التاريخ اليهودي القديم ، لا ليدرسه ككل ، بل ليركز على بعض النقط الناصعة فيه التي تساند وجهة نظره . فهو مثلا يعود الى فجر التاريخ اليهودي ليكتشف ان الشعب اليهودي كان يعيش على صلة وثيقة بالطبيعة ، وهذا ما يقوله في السوناتا التاسعة ، من مجموعة السوناتات المعنونة « الى الشمس » :

ان اجنحة الليل البدائية تنشر الظلمة فوق العالم ،
ويلتحم سر الصحراء بالظلمة ،
ثم تخرج القبائل المجتمعة من خيامها فوق كل تل ،
لتنحني لاله الشمس مرتجفة ، في سرائها وضرائها .

واذا كان اليهود قد حل بهم الشتات ، وتركوا تلك الحياة الطبيعية الاولى ، الا ان طقوسهم — حسبما يرى الشاعر — تدل على قوة الوشائج التي تربطهم بالطبيعة :

ورغم أن الامة غيرت سماواتها ، سماواتها الزرقاء ،
ورغم أن نجومها اظلمت ، ورغم أنها تنزح تحت نير سماء الغربة ،
ولا تزال تتقدم طورا للامام وطورا للخلف ،
الا انها تخرج مرة كل شهر في ليل الاسرار
لتبارك القمر ، تماما كما كانت تباركه
حينما كانت فوق قمة جبل الجبال ، حيث يقطن الاله الخالد .

ويبدو أن تشرنحوفسكي وجد يهوديته المنشودة في العصور الضبابية الغامضة ، التي سبقت غزو القبائل اليهودية أرض كنعان ، فانشودته — كما يدعي هو نفسه — تستمد حياتها من الايام القديمة ، والدم الذي يجري في عروقه هو دم غزاة ارض كنعان ، الذين تركوا لاولاد اولادهم رؤية لوطن يهودي يمتد من نهر الفرات الى الجزيرة العربية ، وفي قصيدة « اني أسمع ايقاعا » يؤكد الشاعر أن أسلافه جيل من الرعاة غزا وفتح أرض كنعان لشعب لا أرض له ، وقد سمى الشاعر هذه القصيدة « وعد بلفور الذي ظهر قبل وعد بلفور » ، وهي تسمية طريفة ولا شك ، تعطينا مفتاحا لفهم غيبيات تشرنحوفسكي العلمانية ، فهو يؤمن ببعض الاساطير اليهودية القديمة مثل الشعب المختار والعودة الى أرض الميعاد والرب الذي يقود شعبه الى هذه الارض ، ولكنه يحول كل هذه الاساطير الى برنامج سياسي « قومي » يأخذه بمنتهى الجدية ، وبينما زعم كاتبو وعد بلفور انهم أخذوا بعين الاعتبار الحقائق التاريخية والسياسية مثل وجود شعب « غريب » في أرض الميعاد ( ولذا فقد صاغوا تلك الوثيقة السياسية في لغة

غامضة مراوغة ))، نجد ان تشرنحوفسكي أسير رؤياه الاسطورية ، لا يرى سواها ، واذا كان الواقع مغايرا للرؤيا ، فهذا لا يهم على الاطلاق ، فالانسان اليهودي الجديد الغازي ، الفاتح ، المؤمن بالعنف يمكنه ان يعالج الموقف ، وهذا هو في الواقع ما تريد أن تنقله لنا قصيدة تشرنحوفسكي « وقت الحراسة » ، التي كتبها في تل ابيب في عــام ١٩٣٦ :

هذه الليلة أيضا سنضطر للسهر ،
ممسكين بالسلاح مبقين اياه في أيدينا
ممسكين بالمذراة ، او العصا ، او المنجل .

وهو يقف مدججا بالسلاح ، لانه في حرب مع « رجال الصحراء .. المتوحشين » ، ناسيا او متناسيا انه هو الغازي وانه هو السارق ، ولكن رؤية الصهيونية تعميه عن رؤية انسانية الاخرين ، واحيانا عن وجودهم .

ومن أشهر قصائد تشرنحوفسكي على الاطلاق قصيدة « امام امثال ابوللو » التي يمزج فيها بين التيارين المتناقضين مبينا ان « وثنيته » اليونانية لا تختلف كثيرا عن عبادة الذات القومية اليهودية القديمة التي أحياها الصهاينة في عصرنا الحديث :

أتيت اليك ، يا رب العصور المنسي ، رب الازمنة القديمة والايام الاخر ،
يا من تسير عواصف الرجال الاشداء ، تحطم قواهم وهم بعد في ريعان الشباب !
يا رب اجيال من الجبابرة الاشداء والعمالقة ، تهزم بجبروتهم حدود اوليمبس ،
موطن أبطالهم ، ثم تزين جباههم الابية بأكاليل الغار .

ان الشاعر يأتي لأبولو اله القوة لإنه ينتمي الى « شعب مريض » ويقبل على اله الفرح لانه عضو في « قبيلة من البؤساء » :

لقد أتيت اليك — ألا زلت تعرفني ؟ أنا اليهودي : غريمك منذ القدم !
ان مياه كل محيطات العالم بكل هديرها المتعدد ،
لم يمكنها ان تملأ الهوة الفاغرة فاهها ، والتي تفصل بيني وبينك .
السماء نفسها ، والسهول الفسيحة الممتدة ، لا يمكنها ان تسد الهوة التي تفصل
بين توراة أسلافي وديانة عابديك .

ولكن هذا اليهودي قد سأم يهوديته ، وضاق بها ذرعا ، ولذا فهــو « يعود » للاله اليوناني ، ولكنه في الوقت ذاته يعود للحقول والارض ولذات يهودية جديدة صاغهـــا الشارع في مخيلته .

انني أول من يعود اليك في لحظة امتت فيها مخالب الموت ،
روحي الحية ملتصقة بالارض تحطم السلاسل التي تغلها .

وليس اليهودي وحده هو الذي يبعث من جديد ، بل أن الهه أيضـــا يمارس نفس التجربـــة :

لقد هرم الشعب — والهه هو الاخر نالت منه الشيخوخة ،
والعواطف التي كبح جماحها ، داخلا خارت قواهم ،
تثبت الى الحياة مرة اخرى من سجن السنين .
وتصبح كل عظامي : نور الاله هو نوري
ويهتف كل عضو في : الحياة آه الحياة .
نور الاله والحياة .

وفي المقطع الاخير من القصيدة ، يتضح لنا بجلاء أن الشاعر لا يهرب من يهوديته ولا من الهه ، وأنما يعيد صياغتهما وبشكل سطحي ، فاليهودي العائد لابولو ، ان هو الا

اليهودي القديم الذي كان يعيش على صلة بالطبيعة دون وعي تاريخي او اخلاقي ، بل وما أبوللو سوى اله اليهود الذي قاد شعبه الى أرض كنعان :

واتيت اليك ، أتيت اليك لاسجد امام تمثالك وصورتك — يا رمز تألق الحياة ،
أسجد وانحني أمام الخير والسمو ، ولكل ما هو مجيد في هذا العالم ، لكل ما هو رائع بين المخلوقات .
ولكل ما هو متسام في ديانات الكون البدائية ، انني انحني للحياة ، وللبسالة والجمال ،
انني انحني لكل الاشياء الثمينة — التي سرقتها الان الجثث الحية والذرية العفنة ،
الذين يثورون على الحياة التي منحنا اياها الله القادر ، رب البرية المليئة بالاسرار ،
رب الرجال الذين غزوا أرض كنعان كالعاصفة ، ثم قيدوه بأغلال تعاويذهم .

ان تصور تشرنحوفسكي لليهودي الجديد مبني على أسطورة لا تختلف في غيبيتها ولا في انسانيتها عن الاساطير اليهودية القبلية القديمة التي يدعي الشاعر انه يرفضها . كما أن الهه القومي العلماني ، اله الافراح والحياة اليهودية الجديدة ، لا يختلف في تعطشه لدم الجوييم عن اله باروخ الذي يتلذذ برؤية هلاك الابرياء .

## الغربة في أرض الميعـــاد

هاجر تشرنحوفسكي مع من هاجر من الصهاينة الى فلسطين ، واستقر فيها ، وكتب قصائد تؤيد الغزو الصهيوني لارض كنعان . كما أسهم في الدعاية الصهيونية بشكل واضح ، ولكنه على الرغم من ذلك كانت تمر لحظات يخامره فيها الشك من كل هـــذه الضوضاء . وقد عبر عن هذا الشك في قصيدة تسمى « ليس لي شيء يخصني » ، ولعل من المفيد ان نذكر أن القصيدة كتبت في القدس عام ١٩٣٩ ، وهي تعبر عن احســـاس غامر بالغربة .

ليس لي شيء يخصني — ولا حتى مائدة ، واحيانا حينما تنسج اللحظة الواهنة الشاحبة
خيوط العنكبوت حول روحي المتقلة ، في الليالي الرهيبة ، او في منتصف الليل الساكن ،
حينئذ يبدأ قلبي — الذي سأم أكاذيب الغوغاء — في الصلاة من اجل لمسة يد رقيقة .

وفي حجرته في القدس يستمر الشاعر في التأمل :

داخل اربعة حيطان غرفة ليست لك ، حيطان احتكت بها اجساد الغرباء ،
مغيرين الوانها بنظراتهم ولمساتهم ، أيديهم صقلت المزلاج ، وجعلت مقبض الباب لامعا ،
نسج العنكبوت بيته فوق المدخل الحزين ، فوق التراب الذي خلفه الغرباء ، والذي يحكي عن رغبات الاخرين واذواقهم ،
خيوط العنكبوت فظة وقبيحة ، والغرفة ليس فيها اي شيء تبحث عنه عيونك بوله ... لا ولا يوجد فيهـــا أي تذكار سعيد ،
يؤنسك برموزه ، ويلمح لك بالنور والصوت . كما اعرف هذا أيضا : أنني لن ابتني ابدا
بيتا ، لا ولن امتع ناظري برؤية المعول الذي يضرب الصخر ، او بالارض التي تظهر عريها لكي ترسى الدعائم .
لا ولن ابارك كل طوبة كلما ارتفع الحائط ، لا ولن يشدو قلبي حينما يشيد السقف القوى .

ويستمر الشاعر في سرد الاشياء التي لن ينالها في حياته : فهو لن يمكنـــه ان يغرس شجرة او يرويها ، كما لن يمكنه أن يجني ثمرها :

لقد تجولت طيلة حياتي ، وربما سأستمر في التجوال ،
وملكية الارض ليست من نصيب المتجول ، انها ليست من نصيبي .

وحينما يتعرف الشاعر على لا جذريته وعلى هويته كجوال ابدي يقول :

حيث أن هذه المقدة ليست لي ، فلنضع عليها شيئا امتلكه كلية ، شيئا يظل معي اينما ذهبت .

هذا الشيء هو تمثال من حجر : رمز لرغبته العارمة في شيء من الثبات والديمومة ،

( وإن كان في الوقت ذاته رمزا لرفضه اليهودية التي تثقل كاهله والتي تفرض عليه تراث لا يمت بصلة لوضعه كانسان في العصر الحديث . ففي سفر الخروج ( ٢٠ ، ٥ ) يطلب من اليهود الا يصنعوا تمثالا منحوتا ولا صورة ما — مما في السماء من فـوق وما في الارض من تحت ، ومـا في الماء من تحت الارض ) . ولان القصيدة تعالج لحظة ضعف فردي غير قبلي ، فهي تتسم بعمق انساني يتخطى الى حد ما حدود رؤيته القبلية ( رغم أن القبلية اليهودية تترك اثرها على بعض الابيات الشعرية ) ، ولعل أصدق دليل على اتساع تجربة الشاعر في هذه القصيدة هو نوع التمثال الذي يريد ، فهو يريد تمثالا لموسى او هوميرس او افلاطون، او جوته، او شكسبير او اشعيا او عشتروت،والقائمة — كما نرى — غير قاصرة على ابطال اليهود وانبيائهم ، وهذا ضرب من الهرطقة ولا شك ! وكل التماثيل التي يريدها الشاعر مصنوعة من مادة صلبة ، فهو يريد تمثـالا مصنوعا من حجر البازلت او النحاس او الخشب او الحديد او العاج ، والاشارات المتعددة لتلك المواد الصلبة تدل دلالة واضحة على تعطش الشاعر لحياة ثابتة ، ولكن لنتذكر أن الشاعر يطلب تمثالا متنقلا ، اي أنه يريد حياة حقيقية فيها قسط من الثبات وقسط من الحركة ، حياة لا تسيطر عليها المطلقات اليهودية الثابتة .

ولكن يجب أن نشير الى أن لحظة التقبل هذه لحظة نادرة ، بل يمكن القول اننا لم نجد أية قصيدة اخرى في أعمال تشرنحوفسكي تماثلها ، فقصائده الاخرى تعبر اما عن تمرد كامل على اليهودية ، او تقبل أعمى لها ، او محاولة لمزج التمرد بالتقبل عن طريق طرح تصور جديد لليهودية : علماني المظهر ، غيبي المخبر .

# ان كان لحزنكِ ان يهوي

أحمد دحبور

إن كان لحزنكِ أن يهوي .. فليهو الآنْ
أو كان لحزنك أن يسري ،
قدمي ليلٌ عربيٌ ممهور بتواقيــع الفقراءِ ،
ودربي سالكةٌ :
من ماء الجدب الى أقصى الطوفانْ
ستحطُ على وجهينا أسرابٌ من طيرٍ مكدودٍ ،
فنحطُّ على أرضٍ موعودٍ قاصدُها :
« بسنابلَ ناضجةٍ وكواكبَ – »
حين يحاولُ ،
أو فحمٍ وجنادبَ –
حين يخاف النار الشيطانيّهْ
وسأزعم أن لصوتك وَقْعَ الماء المرّ على عطش الأرض المنسيّهْ
وأصدّق هذا المُرّ الأعمقَ بين الأصواتِ
لكنكِ واقفة مثلي ،
وأنا مطعون في سُبُلي ،
راهنتُ فعادتْ خاسرةَ خيلي من كل رهانْ
فربحتُ بها الأحزانْ
ولهذا ينكرني الفرح الكذّابُ ،
وينكركِ الأصحابُ ،
وينكرنا فرسان الثورات السنويّهْ

ويصدّقنا الوطن الآتي
ولهذا حين أحدّق فيكِ أرى جنيّةْ
خرجتْ من آنية الليل الشرقيّةْ
طيراً مكدودَ الريشِ ،
يقاوم في أفق عربيّ موبوء ببخار النفط
وما تركتْه خيول بني عثمانْ
يزقو .. يتساءل : أين الأرض الحيّةْ ؟
فأمدُّ على بَصري وطني .. وأقول : أمانْ
إن كانَ لحزنكِ أن يهوي .. فليهوِ الآنْ

ُجمِعتْ كلُّ الأيام ليوم الفزرِ ،
وهذا يوم الفزرِ ،
فجيئي بالأطرافِ معاً ،
ولنبدأ لعبتنا الدمويّهْ
مَنْ وزّع رعب الليل على الأطفالِ ؟
ودَسَّ الكلب الأسود في قصص الجدّاتِ ؟
نذيرُ الويل —
أم الخوف المتفرّغُ للويلات المحْكَمة اليوميّةْ ؟
وَمَن الشرطي الواقف بين الهمسة والإصغاءْ ؟
مِنْ أي طريق جاءْ ؟
من جُحْر المؤمن ملدوغاً —
أم جارِ المؤمن مشبوهاً —
أم خبزِ المؤمن ملفوفاً بتقارير الأمن السريهْ ؟
والخبزُ لماذا لا يأتي من غامض عِلْمِ الله كما يأتينا الجوع أو الأمراءْ ؟
ولماذا لم تبدأ حرب الفقراءْ ؟

ستكون جراحُكِ مكتبقي ،

وأكون كتابكِ قبل الحربِ ،
ومشطَ رصاصكِ حين تكون الحرب لنــا
لكنكِ واقفةٌ مثلي ،
وأنا أدعوكِ ـ
لنمشِ معاً ، فلعلّ خطانا تترك شيئاً في الأرض الرمليه
سنخاف الموج معاً ،
ونردّ الموج معاً ،
ونتابع لعبتنا الدمويّة :
يتكشف وجه الحرب هنا
فتشدّ طبولاً من جِلد الفقراء
ولهذا ، حين تدقّ الحرب ، أساطُ أنا
ويعوم النقد على دمع ودماء
لتؤرّخَ ذاكرة الوطن العربيّ بأعوامٍ هجريّة
فلتصطفّ الايدي المقطوعة بالسيف المتجددِ ،
والجوع المتفرّدِ ،
ولتمتدَّ أصابعها صوب الزاني المأخوذ برجم ضحيته القُرشيّه
ولتجأرْ أطراف الايدي المقطوعة جهراً ،
والمقطوعة سرّاً :
إنّ الجوع الحاكم يقطع ايدينا !
فلماذا تُطلق حين تجنّ الحربُ ؟
ولماذا لم تبدأ حرب الفقراء
لتؤرخ ذاكرة الوطن العربيّ بأعوام الاسراء ؟

سيكون لنا حلم في عِزّ الصحوِ .. نطالبه بالحرّيه
وسيعطينا
لكنكِ واقفةٌ
وبراق الثورة موقوف في المحكمة العربيّة

فتعالي ننصبْ مشنقة تختار زبائنها بالدَّوْرِ،
وتعدلُ ـ
ولتتأهبْ ـ لاستكمال اللعبة ـ كل الاعناق المعنيّهْ
ولتحضرْ شاهدة عمّانْ

ـ هذي الممتدّةُ في الوطن العربي ـ
لتنشر كل ضفائرها علناً !
فبهذي تجمع مـا تركتْه البلطةُ ـ
من أيدي الاطفال ـْ
بهـذى تمسح ذلّ طهارتهـا المسفوحةِ ،
كرمى للصمم العربيّ الرسميّ المشغولِ ـ
ببعض مجازره اليوميّه
وبهذي تجدل مشنقةً،
وتدليها للغرقى في بئر النسيانْ :

فلتسمع يا وطني المستلقي في بئر النسيانْ
والعصرْ
وليالي عمّانَ الأيلوليّـات العشرْ
لن يفرح بالمـاء الظمآنْ
ما دامت بئرك هذى البئرْ
وترانا قطرة ماء فيكَ ؟
إذنْ من قطرة ماء يبتدىء الطوفانْ
ويتمّ الفرزُ فيسقط جلدُ الحيّهْ

لكنكِ واقفة بالاسئلة المتزاحمة الدمويّه :
ما دامت واضحة ـ حتى الذبح ـ الاشياء

ما دام لنــا زمن يتغيّر فيه الناسُ ،
وأرض تنبض بالشهداءْ
فلماذا لم تبدأ حرب الفقراء ؟
ولماذا استُبدل عام الإسراء المتوهّج بالحِقَب الهجريّه ؟
ولمـاذا لم يبدأ حزب الفقراءْ ؟
أتراه الكلب الاسود يخرج من قصص الجدّات إلى الطرقات ويأكلنا ؟
أم أنّ رغيف الخبز الاسود يرسم خارطة لتنفّسِنا ؟

فحمٌ وجنادبُ هذا الليلُ ،
ولكنْ ـ
في وطنٍ سنكون خليّتَهُ الأولى ..
تسري الأحزانْ
لتعودَ سنابلَ ناضجةً
وكواكب
أو ما شئتِ ـ
فدربي سالكةٌ من ماء الجدب إلى أقصى الطوفانْ

# نجيب نصار في جريدته الكرمل (١٩٠٩-١٩١٤) أحد رواد مناهضة الصهيونية

الدكتورة خيرية قاسمية

شهدت الفترة التي تبعت زوال نظام السلطان عبدالحميد واستلام جمعية الاتحاد والترقي السلطة في الدولة العثمانية تطورا كبيرا في الحركة الصهيونيـة التي كانت تسعى الى تحويل هذا الجزء من الوطن العربي ( المعروف باسم فلسطين ) الى وطن قومي يهودي حسب المخطط الذي رسمه تيودور هرتزل في المؤتمر الصهيوني الاول في بال ١٨٩٧ . ومع ان بداية العمل الصهيوني في فلسطين كانت أسبق من ١٩٠٨ ، الا أن تغير النظام السياسي قد قدم للحركة الصهيونية آمالا جديدة بعد صعوبات بالغة نتيجة لفرض قيود على الهجرة والاستيطان اليهوديين في فلسطين، اذ بوصول الاتحاديين للسلطة ومساهمة فئات من اليهود والدونمة ( اليهود المتسترين ) العثمانيين في احداث الانقلاب السياسي ، ثم حاجة الدولة للاموال اليهودية قد دفع العمل الصهيوني في فلسطين خطوات الى الامام .

ومع كل ما ابدته الحكومة العثمانية من عطف على النشاط الصهيوني فقد ظل موقفها مترددا لاعتبارات كثيرة . أهمها العداء العربي للتغلغل الصهيوني، فالبلاد التي تحاول الصهيونية ان تخلق بها استيطانا ، يسكنها شعب آخر ظل ينظر له طويلا على أنه كمية مهملة . ومنذ الايام الاولى للاستيطان اليهودي كان هناك تخوف كامـن من ان يحل القادمون الجدد محل أهل البلاد . وتزايد هذا الشعور بالتخوف وكان لا يمكن لعملية التغلغل الاستيطاني أن تسير دون أن تثير ردود فعل للظواهـر الجديدة التي حملها المهاجرون الجدد : شراء الاراضي ، طرد الاهالي ، انشاء المستعمرات ، اقامة المدارس ، احياء اللغة العبرية ، المحاكم ، الطوابع . واتخذت المعارضة مع السنين شكل معارضة واعية للمشروع الصهيوني الذي يهدف فصل جزء مهم من الامبراطورية وتحويله الى دولة ، وتوقع نجيب عزوري منذ ١٩٠٥ وقوع صراع محتمل بين الحركتين في الشرق يكتب لاحدهما الغلبة(١) .

ومع ثورة ١٩٠٨ دخلت عوامل جديدة لتزيد حدة الاصوات المنذرة بالخطر . فالى جانب ازدياد النشاطات الصهيونية ، والعطف الذي أبداه الحكام الجدد ، كانت اليقظة العربية الحديثة دعامتها النخبة العربية من المثقفين ، تسعى جاهدة ، بعـد فترة احياء فكري للحصول على حقوق العرب القومية داخـل اطار الامبراطوريـة العثمانية ، وبدت الصهيونية عدوا سوف يغتصب منهم في المستقبل أرضا عربية ويشكـل تهديدا خطيرا للفكرة العربية الناشئة .

ومع ان وجهة النظر العربية كانت متفقة على ان ادخال الصهيونية الى فلسطين خطر كبير ، الا أنها اختلفت في تقديرها لمدى هذا الخطر تبعا للفئات الاجتماعية والمناطق . فالفلاحون في القرى ، رغم انهم لم يصلوا الى درجة الوعي الكافية لادراك أبعاد الخطر ،

لمسوا بشكل محسوس المساوىء الاقتصادية التي رافقت عملية الاستيطان نفسهـا . فعملية شراء الاراضي غالبا ما كان يتم على اثرها طرد الفلاحين العاملين على تلك الاراضي . ومن هنا كانت ردود فعلتهم عنيفة . ولم يكن في الامكان ان تخفف مشاعر العداء تلك المنافع التي يدعي الصهيونيون انهم حملوها معهم . ولا شك ان كبار الملاك كانوا يدركون ما تحمله عملية شراء الاراضي من أخطار بعيدة ، تبغي اقتلاعهم من الارض ، ولكن هذا لم يكن مانعا من ان يتم بيع اراض على أيديهم ، خاصة وان معظمهم يقيم في المدن وفي خارج فلسطين غالبا .

أغلب من وعي الخطر هم المثقفون الذين تابعوا نمو الحركة الصهيونية ، وعرفوا أهدافها البعيدة ومخططاتها الى جانب ما لمسوه من أعمالها مباشرة ، فباتوا يخشون على الوجود العربي نفسه في فلسطين . ولا شك أن عدد المثقفين في المدن كان قليلا ، ولكن لو عرفنا ان قيادة الراي العام في ذلك الوقت كانت من بين المثقفين من أهل المدن ، تبين لنا مدى التأثير الذي مارسه هؤلاء . ولكن وان كان الاطلاع على الحركة الصهيونية قد اقتصر على فئة المثقفين الا انه لا يمكن انكار أهمية الراي العام ، ودليل ذلك ان قاعات المحاكم في حيفا ويافا التي حاكمت مرارا اصحاب الصحف المعـارضة للصهيونية كانت تغص بجمهور الحاضرين وكانت تعقب كل تبرئة شبه مظاهرة وطنية .

أمر آخر كان يدل على أهمية الرأي العام هو أن الصهيونيين أنفسهم لم يستهينوا به ومن هنا كانت محاولتهم المستمرة للتقليل من اهمية العداء العربي للصهيونية فعزوه أحيانا الى جهل لغة وعادات وطبائع العرب وأحيانا الى عداء المسيحيين المتأثر بفكرة المعاداة للسامية ــ برأيهم ــ أو الناتج عن التنافس الاقتصادي والثقافي(٢). ولكن العداء كان يقلقهم وبذلوا جهودا لابطال مفعوله : تجلى في عدد الكتاب الذين جندوهم للدفاع عن الصهيونية والتأكيد على منافعها المادية ، أو في شراء عدد من الصحف العربية او في مساعيهم المتواصلة لدى الدولة العثمانية كي تتخذ من الصهيونية سلاحا مضادا لفكرة القومية العربية . وكان آخر محاولاتهم مساعيهم الدبلوماسية في أوساط بعض الزعماء العرب في فلسطين من أجل التقارب بحجة المنفعة المتبادلة وتقارب الشعبين والعمل معا لاحياء الشرق ، وما يمكن ان تقدمه الصهيونية من منافع ماديـة للبلاد العربية كلها . وأثبتت هذه المحاولات عن فشلها في التوصل الى اتفاق مع حركة تهدد الوجود العربي في المنطقة .

لعبت الصحافة العربية التي واكبت ثورة ١٩٠٨ دورا هاما في تنبيه الاذهان نحو الخطر الصهيوني . اذ مع الحرية الممنوحة للصحافة بدات الصحف اليومية والاسبوعية بالظهور في الاجزاء العثمانية من البلاد العربية . وفي حين شغل موضوع الصهيونية عددا معينا من الصحف خارج فلسطين ، كانت المسألة الصهيونيـة الشاغل الاول للصحافـة الفلسطينية(٣) . ولم تعمل فقط على التنبيه للخطر الصهيوني وطرق مواجهته بل الى نقل القضية الى خارج حدود فلسطين . وقد لعب المسيحيون دورا هاما في الصحافة المحلية في فلسطين بسبب الفرص التعليمية المتوفرة لديهم ، ولكن دور المسلمين لم يكن أقل من ذلك ، بل ان الشعور بالخطر الصهيوني كان من جملـة العوامل التي قربت بـين الفئتين(٤) .

وتبرز بين الصحف الفلسطينية جريدة (الكرمل)(٥) لصاحبها نجيب نصار التي حملت لواء المعارضة دون توقف خلال الفترة السابقـة للحرب ( ١٩٠٩ ــ ١٩١٤ ) وشغلت هي وصاحبها اهتمام الدوائر الصهيونية لانها كانت أول من كشفت أسرار الصهيونية ونبهت الى أخطارها ببعد نظر واستباق للاحداث نادرين . ولم تكن فلسطين في تلك الفترة وحدة ادارية ، بل كانت أجزاؤها الشمالية تتبع ولاية بيروت بينما شكلت القدس وما حولها متصرفية مستقلة تتبع الآستانة ، الا أن ( الكرمل ) لم تكن جـريدة محلية ، بل كانت

مباحثها تتناول فلسطين بحدودها التاريخية المعروفة والتي يهددها ككل شبح الصهيونية. ويكفي متابعة أعداد الجريدة لاعطاء صورة حية لما كان يجري في تلك الفترة التي تندر فيها المصادر الاولية المحلية .

نجيب الخوري نصار ( ١٨٦٢ – ١٩٤٨ ) كما روت لي ارملته في مقابلة شخصية منذ عامين ، من أصل لبناني – عين عنوب قرب الشويفات – درس في سوق الغرب حتى الشهادة الثانوية ثم ذهب الى صفد للتدرب في صيدلية اخيه ، عمل بعدها في المستشفى الاسكتلندي في طبريا كمساعد صيدلي ، ثم اشترى عدة أفدنة هناك وعمل بالزراعة وخبر احوال الاستيطان اليهودي في المنطقة . وتلقى عام ١٩٠٥ من صديق انكليزي نسخة عن مقال الصهيونية في الانسكلوبيديا اليهودية وانهمك في دراستها وعرف حقيقة الصهيونية، وبدأ يرسل مقالاته الى المقطم ولسان الحال ، وبعد اعلان الدستور ١٩٠٨(٦) قام ببيع كل ما يملك ، واشترى مطبعة من بيروت حيث بـدأ باصدار الكرمل في حيفا مرتين في الاسبوع . وتحاول المصادر الصهيونية أن تشوه صورة نجيب نصار فتروي(٧) انه كان يعمل مع شركة الاستيطان اليهودية المسماة ( ايكا ) كوكيل للاراضي وبعد خلافه معها هدد بأنه سيكتب ضد المستوطنين اليهود حتى يتوقف العرب عن البيع لهم . لو قبلنا بصحة هذا القول ، فان نصار نظرا لخبرته الطويلة لدى ايكا ، قد استنتج أن البيع المستمر للاراضي يقوض مركز العرب في فلسطين ويوقع البلاد يوما ما في يد الصهيونيين. كانت الكرمل لا تزال وريقة هزيلة في اعدادها الاولى يتولـى ادارتها ( ايليا زكا )(٨). وابتداء من العدد الخامس عشر ( ٢٧ آذار ١٩٠٩ ) أصبح نجيب نصار هو المسؤول الاول فيها ، وتغيرت خطتها كما يقول نصار في افتتاحية العدد(٩) « لتكرس لخدمـة الشعب الذي ذللته الحكومة الظالمة ، وستنقل شكاويه مـن اعوان الاستبداد الـى مراجعها الرئيسية » . ومن الغريب أن هذه الجريدة التي قادت الحملة الصحفية ضد الصهيونية ، لم تشر في افتتاحيتها الى هذا الموضوع . وقد يعود هذا الى انها كانت لا تزال تتفاعل بالحكم الجديد ، واثارة المسألة بشكل مفتوح قد يحمل على غير معناه ويسيء الى العلاقات العربية التركية .

ولكن الكرمل ما لبثت ان نشرت في عدد ٦ يونيو ١٩٠٩ تكذيبا ورد من السلطة المحلية في طبريا لشكوى كان قد تقدم بها وكيل الاستعمار الاسرائيلي في حيفا الى السلطات العليا على اثر الاحداث التي وقعت في المنطقة بين المستوطنين اليهود والفلاحين ، متهمـا السلطات المحلية بالعمل ضد الدستور . التكذيب يؤكد تمسك أهالي القضاء بالدستور وان « الاشاعات انما يقصد بها المرجفون تخديش أذهان أولياء الامور لان لهم في ذلك مآرب أخرى » . لم يكن في الخبر تعريض صريح بالصهيونيين ، ولكنهم وجدوا فيه شارة خطر ، فسعوا لدى المتصرفية لتعطيل الجريدة ، ولم يصدر الامر بالافراج بعد شهرين الا بعد مراجعة مركز المتصرفية(١٠).

هذا الاجراء لم يمنع الكرمل من التنبيه الى خطر امتلاك الصهيونيين للاراضي وما يتبع ذلك من قيام حكومة يهودية ، ودعت الرأي العام الى تشكيل جمعيات لشراء الارض والا فانه « ... لا بد ان يأتي يوم يكون لهم في الارض القول الفاصل ... » أشارت الى ذلك جريدة هزلية بدأت تصدر في حيفا باسم ( جراب الكردي )(١١). ودافعت تلك الجريدة عن التهم التي توجه للصهيونيين بحجة انهم ما جاءوا لرفع رايـة حكومة يهودية وان قدومهم فيه فائدة للبلاد « خير لنا أن يأتي أصحاب الاموال من أي بلاد كانت وأي جنس كان ليستخرجوا كنوز ارضنا ... وهو خير لنا في أن تبقى هذه الجواهر ضائعة ونحن نتبجح بكلمة الوطن والوطنية وجيوبنا أفلس من طنبورة او رباب ... » . ولم تكن جراب الكردي آخر جريدة ساهمت في الحملة الصحفية المضادة للكرمل .

ولكن يبدو أن لهجة الكرمل قد اعتدلت وتركت مناقشة موضوع الصهيونية الى الصحف

التي يمتلكها سوريون في مصر ، في وقت لم تكن المسألة قـد طرحت بعد بصراحة في الصحافة داخل الممتلكات العثمانية . كان ذلك لنشاط اليهود في مصر من جهة ولوجود مصر خارج نطاق الدولة العثمانية من جهة أخرى . وفتحت جريدة ( المقطم ) بوجه خاص صفحاتها لدعاة الصهيونية كي ينفوا أن لليهود هدفـا سياسيا ، ويؤكدوا ما يحملـه الاستيطان اليهودي من فائدة لأهل البلاد وللدولة . ويبرز بين دعاة هذه الحملة ( نسيم ملول ) وهو يهودي من أصل تونسي كان يعيش في مصر ، بصفته رئيس لجنة الاصلاح التنفيذية للنهضة الاسرائيلية وذلك قبل أن ينتقل الى يافا في مطلع ١٩١٢ ليصبح مراسل المقطم فيها،ويوكل اليه مهمة سرية بالاشراف على المكتب الصحفي الملحق بمكتب فلسطين الصهيوني ، وذلك لمتابعة الصحافة العربية وتهيئة الردود المناسبة عليها(١٢).

بعد فترة هدوء نسبي بدات الكرمل في تنشيط حملة عنيفة للتنبيه الى النتائج الخطيرة التي تعقب الاستيطان الصهيوني في فلسطين ، ووجهت اللوم الى الامة والحكومة لوقوفهما موقف المتفرج تجاه هذا التيار ، وذلك في مقال عنيف في فبراير ١٩١٠ بعنوان « استعمار أم استدرار »(١٣) . واثار المقال موجة انتقاد عنيفة من صحيفة « النفير العثماني »(١٤) فاتهمته بتفرقة العناصر وتهييج الافكار ، واستجابت السلطات الى هذه التهم فأمرت وزارة العدلية بمحاكمة نجيب نصار الذي دافع عن نفسه على صفحات المقتبس(١٥) ، بأن كلامه « قد حرّف على النظارة وكتب بصورة مشوشة » ، وأملت المقتبس من المحكمة أن تنصف نجيب نصار ، اذ « ان أصحاب الجرائد لا يقصدون فيما يكتبون سوى مصلحة البلاد » . وأشار مراسل ( جويش كرونكل )(١٦) في الاستانة الى هذا الحادث متهما مقالات (الكرمل) بأنها تثير العرب ضد اليهود وانها سبب ما يحدث فيها من الاضطرابات، وان صاحب الجريدة لم يرتدع بالعقاب الاول حين عطلت جريدته ، بل استمر في هجومه ( البغيض ) مما اضطر الطائفة اليهودية الى رفع دعوى ضد محررها . ويضيف المراسل ان « محاكمة نصار حضرها جمهور غفير من العرب حملوه بعـد تبرئته منتصرين في مظاهرات عدائية ضد اليهود ... وخشية من الهجوم أبرق اليهود الى الحاخام الذي قابل وزير الداخلية فأرسل تعليماته في الحال الى حاكم حيفا لمنع الاضطراب » . ان ما أوردته ( جويش كرونكل ) ، رغم المبالغة والتشويه ، يعطي فكرة عن مدى التأثير الذي لعبته الكرمل . وقد أشارت ( جويش كرونكل ) في عدد آخر الى وجود منظمة في حيفا هدفها وضع حد للاستيطان اليهودي تدعمها جريدتا الكرمل والمقتبس(١٧).

ووجه كاتب فلسطيني (عبدالله مخلص) على صفحات المقتبس(١٨) كتابا مفتوحا الى مجلس المبعوثان حول خطر استعمار الصهيونيين على فلسطين كي ينبه الاعضاء الى « ... ان البلاد الفلسطينية أصبحت على شفا جرف من الخطر وقد لا يمضي عليها عشرات من السنين الا ويعمل بها ناموس تنازع البقاء عمله الطبيعـي ... وتصبح البلاد كليـا للاجئين ... » . ما يخشاه الكاتب في المستقبل « ... ان ينبذ الدخيل الاصيل ونخرج من بلادنا ... ، ثم نميل بوجوهنا الى بقعتنا النضرة نبكيها ... ويصيبنا مـا أصاب الاندلسيين في أواخر أيام ادبارهم ...» . ومع موافقة محمد كردعلي، صاحب المقتبس، على ما قاله ( مخلص ) ، الا أنه يرى ان مقاومة الخطر لا يكون بالاتكال على الحكومة أو مجلس النواب ، بل يشير الى خط آخر لرد هجمات الصهيونيين ــ كان قد لمح له رشيد رضا في ١٨٩٩ في المنار ــ وهو عدم الاكتفاء بالشكوى والاحتجاج ، بل نفض الكسل والعمل والاجتهاد والتعليم ، وان يصبح الصهيونيون مثلا للاقتداء . وعاتبت ( الكرمل ) محمد كرد علي بشكل رقيق فهي تتفق معه على لوم « الامة المتقاعدة اللاهية عن المصالح العمومية الا أن الظلم والجهل أوصلاها الى ما هي عليه فهي بحاجة الى وصاية الحكومة حتى ينهض بها رجال الاصلاح مثل كرد علي ... » . لقد كانت دعوة الكرمل منذ البداية بناءة ، فلم تكتف بالوقوف ضد اطماع « المستعمرين اليهود الاجانب » بـل كانت تشجع كل من يحيي الارض ويعمرها ، فثارت يوم هاجمت بعض عشائر البدو من حوران قرية

العدسية في اراضي بيسان ، وحثت حكومة طبريا كي تصون المشاريـــع الحيوية(١٩). وقد شدد نصار دعوته هذه مع تزايد الخطر .

وفي اواخر عام ( ١٩١٠ ) شغلت الكرمل بقضية الاملاك الاميرية الخاصة بالسلطان عبد الحميد المسماة « الجفالك السلطانيـــة » او « الاراضي المـــدورة » ، والتي نقلت او ( دورت ) بعد خلعه الى الخزانة العامة ، وكـــان الفلاحون المقيمون فيها هم مالكوها الحقيقيون . ولكنهم تنازلوا عن ملكيتها فسجلت باسم السلطان كي تعفى من الضرائب وتنال الحماية . وتتوزع هذه الاراضي في ولايات سوريا والعراق والجزيرة . وكـــان نجيب ابراهيم الاصفر ، أحد اعضاء مجلس ادارة بيروت سابقا ، قد طلب امتيازا من وزارة المالية بان تؤجره هذه الاراضي لمـــدة ٩٩ سنة يقرضها مقابل هذا مائة مليـــون فرنك ، بشرط ان يتكفل باصلاح الاراضي . وابدت الكرمل قلقها بأن تكـــون الصهيونية والاموال اليهودية وراء هذا المشروع الواسع . وخاصة تلك الاملاك الاميرية الواقعة في فلسطين ( غور بيسان واريحا ) ، وبينت ان الدافـــع لطلب الاصفر هو شركة بلجيكية تعضدها الجمعية الصهيونية ( وهي نفسها التي استثمرت الكنغو البلجيكي )(٢٠)، وان نجيب الاصفر او الشركة المحتجبة وراءه قصدت من تكبير المشروع ابعاد الشكوك عن الجمعية الصهيونية ومقاصدها في فلسطين .

ويبدو ان حملة الكرمل ، مع المقالات التي حررهـــا الكتاب والصحفيون على صفحـــات الجرائد الاخرى ، والتي كانت اول عمل موحد ضد تزايد النشاط الصهيوني قـــد دفنت المشروع الى حين(٢١) .

رافق تلك الضجة التي اثيرت حول بيع الاراضي المدورة، ازمة اخرى اثيرت في قائمقامية الناصرة ، كانت عاملا اخر في توسيع الاهتمام العربي بقضية الخطر الصهيوني . وكان شكري العسلي قد عين قائمقاما على الناصرة في خريف ١٩١٠ ، حيث كانت تقع اخصب الاراضي الزراعية ( سهل مرج ابن عامر ) ، وكانت هذه الاراضي قد وقعت منـــذ ٤٠ عاما كصفقة واحدة بيد بعـــض الاسر الغنية التي تقيم في المدن خـــارج فلسطين وهي ( سرسق وتويني وبسترس ) ، وقد باع بعض ابناء اولئـــك الاغنيـــاء ، ما ورثوه عن آبائهم فانتقلت معظم الاراضي الى أيدي الجمعية الصهيونية(٢٢). وكان آخر الصفقات هي التي تمت في اكتوبر ١٩١٠ بين الياس سرسق ووكيل عن الجمعية الصهيونية(٢٣)لبيع اراضي قرية الفولة التي تقع بالقرب من الخط الحجازي بين حيفا ودمشق ، وبها قلعة تاريخية من ايام فتوحات صلاح الدين .

كان نصار قد زار شكري العسلي بعد ان ايقن ان نور الدين والي بيروت كان عازما على اجراء الفراغ للصهيونيين. ويروي نصار(٢٤) « ... سألت شكري في موقفه تجاه تلك الحركة المضرة فقال ما خلاصته: انا شاب ونفسي تطلب العلى ولكن ثق بأني افضل العزل وخسران مستقبلي على التصديق على بيع وطني من اعداء امتي ودولتي .. » . فحث شكري اعيان القضاء بارسال برقيات الاحتجاج الى والي بيروت ليمتنع عن فراغ قلعة الفولة ، والابراق كذلك الى الصدارة والداخلية ورئاسة مجلس المبعوثان، وقدم حججه القانونية الى والي بيروت : فالبيع للاستعمار الاجنبي ، وقد اقرت الحكومة عـــلى منع بيع الاراضي الواقعة على جانبي الخط الحجازي ، والفولة قلعة تاريخية من فتوحات صلاح الدين تقع على ملتقى الطرق . وادعى الوالي بانه لا يوجد مانع قانوني لاتمـــام عملية الفراغ ، فالمشتري والبائع كلاهما عثمانيان(٢٥). ورفض العسلي العمل بمقتضى هذا القرار فانذره الوالي بواسطة متصرفية عكا وكتب بالامر الى وزارة الداخلية على ان يطلب بعد ذلك عزله . وقبل ان يبلغ العسلي قرار العزل بلغه خبر انتخابه مبعوثا لدمشق بدلا من محمد العجلاني ( المتوفى في يناير ١٩١٠ ) ، ولا شك أن الموقف الـــذي تبناه في قائمقامية الناصرة قد اضاف الى مؤهلاته ثقلا اخر ادى لفوزه باغلبية الاصوات.

دعم صاحب الكرمل ، وهو يراقب عملية الفولة ، موقف العسلي ، فشن حملة على البائعين في مقاله(٢٦) « نصب صلاح الدين بين الناصرة وطبرية » ساخراً من الاغنياء الذين لم يتورعوا عن بيع حتى نصب صلاح الدين بمال يسير ينفقونه على الملاهي ، ثم يعيشون في شقاء ويورثون ابناءهم بلاء .. » ويضيف « ... والله لو كان عندنا نصف ما كان عند اسلافنا من الحماسة والنخوة والوطنية لما حلم الصهيونيون باسترداد بلاد اجدادهم بالمال ... » دعوة الكرمل لم تثن الوالي او سرسق عن عزمهما امام مغريات الصهيونيين .

ولكن صدى حملة الكرمل في شرح ابعاد الخطر كان يصل الى الخارج حيث يتلقفه المثقفون العرب ( في الاستانة او القاهرة وغيرها ) ، كما ان بعضهم قد لمس النفوذ اليهودي في اوساط الاتحاديين ونتائجه البعيدة في تحقيق اطماع الصهيونية ، واتفق الجميع على خطورة المسألة الصهيونية في فلسطين ، الا انهم اختلفوا في تحديد مدى هذا الخطر ، فبينما وجد اولئك الذين في الداخل انه خطر سياسي مادي معاً ، وجد الذين في الخارج ان الخطر المادي فقط هو الذي يهدد معيشة السكان . وكان من الفئة الاخيرة رفيق العظم ، احد الادباء السوريين والدعاة للنهضة العربية . وعلى صفحات جريدة ( الحضارة )(٢٧) التي كان يصدرها المثقفون العرب في الاستانة كتب مقالا عن الاستعمار الصهيوني ، بعد ان غالت اكثر الجرائد السورية — على حد قوله — في ذكر الخطر الذي يتهدد البلاد من آمال الصهيونيين لاعتقاد أنهم يريدون اعادة « ملك اسرائيل في اورشليم ... » . ورفيق العظم يستبعد تحقيق الفكرة الصهيونية ولا يخشى من مهاجرة الاسرائيليين الى فلسطين الا من وجهين : بقاء اكثرهم على التابعية الاجنبية ، وهذا ما يجر مشاكل على الدولة ثم الناحية المادية التي تهدد الشعب الفلسطيني نفسه اذ « ان هؤلاء اليهود شعب مقتصد ، عامل ، نشيط ، والجمعية الصهيونية تتذرع بكل الوسائل المؤدية لراحته وترقيته ... ومن شاهد القرى التي استعمروها ... تحقق له ان خطر تنازع البقاء محيط بسكان البلاد ... » وحث الكاتب « على وجوب نهضة اهل البلاد لمجاراة اليهود ... والا كانوا طعمة لجيرانهم » .

مقال العظم لم يثر استياء الصهيونيين، بل أنهم شكروه على افكاره لانها «مهدئة للخواطر ومؤلفة للعناصر ... » ، بل لقد طلب احدهم من العظم ان يقنع المتهجمين على الجمعية الصهيونية بالاقلاع عن مهاجمتهم في الجرائد العربية « ... او اشغال الدولة بامور تافهة كالمسألة الصهيونية(٢٨) ... » . ووجدوا في قوله مناسبة لترديد حججهم بمنافع الصهيونيين . وكان ابرز المدافعين نسيم ملول(٢٩) الذي وافق العظم في نفي المقصد السياسي عن الصهيونية ، اما الامر الاخر الذي تخوف منه العظم فبرأيه ، أن ما يفيد الوطني العثماني هو « الجري في ميدان التسابق مع الاسرائيليين » . وفي كتاب له بعنوان « اسرار اليهود »(٣٠)، تعرض لمهاجمة الكتاب الذين يتولون حملة المعارضة ويصورهم بأنهم جهلة يرمون « الامة الاسرائيلية بمفتريات انتقلت الى الشرق من اوروبا بسبب ما رأوه من نجاح اعمال اليهود في فلسطين ... » واشترك نجيب نصار في الحوار(٣١)، ودون ان يشير الى مقال رفيق العظم — وربما عن تجاهل مقصود — فند اقوال المدافعين عن الصهيونيين الذين ينفون فكرة الاستقلال ، فاكد انها لا تزال تراود احلامهم . اما عن دعوى فائدتهم للوطنيين فيأتي نصار بالادلة لما اوقعوه من ضرر بالاهالي « ... فان كانت جمعياتكم تقوم بعمل انساني بايجاد ملاجيء لليهود المظلومين في بلاد أخرى ، فلا يقضي ان تكون سبباً باشقاء اهل البلاد ... » .

كل ما كان يتردد في الصحف العربية حول المسألة الصهيونية ، لم يدفع الحكومة لاثارة الموضوع على مستوى رسمي، « مع ان جماهير الاتراك عموما — كما يقول لوثر السفير البريطاني في رسالته الى وزير الخارجية —(٣٢). يلاحظون مدى النفوذ الذي يتمتع به

اليهود المتسترون ( الدونمة ) في سالونيك في السيطرة المالية والتجارة وعلى اجهزة الدولة . . . وتطور هذا الاعتقاد الى ان هذا النفوذ يستخدم لتعزيز اهداف الصهيونية » .
وكان جاويد وزير المالية (وهو من الدونمة) قد اثار الشكوك بانه هو ايضا « يعزز اهداف الصهيونية ، وذلك بسبب الصفقات المالية المشبوهة التي تولتها مجموعة اليهود الذين كانوا على صلة مباشرة به . . . » . ومن هنا شنت المعارضة هجوما على الحكومة خلال مناقشات المبعوثان حول الميزانية ( مارس ١٩١١ )(٣٣). وتولى احد النواب — ولم يكن عربيا — وهو اسماعيل حقي ، نقد سياسة جاويد المالية ، واستنتج ان الحكومة تنفذ سياسة الصهيونية وتسمح لهم بمشترى الاراضي في فلسطين حتى يتوصلوا الى تأليف مملكة يهودية . ودافع الصدر الاعظم عن موقف الحكومة تجاه الصهيونية محاولا التقليل من اهمية الحركة ووصفها بانها ذات طبيعة خيالية من نتاج قلة من الدجالين .
ومع ان موضوع الصهيونية ، حين طرح على المناقشة العلنية ، لم يتعرض الى اهل البلاد والخطر المباشر اللاحق بهم ، الا ان الكرمل لجأت الى توضيح امور كثيرة بعد ان بينت مناقشات المبعوثان الجهل التام بخفايا الحركة . فقام نصار بنشر سلسلة مقالات في الكرمل جمعت في اكتوبر ١٩١١ في كتيب عنوانه « الصهيونية : تاريخها — غرضها — اهميتها » . وقد عمد نصار — كي يشرح هذا الخطر — الى ترجمة مقال عن الصهيونية من الانسكلوبيديا اليهودية(٢٤)، يستعرض فيه البدايات الاولى لنشأة الحركة الصهيونية حتى ظهور الصهيونية الحديثة التي تسعى الى تأسيس وطن حيث تسلطت الحركة على التاريخ اليهودي منذ ذلك الحين ، ويعلن بقوله « ان الحركة التي تتسلط على تاريخ امة او تشغله لا يمكن اعتبارها وهمية، ولا يصح وصف القائمين بها بالمتهوسين» .
ويؤكد نصار ان العداء للاستعمار الاسرائيلي انما لانه يحمل غرضا سياسيا ، ويرد بذلك على المدافعين عن الصهيونية في صحف مصر وسوريا ، لان هذا القول ليس الا تضليلا . ويلوم نصار الذين يقولون بمنافع اليهود ويقرون بعجزها « ان لدينا الاستعداد الكافي ، وكل ما نحتاجه هو الامن والمساواة ونشر التعليم . . . وقد جاء اليهود بهذا السلاح الاقتصادي الاجنبي . . . جاءوا وهم يعرفون ان لدينا عقدة حب الاجنبي ، والخضوع له ، ولكن هذا لا يجب أن يدفعنا الى التقاعس او الشعور بالنقص ، حتى ولو كانوا اجانب وعلى رؤوسهم قبعات » . ويشير الكاتب الى المظاهر القومية للصهيونيين ( طوابع ، بريد ، علم خاص ) وانهم قد رفعوا علمهم في القدس منذ بضعة اشهر على النادي الصهيوني لما احتفلوا بعيد بن يهودا ، وباعوا الطوابع اليهودية علنا ، وان اسعاف النشاشيبي قد ابرق له بذلك ، ونشر البرقية في الكرمل ونقلتها سائر الصحف.
غير أن الحكومة « . . . لم تهتم للامر كما أنها لا تهتم لمنع مهاجرة اليهود الى البلاد وتحميهم فيها . . . » . ولا يخفي نصار اعجابه ببرنامج الحركة الصهيونية واساليبها ووسائلها ، ولا بأس من اخذ دروس مفيدة نتعلمها من خط سيرها . وتحت عنوان « ماذا نحتاج » كتب نصار « . . . مشروع صغير يتطور الى عمل عظيم . . . جامعة . . . قيادة . . . ثبات . . . الاعتماد على النفس وليس على الحكومة . . . قيادة مخلصة كهرتسل . . . جمعيات وشركات وجمع اموال . . . والقيام بمشاريع اقتصادية . . . »
ولكنه بنفس الوقت كان يخفي تخوفا كامنا « . . . ونحن اذا كنا قضينا اجيالا نعاني البؤس والشقاء . . . لماذا لا نصير رجالا ونمشي في طريق الحرية ونعيش لوطننا ولانفسنا ، فلا نستمطر لعنات اجدادنا وابنائنا علينا باضاعة بلاد اشتراها الاجداد بدمائهم » .

اثار قلق الدوائر الصهيونية ان تصور الصهيونية علنا انها خطر على الدولة، ورأت اتباع خط اكثر تشددا في الدعاية — بنفي الاغراض السياسية للحركة والتأكيد على المصلحة «المشتركة بين الطرفين». وساهمت المقطم في حملة التوضيح الصهيونية. كما ان المؤتمر الصهيوني العاشر في بال ( اغسطس ١٩١١ )(٣٥) كان مناسبة علنية للتصريح رسميا بكل

هذه الاراء. ومع ان الدعاة الصهيونيين حاولوا انكار كل علاقة لهم بالصهيونية السياسية فان الاستنتاجات التي وصل اليها نصار كان يؤكدها غيره من الغربيين انفسهم(٣٦). وجزم لوثر في رسالته الى وزير الخارجية البريطانية « ... ان الهدف الاصلي لهرزل بايجاد دولة يهودية لا تزال محفوظة في الذهن ... » واكد ذلك مراسل مجلة « الشرق الادنى »(٣٧) في فلسطين فوجد ان انشاء دولة يهودية مستقلة تتوارى مؤقتا الى حين تزال القيود على الهجرة وشراء الاراضي . وعندها يحققون مطامعهم القومية « من اجل ان يستأصلوا — او على الاقل يكتسحوا — في النفوذ ، ان لم يكن في العدد ، السكان الحاليين ، وان يقيموا دولة مستقلة ذاتيا » . ولاحظ القنصل البريطاني في بيروت(٣٨) ان الاستمرار البطيء في عملية شراء الاراضي واشادة المستعمرات يلاقي معارضة من جانب الفلاحين ، اذ يرونه « تهديدا لحقوقهم الخاصة وامتيازاتهم ... » وكانت اكثر الحوادث عنفا بنظر ( جويش كرونكل )(٣٩) الهجوم على مستعمرة مرحافيا ( المعروفة باسم الفولة ) . واشارت الجريدة كذلك(٤٠) الى حالة الهياج التي تسود العرب في حيفا وعزت الى محرر ( الكرمل ) تهمة اثارة الجماهير ، وذلك بعد اجتماع شعبي تحدث فيه نصار حول المسألة الكريتية ، وقام شاب يهودي يطلب انزال نصار من على منصة الخطابة لانه « يبذر الشقاق بين فئات الشعب » ، مما الهب جو الاجتماع ، وانطلقت صيحات لالقاء القبض على اليهودي واتهامه انه مندوب من قبل الصهيونيين لاحداث الشغب ، وتدخل البوليس لاعتقال اليهودي وافرج عنه بتوسط القنصل البريطاني .

وزادت قوة المعارضة في فلسطين ، بصدور جريدة اخرى في يافا في ١٤ يناير ١٩١١ هي « فلسطين » لصاحبها عيسى العيسى ، الا ان مباحثها في الصهيونية ظلت شبه معتدلة حتى صيف ١٩١٢ ، حتى ان التقارير الصهيونية لم تحكم عليها بعد « هل هي معنا او ضدنا »(٤١) . وصدرت في القدس في ٨ فبراير جريدة ( المنادي ) لصاحبها سعيد جار الله ، وصرح محررها محمد موسى المغربي بان المنادي اتبعت منذ تأسيسها « مكافحة السياسة الصهيونية ... »(٤٢) . ولكن الكرمل ظلت حتى ذلك الوقت الصحيفة الفلسطينية التي تقود المواجهة ضد الخطر الصهيوني . وغالبا ما كانت صحف دمشق وبيروت تنقل عنها اخبار النشاط الصهيوني .

ومع ازدياد نشاط حزب المعارضة ( الحرية والائتلاف ) الذي كان ينادي بقدر كبير من الحكم اللامركزي (ويضم بين اعضائه عددا من العرب) ومع ازدياد النفور من الاتحاديين ( الحزب الحاكم ) الذي كان يبدي ميولا نحو السلطة المركزية والسيادة التركية ، اتخذت صحف دمشق — حيث يتركز نشاط ائتلافي كبير — خطا صريحا في الربط بين هجومها على الاتحاديين وحملتها ضد الصهيونية . ولم يكن هذا الاتجاه ملاحظا في الكرمل ، وان كانت توجه لومها الى السلطات المحلية لتهاونها . كان ذلك بدافع حرصها على كسب جانب الحكومة المركزية في صراعها مع الصهيونية ، ولا يمكن تعليل موقفها هذا بمعارضتها الاتجاه الائتلافي . فقد وجه نصار نداء على صفحات المقتبس الى اهالي دمشق يحثهم على انتخاب شكري العسلي ( من كبار الائتلافيين ) يعرفهم فيه بدور العسلي في الوقوف امام الصهيونية(٤٣) . وكانت الحملة الانتخابية في فلسطين مناسبة لاظهار المعارضة العربية للصهيونية ، دون ان تتلون بطابع حزبي ، فقد وجهت الدعوة لانتخاب مرشحين يقفون بوجه خطر المهاجرة اليهودية بصرف النظر عن كونهم اتحاديين او غير اتحاديين . ولم يتغير اتجاه المعارضة مع فوز الاتحاديين ، ووجهت الكرمل انتقادا للسلطات المحلية بسبب المساعدة التي تقدمها لليهود في الحصول على الاراضي في مقال بعنوان ( كلنا بياعون ) ، ولفت هذا المقال انظار متصرف عكا فأقام الدعوى على صاحب الكرمل . وكان من المتوقع — كما يذكر مراسل مجلة ( الشرق الادنى ) في حيفا

ان تنتهي القضية لصالح الموظف الكبير ، ولكن الحكم اعطي للصحفي على اساس انه كتب « كعثماني مخلص نزيه »(٤٤).

وتفجرت في فلسطين حملة معارضة وانتقاد وجهت الى السلطات المحلية وافقدت ثقة الفلسطينيين باي حكومة مهما كان لونها ، وذلك مع قدوم المتصرف الجديد الى القدس ( مهدي بك ) الذي كان قد ارسل الى القدس من قبل الاتحاديين ، الا ان وصوله قد اتفق مصادفة مع استيلاء الائتلافيين على السلطة في يوليو ١٩١٢ وقام المتصرف بزيارة المستعمرات الاسرائيلية وخطب في ريشون لتسيون (عيون قاره) امام المستوطنين اليهود مؤكدا حسن نية الحكومة تجاه الصهيونية ومقاصدها ، وأبدى اعجابه بما حققه الصهيونيون من تقدم واعتبرهم « كمثال لبقية القرى العربية واساتذة وكتب حية لاهاليها الذين لا يعرفون القراءة والكتابة »(٤٥). كون الحادثة قد جرت في متصرفية القدس لم يمنع الكرمل من ان تشارك جريدة فلسطين في توجيه الانتقاد(٤٦). فقد أسفت لان المتصرف يجهل ، او يتجاهل ، مقاصد الصهيونية وينسب للحكومة انها ترحب بجمعية لها اغراض سياسية . وردا على قول المتصرف « ... انتم كتب واساتذة لجيرانكم الفلاحين ... » قالت الكرمل « ... يعز علينا ان يصدر هذا من ممثل حكومة تقضي أن تكون هي استاذ وكتب الفلاحين وان تنتظر من اعداء الوطن أن يكونوا اساتذة الاهالي وكتبهم ... »

هذا الموقف قد دفع الراي العام في فلسطين نحو اليأس ، وفي الوقت الذي كان الرأي العام العربي في الخارج يقابل وصول الائتلافيين للسلطة بارتياح كبير ، على أمل تحقيق الاصلاحات اللامركزية ، كانت الكرمل تتساءل(٤٧) عن سبب بقاء مهدي بك متصرفا بعد أن كانت تعتقد انه قال خطابه بلسان حكومة الاتحاديين ، اما بقاؤه فيدل على رضا الحكومة الحالية عن اعمال الجمعية الصهيونية . لقد كانت الكرمل واثقة « ... ان بروغرامات الاحزاب لم يكن لها اقل تأثير على النفوس في هذا الموضوع، فالذي نستنتجه مهما اختلفت احزابنا وتغير شكل حكوماتنا ، اننا تجاه الصهيونية سواسية ، واآسفاه »(٤٨). وانتقدت الحزب الائتلافي الذي كان يعير حكومة الاتحاد بالصهيونية ، الا ان مساعيها ( اي الصهيونية ) في هذا العهد صارت اكثر نجاحا من قبل(٤٩). هذا ما دفع صاحب الكرمل الى توجيه انتقاده العنيف الى العرب من حزب الائتلاف ( طلاب الاصلاح ) في بيروت « ... والمضحك المبكي انه ما دامت حركة الاستعمار الصهيوني في فلسطين على هذا النجاح المستمر ، والصحافة المحلية صامتة عنها ، فعبثا يطلبون الاصلاح ... » وانتقاد الكرمل لم يكن معناه انها ضد الاصلاح بل ان الاصلاح هو مطلب أساسي لهدف واحد(٥٠) اذ أنه « يحول دون آمال الصهيونيين التي لا تتحقق الا اذا كان الشعب جاهلا ومضغوطا عليه ... »

هذا اليأس من السلطة جعل لهجة الكرمل اكثر مرارة لان دعوتها لم تلق الاستجابة الكاملة وبرأي صاحبها(٥١) « لو ان جريدة اخرى فعلت ذلك صارت من اوسع الصحف انتشارا ، وصاحبها اعلى قدرا واعتبارا .. اما انا ما كسبت غير عداوة كثيرين من الزعماء والموظفين وافتراءات وتزوير ووعيد وتهديد ... » . وكانت المقتبس(٥٢) قد وجهت لصاحب الكرمل انتقادا عنيفا لانه لا يتبع خطة واحدة في الهجوم على من يبيع الاراضي ، اذ بينما ثار على ( آل التويني ) لرهن قريتي جيدا وتل الشمام ( في مرج ابن عامر ) سكت على معاملات مثلها يقوم بها زعيمان من لوائي عكا ونابلس ( مصطفى الخليل وعبد الهادي عبد الهادي ) لبيع قرية لهما ( كركور وبيدوس في قضاء حيفا ) .

اثار نصار في رده نقطة حساسة كان يشير اليها لاول مرة ، ولم يشر اليها ثانية ، وربما حنقه ويأسه قد دفعاه الى قول ذلك « ... هل يريد منتقد الكرمل ان تكون الكرمل وصاحبها ( النصراني ) احرص منهما ( يقصد الخليل وعبد الهادي ) على الوطن واحق

بالمحافظة عليه ؟ » الكرمل « ... ترى وهي ( نصرانية ) انه كثير عليها وحطة بشأن المسلمين ان تحمل على اعيانهم وامرائهم حملاتها على من يبيعون البلاد من المسيحيين ، وترغب ترك هذه المهمة للمقتبس والمفيد والراي والائتلاف والحقيقة والعلماء والمفتين » .

حرص الوطنيون على ان يهدئوا من ثورة صاحب الكرمل ، لانهم كانوا يعلقون على دعوته آمالا كبيرة ، فكتب له ( عزة دروزه ) من نابلس « ... ما نصرانيتك بضائرتنا ، ولا كرملك بهين علينا ، وتا الله انك بنصرانيتك ، عند عارفيك من المسلمين لاعظم من كثيرين ينتحلون الاسلامية ولا يرقبون فيها الا ولا ذمة ويتبجحون بالوطنية ولا يرعون لها عدلا ولا حقا ... » . وينكر دروزه على منتقدي الكرمل تعريضهم به « ... ان لو كان لهذا الرجل ان يغش في مبدئه ويخدع الناس في وطنيته لكان له مرتع اخصب ونفع اغزر ... والكل يعرف ما يدره اولئك ... على مروجي مقاصدهم وعلى كبم افواه المغرضين ... » ، ويدعوه الى مواصلة رسالته « ... لاننا نريد منك ان تكون — كما نعرفك — قوي العزمات ، شديد الحملات ، ولاننا نعرف ان ارباب المبادىء الذين يعرفون ما هي المبادىء لا يحيدون عنها الا ان يظفروا او يقضوا ... » .

هذه الوقفة القصيرة لم تمنع الكرمل من مثابرة عملها ، وانكبت من جديد الى الدعوة للوقوف في وجه الخطر السياسي والاقتصادي للصهيونية مع تحميل ابناء البلاد انفسهم هذه المهمة . وكانت خطته ان يلاحق الامور التي تجري في الخفاء ، ويشتم منها رائحة الخطر ، لينشرها على صفحات الجريدة باحثا عن الحقيقة . لم يمتنع عن سؤال قائمقام الناصرة ( امين عبد الهادي ) عن اسباب تغاضيه عن اعمال البناء التي يقوم بها الصهيونيين في الفولة . حاول القائمقام في رده(٥٣)، ان يبين ان عمليات البناء ليست سوى مزاود للماشية ( اواخير ) . وتشككت الكرمل بصحة ما يقول ، فكل المستعمرات التي بناها الصهيونيون بنوها تحت اسم اواخير . ويسخر في تعليقه « ... فنحن لسنا اولى منه بالمحافظة على شرف القوانين وبمقاومة الصهيونيين ... ولا نحن واهلنا نستفيد اكثر منه ومن اهله من بقاء الوطن عثمانيا ، لاننا لا نخاف من استيلاء الصهيونيين لا على زعامتنا ولا على وظائفنا ومعاشنا ، بل اننا نغار على مصلحة الشعب وزعامته على الاخص »(٥٤).

رافق دعوة التوعية ، دعوة بناءة لانهاض احوال البلاد . فدعت الكرمل(٥٥) الفلاح الى تحسين اساليبه . ومن اجل الوقوف امام خطر القادمين الجدد لم تخف اعجابها بما حققه هؤلاء ، ودعت المواطنين(٥٦) ان يروا في تدابير الصهيونيين الذين قاموا « لاحياء قوميتهم وجمع جامعتهم في بلادكم وعلى حسابكم ... خير مثال تقتدون ... » . ورأت ان تضع خطة للعمل بانشاء جامعة وطنية لاصلاح الاحوال الاجتماعية ورفع شأن الزارع والعامل والصانع ومراقبة التعليم الابتدائي والحكومات والموظفين وجمعيات علمية وشركات زراعية وتجارية وصناعية . وفي ردها(٥٧) على رئيس بلدية طبريا حول امتياز تعمير حمامات طبريا ( التي كان في نية الحكومة اعطاؤها للصهيونيين ) قالت « ... لا نكتفي بتعطيلكم مشروع الصهيونيين بالحمامات ولكن نريد ان نراكم قائمين به ... اننا مللنا الوعود وصرنا نشتاق للاعمال » .

في هذا الوقت الذي تخلى فيه الفلسطينيون عن الامل بان تحدث السلطات المحلية او الحكومة المركزية أي تغيير ملموس تجاه عملية التسرب الصهيوني المستمر ، وبدأوا في تلمس حلول ذاتية لم تتضح بعد ، وخاصة ان الراي العربي في الخارج كانت تشغله التطورات الحزبية الداخلية ، نشبت الحرب البلقانية في سبتمبر ١٩١٢(٥٨) . ورغم ان مسرح احداثها كان بعيدا فقد كان لها نتائج غير مباشرة على تطور المسالة الصهيونية ، بسبب استغلال الحركة الصهيونية لظروف الدولة العثمانية المالية الحرجة للحصول على مكاسب وتنازلات جديدة . وقد لاحظ القنصل البريطاني في القدس(٥٩) « ... ان الفئة

الوحيدة من السكان التي لاسباب خاصة بها ــ قد جاهرت بمشاعر موالية متحمسة لتركيا هم اليهود الصهيونيون ... » بينما لاحظ ان الحرب لم تثر اي اهتمام شعبي صحيح في فلسطين . كان اكثر ما يهم الراي العام في فلسطين من الحرب الدائرة في البلقان هو اثرها على صراعهم مع الصهيونيين ، اذ ما يتخوف منه سكان فلسطين كما تذكر الكرمل(٦٠) هو « ... أن يصبح هؤلاء الاجانب اكثرية ... ويصيب هذه ما أصاب غيرها من الولايات التي انسلخت عن جسم الدولة ... » وانه اذا لم تنتبه الحكومة ويتعاون الشعب لوقف التيار « ... فالصهيونية مالكة البلاد ولا محالة ، والعثمانيون خارجون منها كما خرجوا من طرابلس ومكدونيا »(٦١).

لقد كانت النتيجة المباشرة لنشوب الحرب تزايد هجمة الصهيونيين على عمليات شراء الاراضي ، مستغلين تغاضي السلطات المحلية وكذلك اوضاع الفلاحين السيئة ، واصبحت اهم المواضيع التي تشغل الكرمل هي ملاحقة البيوع للصهيونيين . وقد استغرب نصار لكثرة هذه البيوع في مقال له جعل عنوانه « هجوم من كل الجهات يا هو واحدة واحدة ... »(٦٢). فقد سمع عن خبر مفاوضات بين الصهيونيين وصاحب اراضي الناصرة وبينهم وبين اصحاب قرية سارونه وبينهم وبين بعض أصحاب الاراضي في حيفا ، وكذلك اخبار رهن جيدا وتل الشمام وبيوع تجري في يافا ومتصرفية القدس ، وتساءل « ... فما هذا الهجوم من كل الجهات ..؟ أيريد الصهيونيون ان يستولوا على فلسطين دفعة واحدة ، او يريد اهلها ان يبيعوها ؟.. اين الاوامر بمنع البيع لهم وباسمائهم المستعارة ؟ اين حزب الائتلاف الذي كان يشكو من ترخيص الاتحاديين للصهيونيين بالتملك والتوطن في فلسطين ؟ » .

وكانت الكرمل تذكر دوما(٦٣) بمطامع الجمعيات الصهيونية التي تبغي الاستيلاء على اخصب بقاع بلادنا وعلى موارد رزقنا « ... وبالنتيجة لتستأصلنا من قسم كبير منها وتحل فيه محلنا وتوجد لها قومية وتقيم حكومة على حسابنا ... » وخوفا من هذا المصير المظلم ، كان ذلك التشدد في انتقاد الزعماء والاعيان الذين تهاونوا في بيع الاراضي وتواطأوا مع السلطات المحلية . وخاطب نصار الاعيان قائلا « ... اليوم تقررون وتبيعون وتنتصون عديدكم وثروتكم بايديكم وباختامكم وتزيدون عديد الغير وثروته وملكه » . وتساءل في افتتاحية العام الخامس للجريدة « ... ماذا يكون شعورنا واعتقادنا بالشعب الذي ما زال زعماؤه وكثيرون منهم من طلبة الاصلاح والمتظاهرين بالغيرة على سلامة الوطن يبيعون للصهيونيين ويشتغلون لهم كسماسرة ... ولا نسمع احتجاجا ولا نرى اهتماما ودلائل خوف من خطر داهم على حياة واستقلال وطن ؟ »(٦٤).

وظل نصار يتذمر دوما من قلة الاستجابة الكافية لدعوته وعلق على ما قالته جريدة مرآة الغرب ( نيويورك )(٦٥) « ... لقد بح صوت صاحب الكرمل وهو ينبه القوم الى هذا الغريب الذي لا يلبث ان يصير صاحب البلاد ... وليس من يسمع » . بقوله « ... عجيب كيف أن صوتنا يسمع من وراء الاوقيانوسات الواسعة وتردد صداه صحف مواطنينا الكثيرة في المهجر ... وبعض الموظفين والمواطنين هنا يصمون آذانهم ... ». وتعرض نصار الى تواطؤ متصرف عكا وقائمقام حيفا لاتمام عملية بيع كركور وبيدوس(٦٦) . قدم نصار للمحاكمة من جديد ، ولكن بعد استماع مرافعاته قررت المحكمة في حيفا تبرئته بالاتفاق . وكانت هي المرة الثالثة التي يحاكم فيها نصار . وانتابت نصار موجة من اليأس خيل له ان عمله في السنين الاربع ذهبت عبثا ، وكان صديق له من مصر ( م خ ) قد بعث يلومه لاضاعته الجهد والمال في الاقناع والتنبيه دون فائدة وخاصة انه لا حيلة أمام الصهيونيين ومالهم وخطرهم ، واجاب نصار « ... صرنا نميل الى ترجيح فكرة ضرورة توسع الصهيونيين في سوريا وفلسطين حتى يضيقوا ولو بعض الوقت على الاهالي في الاراضي والموارد الاقتصادية فيشعر حينئذ هؤلاء بحرج مركزهم

ويهبوا من نومهم ويلتفتوا الى اصلاح شؤونهم الاجتماعية والاقتصادية ...(٦٧). مع كل هذا فصاحب الكرمل نفسه لا ينكر « ان عددا من المتنورين وارباب الصحف والموظفين تدر لنا هذه الخدمة وادرك الخطر وصار يتعاون معنا »(٦٨).

يكفي مثلا على قيمة الدعوة التي بثتها الصحافة الفلسطينية هو ان الصهيونيين انفسهم لم يستهينوا بها ومن هنا كانت الحملة الصهيونية المضادة لابطال مفعولها . وجهت هذه الحملة الى فلسطين والكرمل معا وخاصة بعد ان اتخذت جريدة ( فلسطين ) خطا صريحا في المواجهة . وشدت الكرمل ازر (فلسطين) ونبهت الحكومة الى تلك الضجة التي تثيرها ضد فلسطين جريدة « احيوت العبرانية وهي جريدة تعيش تحت سماء العثمانية وتخدم المبدأ الصهيوني ... »(٦٩). وعن طريق المقطم وجدت حملة الصهيونية المضادة بابا آخر ، وكانت الكرمل قد نبهت في أواخر ١٩١٢(٧٠) الى أمر اسكان الحكومة لمهاجري البلقان من المسلمين في فلسطين في القرى التي يبيعها اصحابها « ... فهذا اضمن لمستقبل العثمانية من الافساح للجمعيات الصهيونية بالاستعمار ... » . وهاجمت المقطم الفكرة لانها خطة خفية رتبتها الحكومة اضعافا للجنسية العربية . وعجبت الكرمل(٧١) « ... لاهتزاز احد مكاتبي المقطم لدخول مائة تركي الى سوريا هربا من ويلات الحرب ... وعهدنا بالمقطم مفتوح الصدر لمقالات الكتبة الصهيونيين الذين جاهروا بكون البلاد السورية قليلة السكان وان الصهيونيين آتون لاستعمارها واستثمارها ... » وتساءلت « ... ليس من المعقول ان يكون امثال ( الدكاترة ) غير مطلعين على الانسكلوبيديا اليهودية والحركة الصهيونية وتصريحات زعمائها ... فكيف لم يخف المقطم على العرب وعنصرهم من الصهيونية ... ولم يكتب كلمة تحذير منها » .

تطور جديد كان يحدث في الاستانة في مطلع ١٩١٣ ، اذ ان هزيمة القوات العثمانية امام جيوش حلف البلقان اعطى الاتحاديين فرصة اسقاط الوزارة الائتلافية ٢٣ يناير ١٩١٣ بحجة استئناف الحرب . ولم يكن للتغير الوزاري الجديد اثر كبير لدى الراي العربي في سوريا وفلسطين ، اذ يضاف الى القلق الذي بدأ يساور العاملين بحركة الاصلاح ، نظرا لما يعرف عن الاتحاديين بالميل الى سياسة التتريك والمركزية الشديدة ، فانه فيما يتعلق بالمسألة الصهيونية لم يكن للاتحاديين سند كبير لدى الراي المحلي لما بدا من ميل الحكومات الاتحادية لمناصرة الصهيونية . ظلت الكرمل حذرة ، واوضحت في كتاب مفتوح(٧٢) الى اعضاء الوزارة انه لم يبق للترك عنصر كبير غير العرب ليعتمدوا عليه في المحافظة على ما بقي من الملك وتقويته . واتخاذ هذا الموقف لم يكن يعني ان صاحبها من انصار الوزارة « اذ لن يكون ذلك قبلما تبين ابتعادها عن الصهيونية وعدولها عن سياسة تتريك العرب ... » أمر آخر دفعه الى التحفظ : اذ مع كون الوزارة الائتلافية كانت اقل ميلا للصهيونية من الوزارات الاتحادية ، الا ان موظفيها لم يظهروا اقل عناية في مقاومة البيوع الصهيونية ودفع خطرها عن البلاد . ومن جهة اخرى كان لا يزال يأمل « ... ان الاتحاديين بعد ان ... قاموا بعمل الانقلاب الاخير بحجة انقاذ الوطن ان لا يدعوا فلسطين تسقط عفوا في ايدي الاجانب الطامعين فيها ... » . ولكن التوقعات المتفائلة لم تدم طويلا ، فاستمرت كثير من معاملات البيع الكبرى التي بدأت في عهد الوزارة السابقة ، ووجد عرب فلسطين كما اشارت الكرمل ان الحكومات على اختلاف نزعاتها ، تتساهل مع الصهيونيين « فعبثا يحاول الوطنيون المخلصون الوقوف في وجه التيار الصهيوني » .

وفي خارج فلسطين كان بعض قادة الراي العربي في الخارج قد فكر بحل اخر لمواجهة الصهيونية هو التوصل الى اتفاق معها لعوامل عديدة قد يكون من بينها محاولة نزع حليف ذي نفوذ مادي من يد الحكومة العثمانية . وحرصت الكرمل باديء الامر على تجاهل الحوار الذي دار بين الكتاب السوريين والصهيونيين حول مسألة التفاهم العربي

الصهيوني في صحف مصر التي يملكها سوريون . ولا يعرف تماما سبب هذا التجاهل ... هل هو مجرد ترقب لما سيتكشف عنه من نتائج ؟ أم عدم تقدير لاهميته ؟ او قد يعود ذلك الى أن من يناقش الموضوع هم تلك الفئة السورية التي تتزعم الحركة العربية الحديثة ، وكانت تتجمع في القاهرة كنواة لجمعية سياسية ( حزب اللامركزية ) للمطالبة بالاصلاح . ومع تقدير هذه الفئة للخطر الصهيوني الا ان اهميته كانت تحتجب وراء الصراع لنيل الحقوق العربية داخل اطار الدولة العثمانية حين أصبح مستقبل الاجزاء العربية مهددا بعد ضياع الاجزاء الاوروبية .

بينما في داخل فلسطين ظل التخوف من الخطر الصهيوني وكيفية مواجهته هو الشاغل الاساسي ، لانه كان امرا يلحظه الجميع : عملية زحف على الاراضي يتم بمختلف الاساليب(٧٣) ثم زيادة عدد المهاجرين الجدد بشكل ملحوظ ، والاحساس بأن خطر الغزو الصهيوني لا يقتصر على انشاء دولة في فلسطين بل « تمتد الى منطقة الشرق العربي كله ، اذا لم يتدارك الخطر ... »(٧٤). بنظر الكرمل لم يعد مجديا كثرة الاحتجاج ولا لوم الزعماء ، وهي تعجب لاعضاء الاسر « الذين يدعون الامارة ولكنهم يريدونها على الحجارة ... » وتتساءل « ... كيف لا يخشى اصحاب الالقاب الضخمة وطلاب الزعامة الموهومة سوء المصير ...(٧٥)» . وتابعت حث المواطنين وخاصة الناشئة المتعلمة على انشاء الجمعيات التي تجمع كلمة اهل البلاد وترقي شؤونهم الاقتصادية والاجتماعية ، لان ذلك افضل من وضع أفكارهم في مقالات يودعونها الصحف السيارة ، وهذه قلما تأتي بنتيجة ؟(٧٦). وتطلب منهم ان ينسجوا في ذلك على منوال الصهيونيين « ... فانظروا يا أبناء المدارس ... ان مؤسس الجمعية الصهيونية هو هرتسل ، رجل فرد ككل واحد منكم »(٧٧). هذه الامور كان يلمسها سكان البلد ، وكانوا اقدر على التحسس بها من الذين فتحوا الحوار السياسي مع الصهيونيين من اجل التفاهم .

وعاد مشروع استثمار الاراضي الاميرية يشغل صفحات الكرمل مع عودة الاتحاديين وحاجة الدولة الى الاموال . وشنت الكرمل حملة كبيرة على اخطار هذا المشروع الذي — وان كان يتناول الاراضي الاميرية كلها — الا ان اراضي فلسطين الاميرية في غور بيسان واريحا ( ٨٠٠ الف دونم ) هي بيت قصيد الصهيونيين ، « فموارد فلسطين الزراعية المهمة تنحصر في ثلاث نقاط هي سهل « شارون » الذي استولى الصهيونيون على اكثره ، ومرج ابن عامر الذي وضعوا فيه قدمهم ، وغور الاردن القائمة الحركة عليه ، فمتى تم الاستيلاء على هذه اختنق الفلسطينيون ولم يبق لهم مورد اقتصادي »(٧٨). وقدمت الكرمل عدة اقتراحات اقتصادية اما بالمطالبة بتوزيع الاراضي على المزارعين واستيفاء بدل مثلها منهم اقساطا او تأليف شركة وطنية زراعية من اهل البلاد لشراء الاراضي او اخذ الامتيازات لاستثمارها .

كانت حملة الكرمل على بيع الاراضي الاميرية هي جانب فقط من دعوة عامة لمواجهة الخطر الصهيوني بكل الوسائل التي تحتاج تعاون الحكومة والحركة العربية الناشئة معا ، وهذا ما دفعها الى ان تربط بين نوايا الحكومة للتقرب الى العرب وبين تركها مشروع الاراضي الاميرية والوقوف بوجه امتداد الصهيونية(٧٩). ومن اجل هذا الهدف تطلعت الكرمل الى المؤتمر العربي الذي كان مزمعا عقده في باريس في يونيو ١٩١٣ . وقد كان يفهم ضمنا ان امر المسألة الصهيونية سيبحث مع المواضيع المطروحة على بساط البحث في المؤتمر ، اذ ان ما يهدد الاجزاء العربية من المطامع الاجنبية نظرا لسوء الادارة وعدم الاصلاح كان يبدو في فلسطين أكثر وضوحا(٨٠). وتوقعت الكرمل في « ان تنال البلاد من طريقه الحياة والنهضة »(٨١)، كل ذلك بهدف تأليف جبهة واحدة من العرب والحكومة للوقوف امام الخطر ، حتى لا يفسحوا للاجانب مجالا للاستيلاء على اوطانهم . والمسألة بالنسبة للكرمل ليست قضية احتجاج او معارضة بل دعوة الى النهوض .

وتقدم صاحبها باقتراح خاص الى اعضاء المؤتمر في باريس لتأليف جمعية اصلاحية اجتماعية تكون أهم واجباتها اصلاح المدارس وتأليف نقابات زراعية صناعية اجتماعية ، على ان يخرج المؤتمر بمادة حية وينسج فيه على منوال مؤتمر بال « ... بقي الشعب اليهودي مشتتا ٢٠٠٠ سنة حتى قلم هرتزل ودعا الى عقد مؤتمر ، وتولدت فكرة تأمين جمعية صهيونية بتفرعاتها ، وتمكنت في ١٥ سنة من نشر التعليم على قاعدة قومية ... وشراء خيرة اراضي فلسطين وجمع كلمة اليهود وفتح مصاريف لتسليف المزارعين ... فان نسجنا على هذا المنوال نجحنا ، والا فلا خير فينا ولا في مؤتمراتنا »(٨٢).

وبدلا من تحقيق الامال الكبيرة التي عقدت على ما سيجري في باريس ، كان سكوت مطبق على مسألة فلسطين والصهيونية(٨٣)، ثم تجاهل البرقيات التي رفعت الى المؤتمر من عشائر ومزارعي اراضي الغور مع ما فيها من مشاعر التخوف على حياتهم الاقتصادية(٨٤). لم يتعرض نصار بادىء الامر لامر هذا التجاهل ولما وردت اخبار غامضة من الاستانة عن اتفاق عربي تركي وجه عدة تساؤلات في مقاله « على ماذا اتفقنا »(٨٥) فقال « ... هل جرى الاتفاق على الرضى بمناهضة كل حركة حياتية تظهر منا وترك ابناء الصهيونية ... يحيون قوميتهم بموت قوميتنا ؟... هل جرى الاتفاق على ان نبيعهم وطننا قطعة قطعة ليرحلونا عنه فرادى وجماعات ؟ » .

ولكنه من خلال نداء عام(٨٦) ناشد فيه كل من له اهتمام بمصير البلد تعرض بالنقد واللوم تجاهل المسألة الصهيونية في مؤتمر باريس « ايجوز يا طلاب الاصلاح ان يتمنى بعضكم في مؤتمر باريس ان يكون محط مهاجري الروملي في الاناضول لتخفيف الشقة عن السوريين ... وان لا تقولوا كلمة لمندوبي الحكومة أن تمليك الاراضي ... للجمعيات الصهيونية ... يضعف القومية العربية وبالتالي الجامعة العثمانية ... يا طلاب الاصلاح في بيروت ومصر كيف تطلبون للبيت سقفا وتغفلون عن وضع أساسه ، تطلبون الاصلاح لبلاد يسعى بتملكها الصهيونيون ... وانتم تشاهدون هذا ولا تعارضون ، كأنكم لا صلة بينكم وبين اخوانكم في العربية والعثمانية والوطنية في فلسطين ، أو كأنكم لا تعلمون ان ضياع فلسطين يقضي على آمالكم وحياتكم الاقتصادية ... » .

ووجه نصار لومه الى سكوت الصحافة العربية عموما عن الخوض في المسألة الصهيونية في حين « مخالب الصهيونية اوشكت ان تنشب في رقبة فلسطين المسكينة » ، وخص بلومه جريدة المقتبس نظرا لما لها من المكانة في العالم العربي(٨٧). وقدرت المقتبس مشاعر نصار المتوجس خيفة على بلاده وهو خوف — كما تقول المقتبس — يتحسس به أهل فلسطين جميعا نظرا لانهم أعرف الاقاليم العثمانية بما جرّت الصهيونية على سكان البلاد الاصليين من المضار . وترى ان اهل فلسطين لا يهدأ لهم بال « ... الا اذا شاهدوك تخدم افكارهم في دفع الخطر الصهيوني عن البقية الباقية من اراضي اجدادهم ... وتمتعوا بخيراتها وأحبوا ان يتمتع بها ابناؤهم من بعدهم » .

ومع ذلك استمر التغاضي عن المسألة الصهيونية لدى الاوساط ذات الاهتمام بالحركة العربية ، حتى لقد بات نصار في مقاله « الى خيامك يا اسرائيل »(٨٨) يخشى على سكان فلسطين ان يقولوا « ... ليس لنا نصيب في طلاب الاصلاح وحزب اللامركزية ومؤتمر باريس .. نحن املنا ان يدفعوا عنا خطر الصهيونية ... لاننا فريق من العرب الذي يطلب لهم الاصلاح ، وهذا الفريق يؤلف قوة لا يستهان بها ، ووطننا جزء لا يتجزأ من الوطن العربي العثماني ... » . ويرى نصار انه اذا اهمل هؤلاء هذا الواجب فلاننا « نحن الفلسطينيين لم نبرهن عن اهليتنا لعنايتهم واهتمامهم بنا » . لذلك ، وحتى يكون لاهل فلسطين كلمة مسموعة يرى « ان تجتمع كلمتهم ... بتأليف جمعية وطنية لا صهيونية تحفظ البلاد لاهلها بترقية شؤونهم الزراعية والاقتصادية والعلمية وايجاد الالفة الاجتماعية فيما بينهم ... » . ويقترح ان يكون مركز هذه الجمعية مدينة نابلس

وان يبدأ بتأليف فروع لها في كل انحاء فلسطين ، حتى اذا قويت تمد فروعها الى جميع الانحاء العربية . ولو احسن تأليف هـــذه الجمعية « لا تلبث ان تصير مرعية الجـانب ... في المجتمع العربي ... وحينئذ تضطر الاحزاب الى استمالتها وخدمة مبادئها للفوز بمساندتها الادبية ... » ويضـع نصار اقتراحه امام كبار البلاد ومفكريها ليتداولوا فيما بينهم وليعلموا الحكومة برغبتهم في عقد مؤتمر لهذه الغاية في نابلس .

وزاد الحاح نصار على الدعوة الى فكرة المؤتمـــر اللاصهيوني بعد رد جريدة الاصلاح البيروتية(٨٩) عن ضعف الامل بمساعيها لتلافي بيع الاراضي الاميرية . لقـــد بدأ نصار بفقد ثقته بأي زعامة عربية خارج فلسطين لا تجد حدا للخطر الصهيوني . ومع ان هدفه من دعوة الفلسطينيين الى تأليف جامعة عربية فلسطينية قومية هو كي « ... لا تكون فلسطين سهلا يمر به الغزاة فلا يجدون فيه عقبة فيكتسحون البلاد كلها ... » ، الا انه دعا ان تكون هذه الجامعة قوية في نفسها ولا تكون عالة على بيروت او الشام او حلب او العراق أو الحكومة العثمانية « فقوتها درع لهـــا وحصن لجارتها ، وحكومتها » . ويضيف : « ... على الفلسطينيين أن يعتمدوا على انفسهم وخاصة ان الخطر السياسي والاجتماعي والاقتصادي يهددهم مباشرة ... علينا أن نطلب الحياة من طريقها الصحيح لا أن نقول للغير ارحمونا وادفعوا عنا البلاء ، ولا للطامعين فينا اشفقوا علينـــا وكفوا عن الطمع فينا ، فهذه اقوال ليس لها وجود في قاموس تنازع البقـــاء ... »(٩٠). ووجهت ( المفيد ) البيروتية(٩١) لوما لصاحب الكرمل لدعوته الفلسطيني قائلا « ما حك جلدك سوى ظفرك ، فقم للمدافعة عن نفسك بنفسك » ورد بقوله « ... معاذ الله ان نقصد بقولنا التفريق بين أهل بيروت وفلسطين ... ولكننا نريد ان يكون للفلسطينيين جامعة محترمة بذاتها » .

الدعوة لم تكن اقليمية ، والدليل ان الكرمل كانت ترقب باهتمام مساعي التفاهم التي كانت تبذل في باريس والاستانة للتقريب بين الحكومة ورجال الاصلاح ، ولكنهـــا كانت تشترط ان أساس الاصلاح والتفاهم مع الترك هو عدم التفريط بالاراضي للصهيونية . لقد كانت تأمل(٩٢) « ان ينال الفلسطينيون من اتفاق العرب والترك نصيبا وهو بقاؤهم آمنين في أوطانهم وبقاء أوطانهم عثمانية » .

نجحت حملة الكرمل حول قضية الاراضي الاميرية وتراجعت الحكومة عن موقفها في بيع اراضي غور بيسان في اكتوبر ١٩١٣ ، لكن هذا لم يخفف مطلقا من دعوة الكرمل الـــى مؤتمر نابلس اللاصهيوني . فكانت نقمة نصار عنيفة على ابناء الوطن ، زعمائه واعيانه بوجه خاص(٩٣) فدعاهم مرة « سكان القبور » لغفلتهم بعد ان مضى خمس سنـــين والكرمل تنبه الى خطر الصهيونيين وهم « ... لاهون في اشباع شهواتهم وفي منازعاتهم ومشاحناتهم وغافلون عما يحدق بهم من الاخطار » حتى ان بعضهم يعمل « سماسرة صهيونيين وخدمة على ضياع وطنهم ... » . ويرى انهم لو لم يسارعوا الـــى عقد المؤتمرات وتأليف الجمعيات التي تهتم باتقاء خطر الصهيونية عن البلاد صاروا « حكاية تاريخية بعد حين » . بل انه قرأ احكاما صادرة عليهم بأنهم ليسوا أهلا للحياة . ويذكرهم « ... أتنتظرون اذا في هذا الدور دور المصلحة والمنفعة ان ترحمكم الدول والحكومات والشعوب اذا بكيتم وتذللتم ... فالدنيا ما خلقت لغير القوي ، فمن العبث ان تعللوا نفوسكم بتأمين عدل القوي في الضعيف عن طريق الاستعطاف والاسترحام ، فكلما ظهر دليل على ضعف الضعيف هتف هاتف في صدر القوي ان اسحقه وامحقه فهو غير صالح للبقاء ، يشغل قسما من الارض ويعطله والارض انما خلقت للاقوياء ... »

لم يخرج المؤتمر الفلسطيني الى الواقع ، فقط سلسلة جديدة من الاجتماعات والبرقيات الى الجهات المسؤولة ، الا انه لا يمكن ان نقول ان دعوة نصار قـــد فشلت ، فالجيل الجديد تجاوب معها ، ورحبت « الشبيبة الفلسطينية » في الآستانة بالمؤتمر الفلسطيني

لمقاومة الصهيونية(٩٤). وتقدم طالب فلسطيني في القاهرة(٩٥) بمقترحات للمؤتمر وذلك بانشاء مصرف وطني يقرض الفلاح ويخلصه من السقوط بأيدي المستعمرين والمرابين .

ومع اقتراب المؤتمر الصهيوني الحادي عشر في فينا (سبتمبر ١٩١٣) استعد الصهيونيون لجولة عمل جديدة . ولم تكن اخبـــار الاعداد لهذا المؤتمر خافية عـــلى الراي العام في فلسطين ، ومع الترقب والتخوف كان اعجاب وتحسر ، ودعوة للاقتداء. ولم ير نصار(٩٦) مانعا من ان يوفد السوريون من قبلهم وفدا ليحضر جلسات هذا المؤتمر ويقف ولو على بعض مقرراته العلنية . ووجد في الاعداد لهذا المؤتمر مناسبة للدعوة الى ابراز اقتراحه بعقد المؤتمر اللاصهيوني الى الوجود « ... فهلا اعتبرنا وعقدنا نحن ايضا مؤتمـــرا لمقاومتهم ... »(٩٧) وكان نداء حارا « ... الى المؤتمرات ، الى الجمعيـــات ، الى النهوض بالزراعة والمعارف ، الى ترقية حـــال الفلاح الاجتماعية ، الى التضامـــن الاقتصادي ، الـــى الحياة يا قـــوم ... الى الحيـــاة والا فنحن بحكـــم التنـــازع منقرضون ... »(٩٨). وفي تعليقه على اخبار المؤتمر (٩٩) دعا الغيورين من العرب أن يقرأوا كيف تعقد المؤتمرات « كي يتهيأوا ويحاذروا ويتشبهوا ... » ويرى انه « لو بقيت الامة العربية على تهاونها فالامة اليهودية تنال عطف الدول والعالم والكل يحكمون علينا بالموت ولها بحق الحياة ... » .

وكانت العلاقات العربية الصهيونية في الفترة التي سبقت وتلت المؤتمر قد بلغت أوجها من التوتر وتكررت حوادث الاشتباكـــات ، وكانت دليلا ان حياة المستوطنات لـــم تكن آمنة . ولم يكن أمر المعارضة العربية خافيا على الحكومة ، الا ان نفوذ القوى المـــالية التي تقف وراء الصهيونية قد دفع الحكومة الى ان تصدر في اكتوبر ١٩١٣ قرارا بالغاء ( الورقة الحمراء ) المفروضة منذ الحكم السابق على اليهود الاجانب الممنوعي الاقامة . وادعى القرار ان الالغاء انما بسبب سوء الاستعمال ، واوكلت الى السلطات المحلية اتخاذ الوسائط لارجاع المهاجرين بعد ثلاثة شهور (١٠٠)وحصل الصهيونيون بذلك على الهجرة غير المحددة الى فلسطين . وكانت تعليقات الصحافة العربية في فلسطين على هذا القرار فاترة لعدم ثقتها بكل القوانين الصادرة عن الحكومة . ووجدت الكرمل(١٠١) في القرار ان الحكومة تعترف ضمنا بأمر عدم التعرض للمهاجرين في السابق ، لذلك كان الاولى بنظرها ان تلغي الحكومة الورقة الحمراء من دون أن تأمر باتخاذ الوسائط لارجاع المهاجرين « لان الورقة الحمراء لم تكن سوى حبر على ورق » .

وعموما فان لهجة الصحافة قد فترت في اواخر ١٩١٣ ، لان الحكومة ، رغبة باسكات المعارضة ، قد لجأت مرارا الى تعطيل الصحف الوطنية وتعريض اصحابها للمحاكمة وكان الصهيونيون وراء ذلك . بدأوا بتعطيل جريدة فلسطين(١٠٢) بحجة انهـــا تطعن بالحكومة . واعجبت الكرمل بموقف الراي العام من تعطيل ( فلسطين ) اذ « ... يوم رؤيا الدعوى كانت القاعة مملوءة ... وهذا يدل على ان الامة تشعر شعورا حيا نحو صحافتها الراقية ... »(١٠٣). ووجهت ضد نصار تهمة ملفقة والقي القبض عليه . واشتبهت المقتبس(١٠٤) بأن الامر مدبر بدسيسة « لانه من المعلوم ان نجيب نصار هو في رأس المناهضين للصهيونية التي لم يعد احد يجهل مقاصدها ... » وافاض مراسل مجلة الشرق الادنى(١٠٥) في حيفا باظهار مشاعر الاهالي لدى سماعهم الخبر ، فتجمهروا خارج دار الحكومة وطلبوا الافراج عنه مما اضطر السلطات الى الرضوخ واغلاق باب التحقيق . ولم يكتف الصهيونيون بمحاولة اسكات الصحافة الوطنية المناوئة لهم ، بل تابعوا الرد عليها . فطرحت جريدة النفير العثماني في حيفا(١٠٦) ( وهي من الصحف التي تمولها الصهيونية ) موضوعا للمناقشة حول منافع ومضار الصهيونية . وما يلفت النظر ذلك الهجوم الذي شن على الصحف المعادية للصهيونية ، والادعاء بأن حملتها قـــد استلفتت انظار رجال الحكومة الى نفع الصهيونية وعرفتها بأصدقاء لها في الصحافة

العربية ، وكان نصيب نصار أكبر قدر من هذه التهم بأنه أنشأ جريدته للتشفي والانتقام من الصهيونيين بعد خلافه معهم في طبريا ، وانه يبالغ في الهجوم كي ينال مالا من الصهيونيين الخ . . .

وبعد فترة التغاضي المكره عن تناول موضوع الصهيونية ، تجددت الحملة الصحفية مع قرب الانتخابات للمبعوثان . وردا على مطلب صهيوني بتعيين حاكم يهودي في احدى المدن الفلسطينية قالت جريدة فلسطين(١٠٧) ( التي شددت حملتها منذ مطلع ١٩١٤ ) بأن « فلسطين تنتفع كل الانتفاع من تعيين حاكم اسرائيلي ، ولكن بعد أن يغادرها كل من لا ينتسب لاسرائيل ، ليكون حاكم واحد لشعب واحد . . . » . ووجدت الكرمل(١٠٨) في هذا الطلب تتمة لسلسلة محاولات يقوم بها اليهود للوصول الى المناصب الحكومية ، ولذلك تقترح ان كان لا بد من تعيين حكام اسرائيليين فليكن خارج فلسطين حيث لا تخوف من الجمعيات السياسية . وظلت الكرمل على خطتها في تذكير الاهالي من مستقبل يجردون من الاراضي ويطردون من البلاد(١٠٩)، ودعوة الزعماء والشبيبة وقادة الرأي للعمل المنظم لمواجهة الخطر وتأسيس الجمعيات واحياء الزراعة(١١٠).

ومع ازدياد الهجوم على الصهيونية كان لا بد من ايجاد حل ، وكانت الضحية جريدة فلسطين والمسبب السفير الامريكي في الآستانة ( هنري مورغنثو ) وهو يهودي حضر الى فلسطين أوائل ابريل ١٩١٤ في زيارة تفقدية مماثلة لتلك التي قام بها قبل أسابيع البارون روتشلد ، وكلا الشخصيتين لهما وزنها في العالم المالي والدبلوماسي . وابدت الصحافة العربية قلقها ، ووعد صاحب جريدة فلسطين قراءه في نصيحة صغيرة(١١١) « . . . ها نحن سنستمر على الوقوف بازاء الصهيونيين الى يوم ترتجف فيه اعصاب الامة وترى الحفرة الهائلة التي تنتظرها فتدوي دوي السيل الجارف وتلعلع لعلعة النار الآكلة وويل لظلمة الشعب من ذلك اليوم . . . » . وفي يوم ٧ ابريل أصدرت وزارة الداخلية، وبتدخل من السفير الامريكي ، أمرا يقضي باغلاق الجريدة واقامة الدعوى على مديرها المسؤول بحجة انها تفرق بين العناصر . ويعلق القنصل البريطاني في القدس على الحادث « . . . ان المقال انما يعكس بصدق الاستياء المتزايد بين العرب ضد الغزو اليهودي»(١١٢). وعللت جريدة مرآة الغرب(١١٣) اسباب الابقاء على الكرمل صاحبة الحملات الشديدة على الصهيونيين بأن الكرمل تصدر في حيفا وهي بعيدة عن مركز الحركات الصهيونية بعكس جريدة فلسطين ، ولكنها تتوقع ان يتمكن ( مورغنثو ) بنفوذه السياسي من حمل وزير الداخلية على تعطيل الكرمل ايضا ، « . . . وتتجرد البلاد من كل سلاح ضد الصهيونيين » . واتخذت محاكمة صاحب فلسطين شكل مقاضاة بين الصهيونية وخصومها ، مما اضطر وزارة الداخلية الى الحكم بالبراءة .

كانت أكثر حملات الكرمل عنفا ، والتي شغلته حتى قرب نشوب الحرب العالمية الاولى ، قضية التفاهم العربي الصهيوني . اذ كانت الفكرة التي طرحت علنا في ( الاهرام ) في فبراير ١٩١٣ وما تلاها من مباحثات خفية قد عادت للظهور . والمهم في هذا التطور الاخير ان صاحب الكرمل قد عبر عن رأيه بطريقة ليست في صالح متبني الفكرة . وكان قد بلغ مسامعه منذ اكتوبر ١٩١٣ ان احد العرب في الآستانة يسعى لبناء اساس الاتفاق بين العرب والصهيونيين فتساءل « . . . على ماذا يتفقون ؟ أعلى بيع البلاد ؟ الصهيونيون يريدون ملكا في فلسطين العربية ، أترضى الشبيبة الطاهرة بذلك التوقيع بيدها على القضاء على حياة بلادها وقوتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ؟ » واستنجدت بعبد الكريم خليل ، رئيس المنتدى الادبي في الآستانة ومعتمد الشبيبة(١١٤) « . . . عبد الكريم ، حاذر أن تسقط من شاهق ، اصبح مركز الشبيبة حرجا لان الثقة وضعت فيها ، اننا نعتقد بأنه لا يوجد ولا يهوذا ( اسخريوطي ) واحد بينكم يبيع سيده وبلاده . . . » . وعلى صفحات الكرمل جاء رد احد اعمدة الشبيبة العربية في الآستانة ( سيف الدين

الخطيب ) القائل(١١٥) « ... اني لا اشك بشباب عربي يوافق احدا على بيع بلاده ... فليعلم الصهيونيون وغيرهم بأن في عاصمة الملك مئات عديدة روحهم من روح نجيب نصار ... وان كان من الممكن اقناع نجيب نصار بالاتفاق مع الصهيونيين ، فمن المحال تغرير ابناء اليوم ورجال المستقبل أن يأتوا بمثل هذه الخيانة العظيمة » .

مهما كان صدق هذا النفي فالمفاوضات كانت جارية، وطرحت عروض صهيونية في جريدة المقطم علنا ، وفتح حوار مع اقطاب حزب اللامركزية حول امكانية التفاهم . وتوجه صاحب الكرمل في ١٧ ابريل ١٩١٤ بسؤال الى « كتبة الصهيونيين المتموهين الذين ... يقولون ان الصهيونيين قرروا ان يتفقوا مع العرب ... » . كيف يوفقون بين هذه الاقوال واقوال كتبتهم واعمالهم في فلسطين . ويضيف « ... هل تريدون الاتفاق لتسلبونا وطننا وثروتنا وتؤسسوا أمة وملكا لكم ... » ويعتب على جريدة كبيرة كالمقطم « كيف تقبل نشر التمويهات التي لا نشك بأنها لا تنطلي على العالمين الكبيرين ، والوطنيين العظيمين ، نمر وصروف » . وينتهزها فرصة للوم المواطنين(١١٦) « ... لو كان لكم رأي عام لما رضيت جريدة كالمقطم — ولو حياء من الرأي العام — ان تنشر تمويهات ... بأن الصهيونيين يريدون الامتزاج بالعرب والاختلاط بهم ... وأنتم تعلمون ماذا يعمل الصهيونيون في بلادكم واصحاب المقطم اعلم منكم بذلك ... » .

وبلغت ثورة نصار أوجها في رده على اقتراح صهيوني بعقد مؤتمر مشترك بين زعماء العرب والصهيونيين للتوصل الى اتفاق يرضي الطرفين ، ووعد رفيق العظم ( رئيس اللامركزية ) ببذل المساعي لدى ( سراة ) البلاد الفلسطينية لينتخبوا مندوبيهم . بدأ نصار بمهاجمة المقطم(١١٧) « ... على رغم كون صبيان الازقة ما عادوا يجهلون مطامع الصهيونية ومراميها ، فالمقطم لا يزال ينشر لمن تسميهم زعماء الصهيونية اقوالا تمويهية المقصود منها ذر الرماد في الاعين بأن الصهيونيين يريدون الاتفاق مع العرب وانهم مخلصون للعرب والدولة ... » ثم يوجه الهجوم الى رفيق العظم متهما اياه بأنه سمع بخطر الصهيونية ولكنه لم يقرأ عنها ، ولم يتبين من أعمالها شيئا كثيرا « ... فكيف اذن يمكن الاتفاق مع قوم أجانب ... يعملون على نزع وطن العرب من أيديهم واقامة وطن وملك لهم فيه ... » اما عن السعي لدى سراة فلسطين ليعينوا مندوبهم في المؤتمر فيقول نصار « ... لو علم الزعيم ان مصائب فلسطين تأتيها من بعض سراتها أكثر مما تأتيها من الصهيونيين ، لان هؤلاء هم سماسرة الصهيونيين والبياعين لهم ، لما قال ان لجنة الحزب تسعى لدى السراة ... »(١١٨). لقد رأى نصار ان الشبيبة وحدها هي التي تدرك خطر الصهيونية وهي « التي ينبغي ان تفاوض في أمرها اذا كان يروق لها المفاوضة على وطنها ... » انه يدعو لجنة حزب اللامركزية أن تخرج الى حيز التنفيذ الوسائل الكفيلة بانقاذ الوطن فتكسب ثقة الشبيبة السورية « فالاحزاب خلقت لتعمل وتخدم مصالح الشعب لا لتقول ... »(١١٩). ومع ان قضية الاتفاق العربي الصهيوني قد سكت عنها في الصحافة العربية ، الا ان المساعي من أجل هذا الاتفاق استمرت في الخفاء(١٢٠). وعجز الرأي العام عن ملاحقتها في حين كان الموقف العربي في فلسطين قد بدأ يتحول في غير صالح الاتفاق ، فأعمال الصهيونيين كانت تناقض دعواهم بالتقارب ، وتيارهم كان مندفعا بشدة الى الامام .

وفي اثناء دعوة نصار للبحث عن الاساليب الذاتية المنظمة لمواجهة الخطر ، دخل في جدل صحفي مع الفيلسوف شبلي شميل . فقد تقدم شميل للبحث عن حل لمواجهة الخطر الصهيوني في مقال نشرته له المقطم تحت عنوان « عمروا واستعمروا فالارض ميراث المجتهد ... »(١٢١) ورأى ان يثبت هذه الحقيقة العمرانية : ان الانسان وجد على الارض لتعميرها لا لتخريبها ، وان حجتنا على الصهيونيين انهم دخلاء يعتدون علينا حجة واهية كبكاء الاطفال ، وبالقيام عليهم بالقوة نجني على العمران . الحل بنظره ان نتذرع

بقوة تضاهي قوتهم ونكون واياهم اكفاء رحمة بالارض ، وان نتبارى معهم في الاعمال العمرانية « ... فلنجد ولنكد نظيرهم ... ما دام الناموس العمراني العام يقضي بأن الارض ميراث المجتهد ... » . ورغم ما في مقال شميل من حقائق جارحة فان الكرمل أيدت آراءه ، على اعتبار انه «لا يمكننا حفظ كرامتنا الا بمناهضة الصهيونيين بالعقل ومباراتهم بالاعمال العمرانية ... »(١٢٢) . وكان نصار يعتقد ان شميل قد كتب المقال في ساعة حنق من تغاضي الحكومة والاهالي عن النهوض بالاحوال العمرانية ، ولم يخطر له انه سيقوم في مقال تال في الاهرام(١٢٣) يندد بخصوم الصهيونية لانه ليس في كتاباتهم غير التحذير من الصهيونيين ووجوب مقاومتهم لا بالاقتداء بهم لتتكافأ القوتان ، وانه لم ينتج عنها الا تمكين العداء وتضليل الجمهور « وشحذ سلاح قابيل ضد هابيل ، لا شحذ سلاح العلم لنصرة العلم ... » . وعجب نصار في مقاله « معك حق ومعنا حق »(١٢٤) من الفيلسوف الذي ينكر على خصوم الصهيونية حقا مشروعا وهو الدفاع عن بقائهم ويتهمهم بتضليل الجمهور مع ان مقالاتهم تدعو الى الالفة وتكوين الراي العام وكل نهضة علمية وعملية اجتماعية . ولفت نظره الى ان العرب « ليسوا كما يخيل لكم ضعفاء ، بل هم أقوياء ... واليهود الذين جمعوا كلمتهم ليسوا أرقى من مجموع العرب ، ولكن الفضل في حركتهم لزعمائهم ... » ويسأل نصار « ... فلماذا لم تقتد انت وصروف ونمر ورفيق بهرتسل ونوردو وغيرهم لتكوين رأي عام في قومكم كما فعل أولئك في قومهم ، وتؤلفوا شركات ونقابات وجمعيات تعمل للعرب افضل مما تعمله الصهيونية لليهود ... » ورد شميل(١٢٥) على انتقاد نصار له ولسائر المفكرين والزعماء بقوله « ... قل لي كم نصرك من قومك اذا دعوت الى عمل ... بل قل لي كم يكون شاتموك فيما لو قصدت زحزحتهم عن مألوف ... » . ونشرت الكرمل الرد حتى يكون حافزا امام الشبيبة الناهضة كي تتولى هي مهمة انقاذ الوطن ، وأملت من الفيلسوف ان يسير هو في طليعة الشبيبة .

لقد شعرت الكرمل ان اسلوب الجيل القديم قد عجز عن وقف الخطر ، وانه لا بد للشبيبة المثقفة التي تنبه شعورها الوطني ان تتولى قيادة الراي العام في فلسطين وبالقيام بأعمال تنهض بأحوال البلاد الاقتصادية والاجتماعية . وكان قد بدأ بالفعل تشكيل جمعيات فلسطينية ( لا صهيونية ) داخل فلسطين وخارجها كأول خطوة في العمل المنظم ، ففي القاهرة ألف طلبة الازهر من الفلسطينيين جمعية لا صهيونية(١٢٦)، وألف طلبة نابلس في كلية بيروت الامريكية جمعية الشبيبة النابلسية(١٢٧) . وفي الآستانة قام الشبيبة الفلسطينية بايجاد جمعية تسعى لجمع كلمة الفلسطينيين خاصة والعرب عامة وذلك للعمل على ما يعود بالنفع على البلاد وخاصة مقاومة التيار الصهيوني ، على ان يجعل مركز الجمعية في القدس ويفتح لها شعب في انحاء فلسطين وشعبة دائمة في الآستانة(١٢٨) . وسعت الكرمل في مقال « يا شبيبة فلسطين ثبتي وجودك »(١٢٩) الى دعوة الشبيبة المتعلمة كي تحول دون انتقال الاراضي من ايدي الوطنيين وذلك بالتأثير الادبي على اصحاب هذه الاراضي « اذا لم تستطيعوا ان تمنعوا آباءكم عن بيع اوطانكم ، فلا أقل من أن تحتجوا عليهم .. وتخرجوا من بيوتهم ، فخير لكم ان تكونوا فقراء شرفاء من أن تأكلوا خبز بيع الارض لذوي المطامع السياسية فيكم ... » ودعا نصار الشبيبة ان تعمل مستقلة عن الزعامات التقليدية وتعتمد على نفسها في سعيها لانهاض احوال البلاد « ... ولا ينفي ذلك وجود ذوي مبادىء رفيعة في الجيل السابق ، ولكن هؤلاء يعاونون الشبيبة بمالهم وآرائهم من دون ان ينتظروا تقليدهم زعامتها ، لان الذين تقلدوا زعامتها من قبل اتخذوها سلما لنيل مآربهم » .

عدم الثقة بالزعامات التقليدية قد دفع نصار الى ثورة عنيفة حين تبين له ان حقي العظم هو رئيس جمعية تشكلت في القاهرة من الشباب العربي السوري والفلسطيني باسم جمعية مقاومة الصهيونيين(١٣٠) وتقدم القائمون بأمرها بوضع برنامج يتضمن مقاومة الصهيونيين بكل الطرق المشروعة أذاعوه في منشور خاص وزع في القدس . وفي مقال

نصار « اعملي مستقلة أيتها الشبيبة »(١٣١) يهاجم حقي ورفيق العظم بصفتهما من حزب اللامركزية الذي يرغب في عقد مؤتمر للتوفيق بين مصالح العرب والصهيونيين . ومع احترام نصار لشخصيهما الا انه اظهر عدم ارتياحه لقيامهما بتأليف جمعية باسم مقاومة الصهيونية في حين انهما يسعيان لعقد مؤتمر للاتفاق مع الصهيونية « لان المقاومة دفاعا عن الحياة لا تتفق في عرفنا مع السعي للاتفاق مع الخصم ، الامر الذي لا يمكن حصوله بدون التنازل عن الحياة الوطنية والاستسلام » . ويرجع نصار سبب تأليفهما هذه الجمعية الى « شعورهما بنهضة الشبيبة الفلسطينية . . . فرغبا ان يستجلبا هذه الشبيبة ليستخدماها في مصلحة حزبهما . . . بحيث يرى الصهيونيون ان لهما حول وطول فيوافقونهما على عقد مؤتمر . . . فيتفقون على اطلاق يد الصهيونيين في فلسطين بمقابلة مساعدات ربما مادية لحزب اللامركزية وشروط وهمية يفرضها هذا الحزب على الصهيونية . . . » . كل ما يطلبه نصار من الزعيمين ان يكونا قدوة للشبيبة الفلسطينية ، اما بالنسبة للوقت الحاضر فهو ينصح الشبيبة في فلسطين وسائر البلاد العربية ان تعمل مستقلة لتأليف رأي عام « وان لا تدع أحدا يتخذها سلما » .

لم تهدأ ثورة نصار الا بعد أن تراجعت اللامركزية عن فكرة الاتفاق ، وعلى صفحات المنار(١٣٢) اكد رشيد رضا ، أحد البارزين في اللامركزية ، خطر الصهيونيين الذي « . . . يمتد الى سوريا حتى النهر الكبير أي نهر الفرات . . . » وأمل بأصحاب فلسطين ان يعملوا على المحافظة على وطنهم وأملاكهم ، وهو واثق ان قوة واستعداد الشعب العربي كامنان فيه «كمون النار فيحجر الصوان تحت الثلج . . .» .وقام محمد المحمصاني باسم جمعية العربية الفتاة بتقريب وجهات النظر ، بعد أن كاد يصيبها التمزق ، لاتخاذ موقف موحد ازاء المسألة الصهيونية فوضع اقتراحا جامعا(١٣٣) يقف فيه العرب معا ، والسوريون بوجه خاص ، بصدد خطر يهدد سوريا كلها ، تتولاه فئة مؤمنة بالفكرة العربية لها دعامتها من الشبيبة المتعلمة ترى وجوب دفع الخطر الصهيوني بجميع الوسائل لا فرق بين انشاء الجمعيات وبين تأليف العصابات المسلحة .

هكذا بدت دعوة نصار على وشك أن تحقق ثمارها ، ولكن نشوب الحرب العالمية لم يتح الفرصة لتطبيق هذا البرنامج ، وشغل الشرق العربي بأحداث الحرب حين أصبح احد جبهاتها ، وانصرفت الحركة العربية عن ملاحقة المسألة الصهيونية اذ انتقل نشاط الحركة الصهيونية الى مجالات عالمية . كما شنت حملة ملاحقة لاقطاب الحركة العربية، من كان منهم في الخارج فقد نجا ، ومن كان في الداخل قدم الى أعواد المشانق او نجح في التخفي والفرار ، وكان نصار من الفئة الاخيرة . وقد روت لي أرملته ( منذ عامين ) قصة اختفائه حيث نزل اولا عند آل الفاهوم في الناصرة ثم عند عرب السردية حيث عمل في رعاية الغنم مدة سنتين ونصف تقريبا ، ولكن حين هدد بنفي اشقائه واصدقائه الى الاناضول سلم نفسه الى قائمقام الناصرة ( فوزي الملقي ) الذي دبر له مقابلة مع جمال الصغير ( المرسيني ) وتأثر هذا من دفاع نصار عن نفسه ومهاجمته مظالم الدولة العثمانية فأرسله الى دمشق حيث اوعز بمماطلة الجلسات الى حين استدعاء جمال باشا ( السفاح ) الى الاستانة فصدر عفو عن نصار قبل انتهاء الحرب بفترة وجيزة . وقد صور نجيب نصار حوادث الحرب العالمية الاولى وملاحقته في كتابه «مفلح الغساني» وهو الاسم الذي تنكر به اثناء الحرب .

وقد تابعت أرملته حديثها عن عودة الكرمل الى الظهور ثانية في فترة الانتداب البريطاني، حيث سارت على نفس الخطة السابقة بمهاجمة الصهيونية وتصوير اخطارها مما عرّضها عدة مرات للتعطيل . وكانت زوجته تساهم معه في التحرير ، واعتقلت عام ١٩٣٨ لمدة احد عشر شهرا بتهمة امداد الثوار بالاسلحة . وأعلنت الحرب وكانت لا تزال في معتقلها في بيت لحم . وفي عام ١٩٤٤ ختمت الكرمل بالشمع الاحمر تحت نظام

الاحكام العرفية . وما يؤثر عن نصار ــ كما روت ارملته ــ انه اعتاد ، في حالة وجود سطور فارغة في الجريدة ان يملأها بشعارات معينة مثل « لا تشتروا من اليهود شيئا الا الارض ، بيعوا اليهود كل شيء الا الارض » . وتوفي نجيب نصار في ١٢ مارس ١٩٤٨ في الناصرة التي نقل اليها من حيفا اثر اشتداد المرض عليه ، واوصى زوجته وهو على فراش الموت « . . . ان الناس لم تفهم الصهيونية بعد . . . اوصي كل غيور بالذهاب الى دمشق لمتابعة النضال . . . » . وهكذا مضى احد الرواد الذين فهموا أسرار الصهيونية ونبهوا الى أخطارها .

## الحواشي

١ ــ الصفحة الخامسة من مقدمة كتاب : Azouri, N., *Le Reveil de Nation Arabe*,

٢ ــ *Jewish Review*, January, 1912 pp. 383-85.

٣ ــ ( رسالة لم تنشر بعد ) Mandel, N., *Turks, Arabs and Jewish Immigration into Palestine*, Oxford Middle East Centre 1965, pp. 290-291.

٤ ــ Esco Foundation for Palestine, *Palestine, a study of Jewish, Arab and British Politics*, Vol. I. p. 449. Yale University Press, 1947.

٥ ــ لم تتوفر مجموعة الكرمل الا بين ١٩١٢ ــ ١٩١٤ في دار الكتب الوطنية في القاهرة ، وبضعة أعداد متفرقة في دار الكتب الوطنية في بيروت ، الا انه أمكن تغطية هذا النقص بالعودة الى جريدة ( المقتبس ) الدمشقية ومجموعتها شبه كاملة ( ١٩٠٨ ــ ١٩١٤ ) في دار الكتب في القاهرة . وكانت تخصص صفحات كثيرة لبحث المسألة الصهيونية وتنقل اخبارها عن الكرمل وخاصة انه كانت تربط نجيب نصار بمحمد كردعلي ( صاحب المقتبس ) صداقة .

٦ ــ روت لي ارملة نجيب نصار انه بعث بأخيه الى القاهرة بعد تغير نظام الحكم في الاستانة للاتصال بأحد محرري المقطم ( خليل ثابت ) ليطلب منه متابعة نشر مقالاته حول الصهيونية وكان رده . . . « اننا منعنا عشرات السنين من زيارة لبنان ، والان بعد أن سمح لنا هل تريدنا ان نمنع ثانية ! » .

٧ ــ *Mandel*, pp. 204-205.

٨ ــ ايليا زكا هو صاحب جريدة **النفير العثماني** في القدس ثم حيفا وكان يمولها بنك انجلو فلسطين الصهيوني في يافا وتولت فيما بعد حملة الرد على الكرمل .

٩ ــ رسالة شخصية بعث بها نجيب نصار ، ١٣ يونيو ١٩١٠ ، الى فيليب دي طرازي ، الذي كان بعد كتابه **تاريخ الصحافة العربية** ، بيروت، ١٩١٣ ــ ١٩١٤ ( ٣ اجزاء ) .

١٠ ــ **الكرمل** ، ١٥ يونيو ١٩٠٩ .

١١ ــ **جراب الكردي** ، ٣٠ ــ ٣١ يونيو ١٩٠٩ .

١٢ ــ Roi, V., *The Zionist Attitude to the Arabs, 1908-1914*, Middle Eastern Studies, April 1968, pp. 200-201.

١٣ ــ اشارت له **المقتبس** ، ٢٦ ابريل ١٩١٠ .

١٤ ــ **النفير العثماني** ، ٢ فبراير ١٩١٠ . كان من جملة التهم ان نصار اخذ خيرات من الاسرائيليين وباعهم اراض وهو في طبريا .

١٥ ــ **المقتبس** ، ٢٦ ابريل ١٩١٠ .

١٦ ــ Jewish Chronicle, 10/6/1910.

١٧ ــ *Ibid*, 25/11/1910.

١٨ ــ **المقتبس** ، ١٥ مارس ١٩١٠ .

١٩ ــ نقلته **المقتبس** ، ٢٥ مارس ١٩١٠ .

٢٠ ــ نقلته **المقتبس** ، ١١ اكتوبر ١٩١٠ .

٢١ ــ **الاهرام** ، ٢٤ يناير ١٩١١ .

٢٢ ــ **المقتبس** ، ٦٢ ، جـ ٢ ، ١٩١١ ص ١١٩ ــ ١٢٠ مقال ( في ارض الجليل ) .

٢٣ ــ في رسالة **ماندل** ، ص ٢٢٠، ان الوكيل هو Joshua Hankin ( وفي الصحف العربية خانكي ).

٢٤ ــ نقلته **المقتبس** ، ١٨ مارس ١٩١٢ .

٢٥ ــ **المقتبس** ، ٧ ــ ٨ يناير ١٩١٣ وكانت تفاصيل القضية قد اذيعت بعد انتهاء البيع بأشهر . وقد أقام الصهيونيون في الفولة مستعمرة ( مرحافيا ) اول تجربة للاستيطان التعاوني حسب مشروع اوبنهايمر .

٢٦ ــ نقلته **المقتبس** ١٥ يناير ١٩١١ .

٢٧ ــ نقلته **المقتبس** ١١ يناير ١٩١١ واشارت له **المقطم** ١٧ مارس ١٩١١ وذكر ( ماندل ) ص

٢١٦ ان شكري العسلي كان يكتب مقالات ضد الصهيونية حين كان لا يزال قائمقام الناصرة .

٢٨ — **المقطم** ٧ ابريل ١٩١١ .

٢٩ — **المقطم** ١٨ مارس ١٩١١ .

٣٠ — يشكر نسيم ملول في المقدمة باسم جمعية النهضة الاسرائيلية ( ناشرة الكتاب ) الصحافة العربية في مصر وسوريا وتونس لمساعدتها بواسطة نشر مقالاتها واخبارها ، كما يثني على الشيخ ابو نظاره ( يعقوب صنوع ) الذي هو في « طليعة المؤيدين » له . وكان الاخير قد بعث رسالة من باريس في مارس ١٩١١ يدعو ملول « بولدي العزيز » ويقدر له هدفه « في الدفاع عن الامة الاسرائيلية المسكينة المفرقة في مشارق الارض ومغاربها » .

٣١ — نقلته **المقتبس** ٤ فبراير ١٩١١ .

٣٢ — الرسالة في ٧ مارس ١٩١١ .
F.O. 311/1245/9103 F.

٣٣ — **الاهرام** ١١ مارس ١٩١١ ، **المقتبس** ٢٠ مارس ، **التيمس** ٣ مارس .

٣٤ — مقال :
Gottheil, R., Zionism, *Jewish Encyclopedia*, 1906, Vol. XII, pp.666 - 86.

٣٥ — *Jewish Chronicle*, 18/8/1911.

٣٦ — *F.O.* 424/229.

٣٧ — *The Near East*, 17/5/1912.

٣٨ — رفع التقرير الى وزارة الخارجية البريطانية ١٨ نوفمبر ١٩١١ *F.O.* 424/229

٣٩ — *Jewish Chronicle*, 16/6/1911.

٤٠ — *Ibid*, 14/7/1911.

٤١ — رسالة ( **ماندل** ) ص ٢٩٤ .

٤٢ — رسالة شخصية بعثها الى فيليب دي طرازي ١٧ مارس ١٩١٣ .

٤٣ — **المقتبس** ١٨ مارس ١٩١٤ .

٤٤ — *The Near East* 24/5/1912.

٤٥ — **فلسطين** ١٧ اغسطس ١٩١٢ .

٤٦ — نقلته **المقتبس** ٢٤ اغسطس ١٩١٢ .

٤٧ — **الكرمل** ١٨ اكتوبر ١٩١٢ .

٤٨ — **الكرمل** ١٠ ديسمبر ١٩١٢ .

٤٩ — **المصدر نفسه** ٣ يناير ١٩١٣ .

٥٠ — **المصدر نفسه** ٢١ يناير ١٩١٣ .

٥١ — **المصدر نفسه** ٧ سبتمبر ١٩١٢ .

٥٢ — **المقتبس** ٢٨ اغسطس ١٩١٢ .

٥٣ — **المصدر نفسه** ٤ اكتوبر ١٩١٢ .

٥٤ — **المصدر نفسه** ٢٦ اكتوبر ١٩١٢ .

٥٥ — **المصدر نفسه** ٢٤ سبتمبر ، ١٠ ديسمبر ، ٢٧ ديسمبر ١٩١٢ .

٥٦ — **المصدر نفسه** ٢٠ سبتمبر ١٩١٢ .

٥٧ — **المصدر نفسه** ١٨ اكتوبر ١٩١٢ .

٥٨ — كانت دول البلقان الاربع ( بلغاريا ، اليونان ، الصرب والجبل الاسود ) قد عقدت تحالفا سريا ضد الدولة العثمانية ( سبتمبر ١٩١٢ ) ولم يستطع الجيش العثماني الصمود وتراجع حتى ادرنه وطلبت الحكومة الهدنة ١٩١٢/١٢/٣ .

٥٩ — رسالة القنصل مكريجور **Mc Gregor** ٢٢ يناير ١٩١٣ *F.O.* 195/2457

٦٠ — **الكرمل** ٣ يناير ١٩١٣ .

٦١ — **المصدر نفسه** ١ فبراير ١٩١٣ .

٦٢ — **المصدر نفسه** ٢٠ يناير ١٩١٣ .

٦٣ — **المصدر نفسه** ٢٧ مارس ١٩١٣ .

٦٤ — **المصدر نفسه** ٣ يناير ١٩١٣ .

٦٥ — **مرآة الغرب** ١٥ يناير ١٩١٣ .

٦٦ — **الكرمل** ٣ يناير ١٩١٣ .

٦٧ — **المصدر نفسه** ٣١ يناير ١٩١٣ .

٦٨ — العدد نفسه .

٦٩ — **الكرمل** ٢٤ ديسمبر ١٩١٢ .

٧٠ — **المصدر نفسه** ١٣ ديسمبر ١٩١٢ .

٧١ — **المصدر نفسه** ٢٠ ديسمبر ١٩١٢ .

٧٢ — **المصدر نفسه** ٨ فبراير ١٩١٣ .

٧٣ — **المصدر نفسه** ٢١ فبراير ١٩١٣ .

٧٤ — **المصدر نفسه** ١١ فبراير ١٩١٣ .

٧٥ — **المصدر نفسه** ١٥ اغسطس ١٩١٣ .

٧٦ — **المصدر نفسه** ٧ يناير ، ١٨ فبراير ، ٢١ فبراير ١٩١٣ .

٧٧ — **المصدر نفسه** ١١ فبراير ١٩١٣ .

٧٨ — **المصدر نفسه** ٢٣ مايو ١٩١٣ .

٧٩ — **المصدر نفسه** ١٣ مايو ١٩١٣ .

٨٠ — **المفيد** ٨ ابريل ١٩١٣ .

٨١ — **الكرمل** ٣٠ مايو ١٩١٣ .

٨٢ — **المصدر نفسه** ١ يوليو ١٩١٣ .

٨٣ — المصادر العبرية تذكر ان الدور الذي لعبه سامي هوخبرج S. Hochburg رئيس تحرير جريدة ( **جون ترك** ) التي تصدر بالفرنسية في الاستانة وتمولها الصهيونية ، وراء كواليس المؤتمر هي التي اقنعت الاعضاء بالسكوت . انظر : ( رسالة هوخبرج ) ملحق بالفرنسية لمقال بالعبرية (P.A. Alsberg) بعنوان

المسألة العربية في سياسة اللجنة التنفيذية الصهيونية قبل الحرب العالمية الاولى .
*Shivat Zion*, Vol. 4. 1956-57.

٨٤ ـ من مجموعة اوراق محب الدين الخطيب .
٨٥ ـ **الكرمل** ٨ يوليو ١٩١٣ .
٨٦ ـ **المصدر نفسه** ١٥ يوليو ١٩١٣ .
٨٧ ـ **المقتبس** ١٩ يوليو ١٩١٣ .
٨٨ ـ **الكرمل** ٢٥ يوليو ١٩١٣ .
٨٩ ـ نقلته **الكرمل** ١١ اغسطس ١٩١٣ .
٩٠ ـ **الكرمل** ٢٦ سبتمبر ١٩١٣ .
٩١ ـ العدد نفسه .
٩٢ ـ **الكرمل** ١٥ اغسطس ١٩١٣ .
٩٣ ـ **المصدر نفسه** ٢٢ ، ٢٦ ، ٢٩ اغسطس ، ١٢ ، ١٩ سبتمبر ١٩١٣ .
٩٤ ـ **المصدر نفسه** ٩ سبتمبر ١٩١٣ .
٩٥ ـ **المصدر نفسه** ٢٩ اغسطس ١٩١٣ .
٩٦ ـ العدد نفسه .
٩٧ ـ **الكرمل** ٢٩ اغسطس ١٩١٣ .
٩٩ ـ **المصدر نفسه** ١٦ ، ١٩ ، ٢٦ سبتمبر ١٩١٣ .
١٠٠ ـ **فلسطين** ١٨ اكتوبر ١٩١٣ .
١٠١ ـ **الكرمل** ٢٤ اكتوبر ١٩١٣ .
١٠٢ ـ **المصدر نفسه** ٢٥ نوفمبر ١٩١٣ .
١٠٣ ـ **المصدر نفسه** ١٩ ديسمبر ١٩١٣ .
١٠٤ ـ **المقتبس** ١٣ ديسمبر ١٩١٣ .
١٠٥ ـ *The Near East*, 19/12/1913.
١٠٦ ـ **النفير العثماني** ١ يناير ١٩١٤ .
١٠٧ ـ **فلسطين** ٢١ يناير ١٩١٤ .
١٠٨ ـ **الكرمل** ٦ مارس ١٩١٣ .
١٠٩ ـ **المصدر نفسه** ١٧ مارس، ٢٧ ابريل ١٩١٤
١١٠ ـ **المصدر نفسه** ٧ ابريل ١٩١٤ .
١١١ ـ **فلسطين** ٤ ابريل ١٩١٤ .
١١٢ ـ رسالة الى الاستانة ٢٩ ابريل ١٩١٤ . *F.O.* 371/2134/22036.
١١٣ ـ **مرآة الغرب** ٢ يونيو ١٩١٤ .
١١٤ ـ روت ارملة نجيب نصار ان عبد الكريم خليل كان قد زاره في حيفا وتحدث معه طويلا حول القضية الصهيونية واخطارها .
١١٥ ـ **الكرمل** ٤ نوفمبر ١٩١٣ .
١١٦ ـ **المصدر نفسه** ١٢ مايو ١٩١٤ .
١١٧ ـ **المصدر نفسه** ٢ يونيو ١٩١٤ .
١١٨ ـ **المصدر نفسه** ٥ يونيو ١٩١٤ نقلت الكرمل تعليق جراب الكردي « .. نات حضرته ان اعيان بلادنا متفقون مع الصهيونية من قديم .. فخسر للبلاد ان تكون بلا وجوه لان وجوهها كالحة » .
١١٩ ـ **المصدر الكرمل** ٥ يونيو ١٩١٤ .
١٢٠ ـ تكشف عن هذه المساعي مراسلات عربية لحزب اللامركزية ( من اوراق محب الدين الخطيب ) وكذلك الارشيف الصهيوني في مقال ( السبرج ) المذكور سابقا ورسالة ( ماندل ) .
١٢١ ـ **المقطم** ١ مايو ١٩١٤ .
١٢٢ ـ **الكرمل** ٥ مايو ١٩١٤ .
١٢٣ ـ **الاهرام** ٣ يونيو ١٩١٤ .
١٢٤ ـ **الكرمل** ١٢ يونيو ١٩١٤ .
١٢٥ ـ **المصدر** نفسه ٧ يوليو ١٩١٤ .
١٢٦ ـ **المصدر نفسه** ١٥ مايو ١٩١٤ .
١٢٧ ـ **المصدر نفسه** ٢٩ مايو ١٩١٤ .
١٢٨ ـ **المصدر نفسه** ١٢ يونيو ١٩١٤ .
١٢٩ ـ **المصدر نفسه** ٣١ يوليو ١٩١٤ .
١٣٠ ـ **الاقدام** ١٩ يوليو ١٩١٤ .
١٣١ ـ **الكرمل** ٧ اغسطس ١٩١٤ .
١٣٢ ـ **المنار** اغسطس ١٩١٤ ص ٦٩٧ ـ ٧٠٦ .
١٣٣ ـ **الاقدام** ١ اغسطس ١٩١٤ .

# أضواء حول
# بعض قضايا المواجهة المسلحة مع اسرائيل

محمود عزمي

يقول الكاتب البريطاني « ادجار بالانس » في كتابه « الحرب العربية ـ الاسرائيلية الثالثة » أنه « يجب ان نسجل ان الجنود المصريين قد قاتلوا بصورة جيدة الى أقصى حد في عديد من الاماكن ، كما اعترف بذلك الاسرائيليون انفسهم ، وكما تشهد بذلك الحقيقة الصامتة المتمثلة في مقتل نحو ١٥٠٠ جندي مصري خلال المعارك التي دارت من أجل اختراق دفاعات « رفح » »(١). ويقول الكاتب نفسه في موضع اخر من كتابه « ان الفرقة الفلسطينية العشرين التي كانت على مستوى أقل من التسليح ، والتي كان يقودها ضباط مصريون ، قد قاتلت بشجاعة حتى أخمدت مقاومتها في النهاية بواسطة الهجمات الجوية الاسرائيلية والقصف المدفعي »(٢).

ويقول ايضا بصدد الجبهة السورية « أنه بالرغم من القصف الرهيب الذي كان يتلقاه السوريون ، وبالرغم من أن خطهم الدفاعي كان قد تم اختراقه في عدة نقط ، الا أنهم صمدوا بثبات وقاتلوا حتى قضي عليهم او تلقوا اوامر بالانسحاب »(٣). وقد أورد اقوالا مماثلة بالنسبة لصلابة وصمود الجنود الاردنيين في معارك القدس والضفة الغربية . وهو نفس ما اعترف به الكاتب الاسرائيلي « دافيد ديان » في كتابه « اضرب أولا » حيث يقول « ان التوعية المرتفعة الكفاية للجندي الاردني مسألة لا يمكن تجاهلها . . لقد قاتل الاردنيون دفاعا عن بيوتهم وقراهم وأسرهم ، ولذلك قاتلوا بعناد شديد »(٤).

كما أن العديد من القادة العسكريين الاسرائيليين قد صرحوا بأقوال مماثلة بدرجات متفاوتة من الصراحة . فقد صرح العميد « شارون » الذي قاد العمليات الهجومية الاسرائيلية في القطاع الاوسط من سيناء عند منطقة « أبو عجيلة » في مؤتمر صحفي عقد بتل ابيب يوم ١٢ يونيو ١٩٦٧ قائلا « نعم انني اقول أن المصري جندي جيد ، وهو جندي شديد الانضباط »(٥).

وهناك الكثير من مثل هذه الاقوال التي تشهد بشجاعة وصمود الجنود العرب في ميدان القتال في الحروب الثلاث التي دارت مع العدو الاسرائيلي في أعوام ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ .

ومن هنا فاننا نستبعد من دائرة بحثنا هذا المتعلق ببعض قضايا المواجهة المسلحة مع العدو الاسرائيلي ، قضية مدى صلاحية وصلابة المقاتل العربي لخوض غمار المواجهة المسلحة من عدمه وعلى أساس أساليب الحرب الحديثة . ويقوم استبعادنا لهذه القضية من واقع الحقائق الصلبة التي دلت عليها الممارسة العملية نفسها في جميع الجولات المسلحة التي جرت مع العدو الاسرائيلي بواقع شهادة العدو نفسه ومؤيديه من الكتاب.

## قضية الايقاع السريع للحرب الحديثة :

لقد أدى ظهور الاسلحة التي تعتمد على الحركة الميكانيكية التي توفرها آلات الاحتراق الداخلي ، مثل الدبابات والمصفحات والطائرات والمدفعية ذاتية الحركة ، الى عودة الحركة السريعة الى الاستراتيجيات العسكرية ، بعد ان كانت قد توارت في التاريخ العسكري عقب تطور الاسلحة النارية وزيادة فاعليتها في مواجهة حركة الفرسان ، واتخذت الحركة السريعة الجديدة شكل الحرب الميكانيكية الحديثة التي وجدت طريقها الى التطبيق العملي الفعال على يدي « هتلر » وقادته العسكريين الموهوبين امثال « جوديريان » و « روميل » خلال المراحل الاولى من الحرب العالمية الثانية .

ومنذ ذلك الحين أصبح الطابع الرئيسي للحرب في عصرنا هو الحركة السريعة والمناورة الواسعة ، واتسع نطاق امكانية توجيه الضربات غير المباشرة للجيوش نتيجة لزيادة قدرة الطيران على قصف العمق الاستراتيجي وقدرة القوات المحمولة جوا على العمل في المؤخرة البعيدة أو القريبة للقوات بفاعلية متزايدة وسواء انزلت بالمظلات او بطائرات الهليكوبتر .

هذا بالاضافة لتوفر قدرة الوحدات المدرعة والميكانيكية على الاختراق في العمق وشل مراكز المواصلات والشئون الادارية والقيادة ، في حالة استخدامها بمفاهيم الحرب الميكانيكية المتطورة وفي اطار استراتيجية عسكرية عامة قائمة على أسلوب الاقتراب غير المباشر والحرب الخاطفة .

وقد انحسر نتيجة لهذا التطور التقني أسلوب الحرب الثابتة أو ما يسمى بـ « حرب الخنادق » ذات الحركية المحدودة الذي كان سائدا خلال الحرب العالمية الاولى ، بحيث أصبح لا يستخدم الا حيث تفرضه ظروف طبيعية معينة تفرض قيودا شديدة على حركة الاسلحة والمعدات الميكانيكية مثل مناطق الجبال والغابات . وحتى بالنسبة للقتال في هذه المناطق لم تعد الحركية محدودة للغاية كما كانت في الماضي نظرا للدور الذي يلعبه القصف الجوي في القتال حاليا ولتطور الامكانات القتالية لطائرات الهليكوبتر الحديثة من حيث تزايد قدرتها على القصف والمناورة .

وليس معنى ذلك أن الجيوش الحديثة وهي تطبق تكتيكات حرب الحركة لا تلجأ في جميع الحالات الى اعداد استحكامات دفاعية ثابتة أو حفر ملاجىء حماية لدباباتها وعرباتها ومدافعها قد تستخدم احيانا لاطلاق النار ايضا بواسطة هذه الاسلحة . انها تقيم مثل هذه الانشاءات وتتبع بعض أساليب الدفاع الثابت وفقا لظروف مختلفة تفرضها موازين القوى وتطورات القتال وطبيعة مسرح العمليات ودرجة توفر المعدات الميكانيكية لكل القوات الخ ، ولكنها تقدم على هذا الاستخدام لوسائل او بعض وسائل حرب المواقع الثابتة ضمن الاطار العام لاسلوب حرب الحركة ودون ان يؤدي ذلك بها الى تغييرها العقائد التكتيكية ذات الطابع الحركي التي تؤسس عليها تدريب وتنظيم وتسليح قواتها وتمارس بها القتال . وبطبيعة الحال فأن صلاحية وكفاءة الجيش الحديث لحرب الحركة لا تتوقف فقط على امتلاكه أسلحة ميكانيكية وطائرات ووسائل نقل سريعة ، أو على مجرد توفر كميات مناسبة منها وذات نوعية جيدة ، وانما تتوقف مدى كفاءة مثل هذا الجيش على ممارسة أساليب حرب الحركة في الاساس على مدى ادراك قادة مثل هذا الجيش للقدرات الفعلية الكامنة في معدات القتال الميكانيكي وتفهمهم لاساليب الاستخدام الملائمة لها والتي يمكنها أن توفر المردود الاقصى لهذه الاسلحة . ان ادراك هذه الامكانات والاساليب القتالية والتنظيمية المتوافقة معها من جانب القيادات العسكرية ينيح لها تفهما سليما لايقاع الحركة العامة السريعة للقتال في الحرب الحديثة سواء في الهجوم أو الدفاع . وهو الأمر الذي لم تدركه مثلا قيادات الحلفاء الغربيين العسكرية والسياسية عام ١٩٤٠ قبيل اجتياح الجيوش الالمانية لاراضي هولندا وبلجيكا وشمال

فرنسا في حملة « حرب الاسابيع الستة » الخاطفة التي انتهت بسقوط هذه البلاد تحت نير الاحتلال النازي . وقد طبقت القوات الالمانية خلال هذه الحملة تكتيكات حرب الحركة في أرقى اشكالها وهي الحرب الخاطفة وضمن اطار استراتيجية عامة ملائمة تعتمد على مناورات الاقتراب غير المباشر في الاساس . وقد نشأ تصور عام وقتئذ هو أن الالمان كان لديهم تفوق هائل في عدد الدبابات ونوعيتها اتاح لهم امكانية تحقيق هذا النصر ، فضلا عن تفوقهم الضخم في الطيران . ولكن المعلومات التي كشفتها الوثائق الرسمية لكلا الطرفين بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية أوضحت أن القيادة الالمانية استخدمت خلال هذه الحملة نحو ٢٨٠٠ دبابة معظمها من نوعية تقل عن نوعية معظم الدبابات التي كانت لدى الحلفاء البالغ عددها نحو ٤٠٠٠ دبابة خاصة من حيث قوة النيران والدروع . وان السلاح الجوي الالماني كان لديه لدعم هذه الحملة نحو ٣٥٠٠ طائرة من مختلف الانواع بينما كان لدى الفرنسيين والبريطانيين معا نحو ٣٤٥٠ طائرة الا انهم لم يستخدموا منها فوق المعركة أكثر من ١٢٠٠ طائرة لاسباب مختلفة بعضها يتصل بالتردد السياسي من جانب بريطانيا والبعض يتعلق بسوء الحشد وضعف الصيانة وبطئها من جانب فرنسا .

وهكذا تقابلت قوتان عسكريتان تنتميان الى مستوى حضاري وصناعي واحد تقريبا ، اتاحت لهما صناعتهما المحلية القدر الكافي من الاسلحة الميكانيكية والطائرات المتقاربة مع بعضها في الجملة من الناحية النوعية ، الا ان احداهما وهي المانيا استطاعت ان تستخدم هذه الاسلحة بالاسلوب الذي اعطى أقصى مردود لها في اطار استراتيجية ملائمة، فكان ذلك السبب العسكري الرئيسي للنصر الخاطف الذي حققه الجيش الالماني بصورة لم يكن يحلم بها قادته ذوو العقلية التقليدية الذين كانوا يتشككون في كفاءة التكتيكات الجديدة ، والذين كانوا متأثرين بذكريات وخبرات الحرب العالمية الاولى التي دارت معظم معاركها وعلى مدى أربع سنوات في مد وجزر لا يتعدى بضع عشرات من الكيلو مترات بين الخنادق والاسلاك الشائكة في شمال فرنسا .

هذا على حين عجزت القوة الاخرى المقابلة لها عن ادراك حقيقة الامكانات القتالية التي توفرها الاسلحة الميكانيكية ، واستخدمتها ضمن الاطار العام لتكتيكات الحرب الموقعية الثابتة والاستراتيجية المرتبطة بها . وهكذا يتضح لنا أن قضية ادراك واستيعاب الايقاع السريع للحرب الحديثة ليست مجرد قضية تفاوت حضاري وصناعي وعلمي بين مجتمعين ، وليست مجرد قضية تخلف تكنولوجي لدى دولة أو مجتمع معين في مواجهة دولة متقدمة تكنولوجيا رغم أن توفر قدر معين من المعدات الحديثة ودرجة معينة من التقدم العلمي والمناخ الاجتماعي الملائم يشكل شرطا ضروريا لاستيعاب أساليب الحرب الحديثة كما سيأتي ذكره فيما بعد .

**تبني اسرائيل لحرب الحركة :**

لقد أدركت القيادة السياسية والعسكرية العليا الاسرائيلية مدى اهمية حرب الحركة باعتبارها انسب التكتيكات ملاءمة لاستراتيجيتها الشاملة القائمة على القضم السريع لاهدافها التوسعية ، والتي تنفذها على مراحل زمنية تدريجية وهي الاستراتيجية التي يطلق عليها « بوفر » اسم « استراتيجية الخرشوفة » والتي طبقتها « هتلر » من قبل في الوصول الى اهدافه العدوانية التوسعية . هذا فضلا عما فرضته على استراتيجيتها العسكرية ضرورات نقل المعركة خارج اراضيها بسرعة نظرا لافتقادها لاي عمق استراتيجي يسمح بمناورات الدفاع التي يعقبها هجوم مضاد عام ، وما فرضته ضرورة اخذ المبادأة الهجومية لتوجيه ضربات سريعة لكل خصم من خصومها المحيطين بها من ثلاث جهات جغرافية مختلفة مستخدمة في ذلك ميزة الحركة السريعة على الخطوط الداخلية التي تكفل لها نقل مجهودها الرئيسي بسرعة نسبية من جبهة لاخرى

ـ مستعينة في هذا أساسا بقوة الطيران ـ مع تثبيت الجبهات الاخرى بمختلف المناورات السياسية التي تهدف الى تحييدها مؤقتا ، وبنظام الدفاع الايجابي المستند على شبكة الدفاعات الثابتة القوية للمستعمرات الواقعة على الحدود وفي عمقها أيضا .

لكل ذلك كانت حرب الحركة السريعة ضرورة استراتيجية حيوية لاسرائيل فضلا عن اهميتها وضرورتها على مستوى التقنية العسكرية الحديثة الصرفة . وقد طبقتها خلال حرب ١٩٦٧ تطبيقا كاملا .

ويلقي الكاتب الامريكي الجنسية الاسرائيلي الاصل « ناداف صافران » في كتابه « من حرب الى حرب » بعض الضوء على عوامل نجاح اسرائيل في تطبيقها لاساليب حرب الحركة خلال عدوان ١٩٦٧ فيقول « في حرب حركة يكون من المهم بشكل خاص ان تتوفر للقيادة العليا القدرة على تبديل خططها تبعا للتغير السريع الذي يطرأ على الموقف ، الامر الذي يتطلب ان تكون الصفوف الدنيا من القيادات مؤهلة هي الاخرى لاتخاذ قراراتها العملية الخاصة مستندة في ذلك الى التوجيهات العامة المعطاة لها . ولقد كان الاسرائيليون يدركون هذه الميزة المتاحة لضباطهم وجنودهم بالنسبة لاعدائهم في هذا المجال . ولذلك خططوا تحركاتهم على أساس الاستفادة من هذه الميزة الى اقصى حد وذلك من خلال استراتيجية وتكتيكات تستهدف احداث الاضطراب في الخطط المعدة سلفا من جانب قيادات خصومهم وتستفيد من افتقاد قياداتهم الدنيا للمبادرة »(٦) .

لقد قاتلت الجيوش العربية قتالا صلبا وعنيفا ، خاصة خلال الفترة الاولى للحرب قبل ان تلعب أوامر الانسحاب العام غير المنظم دورها في احداث الاضطراب الذي ساعد على زيادة سرعة العمليات الهجومية الاسرائيلية وفاعليتها . الا ان الصورة الاساسية لهذا القتال كانت هي حرب المواقع الثابتة التي افتقرت الى اي طابع ايجابي من حيث الحركية وافتقاد المبادرة السريعة والروح الهجومية ، الامر الذي أتاح ظرفا مناسبا لنجاح تكتيكات حرب الحركة التي طبقتها القوات الاسرائيلية . بيد ان علينا ان نتحفظ بعض الشيء من الناحية الموضوعية في استخلاص النتائج المستفادة من معارك ١٩٦٧ فيما يتعلق بموقف الجيوش العربية بالنسبة لقضية الحركية في القتال الحديث ومدى تفهمها لها وصلاحيتها لممارسة أساليبها . وذلك لان السيادة الجوية التي تحققت للجيش الاسرائيلي منذ الساعات الاولى لبدء القتال نتيجة الضربة المفاجئة للطيران المصري ، أتاحت للقوات المدرعة والميكانيكية الاسرائيلية شروطا أنموذجية لحرية الحركة والمناورة في العمق الدفاعي للقوات المصرية اثر اختراقها للدفاعات الامامية في قطاعات ضيقة من الجبهة وبتركيز شديد من نيران الطيران والمدفعية وكثافة الحشد المدرع ، الذي اتبع تكتيك الاختراق السريع بالحركة والنيران التي لا تستهدف في الاساس تدمير نيران المدافعين بقدر ما تستهدف تشتيتها واجبارها مؤقتا على الاختفاء ريثما تمر الدبابات الى العمق مخلفة وراءها المواقع دون تصفية كاملة لها . وذلك كما حدث في قطاع «خان يونس » ـ « رفح » صباح يوم ٥ يونيو .

وشكلت هذه السيادة الجوية المطلقة وما صاحبها من قصف جوي مركز على الدفاعات لاسكات نيرانها ، ظرفا موضوعيا ايضا بالنسبة للقيادات العربية على جميع المستويات، من حيث مدى حريتها في تحريك مدرعاتها الاحتياطية ، وخاصة تلك التي كانت محتشدة في العمق العملياتي للجبهة بدرجات متفاوتة من البعد في المؤخرة ، سواء في الجبهة المصرية او الاردنية او السورية .

الا ان ذلك التحفظ ، الذي فرضته الظروف الموضوعية المترتبة على تحقيق السيادة الجوية لطيران العدو ، بالنسبة لمدى توفر امكانيات تطبيق أساليب حرب الحركة لدى القيادات العربية ، لا يدفعنا في الوقت نفسه الى الاعتقاد بأن الجيوش العربية كانت مؤهلة بصورة ملائمة من حيث التنظيم والتدريب واعداد القادة واساليب القيادة

والاتصال والشئون الادارية ( اللوجيستيكية ) والتأهب النفسي بصفة عامة لممارسة تكتيكات حرب الحركة بكفاءة حتى بالنسبة لاستراتيجية دفاعية تسمح بتلقي الضربة الاولى ثم الانتقال للهجوم المضاد . ذلك لان مجرد عدم التحرز الكافي لمواجهة احتمال الضربة الجوية المفاجئة في الجبهات الثلاث يعكس عدم استيعاب القيادات لطابع الايقاع السريع للحرب الحديثة بحكم أنه يوحي على أقل تقدير بعدم تأهبها نفسيا للحرب الخاطفة . هذا فضلا عن ان اضطراب نظام الشئون الادارية وعدم قدرتها على ملاحقة تحركات القوات اثناء فترة الحشد في سيناء قبل بدء القتال وتوفير متطلبات القوات في وقت مناسب ، وكذلك عدم كفاءة وسائل نقل وتحريك القوات المدرعة والميكانيكية وبطء نظم ووسائل صيانتها مما أدى الى جعل نسبة لا تقل عن ٢٠ ٪ من الدبابات مثلا غير صالحة للحركة عند نشوب القتال فجأة . ويعكس كل هذا بالضرورة عدم أهلية القوات العربية لمتطلبات حرب الحركة السريعة من حيث التنظيم واسلوب العمل . كما أن تثبيت الدبابات والمدافع ذاتية الحركة الموزعة على فرق المشاة في الدفاعات الامامية في قطاع « رفح — الشيخ زويد — ممر خروبة » وفي « ابو عجيلة » و « القسيمة » مثلا داخل حفر حماية واطلاق نار مما أدى الى حرمانها من ميزتها الاساسية وهي الحركية وسرعة المناورة ، وعدم استخدامها في هجمات معاكسة منظمة على المستوى التكتيكي لافساد آثار خرق المدرعات الاسرائيلية لخطوط الدفاع وفقا لتكتيك السرعة والنيران الذي طبقته ، يعكس أيضا عدم تفهم القيادات لاساليب حرب الحركة في الدفاع . ان ادراك القيادات العسكرية والسياسية لطابع الحرب الحديثة الميكانيكية من حيث سرعة ايقاع حركتها وما يترتب على هذا الادراك من استيعاب عملي لها في وسائل الاعداد والتنظيم ، أصبح يمثل ضرورة حيوية من ضرورات الصراع المسلح ضد العدو الاسرائيلي ، حتى لو كان من المتعذر عمليا على الجيوش العربية أن تطبق تكتيكات حرب الحركة في صورتها المثلى الا وهي « الحرب الخاطفة » ، فان تفهم قوانين حرب الحركة يفيد في رفع الكفاية القتالية للجيوش العربية الى أقصى حد ممكن ضمن الظروف الموضوعية المتاحة لها والمفروضة عليها نتيجة عوامل مختلفة ، ويجعلها أكثر قدرة على مواجهة أسلوب العدو ، وأكثر قدرة على تطبيق الاستراتيجية الهجومية التي قد تتبعها والتي تناسب امكانياتها الفعلية وتستثمر قدرات شعوبها وطاقاتها المادية والمعنوية بما يعادل ويفوق في النهاية قوة العدو .

**قضية التفوق العسكري الاسرائيلي :**

قبيل حرب ١٩٦٧ كان الاعتقاد الشائع بين مختلف أوساط الراي العام العربي ان الجيوش العربية تملك تفوقا لا شك فيه على اسرائيل من حيث القوى البشرية او كميات السلاح ونوعيتها ، وان ذلك في حد ذاته بالاضافة الى ميزة الوضع الجغرافي الذي يجعل اسرائيل محاطة من ثلاث جهات يتيح للجيوش العربية في حالة عدم تدخل القوى الامبريالية الكبرى امكانية التغلب على اسرائيل عسكريا ، نظرا لان الجيش الاسرائيلي لن يستطيع ان يقاتل على ثلاث جبهات في آن واحد ، خاصة وان ضحالة العمق الاستراتيجي للارض المحتلة لا تكفل له الوقت اللازم لذلك . اذ لم يكن يزيد عرض هذه الارض في أعرض نقطة عن ١١٥ كيلومترا وكان يصل الى ١٤ كلم فقط عند « قلقيلية » ! وقد شكل هذا الاعتقاد محورا اساسيا من محاور الاعلام العربي عشية الحرب . ولما وقعت ضربة الطيران المفاجئة صباح يوم ٥ يونيو وتبعتها الهزيمة السريعة في البر ، وأخذت مصادر دعاية العدو المباشرة وغير المباشرة تعدد مزايا القوات الاسرائيلية وكفاءتها وتبالغ فيها بنفس القدر الذي تقلل فيه من كفاءة العرب القتالية ، انتشر اعتقاد قوي في أذهان الكثيرين من أبناء امتنا بأن العدو الاسرائيلي انتصر في الحرب ضد الجيوش بسبب امتلاكه تفوقا تكنولوجيا ساحقا . وهكذا سرت عبارة « التفوق

التكنولوجي » سريان النار في الهشيم في الفكر العسكري والسياسي العربي ، ثم غذتها ودعمتها بعد ذلك عبارة اخرى عن « الحرب الالكترونية » . وشكلت العبارتان مفهوما ميتافيزيقي الابعاد لدى الراي العام العربي ، بحيث تجسدت قدرات الجيش والطيران الاسرائيلي في حرب ١٩٦٧ في صـــورة تشابه القدرات « الجيمس بوندية » ! فما هي حقيقة التفوق العسكري الاسرائيلي في حرب ١٩٦٧ الذي أحيط بهالة ضخمة من الدعاية؟ تلك الدعاية المسمومة التي شكلت جزءا هاما من الحرب النفسية التي تمارسها القوى المعادية لحركة التحرر الوطني العربي حتى تجعلها تسقط نهائيا في شباك اليأس القاتل لامكاناتها النضالية ضد اعدائها .

## مسألة التفوق الجوي الاسرائيلي :

سنبدأ بحثنا لقضية حقيقة التفوق العسكري الاسرائيلي خلال حرب يونيو ١٩٦٧، باعتبار انها تمثل أكبر التجارب العملية في مجرى تاريخ المواجهة المسلحة مع العدو الاسرائيلي ، وان ما نشر عنها حتى الآن يوفر مادة على جانب كبير من الموضوعية الصالحة للقيام بمثل هذه الدراسة ذات الخطوط العريضة .

سنبدأ بحثنا بدراسة عناصر التفوق الجوي الاسرائيلي ، وهو التفوق الذي اثر بشدة على الراي العام العربي وعلى مجرى العمليات البرية وقرارات القيادات العليا بشأنها. لقد كان لدى السلاح الجوي الاسرائيلي في حرب ١٩٦٧ عــدة أنواع من الطائـــرات الفرنسية الطراز وهي « الميراج ٣ سي » و « السوبر ميستير ٢ ب » و« الميستير ٤ أ » و « الفوتور ٢ أ » و « الاوراجان » ، فضلا عن طائرات التدريب « فوجا ماجستر » التي يمكن استخدامها ايضا في الهجوم الارضي . و« الميراج ٣ سي » مقاتلة قاذفة تبلغ سرعتها القصوى ٢٣٠٠ كلم/ساعة وتستطيع ان تحمل ٢٠٠٠ رطل من القنابل او الصواريخ وهي مسلحة بمدفعين عيار ٣٠ مم ويمكن تسليحها بصواريخ جو ــ جو ، ويصل مدى عملها وهي محملة بخزاني وقود اضافيين وتطير على ارتفاع عال الى ١٢٠٠ كلم ، و٩٠٠ كلم وهي على ارتفاع منخفض . اما في حالة قيامهـــا بدور اعتراضي ودون أن تحمل خزانات وقود اضافية فان مدى عملها لا يزيد عن٢٢٧ كلم وتكون سرعتها القتالية العادية ١٩١٢ كلم/ساعة ، واقصى ارتفاع عملي تصل اليـــه ١٦٥٠٠ متر . وقد كان لدى السلاح الجوي الاسرائيلي عدد منها يتراوح بين ٧٢ـــ١٠٠ طائرة في بعض التقديرات(٧) . وكان يقابل هذا النوع من الطائرات الاسرائيلية لدى الجانب العربي طائرة « الميغ ٢١ اف » وهي طائرة مقاتلة معترضة سوفييتية الطراز تبلغ اقصى سرعة لها ٢١٢٥ كلم/ساعة وهي مسلحة بمدفعين ٣٠ مم وبصواريخ جو ـــ جو ، ويصل مدى عملها الاقصى الى ٦٠٠ كلم بدون خزانات وقود اضافية ، ويمكن تحميلها بنحو ٢٠٠٠ رطل قنابل او صواريخ في حالة استخدامها في الهجوم الارضي ، واقصى ارتفاع تصل اليه ١٧٥٠٠ متر . وقد كان لدى السلاح الجوي المصري عشية حرب ١٩٦٧ نحو ١٢٠ طائرة منهـــا وفقا لتقدير معهد الدراسات الاستراتيجية البريطاني . وكان لدى الطيران السوري أكثر من ٢٠ طائرة منها . وقد دمر الجزء الاكبر من هذه الطائرات في الضربة الجوية المفاجئة على القواعد الجوية المصرية وهي جاثمة على الارض . ويقول مؤلفا كتاب « حرب الايام الستة » ( وهما راندولف ونستون تشرشل ) نقلا عن لسان قيـــادة العدو الجوية ان هناك ٨ طائرات « ميج ٢١ » مصرية قد تمكنت من الصعود اثناء الضربة الجوية الاولى واسقطت طائرتين للعدو(٨) .

هذا ويروي طيار اسرائيلي كان يقود طائرة ميراج اشترك في مهاجمة المطار العراقي القريب من الحدود الاردنية المعروف بقاعدة H3 للكاتب الاسرائيلي « دافيد ديان » مؤلف كتاب « اضرب اولا » أحداث هذا الهجوم فيقول « لقد كنا ثماني طائرات ـــ أربع ميراج وأربع فوتور ـــ وقد كمنت لنا طائرات « الهنتر » العراقية بعد أن قمنا بقصف

المطار مباشرة وهاجمتنا من الخلف من ارتفاع كبير فأسقطت طائرتين من طائراتنا . وقد اسقطت خلال هذا الاشتباك الجوي طائرة « هنتر » ثم أسرعنا عائدين الى قاعدتنا . ثم عدنا مرة أخرى فور اعادة تزويد طائراتنا بالوقود والذخيرة للبحث عن طيارينا اللذين اسقطت طائرتاهما ، وفي هذه المرة كانت هناك طائرة «ميج ٢١» في انتظارنا وقد أصابت طائرتي بصاروخ جو ـ جو على ارتفاع ٣٥ الف قدم . ونتج عن ذلك توقف محرك طائرتي واخذت أنزلق تدريجيا ، بينما كانت « الميج » العراقية تحاول أن تصيب ذيل طائرتي ، ولكن وجود بعض السحب ساعدني على الفرار فواصلت الانزلاق التدريجي نحو قاعدتي »(٩) .

وقد اشتركت ٤٠ طائرة « ميراج » في الموجة الاولى من الهجوم على القواعد الجوية المصرية واقتصر دورها على القيام بدور المظلة الجوية لحماية نحو ٤٠ طائرة اخرى معظمها « ميستير » كانت تقوم بقصف المطارات بالقنابل . ويمكن لنا تصور نتيجة مثل هذا الهجوم لو أتيح لثمانين طائرة « ميج ٢١ » مصرية فرصة اعتراض طريق هذه الطائرات قبل ان تصل الى أهدافها نتيجة توفر انذار مبكر لها . ولكن الهجوم الجوي الاسرائيلي نفسه ما كان سيتم في هذه الحالة ــ كما تبين من المعلومات التي نشرت بعد الحرب ــ اذ كان لدى الطيارين تعليمات تقضي بالصمت اللاسلكي طيلة الرحلة التي تمت على ارتفاع منخفض جدا وبالعودة الى قواعدهم فور اكتشاف هجومهم قبل أوانه وسماعهم الكلمة الرمزية « محكري ماكوم » أي « ليقف كل في مكانه » !

هذا وقد كان لدى السلاح الجوي الاسرائيلي نحو ٢٤ طائرة « سوبر ميستير ٢ ب » وهي مقاتلة قاذفة تبلغ أقصى سرعة لها ١١٩٥ كلم/ساعة وتستطيع أن تحمل ٢٢٠٠ رطل من القنابل وهي مسلحة بمدفعين ٣٠ مم ويمكن تسليحها بصواريخ جو ــ جو وأقصى مدى عمل لها على ارتفاع عال ٧٠٥ كلم ، ٤٥٠ كلم على ارتفاع منخفض وذلك وهي محملة بالقنابل وخزانات الوقود الاضافية ، وأقصى ارتفاع عملي تصل اليه هو ١٧،٠٠٠ متر . وكان يقابل هذا النوع من الطائرات الاسرائيلية طائرات «السوخوي ٧» و« الميج ١٩ » لدى السلاح الجوي المصري . بل الواقع ان « السوخوي ٧ » كانت تفوقها كثيرا من نواحي عدة . فقد كانت سرعتها القصوى تبلغ ١٧٥٠ كلم/ساعة ، وهي مقاتلة قاذفة مخصصة للهجوم الارضي ولذلك فان هيكلها السفلي مصفح ضد الرشاشات الثقيلة الارضية ، وتستطيع ان تحمل نحو ٤٢٠٠ رطل من القنابل او الصواريخ وهي مسلحة بمدفعين ٣٠ مم ، ويصل مدى عملها التقديري الى حوالي ٤٠٠ كلم وذلك بدون حملها خزانات وقود اضافية . وتستطيع العمل ليلا ونهارا . وقد كان لدى السلاح الجوي المصري نحو ٢٠ طائرة وفقا لتقدير معهد الدراسات الاستراتيجية البريطاني . وقد دمرت ١٢ طائرة منها على الارض في الضربة الاولى وفقا لما ترويه مصادر طيران العدو . وقد قامت طائرتان من هذا النوع بمهاجمة الدبابات الاسرائيلية عند «العريش» صباح يوم ٦ يونيو بدون حماية من المقاتلات ولذلك أسقطتهما طائرات « الميراج » كما يروي مؤلف كتاب « دبابات تموز » الاسرائيلي(١٠) . أما « الميج ١٩ » فهي مقاتلة قاذفة تبلغ سرعتها القصوى ١٤٥١ كلم/ساعة وتستطيع أن تحمل نحو ٢٠٠٠ رطل من القنابل أو الصواريخ وهي مسلحة بمدفعين ٢٣ مم ومدفع ٣٧ مم ، ومدى عملها بدون خزانات وقود اضافية ٤٥٠ كلم . وقد كان يوجد منها لدى السلاح الجوي المصري نحو ٤٠ طائرة دمر منها على الارض نحو ٢٠ طائرة . وكان لدى السلاح الجوي الاسرائيلي ايضا ما بين ٥٠ ــ ٧٠ طائرة « ميستير ٤ أ » وهي مقاتلة قاذفة تبلغ أقصى سرعة لها ١٠٣٥ كم/ساعة وذلك على ارتفاع منخفض ، ٩٢٥ كم/ساعة على ارتفاع عال . وتستطيع ان تحمل ٢٠٠٠ رطل من القنابل او الصواريخ ، ويصل اقصى مدى عمل لها بحمولاتها من القنابل والوقود الاضافي الى ٧٨٠ كلم وهي تطير على ارتفاع عال ، ٤٥٦ كلم على ارتفاع منخفض ، وهي مسلحة بمدفعين ٣٠ مم وكان يقابل هذا النوع من الطائرات

الاسرائيلية طائرات « الميج ١٧ » التي كان يوجد منها نحو ١٠٠ طائرة لدى مصر ، ٤٠ طائرة تقريبا لدى سوريا . و« الميج ١٧ » مقاتلة قاذفة معترضة مسلحة بثلاثة مدافع ٢٣ مم وتستطيع ان تحمل نحو ١٢٠٠ رطل قنابل او صواريخ واقصى سرعة لها على ارتفاع عال ١٠٢٢ كلم/ساعة ويصل مدى عملها الى ٧٥٠ كلم في حالة حملها خزانات وقود اضافية . واقصى ارتفاع عملي تستطيع أن تصل اليه ١٧،٥٠٠ متر . وكان لدى اسرائيل ايضا نحو ٤٥ طائرة طراز « اوراجان » وهي مقاتلة قاذفة تبلغ اقصى سرعة لها على ارتفاع عال ٩٣٠ كلم وتستطيع ان تحمل ١٠٠٠ رطل من القنابل ويصل مدى عملها الاقصى الى ٤٤٨ كلم . وفضلا عن ذلك كان لديها ايضا نحو ٢٥ طائرة « فوتور ٢ أ » وهي قاذفة للهجوم الارضي ذات محركين تبلغ اقصى سرعة لها ١١٠٤ كلم/ساعة وتستطيع أن تحمل نحو ٤٠٠٠ رطل من القنابل والصواريخ وهي مسلحة بأربعة مدافع ٣٠ مم ويمكن تسليحها بصواريخ جو — جو في حالة استخدامها في الاعتراض الليلي . واقصى مدى عمل لها ١٢١٠ كلم . وقد اشتركت هذه الطائرات في الاغارة على مطار « الاقصر » في جنوب مصر وكذلك في الاغارة على المطار العراقي H 3 وذلك لبعد مدى عملها وكبر حمولتها من القنابل نسبيا . وكان لدى الطيران المصري بالمقابل نحو ٤٠ قاذفة خفيفة طراز « اليوشين ٢٨ » ذات المحركين وتبلغ اقصى سرعة لها ٩٢٨ كلم/ساعة وهي تطير على ارتفاع منخفض ، وتستطيع ان تحمل نحو ٤٤٠٠ رطل من القنابل والصواريخ وهي مسلحة بأربعة مدافع ٢٣ مم وتستطيع ان تصل الى مدى نحو ٢٣٠٠ كلم وهي مزودة بخزانات وقود اضافية ، ومدى نحو ٩٠٠ كلم بدون خزانات وقود اضافية . وقد دمرت ٢٧ قاذفة منها على الارض في الضربة المفاجئة وقام بعضها بالاشتراك في بعض اغارات على القوات الاسرائيلية في « سيناء » أثناء ليلة ٧ — ٨ يونيو . كما كان لدى السلاح الجوي المصري ايضا نحو ٣٠ قاذفة متوسطة من طراز « ت يو ١٦ » ذات المحركين وهي مسلحة بسبعة مدافع ٢٣ مم وتستطيع ان تحمل ١٩٨٠٠ رطل من القنابل لمدى عمل يبلغ ٤٨٠٠ كلم بسرعة ٩٤٥ كلم/ساعة على ارتفاع ١٠،٧٠٠ متر ، كما يمكنها ان تصل الى مدى ٦٤٠٠ كلم في حالة اذا ما حملت ٦٦٠٠ رطل من القنابل وطارت بسرعة ٧٧٠ كلم/ساعة . ويمكن تسليحها بصاروخين ضد السفن او الاهداف الارضية يطلقان من مسافة ١٢٠ كلم بعيدا عن الهدف المطلوب اصابته . وقد دمرت هذه القاذفات اثناء الضربة الجوية الاولى في مطار « بني سويف » .

ومن خلال هذا العرض السريع لمواصفات الطائرات التي كانت موجودة لدى اسرائيل من ناحية ومصر وسوريا من ناحية أخرى ، ولاعدادها التقريبية وفقا لارجح التقديرات ، يتبين لنا ان خصائص هذه الطائرات كانت متعادلة تقريبا ، وان « الميراج » كانت تفوق « الميج ٢١ » أساسا في بعد المدى ، وهو الامر الذي كانت اسرائيل في حاجة اليه أكثر من حاجة مصر وسوريا اليها ، لان الطائرات المصرية او السورية كانت تستطيع مهاجمة عمق اسرائيل الضحل ببساطة من قواعدها المتقدمة في « سيناء » وجنوب سوريا . بينما كانت اسرائيل لا تستطيع بلوغ العمق الاستراتيجي لمصر مثلا الا بطائرات بعيدة المدى « كالميراج » او « الفوتور » . ولم يكن لدى اسرائيل قاذفات لها القوة التدميرية التي كانت لقاذفات مصر المتوسطة « ت يو ١٦ » التي كانت تستطيع ان تلقي نحو ٢٧٠ طنا من القنابل في الطلعة الكاملة لها وفي حماية مظلة من « الميج ٢١ » تصاحبها من مطارات « سيناء » نحو قلب اسرائيل وفي هجوم يتم باقتراب على ارتفاع منخفض فوق سطح البحر ويمكنها ان تطلق مثلا صواريخها الموجهة من مسافات بعيدة صوب محطات الرادار مثلا او بطاريات الصواريخ . واذا كانت بعض الطائرات الاسرائيلية مثل « السوبر ميستير » و« الميستير ٤ » تفوق « الميج ١٧ » مثلا في حمولة القنابل ، فان « السوخوي ٧ » كانت تفوق كلا النوعين في قوة التدمير . بينما كانت « الفوتور » تعادل « اليوشين ٢٨ » في حمولة القنابل والمدى وربما كانت تفوقها بعض الشيء في القدرة على

الهجوم الارضي من ارتفاع منخفض . ولكن كل هذه فروق ليست جوهرية من الناحية الفنية الى حد يعطي الطائرات الاسرائيلية قدرة متفوقة بصورة ساحقة على الطيران العربي .

والواقع ان التفوق الجوي الاسرائيلي قد تحقق أساسا بفضل نجاح الضربة المفاجئة الاولى للطيران المصري ، التي جاءت نتيجة لتنفيذ دقيق متقن لخطة محكمة استغرق اعدادها فترة طويلة من التدريب وجمع المعلومات ، وكفلت لها ظروف عدة من الجانب المقابل مناخا مناسبا للنجاح الكبير ، منها ضعف اجراءات اليقظة والامن لدى القيادة الجوية وقيادة الدفاع الجوي ، وعدم توزيع الطائرات على عدد كبير من المطارات وتهيئة ملاجيء الحماية اللازمة لها ، وعدم استخدام الدوريات الجوية المستمرة فوق المناطق الحيوية خاصة التي تكثر فيها القواعد الجوية ، وعدم توفر وسائل وأساليب سريعة لاصلاح مدارج المطارات الخ .

ولكن تنفيذ الضربة الجوية المفاجئة انما يعكس أساسا ارتفاع مستوى تدريب طياري العدو سواء من حيث القدرة على الطيران المنخفض او القصف الارضي المنظم ( وذلك نتيجة تدريب طويل مسبق في قصف نماذج لبعض المطارات المصرية ادى الى اتخاذهم زوايا الاقتراب الصحيحة في الانقضاض على الاهداف بسرعة ودقة ) . كما يعكس ارتفاع كفاية أطقم الخدمات الارضية والصيانة التي استطاعت أن تختصر المدة اللازمة لاعادة تزويد الطائرة بالوقود والذخيرة والكشف على اجهزتها الى دقائق قليلة ( قيل انها بلغت ٧ دقائق ) واختصار المدة اللازمة لاصلاح وصيانة الطائرات بحيث أمكن لبعض طائرات « الميراج » ان تقوم بتنفيذ ١١ طلعة في اليوم الواحد ! وساعد على ذلك توفر عدد كاف من الطيارين لدى السلاح الجوي الاسرائيلي قدرته بعض التقديرات الاجنبية بنحو ١٢٠٠ طيار(١١) . ولذلك امكن للطائرات المهاجمة أن تقوم بنحو ١٠٠٠ طلعة جوية خلال موجات الضربات الجوية الاولى الثلاث التي استغرقت الفترة من ٨،٤٥ الى ١١،١٥ من صباح يوم ٥ يونيو . وقد كانت هذه النتيجة العملية للتدريب الطويل المسبق واعداد العدد الكافي من الطيارين والفنيين الاكفاء تطبيقا لسياسة القائد السابق للسلاح الجوي الاسرائيلي « عايزر وايزمان » الذي قال قبل سنوات من نشوب القتال وتنفيذ العدوان المفاجيء « ان سلاح الجو الاسرائيلي اقل عددا من القوى الجوية المصرية ، ولا مانع ان يكون كذلك اذا كان من ناحية أخرى قادرا على مساواة العدد بعدد المهمات على الاقل »(١٢) .

هذا وقد كان لدى الاردن نحو ٢٢ طائرة « هوكر هنتر » البريطانية الطراز ( مع توفر ١٦ طيارا فقط لها ) وهي مقاتلة قاذفة مسلحة بأربعة مدافع عيار ٣٠ مم وتستطيع ان تحمل ٧٠٠٠ رطل من القنابل او الصواريخ وتبلغ اقصى سرعة لها ١١٥٠ كلم/ساعة ويصل مدى عملها الى ٣٩٥ كلم .

وهكذا نرى ان التفوق الجوي الاسرائيلي في حرب ١٩٦٧ لم يتحقق نتيجة تفوق نوعية طائراته ، حقا أنها كانت أدوات قتالية ملائمة فنيا لتطبيق استراتيجية العدو الهجومية من حيث تميزها ببعد المدى نسبيا والقدرة على الطيران المنخفض بكفاءة ، الا أن الطائرات العربية كانت قادرة من الناحية الفنية وفي ظل الظروف الجغرافية التي كانت قائمة على مواجهة هجوم الطائرات الاسرائيلية واحباط مفعوله الاساسي فيما لو توفرت لها الكفاية البشرية الملائمة من حيث القيادة ومستوى تدريب الطيارين وأطقم الخدمات الارضية ، وبطبيعة الحال فيما لو توفر لها نظام انذار مبكر سليم ودفاع جوي كفء .

كما ان التفوق الجوي الاسرائيلي لم يكن نتاج تفوق في عدد الطائرات ، كما بدا الحال في اول الامر نتيجة كثافة وتلاحق عدد الطلعات الهجومية على القواعد الجوية المصرية . أو نتاج امتلاك اسرائيل لنحو ٣٠٠ طائرة « ميراج » كما قال وزير الحربية المصري

الاسبق شمس بدران بعد ذلك اثناء محاكمته ! اذ ان أكبر التقديرات لعدد هذا النوع من الطائرات لا يزيد عن ١٠٠ طائرة ، ولم يكن من الممكن عاليا اخفاء حقيقة عدد الطائرات الثلاثمئة بعد انتهاء الحرب وخاصة وان هذه الطائرات تنتجها مصانع فرنسية ومن المحال تكتم صفقة بهذا القدر الكبير على الاقل بعد انتهاء الاحداث . لقد كمن التفوق الاسرائيلي أساسا في العنصر البشري الذي استخدم الطائرات ابتداء من القيادة والتخطيط الى الطيارين كما وكيفا ، والى باقي رجال الاجهزة الفنية الاخرى المساعدة ، وبنفس القدر كان الضعف الجوي لدى الجانب العربي نتاج عدم كفاية العنصر البشري ، ليس على مستوى الاستعداد للتضحية والاستبسال في القتال ، وانما على مستوى القيادة غير المدركة لطابع الايقاع السريع للحرب الحديثة وللحرب الخاطفة الاسرائيلية بالذات ، وعلى مستوى انخفاض مستوى التدريب وضعف نظم الانذار والدفاع الجوي وصيانة المطارات والطائرات . هذا وكان يساند القوة الجوية الاسرائيلية نظام للدفاع الجوي يضم شبكة جيدة من الرادار في مجموعة من المحطات الثابتة والمحطات ذات المواقع الموقتة والسفن الصغيرة المجهزة بأجهزة انذار مساعدة ، فضلا عن متطوعي الرصد الارضي في المستعمرات المختلفة تساعدهم شبكة اتصال سلكي ولاسلكي جيدة . وكانت هناك بطاريات صواريخ أرض ــ جو طراز « هوك » وهي تعمل فوق قواعد متحركة وتصلح لمواجهة الطيران المنخفض وكانت مركزة حول «تل ابيب» والمدن الهامة. هذا فضلا عن بطاريات عدة من المدافع المضادة للطائرات التي توجه بالرادار من عيارات ٣٠ مم ، ٤٠ مم الخفيفة ، ١٠٢ مم الثقيلة فضلا عن الرشاشات الثقيلة ذات الاربع فوهات عيار ٢٠ مم التي تعطي كثافة نيران ضد الطائرات التي تطير على ارتفاعات منخفضة . ويكمل هذا النظام المقاتلات المعترضة من طراز « ميراج ٣ » ، وقد تركت منها ١٢ طائرة لحماية أجواء اسرائيل اثناء تنفيذ الضربة الجوية الاولى ، كانت ثمانية منها تشكل مظلة دائمة واربع اخرى تقف على أهبة الاستعداد عند مدارج المطارات . وبالطبع فان كفاءة هذا الجهاز الحقيقية لم تختبر على نطاق واسع اثناء الحرب لان الغارات العربية الجوية على اسرائيل خلالها كانت محدودة للغاية ، وقامت بها بعض الطائرات الاردنية والعراقية والسورية ، وكانت تتصدى لها أو تطاردها بعض المقاتلات الاسرائيلية ، فيما عدا قاذفة تنابل عراقية من طراز « ت يو ١٦ » هاجمت مدينة « ناتانيا » يوم ٦ يونيو فقد أسقطتها المدافع م/ط . وقد استطاعت طائرات « الهوكر هنتر » الاردنية مهاجمة مطارات « ناتانيا » ، « كفار سيركين » ، « كفار سافا » وبعض مفارق الطرق في نحو الحادية عشرة من صباح ٥ يونيو ودمرت نحو ٤ طائرات للعدو كانت جاثمة على الارض ودون ان تخسر طائرة واحدة من قبل الدفاع الجوي الاسرائيلي ، وذلك قبل ان تهاجم طائرات العدو مطاري « عمان » و« المفرق » وتدمر ١٨ طائرة هنتر اثناء اعادة تزويدها بالوقود .

**علاقات القوى في المدرعات :**

لقد كان سلاح المدرعات الاسرائيلي يضم عند نشوب حرب ١٩٦٧ خليطا من انواع مختلفة من الدبابات الامريكية والبريطانية والفرنسية تؤلف في مجموعها عددا اجماليا يصل في تقديرنا الى ١٢٠٠ دبابة وربما الى ١٤٠٠ دبابة فضلا عن ٢٥٠ مدفعا ذاتي الحركة على الاقل . وفيما يلي بعض الخصائص الفنية الاساسية لانواع الدبابات الاسرائيلية المستخدمة :

**« سنتوريون مارك ٥/٧ »** : وهي دبابة متوسطة بريطانية الطراز تزن نحو ٥٠ طنا كانت أنواعها الاولى مجهزة بمدفع عيار ٨٣،٤ مم ذي القذيفة ٢٠ رطلا ثم اصبحت انواعها الاحدث مجهزة بمدفع أقوى من عيار ١٠٥ مم ، وقد وحد الاسرائيليون تسليح جميع دباباتهم من هذا الطراز بمدافع عيار ١٠٥ مم . وهي مزودة ايضا بجهاز يؤمن استقرار

المدفع اثناء الرمي مهما كانت وعورة الارض . وتبلغ اقصى سرعة لها على الطرق نحو ٣٤ كلم/ساعة ، ويصل مدى عملها الى ١٨٥ كلم تقريبا(١٣).

« **باتون م ٤٨ أ ٢** » ، «**م ٤٨ أ ٣**» : وهي دبابة متوسطة امريكية الطراز تزن نحو ٤٥ طنا مزودة اصلا بمدفع عيار ٩٠ مم ذي سرعة تذيفة عالية «High velocity» ( وهذا يوفر للتذيفة قدرة أكبر على اختراق الدروع من مسافات بعيدة نسبيا وهي في حالة الباتون تقدر بنحو ٢٠٠٠ متر ) وقد زودت وفقا لتقارير من المانيا الغربية التي أمدت اسرائيل بها ، بجهاز بصري جديد لتحديد المدى يتيح لها اطلاق تذائف المدفع الثقيلة مباشرة على الهدف دون ان تضطر الى اطلاق الرصاص الخطاط المحدد للمدى اولا ( وهو نوع خاص من الرصاص او القذائف المجهز كيميائيا بحيث يترك وراءه ذيلا من الدخان او الضوء ليلا ) .

هذا وتبلغ أقصى سرعة لهذا النوع من الدبابات نحو ٥١ كلم/ساعة على الطرق ، وهي مزودة بمنظار للاشعة تحت الحمراء .

« **شيرمان م — ٤** » **ماركات** « **٥٠ ، سوبر شيرمان ، ٥١** » : وهي دبابات امريكية متوسطة من مخلفات الحرب العالمية الثانية تزن حوالي ٣٠ طنا ، وكان بعضها مزودا بمدافع عيار ٧٦ مم والبعض بمدافع ٩٠ مم والبعض الاخير زود بمدفع ١٠٥ مم وهو الاغلب على ما يعتقد ، وذلك في محاولة من جانب الاسرائيليين لجعل هذه الدبابة معادلة بشكل ما للدبابة السوفييتية الطراز « ت ٣٤ » ، ولكن هيكلها وبرجها لم يكن تصميمهما جيدا مثل الـ « ت ٣٤ » كما يشير « ناداف صافران » في كتابه « من حرب الى حرب »(١٥). وذلك بحكم ارتفاعه وعدم انسيابيته كما في الـ « ت ٣٤ » . هذا وقد زودت هذه الدبابات بمحركات جديدة اقوى من التي كانت بها أصلا ، كما ركبت لها سلاسل اعرض لتكون اكثر قدرة على السير في الرمال مثل « ت ٣٤ » . وتصل اقصى سرعة لها الى نحو ٤٠ كلم/ساعة ، ومدى عملها قصير نسبيا لا يزيد عن ١٣٠ كلم وربما اقل من ذلك .

« **أم اكس ١٣** » : وهي دبابة خفيفة فرنسية الطراز تزن نحو ١٥ طنا مسلحة بمدفع عيار ٧٥ مم ، وتبلغ أقصى سرعة لها ٦٠ كلم/ساعة ويصل مدى عملها لنحو ٣٢٠ كلم . وهي تستخدم اساسا في الاستطلاع او العمليات التي تتطلب مطاردة سريعة نظرا لسرعتها وقدرتها على المناورة ، وذلك بحكم ان تدريعها خفيف للغاية حتى ان باطنها لا يحتمل انفجار لغم تحته ولذلك يكون سائقها معرضا بشدة لخطر الالغام . وفي لقاء لها مع دبابات «ت ٥٥» المصرية قرب «ممر جفجافة» يوم ٨ يونيو حيث فوجئت كتيبة منها بهجوم قوة من هذه الدبابات عليها حوالي الساعة الثالثة بعد منتصف الليل ، وقد اطلقت دبابات « أم اكس » قذائف مدافعها على الدبابات المصرية من مسافة ١٠٠ متر فقط ولكنها كانت ترتد عن دروعها دون أن تؤثر فيها كما يروي مؤلف كتاب « دبابات تموز »(١٦). وأن النار لم تشتعل في احداها الا باصابة من الجنب اطلقت من مسافة ٤٠ مترا فقط !

وعموما كانت دبابات « السنتوريون » و « الباتون » تؤلف العمود الفقري الاساسي لسلاح المدرعات الاسرائيلي . هذا وكانت جيوش كل من مصر وسوريا والاردن تمتلك عددا يتراوح بين ١٨٠٠ — ٢٠٠٠ دبابة وفقا لتقديرات معظم المصادر الاجنبية بخلاف نحو ٢٥٠ مدفعا ذاتي الحركة ، من بينها نحو ١٠٠٠ — ١١٠٠ دبابة و ٢٠٠ مدفع ذاتي الحركة كانت لدى الجيش المصري ، ٤٠٠ — ٥٥٠ دبابة و ٥٠ مدفعا ذاتي الحركة كانت لدى الجيش السوري ، ٢٠٠ — ٢٥٠ دبابة كانت بحوزة الجيش الاردني الذي كانت دباباته مؤلفة من نحو ١٧٠ دبابة باتون ، ٧٠ « سنتوريون » . أما دبابات الجيش

السوري فكانت مؤلفة من النوعين السوفييتيين « ت ٣٤ » ، « ت ٥٤ » فضلا عن المدافع « س يو ١٠٠ » . وكان سلاح المدرعات المصري تتألف كتلته الاساسية من الانواع السوفييتية « ت ٣٤ » ، « ت ٥٤ » ، « ت ٥٥ » ، « ستالين ٣ » ، « بيعت ٧٦ » ، « س يو ١٠٠ » ، « جي س يو ١٥٢ » ، « أ س يو ٥٧ » ،« سنتوريون مارك ٣ » البريطانية ، « أ م اكس ١٣ » الفرنسية ، « شيرمان م ــ ٤ » . وفيما يلي الخصائص الاساسية للمدرعات السوفييتية الطراز :

**الدبابة « ت ٣٤ »** : دبابة متوسطة تزن نحو ٣٢ طنا مسلحة بمدفع عيار « ٨٥ مم » ذو سرعة عالية وتبلغ اقصى سرعة لها ٥٠ كلم/ساعة على الطرق ويصل مدى عملها الى ٢٨٠ كلم وتتميز بقدرة عالية على المناورة ، وسلاسلها عريضة تساعدها على السير في الرمال بيسر ، ومحركها ديزل قوته ٥٠٠ حصان . وتصميم دروعها الانسيابي وانخفاض هيكلها نسبيا يقلل الى حد ما من اصابتها ، ومدفعها مرماه المضاد للدبابات مؤثر حتى ١٠٠٠ متر تقريبا ضد دروع الدبابات الاخرى وقد دمرت العديد من « السنتوريون » و « الباتون » في معركة « رفح » وغيرها من معارك « سيناء » ، وقد كان لدى الجيش المصري منها نحو ٤٠٠ دبابة .

**الدبابة « ت ٥٤ »** : دبابة متوسطة تزن نحو ٣٦ طنا مسلحة بمدفع عيار « ١٠٠ مم » يزيد مرماه المؤثر ضد الدروع عن ٢٠٠٠ متر ولها ثلاثة رشاشات احدها ١٢،٧ مضاد للطائرات ومحركها ديزل قوته ٥٢٠ حصانا ويصل مدى عملها الى ٣٥٠ كلم بدون خزانات وقود اضافية وتمتاز بقدرة جيدة على المناورة وقوة احتمال طويلة ، وبأن ارتفاع هيكلها كله لا يزيد عن ٢٤٠ سم بينما يبلغ ارتفاع هيكل « الباتون » نحو ٣١٠ سم وهذا يجعلها هدفا ليس من السهل اصابته في الصحراء من مسافة كبيرة ، ولمدفعها جهاز يؤمن الرمي المستقر للمدفع فوق الارض الوعرة اثناء التوقف للاطلاق . وقد كان لدى مصر نحو ٣٥٠ دبابة منها ( وفقا لمعظم التقديرات الاجنبية ) كما كان لدى سوريا عدد اخر منها .

**الدبابة « ت ٥٥ »** : وهي تطوير نوعي للدبابة السابقة « ت ٥٤ » من حيث زيادة سمك الدروع قليلا وقوة المحرك وزيادة الكفاءة القتالية عن طريق تزويد مدفع الدبابة ، وهو من عيار ١٠٠ مم ايضا ، بجهاز يؤمن التحكم الدقيق في النيران واستقرار الرمي فوق الارض الوعرة واثناء سير الدبابة ايضا . هذا فضلا عن تزويدها بجهازين للاشعة تحت الحمراء احدهما للسائق والاخر للمدفعي يسمحان لها بامكانية القتال الليلي بكفاءة . ويقدر عدد الموجود منها لدى مصر عند بدء القتال بنحو ٢٢٠ دبابة(١٧). هذا وتقول المصادر الغربية ، وفقا لتقرير نشرته « نيويورك تايمز » في ٢٧ يونيو ١٩٦٧ ، ان كلا هذين النوعين من الدبابات « ت ٥٤ » ، « ت ٥٥ » كانا مجهزين بجهاز تصويب بصري ممتاز للغاية له مجال رؤية اكثر اتساعا من الاجهزة المماثلة في الدبابات الغربية الطراز التي كانت لدى اسرائيل ، وانهما كانا يتميزان بانخفاض هيكلهما العام ، وبأن تدريعهما كان قويا للغاية وذا خطوط منحنية الامر الذي يزيد كثيرا من نسبة القذائف المنزلقة على جسم الدبابة بالنسبة للدبابات الاقدم في النوع منهما التي حصلت اسرائيل عليهما من الغرب(١٨) .

**الدبابة « ستالين ــ ٣ »** : دبابة تزن ٤٦ طنا وتتميز بسمك دروعها التي تصل الى ٢٠٠ مم في مقدمتها وهي مسلحة بمدفع عيار ١٢٢ مم يزيد مرماه المؤثر ضد الدروع عن ٢٠٠٠ متر ، فضلا عن مدفع رشاش ١٢،٧ مضاد للطائرات ( مثل ت ٥٤ ، ت ٥٥ ) وتبلغ سرعتها القصوى نحو ٣٥ كلم/ساعة على الطرق . وهي بطيئة المناورة نظرا لثقلها وانخفاض قوة محركها بالنسبة لوزنها . وكان يوجد منها لدى مصر نحو ٦٠ دبابة استخدمت لتعزيز فرق المشاة في « رفح » و « القسيمة » وبعض المواقع الاخرى .

**الدبابة « بت ٧٦ »** : دبابة خفيفة برمائية تزن نحو ١٥ طنا مسلحة بمدفع عيار « ٧٦ مم » يبلغ مرماه المؤثر ضد الدروع نحو ١٠٠٠ متر ، ويصل مدى عملها الى نحو ٢٥٠ كلم على الطرق .

**المدفع ذاتي الحركة « س يو ١٠٠ »** : مدفع عيار ١٠٠ مم مركب على هيكل دبابة « ت ٣٤ » ويزن نحو ٣٠ طنا وتبلغ سرعته نحو ٥٠ كلم/ساعة ويصل مدى عمله الى نحو ٢٨٠ كلم . ويسمى « مدمر الدبابات » فهو اساسا مدفع مضاد للدبابات او مدفع اقتحام ولكن يمكن استخدامه ايضا كمدفع ميدان معاون للدبابات او المشاة الميكانيكية . وكان يوجد لدى مصر نحو ١٥٠ مدفعا .

**المدفع ذاتي الحركة « س يو ٥٧ »** : وهو مدفع مضاد للطائرات مزدوج السبطانة عيار « ٥٧ مم » مركب على شاسيه دبابة « ت ٥٤ » وتوجه مدافعه بالرادار وتستطيع ان تطلق نحو ١٢٠ طلقة في الدقيقة لمدى مؤثر يصل الى نحو ٢٤٠٠ متر . وكان يصاحب الالوية المدرعة لتقديم دعم الدفاع الجوي المتحرك لها . ويوجد منه نوع خفيف مضاد للدبابات لا يزيد وزنه عن ٥ اطنان خاص بالقوات المحمولة جوا .

**المدفع ذاتي الحركة « جي س يو ١٥٢ »** : مدفع ميدان ذاتي الحركة عيار ١٥٢ مم مركب على شاسيه دبابة «ستالين» ومهمته توفير نيران المدفعية المتوسطة المتحركة للتشكيلات المدرعة .

وتوضح لنا هذه البيانات المقارنة للخصائص الفنية للدبابات التي كانت لدى الطرفين خلال حرب ١٩٦٧ ان الدبابات العربية كانت متفوقة في الجملة على الدبابات الاسرائيلية سواء من حيث حداثة الطراز بالنسبة لغالبيتها ( وخاصة تلك التي كانت موزعة على الالوية المدرعة لانها كانت كلها «ت ٥٤» ، «ت ٥٥») او من حيث القدرة على المناورة،او من حيث جودة وكفاءة تصميم الهيكل وطريقة تصفيح الدروع بغض النظر عن السمك ( وهو الامر الذي كانت تتفوق « السنتوريون » و « الباتون » على « ت ٥٤ » ، « ت ٥٥ » ) أو من حيث بعد المدى . كما انها كانت تتعادل معها في قوة النيران والمدى المؤثر للاصابة وذلك بالنسبة للقوة الاساسية للدبابات الاسرائيلية « السنتوريون » و « الباتون » وتفوق الانواع الاخرى . هذا كما ثبت ان « ت ٥٤ » تفوق « الباتون » في عدد من النواحي الامر الذي اضطر امريكا الى انتاج الدبابة الجديدة « م ٦٠ » التي تزود بها اسرائيل حاليا . وثبت ايضا عدم وجود دبابة اسرائيلية وقتئذ تكافيء الـ «ت٥٥» من حيث قدرتها على المناورة والقتال الليلي والرمي المحكم من الحركة على أرض وعرة. أما « ت ٣٤ » فقد اثبتت كفاءة افضل من « السوبر شيرمان » واستطاعت ان تدمر عددا من « السنتوريون » و « الباتون » . وتأكد ان الدبابة « أم اكس ١٣ » ليست اكثر من مركبة استطلاع مدرع سريعة الحركة . هذا كله من حيث مقارنة نوعية السلاح المدرع لدى الطرفين ، اما من حيث اجمالي عدد المدرعات او الدبابات على وجه التحديد الذي كان متوفرا لدى كل طرف ، فالواضح انه حتى لو قلنا انه كان لدى اسرائيل ١٥٠٠ دبابة فقد كان لدى جيوش مصر وسوريا والاردن معا نحو ٢٠٠٠ دبابة .

ولكن رغم هذا فقد استفادت اسرائيل من قوة دباباتها واستطاعت ان تحصل من سلاحها المدرع على مردود اقصى يفوق ما استطاع ان يحصل عليه العرب من سلاحهم المدرع كثيرا . ويمكننا ان نقول بأن العدو الاسرائيلي افاد من سلاحه المدرع لعدة أسباب ، أولها انه دفع مدرعاته للهجوم في ظل حماية جوية كاملة ادت في الوقت نفسه الى تدمير كثير من المدرعات العربية — خاصة في جبهة سيناء الصحراوية — قبل ان يتاح لها الاشتباك مع مدرعات العدو ، وثانيها انه نظرا لاخذه المبادرة الهجومية فقد امكنه ان يحشد قواه في نقاط معينة محرزا بذلك تفوقا في الكم في معظم الحالات نظرا لان الدبابات العربية كانت موزعة توزيعا دفاعيا على مختلف مواقع المشاة وحشودها الاحتياطية

كانت بعيدة في المؤخرة العملياتية تحد سيادة العدو الجوية من حريتها في الحركة نهارا .
وثالثهـا ان القيادات العربية تأخرت كثيرا سواء في الجبهـة المصرية او السورية في استخدام دباباتها ، وعندما شرعت تستخدم لواءاتها المدرعة استخدمتها جزءا جزءا ، وتحت قيادة مترددة لا تجيد ( في حالات عدة ) فن استخدام الدبابات وتكتيكاتها في قتال الحركة ، وذلك مثلما فعل قائد الفرقـة الثالثة مشاة بالجبهة المصرية ليلة ٥/٦ يونيو حين تقدم بلواء فرقته المدرع يعززه لواء مشاة محمول محاولا الوصول الى « العريش » عن طريق « بير الحفن » ليلا فاصطدم بكتيبة دبابات اسرائيلية وبقي في مكانه طوال الليل دون أن يهاجمها بحسم رغم ان دباباته كانت مزودة بأجهزة أشعـة تحت الحمراء(١٩).
أو كما حدث في الجبهة السورية ليلة ٩/١٠ يونيو حين لم يقم قائد اللواء المدرع السبعين بالهجوم المضاد المطلوب في القطاع الشمالي من « الجولان » باتجاه « قنيطرة ــ واسط ــ القلع » بدعوى انه في حاجة الى دعم جوي حتى اثناء الليل !(٢٠)
ورابعها ان أطقم دبابات العدو كانت بصفة عامة أكثر كفاءة في معظم الحالات بالنسبة لاطقم الدبابات العربية سواء من حيث سرعة الحركـة والتصرف او دقة التصويب او استخدام أجهزة الدبابات التي بحوزتهم . ويضاف الى ذلك ان أجهزة صيانة الدبابـات وسرعتها كانت اكثر خبرة وتدريبا ( وان كانت الحماية الجوية بطبيعة الحال قـد لعبت دورها المساعد في هـذه الناحية ايضا بطريقة غير مبـاشرة ) كما أن الدبابات كـانت تنقل الى مسارح العمليات فوق عربات خاصة بها وهذا جعلها اكثر قدرة على الاستمرار في القتال لفترة أطول من الدبابات العربية دون ان تتطلب صيانة عادية . هذا فضلا عن أن وحدات المهندسين المساعدة للدبابات كانت مجهزة بمعدات ميكانيكية ملائمة للصحراء ( بولدوزرات مختلفة الانواع ) تساعد الدبابات في شق الطرق ورفع الالغام ، وكذلك في الجبهة الاردنية ومرتفعات « الجولان » . وهكذا حقق العدو تفوقا في استخدام مدرعاته بالنسبة للجيوش العربية ، نستطيع ان نلخصه في عبارة « كفاءة العنصر البشري » على مستوى القيادة الاستراتيجيـة والعملياتية والتكتيكية ، وعـلى مستوى المهارة الفنية للاطقم وارتفاع مستوى تدريبها ، وعلى مستوى الاجهـزة المعاونة لحركة الدبابات ، وبطبيعة الحال ساعدته في هذه الحالة وفرة العربات الخاصة بنقل الدبابات والمعـدات الميكانيكية الهندسية المساعدة ، ولكننا يجب الا ننسى ايضا في هذا الصدد ان الوحدات المصرية كان لديها ايضا ورش صيانة متنقلة عالية الكفاءة من الناحية الفنية لم تستطع ان تفيد منها بسبب ظروف السيادة الجوية والفوضى المترتبة على صدور امر الانسحاب العام .

**علاقات القوى في المدفعية :**

لقد كانت الجيوش العربية ، خاصة الجيشين المصري والسوري ، متفوقة بوضوح في المدفعية كما ونوعا بالنسبة للجيش الاسرائيلي . اذ كان الجيش المصري مزودا بأكثر من الف مدفع من مختلف العيارات منها نوعين من مدافـع الهاوتزر عيار « ١٢٢ مم » الاول يصل مدى قذيفته التي يبلغ وزنها نحو ٨٠ رطلا الى حوالي ١٣ الف متر والثاني الى حوالي ١٨ الف متر ، ومدافع من عيار « ١٣٠ مم » الذي يزيد مداه عن ٢٨ الف متر ومدافع عيار ١٥٢ مم . هذا فضلا عن المدافع المضادة للدبابات عيار « ٥٧ مم » الذي يبلغ مداه المؤثر نحو ١٠٠٠ متر ، ومدفع « ٨٥ مم » الذي يزيد مـداه عن ١٢٠٠ متر ويخترق دروعا أقوى ، ومدفع « ١٠٠ مم » الذي يصل مداه الى ٢٥٠٠ متر تقريبـا . بالاضافة الى الصواريخ المسماة « شمل » المضادة للدبابات والتي كانت تركب عـلى مركبة في مجموعات رباعية وتستطيع عبوتها الجوفاء المثبتة على مقدماتهـا ان تخترق درعا من الصلب سمكه ٢٥٠ مم من مسافة ٢٥٠٠ متر تقريبا .

وهذا بالاضافة لاعداد كبيرة من الهاونات عيار « ٨٢ مم » و « ١٢٠ مم » و « ١٦٠ مم »

والبازوكا عيـار « ٨٢ مم » والمدفع عـديم الارتداد « ١٠٧ مم » . والمدافـع المضادة للطائرات الخفيفة من عيارات « ٣٧ م » و « ٥٧ مم » والثقيلة من عيارات « ٨٥ مم » و « ١٠٠ مم » . فضلا عن اعداد كبيرة من الرشـاشـات م/ط المزدوجة او الرباعية الفوهة من عيار « ١٢،٧ مم » وغيرها . هذا بالاضافة الى عديد من بطاريات قواذف الصواريخ «كاتيوشا» المركبة على عربات من عيارات « ١٢٢ مم » ، و « ١٤٠ مم » و « ٢٤٠ مم» ، وكان بعضها يضم ٣٢ قاذفا فوق العربة الواحدة او ١٢ قاذفا بالنسبة لعيار « ٢٤٠ مم » وتصل صواريخها الى مسافات تتراوح بين نحو ٦٠٠٠ — ٨٠٠٠ متر ويمكن ان تطلق كل منها ١٢ صاروخا في الصلية الواحدة .

هذا وكان لدى الجيش السوري نحو ١٢٠٠ مدفع معظمها من الانواع السوفييتية سالفة الذكر والتي كانت تعتبر أكثر عناصر هذا الجيش قوة وفاعلية كما يقول «ادجار بالانس» في كتابه « الحرب العربية الاسرائيلية الثالثة »(٢١).

كما كان لدى الجيش الاردني نحو ٢٠٠ مدفع بعضها امريكي الطراز من عيار «١٥٥ مم» والكثرة الغالبة منها بريطانية الطراز مثل مدفع الميدان القديم « ٢٥ رطلا » ، والمدفع المضاد للدبابات « ١٧ رطلا » .

أما الجيش الاسرائيلي فقد كان لديه خليط من أنواع مختلفة من المدافع منها مدافع الميدان البريطـانية القديمة عيـار « ٢٥ رطلا » ومدافع « ١٧ رطلا » و « ٦ ارطال » المضادة الدبابات ، ومدافع الميدان الايطالية القديمة عيار « ٧٧ مم » ، ومدافع هاوتزر فرنسية حديثة عيار « ١٥٥ مم » ، ومدافع هـاوتزر عيار « ١٥٥ مم » أمريكية ذاتية الحركـة مركبة على هيكل دبابة « شيرمان » ، ومدافع هاوتزر فرنسية عيار « ١٠٥ مم » مركبة على هيكل دبابة « أم اكس ١٣ » ، ومدافع امريكية عيار « ١٠٥ مم » ميدانية مركبة على هيكـل دبـابة « شيرمـان » . وقـد كـانت المدافـع ذاتية الحـركة سالفة الذكر ( ويقدر عددها بنحو ٢٥٠ مدفعـا ) هي القوة الرئيسية للمدفعية الاسرائيلية بالاضافة للمدافع الهاوتزر المقطورة عيار « ١٥٥ مم » التي ظهر بعضها في الجبهة السورية . كما كانت توجد ايضا هاونات ثقيلة عيار « ١٦٠ مم » واعداد كبيرة من الهاونات « ١٢٠ مم » التي كانت تركب على عربات نصف مجنزرة وتلحق بالتشكيلات المدرعة . هذا فضلا عن الصواريخ الموجهة ضد الدبابات الفرنسية الطـراز « س س ١٠ » وهي قادرة عـلى اختراق « ٤٥٠ مم » من الصلب بمـدى اقصاه ١٥٥٠ مترا(٢٢) ويمكن ان تركب علـى سيارة جيب او دبابة « أم اكس ١٣ » ، والصواريخ « س س ١١ » الفرنسية الطـراز ايضا وهي تطوير للصواريخ السابقة واكثر قوة ودقة وبعدا في المدى ويمكن استخدامها من « الهليكوبتر »(٢٠). وليس هناك عدد معروف بدقة لاجمالي المدفعية الاسرائيلية الا انه من الواضح خلال حرب ١٩٦٧ ، انها كانت اقل الاسلحة الاسرائيلية تطورا بالقياس الى الطيران والمدرعات اللذين أعطيا أولوية خاصة من قبل القيادة العسكرية العليا في التسليح المتطور . كما انه من الواضح ان المدفعية العربية كانت تفوقها كما وكيفا وفي فاعلية القصف ايضا في الجيوش العربية الثلاثة التي اشتركت في القتال ، وتشهد بذلك معارك « رفح » و « أبو عجيلة » في الجبهة المصرية ، وقصف المستعمرات في الجبهـة السورية ، وقصف المدفعيـة الاردنية في معارك « القـدس » و « جنين » في الجبهة الاردنية .

وقد أشاد العديد من الكتاب بكفاءة جنود المـدفعية العرب ، فقد قـال مثلا « ادجـار بالانس » في كتابه سالف الذكر « ان رجال المدافع المضادة للدبابات والمدافع الميدانية المصريين كانوا اكفاء ، وكثيرا ما تسببوا في جعل الدبابات الاسرائيلية تحرف اتجاههـا بعيدا عنهم »(٢٣). كما قامت المدفعية م/ط المصرية بدور فعال ضد الطيران الاسرائيلي بعد زوال أثر المفاجأة الاولى .

هذا وقد استخدم الطيران الاسرائيلي قنابل خاصة في تنفيذ بعض المهام القتالية ، مثل قنبلة تدمير مدارج المطارات ( الفرنسية النوع وقد أنتجتها أصلا شركة « ماترا » لكي تسقط من الميراج او الفوتور ) المصممة بحيث يمكن القاءها من ارتفاع منخفض على أن تسقط عموديا مباشرة على سطح المدرج ولا تتدحرج بعيدا عنها ثم تثقبها بواسطة صاروخ مركب فيها حتى تصل لعمق نحو ٤ امتار حيث تنفجر فورا او بعد فترة محدودة وفقا لصمام توقيت موجود بداخلها ، وبذلك تضمن هذه القنبلة سهولة تدمير المدارج بشدة ومن ارتفاعات منخفضة تتفق واسلوب تخطيط الهجوم الجوي القائم على الاقتراب من الاهداف على ارتفاع منخفض ، وبطريقة تعيق سرعة أصلاح المدارج بسبب تفاوت زمن كل قنبلة عن الاخرى عند الانفجار تبعا للخطة الموضوعة . كما استخدم السلاح الجوي الاسرائيلي قنبلة اخرى مزودة بصمام توقيت يجعلها تنفجر فوق الاهداف من ارتفاع قريب منها للغاية وقبل ان تلامس الارض مما يجعل شظاياها تنتشر بصورة افضل واشد تأثيرا ، وقد استخدمت هذه القنابل بالذات لتدمير مواقع المدافع المضادة للطائرات في هضبة « الجولان » . كما أن اسرائيل لجأت الى استخدام وسائل التشويش المختلفة على اجهزة الاتصال اللاسلكي في الجبهة المصرية والتي يشك في تواطؤ الولايات المتحدة معها في هذا الصدد بواسطة السفينة « ليبرتي » . الا ان هذه القنابل الخاصة او وسائل التشويش الالكتروني لا تعتبر في حد ذاتها اسلحة متفوقة كفيلة بتحقيق التفوق الاسرائيلي الذي تحقق في حرب ١٩٦٧ ، لانها كانت وسائل ثانوية مساعدة فحسب . لقد كمنت عوامل التفوق الاسرائيلي اساسا في كفاءة التخطيط الاستراتيجي والقيادة على مختلف المستويات واستخدام الاسلحة بأسلوب يضمن تحقيق مردودها الاقصى ، واختيار التكتيك الملائم لاستراتيجيتهم السياسية والعسكرية اي تكتيك حرب الحركة السريعة ، وارتفاع مستوى التنظيم والتدريب والشئون الادارية الى المتطلبات التي يفرضها هذا التكتيك واستراتيجية الحرب الخاطفة والاقتراب غير المباشر وادارة العمليات على الخطوط الداخلية . ولا شك ان وضوح هدف الاستراتيجية السياسية الاسرائيلية ، او بصورة أدق وضوح هدف الاستراتيجية الشاملة الاسرائيلية ، قد ساعد بدرجة كبيرة في صحة اختيار الاستراتيجية العسكرية الملائمة ، وبالتالي أيضا صحة مخططات العمليات الاستراتيجية . وباختصار نقول ان جوهر تفوق القوة الاسرائيلية في حرب ١٩٦٧ لم يكن في حجم هذه القوة سواء من ناحية القوى البشرية او من حيث الاسلحة ، كما انه لم يكن بسبب تفوق نوعية السلاح الاسرائيلي . وانما كان متركزا أساسا في عنصر المقدرة التنظيمية والقيادية ، اي في العنصر الانساني القادر على تحويل كافة عناصر القدرة العسكرية لاي مجتمع او دولة ، وهي القوى البشرية والوضع الجغرافي — الاستراتيجي والموارد الطبيعية والاقتصادية والقيم المعنوية والعلاقات الدولية ، الى وسائل عمل وادوات فعالة في القتال والحرب . لقد كان عنصر المقدرة البشرية التنظيمية والقيادية والتنفيذية هو مجال التفوق الاسرائيلي الحقيقي على الجيوش العربية في حرب ١٩٦٧ الذي لم يكن مرجعه ، كما شاع بين اوساط الرأي العام العربي عقب الحرب مباشرة ، هو تفوق « الميراج » على « الميج ٢١ » ، أو تفوق الدبابة « السنتوريون » الحديثة على الدبابة « ت ٣٤ » القديمة مثلا ، كما انه لم يكن نتاج مجرد اهمال قائد السلاح الجوي المصري او تخلف معلومات القائد العام للقوات المسلحة العسكرية ، رغم انها كلها أسباب جزئية لعبت دورا هاما في تضخيم حجم الهزيمة العربية وزيادة بريق النصر الاسرائيلي . وان دراسة أسباب التفوق الاسرائيلي في عنصر المقدرة التنظيمية والقيادة ، وأسباب التخلف العربي في هذا الصدد ، تشكل ضرورة ملحة للقيادات العسكرية والسياسية العربية حتى تستطيع أن تواجه أساليب حرب الحركة التي يمارسها العدو بنجاح ، وحتى يمكن لها ايضا ان تختار الاستراتيجية المناسبة والاساليب القتالية الملائمة لهزيمته مستقبلا .

## الحواشي :

١ — O' Ballance. Edgar, *The Third Arab-Israeli War, London,* Faber And Faber, 1972, p. 165.

٢ — **المصدر السابق** — صفحة ١٦٩ .

٣ — **المصدر السابق** — صفحة ٢٥٦ .

٤ — Dayan. David, *Strike First,* New York, Pitman, 1967, p. 217

٥ — O' Ballance. Edgar, *The Third Arab - Israeli War,* London, Faber And Faber, 1972, p. 165

٦ — Safran. Nadav, *From War To War,* New-York, Pegasus, 1969, p. 351.

٧ — **المصدر السابق** — صفحة ٤٤٣ .

٨ — نقلا عن كتاب العميد حسن مصطفى **«الحرب حزيران ١٩٦٧»** الجزء الاول — بيروت — المؤسسة العربية للنشر — صفحة ٢٩ .

٩ — Dayan. David, *Strike First,* New-York, Pitman, 1967, p. 25.

١٠ — Teveth. Shabtai, *The Tanks of Tammuz,* London, Weidenfeld and Nicolson, 1968, p. 204

١١ — O' Ballance. Edgar, *The Third Arab Israeli War,* London, Faber And Faber, 1972, p. 50.

١٢ — نقلا من نص أورده هيثم الكيلاني في كتابه **« المذهب العسكري الاسرائيلي »** — بيروت — مركز الابحاث الفلسطينية — ١٩٦٩ — صفحة ٦٥٧ .

١٣ — Safran. Nadav, *From War to War,* New-York, Pegasus, 1969, p. 451.

١٤ — Weller. Jac. Israeli Armour, *Military Review,* Vol LI No 11, Nov. 1971, p. 46.

١٥ — Safran. Nadav, *From War to War,* New York, Pegasus, 1969, p. 452.

١٦ — Teveth. Shabtai, *The Tanks of Tammuz,* London, Weidenfeld and Nicolson, 1968, p. 239.

١٧ — O' Ballance. Edgar, *The Third Arab-Israei War,* London, Faber And Faber, 1972, p. 90.

١٨ — Safran. Nadav. *From War To War,* New-York, Pegasus, 1969, p. 450.

١٩ — مصطفى ، حسن ، العميد — **حرب حزيران ١٩٦٧** — الجزء الاول — بيروت — المؤسسة العربية للنشر — ١٩٧٣ — صفحة ٢٠٤ .

٢٠ — **المرجع السابق** — الجزء الثاني — صفحة ٢٤٩ .

٢١ — O' Ballance. Edgar, *The Third Arab-Israeli War,* London, Faber And Faber, 1972, p. 227.

٢٢ — خطاب ، اللواء محمود شيت — **العسكرية الاسرائيلية** — بيروت — دار الطليعة — ١٩٦٨ — صفحات ٢١٦ ، ٢٢٣ .

٢٣ — O' Ballance. Edgar, *The Third Arab-Israeli War,* London, Faber And Faber, 1972, p. 171.

# اتجاهات التجارة الخارجية لاسرائيل بعد ١٩٦٧

محمد ابو الحديد

الغرض من هذه الدراسة ، ليس مجرد تناول اتجاهات التجارة الخارجية لاسرائيل بعد ١٩٦٧ ، من زاوية اقتصادية بحتة ، ولكنه يتعدى ذلك الى محاولة استكشاف الدلالات السياسية التي يمكن ان تنطوي عليها هذه الاتجاهات ، ومدى الارتباط بين اتجاهات التجارة الخارجية لاسرائيل بعد ١٩٦٧ ، وبين علاقاتها الدولية بصفة عامة منذ هذا التاريخ .

والسؤالان الاساسيان اللذان تسعى الدراسة للاجابة عنهما تحقيقا لهذا الغرض هما : **اولا** : هل كان لعدوان ١٩٦٧ ، تأثير على حجم واتجاه التجارة الخارجية لاسرائيل ام لا ، واذا كان هناك تأثير ، فما هي ابرز دلالاته وملامحه ؟ **ثانيا** : الى أي مدى يمكن اعتبار اتجاهات التجارة الخارجية لاسرائيل بعد ١٩٦٧ ، ترجمة لعلاقاتها الدولية ، وانعكاسا لمواقف دول العالم المختلفة من القضية العربية ؟

ولا اظن اننا بحاجة الى تبرير اي من العناصر الرئيسية التي ينبني عليها هذا الموضوع ، سواء في الارتباط بين اتجاهات التجارة الخارجية لاي دولة ، وبين علاقاتها السياسية ، او في اختيار عام ١٩٦٧ بالذات محورا لدراسة التغيير الذي تتعرض له هذه الاتجاهات بالنسبة لاسرائيل . فأن تكون للعلاقات الاقتصادية عامة ، والتبادل التجاري خاصة ، دلالات ومعان سياسية ، فتلك لم تعد في رأينا قضية قابلة لمزيد من النقاش والجدل ، سواء على مستوى الفكر ، او الممارسة . فحجم العلاقات الاقتصادية بين اي دولتين ، هو الواقع المادي المعبر عن حقيقة العلاقات بينهما ، وهو احد المفاتيح الهامة لفهم موقف كل منهما تجاه الاخرى . وفي نطاق العلاقات الاقتصادية ، فان التبادل التجاري يحتل المرتبة الاولى ، باعتباره اهم عناصر هذه العلاقات(١).

ولعل في مجريات الاحداث والتطورات العالمية البارزة في الفترة الاخيرة ، ما يغني عن الاستطراد في هذا التحليل النظري . ويكفي مثلا ان نتذكر ، أن قرار الرئيس الامريكي نيكسون تخفيف قيود الحظر الجزئي على التجارة ما بين واشنطن وبكين(٢)، كان هو المقدمة الطبيعية لاول زيارة يقوم بها رئيس امريكي الى الصين منذ عام ١٩٤٩ . وأن اتفاقية القمح الامريكي للاتحاد السوفيتي ، هي الان احدى العناصر الرئيسية في اختبار تطور العلاقات بين موسكو وواشنطن ، وذلك بالطبع لا يلغي دور الايديولوجيات في تحديد وصياغة المواقف السياسية الكبرى ، بقدر ما يبرز دور العامل الاقتصادي الدولي كعنصر اساسي في التأثير والتوجيه .

وبالنسبة لاسرائيل ، فقد لا نجد ذلك منطبقا تماما على « بعض » علاقاتها التجارية ، خصوصا مع افريقيا ، حيث تحتل المعونات والمنح الدراسية التي تقدمها اسرائيل لبعض الدول الافريقية ، المقام الاول ، او مع دول امريكا اللاتينية ، التي يعتبر وقوفها الى جانب اسرائيل جزءا لا يتجزأ من ارتباطها بالولايات المتحدة الامريكية ، وتبعيتها لها ، بغض النظر عن وجود اساس مادي لعلاقات مباشرة لهذه الدول باسرائيل ، او عن

حجم هــذه العلاقات . الا ان هذه الاستثناءات لا تلغي صحة الافتراض القائــل بدور التجارة الخارجية في التأثير على العلاقات السياسية وتشكيلها . واختيار عام ١٩٦٧ ، محورا لدراسة التغيير الذي يمكن ان يكون قد طرأ على حجم او اتجاهــات التجــارة الخارجية لاسرائيل لا يحتاج الى تفسير . فمنذ شنت اسرائيل عدوانها الاستعمــاري الصهيوني التوسعي على الارض العربية في حزيران ( يونيو ) من ذلك العام ، وعلــى مدى ست سنوات تقريبا ، بذل العرب محاولات دبلوماسية عديدة ، وصدرت قــرارات دولية من الامم المتحدة ، لقيت تأييدا بالتصويت عليها من جانب غالبية الدول الاعضاء في المنظمة الدولية .

ومع التسليم بما يقال عن دلالة ذلك على « تحول » الراي العام العالمي لصالح القضية العربية ، وحاجتنا نحن الى مثل هذا التحول ، الا ان الحقيقة التي تطرحها تجربتنا مع اسرائيل ، هي أن مصدر قوتها الحقيقي والمؤثر ، لم يكن في يوم من الايام نابعا من عدد « الاصوات » التي تؤيدها في المنظمة الدولية ، بقدر ما هو نابع أساسا ، وفي كل وقت، من حجم «الدعم المادي» الذي تلقاه ، ومن الاسواق التي تفتح في وجه تجارتها فتعوضها عن آثار المقاطعة الاقتصادية العربية لها ، ومن التسهيلات الاقتصادية المختلفة التــي تقدم لهــا .

وليس من شك ، في أن ما يعنينا في صراعنا مع اسرائيل ، ليس فقط مجرد الحصول على « أصوات » اكثر في الامم المتحدة لصالح قضيتنا ، فتلــك مرحلة اولى فحسب ، خاصة اذا كان هناك من يرفع يده بالتصويت لصالحنا في الامم المتحدة ، بينما يقــدم لاسرائيل باليد الاخرى — عن ادراك ، او عدم ادراك — عناصر الدعم المادي الــذي يعينها ، لا على أن تبقى وتقوى فقط ، ولكن أيضا على مواصلة تنفيذ خططهــا مــن الارهاب والتوسع بكفاءة ومقدرة اكبر . ومن هنا فان ما يعنينا بالدرجة الاولى ، هو أن نحصل مع أصوات الدول في الامم المتحدة ، على اقتناع أصحاب هذه الاصوات ، بأن وقف كافة مظاهر الدعم المادي لاسرائيل ، بما في ذلك العلاقات التجارية ، هو السبيل الوحيد لوقف استمرار توسعها وارهابها ، وتحقيق الانسجام في الموقف الدولي منها .

ولعلنا نستطيع بعد هذا التحديد للاطار السياسي للدراسة، أن ندخل في صلب الموضوع. وسوف نقسمه الى قسمين رئيسيين ، الاول عن التجــارة الخــارجية لاسرائيل قبــل ١٩٦٧ ، وسوف يتناول أرقام هذه التجارة في السنة السابقة على العدوان مباشرة ، وهي سنة ١٩٦٦ ، والثاني عن التجارة الخارجية لاسرائيل بعد ١٩٦٧ وسوف يتناول تطور هذه التجارة ، من حيث الحجم والاتجاهات حتى سنة ١٩٧١ ، وفق آخر الارقام المتاحة دوليا ، وبالمقارنة مع سنة ١٩٦٦ ، باعتبارها سنة الاساس .

## أولا : التجارة الخارجية لاسرائيل قبل ١٩٦٧

في ١٩٦٦ ، بلغ اجمالي قيمة الصادرات الاسرائيلية ٥٠٣٫٤٠ مليون دولار(٣). واتجهت هذه الصادرات الى ٧٣ دولة من دول العالم ، على النحو التالي : ١٩ دولة من اوربا الغربية ، ١٨ دولة افريقية ، ١١ دولة من أمريكا اللاتينية ، ١٢ دولة آسيوية ( بما فيها الصين واليابان)، ٨ دول من أوربا الشرقية (بما فيها الاتحاد السوفياتي ويوغوسلافيا). وذلك بالاضافة الى كل من الولايات المتحدة وكندا ، واستراليا ، ونيوزيلنده ، وجنوب افريقيــا .

ومن ناحية اخرى ، بلغ اجمالي قيمة واردات اسرائيل في السنة نفسهــا ٨٣٨٫٢٠(٤) مليون دولار . وقد جاءت هذه الواردات لاسرائيل من ٦٠ دولة من دول العالم ، علــى النحو التالي : ١٩ دولة من اوربا الغربية ، ١٢ دولة افريقية ، ٨ دول من أمريكــا اللاتينية ، ١٠ دول آسيوية ( بما فيها الصين واليابان ) ، ٦ دول من أوربا الشرقيــة

( بما فيها الاتحاد السوفياتي ويوغوسلافيا ) . وذلك أيضا بالاضافة الى كل من الولايات المتحدة وكندا ، واستراليا ، ونيوزيلنده ، وجنوب افريقيا .

وكانت هناك ٢٧ دولة ، لم تتبادل معها اسرائيل أية علاقات تجارية ، سواء على شكل صادرات ، او واردات(٥)، وتوزيع هذه الدول على الشكل التالي : ١٤ دولة افريقية ( هي : أنجولا — الكاميرون — جمهورية افريقيا الوسطى — تنزانيا — داهومي — غينيا — ليبيريا — مالي — توجو — النيجر — روديسيا — السنغال — الصومال — فولتا العليا ) ، ٥ دول آسيوية ( هي : بورما — كمبوديا — كوريا الجنوبية — لاوس — باكستان ) ، ثم ٨ دول من أمريكا اللاتينية ( هي : الدومينكان — اكوادور — السلفادور — جواتيمالا — هايتي — هندوراس — باراجواي — باربادوس )(٦). وقد استأثرت عشر دول بحوالي ٧٠٪ من اجمالي قيمة الصادرات الاسرائيلية . ونفس هذه الدول تقريبا ، مع تغيير بسيط ، تنفرد بنسبة ٧٧ ٪ من واردات اسرائيل ، وذلك على النحو التالي :

**جدول (١)** : ترتيب الدول العشر الاولى في جدول الصادرات الاسرائيلية عام ١٩٦٦ (٧).

| الدولــة | القيمة بمليون دولار |
|---|---|
| الولايات المتحدة | ٧٧،٤٠ |
| بريطانيا | ٦٢،٢٠ |
| المانيا الغربية | ٤٧،١٠ |
| هولنده | ٣٧ |
| بلجيكا | ٣٢،٣٠ |
| سويسرا | ٢٨،٢٠ |
| هونج كونج | ٢١ |
| فرنسا | ١٨،٩٠ |
| اليابان | ١٨،٧٠ |
| يوغوسلافيا | ١١،٢٠ |
| الاجمالي | ٣٥٤،٠٠ |

**جدول (٢)** : ترتيب الدول العشر الاولى في جدول الواردات الاسرائيلية عام ١٩٦٦ (٨).

| الدولــة | القيمة بمليون دولار |
|---|---|
| الولايات المتحدة | ٢٢١،٦٠ |
| بريطانيا | ١٥٧ |
| المانيا الغربية | ٦٨،٧٠ |
| هولنده | ٣٧،٨٠ |
| فرنسا | ٣٦،٧٠ |
| ايطاليا | ٢٩،٦٠ |
| بلجيكا | ٢٨،٩٠ |
| سويسرا | ٢٧،٩٠ |
| اليابان | ٢٠،٧٠ |
| الارجنتين | ١٥،٤٠ |
| الاجمالي | ٦٤٤،٣٠ |

وفيما يتعلق بالصورة التفصيلية لاتجاهات التجارة الخارجية لاسرائيل عام ١٩٦٦ ، فانها تتضح من خلال مراجعة توزيع كل من الصادرات والواردات الاسرائيلية ، على بعض مناطق العالم الرئيسية ، وهي على وجه التحديد : السوق الاوروبية المشتركة ، وافريقيا ، وأمريكا اللاتينية ، وآسيا ، واوروبا الشرقية .

ويوضح الجدول رقم (٣) اتجاه الصادرات الاسرائيلية عام ١٩٦٦ ،بالنسبة لهذه المناطق، ونسبتها في كل منطقة الى اجمالي الصادرات الاسرائيلية ، مع بيان اسماء وترتيب الدول الثلاث الاولى في كل منطقة .

اما بالنسبة للواردات الاسرائيلية عام ١٩٦٦ ، فيوضح الجدول رقم ( ٤ ) توزيعها على نفس المناطق .

ولعلنا نستطيع الان ان نستخلص اهم الملامح الرئيسية ، التي ميزت صورة التجارة الخارجية لاسرائيل عام ١٩٦٦ ، من واقع هذه البيانات والارقام .

**جدول (٣) : اتجاه الصادرات الاسرائيلية بالنسبة لبعض مناطق العالم الرئيسية .**

| المنطقــة | قيمة الصادرات بمليون دولار | النسبة بالمائة | الدول الثلاث الاولى |
|---|---|---|---|
| السوق الاوروبية المشتركة(٩) | ١٤٣،٣٠ | ٢٨،٥ | المانيا الغربية — هولنده — بلجيكا |
| افريقيا(١٠) | ١٧ | ٣،٤ | غانا — نيجيريا — اثيوبيا |
| امريكا اللاتينية(١١) | ٥ | ١ | كولومبيا — بيرو — البرازيل |
| آســــيا(١٢) | ٦٢،٩٠ | ١٢،٤٠ | هونج كونج — اليابان — تركيا |
| اوروبا الشرقية(١٣) | ٣٣،٦٠ | ٦،٦ | يوغوسلافيا — بولنده — المجر |

**جدول (٤) : الواردات الاسرائيلية من بعض مناطق العالم الرئيسية(١٤)**

| المنطقــة | قيمة الواردات بمليون دولار | النسبة بالمائة | الدول الثلاث الاولى |
|---|---|---|---|
| السوق الاوروبية المشتركة | ٢٠١،٧٠ | ٢٤ | المانيا الغربية — هولنده — فرنسا(١٥) |
| افريقيا | ٢٢،٧٠ | ٢،٧ | جابــون — الكونغو برازافيــل — اثيوبيا(١٦) |
| امريكا اللاتينية | ٢١،٧٠ | ٢،٦ | الارجنتين — اورجواي — البرازيل(١٧) |
| آســيا | ٣٢ | ٣،٩ | اليابان — تركيا — ايران(١٨) |
| اوروبا الشرقية | ٢٥،٥٠ | ٣ | يوغوسلافيا — المجر — بولنده(١٩) |

ويمكن ان نحدد أبرز هذه الملامح فيما يلي :

١ — سجــل الميزان التجاري لاسرائيل عام ١٩٦٦ ، عجزا واضحا ، بلغت قيمتــه ٣٣٤،٨٠ مليون دولار . ويعكس هذا العجز ، اعتماد اسرائيل على الواردات الاجنبية من السلع الاستهلاكية والراسمالية ، بل والمواد الغذائية والمواد الخام التي تأتيهــا من الخارج(٢٠).

٢ — ان اسرائيل تصدر بمبلغ اقل ، الى دول أكثر ، وعلى العكس من ذلك ، فهــي تستورد بمبلغ أكبر ، من عدد أقل من الدول . وهذه الحقيقة تعكسها ارقام الصادرات والواردات الاسرائيلية ، وتوزيعها على دول العالم المختلفة . فاجمالي الصادرات الذي تبلغ قيمته ٥٠٣،٤٠ مليون دولار ، يتوزع على ٧٣ دولة ، بينما يجيء اجمالي قيمــة الواردات البالغ ٨٣٨،٢٠ مليون دولار ، من ٦٠ دولة فقط ، وهذا يشير الــى ان اسرائيل تعنى بالدرجة الاولى ، بفتح أسواق أوسع مــن حيث عدد الدول ، امــام بضائعهــا .

٣ — ان ٤٧،٣ ٪ من التجارة الخارجية لاسرائيل ، تتحكم فيها ثلاث دول فقط ، هي الولايات المتحدة ، وبريطانيا ، والمانيا الغربية . وتصل هذه الدول الثلاث على ٣٧ ٪ من جملة الصادرات الاسرائيلية ، كما تأتي منها وحدها ٥٣،٤ ٪ من جملة واردات اسرائيــل .

٤ — بين هذه الدول الثلاث ، تنفرد الولايات المتحدة بالمركز الاول . وتحصل علــى النصيب الاكبر من التجارة الاسرائيلية بما يوازي ٢٢،٤ ٪ من مجموع قيمــة هذه التجارة ، حيث يبلغ نصيبها من الصادرات الاسرائيلية ١٥،٥ ٪ ، ومــن الواردات ٢٦ ٪ .

٥ — يلاحظ ان الدول العشر الاولى ، سواء في جدول الصادرات ، او جدول الواردات الاسرائيلية ، هي دول صناعية متقدمة . ومعنى ذلك ، ان ما يزيد على ثلاثة أربــاع

التجارة الخارجية لاسرائيل يرتبط بهذه الدول، التي لا تخرج عن الولايات المتحدة، ودول غرب اوربا الصناعية ، واليابان(٢١).

٦ ــ وفي نفس الوقت ، فان التعامل التجاري لاسرائيل مع دول العالم النامي (افريقيا ــ آسيا ــ أمريكا اللاتينية ) لا يمثل قيمة مؤثرة . فنصيب هــذه الدول مــن التجــارة الاسرائيلية لا يتعدى ١٢ ٪ ، حيث تحصل على ١٦،٨ ٪ من صادرات اسرائيل ، وتقدم ٩،٢ ٪ من الواردات الاسرائيلية . ويؤكد لنا هذه الحقيقة بشكل حاد ، أن جميع الدول التي لا تتاجر معها اسرائيل ، او التي تقتصر علاقة اسرائيل التجارية بها على جانب واحد ، هي من دول العالم النامي ، وليس بينها دولة واحدة ، تنتمي الى عالم الــدول الصناعية المتقدمة .

ومعنى ذلك ، اننا نواجه بظاهرة واضحة وغالبة على التجارة الخارجية لاسرائيل . فالجزء الاكبر من هذه التجارة يتجه الى الولايات المتحدة والدول الصناعية المتقدمة ، ويتركز في عدد محدود من الدول ، يدور حول المحور المثلث الذي تمثله الولايات المتحدة وبريطانيا ، والمانيا الغربية . يقابل ذلك اتجاه ضئيل من حيث القيمة الى الدول النامية، وان حرص هذا الاتجاه على التوسع والانتشار من حيث العدد .

وبوضوح أكثر ، فان نصف التجارة الخارجية لاسرائيل تقريبا ، تتحكم فيه ثلاث دول ، بينما ١٢ ٪ فقط من هذه التجارة ، يتوزع على ما يقرب من ٤٠ دولة .

واذا كان هذا يفسر لنا من جانب ، الواقع المادي للعلاقة الخاصة بين اسرائيل وكل من الولايات المتحدة وبريطانيا والمانيا الغربية ، فانه يكشف لنا من جانب اخر ، عن طبيعة السياسة الاسرائيلية التي تعتمد على الانتشار في دول العالم النامي ، والحرص على أن يكون لها موطىء قدم ، في اكبر عدد ممكن من دول افريقيا وآسيا ، وامريكا اللاتينية .

## ثانيا : التجارة الخارجية لاسرائيل بعد ١٩٦٧

في عام ١٩٦٧ ، بلغت قيمة الصادرات الاسرائيلية ٥٥٤،٥٠ مليون دولار ، بزيــادة ٥١،١٠ مليون دولار عن عام ١٩٦٦ ، أي بنسبة ١٠ ٪ . ثم ارتفعت في عام ١٩٦٨ الى ٦٣٩،٢٠ مليون دولار ، بزيادة ١٣٥،٨٠ مليون دولار عن عام ١٩٦٦ ، أي بنسبة ٢٧ ٪ ، وفي عام ١٩٦٩ ، بلغت قيمة الصادرات الاسرائيلية ٧٢٩،٣٠ مليون دولار ، بزيــادة ٢٢٥،٩٠ مليون دولار عن عام ١٩٦٦ ، اي بنسبة ٤٥ ٪ ثم ارتفعت عام ١٩٧٠ ، الى ٧٧٥،٩٠ مليون دولار ، بزيادة قدرها ٢٧٢،٥٠ مليون دولار عن عام ١٩٦٦ ، اي بنسبة ٥٤ ٪ ، واخيرا وصلت الى ٩٥٧،٢٩ مليون دولار عام ١٩٧١ ، بزيادة قدرها ٤٥٣،٨٩ مليون دولار عن عام ١٩٦٦ ، اي بنسبة ٩٠ ٪ .

وفيما يتعلق بالواردات الاسرائيلية ، فقد هبطت قيمتها الاجمالية من ٨٣٨،٢٠ مليــون دولار عام ١٩٦٦ ، الى ٧٧٧،٩٠ مليون دولار عام ١٩٦٧ ، بنسبة نقص قدرها ٧ ٪ . الا أنها عادت فارتفعت عام ١٩٦٨ الى ١١٢٠،٨٠ مليون دولار ، بزيادة عن عام ١٩٦٦ قدرها ٢٨٢،٦٠ مليون دولار ، اي بنسبة ٣٤ ٪ . وفي عام ١٩٦٩ ، وصلت الــى ١٣٣٠،٦٠ مليون دولار ، بزيادة عن عام ١٩٦٦ قدرها ٤٩٢،٤٠ مليون دولار ، اي بنسبة ٥٩ ٪ . وفي عام ١٩٧٠ ، بلغ اجمالي قيمة الواردات الاسرائيلية ١٤٥١،٢٠ مليون دولار(٢٢)، بزيادة عن عام ١٩٦٦ قدرها ٦١٣ مليون دولار ، اي بنسبة ٧٣ ٪ ، واخيرا ، قفزت هذه القيمة الى ١٧٨٥،٨٤ مليون(٢٣) دولار عام ١٩٧١ ، بزيادة قدرها ٩٤٧،٦٤ مليون دولار عن عام ١٩٦٦ ، اي بنسبة ١١٣ ٪ .

ويوضح الجدولان التاليان ، ترتيب الدول العشر الاولى بالنسبة لكل من الصادرات والواردات الاسرائيلية خلال أعوام ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ١٩٧٠ ، وقيمة الصادرات او الواردات لكل منها ، ونسبة ما تحصل عليه هذه الدول العشر من الصادرات ، أو الواردات الاسرائيلية .

## جدول ( ٥ ) : ترتيب الدول العشر الاولى في جدول الصادرات الاسرائيلية للسنوات : ١٩٦٧ ـــ ١٩٦٨ ـــ ١٩٦٩ ـــ ١٩٧٠ (٢٥)

| ١٩٦٧ | | ١٩٦٨ | | ١٩٦٩ | | ١٩٧٠ | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| الدولة | القيمة بمليون دولار | الدولة | القيمة بمليون دولار | الدولة | القيمة بمليون دولار | الدولة | القيمة بمليون دولار |
| الولايات المتحدة | ٨٩،٦٩٠ | الولايات المتحدة | ١١٩،٧٠ | الولايات المتحدة | ١٢٥،٧١ | الولايات المتحدة | ١٤٩،٢٠ |
| بريطانيا | ٧٠،٥٠ | بريطانيا | ٧٠،٦٠ | بريطانيا | ٧٤،٨٥ | بريطانيا | ٨١،٧٥ |
| المانيا الغربية | ٥٩،٤٠ | المانيا الغربية | ٥٧،٩٠ | المانيا الغربية | ٦٣،٤٦ | المانيا الغربية | ٦٦،٧٤ |
| بلجيكا | ٣٦،٤٠ | بلجيكا | ٤٠،١٠ | بلجيكا | ٤٥،١٨ | هولنده | ٤٦،٠٩ |
| هولنده | .٤١ | هولنده | ٣٢،٢٠ | فرنسا | ٣٦،٩١ | بلجيكا | ٣٩،٥٠ |
| سويسرا | ٢٧،٣٠ | فرنسا | ٣٠،٥٠ | سويسرا | ٣٤،٥٦ | فرنسا | ٣٨،٦١ |
| فرنسا | ٢٣،٧٠ | سويسرا | ٢٩،٩٠ | هونج كونج | ٣٣،٨٩ | هونج كونج | ٣٦،٩٠ |
| اليابان | ٢١،٢٠ | هونج كونج | ٢٥،١٠ | هولنده | ٣٠،٩٦ | سويسرا | ٣٤،٥٦ |
| هونج كونج | ٢١،١٠ | اليابان | ٢٤،٢٠ | اليابان | ٣٠،٤٢ | اليابان | ٣٢،٣٠ |
| ايران | ١٠،٢٠ | ايران | ١٦،٦٠ | ايران | ١٩،٨٥ | ايران | ٢٢،٣٠ |
| الاجمالي | ٤٠٠،٧٠ | الاجمالي | ٤٤٦،٨٠ | الاجمالي | ٥٠٥،٧٩ | الاجمالي | ٥٤٧،٩٥ |
| النسبة بالمائة | ٧٢ | النسبة بالمائة | ٧٠ | النسبة بالمائة | ٦٩،٤ | النسبة بالمائة | ٧٠،٥ |

## جدول ( ٦ ) : ترتيب الدول العشر الاولى في جدول الواردات الاسرائيلية للسنوات : ١٩٦٧ ـــ ١٩٦٨ ـــ ١٩٦٩ ـــ ١٩٧٠ (٢٦)

| ١٩٦٧ | | ١٩٦٨ | | ١٩٦٩ | | ١٩٧٠ | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| الدولة | القيمة بمليون دولار | الدولة | القيمة بمليون دولار | الدولة | القيمة بمليون دولار | الدولة | القيمة بمليون دولار |
| الولايات المتحدة | ١٩٥،٧٠ | الولايات المتحدة | ٢٤٥،٤٠ | الولايات المتحدة | ٣١٠،٧٧ | الولايات المتحدة | ٣٢٢،٨١ |
| بريطانيا | ١٤٦ | بريطانيا | ٢١٦ | بريطانيا | ٢٤٥،٤٢ | بريطانيا | ٢٢٣،٢٧ |
| المانيا الغربية | ٦١،٨٠ | المانيا الغربية | ١١٤،٢٠ | المانيا الغربية | ١٥٤،٥٢ | المانيا الغربية | ١٧٣،٣٣ |
| هولنده | ٣٥،٧٠ | ايطاليا | ٥٤،٩٠ | هولنده | ٧١،٢١ | ايطاليا | ٧٦،٠٤ |
| فرنسا | ٣٢،٥٠ | فرنسا | ٥٢،٨٠ | ايطاليا | ٧٠،٢٧ | هولنده | ٧١،١٦ |
| سويسرا | ٢٧،٦٠ | هولنده | ٥١،٥٠ | فرنسا | ٥٢،٠٥ | اليابان | ٦١،٩٨ |
| ايطاليا | ٢٧ | بلجيكا | ٤٣،١٠ | سويسرا | ٥١،٢٦ | بلجيكا | ٦١،٩٣ |
| بلجيكا | ٢٦،٤٠ | سويسرا | ٣٦،٥٠ | بلجيكا | ٤٨،٣٥ | فرنسا | ٦٠،٨٤ |
| اليابان | ١٩،٣٠ | النرويج | ٢٣،٧٠ | السويد | ٣١،٦٨ | سويسرا | ٤٩،٠٨ |
| يوغوسلافيا | ١١،٨٠ | السويد | ١٤،٩٠ | اليابان | ١٨،٩٤ | السويد | ٢٨،٥٠ |
| الاجمالي | ٤٨٣،٨٠ | الاجمالي | ٨٥٣،— | الاجمالي | ١٠٨٤،٤٧ | الاجمالي | ١١٢٨،٩٤ |
| النسبة بالمائة | ٦٢ | النسبة بالمائة | ٧٦ | النسبة بالمائة | ٨١ | النسبة بالمائة | ٧٨ |

وفيما يتعلق بعام ١٩٧١(٢٧)، فقد بلغ اجمالي قيمة الصادرات الاسرائيلية كما اسلفنا ٩٥٧،٢٩ مليون دولار ، توزعت على ٩٣ دولة ، على النحو التالي : ١٩ دولة من أوروبا الغربية ، ٢٤ دولة افريقية ، ٢٢ دولة من امريكا اللاتينية ، ١٧ دولة آسيوية ( بما فيها الصين واليابان )، ٦ دول من اوروبا الشرقية (بما فيها الاتحاد السوفياتي ويوغسلافيا)، هذا بالاضافة الى كل من الولايات المتحدة وكندا ، واستراليا ، ونيوزيلنده ، وجنوب افريقيا .

ومن ناحية أخرى ، جاءت الواردات الاسرائيلية ، التي بلغت قيمتها الاجمالية ١٧٨٥،٨٤ مليون دولار ، من ٨١ دولة ، وذلك على النحو التالي(٢٨): ١٩ دولة من أوروبا الغربية ، ١٨ دولة افريقية ، ١٥ دولة من امريكا اللاتينية ، ١٧ دولة آسيوية ، ٧ دول من اوربا الشرقية ، بالاضافة الى كل من الولايات المتحدة وكندا ، واستراليا ، ونيوزيلنده ، وجنوب افريقيا .

وكانت هناك ٢٤ دولة ، اقتصرت علاقات اسرائيل التجارية بها على جانب واحد ، منها ٦ دول لم ترد في جدول الصادرات الاسرائيلية لعام ١٩٧١ ، وهي كمبوديا — فيتنام الجنوبية — جمهورية افريقيا الوسطى — الكونغو برازافيل — مالي — والاتحاد السوفياتي ، بينما ١٨ دولة صدرت لها اسرائيل دون ان تستورد منها ، وهذه الدول هي : بوليفيا — الدومينكان — السلفادور — هايتي — نيكاراجوا — باربادوس — جامايكا ( في امريكا اللاتينية ) ، وبورما — فيتنام الجنوبية في آسيا ، والكاميرون — تشاد — داهومي — موريشيوس — رواندا — بورندي — السنغال — سيراليون — فولتا العليا(٢٩).

وفي نفس الوقت ، كانت هناك ٦ دول تتعامل معها اسرائيل عام ١٩٦٦ ، اختفت عام ١٩٧١ من جداول التجارة الخارجية لاسرائيل تماما ، وهذه الدول هي : انجولا — موزمبيق — النيجر — روديسيا — الصومال — بولنده(٣٠).

وبالنظر الى جدول الصادرات الاسرائيلية عام ١٩٧١ ، نجد أن عشر دول حصلت على ٧١،٤ ٪ من اجمالي قيمة هذه الصادرات ، كذلك حصلت نفس هذه الدول تقريبا ، مع بعض الفروق البسيطة ، على ٧٩،٥ ٪ من اجمالي قيمة الواردات الاسرائيلية لنفس العام ، وذلك على النحو التالي :

**جدول ( ٧ )** : ترتيب الدول العشر الاولى في جدول الصادرات الاسرائيلية عام ١٩٧١(٣١).

| الدولة | القيمة بمليون دولار |
|---|---|
| الولايات المتحدة | ١٨٥،٧٢ |
| بريطانيا | ٩٧،٠٣ |
| المانيا الغربية | ٨٩،٥٧ |
| هولنده | ٥٧،٦٣ |
| اليابان | ٤٨،١٨ |
| هونج كونج | ٤٥،٢٧ |
| فرنسا | ٤٤،٤٥ |
| بلجيكا | ٤٣،٧٧ |
| سويسرا | ٤٢،٤٨ |
| ايران | ٣٢،٨٨ |
| **الاجمالي** | ٦٨٦،٩٨ |

**جدول ( ٨ )** : ترتيب الدول العشر الاولى في جدول الواردات الاسرائيلية عام ١٩٧١(٣٢).

| الدولة | القيمة بمليون دولار |
|---|---|
| الولايات المتحدة | ٤٢٩،٢٩ |
| بريطانيا | ٢٧٢،٤٩ |
| المانيا الغربية | ٢٣٢،٩٧ |
| ايطاليا | ٨٤،٥٤ |
| فرنسا | ٨٣،٦٧ |
| هولنده | ٧٧،٢١ |
| بلجيكا | ٧٣،١٦ |
| سويسرا | ٦١،٩١ |
| اليابان | ٥٧،٣٧ |
| اليونان | ٤٣،٧٦ |
| **الاجمالي** | ١٤١٧،٣٧ |

اما الصورة التفصيلية للاتجاهات الرئيسية لتجارة اسرائيل عام ١٩٧١ ، فاننا نستطيع أن نحدد ملامحها من واقع توزيع صادرات اسرائيل ووارداتها على مناطق العالم الرئيسية .

ويوضح الجدول التالي اتجاه الصادرات الاسرائيلية عام ١٩٧١ بالنسبة لكل من : السوق الاوروبية المشتركة ، وافريقيا ، وامريكا اللاتينية ، وآسيا ، وأوربا الشرقية ، مع تحديد نسبة صادرات اسرائيل لكل منها ، قياسا على اجمالي صادراتها في العام نفسه ، وترتيب الدول الثلاث الاولى من كل منطقة .

**جدول ( ٩ )** : اتجاه الصادرات الاسرائيلية بالنسبة لبعض مناطق العالم الرئيسية(٣٣)

| المنطقة | قيمة الصادرات الإسرائيلية بمليون دولار | النسبة بالمائة | الدول الثلاث الاولى |
|---|---|---|---|
| السوق الاوروبية المشتركة | ٢٥٧،٨٥ | ٢٧ | المانيا الغربية ــ هولنده ــ فرنسا |
| افريقيا | ٣٨،٠٧ | ٤ | اوغنده ــ نيجيريا ــ كينيا |
| امريكا اللاتينية | ١٥،٩٠ | ١،٦ | بيرو ــ البرازيل ــ الارجنتين |
| آسيا | ١٥٤،٠٨ | ١٦ | اليابان ــ هونج كونج ــ ايران |
| اوروبا الشرقية | ١٧،٢٢ | ١،٩ | رومانيا ــ المجر ــ بلغاريا . |

ويوضح الجدول التالي قيمة الواردات الاسرائيلية من نفس المناطق ، ونسبتها الى جملة واردات اسرائيل ، وترتيب الدول الثلاث الاولى من كل منطقة .

**جدول ( ١٠ )** : الواردات الاسرائيلية من بعض مناطق العالم الرئيسية(٣٤)

| المنطقة | قيمة الواردات بمليون دولار | النسبة بالمائة | الدول الثلاث الاولى |
|---|---|---|---|
| السوق الاوروبية المشتركة | ٥٥١،٥٥ | ٣١ | المانيا الغربية ــ ايطاليا ــ فرنسا |
| افريقيا | ١٦،٨٧ | ١ | افريقيا الوسطى ــ ليبيريا ــ اثيوبيا(٣٥) |
| امريكا اللاتينية | ٢١،٠٩ | ١،٢ | الارجنتين ــ البرازيل ــ اوروجواي |
| آسيا | ٧٢،٩٥ | ٤،١ | اليابان ــ تركيا ــ سنغافورة |
| اوروبا الشرقية | ٣٢،٦١ | ١،٨ | رومانيا ــ بلغاريا ــ المجر(٣٦) |

واذا شئنا أن نستخلص أهم المؤشرات الرئيسية ، والنهائية لهذه الارقام ، بما يرسم صورة متكاملة لما طرأ على حجم وتوزيع التجارة الخارجية لاسرائيل بعد ١٩٦٧ ، من تغيرات ، فاننا نحددها فيما يلي :

١ ــ لقد استطاعت اسرائيل ، عبر تطور ونمو متصل في حجم تجارتها الخارجية ، ان تصل بنسبة الزيادة من حجم هذه التجارة الى ١٠٤،٥ ٪ قياسا على عام ١٩٦٦ . حيث وصلت بنسبة الزيادة في صادراتها الى ٩٠ ٪ (٣٧)، أي ما يقرب من الضعف ، بينما قفزت بنسبة الزيادة في الواردات الى ١١٣ ٪ عن عام ١٩٦٦ ، وذلك برغم هبوط هذه الواردات عام ١٩٦٧ بنسبة ٧ ٪ ، تأثرا بالعدوان ، وكانت هذه هي المرة الوحيدة خلال السنوات الخمس الماضية ، التي لا تتقدم فيها أرقام الواردات الاسرائيلية . ومع ان هذا التطور المتصل في حجم التجارة الخارجية الاسرائيلية ، لم يستطع أن يخفف من مقدار العجز المستمر في الميزان التجاري لاسرائيل ، والذي بلغت قيمته عام ١٩٧١ حوالي ٨٢٨،٥٥ مليون دولار ، الا أن هذا التطور يشير الى ان عدوان ١٩٦٧ ، لم يترك

آثارا سلبية على علاقات اسرائيل التجارية بالعالم الخارجي ، بل على العكس من ذلك ، استمرت هذه العلاقات في النمو بصورة مطردة .

٢ ــ واذا كانت هذه الحقيقة تنطبق على حجم العلاقات التجارية لاسرائيل ، من حيث القيمة ، فانها أشد انطباقا على هذه العلاقات من حيث التوسع والانتشار جغرافيا على امتداد خريطة العالم .

فصادرات اسرائيل ، التي كانت تتجه عام ١٩٦٦ ، الى ٧٣ دولة فقط ، أصبحت تتوزع عام ١٩٧١ على ٩٣ دولة ، كذلك الواردات الاسرائيلية ، التي كانت تجيء من ٦٠ دولة فقط عام ١٩٦٦ ، اصبحت تجيء عام ١٩٧١ ، اي بعد خمس سنوات من العدوان ، من ٨١ دولة ، بحيث اختفى هذا العدد الضخم من الدول التي لم تكن تقيم مع اسرائيل علاقات تجارية على الاطلاق .

٣ ــ وهذه الزيادة في عدد الدول التي تتعامل معها اسرائيل ، تحمل مؤشرا هاما وخطيرا في نفس الوقت يقتضي منا أقصى درجات التنبه . فليس مصادفة بالتأكيد ، ان تكون جميع هذه الدول التي تتعامل مع اسرائيل تجاريا لاول مرة عام ١٩٧١ ، هي من دول العالم النامي ( افريقيا ــ آسيا ــ أمريكا اللاتينية ) وان يقفز بعضها في علاقاته مع اسرائيل ، من الصفر ، الى مركز الصدارة بالنسبة للمنطقة التي ينتمي اليها . واذا كان هذا يشير الى شيء ، فهو أن اسرائيل قد ضاعفت جهودها بعد ١٩٦٧ ــ كرد فعل للعدوان ، وتغطية له ــ من أجل فتح أسواق جديدة لتجارتها ، واقامة علاقات مع اكبر عدد من دول العالم النامي كمنافذ لهذه التجارة ، والواضح ان هذه الجهود قد لقيت استجابة حتى الان ، برغم ما حدث مثلا من قطع بعض الدول الافريقية لعلاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل في الفترة الاخيرة .

فاسرائيل لم تكن توجه صادراتها عام ١٩٦٦ ، الا لـــ ٤٠ دولة من القارات الثلاث ، فأصبحت توجه صادراتها الان الى ٦٢ دولة . كذلك قفز عدد الدول المصدرة لاسرائيل في افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية من ٣٩ دولة عام ١٩٦٦ ، الى ٤٩ دولة عام ١٩٧١ .

ومع هذا التوسع العددي ، فلا زال نصيب هذه الدول من التجارة الاسرائيلية نصيبا محدودا وغير مؤثر ، فلم تتعد نسبته عام ١٩٧١ ، ٧٫٨ ٪ ، حيث كان نصيب هذه الدول من الصادرات الاسرائيلية ١٧٫٧ ٪ ، ومن الواردات ٣ ٪ فقط ، وهذا يؤكد مرة ثانية ، أن اهتمام اسرائيل ينصب بالنسبة لهذه الدول على شيء واحد ، وهو ايجاد « موطىء قدم » فيها ، أو خلق نوع ما من العلاقة معها ، بما يتيح لاسرائيل التنفس ، ومحاصرة الحصار العربي المفروض عليها .

٤ ــ وتطور التجارة الاسرائيلية في السنوات الخمس الاخيرة ، يؤكد قدرا من الثبات النسبي في الهيكل الرئيسي لهذه التجـــارة . فالمراكز الثلاثة الاولى في قائمة الدول التي تتعامل معها اسرائيل ، مغلقة على الولايات المتحدة وبريطانيا والمانيا الغربية ، التي تحتكر نصيبا ثابتا من التجارة الاسرائيلية يقترب من نصف اجمالي قيمة هذه التجارة . وباضافة بقية دول السوق الاوربية المشتركة(٢٨)، واليابان ، وسويسرا وايران ، فان قائمة الدول العشر الاولى في التعامل التجاري مع اسرائيل تكاد تكتمل . وفي عام ١٩٧١ كان نصيب الولايات المتحدة من حجم التجارة الاسرائيلية ٢٢٫٤ ٪ ، اي ما يزيد على خمس هذه التجارة ، فقد كان نصيبها من الصادرات الاسرائيلية ١٩٫٤ ٪ ومن الواردات ٢٤ ٪ .

فاذا جمعنا اليها نصيب بريطانيا والمانيا الغربية ، وجدنا ان هذه الدول الثلاث قد تحكمت في ٥٠ ٪ من التجارة الاسرائيلية عام ١٩٧١ ، وكان نصيبها من صادرات اسرائيل ٣٩ ٪ ، ومن وارداتها ٥٢٫٥ ٪ .

ويشير هذا في الواقع الى جانبين هامين ، فمن ناحية تفرض طبيعة صادرات اسرائيل ووارداتها أن يبقى اقتصادها باستمرار جزءاً من الاقتصاديات الاوربية . فأبرز صادراتها كما اسلفنا يتمثل في الماس المصقول ، وفي الموالح ، كذلك ابرز وارداتها تتمثل في الاحجار الكريمة والمعدات الميكانيكية والكهربائية وهي نوعيات من السلع ترتبط بأنماط الاقتصاد الصناعي ، أكثر مما ترتبط بالاقتصاديات النامية .

ومن ناحية أخرى ، فان هذا يشير الى أن اسرائيل تشعر بالاطمئنان ازاء تركز ما يقرب من ثلاثة أرباع تجارتها الخارجية في عدد محدود من الدول الصناعية المتقدمة ، التي تربطها بها علاقات خاصة وتقليدية تجعل هذا الجزء الضخم والمؤثر مــن التجــارة الاسرائيلية في مأمن من التقلبات او الهزات ، ويجعل ادعاءها بأنها تمثل مركزا حضاريا وصناعيا وسط عالم متخلف ، هو العالم العربي ، يجد قابلية للتصديق لدى هذه الدول .

٥ ــ اننا نستطيع القول بأن هناك عددا من الدول في كل منطقــة من مناطق العالم الرئيسية ، يمثل «ركائز» ثابتة للتجارة الاسرائيلية على مدى السنوات الخمس الاخيرة ، فهناك بريطانيا والمانيا الغربية وهولنده وبلجيكا في أوربا الغربية ، وهناك نيجيريا واثيوبيا في افريقيا ، وهناك البرازيل والارجنتين وبيرو في امريكا اللاتينية ، وهناك اليابان وهونج كونج وتركيا وايران في آسيا ، ثم رومانيا والمجر وبلغاريا في اوروبا الشرقية .

ومع أن كل هذه الدول أو بعضها ، يقدم الحد الادنى من التعاطف مع القضية العربية ، ممثلا في التصويت الى جانب العرب فيما يصدر عن الجمعية العامة للامم المتحدة مــن قرارات سنوية تتعلق بالصراع العربي الاسرائيلي ، الا أن واقع العلاقات الاقتصادية بين هذه الدول واسرائيل يصبح مثار تساؤل ، عن طبيعة المنطق الذي يفصل به هؤلاء ما بين استعدادهم للوقوف الى جانب الحق العربي ، ومطالبتهم بانسحاب اسرائيل من الاراضي العربية التي احتلتها بعدوان ١٩٦٧ ، وما بين استمرار تدفق تيار التبادل التجاري بينهم وبين اسرائيل ، وهو يمثل في ظروف الاحتلال نوعا من تدعيم القدرة الاقتصادية لها ، ومساعدتها على استمرار هذا الاحتلال .

٦ ــ ويقودنا ذلك الى مناقشة بعض « الحالات الخاصة » لبعض الدول في علاقاتهــا التجارية مع اسرائيل ، وما تنطوي عليه هذه الحالات من مدلولات سياسية . فعلى سبيل المثال ، قفزت ايران الى المركز العاشر في جدول الدول التي تصدر لها اسرائيل بعد ١٩٦٧ ، ولم تكن كذلك قبل العدوان ، وبدأ حجم الصادرات الاسرائيلية اليها في تزايد مستمر ، من ١٠،٢٠ مليون دولار عام ١٩٦٧ الى ١٦،٦٠ مليون عام ١٩٦٨ ثم ١٩،٨٥ عام ١٩٦٩ ، و ٢٢،٣٠ عام ١٩٧٠ ، ومرة اخرى الى ٣٢،٨٨ مليون دولار عام ١٩٧١ ، فهل كانت ايران ــ الدولة الاسلامية ــ مستفيدا رئيسيا من العدوان الاسرائيلي على العرب ؟! ومن ناحية أخرى يبرز التطور الــذي طرأ على حجم التبــادل التجاري بين اسرائيل ورمانيا ، من ٥،٢٠ مليون دولار عام ١٩٦٦ ، الى ٣٧،٢٣ مليون دولار عــام ١٩٧١ . ويبدو واضحا أثر هذا التطور في موقف الحياد الذي تحاول رومانيا اتخاذه بين العرب واسرائيل ، حفاظا على مصالحها الاقتصادية مع اسرائيل .

الا أنه تجدر الاشارة الى موقف الاتحاد السوفياتي في هذا الصدد . فلقد كانت صادرات اسرائيل اليه ١،٩٠ مليون دولار عام ١٩٦٦ ، ووارداتها منه في نفس العام مليون دولار، وقد أخذت هذه الارقام في التناقص بوضوح منذ العدوان ، حتــى أصبحت صادرات اسرائيل له عام ١٩٧١ صفرا ، ووارداتها منه لا تتعدى ٠،٠٨ مليون دولار ، اي ٨٠ الف دولار .

## خاتمــة

لقد طرحنا في مقدمة هذه الدراسة سؤالين رئيسيين ، تعهدنا بأن يكون هدفهــا هو

السعي للاجابة عنهما . ومع الاعتراف ببعض الجفاف الذي قد يسببه هذا الحشد من الارقام والبيانات الذي حفلت به الدراسة ، فانها تكاد تكون قد شقت الطريق الى تحقيق الغرض منها .

واذا كان هناك من نتيجة نهائية نستطيع الخروج بها من الدراسة ، فهي أنه يبدو اننا لم ننجح حتى الان في وضع الصورة الحقيقية المتكاملة لاسرائيل أمام العالم، وادارة صراعنا معها باستخدام أكفأ للعناصر الاقتصادية المؤثرة في هذا الصراع .

**وبوضوح أكثر ، فان نتائج الدراسة تعطينا دليلاً على أنه لا تزال هناك دول كثيرة في العالم ، من بينها دول صديقة ، تتصرف ازاء العدوان الواقع على ارضنا ، من منطق الفصل ما بين الاحتلال الاسرائيلي القائم على الارض العربية ، باعتباره حالة موقوتة ، وما بين اسرائيل نفسها ككل ، باعتبارها كيانا استعماريا عنصريا، سوف يبقى باستمرار مصدر تهديد وارهاب لشعوب المنطقة ، طالما وجد الدعم المادي من العالم .**

فهذه الدول التي تعطينا أصواتها في الامم المتحدة مؤيدة للحق العربي ، ومطالبة بانسحاب اسرائيل ، ثم تواصل تدعيم علاقاتها التجارية معها في نفس الوقت ، لم تستطع أن تدرك بعد مدى التناقض بين السياستين ، ولم نستطع نحن أن نصل اليها بحقيقة أن أي علاقة تقيمها هذه الدول مع اسرائيل ، انما تساعد هذا الكيان الاستعماري العنصري على مزيد من التوسع والعدوان ، وان المرحلة الحقيقية في تأييد الحق العربي تأتي ، حين تتم ترجمة هذا التأييد الى اجراءات مادية لمقاطعة اسرائيل ماديا واقتصاديا ، أي التأثير في عناصر القوة التي تستمد منها قدرتها على الاستمرار في الاحتلال والتوسع .

**ولن يقتنع العالم بالطبع بهذا المنطق ما لم نتحرك نحن ، ذلك أنه حتى الدول التي تدرك هذه الحقيقة ، لا تتوقف عن دعمها المادي لاسرائيل ، طالما هي لم تتعرض لمواقف عربية مؤثرة وقوية . وفي هذا المجال ، تصبح « الحرب الاقتصادية العربية ضد اسرائيل » ضرورة حيوية لا بديل عنها . فهذه الحرب ، هي الحرب الوحيدة التي نملك نحن أسلحتها على أرضنا ، وهي الحرب التي نملك أيضا عناصر التفوق الكامـــل فيها ، بطريقة لا يتطرق اليها الشك .**

وربما كان من حسن حظنا ــ لو فكرنا وخططنا ــ أن الولايات المتحدة وأوروبا الغربية ــ وهما كما يبدو واضحا معقل القوة الاقتصادية لاسرائيل ، ومركز الثقل الاقتصادي في علاقاتها الدولية ــ هما في نفس الوقت ، أكثر مناطق العالم تعرضا اليوم لازمة الطاقة التي نملك نحن مصادرها ومنابعها الرئيسية في العالم ، وهما أيضا أكثر مناطق العالم تعرضا لاحتمالات التغلب في نظام النقد الدولي ، الذي تمثل عائدات البترول من يد الدول العربية ، عاملا يمكن أن يقلب هذا النظام رأسا على عقب، اذا ما دخلت ميزان الصراع. فهل نفكر ونخطط كأمة عربية واعية تقف كلها اليوم في مواجهة الخطر ، أم ندع الكيان الصهيوني ينمو ويترعرع في ظل حراب الاحتلال والارهاب ، بغير الوقوف في وجهه ، حتى بما في يدنا فعلا من أسلحة .

---

١ ــ انظر للكاتب « العــرب وأمريكا في مرآة التبادل التجاري بعد ١٩٦٧ » . مجلة الطليعة القاهرية ــ العدد التاسع ــ السنة الثامنة ــ سبتمبر ١٩٧٢ ــ ص ٢٦ .

٢ ــ صدر هذا القرار في ١٠ يونيو ١٩٧١ . انظر السياسة الدولية ، القاهرة، العدد ٢٨ ، السنة الثامنة ــ المجلد الثامن ــ ابريل ١٩٧٢، ص ١٣٧ .

٣ ــ انظر *Direction of Trade, Annual 1966-70.* International Monetary Fund & International Bank for Reconstruction and Development, Washington, U.S.A., pp. 242-243.

٤ ــ المرجع السابق ، ص ٢٤٢ ــ ٢٤٣ .

٥ ــ المرجع السابق ، ص ٢٤٢ ــ ٢٤٣ .

٦ ــ بالاضافة الى ذلك ، كانت هناك ١٦ دولة تتخذ علاقاتها التجارية مع اسرائيل شكل العلاقات

من جانب واحد . منها ثلاث دول استوردت منها اسرائيل دون ان تصدر لها شيئا ، وهي بنما ، وسيلان ، وجابون ، و١٣ دولة تصدر لهـا اسرائيل دون ان تستورد منها وهي : بوليفيا ــ كوستاريكا ــ نيكاراجوا ــ نيبال ــ الفلبين ــ فيتنام الجنوبية ــ تشاد ــ مالاجاش ــ مالاوي ــ موريشيوس ــ رواندا ــ سيراليون ــ زامبيا . [ **المرجـع السابـق** ، ص ٢٤٢ ــ ٢٤٣ ] .

٧ ــ تم تشكيل الجدول من الارقام الواردة بصفحتي ٢٤٢ ــ ٢٤٣ ــ **المرجع السابق** .

٨ ــ تم تشكيل الجدول من الارقام الواردة بصفحتي ٢٤٢ ــ ٢٤٣ ــ **المرجع السابق** .

٩ ــ **المرجع السابق** ، ص ٩٧ . ويلاحظ ان الدول الثلاث الاولى هي نفسهـا التي تحتل المركز الثالث ، والرابع والخامس في ترتيب الدول العشر الاولى بجدول الصادرات الاسرائيلية رقم ( ١ ) .

١٠ ــ **المرجع السابق** ، ص ٧٧ . وقد بلغت قيمة صادرات اسرائيل لغانا ٤٤٩٠ مليون دولار ، ولنيجيريا ٣ ملايين دولار ، ولاثيوبيا ١٨٨٠ مليون دولار .

١١ ــ **المرجع السابق** ، ص ٥٣ . وقد بلغت قيمة صادرات اسرائيل لكولومبيا ١٢٢٠ مليون دولار ، ولبيرو ٠٤٩٠ مليون دولار ، وللبرازيل ٠٤٧٠ مليون دولار .

١٢ ــ **المرجع السابق** ، ص ٧١ . تجدر الاشارة الى ان تقرير صندوق النقد الدولي يحذف من الدول الاسيوية كلا من اليابان التي يضعها بين الدول الصناعية تحت عنوان : Industrial Countries ، والصين التي يضعها بين ما يسميه Soviet Area ، التي تضم الاتحـاد السوفياتي ، ودول أوربا الاشتراكية ، كذلك يحذف التقرير تركيا ليضعها بين الدول الاوربية. ونظرا لاننا نعتمد في هذا الجدول على بيـان اتجاهات الصادرات الاسرائيلية ، بالنسبـة لمناطق جغرافية متكاملة ، فقد قمنا باضافة الدول الثلاث الى حساب الدول الاسيوية ، ليكون تعبير آسيا في كل مواضع الدراسة ، متضمنا اليابان والصين وتركيا .

١٣ ــ **المرجع السابق** ، ص ٨٥ . تم حذف الصين من بين هذه الدول ، وأضيفت يوغوسلافيا ، التي بلغت قيمة صادرات اسرائيل لها ١١٤٢٠ مليون دولار ، ولبولندا ٨٤٣٠ مليون ، وللمجر ٥٤٤٠ مليون .

١٤ ــ **المرجع السابق** ، ص ٩٧ ، ٧٧ ، ٥٣ ، ٧١ ، ٨٥ على التوالي حسب ترتيب المناطق بالجدول ، ومع مراعاة الملاحظتين المدرجتين في الهامش رقم ( ١٢ ) ، ( ١٣ ) .

١٥ ــ يلاحظ أن هذه الدول الثلاث تحتل ايضا المركز الثالث والرابع والخامس على التوالي ، في ترتيب الدول العشر الاولى المصدرة لاسرائيل عام ١٩٦٦ ( جدول رقـم ٤ ) ، وان الاولى والثانية منها ، تحتفظ بنفس ترتيبها في جدول الصادرات الاسرائيلية لدول السوق ( جدول رقم ٣ ) .

١٦ ــ بلغت قيمة واردات اسرائيل من جابون ٢٤٩٠ مليون دولار ، ومن الكونغو برازافيل ١٤٧٠ مليون دولار ، ومن اثيوبيا ١٤٦٠ مليون دولار . ويلاحظ احتفـاظ اثيوبيا بمركزها في الواردات الاسرائيلية كما في الصادرات . **المرجع السابق** ، ص ٢٤٣ .

١٧ ــ بلغت قيمة واردات اسرائيل من الارجنتين ١٥٤٤٠ مليون دولار ، مما جعل الاخيرة تدخل ضمن الدول العشر الاولى المصدرة لاسرائيل ( جدول رقم ٤ ) . بينما لم تزد صادرات اسرائيل لها عن ٠٤٤٠ مليون دولار . اما اورجواي ، فقد بلغت قيمة واردات اسرائيل منهـا ٢ مليون دولار ، والبرازيل ١٤٤٠ مليون دولار . ويلاحظ ان مركز البرازيل ظل ثابتا في الواردات كما في الصادرات ، من حيث ترتيبها بين الدول التي تتعامـل معها اسرائيل في امريكـا اللاتينية . **المرجع السابق** ، ص ٢٤٢ .

١٨ ــ بلغت قيمة واردات اسرائيل من اليابـان ٢٠٤٧٠ مليون دولار ، ومـن تركيا ٧ ملايين دولار ، ومن ايران ١٤٣٠ مليون دولار . ويلاحظ احتفاظ كل من اليابـان وتركيا بالاسبقية في الواردات والصادرات . **المرجع السابق** ، ص ٢٤٢ ــ ٢٤٣ .

١٩ ــ هذه الدول هي نفسها الدول الثلاث الاولى في جدول الصادرات الاسرائيلية لاوربا الشرقية.

٢٠ ــ انظر :

*The Middle East and North Africa, 1971, 72, A survey and reference book,* Eighteenth Edition, Europa Publications Limited, London, 1971, p. 321.

٢١ ــ **المرجع السابق** ، ص ٣٢١ .

٢٢ ــ أرقام الصادرات والواردات من ١٩٦٦ حتى

١٩٧٠ مأخوذة من :

*Direction of Trade, Annual 1966-70,* International Monetary Fund & International Bank for Reconstruction and Development, Washington, *U.S.A., pp. 242-243.*

٢٤ ــ ارقام الصادرات والواردات الخاصة بعام ١٩٧١ مأخوذة من :

*Direction of Trade,* I.M.F. & I.B.R.D., September 1972, pp. 55, 56.

٢٥ ــ تم تشكيل هذا الجدول من الارقام الواردة بصفحتي ٢٤٢ ــ ٢٤٣ من :

*Direction of Trade, Annual 1966-70.*

السابق الاشارة اليه . وقد استخرجت النسب قياسا على ارقام الصادرات الاسرائيلية الاجمالية بالنسبة لكل سنة على حدة .

٢٦ ــ تم تشكيل الجدول من الارقام الواردة بصفحتي ٢٤٢ ــ ٢٤٣ **بالمرجع السابق** ، واستخرجت النسب قياسا على أرقام الواردات الاسرائيلية الاجمالية بالنسبة لكل سنة على حدة .

٢٧ ــ *Direction of Trade,* I.M.F. & I.B.R.D., Washington, U.S.A., September 1972, pp. 55, 56.

٢٨ ــ **المرجع السابق** ، ص ٥٥ ، ٥٦ .

٢٩ ــ يلاحظ ان من بين الدول التي اقتصرت علاقات اسرائيل التجارية معها على جانب واحد، ١١ دولة لم تكن لاسرائيل علاقات تجارية معها على الاطلاق عام ١٩٦٦ . اي ان التجارة معها من جانب واحد يمثل عنصرا ايجابيا بالنسبة لموقف اسرائيل عام ١٩٦٦ ، خصوصا اذا عرفنا ان ثماني من هذه الدول كان الجانب الواحد معها في صالح اسرائيل، اي صادرات اسرائيلية لها ، دون ان تستورد منها اسرائيل شيئا ، وهذه الدول هي الكاميرون والسنغال وفولتا العليا في افريقيا، وبورما في آسيا، والدومينكان والسلفادور وهايتي ، وباربادوس في امريكا اللاتينية .

٣٠ ــ يمثل اختفاء بولنده من جدول التعامل التجاري مع اسرائيل ظاهرة هامة خصوصا وانها كانت تحتل مركزا ثابتا في التعامل معها عام ١٩٦٦ .

٣١ ــ تم تشكيل الجدول من الارقام الواردة بصفحتي ٥٥ ، ٥٦ من **المرجع السابق** .

٣٢ ــ تم تشكيل الجدول من الارقام الواردة بصفحتي ٥٥ ، ٥٦ من **المرجع السابق** . ويلاحظ درجة التركز الشديد في الواردات الاسرائيلية بالنسبة للدول الثلاث الاولى . ويبدو ذلك من مقارنة أرقام واردات اسرائيل من هذه الدول ، بأرقام وارداتها من بقية الدول العشر بنفس الجدول .

٣٣ ــ تم تشكيل الجدول من الارقام الواردة بصفحتي ٥٥ ، ٥٦ من **المرجع السابق** .

٣٤ ــ تم تشكيل الجدول من الارقام الواردة بصفحتي ٥٥ ، ٥٦ من **المرجع السابق** .

٣٥ ــ يلاحظ ان كلا من افريقيا الوسطى وليبيريا ، لم تكن لها اية علاقات تجارية مع اسرائيل عام ١٩٦٦ ، ومع ذلك قفزت واردات اسرائيل من الاولى ، من الصفر الى ٣،٤٢٩ مليون دولار ، ومن الثانية الى ٣،١٨ مليون دولار .

٣٦ ــ يلاحظ ان اسرائيل ركزت تجارتها الخارجية بالنسبة لاوربا الشرقية ، في هذه الدول الثلاث.

٣٧ ــ بالرغم من ان ٨٥٪ تقريبا من الانتاج الصناعي لاسرائيل يذهب للاستهلاك المحلي ، الا أن الصادرات الصناعية تشكل ما يقرب من نصف اجمالي الصادرات الاسرائيلية . ويمثل الماس أهم هذه الصادرات ، حيث يتخصص الاسرائيليون في صقل خاماته التي يستوردونها من بلجيكا وهولندا ، ويعيدون تصديرها مرة اخرى . وتعد اسرائيل الان ثاني دولة بعد بلجيكا في الانتاج العالمي للماس . ولعل ذلك هو السر في ارتفاع ارقام الصادرات الاسرائيلية . انظر :

*The Middle East and North Africa, 1971-72,* p. 319.

٣٨ ــ يحتل التكامل الاقتصادي مع اوروبا الغربية مكانا هاما في الاستراتيجية الاسرائيلية ، لا يوازيه الا محاولاتها المستميتة في فرض الاندماج على العالم العربي . وفي هذا الاتجاه ، عقدت اسرائيل في يونيو ١٩٧٠ اتفاقية تفضيلية للتجارة مع دول السوق الاوروبية المشتركة مدتها ٥ سنوات تتضمن خفضا للتعريفة الجمركية على الصادرات الزراعية والصناعية الاسرائيلية لدول السوق قدره ٤٥٪ ، و ٤٠٪ بالنسبة لصادرات اسرائيل من الموالح ، مقابل ان تضمن اسرائيل خفضا جمركيا على وارداتها الصناعية والزراعية من دول السوق يتراوح بين ١٠ و ٢٥٪ . **المرجع السابق** ص ٣٢١ .

# المياه في اسرائيل
# الوضع الراهن والتوقعات

خليل ابو رجيلي

ادركت الحركة الصهيونية منذ نشأتها وبداية استعمارها للاراضي العربية في فلسطين أهمية المياه لتحقيق سياسة استيطان متناسقة في مختلف الاراضي الفلسطينية وتثبيت اقدام الاقتصاد الصهيوني فيها ، لذلك اصر قادة الحركة الصهيونية منذ البداية على أن تشمل حدود الوطن القومي على مصادر المياه الضرورية لتطوير الحياة الاقتصادية والاجتماعية في فلسطين . ولبس سعيها هذا عدة وجوه ، اعلامية وسياسية واستيطانية .

فعلى الصعيد الاعلامي النظري الذي كان ينعكس في مجلة « فلسطين » شدد بن غوريون واسحق بن زفي ، من القادة البارزين في الحركة ومن مؤسسي دولة اسرائيل فيما بعد ، على ضرورة السيطرة على منابع المياه لضمان الاقتصاد الفلسطيني . يقول الاثنان في مقالة بعنوان «حدود فلسطين ومساحتها» ما نصه : « ان الحياة الاقتصادية في فلسطين ( ... ) تعتمد على مصادر المياه الموجودة في شمالي فلسطين . ومن الاهمية والحيوية بمكان ان تضمن فلسطين استمرار تدفق المياه التي تروي البلاد حاليا ثم وان تتمكن ايضا من تخزينها والسيطرة عليها عند منابعها . ان جبل الشيخ هو ابو مياه فلسطين الحقيقي ولا يمكن فصله عنها دون تعريض حياتها الاقتصادية للخطر ( ... ) يجب ان يخضع هذا الجبل خضوعا كليا لسيطرة الذين يستفيدون منه الى الحد الاقصى »(١) .

اما على الصعيد السياسي فطالبت الحركة الصهيونية ، في المحافل الدولية وباتصالاتها المباشرة مع الدول الكبرى ، وخاصة بريطانيا ، بضرورة شمول الحدود الشمالية والشمالية الشرقية على مصادر المياه لتوفير مجال اقتصادي رحب لفلسطين الصهيونية. تقول المذكرة الصهيونية التي قدمت الى مؤتمر السلم المنعقد في باريس بأن « حدود فلسطين سوف تتبع الخطوط العامة الموضوعة كما يلي : تبدأ من الشمال عند نقطة على البحر الابيض المتوسط بالقرب من صيدا وتتبع منابع المياه التي تنبع من سفوح سلسلة جبال لبنان حتى جسر القرعون ثم الى البير وتتبع الخط الفاصل بين حوض وادي القرن ووادي التيم ثم الى اتجاه جنوبي يتبع الخط الفاصل بين المنحدرات الشرقية والغربية لجبل الشيخ »(٢) . وهذا يعني ان يضم الوطن القومي الصهيوني نهر الاردن ومنابعه وروافده ، ونهر الليطاني ، والينابيع والانهار والمياه الجوفية المتوفرة في جنوبي لبنان بالاضافة الى المياه الجوفية المتوفرة في سفوح جبل الشيخ اي ما يقارب من ٣٫٤٥٠٫٠٠٠٫٠٠٠ متر مكعب مفصلة كما يلي : ١٫٩٦٥٫٠٠٠٫٠٠٠ متر مكعب من مياه نهر الاردن ، ١٫١٤٧٫٠٠٠٫٠٠٠ متر مكعب من مياه جنوبي لبنان ، ٣٨٧٫٠٠٠٫٠٠٠ متر مكعب من المياه الجوفية . هذا باستثناء مصادر المياه الاخرى المتوفرة في فلسطين والمقدرة بمليار ومئتي مليون متر مكعب من المياه .

اما على الصعيد الاستيطاني فقد اقام المستوطنون الصهيونيون المستعمرات في شمالي فلسطين حول منابع الاردن العليا وقرب مجرى نهر الليطاني وفي وادي الاردن الاعلى حول حوض بحيرة طبريا قرب نهر اليرموك . ففي الجليل الاعلى المتاخم للحدود اللبنانية قرب قضائي مرجعيون وحاصبيا اقام المستوطنون الصهيونيون بين سنة ١٨٨٢ و ١٨٩٦ خمس مستوطنات بلغت مساحة اراضيها في عام ١٩١٥ ٨٤٥٣٠ دونما يقع ثلثها في سهل مرجعيون وخراج قرية دير ميماس المشرفة على حوض الليطاني ، اما في الجليل الادنى، في حوض بحيرة طبريا ، فاقام المستوطنون الصهيونيون احدى عشرة مستوطنة بين سنة ١٨٩٩ و ١٩١٣ بلغت مساحتها عام ١٩١٥ ٩١٤٤٢ دونما(٣) وهذه المستعمرات تطوق بحيرة طبريا وتشرف على نهر اليرموك احد الروافد الرئيسية لنهر الاردن . وكان الهدف من انشاء هذه المستعمرات في الجليل الاعلى والادنى دعم الجهود الاعلامية والسياسية للحركة الصهيونية وفرض سياسة الامر الواقع في حال فشل تلك الجهود .

الا ان تلك المرحلة من نشاط الحركة الصهيونية لم يكتب لها النجاح لان الاتفاق البريطاني الفرنسي افقدها ، على حد زعمها ، الليطاني والاردن الاعلى وجنوبي لبنان وجبل الشيخ وحوران . لكن خلال الانتداب البريطـــاني على فلسطين حـــاولت الحركة الصهيونية باسلوب اخر السيطرة على مصادر المياه وذلك من خلال المشاريع التي قدمتها لحكومة الانتداب لاستغلال المياه في فلسطين ومن خلال العـــروض التي قدمت لحكومة لبنـــان لاستغلال الثروة المائية فيه عام ١٩٤١(٤).

أهم المشاريع التي قدمتها الحركة الصهيونية لاستغلال المصادر المائية في فلسطين كان مشروع المهندس الاميركي والتر كلاي لودر ميلك الذي وضع دراسة عام ١٩٤٤ سماها « فلسطين ارض الميعاد » إستهلها بحديث عن تاريخ فلسطين وجغرافيتها فاشاد بتفوق الشعب اليهودي وتغنى بمنجزاته الضخمة ودعـــا الى تشجيع الهجـــرة اليهودية الى فلسطين لاستعمار اراضيها التي لا تزال صحراء على حد زعمه . وبالمقابل صور الشعب الفلسطيني شعبا خاملا ومتخلفا ودعا الى نقله الى وادي دجلة والفرات وتوطينه هناك لافساح المجال في فلسطين لاستقبال عدد اكبر من المهاجـــرين الصهيونيين(٥). يرتكـــز مشروع هذا المهندس الصهيوني الميول ، على استعمال كافة مياه نهر الاردن لري وادي الاردن الغربي وصحراء النقب لذلـــك رفض العرب المشروع في حينه لانه يشجع على زيادة هجرة الصهيونيين الى فلسطين ويتجاهل حقوق البلدان العربية المجاورة بمياه نهر الاردن وطالب العرب بان تستفيد من مياه نهر الاردن البلدان العربية المجاورة للنهر وان تستعمل مياه هذا النهر لري حوض الاردن فقط ورفضوا رفضا باتا جـــر مياهه لري صحراء النقب البعيد . وازاء الرفض العربي طوت حكومة الانتداب المشروع مؤقتا(٦)، فعادت الحركة الصهيونية بعد اربع سنوات وقدمت مشروعا اخر عـــام ١٩٤٨ وضعه المهندس هايز . وهذا المشروع هو في الواقع تطبيق عملي للاقتراحات الاساسية التي وردت سابقا في مشروع لودر ميلك لان الحركة الصهيونية كانت مصممة على الحفـــاظ على الخطوط الاساسية لمشروع المهندس الاميركي . وقد رفض هذا المشروع ايضا من قبل العرب لنفس الاسباب التي ادت الى رفض مشروع لودر ميلـــك ، لانه لا يراعي سوى مصالح الحركة الصهيونية(٧).

وهكذا تكون الحركة الصهيونية قد فشلت عام ١٩١٩ وعام ١٩٤٨ بتأمين السيطرة على منابع المياه ومصادرها في شمالي وشرقي فلسطين . وقامت دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ ولم تكن الحركة الصهيونية قد حققت بعد السيطرة على المياه الكافية لسد حاجات الدولة الجديدة وتوسيع رقعة الاستيطـــان لاستيعاب اعـــداد كبيرة من المهاجـــرين الجدد . فاضطرت الدولة الجديدة تحت ضغط المهاجرين الجدد الذين توافدوا عليها لبذل « جهود مستميتة »(٨) للتعجيل في استغلال مصادر المياه المتوفرة لديها ، فانشأت الاطر الادارية

والفنية للاشراف على استثمار المياه وتنظيم توزيعها واستهلاكهـا اجتنابا لهدرهـا . وسندرس فيما يلي الاطر الادارية والفنية التي تشرف على استثمار المياه ثم نبحث عن الخطط التي وضعت لاستغلال المياه والاموال التي انفقت على هذه الخطط . وسندرس اخيرا تطور استهلاك المياه في اسرائيل وحاجاتها اليه في المستقبل .

**اولا ــ الاطر الادارية والفنية التي تشرف على استثمار المياه :**

تشرف على استثمار المياه في اسرائيل وزارة الزراعة الاسرائيلية والاجهزة المتعاونة معها وفيما يلي شرح مفصل للدور الذي تقوم به هــذه المؤسسات في عملية استثمار الموارد المائية في اسرائيل .

١ ــ وزارة الزراعة : تقوم وزارة الزراعة بتنظيم توزيع المياه على المستهلكين فتخصص حصة سنوية من المياه لكل المستهلكين لها في الزراعة والصناعة والمــدن . وهي التي تمنح الاجازات لحفر ابار جديدة واستغلال المصادر المائية المتوفرة كما تجري الابحاث والاختبارات الضرورية لترشد المزارعين على افضل طرق الري لتجنب هدر المياه .

٢ ــ مجلس المياه : انشيء هذا المجلس عام ١٩٥٩ بموجب قانون المياه الــذي اقره الكنيست خلال تلك السنة . يراس المجلس وزير الزراعــة ويتألف من مختلف الهيئات المرتبطة بتنمية مصادر المياه واستهلاكها . يتولى المجلس وضع سياسة لاسعار المياه لدى مختلف المستهلكين لها في الزراعة والصناعة والمدن ويتولى ايضا الاشراف عــلى مختلف الاجهزة العاملة في المياه لتنسيق اعمالها .

٣ ــ شركة تاحال : شركة اسرائيلية مساهمة ، تملك الحكــومة الاسرائيلية ٥٢٪ من اسهمها ويملك القسم الباقي بالتساوي الوكالة اليهودية والصندوق القومي اليهودي . تتولى هذه الشركة وضــع الخطط لاستثمار الموارد المائية المتوفرة في البــلاد . يقتصر دورها على اجراء الدراسات لانماء وتطوير مصادر المياه وتحسين طرق استثمارها .

٤ ــ شركة ميكوروت : شركة اسرائيلية مساهمة تتقاسم ملكيتهـا بالتساوي الحكومة الاسرائيلية والهستدروت والوكالة اليهودية بالاشتراك مع الصندوق القومي اليهودي . تنفذ هذه الشركة خطط استثمار المصادر المائية التي تضعها شركة تاحال وتؤمن ايصال المياه الى المدن والمستوطنات الصهيونية في فلسطين المحتلة . تستخدم هذه الشركة اكثر من ١٢٠٠ عامل وفني بصورة دائمة وتتراوح ميزانيتها السنوية لتسيير الاعمال الجارية، باستثناء ميزانية المشاريع الانشائية ، بين ٢٠ و ٣٠ مليون دولار(٨).

٥ ــ الوكالة اليهودية ، دائرة المياه : تأخذ الوكالة اليهودية على عاتقها تأمين الميــاه للمستوطنات الصهيونية الجديدة التي انشئت بعد عام ١٩٤٨ لانها هي المسؤولة المباشرة عن توطين المهاجرين اليهود الجدد في الاراضي الفلسطينية المحتلة .

٦ ــ السلطة المحلية : تتولى ادارة المستوطنة او المدينة القيام ، على نفقتها الخاصة ، بمد الشبكات اللازمة من القنوات والانابيب لايصال المياه اليها من المشاريع الاقليمية او الوطنية .

**ثانيا ــ استغلال المياه :**

هذه هي مختلف الاجهزة الفنية والادارية التي تخطط لاستثمار الموارد المائية في فلسطين المحتلة والتي تشرف في نفس الوقت على تنفيذ هذه الخطط وتوزيــع المياه الى مختلف المستهلكين . لكن مهمتها صعبة للغاية لان الموارد المــائية المتوفرة في فلسطين تقع في شمالها حيث تكثر الامطار والينابيع بينما تقع الاراضي التي يجب استصلاحها وريهــا لتوطين المهاجرين في الجنوب حيث تنخفض كميات الامطار السنوية وتندر الينابيع . لذلك كانت معظم المشاريع المائية الاسرائيلية تنطلق من الشمال الى الجنوب . وقد وضعت

هذه الاجهزة حتى الان ثلاث خطط لاستثمار الموارد المائية في فلسطين . وضعت الخطة الاولى في شهر تشرين الاول عام ١٩٥٣ وكانت مدتها سبع سنوات هدفها زيادة كمية المياه المستعملة في اسرائيل من ٨١٠ ملايين متر مكعب عام ١٩٥٣ الى ١٧٣٠ مليون متر مكعب في نهاية مدة الخطة ، وزيادة مساحة الاراضي المروية من ٦٠٠ الف دونم الى مليون وثمانمئة الف دونم(١٠) . لكن هذه الخطة عدلت عام ١٩٥٦ بعد ان فشلت مساعي اريك جونستون ، المبعوث الخاص للرئيس الاميركي ايزنهاور الذي كان مكلفا بالتوسط بين العرب واسرائيل لاستثمار مياه حوض الاردن وفق المشروع الذي وضعه المهندس تشارلز ماين عام ١٩٥٣ لتقاسم مياه نهر الاردن بين العرب واسرائيل .

اما الخطة الثانية فوضعتها شركة تاحال بالتعاون الوثيق مع فريق من خبراء المياه الامريكيين يرأسه الدكتور ابيل ولمان استاذ الهدرولوجيا في جامعة بلتيمور . مدة الخطة عشر سنوات ترتفع خلالها كمية المياه من ٩٠٠ مليون متر مكعب عام ١٩٥٦ الى ١٨٠٠ مليون متر مكعب عام ١٩٦٥ وترتفع في المقابل مساحة الاراضي المروية من ٨٨٠ الف دونم الى ثلاثة ملايين دونم . وكان المحور الرئيسي لهذه الخطة تحويل مياه نهر الاردن قرب جسر بنات يعقوب وتخزينه في سهل البطوف وجر مياهه الى النقب لريه بغية تسهيل استيطانه(١١) . وعدلت هذه الخطة عام ١٩٦١ بحيث اصبحت بحيرة طبريا خزانا رئيسيا للمياه بدل سهل البطوف الذي تبين انه يسرب المياه ، واصبح اسم المشروع بحيرة طبريا — النقب ، وهذا المشروع هو العمود الفقري والاطار الرئيسي لجميع المشاريع المائية في اسرائيل ويجسد الى حد بعيد التحدي الاسرائيلي للمشاعر العربية واغتصاب حقوقهم في مياه نهر الاردن .

وضعت الخطة الثالثة شركة تاحال بالتعاون مع مجلس المياه . مدة الخطة سبع سنوات تمتد من عام ١٩٦٦/٦٧ الى عام ١٩٧٣/٧٤ وتهدف الى زيادة الفعالية الاقتصادية والاجتماعية للمياه المستهلكة . وتنفذ على مرحلتين ، المرحلة الاولى امتدت من سنة ١٩٦٦/٦٧ الى ١٩٦٨/٦٩ وتوظف فيها ١٩٧ مليون ليرة اسرائيلية لزيادة كمية المياه ٩٢ مليون متر مكعب اما المرحلة الثانية التي تنتهي عام ١٩٧٣/٧٤ فيوظف فيها ٤٥٠ مليون ليرة اسرائيلية لزيادة كمية المياه ٢٠٠ مليون متر مكعب(١٢) .

هذه هي الخطوط الكبرى التي وضعت خلال ربع القرن الذي مضى منذ انشاء دولة اسرائيل في الاراضي العربية المحتلة من فلسطين . اما على الصعيد العملي فقد تجسدت هذه الخطط بمشاريع على مستوى المستوطنات والمناطق والبلاد ، فكانت هناك مشاريع محلية ومشاريع اقليمية ومشاريع وطنية للمياه . والمشاريع المحلية هي المشاريع الصغيرة التي تستثمر مياه الينابيع الصغيرة او مجموعة من الابار المتوفرة في المناطق الغنية بالمياه الجوفية لري مستوطنة او مجموعة من المستوطنات المجاورة . اما المشاريع الاقليمية فهي المشاريع التي نفذت على مستوى المناطق لتوفير المياه لها كمشروع ري الحولة ومشروع طبريا بيسان لري وادي بيسان ومشروع الجليل الغربي ومشروع قناة اليركون الغربية والشرقية ، وقد كانت هذه المشاريع في الاساس مستقلة، الا انها ابتداء من عام ١٩٦٤ ربطت بالمشروع الوطني ، مشروع بحيرة طبريا — النقب . ومن المتوقع ان تنقل هذه المشاريع المختلفة ما يقارب من ١٦٠٠ مليون متر مكعب من المياه سنويا موزعة كما يلي :(١٣) .

| | |
|---|---|
| مشاريع الري المحلية | ٦٥٠ مليون متر مكعب |
| مشروع ري وادي الحولة | ١٠٠ مليون متر مكعب |
| مشروع ري طبريا — بيسان | ١٠٠ مليون متر مكعب |
| مشروع ري الجليل الغربي | ١٥٠ مليون متر مكعب |
| مشروع طبريا — اليركون — النقب | ٦٠٠ مليون متر مكعب |

وهذه الكمية هي الكمية القصوى التي يمكن استهلاكها سنويا دون تعريض ثروة البلاد المائية الى النفاد او زيادة درجة الملوحة فيها الى حد لا تعود معه صالحة للاستهلاك ، وهي موزعة حسب مصادر المياه كما يلي :(١٤).

| | |
|---|---|
| المياه الجوفية في السهل الساحلي | ٢٣٠ مليون متر مكعب |
| المياه الجوفية في المرتفعات والجبال | ٥٩٢ مليون متر مكعب |
| البحيرات الاصطناعية لضبط الامطار | ٨٢ مليون متر مكعب |
| حوض نهر الاردن | ٤٦٩ مليون متر مكعب |
| مياه المجارير المكررة | ١٤١ مليون متر مكعب |

**أ ــ رؤوس الاموال الموظفة في المشاريع المائية :**

بلغت قيمة رؤوس الاموال التي وظفت في مختلف مشاريع الري بين سنة ١٩٥٠ وسنة ١٩٧٠ ١،٥٥٧،٦٠٠،٠٠٠ لــيرة اسرائيلية منها ١،٣٤٨،٠٠٠،٠٠٠ لــيرة اسرائيلية باسعار سنة ١٩٦٦ لليرة الاسرائيلية و ٢١٩،٦٠٠،٠٠٠ ليرة اسرائيلية باسعــار سنة ١٩٧٠ لليرة الاسرائيلية(١٥) اي ما يوازي ٥٠٠ مليون دولار امريكي وهي موزعة حسب السنين في الجدول التالي :

**جدول رقم ( ١ )** رؤوس الاموال الموظفة في مشاريع المياه :

| السنة | القيمة بملايين الليرات الاسرائيلية |
|---|---|
| ١٩٥٠ ــ ١٩٥٢ | ٢٠٦ |
| ١٩٥٣ ــ ١٩٥٥ | ٢٥٩ |
| ١٩٥٦ ــ ١٩٦٤ | ٧٣٣ |
| ١٩٦٥ ــ ١٩٦٦ | ١٥٠ |
| ١٩٦٧ | ٦٨،٣ |
| ١٩٦٨ | ٥٨،٤ |
| ١٩٦٩ | ٤٣،٣ |
| ١٩٧٠ | ٤٩،٦ |
| المجموع | ١٥٦٧،٦ |

المصدر : من سنة ١٩٥٠ الى ١٩٦٦ من Economic Planning Authority
من سنة ١٩٦٧ الى ١٩٧٠ من التقارير السنوية لبنك اسرائيل .

---

وقد تراوحت قيمة رؤوس الاموال الموظفــة بين سنة ١٩٥٠ و ١٩٦٥ بين ٧٥ و ١٠٠ مليون ليرة اسرائيلية في السنة ، وهذه الفترة هي فترة تنفيذ المشاريع المائية في مختلف انحاء اسرائيل وقد انتهت بانجاز المشروع الوطني بحيرة طبريا ــ النقب الذي بدأ العمل به عام ١٩٥٦ وانتهى في سنة ١٩٦٤ . وقــد هبطت قيمة رؤوس الامــوال الموظفة في السنوات اللاحقة الى ما يقارب من ٥٠ مليون ليرة اسرائيلية في السنة صرفت لتحسين المشاريع القائمة وزيادة كمية المياه التي تنقلها وذلك عن طــريق حفر الابار العميقة في الجبال وربطها بالمشاريع وانشاء البحيرات الاصطناعية لضبط مياه الامطار وتطويــر محطات التكرير لتنقية مياه المجارير لاعادة استعمالها في الري .

اما المصدر الرئيسي لرؤوس الاموال الموظفة فقد تأمن من الاعتمادات الحكومية للانماء والتطور ومن الوكالة اليهودية وكانت مساهمة المستوطنات ضئيلة جدا وصرفت الاموال التي وفرتها على مد شبكات الري في المزارع التابعة لها . وتجدر الاشارة الى ان شركة ميكوروت هي التي نفذت جميع الاعمال في مختلف المشاريع .

**ب ــ كلفة المياه واسعارها :**

الاحصاءات الوحيدة المتوفرة عن كلفة المياه تتناول فقط كميات المياه التي توزعها شركة ميكوروت . كانت كلفة المتر المكعب من المياه في المشاريع القديمة التي انشأتها هذه الشركة قبل قيام دولة اسرائيل تتراوح بين ٩ و ١١ أغوره ( الليرة الاسرائيلية تساوي ١٠٠ أغوره )(١٦). اما في المشاريع الحديثة فالكلفة مختلفة وهي ، حسب دراسة اجريت عام ١٩٦٦ عن كمية المياه المستهلكة عام ١٩٦٤/٦٥ ، تتراوح بين ٣،٦ أغوره في سهل الحولة و ٦١،٩ أغوره في هارهانيغف في النقب(١٧). ويبين الجدول التالي كلفة المياه حسب المناطق لسنة ١٩٦٤/٦٥ وذلك باسعار سنة ١٩٦٢/٦٣ :(١٨).

**جدول رقم ( ٢ ) :**

| المنطقـــة | كلفة المتر المكعب بالاغوره | كمية المياه بملايين الامتار |
|---|---|---|
| وادي الحولة | ٣،٦ | ١١١،٧ |
| وادي الاردن ، بيسان ، جلبوع | ٣،٨ | ١٩٤،ــ |
| السهل الساحلي ، مرج ابن عامر ، اللد | ٤،٨ | ٤٠٢،٧ |
| مجدل لاهات | ٦،٩ | ١٥،٩ |
| يفنـــه | ٨،٦ | ١٩،ــ |
| الجليل الغربي ، كيشون | ٩،٩ | ١٢٤،١ |
| جبال افرائيم ، نحال اورون | ١٢،٤ | ١٩،٥ |
| نس تسيوناه ( وادي حنين ) | ١٣،٥ | ٤١،١ |
| غات أوجت | ١٤،١ | ٣٢ |
| الجليل الادنى | ١٤،٣ | ١٠،٤ |
| نيرعام ، سعـد | ١٩،٤ | ١١،٥ |
| كفار مناحيم | ١٩،٦ | ٣٠ |
| دان ، حولون ( المنطقة الجنوبية ) | ٢٣،٩ | ١٤٢،٨ |
| اغور | ٢٦،٣ | ٤،ــ |
| المرتفعات الشمالية | ٣٤،٣ | ١٠،٦ |
| لاخيش | ٣٧،٤ | ٦٢،ــ |
| تتومنـــاه | ٤١،٣ | ٤٠،ــ |
| هارهنيغيف ( مرتفعات النقب الشمالي ) | ٦١،٩ | ٨،٥ |

اما سعر المتر المكعب الذي يدفعه المستهلكون فيختلف من مستهلك لاخر حسب القطاع الذي ينتمي اليه فهو متدن في القطاع الزراعي ووسط في القطاع الصناعي ومرتفع في المدن . وفي ما يلي عرض لأسعار المياه حسب المستهلكين :(١٩)

١ ــ الزراعة : عندما تكون كلفة المتر المكعب من المياه اقل من ٦ أغوراه يكون سعر المتر المكعب من المياه الذي يدفعه المزارع مساويا للكلفة الحقيقية مضافا اليها ضريبة مقدارها ١٠٪ شرط ان لا يتجاوز هذا السعر ٦ أغوراه ، أما اذا تعدت الكلفة ٦ أغوراه يكون الحد الاعلى لسعر المتر المكعب من المياه الذي يدفعه المزارع ٦،٧٥ أغوراه باستثناء المزارعين المقيمين في الجبال الذين يدفعون ٩،٧٥ اغوراه بالمتر المكعب من المياه .

٢ ــ الصناعة : يدفع المستهلكون في الصناعة ٨ اغوراه ثمنا للمتر المكعب من المياه عندما تكون كلفته اقل من ٦ أغوراه ، و ١٣ اغوراه عندما تتعدى كلفة المتر المكعب من المياه ٦ أغوراه .

٣ ــ المدن : يدفع المستهلكون في المدن ١٥ اغوراه ثمنا للمتر المكعب من المياه عندما تكون كلفته اقل من ٦ اغوراه و ٢٥ اغوراه عندما تتعدى كلفة المتر المكعب من المياه ٦ اغوراه ، يضاف الى هذا السعر كلفة شبكة التوزيع وصيانتها التي تكون غالبا مرتفعة مما يزيد الاعباء على المستهلكين فيرغمون على الاقتصاد في استهلاك المياه .

ترمي هذه السياسة ، التي وضعها مجلس المياه ، الى تحميل المستهلكين في المدن والصناعة اعباء اضافية من الاموال حتى تتمكن الحكومة من دفع علاوات الى قسم من المستهلكين في الزراعة الذين يدفعون اسعارا مرتفعة نسبيا . وقد انشىء صندوق خاص بادارة مجلس المياه للاشراف على جمع المبالغ الاضافية ودفع العلاوات الى المزارعين . يمول هذا الصندوق من المبالغ الاضافية المذكورة اعلاه بالاضافة الى مساهمة سنوية تدفعها الحكومة الاسرائيلية . فبالرغم من ان الزيادة في استهلاك المياه في الزراعة لم تتعد ٦٪ بين سنة ١٩٦٥/٦٦ و ١٩٦٩ ١٪(٢٠) فان الزيادة في العلاوات المدفوعة للمزارعين بلغت ٢٨٪ خلال نفس الفترة فارتفعت من ١٥ مليون ليرة اسرائيلية الى ٢١ مليون ليرة اسرائيلية(٢١) مما يدل بان التوسع في المساحات المروية كان في المناطق الجبلية والنقب حيث اسعار المياه مرتفعة نسبيا . لا تشكل هذه المبالغ الا العلاوات الظاهرة التي تدفعها الدولة للمزارعين اما العلاوة الفعلية فهي أكبر بكثير . فاذا اعتبرنا بان متوسط كلفة المتر المكعب للمياه في مختلف انحاء اسرائيل هو ١٠ اغوراه وان متوسط السعر الذي يدفعه المزارعون هو ٦ اغوراه تكون قيمة كميات المياه المستهلكة في الزراعة عام ١٩٦٩/٧٠ ١٢٥ مليون ليرة اسرائيلية دفع منها المزارعون ٥٤ مليون ليرة اسرائيلية ــ بعد طرح العلاوات التي دفعت لهم وقدرها ٢١ مليون ليرة اسرائيلية ــ أي ٤٢٪ بينما تحملت الدولة عبء ٧١ مليون ليرة اسرائيلية ، أي ٥٨٪ ، فتكون اذن العلاوة الفعلية المدفوعة لكل دونم من الاراضي المروية توازي ٤٣ ليرة اسرائيلية .

**ثالثا ــ تطور استهلاك المياه في اسرائيل :**

ارتفعت كمية المياه المستهلكة في اسرائيل من ٢٣٠ مليون متر مكعب من المياه عام ١٩٤٨/٤٩ الى ١٥٤٦ مليون متر مكعب من المياه عام ١٩٦٩/٧٠ . يبين الجدول رقم ٣ تطور استهلاك المياه في اسرائيل بين عام ١٩٤٨/٤٩ وعام ١٩٦٩/٧٠ ، كان معدل التزايد السنوي بين عام ١٩٤٨/٤٩ و ١٩٥٨/٥٩ ١٨،٧٪ سنويا اما بعد ذلك التاريخ فقد هبط الى ٢،١٪ .

تستهلك الزراعة بين ٨٠ الى ٨٥٪ من مجموع الكميات المستهلكة ، وقد زاد استهلاكها للمياه ست مرات تقريبا بين ١٩٤٨/٤٩ و ١٩٥٨/٥٩ وارتفعت مساحة الاراضي المروية من ٢٩٢ الف دونم الى ١،٢٣٠،٠٠٠ دونم خلال نفس الفترة ، لكن بعد هذا التاريخ لم تزد كمية المياه المستهلكة في الزراعة الا ٢٠٪ بين ١٩٥٨/٥٩ و ١٩٦٩/٧٠ بينما زادت المساحات المروية خلال نفس المدة ٤٠٪ فارتفعت من ١،٢٣٠،٠٠٠ دونم الى ١،٧٢٤،٠٠٠ دونم وسبب ذلك عائد الى انخفاض معدل استهلاك الدونم من المياه الذي انخفض من ٨٠٥ امتار مكعبة الى ٦٩٨ مترا مكعبا عام ١٩٦٤/٦٥ . ويرتبط اجمالا معدل استهلاك الدونم من المياه بكميات الامطار التي تتساقط سنويا فهو مرتفع في سنوات الجفاف ومنخفض في السنوات الغزيرة المطر وتراوح بين سنة ١٩٥٨/٥٩ و ١٩٦٩/٧٠ بين ٨٠٥ امتار مكعبة في سنوات الجفاف و ٦٨٠ مترا مكعبا في السنوات الغزيرة المطر(٢٢) .

تعتبر المياه في الزراعة عنصرا اساسيا للانتاج ، ويحدد توفرهـــا التوسع في سياسة الاستيطان ونمو المستوطنـــات الصهيونية الجديدة في الاراضي المحتلة لذلـــك يخضع استعمال المياه في الزراعة الى تنظيـــم دقيق تشرف عليه وزارة الزراعة مع الوكالـــة اليهودية المسؤولة مباشرة عن انشاء المستوطنات الجديدة . فكلما توفرت كمية اضافية من المياه انشئت مستوطنة جديدة ولم يحدث ، الا فيما ندر ، ان انشئت مستوطنة قبل توفر كمية المياه لها لانه يخصص لكل واحدة منها حسب نوعية المزارع فيها ، كمية من المياه تستهلكها تحت اشراف المرشدين الزراعيين لاجتناب اي هدر في استعمالها . لكن غالبا لا تصل الى المستوطنة ، خاصة في جنوبي اسرائيل وفي الجبال ، الكمية المحددة لها من المياه بينما تنعم المستوطنات القديمة التي انشئت قبل قيام الدولة بكميات وافرة من المياه تمكنها من التوسع تدريجيا في المساحات المروية حتى تزداد غنى وتبقى متفوقة على المستوطنات الجديدة .

المياه اذن نادرة وثمينة وتقضي الضرورة حسن استعمالهـــا لبلوغ اقصى درجـــة من الانتاجية ، لذلك تركزت جهود الخبراء الصهيونيين على تحديد حاجة كل نوع من التربة في فلسطين المحتلة الى المياه واختيار الزراعات الملائمة لكل نوع من التربة وتعيين وسائل الري الاكثر فعالية لها وعمليات الري التي يحتاج اليها كل نوع من الزراعات مع تحديد كمية المياه التي تستهلكها كـــل عملية ري والبعد الزمني بين عمليات الري . وكـــانت النتيجة ان اعتمدت المستوطنات الزراعية الصهيونية طريقة الري الرذاذي لانهـــا تلائم أوضاع البلاد الجغرافية والاقتصادية والاجتماعية فهناك ٩٠٪ من مساحـــة الاراضي المروية في اسرائيل تروى بطريقة الري الرذاذي(٢٣). وهذه الطريقة تساعد كثيرا على ضبط المياه ومنع هدرها لكنها تتطلب توظيف رؤوس امـــوال كبيرة لمد شبكـــات الري الخاصة بها في المزارع . ويرضى المسؤولون الصهيونيون بها رغم ارتفاع كلفتها نظـــرا لفوائدها خاصة من ناحية توفير المياه ليتسنى لهم انشاء مستوطنات جديـــدة تستوعب مهاجرين جددا الى اسرائيل .

اما المستهلكون الاخرون للمياه ، المدن والصناعة ، فتتراوح نسبة استهلاكهم السنوي بين ١٥ و ٢٠٪ من كمية المياه المستهلكة في اسرائيـــل . يشمل استهـــلاك المدن المياه المستهلكة في المنازل والمؤسسات التجارية والصناعات الصغيرة وورش الاشغال العامة والمؤسسات الحكومية . وقد كان معدل التزايد السنوي في استهلاك المدن ٢٫٨٪ سنويا بين عام ١٩٤٨/٤٩ وعام ١٩٥٨/٥٩ اي ما يعادل تقريبا التزايد الطبيعي للسكان ، لكن بعد هـــذا التاريخ اتخذت اجـــراءات لحمل سكان المدن على توفـــير المياه فانخفـــض الاستهلاك انخفاضا ملموسا بشكل ان كمية المياه التي استهلكت عام ١٩٦٦/٦٧ اي بعد تسع سنوات كانت تقارب كمية المياه المستهلكة عام ١٩٥٨/٥٩ . وتبلغ نسبة استهلاك المدن من الميـــاه نحو ١٤٪ من مجموع كمية الميـــاه المستهلكة في اسرائيـــل ولا يتعدى استهلاك الفرد ٨٠ مترا مكعبا من المياه سنويا(٢٤). اما استهلاك الصناعة فيشمل على المياه التي تستهلكها المصانع(٢٥) وبعض المؤسسات التجارية التي يزيـــد استهلاكهـــا السنوي علـــى ٥٠٠٠ متر مكعب من المياه . ولا تتعدى نسبة استهـــلاك الصناعة ٥٪ سنويا من كمية المياه المستهلكة. وتختلف هذه من مصنع لاخر ، فمصانع الاغذية والورق تحتاج الى كمية كبيرة من المياه اما الصناعات الاخرى فتستهلك كمية ضئيلة من المياه . وكان معدل التزايد السنوي للاستهلاك قبل عام ١٩٦٤ بطيئا اذا قيس بمعدل تزايـــد الانتاج الصناعي ، وهبط هذا المعدل في السنة التالية بنسبة ٦٪ ثم عاد وارتفع في السنة التالية لها بمعدل ٩٪ ولم تتعد زيادته ١٫٥٪ في عـــام ١٩٦٦/٦٧ لكن ارتفع في عـــام ١٩٦٧/٦٨ الى ١٠٪ فالى ٦٪ و ٧٪ في السنتين التاليتين(٢٦) ويعود ذلك الى انطلاقة الصناعات الاسرائيلية بعد حرب الخـــامس من حزيران لتلبية الحاجـــات العسكريـــة وحاجات استهلاك سكان الأراضي المحتلة حيث تصرف المنتجات الصناعية الاسرائيلية.

ومن الجدير بالذكر ان نسبة ٤٠٪ من المياه التي تستهلكها الصناعة هي من المياه المالحة التي تزيد فيها نسبة الملوحة على ٢٥٠ ملغ في الليتر(٢٧).

**جدول رقم ( ٣ ) تطور استهلاك المياه في اسرائيل بملايين الامتار المكعبة :**

| السنة | المجموع | الصناعة | الاستهلاك المدني | الزراعة: المياه المستهلكة | الزراعة: الاراضي المروية[1] | الزراعة: معدل المياه بالدونم الواحد |
|---|---|---|---|---|---|---|
| ٤٩/١٩٤٨ | ٢٣٠ | [2] | ٥٠ | ١٨٠[3] | ٢٩٢ | — |
| ٥٤/١٩٥٣ | ٨٥٠ | [2] | ١٩٠ | ٦٦٠[3] | — | — |
| ٥٩/١٩٥٨ | ١٢٧٤ | ٤٦ | ١٩٦ | ١٠٣٢[3] | ١٢٣٠ | ٨٠٥ |
| ٦٤/١٩٦٣ | ١٢٨٨ | ٥٧ | ١٧٥ | ١٠٥٦[3] | ١٥٠٠ | ٦٨٠ |
| ٦٥/١٩٦٤ | ١٣٢٨ | ٥٤ | ١٧٩ | ١٠٩٥[3] | ١٥٤٠ | ٦٩٨ |
| ٦٦/١٩٦٥ | ١٤١٨ | ٥٩ | ١٨٤ | ١١٧٥[3] | — | ٧٨٥ |
| ٦٧/١٩٦٦ | ١٤٧١ | ٦٠ | ١٩٠ | ١٢٢١[3] | ١٦٢٠ | ٦٩٠ |
| ٦٨/١٩٦٧ | ١٤١١ | ٦٦ | ٢١٢ | ١١٣٣ | ١٦١٦ | ٧٧٠ |
| ٦٩/١٩٦٨ | ١٥٣٧ | ٧٠ | ٢٣١ | ١٢٣٦ | ١٦٦٢ | ٧٢٤ |
| ٧٠/١٩٦٩ | ١٥٦٤ | ٧٥ | ٢٤١ | ١٢٤٨ | ١٧٢٤ | ٧٧٧ |

(١) بالاف الدونمات .

(٢) محسوب ضمن الاستهلاك المدني .

(٣) بما فيه المياه المستهلكة لحاجات منزلية في المستوطنات الزراعية .

المصدر : حتى سنة ٥٩/١٩٥٨ ، دائرة الاحصاءات المركزية الاسرائيلية. ومن سنة ٦٤/٦٣ حتى سنة ٦٧/٦٦:

Israel Water Consumption Survey, 1966/67, Ministry of Agriculture.
Water Commission, Water Allocation Department.
Statistical Abstract of Israel, 1971, pp. 315 and 354

## رابعا ــ حاجات اسرائيل الى المياه :

كانت المياه ولا تزال المحور الرئيسي التي تدور حوله اهتمامات الحركة الصهيونية لتأمينه للكيان الصهيوني القائم في فلسطين المحتلة . ففي بداية الخمسينات ، اي بعد قيام الدولة مباشرة ، قدرت كمية المياه الممكن استهلاكها بين ٢٤٠٠ و ٢٨٠٠ مليون متر مكعب سنويا ، لذلك باشرت اسرائيل بالتوسع في انشاء المستوطنات وزرعها في مختلف انحاء البلاد(٢٨). لكن سرعان ما تبين لها في بداية الستينات ، قبيل الانتهاء من المشروع الوطني ، طبريا ــ النقب ، بان الافراط في استعمال المياه سيؤدي الى نفاد الثروة المائية من جهة وزيادة الملوحة في المياه من جهة اخرى . وكان النقص في الثروة المائية في السهل الساحلي الناتج عن الافراط في ضخ مياه الابار خير دليل على هذه النظرية . ومنذ ذلك التاريخ اتخذت الحكومة اجراءات صارمة لمراقبة ضخ الابار واحتكرت لنفسها حق الترخيص بالتنقيب عن المياه وحفر الابار الجديدة ، وتشير معظم تقديرات خبراء المياه الاسرائيليين ان كمية المياه الممكن استهلاكها سنويا دون تعريض الثروة المائية في البلاد الى النفاد ، لا يمكن ان تتعدى في احسن الحالات ١٦٠٠ مليون متر مكعب من المياه سنويا كما ذكرنا سابقا . هذه هي كمية المياه المتوفرة للاستهلاك في السنوات العشر القادمة اما الطلب على المياه خلال تلك الفترة فسيكون اكثر من ذلك وهو موزع على مختلف المستهلكين ، الزراعة والمدن والصناعة ، كما يلي :

١ ــ **الزراعة** : كانت وزارة الزراعة حتى الان تحدد سنويا معدل زيادة استهلاك المياه

في الزراعة عن طريق تحديد كميات المياه للمستوطنات ، وقد كان معدل الزيادة في السنوات الخمس الاخيرة من الستينات ٧،١٪ سنويا . هل يستمر هذا المعدل على حاله في السبعينات ام سينخفض ؟ تأمل وزارة الزراعة خفضه نحو ١٩٪ ما بين سنة ١٩٦٩/٧٠ و ١٩٧٥ وذلك عن طريق تخفيض معدل استهلاك الدونم من المياه او عن طريق اختيار زراعات جديدة لا تستهلك كثيرا من المياه والاستغناء في نفس الوقت عن الزراعات التي تتطلب ماء كثيرا بحيث تكون كمية المياه المستهلكة في الزراعة عام ١٩٧٥ ١٠٣٨ مليون متر مكعب و ١٠٧٥ مليون متر مكعب عام ١٩٨٠ . ما هو حجم المساحة المروية التي سترويها هذه الكمية من المياه ؟ لا تذكرها وزارة الزراعة بل تتجاهلها عن عمد ربما لتبرر فشلها في تحقيق هذه الغاية ، لانه من المرجح ، اذا ارادت اسرائيل ان تحافظ على معدل نمو الزراعة الحالي لتتجاوب مع حاجات السكان المتزايدة ومع مخططاتها لزيادة الصادرات الزراعية بمعدل ١٤٪ سنويا حتى تصل قيمتها الى ٢٥٠ مليون دولار عام ١٩٧٥ كما ورد في خطتها عام ١٩٧٠ ؛ فان هذه الكمية من المياه المخصصة للزراعة لن تكفي لتحقيق هذه الاهداف ، لان هذه الكمية لن تروي باحسن الحالات اكثر من ١٠٧،٠٠٠،٠٠٠ دونم من الاراضي ، وهذا معناه تراجع في سياسة الاستيطان الصهيوني للاراضي العربية المحتلة وتجميد لاوضاع الزراعة ، بينما تشير كل الدلائل الى ان اسرائيل مصممة اكثر من الماضي على المضي قدما باستعمار المزيد من الاراضي المحتلة خاصة في النقب ، بزيادة انتاجها الزراعي خاصة الصادرات الزراعية لسد العجز في ميزان المدفوعات .

٢ ــ **المدن والصناعة** : يبلغ حاليا معدل استهلاك الفرد الواحد ٨٠ مترا مكعبا من المياه وسيكون سكان اسرائيل عام ١٩٧٥ بحدود ٤،٥٠٠،٠٠٠ نسمة و ٥،٠٠٠،٠٠٠ نسمة عام ١٩٨٠ ، وهذا يعني بأن كمية المياه التي تحتاجها المدن للاستهلاك ستكون ٣٦٠ مليون متر مكعب عام ١٩٧٥ و ٤٠٠ مليون متر مكعب عام ١٩٨٠ ، هذا اذا اعتبرنا بان معدل استهلاك الفرد سيبقى ثابتا ومن المرجح ان يرتفع هذا المعدل الى ١٠٠ متر مكعب من المياه اذا ارتفع عدد المستوطنين في النقب حيث يحتاج الفرد الى كمية اكبر من المياه بسبب الحرارة المرتفعة والجفاف .

اما معدل زيادة الاستهلاك في الصناعة فكان في السنوات الخمس الاخيرة ٦،٥٪ سنويا فاذا ظل هذا المعدل ثابتا ستكون حاجة الصناعة ١٠٠ مليون متر مكعب من المياه عام ١٩٧٥ و ١٥٠ مليون متر مكعب من المياه عام ١٩٨٠ .

سيكون اذن الحد الادنى لكمية استهلاك المياه في اسرائيل ، اذا نجحت سياسة وزارة الزراعة واذا ظل معدل استهلاك المدن والصناعة ثابتا ، ١٤٩٥ مليون متر مكعب من المياه عام ١٩٧٥ و ١٦٢٥ مليون متر مكعب من المياه عام ١٩٨٠ . لكن من المرجح ان تكون الحاجة الفعلية اكثر من التوقعات لانه في عام ١٩٦٩/٧٠ كانت كمية المياه المستهلكة ١٥٦٤ مليون متر مكعب اي اكبر من توقعات الاستهلاك لعام ١٩٧٥ وقريبة من توقعات عام ١٩٨٠ ، وسيكون النقص في احسن الحالات بحدود ٢٠٠ مليون متر مكعب من المياه سنويا ابتداء من عام ١٩٧٥ حين تبدأ الازمة الحقيقية للمياه كما يقول الخبراء(٢٩) لان الطلب على المياه سيفوق الكميات المتوفرة . فمن المتوقع اذن ان تكون اسرائيل مهتمة بشكل جدي بتأمين مصادر مياه جديدة قبل تلك التاريخ . ولا تجد امامها في الوقت الحاضر سوى احتمالين : الاحتفاظ بالاراضي العربية المحتلة في حرب الخامس من حزيران واحتلال المزيد من الاراضي العربية في جنوبي لبنان وجنوبي مرتفعات الجولان السورية المحتلة .

ان الاحتفاظ بالاراضي العربية المحتلة يؤمن لاسرائيل كميات وافية من المياه تستعملها لسد حاجاتها والتوسع في الاستيطان . والاحتفاظ بمرتفعات الجولان السورية يؤمن لها

السيطرة على منابع الاردن العليا خاصة نهر بانياس السوري ونهر الحاصباني اللبناني الذي يبلغ مقدار تصريفهما السنوي مـــا يقارب من ٣٢٠ مليون متر مكعب(٢٠) من المياه بالاضافة الى المياه الجوفية ، كما ان الاحتفاظ بالضفة الغربية سيؤمن لهـــا ايضا ما يقارب من ٣٦٠(٢١) مليون متر مكعب من المياه وسيؤمن لها وجودها في سيناء السيطرة عـــلى ثروة مائية جوفية كبيرة جـــدا(٢٢) تستطيـــع استغلالهـــا لري النقب او لانشاء المستوطنات في سيناء او لتموين جيوشهـــا المتمركزة في سيناء وتسهيل مهمتها في حال عبور قناة السويس .

وامام اسرائيل مصدر اخر للمياه تتوق الى الاستيلاء عليه منذ زمن بعيد لان استخدامه سهل اذ يكفيها القليـــل من الانشاءات لتربطه بالشبكـــات القائمة لديها ، وهي بأمس الحاجة اليه لانه يحل لها مشكلة ملوحة المياه المتزايدة في بحيرة طبريا الناتجة عن ضخ مياهها عبر مشروع بحيرة طبريا ــ النقب ، ولـــم يخف ليفي اشكول نية اسرائيل هذه بالاستيلاء على مصدر المياه هـــذا اذ صرح عشية الحـــرب الخامس من حزيران الى مندوب جريدة « لوموند » الفرنسية بقوله : « ان اسرائيل العطشانة لا يمكنها ان تقف مكتوفة اليدين وهي تشاهـــد مياه نهر الليطـــاني اللبناني تذهب هدرا الى البحر ، ان القنوات باتت جاهزة في اسرائيل لاستقبال مياه هذا النهر المحولة اليها »(٢٣). ستكون اذن خطوة اسرائيل المقبلة الاستيلاء على مياه هذا النهر حتى تحل ازمة المياه لديها(٢٤).

---

١ ــ راجع مجلة **فلسطين** ، الجـــزء الثالث ، عدد ١٧ .

٢ ــ راجع عبد الوهـــاب كيالي ، **المطامـــع الصهيونية التوسعية** ، م ت ف ، مركز الابحاث، بيروت ، ١٩٦٦ ، ص ٨٣ .

٣ ــ راجع
Dr A. Rupin, *Syrien Als Wirtschafsgebiet, 1916,* traduit en français par Georges Shaïb, Beyrouth, p. 108.
اسماء المستعمـــرات في الجليل الاعلى قـــرب قضائي مرجعيون وحاصبيا : روش بناه ١٨٨٢، مشمر هيردن ١٨٩٠ ، يسود همعلاه ١٨٨٣ ، المطلة ١٨٩٦ ، عين زيتيم ١٨٩٠ .
اسماء المستعمرات في الجليل الادنى حول حوض بحيرة طبريا واليرموك : سده شارا ١٨٩٩ ، ميشا ١٩٠٢ ، جمامة ١٩٠٢ ، راماه ١٩١٣، بيسان ١٩٠٤ ، عين كاتـــب ١٩٠٨ ، كينيرت ١٩٠٨ ، داجانيـــا ١٩٠٩ ، مجدال ١٩١٠ ، بيتان ١٩١٣ ، منحمياه ١٩٠٢ .

٤ ــ قدمت بعض المؤسسات الصهيونية عروضا الى الحكومة اللبنانية عام ١٩٤١ في عهد رئاسة الفرد نقـــاش للحصول علـــى امتياز لاستثمار المصادر المائية في لبنان بغية تزويد القرى والمدن بالماء والكهرباء ، لكن هذه العروض رفضت بعد ان كشفت الحكومة اللبنانية النوايا المستترة وراءها .

٥ ــ راجع **مشروع لودر ميلك** ، ص ١٨٧ .

٦ ــ *La Palestine, Mémento économique* INSEE, PUF, 1948, p. 52-54

٧ ــ راجـــع ، انيس صايـــغ ، **فلسطينيات** ، م ت ف ، مركز الابحاث ، بيروت ، ١٩٦٨ ص ٢١١ و ٢١٢ .

٨ ــ *L'Agriculture en Israël,* édité par le centre israélien de documentation pour les pays de langue française, Ambassade d'Israël, Paris, 1963, p. 5.

٩ ــ *Israël, Faits et Chiffres,* 1964/65, p. 96.

١٠ ــ راجع انيس صايغ ، **المصدر السابـــق** ، ص ٢٢٢ .

١١ ــ *The Master Plan for Israel irrigation development,* Tel-Aviv, June 1957.

١٢ ــ *Israel Economic Development,* State of Israel, Prime Minister's Office, Jerusalem, March 1968, p. 387-392.

١٣ ــ Le rôle de l'irrigation dans le développement agricole européen FAO Rome 1968, p. 117.
ثم راجع *The Master Plan* ص ١٢ .

١٤ ــ راجع
*Israel Economic Development*
المصدر السابق ص ٣٧٧ .

١٥ ــ عام ١٩٦٦ كان الدولار الامريكي يســـاوي ٣ ليرات اسرائيلية ، عام ١٩٧٠ اصبح يساوي ٣٫٦٠ ليرة اسرائيلية .

١٦ ــ الاغوراه وحــدة العملــة الاسرائيلية ، وتساوي كل ١٠٠ اغوراه ليرة اسرائيلية واحدة.

١٧ ــ باسعار الليرة الاسرائيلية لعام ١٩٦٢/٦٣ حيث كان الدولار الامريكي يساوي ١٤٨ لــيرة اسرائيلية ، بعد انخفاض قيمة الليرة الاسرائيلية الى ٣٤٦٠ بالنسبة للدولار فمن المنتظر ان تكون الكلفة قد ارتفعت ايضا .

١٨ ــ *Water Works in Israel,* Forecast and Implication, Publication No 3, Ministry of Agriculture, Water Commissioner, Economic Section, June 1966.

١٩ ــ راجع
*Israel Economic Development*
المصدر السابق ص ٢٨٢ و ٢٨٣ .

٢٠ ــ حسبت هذه النسبة من المعطيات الواردة في كتاب الاحصاءات السنوية الاسرائيلية عــام ١٩٧١ ، ص ٣١٥ و ٣٥٤ .

٢١ ــ تقارير بنك اسرائيل السنوية ١٩٦٧ ، ص ٢٩٣ ، ١٩٦٩ ، ص ١٩٧ و ١٩٧٠ ، ص ٢١٨

٢٢ ــ **المصدر السابق** .

٢٣ ــ *FAO* **المصدر السابق** ص ٦٠ .

٢٤ ــ حسبت النسب من المعطيــات الواردة في الجدول رقم ٣ .

٢٥ ــ باستثناء المؤسسات الصناعية الصغــيرة المحسوبة ضمن استهلاك المدن .

٢٦ ــ حسبت النسب من المعطيات الواردة ، في الجدول رقم ٣ .

٢٧ ــ راجع
*Israel Economic Development*
المصدر السابق ، ص ٣٨٠ .

٢٨ ــ راجع
*Atlas of Israel,* Agriculture XII/2

٢٩ ــ النشرة الاقتصاديــة المختصرة ، شعبــة الابحاث الفلسطينية ، دمشق ، تموز ، ١٩٦٨.

٣٠ ــ انيس صايغ ، **المصدر السابق** ، ص ٢٣١.

٣١ ــ *Atlas of Israel* **المصدر السابق** .

٣٢ ــ راجع
Eliyahu Kanovsky, *The Economic Impact of the Six-Day War,* New York, 1970, p. 60 and 196.

٣٣ ــ راجع جريدة **لوموند** ، ٧ تموز ، ١٩٦٧ .

٣٤ ــ خليل ابو رجيلي ، المطامع الاسرائيلية في الاراضي اللبنانية ، **شؤون فلسطينية** ، عــدد ١٤ ، ١٩٧٢ ، ص ٨٣ ــ ٩٠ .

# ندى اليشرطي
# وحدها في الليلة الراجفة ...
# كانت الشهيدة

بيان نويهض

ويبقى الموت سر الحياة ... يبقى اعظم الاسرار
ويبقى لكل موت حكاية
يكون الموت احيانا اكبر من الحكاية
وتكون الحكاية احيانا اكبر من الموت
وهنا تختفي ظلال الموت تحت أجنحة الحكاية
ينهزم الموت أمام ميلاد الحكاية
يلملم الموت تجارته ... بعض رصاصات فارغة .. بعض بقايـــا ..
يلملمها ويرحل ...
مهزوما يرحل ... من غضب الناس ولعنتهم يرحل
هو في هذه المهمة ما كان سيدا ... وما كان قدرا
وكل ما كان ليس قدرا ... لا يهابه الناس ... ينساه الناس
ويذكرون الحكاية

كانت المدينة ساهرة
وهل تعرف مدينة الى النوم سبيلا
وهي تحصي في ليلها شهداء النهار
وكيف تنام مدينة ... وهي تخاف من رصاصة
تخترق النوافذ .. او الحواجز .. او الارواح الجريحة
الناس في البيوت يهربون من حائط الى حائط ...
يهدئون من روع الصغار
وخارج البيوت صمت رهيب
طرقات المدينة ليس فيها صدى خطو لاحد

بساتين المدينة مقابر
بيوت المدينة معتقلات وسجون
سلطان المدينة هو الخوف من الموت ... هو السيد الاكبر
من يتحدى الخوف ؟ من يتحدى السلطان ؟
ومن هنا تبدأ الحكاية
صوت جريء تحدى الخوف
وجه شجاع تصدى لصدفة الموت في كل لفتة ...
كصدفة الريح يعبث باوراق الشجر ...
فتسقط الاوراق التي يختارها الريح .. ولا مرد لعبث الريح
ومشى الوجه الشجاع يتحدى
وما كان اكبر من التحدي ... ما كان اعظم
أن يكون الصوت الذي ارتفع ... صوت امرأة
كثير على الرجال في بلادنا ان يعرفوا التحدي ...
فكيف يجوز هذا لامرأة
كثير على الرجال في بلادنا ان يمارسوا الشجاعة ...
فكيف يجوز هذا لامرأة
وكيف يجوز بعد هذا السؤال
لماذا وحدها في المدينة الساهرة ... لماذا وحدها في الليلة الراجفة
كانت الشهيــدة

انت ؟ انت بين الرفيقات والرفاق
انت في فجر هذه الثورة العظيمة
لم تعرفي اليأس يوما .. لم تعرفي غير الامل ...
غير الكبرياء والصمود
وبعض الناس يعشق الكبرياء
وبعض الناس تدهشه الكبرياء ... يدهشه الصمود من عيني امرأة
وهنا ـ كانت ندى ـ وحدها تعرف طريقها
ان عملت شاركت من حولها عشرات في العمل
ان سهرت .. طوال الليل تسهر .. تطالع تدرس كتلميذة لا هم سوى
الدرس لهـا
أن رعت طفليها .. كانت أكثر الامهات حنانا
وان حزنت ندى .. ان حزنت ... لم تدع أحدا يشاركها الحزن
وان بكت ندى ... لم تدع احدا يشاركها البكاء

الابتسامة للناس ... لكل الناس .. والحزن لها
كانت هي والكبرياء والصمود توائم
وكيف لا تحزن ندى .. كيف لا تبكي ...
وندى قد فقدت أغلى واحلى ما عرفته حياتها
فقدت رجلا .. علما بين الرجال
ويوم اختارته ندى .. ويوم اختارها
كانت فلسطين بينهما حديثا لا ينتهي
كانت فلسطين بينهما خريطة لعكا .. شوارع عكا وحاراتها وبيوتها
هو يحكي .. وهي تستمع
أمل خالد كان في العودة الى عكا
ومات خالد ... وبقيت ندى ترعى الامل
وماتت ندى..ولنا جميعا نحن الرفاق من بعدها .. من بعد كل شهيد..
وصية الثورة العظيمة ... الامل

تلك كانت ندى
الوجه باسم ضاحك .. يطل سريعا .. يختفي سريعا .. كطلات الندى
والعمر .. جميل قصير ... كعمر الندى
مع الفجر يطل الندى على البراعم والازهار ...
ثم يحرقه وهج الشمس
لم يخلق الندى للصراع مع الشمس
لم يخلق الندى للبقاء ولا للحياة
سر الكون في الندى زيارات وطلات سريعة .. موعدها مع كل فجر
ورحيلها مع المجد كلما ارتفعت شمس
وبين الرفاق ستبقى ندى هي الندى
ذكرها أريج وردة .. كانت هنا ... كانت هناك ...
كانت في الحديقة .. كانت في المعركة ..
كانت ... ندى

# مراجعـــات

محمد علي العويني ، **سياسة اسرائيل الخارجية في افريقيا** ،
( القاهرة ، المطبعة الفنية الحديثة ، ١٩٧٢ )

الاهمية الاستثنائية لهذا الكتاب تنبع من كونه يعلن عن « التزامه باستخدام المنهج العلمي المقرر عالميا في ميدان المعرفة والدراسات » وباعتباره نموذجا متقدما بين الدراسات والبحوث الجامعية الاكاديمية العربية كما يشير تقديم الدكتور عبدالله عـــوده استاذ الاقتصاد والعلوم السياسية في جامعـــة القاهرة . الا ان ما يخرج به القارىء الذي يحترم العلم والبحث العلمي هو : رغم ان الدراسة هي نتاج جهد طويل وصبور ، ربما استغرق اكثر من ثلاث سنوات ـ كما هو في الرسائل الجامعية ـ ورغم احتواءها على مجموعة كبيرة من البيانـــات والتصريحات والاحصاءات والوثائق ، فانها تتميز ايضا بغياب النهج الذي ينظم التحليـــل ويشـــد الوقائع العينية والمواد والمعلومات التي اعتمدها في وحدة تحليلية متماسكة والتي تمكن مـــن تكوين النظرة الشمولية في ربط وتفسير ما توصل اليه من حقائق ومؤشرات . وهذا ما جعل المؤلف يسير في معالجات مجزأة مستقلة لكل ظاهرة واداة درسها . وبالتالي ما تسبب في وقوعه في النظرة الاحاديـــة الجانب احيانا ، والتبسيـــط ، والاستنتاجـــات المهزوزة والمرتبكة احيانا اخرى .

يحدد المؤلف في مقدمته الطويلة العوامل التي تؤثر في السياسة الخارجية الاسرائيلية بشكل عـــــام والافريقية بشكل خاص . وفي الباب الاول يبحث في المؤسسات التي تصنع السياسة الخارجية ، مجلس الوزراء ، الخارجية ، الادارة الافريقيـــة والمؤسسات المؤثرة فيها كالكنيست ، والهستدروت ، ومؤسسات التعليم . ويناقش في المبحث الثـــاني أهداف السياسة الخارجية ووسائـــل تدعيمهـــــا الاقتصادية والبشرية ويدرس في البحث الرابـــع العوامل المختلفة التي تساعد على نجاحها وزيادة فاعليتها . ويختتم البحث في فصل عـــن تمويـــل السياسة الخارجية ومستقبلها في افريقيا .

يبتدىء المؤلف في تعريف السياسة الخارجية «النشاط السياسي الذي تمارسه الدولة من الميدان الدولي عن طريق مؤسسات معينـــة بغية تحقيق اهداف معينة » ، ومن ثم ينتقل لتحديد العوامل التي تؤثر في السياسة الخارجية « الوضع الجيوبولتيكي ، التاريخ ، المؤثرات الداخلية والخارجية » ، ولكن كيف يمكن تطبيق التعريف على دولة اسرائيل؟ وهل هي كأي دولة اخرى . هذا ما كان يجب بحثه قبل تطبيق تعريفه . وبدلا من ذلك يقرر «فاسرائيل كيان مكون من اليهود الذين هاجروا الى فلسطين قبل وبعد قيام اسرائيل ...» ويواصل « والمهم في هذا الصدد امام المقاطعة العربية لاسرائيل ... جعـــل اسرائيل تهتـــم بخليج العقبة » ، وايضا « وضع اسرائيل الجيوبولتيكي أثر على اهتمامها بخليـــج العقبة وبالتالي افريقيا » ويضيف « ومسائل اسرائيل .. سيما الاقتصادية تتوقف على مدى قوة هـــذا الاقتصاد ـ اي الاسرائيلي » ( النصوص مـــن المقدمة ) .

هكذا بدأ من حيث كان يجب ان ينتهي . مـــــن المظاهر والمضاعفات التي تنجم عن وتترتب علـــى الاصل والجوهر وليس من المعرفة العميقة لذلـــك الاصل والجوهر . لا يقول لنا بعد التعريف ما هي خصوصيات دولة اسرائيل عند قيامها ؟ ماذا كانت تمثل الايديولوجية الصهيونية ؟ وما هي طبيعـــة تداخلها في الصراعات الاستعمارية العالمية فـــي نهاية القرن التاسع عشر واوائل العشرين ؟ ان عدم تحديده لتلك الخصوصية وبدقة جعله يبتعد عن ارساء القاعدة الفكرية الصلبة في البحث والتحليل. لكن رودنسون يحدد لنا البداية « تشكيل اسرائيل في حد ذاته نتيجة لتطور يمكن ادراجه تماما فـــي حركة التوسع الاوروبية الكبرى في القرنين التاسع عشر والعشرين للاسكان والسيطـــرة اقتصاديـــا وسياسية على الشعوب الاخرى » وتقرير كامبل

باترمان هو الاخر يوضح هذه الحقيقة « التقرير الذي اوصى باقامة حاجز بشري قوي وغريب لاجل استعمار واستغلال شعوب وثروات الشرق الاوسط » [السياسة الدولية. عدد ١٠ — ٧٢]. ان هذه هي الخلفية الفكرية لقيام اسرائيل وتطور وتداخل الفكر الصهيوني عبر مراحل تطور ظاهرة الاستعمار ، كفكرة في مؤتمر بال ، ومشروع رسمي في وعد بلفور ، ودولة بعد التقسيم ، اضافة لما تميزت به من ولادة دموية اجلائية لتشكل العارضة الاساسية المتينة لاي بحث جاد في سياسة اسرائيل الخارجية والعوامل المؤثرة فيها .

حينما يناقش المؤلف ظاهرة التخلف فيافريقيا كعامل مؤثر في السياسة الخارجية الاسرائيلية ودور الاستثمار الاجنبي فيتحقيق التنمية الاقتصادية نجده بسبب من عدم تميزه لمظاهر السياسة عن اهدافها الحقيقية ، واغفاله خصوصيات دولة اسرائيل ، يستخلص مقتبسا « وهذا يؤثر على السياسة الاسرائيلية التي تستغل هذا الوضع ... الخ للمساهمة في القضاء على ظاهرة الفقر التي سببها الحكم الاستعماري والاستغلال الطبقي وعدم كفاية رأس المال !! » ص ٢٧ ، بينما تكتب الشؤون السوفياتية الدولية « ولما كانت اسرائيل تعاني عجزا في مواردها المالية فانها تمنح القروض استثناء وتعتمد على الدول الغربية لتمويل المشاريع الافريقية الاسرائيلية المشتركة » [ عن دراسات عربية عدد ١٠ — ٧١ ] . وهنا تتوضح أهداف سياسة اسرائيل وحقيقة مساهمتها في التنمية الاقتصادية لبلدان افريقيا ولمصلحة من ؟ وفي مكان اخر يقتبس ايضا « وتقدر بعض المصادر ان المعونة التي تقدمها اسرائيل لافريقيا لا تمثل سوى ٥ ٪ من المعونات الخارجية للقارة » ، ويستخلص « وهذا يدل على ضعف المساهمة الاسرائيلية في مجال التنمية الاقتصادية في افريقيا التي تقوم اساسا على التصنيع الثقيل والقروض والمعونات الضخمة » . لا يكتفي بالتناقض بين الاقتباسين بل يضيف « الامر الذي لا تقدر عليه اسرائيل » .. ترى هل يوحي المؤلف بان اسرائيل لو كانت تقدر على تحقيق التصنيع الثقيل لحققته ! ولو صح ذلك كيف وبأي آفاق ... ان التنمية والتصنيع الثقيل تتطلبان تكوينا ابتدائيا لرأس المال وتخطيطا شاملا لموارد البلاد . وسيطرة كلية عليها كما في البلدان المتخلفة التي تنشد النمو وهذا ما لم تستطع ان تنجزه أية دولة في العالم خارج حلقات التطور الراسمالي، الا عبر تخطيط اشتراكي علمي والذي يفصم جميع الحلقات التي تربط البلد بالاقتصاد الرأسمالي ، وتحت قيادة وطنية تقدمية. فهل تريد ذلك اسرائيل او تقدر عليه حكومات افريقيا خاصة المتعاونة منها مع اسرائيل .

ان المرتكزات الحقيقية للسياسة الاسرائيلية الخارجية تكمن في العلاقة العضوية بينها وبين الامبريالية خاصة الامريكية منها ، لتمثل عبر تقسيم العمل الدولي وضرورات السوق الرأسمالية اليومية قاعدة اقتصادية سياسية للولايات المتحدة، وبشكل اكثر وضوحا « والسياسة الاسرائيلية تجاه المناطق التي بدأ الاستعمار الامريكي يحتل له مراكز فيها بعد الحرب العالمية الثانية قائمةبالدرجة الاولى على تأمين الشروط اللازمة لاستمرار هذا النفوذ » [ السياسة الدولية عدد ١٠ — ٧٢ ] . وهذا بالضبط ما يفسر دور اسرائيل تجاه اقتصاديات افريقيا . الابقاء عليها او تطويرها ضمن الاشكال الاقتصادية التي تشكل ارضية للاستعمار الامريكي الجديد .

وعندما ينتقل الكاتب للحديث عن المؤسسات المؤثرة في السياسة الخارجية وقراراتها يؤكد « وعندما تعرض القرارات على الكنيست فيكون ذلك بمثابة التغطية الديمقراطية لان تأثيره محدود في المجال الخارجي » ص ٤٩ . ليكشف بذلك عن عجز الكنيست في تقرير السياسة الخارجية بل يحصر دوره في التأييد الشكلي للقرارات . بينما يستخلص مرة اخرى « ولا يخفى ان درجة التعليم المرتفعة في الكنيست وكذلك عامل السن قد أضفى نضجا نسبيا واضحا في مناقشات الكنيست في الشؤون المختلفة » ص ٧٢ . اي مناقشات يقصد وقد اخبرنا ان القرارات تعرض للتغطية الديمقراطية فحسب . ثم ماذا يقصد بالنضج ووضوحه ؟ اذا كان يقصد ان تقدم السن هو سمة للنضوج ، فان الانسان يكون بكامل توقده الفكري في الثلاثين من عمره . ان مثل الاسكندر ونابليون ، وماركس ، ولينين تتبين قدراتهم غير المحدودة وتوقدهم في فترة الشباب — اما اذا كان يقصد بالنضج هو الخبرة المكتسبة لدى شيوخ الكنيست وشيخاته فان [مراجعة ج. جانسن فيشؤون فلسطينية عدد ١٥، ٧٢ ] تكشف عكس هذا الاستنتاج « واذا اعترف بن غوريون بهذه الحقائق لما بقي هناك سبب لمجيء اسرائيل الى الوجود ما دامت مثل سائر الدول ،

بل هي اكثر وحشية وقسوة من غيرها لان ذلك يتعلق بـ « تفوق الامة العبرية » وان تبيان الحقيقة قد يلحق العار بالدعائي العادي ، ولكنه يقضي على الصهيوني » وايضا « ان القول بأن لاسرائيل عيوبها المعنوية لا يعتبر نقدا غير اخلاقي فقط بل خيانة عظمى بالنسبة لشخص مثل بن غوريون » . كيف تكون المناقشات ، غير الموجودة ، ناضجة وكيف يكون عامل السن قد اضفى نضجا نسبيا الخ .. حينما يكون موقف شيوخ الكنيست محكوم بعظمة اسرائيل وتفوقها وهي ما تعمي عن اي نضج او موضوعية مزعومة .

المؤلف يذهب ابعد من ذلك « ايا كان الامر فان الكنيست باعتباره هيئة للتعبير عن الرأي العام قد سار على نحو لا بأس به » ص ١٧ . ايهما صحيح في الرأيين السابقين للمؤلف . ما هو اكيد في صحته فهو لدى المؤسسة العسكرية التي تقرر كل شيء . فكيف تناولها المؤلف ...

في مناقشته للمؤسسة العسكرية ودورها يذكر عدد الكولونيلات المتقاعدين في وزارات الدولة . كولونيل فما فوق ٦،٩ ٪ الدفاع ٥،٢ ٪ الضباط الذين يشغلون مناصب عليا في الخدمة المدنية ٢٨ في الخارجية الخ ... وحين ينتقل الى الحديث عن الناحال والجدناع وهي المنظمات العسكرية للشباب المحارب يقول مقتبسا « ان هناك قاسما مشتركا يجمع العسكريين وبالذات الغلاة منهم مع القادة في السلطة السياسية وهو الايمان بالعقيدة الصهيونية والفكر العسكري الصهيوني ، وبالذات الغلاة منهم ... وان مشكلة الامن تبرز اهمية القوة العسكرية وان القادة العسكريين يكون لهم الثقل الاكبر عند دراسة الامن القومي » ص ٨٧ . هنا يريد المؤلف ان يبرز مسألة الامن القومي على انها هي ما يبرر فعالية دور المؤسسة العسكرية كما يقول . ان هذا الراي الذي أورده المؤلف مقتبسا ومقتنعا يغطي نصف الحقيقة ، بمعنى ، ان المؤسسة العسكرية تؤثر في القرارات السياسية بل تصوغها في حالات التوتر والتي هي دائمة — كما تريدها المؤسسة العسكرية . اما الحقيقة الكاملة فهي ان دور المؤسسة العسكرية لم يكن مرتبطا بقضية الامن القومي كدولة مهددة بالاجتياح ! ان هذا الراي يرتبط بالصدع الاساسي في رأي المؤلف الذي أغفل طبيعة قيام اسرائيل العدوانية المتميزة. فالمؤسسة العسكرية وما يرتبط بها من منظمات الشبيبة المسلحة المحاربة تحت وصليفها تشكل جهازا تنظيميا دائما « لامة اسرائيل » حيث تحاول تذويب الطبقات والفئات الاجتماعية في وحدة تضامنية قتالية ، يغذي وينمي الفكر الصهيوني فيها العداء للعرب الفلسطينيين في الداخل والعرب في الخارج من اجل التوسع و« اسرائيل الكبرى » وهذا بالطبع ما يشكل محور تماسكهم الداخلي وقدرتهم الهجومية . وهذا يعني انها ليست جهازا للامن والدفاع بل وبالدرجة الاولى لبلورة الطابع الشوفيني العدائي والهجومي للدولة الاسرائيلية وهو ما يجسد جوهر الايديولوجية الصهيونية .

أما في تناوله لطبيعة الهستدروت باعتباره اداة من الادوات السياسية الاسرائيلية فهو يقرر « تشترك الهستدروت في ملكية بعض الشركات بالاشتراك مع الحكومة او الوكالة اليهودية مثل شركة ميكورث وشركة زيم للملاحة وهي أكبر شركة للملاحة في اسرائيل وشركة العال الخ ... كما ان هناك شركات يملكها الهستدروت باكملها مثل سوليل بوانيه » ص ٩١ . وايضا « كما قام بانشاء المعهد الافرو اسيوي للدراسات العمالية والتعاون . في ١٨ اكتوبر ١٩٦٠ ، كما يعمل على تمويله بمؤازرة الاتحاد الامريكي للهستدروت » ص ٩٢ ليستخلص لنا في مكان آخر : « يتضح مما سبق اهمية الدور الذي يقوم به الهستدروت في السياسة الخارجية » الخ ... ويستمر « أصبحت الدبلوماسية الشعبية تقوم بدور كبير في العلاقات الدولية نتيجة لازدياد الدور الذي تقوم به الجماهير في التأثير على القرارات السياسية » !؟ ص ٩١ . أية دبلوماسية شعبية يعني ؟ واي دور للجماهير ؟

ان مجلة الشؤون السوفياتية توضح هذه القضية عن دور الجماهير : « وتقوم المؤسسات الاقتصادية التالية « للهستدروت » بدور أساسي في ميدان الاقتصاد ولها شعب منتشرة في البلدان الافريقية، وهي مرتبطة بالاحتكارات الاستعمارية وتغلب على الاعمال الاقتصادية صبغة الاعمال المشتركة التي تساهم بها اسرائيل باقل من ٥٠ ٪ » .

في الباب الذي يبحث فيه المؤلف اهداف السياسة الخارجية يحدد «قضية الوجود الاسرائيلي، الامن، الخروج من العزلة ، التأييد الدولي » ويسير في معالجات مستقلة لكل هدف دون رؤية ما يربط بينها الاهداف الاستعمارية في المنطقة . ان ربطا وثيقا بين الطبيعة الاستيطانية الاستعمارية ومخططات

واهداف الامبريالية والامريكية خصوصــا وتعيين الاهداف المشتركة والمتداخلة بينهما ، هو الــذي يحدد الاساس الذي لا يمكن بدون معرفته اي هدف رئيسي او عامل مساعد في السياسة الخارجية .

ان ابا ايبان لا يخفي تلك الحقيقة « ان السياسة الخارجية لا تتكون من مجموعة ابحاث ومناظـرات مدرسية وانما تنجم من ضغط الواقع والحـاح المقاصد الاساسية ، ولو امكن تحويل اسرائيل من وتد الى رأس جسر لكان هذا التحويل عظيم البركات عـلى اسرائيل في الشرق الاوسط ورقعة اسيـا والعالم » ص ۱۱۳ . وواضح ما يريده ايبان برأس الجسر هذا ؟ ضمن وحدة المصالح الاسرائيليـة الامبريالية . والمؤلف لا يبحث في الخلفية الفكرية للتصريحات والمواقف التي تحكم سياسة اسرائيل بل يجتهد « المهم هنـا هو أن اسرائيل أصبحت تسـير الان ويقصد بعـد ٦٧ ) ... تسـير في اطار الدول الغربية على وجه العموم » ص ٢٥ ويقول مقتبسا « فهناك من يرى انها اداة الامبريالية الامريكية في افريقيا » « كما لها علاقة بالاستعمـار الجديد في هذه القارة ...» ويكمل « اما المؤثرات الخارجية فاثرت على حركة اسرائيل في افريقيـا حيث تعدد مراكز القوى في العالم ولجوء اسرائيل أخيرا لتدعيم علاقاتها بالولايات المتحدة » ص ٢٥ ــ ٣٠ ــ وهكذا يأتي اجتهـاد المؤلف بصيغ يتيمـة كالقطرات المائية الساقطة من السماء . اصبحت تسير الان ؟ هناك من يرى ؟ واخيرا لتدعيـم ؟. كيف يمكن ان تكون هذه الاستنتاجات اساسا لتحليل علمي مترابط رصين ..؟ وباصرار يكتب مستنتجا « يستنتج مما سبق ان أهداف السياسة الخارجية الاسرائيلية في افريقيـا مشتقة من صميم المصادر الاسرائيلية كما تكشف عن الطبيعة الاستعماريـة لاسرائيل » ص ۱۳۳ . دون ان يقول لنا بعلاقـة تلك الطبيعة بالامبريالية العالمية .

ولكن بعد ان يعرض جداول التمويل الامريكيـة ، والالمانية الغربية في فصـل اعتبره خاتمة للبحث وليس من صلب ابوابه ، يقرر « يمتاز الاقتصاد الاسرائيلي بالصفة الاصطناعيـة ورغم انجازاتهـا واستثماراتها فان اسرائيـل ما زالت بعيدة عـن الاعتماد على نفسها كدولة معاصرة » ونحن نتساءل ما هي درجة بعدها عن الاعتماد على نفسها ؟ وهل هي تسير في هذا الطريق ؟ وهل بامكانها ذلـك ؟ اخيرا يستنتج لنا المؤلف « وكأن من يمول الاقتصاد الاسرائيلي هو الذي يحرك الوسائل الاسرائيلية في افريقيا ولو لم يوجد هذا التمويل لما استطاعت ان تطبق وسائلها المختلفة في افريقيا» ص ٣٥٣. وهذا الاستنتاج لاهم فصول الكتاب اطلاقا ــ تمويـل السياسة الاسرائيلية ــ غير واضح ابدا « وكأن من يمول ؟ ولما استطاعت ان تطبق وسائلها ..؟ اذا كانـت مصادر التمويـل معروفة فالاهـداف محددة..فما معنى فلماذا وكأن ؟ وماذا تعني عبارة « ولولا مصادر التمويل .. بالطبع لـولا مصادر التمويل ليس فقط لما استمرت وسائلها ، بل لمـا قامت اسرائيل ، ولما استمرت لحد الان ؟ والغريب ان جميـع المواد والاحصاءات التي بذل المؤلـف مجهودا كبيرا لتجميعها لم تعنه على معرفة حقيقة العلاقة الامريكية الاسرائيلية .

وفي مناقشته للعوامل الافريقية التي ساعدت على نجاح السياسة الاسرائيلية يستشهد المؤلف بقضية الميراث الاستعماري ومشاكل الاستقلال السياسي، اي التخلف الاقتصادي،فيقرر «وهكذا عندماحصلت الدول الافريقية على استقلالها وجدت نفسها مثقلة بميراث استعماري تمثل في خلفية ثقافية تتمشى مع وجهة النظر الاسرائيلية ... الامـر الذي مهـد للسياسة الاسرائيلية في افريقيا » ص ١٤٢ . لـم يذكر لنا المؤلف طبيعة الانظمة الافريقية وعلاقاتهـا بالسياسة الاستعماريـة في افريقيا ، الامريكيـة خاصة ، واخضاع اقتصادياتهـا لعملية التقسيـم الدولي للعمل لخدمة آلية النظام الرأسمالي العالمي بتعيين دور افريقيا المزدوج التمويلي والتصريفي التمويل للمواد الاولية والتصريفي للسلع المصنعة في الدول الرأسمالية واسرائيل .

أما ظاهرة الفقر خلص كما في مقدمته الى استغلال اسرائيل للتخلف ... « للمساهمة في القضاء على ظاهرة الفقر » الخ . وهذا التبسيط وأكاديميتـه التي جزأت الظواهر .. تتنافى مع اعلانه بالالتزام باسلوب البحـث العلمي في مقدمته ان احاديـة الظواهر هي التي جعلت نظرته احادية الجانب . « الميراث الاستعماري » ظاهرة التخلف .. الخ . نيويورك تايمز كـانت واضحـة لمن يريد البحـث والاستنتاج « تعتبر اسرائيل من اهم الدعائم التي يستند عليها الاستعمار الغربي في احكام سيطرته على الدول الافريقية التي نالت استقلالها حديثـا وتبنت مواقفه السياسية والاقتصادية » [ حول زيارة اشكول لافريقيـا ــ السياسـة الدولية ]

واضح جداً ما تعنيه هذه الصحيفة الامريكية بـ « تثبت مواقفه السياسية والاقتصادية » وهنا ايضا ورغم جزالة مصادر المؤلف لم يركز لنا البحث ويوازنه في علاقة اسرائيل بالامبريالية . ما يوازن البحث حقا هو تصريح بن غوريون « ان اسرائيل كانت الحاجز الرئيسي للغرب في افريقيا » [ نفس المصدر ] او تقرير وكالة المخابرات المركزية عام ١٩٥٩ «دور اسرائيل كقوة ثالثة ينبغي ان يدعم عن طريق استعمال التقدم التقني اذا ارادت دول العالم الحر ان توسع مساعدتها لافريقيا بامكانها تقديم جزء من هذه المساعدة عن طريق اسرائيل بسبب الميزات الخاصة التي تجعلها — اي اسرائيل — مقبولة من عدد كبير من الدول الافريقية » [ الحرية ٦٠٤ — ٧٢ ] ويكمل التقرير « وجود اسرائيل في افريقيا بمثابة القوة الثالثة لتثبت الاستعمار الكولونيالي الجديد » .

اما في دراسته للوسائل التي ساعدت اسرائيل على تنفيذ سياستها وهي « عضوية الماباي في الاشتراكية الدولية المقابلات، المعاهدات، التمثيل الدبلوماسي. استغلال الاضطرابات » يستخلص المؤلف « ان اسرائيل لجأت الى ابرام معاهدات صداقة تنص على ايجاد سلام دائم وصداقة ونفض المنازعات بالطرق السلمية»!! ويضيف«مع ان هذه المعاهدات غالبا ما تبرمها الدول الكبرى مع الاقل منها » ص ١٧٦ . ويواصل اي ان اسرائيل تقلد الدول الكبرى !! وبضغط الاكاديمية عليه يغفل المؤلف النقطة الجوهرية التي تحاول اسرائيل ابرازها لتحول قضية وجودها غير الشرعي القائم على العدوان الى وجود شرعي ينشد السلام . والعقدة الاساسية التي تعانيها في رفض وجودها كليا تحاول ان تحوله الى موضوع نزاع بينها وبين العرب يمكن الاتفاق عليه بالمفاوضات . والمؤلف كان احد الذين استطاعت المعاهدات وصياغاتها ان تحول اهتمامه الى مسألة عرضية وثانوية ، هي مسألة تقليد الدول الكبرى وبالطبع فالتقليد مظهر للسياسة وليس جوهر لها .

في معالجة البيانات المشتركة بين اسرائيلوافريقيا، وبالضبط مجموع العلاقة بينهما وطبيعتها ونتائجها والتذبذب والتناقض اللذين اتسمت به طيلة السنوات العشر من عمرها . يكشف المؤلف مرة أخرى عن عدم وضوح في الرؤيا لديه ، وعدم تمكنه من ربط عناصر تحليله وشدها الى وحدة تحليلية .

في مناقشته لتصريح هيلاسي لاسي في الكويت عن قوله « ان اثيوبيا لم تخلق اسرائيل ولكن الامم المتحدة هي التي خلقتها وان اثيوبيا تحترم هذه المنظمة الدولية وميثاقها !.. ولا يعني ذلك انها « لا تعطف » على اللاجئين الفلسطينيين ، فتأييد اللاجئين مسألة انسانية » ويأتي الباحث ليكمل ويفسر التصريح « أي ان هيلاسي لاسي ينظر الى قضية اللاجئين من الجانب الانساني فقط » !! ص ١٨٣ . ان قول هيلاسي لاسي عن الشعب الفلسطيني « لاجئين » ويبدي عطفه الانساني عليهم هو ما ترفضه اسرائيل وامريكا ، بل ما تعبر عن انسانية اعمق من انسانية هيلاسي لاسي في صياغة التصريحات والبيانات عندما تتحول المسألة الى مسألة « لاجئين » ان مقاصد ومدلولات هذا التصريح تعبر عن اعلى درجات الاعتداء على كرامة الانسان وحقه في الوطن وتكريس صفة لاجيء تسحق وتشوه الانسان العربي والفلسطيني ، اكثر من اعتداء واستلاب تمارسه اية قوة استعمارية او عنصرية. وبعد ان يشارك المؤلف هيلاسي لاسي في عواطفه كما تبدو من صياغته يكتشف لنا « مما سبق يستنتج مدى قوة التأييد الاثيوبي لاسرائيل » ص ١٨٥ . لماذا قوة التأييد ؟ وكيف ؟ لا يجيب الكاتب ، وكأن الدراسات الجامعية الاكاديمية غير معنية بذلك . ثم يستمر مقتبسا عن محاولة اثيوبيا لكي تحافظ على علاقاتها بافريقيا العربية والمنظمة الافريقية بعدم ظهورها دولة متحالفة مع اسرائيل « ويمكن القول ان ذلك التفسير مقبول بدرجة كبيرة »؟! لماذا يقول ؟ ومن اي وجهة نظر ؟ ولمن ؟ لا أحد يدري .

هكذا يدرس المؤلف موقف اثيوبيا والدول الرجعية الافريقية . ولكي نضع امام المؤلف ماذا تعنيه الاستنتاجات التي توصل اليها نقتبس « وفي اثيوبيا اقامت اسرائيل مدرسة عسكرية في مدينة « ديغي امحري » لتدريب الجنود على حرب العصابات المضادة ، ويشرف على ادارة هذه المدرسة مجموعة من الخبراء الاسرائيليين ، وبنت اسرائيل قواعد عسكرية عدة لحكومة اثيوبيا في الجزء الغربي من اريتريا ويقوم ضباط من اثيوبيا بدورات تدريبية في اسرائيل ، وتحاول اسرائيل بمساعدة الانظمة المؤيدة للغرب في مجال حرب العصابات المضادة ، توطيد دعائم هذه الانظمة وهي تهتم بشكل خاص بتدعيم الجيش في اثيوبيا ما يمكنها من حماية مداخل البحر الاحمر » [ دراسة النهار ١٨ ك ٢ ٧٢ ]

هذا الاقتباس يفسر معنى تعطف هيلاسي لاسي ويوضح للمؤلف شدة التأييد الاثيوبي الاسرائيلي الذي لم يجد له تفسيرا !

اما حينما يناقش موقف دول مثل غينيا والكونغو برازافيل . من خلال التصريحات والبيانات . لا يعنيه طبيعة اختلاف الانظمة الافريقية الوطنية ذات السمات التقدمية ، ولا يهتم بالتغير الذي طرأ من عهد دبيا الى عهد الجمهورية الديمقراطية الشعبية في الكونغو وصعود حزب العمل الكونغولي الى الحكم في كانون الاول ١٩٦٩ . وتبني المبادىء الماركسية — اللينينية في تطوير الحكم والاقتصاد ، او التطورات التي حصلت على نظام غينيا سيكوتوري بعد سقوط نكروما — غانا واشتداد مؤامرات الغزو ضدها .. تلك التغيرات عكست نفسها في موقفها من حركات التحرر الافريقية والعالمية وقضية فلسطين . بالنسبة للموقف الكونغولي يقول « اعلن نجوايي امام مؤتمر القمة الافريقي انه قرر سحب ممثل بلاده من تل ابيب فورا ، كما استنكر اعتداءات اسرائيل » ثم يخلص الى القول « اي ان الكونغو برازافيل لا تؤيد التوسع الاسرائيلي » وحول الموقف الغيني ورد موقف غينيا على الشكل التالي عند المؤلف « لم يتم تمثيل دبلوماسي او قنصلي لها في اسرائيل ، طلب ممثل غينيا في مؤتمر التضامن الاسيوي الافريقي من سفير اسرائيل ان يترك قاعة المؤتمر » ، اكد سفير غينيا في القاهرة « تأييد الشعب الغيني للشعب الفلسطيني من اجل استعادة حقوقه » بعد حزيران ٦٧ اغلقت سفارة اسرائيل في كوناكري . واعلن سيكوتوري « ان الاستعمار قد اعد خطة خلال الحرب العالمية الثانية لاقامة دولة لليهود في غينيا الوسطى الخ ... ما يجعلنا نحن شعب غينيا اعمق فهما وادراكا لقضية فلسطين وحق شعبها في استعادة اراضيه » يستخلص اخيرا « اي ان غينيا تؤيد العرب لاسترداد حقوقهم في فلسطين ولكنها تعترف بوجود اسرائيل ؟ بدليل قبول علاقات دبلوماسية معها وان كانت من جانب واحد » . ( المؤلف نفسه ذكر قبل اسطر انها اغلقت السفارة الاسرائيلية بعد حزيران ) .

لقد تمسك المؤلف طوال بحث هذا الفصل بصيغة معادلة واحدة غير حروفها وبعض كلماتها في وصفه لمواقف دولة عن أخرى وهي : تؤيد اسرائيل ، لا تؤيد اسرائيل ، تعترف بوجودها تؤيد ولكنها تعترف، تؤيد التوسع ، لا تؤيد ، تؤيد بقوة كما في اثيوبيا ! وهذا ما جعله لا يميز بين طبيعة وتكوين الانظمة الرجعية العميلة كاثيوبيا والملاوي ، والانظمة الوطنية التي اكتسبت مواقفها تبلورا باشتداد مناهضتها للرجعية وتصديها للمؤامرات الامبريالية وقطعها اشواطا في قطع الحلقات الاستعمارية كما في الكونغو الديمقراطية الشعبية في عهد حزب العمل الكونغولي ونظام غينيا ، خاصة بعد تصديه لمؤامرات الغزو المستمرة وزيادة اعتماده على الجماهير . ان تطور موقف الكونغو الشعبية وغينيا يعكس تطور انظمتها وتعميق مناهضتها للاستعمار ومخططاته في افريقيا وبالتالي فان معادلة الكاتب الاحصائية لا تصلح لتفسير تلك التغيرات ومداها في السياسة الافريقية والدولية . ان الارضية التي تحدد سياسات الانظمة الافريقية هي ليست قدرة وعدم قدرة الدبلوماسية العربية او كفاءة الدبلوماسية الاسرائيلية وان كانت الكفاءة أو العجز تساعد في بلورة المواقف نسبيا . الا ان الطبيعة الطبقية للانظمة وقدرتها على فك ارتباطها بالحلقات الاقتصادية الاستعمارية وموقفها من حركات التحرر الافريقية والعالمية هي المؤشرات الحاسمة في تحديد سياستها تجاه القضايا العربية وفلسطين .

وبعد ان ينتهي من بيانات وتصريحات حكام افريقيا يكتب مستنتجا « هكذا كسبت اسرائيل الرأي العام الى جانبها » اي رأي عام يعني ؟ وايضا « وهذا يدل على نجاح اسرائيل في كسب الرأي العام الافريقي الى جانبها في وجودها وامنها وخروجها من عزلتها السياسية كما يدل على نجاح اسرائيل في اقامة علاقات قوية بالمؤسسات المختلفة الافريقية الرسمية » ص ٢٢٠ — ٢٢١ . وعن الوسائل التي تنفذها اسرائيل بالنسبة لنقل تجربة الجدناع والناحال ونجاحها يكتشف « كما ان محاولة تطبيق الجدناع والناحال ... تؤدي الى تعظيم دور اسرائيل بالنسبة لهذه الدول ... مما يساعد على تجديد ايمان الاجيال الافريقية باسرائيل ومنجزاتها واهدافها » ص ٣٢٥ . وايضا عن الزيارات العسكرية « وهذه الزيارات تساعد على تحقيق اهداف السياسة الخارجية الاسرائيلية لانها عادة ما تقترن بمحاولة عرض تجربتها .. مما يؤدي الى تقوية الروابط بين اسرائيل وهذه الدول وعلى الخصوص التي تحاول تقوية مؤسساتها العسكرية

الخ ... وبالتالي يتقبلون في أغلب الاحيان دور المؤسسة العسكرية الاسرائيلية » ص ٣٢٤ .
لماذا يتقبلون دور المؤسسة العسكرية ؟ ولمصلحة من ؟ وبتنسيق من كتب في مكان اخر عن عدم ملائمة التجربة الاسرائيلية العسكرية لافريقيا يقرر « ولا يمكن تشبيه دور المؤسسة العسكرية في السياسة بدور اي جيش من دول العالم الثالث عامة حيث ان سيطرتهم محكمة على الشؤون المختلفة » ص ١٧ . لا يفسر لنا هنا اذن كيف امكن عن طريق المؤسسة « تجديد ايمان الاجيال الجديدة باسرائيل » ؟ ! نستطيع نحن ان نوضح كيف نقلت التجربة وكيف طبقت .. ولماذا عن نجاحاتها « وبين كل الادوار التي تمثلها اسرائيل في افريقيا يمثل الاهتمام بالجانب العسكري جزءا كبيرا في البرامج الاسرائيلية ازاء افريقيا . ويتضح المخطط الرامي الى غرس ركائز الاستعمار الجديد في القارة الافريقية وتثبت اقدامه وضمان حمايته بواسطة جيوش الدول المضيفة نفسها التي تلقت معظمها تدريبات عسكرية في اسرائيل ، او تدريت بواسطة الخبراء الاسرائيليين في بلادهم ، وبنفس الوقت وبواسطة نفس القوات يتم اجهاض حركات التحرر الافريقية ، وقمع اية منظمات شعبية مناهضة للاستعمار ومعارضة لسياسة الدول المحلية . وبالطبع فان كافة البرامج العسكرية توضع بالتشاور مع المخابرات المركزية الامريكية » [ تقرير الحرية عدد ٦٠٤ ] هذه الحقائق تفسر الالغاز التي بقيت دون تفسير لدى المؤلف .

بصدد تحليله لاهداف اسرائيل كما هي في البيانات المشتركة مع حكومات افريقيا يورد المؤلف استنتاجا لا يخلو من الغرابة والطرافة « البيانات المشتركة تدل على ان اسرائيل تركز على المفاوضات المباشرة حتى قبل حزيران .. دون الاخذ بنظر الاعتبار قواعد القانون الدولي التي تنص على ان هناك عدة وسائل لفض المنازعات بالطرق السلمية، لا تقتصر على المفاوضات المباشرة فهناك الوساطة او التوفيق والمساعي الحميدة ؟ والتحكيم والقضاء » ص ١٨٠ . هكذا تتحول الاكاديمية لدى المؤلف حتمية اما القوانين فلماذا غاب عن المؤلف حتى كيفية صياغة القوانين والانظمة . باعتبار القانون كائن حي في المجتمع يستجيب لضرورات موضوعية وعند تطبيقه على ظروف مماثلة يكتسب قوة القياس في التطبيق . كيف تقز المؤلف فوق كل الظروف الخاصة والمتميزة لاسرائيل وحاول تر القانون الدولي لتطبقه على عدوان وجودها .

وهل كانت نية المشرع في صياغتـه « للمساعي الحميدة ، والتوفيـق » الى معالجة القضية الفلسطينية واسرائيل . لا نضيف اكثر حسبنا ان نذكر ان الاستاذ المشرف عبدالله عودة نائب رئيس تحرير الاهرام واللجنة المشرفة على مناقشة الرسالة وآرائها عن « المساعي الحميدة » قد كافأوا المؤلف بدرجة جيد جدا بعد اكمال المناقشة احتراما منهم لاكاديمية البحث .

الفصل الخاص بقياس فاعلية السياسة الاسرائيلية عبر المؤتمرات الدولية يقرر مستنتجا « يمكن القول بصفة عامة ان هذه المؤتمرات لا تنفي الوجود الاسرائيلي ولكن تنادي بحقوق شعب فلسطين والانسحاب من الاراضي العربية المحتلة » ( ص ٢٣٨ ) . لم يكلف المؤلف نفسه عناء تحليل الوزن السياسي للقوى الفاعلة والمؤثرة في صياغة القرارات ، وما تعكسه تلك الصياغات من تغيير دائم في موازين القوى المؤيدة او المعارضة لوجهة النظر العربية . وهو ما نجم عن افتضاح حقيقة اسرائيل وارتباطها بالاستراتيجية الاستعمارية من جهة وضغط حركات التحرر الافريقية والعالمية على مواقف الحكومات في المنظمة الدولية ومنظمة الوحدة الافريقية . وما كان واضحا في مؤتمرات بلغراد ، والدار البيضاء ولوساكا .

بعد عرضه لسير المؤتمرات الدولية ، وتنظيم جداول الاصوات وعرض المشاريع المختلفة ، يستغرب المؤلف تردد الدول الافريقية وعدم تأييدها الحاسم للعرب بادانة اسرائيل ، مستخلصا من ذلك نجاح السياسة الاسرائيلية في افريقيا في تحقيق اهدافها خاصة منذ حزيران ٦٧ . يقرر « كما ظهر في قرار الجمعية العامة .. وان دل على شيء فانما يدل على نجاح السياسة الاسرائيلية في افريقيا التي وصلت الى درجة جعلت من الصعب على هذه الدول ككل ان تؤيد انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي التي احتلتها بعد حرب حزيران ٦٧ » ( ص ٢٥١ ) .
هكذا وكأن المؤلف لم يبدأ اطروحته في عام حرب حزيران وهو من اكثر الاعوام نشاطا للدبلوماسية الاسرائيلية والتي عملت بعد العدوان وبواسطة ممثلها الصهيوني الشهير ( غولدنبرغ ) في دورة الجمعية العامة كل جهدها ، ووضعت وزنها الدولي اقتصاديا وسياسة في خدمة الاهداف

الاسرائيلية في التشبث بالاحتلال ، وكان الضغط على الوفود الافريقية خاصة من ابرز النشاطات التي ميزت الموقف الامريكي في الترغيب والترهيب ولا يزال موقفها يشكل الغطاء السياسي للموقف الاسرائيلي المتعجرف والمتصلب . الفصل الخاص عن المؤتمرات الدولية لم نجد فيه اي ذكر لدور الولايات المتحدة في افريقيا .

اما عند التدقيق في موقف المؤلف في بحثه عن دور الجماهير وجبهات الشعوب وحركات التحرر والعالم التقدمي والاشتراكي يستخلص « وهكذا كسبت اسرائيل الرأي العام الافريقي الى جانبها » ( ص ٢٢١ ) ويقصد بالطبع رأي الحكومات العميلة والرجعية ، وبعض الحكومات الوطنية التي تتذبذب في مواقفها ، لان الرأي العام ، رأي الشعوب الافريقية لا يمكن ان تكسبه السياسة الاسرائيلية . ويمكننا قياس بعض من صبواته من الكتاب نفسه «تم تأسيس منظمة مناهضة لاسرائيل تدعى الشبان المسلمين في افريقيا الوسطى والشرقية ،.وتطالب بأن يغادر الاسرائيليون المقيمون في تنزانيا البلاد .. واكدت المنظمة تأييدها لحركة فتح الفلسطينية » ( ص ١٨٨ ) . وبالطبع لا يمكن ان يكون اسم المنظمة دليلا لطائفيتها .. لان ما يؤكد اصالتها هو تأييدها لحركة المقاومة المسلحة . اضافة الى وقوف جميع الحركات الثورية المسلحة في افريقيا الى جانب فلسطين وضد اسرائيل . ومرة اخرى عند زيارة مائير للنيجر عام ٦٤ « واجهتها مظاهرات ضخمة احتجاجا على الزيارة » ؟ هنا لا بد ان نسأل ايهما الرأي العام في رأي المؤلف ؟.. اما بالنسبة لقياس الرأي العام المؤيد لاسرائيل فلم يحدثنا الكتاب عن مظاهرة مؤيدة لاسرائيل او معادية للعرب في افريقيا .

ولو دققنا اكثر في رأي الشعوب الافريقية نقرأ في تقرير الحرية « من بداية محاولات التدخل الاسرائيلي واجهت اسرائيل فشلها في عدم القدرة على اقامة علاقة مع السكان المحليين رغم كافة الجهود الاعلامية المبذولة في هذا الصدد » وبالطبع تكشفت امام الشعوب الافريقية تلك السياسة التي ارتبطت في اذهان الجماهير ، ومهما قدمت اسرائيل من تبريرات ، في وقوفها الى جانب الحكومات الرجعية والعميلة وفي مقاتلتها لحركات التحرر الافريقية المسلحة .

المؤتمرات الدولية غير الحكومية ، هكذا ناقش المؤلف فاعلية مؤتمرات الشعوب . المؤتمر الاول لتضامن الشعوب الافريقية — الاسيوية — اللاتينية اعلن « ان اسرائيل قاعدة استعمارية تهدد تقدم الشرق الاوسط وسلامته . واكد حقوق شعب فلسطين » [ هافانا ك٢ ٦٢ ] . وايضا « يعتبر المؤتمر اسرائيل قاعدة من قواعد الاستعمار .. واستبعد اشراك اي هيئة اسرائيلية ، ورفض طلب الاحزاب اليسارية للحضور » . ان رفض المؤتمر لاي هيئة سياسية وحتى « يسارية » للاشتراك في المؤتمر سابقة ذات ابعد الاثار المترتبة على رفض الشعوب لدولة اسرائيل بل وحتى منظماتها اليسارية ما دامت تدافع عن وجود اسرائيل . وهذا الرفض من قبل مؤتمر شعوب ثلاث قارات هو نصر كبير لشعب فلسطين واندحار اكبر لاسرائيل .

هذا هو موقف الرأي العام الحقيقي ، موقف الشعوب العالمية والافريقية . الجماهير ضد مائير وجبهات مقاتلي الشعوب تدين اسرائيل ، ومؤتمراتهم ترفض شرعية وجودها . أما آخر عطاء قدمته شعوب العالم فهو انخراط افواج من الثوريين في صفوف حركة المقاومة المسلحة ومن قارات العالم الست لتقف في خط كفاحي واحد في مواجهة جبهة الاعداء الواحدة .

في خاتمة الكتاب تأكيد على نجاح السياسة الاسرائيلية في افريقيا . هاآرتس لا ترى ذلك ؟ بل تشير بمرارة ظاهرة عن اخفاقات قائمة ومزيد منها مستقبلة « لم تعد مكانتنا في بلاد افريقيا كما كانت قائمة منذ عشر سنوات ، وليس ثمة ما يضمن اننا سنكون بمعزل عن تطورات سلبية في أماكن أخرى » [ هاآرتس عدد ٧٢/٣/٢٦ عن الحرية ]. اما الموجة الحالية المعادية لاسرائيل في افريقيا فهي بسبب انكشاف بعض من جوانب السياسة الاسرائيلية الاستعمارية ليس لشعوب افريقيا التي تدرك ذلك منذ زمن بعيد بل لبعض من الحكام الخاضعين بدرجات متفاوتة لعجلة الرأسمالية العالمية عبر معوناتها الاقتصادية . من هنا فان تمرداتهم لا يمكن المراهنة عليها او تحميلها اكثر من حقيقتها مستقبلا. ان الانحسار التام والحقيقي للسياسة الاسرائيلية والاستعمارية لا يكون الا على يد حركة التحرر الافريقية المكافحة .

ان القانون الذي يحكم مستقبل السياسة

الاسرائيلية في كل مكان ، هو قانون صعود حركة المقاومة الفلسطينية ، واشتداد حركة التحرر العربية — الافريقية — العالمية ، وتشديد ضرباتها لمواقع الامبريالية ومحاصرتها . وهذا مما يقطع شريان الحياة الاسرائيلية ، ويطبق عزلتها ، ويفجر تناقضاتها ... عندها فحسب يمكن لشعب فلسطين الذي شارك الشعوب مسيرتها ان يقرر مصيره على ارضه لبناء فلسطين الديمقراطية المسالمة .

لقد ورد عند المؤلف كثير من التعبيرات التي تتناقض مع طبيعة البحث وموقف الباحث العام المعلن في الاراء والاستنتاجات . وكان يمكن اهمالها لاهميتها الثانوية بالنسبة للافكار الرئيسية في البحث لولا ان المؤلف قد عالج اهمية صياغة التعبير ودرجة الاختلاف الكبيرة في تفسير التعابير الغامضة وأورد مثلا للتلاعب في صياغة قرار مجلس الامن ٢٤٢ لسنة ٦٧ ، اذ يقول « القرارات تتسم بالغموض فيقول القرار بالانسحاب من«اراض»احتلت: From territories occupied in the recent conflict ولم يقل القرار كل الاراضي او الاراضي All territories or the territories حقا لقد كانت مسألة الصياغة بالغة الاهمية وعلى هذا الغموض والتلاعب راهنت اسرائيل والامبريالية على اقناع العرب بقبوله ، واعطاء اسرائيل فرصة قبوله لرفضه ، طبقا لاهدافها . ولقد كانت الصياغة امريكية بريطانية وليست اسرائيلية .

لذلك وانطلاقا من اهمية « دقة التعبير » سوف نناقش بعضا من دقة تعابير الكتاب . يذكر المؤلف « الوضع الجيوبولتيكي لاسرائيل » ! لماذا لاسرائيل ؟ الوضع الجيوبولتيكي هو وضع خاص بالوطن والتراب الفلسطيني ، بتضاريسه وانهاره ومواقعه وكل ما هو متميز فيه وهو قائم قبل قيام اسرائيل وباق بعد زوالها. فلماذا لم تكن الصياغة دقيقة . وايضا « عندما قامت اسرائيل على انقاض فلسطين » ( ص ١٥ ) . وتكررت العبارة عدة مرات في الكتاب . لماذا انقاض ؟ ان الوطن والشعب الفلسطيني المرتبط به كان وطنا وشعبا مقاتلا ابدا ، ومنذ بداية موجات الغزو الصهيوني حتى اليوم في تاريخه المعاصر . اما الانقاض اذا صح التعبير فهي الادارة البريطانية المحتلة . وحرصا على الدقة ينبغي القول ان اسرائيل قامت على انقاض الانتداب البريطاني بعد ان شنت المنظمات الصهيونية المسلحة حرب ابادة واجلاء وبمساعدة القوات البريطانية وتواطئها لتطرد شعبا من ارضه .

بعد العرض الخاص بمناقشة فاعلية الامم المتحدة وقراراتها وموقف الحكومات الافريقية ، يستخلص « ان المجتمع الدولي لم يتمكن من اصدار قرار صريح ... يدعو الى انسحاب القوات الغازية ولا يتعرض لوجود تلك الدولة التي قامت على انقاض فلسطين بالقوة وبتأييد الدول الكبرى » .

هذه الصيغة « الدول الكبرى » غير دقيقة ، غير علمية ، بل ومشبوهة ! البحث العلمي يستلزم معرفة موقف كل دولة لوحده والتدقيق فيه ، طبيعته ، اهدافه ، مؤشرات اتجاهه الخ ... الاتحاد السوفياتي الذي يقصده المؤلف كدولة كبرى رغم خطأ قراره في تأييد التقسيم فان طبيعة موقفه واهدافه ومؤشرات سياساته تتناقض مع اهداف ومؤشرات وطبيعة سياسات اسرائيل والامبريالية التي صنعتها ، وتلتقي مع مصالح واهداف الشعب العربي والفلسطيني في نضاله ضد اسرائيل والامبريالية ، وموقفه من المقاومة الفلسطينية رغم الاجتهادات بين موقفه وموقفها كحركة مقاومة مسلحة .. يبقى الاتحاد السوفياتي الى جانب العرب وضد الامبريالية . وهذا مما ينبع من طبيعة النظام واهدافه وسياسته . أما الولايات المتحدة وبريطانيا ( الدول الكبرى الاستعمارية ) فهي تسير بخط معاكس ضد العرب. ضد شعب فلسطين ، مع اسرائيل ، مع اعداء العرب . وهذا بالطبع ايضا بحكم الطبيعة الاستعمارية لانظمتها واهداف سياساتها .

ان النهج العلمي مرة اخرى يتعاكس كليا مع صيغة « الدول الكبرى » التي ترصف الدول كما يرصف البلاط وعلب السجائر المتشابهة . اخيرا لا احد ينكر على المؤلف جهوده ومتابعته لجمع الاحصاءات والبيانات والتصريحات التي يمكن ان تشكل ركنا هاما من المعلومات لمشروع دراسة علمية حقا عن سياسة اسرائيل الخارجية في افريقيا . بل لاكثر من رسالة ... ومن هنا فالامانة واحترام الجامعات تقضي ان يعيد المؤلف النظر في جميع الصياغات والاراء والاستنتاجات حسب مستلزمات النهج الشمولي في التحليل لتقديمها الى القارىء المواطن لزيادة معلوماته عن العدو لترسيخ ما صح منها وهز كل ما هو غير علمي وغير صحيح يحتويها .

**سعيد جواد**

Nicholas Balabkin, **West German Reparations to Israel,** (Rutgers University Press, New Brunswick, New Jersey, 1971).

نصت اتفاقية لوكسمبرغ او اتفاقية المدفوعات ( شيلوميم ) التي تم ابرامها بين المانية الغربية واسرائيل في ايلول ( سبتمر ) ١٩٥٢ على تعهد المانية بتقديم ما قيمته ٣٤٤٥ بليون مارك الى حكومة دولة اسرائيل خلال فترة تتراوح بين ١٢ عاما و١٤ عاما . وكانت المفاوضات التي ادت الى هذه الاتفاقية قد انطلقت بحيث طالبت اسرائيل بمدفوعات اعتبرت رسميا على أنها تعويضات من جانب المانية لاسرائيل لتغطية تكاليف استيعاب اعداد المهاجرين اليهود (نصف مليون !) الذين جيء بهم من البلدان الاوروبية الى فلسطين خلال فترة الحرب العالمية الثانية وما بعد ذلك حتى عام ١٩٥٢ . لكن الشكل الرسمي هذا لتبرير هذه المدفوعاتلا يؤخذ جديا في اوساط الرأي العام ، فثمة اليوم ( في اوساط الصهيونية عادة ) ممن يعتبرون المدفوعات على انها بمثابة تعويضات تنم عن « تكفير ذنب » عن المآثم والجرائم التي ارتكبتها النازية باسم الشعب الالماني خلال الحرب ضد اليهود ، وثمة ( في اوساط التقدميين العرب عادة ) ممن يعتبرون انها مساعدات امبريالية تقدمت بها الولايات المتحدة الاميركية عن طريق المانيه كطرف ثالث لانتشال اسرائيل من الازمة الاقتصادية التي كانت تواجهها من حيث عجز ميزانها التجاري . والمؤلف بالابكين ينطلق من منطلق صهيوني اعتذاري فيأخذ بوجهة النظر الاولى ، لكن كتابه الذي يشكل دراسة اكاديمية شاملة ومدعمة بالوثائق والارقام يحتوي على الكثير من الادلة التي تشير الى صدق وجهة النظر الثانية .

ليس للفصلين الاولين علاقة مباشرة بموضوع المدفوعات اذ انهما عالجا بمعظمهما اوضاع المانيه خلال فترة ما بين الحربين فأظهرا اطلاع المؤلف على تطورات الوضع الاقتصادي الالماني خلال القرن الحالي دون ان يظهرا اي علاقة واضحة فيما بين هذه المسألة ومسألة المدفوعات . وعلى ذلك ، فلم يدخل المؤلف في معالجة الامور المتعلقة بموضوع المدفوعات الالمانية لاسرائيل حتى الفصل الثالث حيث عولجت الاوضاع الاقتصادية في المانيه الغربية في الفترة السابقة مباشرة لبدء المدفوعات — في الواقع فترة ما بين نهاية الحرب ( ١٩٤٥ ) حتى عقد اتفاقية المدفوعات ( ١٩٥٢ ). ويبدو من عرض المؤلف المفصل لهذا الموضوع ان المانيه الغربية ( او بالاحرى المناطق تحت الادارة الاميركية والبريطانية والفرنسية من المانيه ) مرت بطورين اساسيين ومختلفين خلال هذه الفترة . الطور الاول ، ١٩٤٥ — ١٩٤٨ ، بدأ في ظروف الحوار الذي خلفته الحرب بما في ذلك من نقص في توفر المساكن والمواد الغذائية وسلع الضرورات اليومية وارتفاع مستوى البطالة وخاصة في اوساط اللاجئين المتضررين من جراء الحرب . وشهد هذا الطور السياسة التي اتبعتها ادارات الحلفاء التي سعت الى اقتلاع الصناعات الثقيلة مما ادى الى انخفاض في القيمة الاجمالية للرأسمال الصناعي ، وواجهت البلاد ازمة اقتصادية ومعيشية حادة وخاصة في منطقة وادي الروهر الصناعية والمناطق التي تشكلت فيها مراكز تجمع اللاجئين . وانتهى هذا الطور في منتصف عام ١٩٤٨ ضمن ظروف الازمة الاقتصادية التي نشبت في كل من ايطاليه وفرنسه ونشأت عنها تحركات سياسية ادت الى مخاوف اميركية من الا تنتشر الشيوعية في غربي اوروبه وفي منطقة الروهر بشكل خاص حيث مركز الثقل الصناعي لاوروبه الغربية ، الامر الذي حدا بالولايات المتحدة الى اقامة برنامج مارشال لتقديم المساعدات المالية لبلدان غربي اوروبه لتنشيط اقتصادها . وهكذا شهد الطور الثاني ، ١٩٤٨ — ١٩٥٢ ، انطلاقة واسعة في الاقتصاد الالماني ، وتم دمج القطاعات الاميركية والبريطانية والفرنسية ، وتمت ازالة القيود تدريجيا عن معظم الصناعات الثقيلة ، وحظيت المانيه الغربية بحصة وافرة من أموال برنامج مارشال بحيث انها تسلمت ما لا يقل عن ١٤٥ بليون دولار ( ٥٤٨ بليون مارك آنذاك ) في الفترة التي سبقت توقيع اتفاقية المدفوعات عام ١٩٥٢ . وقد ادى هذا الوضع الى خلق جو من الثقة والازدهار المطردين في الاقتصاد الالماني ، فنشط الانتاج الصناعي وارتفع حجم الصادرات وتراكم لدى المانيه الغربية مبلغ ١٦٠ مليون دولار من الفائض في ميزان المدفوعات عام ١٩٥١ ومبلغ ٥٨٠ مليون دولار عام ١٩٥٢ .

بعد معالجة ضبابية الطابع لاراء فئات الصهيونيين

والاسرائيليين حول الابعاد الاخلاقية لمطالبة اسرائيل بتعويضات من المانيه ( في الفصل الرابع ) عاد المؤلف الى صلب الموضوع في الفصل الخامس حيث عالج اوضاع اسرائيل الاقتصادية قبيل بدء المدفوعات واظهر مدى تفاقم الازمة التي كانت تمر بها البلاد خلال الفترة ١٩٤٩ — ١٩٥١. فالسنوات الثلاث الاولى من حياة الدولة الاسرائيلية شهدت موجة من الهجرة جاءت بما لا يقل عن ٧٠٠ الف مهاجر نصفهم جاء من بلدان اوروبه الشرقية والنصف الاخر من بلدان الشرق الاوسط وشمالي افريقيه . ورغم ان حجم هذه الهجرة لم يتعد عدد السكان العرب الذين تم اجلاؤهم ( أو ذهابهم ، بتعبير المؤلف البريء ) عن البلاد قبل ذلك الحين ، فان الاقتصاد الاسرائيلي بامكاناته المحلية لم يستطع ( لاسباب آثر المؤلف الا يثيرها بالتحديد ) ان يستوعبهم فانتشرت البطالة في اوساطهم ولم يستطع الاقتصاد ان يفي الطلب الاجمالي على المواد والسلع الاستهلاكية ، بما في ذلك المواد الغذائية والمساكن والمواد الخام ، مما ادى الى تضخم في حجم المستوردات فاق بكثير قيمة الموارد المالية من الصادرات والمعونات والتبرعات من الخارج . واعتمدت الحكومة آنذاك سياسة تقشفية ( استعرضها المؤلف بالتفصيل ) سعت للحفاظ على العملة بتخفيض مستوى استهلاك السلع المستوردة ومن خلال مراقبة الاسعار والاجور والايجارات والتبادل الخارجي وتحديد مخصصات السلع والمواد الخام . ولكن نظرا لتفشي السوق السوداء وقيام السبل الملتوية لتخطي القيود الاقتصادية المفروضة ، فان هذه السياسة لم تفعل فعلها ، فتفاقم العجز في الميزان التجاري وارتفع من ٢٢٠ مليون دولار عام ١٩٤٩ الى ٢٨٢ مليونا عام ١٩٥٠ وبلغ مبلغ ٣٩٥ مليون دولار عام ١٩٥١ . واعتمدت القروض ، طويلة الامد وقصيرة الامد منها ، لتغطية العجز ، الامر الذي ادى الى وقوع الدولة تحت ديون بالغة ، وانخفض الاحتياطي من العملات الصعبة بحيث بات يقارب الصفر عام ١٩٥٢ ، واصبحت الحكومة تواجه صعوبات في تغطية تكاليف المستوردات الاساسية اذ ان الاحتياطي لم يعد يكفي لتحويل سوى حاجات نصف شهر من الحاجات المستوردة الاساسية للبلاد ، فباتت اسرائيل تعيش من « الباخرة للفم » على حد تعبير المؤلف .

في هذه الظروف ( ظروف الازدهار وتوفر الفائض في ميزان المدفوعات في المانيه الغربية يقابلها ظروف الازمة وتفاقم العجز في الميزان التجاري الاسرائيلي) جاءت اتفاقية المدفوعات بمثابة « معجزة ثانية » بعد « معجزة اقامة دولة اسرائيل » ، على حد قول بن غوريون آنذاك ( اورده المؤلف ص ١٣٩ ). والجولة الاولى من المفاوضات التي ادت الى هذه الاتفاقية عقدت في شهر اذار — مارس ، في الوقت الذي كانت تجري المفاوضات الالمانية الغربية مع الدول الغربية في « مؤتمر الديون في لندن » الذي كان متوقعا منه ان يسوي ديون المانية العائدة لفترة ما قبل الحرب ( ص ١٢٦ ) وان « يعيد الثقة الى وضع بون المالي » ( ص ٤٥ ) . وقد اورد المؤلف تأكيدات مسؤولي المانية الغربية خطابيا وكتابيا حول الارتباط بين المفاوضات مع اسرائيل والمفاوضات مع مؤتمر الديون . ويبدو من ذلك ان مسؤولي المانية الغربية كانوا يأملون ان يؤدي تعهدهم بتقديم مدفوعات كبيرة على شكل بضائع المانية لاسرائيل الى تخفيض مماثل في المبالغ المطلوبة من الديون وفق التسوية المالية المرتقبة في مؤتمر لندن . ورغم ان المؤلف يفضل الا يأخذ بهذا الاستنتاج على شكله الواضح ، هذا ، الا انه اخبرنا ان ممثلي المانية الغربية رفضوا أن يتقدموا باي عروض رسمية ومحددة رغم اصرار ممثلي اسرائيل طوال الجولة الاولى من المفاوضات ، هذه الجولة التي سرعان ما انتهت عندما تقرر تأجيل مؤتمر لندن في نيسان ابريل . ولم تستأنف المفاوضات بشكل جدي الا بعد انتهاء التسوية في لندن ، فوافقت المانية على تقديم ٣٤٤٥ بليون مارك بحيث يتشكل ثلثاها من البضائع الالمانية التي تنقل الى اسرائيل والثلث الاخر من العملة الصعبة التي تدفع مقابل مشتريات اسرائيل من النفط من شركة شل البريطانية ، وبحيث يتم ذلك في دفعات سنوية خلال اربعة عشر عاما .

وصف المؤلف توقيع الاتفاقية وردود الفعل عليها كما اورد بنودها الاساسية في الفصل السابع . وانتقل المؤلف في الفصل الثامن الى معالجة سبل تنفيذ الاتفاقية من الجانب الالماني وتطرق الى التفاصيل المختلفة للترتيبات اللازمة والتعديلات التي طرأت على ذلك خلال فترة تنفيذ الاتفاقية الذي تم فعليا بمعظمه عام ١٩٦٣ ورسميا عام ١٩٦٥ . وفي الفصل التاسع عالج المؤلف اثر المدفوعات على المانية الغربية ، فاظهر ان الاثر

الاكبر في الميدان الاقتصادي انطبق على صناعة السفن اذ ان اسرائيل انفقت ربع قيمة المدفوعات المخصصة للبضائع على استيراد السفن . وقد كان لذلك اثر ايجابي من حيث المساهمة في تنشيط هذا القطاع الهام من الاقتصاد الالماني اذ ان معظم الطلبات للسفن جاءت خلال السنوات الاولى من تنفيذ الاتفاقية حين كانت احواض بناء السفن الالمانية عاطلة عن العمل نسبيا ( حوالي ٢٥ ٪ من قدرتها كان عاطلا عام ١٩٥٣ ) وحين كان انتاجها غير قادر على التنافس من حيث الاسعار مع انتاج الاحواض البريطانية .

اما في الجانب الاسرائيلي فان اثر استيراد السفن على الاقتصاد لم يكن ايجابيا بالقدر الذي كان يؤمل له . فان شركة شيلوميم ( شركة المدفوعات الحكومية ) التي اقيمت لطلب البضائع واستلامها وتصريفها في اسرائيل بدأت ( تحت رئاسة هيلال دان الذي كان رئيس شركة سوليل بونيه الهستدروتية في الوقت نفسه ) بطلب اعداد السفن بالتتالي بشكل غير مدروس ، في معظم الاحيان لصالح شركة تسيم الملاحية التي يملك الهستدروت نصف اسهمها . وقد حصلت اسرائيل على ٤٩ باخرة مختلفة ( للشحن والنقل والركاب ) نتيجة لرغبة المسؤولين في تحقيق تنفيذ الاتفاقية باقرب وقت ممكن وبسبب عدم وجود سياسة استثمارية معتمدة ومناسبة . ولذلك فان السفن التي امتصت حوالي ٢٥٪ من قيمة البضائع الالمانية ، لم تسهم باي شكل هام في تنمية الاقتصاد كما انها لم تسهم كثيرا في توسيع فرص العمالة اذ ان مجمل العاملين في السفن لم يشكلوا اكثر من ١٪ من القوة العاملة . وقد انطبق ذلك اكثر ما انطبق على بواخر الركاب الباهظة الاسعار بـ ( اسرائيل ، صهيون ، هرتزل وجيروزالم ) التي سرعان ما اضطرت الى العمل بخسارة فكانت بمثابة مجموعة من « الفيلة البيضاء العائمة ، انيقة وجميلة ، تكلف الخزينة الملايين من المخصصات سنويا ».

هذا ما قاله المؤلف في الفصل الحادي عشر حيث عالج اثر المدفوعات على الاقتصاد الاسرائيلي . ولعل هذا الفصل اهم ما في الكتاب اذ يظهر مدى انتفاع اسرائيل من المدفوعات الالمانية . والمؤلف لم يعالج بالتفصيل اثر المدفوعات ( وخاصة ثلثها — اكثر من بليون مارك — الذي ذهب لتمويل مشتريات البترول ) في تخفيف حدة العجز في الميزان التجاري وفي الاحتياطي من العملات الصعبة ، ومن ثمة اثرها في انتشال اسرائيل من خطر الانهيار الاقتصادي الذي كان يتهددها عام ١٩٥٢ — ١٩٥٣ . الا انه نظر فيما اذا أسهمت المدفوعات في تدعيم البناء التحتي لاقتصاد البلاد ، وجاءت استنتاجاته في هذا المضمار ، رغم فشل السفن ، تقول ان الاثر لم يكن ايجابيا فحسب بل وباهرا . فالمدفوعات ساهمت ( بمبلغ ١٤ مليون مارك ) في تحديث ميناء حيفا وتجهيزه وترقيته من الدرجة الرابعة الى الثانية حسب المقاييس العالمية مما أدى الى تخفيض اجور الشحن وتوفير مبالغ ضخمة من العملات الصعبة . كما ان أجهزة توليد الكهرباء والاجهزة المرافقة والتي استحوذت على ١٠٪ من قيمة المدفوعات حققت ارتفاع القدرة الكهربائية من البلاد من ١٧٥ الف كيلواط عام ١٩٥٣ الى ٧٢٠ الف كيلواط عام ١٩٦٤ ، مما ساهم مساهمة فعالة في تنشيط الصناعة والقطاعات الاقتصادية الاخرى كافة . اما الاجهزة الالمانية التي جيء بها لتطوير شبكة الخطوط الحديدية والمركبات والقاطرات ( بقيمة ٥٠ مليون مارك ) ، فقد حققت ربط جنوب البلاد بشماليها ، مما ساهم في تطوير الجنوب ، وضاعفت حركة النقل الحديدي بحيث ازدادت قدرة الحمولة بنسبة ضعفي ما كانت عليه . كما ان جزءا لا يستهان به من قيمة المدفوعات ( ٢٥ مليون مارك ) ذهب لاستيراد اجهزة التلفون والتلغراف والتلكس مما دعم هذا القطاع الحساس من المواصلات الداخلية والخارجية واخرج خدمة التلفون من الازمة التي كانت تواجهها عند بدء المدفوعات . وربما كان اهم ما ساهمت فيه المدفوعات هو تطوير استغلال الموارد الطبيعية . فقد انفق مبلغ ٣٠ مليون مارك لمد وتجهيز انابيب الري ، بما في ذلك مشروع الانابيب الضخمة ( قطرها ٢٢٥ر٢ مترا ) التي امتدت لمسافة ١٣٠ كيلو مترا من نهر يركون ( العوجا ) الى النقب . وتم انفاق ٤٢ مليون مارك من المدفوعات لاستغلال موارد النقب فذهب جزء صغير من المدفوعات ( مليوني مارك ) لتجهيز صناعة استخراج البوتاس في البحر الميت ، وجزء هام منها ( ١٥ مليون مارك ) لتجهيز ميناء مصانع استخراج النحاس في «تيمناع» التي اصبحت من اهم المصالح التي تحصل العملة الصعبة في البلاد . أما مصانع استخراج الفوسفات في اورون فقد حصلت على أجهزة المانية مختلفة ، كما أن المصانع التي يتم فيها تكرير الفوسفات في حيفا حصلت

على اجهزة حساسة من المدفوعات . وقد حظيت صناعة الاقمشة على نسبة هامة من قيمة المدفوعات ( ٥٦ مليون مارك ) من البضاعة التي استعملت لتجهيز ١٦٦ مصنعا من المصانع التي كانت سابقا مجهزة باجهزة قديمة وغير صالحة . ويقول المؤلف ان المدفوعات ساهمت في زيادة انتاج صناعة الاقمشة بنسبة ثلاثة او اربعة اضعاف ما كانت عليه . وصناعة المواد الكيمائية استفادت بقيمة ٢٢ مليون مارك من الاجهزة التي وفرتها المدفوعات. أما صناعة المأكولات فقد حصلت على أجهزة بقيمة ٤٠ مليون مارك توزعت على ٩٣ مصنعا مختلفا بما في ذلك مصنعي السكر في العفولة وكيريات غات اللذين تم بناؤهما بفضل المدفوعات. وعلى ذلك ، فان المدفوعات حققت انجازات اقتصادية ضخمة بالنسبة لاسرائيل ، وقد شكلت قيمتها ٢٥ ٪ من ميزانية الانماء للعام المالي الحساس ١٩٥٣ — ١٩٥٤ و ٤٧ ٪ خلال العام المالي ١٩٥٤ — ١٩٥٥ الذي شهد بداية انحسار الازمة الاقتصادية في اسرائيل . وشكلت المدفوعات ٤٠ ٪ من الواردات المالية الى اسرائيل عام ١٩٥٥ ، و ٢٦ ٪ خلال الفترة ١٩٥٣ — ١٩٦٤ . وعلى ذلك فقد كانت المدفوعات طوال هذه الفترة موردا مؤكدا من العملات الصعبة والبضائع الاجنبية ، مما جعلها تشكل اساسا هاما من الاسس التي انطلق منها الاقتصاد الاسرائيلي . لو حاولنا تلخيص قصة المدفوعات التي قدمتها المانية الغربية الى دولة اسرائيل بالذات ( هذا بغض النظر عن التعويضات التي قدمتها المانية الغربية للافراد من اليهود الاسرائيليين والتي لم تكن موضوع المعالجة في الدراسة التي نحن بصددها ) ، لوجدنا انها تتألف من اربعة فصول اساسية . الفصل الاول شهد ازدهار الاقتصاد الالماني بفضل اموال برنامج مارشال ( بقيمة ٥،٨ بليون مارك ) خلال الفترة ١٩٤٨ — ١٩٥١ التي انتهت بالمسعى لتحقيق استقلال اقتصادي لالمانية الغربية انعكس في عقد مؤتمر لندن حول الديون . الفصل الثاني شهد ازمة الاقتصاد الاسرائيلي التي تفاقمت خلال الفترة نفسها ووصلت الى اقصى خطورتها عام ١٩٥٢ . الفصل الثالث شهد المفاوضات التي عقدت خلال انعقاد مؤتمر لندن عام ١٩٥٢ والتي ادت الى اتفاقية المدفوعات من البضائع الالمانية والبترول لاسرائيل بقيمة ٣،٤٤٥ بليون مارك . والفصل الرابع شهد خروج اسرائيل التدريجي من ازمتها الاقتصادية وخاصة خلال الاعوام الاولى ( ١٩٥٣ — ١٩٥٥ ) كما شهد بناء الاساس التحتي للاقتصاد الاسرائيلي خلال فترة المدفوعات ( ١٩٥٣ — ١٩٦٣ ) . وتسلسل هذه الفصول لا بد وان يشعر القارىء بترابطها بحيث تبدو المدفوعات على انها كانت بمثابة مساعدات خارجية مصدرها غير المباشر الموارد المالية الاميركية التي كانت تمول برنامج مارشال وتسيطر على ديون المانية الغربية . الا ان المؤلف يعتبرها « تعويضات » ( على غرار التعويضات التي قدمت للافراد ) ويقول عنها انها فريدة من نوعها في التاريخ لانها تناولت مدفوعات كل هذا الشكل من دولة الى دولة . ولكن لو اخذنا بالاساس الرسمي لاتفاقية المدفوعات ، اي باعتبارها تغطية لتكاليف استيعاب المهاجرين ، لوجدنا انها شبيهة الى حد ما باتفاقية همافرا ( نقل ) التي كانت الوكالة اليهودية قد عقدتها مع السلطات النازية خلال الثلاثينات بحيث شجع تهجير اليهود ( او بالاحرى ابعادهم وفق المخطط النازي ) الى فلسطين مقابل نقل اموال المهاجرين على شكل بضائع المانية تستلمها وتصرفها شركة هعافرا التي اقيمت خصيصا لذلك في فلسطين . والسؤال الذي يطرحه الناقد العربي في هذا المضمار هو : اذا كانت المدفوعات ليست تعويضات بالمعنى الاعتيادي للكلمة ، وليست مساعدات مباشرة ، فهل هي استمرار لوضع موروث عن تلك الايام التي شهدت تلاحم المصالح بين النازية والصهيونية . واذا كان الامر كذلك ، فان المؤلف لم يحاول ان يعالج مغزى هذا الواقع، بل فعل كل ما بوسعه لتجنب اثارة مثل هذا السؤال .

أ. ن. سعد

## رجاء النقاش ، محمود درويش شاعر الارض المحتلة
## ( المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٢ )

يطرح علينا كتاب رجاء النقاش ، « محمود درويش شاعر الارض المحتلة » ، العديد من الاسئلة المنهجية . فالكتاب هو محاولة نقدية لشعر محمود درويش ضمن رؤية فكرية محددة . هدفها الاساسي التعريف بالشاعر وعرض قصائده ونقدها ، ومن ثم وضعها في اطار الحركة الشعرية العربية المعاصرة . والكتاب في محاولته هذه يسقط في التقليدية النقدية التي تستخدم التصنيف التقليدي للشعر ، ولا تحاول ان تواكبه في المغامرة التي بدأت الحركة الشعرية المعاصرة تشقها لنفسها منذ الخمسينات . فالشعر المعاصر بحاجة الى نقد جديد ، الى روحية جديدة ومنهجية تنبثق من قلب العملية الابداعية ولا تسقط عليها اسقاطا . لا سيما وان الحركة الشعرية المعاصرة، رغم انجازاتها الفنية ، لا تزال تشق طريقها مجهولا وجديدا . والكتاب هو دراسة لشاعر لا يزال في بدايات مغامراته الفنية. من هنا فان النقد يجب ان يتصف بالحركية التي تهدف الى كشف اتجاه تطور الشاعر وآفاقه من خلال قراءة شعره المنشور .

ان الذي يهمنا من كتاب رجاء النقاش امران اساسيان : ١ — نقاش منهجي هدفه المساهمة في البحث عن منهجية جديدة لدراسة الشعر المعاصر ، ٢ — دراسة اثر المنهج النقدي التقليدي في افراغ الشعر من طموحاته الثورية ، وتحويله الى جزء هامشي في حياتنا الفكرية .

من هنا ، فاننا سوف نبدي سبع ملاحظات تتمحور بالدرجة الاولى حول منهجية الكتاب ورؤيته النقدية .

أ — ما هي العلاقة بين النقد الادبي والريبورتاج الصحفي ؟ الحقيقة ان الكتاب لا يعطي جوابا على هذا السؤال ، فهو في مجمله مزيج من الامرين معا . انه يريد التعريف بالشاعر وينظر الى شعره نظرة الصحفي الذي يتوجه الى قراء من مختلف الاهتمامات . لذلك فهو يريد جذب انتباه الجميع . ومن ناحية اخرى فالكتاب هو في الحقيقة سلسلة مقالات لا تربطها ببعضها وحدة السياق او وحدة الرؤية . اي ان الكتاب ليس بناء منهجيا يضيء الجوانب الغامضة من شعر درويش ، ثم يقوم بعملية نقدها ووضعها في اطاراتها التاريخية والفنية . بل هدف الكاتب يقترب من هدف الصحفي الذي يقول اشياء كثيرة دون ان يصنفها او يكتشف علاقاتها الخفية . هكذا تضيع الحدود بين نوعين مختلفين من الكتابة . فنحن امام ريبورتاج صحفي عنده طموح النقد الادبي . والناقد لا يشرح لنا منهجيته ، هل هي منهجية تاريخية اجتماعية ، او انه يقرأ النص قراءة جديدة ليكتشف ابعاده من خلال اللغة الشعرية وحدها . وعدم تحديد المنهجية ينعكس على سياق التحليل ، الذي يفقد تماسكه من البداية ، ليصبح رصدا لمعلومات كثيرة بحاجة الى التبويب ، وليصبح رصدا خارجيا لواقع تاريخي ، دون الدخول الى معاناة علاقاته الداخلية . فالمدرسة النقدية الاجتماعية لا تكتفي بعرض الواقع الاجتماعي الذي نبت فيه الشعر كما يفعل رجاء النقاش في القسم الاول من كتابه، بل تغوص في تحليل البنية الاجتماعية وعلاقاتها بسائر البنى الايديولوجية والاقتصادية والسياسية، لتصل الى نتائج نهائية او شبه نهائية في تفسير ظاهرة فنية محددة . هكذا يبقى من كتاب النقاش الجانب التقريري الذي يعرفنا بمحمود درويش الانسان . والحقيقة ان هذا الجانب لا يضيف اشياء جديدة الى معرفتنا بالشاعر التي يمكن ان نستقيها من كتابه « شيء عن الوطن » او من العدد الخاص الذي اصدرته مجلة « الطريق » اللبنانية عن أدب الارض المحتلة . ان النقطة الخطيرة التي يشير اليها هذا الكتاب هي الفراغ النقدي الكبير الذي يصاحب العملية الابداعية في بلادنا . حيث يكتفي اغلب النقد ، بالوقوف من الخارج امام الاعمال الادبية ويكتفي بتسجيل واقعها دون المساهمة في الكشف عن بنيتها الداخلية واستشراف آفاقها .

ب — ينقسم الكتاب الى تسعة عشر فصلا . الفصول السبعة الاولى هي بمثابة مقدمات يعرض فيها المؤلف لواقع العرب في اسرائيل ، ثم ينتقل ليستعرض تطور الشعر الفلسطيني من ابراهيم طوقان وعبد الرحيم محمود وابي سلمى مرورا بيوسف الخطيب وفدوى طوقان حتى يصل الى درويش والقاسم وزياد . وهذا القسم هو معالجة سريعة للحركة الشعرية الفلسطينية يغلب عليها

الطابع التعريفي . ثم ينتقل الناقد الى صلب الموضوع فيبدأ باعطائنا ملامح شخصية لمحمود درويش ثم ينتقل الى ملامحه الفنية فيعرض لتطور الشاعر من التأثر بنزار قباني في ديوانه الاول — عصافير بلا اجنحة — الى مرحلته الرومانسية في ديوانه — اوراق الزيتون — ثم الى التأثر بالحركة الشعرية الجديدة في دواوينه الاخيرة الثلاثة — عاشق من فلسطين ، اخر الليل والعصافير تموت في الجليل — . ويفرد فصلا خاصا لمناقشة ديوان — العصافير تموت في الجليل — حيث يكتشف فيه بعدا صوفيا لشعر درويش . ولا نعلم — والطبعة الثالثة ظهرت في تشرين الثاني ١٩٧٢ لماذا لم يكتب الاستاذ نقاش فصلا جديدا لمناقشة ديوان — أحبك أو لا أحبك —. ثم ينتقل الكتاب الى التقسيم الكلاسيكي فهناك فصل اسمه — مع الطبيعة — ثم فصل عن — الحب والمرأة — ثم فصل عن — مفهوم الصليب ثم فصل عن — الدين والثورة — لينتهي في الفصول الاخيرة الى نقد بعض الظواهر في شعر درويش وابراز تأثره ببعض الشعراء العرب المعاصرين السياب وعبد الصبور ، ثم ينتقل للدفاع عن الشاعر ورد تهمة الشيوعية عنه !

ان نقدنا الرئيسي هو على هذا الهيكل النقدي بأسره. فالتعامل مع الشعر يجب انينطلق في رأينا من نقطتين : **الاولى** هي دراسته كظاهرة ادبية مستقلة ، بمعنى عزل البنية الفنية ودراستها من الداخل واكتشاف علاقاتها **والثانية** هي ربط هذه البنية ببقية البنى لنرى قدرة الادب على التعبير عن واقع حضاري واجتماعي بشكل ديناميكي ، اي التعبير عن صيرورة هذا الواقع وليس عن جوانبه الجامدة .

من هنا فنحن لا نوافق على التقسيم الذي خرج به الكاتب . فشعر درويش ليس شعرا تقليديا ، الشاعر يصبح نقطة التقاطع بين مختلف العوامل الفاعلة في واقع شعبه . فالطبيعة والمرأة والاطفال والصليب ، تصبح كلها وحدة عضوية ، يحاول الشاعر ان يجسدها في موقف شامل هو القصيدة. فالتقسيم القديم « شعر الغزل » او « شعر الحماسة » لم يعد الان واردا في شعرنا العربي المعاصر ، لان الحياة العربية تنتقل هي الاخرى الى عصر جديد . الحقيقة ان الكاتب نفسه لم يكن مقتنعا بهذا التقسيم ، لانه في القسم الذي يتحدث عن — الحب والمرأة — مثلا نراه يمزج الارض بالمرأة والقمر بالواقع الاجتماعي . اي ان التقسيم لا ينطبق على شعر محمود درويش كما ان الناقد لم يستطع ان يقيم هذا الفصل بين مختلف الموضوعات التي عالجها الشاعر . ربما كانت السهولة هي وراء دافع الكاتب الى هذا ، لكن رغم كل شيء فانها تعبر في رأينا عن عدم قدرة الناقد على مواكبة الواقع ، اي عدم قدرته على صياغة اشكال نقدية تواكب الاشكال الفنية الجديدة .

ج — ان هذا التقسيم الكلاسيكي ، انعكس على دراسة القصيدة . فالقصيدة الشعرية هي عالم متكامل ، يدرس من الداخل ، حتى نستطيع ان نكتشف فيه القيم الجمالية الجديدة . فالعلاقات المركبة داخل القصيدة العربية المعاصرة هي تعبير عن قدرة الشاعر العربي اليوم على الاحاطة بالواقع الشامل لمختلف جوانب الحياة العربية . واذا كان هذا التحديد لا ينطبق على شعر محمود درويش الا في قصائده الاخيرة ابتداء من ديوان — العصافير تموت في الجليل — ، فان دراسة شعره هي بالضبط في سبيل القدرة على استقراء مراحل التطور التي اوصلت الشاعر الى التعبير عن هذا الواقع المركب . لكن الناقد لا يصل الى هنا . انه يكتفي بأن يسجل لنا آراء ومواقف محمود درويش من خلال فهمه لثقافته الفنية . والحقيقة ان الجانب الخلفي الذي استند الناقد اليه— تكون ثقافة درويش الشعرية— يبقى رغم نقصانه الفادح حيث يهمل اثر الادب العالمي لا سيما ادب لوركا في الشاعر — ارضية صالحة تسمح لنا بتتبع تطور الشاعر واثر المدرسة الواقعية في الشعر العربي والعالمي على تطور شعره ووصوله الى مرحلة القصيدة — الرؤيا . لكن الناقد يتنز عن مقدمته نفسها ليعود سالما الى القواعد القديمة ولينسج بحثا سريعا يهمل ظاهرة القصيدة ويلتفت الى جزئيات الواقع الاجتماعي . اي ان التركيب المعقد للظاهرة الفنية في الارض المحتلة بعيد عن هموم الناقد . انه لا يزال في مواقع الدهشة التي صاحبت الجميع بعد الهزيمة من وجود حركة رفض عربي للقمع الاسرائيلي داخل اسرائيل نفسها . هذه الدهشة التي نبه محمود درويش الى خطرها، تنعكس في الكتاب في فصل « بدلا من الحب القاسي » حيث تصبح نقدا هامشيا لشعر درويش عبر كشف مناطق تأثره بالسياب وعبد الصبور

بشكل خارجي ، دون الدخول الى عملية اعادة تقييم لشعر درويش والنظر اليه من خلال التطور نحو القصيدة — الرؤيا ، التي هي نسيج واقعي يعيد تركيب الواقع بجزئياته عبر طموح الشاعر العربي المعاصر الى تحويل الشعر من مجرد صوت يصف الحدث ، الى صوت فاعل داخل حركة المسار التاريخي للحركة الثورية العربية .

د — اين يقع الشعر الفلسطيني ضمن الحركة الشعرية العربية المعاصرة ؟ واذا كان محمود درويش هو احد ابرز ممثلي هذا الشعر فاين موقعه الفني ؟ على هذا السؤال لا يجيب الناقد الا في الفصل الاخير من كتابه — ماذا نتعلم منه ومن رفاقه — فاذا به يكتشف ضرورة تعلم الصمود وروح التفاؤل . وليدلل على قوله وعلى الاثر الذي احدثه شعراء الارض المحتلة فانه يستشهد بالتطور الذي حصل في شعر فدوى طوقان وابو سلمى ونزار قباني . فطوقان تتخلى عن رومانسيتها وابو سلمى يتخلى عن حزنه وقباني يوقظه صوت الهزيمة من احلامه الناعمةوالهادئة. واذا بشعر الارض المحتلة يعيد «الامل الى النفس العربية ... وانتقل بالشعر والشعراء الى عالم جديد وموقف جديد من الحياة ، ليس فيه يأس ولا بكاء بل فيه امل وتفاؤل ونظرة الى الامام » . بهذا يعطي رجاء النقاش بديلا عن الحب القاسي حبا اقسى واشد مرارة . فالشعر الفلسطيني في الارض المحتلة لعب دورا كبيرا في حياتنا الثقافية والنضالية ، لا سيما في فترة صعود المقاومة ، فكان ان واكبها وغنى جراحاتها انطلاقا من مواقعه النضالية الخاصة . لكن هذا الشعر لم يستطع ان يتطور كي يصل الى مستوى القدرة على الرؤية التاريخية حتى الان . اي انه في مستوى رد الفعل على القمع والسحق وليس في مستوى الفعل التاريخي الثوري . اما الاثر الايجابي على فدوى طوقان او نزار قباني فانه ليس بالمستوى الذي يكلمنا الناقد عنه . ففدوى طوقان لا تزال اسيرة لرومانسيتها وان جرت الكثير من التطورات في شعرها ونزار قباني عاد الى سيرته القديمة شاعرا للبرجوازية المرفهة .

ان شعر الارض المحتلة شكل رديفا للحركة الشعرية العربية المعاصرة ، بأن استطاع ان يضيف اليها بعد التعلق الشديد بالارض والنسج حولها نسجا رومانسيا ومن ثم واقعيا حاد النبرات عميق القسمات . لكن الشعر العربي بأسره وشعر درويش من ضمنه لا يزال ضمن عملية البحث عن القدرة على التعبير الفني عن جراحات الانسان العربي . هذا البحث وان كان خافتا في الارض المحتلة ، فانه خارجها يأخذ كل زخمه حيث يجد الادب نفسه مواجها بالهزيمة ومواجها بالبحث عن رده عليها ضمن حركة البحث الشاملة والنضالات التي تجري على الارض العربية .

هـ — ان هذا البحث الذي يجري على المستوى الشعري يطرح قضية علاقة الشعر بالمعركة . ما هو الشعر الثوري وما هو الشعر المقاوم ؟ الكتاب لا يجيب على هذا السؤال بل يأخذ ظاهر شعر محمود درويش الذي يدعو الى المقاومة والى التمسك بالارض ، دون ان يربطه بالثورة على مستوى الشكل الشعري والايقاع الموسيقي في القصيدة . من هنا يبدو ان السؤال حول ثورية شعر محمود درويش يبقى معلقا دون الاجابة . والواقع ان هذه القضية النظرية هي القضية المركزية لاي بحث في الشعر الفلسطيني المعاصر. فهذا الشعر هو وليد بيئة تنفجر بالانتفاضات الثورية . من هنا فمعالجة قدرة هذا الادب على الوصول الى افق الادب الثوري — بمعنى قدرته على ان يجمع في ذاته الافق الثوري وقضايا الطبقات الثورية مبلورا اياهما في نسيج فني جديد يتصدى للذوق السائد الذي يشرطه فكر الطبقات السائدة . فهو يتعامل مع التراث بشكل جديد . استيعاب وتجاوز — ثم يخط لنفسه طريقا جديدا في المخاطبة والحرية .

لكن كتاب رجاء النقاش يقف عند حدود مرسومة سلفا . هذه الحدود هي حدود النشوة التي تحدثها فينا قصائد درويش وقدرتها على تعبئتنا في سبيل المعركة . هذه النشوة بدأنا نفتقدها مع المحاولات الشعرية الجديدة للشاعر التي يريد بها القدرة على التعبير عن موقف شامل . القدرة على الصياغة الواقعية التي تجاوز الحلم . حيث يصبح للاشياء منطقها الجديد . المنطق الثوري الخاص بها ، حيث التداعي يأخذ مداه والحلم يصير لباس الشاعر والموسقة تتخذ لها طريقا جديدا . فمرة يموسق النثر ومرة يجعل الموسيقى الداخلية التي تنفجر من العلاقة النغمية التي للحروف بعضها بالبعض الاخر مادة لموسيقاه . هكذا يكون الاطار الذي رسمه الناقد ليس هو اطار الشاعر وهنا تحدث اهم مفارقات الكتاب . انه كتاب مرحلة تنتهي . فالمرحلة الجديدة لا يصفها

الشعر الجامد ولا النقد التقليدي . انهـا مرحلة التجربة الى اقصى الحـدود في زمان الانهيارات والولادات العظيمة .

و ـــ حين يطرح رجاء النقاش رايه في قومية شعر درويش ، وفي أن هـذا الشعـر ليس شعـرا بروليتاريا فانه يستشهد برأي للشاعر الفلسطيني توفيق زياد « الذي يطلب من درويش التاكيد على المحتوى وعلى تعميـق العناصر البروليتارية في شعره » ليخلص الى ان شعر درويش يدور في فلك آخر « فلك التمسك بالارض والانتماء العربي» ومحمود درويش « اقـرب في نظـر الكاتب الى القوميين منه الى الشيوعيين » والحقيقة اننا لم نكن نريد الاشارة الى هذه القضية لولا المنطلق الايديولوجي الذي تستند اليه ولولا انها تعبر عن الشكل الذي تحـاول فيه الايديولوجيـة العربية السائدة امتصاص الاعمال الابداعية وتحويلها الى هامش راكد .

فنحن لا يهمنا كثيرا اذا كان درويش عضـوا في الحزب الشيوعي الاسرائيلي او لم يكن. الذي يهمنا هو الموقع الذي نظر منه الى الصراع . والواقع ان الشعراء في الارض المحتلـة كانوا في اندفاعهم نحو تأكيـد الانتماء القومـي للشعب الفلسطيني يؤكدون على النواحي القومية ويبدون تعاطفا واضحا مع الانظمـة العربية التي كانت تخوض المعارك ضد الاستعمار. ولان شعرهم كان خطابيا وتحريضيا في سمته الغالبة فانهم لم يرفعوا راية النقد للواقع العربي كما انهم لم يستطيعوا ولنفس السبب ان يبلـوروا من خـلال افقهم الاشتراكي الثوري تجربة تشكيلية جديدة وهذا ما سمح للانظمة العربية ولمنظريها بمحاولة استيعاب اشعارهم . لكن الافق الذي يظهر بعد مذبحة ايلول هو افق مختلف . فالمرحلة الرومانسية في الحركة الثورية الفلسطينية تعمدت بالدم وتصلبت اظافرها الادبية فاذا بها تتمايز عن الواقع العربي الراكد وتشارك في عملية الهدم والنقد كما يظهر من قصائد درويش الاخيرة .

ان الايديولوجيا السائدة تملك الكثـير من خطوط الدفاع . وهي تلتف حول التحرك الثوري محاولة استيعابه وتجييره لخدمتهـا . وهذا بالضبـط هو ما يجـري للشعر الفلسطينـي القادم مـن اسرائيـل . اما محاولـة رجاء النقاش اقامـة التعارض بين الانتماء الماركسي والانتماء القومـي فان الف باء الماركسية يدلنا على عكس تصور الناقد عدا ان هذا ليس مجال بحثنا الان .

ز ـــ ان الشعر العربي ، شأنه شأن جميع مظاهر حياتنا الفكريةالعربية يمر فيأزمة النمو والصيرورة. فاذا لم يستطع الوعي الثوري العربي ان ينغرس عميقا في حركة الجماهير الواقعية ويقود هـذه الحركة فعبثا نبحث عن فن ثوري . واذا كانـت المغامرة اللغوية والتشكيلية في قصائد ادونيـس ودرويش والبياتي وغيرهم لم تستطع ان تصبـح جزءا من حركة واقعية شاملة ، فانها سوف تختنق في ركام طبول الخمول الذي يجرنا الى الموت في عربات الفكر التقليدي الجامد والممارسةالسياسية الرجعية المسيطرة . واذا كان الشعر الفلسطيني قد شكل علامة مضيئة في حركتنا الشعرية المعاصرة فلانه بالضبط استطاع ان يبلور العديد من منجزات الحركة الشعرية المعاصرة حول الارض من مواقع الجماهير المناضلة . من هنا يصبح دور النقـد شديد الخطر وتصبح مسؤوليتـه اعظم . انهـا مسؤولية الوعي للاخطار التي نواجه والقدرة على الالتحام بالواقع وتجاوزه في سبيل ان تشق المسيرة الثورية لنفسها طريقا .

**الياس خوري**

## كميل منصور ، أوري افنيري أو الصهيونيـــة المستحدثة
## ( مركز الابحاث في م. ت. ف. ، بيروت ١٩٧١ )

اذا كان الرهان على تحرير فلسطين بانتظار تفاعلات القوى الاجتماعية داخل اسرائيل هو رهان خاسر سلفا ، وساذج ، بل ومشبوه في بعض الاحيان ، فان ذلك لا يبرر اي تقاعس في دراسة التفاعلات الاجتماعية والسياسية داخل اسرائيل لا لنعتمد عليها كما نعتمد على القدر ، بل لنكون — ونحن نلاحق تطوراتها — قادرين على رسم خريطة دقيقة للعدو الذي نواجهه ، بنقاط قوته ونقاط ضعفه . غير ان من اشد نواحي هذا الاتجاه حساسية ، دراسة الفئات السياسية المعارضة في اسرائيل ، لان هذه الدراسة تحتاج الى مواصفات دقيقة في أسلوب تناولها ، حتى لا تكون تصويرا مبالغا في التفاؤل : أما في قياس نسبة ابتعاد القوة المعارضة عن المؤسسة الصهيونية ، او في قياس نسبة اقتراب هذه القوة من اهداف النضال العربي، وهدف تحرير فلسطين بالذات .

ودراسة كميل منصور لحركة « هعولام هزه » ولافكار مؤسسها وزعيمها اوري افنيري ، هي من الدراسات التي توفرت لهـا نسبة عالية من المواصفات الدقيقة التي اشرنا اليها ، لان كاتب الدراسة تجنب الاوهام التفاؤلية قدر تجنبه الاحكام السطحية المبنية على المعلومات السريعة او المبتورة او المقطوعة عن اصولها .

واهمية هذه الدراسة لا تقتصر فقط على القاء الضوء الكاشف واعطاء المعلوماتالدقيقة والصورة الشاملة لاحدى حركات المعارضة المهمة في اسرائيل ، والمشهورة في خارج اسرائيل ، بل تتجاوز ذلك الى كونها دراسة نموذجية تفتح العيون العربية على المزالق التي يجب تجنبها عند دراسة اية ظاهرة معارضة في اسرائيل ، لانهـا تظهر لنا انه حتى لو ذهبت الحركة المعارضة في اسرائيل الى حد رفع شعار العداء للصهيونية ، فان ذلك لا يكفي لتصنيف هذه الحركة نهائيا في صف العداء للصهيونية ، بل علينا ملاحقة المواقف الاساسية لهذه الحركة في الاحداث المصيرية ولحظات الانعطاف ، حتى نحدد بدقة مدى علاقتها بالصهيونية .

ان منهج ملاحقة رافع الشعارات في مواقفه التفصيلية قد اثبت فعالية كبرى في كتاب كميل منصور لدرجة ان ملاحقة مواقف اوري افنيري ، رافع شعار العداء للصهيونية ، قد انتهت بكاتب الدراسة الى رسم خريطة دقيقة للمواقف السياسية لافنيري لم يستطع ان يضع لها عنوانا غير « الصهيونية المستحدثة » .

وأوري افنيري هو احد المساهمين في الكتابة لعدد مجلة الازمنة الحديثة الشهير حول القضية الفلسطينية ( حزيران ١٩٦٧ ) ، والذي ضم قسما عربيا وقسما اسرائيليا . وقد اعتبر انصار اسرائيل في فرنسا مقال افنيري في ذلك العدد من احسن المقالات التي تظهر ان الافكار المعقولة في الجانب الاسرائيلي اكثر مما تصور الدعاية العربية ... واعتبروا افنيري من الدعاة الاذكياء والمعقولين لاسرائيل . فاذا اضفنا الى هذا ما يذهب اليه بعض العرب من ان افنيري هو قوة مناصرة للعرب داخل اسرائيل ( كما اشار المؤلف في احدى صفحات كتابه — صفحة ١٦٧ ) فان ذلك يضيف الى ما اسلفنا من اهمية هذا الكتاب ، اهمية اخرى .

ومع ان الكاتب قد اصدر حكمه السياسي على اوري افنيري وحركة هعولام هزه في عنوان الكتاب ( الصهيونية المستحدثة ) فان الكتاب الذي يحتوي سبعة فصول ، يعطي افنيري كل حقه في عرض وجهات نظره ، برحابة صدر قد لا يتمتع بهـا اعداء افنيري السياسيون داخل اسرائيل فيما لو ارادوا كتابة بحث عنه وعن افكاره . ولا يسمح الكاتب لنفسه باصدار اي حكم على اي شعار يطلقه افنيري ، الا بعد ان يقارن هذا الشعار بممارسات افنيري ازاء هذا الشعار على صعيد الواقع ... ومع ان افنيري كان عضواً في عصابة ارجون الارهابية قبيل انشاء اسرائيل ، فان المؤلف يتجاوز هذه النقطة ايضا ، ولا يحاسب افنيري الا على مواقفه بعد انشاء اسرائيل ، ومنذ ان رفع لواء معارضة الصهيونية ، والدعوة « لاسرائيل غير صهيونية ، تكون جزءا طبيعيا من المنطقة » .

في الفصل الاول ، يعرض المؤلف لنبذة من حياة افنيري ، نضع يدنا فيه على جذور افكاره

واتجاهاته ، حيث يتبين ان اوري المهاجر مع ابيه من المانيا ( وهو في العاشرة من عمره ) قد شعر منذ صغره بالامتنان للصهيونية لان دعوتها يهود المانيا بالهجرة قبل تفاقم موجة الاضطهاد النازي لليهود قد انقذت اسرة افنيري . وقد ولد في نفسه تطابق الدعوة الصهيونية مع تصرفات هتلر بعد ذلك « ثقة تامة بشرعية وجوده في « ارض الاجداد » وبعدم شرعية حقوق الفلسطينيين » .

الفصل الثاني يروي « نضال افنيري في المجتمع الاسرائيلي » . ويبدو لنا في هذا الفصل ان تمسك افنيري بالنضال ضمن المجتمع الاسرائيلي ، يتوازى مع تمسكه بتصنيف نفسه في صفوف المعارضة ، « حتى انه لا يخشى ان يعلن في بعض مقالاته انه المعارض الوحيد في الكنيست لسياسة الحكم القائم » .

ثم يضع هذا الفصل بعض الخطوط العامة لاتجاه النشاط السياسي لافنيري، ومن اهمها : ـ الدفاع عن حقوق عرب المنطقة المحتلة سنة ١٩٤٨ ، وعرب المناطق المحتلة سنة ١٩٦٧ ، وذلك بالمفهوم الليبرالي العام لكلمة حقوق ، والتنديد العام بسياسة العنف ، ـ ثم التحديد الجديد للامة اليهودية ( وهو الخلاف الرئيسي لافنيري مع الفلسفة الصهيونية ) حيث يسخر افنيري من اعتبار كل يهود العالم امة واحدة يجب أن تتجمع في اسرائيل ، ـ ثم تحديد مهمة « الانتماء للمنطقة كمهمة اساسية لتحقيق السلام ، وذلك بالاعتراف بشرعية تطلعات العرب القومية » .

واذا كان في الفصلين الاولين عرض لكل ما يفرق بين افنيري والحركة الصهيونية ... من حيث المبادىء العامة والشعارات ، فان الفصول الباقية ( من الثالث حتى السابع ) مخصصة للاحقة ما يذهب اليه افنيري عندما تنزل مبادؤه العامة الى ميدان النضال السياسي العملي .

الفصل الثالث ، مخصص لتفحص مواقف افنيري ومفاهيمه فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية ، حيث يضع افنيري حل هذه القضية ضمن اطار « الامة العبرية والامة الفلسطينية » وعلى أساس ان « مصالح اسرائيل لا تتناقض مع مصالح فلسطين». ولكن الملاحقة التفصيلية لمواقف افنيري «الايجابية» من الشعب الفلسطيني ، تثبت ان افنيري انما يعترف ببعض الحقوق الجغرافية لهذا الشعب ، لا بحقوقه السياسية والقومية في ارضه ، حتى ان تطبيق مشروع تحالف الامة العبرية والامة الفلسطينية كما يقترحه افنيري داخل « الوحدة السامية » انما ينظر الى الفلسطينيين كيد عاملة رخيصة ضمن اطار اقتصاد اسرائيلي مزدهر .

وقد خصص المؤلف الفصل الرابع لملاحقة مفهوم « التعاون » الذي يطرحه افنيري . ويسجل المؤلف في مطلع هذا الفصل تحليل افنيري للعلاقة بين الصهيونية والامبريالية : « ان الصهيونية ما كانت فقط ثمرة القوميات الاوروبية ، انما كانت ايضا جزءا من الموجة الاخيرة للامتداد الامبريالي». غير ان افنيري ينكر على القارىء الاستنتاج من هذا التحليل بأن اسرائيل هي ثمرة الامبريالية . كل ما يقصده افنيري هو شرح سبب عداء الحركة الصهيونية للقومية العربية وعدم اعترافها بها اصلا : « ان الصهيونية اوهمت الرأي العام الاستيطاني بأن القومية العربية اختراع بريطاني قصد منه مجابهة الصهيونية » .

وبعد ان يستعرض الجزء الثاني من هذا الفصل جذور « القومية العبرية » كما يعرفها افنيري ، ينتقل الى مشروع الاتحاد السامي الذي يقترحه افنيري بين القوميتين يضم العبريين والفلسطينيين كنواة اساسية ، ثم يتسع ليشمل المنطقة العربية بأسرها ، حيث يلخص المؤلف عرضه لتفاصيل المشروع بأن « افنيري يقترح علينا حلفا مركزيا آخر تكون اسرائيل عموده الفقري » .

وينتقل الفصل الخامس الى استعراض مواقف افنيري بين الحرب والسلام ، بين العنف والاقناع. فنصل بهذا الفصل الى ذروة التناقض بين شعارات افنيري ومواقفه ، فبينما هو يعبر عن قلقه ازاء الحرب و« تمزقه » امام هذه « المأساة التاريخية » ، فانه يحدد قراره الاخير بعبارات واضحة : « في ساعة الخطر ، كان مكاننا في وحدات القتال ، حتى وان كان السلام هدفنا » . ويتجاوز افنيري مجرد اختبار الحرب الى « التلذذ بوصف دوره البطولي خلال فترة الحرب » .

ومع ان افنيري يقول في كتابه « اسرائيل دون صهيونية » انه احتج بقوة ضد حرب سيناء ، الا ان المؤلف يسجل له عبارة في مقال افتتاحي لهاعولام هزه ( ١٩٥٥/١٢/١٢ ) يقول فيها : « ان الحرب تواجهنا وعيونها حمراء وحامية ، ان من واجبنا ابادة القوى المقاتلة لعدونا الاكثر

قوة ، مصر ، قبل ان يفوت الاوان » . كذلك يذكر المؤلف بمطالبة افنيري بضم قطاع غزة .

ولم يختلف موقف افنيري من حرب ١٩٦٧ عن موقفه من حرب ١٩٤٨ و١٩٥٦ . ففي الصفحة ١٠٩ من الكتاب ، يورد المؤلف حديثا لحاييم هانجبي عن موقف افنيري قبيل الحرب على النحو التالي : « عندما تألفت حكومة الوحدة الوطنية الائتلافية ، بعد الحصول على الضوء الاخضر من واشنطن لقصف مصر ومباشرة « حرب البقاء » ، ايد افنيري الحرب وناضل من اجلها » .

وفي تحديد افنيري لموقفه ، يضع مسؤولية الحرب على العرب ، لان عبدالناصر قد اخطأ بمساندة سوريا ، « معتقدا اننا نخضع لمخطط اميركي ، ولم يكن يفهم أن هدفنا الوحيد هو التخلص من العمل التخريبي » .

ثم يتعمق المؤلف في رصد وسائل الاقناع التي يقترحها افنيري ( اقناع العرب طبعا ) ، فاذا بهذه الوسائل تستعجل التعامل مع الفلسطينيين في الاراضي المحتلة ، قبل اندلاع نار ثورة التحرير في صفوفهم ، اي انه يريد فلسطينيين مجردين من تطلعاتهم القومية ، ومن طليعتهم النضالية .

وهنا يصل الكتاب الى فضح نوايا افنيري في المطالبة بليونة المعاملة مع عرب الارض المحتلة ، لان اقامة المعتقلات ، في رأيه ، تساعد على اذكاء نار الثورة .

وتصل آراء افنيري الى نهاية المطاف في التناقض حول الموقف من الحرب والسلام ، عندما يبدي رأيه في المؤسسة العسكرية الاسرائيلية ، فبينما هو يتهم هذه المؤسسة بتشجيع فكرة تهجير العرب من الاراضي التي احتلت سنة ١٩٦٧ ، اذا به يقول : « ان الجيش الاسرائيلي ، خلافا لاكثرية الجيوش ، يشكل المحيط الاقل شوفينية ، والاكثر تعقلا في المجتمع الاسرائيلي » .

ويكرس المؤلف الفصل السادس من كتابه لمراجعة المقارنة البالغة الاهمية التي يعقدها افنيري بين الصليبية والصهيونية . فبينما لا يستطيع افنيري ان يخفي دهشته لشدة التطابق بين تفاصيل الغزو الصليبي والغزو الصهيوني لفلسطين . ولكنه يبدأ محاولة **الوقف** القسري لهذا التشابه عندما يصل الى مصير الغزو الصليبي . فنرى ان كل ما يهمه من عبر الغزو الصليبي هو استفادة اسرائيل من هذه العبر ، حتى لا تقع في نفس المصير .

وهنا يعود افنيري ليؤكد ان مهمة اسرائيل الاولى هي الانتماء الى المنطقة ، لان القوة العسكرية الهائلة للصليبيين لم تنفعهم كبديل عن الانتماء للمنطقة ، ولم تستطع وضع الاحتلال في موضع الانتماء .

وهكذا ، وقبل الفصل السابع والاخير ، يصل المؤلف الى استنتاجه النهائي ، وهو ان افنيري صهيوني في حقيقة مواقفه ، ولكنه صهيوني حديث ، يريد ان يستبدل نظرية الامة اليهودية التي تشمل كل يهود العالم ، بنظرية الامة العبرية التي تنتمي الى المنطقة ، وتسيطر عليها .

اما الفصل السابع لتحليل دور افنيري في اسرائيل ، فيفرق بين موقفه وموقف الصهيونيين التقليديين . ويؤكد ان الطريق المسدود الذي تقف امامه اسرائيل برغم انتصاراتها العسكرية قد « ادى الى نشوء اقلية من الاشخاص الذين يعون المأزق التاريخي في وضع اسرائيل اذا استمرت في السير على طريق الصهيونيين التقليديين » .

ويستعين المؤلف بناثان فاينشتوك ليحدد الانتماء الاجتماعي لهؤلاء الاشخاص الذي يقول « انهم الاجزاء السفلى للطبقات الوسطى ، الذين بدأوا يشكلون ملامح قومية جديدة على ارض جديدة » . وينهي المؤلف الفصل السابع « بضبط » افنيري في مواقف العداء لمنظمات مثل راكاح وماتزبن ، لان آراءها ( وخاصة ماتزبن ) في حرب ١٩٦٧ والمقاومة الفلسطينية تجعل افنيري يضعها في صنوف « الخونة » .

ويضم الكتاب في القسم الاخير النص الكامل لوثيقتين اساسيتين من وثائق حركة هعولام هزه عنوان الاولى « هذه مبادئنا » ، وعنوان الثانية « خطة السلام » ، كما ان الكتاب بأسره يستند بالاضافة لهاتين الوثيقتين الاساسيتين الى كتاب افنيري « اسرائيل دون صهيونية » ومقاله الشهير في مجلة « الازمنة الحديثة » ( حزيران ١٩٦٧ ) ثم الى ترجمات لنصوص من مجلة هاعولام هزه . وهكذا فان الكتاب يعتبر جولة في المعالم الرئيسية لفكر اوري افنيري ، وضوءا كاشفا على نموذج من المعارضة الاسرائيلية التي تحاول كسب العرب ، مع الاحتفاظ بولائها العميق لجوهر المبادىء الصهيونية ، وان اختلفت مع الصهيونيين التقليديين في بعض الامور .

**الياس سحاب**

# تقـــارير

## السكان في الاراضي المحتلة بعد حرب ١٩٦٧
## تحليل احصائي وتقديرات

الدكتور محمد فريد البستاني

تهدف هذه الدراسة الى اعطاء صورة سكانية واضحة عن المجتمع في الاراضي المحتلة من قبل اسرائيل بعد حرب حزيران ١٩٦٧ . وتشمل هذه الدراسة : (١) الضفة الغربية وتتضمن نابلس ، جنين ، طولكرم ، اريحا ، رام الله ، بيت لحم والخليل . (٢) قطاع غزة وشمال سيناء ويتضمن غزة ، خان يونس ، العريش ، شرم الشيخ وشمال سيناء . اما منطقة الجولان فلا تدخل في نطاق هذه الدراسة لعدم توفر المعلومات الاحصائية الضرورية .

ان الارقام والجداول الواردة في هذه الدراسة ، مستقاة من النشرات الاحصائية الشهرية للمناطق المحتلة ومنشورات مكتب الاحصاء الاسرائيـــلي بالاضافة الى النشرات الاحصائية السنويـــــة الاسرائيلية .

### السكان في الضفة الغربية :

لا بد لنا من الاشارة الى طبيعة الاحصـــــاءات المنشورة من قبل مكتب الاحصاء الاسرائيلي وذلك قبل البدء بتحليلها احصائيا — اذا صح لنا القول وذلك نظرا لقلتها وعدم تنوعها .

**جدول رقم (١)**
**السكان في الاراضي العربية المحتلة**
**بعـــد ١٩٦٧ ( بالالف )**

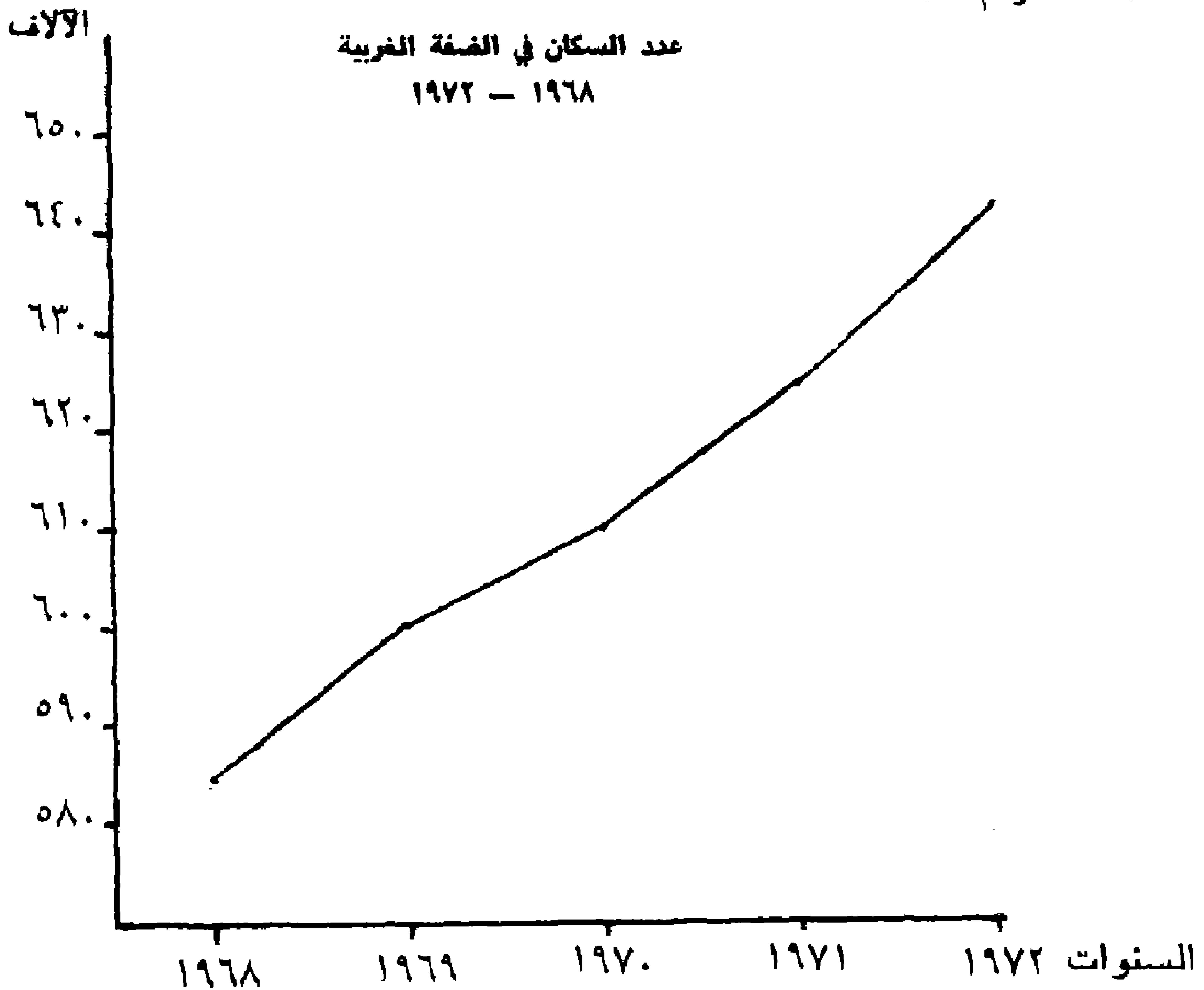
| السنوات / المنـــاطق | ١٩٦٨ | ١٩٦٩ | ١٩٧٠ | ١٩٧١ | ١٩٧٢ |
|---|---|---|---|---|---|
| الضفة الغربية | ٥٨٤،١ | ٥٩٩،٦ | ٦١٠،٣ | ٦٢٥،٦ | ٦٤٢،٩ |
| قطاع غزة وشمال سيناء | ٣٥٧،٨ | ٣٦٥،٥ | ٣٧٢،٤ | ٣٨١،٨ | ٣٩٠،٩ |
| المجموع | ٩٤١،٩ | ٩٦٥،١ | ٩٨٢،٧ | ١٠٠٧،٤ | ١٠٣٣،٨ |

ان الارقام الاحصائية التي تعبر عن عدد السكان تتضمن كل الاشخاص الذين وجدوا ساعة التعداد في منطقة العد اي تتضمن السياح والاجانب غير المقيمين . اما بالنسبة لعدد السكان في قطاع غزة وشمال سيناء فالارقام لا تشمل البدو .

١) **التطور الزمني لعدد السكان :** يشكل سكان الضفة الغربية حوالي ٦٢ ٪ من سكان الاراضي المحتلة بعد حرب حزيران ١٩٦٧ — أي مجموع الضفة الغربية وقطاع غزة وشمال سيناء . ولم تخضع هذه النسبة الى أي تغيير خلال الفترة الواقعة بين سنتي ١٩٦٨ و ١٩٧٢ . وهذا يدل دلالة واضحة على خضوع كل من الضفة الغربية وقطاع غزة وشمال سيناء الى نفس العوامل السكانية الطبيعية من جهة والى نفس الارهاب الجماعي من تقتيل وتشريد وتهجير تمارسه السلطات المحتلة على العرب الفلسطينيين .

تزايد عدد السكان العرب في الضفة الغربية من ٥٨٤،١ الفا في عام ١٩٦٨ الى ٦٤٢،٩ الفا في عام ١٩٧٢ أي بمعدل زيادة سنوية قدرها ٢،٣ ٪ وهي نسبة ضئيلة اذا قورنت بالزيادة الطبيعية

مخطط رقم (١)




للسكان العرب في الاراضي المحتلة منذ ١٩٤٨ اذ تبلغ حوالي ٣٫٤٪ وباعتقادنا ان انخفاض هـذه النسبة عائد الى سياسة التهجير الاجبارية للسكان العرب الى خـارج الضفة الغربية والهادفة الى تهويد هذه المنطقة . ومن الملاحظ ان منحنى التطور السكاني رقم ( ١ ) يعبر عن تطور منتظم لعـدد السكان في الضفة الغربية مع تغير بسيط في سرعة التزايد . كما انه من المستحسن التنويه الـى ان طبيعة هذا المنحني ( الخطية ) لا تنسجم مع المفاهيم النظرية للمنحني النظري الاسي للتطور السكاني والسبب كما ذكرنـا هو عامل تهجـير العرب من المنطقة المحتلة وهـذا ما نسعى الى اظهاره عن طريق تحليل الولادات والوفيات .

٢) **الولادات والوفيات والزيادة الطبيعية للسكان :** ان دراسة الزيادة الطبيعية للسكان والناتجة عن الفرق بين الولادات والوفيات ومقارنتها بالزيـادة الناتجة عن التطور الفعلي لعدد السكان في الضفة الغربية ، تظهر بما لا يدعو للشك سياسة اسرائيل

**جدول رقم (٢)**

**الولادات والوفيات والزيادة الطبيعية**

**في الضفة الغربية بالآلاف**

| السنوات | ١٩٦٨ | ١٩٦٩ | ١٩٧٠ | ١٩٧١ | ١٩٧٢ |
|---|---|---|---|---|---|
| ١ — الولادات | ٢٥،٦٥١ | ٢٥،٥٥١ | ٢٦،٤٥٥ | ٢٨،٢٦٣ | ٢٨،٨٣٨ |
| ٢ — الوفيات | ١١،٥٥٥ | ١١،٢٠٠ | ١٠،٨٥٠ | ١٠،٥٠٠ | ١١،٠٢٠ |
| ٣ — الزيادة الطبيعية ( ١ — ٢ ) | ١٤،٠٩٦ | ١٤،٣٥١ | ١٥،٦٠٥ | ١٧،٧٦٣ | ١٧،٨١٨ |
| ٤ — الزيادة الناتجة من الجدول رقم (١) | — | ١٥،٥٠٠ | ١٠،٧٠٠ | ١٥،٣٠٠ | ١٧،٣٠٠ |

الهادفة الى تهجير الفلسطينيين العرب . فالارقام العائدة للسنوات ١٩٧٠ ، ١٩٧١ و١٩٧٢ تظهر الفرق بين الزيادة الطبيعية للسكان والزيادة الناتجة عن التطور الزمني لعدد السكان . عادة ، الزيادة الطبيعية للسكان تعادل الزيادة الناتجة عن تطور عدد السكان او بصورة اخرى ان ازدياد عدد السكان ينتج عن تغلب الولادات على الوفيات او ( الولادات — الوفيات ) ، اذا ابعدنا فكرة الهجرة .

فالزيادات ٤٩٠٥ ، ٢٤٦٣ و ٥١٨ والعائدة للسنوات ١٩٧٠ ، ١٩٧١ و ١٩٧٢ والتي تعبر عن الفرق بين الزيادة الطبيعية للسكان والزيادة الناتجة عن التطور الزمني للسكان يمكن ان تنتج عن ثلاث فرضيات هي التالية :

١ — وجود وفيات غير مصرح عنها : أي ان ارقام الوفيات الفعلية هي أعلى من الواردة في الجدول ( ٢ ) وان الفروق ٤٩٠٥ ، ٢٤٦٣ ، ٥١٨ مبالغ فيها وليس لها دلالة علمية . ان هذه الفرضية بعيدة عن الواقع وذلك لان ارقام الوفيات هي عالية نسبيا اذ ان نسبة الوفيات هي حوالي ١٨ بالالف وهي نسبة مرتفعة اذا قورنت بمثيلاتها في المنطقة .

٢ — هجرة الفلسطينيين العرب من الضفة الغربية الى الارض المحتلة منذ ١٩٤٨ وهي فرضية مرفوضة أصلا فحكومة العدو لا تسمح لاي مواطن فلسطيني بالدخول الى الارض المحتلة منذ ١٩٤٨ .

٣ — هجرة الفلسطينيين في الضفة الغربية الى البلاد العربية المجاورة والى بقية البلدان الاخرى هذه الفرضية جديرة بالاهتمام وهي تعكس السياسة الاسرائيلية المتبعة لتهجير العرب الفلسطينيين عن ديارهم ووطنهم .

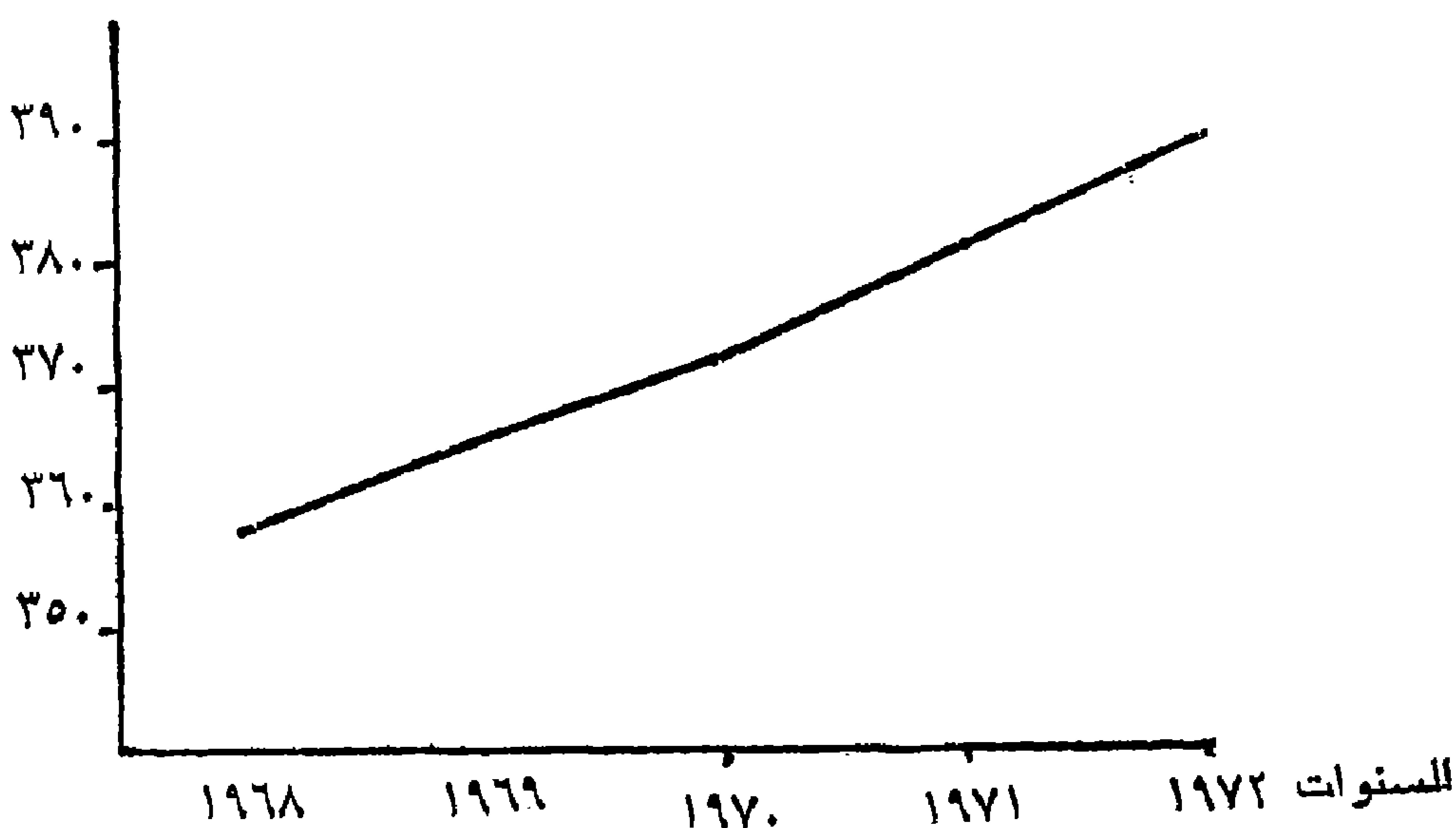
لا بد لنا من الاشارة الى ان الاعداد ٤٩٠٥ ، ٢٤٦٣ ، ٥١٨ لا يمكن اعتبارها تحديدا مطلقا للعرب الفلسطينيين الذين غادروا الضفة الغربية ، وانما تعتبر كمؤشرات دامغة لسياسة التهجير التي تتبعها اسرائيل اما الارقام الفعلية فهي أكبر بكثير وهذا ما تدل عليه مقتطفات من مقال نشره عزرا زوهر في مجلة معرخوت — العدد ٢١٧ — ٢١٨ ايلول ١٩٧١ ، ص ٢٩ — ٣٩ . « بعد حرب الايام الستة على الفور وحتى نهاية ايلول ١٩٦٧ هاجر من الضفة الغربية ١٨٠٠٠٠ شخص ومن ايلول ١٩٦٧ وحتى نهاية ١٩٧٠ هاجر من فلسطين بأسرها ٨٨٥٠٠ شخص ، وفق بيانات المكتب المركزي للاحصاء . ولكن ، بحسب ما هو مذكور ، يعتبر هذا تقديرا متواضعا جدا ، ويمكننا الافتراض انه قد هاجر خلال هذه الفترة نحو مائة الف شخص ، اي بمعدل نحو ٣٠،٠٠٠ شخص في السنة ... » . ( ملحق نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية رقم ١٧ — ١ كانون الاول ١٩٧١ ) .
أما بالنسبة لعام ١٩٦٩ حيث كانت الزيادة الطبيعية للسكان أقل من الزيادة الناتجة عن التطور الزمني للسكان وبمعدل ١،١٤٩ شخص فاننا نعتقد ان هذه الزيادة كانت ناتجة عن سماح اسرائيل لبعض العائلات الفلسطينية التي غادرت الضفة الغربية ، اثر حرب ١٩٦٧ ، بالعودة الى منازلها وذلك ، بالطبع ، تحت تأثير الرأي العام العالمي ولتغطية مخططات التهجير التي تسعى لتنفيذها .

### السكان في قطاع غزة وشمال سيناء :

١) **التطور الزمني لعدد السكان** : يشكل سكان قطاع غزة وشمال سيناء ٣٨ ٪ من سكان الاراضي المحتلة بعد حرب حزيران ١٩٦٧ — أي مجموع الضفة الغربية وقطاع غزة وشمال سيناء — . ومن الجدير بالذكر ، ان هذه النسبة بقيت ثابتة نسبيا خلال الفترة الواقعة بين ١٩٦٨ و١٩٧٢ ، مشيرة بوضوح الى التكامل البشري والاقتصادي لكل من الضفة الغربية وقطاع غزة وشمال سيناء تقارب في الزيادة الطبيعية للسكان ، تقارب في نسب الولادات والوفيات ، وخضوع كل منهما لنفس عمليات الارهاب الهادفة الى التهجير .

تزايد عدد السكان العرب في قطاع غزة وشمال سيناء من ٣٥٧،٨ الفا في عام ١٩٦٨ الى ٩٩٠،٩ الفا في عام ١٩٧٢ أي بمعدل زيادة سنوية قدرها ٢،٤٪ وهي نسبة قريبة لمثيلتها في الضفة الغربية ولكنها اقل بكثير من نسبة تزايد السكان غير اليهود « العرب » في « اسرائيل » والبالغة حوالي ٣،٤ ٪ . وبالطبع ان انخفاض هذه النسبة ناتج عن تهجير الفلسطينيين عن قطاع غزة وسيناء .
من الصعب جدا استنتاج اتجاه لتزايد السكان في قطاع غزة وشمال سيناء وذلك نظرا لقصر الفترة الزمنية المدروسة ولكنه يمكننا القول ان سرعة تزايد السكان بعد عام ١٩٧٠ هي أكبر منها قبل ١٩٧٠ — نجد نفس الظاهرة بالنسبة للضفة الغربية — .

نعود فنؤكد — كما فعلناه في الضفة الغربية —




ان خطية منحني التطور الزمني للسكان في قطاع غزة وشمال سيناء تشير بوضوح الى واقع التهجير الذي تمارسه سلطات الاحتلال على الشعب الفلسطيني . وهذا ما يدعونا الى دراسة الولادات والوفيات .

**٢) الولادات ، الوفيات والزيادة الطبيعية للسكان:**
ان الزيادة الطبيعية لعدد السكان في بلد ما تحدث عن طريق تغلب الولادات على الوفيات وعن طريق الهجرة ان وجدت . ولهذا سنعمد الى دراسة الفرق بين الزيادة الطبيعية للسكان ( الولادات — الوفيات ) وبين الزيادة الناتجة عن التطور الزمني لعدد السكان هادفين الى اظهار الدلائل المشيرة الى تهجير الفلسطينيين عن قطاع غزة وشمال سيناء .

ان الجدول رقم (٣) يظهر الفرق الحادث بين الزيادة الطبيعية للسكان وبين الزيادة الناتجة عن التطور الزمني لعدد السكان .

فالزيادات ٢٩٠٧ ، ٣٣٣٥ ، ٢٣٥٥ و ٢٤٧٠ والتي تعبر عن الفرق بين الزيادة الطبيعية للسكان والزيادة الناتجة عن التطور الزمني لعدد السكان ، خلال الاعوام ١٩٦٩ ، ١٩٧٠ ، ١٩٧١ و ١٩٧٢ على الترتيب ، يمكن ان تنتج عن ثلاث فرضيات هي:
١ — وجود وفيات غير مصرح عنها في قطاع غزة وشمال سيناء : ان هذه الفرضية تعني ان واقع الوفيات هو أعلى بكثير مما تظهره الارقام في الجدول رقم (٣) وبالتالي ان الفروق ٢٩٠٧ ، ٣٣٣٥ ، ٢٣٥٥ و ٢٤٧٠ مبالغ فيها وليس لها دلالة علمية . ان هذه الفرضية بعيدة عن الواقع وذلك لان ارقام الوفيات هي عالية نسبيا ، اذ انها تعبر عن نسبة وفاة بمعدل ١٦ بالالف وهي نسبة تعتبر مرتفعة اذا قورنت بمثيلاتها في المنطقة . « يتوقع الاستاذ بركامي في مقاله « هذه الجغرافيا هي ديموغرافيا » والذي نشر في صحيفة الجامعة العبرية في القدس — الجزء الاول من العدد ١٨ — ان نسبة الوفيات عند غير اليهود ستهبط الى حوالي ٦ بالالف خلال الثمانينات » .

٢ — هجرة الفلسطينيين من قطاع غزة وشمال سيناء الى الارض المحتلة منذ ١٩٤٨ : فرضية مرفوضة اصلا لان سلطات العدو لا تسمح لاي فلسطيني من الارض العربية المحتلة بعد حزيران ١٩٦٧ بالدخول الى الارض المحتلة قبل ١٩٦٧ .

٣ — هجرة الفلسطينيين من قطاع غزة وشمال سيناء الى البلاد العربية المجاورة والى بقية بلدان العالم : هذه الفرضية تنسجم مع سياسة التهجير الاسرائيلية للمواطنين العرب في الاراضي المحتلة واكثر من ذلك فهي تنسجم مع أفكار وآمال

**جدول رقم (٣)**
**الولادات والوفيات والزيادة الطبيعية**
**في قطاع غزة وشمال سيناء**

| السنوات | ١٩٦٨ | ١٩٦٩ | ١٩٧٠ | ١٩٧١ | ١٩٧٢ |
|---|---|---|---|---|---|
| ١ ــ الولادات | ١٥،٥٠٢ | ١٦،٧٢٧ | ١٥،٩٨٥ | ١٧،٥٠٥ | ١٧،٩٢٤ |
| ٢ ــ الوفيات | ٧،٠٩٠ | ٦،١٢٠ | ٥،٧٥٠ | ٥،٧٥٠ | ٨،٣٥٤ |
| ٣ ــ الزيادة الطبيعية (١ــ٢) | ٨،٤١٢ | ١٠،٦٠٧ | ١٠،٢٣٥ | ١١،٧٥٥ | ١١،٥٧٠ |
| ٤ ــ الزيادة الناتجة من الجدول رقم (١) | — | ٧،٧٠٠ | ٦،٩٠٠ | ٩،٤٠٠ | ٩،١٠٠ |
| ( ٣ ) ــ ( ٤ ) | | ٢،٩٠٧ | ٣،٣٣٥ | ٢،٣٥٥ | ٢،٤٧٠ |

الاسرائيليين حول عدد السكان العرب في اسرائيل والاراضي المحتلة بعد حزيران ١٩٦٧ « يفترض الاستاذ بركامي في تقديره لعدد السكان العرب ــ غير اليهود ــ في مقاله « هذه الجغرافيا هي ديموغرافيا» والذي نشر في صحيفة الجامعة العبرية في القدس ــ الجزء الاول من العدد ١٨ . انه ستكون هناك هجرة ، في الثمانينات ، من عرب قطاع غزة تقدر بحوالي ٣٠ الفا سنويا » . في جميع الاحوال ان الارقام ٢٩٠٧ ، ٣٣٣٥ ، ٢٣٥٥ و ٢٤٧٠ والمستنتجة من احصاءات مكتب الاحصاء المركزي الاسرائيلي للاراضي المحتلة بعد ١٩٦٧ ، لا تعبر عن مقدار الهجرة من قطاع غزة الى خارج فلسطين وانما هي مؤشرات دامغة لسياسة التهجير الاسرائيلية .

## سكان الاراضي المحتلة بعد حرب حزيران ١٩٦٧ ( ما عدا الجولان )

١) **التطور الزمني للسكان** : تزايد عدد سكان الاراضي المحتلة بعد حرب حزيران ١٩٦٧ من ٩٤٦٩٤٩ الفا في عام ١٩٦٨ الى ١٠٣٣٨٠٠ في عام ١٩٧٢ أي بمعدل زيادة سنوية قدرها ٢،٣ ٪ وكما هو واضح من المخطط رقم (٣) ان سرعة تزايد عدد السكان بعد عام ١٩٧٠ هي أكبر منها قبل عام ١٩٧٠ .

وكما ذكرنا في تحليلنا لتطور السكان في الضفة الغربية من جهة ولقطاع غزة وشمال سيناء من جهة ثانية ، فان سياسة تهجير الفلسطينيين عن الاراضي المحتلة بعد حرب ١٩٦٧ بصورة خاصة ، اثرت على منحني التطور السكاني وجعلته خطيا مخالفا بذلك علم تطور السكاني النظري والذي يعطي لتطور السكان طبيعة أسية .

٢) **الوفيات والولادات والزيادة الطبيعية للسكان :** ان الجدول رقم (٤) يظهر الفرق الحادث بين الزيادة الطبيعية للسكان وهي ( الولادات ــ الوفيات ) وبين الزيادة الناتجة عن التطور الزمني لعدد السكان ، بدون العودة للفرضيات الثلاث التي عالجناها من أجل كل من الضفة الغربية وقطاع غزة وشمال سيناء فان الارقام ١٧٥٨ ، ٨٢٤٠ ، ٤٨١٨ و ٩٨٨ ( جدول رقم ٤ ) يمكن ان تعتبر تقديرات متواضعة لعدد الفلسطينيين العرب الذين اجبروا على مغادرة اراضيهم خلال الاعوام التالية ١٩٦٩ ، ١٩٧٠ ، ١٩٧١ و ١٩٧٢ على الترتيب . أي يمكننا القول ان اسرائيل هجرت من الاراضي المحتلة بعد حرب حزيران ، وخلال الفترة الواقعة بين ١٩٦٩ و ١٩٧٢ ما لا يقل عن ١٦٠٠٠ فلسطيني .

## تقدير عدد السكان في الاراضي المحتلة بعد حرب حزيران ١٩٦٧ ( ما عدا الجولان ) وذلك حتى ١٩٩٠ :

في الحقيقة انه من الصعب جدا اعطاء تقديرات دقيقة لعدد السكان في الاراضي العربية المحتلة بعد ١٩٦٧ ومن أجل السنوات المقبلة ، والسبب في ذلك ان الاحداث التي يعيشها الشعب الفلسطيني في الاراضي المحتلة بصورة خاصة والامة العربية في العالم العربي بصورة عامة ، تقضي عدم قبول واقع الاحتلال والعمل على تغيير هذا الواقع بالدم والحديد ومهما كانت تضحيات الارواح والاموال . أما التقديرات بحد ذاتها والتي تقوم على أساس فرضيات تعتبر ثابتة خلال السنوات المقبلة ، فغايتها اعطاء صورة عن القوة الكامنة للشعب الفلسطيني في الاراضي المحتلة وذلك من أجل تحديد

**مخطط رقم ( ٣ )**




**جدول رقم (٤)**

**الولادات والوفيات والزيادة الطبيعية**
**في الاراضي المحتلة بعد حرب حزيران ١٩٦٧**
**( ما عدا الجولان )**

| السنوات | ١٩٦٨ | ١٩٦٩ | ١٩٧٠ | ١٩٧١ | ١٩٧٢ |
|---|---|---|---|---|---|
| ١ ــ الولادات | ٤١،١٥٣ | ٤٢،٢٧٨ | ٤٢،٤٤٠ | ٤٥،٧٦٨ | ٤٦،٧٦٢ |
| ٢ ــ الوفيات | ١٨،٦٤٥ | ١٧،٣٢٠ | ١٦،٦٠٠ | ١٦،٢٥٠ | ١٩،٣٧٤ |
| ٣ ــ الزيادة الطبيعية (١)ــ(٢) | ٢٢،٥٠٨ | ٢٤،٩٥٨ | ٢٥،٨٤٠ | ٢٩،٥١٨ | ٢٧،٣٨٨ |
| ٤ ــ الزيادة الناتجة من الجدول رقم (١) | | ٢٣،٢٠٠ | ١٧،٦٠٠ | ٢٤،٧٠٠ | ٢٦،٤٠٠ |
| (٣) ــ (٤) | | ١،٧٥٨ | ٨،٢٤٠ | ٤،٨١٨ | ٩٨٨ |

المهام الواقعة على عاتقنا من أجل تعبئة هــــذه القوة قوميا وعسكريا . اذن ليس الاعتماد على فرضيات معينة هو قبول لواقع معين وانما للعمل من اجل تغيير هذا الواقع .

**الفرضيات** : حسب الاحصاءات الاردنية ، كانت نسبة الزيادة الطبيعية لعام ١٩٦٤ ، في الضفة الغربية حوالي ٢٧ في الالف وفي القدس القديمة حوالي ٢٢ في الالف . اما بالنسبة لقطاع غزة وشمال سيناء فقد قدرت النسبة بحدود ٢٤ بالالف. واستنادا الى واقع التهجير الذي تمارسه السلطات الاسرائيلية المحتلة على الشعب الفلسطيني فاننا نتبنى نسبة زيادة سكانية بحدود ٢٤ ( بالالف ) لكل من قطاع غزة وشمال سيناء والضفة الغربية كما نعتبر بقاء الاهمية النسبية لسكان الضفــة

الغربية بحدود ٦٢ ٪ بالنسبة للمجموع العام ، انظر الجدول رقم ( ٥ ) .

**اتجاهات حول الزيادة الطبيعية للسكان في الاراضي المحتلة وتقديرات السكان** : من الملاحظ ان هناك اتجاه لتناقص نسبة الزيادة الطبيعية للسكان العرب في فلسطين المحتلة والسبب في ذلك على ما يبدو هو الرقابة على الانجاب بالنسبة للنساء المتعلمات ، تلك الرقابة التي سببتها الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي تعيشها الاسرة العربية في الاراضي المحتلة . ونجد انه من المفيد ذكر بعض البيانات التي اوردها غاد زيلبرمان « حول عدد اطفال المرأة العربية في اسرائيل في فترة اخصابها » — دائرة المعارف العبرية ، مجلد الملاحق ،ص ٤٢١ . وهي التالية « ان المعدل هو ٧ اطفال لكل امرأة عربية ، والنسبة في القرى هي ٨ وفي المدن المختلطة هي ٥ ولدى النساء اللاتي درسن تسع سنوات او اكثر ٣ — معدل المرأة اليهودية هو ٣،٢٦ — » .

ان كل الدراسات الاحصائية التي قام بها الاسرائيليون لتحليل الاوضاع السكانية في فلسطين المحتلة ، تظهر تخوف اليهود من ارتفاع نسبة الزيادة الطبيعية للسكان العرب التي تؤدي على مدى طويل الى تساوي نسبة سكان اليهود من جهة ونسبة السكان غير اليهود — العرب — من جهة ثانية .

أما بالنسبة للشعب الفلسطيني الذي يعيش قضية وجود ونضال من اجل هذا الوجود ، ويقدم باستمرار خيرة شبابه شهداء الواجب والقضية ، فاننا نرغب وندعو ان لا يكون تعلم المرأة الفلسطينية سببا في تقلص نسبة الزيادة الطبيعية للسكان وانما ان يكون مصدرا لاعداد طاقات بشرية جديدة بحمل راية الكفاح حتى النصر .

الواقع ان اسرائيل تعيش خوف التضخم السكاني للشعب الفلسطيني وتسعى جاهدة عن طريق التهجير في انقاص الزيادة الطبيعية للسكان العرب في فلسطين . فبالرغم من الحث على هجرة اليهود الى اسرائيل والى ارتفاع الزيادة الطبيعية لليهود في اسرائيل من جهة والى تهجير السكان العرب من اسرائيل من جهة ثانية فان نسبة غير اليهود سترتفع الى ١٥،٩ ٪ وذلك حسب تقديرات المكتب المركزي للاحصاء في اسرائيل وضمن فرضية ٢٥ الف مهاجر يهودي الى اسرائيل في السنة .

**جدول رقم (٥)**
**تقدير عدد السكان الفلسطينيين في الاراضي المحتلة**
**بعد حرب حزيران ١٩٦٧ ( ما عدا الجولان )**
**١٩٧٣ حتى ١٩٩٠ بالآلاف**

| السنوات<br>المناطق | ١٩٧٣ | ١٩٧٤ | ١٩٧٥ | ١٩٨٠ | ١٩٨٥ | ١٩٩٠ |
|---|---|---|---|---|---|---|
| الضفة الغربية | ٦٥٦،٣ | ٦٧٢ | ٦٨٨،٢ | ٧٦٨ | ٨٥٧،١ | ٩٥٦،٥ |
| قطاع غزة وشمال سيناء | ٤٠٢،٣ | ٤١٢ | ٤٢١،٨ | ٤٧٠،٧ | ٥٢٥،٣ | ٥٨٦،٣ |
| المجموع | ١٠٥٨،٦ | ١٠٨٤ | ١١١٠ | ١٢٣٨،٧ | ١٣٨٢،٤ | ١٥٤٢،٨ |

من الجهة الاقتصادية ، ان التركيب السكاني او البنية السكانية للشعب الفلسطيني ، هي بنية فتية وتشكل عبئا اقتصاديا على اسرائيل وخاصة اذا فكر الصهاينة بصهر هذه الفئة في المجتمع الاسرائيلي — ٥٢ ٪ من السكان العرب في اسرائيل دون سن الـ ١٤ و٨ ٪ فوق الـ ٦٥ أي ان ٦٠٪ من السكان هم خارج قاعدة اساس اختيار القوة العاملة ، اما بالنسبة لليهود فـ ٣٢ ٪ فوق الـ ١٤ ، و٦ ٪ فوق الـ ٦٥ اي ٣٨ ٪ هم خارج قاعدة اسلس اختيار القوة العاملة . اما بالنسبة لسكان الاراضي المحتلة بعد حرب ٦٧ فالتركيب السكاني يختلف جذريا وذلك بسبب الظروف التي عاشتها المنطقة وبالاخص عامل التهجير ، وقد دلت الاحصاءات الاخيرة ان ٥٢ ٪ من سكان الاراضي المحتلة بعد حرب حزيران ١٩٦٧ هم فوق الـ ١٤ سنة وهذا ما يعطي المجتمع الفلسطيني في الاراضي المحتلة بعد حرب حزيران طابعا انتاجيا اكثر منه استهلاكيا . اذن فبالاضافة الى المشاكل الاقتصادية الناتجة عن وجود مجتمع اسرائيلي غير متجانس ( اليهود المهاجرون من بلدان متقدمة ، اليهود المهاجرون من البلاد النامية ، اليهود الذين ولدوا

في اسرائيل واخيرا غير اليهود ) ، هنالك الازدياد السكاني لغير اليهود والذي يسبق ببعيد نسبة الزيادة السكانية لليهود والتي تسعى اسرائيل عن طريق التهجير التخفيف من عواقبه الاجتماعية والاقتصادية . اذن هنالك مشاكل اقتصادية واجتماعية تعيشها اسرائيل واحتلالها للاراضي العربية بعد حرب حزيران ١٩٦٧ وتهجيرها للسكان العرب الفلسطينيين يعكس سياستها التوسعية واحتلالها لهذه الاراضي هو ردة فعل لاعادة ثقة يهود العالم بها وللبحث عن ثروات جديدة في سيناء واكتساب اراضي خصبة في الضفة الغربية ومواقع عسكرية استراتيجية في الجولان وهي تعد العدة للقضاء على الفلسطينيين عن طريق القتل ، الترهيب والتهجير لانها تعلم حجم مشاكلها الاقتصادية والاجتماعية وتعمل على التهجير كحل لهذه المشاكل ولكن لن تصل ! .

**جدول رقم (٦)**
**امكانيات ونشاط المستشفيات الحكومية وغير الحكومية**
**الضفة الغربية — قطاع غزة وشمال سيناء**
**١٩٧٠ — ١٩٧١**

| السنوات | ١٩٧٠ | | | ١٩٧١ | | |
|---|---|---|---|---|---|---|
| | الضفة | غزة وشمال سيناء | المجموع | الضفة | غزة وشمال سيناء | المجموع |
| عدد المستشفيات | ٩ | ٧ | ١٦ | ٨ | ٧ | ١٥ |
| عدد الاسرة | ١٠٣٥ | ٩٧١ | ٢٠٠٦ | ١٠٤٢ | ٩٦٧ | ٢٠٠٩ |
| نسبة الاسرة المشغولة | ٧٢،٩ | ٧١ | ٧١،٩ | ٧٤،١ | ٦٦ | ٧٠،١ |
| عدد الزيارات الطبية بدون المعالجة في المستشفى | ٥٩٢٥٠ | ٩٢٧١٤٨ | ٩٨٦٣٩٨ | ٧٠٠١١ | ٨٠٣٢٦٧ | ٨٧٣٢٧٨ |
| عدد أيام المعالجة في المستشفى | ٢٧٢٨٦١ | ٢٥٥٣١٠ | ٥٢٨١٧١ | ٢٧٩٢٨٥ | ٢٣٣٦٢٥ | ٥١٢٩٠٠ |
| الولادات | ٣٤١٠ | ٢٥٤٦ | ٥٩٥٦ | ٤٥٧٣ | ٢٧٦١ | ٧٣٣٤ |
| العمليات الجراحية | ٨٢٩٣ | ٧٩٠٥ | ١٦١٩٨ | ٨١١١ | ٨٥٩٠ | ١٦٧٠١ |
| عدد السكان | ٦١٠،٣ | ٣٧٢،٤ | ٩٨٢،٧ | ٦٢٥،٦ | ٣٨١،٨ | ١٠٠٧،٤ |

## مؤشرات حول الاوضاع الصحية في الاراضي المحتلة بعد حزيران ١٩٦٧ ( ما عدا الجولان ) :

الهدف من هذه الدراسة هو تقديم صورة واضحة عن المستشفيات وامكانياتها في كل من الضفة الغربية وقطاع غزة وشمال سيناء .

ان المعلومات الواردة في الجدول المذكور اعلاه تساعدنا على تحديد الامكانيات الصحية في كل من الضفة الغربية وقطاع غزة واكثر من ذلك في اظهار نسبة الاستفادة من الخدمات الصحية العامة المقدمة من قبل المستشفيات الحكومية وغير الحكومية :

١ — **المستشفيات** : في الضفة الغربية يبلغ عدد المستشفيات ٨ في عام ١٩٧١ مقابل ٩ في عام ١٩٧٠ والسبب في ذلك النقص هو أن اسرائيل قامت في شهر شباط ١٩٧١ بدمج مستشفيين حكوميين . وفي الحقيقة ان المستشفيات الاهلية تشكل الغالبية العظمى فهناك في عام ١٩٧١ ، ٧ مستشفيات أهلية مقابل مستشفى واحد حكومي . أما بالنسبة لقطاع غزة وشمال سيناء فهناك ٧ مستشفيات : خمسة منها حكومية ، واحد مشترك بين القطاعين والاخر اهلي . يظن القارىء لاول وهلة ان الضفة الغربية تعتمد على القطاع الخاص في تأمين خدماتها الصحية بعكس ما هو وارد في قطاع غزة وشمال سيناء والواقع انه بالرغم من وجود سبعة مستشفيات اهلية في الضفة الغربية فان امكانية استيعاب هذه المستشفيات هي ضئيلة اذ تحتوي على ٢٧٠ سريرا فقط — عام ١٩٧١ — مقابل ٧٧٢ سريرا في المستشفى الحكومي الوحيد . ومع ذلك وبالرغم من ضآلة استيعاب المستشفيات

الخاصة فان الضفة الغربية تتميز عن قطاع غزة وشمال سيناء بأهمية مشاركة قطاعها الخاص في تأمين الخدمات الصحية . من جهة ثانية فان قطاع غزة وشمال سيناء يتمتع تقريبا بنفس الامكانيات الصحية من ناحية استيعاب المستشفيات . كما هي في الضفة الغربية بالرغم من ان عدد السكان فيه هو حوالي ٦١ ٪ من سكان الضفة الغربية . في جميع الاحوال نجد انه في كل من الضفة الغربية وقطاع غزة ، لا يوجد استخدام كامل للامكانيات الصحية المتوفرة ومن ناحية معالجة المرضى في المستشفيات . فمعدل نسبة الاسرة المشغولة في عام ١٩٧٠ كان ٧٢،٩٪ في الضفة الغربية و ٧١ ٪ في قطاع غزة وشمال سيناء مقابل ٥٤،١ ٪ في الضفة الغربية و ٦٦ ٪ في قطاع غزة وشمال سيناء في عام ١٩٧١ .

٢ ــ **عدد الزيارات الطبية بدون المعالجة في المستشفى** : يقصد بالزيارة الطبية دون المعالجة في المستشفى هو قيام المريض باستشارة الطبيب في المستشفى دون بقاء المريض في المستشفى لمعالجته . ان هذا المؤشر يمكن ان يعكس وجود أو عدم وجود العيادات الطبية الخاصة في كل من الضفة الغربية وقطاع غزة وشمال سيناء .

في الضفة الغربية بلغ عدد الزيارات الطبية بدون المعالجة في المستشفى ٥٩٢٥٠ زيارة في عام ١٩٧٠ مقابل ٧٠٠١١ زيارة في عام ١٩٧١ اما بالنسبة لقطاع غزة وشمال سيناء فكان عدد الزيارات في عام ١٩٧٠ حوالي ٩٢٧١٤٨ مقابل ٨٠٣٢٦٧ زيارة في عام ١٩٧١ . المهم في الموضوع هو ذلك الفارق الكبير بين الرقمين العائدين للضفة الغربية ومثيلهما في قطاع غزة وشمال سيناء . ذلك انه بالرغم من أن عدد سكان الضفة الغربية هو أكبر بكثير من عدد السكان في قطاع غزة وشمال سيناء فان عدد الزيارات الطبية بدون المعالجة في المستشفى في قطاع غزة وشمال سيناء هو اكثر من عشرة أمثال عدد الزيارات في الضفة الغربية والسبب عائد الى ثلاث حقائق : آ ــ وجود عدد قليل جدا من العيادات الخاصة او بصورة اخرى عدم وجود العيادات الطبية الخاصة الفردية وهذا ما يدعو الافراد الى الاتجاه نحو المستشفيات العامة والخاصة . ب ــ ارتفاع نسبة الامراض في قطاع غزة وشمال سيناء ، هذه الامراض الناتجة عن سوء التغذية بصورة عامة والتي تؤدي بالطبع الى ازدياد عدد الزيارات الطبية بصورة ملحوظة . جـ ــ سوء الاحوال المادية للعرب الفلسطينيين هناك مما يؤدي الى عدم استطاعتهم استشارة طبيب في عيادته الخاصة ، ان وجدت مثل هذه العيادات ! .

أما عدد ايام المعالجة في المستشفى فهو ، كمؤشر، يؤكد الحقيقة ( ب ) . فعدد أيام المعالجة في المستشفيات متقارب في كل من الضفة الغربية وقطاع غزة وشمال سيناء بالرغم من الفارق الكبير الموجود بين عدد السكان وهذا بالطبع سببه الامراض المستعصية التي تتطلب معالجة ومراقبة طبية في المستشفى .

٣ ــ **الولادات** : بالنسبة للضفة الغربية بلغ عدد الولادات الواقعة في المستشفيات حوالي ٣٤١٠ ولادات في عام ١٩٧٠ مقابل ٤٥٧٣ ولادة عام ١٩٧١ اي بما يعادل ١٣ ٪ من مجموع الولادات في عام ١٩٧٠ مقابل ١٦ ٪ في عام ١٩٧١ . في قطاع غزة وشمال سيناء ، كان عدد الولادات الحادثة في المستشفيات حوالي ٢٥٤٦ في عام ١٩٧٠ مقابل ٢٧٦١ في عام ١٩٧١ اي بمعدل ١٦ ٪ من مجموع الولادات في عام ١٩٧٠ مقابل ١٥ ٪ في عام ١٩٧١. يلاحظ من تقارب النسبة السابقة من جهة ومن صغرها من جهة ثانية ان حوالي ٨٥ ٪ من الولادات ، في كل من الضفة الغربية وقطاع غزة، تتم عن طريق القابلات القانونيات وغير القانونيات. اما بالنسبة لعدد العمليات الجراحية المجراة في المستشفيات في كل من الضفة الغربية وقطاع غزة وشمال سيناء ، فان تقارب الارقام الدالة لعدد العمليات في الضفة الغربية وقطاع غزة من اصل سنة ١٩٧٠ ، واكثر من ذلك تغلب عدد العمليات في قطاع غزة على العدد المثيل في الضفة الغربية في سنة ١٩٧١ بالرغم من أن عدد سكان قطاع غزة وشمال سيناء اقل بكثير من عدد سكان الضفة الغربية ، كل هذه المؤشرات تدل على سوء الاوضاع الصحية في قطاع غزة ووجود حالات مرضية عديدة تطلبت معالجة جراحية .

ان هذه الصورة الاحصائية لامكانيات قطاع الخدمات الصحية في الاراضي المحتلة بعد حرب حزيران ١٩٦٧ تساعدنا على تقييم هذه الامكانيات وتحديد طرق الاستفادة منها في المستقبل القريب .

# مذكرة مقدمة الى مؤتمر العمال الزراعيين لدول البحر الابيض المتوسط :
# اوضاع العمال الزراعيين الفلسطينيين

اننا اذ نتقدم بمذكرتنا* هذه الى مؤتمركم الكريم نتوجه بأحر التحيات الى اعضاء المؤتمر وبشكرنا الى الهيئة التحضيرية ...

ان المدخل الاساسي لفهم اوضاع ومشاكل العمال الزراعيين الفلسطينيين ، هو بوضعها في الاطار العام لوضع الطبقة العاملة الفلسطينية والشعب الفلسطيني عموما ، من حيث كونه شعبا يعاني من مأساة مستمرة متفاقمة منذ اكثر من نصف قرن متعلقة بحرمانه من حق تقرير مصيره بمحض ارادته وحريته والعيش في أرضه ووطنه . فلقد تكالبت قوى الاستعمار الاوروبي بانواعها لتحول الشعب الفلسطيني من شعب له كيانه الاجتماعي — الاقتصادي — السياسي الواحد الى شعب يتواجد نصفه تحت الاحتلال المباشر ، ويعاني نصفه الاخر من التشرد واللجوء . والواقع أن مسار وضع الفلاحين والعمال الزراعيين الفلسطينيين منذ نصف القرن الماضي وحتى يومنا هذا يشكل الصورة المصغرة والمقدمات الاولية لمسار وضع كل الشعب الفلسطيني ، فقضيتهم هي قضية الارض ، وان قضية الارض هي بالذات قضية الشعب الفلسطيني كله .

وهكذا ، فان مشاكل عمال الزراعة الفلسطينيين لا تعالج في الوقت الراهن من خلال معالجة مشاكل وقضايا طبقة معينة من السكان لها علاقاتها وتناقضاتها المختلفة مع الطبقات الاخرى ضمن حدود البلد الواحد السياسية والاقتصادية . فأوضاع العمال الزراعيين الفلسطينيين لا تناقش ولا يتم فهمها فهما معمقا — كما هو الحال في البلدان الاخرى — عن طريق تبيان وكشف علاقات القطاع الزراعي بالاقتصاد الوطني في البلد المعني واوضاع شرائح هذا القطاع ومختلف العوامل المحيطة به ( درجة تطور وسائل الانتاج الزراعي، الملكية الزراعية وتوزيعها ، وسائل وطرق رفع انتاجية العامل الزراعي ، مشاكل تصريف وتسويق المنتوجات الزراعية ، متطلبات العمل النقابي لعمال الزراعة ، الاصلاح الزراعي والجمعيات التعاونية الريفية ، رفع مستوى حياة العامل بما يتناسب مع مستوى معيشة الطبقات الاخرى في المجتمع ، حل التناقض بين الريف والمدينة ، صهر الزراعة صهرا عصريا ، اشتراكيا ... الخ ) . ذلك لان النتيجة المباشرة الاولى لاحداث نصف القرن الماضي في فلسطين تجسدت في سلب الشعب الفلسطيني من الارض ، وسيلة الانتاج الاولى واجلائه عنها ، بما في ذلك اجلاء العمال الزراعيين الفلسطينيين ، وهذا جانب يتميز به الاستعمار الاستيطاني الصهيوني عن مثيليه في افريقيا مثلا . واذن ، فدراسة وضع العمال الزراعيين الفلسطينيين ومتابعته مع الزمن يتطلب ليس فقط رؤية الخلفية التي نشأوا فيها وهي خلفية تتشابه مع معظم بلدان العالم الثالث التي ربطت عنوة بالسوق الرأسمالية العالمية منذ اواخر القرن الماضي ، وجرى تغيير اساليب الانتاج في اريافها وزراعتها وعلاقاتها الزراعية ، بل يتطلب ايضا رؤية السمات الخاصة لفلسطين والمتمثلة بسلب شعب كامل من أرضه وأجلائه عنها . وقد بدأت عملية السلب هذه بسياسة استعمارية مزدوجة ادخلها الاستعمار البريطاني بعد الحرب العالمية الاولى ، فاتحا الباب في الوقت نفسه امام المستعمرين المستوطنين الصهاينة ، ثم تتوج عام ١٩٤٨ بقيام دولة اسرائيل المتوسعة دائما والتي تكرس حتى يومنا هذا سلب اراضي شعب فلسطين العربي .

**التحولات في الزراعة الفلسطينية قبل الاحتلال البريطاني :**

كان الطابع العام الغالب في الزراعة العربية الفلسطينية حتى اوائل هذا القرن هو الانتاج الطبيعي او الانتاج للاستهلاك الذاتي ، وكانت وسائل الانتاج الزراعي بدائية تعتمد بشكل رئيسي على القوى الحيوانية وليس على القوى الميكانيكية ( الآلية ) . اما علاقات الانتاج فكانت في غالبها علاقات بين منتجين صغار احرار مع بعض ملامح

* مذكرة اعدها جميل هلال ، الباحث في قسم الدراسات الفلسطينية في مركز الابحاث ، وقدمها للاتحاد العام لعمال فلسطين في مؤتمر العمال الزراعيين لدول البحر الابيض المتوسط الذي عقد في نوفمبر ١٩٧٢ .

العلاقات الاقطاعية الكلاسيكية . كما كان جـزء كبير من الارض يقع خارج نطاق السيطرة الفردية وعملية البيع والشراء اذ كانت هذه الاراضي « مشاعا » او ملكا جماعيا للقبيلة او القرية او « الحامولة » او « العيلة » . غير ان هذا النظام الاقتصادي السياسي بدأ في التفكك في اواخر القرن الماضي نتيجة للتغيرات المتمثلة في التنظيمات الجديدة ، التي فرضتها السلطات التركية على سكان الامبراطورية ومنهم اهالي فلسطين العرب. فبناء على نظام « الالتزام » الجديد اصبحت الضرائب تجبى نقديا عن المحاصيل بعد ان كانت تقتسم عينا . كما استفادت الطبقات العليا في المجتمع من قانون الضرائب الجديد الذي ألغى نظام الملكية الجماعية ( المشاع ) ونص بتسجيل الاملاك الارضية على اساس فردي . فبدأ افراد الطبقات والفئات العليا بتسجيل الاراضي باسمائهم معتمدين في هذا على خوف الفلاح العادي من زيادة الضرائب ومن التجنيد الاجباري . كما قامت السلطات وكبار التجار والمرابين بالاستيلاء على اراضي الفلاحين الذين عجزوا او تأخروا عن تسديد ديونهم وفوائدها الباهظة . ولما كانت عمليات الفرز والتسجيل هذه تكلف مبلغا يفوق طاقات قسم كبير من الفلاحين فقد لجأ بعض هؤلاء الملاكين الى بيع اراضيهم او جزء منها الى التجار والوجهاء . وهكذا بات نظام الالتزام وسيلة لتجريد الفلاح من أرضه في حين ساعد قانون الاراضي الجديد على بلورة طبقة من ملاك الاراضي الكبار . لقد كان لهذه التطورات وغيرها من التحولات وقع هام على حياة الفلاح الفلسطيني . فتطور الملكية الفردية ادى الى تغلل نمط جديد من العلاقات الاجتماعية والاقتصادية داخل الريف الفلسطيني بحيث تغيرت نوعية العلاقة القائمة بين الفلاح والارض واجبر المزارع على العمل ضمن سوق تجارية رأسمالية. كما وعملت هذه التحولات على خلق طبقة جديدة من العمال الزراعيين لانها جعلت من الفلاح المستملك اجيرا عند اصحاب الارض الجدد ، فالارض التي كانت تربط الفلاح بقريته وتحدد له اسلوب حياته سلبت منه لتصبح ملكا لطبقة ضيقة من الوجهاء والتجار واصحاب رؤوس الاموال الاخرين . وقد رافقت هذه الظاهرة بدايات ظاهرة اخرى وهي هجرة الفلاحين المعوزين الى المدن التي بدأت تنمو في فلسطين في ذلك الوقت ، كما توجه عدد آخر الى شرق الاردن للعمل في اراضي شيوخ القبائل هناك . وبدخول فلسطين في نطاق السوق الرأسمالية العالمية نشطت عملية التصدير الى الخارج وخاصة زراعة الحمضيات التي كانت متطورة في فلسطين ( وخاصة مدينة يافا العربية ) منذ بداية العقد الثامن من القرن الماضي ( كان في يافا آنذاك حوالي ٤٠٠ بستان مساحتها ٣٦٨ هكتارا ) . وقد سارعت هذه الحركة في تحسين وسائل الانتاج وادخال الالات الحديثة في الزراعة كالمضخات الآلية التي اصبح تعدادها بالالاف عام ١٩٠٧ . وبهذا يمكننا القول ان الفترة الواقعة ما بين بداية الربع الاخير من القرن الماضي حتى نهاية الحرب العالمية الاولى شكلت بداية لتحولات هامة في اوضاع الزراعة والفلاحين في فلسطين العربية.

**الاستعمار المزدوج : البريطاني ــ الصهيوني :**

وفي هذه الفترة بالذات بدأت الحركة الصهيونية العالمية بالاهتمام بشكل جدي وعملي بتنفيذ مشروعها الاستعماري ــ الاستيطاني الهادف الى تهويد فلسطين بخلق دولة صهيونية فيها . ولما كانت الصهيونية غير قادرة على الاعتماد على قواها الذاتية لتنفيذ مشروعها الاستيطاني هذا كان لا بد لها من البحث عن قوة استعمارية كبرى تتعهده . فقد كان واضحا ان الهجرة الصهيونية وعملية الاستيلاء على الاراضي لن تتما الا بالقوة وضد ارادة سكان البلاد العرب . ولهذا نجد ان هرتزل، مؤسس الصهيونية السياسية الحديثة كان قد اتصل منذ عام ١٨٩٦ وحتى وفاته في ١٩٠٤ بسبع دول اوروبية عارضا على كل منها تحالف الحركة الصهيونية معها بما يخدم مصالحها الاستعمارية ، واقترح هرتزل ان تشكل الدولة اليهودية فيفلسطين بقعة من اوروبا ضد اسيا تكون حسب تعبيره « مركزا اماميا للحضارة ضد البربرية » . فبعد محاولة التقارب الصهيوني ــ الالماني كثفت الصهيونية اتصالاتها مع بريطانيا وخاصة بعد اندلاع الحرب العالمية الاولى لسبب واحد وهو كون بريطانيا ، بحكم كونها قائدة حركة الاستعمار العالمي وبحكم حجم مصالحها في المنطقة العربية ، القوة المؤهلة لرعاية مشروع الدولة الصهيونية في فلسطين . فكان صدور وعد بلفور عام ١٩١٧ والذي تعهدت بموجبه بريطانيا انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين . وبصدور هذا الوعد وباحتلال القوات البريطانية لفلسطين بدأ تنفيذ المشروع الاستيطاني الصهيوني بالقوة وتحت حراسة الاستعمار

البريطاني . وتنتهي هذه الحقبة بقيام دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ .

باحتلال بريطانيا لفلسطين يكون الشعب الفلسطيني العربي قد دخل تحت سيطرة استعمار مزدوج . فقد جاء الاستعمار البريطاني ليقوي ويعمق التطورات التي برزت بعض ملامحها الاولية في اواخر فترة الحكم العثماني ، ولينمي تطورات اخرى ، فعمل على ربط الاقتصاد المحلي ( وخاصة القطاع الزراعي ) بعجلة الاقتصاد الرأسمالي العالمي لخدمة الاخير . فشق شبكة واسعة من خطوط المواصلات، وطور طرق الاتصال بالعالم الخارجي، كما أدى تعسكر قوات بريطانية في البلاد الى نشوء احتياجات وسعت من نطاق العمالة عبر مشاريع حكومة الانتداب . كما شجع كل هذا على اتساع قطاع الخدمات والادارة وازدياد اهمية المدن وتبلور طبقة برجوازية متوسطة جديدة ، في حين اخذت الطبقات المسيطرة في المجتمع ( ذات الجذور الوجاهية وشبه الاقطاعية ) تتوجه نحو الاستثمار التجاري والصناعي البسيط ، وازداد حجم الحيازات المتركزة في ايدي حفنة من الملاك الزراعيين خاصة في زراعة الحمضيات . وبتعبير اخر فان تطور الاقتصاد الوطني في فلسطين كان يشبه التطورات التي جرت في البلدان الاخرى التي تعرضت في هذا العصر للاستعمار الاوروبي ، فقد اتجه الاقتصاد الوطني نحو الراسمالية ولكن في اطار العلاقات الكولونيالية والامبريالية . وبهذا تم تشويه وعجن الاقتصاد الوطني بشكل يجعله صالحا لخدمة الاقتصاد الكولونيالي . وكان من الممكن ان ينتهي ذلك كله بنفس الطريقة التي انتهى اليها الاستعمار البريطاني في الدول العربية الاخرى وبدون ان يسلب الشعب الفلسطيني تراب ارضه ووطنه ، لو لم يكن هذا الاستعمار الكلاسيكي مصحوبا باستعمار اخر من نوع مختلف . ذلك لان الاستعمار البريطاني دخل فلسطين لغرض اساسي وهو تنفيذ المشروع الصهيوني لخلق دولة صهيونية على الاراضي العربية . ولخلق هذه الدولة كان لا بد من توفر شروط معينة حددتها الطبيعة الخاصة للاستعمار الصهيوني في فلسطين. فحتى تصبح « فلسطين في النهاية يهودية كما انجلترا انجليزية » كان لا بد من شحن السكان اليهود الى فلسطين ، اي ان الهجرة الاستيطانية هي سمة اساسية من سمات حركة الاستعمار الصهيوني . وهكذا تميزت فترة الانتداب البريطاني في فلسطين بالهجرة الاستيطانية المكثفة . فمن المعروف ان عدد اليهود في فلسطين وقت الاحتلال البريطاني عام ١٩١٨ كانوا ( ٥٦ ) الف نسمة يشكلون ٨٪ من مجموع السكان العرب ، وقد ارتفع هذا العدد في غضون اربع سنوات فقط ( سنة ١٩٢٢ ) الى ٧٣،٠١٤ نسمة يشكل ١٢٪ تقريبا من مجموع السكان ، ثم ١٧٤،٩٨٠ نسمة سنة ١٩٣١ يشكل حوالي خمس السكان العرب واستمرت هذه النسبة في الارتفاع الى ان وصلت الى ٣٣٪ من مجموع سكان البلاد سنة ١٩٤٨ . هذا في حين كانت نسبة تزايد السكان العرب الطبيعية تضاهي اكثر من ضعفي نسبتها عند اليهود مما يعطي فكرة واضحة عن ضخامة حجم الهجرة الصهيونية الى فلسطين في فترة الاستعمار البريطاني . ولكن الاستعمار الصهيوني لم يكن من النوع الاستيطاني العادي : فالغرض الاساسي وراء هذا الاستيطان كان تحقيق الهدف الصهيوني الذي كان شعاره « ارض بلا شعب ( فلسطين ) لشعب بلا ارض » . فالاستيلاء على الارض واجلاء سكانها الاصليين سمة اساسية اخرى من سمات الاستعمار الصهيوني حين احتلت بريطانيا فلسطين عام ١٩١٨ كان اليهود ( بموجب المعطيات الرسمية للانتداب البريطاني ) يملكون ( ٢،٥٪ ) من اراضي فلسطين ارتفعت هذه الى ٥،٦٪ فيمنتصف ١٩٤٨ ، اما عدد المستوطنات الصهيونية فقد ارتفع من ٧١ عام ١٩١٩ الى ٢٥٩ عام ١٩٤٤ . اذن لم يكن لدى الحركة الصهيونية سوى وسيلة واحدة لتحقيق هدفها في انشاء الدولة اليهودية في فلسطين، الا وهي الاستيلاء على **الارض** في فلسطين. فلم يكن بمقدور الحركة الاستعمارية الصهيونية من انشاء دولتها بدون الاستيلاء على الارض ولم يكن هناك من وسيلة لتحقيق هذا وايجاد الاغلبية اليهودية المنشودة بدون طرد السكان الاصليين او تحويلهم الى اقلية صغيرة . ومن هنا اكتسب الاستعمار — الاستيطاني الصهيوني سمته الاجلائية المتميزة . فلم تهدف الصهيونية كحركة استعمارية الى استغلال الموارد الطبيعية والبشرية في فلسطين بل كانت تريد **الارض** الفلسطينية نفسها . واضح ان الصهيونية ادركت اولوية الارض منذ البداية. وقد كتب خبير الاراضي الصهيونية «افرونوفسكي» يقول « ان مسألة الاراضي هي في الواقع مسألة حياة او موت للصهيونية والوطن القومي ، فاذا

بقيت الاراضي بعيدة المنال فلا يمكن تحقيق هـدف الصهيونية » .

ولهذا سعت الحركة الصهيونية منذ سنة ١٨٧٥ للحصول على الاراضي العربية في فلسطين فحصلت على مساحات متفرقة كهبة من الحكومة التركية بحجة انشاء مدارس ومختبرات زراعية واشترت من اقطاعي الاراضي في دمشق وبيروت وفلسطين مساحات اخرى بأثمان مغرية . كما حصلت الصهيونية بموجب صك الانتداب على تسهيلات واسعة للاستيلاء على الاراضي ومنحتها الحكومة البريطانية ٣٠٠،٠٠٠ دونم من اراضي الدولة ، وأجرت للصهاينة ١٠٠،٠٠٠ دونم اخرى بايجار اسمي .

كان اليهود يملكون عند الاحتلال البريطاني ٦٥٠،٠٠٠ دونم فقط من الاراضي ارتفعت هـذه لتصبح ١،٧٤٨،٥٠٠ دونم عند انتهاء الانتداب . وقد تملكوا هذه الاراضي بالطرق التالية :

| | |
|---|---|
| — هبة من الحكومة التركية وشراء من الملاكين غير الفلسطينيين من ١٨٧٨ — ١٩١٨ | ٦٥٠،٠٠٠ دونم |
| — هبة من الحكومة البريطانية | ٣٠٠،٠٠٠ دونم |
| — شراء من اقطاعيين غير فلسطينيين في فترة الانتداب | ٤٢٠،٠٠٠ دونم |
| — شراء من اقطاعيين فلسطينيين | ١٨٦،٠٠٠ دونم |
| — شراء من الاديرة والمؤسسات الاجنبية | ١٢٠،٠٠٠ دونم |
| — شراء من صغار الملاكين الفلسطينيين | ٧٢،٥٠٠ دونم |
| المجمـوع | ١،٧٤٨،٥٠٠ |

فبالرغم من ان ٨٠٪ من المهاجرين اليهود الى فلسطين انتقلوا اليها مباشرة من المدن الاوروبية نجد ان الاطماع الصهيونية كانت تتجه بشكل اساسي الى الريف الفلسطيني وامتلاك الاراضي الزراعية . ان هذه المفارقة تزداد حدة ان تذكرنا بـأن الريف الفلسطيني كان — في ذلك الوقت — المجتمع الفلسطيني : مجتمع يعيش في الدرجة الاولى — على نتاج عمل المعول والفأس والمحراث . فمسألة الارض هي صميم المشكلة الفلسطينية . وقد اعترفت اللجان المختلفة التي كانت ترسلها الحكومة البريطانية للتحقيق في اسباب الانتفاضات المتتالية في تقاريرهـا من ان اهـم دوافع هـذه الانتفاضات هو تشريد المزارعين العرب عن ارضهم التي فلحوها لعشرات السنين واغلاق مجالات العمل والاستخدام امام العمال الزراعيين والفلاحين المعدمين وازدياد عددهم باستمرار وحرمان العرب من مساحات كبيرة من اخصب الاراضي . يقـول سمبسون في تقريره الرسمي للحكومة البريطانية عـن أسباب اضطرابات عـام ١٩٢٩ بـأن « النتيجة التي اسفر عنها شراء الصندوق القومي اليهودي للاراضي بفلسطين هي اخـراج تلك الاراضي عن اقليم البلاد . فيبطـل اذاك كونها ارضا يستطيع العربي ان يجني منها اية منفعة ، الان وفي المستقبل ، وليس فقط انه لا يستطيع ابدا تعليل النفس باستئجارها او حراثتها ، بـل هو محروم الى الابد ، بموجب احكام الايجار الصارمة لدى الصندوق القومي ، من الاستخدام في تلك الارض » .

أما قانون الصندوق القومي اليهودي فقد نص على تجريم المزارعين اليهود من مستأجريه بدفع غرامات او طردهم من الارض متى ما خرقوا قانون عـدم استخدام اليد العاملة العربية . وكان دستـور الوكالـة اليهودية قد نص عـام ١٩٢٩ على ان « تعمل الوكالة على انجاح الاستيطان الزراعـي القائم على العمل اليهودي ، كما تعتبر من المسائل المبدئية ضرورة استخدام اليد العاملة اليهودية في جميع المشاريع والاعمال التي تتعهد الوكالة تنفيذها او تنميتها » .

وبهذا تتضـح مجموعة العوامل التي تضافـرت لتحويل الكثير من الفلاحين الصغار والمستأجرين الى طبقة مسحوقة معدمة تعاني من قوانين عنصرية تحرمها ليس من الارض فحسب بل من حق العمل نفسه . كان من اهم هذه العوامـل الاستيطـان الصهيوني واستلاب الاراضي العربية من جهـة واعتماد المؤسسات الصهيونية سياسة « العمل العبري » وسياسة « غزو العمل » التي حددتهـا الهستدروت والتي سعت باستمـرار الى تبديـل العمال العرب بالعمال اليهود من جهـة اخرى . وهذا يعني ان يتغلغل العمل اليهودي في جميـع مجالات العمل الاساسية وخاصة في مجال العمل الزراعي . ان المطالبة بمنـع تشغيـل العمـال الزراعيين العرب كانت وراء انشاء الهستدروت وسرعان ما اتجهت هذه وخاصة بعد عام ١٩٢٨ الى طرد العمال العرب بالقوة . والواقع انـه لم

يكن بامكان الصهيونية الاستمرار يوما واحدا بدون مساعدة ودعم الاستعمار البريطاني . فالضرائب المباشرة التي كانت تجبيها السلطات البريطانية ( وصلت باعتراف التقارير البريطانية الرسمية الى معدل ١٦،٥٪ من دخل الفلاح المالك و ٢٨٪ من دخل الفلاح المستأجر ) شكلت ولا ريب عبئا اضافيا على كاهل الفلاح الفلسطيني .

وفيما عدا ذلك كان الفلاح الفلسطيني الصغير ( والذي يمكن تعريفه بأنه العامل الزراعي الذي يعمل على أرضه وبدون استخدام العمل المأجور ) يقع تحت وطأة دين دائم بحيث اضحى بحكم التراكم ومعدل الفائدة الفاحش ، غير قادر في اكثر الحالات على تسديد ديونه من دخله من الارض مما أجبره على العمل المأجور في مزارع الآخرين او في مجالات العمل الاخرى . وقد قدرت لجنة جونسون البريطانية ديون الفلاحين بمليوني جنيه فلسطيني اي بمعدل ٢٧ ليرة للعائلة الواحدة ولما كان معدل الدخل السنوي الصافي لعائلة فلاحية متوسطة سنة ١٩٢٩ يتراوح بين ٢٥ — ٣٠ جنيها فلسطينيا تبين مدى الاستغلال الذي كان يتعرض له الفلاح الفقير وحتى المتوسط في فلسطين في فترة الانتداب البريطاني .

**ماساة الفلاحين والعمال الزراعيين الفلسطينيين في الثلاثينات والاربعينات كصورة مصغرة لنكبة الشعب الفلسطيني كله :**

لم يمض وقت طويل حتى تحققت مخاوف العرب من أن تؤدي حرية الاستيطان وانتزاع الاراضي الى فقدانهم وسائل معيشتهم : فحسب مصادر لجنة جونسون — جروسبي الرسمية والتي قامت سنة ١٩٣٠ ، بدراسة ١٠٤ قرى عربية في فلسطين شكل العمال الزراعيون ما يقارب من ٣٠ ٪ من مختلف فئات الفلاحين او العاملين في الزراعة . وترتفع هذه النسبة الى ٧٠ ٪ ان أضفنا الى العمال الزراعيين فئة الفلاحين الفقراء الذين يعيشون من مدخول أراضيهم وما يتلقونه من أجور لقاء دخولهم الى سوق العمل المأجور بين الحين والآخر .

يبين الجدول التالي توزيع المشتغلين بالاعمال الزراعية الرئيسية في فلسطين عام ١٩٣١ :

| نوع العمل | المجموع | عرب | يهود | غيرهم |
|---|---|---|---|---|
| — المزارعون الاعتياديون ( يعملون في زراعة الحبوب بشكل اساسي ) | ٧٠ر٥٢٦ | ٦٥ر٥٦٦ | ٣ر٦٦٩ | ١ر٢٩١ |
| — منتجو محاصيل خاصة ( كالاثمار والخضروات ) | ١٢ر٢٠٠ | ٨ر٢٤٢ | ١ر٦٢١ | ٣ |
| — منتجو البرتقال | ٣ر٨١٠ | ٢٨٦ | ٣ر٧٥٤ | ٢٠٤ |
| — أجراء في المزارع | ٣٢ر٥٣٩ | ٢٩ر٥٨٩ | ٢ر٥٨٢ | ٣٦٨ |
| المجموع | ١١٩ر٠٧٥ | ١٠٣ر٦٨٣ | ١١ر٦٢٦ | ١ر٨٦٦ |

ويظهر الجدول ان نسبة عمال الزراعة العرب تعادل ٢٨ ٪ من مجموع العاملين في الزراعة العربية . وهي تقارب النسبة المستخرجة من الاحصاء السابق لـ ١٠٤ قرى فلسطينية .

ان السبب الاساسي الذي أدى الى ظهور هذا الوضع هو الاستعمار الاستيطاني الصهيوني الذي خلق اقتصادا ثنائيا مغلقا يقوم على « العمل العبري » واستثناء العمال العرب كلية ، وعلى « شراء منتجات الارض » اليهودية وعلى سياسة « افتداء الارض » اي شراء الارض من ملاك الاراضي الغائبين في الغالب وطرد العمال والمستأجرين العرب منها وتوطين المهاجرين اليهود عليها بدلا منهم . وقد أدى ازدياد اوضاع العمال الزراعيين العرب بؤسا الى هجرة عدد كبير منهم الى المدن وعرض انفسهم في أسوأ شروط لسوق العمل . وفي بعض المواسم الزراعية وخاصة موسم الحمضيات كان يهاجر الى مدينة يافا لوحدها ما بين ١٠ — ١٥ الف عامل زراعي فلسطيني يسكنون في مزارب من التنك ويعيشون في أسوأ الاحوال السكنية والصحية .

عاني العامل الزراعي الفلسطيني طوال فترة الانتداب البريطاني من جميع انواع البطالة ( الموسمية والدائمة والمقنعة ) مما أجبره على هجرة قريته الى ضواحي المدن ليعيش في مناطق سكنية مزرية ( قدر عدد سكان الاحياء الفقيرة ومدن الصفيح من العرب في يافا ، القدس وحيفا بـ ١٢١,٠٠٠ نسمة ). ويقترن هذا الوضع المتردي للعامل الفلسطيني ( الذي تربطه بالريف الفلسطيني علاقات متشعبة ) بظروف عمل قاسية متميزة . فالاجور التي كان يتقاضاها العامل العربي الفلسطيني أسوأ بكثير من أجور العامل الزراعي اليهودي كما تشير الارقام التالية ( بالمليمات الفلسطينية ) :

| | اجور العمال العرب ( مليم ) | | | | اجور العمال اليهود ( مليم ) | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | ١٩٣٩ | | ١٩٤٥/١٩٤٤ | | ١٩٣٩ | | ١٩٤٥/١٩٤٤ | |
| عمال | ذكور | أناث | ذكور | أناث | ذكور | أناث | ذكور | أناث |
| البيارات | ١١٠ | ٦٠ | ٤٥٠ | ٣٠٠ | ٣٦٣ | ١٧٥ | ١٠١٠ | ٦٢٥ |
| الحراثون | ٢٠٠ | — | ١٠٠٠ | — | ٢٢٥ | — | ١٠٠٠ | — |

بقي العمل الزراعي اساس الاقتصاد الفلسطيني رغم كل التغيرات التي ادخلت على خارطة فلسطين الاقتصادية والسياسية والديموغرافية خلال فترة الاستعمار البريطاني ، وبقي المجتمع الفلسطيني مجتمعا ريفيا حتى حلول نكبة ١٩٤٨ وقيام دولة اسرائيل . وقد شكل سكان القرى حوالي ٧١ ٪ من مجموع السكان العرب سنة ١٩٢٢ وانخفضت هذه الى ٦٦ ٪ سنة ١٩٤٤ . اي ان حوالي ثلثي السكان العرب كانوا قبيل قيام دولة اسرائيل من سكان الريف موزعين على حوالي ( ٨٥٠ ) قرية .

كان عدد سكان فلسطين العرب سنة ١٩٤٨ حوالي ١٠٣٨٠٠٠ نسمة يملكون ٩٤٤٦ ٪ من اراضي فلسطين . ولكن حرب ١٩٤٨ التي شنتها القوات الصهيونية المسلحة والمدربة جيدا من قبل السلطات البريطانية على الشعب العربي الفلسطيني الذي حرم من حق الدفاع عن النفس ، مكنت القوات الصهيونية من الاستيلاء على ٧٧٤٤ ٪ من مساحة ارض فلسطين بعد أن طردت وأجلت منها جميع سكانها العرب ما عدا اقلية صغيرة لم تتجاوز ١٧٠٠٠٠ نسمة ، وبهذا تم طرد وتشريد ٥٧٪ من السكان العرب وتحويلهم الى لاجئين بعد أن فقدوا اراضيهم وأسباب معيشتهم واملاكهم . وهكذا يكون الاستعمار البريطاني والصهيوني قد نجحا في تمزيق أوصال المجتمع الفلسطيني القائم وحرمانه من وسيلته الانتاجية الاولى — الارض . هذا بعد ان نجحا في خلق وبلورة طبقة من العمال الزراعيين والفلاحين المعدمين عانت من ظروف معيشية وعملية قاسية جدا ، عدا التمييز العنصري الذي مارسته ضدها مؤسسات الاستعمار الصهيوني الاستيطاني.

**الوضع الزراعي بعد قيام الدولة الاسرائيلية :**

بقيام اسرائيل فقد الشعب الفلسطيني الجزء الاكبر من أرضه وتحول نصفه الاخر الى لاجئين معدمين يعيشون في الشتات . أما النصف المتبقي من هذا الشعب فقد تحول قسم منه الى اقلية عربية محاصرة داخل اسرائيل نفسها وبقي القسم الاخر في الجزء غير المحتل من فلسطين اي في الجزء الذي اصبح يعرف بعد التحاقه بالاردن بالضفة الغربية ، وكذلك في قطاع غزة .

تعرضت ( ولا تزال ) الاقلية العربية في اسرائيل الى الاضطهاد القومي والتمييز العنصري . وهذه هي الظروف المميزة الخاصة بها ، والتي تنعكس ايضا في ظروف خاصة بالعمال الزراعيين العرب هناك . فمنذ انشاء الدولة الصهيونية وحتى عام ١٩٦٦ فرض على العرب الحكم العسكري الذي تبيح قوانينه حرمان الخاضعين له من كل حقوق المواطنة الاساسية ( الاعلان عن مناطق معينة كمناطق مغلقة وتحديد الدخول اليها والخروج منها، وضع اي شخص تحت رقابة الشرطة ، وفرض الاعتقال الاداري لفترة غير محددة ... الخ ) . وعند الغاء الحكم العسكري لم تلغ هذه القوانين ولكن الصلاحيات التي يمنحها الحكم العسكري أعطيت لاجهزة مختلفة في الادارة . وقد لجأت اسرائيل الى اتخاذ شتى الاجراءات الرامية الى

مصادرة ما يمتلكه العرب من الاراضي في البلاد سواء منهم المقيم أو الموجود خارج اسرائيل . ففي فترة حرب ١٩٤٨ تم الاستيلاء على مساحات ضخمة من الاراضي العربية ، واستمرت عملية الاستيلاء على الاراضي بسرعة اكبر وبصورة تعسفية فاشية بعد انتهاء المعارك في اواخر ١٩٤٨ . فقامت اسرائيل بطرد السكان العرب الى ما وراء خطوط الهدنة أو نقلتهم من قراهم الى أماكن أخرى داخل الدولة — وما مأساة اهالي اقرت وكفر برعم التي ظهر شبحها مؤخرا الا صورة مصغرة لمأساة مئات الالاف من الشعب الفلسطيني . كما سنت اسرائيل مختلف القوانين بهدف الاستيلاء على ما تبقى من الاراضي العربية ، مثل قانون أملاك الغائبين الذي يمنح الدوائر المعنية سلطة ان تقرر « خطيا ان انسانا او جماعة من الناس هم غائبون » وبهذا يسري عليهم القانون ، اي تسلب اراضيهم وممتلكاتهم وتوضع تحت تصرف السلطة الصهيونية . وبهذا تمكنت الحكومة الاسرائيلية من تشريد سكان عشرات القرى العربية من قراهم ومصادرة أرضها وبيوتها وتحريم سكانها من العودة اليها . وقد بلغت الاراضي المصادرة اكثر من مليون دونم تشكل أكثر من نصف الاراضي التي كانت تملكها الاقلية العربية عند قيام الدولة الصهيونية عام ١٩٤٨ . ولا تزال سياسة الاستيلاء على الارض على حدتها فهناك قضية اراضي بدو النقب التي تبلغ مساحتها ٢ مليون دونم .

وفرضت السياسة الاسرائيلية تغيرات وتشويهات متنوعة على الزراعة العربية في اسرائيل أدت الى بقاء الزراعة في وضع متخلف ، كما خلقت بسبب الافتقار الى الارض جيشا من الايدي العاملة الرخيصة . ففي القطاع الزراعي العربي يوجد جرار زراعي واحد لكل ٢٠٠٠ دونم بينما ترتفع هذه النسبة في القطاع اليهودي الى ٥ جرارات لكل ٢٠٠٠ دونم ( اي خمسة أضعاف ما يوجد في القطاع العربي ) . وتشكل الاراضي العربية المروية حاليا ٤ر٦ ٪ من مجموع المساحة التي لا زالت تسيطر عليها الاقلية العربية . بينما تشكل الاراضي « اليهودية » المروية حوالي ٤٧ ٪ من مجموع المساحة المزروعة . ان تنمية الزراعة في المناطق الجبلية الوعرة التي تبقت للعرب بعد ان استولت اسرائيل على الاراضي السهلية يحتاج الى الالات الزراعية الحديثة لتطويرها وهذه تحتاج بدورها الى رؤوس الاموال التي لا يملكها المزارع العربي والتي ترفض السلطات الاسرائيلية او البنوك تقديمها اليه بشكل تسليفات وقروض . كما تضع السلطات الاسرائيلية أمام الفلاح العربي عدة عراقيل كالاسعار المنخفضة والخضوع لرقابة وزارة الزراعة مما يقيد حرية المزارع في انتقاء المحاصيل التي تتناسب مع امكانياته ومتطلبات السوق ، وتسليط الشركات الاحتكارية على انتاجه ، كما ويجد الفلاح العربي صعوبات بالغة في تسويق انتاجه ( التبغ مثلا ) ، كما ان السعر الذي يتقاضاه الفلاح العربي أقل بكثير مما يحصل عليه الفلاح اليهودي وهذا يعني ان اجور العامل الزراعي العربي تبقى بالضرورة ادنى بكثير من اجور العامل الزراعي اليهودي ، ويعود السبب الى كون الانتاج الزراعي العربي أرخص من الانتاج اليهودي ولكون انتاجية العامل الزراعي العربي أقل من انتاجية العامل اليهودي بسبب جودة الارض التي تستغلها اسرائيل من جهة وبسبب وضع التخلف الذي تكرسه هذه في المناطق العربية ( غياب أدوات الزراعة الحديثة ، حرمان العامل العربي من التدريب على استعمال هذه الالات والصعوبات الهائلة التي يلاقيها الفلاح العربي في اقتناء واستخدام ادوات الانتاج المتطورة ... ) . كما ويعاني الفلاح العربي من عدم وجود جمعيات تعاونية تسلفه الاموال وتساعد في تسويق محاصيله ليتمكن من الصمود .

ولهذا كله بقيت الزراعة العربية في اسرائيل تواجه جملة من الظروف الاقتصادية والعملية الصعبة والتي تعود جذورها واسبابها الى عوامل سياسية مختلفة ، يرتبط بعضها بقيام الدولة الصهيونية ذاتها ، والبعض الاخر يعود الى سياسة التمييز العنصري الصهيوني والسياسة الاسرائيلية المتعمدة تجاه الزراعة العربية والعاملين فيها . واذا ما نظرنا الى الحاجات والمتطلبات الآنية لوقف تدهور الزراعة العربية في اسرائيل ومن ثم تنميتها ، فانها تتركز قبل كل شيء بالنضال من اجل الغاء مجموعة القوانين الاسرائيلية التي تميز ضد الاقتصاد الزراعي العربي وضد الاقلية العربية والمطالبة كذلك بارجاع أهالي القرى ( مثل أهالي قريتي اقرت وكفربرعم وغيرهما ) الى قراهم ، وازالة العراقيل القانونية والسياسية التي تقف في وجه انشاء تعاونيات عربية تساعد الفلاح العربي على تطوير وتنمية الزراعة وازالة الفروق بين الفلاح العربي والفلاح اليهودي . ان التمييز ضد الفلاح العربي

يتجلى في مجالات متعددة . فدخل الفلاح العربي مثلا يقل بكثير عن نصف دخل الفلاح اليهودي . فقد نشرت اللجنة الشعبية للتفتيش الزراعي عام ١٩٦٠ بعض الحقائق التي تدعم هذا القول : لقد ذكرت هذه اللجنة ان متوسط دخل الفلاح العربي كان ما بين ( ١٥٠٠ و ١٧٠٠ ) ليرة اسرائيلية ، بينما كان متوسط دخل الفلاح اليهودي من انتاجه الزراعي يساوي ٣١٢٣ ليرة اسرائيلية ، واذا أخذنا بعين الاعتبار ان متوسط عدد افراد عائلة الفلاح العربي يفوق بكثير متوسط عدد أفراد عائلة الفلاح اليهودي يتضح لنا ان دخل الفلاح العربي يتراوح ما بين ٢٥ ٪ و٤٠ ٪ من دخل الفلاح اليهودي . هذا عدا عن المساعدات المالية التي تقدمها الحكومة والمؤسسات الاسرائيلية للفلاح اليهودي وتحجم عن تقديمها الى الفلاح العربي . وما يقال عن الفلاح العربي بشكل عام يقال ايضا عن العامل الزراعي العربي اذ يتقاضى العامل اليهودي اكثر بكثير من العامل العربي .

يعمل ما بين ٣٠ ٪ و٤٠ ٪ من الشغيلة العرب في قطاع الزراعة ( ويشكلون اكثر من خمس مجموع العاملين الزراعيين في اسرائيل ، وتجدر الملاحظة هنا الى ان عدد الشغيلة الزراعيين العرب ظل ثابتا تقريبا منذ الخمسينات وان نسبتهم الى مجموع الشغيلة تنخفض تدريجيا ) . لقد كان عدد العاملين العرب في الزراعة سنة ١٩٦٧ يساوي ( ٢٥ر٠٠٠ ) من مجموع العاملين العرب البالغ عددهم ٦٧ر٦٠٠ ألف يشكلون بهذا حوالي ٤١ر٢٪ من القوة العاملة العربية . ويشكل هذا الرقم حوالي ٢٢٪ من مجموع العاملين في الزراعة في اسرائيل . وتتضح حقيقة هذا الرقم اذا تذكرنا ان الاقلية العربية في اسرائيل تشكل حوالي ١٢ ٪ من مجموع السكان ( كان عدد ما تبقى من العرب في اسرائيل عام ١٩٤٩ لا يزيد عن ١٧٠ الفا ، وصل الى ٢٩٧ ألفا سنة ١٩٦٧ ويبلغ عددهم الان حوالي ٤٠٠ ألف نسمة ) . ويعيش حوالي ٦٢ ٪ من العرب في اسرائيل في القرى يشكلون بهذا حوالي ٤٠ ٪ من مجموع سكان الريف في اسرائيل . وقد اشتغل في الزراعة ، وفقا لاحصاءات قوة العمل الاسرائيلية سنة ١٩٧٠ ما يعادل ٢٥ر٣ الف عربي ، منهم ١٤ر٨ الف ، اشتغلوا في أماكن سكنهم ( أي في القرى العربية ) و١٠ر٥ الف خارج قراهم . وتفيد الارقام المتوفرة ان عدد العمال الزراعيين العرب بلغ في نفس السنة ١٢ر٤ الف عامل . وبهذا يكون عدد العمال الزراعيين الذين اشتغلوا كمأجورين في القرى العربية نفسها حوالي الالفي شخص فقط . وهذا يعني ان مشاكلهم مرتبطة بشكل عضوي بمشاكل واوضاع الزراعة العربية المتخلفة ( التي لا تستطيع توظيف الا نسبة صغيرة من العمال الزراعيين ) من جهة ، ومرتبطة ايضا بأوضاعهم كعمال زراعيين مأجورين يعملون في قطاع الزراعة الاسرائيلي المتطور اقتصاديا ورأسماليا .

ان تخلف عمال الزراعة العرب عن الالتحاق بنقابة العمال الزراعيين التابعة للهستدروت ظاهرة تسترعي الانتباه ، فأقل من خمس عمال الزراعة العرب ، كانوا منظمين في الهستدروت عام ١٩٦٨ . ويعود السبب الى الدور الذي تلعبه هذه المؤسسة التي أوجدت لترعى المصالح الصهيونية ، والتي تشكل جزءا لا يتجزأ من المؤسسة الحاكمة الاسرائيلية وانشئت أصلا لمحاربة العمل العربي والمنتوجات العربية الزراعية . ولهذا فالوضع اليومي المباشر يستدعي السعي الجدي لايجاد وضع نقابي فعال للعمال العرب عموما وعمال الزراعة العرب بشكل خاص اما عن طريق خلق الظروف القانونية والسياسية التي تسمح لهم بانشاء نقابات خاصة بهم او طريق انشاء تنظيمات من نوع آخر كالتعاونيات والجمعيات والاتحادات التي تقوم في ظل غياب تنظيم نقابي عمالي مستقل برعاية مصالحهم النقابية وتحسين ظروفهم المعيشية والعمالية والغاء القوانين والاجراءات العنصرية التي تميز ضدهم . وان وضع حد لتدهور الزراعة العربية في اسرائيل ومن ثم تطويرها وتنميتها ورفع مستوى وسائل الانتاج فيها مرهون بتحسين اوضاع ومستوى العمال الزراعيين العرب ومحاربة الاضطهاد والقهر القومي الموجه ضدهم . ان نجاح هذه المهمات يعتمد — في النهاية — على انتزاع الشعب الفلسطيني حقه في تقرير مصيره وعلى مدى قدرة القوى الثورية والتقدمية في المنطقة على تحرير الاسرائيليين من الصهيونية .

### اللاجئون الفلسطينيون والعمل الزراعي :

بينما كانت اغلبية سكان فلسطين العرب قبل قيام اسرائيل ( ١٩٤٨ ) من اهالي الريف ، كانت الاغلبية العظمى ( حوالي ٨٠ ٪ ) من المهاجرين اليهود الى فلسطين من سكان المدن الاوروبية . وبهذا يكون الريف الفلسطيني قد تعرض الى اضطهاد مزدوج :

الاضطهاد الذي تم عن طريق مدنه المحلية ( حيث تتواجد الطبقات المسيطرة ) والاضطهاد الاشد والذي امتد من مدن اوروبا ليلغي هذا الريف بشكل حاسم وشبه كلي . وكما بينا سابقا لم ينحصر هدف الحركة الصهيونية كحركة استعمارية على سلب الارض وتحويل سكانها الى جيش من العمال المحترفين بل رمت منذ البداية الى سلب الارض واجلاء سكانها الى خارج حدود الدولة اليهودية . وهكذا تحول القسم الاكبر من الشعب الفلسطيني الى لاجئين معدمين تمركز اغلبهم في الدول العربية المجاورة كالاردن ولبنان وسوريا . وهكذا ظهرت مشكلة اللاجئين الفلسطينيين على حيز الساحة الدولية . وفي كانون الاول لعام ١٩٤٩ وضعت بعثة المسح الاقتصادي التابعة للامم المتحدة تقريرا ذكرت فيه ان نحو ( ٧٢٦ر٠٠٠ ) فلسطيني ، وهم الذين طردوا عنوة من ديارهم اثناء ١٩٤٨ ، قد أصبحوا لاجئين لان اسرائيل سدت عليهم سبيل العودة الى ديارهم . ان تعريف الانروا للاجىء كان منذ البدء تعريفا ضيقا استثنى اكثر من ٢٠٠ ألف شخص من بين المقيمين في قطاع غزة وقرى الحدود على الاردن وبعض القبائل الرحل . ومع ان الامم المتحدة ، باجماع اعضائها ، تؤكد سنة بعد اخرى على ضرورة اعادة اللاجئين الفلسطينيين الى ديارهم او تعويضهم الا ان ايا من الامرين لم يتم حتى الان بسبب رفض اسرائيل لهذه القرارات . كان مجموع عدد اللاجئين في الانروا في أيلول ١٩٧٠ يساوي ١ر٤٣٦ر٨٤٠ موزعين على الشكل التالي :

| | |
|---|---|
| شرق الاردن | ٥١٧ر١٥٥ |
| الضفةالغربية | ٢٦٩ر٩٩٥ |
| غزة | ٣١٢ر٩٢١ |
| لبنان | ١٧٦ر٨٩٣ |
| سوريا | ١٥٩ر٨٧٧ |

اما عدد الفلسطينيين في تلك السنة فكان يقدر بثلاثة ملايين نسمة وبهذا يشكل اللاجئون اكثر من نصف الشعب الفلسطيني اذا اخذنا بعين الاعتبار الفلسطينيين الذين لم يدخلوا في سجلات الانروا . اي ان حوالي نصف الشعب الفلسطيني اصبح محروما من الدخول في علاقات انتاجية زراعية على ارض الوطن . ان هذه حقيقة مهمة جدا وخاصة وان ٧٠ ٪ من اللاجئين الفلسطينيين كانوا من سكان الريف .

من المعتقدات الشائعة في الغرب ان اللاجئين لم يستوطنوا وظلوا بلا عمل لان الحكومات العربية منعتهم من الاستيطان او احتفظت بهم رهائن بمنعهم من الاستيطان او السعي طلبا للعمل على افتراض ان الحكومات العربية تريد ابقاء القضيةالفلسطينية حية في نظر العالم . غير ان الواقع يؤكد العكس تماما . يقول جون ديفز الذي عمل خمس سنوات في بيروت مفوضا عاما لوكالة الامم المتحدة لاغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في كتابه « السلام المراوغ » ، ردا على هذا المعتقد :

« عقب احداث ١٩٤٨ وجد كافة الرجال القادرين من اللاجئين والذين يمتلكون مهارات لازمة في البلدان العربية او غيرها ، اعمالا واصبحوا يعيلون انفسهم فورا تقريبا ولم يعتمدوا قط على الصدقة والاحسان الدوليين ، وهذه الفئة تشكل حوالي ٢٠٪ من مجموع القوى التي غادرت ديارها في فلسطين في عامي ١٩٤٨ — ١٩٤٩ ، ومعظم هؤلاء من القطاع المدني الفلسطيني ... وعلى النقيض من ذلك لم يصب القطاع الفلاحي من اللاجئين والذي يشكل ٧٠٪ من مجموع عددهم في سنة ١٩٤٨ ، هذا النجاح ، فمشكلة هذا القطاع كانت ولا تزال ان لاجئيه اصبحوا فائض عمال زراعيين في حقبة اصبح في العالم عموما ، وفي البلدان العربية بوجه خاص ، فائض من الناس في قطاعاتهم الريفية . وفي الواقع ان الشباب الريفيين في الاقطار العربية يصلون الى سن البلوغ بمعدل في الجيل الواحد يزيد ثلاثة اضعاف ما هو مطلوب للحلول محل الكهول والشيوخ وهو وضع يفاقمه ويزيده سوءا ان الاملاك الزراعية النموذجية هي اصغر من ان تعيل اسرة مؤلفة من ثمانية او عشرة افراد او ان تستخدم التجهيزات العصرية استخداما وافيا ... » ( ص ٧٧ ) . وفي وضع كهذا ، وضع زراعي متخلف يرافقه ضغط سكاني هائل ومتفاقم على الارض الزراعية وجد اللاجئون الفلسطينيون الريفيون انفسهم في ظروف عمل لا تساعدهم على المزاحمة والمنافسة في سوق العمل . اضف الى ظروف العمل الموضوعية هذه ما حل بالفلسطينيين بعد ربع قرن من اللجوء والتشرد وتتضح اسباب البطالة وقلة العاملين الزراعيين بين صفوف اللاجئين . يضيف جون ديفز قائلا :

« لكن مشكلة اللاجئين الاوائل كانت البداية فقط ،

فمنذ عام ١٩٤٨ يصل نحو ٣٠ الف فتى الى سن البلوغ كل عام من الاسر المعالة على وكالة الامم المتحدة لاغاثة اللاجئين الفلسطينيين . وهذا يعني ان ما يزيد على نصف مليون فرد قد بلغوا سن النضج في العقدين الماضيين ... ولما كان آباء اللاجئين الفلسطينيين الريفيين بلا عمل فالابناء تتفتح امامهم فرص محدودة ، اذا تفتحت ، لتعلم حتى ضبط النفس في العمل او مهارات الاباء ، لذلك فاللاجئون البالغون هؤلاء ، بتنافسهم مع الشباب الاخرين ولا سيما الفتيان الريفيين ابناء البلاد ، يكونون في الوضع الخاسر تماما ... ان هؤلاء اللاجئين الشباب الذين بلغوا سن الرشد في العقد الماضي لن يكونوا مزاحمين اقوياء في حقل العمل الفلاحي لانهم لم يشبوا وهم يعملون في الارض ولم يتلقوا من ناحية اخرى تدريبا زراعيا ( ولما كانت الارض غير متوفرة لهم فتدريبهم الزراعي يعطي اثرا ضئيلا ) ، وعلاوة على ذلك فالسكان الريفيون المحليون في البلدان العربية جميعها ، وفي العالم اجمع ، يقدمون من المرشحين ، ذوي الخبرة الزراعية ، للعمل الزراعي اكثر بكثير مما تستطيع الاراضي الصالحة للزراعة استيعابه » . (ص ٧٨)
وبهذا فان تطوير وتنمية الزراعة في البلدان العربية لن يحل مشكلة اللاجئين ، فهذه البلدان لا تملك الارض الكافية لتشغيل ابناء البلاد المحليين في القطاع الريفي . وسيبقى ابناء البلاد المحليين المرشحون الاقرب من اللاجئين الشباب للعمل في الزراعة لسببين : الاول لان الحكومات العربية ترى ان للاجئين الحق في العودة الى فلسطين المحتلة ، والثاني لان ابناء البلاد المحليين شبوا وهم يعملون في الارض بعكس ابناء اللاجئين الذين شبوا بعيدا عن جو الريف والزراعة وليست لديهم المهارة في هذا المجال لمنافسة ابناء البلاد المحليين .

ان كل هذه العوامل مجتمعة جعلت وضع اللاجئين الفلسطينيين يختلف عن اوضاع ابناء الشعوب العربية المتواجدين بينها . ويظهر هذا جليا في انخفاض نسبة العاملين في الزراعة من الفلسطينيين اللاجئين . وتعطي الارقام التالية فكرة سريعة عن حجم ونسب العاملين في الزراعة والعمال الزراعيين في البلدان العربية المضيفة .

دلت احصاءات الاردن ( الضفتين الشرقيةوالغربية) لعام ١٩٦١ ان عدد العاملين في الزراعة كان ١٣٨٠٠٠ شخص يشكلون ٣٥٪ من مجموع العاملين اقتصاديا في البلد . اما عدد العمال الزراعيين فكان حوالي ٥٠ الف عامل ، يشكلون حوالي ١٣٪ من مجموع القوة العاملة فعليا . اما في الضفة الشرقية لوحدها فقد شكل العمال الزراعيون حوالي ٣٠٪ من مجموع العاملين في الزراعة ، بينما ارتفعت هذه النسبة الى ٤٢٪ في الضفة الغربية . ويجدر بالذكر هنا ان الضفة الشرقية من الاردن تضم اكبر تجمع للفلسطينيين خارج فلسطين نفسها.من هنا تتضح ضحالة مشاركة اللاجىء الفلسطيني في العمل الزراعي المأجور . وقدرت احصاءات الاردن الرسمية لعام ١٩٦٧ بأن عدد العاملين في الزراعة في الاردن ككل يعادل ٢٤٤٠٠٠ شخص يستخدم ٧٩٠٠٠ منهم كعمال زراعيين اي ما يعادل ٣٢٪ من مجموع العاملين في الزراعة وهي تقارب نسبة عام ١٩٦١ . واما توزيعهم على الضفتين فقد اخذ الشكل التالي :
٦٤٠٠٠ عامل زراعي في الضفة الغربية .
و ١٥٠٠٠ عامل زراعي في الضفة الشرقية .
وتظهر هذه الارقام بوضوح ان العمل الزراعي المأجور يتمركز بشكل مكثف في الضفة الغربية وهي المنطقة التي يتواجد فيها اكبر عدد من الفلسطينيين غير اللاجئين . وتشير الاحصاءات الرسمية الاسرائيلية الى وجود تباين في الضفة الغربية في مجال العمل ، بين السكان اللاجئين وسكان المنطقة الاصليين . فقد كانت نسبة العاملين من اللاجئين في القطاع الزراعي في ايلول ١٩٦٧ تساوي ١٩،٩٪ من مجموع العاملين اقتصاديا . بينما تتضاعف هذه النسبة لتصل الى ٣٨،٩٪ عند السكان المحليين . وفي غزة حيث يشكل اللاجئون حوالي ثلثي السكان فقد كانت نسبة العاملين في القطاع الزراعي لعام ١٩٦٩ تعادل ٣٢،٨٪ من مجموع العاملين اقتصاديا في الزراعة ، وهي بهذا تعادل النسبة الاجمالية للعاملين في هذا المجال في الضفة الغربية .

اما في البلاد العربية الاخرى فان عمال الزراعة الفلسطينيين يشكلون نسبة ضئيلة من القوى العاملة الفلسطينية . ففي سوريا مثلا شكل عمال الزراعة الفلسطينيون بموجب احصاء ١٩٦١ حوالي ١٠٪ من مجموع القوة العاملة الفلسطينية . وفي لبنان كان عدد العمال الزراعيين من سكان المخيمات لعام ١٩٧١ حوالي ( ٤٠٠٠ ) شكلوا حوالي ٢٣٪ من مجموع العاملين اقتصاديا من اللاجئين والغالبية العظمى من هؤلاء كانوا من العمال المياومين . ويشير التحقيق الاحصائي حول القوى العاملة في

مخيمات اللاجئين الفلسطينيين الى ان عدد الذين يمارسون عملا لا يتجاوز ١٧٬٥٠٠ شخص بينما يصل عدد الافراد العاطلين عن العمل ( عدا المتقاعدين ) الى ترابة ( ٣٤٬٥٠٠ ) . اما في البلاد العربية الاخرى التي يعمل فيها فلسطينيون فان نسبة ضئيلة جدا منهم تتعاطى العمل الزراعي المأجور . ان عمال الزراعة الفلسطينيين خارج الاراضي المحتلة يجابهون نفس المشاكل المتعلقة بالزراعة والعمل الزراعي التي يجابهها اهالي هذه الاقطار العرب : البطالة والمزاحمة في سوق العمل ، التذبذب في الانتاج الزراعي وبالتالي فرص العمل الزراعي وغياب العمل النقابي كما هو الحال في الاردن حيث يستثني قانون العمل والعمال الزراعيين من جميع الحقوق والتعويضات التي رتبها للعمال في القطاعات الاخرى . كما ويعاني هؤلاء العمال من بطالة مقنعة عدا عن البطالة التركيبية المزمنة . وتشير الدراسات الرسمية ان العاملين الدائمين في الزراعة في الاردن شغلوا ٤٠ — ٤٤٪ فقط من الايام التي كان يمكن ان يعملوا بها بينما شغل العمال غير الدائمين اقل من ٢٥٪ من مجمل الايام المتوفرة للعمل . وتشير نفس الدراسة الى ان نسبة العمال غير الدائمين الى العمال الدائمين كانت ( ١٩٦٧ ) ١ : ٣ في الضفة الشرقية و ١ : ٢ في الضفة الغربية .

ان تحسين اوضاع العمال الزراعيين الفلسطينيين الراهنة في البلاد العربية المضيفة مرتبط ارتباطا اساسيا بتحسين اوضاع العمال الزراعيين المحليين وهذا يتطلب العمل من ضمن الحركات والنقابات والمؤسسات الوطنية والثورية في كل قطر على حدة حسب متطلبات الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في ذلك القطر .

**العمال العرب في ظل الاحتلال :**

لعل تغيرا نوعيا قد طرأ على الوضع الاسرائيلي بعد حرب حزيران فقد قامت اسرائيل ببلع اراضي عربية واسعة بدون ان تنجح في اجلاء وتهجير اغلبية سكانها . ومن هنا تحتم على اسرائيل ان تضع مخططا خاصا لهضم هذه الاراضي الجديدة والاستفادة من امكانياتها البشرية والطبيعية . ان هدف النقاش الذي يدور بين الساسة الاسرائيليين حول مستقبل الاراضي المحتلة هو ايجاد افضل صيغة مقبولة ( داخليا وخارجيا ) تمكن اسرائيل من استيعاب وهضم مليون عربي جديد بدون ان يؤدي هذا الى « تلويث » نقاء الدولة الصهيونية العنصري . ان الطريقة التي تواجه اسرائيل بها هذا الوضع هي نفس الطريقة التي واجهت بها الوضع في السابق ، الا وهو اتباع سياسة خلق الحقائق وفرضها على المنطقة العربية ضمن استراتيجيتها التوسعية ومصالحها المرتبطة بمصالح الامبريالية العالمية وعلى رأسها الولايات المتحدة . وترتكز سياسة اسرائيل في الاراضي المحتلة على عدة عوامل تهدف في مجملها الى استيعاب وضم هذه المناطق نهائيا الى اسرائيل او ابقاءها تحت السيطرة الاقتصادية والعسكرية الاسرائيلية . ويمكن تحديد اهم عناصر السياسة الاسرائيلية تجاه هذه الاراضي كالتالي :

أ — ربط اقتصاد هذه المناطق بالاقتصاد الاسرائيلي بشكل تبعي يخدم الاقتصاد الاسرائيلي .

ب — اتباع سياسة الجسور المفتوحة عبر نهر الاردن لفرض واقع اقتصادي وسياسي معين على المنطقة العربية .

ج — استغلال الايدي العاملة الفلسطينية لخدمة الاقتصاد الاسرائيلي .

د — الاستمرار في تعزيز وبناء المستوطنات الاسرائيلية داخل الاراضي المحتلة بما يخدم سياسة اسرائيل التوسعية لخلق الحقائق الجديدة وفرضها من ثم على المنطقة .

هـ — تصفية قضية اللاجئين الفلسطينيين .

يتجلى الوضع التبعي الكولونيالي للمناطق المحتلة في اعتماد هذه بالدرجة الاولى على الصادرات الاسرائيلية والتي شكلت سنة ١٩٧٠ ( ٨٢٪ ) من مجمل واردات المناطق المحتلة . كما وان العجز الذي تعانيه هذه المناطق في الميزان التجاري تجاه اسرائيل قد ازداد من ١٣٢ مليون ليرة اسرائيلية عام ١٩٦٨ الى ٢١١ مليون ليرة عام ١٩٧٠ . وتنعكس هذه العلاقة الكولونيالية ايضا في نوعية العلاقات التجارية مع المناطق المحتلة بعد ١٩٦٧ : فتصدر هذه المناطق منتوجات زراعية او صناعية خفيفة الى اسرائيل وتستورد بالمقابل منتوجات صناعية اسرائيلية . وقد تضاعفت قيمة الصادرات الاسرائيلية الصناعية الى المناطق المحتلة في فترة ما بين ١٩٦٨ الى ١٩٧١ . وفي الفترة نفسها نجد ان الصادرات الصناعية لهذه المناطق عبر الاردن قد تضاعفت في حين ان وارداتها من المنتوجات

الزراعية عبر الاردن قد تدنت في نفس الفترة الى اقل من النصف وبهذا تتضح التبعية الاقتصادية التي تنميها اسرائيل تحت شعارات « التكامل والتناسق الاقتصادي وتنمية المناطق المدارة » . ان تحويل اقتصاد الضفة الى اقتصاد تبعي يخدم الاقتصاد الاسرائيلي واعتماد سياسة الجسور المفتوحة يهدف الى تحويل المناطق المحتلة الى مستعمرة وسيطة تساعد على ربط جزء من الاقتصاد العربي المتخلف بعجلة الاقتصاد الاسرائيلي الصناعي . فقد اصبحت المناطق المحتلة والضفة الغربية بشكل خاص تشكل بفضل التحولات التي اجرتها اسرائيل فيها ونتيجة لسياسة الجسور المفتوحة ، محطة مرور للاستيراد والتصدير بين اسرائيل والعالم العربي . كل هذا ، طبعا لصالح الاقتصاد الاسرائيلي .

وبالفعل فان الاحتلال الاسرائيلي قد ادى الى تفريغ المناطق المحتلة من جزء كبير من الايدي العاملة وذلك عن طريق توفير فرص العمل لها داخل اسرائيل وباجور مرتفعة نسبيا ومؤقتا . وقد ادى هذا الى تدني الانتاج الزراعي في الضفة الغربية بسبب نقص اليد العاملة من جهة وبسبب تقليص رقعة الارض الزراعية من جهة اخرى نتيجة الاستيلاء العسكري على الاراضي العربية وتحويلها الى مستوطنات ومستعمرات اسرائيلية . فقد قامت سلطات الاحتلال منذ انتهاء حرب حزيران ولا تزال بمصادرة واستملاك الكثير من الاراضي العربية وخاصة في منطقة القدس ، كما صادرت اسرائيل املاك عربية متعددة غاب عنها اصحابها . هذا عدا المستوطنات الاسرائيلية التي اصبح عددها يزيد عن ٤٣ مستوطنة وعدا الاستيطان المديني في القدس واريحا . من الصعب ايجاد احصائية دقيقة تماما عن مجمل الاراضي العربية المصادرة ولكنها تقدر بعشرات الالاف من الدونمات ، ويساعد سلطات الاحتلال في عمليات الاستملاك هذه شركات اجنبية وعدد من السماسرة العرب المأجورين .

وفي نفس الوقت تعمل اسرائيل وتخطط لتحويل اقتصاد المناطق المحتلة الى اقتصاد خدمات قادر على لعب دور الوسيط بين اسرائيل والمنطقة العربية . وتتوقع دراسة قام بها بعض الباحثين الاسرائيليين العاملين لحساب مؤسسة راند الاميركية وبتمويل من صندوق فورد بان يصل عدد العاملين من المناطق المحتلة في قطاع الخدمات الى ٦٨ الف سنة ١٩٧٣ والى ٩٢ الف سنة ١٩٧٨ اي ما يعادل ٢٥٫٩٪ و ٢٨٫٣٪ على الترتيب من مجمل القوى العاملة في المناطق المحتلة . وترتفع هذه النسب الى ٣٧٪ و ٤٢٪ على التوالي اذا استثنينا العاملين داخل اسرائيل من عرب هذه المناطق . وتفوق هذه الارقام المتوقعة ارقام العاملين في قطاع الزراعة والتي قدرتها الدراسة في حدود ٧٠ الفا لعام ١٩٧٣ وبحدود ٧٦ الفا لعام ١٩٧٨ اي ما يشكل ٢٦٫٦٪ و ٢٣٫٤٪ من مجمل القوى العاملة لهذه السنوات . وهكذا تسعى اسرائيل الى خلق وتنمية قطاع واسع يعتمد اساسا على الخدمات غير الضرورية ( السياحة ، والترفيه .. الخ ) ترتبط مصالحه الطبقية بالوضع القائم تحت الاحتلال .

ان عملية النهب التي تقوم بها اسرائيل تتم عبر قنوات متنوعة : استغلال الموارد الطبيعية وخاصة الارض ، عملية التبادل التجاري تتم عبر الجسور المفتوحة وعبر العلاقة التجارية القائمة بين المناطق المحتلة واسرائيل . وتتم كذلك عبر العملية الاستغلالية لليد العاملة العربية التي تسخرها اسرائيل في خدمة اقتصادها . وينتقل كل يوم من الضفة الغربية وغزة حوالي ٦٠ الف عامل للعمل في اسرائيل يشكلون اكثر من ربع قوة العمل في المناطق المحتلة ( والتي يقدر عددها حاليا بحوالي ٢٠٠ الف شخص ) وما يقارب نصف القوة البشرية التي تمارس العمل المأجور ( والتي يقدر عددها بحوالي ١٢٠ الف عامل ) . ان الدافع الحقيقي وراء السماح للعمال العرب بالعمل داخل اسرائيل هو نفس الدافع الذي حرك الصهيونية منذ البداية اي الدافع الاستعماري — الاستيطاني التوسعي ، ان ادعاءات اسرائيل بأن هدفها هو تنمية وتطوير المناطق المحتلة وادعاءاتها الديمقراطية والانسانية تفضحها عشرات الالاف من المنازل المهدمة ، والاف الاشخاص الذين طردتهم سلطات الاحتلال الى خارج الحدود او وضعتهم داخل زنزانات سجونها. اما حرية التعبير التي تتغنى اسرائيل بتطبيقها في المناطق المحتلة فهي حرية شكلية فقط تبقى محصورة ضمن حدود ضيقة جدا لا تسمح السلطات الاسرائيلية بتجاوزها وخاصة في نطاق التنظيم السياسي او العمل النقابي .

كما ان العمل العربي داخل اسرائيل يخدم دولة اسرائيل في المجالين الاقتصادي والسياسي . فمن

الناحية الاقتصادية احدث الانفاق الواسع على الاغراض العسكرية وتوسيع الصناعات الحربية والتعبئة العسكرية لقسم كبير ( حوالي ٣٠٪ ) من القوة القادرة على العمل نقصا في الايدي العاملة الاسرائيلية . ان وجود عدد كبير من القادرين على العمل تحت وطأة البطالة الدائمة والبطالة المقنعة وحاجة العامل العربي لتأمين حد ادنى لمعيشته وتوفر فرص العمل داخل اسرائيل هي الدوافع الحقيقية وراء هذه الظاهرة . ولهذا فان التفسير القائل بان الدافع وراء هذه الظاهرة هو الاغراءات المادية الاسرائيلية يبقى تفسيرا سطحيا فجا . ان « الانتعاش » الاقتصادي الحاصل الان في المناطق المحتلة ناجم بالاساس عن انخفاض نسبة البطالة انخفاضا جديا وعن زيادة القوة الشرائية ( وهي قوة اخذة في الانكماش السريع نتيجة للارتفاع المستمر في الاسعار وتكاليف المعيشة ) لدى السكان نتيجة للعمل العربي داخل اسرائيل . ولكن هذا الانتعاش يبقى انتعاشا هشا لانه لا يرتكز على خلفية اقتصادية انتاجية . كما ان الجزء الاكبر من هذه المقدرة الشرائية يصرف على سلع مستوردة من اسرائيل ويساهم في المحصلة في زيادة قوة الاقتصاد الكولونيالي الاسرائيلي .

ان العامل الفلسطيني في الاراضي المحتلة يعي ، وقادر على ان يعي ، ان عملية الاستغلال الطبقي التي يتعرض لها داخل اسرائيل تساعد على تنفيذ سياسة ترتيب وبلورة اقتصاد المناطق المحتلة بشكل يسمح لاسرائيل باستيعابه بسهولة ويساعدها ايضا على امتصاص النقمة ضد الوجود الاسرائيلي ، مما قد يؤدي الى التخفيف من حدة مقاومة الاحتلال . ولكن العامل العربي الفلسطيني ، كغيره من العمال ، مرغم على بيع قوة عمله ليعيل نفسه وعائلته . وفي ظل الواقع الموضوعي الذي يعيشه فهو مرغم على بيع قواه العملية داخل اسرائيل .

ان اسلوب مخاطبة وتحريك العامل العربي الواقع تحت الاحتلال يجب ان يتم من خلال الفهم الوافي لظروفه المعيشية والعملية وعن طريق فهمنا لمشاكله الحياتية اليومية . ان هذا هو المدخل الواقعي الذي ينبغي ان يتم من خلاله طرح قضية العامل العربي الفلسطيني ، اي قضية الشعب الفلسطيني بأكمله — الاساسية . وهي قضية كانت ولا تزال وستبقى قضية سياسية في اساسها .

يتعرض العمال العرب داخل اسرائيل الى عملية استغلالية منظمة يرافقها تمييز عنصري صارخ .

يتوفر للعامل العربي ثلاث طرق للعمل في اسرائيل: الاولى عن طريق مكاتب العمل التابعة للهستدروت والتي افتتحتها اسرائيل في الاراضي المحتلة . فلكي تحافظ اسرائيل على مظهر الديمقراطية والعدالة اتخذت مبدأمساواة اجور العمال العرب من المناطق المحتلة باجور الاسرائيليين وقامت في نفس الوقت بانشاء صندوق خاص تحول اليه الحسومات التي تنقص من اجور العامل العربي ( والتي تشبه الحسومات التي تخصم من اجور العامل الاسرائيلي ) . وتقدر هذه الحسومات بحوالي ٤٠٪ من اجر العامل الاصلي تعود على العامل الاسرائيلي على شكل عطل سنوية مدفوعة ، واجازات ، وعلاوات عائلية وتعويضات ، بينما لا يعود شيء من هذه الامور الى العامل العربي الذي يدفع له فقط عن يوم عمله . علاوة على هذا تحسم من معاش العامل العربي اجور النقل من مكان عمله . وهكذا فان اجر العامل العربي هو في واقع الامر ، اقل بكثير من اجر العامل اليهودي . وتقول مذكرة للرابطة الاسرائيلية للحقوق الانسانية والمدنية « ان اجر العامل العربي في الاراضي المحتلة ، الذي يستخدم في اسرائيل يخفض تخفيضا مريعا بواسطة اجراءات ادارية . فاجر العامل العربي والعامل الاسرائيلي هو ذاته اسميا، غير ان العرب لا يتلقون اجورهم مباشرة بل من خلال الحاكم العسكري للمنطقة التي يعيشون فيها، ويقوم هذا بحسم ما يربو على نصف الاجر ... فالاجر الاسمي للعامل الزراعي في اسرائيل هو ١٥٫٧٥ ليرة اسرائيلية يحسم منها ٤٫٤٥ ليرة اسرائيلية للضمان الاجتماعي والتأمين الصحي ، و ٢٫٢٠ ليرة للنقل ، ثم يحسم ٢٫٢٠ ليرة للتنظيم وبذلك يصبح الاجر الفعلي للعامل العربي ٧٫٢٥ ليرة اسرائيلية فقط في اليوم الواحد ، وهو لا يتمتع بأي شكل بالتأمين الصحي والضمانات الاجتماعية » . وهروبا من عملية النهب هذه يلجأ العامل العربي الى طريقتين اخرين للعمل في اسرائيل . الاول يتم بواسطة المتعهدين العرب الذين يؤمنون له العمل مقابل مبلغ معين ، بعد ان يتفق هؤلاء المتعهدون مع صاحب المشروع او المزارع الاسرائيلي . ويدفع هؤلاء العمال حصة من اجورهم الى المتعهدين العرب قد تصل الى النصف. كما انهم يعيشون في اوضاع سيئة ويتعرضون لمطاردة السلطات الاسرائيلية وتقول بعض

التحقيقات الاسرائيلية ان معظم هؤلاء العمال ( تقدر السلطات الاسرائيلية عددهم بحوالي ٦ الاف عامل ) من الصغار الذين لم يتجاوزوا سن الخامسة عشرة . وتتغاضى السلطات الاسرائيلية عن هذه الاوضاع « اللاشرعية » الاستغلالية لان هذه الاوضاع تخدم بالاساس مصالح الرأسمالية الاسرائيلية ولانها تنمي ايضا فئة من المستغلين العرب تربطها مصالح مشتركة مع سلطات الاحتلال . اما الطريقة الثالثة فتعتمد على المبادرة الفردية ، اي دون التجاء الى مكاتب العمل مما يجعل هذه الفئة تعاني من وطأة الخوف من السلطات .

ان الاعمال التي يقوم بها العمال العرب هي من النوع الذي يحتاج الى جهود شاقة مثل اعمال البناء ( والتي يقوم بها حوالي ٥٥٪ من العمال العرب داخل اسرائيل ) وقد اصبح العمال العرب يشكلون ٦٠٪ من العاملين في هذا النوع من الاعمال . ويشكل العمال الزراعيون حوالي ربع القوى العاملة المستخدمة في اسرائيل . لقد ادى اعتماد اسرائيل سياسة التفرقة في الاجور بين اسرائيل والمناطق المحتلة وخاصة في غزة ( والتي تصل الى النصف ) الى دفع الكثيرين من ابناء المناطق للعمل داخل اسرائيل . وقد اثر هذا بشكل خاص وخطير على وضع الزراعة في المناطق المحتلة . فقد تحول قطاع من صغار المزارعين الذين اضطرتهم ظروف ارتفاع اجور العمال وعدم قدرتهم على منافسة منتوجات اسرائيل الزراعية الى هجر مزارعهم والعمل في اسرائيل سعيا وراء لقمة العيش . وتشير الارقام المتوفرة ان حوالي ٢٣٨،٠٠٠ دونم لم تستثمر في الضفة الغربية في سنة ١٩٦٨/١٩٦٩ اما لعدم الصمود في منافسة المنتوجات الاسرائيلية او لانتقال الايدي العاملة الى اسرائيل . وقد بلغت هذه المساحة غير المزروعة في عام ١٩٧٠ ٣٥٤،٠٠٠ دونم ، وهذه المساحة تزداد من سنة الى سنة لان العمال الزراعيين واصحاب الارض الذين كسدت زراعتهم راحوا يبحثون عن عمل في اسرائيل او تحولوا للعمل في المشاريع الاسرائيلية داخل المناطق المحتلة نفسها. ان ظاهرة ترك المزارعين اراضيهم واقتلاعهم منها وتفريغ سكانها للعمل في اسرائيل ومناطق اخرى ظاهرة سياسية خطيرة لما ستلحقه هذه وسياسة اسرائيل في استلاب الاراضي وتطويرها قطاع الخدمات في المناطق المحتلة وربطها لاقتصاد هذه المناطق بالاقتصاد الاسرائيلي ، من انهيار في القطاع الزراعي .

هنالك ترابط وثيق بين تفريغ الاراضي الزراعية من الفلاحين العرب والذي يتجلى في تشجيع العمل العربي داخل اسرائيل وتنمية قطاع الخدمات داخل المنطقة المحتلة وبين سياسة تهويد هذه المناطق ببناء المستعمرات والمستوطنات الاسرائيلية فيها . والى جانب هذا اخذت السلطات الاسرائيلية تنفذ مخططا متشعبا لتصفية قضية اللاجئين . لقد اكدت الدراسات التي قدمت الى الحكومة الاسرائيلية من قبل مجموعات من الخبراء الاسرائيليين على اهمية تغير اوضاع هذه المخيمات والغاء طابعها كمخيمات لاجئين عن طريق دمج اهاليها اقتصاديا واداريا مع باقي السكان . وتحدثت بعض التقارير الاسرائيلية عن مشاريع لافراغ المخيمات تدريجيا عن طريق تقديم حوافز اقتصادية كتقديم السكن بسعر اسمي في مناطق بلدية قريبة من اماكن التشغيل الجديدة التي سيعمل على اقامتها ، وتحسين الظروف العامة في المدن ( الصحة ، التعليم ، المساعدة الاجتماعية ) وبذلك تنشأ هنالك دوافع للخروج من المخيمات . وقد اظهرت اوساط دولية استعدادها لتمويل مثل هذه المشاريع . وبالفعل فقد شرعت اسرائيل في تنفيذ هذا المشروع في قطاع غزة حيث يتجمع ما ينيف على ٢٢٠ الف لاجيء . فبدأت بهدم البيوت وشق الطرق « الامنية » ونقل السكان . وبدأت بتصفية وضع مخيم رفح ( اكبر مخيمات القطاع ) وفق مشروع اعده طاقم كبير من الاخصائيين يعتمد على اخلاء ٤٠٪ من سكان المخيم واسكانها في وحدات سكنية جديدة وضم الباقي الى مدينة رفح كجزء من بلدية واحدة . وبهذا تكون اسرائيل قد استكملت مشاريعها لدمج اقتصاد الاراضي المحتلة بالاقتصاد الاسرائيلي . وبهذا ايضا تكون اسرائيل قد غيرت جذريا خارطة فلسطين الاقتصادية والسياسية والسكانية .

وهكذا وفي خلال فترة ربع قرن فقط نجحت اسرائيل ( بمساعدة الامبريالية العالمية ) في تحويل الشعب العربي الفلسطيني من شعب شكلت القرية نواة حياته الاجتماعية وشكلت الفلاحة والعمل الزراعي عصب اقتصاده ، الى شعب اصبح المخيم نواة حياته الاجتماعية واصبح العمل الثانوي البعيد عن علاقات الانتاج الاساسية من صناعة وزراعة شكلا رئيسيا من علاقاته الانتاجية . ان المجموعة الوحيدة من الفلسطينيين التي بقيت ، تحتفظ بشريحة من

ارض الوطن هي الفلاحــون والعمال الزراعيون الذين بقوا في الضفة الغربية وقطاع غزة . وفي هذه المناطق بالذات تسير اسرائيل بخطى حثيثة وبحزم نحو تدمير الزراعة العربية فيها وتحويل فلاحيهــا وعمالها الزراعيين الى جيش من الايدي العاملــة الرخيصة الرثة تسخرها سلطات الاحتلال لتعزيز قدرتها على الاستغلال والقهر القومي . ان مجابهة هذا المخطط يتم عن طريق فضح اهدافه للعمــال والفلاحين وعن طريق تنظيمهم واستقطابهم بالعمل الدؤوب لتحقيق مطالبهم المعاشية الاتية . هــذا هو المدخل لتحويلهم الى جيش عمالي مقاوم .

## المصادر


Sami Hadawi, *Palestine: Loss of A Heritage*. Texas, 1963.

محمد يونس الحسيني : **التطور الاجتمــــاعي والاقتصادي في فلسطين العربية** ، القــدس ١٩٤٦ .

A. Granoff, *The Land System in Palestine:* London 1952

Government of Palestine, Department of Statistics, Special Bulletin No. 21 «*Survey of Social and Economic Conditions in Arab Villages, 1944* ».

Horowitz, David, *Economic Survey of Palestine:* Tel-Aviv Government of Palestine, *Report of a Committee on The Economic Conditions of Agriculturalists in Palestine and the Fiscal Measures of Government in Relation Thereto*. 1930.

سعيد حماده ، **النظام الاقتصادي في فلســطين** ، بيروت ١٩٣٩ .

George Mansur, *The Arab Worker under The Palestine Mandate.* Jerusalem 1936.

F. Trabulsi, «The Palestine Problem: Zionism and Imperialism in The Middle East ». *New Left Review,* Sept.-October 1969.

محمد جوهر ، **الحركة العمالية في الاردن**، القاهرة، ( بدون تاريخ ) .

المملكة الاردنية الهاشمية ، دائرة الاحصاء العامة، **السكان والعمالة في القطاع الزراعي ١٩٦٧** ، عمان ١٩٦٨ .

المملكة الاردنية الهاشمية ، دائرة الاحصاء العامة، **التعداد الاول للسكان والمساكن** ، تشرين الثاني ١٩٦١ ، المجلد رقم ٢٠١ .

جون ديفز ، **السلام المراوغ** ، دمشق ١٩٧٠ .

Rand Report: *Economic Structure and Development Prospects of The West Bank and Gaza Strip.* Sep. 1971.

وزارة التصميم اللبنانية، **مديرية الاحصاء المركزي، التحقيق الاحصائي بالعينــة حول القوى العاملة في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في لبنان** ، حزيران ١٩٧١ .

Central Bureau of Statistics *Statistical Abstract of Israel.* Jerusalem *1971.*

Israeli Defence Forces, *Census of Population 1967.* Publications No 1-5.

مكتب الاحصاء الاسرائيلي المركزي ، **النشـــــرة الشهرية** ، حزيران ١٩٧١ .

الجمهورية العربية السورية ، وزارة التخطيط ، **التعداد العام لعمال فلسطين الى المؤتمر النقابي العالمي للتضامن مع عمال وشعب فلســطين ، صوفيا .١٠–١٩٧١/٩/١٣** ، مركز الابحاث ، بيروت ١٩٧١ .

UNRWA - UNESCO, Department of Education, *Statistical Yearbook 1970-71.* Beirut 1971.

حبيب قهوجي ، **العرب في ظل الاحتلال الاسرائيلي منذ ١٩٤٨** ، مركز الابحاث الفلسطيني، بيروت ١٩٧٢ .

# حقيقة القدرة الاسرائيلية على ضرب اهداف عربية بعيدة

هشام عبدالله

بعد حصول اسرائيل على طائرات من طراز فانتوم الامريكية ، في اعقاب حرب حزيران ، ودخول تشكيلات من هذه الطائرات الخدمة الفعلية في ايلول ١٩٦٩ ، وتجهيز طائرات نقل ضخمة من طراز ستراتوكروزر كمحطات وقود طائرة* والتي عرضت لاول مرة في يوم الطيران الاسرائيلي يوم ١٦ تموز ١٩٧٠ . قالت جريدة هآرتس ( ملحق ١٩٧٢/٤/١٤ ) نقلا عن مجلة القوات المسلحة في الولايات المتحدة « ان باستطاعة اسرائيل مهاجمة اهداف مثل قاعدة ويلس في ليبيا وكذلك المناطق الداخلية من السودان والعراق وسوريا » واعتمادا على هذه القدرة التي تحدثت عنها المجلة الامريكية كثرت التهديدات الاسرائيلية الرسمية وغير الرسمية في المناسبات المختلفة بضرب اهداف في ليبيا ، وتدمير منابع البترول في الجزيرة العربية . ففي اعقاب عملية ميونيخ قالت صحيفة معاريف ( ١٩٧٢/٩/٦ ) « انه حساب الدم مع المخربين ومرسليهم كما اننا لن نفعل مثلهم بل سننقل الميدان الى اماكن بعيدة ونضربهم » . وفي أعقاب تحرير فدائيي ميونيخ الثلاثة قال رئيس حزب الاحرار عضو الكنيست اليميلخ ريملط « ان على اسرائيل البدء بليبيا لتسديد حساباتها مع الذين يدفعون المخربين » وقال « ان ليبيا اخرجت نفسها من المجتمع البشري لذلك فان ضربها وضرب ممثليها أمر قانوني » ( رصد اذاعة اسرائيل ١٩٧٢/١١/٣ ). وبعد اعلان الوحدة بين اليمنين والتخوف من ان تقوم الدولة الجديدة بشن حرب لا هوادة فيها ضد الملاحة الاسرائيلية في البحر الاحمر ، قال دوف ينون : « ان هناك اهدافا في تلك الدول ، في حال تجرؤها ( الدول ) على الاستفزاز ، من الممكن ان يكون ضربها مؤلما ... » ، « ... اننا سنعرف كيف نتصرف وكيف نجد جوابا للدفاع عن ملاحتنا » (رصد اذاعة اسرائيل ١٩٧٢/١١/٣٠). ومن جهة اخرى اعتبر ادوارد لوتراك ( ملحق جيروزاليم بوست ١٩٧١/٩/٢٤ ) مدى طائرات الفانتوم والسكاي هوك القادرة على التزود بالوقود ، وسيلة لتحقيق تفوق اسرائيلي في البحر الاحمر ، — وقياسا على كلامه ، فانها تملك تفوقا مماثلا في البحر المتوسط — حين قال « ... مما يبعد قيام المصريين بشن حملة بحرية ناجحة، فطائرات الفانتوم والسكاي هوك التي يمكن تزويدها بالوقود من الجو ، ملائمة بصورة خاصة للقيام بعمليات بعيدة المدى فوق البحر الاحمر » .

وبالرغم من كثرة التهديدات الاسرائيلية فلم تسجل اية عملية في هذا المجال ، وهذا ما يدفعنا الى تقييم القدرات الحقيقية ، لتحاشي الاستهانة بالتهديدات الاسرائيلية ، او اعطائها قيمة زائدة . فعملية بعيدة المدى من النوع الذي تهدد به اسرائيل تخضع لعوامل تقنية وعسكرية واحيانا سياسية — حسب طبيعة الهدف — لا يمكن تجاهلها . فمن الوجهة التقنية يبلغ مدى طائرة الفانتوم ١٦٠٠ كيلو متر ، اي انها قادرة على الوصول الى اهداف تبعد ١٦٠٠ كيلو متر عن قاعدة انطلاقها ، ولكن امكانية ضرب اهداف تبعد كل هذه المسافة تخضع لاعتبارات عسكرية تجعل من مدى الطائرة اعتبارا ثانويا . بالاضافة الى ان مدى الطائرات ينخفض عادة كلما ازدادت حمولة الطائرة ، وينخفض بنسبة تصل الى النصف تقريبا عند الطيران المنخفض ، وبنسبة تزيد عن النصف عند القتال الجوي . اي انه لا يمكن لطائرات الفانتوم الوصول الى هذه الاهداف بحمولتها الحربية الكاملة ، او الوصول اليها محلقة على ارتفاعات منخفضة . ومن جهة اخرى تستثنى طائرات السكاي هوك من القيام بعمليات بعيدة المدى بسبب مداها المتواضع نسبيا ( ٥٤٧ كيلو مترا للنموذج A-4V ) ولان ما ينطبق على الطائرات مما ذكر سابقا ينطبق عليها .

ولا بد من النظر الى كل تهديد بعملية على انفراد، لان لكل عملية اعتباراتها التقنية والعسكرية والسياسية الخاصة ، فظروف عملية تستهدف ليبيا تختلف عن ظروف عملية تستهدف اليمنين او الكويت ، او المناطق الداخلية من العراق . كما ان هناك اختلافا متشابها بالنسبة لطبيعة الهدف

* تمتلك اسرائيل طائرتي صهريج من طراز ستراتوكروزر لتزويد الطائرات بالوقود من الجو . Military Balance 1972-73

فقصف مطار حربي له نتائج تختلف عن قصف ابار النفط .

ونظرا لان غالبية التهديدات الاسرائيلية تستهدف ليبيا في المقام الاول بسبب مواقفها ودعمها للمقاومة ، فسنبدأ ببحث احتمال قيام اسرائيل بعملية ضد ليبيا . والحقيقة ان هناك عدة محاذير تجعل من الصعب جدا ، ان لم تمنع القيام بعملية ضدها ، محاذير تتعلق بالاعداد للعملية ، والهدف المقصود ، والغرض من العملية ، والنتائج السياسية المحتملة للعملية ، فقدرة الطائرات على الوصول الى مناطق بعيدة قد تكون احد عوامل النجاح لضرب اهداف بعيدة ، الا انها لا تكفي لعملية ناجحة . والقيام بعمليات بعيدة المدى كالعملية المذكورة هي مهمة معقدة وخطرة ، خاصة في الوضع الاسرائيلي ، حيث يتوجب على المقاتلات الاسرائيلية قطع كل المسافة فوق مناطق معادية او مجاورة لهذه المناطق . بالاضافة الى ترابط كل عناصر العملية بشكل قوي بحيث ان فشلا لاحد هذه العناصر ، مهما كان ثانويا ، كفيل بافشال العملية . ولا بد من اعداد ناجح للعملية الناجحة ، ويتم هذا اولا بتحديد الهدف على ضوء الاستخبارات المتوفرة ، ونبالغ اذا قلنا بان لدى اسرائيل معلومات دقيقة او شبه دقيقة ، عن كل الدول العربية على مدى ١٦٠٠ كم ، لان هذا يعني توزيعا لجهد الاستخبارات الاسرائيلية على مناطق تعتبر ثانوية بالنسبة للمتطلبات العسكرية الاسرائيلية ، وليست من ضمن دول المواجهة . كما ان الحصول على معلومات لا يكفي ، خاصة اذا كان الهدف عسكريا ، فلا بد من استطلاع جوي ، او استطلاع قريب لاخذ معلومات حول وسائل الدفاع والانذار الموجودة في القاعدة او المعسكر ، والاماكن الحيوية في المنطقة ، واماكن تواجد المعدات العسكرية ، وغيرها، والقيام باستطلاع جوي اذا ما تم كفيل بافقاد العملية عنصر المفاجأة كما انه بحد ذاته عملية صعبة بسبب بعد المسافة*. فاذا ما نشلت اسرائيل في الحصول على المعلومات الضرورية لضرب اهداف عسكرية ، واعتقدت ان من الضروري القيام بعملية ما ضد ليبيا ، فانها قد تلجأ الى ضرب مرافق عامة بشكل عشوائي ، وهذا قد يخلق مضاعفات سياسية ، بالاضافة الى ان الصعوبة العسكرية تبقى قائمة ، فكما سبق وقلنا يتوجب على الطائرات الاسرائيلية التي تنوي ضرب ليبيا ان تمر اما فوق الاراضي المصرية ، وهذا احتمال غير وارد بسبب الدفاع الجوي المصري ، وضرورة عدم الاصطدام معه ، او فوق البحر المتوسط ، اي فوق مياه تقع ضمن مدى اجهزة الرادار المصرية وقرب حدودها . وتحتاج الفانتوم الاسرائيلية الى ٩٠ دقيقة تقريبا للوصول الى أهداف ليبية ، وبالطبع لن تتضح نية المقاتلات الاسرائيلية فور انطلاقها ، بل ربما قبل ٢٠ دقيقة او اقل من وصولها الى الهدف . وهذا وقت كاف لاستنفار المقاتلات الليبية ، فاذا ما نجحت الفانتوم الاسرائيلية في الوصول الى هدف ليبي ، وسواء تمكنت المقاتلات الليبية او المصرية من اعتراضها ام لا ، فانها تكون قد وقعت في مأزق حقيقي . فما الذي يحدث مثلا لو هاجمت المقاتلات المصرية طائرات التزويد بالوقود واسقطتها او هي اضطرتها الى الفرار داخل الارض المحتلة ، او على اسوأ الفروض ، وبسبب وجود حماية لطائرات الوقود هذه ، حرمتها من الحركة الهادئة الضرورية لتزويد المقاتلات بالوقود في الجو ، وما الذي يحدث لو ان المقاتلات الليبية الحديثة من طراز ميراج ٥ ومداها ١٣٠٠ كيلو متر ، والمصرية من بعدها من طراز ميغ ٢١ مف ومداها ١١٠٠ كيلو متر ، هاجمت المقاتلات الاسرائيلية وعلى دفعات متتالية اثناء العودة ، ليس بغرض الاشتباك معها ، بقدر ما هو لتأخيرها ، واجبارها على استهلاك اكبر كمية من الوقود في اقل مدة ممكنة ، خاصة وان همّ الطيارين الاسرائيليين سيتركز على محاولة الهرب والوصول الى قواعدهم البعيدة جدا ، اكثر من القيام بمناورات ومحاولات لاسقاط الطائرات العربية . وبالطبع فان هناك احتمالات عديدة ، سيكون التصرف فيها لمبادرات الطيارين العرب وتقديرهم للموقف .

وعلى فرض ان *اسرائيل* تمكنت من تجاوز كل ما ذكرنا ، وانها قد ذللت كل العقبات التي تحول دون قيامها بالعملية ، فما هو الهدف منها ؟ هل هو ضربة لاضعاف ليبيا ، وردعها عن مساهرة الفدائيين ؟ وهذا غير معقول فضربة من هذا النوع

* قد تتمكن اسرائيل من الحصول على هذه المعلومات من مصادر اخرى مثل الاسطول الامريكي في المتوسط ، ولكن هذا لا يخفف من تعقيدات العملية ، لانها ستخضع في هذه الحالة لموافقة طرف آخر .

لن تضعف ليبيا ، ولـن تردعها عـن مسانـدة الفدائيين ، بل على العكس ، فانها ستزيد من مناصرة ليبيا للعمل الفدائي . ام سيكون مجـرد عمليـة استعراضية للبرهنة على يد اسرائيـل الطويلة ، وفي هذه الحالة فان الاخطار التـي تحيط بالعملية لا تتناسـب مع النتائج التي قـد تجنيهـا . خـاصة اذا ما ذكرت المضاعفـات السياسية التي قد تنتج والتي تتعلق بطبيعة الهدف « فالولايات المتحدة ودول اوروبا لا يمكنهـا ان تسمح لنفسها بخسارة صداقة ليبيا . ان كنوز النفط تحرك عجلات اوروبا وكل ضرب لهذه الكنوز هـو بمثابة كـارثة حقيقية لـدول الغـرب » . ( يديعوت احرنوت ١٩٧٢/١١/٥ ) .

ويقدم الشق الشرقي لنشاطات اسرائيل المحتملة تعقيدات مختلفة ، فمن جهة يبدو من السهل ضرب اهداف في اليمنين ، خاصة وانهما لا تملكان اجهزة انذار فعالة ، او لضعف الدفاع الجوي عامة ، بالاضافـة الى انعدام التنسيق مع مصر والتي تستطيع ان تقوم بنفس الدور الذي تلعبه مـع ليبيا ، في امكانية اعتراضها للطائرات الاسرائيلية اثناء عودتها فوق البحر الاحمر ، كما انه مـن الممكن ان لا يكون لضرب اهداف في اليمنين ردود فعـل سياسية قوية ، بسبب ضآلة المصالـح الاجنبية هناك ، ولكـن امرا واحدا يعزز وضع اليمنين في هذا المجال ، وهو حاجة اسرائيل الى المرور بسلام من مضيق باب المندب ودون ان تخلق لنفسها تعقيدات ليست في صالحها .

وتتشابه كل من الكويت والعربية السعودية من ناحية قوة موقفهما السياسي مع ليبيا ، هذا ان لم يكن موقفهما اقوى ، ولكن وضعهما يختلف من وجهة النظر العسكرية البحتة . فليس لدى هاتين الدولتين في الوقت الحاضر على الاقل ، ولا للاردن المتاخم لهما نظام دفاع جوي متكامل ، قادر على اعتراض للطائرات الاسرائيلية حتى في ظرفهـا الدقيق حين تكون بعيدة مئات الكيلومترات عـن قاعدتها ، وان كان بامكان الكويت الحصول على نتائج ايجابية بالتنسيق مع العراق .

أما الصعوبة العسكرية البحتة فتتمثل في ضرب المناطق الداخلية من مصر والعراق ، بسبـب الاستعدادات الجيدة في البلدين ، بالاضافـة الى ان ضرب اهداف بعيدة في العمق لا يمكن أن يتم دون الاصطدام مع الجبهة واجهزة الدفاع الامامية — على الاقل حين العودة — وفي مجال حديثنا لا تعتبر القاهرة مثلا هدفا بعيدا على الرغم من أنه جرت العادة على اعتبارها هدف عمق . ولا يمكن الوصول الى المناطق الداخلية في العراق دون المرور دون سوريا والاصطدام بالقوات الجويـة السورية . وتنطبق على عمليات من هذا النوع كل الصعوبات العسكرية التي سبق ذكرهـا ، بالاضافة الى أنه من الواضح انه لن يكون لضرب هدف بعيد في مصر نتيجة عسكرية حقيقية تختلف اختلافا ذا قيمة عن ضرب اهداف قريبة ، كما أن القدرة الجوية الاسرائيلية لن تكون افضل حالا في العراق منها على الحدود السورية ، بل العكس هو الصحيح ، وينطبق القول نفسه على السفن الحربية العربية المبحرة او الراسية في مياه قريبة او بعيدة .

ويجب أن لا يفهم مما سبق وذكرنا ان اسرائيل غير قادرة على ضرب اهداف بعيـدة ، بسبب المخاطر التي تحيط بالعملية ، لان تقرير ذلـك يخضع لاعتبارات ظرفية ، حيث تخضع العمليـة لحوار ارادات يتمثل في اقامة العقبات من جهة العرب ، وتذليلها من قبل اسرائيل . كما ان هناك اوقات يصبح فيها الردع السياسي ثانويا تتفوق عليه الضرورات العسكرية ، هذا من جهة، ومن جهة اخرى فلا بأس ان نذكر ان الانجازات العسكرية الاسرائيلية ما كانت لتتم لـولا انعدام التنسيق والتعاون العربيين . كما أن ضرب اهداف عربية بعيدة — رغم ان الامر ليس بالسهولة او الخطورة التي يتصورها البعض — لا يمكن ان يتم بوجود هذا التنسيق والتعاون .

# اشتباكات ايار الدامية في لبنان وردود الفعل في الضفة الغربية

## عيسى الشعيبي

احتفظت الضفة الغربية والمناطق المحتلة عام ١٩٦٧ عموما ، بحالة من النهوض الجماهيري العام منذ حادث اغتيال ثلاثة من قادة الثورة الفلسطينية يوم ١٩٧٣/٤/١٠ . وقد جاء العرض العسكري الاسرائيلي في القدس يوم ١٩٧٣/٥/٧ مناسبة اخرى لتجديد جماهير الضفة الغربية حالة النهوض هذه بمختلف ادوات واشكال النضال الثوري ، بدءا من المنشورات التي تحرض على مقاطعة العرض العسكري ومقاومته ، ومرورا باعلان الاضراب واغلاق المحلات يوم العرض ، وانتهاء بجملة من العمليات العسكرية سبقت ورافقت العرض العسكري . وجاءت احداث لبنان الاخيرة في هذا الوقت وما رافقها من عمليات قصف وتدمير ضد مخيمات الفلسطينيين في ضواحي بيروت لتزيد من تفاعل جماهير الضفة الغربية مع الاحداث الفلسطينية داخل الوطن المحتل وخارجه . ولقد كان لهذا التحرك الذي عبر عن نفسه باشكال عدة ايضا دلالة هامة من حيث كونه : **اولا** انه جاء كتعبير حقيقي عن وحدة المصاب الفلسطيني داخل الوطن وخارجه ونفيا قويا لما تشيعه الدوائر الامبريالية عن هوة نفسية وسياسية بين فلسطينيي الداخل وفلسطينيي الخارج . **ثانيا** انه قد جاء بعد حالة من الركود العام الذي شهدته الضفة الغربية اثر تعرض المقاومة الفلسطينية لسلسلة المجازر الشهيرة في الاردن منذ خريف العام ١٩٧٠ وحتى صيف العام ١٩٧١ . **وثالثا** ان هذا التفاعل الفلسطيني بالاحداث الوطنية الفلسطينية قد جاء استمرارا لحالة النهوض الجماهيري التي بدأت في الضفة الغربية منذ حادث الاغتيال لثلاثة من قادة الثورة كما ذكرنا .

ولقد تميزت ردود الفعل في الضفة الغربية على احداث شهر ايار ( مايو ) الماضي في لبنان ، بشمولها اوسع القطاعات الجماهيرية ومختلف المؤسسات العربية في سائر المدن والمناطق . كما تعدت ردود الفعل هذه نطاق ارسال البرقيات الى زعماء الدول العربية لتترجم في مواقف عملية مثل جمع التبرعات المالية والعينية لارسالها الى الجرحى والمنكوبين في لبنان عن طريق جمعية الصليب الاحمر الدولية . واستنادا الى ما نشرته صحف الضفة الغربية ، التي ساهمت في الدعوة لجمع التبرعات ، فقد بلغت حصيلة اليوم الاول اكثر من عشرة آلاف ليرة اسرائيلية « بالاضافة الى المبالغ الموجودة حاليا مع بعض اللجان والتي لم تستكمل بعد عملية الجمع » ( القدس ١٠/٥/ ١٩٧٣ ) . وكانت جمعية الهلال الاحمر في القدس قد وجهت نداء الى المواطنين في الضفة الغربية تحثهم فيه بعبارات مؤثرة على التبرع للفلسطينيين في لبنان . فقد جاء في هذا النداء الذي نشرته جميع صحف الضفة الغربية : « ايها المواطن العربي الفلسطيني. ابناء شعبك في لبنان يذبحون. اطفالهم يعانون الخوف والجوع والموت وبيوتهم تتحول الى انقاض . فماذا انت فاعل ! نظرا للظروف التي تعيشها فانك مطالب بأقل قسط ممكن من الواجب الملقى عليك كفلسطيني . ان تمد يدك الى اخوتك ، تمسح دموعهم ، وتداوي جراحهم ، وتخفف من آلامهم . ان لجنة الاغاثة التابعة لجمعية الهلال الاحمر بالقدس ، استجابة منها لنداء الواجب ، تدعوك لان تسارع الى تقديم ما يمليه عليك الواجب الانساني والوطني من مساعدات نقدية لتساهم في اسعاف الجرحى والمنكوبين وتخفيف ويلاتهم ... **اننا نهيب بكم ايها الفلسطينيون ان تهبوا لتلبية نداء الواجب ، نداء وحدة الدم والمصير** » ( القدس ١٩٧٣/٥/٩). كما ابتدع المواطنون اشكالا اخرى لتقديم التبرعات وزيادة حصيلتها ، منها ما اقدم عليه « مطعم رمسيس » الذي اعلن في الصحف عن تخصيص مبلغ ٥٠ بالمئة من مبيعاته طيلة ايام حملة جمع التبرعات ـ ثلاثة ايام ـ وذلك « لمساعدة اخواتنا ضحايا الحوادث التي وقعت في لبنان » ( البشير ١٩٧٣/٥/١٢ ) .

أما على صعيد التحرك السياسي فقد وجهت عدة بلديات وهيئات ومؤسسات عربية في سائر مدن الضفة الغربية برقيات ورسائل الى ملوك ورؤساء الدول العربية تدعوهم فيها الى التدخل السريع لصد الهجمات التي يتعرض لها الفلسطينيون بالمدافع والطائرات . فقد جاء في برقية وجهتها بلديات طولكرم وقلقيلية وسلفيت ، والغرف التجارية ، والهيئات النسائية ، والنقابات ، والاتحادات في نابلس ، وجمعية الهلال الاحمر بطولكرم نداء الى الرؤساء جاء فيه : « ان

الصمت على المؤامرة الاستعمارية الكبرى ضد الشعب الفلسطيني وابادته بقصف مخيماته واهله — ليستسلم — بالمدافع والطائرات ، الشعب الذي يقف صامدا حاميا لحق وطنه ، ومصير امة، لمسؤولية عظمى ... انها المسؤولية الحتمية التاريخية التي تدعوكم مجتمعين للوقوف صفا واحدا بكافة قدراتكم وثرواتكم السياسية والعسكرية والبترولية لصون الكيان العربي رجالا وارضا ، تراثا وتاريخا ، لحقن دماء الشعب العربي الواحد ، حماية لقضيته ووجوده. وليبق علم فلسطين وشعب فلسطين ، شعب التضحيات والايمان والقيم ، شامخا حيا » ( القدس ١٩٧٣/٥/٩ ) . كما وجهت هذه البلديات والهيئات والمؤسسات نداء الى جماهير الامة العربية جاء فيه : « من قلب الارض المحتلة المقدسة ومن أعماق الافئدة — والنصال فيها تتكسر على النصال ، والجراح على الجراح — نناديك للتحرك في كل ارض عربية لايقاف سفك دماء الشعب الفلسطيني في لبنان ، الشعب الذي تساق له كل المآسي والمكائد ليستسلم ويفرط في وطنه وحقه ، وما يظل صامدا للدفاع عن حق امة ، وطن وتاريخ ... » (القدس ١٩٧٣/٥/٩). ومن الجدير بالذكر انه جرت يوم الجمعة ١٩٧٣/٥/١١ صلاة الغائب على ارواح الشهداء الذين سقطوا في لبنان ، كما تناولت خطبة الجمعة الحالة التي كانت قائمة في لبنان في ذلك التاريخ ، ودعا خطيب الجمعة المصلين التبرع لاسر الشهداء في لبنان ( البشير ١٩٧٣/٥/١٢ ) .

وكان رئيسا بلديتي البيره ورام الله قد وجها نداء من الضفة الغربية حملا فيه مسؤولية المجازر في لبنان جميع رؤساء وملوك الدول العربية « التي تتفرج على نجاح السلطة اللبنانية في ابادة شعبنا » وناشدا الشعب اللبناني الوقوف الى جانب الشعب الفلسطيني في النضال من اجل كرامته وحريته وتحقيق امانيه . ( الشعب ١٩٧٣/٥/٤ ) . كذلك وصفت برقية وجهها مجلس بلدية نابلس والغرفة التجارية ونقابات العمال والهيئات والمؤسسات النسائية والمهنية والجمعيات الخيرية وكافة فئات المواطنين في المدينة ، الى الرؤساء العرب ، ما يجري على ارض لبنان « من استباحة لدماء شعب ضحى من أجل حقوقه ، ما هو الا حلقة من حلقات مؤامرة مريرة ضد الامة العربية » ( الشعب ١٩٧٣/٥/٤ ) . وجاء في برقية من الهيئات النسائية في نابلس وجهت الى الامة العربية شعوبا وحكومات « ان ما يجري في لبنان العربي ليس هو مؤامرة ضد الشعب الفلسطيني ونضاله لحقه ، قدر ما هو مؤامرة لطعن الامة في وحدتها وكفاحها لتحرير قدسها واجزائها المحتلة الاخرى ومستقبلها ومصيرها . لقد شرد الشعب الفلسطيني من أرضه ودياره ، ولكنه ظل مؤمنا بحقه في العودة الى وطنه مهما كانت التضحيات والثمن ، ولكن لا — وانه لشديد الحق — لتستباح دماؤه وتتكرر محنه ومآسيه في أرض عربية وبأيد عربية . الانسان الفلسطيني ، القيم والمبادىء التي يحملها ، بل الامة التي يموت من اجلها ، مسؤولة اليوم — في كافة اقطارها — عن حق دماء صغاره ونسائه وشيوخه في مخيمات ومواطن الذلة والتشرد والمنافي ، وليقف بمثله العليا وعظمة تضحياته امام كل طامع في ثرواتها وأرضه وتحويل تاريخها واخضاعها » ( الشعب ١٩٧٣/٥/٤ ) .

وفي مجال استعراض وتناول الصحف العربية في الضفة الغربية لتلك الاحداث التي وقعت في شهر ايار ( مايو ) الماضي في لبنان ، ذهبت بعض تعليقات هذه الصحف الى تحميل مسؤولية سفك الدم الفلسطيني والعربي في غير مواقعه الحقيقي، الى جهات خارجية وايدي خفية لها مصلحة مباشرة في كل ذلك . وذهبت بعض التعليقات الى تحميل الوضع العربي العام مسؤولية ما جرى ، بينما رأت بعضها ان السلطة اللبنانية والحكم العسكري هما اللذان يتحملان المسؤولية المباشرة عن سفك الدم اللبناني الفلسطيني الواحد . وقد تحدثت هذه الصحف في أكثر من تعليق لها باسهاب عن موضوعة « جيش الاحتلال » الفلسطيني في لبنان وعالجتها بكثير من المرارة والالم . ففي مجال تحميل مسؤولية الاحداث لجهات اجنبية ، قالت صحيفة القدس مع بداية الاشتباكات : « ما كنا لنتسرع فنتحدث عما يجري في لبنان منذ يومين ذلك لانها ليست المرة الاولى التي تقوم فيها العناصر المشبوهة والايدي الخفية في لبنان بلعبة ( جس النبض ) للفتك بالمنظمات الفلسطينية ... [ و ] لان تلك الايدي وذلك الجهاز ما زالا اضعف من ان يفقدا ارزة لبنان خلودها ولا عروبة لبنان الاشم اصالتها واصولها ... » ( الشعب ١٩٧٣/٥/٤ ) . وفي تعليق اخر قالت القدس وهي تشير الى جهات

اجنبية تذكي نار النزاع : « وما دام الطرف الظاهر والمقابل للجيش اللبناني في الصراع ، هو المنظمات الفلسطينية ، فان الاصابع التي تلعب من وراء الستار تتوقع ان يوجه الجيش اللبناني اسلحته نحو المنظمات ، والاخيرة لا بد ان تدافع عن نفسها بالضرورة ... وهكذا تزداد النار اشتعالا ... » ( القدس ١٩٧٣/٥/١٠ ) . غير ان هذا الاتجاه الذي يحمل الجهات الاجنبية مسؤولية الاحداث ، وجد له نقيضا في تعليق اخر لصحيفة الشعب التي حملت السلطة اللبنانية وحدها مسؤولية ذلك كله . فقد قالت الشعب في تعليق لها بعنوان « سنظل نضيء لهذه الامة درب خلاصها : هل يملك هذا الطابور طائرات تتصف المخيمات ، ومدفعية ثقيلة تدك قواعد المنظمات ؟ ايتها السلطات » ( الشعب ١٩٧٣/٥/٩ ) .

وعززت صحيفة البشير هذا الاتجاه الداعي الى تحميل السلطة اللبنانية مسؤولية الاحداث بقولها: « ... اننا لا نبرىء لبنان الذي يقوم جيشه بعمليات عسكرية مركزة تستهدف المنظمات الفلسطينية ومخيمات اللاجئين من انه لا ينفذ مؤامرة مدبرة لتصفية العمل الفلسطيني والقضية الفلسطينية ، وهو بذلك ينضم الى قافلة القوى الظالمة التي لا تريد خيرا لا للفلسطينيين ولا للبنان ولا للعرب » ( البشير ١٩٧٣/٥/١٢ ) .

أما في مجال تحميل مسؤولية تلك الاحداث الى الواقع العربي برمته فقد اسهبت صحف الضفة الغربية في شرح وتعليل ذلك . فقد وجدت هذه الصحف في الوضع الفلسطيني الثائر تمردا حقيقيا على أوضاع التردي والهزيمة التي تلف الجسد العربي باسره ، ونتيجة طبيعية لذلك ان يجد الواقع الفلسطيني نفسه متصادما مع الواقع العربي الرسمي . فقد وصف تعليق نشرته صحيفة القدس على صفحة داخلية لها الوضع الفلسطيني بانه « الجزء الشاذ المتحرك في جسم الامة العربية الخامل ، النائم ، المسترخي ، البليد » وقالت : « ان الجسم العربي النائم لا يثور اذا اعتدى احد على كرامته او كبريائه او استباح دياره وارضه وبيته .. لا يتضايق .. ويتحول هذا الجسم الى نمر كاسح اذا حاول جزء منه ان يوقظه من النوم ويخلصه من الخمول .. يبطش ، تخرج طائراته من عنابرها ودباباته عن سكوتها .. قوة استعمارية هو الفلسطيني اذا بدأ يتحرك. عميل لما شئت من مخابرات الدنيا اذا رفض النوم كبقية النائمين .. وممنوع على الفلسطيني ان يخرج عن الاجماع العربي لو كان الاجماع نوما وكسلا وخمولا ... بدأ العذاب قبل ربع قرن .. ويكفي .. قرر « فريسيونا وكتبتنا » في الحكم انه يكفي .. لا بد ان يوضع حد لهذا العذاب .. وبدأ وضع الحد في عمان .. فهل يريدون نهايته في لبنان ؟. قد يفكرون . وقد يخططون .. لكن الفلسطيني بارادته فقط يضع نهاية لعذابه » ( القدس ١٩٧٣/٥/٩ ) .

لقد كان عرض الوضع العربي وتحميله مسؤولية الاحداث الاخيرة في لبنان كما جاء في صحيفة القدس عاما وغير محدد ويغلب عليه طابع المرارة والالم الشديد في تصديه لمعالجة هذا الموضوع . الا ان صحيفة الشعب في تناولها الموضوع نفسه ومن وجهة النظر نفسها رأت بصورة محددة ان مشروع روجرز الذي قضى بوقف اطلاق النار على الجبهات العربية مع اسرائيل هو لب المشكلة الحقيقية التي تواجه الفلسطينيين الذين نذروا انفسهم فداء الوطن . فقالت الشعب : « ولم تلبث مؤامرة وقف اطلاق النار على مختلف الجبهات ، ان استبدلت بفتح النار على المنظمات، وجاءت من بعد سنوات الهزيمة الامبريالية — الاسرائيلية — الرجعية ، المسماة بسنوات اللاسلم واللاحرب ، لتجعل من تجميد الحدود وتبريدها ، سخونة مشتركة بين اسرائيل وبعض العرب في ضرب المخيمات ومطاردة المنظمات **بوصفها العائق الرئيسي لاي حل استسلامي** ، ولم تجد بعض الانظمة العربية وقد فرض عليها الخيار بين ثلاث حالات هي : الغاء حالة الركود بلا سلم ولا حرب ، او الاستسلام الانهزامي حسبما تريد اميركا واسرائيل ، او التخلص من الشعب الفلسطيني كعدو بديل ومعوق كبير .. وكان الاختيار الثالث اسهلها واقربها ، ذلك لانهم لن يحاربوا ابدا ، ولن يتمكنوا من توقيع صكوك الذل والمهانة المسماة بالصلح والسلام طالما ظل الشعب الفلسطيني قائما وقادرا وفاعلا . بيد ان المخططين جميعهم ، اعرابا واغرابا ، نسوا حقيقة اكبر من ضلالهم وتضليلهم وهي ان هذا الشعب لن يموت لا هنا ولا هناك .. وانه سيظل في حلوق المستسلمين الانهزاميين شوكة لا يمر عبرها الحل المفروض ، بل ان الوجود المتواطىء والمتخاذل سيكون خوفه على نفسه اشد من حرصه على شعبه وامته ... » (الشعب ١٩٧٣/٥/١٠).

واضافت البشير في تعليق اخر تقول « ... ان ما يجري الان في لبنان يعني ان الفلسطينيين اصبحوا مع الاسف الشديد ضيوفا وغرباء في قلب الوطن العربي ، وهم عالة على الاخرين الذين اخذوا يشعرون بالضيق من هذا الشعب المشرد المنكوب، الذي يجمع كل القادة العرب على ان الشعب الفلسطيني جزء من الامة العربية ، ولكنه في اغلب الاحيان يعامل معاملة الاجانب الغرباء بل ان الاجانب والغرباء يلاقون معاملة افضل واكثر انسانية » ( البشير ١٩٧٣/٥/٥ ) .

أما في مجال معالجة الصحف العربية في الضفة الغربية لموضوعة « جيش الاحتلال » الفلسطيني في لبنان كما اوردتها المراجع العليا في السلطة اللبنانية اثناء حديثها الى مجلس الوزراء اللبناني في بداية الازمة ، فقد عالجتها هذه الصحف من خلال فهمها للسيادة القومية على المستوى العربي الشامل وليس على منطلق مفهوم السيادةالاقليمية الضيقة . وقد رأت هذه الصحف — بحق — ان الاحتلال الاسرائيلي في حد ذاته هو تعرض يومي سافر للسيادة الاقليمية والقومية على المستوى العربي برمته ، وانه لا يجوز بالنتيجة التحدث عن سيادة هي اصلا مهدورة وعن كرامة هي بالاساس مستباحة منذ خمس وعشرين سنة على يد اسرائيل . فقالت الشعب في هذا المجال : « ... وتزعم السلطة والجيش ان همهما هو سيادة لبنان ، ولا ندري اين هي تلك السيادة التي يخرق كرامتها الاسرائيليون يوميا ، وترفع شعارها مخابرات اميركا والرجعية العربية حتى اصبحت بيروت وكرا للعصابات، والجواسيس ، والعملاء. واذا كان ابا ايبان وزير خارجية اسرائيل يقول وهو يغادر مطار اللد الى البيت الكبير .. الابيض ، يقول وعينه على لبنان : ان ما يجري هناك يدفع اسرائيل الى الاستعداد ذلك انه يعرض امن اسرائيل الى الخطر .. وفي هذا التصريح وحده ما يكفي لبنان الحكم لان يتوقف او يرعوي ، ذلك انه ينتظر من اسرائيل ان تستغل هذا الوضع لصالحها ، خاصة وان وزير خارجيتها يطير الى واشنطن مسترشدا ومشاركا ، بعد ان قام الحكم الخفي في لبنان باداء الدور الاول من المؤامرة ، نيابة عن اسرائيل واميركا ، بل انه استعمل ( الميراج ) اللبنانية لضرب مخيمات الفلسطينيين تماما كما ضرب الميراج الاسرائيلي تلك المخيمات من قبل ...! » ( الشعب ١٩٧٣/٥/٩ ) . وقالت الشعب في تعليق اخر لها : « ... ونسأل : اين هي مهابة اي حاكم عربي في هذه الدنيا واهله في الاسر والهوان ، بل اين هي كرامة الدولة ، اية دولة ، وارضها تحت الاحتلال الاسرائيلي السافر، او الاحتلال الامبريالي الاستعماري المخفي ؟!. اوليس من حقنا ان نقول عن بعض العرب المستعربين: ليست هذه الملايين امة العرب ...» ( الشعب ١٩٧٣/٥/١٠ ) . وكانت نفس هذه الصحيفة قد تصدت منذ بداية الاشتباكات الى طرح تساؤل صريح عمن هو الذي يحتل لبنان فعلا واجابت : « ... لبنان يفهم ، والعرب يعلمون من هو الذي خرج من الباب الفرنسي الانتدابي ليعود من نافذة الامبريالية الجديدة في شخص اميركا ، عدوة لبنان وفلسطين . بل عدوة كل عربي في مشارق الارض ومغاربها . ... ونحن نحرص على لبنان العربي اكثر من حرص بعض اللبنانيين الاميركان على وطنهم لبنان، كنا نود لو ان الدبابات ، والمدفعية ، والحذر ، كانت جميعها يوم ان استباحت اسرائيل بيوت بيروت وشوارعها تسرح وتمرح ، وتقتل وتدمر ... » واضافت الصحيفة تدحض الزعم القائل بان الوجود الفلسطيني في لبنان يهدد سيادة دولته فقالت ان الفلسطينيين لا « يريدون حكما في لبنان، ولا انتقاصا من سلطة لبنان ، او غير لبنان ، انهم يريدون وطنا سليبا نذروا انفسهم ان يعودوا اليه ، وكل ارض العروبة هي دربهم وطريقهم ... ان لبنان لاهله الوطنيين والفلسطينيين والعرب اجمعين ، لانهم غدا انهم اهله فهو خير وابقى من الاخرين » ( الشعب ١٩٧٣/٥/٤ ) .

وبقي ان نذكر ان الصحف العربية في الضفة الغربية قد عالجت في تعليقاتها المختلفة طوال ايام الاحداث الدامية الاخيرة في لبنان وخلال الايام التي تلتها ، موضوع العلاقات الفلسطينية — اللبنانية في ضوء المعطيات الجديدة على الساحة اللبنانية، في اطار من الالتزام الواضح — رغم الممنوعات والقيود الاسرائيلية — بالهموم الوطنيةالفلسطينية. واذا كان قانون المطبوعات والنشر الاسرائيلي لا يتيح لهذه الصحف التحدث بكل صراحة عن حقيقة تعاطفها وتعاطف الجماهير الفلسطينية في الضفة الغربية مع حركة المقاومة الفلسطينية ، فانها تحدثت بكل وضوح وصراحة عن الوجود الفلسطيني خارج الوطن المحتل في لبنان وفي غير

لبنان مبينة المكائد والمؤامرات التي يتعرض لها . وقد وجدت هذه الصحف مبررا قويا وحقيقيا لها في التحدث عن الوجود الفلسطيني خارج الوطن بتفصيل ووضوح دون ان يكون حديثها عن حركة المقاومة وما تعلقه جماهيرنا عليها من امال ، بنفس الدرجة من الوضوح والصراحة . فقد قالت صحيفة القدس في افتتاحية لها عقب وقف مسلسل الاشتباكات في لبنان : « واذا كنا نتحدث عن الوجود الفلسطيني ككل ، ولا نخص به المنظمات، فذلك لان سلامة الاهل سلامة للبعض الذي يستمد مقومات حياته وبقائه من ذلك الاصل...». واشادت الصحيفة في تعليقها هذا باهمية الاتفاق الذي توصلت له حركة المقاومة مع السلطة اللبنانية كونه يحافظ على اهمية الوجود الفلسطيني الفاعل والمؤثر في مسرح الاحداث ، قائلة : « ان الوجود الفلسطيني على الارض اللبنانية يختلف عن مثله في أية بقعة عربية اخرى، وعلى الرغم من ان اطارات هذا الوجود ، من حيث الزمن المستغرق ، وتغيير المكان والبيئة ، عوامل كانت كافية لصهره ، او تفاعله وذوبانه في المجتمع اللبناني ، الا انه ظل بكل مفاعلاته ومقوماته ذا وجه فلسطيني بقيمه وولائه وتطلعاته .. ومن اجل ان يستمر هذا الوجود ، بكل قيمه ومقوماته ، كان لا بد من التوصل الى اتفاق » ( القدس ١٨/٥/١٩٧٣ ) .

# شهريات

## (١) المقاومة الفلسطينية

لخص الاخ ابو عمار الموقف من احداث ايار كما يلي: « من جانبنا، فقد استطعنا بمزيد من الضبط والربط والسيطرة الثورية بين كوادرنا وبين جماهير شعبنا ان نوقف تطور الاحداث الى الحد الذي وصلت اليه رغم عنف الهجوم علينا وقساوته، بحيث استعملت ضدنا الطائرات والدبابات والمدفعية والرشاشات. استطيع ان اقول اننا والمخلصين والشرفاء اللبنانيين قد استطعنا ايقاف الازمة عند هذا الحد، وللحق فان ايقاف هذه الازمة عند هذا الحد ليس نهاية كل شيء، ولكننا نحتاج لفتح حوار مستمر بيننا وبين الاخوة اللبنانيين لتفادي كل ما يمكن ان يحدث بيننا وبينهم » . ( حديث الى التلفزيون الفرنسي، نشرته « فلسطين الثورة » ٢١/٥ ) . وفي هذا التوجه نحو الحوار الذي أشار اليه الاخ ابو عمار معطيات لا بد من تسجيلها : ١ — ان حوار المقاومة الفلسطينية مع السلطة اللبنانية (بالاضافة الى اطراف اخرى داخل لبنان لا تشارك في السلطة عمليا ولكنها تهيىء الاجواء لاتخاذ اي قرار يتعلق بالمقاومة الفلسطينية ) تقبله المقاومة الفلسطينية وتدعو اليه وخلفها « رصيد ايار » الذي تتمثل اكثر حقائقه صلابة في ان المقاومة استطاعت ان تدافع عن نفسها وتتصدى للهجمة بشجاعة تمكنت من « ايقاف الازمة عند هذا الحد » الذي لم يستطع عنف الهجوم وقساوته من تصعيدها الى مرحلة التصفية . وحقيقة اخرى كشفها « رصيد ايار » صلبة بصلابة الحقيقة الاولى ان المقاومة لم تكن وحدها المعنية بالدفاع عن وجودها والنضال من اجل استمرار هذا الوجود وبالتالي بالتصدي بشجاعة ايضا لابطال كل هجمة تتعرض لها المقاومة . فالدور المشرف الذي قامت به القوى الوطنية في لبنان بالدفاع عن حق المقاومة في الوجود اكسب المقاومة مواقع اكثر منعة وأشد ترسخا . وهاتان الحقيقتان اللتان هما في الواقع وجهان لحقيقة واحدة : احباط الهجمة وابطال مراميها الهادفة الى وضع المقاومة في « موقع المنهزم » تشكلان ضمانة اكيدة في اي حوار وعلى أي مستوى . ٢ — مع هذه الضمانة المشار اليها في البند السابق هناك اتجاه مترسخ في المقاومة نحو عدم تقديم اي تنازل عن اي حق مكتسب في الساحة اللبنانية . وقد تجلى هذا الاتجاه علنا في الندوات الجماهيرية التي عقدها بعض قادة المقاومة في عدد من المخيمات الفلسطينية يوم ٢٠/٥ . فقد اكد الاخ ابو اياد في مخيم شاتيلا « ان الثورة الفلسطينية والشعب الفلسطيني يرفضان ان تعود المخيمات الى سابق عهدها، وان يعود الشعب الفلسطيني في هذه المخيمات للوقوع تحت رحمة رجال المخابرات او غيرها... واكد أن تجربة الثورة في الاردن علمتها كيف تتلافى أخطاءها وهي لذلك ترفض التنازل عن حقها في حمل السلاح . اذ ان موضوع تنظيم السلاح ومن ثم تخزينه ومن ثم الانتقال الى الاحراج الخ، كلها لا تزال احداثا طرية في الذاكرة » ( « فلسطين الثورة » ٢٢/٥ ) . كما اكد الاخ ابو ماهر في مخيم برج البراجنة « انه لا يمكن ولا بأي حال من الاحوال ان يتم سحب قطعة سلاح من مخيم، واقول لكم كما قلنا للسلطة لن نتنازل عن اي مكتسب من مكتسباتنا في تسليح الجماهير وتدريبها وحقها في حمل السلاح والدفاع عن نفسها » ( « فلسطين الثورة » ٢٣/٥ ) . وكذلك قال الاخ ياسر عبد ربه في مخيم تل الزعتر « نحن كنا ندافع عن مواقعنا، عن مخيماتنا، عن اهلنا، وهذه هي حقوقنا ولن نتنازل عنها شعرة واحدة ... كل ما جرى خلال الايام الماضية كان على اساس الالتزام بحقوق شعبنا في العمل، في التواجد الفدائي والمسلح وعلى اساس انه لن يتم اي تنازل او تراجع عن هذه الحقوق وهذا ما تم فعلا » ( « فلسطين الثورة » ٢٤/٥ ) . ٣ — ان

فهم النظرة الفلسطينية الى الواقع اللبناني يقود الى فهم ضرورات الحوار ، وهذه النظرة حددها الاخ ابو اياد بدقة بقوله « ان الثورة لا تريد ان تصل الى السلطة في لبنان وانها لا تريد ولا تطلب ان تصل الى الحكم في لبنان وليس لها اية اهداف بالتدخل في شؤون لبنان... ان الشعب الفلسطيني يريد سلطة له على ارض فلسطين الحرة وليس على ارض لبنان » ( « الاخبار » اللبنانية ٥/٢٦ ). ومن الواضح ان ثمة اجماعا في صفوف حركة المقاومة على هذه النظرة ففي مقارنة اجراها الاخ نايف حواتمة ( « الصياد » ٦/٧ ) بين اوضاع الاردن والاوضاع في لبنان قال « في لبنان ان كل ما تناضل من اجله المقاومة هو حق شعبنا في الصراع ضد العدو الصهيوني وحماية حقوقه الوطنية في التدريب والتنظيم والتي تمكنه من القيام بهذه المهمة المقدسة . اما في الاردن فالوضع مختلف جذريا [ يحدد حواتمة مظاهر هذا الاختلاف ثم يقول : ] من هنا يصبح مشروعا للشعبين الفلسطيني والاردني النضال من اجل اقامة حكم وطني ديموقراطي يشكل قاعدة وضمانة للثورة ... ان مهام المقاومة في لبنان تختلف نوعيا عنها في الاردن » .

في ضوء هذه المعطيات اجرت المقاومة الفلسطينية بعد توقف القتال اشكالا من الحوار في الساحة اللبنانية نستعرض هنا مثالين منها واحدا على صعيد رسمي والاخر على صعيد حزبي .

ان حوار المقاومة الفلسطينية مع السلطة اللبنانية كان يحكمه اتفاق القاهرة وقد أوضح الاخ ابو عمار انه لم يتم اي اتفاق جديد بين السلطة والمقاومة ورفض ان يسمي المحادثات التي دارت بين السلطة والمقاومة بين ١٥ — ١٧ ايار اتفاقا : « ان هذه ليست باتفاقية ، انها ليست اكثر من حوار بين الفلسطينيين واللبنانيين . كل ما حدث هو اننا دفعنا بهذا الحوار انطلاقا من اتفاقية القاهرة » ( « فلسطين الثورة » ٥/٢١ ) كما اكد الاخ نايف حواتمه ان « ما يختص بالنقطة المتعلقة بالاتفاقات فان الكتاب الذي يجمعنا هو اتفاق القاهرة وبروتوكولاته . وما تم من تفاهم من اجل وقف الحملة الاخيرة يستند بمجموعه الى هذا الاتفاق . فنحن لا نطمح الى اتفاقات مضافة الى اتفاق القاهرة . وتطبيق اتفاق القاهرة بأمانة واخلاص كفيل بحل جميع الاشكالات التي يمكن ان تنشأ بيننا » ( « الصياد » ٦/٧ ) .

وقد سعى الاعلام الفلسطيني بعد توقف القتال الى تعميق الدعوة الى الحوار بين المقاومة الفلسطينية والسلطة اللبنانية فكتبت « فلسطين الثورة » ( ٥/٣٠ ) ما يلي : « نحن نؤمن بالحوار لان ما بين السلطة اللبنانية والمقاومة لا يمكن حله بغير الحوار . فقد اثبتت التجربة ، والمعرفة والحكمة قبل ذلك ، ان القوة هي الحل المستحيل للعلاقات اللبنانية الفلسطينية . وكما ان التعايش والفهم والتفاعل هو جوهر الوجود اللبناني ، فهو ايضا، في الوقت نفسه ، جوهر العلاقات اللبنانية الفلسطينية » .

وقد اتخذ هذا الحوار شكلين : الأول في اطار لجنة التنسيق الفلسطينية اللبنانية التي عقدت بعض اجتماعاتها برئاسة الدكتور امين الحافظ ، رئيس الحكومة السابق ، وقد صدر اثر اول اجتماع لها يوم ٥/٢٦ بيان جاء فيه « ترأس رئيس الحكومة الدكتور امين الحافظ اجتماعا حضره رئيس مركز الارتباط ، ممثل قيادة الجيش وممثلون عن منظمة التحرير الفلسطينية ، عرضت فيه المراحل التي تم تنفيذها منذ التفاهم الذي تم بين السلطة اللبنانية والفلسطينيين واتفق على ان يستتبع هذا الاجتماع التمهيدي اجتماعات دورية لاحقة يعقدها الجانبان اللبناني والفلسطيني لمعالجة القضايا المشتركة وايجاد الحلول المناسبة لها » ( « المحرر » ٥/٢٧ ) . كما واصلت اجتماعاتها يوم ٥/٢٩ دون اصدار اي بيان ( « الحياة » ٥/٣٠ ) . كذلك عقدت اجتماعا برئاسة الدكتور الحافظ يوم ٦/٤ وقالت «الانوار» ( ٦/٥) انه تم في هذا الاجتماع الاتفاق « على ازالة جميع المظاهر الناتجة عن الحوادث الاخيرة تدريجيا على ان يبدأ ذلك بازالة الارتباط المشترك من الشوارع فورا [ كانت خيام الارتباط المشترك مقامة في مستديرات المطار والكولا وبئر حسن منذ ١٠ ايار الماضي وتحتلها عناصر من الجيش والمقاومة ] ثم ازالة الحواجز » وقد صرح الاخ ياسر عبد ربه عضو الجانب الفلسطيني للصحافيين اثر انتهاء الاجتماع بأن هذا الاجتماع « تم بشأن بعض القضايا والمشاكل العالقة وقد تم التوصل لحل معظم هذه القضايا . كما اتفق على ازالة بقايا مظاهر الاحداث الاخيرة مثل خيام الارتباط المشترك للمزيد من اشاعة الاطمئنان الكامل والنهائي في البلد . اما على صعيد قضايا المقاومة فقد اتفق على الافراج عن بقية المعتقلين وعددهم

حوالي ٤٢ معتقلا خلال الساعات المقبلة وقد وعدنا بتخفيف الحواجز تدريجيا خلال ايام والانتهاء من كافة المظاهر القائمة الان » ( « الحياة » ٦/٥ ) . وفي الاجتماع الذي جرى يوم ٦/١٢ ذكرت « النهار » ( ٦/١٣ ) انه عرضت الاوضاع في البلاد خصوصا الاعمال الفردية التي يقوم بها بعض العناصر غير المنضبطة وان الجانب الفلسطيني اعلن ان المخالفات التي صدرت عن بعض العناصر الفدائية اتخذت في حق مرتكبيها اجراءات صارمة لمنع تكرارها وان الجانب الفلسطيني شكا من تصرفات بعض رجال الامن فرد الجانب اللبناني بأن الحوادث الفردية التي وقعت جرى تطويقها فورا واعطيت الى عناصر قوى الامن تعليمات بوجوب معاملة الجميع معاملة لائقة وكريمة .

هذا الشكل من الحوار مع السلطة رافقه شكل آخر تمثل في لقاء القمة الذي عقد بين الاخ ابو عمار والرئيس فرنجيه يوم ٦/١ والذي جرى التمهيد له من جانب الشيخ صباح الاحمد الصباح وزير خارجية الكويت الذي وصل الى لبنان يوم ٥/٢٨ حاملا رسالتين الى الاخ ابو عمّار والرئيس فرنجية من الشيخ صباح السالم الصباح ، امير دولة الكويت ( « المحرر » ٥/٢٩ ) .

وقد أوردت « النهار » ( ٦/٣ ) معلومات عن لقاء القمة هذا فقالت ان الرئيس فرنجية وعد الاخ ابو عمار بأن المعتقلين من الفلسطينيين سيتم الافراج عنهم ونقلت عن « مصادر عربية مطلعة » تفاصيل اللقاء فذكرت ان النصف الاول منه خصص لمناقشة « المخالفات والتجاوزات التي ارتكبتها عناصر فدائية » وقد أوضح الاخ ابو عمار بعض هذه المخالفات والتجاوزات ورد على البعض الاخر ثم أثار قضية المعتقلين الفلسطينيين وقضية معاملة الفلسطينيين عند الحواجز التي تقام في مختلف المناطق وقال ان هناك شكاوى يومية ترد الى قيادة المقاومة من فلسطينيين ليسوا بالضرورة من العناصر الفدائية تعرضوا للمضايقات ولسوء المعاملة عند الحواجز . وأوضح ان هذه الامور تخلق لدى الفلسطينيين أجواء انفعالية مشحونة وقد تدفع البعض منهم الى القيام بأعمال فردية وغير مسؤولة تسيء الى العلاقات اللبنانية — الفلسطينية . ووعد الرئيس فرنجية بمعالجة القضيتين . وذكرت « النهار » ان قيادة المقاومة حرصت على ابلاغ بعض الجهات العربية ان اجتماع الرئيس فرنجية وابو عمار كان ايجابيا وخطوة اساسية في طريق ازالة كل رواسب الازمة الاخيرة .

لقد كان موضوع الاعتقالات واساءة معاملة الفلسطينيين احدى العقبات الكبيرة التي تقف في وجه اعادة الاوضاع الى طبيعتها في لبنان . ونستعرض هنا امثلة حدثت بعد أن ألغى مجلس الوزراء حالة الطوارىء يوم ٥/٢٣ ليلا . أوردت « المحرر » ( ٥/٢٥ ) قائمة بأسماء عدد من المعتقلين اللبنانيين والفلسطينيين في مناطق عدة من لبنان . وأوردت يوم ٥/٢٦ انباء عن لقاء تم في اليوم السابق بين الاخ ابو عمار والسفراء العرب في لبنان تصادف فيه قدوم عشرة مواطنين فلسطينيين وسوريين كانوا معتقلين لدى السلطة وعرضوا فيه على السفراء العرب حقيقة المعاملة السيئة التي تعرضوا لها اثناء اعتقالهم . وصرح مصدر مسؤول في منظمة حزب البعث العربي الاشتراكي في لبنان ( ٥/٢٦ ) بأن السلطة اللبنانية تقوم بمداهمة منازل بعض الاشخاص من القوى الوطنية والاحزاب التقدمية . كما أوردت « النداء » ( ٥/٢٧ ) نقلا عن « وفا » قائمة بأسماء عدد من الفلسطينيين عذبوا على ايدي رجال السلطة في السجون . وذكرت الصحيفة نفسها ان الجانب الفلسطيني في اجتماع لجنة التنسيق الذي عقد يوم ٥/٢٦ اثار قضية المعتقلين من الفلسطينيين والحملة التي تستهدف اعتقال اللبنانيين من انصار الثورة كما اثار الشكاوى المتعلقة بالمعاملة السيئة على حواجز الجيش واعمال الاهانات والاعتقالات الدائرة . وذكرت « وفا » ( ٥/٢٨ ) ان حواجز الامن اعتقلت في اليوم ذاته ثلاثة مناضلين فلسطينيين في منطقة البقاع . وقد أوردت «المحرر» ( ٦/١ ) قائمة بأسماء عدد من المعتقلين الذين عذبوا ردا على تصريح كان قد ادلى به وزير الداخلية اللبناني ، بشير الاعور ، يوم ٥/٢٩ نفى فيه ان تكون السلطة قد لجأت الى « توقيفات تعسفية » ( « النهار » ٥/٣٠ ) . كما نقلت « النداء » ( ٦/١ ) عن « وفا » عدة حوادث اعتقالات حدثت في اليومين السابقين . كما أوردت « الهدف » (٦/٢ ) قائمة مطولة بمثل هذه الحوادث . وعلى الرغم من انه تم الاتفاق في اجتماع لجنة التنسيق (٦/٤ ) على اطلاق جميع المعتقلين من عناصر المقاومة الا ان سلطات الامن قامت يوم ٦/٥ باعتقال اثنين من مسؤولي المقاومة

( ابو صلاح — من مسؤولي فتح ، وابو عباس — من مسؤولي الصاعقة ) . وقد ذكرت « النهار » ( ٦/٧ ) ان الرئيس فرنجيه اصدر تعليماته يوم ٦/٦ « باطلاق كل موقوف فلسطيني غير ملاحق باحدى الجرائم العادية » . ومع هذا ففي اليوم نفسه قام رجال الامن باعتقال ثلاثة اشخاص ينتمون الى احدى فصائل المقاومة كما قاموا باعتقال السيد علي نادي عضو قيادة منظمة حزب البعث العربي في لبنان وثلاثة من رفاقه . كما أوردت « النداء » ( ٦/٧ ) اسماء عدد من الفلسطينيين تم اعتقالهم وآخرين تعرضوا للاهانة عند حواجز الجيش في اليوم نفسه كذلك . وقد أوردت « وفا » ( ٦/٧ ) ان حاجزا للجيش في المديرج اعترض الاخ خالد الفاهوم ، رئيس المجلس الوطني الفلسطيني ، في اثناء مغادرته بيروت متوجها الى دمشق حيث قام الحاجز بتفتيش سيارته بشكل استفزازي ، كما أوردت ان الاخ زهير محسن ، رئيس الدائرة العسكرية في منظمة التحرير الفلسطينية اوقف عند حاجز المديرج واحتجز مع مرافقه مدة ثلاث ساعات كاملة واحتجزت الاسلحة الفردية العائدة له ولمن معه . وقد سمح للسيارة ومن فيها بعد ذلك بالعودة الى بيروت بعد توقيع سندات اقامة وطلب اليهم مراجعة المحكمة العسكرية بحجة ان المراجع المختصة تقضي بذلك .

على الرغم من جميع هذه الاستفزازات كانت قيادة المقاومة حريصة على معالجة الامور بأكبر كمية من ضبط الاعصاب ، خاصة وانها كانت تجري شكلا آخر من الحوار تمثل في اللقاءات التي تمت بينها وبين حزب الكتائب اللبنانية . وقد بدأت سلسلة اللقاءات هذه مساء ٥/٣١ في منزل نائب رئيس حزب الكتائب السيد جوزيف شادر وقد ضم وفد المقاومة الاخوة ابو اياد وياسر عبد ربه وصلاح صلاح وتوفيق الصفدي ، بينما كان وفد الكتائب مؤلفا من السادة جوزيف شادر وجورج سعادة وامين الجميل وكريم بقرادوني . وقد وصفت صحيفة « العمل » الكتائبية ( ٦/١ ) هذا الاجتماع بأنه « حوار ايجابي بين الكتائب والمقاومة » . كما عقد اجتماع آخر يوم ٦/٣ في منزل النائب امين الجميل . وقد ذكرت « النهار » ( ٦/٤ ) ان المجتمعين تباحثوا في صدى الاجتماع الاول واثره ونتائجه وفي مقابلة السيد ياسر عرفات للرئيس سليمان فرنجية واتفقوا على تشكيل لجنة مصغرة من الفريقين لوضع وثيقة عمل مشتركة . وقد اذاع الاخ ابو اياد اثر الاجتماع بيانا ذكر فيه ان الاجتماع توصل الى الاتي :
١ — درس الوسائل الكفيلة بتعميق الثقة بين الشعبين اللبناني والفلسطيني . ٢ — اقرار تشكيل لجان العمل المشتركة الآتية : أ — لجنة لحل بعض المشكلات الاتية . ب — لجنة طالبية . ج — لجنة اعلامية . د — لجنة لصياغة وثيقة عمل مشتركة على ضوء الحوار الذي جرى خلال الاجتماعين المتتاليين . ٣ — تقرر عقد اجتماع يوم الخميس المقبل لاقرار صيغة التعاون الدائم ووضع برنامج عمل يكفل استمرارية هذا التعاون.
وقد تم اجتماع لجنة الاعلام يوم ٦/٥ . وقد تمثل الجانب الفلسطيني بممثلين عن مؤسسات الثورة الثقافية والاعلامية : مجلس الاعلام الموحد ، مركز الابحاث ، مركز التخطيط ، مجلة فلسطين الثورة. وقد ذكرت « العمل » ( ٦/٦ ) ان كلا الجانبين ابديا استعدادا مخلصا للتعاون وقد يتخذ هذا التعاون في المستقبل القريب تبادلا في نشر بعض المقالات بين محرري « العمل » ومحرري « فلسطين الثورة » . وكان الاجتماع الثالث في سلسلة اللقاءات يوم ٦/٧ وبعد انتهاء الاجتماع صدر بيان جاء فيه ان المجتمعين توصلوا الى النتائج التالية:
١ — اقرار مشروع وثيقة عمل مشتركة . ٢ — تشكيل لجنة متابعة دائمة لملاحقة كل القضايا الطارئة والمتفق عليها .

ما هو تفسير قيادة المقاومة لهذه اللقاءات ؟ يرد الاخ ابو اياد ( في تصريح له لمجلة « البلاغ » ٦/١١ ) على ذلك بقوله « ان اجتماع المقاومة مع الكتائب خطوة كان يجب ان تتم فعلا منذ مدة طويلة ، فهناك خطأ تقع فيه احيانا الحركات الثورية ، عندما تحاور اصدقاءها فقط . فهي كأنها تحاور نفسها . بينما هناك مجموعات واحزاب قد يكون لها موقف معاد للثورة من خلال الرؤية البعيدة ، ولكن يتضح من خلال اللقاءات معها ان تلك النظرة خاطئة ... ان حوارنا واتصالاتنا الدائمة سوف تؤكد لكامل الفئات ان الثورة الفلسطينية تطمح لكسب تأييد كل لبناني ، وبشكل خاص الفئات اللبنانية الحزبية بغض النظر عن تفكير وايديولوجية كل فئة » .

ع٠ ص٠

## (٢) القضية الفلســطينية عربيا

توقف اطلاق النار بين السلطة والمقاومة ، منذ حوالي شهر ، ولكن الازمة تبدو قائمة . وعلى الرغم من أن المواطنين العاديين ، من غير الفلسطينيين خاصة ، عادوا الى حياتهم اليومية، فان عودتهم لا تدل على أن الامور عادت الى مجاريها . واذا كان هنالك من يحاول ان يوحي بأن ما حدث لا يمكن ان يتكرر ، كما فعل الشيخ امين الجميل ( صدى لبنان ٦/٥ ) ، فان هنالك من يؤكد أن الازمة لم تنته .

لقد عالجت الاخبار ، مجلة الحزب الشيوعي اللبناني هذه القضية ( ٦/٩ ) فاكدت « ... ان اسباب اندلاع الازمة ما زالت قائمة ، او على الاقل ، الاسباب الرئيسية . وما زالت قائمة كذلك المظاهر الاساسية لعواقب الازمة»، وأشارت الاخبار الى أن الحواجز ترفع من مكان لتقام في مكان اخر . والى أن هنالك « تعزيزات وحفريات في أماكن عديدة ، خاصة حول المخيمات » . كما أشارت الاخبار الى « الشائعات ، التي تقوم اوساط السلطة وصنائعها بنشرها في مختلف مناطق لبنان ، وفي بيروت ، عن انذارات محددة جديدة توجه الى المقاومة ، لتنفيذ كذا وكذا من « الشروط المتفق عليها » — وهي شروط لم يجر البحث فيها بالاساس — » وقالت أن هذه الشائعات « لا تساهم الا في شحن النفوس باسوأ انواع المشاعر في هذا الظرف المتوتر » . وختمت الاخبار مقالها قائلة : « الازمة اذن لم تنته ، بل اننا نشهد الان مرحلة جديدة منها . ومرحلة خطيرة . وستحاول قوى عديدة ، داخلية وخارجية ان تعطيها طابعا طائفيا ، ولا يستبعد ان تحاول هذه القوى نفسها دفع الامور الى الشكل من الصراع تتعدى الصراع السياسي التقليدي » .
وما تطرحه الاخبار ، ليس بعيدا عن الصورة الحقيقية . ان اطلاق النار توقف ، ولكن الازمة لم تنته ، والسبب ان الازمة كانت قائمة قبل اطلاق النار ، ولم تنشأ يوم تكلمت البنادق والمدافع والطائرات . وحين تم وقف اطلاق النار لم يتغير شيء . لقد ظلت المقاومة مقاومة والسلطة سلطة . وما جرى التفاهم حوله لا ينهي المشكلة القائمة . اما الجديد في الامر فهو الجرح العميق الذي خلفته الاحداث والشك الذي راكمته بين الطرفين . ومن هنا فان ما نقل عن الشيخ امين الجميل من أن ما حدث لن يتكرر لا ينسجم مع حقيقة الامور ، ولا يتفق مع « توجسات » حزب الكتائب نفسه .

كيف يمكن الا يتكرر ما حدث ؟ يمكن عندما تتحول الدولة اللبنانية والجيش اللبناني والجماهير اللبنانية الى قوى مقاتلة ضد العدو غير هيابة . وما دام هذا لم يحدث ، وما دام الضغط العسكري « الاسرائيلي » والضغط السياسي الاميركي قائمين ، وما دامت السلطة في لبنان مقتنعة بحوار السلاح ، فان ما حدث سوف يتكرر .

وهنالك ما يؤكد ان الازمة لم تنته . ولن نتحدث هنا عن الحواجز والاعتقالات ، ولا عن الاستعدادات التي تجريها السلطة . بل سنتحدث عن بعض قضايا اخرى . وهذه القضايا هي :

١ — التركيز المستمر على أن وجود الثورة الفلسطينية على الاراضي اللبنانية يمس سيادة لبنان . وان وجود عناصر مسلحة ، غير خاضعة للقوانين اللبنانية انتهاك لهذه السيادة . ولبنان حريص على سيادته . وحرصه يفرض عليه ان يخضع كل الذين على أراضيه لقوانينه . وقوانينه تمنع حمل السلاح الا بترخيص ، كما تمنع نشوء الجمعيات السرية المسلحة وغير المسلحة . وهذا يعني ان حل المنظمات المسلحة وتجريدها من اسلحتها عمل من أعمال السيادة . من يستطيع أن يقول غير ذلك ما دامت القضية تناقش من هذه الزاوية ؟ ولكن لماذا لا تناقش المسألة من زاوية ان الخطر الصهيوني هو التحدي الاكبر لسيادة الامة العربية ، ولسيادة كل قطر من اقطارها ، وان التصدي لهذا التحدي هو أنبل اعمال السيادة ؟ ان مناقشة القضية من هذه الزاوية هي التي ستضع حجر الاساس لحل التناقضات التي يمكن ان تنشأ بين الثورة والانظمة العربية ، ومنها السلطة في لبنان . ولكن منطق السلطة لا يقبل هذا المنطلق ، ان سيادة لبنان هي سيادته على اراضيه ، ضمن حدوده الجغرافية . أما التحدي على الحدود فلا يبدو محسوبا من الاخطار الكبيرة التي تهدد السيادة . واذا اعتبر فقولا لا فعلا . ولذلك فان مضمون السيادة الان

يعني ضرب المقاومة لا ضرب العدو . ومحاولة اثناء التحدي الخارجي بقمع التحدي الداخلي له.

٢ ـ التركيز المستمر ، ومن منطلق السيادة عينه، على أن لبنان لا يقبل ان يتحمل مسؤولية اعمال لا يشارك في التخطيط لها . ومن هنا بدأ الحديث عن « سيادة لبنان وشرعية المقاومة » . وخرج علينا من يقول : « ان اعتراف اللبنانيين بشرعية المقاومة او الثورة ، وبمبدأها في الاساس ، لا يعني على الاطلاق أن يتحمل لبنان مسؤولية اعمال وتصرفات لم يخطط لها، ولم يكن له رأي في اعدادها» (لسان الحال ٦/٨ ) ومن هنا لا بد من اعادة النظر في استراتيجية الثورة ، ولا بد من استراتيجية عربية موحدة ، كما اقترح الرئيس شارل حلو ( النهار ٥/٢٨ ) . وحاولت العمل ان تحدد ملامح هذه الاستراتيجية على أنها تستوجب « ... التضامن في التخطيط ... وتستوجب كذلك تقاسما للاعباء والادوار بين الشعبين . بل بين الشعوب العربية قاطبة ، لان قضية فلسطين هي أكبر من الشعبين ( اللبناني والفلسطيني ) .. بل ربما بدت أحيانا اكبر من الشعوب العربية كلها » (٦/٨) .

ونحن نوافق على ذلك كله شريطة ان ينطلق من أن القتال هو الحل الوحيد ومن أن استمرار المقاومة هو الاساس . واذا ارادت الانظمة الا تكون اخر من يعلم في القضايا المصيرية ، فان عليها أن تعمل ما يجعلها أهلا للثقة . وهذا لا يكون بالاعتقالات وشن الحملات السياسية والعسكرية ومحاربة المقاتلين ومهادنة العدو . ان الثورة الفلسطينية تعتبر توسيع الجبهة ضد العدو نصرا لاستراتيجيتها ، وتعبيرا عن مطامح الامة العربية . ولذلك فانها تدعو كل القوى الى خوض المعركة . ولكن بعض الانظمة العربية تعتبر دولة الاحتلال الصهيوني عدوها قولا ، وتعتبر الثورة الفلسطينية عدوها فعلا . ان حكومة الاردن التي لم تقرر خوض معركة واحدة ضد العدو الصهيوني ، قررت ان تخوض معارك ، بعضها ضار وشرس ودموي ضد الثورة الفلسطينية . ولذلك كله سوف يبقى لبنان وغير لبنان يتحمل ما لا يخطط له ، حتى يشارك لبنان وغير لبنان في القتال ، ويشارك في التخطيط له . ولم يحدث يوما ان خطط الذين لا يقاتلون للذين يقاتلون .

٣ ـ التركيز المستمر على أن هناك اتفاقا ، وان الثورة لا تطبقه . ومن هنا يأتي حديث الاخطاء والتجاوزات.ولقد ساهمت «العمل» في هذه الحملة مساهمة كبيرة . وتحاول هذه الحملة ان تصور كل ما تم التفاهم عليه ليس الا حبرا على ورق ، لان الاجراءات التي « اتفق عليها مع ممثلي المقاومة ، ضرورية للامن والسلامة العامة ... وضرورية أيضا لكي تبقى السيادة مصونة ... » ( العمل ٥/٣٠ ) .

وبما أن ما تم الاتفاق عليه لم ينفذ فقد استمرت المخالفات والتجاوزات : « فحظر التجول باللباس المرقط والسلاح جوبه أمس بالذات بتظاهرة مسلحة ، وتوريد السلاح لم ينقطع ، بعضه يقع صدفة في أيدي رجال الامن ، وبعضه الاخر يستقر في اماكن ، من المتفق عليه الا تكون مسلحة .

وكذلك اختطاف الجنود والافراج عنهم دون الافراج عن حق السلطة اللبنانية في معاقبة الفاعلين ... » ( العمل ٥/٣٠ ) . وبادرت ( لسان الحال ) ( ٦/٢ ) الى مصارحة الاخوان الفلسطينيين «... ان لبنان متضايق من التجاوزات والمخالفات التي حصلت بعد وقف اطلاق النار » .

ولم تبق الحملة عند هذه الحدود . ذلك ان الذين بدأوا بها تجاوزوا حد الحديث عن الاخطاء والتجاوزات الى الحديث عن عجز الطرف الفلسطيني على ضبط جميع اطرافه وعناصره . ووصل الامر ان كتبت ( لسان الحال ٦/٢ ) : « فاذا كانت القيادات الفلسطينية غير قادرة على ضبط الامور بحيث يمتنع كل تجاوز ، فان من واجبها أن تصارح المسؤولين اللبنانيين وتطلب المساعدة في ذلك » . وهذا يعني ان على قيادة المقاومة ، او قسم منها أن يستعين بالجيش ضد عناصر في المقاومة . أو أن تستفيد السلطة من التعبئة ضد الاخطاء والتجاوزات فتوجه ضربة حديدة الى الجميع وفي الحالتين تكون السلطة تتجه نحو المعركة .

ان هذا كله لا يدل على أن الازمة انتهت . ذلك أن انتهاءها يتطلب ١ ـ ان تقتنع السلطة في لبنان وكل ما شايعها او والاها ان وجود المقاومة وتنظيماتها السرية والعلنية واخطاءها وتجاوزاتها ليس متناقضا مع السيادة اللبنانية ٢ ـ ان يقتنع كل لبنان بأن القتال ضد العدو الصهيوني هو قتال من أجل سيادة لبنان الحقيقية ، وسيادة العرب أجمعين ، وان هذه القوى التي تقاتل هي للبنان كله لاستقلاله وكرامته وحريته ، وليست

لطرف فيه ضد طرف اخر ، وان القوى السياسية اللبنانية كلها مطالبة بأن تتصرف على هذا الاساس، اذا أرادت ان تكون المقاومة للكل . أما الذيـن يناصبون المقاومة العداء ، ويرون سيادة لبنان في الوقوف متفرجا على الصراع مع الاحتلال ، فانهم لا يريدون أن تكون المقاومة للبنان كله . ونحـن نرحب ان يكون « لبنان كله مع المقاومة ، مع مبدأ المقاومة ، مع فلسطين الحبيبة ، التي ضيعتهـا الاهواء والاخطاء الفادحة، مع الشعب الفلسطيني المظلوم والمضطهد والمعتدى عليه » ( لسان الحال ٦/٢ ) . واذا كان لبنان يرفض « ان يجر جرا وراء مخططات غامضة ، مرتجلة ، لا يشترك هو في وضعها ، ووراء اعمال وتصرفات في الداخـل والخارج ، لا تفيد فلسطين ولا قضيتها ولا شعبها وتلحق بالعرب جميعا خسائر فادحة » فانه يسرنا أيضا الا « يكتفي لبنان بهذا الرفض » وان يناضل معنا « الى اكتشاف سبيل شريف يسير فيه العرب نحو النصر » ( لسان الحال ٦/٢ ) . ولكننا سنظل نقاتل ، معتبرين القتال افضل الوسائل لاكتشاف السبيل الشريف وسبيل النصر .

— ٢ —

حين أخذت أصوات القنابل والرصاص تتضاءل في بيروت ، كانت معركة اخرى تدور حول القضيـة ذاتها في اروقة الامم المتحدة . لقد انتهت هـذه المعركة لتبدأ تلك هناك . فهل هناك علاقة بين انتهاء هذه وابتداء تلك ؟ نعم هنالك علاقة .ولو استطاعت السلطات فيلبنان ان تحصلعلى تنازلات جديدة في أيار ، كتلك التي حصلت بعد أزمة أيلول سنة ١٩٧٢ ، لاختلفت المعركة التي تدور اليوم هناك ، في أروقة الامم المتحدة .

لماذا ؟ هنالك عدد من الاسباب : اولا : لـــو استطاعت السلطة في لبنان ان تنتـزع تنازلات أساسية جديدة من الثورة ، لاعطى ذلك الولايــات المتحدة ودولة الاحتلال الصهيوني فرصـــة اكبر للمناورة، وللدفع باتجاه الحلول الجزئية والجلوس على مائدة المفاوضات . وكانت الولايات المتحـدة ودولة الاحتلال تعملان على هذا الاساس . ولكن « العتمة لم تؤات الحرامي » .

ثانيا : لو استطاعت السلطة في لبنان ان تنتزع مثل هذه التنازلات لاتيح مجـال اكبر للدول العربية المندفعة على طريق الحل الجزئي والمنفرد ، مثل الاردن .

ثالثا : ولو حصلت مثل هذه التنازلات لضعـف موقف الدول العربية الضاغطة من أجل حل سلمي عادل في الامم المتحدة ، مثل جمهورية مصر العربية. ولذلك لم يكن مخطئا ذلك السفير العربي «الرجعي» الذي قال لاحد ممثلي المقاومة ، بعد احداث ايار، لقد ارتفعت اسهمكم في ميزان السياسة الدولية . ونحن نرى أن أسهم الشعب الفلسطيني قـد ارتفعت ، ولكن بمعنى اخر . فاذا كـانت القوى المعادية على أية تسوية ، جزئية او غير جزئية ، الشعب الفلسطيني ومحافظته على قدرته القتالية واحباط مناورات تحطيم ارادته يحد من قدرة القوى المعادية على أية تسوية جزئية ، او غير جزئية ، مؤقتة او غير مؤقتة . كما أن صمـود الشعب الفلسطيني يفسح المجال واسعا امام دفع الامة العربية نحو القتال ، ويغلق أبـواب الاستسلام واحدا فواحدا .

كما أن صمود الشعب الفلسطيني ، يعرقـل أية محاولة للتسوية المنفردة ، او الجماعية ، ويبقي القضية قضية نضال وقتال ، لا قضية مفاوضات ومناقشات . واذا كان صمود الشعب الفلسطيني لا يعني التفريط بالقضية ، فانه لا يجوز أن يعني ايضا المشاركة في اقتسام « قرص الجبن » ، ولا الجلوس على مائدة الكبار لاخذ « حصة الفأر » . وهكذا بدأت مناقشات مجلس الامن ، والطـرف الفلسطيني ، ليس في حالة هزيمة او تراجع . ولقد انتهت فصول من المسرحية هناك . وعلى الرغم من أن الخاتمة ليست واضحة بعد ، فان الفصول التي مثلت كافية لاعطاء صورة عما يدور .

وواضح ان جمهورية مصر العربية ، هي التـي تقود التحرك العربي في الامم المتحدة . وواضح ايضا ان هذا التحرك ، وفي هذا العام بالذات ، تحرك ديناميكي ، وانه جاء بتجديدات في الطرح . ولقد لخص محمد حسن الزيات ما تطلبه مصر ، في مأدبة اقيمت للمندوبين العرب ، المشاركين فـي المناقشات ، بما يلي : ١ — ان مصر لا تعترف بحق الدول في الاستيلاء على الاراضي بواسطـة القوة . ٢ — ان مصر ترفض التسليم بمبدأ الامر الواقع الذي تعتمده اسرائيل كسياسة لها . وهذا يعني ان مصر لا تفرط بشبر من اراضيها . ٣ — يجب الاخذ بالاعتبار حقـوق الشعب الفلسطيني المتمثلة في حق هذا الشعب في فلسطين علـى اساس قرار التقسيم عام ١٩٤٧ . ٤ — ترى مصر ان المطلوب من الامم المتحدة ، وخصوصا

مجلس الامن هو مساعدة المعتدى عليه لا المعتدي.
٥ — مصر تطلب من مجلس الامن تقديم مبادىء لحل النزاع شرط ان يتحقق الحل خلال فترة معينة ( النهار ٦/١٣ ) وان الجديد في الطرح المصري يتلخص في امرين : اولهما : الاعتراف بالشعب الفلسطيني ، ضمن حدود آمنة ومعترف بها . وثانيهما : العودة الى قرار التقسيم سنة ١٩٤٧ ، وليس الى قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . وأهمية هذا الهجوم السياسي ، الذي يجيء ضمن خطة تحرك دولي ، ينشد السلام أساسا ، انه يظهر تصلبا امام التصلب الاسرائيلي ، وانه يطرح الاعتراف بشعب فلسطين وحقوقه والعودة الى قرار التقسيم. ويلاحظ ان قضية الاعتراف بالشعب الفلسطيني قد اتخذت مجرى محددا على صفحات الاهرام . وجاء في اقتراح انشاء دولة فلسطينية : « ان منظمة التحرير الفلسطينية ، دون غيرها ، ممن يدعي لنفسه صفة تمثيل شعب فلسطين ، هي وحدها القادرة ( الى حين توافر الظروف لاستفتاء الشعب بعيدا عن شبهة تدخل المحتل ) على ان تجعل من فكرة الدولة الفلسطينية حقيقة قائمة في التطبيق ، وان تجمع حولها كل من هو مؤهل فعلا، داخل الارض المحتلة وخارجها ، بتمثيل تطلعات شعب فلسطين ، في كيان قومي له مقوماته الثابتة. ( النهار ٦/١٢ ) .

ان هذه الدعوة « الجريئة » ظلت مدة تعيش حيرتها وترددها ، ولقد حاولت بعض الجهات العربية ان تدفع اطرافا فلسطينية الى تبني هذه الدعوة . لكن منظمة التحرير الفلسطينية رفضت هذه الدعوة في حينها .

وتحاول هذه الجهات العربية الان ان تدفع بهذا الاتجاه . وليس الهدف من ذلك ابراز شخصية الشعب الفلسطيني ، فالشعب الفلسطيني الان ، ذو شخصية بارزة ، ومحددة ، وطابعها المعروف طابع قتالي ثوري . ولكن الهدف الباس الشعب الفلسطيني سموكن المفاوضات واخراج ممثليه على المسرح ، طالبين دخول عالم الديبلوماسية الدولية . وتعتقد بعض الجهات العربية ، وجمهورية مصر العربية بالذات ، ان ظهور الفلسطيني المفاوض على المسرح ، سيهز اللعبة الدولية ، وسيحرج الطرف الامبريالي — الاسرائيلي .

ولكن النجاح في هذا المجال ، سيقود من الناحية الفلسطينية الى كارثة محققة ، لا لان الذين يقاتلون لا يذهبون الى موائد المفاوضات ، ولكن لان دخول اللعبة الدولية من هذا الباب ، سيجعل الطرف الفلسطيني جزءا من التحرك العربي الرسمي ، غير المقاتل . وبما ان معظم الانظمة العربية الان تبحث عن حل ، اي حل ، فان النتيجة ستكون دفع الطرف الفلسطيني الى القناعة بدولة على جزء من ارضه ، وانتظار الفرصة المناسبة للتحرير الكامل . ويلاقي هذا التوجه العربي الرسمي « تنظيرا دوليا » يتحدث عن « الواقعية » ، وعن التوازن الدولي ، وعدم القدرة على تجاوز معادلات الواقع الدولي. وهكذا تبدو الامور واضحة : انهم يريدون منا ان نقبل معادلات التوازن الدولي ومعادلات العجز الرسمي العربي . من هنا تأتي خطورة هذا الطرح . انها تصفية من نوع آخر . واذا كانت الحملات العسكرية تستهدف تحطيم ارادة القتال ودفع الجماهير الى الشعور بالعجز والاستسلام ، فان حملات الاغراء تستهدف لفت النظر عن الاهداف الحقيقية الى أهداف سرابية والتلويح بالجزء من اجل اضاعة الكل .

ويحيط بهذه الدعوة « المغربية » حماسة عربية رسمية للحل عن طريق الامم المتحدة . فلقد أبرق الملك الحسن ، ملك المغرب الى كورت فالدهايم الامين العام للامم المتحدة طالبا « اتخاذ اجراءات محسوسة وفعالة لاجبار اسرائيل على تنفيذ قرارات الامم المتحدة ، بشأن أزمة الشرق الاوسط » . وبعد ان اعرب عن قلقه بسبب تدهور الوضع ، اشار الى ان تطبيق « قرارات الامم المتحدة تطبيقا حازما يعني انسحاب القوات المسلحة واحترام ضمان الحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني » . واضاف الى ذلك : « ان اتخاذ اي موقف غير الحزم ، من جانب مجلس الامن سيؤدي الى تقويض الثقة بالامم المتحدة ، ويؤدي بالضرورة الى حرب جديدة في المنطقة » ( اللواء ٦/٧ ) . وكان الرئيس بو رقيبه ، في هذا الوقت يعلن استعداده للاجتماع بأبا ايبان شريطة ان يتوافر شرطان : الاول : الاعتراف بحق الفلسطينيين في ارض فلسطين . الثاني : الموافقة على قرار الامم المتحدة بشأن التقسيم .

ولقد جاء البيان الذي صدر عن لقاء الحبيب بورقيبه — فيصل منسجما مع هذا الخط ، اذ جاء في البيان : « ويوجه الرئيس بورقيبه والملك فيصل

نداء ملحا الى مجلس الامن المنعقد في نيويورك لكي يصدر قرارا حاسما يرغم اسرائيل على الامتثال لقرار الامم المتحدة ووضع حد لسياستها العدوانية » ( الحياة ٦/١٤ ) .

يرافق هذه الهجمة على الامم المتحدة ، وهذا الالحاح والضغط هجمة اخرى على الولايات المتحدة الاميركية .

ولقد عبر الرئيس السادات عن هذا الموقف في مقابلة أجرتها معه صحيفة يوغسلافية ( ٢٨/٥ الحياة ) ، قال الرئيس السادات : « ان اميركا شريكة مع اسرائيل في كل ما يقع بمنطقة الشرق الاوسط » . وقال الرئيس السادات تعليقا على زيارة حافظ اسماعيل لواشنطن : « السلبيات التي جدت في الموقف الاميركي انه بعد زيارة اسماعيل وضح لنا تماما ان ضمانات الامن مطلوبة لاسرائيل » . واضاف : « لو ان حافظ اسماعيل جلس مع غولدا مئير لكان الامر اقل سخافة مما سمعه في واشنطن » . وأنهى الرئيس السادات كلامه مؤكدا : « ان اسرائيل لا تستطيع ان تحمي مصالح اميركا ، كما تعتقد اميركا ، او كما تضع سياستها الان ، لن تكون اسرائيل هي الحامية لمصالح اميركا في المنطقة ، بل ستتعلم اميركا اعنف درس في مصالحها اذا استمرت في هذا الموقف المؤيد لاسرائيل بالكامل » . وكان الرئيس معمر القذافي قد هاجم الولايات المتحدة ايضا في خطابه يوم ٦/١٢ . قال القذافي : « ان اميركا ... واقولها بصوت عال ... تحتاج الى صفعة كبيرة ... الى صفعة قاسية على وجهها البارد الصفيق في المنطقة العربية » . واضاف القذافي : « ان السياسة الاميركية ايها الاخوة ... هي التي سوف تؤدي الى كارثة محققة للمصالح الاميركية في المنطقة العربية بالذات » . واعلن القذافي في هذا الخطاب تأميم الشركة الاميركية بنكر — هنت .

وتستهدف هذه الحملة الضغط على الولايات المتحدة واشعارها ان « تحيزها » غير المحدود لدولة الاحتلال الصهيوني سوف يدفع العرب لاتخاذ موقف مضاد لها ، ولمصالحها . ولكن الولايات المتحدة استهترت حتى الان بالدول العربية واستخفت بتهديداتها لانها تعرف مدى عجز هذه الانظمة وعدم جديتها . الا ان خطوات مثل خطوات القذافي بتأميم الشركات ستدفع العلاقات الى مزيد من التأزم ، وستدفع الولايات المتحدة خطوات على طريق الكشف عن وجهها الصفيق المعادي للامة العربية ومطامحها . ان الولايات المتحدة قد التزمت جانب دولة الاحتلال ، لان المحافظة على مصالحها الاستراتيجية يقتضي ذلك . ولذلك فمعركة العرب مع دولة الاحتلال هي معركتهم مع الولايات المتحدة الاميركية . وعلى هذا الاساس يجب ان تخاض . ولا يجوز ان نتوهم ولو للحظة ان بالامكان تحييد الولايات المتحدة او جعل موقفها من العرب اكثر اعتدالا .

لقد كانت المعركة مع السلطة في لبنان ، احدى المعارك الصغيرة ، مع الولايات المتحدة ودولة الاحتلال الصهيوني . اما المعارك الاكبر فلم نخضها بعد . انها آتية .

**ناجي علوش**

## (٣) القضية الفلسطينية دوليا

واجهت المقاومة الفلسطينية خلال شهر أيار تحديا جديدا — على أرض لبنان هذه المرة . وطغى هذا الحدث وما رافقه من مضاعفات وما يحمله من توقعات على الصعيدين العربي والدولي على أي حدث آخر. ومرت الذكرى الخامسة والعشرون لقيام الدولة الصهيونية على انقاض الوجود البشري والسياسي للشعب الفلسطيني فوق أرضه ، وهذا الشعب يواجه استمرارا للمؤامرات الدولية والمحلية التي تستهدف محوه عن الخريطة. واحتفلت اسرائيل بالكثير من الصخب بهذه المناسبة في الارض المحتلة وفي انحاء العالم ، واكتفى الشعب الفلسطيني مرة اخرى بالاحتفال وراء المتاريس وبين الانقاض ، واكتفى اصدقاؤه بمظاهرات هنا وهناك للتعبير عن تضامنهم واستمرار دعمهم في جو من التحركات الدولية الدائبة لتصفية هذه « البؤرة الخطرة » كما يسمون منطقتنا .

وبعد ست سنوات من حرب الايام الستة — كما يسميها عدونا — لا تظهر في الافق اية بوادر لتوجه واضح لاي من الاطراف على الامد القصير. فالدول العربية — ومصر بشكل رئيسي — ما زالت تطرق ابواب « الحل السلمي » سواء في مجلس الامن او من خلال التحركات الديبلوماسية وخاصة في اوروبا الغربية ، في الوقت الذي يتزايد فيه أيضا الكلام عن الدخول في حرب محدودة ضد اسرائيل . والسعودية — التي يصعد نجمها في الشرق العربي أكثر فأكثر بفعل مواردها النفطية المتزايدة ومجمل التراجعات في المنطقة — اصبحت عنصرا هاما في هذا التحرك الرسمي العربي ابرزته زيارات الملك فيصل الاوروبية والعربية وصفقات السلاح الضخمة والحديث عن ازمة الطاقة في الولايات المتحدة والتخوف من استعمال النفط الخليجي كأداة ضغط على الدول الغربية. واسرائيل بالمقابل لا تشعر بأي تهديد مباشر لهيمنتها العسكرية وقدراتها الردعية ، فتركن الى المحافظة على الوضع القائم وتعزيزه . والولايات المتحدة ما زالت على دعمها المطلق لهذا « السلام الاسرائيلي » ، رغم ان بعض الاصوات بدأت تعبر عن التخوف من عزلة متزايدة في الامم المتحدة ومن خطر توقف النفط العربي عن التدفق غربيا .

واوروبا الغربية التي أصبحت منذ مطلع هذا العام سوقا مشتركة واسعة تضم تسع دول بينها الدول الاوروبية الاغنى والاقوى ( المانيا الاتحادية ، بريطانيا ، فرنسا ، ايطاليا ) ، تحاول جاهدة ان تفرض وجودا لها في المنطقة العربية يسمح لها بالتأثير على مجرى الاحداث ، هذا بالطبع بالاضافة الى تأمين مصادر الطاقة وتعديل الميزان التجاري بتشجيع تسويق بضائعها . وقد كان التحرك الالماني ابرز التحركات خلال الاسابيع الماضية .

وتبرز هنا مرة اخرى الاهمية المتزايدة « للمسألة النفطية » في الموقف الدولي من القضايا العربية ، ومن جانب آخر ، ما زالت السياسة السوفياتية في المنطقة تتأثر بالخط المزدوج لقيادة الكرملين : متابعة الجهود من اجل تهدئة اكبر في العلاقات الدولية بما في ذلك مع الولايات المتحدة ( لقاء نيكسون — برجنيف ) ومع اوروبا الغربية ( مؤتمر الامن الاوروبي ) من جهة ، ومن جهة اخرى مواصلة الدعم لبعض الدول والقوى التي تتصدى بشكل من الاشكال للنفوذ الامريكي ( في منطقتنا لسوريا والعراق والمقاومة الفلسطينية ، مع استمرار الاهتمام بنقطة الثقة الرئيسية التي تشكلها مصر ) .

وقد برز على صعيد العالم الثالث خلال الاسابيع الفائتة ، مؤتمر القمة الافريقي الذي حاولت خلاله بعض الدول العربية دفع دول جنوب الصحراء الكبرى الى اتخاذ مواقف اكثر حدة تجاه استمرار الاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربية .

### مؤتمر القمة الافريقي

سجلت اسرائيل خلال العام الماضي سلسلة من الهزائم الديبلوماسية في افريقيا ، اذ قطعت خمس دول افريقية علاقاتها معها ، وتبعتها في ٥/١٦ دولة سادسة ( او سابعة اذا اخذنا بعين الاعتبار غينيا التي قطعت علاقاتها ابان حرب ١٩٦٧ ) هي بوروندي التي كانت مستعمرة بلجيكية حتى عام ١٩٦٢ ويقطنها ما يقارب اربعة ملايين نسمة . وهذه الهزائم تدفع اسرائيل منذ اشهر الى اعادة النظر في سياستها الافريقية التي كانت من انجح سياساتها في العالم الثالث قبل ١٩٦٧ . وعلى سبيل المثال ، اذاعت رويتر بتاريخ ٥/١٤ نبأ عن

مصادر في وزارة المالية الاسرائيلية يفيد ان الدولة الصهيونية ستخفض استثماراتها في عدد من دول افريقيا ، وستركز جهودها على عدد ضئيل من البلدان حدد النبأ منها اثيوبيا وكينيا وايران (!). والمعروف ان الاستثمارات الاسرائيلية في افريقيا تجاوزت عام ١٩٧٢ خمسين مليون الدولار ، وبلغت صادرات اسرائيل ٣٦٫٧ مليون دولار مقابل ٢٠٫٢ مليونا من الواردات التي تصل اسرائيل من افريقيا الوسطى وليبيريا وغابون واثيوبيا وكينيا بشكل خاص . اي ان الميزان التجاري لصالح اسرائيل بنسبة تكاد تبلغ المئة بالمئة .

وازاء هذه السياسة الاسرائيلية الجديدة ، تقوم الدول العربية شمال الافريقية بهجوم مكثف بقصد عزل اكبر للدولة الصهيونية . وتقوم كل من الجزائر ومصر وليبيا بنشاط خاص في هذا المجال . وفي شهر ايار جاء التحرك الليبي تهديدا واضحا للدول الافريقية بضرورة قطع العلاقات مع اسرائيل تحت طائلة مقاطعة ليبيا لمؤتمر منظمة الوحدة الافريقية ، وركزت ليبيا بشكل خاص على العلاقات الاسرائيلية — الاثيوبية الحميمة التي تبرر بنظرها نقل مقر المنظمة الى "عاصمة اخرى غير اديس ابابا .

« وعند انعقاد مؤتمر القمة (من ٢٤ الى ٥/٢٩) الذي واكب الذكرى العاشرة لتأسيس منظمة الوحدة ، عاد الممثل الليبي — بعد ان تراجع بلده عن المقاطعة واكتفى بامتناع رئيس الدولة عن الحضور — عاد الى اثارة الموضوع بشكل حاد موجها اتهامات عنيفة للدولة الحبشية التي اعتبرها حليفة لاسرائيل والامريكيين وتمارس احتلالا لاريتريا تفرض عليها من خلاله تعصبها الديني » .

وكان هيلاسيلاسي قد افتتح المؤتمر باتخاذ موقف اعتبره المراقبون اقرب الى المواقف العربية من مواقفه السابقة اذ طالب بانسحاب اسرائيل من كل الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧ كشرط مسبق لحل دائم ، متفاديا الاشارة الى العلاقات مع اسرائيل. الا ان هذا التنازل الظاهر لم يمنع الوفود العربية وبعض الوفود الاخرى من اثارة الموضوع بشكل صريح . وكان الرئيس بومدين اكثرهم صراحة في انتقاده للموقف الحبشي ، ومطالبته بدعم افريقي ملموس للدول العربية يتجلى في قطع العلاقات او على الاقل تعليقها طالما تحتل اسرائيل اراضي عربية . وتكلم الرئيس السادات في نفس الاتجاه ولكن بلهجة اكثر اعتدالا على حد تعبير جريدة لوموند ، بينما اثار الوفد الصومالي مشاكل الحدود مع اثيوبيا واطماع الاخيرة في الاراضي الصومالية بحدة لا تقل عن اللهجة الليبية . وكان الحبشيون يردون بانفعال واضح على هذه التهم التي وجهت لحكومتهم في عاصمتها وفي مناسبة ارادها هيلاسيلاسي تكريسا لهيبته في افريقيا .

ورغم ان معظم الوفود الافريقية عارضت نقل مقر المنظمة من اديس ابابا ، الا ان جملة هذه التحركات لم تكن دون جدوى . اذ اصبحت القضية الفلسطينية الموضوع الرئيسي للنقاش في المؤتمر — على حد تعبير بعض الصحف الغربية — وانتهى المؤتمرون لاتخاذ قرار اعتبرته « لوموند » انتصارا كبيرا للدول العربية ( ٥/٣٠ ) . وكانت بعض هذه الصحف قد اثارت في هذه الاثناء تضايق الوفود « السوداء » من الالحاح العربي في دفعها لاتخاذ مواقف « تتعارض وقناعاتها » ، مركزة بشكل خبيث على التناقض العرقي بين ما تسميه افريقيا البيضاء ( أي العربية ) وافريقيا السوداء . وربما كان هذا الضيق حقيقيا لدى بعض الدول ذات الصلات الحميمة بالغرب واسرائيل — كساحل العاج مثلا — الا ان عددا كبيرا من الوفود الافريقية — حتى من الدول التي ما زالت تقيم علاقات مع اسرائيل — عبرت عن انتقادها للتعنت الاسرائيلي والاحتقار الذي واجهت به اسرائيل مقترحات « الحكماء الافريقيين » بعد زيارتهم لها وللدول العربية في العام الماضي. وبين هؤلاء الذين هددوا بقطع العلاقات مع اسرائيل الجنرال ياكوبو غوون ، رئيس جمهورية نيجيريا ( اكثف الدول الافريقية بشريا ) ، والذي انتخب اثناء المؤتمر رئيسا للمنظمة خلال العام المقبل خلفا للملك الحسن الثاني وناطقا رسميا باسمها في الدورة المقبلة للجمعية العمومية للامم المتحدة .

وكان المؤتمر قد اختار وفدا من وزراء خارجية نيجيريا وتانزانيا وتشاد وغينيا والجزائر لتمثيل المنظمة ( التي تضم ٤١ دولة ) في اجتماعات مجلس الامن التي بحثت مشكلة شرق المتوسط ابتداء من ٦ حزيران .

ومن القرار الافريقي المذكور اعلاه نسجل مطالبة المؤتمر « بالنظر في اتخاذ قرارات اجماعية او انفرادية ، سياسية واقتصادية ضد اسرائيل اذا لم تنسحب من الدول التي تعرضت لعدوانها »

وكذلك تركيزه على « أن احترام الحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني هو عنصر اسلسي في كل حل منصف وعادل ومن اجل اقامة سلم دائم في المنطقة » .

ورغم ما يعبر عنسه هذا القرار من انتصار ديبلوماسي للدول العربية — كما ذكرنا اعلاه على لسان احدى الصحف الغربية — الا اننا لا يمكن ان نتغافل عن ان عددا لا يستهان به من دول افريقيا ما زال تحت هيمنة الاستعمار الجديد ( الامريكي او الفرنسي او البريطاني ) وعلى علاقات وثيقة باسرائيل ، مما يفرض على حركة التحرر العربية مجهودا اكبر في كسب الجماهير الافريقية واحداث تحول حقيقي في القارة السوداء باتجاه عزل العدو الاسرائيلي .

## التحرك الالماني الغربي

منذ عام ١٩٦٧ ودول اوروبا الغربية — ابتداء من فرنسا — تحاول ان تصبح ذات شأن في المنطقة العربية سياسيا واقتصاديا . وقد برز في الاونة الاخيرة الدور الجديد الذي تطمح للعبه المانيا الاتحادية بعد انقطاع طويل عن المنطقة ( منذ قطع العلاقات العربية بعد اعترافها باسرائيل عام ١٩٦٥ ، علما بأن هذا الانقطاع لم يشمل الجانب الاقتصادي اذ ان التبادل التجاري مع الدول العربية بالاتجاهين استمر بحجمه الكبير ) . وكانت بوادر التقارب الالماني — العربي قد ظهرت في الصيف الماضي ، الا ان عملية ميونيخ أخرت هذا التطور وأزمت الى حد ما العلاقات اثر الاجراءات الالمانية العدائية بحق المواطنين العرب عامة والفلسطينيين خاصة. وعادت المانيا برانت للتحرك من جديد بعد انتصار التحالف الاشتراكي — الليبرالي في انتخابات تشرين الثاني الماضي، وأدت هذه التحركات اخيرا الى الزيارات التي قام بها زعيما الحزبين الاول لاسرائيل والثاني لمصر والاردن ولبنان .

وبالفعل فقد وصل شيل وزير الخارجية ورئيس الحزب الديموقراطي الحر الى القاهرة في ٥/٢٠ حيث اجرى محادثات على اعلى المستويات . وكان قد وضح قبل زيارته ان المانيا الغربية التي تسعى الى الابقاء على علاقات جيدة مع طرفي النزاع ، لها مصلحة في تحقيق « تسوية سلمية واعادة فتح قناة السويس » . وقد رحبت الاوساط الرسمية المصرية بهذه المبادرة قائلة بلسان جريدة «الاخبار» القاهرية ان « المانيا الغربية وهي احدى الدول الرئيسية في اوروبا تستطيع بل ويجب ان تلعب مع دول اوروبا الغربية الاخرى دورا مهما لاقامة سلام عادل في الشرق الاوسط » ، وهو دور تراه مصر دور الضاغط على الولايات المتحدة بشكل اساسي .

وبعد جولته في البلدان الثلاثة قال شيل الذي تعتبره اذاعة اسرائيل ( ٥/٢٠ ) زعيم الحزب الاقل تأييدا لاسرائيل بين احزاب المانيا الغربية الرئيسية : « ان في الجانب العربي تطلعا عميقا لاتخاذ خطوات ملموسة من اجل حل للصراع في الشرق الادنى » مضيفا ان « اجتماع مجلس الامن قد يكسر الجمود ويساعد في ايجاد حل عادل ودائم لكل شعوب المنطقة بما فيها الشعب الفلسطيني » ( لوموند ٥/٢٧ ) . واشار شيل الى المشكلة الفلسطينية اكثر من مرة . ففي مؤتمره الصحفي الذي عقده في بيروت ( ٥/٢٤ ) قال « ان من المهم جدا ان تجد مشكلة الفلسطينيين التي تعد موضوعا أساسيا في أزمة الشرق الاوسط حلا واقعيا ... وهنا يفرض العمل الجدي نفسه على العالم اجمع بما في ذلك اوروبا . ونحن مستعدون للمشاركة في حل هذه المشكلة » . وقد تكون هذه الكلمات اشارة الى المشروع الذي تدرسه دول السوق المشتركة للمساهمة في اعانة واسكان اللاجئين في حال التوصل الى ما يسمى بالحل السلمي ، هذا الحل الذي نفى الوزير الالماني ان تكون لبلده مبادرة باتجاهه علما بأنها على حد تعبيره « ستساعد على تسهيل الطريق امام مثل هذه المبادرة » . واكد شيل تلخيصا لكلامه « ان العلاقات الالمانية — العربية لم تكن في اي وقت افضل مما هي الان » .

وبعد ايام من مغادرة شيل لبيروت ، كان برانت مستشار المانيا الاتحادية وزعيم الحزب الاشتراكي الديموقراطي يصل الى مطار اللد ( ٦/٧ ) في اول زيارة له كمستشار واول زيارة لرئيس حكومة دولة اوروبية كبيرة لاسرائيل . وحاول برانت ان يؤكد ان موقف حكومته في الصراع العربي الاسرائيلي « غير منحاز » اكثر منه « محايد » في رأيه ، علما بأنه وصف العلاقات الالمانية الاسرائيلية بأنها « ذات طابع مميز » نظرا لما جرى لليهود على ايدي النازيين الالمان في الحرب العالمية الاخيرة . ورغم التخوفات من بعض المظاهرات المعادية من قبل بعض الاوساط الدينية ويهود « معسكرات

الاعتقال النازية » ، استقبل برانت استقبالا حارا في اسرائيل لما عرف عنه من مواقف معادية للنازية خلال الحرب ومتعاطفة مع الدولة الصهيونية منذ ذلك الحين . والتقى برانت بكافة المسؤولين الاسرائيليين بمن فيهم المسؤولين السابقين كبن غوريون ، كما التقى في آخر ايام اقامته بموشي دايان رغم ما اشيع في مطلع الزيارة من انه سيتفادى هذا اللقاء لئلا يعطي زيارته طابعا « عسكريا » . وقد علم فيما بعد ان الحديث بين برانت ودايان ( الذي لم يشارك في أي من الاحتفالات الرسمية اثناء الزيارة ) دار حول موضوع « اللاجئين الفلسطينيين » وان الطرفين اتفقا على عدم اذاعة اية معلومات عما دار خلال الحديث .

ولم تعط الزيارة الجانب الاسرائيلي كل ما توقعه ، على حد تعبير « يديعوت احرونوت ». وبل بالعكس بدا على عدد من المسؤولين الاسرائيليين شيء من الامتعاض من بعض تصريحات برانت [ لوموند ٦/١٢ ] . فجاء على لسان « دافار » القريبة من الاوساط الحكومية ان برانت لم يبد مقتنعا باستعداد الاسرائيليين لتقديم تنازلات من أجل تحقيق سلام مع الدول العربية . وفي وداع المستشار الالماني ، قالت غولدا مئير « انه بشكل عام ، نستطيع اعتبار هذه الرحلة ناجحة » في سياق كلمات تبادلها الطرفان في المطار عوضا عن البيان المشترك الذي لم يتمكنا من الاتفاق حوله . وأثارت جريدة « معاريف » رفض برانت لزيارة اي من الاراضي التي احتلت في حرب ١٩٦٧ معتبرة هذا الموقف تأييدا للمطالب العربية الرسمية بالانسحاب وراء الحدود السابقة . وكان برانت بالفعل قد علق على طلب اسرائيلي بالدعوة الى اعتراف عربي بتعديل الحدود على نمط الاعتراف الالماني بحدود « اودر ــ نايسه » مع بولندا ، مشيرا الى عدم تطابق الحالتين [ لوموند ٦/١٣ ] وقد لفت انتباه المسؤولين الاسرائيليين تشديد برانت على ضرورة اتخاذ المجموعة الاوروبية موقفا موحدا وخطوات ملموسة من اجل ما اسماه « بحل بناء » ، واعتبروا هذا التشديد تهربا من اتخاذ موقف تأييد لاسرائيل متميز عن مواقف الدول الاوروبية الاخرى .

وهذه التحفظات التي ضخمتها الصحافة الاسرائيلية نظرا لما كانت تتوقعه من كسب سياسي من زيارة ومواقف « الحائز على جائزة نوبل للسلام » ، لا تلغي بالطبع المكاسب الاسرائيلية ، على الصعيد الاقتصادي بشكل خاص ، فقد اكدت المانيا الغربية استمرار مساعداتها واجراءات تسهيل الاستثمارات الالمانية في اسرائيل ، كما وعدت بدعم محاولات اسرائيل لعقد اتفاقية تجارية مع السوق الاوروبية المشتركة في نهاية العام .

وباختصار فان المانيا الغربية ، كما قال شيل في القاهرة تريد ان يستتب الهدوء في شرق المتوسط كي تؤمن حاجاتها من النفط الذي تستورده بشكل اساسي من المنطقة العربية . وهي لهذا تعمل على تحسين علاقاتها مع الدول العربية ، في الوقت الذي تضغط فيه القطاعات التقليدية في حزب برانت والطبقات الوسطى الالمانية باتجاه اتخاذ موقف مؤيد لاسرائيل تحد من حرارته القطاعات الشابة في الحزب التي اتخذت في مؤتمرها الاخير موقف ادانة واضح « للسياسة التوسعية الاسرائيلية » .

**السعودية بين فرنسا والولايات المتحدة**

تنشط الدبلوماسية السعودية في الاونة الاخيرة نشاطا واسعا على الصعيدين العربي والدولي . ومن الواضح ان الحكم السعودي يطرح نفسه اليوم كقوة عربية ذات شأن وتأثير في المنطقة بحكم قدراته النفطية ( ثالث دولة منتجة في العالم بعد الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي و٣٠ بالمئة من الاحتياطي المعروف من البترول ) وعلاقاته الوثيقة بالدول الغربية ــ وبالذات الولايات المتحدة ــ .

وقد قام الرسميون السعوديون بتحركات واسعة خلال الاسابيع الاخيرة . فأجرى الملك فيصل نفسه زيارات لعدة دول عربية (شمال افريقية) واوروبية ( فرنسا وايطاليا ) . وكانت الزيارة الفرنسية بعد زيارة مصر اهم هذه التحركات لما حملت من احتمالات لتزويد السعودية بكميات ضخمة من السلاح الفرنسي ( من طائرات الميراج الى الاسلحة الخفيفة ) . وقد جرت هذه الزيارة بين ١٤ و ١٨ أيار ، ولقي فيصل أثناءها ترحابا غير عادي من قبل الحكم الفرنسي واستعمل الرئيس بومبيدو كلمات مديح بالغ لوصف الملك السعودي والعلاقات الفرنسية السعودية ( « ان عاهلكم يحظى بمكانة فذة وعظيمة في فرنسا وفي العالم اجمع » نقلا عن وكالة الانباء السعودية ٥/١٣ ) .

والواقع ان فرنسا التي تستورد ٢٢ مليون طن من

النفط الخام من السعودية التي تعتبر لذلك اول مورد لها ، تعاني من عجز واسع في ميزان التبادل التجاري معها . ففي عام ١٩٦٨ استوردت فرنسا ما قيمته ٢٧١١ مليون فرنك من السعودية بينما لم تصدر لها الا بمقدار ٩٥ مليون فرنك ( لوموند ٥/١٥ ) . وهذا ما دفع المراقبين الى تفسير هذا الترحاب بانه رغبة من الفرنسيين بمحاولة كسر الاحتكار الانكلو سكسوني للسوق السعودية ( وبالذات في ميدان التسليح ) . وترددت انباء هكذا عن عقد صفقة ضخمة تبلغ ملايين الدولارات وتشمل اساسا طائرات ميراج حديثة ودبابات وصواريخ ( الوكالات ٥/١٨ ) . وسارعت بعض الصحف الاسرائيلية ( جيروزالم بوست ٥/١٧ ) الى اعتبار هذه الصفقة بعد الصفقة الليبية مدخلا جديدا لزيادة النفوذ الفرنسي في العالم العربي . ولم تمض ايام الا واعلنت الولايات المتحدة عن صفقة امريكية بأكثر من نصف مليار دولار ( وصفقة موازية مع الكويت ) . وقد تداركت اذاعة اسرائيل ( ٥/١٨ ) الامر حين فسرت « الغزل السعودي الفرنسي » على انه يستهدف اصلا استمالة امريكا التي ركزت في الاونة الاخيرة على حليفتها الاخرى شرق الخليج ( ايران ) . ونقلت الاذاعة نفسها والصحف الاسرائيلية تأكيدات عديدة على لسان المسؤولين الامريكيين بان هذا السلاح ليس موجها ضد اسرائيل [ دافار ٥/٢٨ ] وانه يستهدف اساسا حماية دول النفط من « خطر سوفياتي قد يتأتى من العراق » (!) [ هآرتس ٥/٣٠ ].وذهب السناتور جاكسون عضو مجلس الشيوخ الامريكي المعروف بحماسه الصهيوني الى حد القول بان « الثالوث اسرائيل — السعودية — ايران يشكل حجر عثرة امام العناصر الراديكالية التي تحاول دفن آبار النفط التي تحرك عجلات امريكا » [ رصد اذاعة اسرائيل ٥/٢٢ ] علما بان الولايات المتحدة تستورد اليوم ١٠ بالمئة من حاجاتها النفطية من دول الخليج [ اسوشيتدبرس ٥/٢٩ ] وقد تضطر في السنوات المقبلة الى استيراد نسبة متزايدة .

وبعد القرار الامريكي ببيع طائرات فانتوم للسعودية [ النهار ٦/١ ] يبدو ان الكفة الامريكية رجحت في التنافس الامريكي — الفرنسي، رغم ما اشيع عن ضغط مصري باتجاه اعتماد طائرات الميراج الجديدة . ولم يبق على ما يبدو الكثير من الامل بعقد صفقات كبيرة مع فرنسا . ولا بد من الاشارة الى ان الجانب السياسي من التحرك السعودي باتجاه فرنسا لم يأت بأي جديد ، خاصة وان الوزن الفرنسي والاوروبي — كما ذكرنا اعلاه — ما زال محدودا في منطقة الصراع . ويلفت الانتباه ، رغم تأكيدات الخطب المتبادلة بين فيصل وبومبيدو وتصريحات حافظ اسماعيل بعد زيارته لفرنسا في نفس الفترة ، تصريح لروجرز ( ٦/٢ ) بعد لقاء بومبيدو — نيكسون جاء فيه « **ان الفرنسيين اصبحوا اكثر اقترابا من الرأي الامريكي** بان تسوية الوضع في الشرق الاوسط تعتمد على المفاوضات بين الاطراف المعنية وليس على تدخل الدول الكبرى » .

وهذا التصريح يعيدنا الى ما ذكرناه سابقا بأن « الحل السلمي » — كما يدعى — لم يكن في يوم من الايام اكثر منه اليوم في يد الولايات المتحدة . وان تغيير هذا المعطى السياسي في المنطقة رهن بنضال فلسطيني وعربي دؤوب لمواجهة عصر الامبراطورية الامريكية — الاسرائيلية الذي يهدد شرق المتوسط .

**داود تلحمي**

# (٤) المناطق المحتلة

**حركة الاستيطان** : تواصل سلطات الاحتلال تعزيز المستوطنات في المناطق المحتلة ، ففي هضبة الجولان يجري العمل لاقامة مستوطنتين جديدتين في جنوب الهضبة خلال هذا الصيف ، كما وستقام مستوطنة جديدة مكان مستوطنة « العال » التي هجرها مستوطنوها ، وستحمل المستوطنة اسم « ايلي كوهين » . وقد اشار رئيس مصلحة التطوير في الكيرن كاييمت مئير شمير الى ان خطة تهويد الجولان تعتمد على استيعاب ١٥ الف نسمة في ٢٤ مستوطنة زراعية ، وعشرة الاف نسمة في مستوطنات مدينية . وفي غور الاردن تم الاحتفال في المدة الاخيرة بتحويل مستوطنة جلجال الى مستوطنة مدنية ، اما في مدينة القدس ، فقد استوعبت ضاحية « نفي يعقوب » الواقعة شمال شرق القدس الدفعة الاولى من العائلات اليهودية ( ٢٥٠ عائلة ) ومن المقرر ان ينقل اليها شهريا ٣٠٠ عائلة . وفي قطاع غزة اقيمت في ٧٣/٥/٢٩ مستوطنة ناحال جديدة ، تدعى ناحال جديش على شاطيء البحر بين دير البلح وخانيونس ،وسيعمل المستوطنون بفلاحة الارض وزرع مزروعات في مستنبتات زجاجية . اما فيما يتعلق بشرم الشيخ حيث تقيم السلطات الاسرائيلية هناك مدينة « اوفيرا » فانها تعمل على اقامة ٢٥٠ وحدة سكن اضافية هذا العام ، كما وسيجري التمهيد — كما جاء على لسان وزير الاسكان شيرف — لاقامة الف وحدة سكنية بالاضافة الى انشاء مركز تجاري ، ومؤسسات تعليمية ومؤسسات للخدمات. وفيما يتعلق بمشارف رفح فانه من المقرر ان تكون هذه المنطقة هدفا لمجموعة من المهاجرين اليهود القادمين من الاتحاد السوفييتي عند اواخر شهر حزيران ، وسيقيم هؤلاء المستوطنون في مبان مؤقتة الى ان يستكمل بناء المركز الاقليمي هناك . ومن الجدير بالذكر ان هذا المركز يقع في المنطقة التي اقترحت لانشاء مدينة « يميت » عليها ، تتسع لربع مليون شخص وليس من المستبعد ان تكون مجموعة اليهود السوفييت هذه ، النواة الاولى التي تستقطب حولها مجموعات اخرى من يهود الاتحاد السوفييتي لاقامة مدينة « يميت » . وفي غضون ذلك اقدمت محكمة « العدل » العليا الاسرائيلية على رفض شكوى قدمها سكان مشارف رفح الذين اجلوا عن اراضيهم في اوائل عام ١٩٧٢ ، طالبوا فيها محكمة « العدل » انصافهم واعادتهم الى اراضيهم . فقد اصدرت المحكمة في ٧٣/٥/٢٤ حكمها ، بعد ان بقيت الشكوى مدة طويلة في ملفات المحكمة تزيد على العام ، برد الشكوى ورفضها ، بحجة ان طرد السكان العرب من اراضيهم جاء لمتطلبات الامن . ومن الجدير بالذكر هنا ان المحكمة ابرزت خلال تداولها للقضية، انه قد تم خلال الفترة الواقعة بين يناير ١٩٧٠ واذار ١٩٧٢ مقتل ٢٧ اسرائيليا وجرح ١٩٥ اخر في هذه المنطقة . والحقيقة ان حجة الامن التي تذرعت بها محكمة « العدل » العليا ، حجة واهية ، لان السبب الحقيقي لعملية تفريغ مشارف رفح من السكان وطردهم من اراضيهم يعود الى رغبة سلطات الاحتلال في تهويد تلك المنطقة حيث شيد عليها عدة مستوطنات ، ومن المحتمل أن تبنى هناك مدينة « يميت » .

**مقاومة سكان الهضبة** : ارتفع عدد المعتقلين من سكان هضبة الجولان بتهمة الانتماء الى شبكات « التخريب والتجسس » ، ووصل العدد الاخير الى ٦٣ معتقلا ، ويقف على رأس الفوج الجديد من المعتقلين محمد حامد صندي المدعو « ابو عدنان » . وقد اعترفت الصحف الاسرائيلية ان « ابو عدنان » يعتبر من المعارضين للسياسة الاسرائيلية الرامية الى دمج السكان الدروز في اسرائيل ، كما وانه وقف ضد اقامة مجالس محلية في قرى الهضبة تحت ظلال الاحتلال ، واقامة محكمة شرعية للطائفة الدرزية وترتيبات جبي الضرائب .

ومن الجدير بالذكر هنا ان السياسة الاسرائيلية واجهت فشلا ذريعا في الهضبة ، فقد ارتكزت السياسة الاسرائيلية هناك على ضخامة الروح الوطنية بين صفوف السكان ، بواسطة التركيز على العامل الطائفي ، وفتح بعض ابواب العمل وحرية الحركة امام السكان في الهضبة ، وبالرغم من ان السكان هناك وخاصة الجيل الشاب ، كانوا يفصحون عن هويتهم الوطنية والقومية من خلال التظاهرات المعادية للاحتلال ، والتي تخللتها اشتباكات مع قوات الاحتلال ، فان السياسة الاسرائيلية لم تيأس وركزت ثقلها على الزعامة التقليدية في الهضبة مستغلة التنافس

التقليدي بين العائلتين الكبيرتين ال كنج وال الصفدي ، فتقربت الى عائلة كنج ، الا انها فوجئت بعد مدة ان رئيس العائلة الشيخ كمال كنج الذي كانت سلطات الاحتلال تفرش امامه « البسط الحمراء » كان يعمل لخدمة وطنه سوريا ، فاودعته السجن ، ولم يبق امامها بعد ان اتضح لها انها فقدت الشباب في الهضبة وزعيم ال كنج ، الا بذل محاولة اخرى للتقرب من عائلة صفدي ، ولكن نتيجة هذا التقرب لم تكن بافضل من محاولة التقرب الى ال كنج ، اذ فوجئت سلطات الاحتلال بأن احد زعماء آل صفدي المدعو « ابو عدنان » كان على رأس تنظيم للمقاومة في الهضبة ، حينئذ وجدت السلطات ان سياسة اللين والمراوغة لم تجد نفعا ، ولذا ، اقدمت على انتهاج سياسة اليد القوية ، حيث اخذت تتبع سياسة اشد تجاه السكان واساليب مشينة في تعذيب المعتقلين . ولا بد من الاشارة هنا الى حدث وقع في الاونة الاخيرة يعتبر سابقة ، فقد رضخت سلطات الاحتلال اثناء المفاوضات على تبادل الاسرى بين سوريا واسرائيل ، على ضم اسم كمال كنج بين قائمة الاسرى السوريين ، وبالفعل اطلق سراحه وتوجه الى بيته في الهضبة.

لقد مارست سلطات الاحتلال اساليب تعذيب ضد المعتقلين سواء اساليب التعذيب النفسية او الجسدية. وقد كشفت المحامية الاسرائيلية « لانغر » أساليب التعذيب هذه على لسان المعتقل فايز نعمان ابو جبل الذي ذكر لها كيف اعتدى عليه اربعة من المحققين بالضرب المبرح اثناء التحقيق معه ، وذكر لها انه كان يسمع صراخ رفاقه المعتقلين وهم يتعرضون للضرب والتعذيب ، وهنالك اسلوب تعذيب اصبح بمثابة ظاهرة ، يتمثل في توجيه الضربات على الاماكن الحساسة في الجسم ، ومن بينها الاعضاء التناسلية ، فقد ذكر انه اغمى عليه عدة مرات اثناء الضربات الشديدة ، وبالرغم من ان المحققين يعرفون انه مريض ، استمروا في تعذيبه وضربوه على اعضائه التناسلية وكذلك ذكر فؤاد قاسم « في سجن صرفند » ان المحققين اعتدوا عليه وضربوه على اعضائه التناسلية وارغموه على شرب « ملح انجليزي » .

وهناك اسلوب اخر يتمثل في الحط من كرامة الانسان ، مثل وضع الحذاء في فم المعتقل ، كما حدث لفؤاد قاسم « وخلعوا ملابسه وقالوا له ان قسما للزانيات موجود في السجن وانهن سيفترسنه ، وسيحضرون زوجته الى السجن ليضاجعوها » وذكرت المحامية « لانغر » انه عندما احتج على الاهانات الموجهة اليه بقوله : « اين ديموقراطيتكم ؟ » اجابوه : « ذهبت الى الحدود، وانفجر فيها لغم ، ولا قيمة لله او الدين او اي احد كان » . ويبدو ان فؤاد قاسم لم يكن يتصور بأن الفظائع الاسرائيلية تصل الى هذا الحد ، فقد قال لمحاميته : « لم اتصور ابدا ان في مقدورهم ان يرتكبوا مثل هذه الفظاعات الوحشية » . ولم تكن هذه « الفظاعات الوحشية » من نصيب فؤاد قاسم ، بل ايضا كانت من نصيب الكثيرين غيره مثل عبد الله حسن الذي واجه اعتى انواع التعذيب ، « فقد اعتدوا عليه بالضرب وبطحوه على الارض وكادوا يخنقونه ، حتى احس انه لم يقدر على التنفس ورشوا الملح في عينيه ، وخلعوا ملابسه وامروه بالدخول الى قسم الزانيات ولما رفض قالوا له انهم سيعتدون على زوجته على مرأى منه ، وقالوا له نستطيع ان نقطعك قطعا ونقول بعدها انك قتلت اثناء محاولتك الهرب ، او انفجر فيك لغم » ( الاتحاد ١٩٧٣/٣/١٦ ) .

**اوضاع العمال العرب وظروفهم** : تحدثنا في شهريات المناطق المحتلة اكثر من مرة حول اوضاع العمال العرب وظروفهم ، هذه الاوضاع التي هي اشبه باوضاع الرق والعبودية منها بالاوضاع الاستغلالية المحضة ، فهنالك « اسواق » للعمال العرب شبيهة الى حد كبير باسواق النخاسة في القرون الوسطى وهنالك السادة « البيض » الذين يأتون الى هذه الاسواق لينتقوا منها اصحاب العضلات القوية ، كما وهنالك البراعم الصغيرة من الفتيان العرب الذين تحولوا تحت الاحتلال الاسرائيلي الى عمال بعد ان هجروا دراستهم بالرغم من القوانين المعمول بها في الدول المتقدمة منها او المتخلفة التي تمنع تشغيل الاطفال، كما وهنالك نساء عربيات غدون بفضل الاحتلال الاسرائيلي يخدمن في المستعمرات الاسرائيلية ، وقسم منهن يقضين شهورا طويلة هناك حيث اصبحن بفضل هذا الواقع اقرب الى « الجاريات » منهن الى العاملات .

وسنتطرق في هذا العدد الى العلاقة القائمة بين العامل العربي من جهة وبين رب العمل والعمال اليهود من جهة اخرى ، كما يراها عامل يهودي يدعى « روني ايشل » في مقال له تحت عنوان

« من الصعب على العربي ان يكون بين اليهود » ( معاريف ٧٣/٤/٣ ) ، واسباب هذا الواقع الكولونيالي كما اعترف البروفسور الاسرائيلي المشهور شمعون شمير .

يعتقد « ايشل » انه من الصعب خلق حالة تفاهم بين العرب واليهود بسبب العلاقة القائمة بين صاحب العمل من جهة وبين العمال العرب من جهة اخرى ، ويفند بذلك الرأي المنبعث من قبل الاوساط الرسمية القائل بأن العمل المشترك والحياة المشتركة من شأنهما ان يؤديا الى خلق حالة تفاهم بين الشعبين ، بسبب طبيعة العلاقات القائمة بين صاحب العمل والعمال العرب ، فالعامل العربي يعيش تحت وطأة التلويح بالطرد من العمل في كل لحظة ، ولذا فانه مرغم على « تكييف نفسه مع نوع من التملق والخنوع » . ويسرد روني ايشل بعض الاحداث التي غدت مميزة للعلاقة بين العامل العربي ومستخدميه .

**التحقير المشفوع بالعنصرية** : يذكر العامل اليهودي انه طلب منه مع عامل عربي نقل عشرات القطع من القرميد الى طوابق المبنى المختلفة ، وعند قيامهما بالعمل ، كادت قطع من البلاط موضوعة بالقرب من القرميد ان تقع ، فما كان من صاحب العمل الا ان صب جام غضبه على العامل العربي واخذ يصرخ في وجهه : « وبعد ذلك توجه نحوي بصوت اهدأ وقال : حسنا **انه عربي ، انه احمق** ، ولكن انت لك عقل » .

**استغلال الجهد باقصى حد ممكن** : ان الاعمال الشاقة تكون عادة من نصيب العامل العربي ، فبينما يكون العامل العربي ، كما يقول ايشل ، منهمكا في تمهيد اكوام ضخمة من الرمل يطلب منه رب العمل فجأة نقل ١٨ كيسا من الاسمنت زنة كل واحد ٥٠ كغم ، وبعد ذلك يعود الى اكوام الرمل الضخمة ، ترافقه صيحات رب العمل : « هذا كل ما فعلته ؟ اسمع يا محمد ، اننا هنا لا نلعب » ، ولا تقتصر النظرة الاستعلائية الاستغلالية على رب العمل فقط بل تشمل ايضا بعض الاسرائيليين الذين يعملون تحت امرة رب العمل فقد ذكر احد العمال اليهود لعامل اسرائيلي اراد بحكم عمله مساعدة العامل العربي في نقل اكياس الاسمنت : « **دعه يكسر ظهره لوحده** » .

**احاطة العامل العربي بجو من الاغتراب** : ان الشعور بالاغتراب يرافق العامل العربي بشكل رهيب ، خاصة اذا شعر نفسه محاطا بكثرة من العمال اليهود ومما يزيد من حدة الشعور بالاغتراب كراهية الغير ، وخاصة اذا كان «الغير» عربيا ، ويقول العامل اليهودي في مقاله : « في اثناء تناولنا وجبة الافطار جلست بالقرب من عربي كان يحدثني عن بيته ، وفجأة ناداني صاحب العمل « اتركه ، تعال عندنا » . ويذكر روني ايشل انه « لا يحب ولا يكره » العامل العربي ، ولكنه يرى ان الشراكة في العمل تتطلب الشراكة في تبادل الاحاديث ، الا ان العمال اليهود كما يقول ايشل يعترضون على تبادل اطراف الحديث « وعندما حاولت تفسير شيء بهذه الروح لهذا العامل الاسرائيلي او ذاك ، قالوا لي بانه ينبغي علي ان أكف عن كوني محبا للعرب ، لان العرب سيغرسون في الفرصة الاولى سكينا في ظهري » .

**« تهمة الدم » تطارد العربي** : من المعروف ان الحركات اللاسامية — كانت تكيل لليهود سيلا من التهم ، ومن بينها « تهمة الدم » ، وقد سار الكيان الصهيوني على منوال الحركات اللاسامية في كيله التهم للعرب ، ومن بينها تهمة السرقة التي تلصق عادة بالعربي ، فقد ذكر ايشل الحادثة التالية التي تعبر عن الافكار المسبقة الخاطئة التي تعتمل في صدور الكثيرين من المستوطنين اليهود « لقد اضاع ابن مدير العمل المطرقة ، وكان قد استخدمها قبل ذلك بيوم واحد عامل عربي ، فتوجهوا الى العامل العربي وسألوه اين المطرقة؟ وبعد ان نفى علمه بها ، هددوه باقالته من العمل اذا لم يحضر في الغد المطرقة ، وقد تعهد بأن يقوم بذلك بعد تيقنه من ان ادعاءاته رفضت بشكل تعسفي . ولم يحضر العربي في الغد الى العمل ، وذات يوم عاد وهو يحمل مطرقة ، الا انه في غضون ذلك كان قد تم العثور على المطرقة الاصلية ، بعد ان تذكر ابن مدير العمل المكان الذي وضعها فيه » !!

ان اوضاع العمال العرب وظروفهم والعلاقة القائمة بينهم وبين مستخدميهم ليست مستغربة ، فهي ناجمة بالاساس عن الطبيعة الكولونيالية للمجتمع الاسرائيلي ، هذه الطبيعة التي اخذت تتكشف بشكل أوضح عقب حرب حزيران ، لدرجة غدا معها بعض البحاثة في اسرائيل يعترفون ضمنيا او تلميحا بها ، وعلى سبيل المثال اعترف البروفسور شمعون شمير رئيس معهد شيلوح

والخبير بتاريخ الشرق الاوسط ، بهذه الطبيعة حين قال في ندوة نشرتها مجلة حوتام ٢٠/١٠/٧٢، خصصت للحديث عن كتاب « أرض الغزال » لاريه الياف انه يعتقد بان المجتمع الفلسطيني هو بمثابة امة « واذا كان المجتمع الفلسطيني ليس أمـــة ، فانني اعتقـــد بانه يمكـــن الغاء امم كثيرة مـــن القاموس » ليصل بعد ذلك للتحدث عن الطبيعة الكولونيالية للمجتمـــع الإسرائيلي بقوله : « ان وضعا كهذا يعيش فيه مجتمعان في دولة واحدة ، لا يتمتع احدهما بحقوق سياسية ، او يقال انه يتمتع بالحقوق ، ولكن الحقيقة هي انه لا يتمتـــع بحقوق سياسية متساوية بينما المجتمع الاخر يقوم بخلق اعمال يدوية للمجتمع الاخر ، ان هذا الوضـع هو وضـع كولونيالي ... » .

**عبد الحفيظ محارب**

## (٥) اسرائيليـــات

**مؤتمر بولونيا ... « لاضعاف الجناح المقاتل » !**

بنداء ووفق عليه بالاجماع ، ومكون من ٣٠٠ كلمة تقريبا ، انتهى في الثالث عشر من ايار (مايو) الماضي ، مؤتمر بولونيا في ايطاليا ، او — كما هو اسمه رسميا — « المؤتمر الدولي من اجل السلام والعدل في الشرق الاوسط » ، هذا المؤتمر الذي ظل على مدى ثلاث سنوات وثلاثة اشهر ، شغل العديد من لجان السلام في الدول العربية واسرائيل وغيرها ، والعديد من القيادات على كافة المستويات ومن شتى الاتجاهات ، والعديد من الصحافيين والصحف في دول كثيرة ، وفي اسرائيل بشكل خاص .

فماذا عن هذا المؤتمر ؟ وعن الداعين والدعوة والمدعوين اليه ؟ وعن اهدافه ؟ وماذا — اخيرا — عن نتائجه ؟

ان اول ملاحظة يجب تسجيلها على هامـــش التعرض للمؤتمر ، هي تلك التي اوردها الاستاذ احمد خليفة في تقرير له حول هذا الموضوع ، نشر في العدد العاشر — عدد حزيران ١٩٧٢ — من مجلة « شؤون فلسطينية » ، ولخصها بالتساؤل عن سبب عدم سماع العالم العربي الا القليل عن هذا المؤتمر ، رغم الاهمية « التاريخية » المنسوبة له . ولعله من الغريب فعلا ان هذا التساؤل ما زال مطروحا — وعن جدارة — رغم مرور سنة كاملة على طرحه ، وشهر على عقد المؤتمر ذاته ، الذي شكل سابقة جعلت منه مؤتمرا فريدا متميزا وهاما ، سواء في ذلك أية زاوية ينظر منها اليه ، بل وبعد ان ادخل الى قاموس التعابير السياسية تعبيرا جديدا هـــو « روح بولونيا » الـــذي كان اول من استعمله صاحب فكرة المؤتمر ذاته الاستاذ خالد محيي الدين ، حين قال في صباح اليوم الثالث والاخير للمؤتمر انه لا طعم للتعنت زيادة عن اللزوم عند كل كلمة وكلمة لان « الكلمات ليست هي المهم ، المهم هو الروح التي خلقناها هنا — روح بولونيـــا » ( همولام هزي ١٩٧٣/٥/١٦ ) .

ولدت الفكرة لعقد المؤتمر في روما في شهر كانون الثاني ( يناير ) ١٩٧٠ ، اثناء انعقاد اللجنة الدولية لنصرة الشعـــوب العربية التـــي يشغـــل محيي الدين منصب السكرتير العام فيها . واتفق لدى قبول الفكرة على عقد اجتماع تحضيري في روما يومي ١٩ و٢٠ نيسان ( ابريل ) ١٩٧١ ، ووجه محيي الدين الدعوات الى مختلف المنظمات العالمية والاحزاب السياسية والاتحادات ومنظمات السلام والى شخصيات لها مكانتها العلميـــة والادبية والفنية .

في هذا الاجتمـــاع الذي حضره مندوبون من مصر وسوريا ولبنـــان وكذلك مندوبـــون من السودان وفلسطين — ولكن بصفتهم اعضاء في وفد منظمة التضامن الاسيوي الافريقي — والعديد مـــن مندوبي دول العالم من كلا المعسكرين ، ولم يحضره أي مندوب من اسرائيل ، اقرت الدعوة الى مؤتمر تحضيري ثان في تشرين الثاني (اكتوبر) ١٩٧١ ، لكن موعد المؤتمر قد أجل ( لسبب ما ) وكونت لجنة دعوة ايطالية ، تقررت القيام بتوجيه الدعوات لحضور اجتماع تحضيري ثان في شباط ( فبراير ) ١٩٧٢ ، لكنه عقد في اذار ( مارس ) وشارك فيه ثمانية مندوبين اسرائيليين هم : اوري افنيري من همولام هزي — قوة جديدة . عوزي بورشتاين واميل حبيبي من الحزب الشيوعي راكاح . زئيف ساديه من « التحالف اليساري » . ناتان يلين مور ، قائد منظمة ليحي سابقا وعضو حركة « السلام والامن » وقد دعي بصفة شخصية . امنون كابليوك عضو في حركة « السلام والامن » وفي حزب مابام ، وقد دعي هو الاخر بصـــفة شخصية . عاموس كينان كاتب مستقل ومعارض لسياسة ضم المناطق ، وفكتور تسيغلمان صحافي معارض لسياسة الضم . ( « شؤون فلسطينية » العدد ١٠ ص ٧٣ ) . الا انه في هذا الاجتماع لم يلتق المندوبون العرب والمندوبون الاسرائيليون وجها لوجه لكنه صدر عن اللجنة التحضيرية بيان أعلنت فيه انها « بموافقة كافة المشتركين تأخذ على عاتقها مهمة الدعوة لمؤتمر العدل والسلام في الشرق الاوسط على ان يعقد المؤتمر في سياق العام الراهن ( ١٩٧٢ ) ويشترك فيه الاسرائيليون والعرب وممثلو الهيئات والاحزاب التي يرتـــأى دعوتها ... » ( المصدر السابق ) .

وفي حين ان عام ١٩٧٢ انتهى دون ان يعقـــد المؤتمر ، فانه عقدت اجتماعات عديدة للجنـــة

التحضيرية كانت في كل مرة تؤجل موعد انعقاد المؤتمر حتى في الاجتماع الاخير للجنة ، في مطلع ايار ( مايو ) الماضي ، ارتفعت اصوات مطالبة بتأجيل جديد ، الا ان « ضغطا اسرائيليا عربيا مشتركا فقط ، وانذاريا تقريبا نجح في اعطاء الدفعة الحاسمة للمبادرة » . ( هعولام هزي ١٩٧٣/٥/١٦ ) .

في هذه الاثناء تشكلت في اسرائيل « اللجنة العامة الاسرائيلية للمؤتمر » ، وضمت اكثر من ٥٠ عضوا ممن وقعوا على بيان نصه :

« ● ان اللجنة الاسرائيلية ستعمل من اجل سلام مستقر وعادل ، ومن اجل الاعتراف باستقلال وسلامة اراضي دولة اسرائيل والدول العربية ، والاعتراف بالحقوق القومية للشعب الفلسطيني ومن ضمنها حقه في تقرير مصيره .

● ان اللجنة الاسرائيلية ستعمل من اجل تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ بجميع بنوده ، بما في ذلك الانسحاب الاسرائيلي من الاراضي التي احتلت في حرب حزيران ١٩٦٧ ، في اطار اتفاقية سلام تضمن الحدود الآمنة والمعترف بها بين دولة اسرائيل والدول العربية .

● ان اللجنة الاسرائيلية تعارض سياسة حكومة اسرائيل المتمثلة في الاستيطان بالضم ، الاستيطان وخلق حقائق منتهية في الاراضي المحتلة ، هذه السياسات التي تتعارض مع مصالح شعب اسرائيل » .

وكان من بين موقعي هذا البيان ممثلون عن الحزب الشيوعي — راكاح — وحركة هعولام هزي — حركة جديدة ، وتحالف اليسار ، وسياح ( اليسار الاسرائيلي الجديد ) ، وغيرهم بالاضافة الى عدد من الشخصيات اليسارية المعروفة ، واثنان من قادة المعارضة في الحزب الشيوعي — ماكي — هما عضوا اللجنة المركزية للحزب استر فيلنسكا واليعيزر فيلر . ومن بين هؤلاء تم اختيار اعضاء الوفد الاسرائيلي الستة وهم : عضو الكنيست توفيق طوبي — راكاح — وعوزي بورشتاين الناطق الرسمي باسم راكاح ، وعضو الكنيست اوري افنيري ، وزئيف ساديه ونتان يلين مور وكذلك يوسي اميتي من زعماء « سياح ». ( يديعوت احرونوت ١٩٧٣/٥/٤ ) .

« ولم يوقع ممثلون رسميون عن الحزب الشيوعي — ماكي — ( الجناح اليهودي ) على البيان ، ولم يشارك في الوفد لان الحزب ، كما قال سكرتير لجنته المركزية يأير تسبان « لا يستطيع ان يوقع على بيان يتحدث عن انسحاب من جميع الاراضي التي احتلت في حرب حزيران ١٩٦٧ » . ولم يشارك في اللجنة وفي الوفد مندوبون عن « الديمقراطيين الاسرائيليين — الفهود السود » الذين يتزعمهم عضو الكنيست شالوم كوهين ( مستقل وسابقا عضو « هعولام هزي — قوة جديدة ) » لاننا — كما قال شالوم كوهين — فور توحدنا ( توحد حركته مع الفهود السود ) « أعلنا باننا لا نرى انفسنا تابعين لمعسكر اليسار في الدولة » . ( المصدر السابق ) .

اما عن الجانب العربي فقد حضر المؤتمر « من مصر خالد محيي الدين ، وحسين فهمي محرر صحيفة الاخبار ، وفوزي العمدة عضو اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربي ورئيس لجنة الشؤون العربية في مجلس الامة . ومن سوريا محمد الريماوي عضو حزب البعث ومراد القوتلي عضو الحزب الشيوعي . ومن العراق الوزير عزيز شريف ، ودارا توفيق عضو المكتب السياسي للحزب الديموقراطي الكردستاني وعزيز جاسم عضو حزب البعث والسيدة بشرى برطو مندوبة الحزب الشيوعي . ومن الاردن الدكتور يعقوب زيادين ونعيم الاشهب عن الحزب الشيوعي » ( معاريف ١٩٧٣/٥/١٣ ) .

« ... ثم وفود من اليمن والمغرب ، وذلك بخلاف العديد من العرب الذين اشتركوا ضمن وفود التنظيمات العالمية . اما الوفد الفلسطيني والوفد اللبناني فلم يتمكنا من الحضور بسبب احداث لبنان المؤسفة ، التي ادت الى اغلاق ميناء بيروت الجوي » . ( الاهرام ١٩٧٣/٥/٢١ ) . وما لم تقله « الاهرام » قالته « معاريف » ( ١٩٧٣/٥/١٣ ) ، الاسرائيلية ، وهو ان الوفد الفلسطيني هو وفد « لجنة السلام الفلسطينية ». كل ذلك يمكن اعتباره تاريخ الاعداد للمؤتمر والعضوية فيه ، نصل بعد استعراضه الى استعراض اهداف المؤتمر .

ليس هناك شيء محدد تماما يمكن الاشارة اليه على انه اهداف المؤتمر . ذلك لانه — مثل كل ما عداه من مؤتمرات — ضم وفودا عديدة لكل واحد منها تقريبا هدفه الخاص ، بل احيانا لكل عضو

في الوفد الواحد اهداف خاصة . لكن اكثر ما يعنينا هو ما ذكره الجانب العربي على انه أهدافه ، وما اعتبره الوفد الاسرائيلي هدفا له . يقول محيي الدين في مقال كتبه في جريدة «الاهرام» ( ١٩٧٣/٥/٢١ ) تحت عنوان مؤتمر بولونيا للعدل والسلام في الشرق الاوسط ، خطوة ثالثة ... لدعم التأييد العالمي للحق العربي » ، يقول : « وعند البحث عن الخطوة التالية ، اوضح اصدقاؤنا الاوروبيون ان تكرار عقد مؤتمر آخر يضم المتضامنين مع العرب لم يعد له جدوى بعد ان تبلورت النواة المؤيدة للحق العربي ، ولهذا لا بد من ان نصل الى اقناع القوى العديدة من الرأي العام العالمي التي لم تقتنع بعد بهذا الحق ... سواء كانت هذه القوى في اوروبا او اميركا او آسيا او في داخل بلد الخصم نفسه . فالاعلام السياسي سيظل دائما محاصرا وضعيف التأثير اذا لم ينجح في التأثير على قوى جديدة ، بل واذا لم ينجح في التأثير على اقسام من الرأي العام داخل بلد الخصم نفسه لخلق قوة ضاغطة لصالح التقدم والتحرر والسلام والامن في الشرق الاوسط » .

ويبدو واضحا من كلمات الاستاذ خالد محيي الدين ليس مدى تواضع اهدافه فقط — قوة ضاغطة — بل مدى « اللطف » في تسمية دولة العدو « بلد الخصم » .

ثم ينتقل محيي الدين من التركيز على هدف المؤتمر الى التوضيح « ... فهو ليس مؤتمرا للمتضامنين مع العرب تضامنا كاملا ، انما هو مؤتمر مفتوح لكل من ينشد السلام والعدل في المنطقة » ، من هنا فانه تم وضع شرط واحد فقط لقبول اشتراك الوفود هو ما يسميه محيي الدين « الاساس السياسي » الذي يتلخص في « ضرورة الجلاء عن كل الاراضي التي احتلت عقب حرب يونيو عام ١٩٦٧ وتنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ وقرار الجمعية العمومية الصادر في نوفمبر سنة ١٩٧٠ وكل القرارات التي تضمن الاستقلال والسلام لجميع شعوب ودول المنطقة ، ثم التطبيق الكامل للحقوق المشروعة لشعب فلسطين » .

وتفسيرا لهذا التمسك الشديد بقرار مجلس الامن يقول محيي الدين « ان مصر لم تقبل قرار مجلس الامن باعتباره الحل الامثل للمشكلة ، ولكن حسب ما جاء في كلمتي ( في مؤتمر بولونيا ) ... لانه الحل الممكن والمقبول وفقا لعلاقات القوى في المنطقة والعالم ، وحتى نجنب الشرق الاوسط ويلات حرب جديدة » .

وفي مقابل هذه الاهداف من المؤتمر التي وضعها السيد محيي الدين ، حدد اوري افنيري اهدافنا مختلفة تماما وجذريا : « لقد اردنا ان ننفذ مهمة مستحيلة هي اصدار وثيقة يقرها جميع المشتركين: اسرائيليون ومصريون ، وسوريون وعراقيون ، وايضا الفلسطينيان اللذان حضرا الى المؤتمر من اوروبا ... كانت مهمتنا ان نصل بالمندوبين الرسميين للحزبين الحاكمين في العراق وسوريا الى التوقيع على القبول بقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، وعلى الاعتراف بحق اسرائيل في الوجود وفي الامن ، بكلمات لا تحمل اكثر من تفسير . لقد كان هذا هو الاساس ». ( هعولام هزي ١٦/ ١٩٧٣/٥ ) .

وفي مقابلة اجرتها اذاعة العدو مع افنيري يوم ١٩٧٣/٥/١١ قال « ان احدى مهامنا الاساسية في المؤتمر هي ان نطلب من الفلسطينيين ان يعلنوا بصورة قاطعة ان حقوق الشعب الفلسطيني لن تكون على حساب وجود اسرائيل واستقلالها . ومن المعلوم ايضا ان الفلسطينيين في منظمة التحرير ليسوا هيئة واحدة ، بل هم ائتلاف بين عدد كبير من القوى ، ابتداء من المتطرفين جدا حتى القوى المعتدلة من النوع الذي نقابله في المناطق المحتفظ بها ... وآمل ان يتوصل الفلسطينيون الى الاستنتاج انه يمكنهم الوصول الى حقوقهم الوطنية ، او على الاقل جزء من حقوقهم الوطنية ، من خلال اتفاق مع اسرائيل . وبهذا نضعف الجناح المقاتل ، الذي يتبع اساليب متطرفة ». (رصد اذاعة اسرائيل ١٩٧٣/٥/١٥).
والسؤال المنطقي هو ما اذا كان اضعاف الجناح المقاتل — وهو الاسم المخفف للثورة الفلسطينية — هو الهدف الاول والاخير ، ان لم يكن للوفد الاسرائيلي ، فعلى الاقل لقسم منه ، من وراء المشاركة في مؤتمر بولونيا .

وكما ذكرنا في مطلع هذا الكلام ، انه صدر عن المؤتمر بيان ، ولم تصدر عنه اية قرارات او توصيات . وقد اعرب السيد محيي الدين عن اعتقاده « انه لنجاح ان يصدر مؤتمر له هذا التركيب نداء الى كل الشعوب يحدد فيه الحل العادل لنزاع الشرق الاوسط في الكلمات التالية :

التنفيذ الكامل لقرارات الامم المتحدة الصادرة في ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٦٧ و٤ نوفمبر ١٩٧٠ والتي تستلزم اول ما تستلزم سحب دولة اسرائيل لقواتها المسلحة من الاراضي العربية التي احتلتها منذ يونيو ١٩٦٧ ، والاعتراف بالحقوق المشروعة لشعب فلسطين ، وحقه في تقرير مصيره ، وكذلك الاعتراف بحق كل الشعوب وكل دول الشرق الاوسط في الوجود والاستقلال والسيادة والامن».

والى جانب هذا الارتياح العربي لنتائج المؤتمر جاء الارتياح الاسرائيلي منطلقا من ان قبول وفد اسرائيلي في مؤتمر خاص بالسلام في الشرق الاوسط ، وجلوس هذا الوفد وجها لوجه مع الوفود العربية ، هو امر يشكل مكسبا بحد ذاته ، وكما قال افنيري « لان الدلالة العملية للاعتراف بقوى سلام في اسرائيل ، هي الاعتراف باسرائيل. ولقاء مع اسرائيليين وجها لوجه هو مقدمة للقاءات اخرى وعلى مستويات اخرى » .

اما الجهات الاسرائيلية الاخرى ، التي لم تشارك في المؤتمر ، فقد كان لبعض منها وجهات نظر مختلفة ، مثل حزب مبام الذي انتقدت افتتاحية الصحيفة الناطقة باسمه « عل همشمار » يوم ١٩٧٣/٥/١١ تشكيل الوفد الاسرائيلي اذ « لا يعقل ان يعقد مؤتمر اسرائيلي عربي يبحث عن السبل « من اجل السلام والعدل » يعين الطرف الآخر، أي العرب، المندوبين الاسرائيليين، وليس هذا فقط ، بل ان هؤلاء المندوبين يقبلون مسبقا بالشروط التي يضعها العرب » ، واعربت صحيفة المبام ايضا عن اعتقادها ان المندوبين هم«اشخاص يمثلون جماعات هامشية في المجتمع الاسرائيلي » وهذه الجماعات هي راكاح ، سياح ، تحالف اليسار وهعولام هزي . وكان افنيري قد قال لمراسل اذاعة العدو ان المندوبين الاسرائيليين يمثلون احزابا حصلت معا على ١٥ ٪ من مجموع الاصوات في الانتخابات البرلمانية ( رصد اذاعة اسرائيل ١٩٧٣/٥/١٥ ) .

اما جريدة « دافار » الناطقة شبه الرسمية بلسان حزب العمل الحاكم ، فقد انتقدت يوم ١٩٧٣/٥/١٤ « عدم ذكر الارهاب العربي » في القرارات التي اصدرها المؤتمر « علما بأن ما صدر عن المؤتمر بيان وليس قرارات » ، واعتقدت « دافار » ان المندوبين الاسرائيليين اقتنعوا اخيرا بالانضمام الى موقعي الوثيقة الختامية « لانها جاءت على ذكرهم كـ « قوى السلام في اسرائيل » والتي يجب تشجيعها » .

وفي اعتقاد مراسلة جريدة هآرتس (١٩٧٣/٥/١٥) « ان مناقشات المؤتمر اتسمت بروح الاعتدال ازاء اسرائيل اكثر من النداء الختامي » .

**احداث لبنان : سبقها الاستعداء ، وتلاها الاستعداء**

عمليات الجيش اللبناني ضد مواقع الفدائيين ، وقصف طيرانه ودباباته ومدفعيته للمخيمات الفلسطينية في لبنان ، قوبلت لدى العدو — وكما هو متوقع — بارتياح شديد عكسته تصريحات مسؤوليه وصحفه ووسائل اعلامه ، التي استمرت في استعداء السلطة اللبنانية على حركة المقاومة طيلة اسبوعي القصف اللذين بدآ في الثاني من ايار ( مايو ) الماضي ، وما تلاهما من ذيول ، ولقد دأبت جميع صحف العدو وتعليقاته على اعتبار الضربة التي وجهت للمقاومة هي نتيجة لضرب القوات الاسرائيلية اهدافا للمقاومة داخل لبنان ، وبشكل خاص للعملية الاجرامية في العاشر من نيسان ( ابريل ) الماضي ضد ثلاثة من قادة الحركة الفلسطينية ، وان ما تشهده الساحات العربية يجيء مصداقا للسياسة الاسرائيلية . وقالت جريدة « دافار » شبه الرسمية في عددها يوم ١٩٧٣/٥/٣ « ان هذه المرحلة من المواجهة بين سلطات لبنان والمخربين ، كان من بين الدوافع لها الغارة التي قام به جيش الدفاع الاسرائيلي ضد قيادات المخربين في العاصمة اللبنانية ، والتي اوضحت للحكم في لبنان ولرؤساء منظمات المخربين ، المخاطر التي يتعرضون لها في حال استمرار النشاط الارهابي من اراضي هذه الدولة » .

اما يغال الون فقد اكد نفس هذا المعنى ، ولكن بنظرة اشمل ، عبر عنها يوم ٧٣/٥/٢٢ في لقاء مع تلامذة احدى المدارس الثانوية في حيفا ، حيث جمع بين اعمال السلطة في لبنان والسلطة في الاردن ، وقال انه « لولا العمليات التي قمنا بها ، فانه من المشكوك فيه ان يتجرأ النظامان في الاردن ولبنان على القيام بالخطوات التي قاما بها . ومن هنا فانني اسمح لنفسي بان ارجع فضل هذه العمليات الى السياسة الاسرائيلية » .

ولدى مقارنة اعمال السلطة في لبنان بمجازر السلطة في الاردن شبه المعلقون الاسرائيليون احداث شهر ايار الماضي ، باحداث شهر حزيران

١٩٧٠ في الاردن حيث « ان فرنجية قد فكر بمعايير حزيران ١٩٧٠ ( تاريخ المعركة ضد قواعد الفدائيين في عمان ) ولم تكن وجهته نحو ايلول ١٩٧٠ . وهو يعرف انه ليس تحت تصرفه جيش على غرار الجيش الاردني ، ولا يشكل الملك حسين مثلا له » ، ومن هنا فانه « يتحدث عن تحول المخربين الى « جيش احتلال » ، لكنه يعمل من اجل الغاء علامات « الاحتلال » ، والظواهر المرافقة له ، وليس من اجل الغاء « الجيش » ذاته » . ( اهود يعاري ، دافار ٧٣/٥/٩ ) .

ومع كل يوم من ايام الصدام ، كان يتطور الموقف الاسرائيلي ، والتعليقات الاسرائيلية ، لكي تتلائم الكلمات مع ما يحدث « على الطبيعة » . ويمكن تقسيم تطور الموقف الاسرائيلي الى المراحل التالية :

١ — مرحلة الشرح والتفسير .
٢ — مرحلة الاستعداء والتشجيع .
٣ — مرحلة التهديد والتضايق .
٤ — مرحلة الاستعداء من جديد .

في أولى هذه المراحل كان التركيز الإسرائيلي منصبا على التعرف على اهداف السلطة اللبنانية ، وعلى ملاحظة الجديد في هذه المرحلة. وقد لخص البروفسور موشي ماعوز رئيس المعهد الافرو — اسيوي في الجامعة العبرية في القدس اهداف السلطة بأنها « كبح جماح نشاط المخربين وتقليصه الى الحد الادنى الممكن ، هذا اذا لم تكن ترمي الى تصفيته نهائيا . وفي هذه السياسة امر جديد ، خاصة وان المبادرة حتى الان في لبنان كانت في ايدي المخربين اما الحكومة فقد كانت ، في معظم الاحيان ، تبادر للعمل تحت ضغط الاحداث ، او نتيجة للتهديدات الاسرائيلية. وكان الجيش اللبناني حتى الان يعمل باسلوب شبيه بعمل فرق الاطفاء اكثر من عمله كجيش لدولة ذات سيادة » . ( رصد اذاعة اسرائيل ١٩٧٣/٥/٧ ) .

وفي تفسير دوافع فرض حالة الطوارىء في لبنان، قال المعلق الاسرائيلي دوف ينون يوم ٧٣/٥/٨ « ... واعلنت حالة الطوارىء ، التي تعطي للجيش في لبنان ، لاول مرة ، فرصة لاستغلال بضعة ايام في محاولة لفرض النظام . اما بدون فرض حالة الطوارىء فان جميع الاحزاب وجميع الاجنحة القومية والاسلامية تقيد ايدي الحكومة ».

( رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٥/١٥ ) .

ثم جاءت ، متداخلة مع سابقتها ، مرحلة استعداء السلطة في لبنان وتشجيعها ضد المقاومة ، وكانت ابرز علامات هذه المرحلة :

١ — قال يهو شواع حلميش العنصري الاسرائيلي المعروف ومراسل جريدة « يديعوت احرونوت » للشؤون العربية في عدد الجريدة يوم ٧٣/٥/٤ : « انه يمكن للهدوء ان يعود الى الدولة ( لبنان ) فقط حين تتمسك السلطات بكامل حقوق السيادة في بلادها ، وتضع حدا لنشاط المخربين الفلسطينيين من داخلها ... » .

٢ — وقال موشي كارمل عضو لجنة الخارجية والامن في الكنيست في مقابلة اذاعية يوم ٥/١٢/ ٧٣ : « ... واخشى جدا ان تتوقف حكومة لبنان في منتصف العمل ، وتكتفي بنصف الجهود ، وهذا الوضع الذي شاهدناه في الاعوام الاخيرة ، حيث جعلت منظمات المخربين بيروت مكانا ومركزا لتجمعها ، تقوم منها بالتخطيط والاعداد للعمليات ضد اسرائيل ، وضد اهداف اسرائيلية في الخارج ، وهذا الوضع لن ينتهي نتيجة للنشاط الذي قام به جيش لبنان ، ولا نتيجة للاتفاقية . والعبرة الاولى من التطورات الاخيرة في لبنان ، هي ان المسؤولية التي نلقيها على الدول العربية المحيطة بنا ، بأن تضمن الهدوء على الحدود وخلف الحدود ، بدأت تعطي بعض الثمار ، ومن الواضح ان حكومة لبنان لم تكن ملزمة بهذا النشاط لولا اننا قمنا بالقاء المسؤولية عليها ، ولولا اننا قمنا بالاثبات لها ، انها اذا لم تقم بذلك العمل ، لاسكات المنطقة القريبة منا فسوف نقوم بهذا العمل بانفسنا » . ( رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٥/١٥ ) .

ومع التوصل الى الصيغة التي اوقف القصف بموجبها ، ازداد تضايق الاسرائيليين ، وكان افضل من عبر عن هذا التضايق حاييم تسادوك عضو الكنيست ، ورئيس لجنة الخارجية والامن فيها ، الذي قال يوم ٧٣/٥/١٨ : « اننا في حربنا ضد المخربين سنستمر حتى النهاية ، وطالما انه سيكون هناك نشاطات ضدنا من جانب المخربين مصدرها لبنان ، فاننا نعتبر انفسنا ملزمين بالعمل ضد المخربين ، حتى لو ادى ذلك الى الحاق الضرر بلبنان » . ( رصد اذاعة اسرائيل ٥/١٩/ ٧٣ ) .

وبعد تسادوك جاءت « جوقة » الصحف ، التي رأت في الاتفاقيـة التي تم التوصل اليها امـرا ازعجها ، فعادت اسطوانة التهديدات من جديد. واعتقدت صحيفة هـآرتس ( ٧٣/٥/٢١ ) « ان السماح للمخـربين بالنشاط ضـد اسرائيل مـن الاراضي اللبنانية ، يضع الاتفاقية موضع الشك، لانه ينبغي على سلطات لبنان ان تدرك انها لـن تحظى بالهدوء في عقر دارها ، ما دام عدم الهدوء على الحدود الاسرائيلية قائما » . والاتفاقية في نظر جريدة « عل همشمار » الناطقة بلسان حزب مبام ( ٧٣/٥/٢١ ) « ليست كافية بالنسبة للجيش اللبناني » ، اما جريدة « هتسوفيه » الناطقـة بلسان الحزب الوطني المتدين فقد اعربت عـن اعتقادها في عددها يوم ٧٣/٥/٢١ « انه يحتمل ان تقضي الاتفاقية على الوضع الشاذ الذي ساد لبنان ، ولكنها لا تحل مشكلة النشاط التخريبي من الاراضي اللبنانية » وعليه « فان اسرائيـل سترد بشدة على اي نشاط كهذا ، وستتحمـل بيروت المسؤولية » .

اما عن ردود الفعل على عمليات القصف في لبنان، داخـل الاراضي العربية المحتلة ، فقد ذكـرت جريدة « دافار » ( ٧٣/٥/٣ ) انها ــ اي ردود الفعل ــ كانـت في غزة خليـط من « اللامبالاة واليأس والغضب » وكانت في الضفة الغربية ــ وفي نابلس بشكل خـاص ــ اكثر حدة ، حيـث « اجتمع زعماء نابلس في مبنى البلدية ، وارسلوا بيانا يطالبون الزعمـاء العرب فيه بوضع حـد للمؤامرات ضد الشعب الفلسطيني » .

ويظل اكثر ما يعبر عن حقيقة مشاعر الاسرائيليين ازاء احداث لبنان ، وما وصلت اليه من نتائج ، ذلك التساؤل الذي طرحه مراسل اذاعة العـدو حول ما اذا كان بالامكان « ان يخوض طرف اخر حرب اسرائيل ــ ضد الفدائيين ــ نيابة عنها » .

● وفيما يلي تسجيل لاهم ما شهدته الساحـة الاسرائيلية من احداث خلال شهر ايار ( مايـو ) الماضي .

**اقتصاد**

* افتتح في القدس ، في السابع والعشرين من شهر ايار ( مايو ) الماضي مؤتمر «الالف مليونير»، وكان بذلك المؤتمر الثالث لاصحاب رؤوس الاموال. حيث عقد المؤتمـر الاول في الاول من نيسـان ( ابريل ) ١٩٦٨ ، والثاني في الخامس والعشرين من حزيران ( يونيو ) ١٩٦٩ .

وحـول ما تريده اسرائيـل من هذه المؤتمـرات الاقتصادية ، ومن المؤتمر الثالث الاخيـر ، قال بنحاس سابير وزير مالية العدو ان ما يريده مـن هذا المؤتمر هو « اولا المزيد من العطف علـى القطاع الاقتصادي الاسرائيلي ، وثانيا المزيد من الخبرة ، وثالثا المزيد من الاستثمارات والمبادرين. ولا تستغرب ان يكون المال هو مطلبي الاخيـر ». ( رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٥/٢٤ ) .

**هجرة**

قال يغال الون في فينا يوم ١٩٧٣/٥/١٩ ، لدى استقباله مجموعة من المهاجرين اليهود السوفيات الذين وصلوا الى فينا بالقطار : « ان اسرائيل لن تهدأ حتى يهاجر اليها آخر يهودي » .

وقال حاييم فنكلشتاين عضو الادارة الصهيونية في ندوة صحافية في القدس يوم ١٩٧٣/٥/١٨ « ان جاليات يهودية صغيرة عديدة قد فقدت في كل من الولايات المتحدة واميركا الجنوبية وغيرها مـن البلدان نتيجة الاندماج والزواج المختلط ونقص الثقافة اليهودية ، وان نسبة الزيجات المختلطة في بلدان الشتات تتراوح ما بين ٣٠ ــ ٦٠ ٪ ، وان ٨٠ ٪ من المولودين نتيجة هذه الزيجات يظلون غير يهود » ( رصد اذاعة اسرائيـل ١٩٧٣/٥/٢١ ) .

اما البروفسور يغال يدين ، ثاني رئيس اركان عامة لجيش الاحتلال فقد اعرب عن اعتقاده في مقابلة نشرتها « معاريف » في عدد يوم «الاستقلال» « ان حرب استقلالنا لم تنته وان دولة اسرائيل لم تقم بعد » ، وفسر كلامه بأنه ما لم يصبح في اسرائيل اكثر من نصف يهود العالم ، فان دولة اسرائيل تكون ما قامت بعد .

**عرب الارض المحتلة**

كشف بحث اجرته جامعة حيفا عن افراد الطائفة الدرزية في الارض المحتلة « ان ثلثي افراد الطائفة غير راضين عن زعامتها ويأملون باجراء تغييـر ، وقال حوالي ٨٠ ٪ من الذين اجريت معهم المقابلة في البحث ان هناك فارقا بين افكارهم وافكار شيوخ الطائفة » . كذلك كشف البحث عن ان الطائفة الدرزية هي اكثر طائفة فتية في اسرائيل حيث ان « ٨٦ ٪ من افرادها هم دون الرابعة

والاربعين من عمرهم » . ( رصد اذاعة اسرائيل ٢١/٥/١٩٧٣ ) .

واذا اخذنا في الاعتبار ان قرار الزام الشباب الدروز بالخدمة في جيش الاحتلال ، قد صدر في حينه عن طبقة الشيوخ المرفوضة التي يتحدث عنها البحث ، تبدو واضحة أهمية الحقيقة التي كشفها ، ومدى احتمال تأثيرها وقدرتهـا على افشال سياسة اسرائيل في دق اسفين بين الطائفة الدرزية والطوائف العربية الاخرى في الارض المحتلة .

**عماد شقور**

## (٦) ثقافـــة

# لم يتغير شيء كثير

لم تكن هزيمة حزيران مجرد نقطـــة تحول على مستوى الواقع السياسي العربي الراهن . بل حملت معها قدرة على رسم اكثر من لوحة على خريطة الحركة الثقافيـــة العربية المعـــاصرة . والاستمرار الظاهري في حياتنا الثقافية ، ليس في الواقع سوى علامة من علامات الازمة . فالثقافة العربية لم تستطع الى الان استيعاب الهزيمـــة ليس لعجز فيها فقط ، بل لان دورة الهزيمة لا تزال ترسم خطوطها . وفي ظل هذه العملية انتسابت الحركة الثقافية العديد من التيارات . فمن جهة ظهر من الشعر الفلسطيني القادم مـــن الارض المحتلة ، الذي استطاع ان يشحن الحياة العربية بصوت الصمود الممتزج بشهوة عارمة الى الارض. كما ارتفع في المقابل صوت نزار قباني حاملا بيده سوطا داميا ، محاولا ان يجلد الحياة العربية وهو جالس على حافتها معريا اياها دون ان يتعرى في داخلها . وحاول ادونيس عبر قصيدتين « هذا هو أسمي » و« ملوك الطوائف » ان يكتب وثيقة انسانية شاملة هي بحجم الشهادة ، ويدخل الحياة العربية دخولا مأساويا استطاع فيـــه ان يكون شاهدا حقيقيا دون ان يمد جسرا يعبره الى داخل البحر .

هذه النمذجة السريعة لاهم تيارات الحركة الشعرية بعد حزيران ليست بالطبع شاملة . لكنها تحاول ان ترسم ملامح مرحلة تميـزت على المستـــوى الشعري بالاستمرار ولو اخذ الاستمرار لنفسه مجاري جديدة . فالرومانسية الثورية التي طبعت الستينات استمرت على يد الشعر الفلسطيني وان اخذت شكلا جـــديدا وامتلأت برائحة الصمـــود الدموي . والجلوس على حافة الحياة العربية في محاولة لالتقاط اللحظة دون المساس بالجـــذور بقي مستمرا في شعر قباني وان اتخذ لنفسه بعد الاشهر الاولى من الهزيمة مسارا مختلفا . وتابع ادونيس في شعره البحث عـــن علاقة الاشياء ببعضـها ، متوغلا في تجربته التي يدخل فيها رحم العلاقة بين اللغة والابداع . وشعره بعد حزيران

هو استمرار لهذا المشروع الشعري ، عبر نزوح متوتر الى التاريخ ولكن من بلب المثقف الذي لا يجد موطئا ثابتا لقدميه . لذلك فهو يقتحم ولا يدخل .

اما القصة والرواية ، فانها هي الاخرى حافظت على استمرارها ولو بشكل لا واقعي كما عند نجيب محفوظ ، او بمحاولة للتجاوز عبر علاقة اللغة بالواقع . وحين يتابع محفوظ واقعيته في روايته الجديدة « حب تحت المطر » فانه يعود الى الواقع المتكلس ليكشف في احشائه عن حركته الى الامام .

في الذكرى السادسة للهزيمة ، لا توجد علامات تدل على تغييرات اساسية في هذه الخريطة . ولقد حاول نزار قباني في قصيدته الجديدة « جريمة شرف امام المحاكم العربية » — الاسبوع العربي — ٤ حزيران ٧٣ — ان يعيد طرح الموضوع عبر معاناته للهزيمة ، ولجريمة فردان. لكن صوته وان اكتسب حرارة المعاناة الداخلية فانه لا يزال يفتقد العمود الفقري الذي يحول معاناته الى اندراج في حركة واقعية . فبقي شاهدا على الازمة وان حاول ان يدخل هذه المرة عبر لغته الشعرية الى دائرتها :

« .. وفقدت يا وطني البكارة
لم يكترث احد ..
وسجلت الجريمة ضد مجهول . وارخيت
الستارة . »

● حاولت ثلاث مجلات ثقافية تصدر في بيروت ان تعيد تقييم موضوع هزيمة حزيران ، او على الاقل ان تعيد طرح الاسئلة .

١ — تحاول مجلة « الثقافة العربية » — نيسان ٧٣ — ان تطرح الموضوع من زاوية فكرية . فأمام موضوع « الانسان العربي بين تراثه وثقافة الاستعمار » حاول كميل حوا واحسان عباس وانور عبد الملك وصادق العظم ومعن زيادة ومنح الصلح ووليد خدوري والهادي العلوي ان يرسموا لوحة متكاملة تقوم بعملية اعادة تقييم عامة للواقع الثقافي العربي بعد الهزيمة . فكميل حوا يحاول في مقاله « نقطة الانطلاق » ان يطرح مسألتين هامتين : ١ — بيروت وثقافة الاستعمار ، ٢ — سلبيات اعلام المقاومة . لكنه في المسألة الاولى وبعد ان يحلل دور بيروت الثقافي كوسيط من درجة منخفضة ويرسم دورها التخريبي ثقافيا في الوطن العربي ، لم يستطع ان يرسم العلاقة بين البنى ، بمعنى انه لم يضع العلاقة الاستعمارية ضمن القاعدة التي يقف عليها دور الوساطة الذي تقوم به بيروت . كما انه في طرحه للمسألة الثانية ضخم كثيرا دور الاعلام في مسار حركة المقاومة رغم انه كشف العديد من السلبيات الهامة التي يعيشها اعلام المقاومة . اما احسان عباس فانه في بحثه « العربي الجديد وتراثه القديم » حاول ان يضع مسألة العلاقة بالتراث في موضعها الحقيقي . اي ان نأخذ من التراث ايجابياته لحياتنا الحاضرة . غير ان الطابع الاكاديمي لبحثه جعله يضع عبء عادة النظر في التراث على الجامعات دون ان يربط هذه القضية بالعملية الثورية التي لا يمكن ان يعاد تقييم التراث تقييما صحيحا خارجها . وفي المقابلة التي اجرتها المجلة مع صادق العظم تحت عنوان « حول ثقافة الاستعمار وثقافة التخلف » ، يضع العظم المسألة في موضعها المبدئي الصحيح « اما الاصالة بالنسبة الي فهي بكل بساطة الانتماء في النهاية الى الوقت الحاضر والى المصالح الملحة والجذرية للجماهير وللقضايا الوطنية » . لكن العظم وبعد ان يضع يده على الكثير من النقاط الاساسية خاصة قضية العلاقة بين ثقافة الاستعمار والطبقات السائدة في المجتمع العربي ، لم يطرح تقييما فعليا للتراث الثقافي العربي وللعلاقة التي تشدنا اليه . وعند بحث موضوعة « الهزائم العسكرية والطريق الى الغربنة » يحاول معن زيادة ان يعيد قراءة تاريخ الغربنة في الحياة العربية من خلال الهزائم العسكرية التي مني بها المسلمون على يد الغرب . وهو هنا يعيد طرح السؤال الذي طرحه عبدالله العروي في كتابه « الايديولوجية العربية المعاصرة » . لكن زيادة يبقي الموضوع في اطار ثلاثة اسئلة جذرية : « ١ — القومية لم تحل ازمتها مع الدين والتراث بعد ، وما زال امامها مهمة كبرى . ٢ — المسلمون والعرب لم يأخذوا من الغرب من موقع قوة بل من موقع ضعف وسيظل هذا الاخذ تقليدا الى ان يتمكنوا من الاخذ من موقع الند للند . ٣ — اوجه الشبه بين تطلع المسلمين والعرب الى الغرب بعد التفوق العسكري الغربي وبين الحديث عن التكنولوجيا بعد هزيمة حزيران متعددة وكثيرة الدروس واوسع من ان تعدد في هذه العجالة » . ويطرح انور عبد الملك الموضوع من زاوية اخرى في المقابلة معه بعنوان «نحو استراتيجية حضارية»

واصفا الحضارة العربية ضمن دائرة الحضارة الشرقية عبر محاولته لرسم استراتيجية حضارية تضع ضمن مفاهيمها الاسلام بوصفه جزءا من الايجابية التاريخية . والواقع ان كلام عبد الملك في هذا العدد هو اغنى ما في العدد من البحوث ، لان عبد الملك يطرح المسألة من زاوية التحدي الذي يواجه الامة العربية . وهو وان لم يتطرق الى القوى الاجتماعية التي ستحمل هذا التحدي فانه الح لها في دعوته الى بناء الجبهة الوطنية الشعبية المتحدة . لكن عبد الملك يبقى في المقابل ضمن اطار البحث عن حل جذري دون ان يكشف الية التحدي الصهيوني وانعكاساته على الواقع العربي الراهن . اما منح الصلح فانه يغرق في مقالته « الاسلام وحركة التحرر العربية » في عمومية مفرطة . المقالة لا تقوم بتحليل تاريخي لدور الاسلام ، ولا تستطيع اقناعنا بفرضيات مذهلة في عموميتها كقوله : « ذلك انه بعد الهزيمة خفت قدرة الانظمة على استخدام الاسلام . فالاسلام يدفع بالضرورة باتجاه فلسطين والرجعيات لا تريد التوجه الى فلسطين . لقد ابرزت مرحلة ما بعد الخامس من حزيران كل ايجابيات الاسلام الثورية ، واصبح عدم قدرة الحاكمين على الصدق في الاسلام احد الاضواء الكاشفة لارتباطهم ورجعيتهم » هذا الكلام الذي لا يدعمه اي اثبات سوى اثبات انهيار الباكستان لانها لم تتوجه صوب فلسطين ؟؟ يرسم العديد من علامات الاستفهام . غير ان الهادي العلوي في بحثه « الاسلام ، الدين والتراث » يحاول وبلهجة علمية ان يضع حدا فاصلا بين الدين والتراث منتسبا الى التراث . لكن الطابع السريع لبحثه ابقاه ضمن العموميات . وقد حاول وليد خدوري بعلمية جادة ان يكشف الدور العسكري والتخريبي لمعاهد البحوث الاميركية . يضاف الى هذه الابحاث بحثان جادان الاول لحركة العمل الجامعي عن الارسالية اليسوعية والثاني لمنظمة كفاح الطلبة عن الجامعة الاميركية في بيروت ، حيث يتكشف لنا الدور الاستعماري لهاتين المؤسستين وشبكة العلاقات الاقتصادية والسياسية التي لها علاقة بهما .

يحاول هذا العدد ان يطرح العديد من الاسئلة الجدية . لكن « الثقافة العربية » لا تطرح الاسئلة حول اسئلتها . والواقع ان السؤال الاساسي الذي يخرج به قارىء هذا العدد هو التساؤل لماذا لم تطرح المسألة من خلال العملية الثورية نفسها . وهذا يقتضي دراسة الحركة الثورية العربية من خلال دراستنا للتراث وثقافة الاستعمار . اي ان عزل السؤال عن التحرك الثوري يؤدي الى استنتاجات لا علاقة لها بالواقع . ان تضحية طريقة طرح الاسئلة لم تسمح للعدد ان يبحث عن علاقة البنى الاجتماعية التقليدية بثقافة الاستعمار . اي ان يطرح السؤال من زاوية مختلفة ، حيث توضع البنى الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والايديولوجية تحت المجهر للكشف عن علاقتها بثقافة الاستعمار . والعدد يفتقر من ناحية ثانية الى قضية هامة جدا ، الى دراسة الادب العربي المعاصر من خلال العلاقة بالتراث وثقافة الاستعمار .

٢ — في عددها الممتاز عن القصة العربية القصيرة تطرح مجلة الاداب — نيسان ٧٣ — موضوعة الهزيمة من زاوية مختلفة . فحزيران ينزف من خلال خمسين قصة قصيرة ضمها هذا العدد . والهزيمة تطرح من زوايا عديدة تلتقي عبر ثلاثة جداول رئيسية :

أ — من جهة اولى يبرز منطق الفجيعة التامة التي تحاول الدخول عبر ثنايا الهزيمة الحزيرانية، لتحترق في سبيل الوصول الى مبدأ التحول . ينفذ يوسف ادريس في قصته « البراءة » الى اللحظة التاريخية الراهنة مدينا موقف التفرج على الواقع المهزوم ، واصفا الادانة في نوهة مسدس يحمله الطفل الذي يوجه الرصاص الى والده النظيف والمتفرج . ويحاول حيدر حيدر في قصته الرمزية « الفيضان » ان يرسم عدة خطوط متوازية تؤدي في النهاية الى الموت دون الوصول الى مضارب القبيلة التي تستطيع ان تنتصر . والاشكالية التي تطرحها هذه القصة هي اشكالية الرمز الكبير — مشكلة الوجود — التي يضعها الكاتب في النهاية امام خاتمة مرتجلة في سرعتها . ويرسم يحيى حقي في قصته « امرأة مسكينة » اطار علاقة الموت وعلاقة الصعود البرجوازي الصغير ضمن اجواء حزيران التي ترشح عرقا وموتا . وينقلنا اديب نحوي في قصته « حفلة نهاية السنة » الى مقطع درامي متصل الانفاس يرسم قضية الشعب الفلسطيني الذي يذبح تحت الاعلام العربية . اما فؤاد التكرلي فانه يرسم لنا في قصته « التنور » صورة فنية بالغة الدلالة تدخل عميقا في احشاء العلاقات الاجتماعية العربية

وتحاول ان ترسمها عبر مجموعة متماسكة من الإطارات الفنية .

ب — من جهة ثانية — تأتي الرؤيا الرومانسية في قصص احمد سويدي وليلى عسيران وجورج شامي ورشاد ابو شادر وجبرا ابراهيم جبرا . غير أن هذه الرؤيا تتلون بلون محكم البناء كما في قصة ابراهيم ابو نـاب « اشواق الى الابتسام » . وتأخذ اطارا شديد التوتر في قصة يوسف شرور « حين يذوب الليل » رغم المباشرة التي تلغي الكثير من توتر ابعاد القصة . والفدائي الحاضر في قصص ليلى عسيران واحمد سويد هو غير الفدائي الحاضر في قصة رشاد ابو شادر او قصة علي زين العابديـن الحسيني . عند عسيران وسويد يخرج الفدائي ملوثا ببيروت وبرجوازيتها ، ورغم ان خروجه هو محاولة للتمرد علـى قيم بيروت غير انها تلوثه وتخرجه من احشائها . اما عند ابو شادر والحسيني فهناك محاولة للوصول الى الادب الشعبي من خلال التراث والممارسة . لكن هذا الوصول يصطدم بضيق النفس وبالسرعة التي لا تضبطها ضوابط حقيقية .

ج — من جهة ثالثة تأتـي القصص العراقية في غالبيتها الساحقـة لترسم لنا اطارات واقعيـة تلتصق بواقع الحياة في الريف . هذه الصـور الواقعية مليئة بالقتامة والسواد . غير انها تنقل من خلال حياة الناس اليومية الكثير من المشاكـل الاجتماعية . وضمن هذا السـياق تحاول غـادة السمان في قصتها « الساعتان والعذاب » ان تقنعنا بواقعيتها . فهي تلتقط مشكلة اجتماعية بعين امرأة مزدوجة الشخصية وتحاول ان تسقط ذاتها على الواقع . فتأتي قصتهـا شديدة الانفعـال وتفتقد الى الحرارة التي تأتي من الصدق الفني . خارج هذه الجداول الثلاثة ، تأتي قصة زكريا تامر « الاعداء » لتصيغ توقيعات بالغة الدلالة عـن الهزيمة . فاذا بالواقع العربي يستحيل على يدي تامر الى مجموعة من المواقف العارية الساخرة . يصل فيها الى المأساة ولا يبقى خارجها . فتامـر يـدين الواقـع العربي ايديولوجيا واجتماعيـا وسياسيـا ، لكنه يبقي الاطفـال حاملين امـل المستقبل . استطاع زكريا تامر وحده من ضمـن هذه المجموعة الكبيرة من القصص ان يدخل الى حزيران دون ان يخاف على ثيابه من الاحتراق . والملاحظ خلو العدد من القصص اللبنانية الجيدة فيما عدا قصة سهيل ادريس التي تعرف التقنية الفنية جيدا وان كانت تنتسب الى جيل سـابق . ومحاولة يوسف حبشي الاشقر تصوير الاشيـاء الصغيرة واليومية .

ان عدد « الاداب » يطرح موضوع قدرة الادب على مراجعة الواقع العربي فيما هو يراجع نفسه تحت مظلة حزيران .

اما مجلة « مواقـف » فانها في عددهـا المزدوج ٢٤/٢٥ المخصص للشعر تطرح الموضوع من زاوية جديدة . يطـرح ادونيس في مقدمة هذا العـدد « عشر نقـاط لفهم الشعـر العربي الجديد » . فالشعر العربي الجديد : « تجريبي في طرائقه ، هجومي في دلالاته » . « والشاعر الجديد ، انما هو بالضرورة ، في صف المسحوقين ، المشردين ، الجائعين ، في صف العمال والفلاحين » . وهـو يرجع ظاهرة بروز شعر طليعي في مجتمع متخلف الى التفاوت في التطور بين البنية الفوقية والبنية التحتية . ثم ينتقل الى وظيفة اللغـة التي هي « جوهريا الابداع لا الايصال » واللغة ليسـت طبقية . « واذا كانت اللغة غير طبقية فان الشعر بالتالي ليس طبقيا . الطبقـة مفهوم من طبيعـة اقتصادية . اما الشعر ، وان تأثر بالاقتصـاد فهو من طبيعة غير اقتصادية . هذا يعني انـه لا يمكن ان يكون الشعـر برجوازيا ولا رأسماليـا ولا بروليتاريا ، كذلـك لا يمكن ان تكون اللغـة برجوازية او رأسمالية او بروليتارية » . ثم يبسط ادونيس هذه المفاهيم عمليا ، فاذا بها تؤدي الى شعر طليعي تجاوزي . « فاعلية الشعر من طبيعة تخالف فاعلية العيد ، العيد احتفال يخرج الانسان مما هو خاص ويدخله فيما هو عام . العيد اولا جماعة . اما الشعر فهو اولا فرد » . ويضـم العدد٣١ قصيدة لشعراء شباب كما يضم دراستين هامتين الاولى لاندريه بريتون بعنوان « الشعـر والسياسة » والثانية لريفردي ، بريتون ، وبونج بعنوان « امثولة ابادة القيم فور اكتشافهـا » . يطرح عدد « مواقف » الازمة دون لف او دوران. فمعظم القصائد تتميز بالتجريبية الاصيلة التـي تحاول ان تكتشـف مكان الدخول . اما بيـان ادونيس الشعري فانـه يحمل جميع مؤشـرات الازمة . ازمة عدم القدرة على الانتماء الىالواقع الفعلي ، والبقاء بالتالي خارج مجاريه الرئيسية. هذا البقاء بحاجة الى ان ينظر نفسه ، وان يحاول البحث عن جوهر ميتافيزيكي ثابت للشعر .فالشعر عند ادونيس هو وجود لا يربطه بالواقع سوى خيط

سريع العطب . وبالتالي فالثورية تأتي من هذا الجوهر الثابت ، ولا علاقة لها بالممارسة السياسية الثورية او بدخول الطبقات المسحوقة ميدان الممارسة التاريخية المباشرة . من هنا يضع حدا بين الايصال والابداع دون ان يكتشف علاقة الايصال بالابداع وتداخلهما ، ولا يبحث عن منهجية ثورية لقراءة الشعر ودراسته . ان الخلاف مع ادونيس هو خلاف منهجي في اساسه . الانتقائية التي نرى بصماتها على معظم مؤلفاته النثرية ومحاولة تبرير الذات موضوعيا ، في وقت هو فيه اقل الشعراء حاجة الى التبرير الموضوعي ، تجعل من الشعر كائنا علويا هابطا علينا من سماء بعيدة . ان الازمة التي تعيشها الحركة الثورية العربية حرية ان تدفعنا الى البحث عن المخارج لا الى نسج صدفة جديدة ولو باسم تدسية الفن. ان اي عزل للتجريبية التي يخوضها الشعراء الشباب عن الممارسة السياسية للجماهير المسحوقة يؤدي حتما الى افراغ التجربة الشعرية من مضمونها الثوري .

● يلجأ حمد عبد المعطي حجازي في ديوانه الجديد « مدينة العمر الجميل » الىٰ المرأة ليصور واقع الحياة العربية امام الهجمة الصهيونية . وكما ينتظر القاسم في نهاية مراثيه الميلاد ، فان حجازي يرى الميلاد على جبين الفدائي الفلسطيني . في ديوان حجازي الاخير يأخذ الشعر رصانته وشكله على أرض ثابتة . فلا مجال هنا للعبة لغوية او للعبة تشكيلية . حجازي يدخل كلاسيك الشعر العربي المعاصر في باب الحزن والفجيعة . يأتي حزيران اليه على كفن العمر الجميل الذي يرثيه. فاذا بالرثاء يتحول الى عملية نقد ذاتي فيها الكثير من الام جيل كامل من المثقفين في مصر ، الذين فاجأتهم الهزيمة ونقلتهم هذه المفاجأة الى المفاجأة بأنفسهم حيث العجز الكامل يمتزج بظاهرتين :

١ — الارتباط العميق بالارض والشعب . ويأخذ هذا الارتباط علاقة متوترة بالتراث ، بالمدن القديمة غرناطة وانطاكية . واستلهام للبساطة الشعبية الحية .

٢ — البحث ضمن علاقة الذات بالواقع عن ارض تستطيع ان تحمل الحركة المتصاعدة التي نشأت بعد الهزيمة ، فاذا كانت الفجيعة بالماضي هي المدخل ، فان الرؤية التراجيدية للمستقبل هي مدخل جديد . في ديوان حجازي مدخلان . انه استمرار ميزته الصدق . وهذا ما يجعله ديوانا بحجم الشهادة .

« انا لا !

لم اكن شاهدا ابدا

انني قاتل او قتيل

مت عشرين موتا

واهلكت عشرين عمرا

وآخيت روح الفصول »

● اما صلاح عبد الصبور ، فانه في مسرحيته الشعرية الجديدة « بعد ان يموت الملك » يرسم صورة شاملة لمصر بعد الهزيمة . فالمسرحية هي رؤيا لبقاء مصر الدائم رغم المحن ، ولقدرتها على تجاوز جميع المصاعب . وعبد الصبور يلجأ في سبيل الافصاح عن فكرته الى اسلوب تمتزج فيه السخرية بالحزن . تدور الحركة الداخلية في المسرحية حول عدة رموز ، لكنها حركة بطيئة . انها ديكور خارجي للموقف الشعري . وتتمحور الرؤيا من خلال شبكة علاقات شبه شاملة . خياط ، قاض ، ملك ، شاعر ، مؤرخ ، ملكة وجلاد . غير ان الحركة تبقى مثلثة الاطراف : الملكة ( الارض ) الشاعر ( الرؤيا ) النهر (البقاء الازلي ) هذه الحركة المثلثة مغلقة وان كانت غنية بالفواصل ، لانها تحاول ان تمسك باللحظة التاريخية فلا تمسك سوى بأحد اطرافها . انها ادب حزيراني ( انتقادي اذا شئنا ) لكنها تبقى ضمن خط الادب الحزيراني الغالب ، الذي يتمحور بين طرفي الامل الرومانسي واليأس ، لكن لا علاقة لعبد الصبور بالامل الرومانسي . ان امله تاريخي متجذر في مصر التي لا تهزم . تتميز هذه المسرحية بثلاث ميزات هامة :

١ — الحركة المسرحية ( النثر ) التي تلعب دور المسمار في ربط العمل المسرحي البطيء ، وفي ارساء قاعدته .

٢ — رصانة عبد الصبور وصوته الشعري الهادىء .

٣ — اللجوء الى الامل الحضاري الذي تمثله مصر . والذي يحمل بذور انقاذها .

● في روايته الجديدة « طواحين بيروت » يعود توفيق يوسف عواد الى الرواية بعد انقطاعطويل.

يعود اليها حاملا كلاسيكيته المتقنة وارادة لكتابة رواية « لبنانية » تؤرخ للمرحلة الوطنية التي بدأت مع دخول المقاومة لبنان . وعواد يسلط عدسته على المجتمع اللبناني من خلال الانتفاضة الطلابية التي جرت في بيروت عقب ضرب المطار ٦٨ . ويحاول ان ينقل رؤية متكاملة للجيل اللبناني الجديد . لكن عواد يسلط عدسته على التيار الاصلاحي في الحركة الطلابية اللبنانية وهذا يحجب عنه الكثير من الحقائق . كما انه في محاولته لبناء عمارة روائية كلاسيكية على قاعدة لبنانية صرفة ، يصطدم بعجز الواقع الموضوعي عن فوز رؤيته الفنية . فهل يستطيع مجتمع الخدمات ان ينتج رواية كلاسيكية ؟ وهل هذا هو السبب الذي جعل من رواية « طواحين بيروت » محملة بالاوهام الذاتية وبعدم القدرة على الامتداد خارج المساحة اللبنانية ؟

● اما نجيب محفوظ فانه يعود في روايته الجديدة « حب تحت المطر » الى الواقعية . ويصور لنا المجتمع المصري بعد توقف اطلاق النار على جبهة السويس . ولعل الشخصية الاكثر واقعية في هذه الرواية هي شخصية عشماوي الذي يمثل الكادحين . فعشماوي يحمل هموم المعركة بشكل حقيقي . الكادحون وحدهم الذين يتحملون اعباء المعركة ويريدون الحرب والثأر للكرامة الوطنية . وهم يطرحون العديد من التساؤلات المشروعة :

« وعند ذلك تساءل عشماوي

ـ وهل اولاد الاغنياء يقتلون ايضا ؟

فلم يتمالك حسني نفسه من الضحك وقال :

ـ ولكن التجنيد لا يفرق بين غني وفقير ياعشماوي .

فهز رأسه في ارتياب وعاد يسأل :

ـ وهل يرسلونهم حقا الى الجبهة ؟ قلبي يحدثني بغير ذلك !

ـ لا تصدق قلبك يا عشماوي » .

يلخص هذا المقطع واقع الطبقات المسحوقة التي تطالها ريشة نجيب محفوظ وهي ترسم صورة متكاملة للمجتمع المصري . غير ان رواية محفوظ تعاني خللا . فالقدر هو هو البطل الرئيسي في الرواية . احداث الرواية تتقاطع عند تدخله . انه العامل الاساسي في آلية تطور الرواية . والقدر ليس بطلا جديدا في أدب محفوظ لكنه لم يكن في رواياته السابقة هو الذي يحدد مسار تطور ابطالها . بل كان عاملا مساعدا . اما هنا فنحن لا نستطيع تصور الرواية بلا هذا البطل الذي يتدخل ليرسم مصير الشخصيات الرئيسية . غير ان محفوظ لا يفقد خيط الرؤيا . فهذا الخيط يتجه نحو هدف واضح نحو الالتحام بالمقاومة التي تشق طريقها . وهو عبر تصويره لانهيار الطبقات الطفيلية في المجتمع المصري يشير الى افاق التحول . الى المستقبل الذي يرسمه عشماوي وابو النصر .

● في اخر قصيدة لمحمود درويش « طوبى لشيء لم يصل » يرسم لنا درويش من خلال مرثيته للقادة الشهداء الثلاثة صورة مأساوية ومتحركة للواقع العربي الراهن . وهو رغم انه لا يكتب القصيدة وسط الدماء فانه عندما يصف العرس الفلسطيني يشير الى علامة هامة :

« كل شيء ينتهي من اجل هذا العرس
مرحلة بأكملها .. زمان ينتهي »

فالزمن الجديد الذي تكتبه الدماء . لا بد وان يرسم ثقافته الجديدة .

أ . خ .

# (٧) القضية الفلسطينية عسكريا

**صفقة الاسلحة السعودية والكويتية :**

منذ ان بدأت زيارة الملك فيصل وزيارة حافظ اسماعيل مستشار الرئيس انور السادات لباريس في شهر ايار الماضي تناقلت وكالات الانباء العالمية انباء حول احتمال قيام العاهل السعودي بتقديم طلبات لشراء اسلحة فرنسية تستهدف تدعيم القوات السعودية الضاربة بالدبابات ٣٠ ام. اكس — ٣٠ وطائرات الميراج ، بغية الضغط على الولايات المتحدة الامريكية التي تتجه سياستها الخارجية بشكل ملحوظ نحو تعزيز القوةالعسكرية الايرانية المستعدة لحماية مصالحها البترولية في منطقة الخليج العربي،ونحو تعزيز القوة العسكرية الاسرائيلية لتكون قادرة على تنفيذ خططها الاستراتيجية والاقتصادية في شرق البحر الابيض المتوسط .

ولقد رافق هذه الانباء اخبار تقول بأن المملكة العربية السعودية طلبت من الولايات المتحدة من قبل بيعها اسلحة بقيمة ٥٠٠مليون دولار تضم طائرات الفانتوم والدبابات وطائرات الهليكوبتر بالاضافة الى ١٩ سفينة حربية ( مدمرات وبوارج صغيرة قديمة ) وأن قيمة هذه الصفقة ستصل في حالة الموافقة عليها الى ١٠٠٠ مليون دولار . وان محاولة طلب الاسلحة من فرنسا ستكون عاملا ضاغطا يجبر الحكومة الامريكية على الاسراع بتلبية الطلبات السعودية العسكرية السابقة .

وفي ٢٢ ايار ظهر في صحيفة **لوموند** نبأ يقول بأن « الكويت ستتقدم بطلبات كبيرة لشراء معدات عسكرية من الولايات المتحدة الامريكية وان قيمة الصفقة ستبلغ حوالي ٦٠٠ مليون دولار ، وستشمل طائرات نفاثة وصواريخ ودبابات » ( لوموند ٧٣/٥/٢٢ ) . ولقد اكدت **الديلي تلغراف** هذا النبأ ، كما اكدت اهتمام الكويت بشراء اسلحة انكليزية وفرنسية ، ونقلت عن **الواشنطن بوست** « ان الصفقة الامريكية ستشمل ١٦٠ دبابة م — ٦٠ و ٣٢ طائرة ف — ١ كروسيدر النفاثة المقاتلة ، و ١٨٠٠ صاروخ Tow الموجه المضاد للدبابات ، و ١٥٠ صاروخا مضادا للطائرات من طراز هوك، وعددا من طائرات الهليكوبتر الخفيفة» ( ديلي تلغراف ٧٣/٥/٢٤ ) . ولقد اكد السيد جاسم المرزوق وزير الدولة الكويتي بالوكالة هذه الانباء امام الصحفيين في يوم ٥/٢٧ ، واشار الى ان الكويت تريد من زمن بعيد تزويد قواتها المسلحة باسلحة حديثة لحماية نفسها وللمشاركة في معركة المصير ضد اسرائيل . ( المحرر ٧٣/٥/٢٨ ) . ولم يقدم الوزير الكويتي تفصيلات عن حجم هذه الصفقة وانواع الاسلحة التي تتضمنها . ولكن **الكويت تايمز** اكدت عدم رغبة الكويت بشراء طائرات « كروسيدر » المذكورة في خبر **الديلي تلغراف** وذكرت ان هناك مباحثات تجري الان بين الحكومتين الامريكية والكويتية لشراء ١٦ طائرة فانتوم .

وكانت الحكومة الامريكية قد عرضت على الكويت « كروسيدر » وبعثت طائرة من هذا النوع الى الكويت لاجراء عروض جوية امام المسؤولين. بيد ان الحكومة الكويتية رفضت هذا العرض واصرت على ضرورة الحصول على الفانتوم ، وهددت بشراء طائرات فرنسية « ميراج » او بريطانية — فرنسية « جاغوار » اذا ما اصرت واشنطن على موقفها ( الكويت تايمز ٧٣/٦/١١ ). والموقف الكويتي في هذا المجال صحيح الى ابعد حد ، فطائرة « كروسيدر » المعروضة طائرة معدة أصلا لدعم العمليات البحرية وعمليات المشاة البحرية ، وهي اضعف من الفانتوم بالنسبة للسرعة ( كروسيدر = ١٤٧ ماك ، فانتوم = ٢٤٢٧ ماك ) ، ومدى العمل ( كروسيدر = ٩٦٥ كم ، فانتوم = ١٦٠٠ كم ) ، والحمولة الحربية ( كروسيدر = ٢٢٧٠ كغ ، فانتوم = ٧٢٦٠ كغ ) كما انها اضعف في مجالات المناورة واجهزة التصويب والملاحة ... الخ . ويمكن القول ان « كروسيدر » التي كانت من طائرات الستينات غدت اليوم طائرة من الصف الثاني بالمقارنة مع الفانتوم والميراج والميغ ٢١ وهي الطائرات المطورة حاليا والتي ستصبح خلال سنتين او ثلاث سنوات من طائرات الصف الثاني بالنسبة لطائرات النصف الثاني من السبعينات مثل ميغ ٢٥ وميغ ٢٣ ، وسوخوي ١١ ، وف ١٥ ، والتومكات ف ١٤ — آ ، وميراج ج — ٨ ، ونورثورب كوبرا ... الخ . ويكشف عرض « كروسيدر » من قبل الامريكيين على ان المخططين في البنتاغون يريدونها طائرة « خليجية » لا « شرق اوسطية » لان مدى عملها ٩٦٥ كم الذي يسمح لها بالعمل ضد اهداف

ايرانية وعراقية وبحرينية وقطريــــة ... الخ لا يسمح لها بالعمل ضد اهداف اسرائيلية الا اذا انتقلت الى مطارات عراقية او سورية او اردنية وهذه مسألة سياسية اخرى تدخل فيها كثير من العوامل الدولية والعربية .

ولم تقتصر انباء صفقات الاسلحة الغربية على السعودية والكويت بل شملت امارات الخليج التي قيل ان فيها بعثات عسكرية امريكية وفرنسيــــة وبريطانية تحاول طرح عروض لبيع مجموعة من الاسلحة الجوية والبرية والبحرية . ولقد اعلنت الولايات المتحدة انها وافقت « من حيث المبدأ » على بيع نفاثات سرعتها سرعة الصوت الـــى السعودية مـــع احتمال بيع طائرات مماثلة الى الكويت ايضا « وأن الصفقة ستتضمن المثال الذي لا يضارع للقوة الضاربة في الشرق الاوسط ، اي المقاتلة القاذفـــة فانتوم ف ـــ ٤ » ( نيوزويــــك ١٩٧٣/٦/١٨ ) .

ومع ظهور هذه الانباء تحرك الاسرائيليون سياسيا ودبلوماسيا واعلنوا عن قلقهم ازاء احتمـــالات تدعيم القـــوات العربية . فلقد اذاعت محطـــة الاذاعة الاسرائيلية بأن تل ابيب تنظر بقلق بالـــغ الى احتمالات تبدل سياسة فرنسا في المنطقة خاصة وان حظر الاسلحة الذي فرضه ديغول في عـــام ١٩٦٧ يضع العراقيل امام الافـــاق السياسية الفرنسية الجديدة في الشرق الاوسط . واشارت الى ان اكثر ما يشغل بال الساسة الاسرائيليين هـــو ان « الرئيس بومبيدو قرر قبل الانتخابـــات وجوب التخلص من الحظر » « وان في الجمعية الوطنية الفرنسية [ البرلمان ] اغلبية ديغولية ـــ شيوعية تبارك سياسة التأييد للعرب » ( نشرة رصد اذاعة اسرائيل ( ر. ا. ا. ) عدد ٢٢١ ) .

وفي بيان حول السياسة الخارجية اعرب ابا ايبان وزير الخارجية الاسرائيلية امام الكنيست في جلسة ٧٣/٥/٢٨ عن قلقه من الطلبات التي قدمتها المملكة العربية السعودية والكويت الى الولايات المتحدة لشراء اسلحة حديثة وقال : « ان من الضروري بالنسبة لاسرائيل ان تحصل على منفذ أكيد على البحر الاحمر ، وان يتحقق توازن معقول في امن الخليج الفارسي [ العربي ] . واذا كانت الدول العربية منقسمة على نفسها فيما يتعلـــق بخـــط السياسة الداخلية والعالمية الذي تتبعه ، فانها متحدة على العكس اتحادا كاملا في عدائها ضـــد اسرائيل . » ... « ان حادثة طائرات الميراج الفرنسية المسلمة الى ليبيا والتي نقلت الى مصر*. وحادثة الطائرات الانكليزية الصنع المسلمة الـــى العراق والسعودية والموجودة أيضـــا في مصر ، تؤكدان انه يوجد بالنسبة للمعدات العسكرية نوع من « السوق المشتركة » بين البلدان العربيـــة » ( لوموند ١٩٧٣/٥/٣٠ ) .

وذكرت الدوائر السياسية في القدس ( ٥/٢٩ ) أن اسرائيل ستطلب من الولايات المتحدة ضمانـــات قاطعة بأن الكميات الضخمة من الاسلحة التـــي سيزودون بها السعودية والكويت لن تستخدم ضد اسرائيل . وفي ٥/٣٠ كشف النقاب في تل ابيب عن ان اسرائيل ستتقدم بطلبات جديدة للحصول على أسلحة من الولايات المتحدة في أعقاب صفقة الاسلحة الامريكية مع السعودية والكويت . وانها ستطالب بالتعجيل بتسليم الاسلحة المتعاقد عليها. وقدرت صحيفة هآرتس نقلا عن مصادر عليا في تل أبيب ان قيمة صفقة المملكة العربية السعوديـــة تصل الى ٦٢٥ مليون دولار، وان صفقة الكويت تبلغ ٥٠٠ مليون دولار. واشارت الى ان اسرائيل فهمت ان تزود الولايات المتحدة هاتين الدولتـــين « الخليجيتين » بالاسلحـــة لمواجهـــة النفـــوذ السوفياتي المتزايد في المنطقة الا انها ستطالب بضمانات مقنعة بأن هذه الاسلحة لـــن تستخدم ضدها ( الديلي ستار ٧٣/٥/٣١ ) .

وأبلغ السفير الاسرائيلي في واشنطن سيمحـــا دينتس قلق حكومته الى سيسكو في ٢٤ و٢٩ ايار والى مستشار الرئيس الامريكي هنري كيسنغر في ٢ حزيران . ولم يقتصر الامر على ذلك بل وصل الى حد قيام ابا ايبان في ٧٣/٥/٣١ بشجب سياسة الولايات المتحدة لموافقتها على تزويد السعوديـــة والكويت بأسلحة متطورة وقال « ان مثل هـــذه الشحنات من الاسلحة ستؤثر على ميزان القوى في المنطقة » ( المحرر ٧٣/٥/١ ) .

ولقد تركزت ردود الفعل الاسرائيلية على عـــدة نقاط هي : موازين القوى ، والامن ، واحتمالات انتقال هذه الاسلحة الى طرف ثالث ( مصر او الاردن ) ، وهي نقاط مترابطة ببعضها . اذ أن أمن اسرائيل مرتبط بتفوقها وميل موازين القوى

---

* انظر القضية الفلسطينية عسكريا ـــ شهريات العدد ٢٢ من مجلة شؤون فلسطينية .

لصالحها ، كما أن انتقال الاسلحة لطرف ثالث من دول المجابهة قد يبدل الموازين لصالح **القوى العربية الفعالة** في النزاع .

وكان رد الفعل الاسرائيلي من نوع الانذار بالخطر فلقد حذر موشى دايان وزير الدفاع الاسرائيلي من الخطر بقوله « خلال بضع سنوات سيكون حولنا بنيات عسكرية مختلفة ومحصنة » ثم أضاف « ان العرب سيتسلحون بأسلحة جديدة ممتازة من الشرق والغرب » ( نيوزويك ١٨/٦/٧٣ ) . وفي ٥/٣١ ذكر اسحاق رابين امام مجلس اعضاء «ايحود هكيبوتسوت فهكيبوتسيم» في حزب العمل : « كل سلاح يرسل الى الدول العربية يحمل معه القلق بالنسبة لاسرائيل » ( ر. أ. أ. ملحق العدد ٢٣٨ ) ثم اكد على النقاط التالية : ١ — ان تزويد العرب بالسلاح مرتبط بأزمة الطاقة ورغبة واشنطن في تعزيز علاقاتها مع الدول المنتجة للنفط ، ٢ — ان للامريكيين في المنطقة مصالح قد تتعارض مع مصالح اسرائيل ، ٣ — الخوف من انتقال الاسلحة من السعودية والكويت الى الدول العربية الاخرى حتى لو كانت شروط البيع تمنع ذلك ، ٤ — ضرورة اليقظة تجاه هذا الموضوع .

ولقد ساد في اسرائيل رأي يقول بأن حصول السعودية على طائرات الفانتوم يدفع الى اعادة النظر في مفهوم حدود الامن ، ويجعل من الضروري — حسب تعبير آربيه مايكل — « التمسك بمناطق معينة في سيناء خاصة تلك المناطق المحاذية للسعودية » ( ر. ا. ا. ملحق العدد ٢٣٨ ) . ولقد ربط آلون مسألة الامن بمسألة التسليح عندما قال في لقاء مع الطلاب في كريات أونو بتاريخ ٥/٣١ « من الواضح جدا أنه اذا وصلت فعلا طائرات من هذا النوع [ فانتوم ] الى السلاح الجوي السعودي فسوف تزداد قوة الطيران لدى القوات السعودية على الاقل . ان اسرائيل بحاجة الى حدود قابلة للدفاع الذاتي أي يمكن ان ندافع عنها بقوانا الذاتية في جميع الاتجاهات . ولكن عندما نتحدث عن الحدود الشرقية ينبغي ان نذكر انها لا تتصل بيننا وبين الاردن فحسب ، وانما تتصل في الواقع بيننا وبين قارة كبيرة تمتد الى الخليج الفارسي [ العربي ] والمحيط الهندي . لذلك طالبت دائما وأطالب اليوم كذلك بأن يشكل نهر الاردن ، والبحر الميت ، وغور الاردن ، وسفوح الجبال غربي الغور الحدود الآمنة لاسرائيل في نطاق تسوية سلمية او في حالة اقرار السلام . واذا كانت هنالك حاجة لاثبات أهمية هذه الحدود فان التطورات الاخيرة تثبت حقيقة هذا الرأي الاستراتيجي » ( ر. ا. ا. ملحق العدد ٢٣٨ ) . وأكد العميد الاحتياطي شلومو لاهط ان الاسلحة الجديدة تتطلب « تبديل وجهة النظر حيال الحدود الآمنة » ( ر. ا. ا. ملحق العدد ٢٣٨ ) . أما العميد الاحتياطي شلومو هرائيل فيأمل ان تكون وجهة نظر الحكومة بالنسبة لمسألة الامن هي : « الاحتفاظ بسيناء وأن تكون لاسرائيل اكبر قوة في البحر الاحمر » ( ر. ا. ا. ملحق العدد ٢٣٨ ) . وعكست اجهزة الاعلام الاسرائيلية تخوفها من وصول الاسلحة الجديدة الى العرب واحتمال انتقالها الى دول المواجهة وانقلاب موازين القوى بشكل يشجع زعماء العرب على تحطيم حالة اللاحرب واللاسلم ، والاندفاع بعمل عسكري يبدل الوضع الراهن الذي يضمنه التفوق العسكري الاسرائيلي بفضل الدعم الامريكي المطلق . فكتبت **دافار** ان الولايات المتحدة تبرر صفقات الاسلحة بمقتضيات الصراع للسيطرة على منطقة الخليج ولكن بما ان هاتين الدولتين تشكلان جزءا من الجبهة العربية المقاتلة ضد اسرائيل « فان هناك خطرا من ان يتم نقل جزء من الاسلحة الى مصر . ومن واجب الولايات المتحدة التي تعهدت بالحفاظ على ميزان القوى في المنطقة انتضمن عدم المس بهذا الميزان عن طريق صفقات الاسلحة مع السعودية والكويت » ( ر. ا. ا. ملحق العدد ٢٣٤ ) . وذكرت **هاتسوفيه** « بأن هنالك خطرا من اختلال ميزان التسلح في المنطقة بسبب صفقات الاسلحة ... وتجدر مطالبة الولايات المتحدة بأن تدخل بندا على اتفاقات بيع الاسلحة لدول النفط يمنعها من نقل الاسلحة الى الدول المشتركة في حرب مع اسرائيل » ( ر. ا. ا. ملحق العدد ٢٣٤ ) ورأت **أومر** ان على الولايات المتحدة بيع الاسلحة الى ايران فقط، أما اذا ما باعت السلاح الى السعودية والكويت فان على اسرائيل « ان تطلب الحصول على مزيد من الاسلحة لكي لا يتم الاخلال بميزان القوى » ( ر. ا. ا. ملحق عدد ٢٣٤ ) . وناقشت صحيفة **معاريف** مسألة بيع الاسلحة الحديثة المتطورة الى السعودية والكويت وذكرت ان « الموضوع الذي يقلق اسرائيل ليس فقط كمية الاسلحة ولكن بصورة خاصة نوعيتها وطرازها » ... « ومن شأن تدفق الاسلحة

الامريكية في المدى البعيد ان يزعزع ميزان القوى الحساس في المنطقة ويتسبب بلشتعال المنطقة من جديد » ( ر. ا. ا. ملحق العدد ٢٣٧ ) . أما آرييه مايكل مراسل الاذاعة الاسرائيلية فيقول بأن « سبب القلق هو حجم هذه الصفقة . فالانطباع يسود بأن هاتين الدولتين ستشتريان اسلحة بكميات تفيض عن قدرتها على الاستيعاب. وتتخوف الاوساط القلقة من ان جزءا من هذه الاسلحة سيصل الى أيد لا نرغب في وصوله اليها . اي الى أيدي مصر » ( ر. ا. ا. عدد ٢٣١ ) .

وفي حديث اذاعي أجراه دوف ينون معلق الاذاعة الاسرائيلية للشؤون العربية ، مع العميدين الاحتياطيين شلومو لاهط وشلومو هرائيل ، قال دوف ينون بأن السعودية والكويت بحاجة لتدعيم قواهما العسكرية لمجابهة الدول العربية العسكرية المؤيدة للشيوعيين « وهي العراق ، واليمن الجنوبي ، والجبهة الشعبية لتحرير عمان » ولكنه يبدي قلقه من حصول هذين البلدين على أسلحة « متحركة جدا من الناحية الاستراتيجية » . أما العميد الاحتياطي شلومو لاهط فهو يؤيد حصول السعودية والكويت على أسلحة « من اجل الدفاع الذاتي » اي من النوع « الذي لا يشكل خطرا على اسرائيل » وينظر بعين القلق الى حصولهما على طائرات الفانتوم . ويرى العميد الاحتياطي شلومو هرائيل ان حصول السعودية على سفن حربية قد يؤثر على مشكلة الملاحة في البحر الاحمر ، وهي مشكلة قائمة اصلا بسبب وجود الاسطول المصري . ( ر. ا. ا. ملحق العدد ٢٣٨ ) .

وكان الرد الامريكي لتهدئة قلق الاسرائيليين مبنيا على أربع نقاط هي : ١ — قلة عدد طائرات الفانتوم ( الضاربة ) التي يمكن ان تسلم للدولتين العربيتين وعدم قدرة هذا العدد الصغير على تبديل موازين القوى ، ٢ — ارفاق الصفقات بشروط تضمن عدم نقل الاسلحة الى دولة ثالثة ، ٣ — عدم احتمال التسليم الفوري وتوقع مرور أكثر من سنتين قبل بدء التسليم ، ٤ — ضرورة تدعيم قوة دول الخليج لمجابهة التغلغل الشيوعي وتهديدات الدول التقدمية التي تتلقى اسلحة سوفييتية . علما بأن دول الخليج غنية جدا من جراء دخلها من النفط ، ولكنها ضعيفة عسكريا بشكل يعرضها للغزو أو الاستغلال .

ففي منتصف ايار اعلن ناطق باسم وزارة الخارجية الامريكية ما يلي : « بعد ان انهت بريطانيا دور الحماية في المنطقة [ الخليج العربي ] اصبحت دول الخليج تتحمل مسؤولية اكبر بالنسبة لامنها » ... « ان سياستنا تقوم على مساعدة تلك الدول عن طريق بيعها كميات معقولة من المعدات العسكرية » . وفي ٧٣/٦/١ قال ناطق بلسان وزارة الخارجية الامريكية ان بلاده « لن تقوم ببيع اسلحة الى الدول العربية في منطقة الخليج الا بما لا يتناقض مع أمن اسرائيل » ... « ان اية معدات عسكرية تبيعها الولايات المتحدة الى أية دولة سترفق بشروط تتضمن عدم نقلها الى دولة ثالثة » ( النهار ٧٣/٦/٢ ) . ثم تحدث عن قلق اسرائيل بقوله : « لسنا على علم بأية شكاوى معينة غير اننا على علم بقلق اسرائيل . ومن الواضح اننا لن نعقد صفقات قد تحرج أمن اسرائيل » ( المحرر ٧٣/٦/٢ ) . وكانت صحيفة هآرتس قد كشفت في ٧٣/٥/٢٩ بأن الدبلوماسيين الامريكيين اكدوا بأن الهدف من صفقات الاسلحة للسعودية والكويت هو حماية هذين البلدين من الخطر السوفييتي « ان زيادة النفوذ السوفييتي يشكل خطرا على امارات البترول ، ولهذا تسرع الولايات المتحدة في تقويتها » .

وعندما اجتمع مساعد وزير الخارجية الامريكية لشؤون الشرق الاوسط جوزيف سيسكو مع سفير اسرائيل في واشنطن سيمحا دينتس اوضح له ان شحنات الاسلحة الامريكية الى الكويت « جزء من سياسة الحد من التدخل السوفييتي في الخليج » ( ر. ا. ا. عدد ٢٣١ ) .

وفي ٧٣/٦/٥ حصلت اسرائيل على الضمانات التي تبحث عنها عندما اكد وزير الخارجية الامريكية وليم روجرز امام لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ « على ضرورة حماية الحكومات الصديقة في منطقة الخليج ودعمها» ( لوريان لوجور ٧٣/٦/٦ ) . ثم اكد ان طائرات الفانتوم « لن تؤثر على ميزان القوى العسكري في الشرق الاوسط » وانه لا يعتقد بأن هذه الطائرات « ستنتقل لاستخدامها من قبل الاقطار العربية المشتركة في نزاع الشرق الاوسط » ( ديلي ستار ٧٣/٦/٦ ) .

ولقد تقبلت اسرائيل هذه التبريرات والتطمينات واعتبرتها ضمانة كافية لامنها رغم بعض الاختلافات

الجزئية حول عدد من وجهات النظر الخاصة بالامن. ويقول المحرر السياسي لصحيفة يديعوت احرونوت ( ٢٩/٥ ) ان اسرائيل لن تقف ضد قيام الولايات المتحدة بعقد هذه الصفقات ، وانها تتفهم سياسة الولايات المتحدة وزيادة نشاطاتها في المنطقة « وان الحجة الامريكية عن الخطر السوفييتي في الخليج الفارسي [العربي] مقبولة في القدس». وتشير بعض المصادر الاسرائيلية الى « انها غير مذعورة » من صفقة الاسلحة وان بامكانها ان تفهم رغبة الولايات المتحدة « بضمان أمن الخليج » ومحاولة ايجاد توازن مع شحنات الاسلحة السوفييتية التي ترسل الى دول عربية على خصام مع السعودية والكويت وايران . وانه « لا يوجد تناقض اساسي » بين الموقفين الامريكي والاسرائيلي بالنسبة لمسألة امن الخليج واستقراره . وان الخلاف يدور حول « اعتبار طائرة الفانتوم النافذة المقاتلة الوسيلة الصالحة للحصول على الامن المنشود » ( المحرر ٧٣/٦/٦ ) .

والان ، وبعد طرح معطيات المسألة كلها ، لا بد لنا من تقييم هذه الصفقات وتحديد بواعثها ، واهميتها ، واثرها المقبل ، والملابسات الدولية التي سترافقها .

**البواعث** : ان جميع المعلومات المتوفرة لدينا تؤكد ان الدافع الكامن وراء هذه الصفقات هو رغبة الولايات المتحدة الامريكية في ايجاد أسواق لاسلحتها المكدسة بعد انتهاء الحرب الفيتنامية ومحاولة تحريك الصناعة الحربية المهددة بالركود في السنوات المقبلة . واستخدام السلاح والذخائر كبضاعة غالية سريعة الاهتراء — بسبب الاستخدام او بسبب القدم وفقدان الاهمية — لامتصاص عائدات النفط المتزايدة ، والمدخرات المالية التي تملكها الدول البترولية والتي ستأخذ في السنوات المقبلة حجما هائلا . ويكفي ان نعرف ان عائدات النفط السعودي وحده تعادل اليوم ٢,٧٠٠ مليار دولار وسترتفع في عام ١٩٨٠ الى ٢٥,٦٠٠ مليار دولار . وان رؤوس الاموال السعودية المتراكمة المدخرة ستكون في نهاية هذا العام ٥ مليارات من الدولارات وسترتفع في عام ١٩٨٠ الى ٧٥ مليارا. وهكذا تستطيع الولايات المتحدة عن طريق « تجارة المدافع » امتصاص مدخرات الدول البترولية ، وتحريك صناعتها الحربية ، وتعديل العجز في ميزان المدفوعات الامريكي . وتذكر الواشنطن بوست ان ثمن صفقات الاسلحة الامريكية المنتظرة لايران والكويت والسعودية ستصل الى ٤ مليارات من الدولارات . ولا شك ان هذا المبلغ الضخم سيساعد ميزان المدفوعات الامريكي ، ويخفض العجز الكبير فيه ، وسيدعم الصناعة العسكرية الامريكية ويؤمن استمرار ازدهارها بعد احتمالات كسادها بسبب توقف الحرب الفيتنامية ، وسيزيد تأثير الولايات المتحدة وسيطرتها على ثلاث من اكبر الدول المنتجة للبترول . ولقد فضح النائب الكويتي عبدالله النيباري داخل المجلس النيابي حقيقة صفقات الاسلحة الغربية بقوله : « ان امريكا تقوم ببرامج للدول الصغيرة وخاصة في الخليج لشراء اسلحتها القديمة التي استخدمت في فيتنام . وهي اسلحة اصبحت بائرة، وذلك لتحقيق هدفين : اولا الاستمرار في انتاج البترول وزيادة معدلاته وحل ازمتها من الطاقة . ثم امتصاص الاموال التي يدفعونها لنا مقابل صادراتنا من البترول » ( البلاغ ٧٣/٦/٤ ) . ولا أدل على عدم تناسب التسليح في البلدان النامية مع امكانات هذه البلدان من تقرير مؤسسة الابحاث الوطنية الفرنسية حول السلم والذي يشير الى « ان شراء الاسلحة من قبل البلدان النامية يزيد بسرعة تعادل ضعف سرعة زيادة انتاجها القومي العام » ويشير في هذا الصدد الى المملكة العربية السعودية واسرائيل ( لوموند ٧٣/٥/٢٣ ) .

**الوسيلة** : ولتحقيق هذا الغرض في المنطقة العربية تلجأ واشنطن الى تسليح اسرائيل بشكل يجبر دول المواجهة على ايقاف مشاريعها الانمائية في سبيل التسليح، الامر الذي يبقيها في حالة تخلف اقتصادي مستمر . كما تلجأ الى استغلال العداء العربي — الايراني القديم وطموحات الامبراطورية الفارسية لتسليح ايران بشكل يجر الدول العربية البترولية الى سباق التسلح حتى لا تبقى **القوة الاضعف** في الخليج ، الامر الذي يستنزف المدخرات المالية المتراكمة . وكلنا يعرف حجم التسليح الاسرائيلي وعدم تناسبه مع حجم اسرائيل الاقتصادي والسياسي . اما حجم التسليح الايراني فيمكننا أن نأخذ صورة عنه اذا عرفنا ان قيمة الصفقات الايرانية الاخيرة وصلت الى ٢,٥ مليار من الدولارات وشملت ١٠٨ طائرات فانتوم ، و١٠٠ طائرة ف — ٥ أ ، و٧٠٠ طائرة هليكوبتر ، و٣ طائرات وتود لـ س ١٣٥ ، [ من الولايات

المتحدة ] ، و٨٠٠ دبابة تشيفتين ، و٢٦ مركبا حربيا ، و١٤ مركبة حوامة [ من بريطانيا ] . ( الانباء ٧٣/٥/٢٥ نقلا عن نيوزويك ) .

واذا كان سبب اختيار واشنطن لاسرائيل كقوة تقف في مجابهة دول المشرق العربي المجاورة لها أمرا معروفا للجميع ، فان من الضروري تسليط الاضواء على سبب اختيارها لايران بغية مجابهة الدول العربية البترولية التقليدية الصديقة للغرب . ان ازمة الطاقة وحاجة الولايات المتحدة المتزايدة لها تجعل واشنطن تبذل اهتماما خاصا بدول الخليج. واكبر دولتين في المنطقة هما ايران والسعودية وهما اليوم من الدول السائرة في ركاب الغرب . ولكن الامريكيين يرون ان ايران « مضمونة » اكثر من السعودية او من دول الخليج الاخرى لان الدعم الامريكي المستمر لاسرائيل وعسف تل ابيب وغطرستها تخلق جوا من النقمة على امريكا داخل دول الخليج وبين اوساط الجماهير العربية في كل مكان، وتضع الحكام العرب اصدقاء الغرب فيموقف حرج متناقض مع تطلعات جماهيرهم ، وتخلق مناخا ضاغطا قد يؤدي الى انقلاب هذه الدول من دول تقليدية الى دول راديكالية معادية للاستعمار ومصالحه في المنطقة . ولهذا فان رجل الشرطي المقبل في الخليج هو ايران لا السعودية خاصة وان الحجم البشري الايراني ( ٣١ مليون نسمة ) يتلاءم مع هذا الدور اكثر من الحجم البشري السعودي ( ٨ ملايين نسمة ) . وايران مستعدة للعب هذا الدور ففي مقابلة مع صحيفة لوبوان نشر في باريس بتاريخ ٥/١٣ قال الشاه « لقد ابلغت كل الدول الكبرى انني ساهتم بالامن في هذا الجزء من العالم » . وفي حديث صحفي مع مجلة نيوزويك رسم شاه ايران دور بلاده في المستقبل بقوله « ليست لدينا مسؤوليات وطنية واقليمية فحسب ، بل ان لنا دورا عالميا ايضا بصفتنا الضامنين والحامين لنحو ٦٠ بالمئة من احتياطي العالم من الزيت ... ان ما نشتريه ( من اسلحة ) هو رادع سيصدقه جميع جيراننا » . ثم اكد موقفه العدائي لحركة التحرر العربي ورغبته في حراسة المصالح النفطية الغربية من ضربات هذه الحركة فقال ردا على سؤال حول الاخطار الرئيسية التي يمكن ان تهدد امدادات النفط للغرب في المستقبل : « هناك احتمال ان يطاح ببعض الانظمة الواقعة على الجانب الاخر من الخليج نتيجة للاعمال التي يقوم بها المتطرفون المخربون الان . خذ ثورة ظفار في عمان مثلا ، وحاول ان تتصور ماذا سنجابه في حالة نجاحها » . وعندما سئل عن الدور الذي يمكن ان يلعبه اذا ما استؤنف القتال بين العرب واسرائيل وادى ذلك الى انقطاع وصول النفط الى الغرب اجاب : « باستطاعتي أن أؤكد ان الطرق والممرات البحرية ستظل مفتوحة » ( نيوزويك ٧٣/٥/٢١ ) .

**التنافس الامريكي — الفرنسي :** تشير الانباء الواردة من مصادر غربية متعددة الى ان المملكة العربية السعودية والكويت لا تزالان تبحثان احتمالات شراء الاسلحة من فرنسا رغم الموافقة الامريكية « المبدئية » على بيعهما اسلحة متطورة. وتذكر هذه الانباء ان هناك ضغوطا مصرية على السعودية لشراء ميراج — ٥ او ميراج ف — ١ التي تعتبر نسخة متطورة من ميراج — ٣ بدل الفانتوم ( انترناشونال هيرالد تريبيون ٩ — ٧٣/٦/١٠ ) . وليس هناك تأكيدات عربية قاطعة بهذا الصدد . ولكن الموقف الامريكي المتحيز في الخليج، وفي شرق البحر الابيض المتوسط يجعل من الطبيعي توجه بعض الدول العربية الى فرنسا لتعزيز قدرتها العسكرية . وكل توجه عربي الى فرنسا يعني ضغطا سياسيا جديدا على واشنطن ، واستغلالا للتناقضات الجزئية — التي قد لا تبقى جزئية — داخل المعسكر الرأسمالي مع محاولة الافادة من هذه التناقضات في الصراع ضد اسرائيل حاليا ، وايران مستقبلا .

وبالاضافة الى الضغط الموجه الى واشنطن فان الاتجاه نحو السلاح الفرنسي يقدم للدول العربية — غير الراغبة في شراء اسلحة سوفييتية — اكثر من ميزة : ١ — فهو يؤكد على الصعيد السياسي العالمي وبشكل ملموس « ان عداءنا يضر وان صداقتنا تنفع » وهو مبدأ طالما تحدث عنه العرب دون ان يطبقوه — ان لم يطبقوا بالفعل عكسه ( تزايد الاستثمارات الامريكية في البلدان العربية وتزايد حجم المبادلات التجارية الامريكية — العربية بعد حرب ١٩٦٧ ) . ويمكننا أن نتصور الصدى الحسن الذي ستلاقيه صفقة اسلحة سعودية ضخمة من فرنسا وانعكاس ذلك على القوى الفرنسية المؤيدة للعرب داخل فرنسا اذا عرفنا ان في ميزان المدفوعات الفرنسي — السعودي عدم تناسب صارخ بين الصادرات والواردات . اذ يبلغ حجم واردات فرنسا من السعودية ٦٩٢ مليون

ريال*، على حين تعادل صادراتها الى السعودية ٨٢ مليون ريال فقط ، ٢ — ان شراء طائرات ميراج مثلا بدلا من طائرات الفانتوم سيساعد في المستقبل على توحيد عمل وخدمات وادارة الطيرانين السعودي والليبي ، ويخفض الصعوبات التقنية المنتظرة ، وينتقص الى حد بعيد مدة اعداد الطيارين السعوديين بعد ان يقدم لهم خبرة الطيارين الليبيين والمصريين الذين تدربوا على الميراج منذ اكثر من سنتين ، ٣ — ان صفقة اسلحة ضخمة قد تدفع الفرنسيين الى الغاء قيود الحظر ، وهذا أمر قابل اليوم للنقاش في فرنسا . واحتمالات نجاح الضغط على فرنسا لالغاء القيود والتحديدات الخاصة بالنقل الى طرف ثالث او بالنسبة للاستخدام في الصراع العربي — الاسرائيلي اكبر من احتمالات نجاح الضغط على الولايات المتحدة التي تربط أمن المنطقة واستقرارها بفكرة «خلق اسرائيل اقوى». ويمكن تليين الموقف الفرنسي بالنسبة للتحديدات اذا عرفنا كيف نستفيد من التنافس الدولي القائم اليوم بين الدول المنتجة للاسلحة والذي يعتبر جزءا من التنافس داخل المعسكر الرأسمالي ، وبصورة أدق تعبيرا عن التنافس بين الرأسمالية الاوروبية والرأسمالية الامريكية .

ويأخذ التنافس الدولي احد اشكاله في حقل بيع الطائرات ( العسكرية والمدنية ) ، وتشترك فيه عدة دول وعلى رأسها الولايات المتحدة ، وفرنسا، وانكلترا ، والسويد . وكانت الولايات المتحدة بعيدة نسبيا عن هذا التنافس منذ عام ١٩٦٢ حتى عام ١٩٧٠ نظرا لضخامة تكاليف طائراتها . ولكنها عادت الى حقل المنافسة في عام ١٩٧٠ كما يقول الجنرال بيار غالوا المستشار العسكري لشركة مارسيل داسو الذي اكد « ان التنافس سيتخذ طابعا شديد الضراوة بين الدول المنتجة للسلاح ». خاصة بعد أن بدأت الولايات المتحدة انتاج طائرات لاستخدام الطيارين غير الامريكيين و« انتهاء حرب فيتنام الذي ادى الى تحرير عشرات الالوف من الطائرات الامريكية وطائرات الهليكوبتر التي ستعرض للبيع في الاسواق العالمية حتما ، والا تحولت الى حديد خردة في الترسانات الامريكية » ( المحرر ٧٣/٥/١ عن نيوزويك ) .

ولقد اشارت هيرالد تريبيون الى ان واشنطن اتخذت — تحت ضغط عوامل سياسية وعسكرية واقتصادية — قرارا بالتنافس الحاد مع فرنسا وغيرها من الاقطار في بيع السلاح للدول النامية خاصة وان العسكريين يلعبون دورا حاسما في سياسات هذه الدول . ومن مصلحة الولايات المتحدة التأثير على صانعي السياسة ومخططيها في هذه الدول عن طريق جعل الولايات المتحدة المصدر الرئيسي لتسلحها . ( المحرر ٧٣/٥/١٢ ). ومن المؤكد ان التنافس سيأخذ شكلا شبه وحشي بسبب وجود مخلفات حرب فيتنام ، وحاجة صناعة السلاح الامريكية الضخمة لاسواق مستمرة سواء عن طريق بيع الاسلحة الى مناطق التوتر في العالم مع الحفاظ على موازين قوى محسوبة تؤمن مصالحها ، او عن طريق اثارة حروب محلية محدودة — عن طريق شخص ثالث — شريطة ضبط حدودها ضمن اطار اقليمي ، وعدم تصعيدها الى مستوى المجابهة المباشرة بين العمالقة .

**أهمية الصفقات** : لا يمكن تقييم اية صفقة اسلحة تعقدها الدول العربية [ التي تخطط استراتيجيتها على اساس المجابهة التقليدية ] وتدفع ثمن سلاحها من عرق الجماهير العربية ودمائها وعلى حساب رفاهيتها الا اذا كانت هذه الاسلحة قادرة على المشاركة في المعركة المصيرية ضد اسرائيل — عدو العرب الاول — وهذا يعني ان من الضروري ان يكون هذا السلاح : ١ — حديثا قادرا على مواجهة اسلحة اسرائيل المتطورة ، ٢ — بعيد المدى حتى تستطيع الدول العربية توزيع قواعدها على اوسع رقعة والاستفادة من مجالها الاستراتيجي الواسع مع القدرة على ضرب العدو من القواعد البعيدة ، ٣ — لا يخضع لحدود النقل والاعارة والبيع الى طرف ثالث حتى تستطيع الدول العربية البترولية الغنية تدعيم ترسانات دول المواجهة التي شاء قدرها ان تكون من اضعف شقيقاتها العربية اقتصاديا ، وجاء الوجود الاسرائيلي الى جوارها وما يفرضه من مصروفات تسليح ليزيد من بؤسها الاقتصادي ، ٤ — ان لا يخضع لشروط الاستخدام حتى تتمكن الدول العربية من استخدامه بحرية تامة ضد عدوها الاول اسرائيل ، ٥ — ان يكون متلائما

---

* ان الواردات الفرنسية من السعودية عبارة عن مواد بترولية اساسا رغم ان البترول السعودي لا يشكل سوى ٢٠ — ٢٥ ٪ من واردات فرنسا البترولية .

مع الاستراتيجية البرية والجوية والبحرية التي تتبناها الدولة المشترية ، ومع دورها العسكري ضمن خطة التحرير العربية الشاملة ، ٦ — ان يرافقه بالضرورة اعداد كوادر تقنية رفيعة المستوى قادرة على صيانته واستخدامه بفاعلية قصوى ، ٧ — ان لا تخضع قطع الغيار والذخائر المتطورة لاي تحديد مرتبط بالصراع العربي — الاسرائيلي ، ٨ — ان يكون في الدول العربية المشترية او اية دولة عربية اخرى ( الافضل ان تكون مجاورة ) مصانع لصنع الذخائر العادية وقطع الغيار اللازمة ، ٩ — ان تحقق التفوق في مسرح العمليات المتوقع ، ١٠ — ان يكون تسليمها سريعا بحيث يتم التدريب عليها ووضعها في الخدمة قبل زوال قيمتها بمرور الزمن وظهور اسلحة احدث تفوقها وتجعلها من اسلحة الصف الثاني . وكل سلاح لا يتوفر فيه شرط او اكثر من هذه الشروط سيكون عبئا على اقتصاد البلاد دون ان يكون له اي تأثير في اي صراع مقبل .

فاذا ما حللنا المعلومات المتوفرة لدينا تبين لنا ان الاسلحة الحديثة بعيدة المدى التي تود الولايات المتحدة بيعها محدودة العدد [ ٢٤ — ٣٠ طائرة فانتوم للسعودية و١٥ — ٢٠ طائرة للكويت ] . وهذا العدد المحدود عاجز عن تبديل موازين القوى مع اسرائيل او مع ايران التي تملك حاليا سربين من المقاتلات القاذفة فانتوم ف — ٤ و٦ اسراب مقاتلة قاذفة اخرى .Military Balance 1972 - 1973 بالاضافة الى الطائرات المطلوبة بالصفقة الجديدة. كما ان السفن الحربية الـ ١٩ المطلوبة قديمة ولا تستطيع مجابهة الاسطول البحري الايراني القوي الذي يملك الان مدمرة ، وفرقاطتين ، و٤ سفن حربية ، و٢٤ زورق دورية ، و٤ كاسحات ألغام ، وكاسحتي الغام للشواطيء الداخلية ، و٤ سفن انزال ، و٨ زوارق اقل من ١٠٠ طن . Military Balance 1972 - 1973. ولن نتحدث هنا عن الدبابات والمدفعية والاسلحة البرية الاخرى رغم تفوق ايران الساحق بها بالنسبة لجيوش دول الخليج ، وذلك لاننا نتصور ان اي صدام بين الدول الخليجية ( باستثناء الصدام الايراني — العراقي ، او العراقي — الكويتي ) سيكون بالاساس صداما بحريا جويا ، مع عمليات انزال جوية وبحرية .

وتشير تعليقات المسؤولين الاميركيين انـه سيكون من المتعذر نقل هذه الاسلحة الى طرف ثالث ( دول المجابهة ) . وسيكون استخدامها خاضعا لشرط عدم زجها في الصراع العربي — الاسرائيلي. وان هذه التحديدات ستطبق على السلاح وقطع الغيار ايضا .

اما بالنسبة لسرعة التسليم فمن الواضح ان المعدات الاهم ( طائرات الفانتوم ) ستسلم بعد فترة طويلة من الزمن . ولن ينتهي تسليمها الا في مطلع النصف الثاني من السبعينات اي عندما ستصبح من طائرات الصف الثاني . ولقد نقلت صحيفة لوريان لوجور عن وكالة الصحافة الفرنسية في واشنطن بأن الولايات المتحدة ستبدأ تسليم الطائرات بعد سنتين من توقيع العقد وبمعدل طائرتين شهريا . وهكذا فان المملكة العربية السعودية لن تملك سربيها كاملين الا بعد ٤ سنوات من توقيع العقد [!] ( لوريان لوجور ٧٣/٦/٦ ) . وفي ٦/١ نقلت محطة اذاعة اسرائيل على لسان موظف كبير في واشنطن « ان ارسال الطائرات الى دول الخليج الفارسي [ العربي ] لا يزعزع ميزان القوى في الشرق الاوسط . وانه ما زالت اسرائيل تتفوق تفوقا حاسما حتى الان . وان المصادقة على صفقة طائرات الفانتوم مع السعودية ستستغرق سنة اخرى . وقد تمر سنة اخرى او سنتان قبل البدء بتسليم الطائرات للسعودية » ( ر. ا. ا. عدد ٢٣٨ ) . فاذا صحت كل هذه الافتراضات ، واضفنا اليها صعوبة استيعاب الاسلحة المتطورة في البلدان المتخلفة فهمنا ان هذه الصفقات التي سيبلغ ثمنها ١٫٠٠٠ — ١٫٥٠٠ مليار من الدولارات ستكون — اذا ما اصرت الولايات المتحدة على شروطها — مجرد عملية تجارية اميركية رابحة لا تبدل موازين القوى في صراعنا المصيري المقبل او اي صراع يتم في منطقة الخليج العربي . وتأكد لنا من جديد ان تبديل موازين القوى في اي صراع تقليدي لن يتم الا عن طريق التسليح من دول الكتلة الشرقية .

**حول تعيين قائد جديد لسلاح الجو الاسرائيلي :**

يعتبر تعيين الجنرال بنيامين بيليد خلفا للجنرال مردخاي هود كقائد لسلاح الطيران الاسرائيلي تبديلا من جملة التبديلات التي تجري داخل القيادات العسكرية الاسرائيلية باستمرار في سبيل اكتساب الدماء الجديدة ، ومنع التكلس في الصفوف القيادية العليا .

والجنرال بيليد ( ٤٧ سنة ) طيار مقاتل قديم . فلقد بدأ دراسة الهندسة في التخنيون في عـام ١٩٤٧ ، ثم عمل ميكانيكيا في سلاح الطيران ابان حرب ١٩٤٨ ، والتحق بعد الحرب بدورة طيران استمرت حتى كانون الثاني عام ١٩٥٠ ، وبقي طيارا في اسراب الطائرات المروحية حتى نيسان ١٩٥٢ حيث ارسل بدوره للتدريب عـلى الطائرات النفاثة . اشترك في حرب ١٩٥٦ ، واسقط المصريون طائرتـه فجرح والقى بنفسـه بالمظلة ، ثم انقذته طائرة مروحية اسرائيلية . اشترك في حرب ١٩٦٧ كقائد قاعدة جويـة ، وشارك في وضع خطة ضرب الطيران العربي ، ثم شارك بعد ذلك في حرب الاستنزاف .

ويتمتع هذا التغيير — رغم بقائه ضمن اطـار التغييرات المألوفة — بأهمية خاصة نظرا للاسباب التالية :

— يتم التغيير في فترة انتهاء مرحلة انتقال سلاح الطيران الاسرائيلي من التسليح الفرنسي ( ميراج، مستير ، ... الخ ) الى التسليح الامريـكي ( فانتوم ، سكاي هوك ... الخ ) .

— يتم التغيير ضمن عناصر من الجيل نفسه لا ضمن اطار « نزع جيل حرب ١٩٤٨ الذي كـان يمثله مردخاي هود لاحلال جيل مكانه أكثر شبابا واكثر عصرية » كما يقول حاتم صادق من مركز الدراسات الاستراتيجية والسياسية في مؤسسة الاهرام عند تحليل اسباب التغيير ( السياسة اللبنانية ١٩٧٣/٥/٢٦ ) ... فالجنـرال هود والجنرال بيليد من عمر واحد ( ٤٧ سنة ) وتكوين عسكري متقارب، والفرق الوحيد بينهما هو ان الاول قاد سلاح الطيران مدة ٦ سنوات ، واعطى كل ما عنده ، وحقق انتصارا كبيرا يمكنه ان ينـام على امجاده وان يجتر ذكرياته طوال مدة بقائه في قيادة السلاح ، على حين ان الثاني متشوق لان يثبت امكاناته ويبني مجده عـن طريق تحقيـق انتصارات جديدة .

— يتم التغيير في فترة نمو سلاح الطيران الاسرائيلي وزيادة مهماته ضمن اطار استراتيجية الردع التي تستغلها اسرائيل الى ابعد مدى وسط جمـود اللاحرب واللاسلم .

— يتم التغيير مع بداية احتمالات حصول عـدد من الدول العربية على طائرات فانتوم امريكية . واحتمالات اصطدام الطائرات الاسرائيليـة [ الامريكية ] بطائرات سعودية او كويتيـة [ امريكية ] عندما ستحاول الحكومة الاسرائيلية توسيع حدود ضرباتها الرادعة الى الاهـداف البعيدة ( أهداف بترولية لتأمين الشلل الاستراتيجي او اهداف في البحر الاحمر لمنع الخنـق الاستراتيجي) .

— ان انتقال الجنرال هود الى منصب المسؤول عن الصناعات الحربية بعد عمله ٦ سـنوات كقائد لسلاح الطيران دليل على اهتمام اسرائيل المتزايد بتطوير هذه الصناعة .

**المقدم الهيثم الايوبي**

# ملحق القضية الفلسطينية عسكريا

## « الجديد في التسليح الاسرائيلي »

أعلنت الحكومة الاسرائيلية مؤخرا عن وجود عدد من الاسلحة الجديدة العاملة في جيشها . وهي اسلحة اشترتها لاستخدامها بدون تعديلات ، أو ادخلت عليها عددا من التعديلات بعد شرائهـا او بعد الاستيلاء عليها في حرب ١٩٦٧ :

**في مجال الدبابات**

**أ) الدبابة المتوسطة م — ٦٠ امريكية**

النوع — دبابة ميدان رئيسية .

الوزن — ٥٣ طنا .

الطاقم — ٤ ( قائد ، مدفعي ، ملقم ، سائق ) .

السرعة والمدى — ٤٨ كم/ساعة ، ٥٠٠ كيلومتر.

التسليح — مدفع ١٠٥ ملم بريطاني + رشاش ٥٠٠ يمكن استخدامه ضد الطائرات + رشاش ٧،٦٢ ملم .

الذخيرة — ٦٣ قذيفة من مختلف الانواع .

تجتاز عقبات حتى ارتفاع ٠،٩١ متر . درجة الانحدار القصوى ٦٠ ٪ ، القدرة القصوى لقطع الخنادق ٢،٥٨ متر ، تستطيع عبور حواجز مائية عمقها ١،٢٢ متر بدون تجهيزات اضافية ، ٢،٤٠ مع تجهيزات خاصة .

معدات الرؤية الليلية — أجهزة أشعة تحت الحمراء للقائد والمدفعي + ضوء كشاف ابيض يمكن تركيبه في المقدمة فوق المدفع .

**ب) تعديلات على الدبابات « ت ٥٤ » و« ت ٥٥ ».**

— استبدلت مدافعها عيار ١٠٠ ملم بمدافع انكليزية عيار ١٠٥ ملم .

— استبدلت أجهزة التصويب والرؤية الليلية التي تعمل بالاشعة تحت الحمراء .

**ج) تعديلات على الدبابة سونتوريون مارك ٥ .**

— استبدل مدفعها عيار ٢٠ رطل بمدافع انجليزية عيار ١٠٥ ملم .

— استبدل محركها القديم من طراز « ميتيور » قوة ٦٥٠ حصان ، بمحرك امريكي « كونتيننتال » قوة ٧٥٠ حصان ، ويعمل بالمازوت .

— زودت برشاشين ٣٠٠ بدلا من الرشاش القديم ٧،٦٢ .

— سرعتها ٤٣ كم/ساعة على الطرقات .

١٧ كم/ساعة في الاراضي الوعرة .

— مداها : الاصلي ١٨٥ كم ، يقول الاسرائيليون بانه تضاعف نتيجة زيادة كمية الوقود المحمولة ، وانخفاض معدل استهلاك الوقود .

**د) ناقلات جنود مدرعة M. 113 امريكية .**

الوزن — ١٠ اطنان

الطاقم — ١٣ رجلا ، ( قائد ، سائق ، ١١ جندي مشاة ) .

السرعة على الطرقات — ٦٤ كم/ساعة .

التدريع — المنيوم .

تجتاز عقبات حتى ٠،٦١ مترا . وخنادق حتى ١،٦٧ مترا .

التسليح — رشاش ٥٠٠ مع ٢٠٠٠ طلقة .

المدى — ٣٢٠ كم ( مدى M. 113 A 1 ٤٨٠ كم )

**هـ) عربة مدرعة حاملة جسر M. 60 امريكية .**

الوزن — ٥٥ طن .

الطاقم — رجلان .

طول الجسر الذي تستطيع مده — ١٨ مترا .

الوقت اللازم لمده — دقيقتان .

ملاحظة — مواصفاتها العامة الاخرى شبيهة بالدبابة م — ٦٠ .

**في مجال المدفعية**

**أ) المدافع M. 110 امريكية .**

النوع — مدفع هاوتزر ذاتي الحركة .

العيار — ٢٠٣ ملم .

المدى — ١٦،٨٠٠ متر ويصل الى ٣٠،٠٠٠ متر بواسطة سبطانة مطولة وحشوة دافعة اضافية ويسمى هذا الطراز M. 110 E 2 .

الاعداد — ١٣ رجلا .

معدل اطلاق النار المستمر — طلقة كل دقيقتين .
الذخيرة — تحمل في شاحنة منفصلة .

سرعة ناقلته — ٥٤ كم/ساعة على الطرقات — ١٤ كم/ساعة في الاراضي الوعرة .

الشاحنة — M. 55 .

وزن القذيفة — ٩٠ كغم .

**ب) المدافع M. 107 امريكية .**

النوع — مدفع هاوتزر ذاتي الحركة .

العيار — ١٧٥ ملم .

المدى — ٣٢،٧٠٠ متر — اقصى مدى —.

الاعداد — ١٣ رجلا ( ٥ على شاحنة المدفع ١٠٧ و٨ على شاحنة مرافقة ) .

الذخيرة — تحمل في شاحنة M. 548 منفصلة .

السرعة — ٥٤ كم/ساعة على الطرقات .

وزن القذيفة — ٦٦،٦ كغم .

**ج) المدافع M. 109 امريكية .**

النوع — مدفع هاوتزر ذاتي الحركة .

العيار — ١٥٥ ملم .

المدى — ١٤،٦٠٠ متر ، يصل الى ١٨،٢٠٠ متر بسبطانة أطول وحشوة زائدة ، ويسمى في هذه الحال M. 109 A 1

الاعداد — ١١ رجلا .

السرعة القصوى — ٥٥كم/ساعة .

ملاحظة — أصغر مدفع امريكي يستطيع اطلاق قذائف نووية .

**د) المدافع الاسرائيلية الجديدة (تجمع في اسرائيل).**

النوع — مدفع ذاتي الحركة ، مركب على قاعدة دبابة شيرمان .

العيار — ١٥٥ ملم .

المدى — ٢٠ كيلومترا .

الاعداد — ٧ رجال .

معدل اطلاق النار المستمر — ٣ طلقات في الدقيقة، بفضل جهاز تلقيم نصف آلي .

سرعة الناقلة — ٥٨ كم/ساعة على الطرقات .
الذخيرة — ٦٠ قذيفة .

**في مجال الطيران**

**أ) الصاروخ « شفرير » .**

النوع — صاروخ جو — جو يوجد منه نموذجان الاول يوجه بالاشعة تحت الحمراء ، والثاني بالرادار .

المدى — ٥ كم .

الاطوال — الطول ٢،٥ متر .

الوزن — ٩٣ كغم .

العبوة الناسفة — ١١ كغم .

**في مجال البحرية**

**أ) الزورق « رشاف » .**

النوع — زورق سريع حامل صواريخ .

الوزن — ٤١٥ طنا .

الطاقم — ٤٥ جنديا وضابطا .

السرعة — ٣٢ عقدة/الساعة .

المدى — ٢٠٠٠ كيلومتر .

التسليح — سبعة صواريخ سطح — سطح غابرئيل + مدفع عدد ٢ عيار ٧٦ ملم + اربع قاذفات قنابل اعماق + رشاشات ومدافع خفيفة.
قوة الدفع — ٤ محركات ديزل ، قوة المحرك الواحد ٢٦٧٠ حصان .

الاطوال — الطول ٥٨،١٠ متر ، العرض ٧،٦٢ متر .

**ب) الزورق « دفور » .**

النوع — زورق دورية نهري لاسناد الاقتحام ، ويمكن استخدامه في مهمات الحراسة ، والدورية في الانهار ، وكاسحة الغام .
الوزن — ٣٦،٢٥ طنا .

الطاقم — ٦ رجال .

السرعة القصوى — ٢٥ عقدة ، سرعة الملاحة ١٤ عقدة .

التسليح — مدفع عدد ١ — ٢ عيار ٢٠ ملم + رشاش مزدوج عيار ٥٠٠ + قاذف قنابل عيار ٤٠ ملم عدد ٢ .

ملاحظات — مرابض الرشاشات محمية بابراج مدرعة . موجود في البحر الميت .

## جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية من ٥/١٤ ــ ١٩٧٣/٦/١٣

| الرقم | تاريخ العملية: اليوم | تاريخ العملية: الساعة | موقعها | نوع العملية | السلاح المستعمل | خسائر العدو البشرية: قتيل جريح | خسائر العدو المادية | خسائر المقاومة: شهيد | خسائر المقاومة: جريح | خسائر المقاومة: مفقود | المصدر | تاريخه |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ١ | ٥/١٧ | ــ | يافا | تفجير | عبوات ناسفة | عدة اصابات | تدمير مطعم برتاده ضباط وجنود العدو | ــ | ــ | ــ | تصريح عسكري رقم٧٣٤ | ٥/١٧ |
| ٢ | ٥/١٨ | ــ | كفاريونا/ناتانيا | تفجير | عبوات ناسفة | غيرمحدد | تفجير محطة لتجميع السيارات العسكرية | ــ | ــ | ــ | تصريح عسكري رقم٧٣٥ | ٥/١٨ |
| ٣ | ٥/١٩ | ١٣،٠٠ | اريحا | تفجير | قنابل حارقة | غيرمحدد | احداث اضرار مادية كبيرة في مركز التسويق الزراعي نتيجة لاحتراقه | ــ | ــ | ــ | تصريح عسكري رقم٧٣٦ | ٥/٢١ |
| ٤ | ٥/٢٤ | ٢٢،٣٠ | القدس | تفجير | عبوات ناسفة | عدةاصابات | نسف مبنى مركز للمخابرات واصابة بنايات مجاورة باضرار | ــ | ــ | ــ | تصريح عسكري رقم٧٣٧ | ٥/٢٥ |
| ٥ | ٥/٢٤ | ــ | القدس | تفجير | عبوات ناسفة | غيرمحدد | تدمير مجمع خطوط الهاتف | ــ | ــ | ــ | تصريح عسكري رقم٧٣٨ | ٥/٢٥ |
| ٦ | ٥/٢٢ | ــ | مناحيما/طبريا | تفجير | عبوات ناسفة | عدةاصابات | تدمير عدة مبان ومنشآت | ــ | ــ | ــ | تصريح عسكري رقم٧٣٩ | ٥/٢٥ |
| ٧ | ٥/٢٩ | ــ | كريات حاييم/حيفا | كمين | اسلحة مختلفة | ١(١) | ــ | ــ | ــ | ــ | تصريح عسكري رقم٧٤٠ | ٥/٣٠ |
| ٨ | ٦/ ١ | ١٢،٣٠ | بين تل ابيب والخضيرة | تفجير | عبوات ناسفة | عدةاصابات | تدمير باص تدميرا كاملا | ــ | ــ | ــ | تصريح عسكري رقم٧٤١ | ٦/ ٢ |
| ٩ | ٥/١٨ | ١٥،٣٠ | بين بيت ليد وبتاح تكفا* | تفجير | عبوات ناسفة | غيرمحدد | اصابة باص لنقل الجنود | ــ | ــ | ــ | ف. ث. عدد٤٦ ص٦ | ٦/ ٦ |

| | | | | | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ١٠ — ٥/٢٩ | — | طولكرم(٢)* | تفجير | عبوات ناسفة | غيرمحدد | | اصابة مكتب العمل وتخريب شبكات التلفون واحراق مختبر لدراسة احوال البيئة والمياه | — | — | — | ن.ث. عدد٤٦ ص٦ | ٦/ ٦ |
| ١١ — ٤/١٩ | ٧٦٠٠ | النـــاصرة* | تفجير | عبوات ناسفة | ٣ | — | تفجير مبنى سكن ضابط المخابرات «يوسف حاييم» | — | — | — | هـ. عدد٢٠٥ ص٥ | ٦/ ٩ |
| ١٢ — ٤/٢٨ | ١٦٤٠٠ | بئر السبع* | تفجير | عبوات ناسفة | ٤ | — | تفجير مصنع للادوات الصحية | — | — | — | هـ. عدد٢٠٥ ص٥ | ٦/ ٩ |
| ١٣ — ٥/ ٢ | — | القـــدس* | القاء قنبلة | قنبلة يدوية | — | ١ | اصابة مبنى بنك هيو عليم | — | — | — | هـ. عدد٢٠٥ ص٤ | ٦/ ٩ |
| ١٤ — ٥/ ٧ | — | تل ابيب* | تفجير | قنبلة موقوتة | غيرمحدد | | اصابة حديقة روتشيلد باضرار | — | — | — | هـ. عدد٢٠٥ ص٤ | ٦/ ٩ |
| ١٥ — ٥/ ٧ | — | طـبريا* | تفجير | عبوة ناسفة | غيرمحدد | | وضعت العبوة عند بركة السباحة | — | — | — | هـ. عدد٢٠٥ ص٤ | ٦/ ٩ |
| ١٦ — ٥/١٠ | — | تل ابيب* | تفجير | عبوة ناسفة | غيرمحدد | | حريق في مصنع «جنوكا» لعلبات البويـــا | — | — | — | هـ. عدد٢٠٥ ص٤ | ٦/ ٩ |
| ١٧ — ٥/١٠ | — | وادي اليازان/نابلس* | كمين | اسلحة رشاشة وقنابليدوية | غيرمحدد (افراد دورية) | | | | | | هـ. عدد٢٠٥ ص٥٠٤ | ٦/ ٩ |
| ١٨ — ٥/١١ | — | تل ابيب* | تفجير | عبوات ناسفة | غيرمحدد | | تدمير جزء من مصنع شركة لحوم النقانق | — | — | — | هـ. عدد٢٠٥ ص٤ | ٦/ ٩ |

---

١ — قتل رجل المخابرات الصهيوني ايستون ابو طبول وذلك امام نادي الهستدروت .

* — اخذت هذه العمليات من مصادر المقاومة وسيجري تحديد ارقام البلاغات العسكرية الصادرة عن القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية في الجدول القادم .

٢ — اعترف العدو بهذه العمليات ، راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل عدد ٢٣٦ ، تاريخ ١٩٧٣/٥/٣٠ .

## جدول بالعمليات العسكرية التي اعترف بها العدو الصهيوني من ٥/١٤ — ١٩٧٣/٦/١٣

| الرقم | تاريخ العملية: اليوم | تاريخ العملية: الساعة | موقعها | نوع العملية | السلاح المستعمل | خسائر العدو البشرية: قتيل | خسائر العدو البشرية: جريح | خسائر العدو المادية | خسائر المقاومة: شهيد | خسائر المقاومة: جريح | خسائر المقاومة: مفقود | المصدر | تاريخه |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ١ | — ٥/١٦ | — | القدس | تفجير | عبوة ناسفة | — | — | يزعم البيان بانه جرى ابطال مفعول العبوة | — | — | — | ن. عدد٢٢٤ ص٧ | ٥/١٦ |
| ٢ | — ٥/١٧ | — | يافا | تفجير | عبوة ناسفة | — | — | اصابة مطعم باضرار | — | — | — | ن. عدد٢٢٥ ص٨ | ٥/١٧ |
| ٣ | — ٥/٢١ | — | طبعون/بين الناصرة وحيفا | غيرمحدد | غير محدد | — | — | تحطم طائرة عسكرية | — | — | — | ن. عدد٢٢٩ ص١ | ٥/٢٢ |
| ٤ | — ١ /٦ | ١٢،١٠ | بين تل ابيب والخضيرة | تفجير | عبوة ناسفة | — | — | تدمير باص | — | — | — | ن. عدد٢٣٩ ص١٣ | ٢ /٦ |

### تعريف بالمصطلحات الوارد ذكرها :

— تصدر التصاريح العسكرية عن الاعلام العسكري في القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية .
— ف. ث. : فلسطين الثورة ، مجلة اسبوعية تصدر عن دائرة الاعلام والتوجيه القومي في منظمة التحرير الفلسطينية .
— هـ. : الهدف ، مجلة اسبوعية تصدر عن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين .
— ن. : نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، تصدر يوميا عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

غازي خورشيد

# نشرة رصد اذاعة اسرائيل

## باللغتين العبرية والعربية

اصدر مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية اعتبارا من ١٩٧٢/٨/١ نشرة استماع يومية للاذاعة الاسرائيلية التيتبث برامجها باللغة العبرية، واعتبارا من اول تموز١٩٧٣نشرة اسبوعية ترصد الاخبار والتعليقات التي تبثها اسرائيل باللغة العربية . وذلك بغية تزويد الجهات المعنية والمسؤولة والمختصة في البلاد العربية ( العسكريون ، السياسيون ، الاعلاميون ، الصحافيون ، الاقتصاديون ، مكاتب المقاطعة ، الباحثون الخ ... ) باخبار العدو ومواقف قادته واتجاهات سياسته والتطورات التي تطرا عليه في مختلف الميادين ، واخبار المناطق المحتلة حديثا بحيث يسهل على ذوي الشأن ، حين يطلعون على حقيقة ما يجري ويقال في اسرائيل ، اتخاذ الاجراءات اللازمة .

تتميز نشرة مركز الابحاث بانها تتضمن تسجيلا كاملا ودقيقا للتعليقات السياسية والندوات والمقابلات واقوال الصحف التي تبث من الاذاعة يوميا ، بالاضافة الى تسجيل جميـــع نشرات الاخبـــار . وتتميز النشرة الاسبوعية بقيمة كبيرة تكتسبها من دراسة الحرب النفسية التي توجهها اسرائيل للعرب، ولدراسة التباين بين ما تذيعه اسرائيل بالعبرية لمواطنيها وما تذيعه بالعربية للعرب الى جانب جميع الاخبار المتعلقة بعرب المناطق المحتلة عام ١٩٦٧ .

وتطبع النشرة على « الاوفست » لضمان اخراجها بشكل جيد ومريح للقارىء .

يقوم المركز بتوزيع النشرة يوميا على المشتركين في بيروت . اما المشتركون خارج بيروت فترسل لهم النشرات بالبريد الجوي ، او باية وسائل اسرع .

يتوجه مركز الابحاث اليكم على أمل ان تشتركوا بنسخة او اكثر من هذه النشرة . وبالنظر الى التكاليف الباهظة نسبيا للنشرة ( الاستماع ، الترجمة ، السحب ، التوضيب ، التوزيع ، الورق وخلافه ) فقد تقرر أن تكون قيمة الاشتراك خمسماية ليرة لبنانية للحكومات والمؤسسات العامة ، وثلاثماية ليرة للمؤسسات الخاصة والصحافة ، او ما يعادل ذلك بالعملات الاخرى ، يضاف اليها اجور البريد : في البلاد العربية ١١٠ ل. ل. ، في اوروبه ١٥٠ ل. ل. ، في الاميركتين ٤٠٠ ل. ل. ، وفي آسيه وافريقيه ٣٥٠ ل.ل.

ان مساهمتكم بالاشتراك باكبر عدد ممكن من النسخ هو الذي سيمكن النشرة من الصدور والاستمرار والنمو ( خاصة واننا ننوي أن نبدأ بعد فترة وجيزة بنقل البرامج الاذاعية الاسرائيليـــة التي تبث باللغات الانكليزية والفرنسية ) .

ترسل الاشتراكات الى :

مركز الابحاث ، نشرة الاستماع

ص. ب ١٦٩١ ، بيروت .

صدر حديثا عن مركز الابحاث كتاب بالانجليزية بعنوان

# THE LEGAL STATUTS OF ISRAELI - ZIONIST FUNDRAISING IN THE U.S.A. : A LAWSUIT

بقلم

عابدين جبـــارة

والكتاب مرافعة قضائية اعدها الكاتب ضـــد سكرتارية وزارة المـــالية الاميركية وجهات حكومية اخرى لاعفائها الوكالة اليهودية مـــن ضرائب الدخل وموضحا فيها الطبيعة الاستيطانية ـ الاستعمارية التي تنفذهـــا اسرائيل والوكالة اليهودية من هذه الاموال المجباة .

**اطلب نسختك من قسم التوزيع في مركز الابحاث ص.ب ١٦٩١ ـ بيروت**

سعر النسخة ٢ ل.ل يضاف اليها اجور البريد : ٥٠ ق.ل. في العالم العربي ١٠٠ ق. ل. فـــي اوروبـــا ، ٢٥٠ ق. ل. فـــي ســـائر الـــدول .

# مسابقة في القصة

١) تدعو دار الطفل العربي الكتاب والقصاصين العرب الى المساهمة في مشروع مكتبة الطفل العربي . وتتألف هذه المكتبة من قصص تناسب العمر ما بين ٧ — ١٤ سنة . ويراعى في القصص ان تكون ايجابية هادفة تصور حقيقة الصراع العربي — الصهيوني ، وتمثل النضال ضد الاستسلام ، وتغذي روح المقاومة العربية ضد الاحتلال والاستعمار .

٢) تخصص الدار للقصة الواحدة مكافأة مالية تتراوح بين ٥٠ — ٢٠٠ ل.ل على الا يقل عدد كلمات القصة عن ٥٠٠ كلمة ولا تزيد على ثلاثة الاف كلمة .

٣) يراعى في تقدير الجائزة التزام القصة بالمبادىء التي ورد ذكرها في البند الاول ، ويؤخذ ايضا حجمها بعين الاعتبار .

٤) تصبح القصة بعد اختيارها ملكا لدار الطفل العربي ويحق للدار ان تجري فيها التعديلات ما تراه مناسبا، دون الرجوع الى كاتب القصة.

٥) يستطيع الكاتب ان يتقدم بقصة واحدة او بعدد من القصص .

٦) تتقبل الدار القصص المقدمة اليها حتى اخر شهر ايلول ( سبتمبر ) سنة ١٩٧٣ .

٢) لا تعد الدار ملزمة بأي شيء تجاه القصص التي لا تقع ضمن الاختيار ولا تعد نفسها مسؤولة عن ردها لاصحابها .

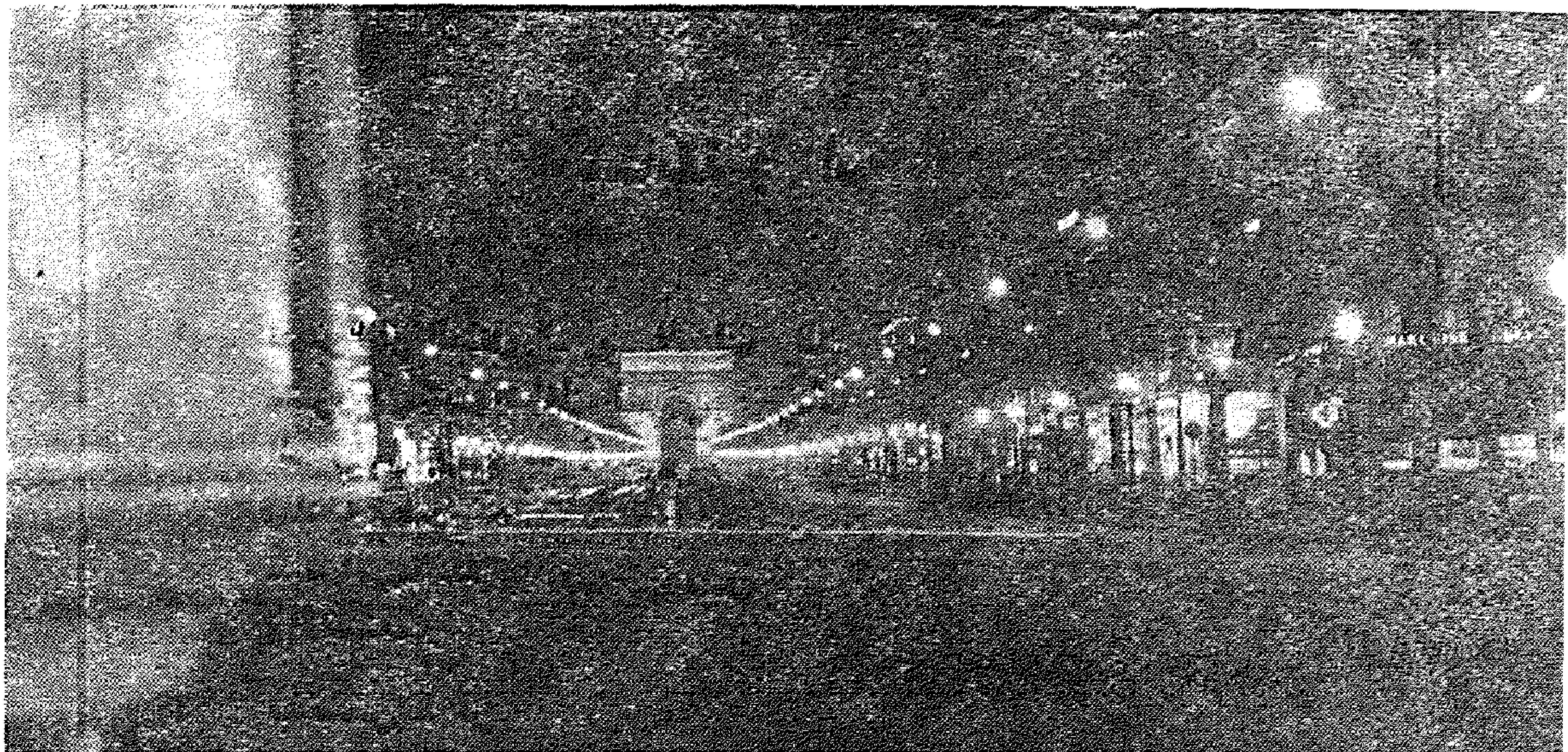
٨) تجري اللجنة تقييم القصص التي تردها وترد على مرسليها خلال اسبوعين من تاريخ استلامها .

٩) ترسل القصص على العنوان التالي :

**مكتبة الطفل العربي**

**ص. ب: (٧٣٠٦) بيروت**

**لبنان**

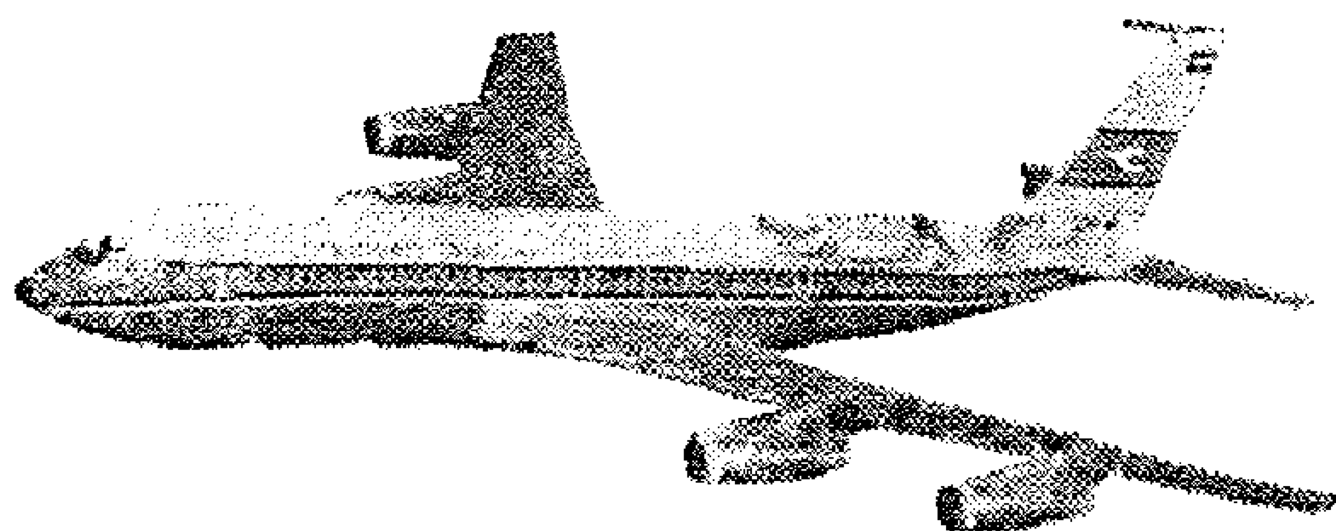


# رحلات يومية من الكويت والخليج العربي إلى عواصم أوروبا الرئيسية



الثلاثاء : الكويت ـ اثينا ـ جنيف ـ لندن الساعة ١١,٣٠
الأربعاء : الكويت ـ لندن بدون توقف الساعة ١٥,٠٠
الخميس : الكويت ـ روما ـ فرنكفورت ـ لندن الساعة ١١,٣٠
الجمعة : الكويت ـ روما ـ باريس ـ لندن الساعة ١١,٣٠
السبت : الكويت ـ اثينا ـ فرنكفورت ـ لندن الساعة ١١,٣٠
الأحد : الكويت ـ روما ـ باريس ـ لندن الساعة ١١,٣٠

سافروا بطائرات الخطوط الجوية الكويتية واجعلوا رحلاتكم سهلة ممتعة بمشاهدة العروض السينمائية التي أصبحت تقدم خلال جميع الرحلات، وذلك علاوة على الموسيقى المنوعة التي يمكنكم الاستماع إليها على ٦ أقنية مختلفة.



## الخطوط الجوية الكويتية

صدر حديثا كتاب

# في سبيل قضية فلسطين والوحدة العربية

## ومن وحي النكبة ولاجل معالجتها

رسائل ومقالات وبحوث وتعقيبات

١٩٤٨ ــ ١٩٧٢

**الجزء الاول**

تأليف

**محمد عزة دروزة**

كتاب من خمسمائة صفحة يحتوي مجموعة كبيرة من المراسلات والتعقيبات المتبادلة بين المؤلف وبين عدد من المسؤولين العرب وقادة المقاومة الفلسطينيةفي مناسبات قوية هامة، بالاضافة لطائفة من المقالات والبحوث.

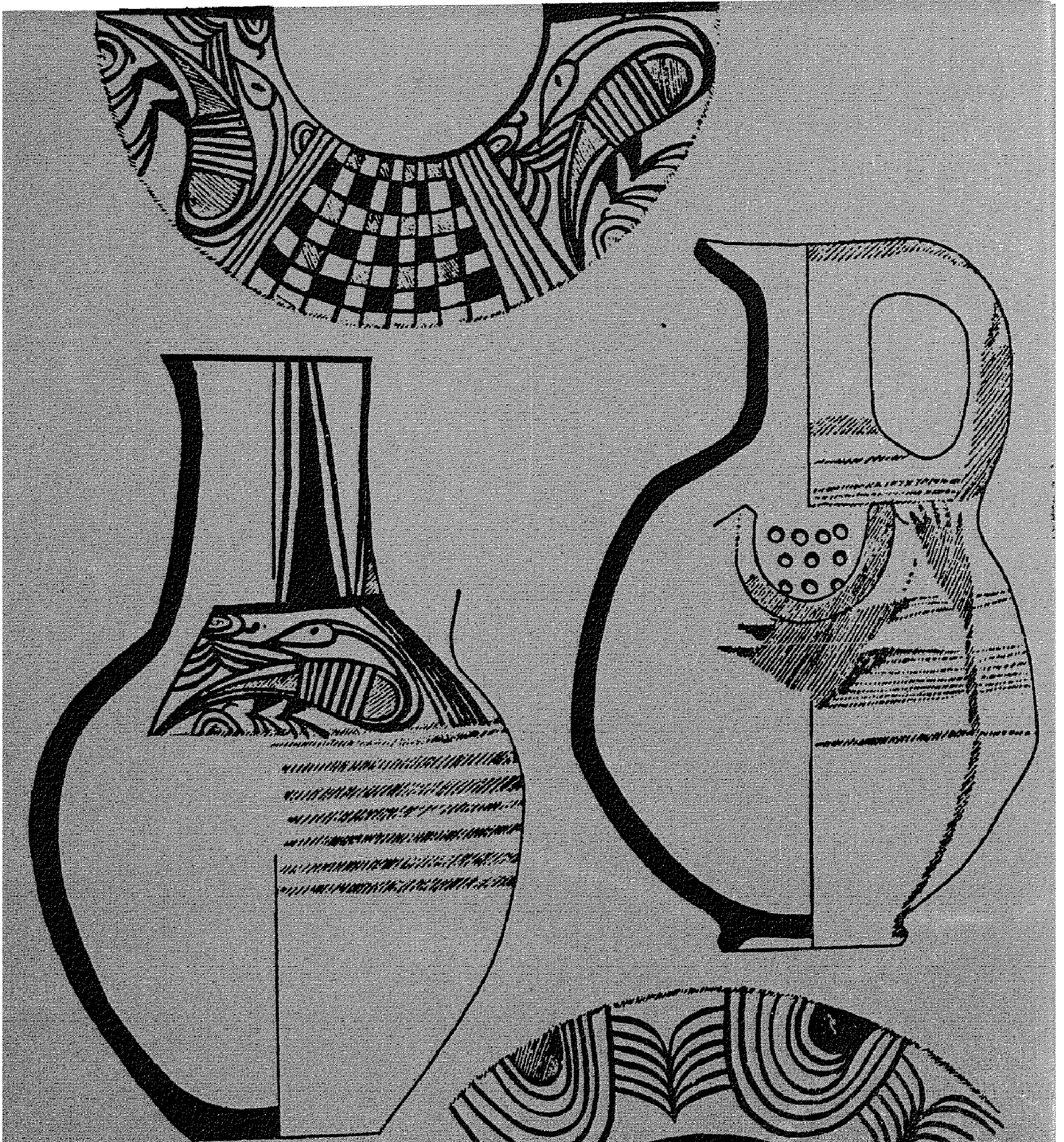
منشورات : المطبعة العصرية ــ صيدا

السعر ٢١/٢ ل.ل. في لبنان وسوريا
٣١/٢ ل.ل. في سائر الاقطار العربية

# شؤون فلسطينية

٢٤

آب ( اغسطس ) ١٩٧٣



# شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

رقم ٢٤ — آب ( اغسطس ) ١٩٧٣

شـــهرية فكرية لمعـــالجة احداث القضية الفلسطينية وشـــؤونها المختلفة .
تصدر شهريا عن مركز الابحـــاث في منظمـــة التحرير الفلســـطينية .

**يشارك في التحرير** : محمود درويش .

**سكرتير التحرير** : ابراهيم العابد    **مدير التوزيع** : غازي خورشيد .



جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبيها ولا تعكس بالضرورة آراء منظمة التحرير الفلسطينية ولا المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين.

**العنوان** : بنايـــة الدكتـــور راجي نصر ، شـــارع كولومبـــاني
( متفرع مـــن الســـادات ) ، راس بـــيروت ، بـــيروت ـــ لبنـــان ،
ص.ب ١٦٩١ ، تلفون : التحرير ٣٥١٢٦٠ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ،
برقيا مرأبحاث ، بيروت .

ثمن العدد : ٢١/٢ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٣١/٢ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٥ ل.ل. في اوروبا وافريقيا وآسيا ، ٨ ل.ل. في سائر دول العالم .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٣٠ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٤٠ ل.ل. في سائر الاقطـــار العربيـــة ، ٦٠ ل.ل. في اوروبا وافريقيا وآسيا ، ٩٠ ل.ل. في سائر دول العالم .

الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٤٥ ل.ل. في جميع الدول غير العربية .

الغلاف : اثريات فلسطينية ٢٠٠٠ سنة ق.م.

# المحتويات

# شؤون فلسطينية

الدكتور انيس صايغ

كثيرة هي الصفات المفروض تواجدها لدى افراد الثورة الفلسطينية وجميع العاملين في الحقل الفلسطيني .

وطويلة هي المواعظ والنصائح والارشادات والتوجيهات التي يمكن ان نوجهها الى بعضنا بعضا والتي نحتاج ان نصارح بها أنفسنا .

ولكننا الان ، في هذه الفترة بالذات ، التي تتكاثر بها الضربات ، من العدو ومن القريب، والتي تشتد فيها المؤامرات ، دولية وعربية ، مدعوون لأن نختصر جميع المواعظ والنصائح والارشادات والتوجيهات وان نركز على صفة واحدة ، أساسية ، وحيوية ، تبرز فوق كل الصفات الضرورية . وهي الصمود : صمود المقاتل في خندقه ، وصمود المسؤول في مركز قيادته ، وصمود الباحث او الكاتب في موقعه .

لقد اخترنا جميعا ، نحن ابناء الثورة الفلسطينية ، مصيرنا . وليس بيننا من ورث هذا المصير ولا من تحمله بالاكراه او بالمجاملة او بالخطأ . اخترناه عن ايمان وعن أمل . وقد غربلتنا التجارب والمحن ، فرسب من رسب وثبت من ثبت . رسب من ضعف ايمانه او خبا أمله ، وثبت من اشتد ايمانه وامتد امله .

ان طرق الهروب كثيرة . وان اغراءات الخروج جذابة . وان دوافع الانسحاب قوية . وان اثمان التنازلات مجزية . لكن ايمان الثائر الصحيح ، قائدا كان او مقاتلا ، وباحثا كان او كاتبا ، وسياسيا كان او مهنيا ، ايمانه أكبر وأمله أقوى . وبهذا الايمان وبهذا الامل صمد ويصمد الكثيرون ، وسيظلون صامدين حتى النصر .

ليست الثورة حرفة حتى يبدلها الانسان . وليست مكسبا حتى يتخلى عنها ان قل دخله. وليست وجاهة حتى ينال بها مقصدا آخر .

الثورة ، عند الثائر الحقيقي ، حياة . وهي ارتباط لا يفك . وهي سلوك لا رجعة فيه . والصمود هو أساس الثورة ، وهو طريقها الى النصر .

ويشرّف «شؤون فلسطينية» الا تكون أداة للصمود ، ودعوة للايمان والامل ، فحسب ، بل ان تكون عنصرا من عناصر الصمود الفلسطيني ، دليلا ناطقا حيا عليه . يشرّفها الا تكون مجرد لسان يهاجم الانحراف ويفضح الاستسلام ويكشف الانهزام ، بل ان تكون ، فوق ذلك كله ، موقعا متقدما وناميا بثبات الصامدين من العاملين فيه ، مؤشرا الى صمود الثورة ككل ومؤكدا على حتمية انتصارها بفضل هذا الصمود .

ذلك ان الثورة لا تصمد بالشعارات . ولا بالمقالات ولا بالخطب . بل هي تصمد بالبندقية التي لا تتخلى عنها يد المقاتل . وبالمسؤول الذي لا ينسحب بمجرد سقوط رفيقه . وبالكاتب الذي يلازم موقعه ولو استهدفته الاخطار . أولم ندرك ، منذ ان اخترنا الثورة مصيرا لنا ، أن ثمنها غال وحملها ثقيل ، ان اجتيازها صعب ومسلكها وعر ؟

الثائرون الحقيقيون يدركون ذلك . ويصمدون .

١٩٧٣/٧/١٩

# كيف نقول

## «لا»

# للدولة الفلسطينية

شفيق الحوت

لست من الذين يغالون في تقدير دور الافراد في صنع التاريخ ودفع عجلته لدرجة الايمان بأنه لو كان أنف كيلوباطرة اطول سنتمترا عما كان لتغير وجه التاريخ .

ولست ــ كذلك ــ من الذين يلغون دور الافراد على الاطلاق في هذا المضمار لدرجة الاعتقاد بأنه كان يمكن أن يقوم الاسلام بدون محمد وان تنتصر ثورة اكتوبر بدون لينين وان تتوحد المانيا بدون بسمارك ، الى آخر تلك السلسلة من الظواهر التاريخية المرتبطة بأبطال محددي الصفات والسمات . طبعا لن يغفل عن الذهن ان ظروفا ملائمة واكبت او ربما تسببت في ظهور هؤلاء وتهيئة المناخ اللازم لنجاح دعواتهم .

وبغض النظر عن المنطلق الفكري والفلسفي الذي قد يعتمده اي منا في تحليل هؤلاء الافراد العظام ، فان ثمة اجماعاً على أن القاسم المشترك بينهم جميعا ، كان يتمثل في قدرتهم على استشفاف المستقبل من خلال ظواهر الحاضر الذي كانوا يحيونه .

بعبارة اخرى كانوا جميعا أصحاب رؤى ، وقدرة على استلهام القرار المناسب في الوقت المناسب خدمة لاهدافهم المستقبلية .

ففي الماضي كما في الحاضر ، كما في الغد ، ان القائد المسؤول ، شخصا فردا كان أم جماعة ، كثيرا ما يجد نفسه امام القضايا المصيرية حائرا بين حيثيات الموقف المطالب باتخاذ قرار بصدده .

القضايا الكبرى ، والقرارات المصيرية ، لا يستطيع القائد المسؤول أن يراها بلونين فقط : أبيض واسود .

وبين اللونين ، يجد احيانا ، عالما من الالوان يصعب التمييز في درجة السواد والبياض التي فيها .

ويتطلع القائد الى مستشاريه ، الى صحابته ، الى آلته الحاسبة ، فيجدها هي الاخرى حائرة بين السلب والايجاب ، مؤثرة في النهاية ان تترك له ، لالهامه ، لقدرته على استشفاف المستقبل ان يقرر .

وكلنا يذكر ، من تاريخ أمسنا المعاصر ، تلك الحيرة التي أصابت عبد الناصر عندما وصلته وهو في عرض البحر بين بريوني والاسكندرية أخبار الغزو الامريكي لشواطىء لبنان تمهيدا للرد على ثورة الرابع عشر من تموز العراقية .

يومها استدعى مستشاريه الى مقصورته الخاصة طالبا الراي والمشورة، وانتهى هؤلاء جميعا الى القول بلسان شيخهم آنئذ الدكتور محمود فوزي :

ـ في مثل هذه اللحظات الحاسمة ليس هناك من رأي يفوق ما يستلهمه القائد المسؤول، وكلنا ثقة بقدرتك على اتخاذ القرار المناسب .

والتاريخ مليء بمثل هذه المواقف ، التي رفعت البعض الى قمم العمالقة ، كما انزلت آخرين الى أسفل سافلين . وليس يحضرني من مثل اروع للتدليل على ذلك من وقفة التناقض التي وقفها كل من ديغول وبيتان من قضية الاحتلال النازي لفرنسا .

الفرق بين الرجلين ، في التحليل النهائي ، كان فرقا في القدرة على رؤية المستقبل ، ولو كان الماريشال بيتان في نظرته ابعد مدى ، بعد تقديره للموقف من كل جوانبه ، لما انتهى الى ما انتهى اليه في قبر مجهول . وبالتالي لما انتهى ديغول الى ما انتهى اليه كأحد آخر عمالقة التاريخ الاوروبي المعاصر .

والقضية ليست قضية حظ او قدر . انها تنطوي كذلك على مجموعة عوامل مادية ، تشكل نفسية القائد وقدرته على الاحتمال والصمود وبديهيا ، أن نشير الى دور المحيطين بالقائد من رفاق ومستشارين والى الاطار السياسي او « الماكينة » السياسية التي يعمل القائد من خلالها سواء من حيث خلفيتها الفكرية وانتمائها الطبقي وتاريخها النضالي وغير ذلك من المقومات الاساسية للفئة المتصدية لقيادة الشعب او البلاد او القضية ، اي قضية .



اردت من هذا الحديث كله أن امهد لمقولة متواضعة ، لا تشكل بحد ذاتها اكتشافا جديدا ، وانما اردت التركيز عليها ، بقصد استيعاب العبرة منها . هذه المقولة تتلخص بأن احداث التاريخ ليست جثثا محنطة ولا مواقف معلبة. وبالتالي فانه لا يمكن الاستغناء عن الخيال ، وربما الخيال الشاعري ، في صناعة المستقبل .

مثلان اثنان اسوقهما للشهادة من تاريخنا المعاصر . ثورة الجزائر ، وثورة كوبا . هاتان ثورتان ، عندما هبتا في سبيل تحقيق اهدافهما ، اتهم قادة كل منهما بالجنون والمغامرة . وممن ؟ من الثوريين التقليديين قبل أي فريق اخر . وقبيل النصر بقليل ، وعندما بدأت شمسه تلوح بالافق سقط « التاريخ » بكل حججه . وانتصرت الثورتان . ثم جاء التاريخ اليهما على استحياء يعتبر من تجاربهما ويغذي امعاءه بقوانين جديدة للثورة والثوار .

من غير صاحب خيال جامح كان يتصور ان تتحرر الجزائر قبل فلسطين ، ومن كان يتصور ان يقوم في كوبا النظام الاشتراكي الماركسي قبل انكلترا التي خيبت «بصمودها» المحافظ توقعات ماركس ؟

بديهي انه ما كان ممكنا ان نقول ما نقول الان لو انهزمت الثورتان ، ولربما كانت وقفتنا اليوم من رواد الثورتين وقفة تنديد لا تمجيد . ولكن هذه هي اهم سنن التاريخ وقوانين الحياة وهي ان المنتصر وحده يكتب التاريخ .



اذن ليس في التاريخ ما هو ثابت او محنط او معلب . والتاريخ يتقدم ولكن ليس بميكانيكية ذاتية وانما بدفع من خارجه . ولكنه صحيح أيضا ان تقدم التاريخ لا يسير في خط بياني غير متعرج . خط التاريخ تصاعدي ولكنه متعرج ومتذبذب ، يقفز طورا وينحدر طورا وينام في خط تراوحي مستقيم طورا ثالثا . . . ولكنه يصعد دائما .

فتاريخنا العربي المعاصر ، في نصف القرن الاخير ، تصاعد من غير ريب ، ولكن بذبذبة شديدة القفز والانحدار واحيانا بحدة شديدة .

فضياع الاسكندرون ، وعربستان ، وفلسطين ، وفشل الوحدة المصرية ــ السورية . . . هذه كلها منحدرات في مسيرة تاريخنا المعاصر ، تعادلها ربما ، تلك القفزات التي سجلها خط المسار بزوال الملكية في اكثر من قطر ، وتقبل الاشتراكية كفكرة ، والوعي على الوحدة والنضال من أجلها ، ونمو الحركة الوطنية الجماهيرية، وقيام الثورة الفلسطينية المسلحة الى غير ذلك مما نراه من ايجابيات هنا وهناك .

ومن المؤكد ان الدراسة النقدية لتجاربنا في نصف القرن هذا ، ستكشف عن كثير من الاخطاء والخطايا التي ارتكبها من تصدي لمهام المسؤولية من قادة ، على الصعيدين القطري والقومي .

ولا اظن ان « التجربة النضالية » الفلسطينية خلو من هذه الاخطاء وهذه العيوب ، وذلك على الرغم من ان «التابو» لم ينحسر نهائيا بعد عن البحث في تاريخ هذه التجربة، وكأن قدسية القضية قد انسحبت كذلك على اخطائها فباتت الاخطاء كذلك مقدسة لا تجرؤ عين الناقد على كشفها وان كشفتها عجز لسانه عن ترددها وتسجيلها .

ولست ادعي وانا اشير الى هذه القضية بالذات ان نقد التجربة الفلسطينية النضالية هو بالامر الهين .

لان القضية الفلسطينية ، وكما كشفت الايام ، من اشد قضايا عالمنا المعاصر تعقيدا ، ولان عدو الشعب فيها يختلف كثيرا جدا عن العدو التقليدي للشعوب والذي عرف خلال المئتي سنة الماضية بالاستعمار .

ان الصهيونية كأيديولوجية ، معتمدة على اليهود بالذات ــ وهم ليسوا كغيرهم من ابناء ما تعرف الارض من مذاهب ــ بتحالفها الذكي مع الاستعمارين القديم والجديد ، تجسد مفهوما جديدا للاستعمار لم يعرف له التاريخ من مثيل .

انها مشكلة فلسفية ونفسية تستحق وقفة كبرى ، عندما يكتشف الانسان ان اليهودي في موسكو ــ وبعد خمسين سنة من الحياة في ظلال الشيوعية ــ يلتقي بنفس الحماس على نفس الآراء السياسية مع يهودي الولايات المتحدة والتشيلي واليمن .

انها مشكلة سياسية تستعصي على الفهم أن تجد الاميركي الليبرالي يستسلم في نيويورك لارادة اليهودي هناك في اقامة المجتمع المفتوح غير الديني ، في الوقت الذي تجده يدافع عن هذا اليهودي بالذات في بناء المجتمع الاسرائيلي المتعصب والمغلق . بل واكثر من ذلك تجد ذلك الاميركي يساوم السوفياتي من حسابه التجاري الخاص كي يفتح الاخير ابواب بلاده للهجرة اليهودية الى اسرائيل .

وكما قيل ، أكثر من مرة ، وباختصار ، ان العرب يواجهون في قضية فلسطين اكثر العقائد رجعية في الفكر واكثرها وحشية وتخلفا ، ولكنها في نفس الوقت أكثرها تمتعا بأحدث قدرات التكنولوجيا والعلم الحديث .

ومن هنا فان التجربة النضالية ضد هذا العدو ، وفي مرحلة تمتد عبر سنوات طويلة من حرمان الامة العربية من ارادتها الحرة والفاعلة ، لم تكن بالتجربة الهينة . وليس من السهل اليسير الاشارة الواثقة الى مواقع الخطأ والصواب فيها ، ولا سيما بالنسبة المواقف المصيرية .



ويكثر هذه الايام الحديث عن هذه التجربة ، ربما ليس بدافع علمي تأريخي مجرد ، وانما لاسباب سياسية وتوجيهية محددة .

ومن جملة ما تردد طرحه في هذه الايام ، الحديث عن وقفة القيادة الفلسطينية من قرار التقسيم سنة ١٩٤٧ وهل كان صائبا ام خاطئا .

سؤال ما كان ليطرح لو انتصر العرب في حرب ١٩٤٨ ، ولربما قفزنا عنه لو انتصرنا في حرب ١٩٦٧ . اما وقد كانت الهزيمة — بغض النظر عن الاسباب — هي الحليف العربي في الحربين ، وفي أجواء انحسار الثورة الفلسطينية بعد أن أصابها ما أصابها من الاشقاء والاعداء على حد سواء ، فانه ليس من المستغرب ان يطرح مثل هذا السؤال مجددا .

ومما يزيد في حدة الصراع حول الرد على هذا السؤال ، أن في أجواء الحاضر السياسي مقترحات وحلولا ليست مقطوعة الصلة عن السؤال عن الماضي ، عنيت بذلك ما يسمى بمشروع « الدولة الفلسطينية » ، وتحركات الرئيس التونسي ووزير خارجيته ، وغير ذلك من ايماءات وتلميحات وبالونات اختبار لا نعرف من يطيرها ولكننا نراها تطوف في سمائنـــا .

**وقبل التعرض بالتعليق لهذا المشروع او غيره من المشاريع التي قد تطرح ، لا بد من التذكير — بسرعة وبشدة — بأن حركة المقاومة الفلسطينية ، الممثلة الشرعية الوحيدة لشعب فلسطين ، ترفع شعارا استراتيجيا متفقا عليه وغير قابل للمساومة باجماع أعضاء كل مجالسها الوطنية هو تحرير كامـــل التراب الفلسطيني من الصهيونيـــة الاسرائيلية واقامة الدولة الديمقراطية الفلسطينية الواحدة .. الى آخره .**

**ونحن مع التزامنا بهذا الهدف الستراتيجي ، لا نرى مع ذلك ، وعلى صعيد تكتيكي محض ، أي حرج من أن نناقش مثل هذه المشاريع . والمناقشة شيء والموافقة شيء آخر والفرق بينهما شاسع وهام .**

لماذا نناقش ؟ لان النضال السياسي هو شرط اساسي لنضالنا المسلح . وان لم نمارس يوميا نضالا سياسيا يكسب لنا المزيد من الاصدقاء ، او يحيد لنا — ولو القليل — من الاعداء ، نكون متخلفين في فهمنا للعمل الثوري ، وغير مدركين على الاطلاق لمجموعة الصراعات الدائرة من حولنا على جميع الاصعدة : فلسطينيا وعربيا ودوليا .

لا يكفي أن يكون « التحرير الكامل لتراب الوطن » شعارا لنـــا أو يافطة على مداخل مخيماتنا . يجب ان يكون « التحرير الكامل » قناعة دائمة ومستمرة لجماهير شعبنا على انه هدف ممكن مهما بدت الصورة قاتمة أو يائسة .

بالرد على المشاريع المطروحة ، بالرد المقنع فقط ، نستطيع أن نبقي شعبنا في الارض المحتلة وخارجها على صموده وتصميمه ، فلا نتركه فريسة الاعلام المضاد يصور له الواقع الراهن كما تراه وتتمناه عين العدو والخصم .

بالاقناع الدائم ، وليس بالارهاب الفكري نربح المسيرة في النهاية ، ولا سيما في ثورة مثل ثورتنا نصفها في الارض المحتلة ونصفها الآخر فوق أرض ليست لها وان كانت الراية عربية وصلة القربى واردة . ثورة الفلسطينيين كي تنتصر يجب ان تصبح ثورة العرب ، وهذه مدعاة أخرى لضرورة الحوار السياسي وعدم الخوف من مناقشة اي مشروع .



شخصيا ، ومن محصلة تجربة ذهنية وميدانية متواضعة ، أومن ايمانا راسخا ، اراهن عليه ، أن العدو الصهيوني الاسرائيلي ، لن يقبل تحت اي ظرف من ظروف الضغط السياسي بقيام اي كيان سياسي يحمل اسم فلسطين ، لا في الضفة الغربية ولا في قطاع غزة ، ولا في شرق الاردن ، ولا في هذه كلها معا .

قد تتنازل اسرائيل عن بعض تعنتها في ما اغتصبته من أرض عربية خارج فلسطين ، وبعد توفير كل ما ارادته من شروط . أقول « قد » ولا أراهن على ذلك ، اما في موضوع

أرض فلسطين وشعب فلسطين فليس من امكانية تنازل على الاطلاق وتحت اي ضغط الا ضغط القهر العسكري الذي لا تملك الا الرضوخ اليه .

ان فلسطين — من وجهة النظر الصهيونية — هي النقيض لاسرائيل ، وشعب فلسطين هو الشاهد على هذا التناقض وعلى الجريمة التي خلفها . اذن ، وكما حاولت اسرائيل، ونجحت الى حد كبير ولمدة ١٦ سنة ، من شطب اسم فلسطين عن الخارطة العالمية ، فانها اليوم وبعد حرب ١٩٦٧ وانتصارها فيها ، أكثر تعصبا لاستكمال شطب فلسطين والفلسطينيين معا .

وليس أدل على ذلك من ردود فعل حكام اسرائيل الاخيرة في موضوع « الدولة الفلسطينية » وتلميحات وتصريحات الرئيس التونسي . وباستطاعة اي راغب بالتدقيق ان يعود للصحف والاذاعة الاسرائيلية وما تحفل به من أقوال . وهي ليست مطلقا اقوال مناورة بل هي اقوال يعنيها المسؤولون الاسرائيليون بكل حرف من حروفها .

وفي رأيي ان هذا الحوار التراشقي بين تونس وتل ابيب ، وبين تل أبيب وأي فريق آخر — غير فلسطيني — يعود علينا كفلسطينيين أمام الرأي العام العالمي ، ولا سيما بين ذلك الفريق المحايد او اللامبالي بكسب سياسي كبير ، لانه يكشف لهؤلاء جميعا ، أكثر وأكثر ، حقيقة اسرائيل والصهيونية .

واني من الواثقين بأن اسرائيل ومن يخطط لها ، كانت وراء أكثر من مشروع مماثل [ كمشروع روجرز ومشروع المملكة العربية المتحدة ] قذفت به شرَكا الينا لنسارع نحن الى رفضه والتنديد به او لنختلف من حوله ونتشق شيعا وفرقا دون أن تكون جادة او صادقة في ما تطرح اطلاقا .

نحن ننسى في كثير من الاحيان ان الكرة الارضية قد صغرت بشكل مذهل وان وسائل الاتصال جعلت من الدنيا كلها ساحة واحدة تقريبا . لذلك فكثيرا ما نخاطب العالم وكأننا نخاطب انفسنا ، تحت وهم الظن بأن الدول والشعوب لا تملك بين يديها من مشاكل سوى قضيتنا .

غير العربي ، في كل مكان بهذه الدنيا ، بل وحتى بعض العرب أحيانا ، تحت وطأة ما يعانيه الانسان من مشاكل ذاتية وعامة لا يستطيع ان يفهم لماذا يرفض الفلسطيني دولة تقدم اليه على طبق من سلام !!

الصورة لديه هكذا . انه لم يعان ما عانيناه ، ولا يعرف عدونا حقيقة معرفتنا به ، وهو أكثر صلة بأجهزة الاعلام المعادية منه بأجهزتنا الاعلامية ( ان كان لنا أصلا أجهزة ) . لذلك لا بد ونحن نرفض او نقبل او نناقش ان ندرك هذه الحقيقة المرة ، وان نكون بالتالي على مستوى من الذكاء والدهاء في قلبها وتحويلها لصالحنا وصالح الحقيقة الموضوعية والمصلحة الوطنية .

ولنعترف اننا في كثير من المرات وجدنا انفسنا — كثورة فلسطينية — في نفس الموقف مع اسرائيل من هذه القضية أو تلك بالرغم من اننا نقف بالسلاح في الخندق المواجه لهذا العدو التاريخي البشع ، الامر الذي كان يحتار اصدقاؤنا في تفسيره او فهمه .

وكانت تجربتنا مريرة ايام روجرز ومشروعه ، يوم وقع الخلاف بين الثورة وعبد الناصر على جلد الدب والدب يسرح ويمرح بأمان في حديقة البيت الابيض مما مهد للنظام الاردني انسب الشروط لتصفيتنا كما فعل في ايلول ١٩٧٠ .

ولا يجب أن تغيب عن بالنا حقيقة ان اسرائيل ، لا العرب ، هي التي احبطت كل مشاريع الحل السلمي ، وكلما قدم العرب مزيدا من التنازل كانت اسرائيل تقدم مزيدا من مطالب التنازل العربي .



**ان نقطة الضعف المركزية في التجربة النضالية الفلسطينية ، كانت في رأيي ولا تزال تكمن في عجزنا عن التفريق الحاسم بين الستراتيجية والتاكتيك . والسياسي الثوري الناجح والممتاز هو ذلك السياسي القادر على هذا التفريق والقادر على استثمار حرية الحركة بين أهدافه الثابتة والتاريخية وبين أهدافه المرحلية والمؤقتة .**

**ومرفوض أي** تشنج ذهني يقول بغير ذلك ، بل ان مثل هذا التقدير هو نوع من المزايدة على الذات شبيهة بقضبان الحديد نضعها تلقائيا وإراديا من حول أنفسنا .

**هل يعني ذلك انني من الموافقين على الدولة الفلسطينية ؟ لا . أقولها ببساطة ودون تبجح ، ولكنني من دعاة تبرير هذه « اللا » من خلال مناقشة المشروع وتسجيل ما أستطيع من أهداف في شبكة العدو .**

وفي رأيي واجتهادي ان الرفض الذكي لفكرة « الحكومة المؤقتة » التي طرحها الرئيس السادات ، والرفض المشابه والمحدد لفكرة «الدولة الفلسطينية» من قبل قيادة المقاومة والذي تمثل في التصريح الذي أدلى به الاخ ابو عمار في هذا الصدد والذي قال فيه : « في معظم الاوقات كان بعض الدول العربية يتصرف بوحي من تصور خاص به . على ان الثورة الفلسطينية منذ بدئها قامت على تصور واضح ومحدد بشأن مصير فلسطين . اي الدولة الديمقراطية غير العنصرية . وسنواصل كفاحنا من أجل هذا الهدف . وعلى هذا فأي تحرك يجري خارج هذا التصور لا علاقة لنا به البتة » [الراي العام ٧/١٣]، كـان عـلامـة نضوج سياسي مميـزة بالنسبة للرفض الصـارخ الضـاج لمشروع روجرز . لقد كان هذا الموقف بهدوئه كالطعم لكل من تونس ومن وراءها ولتل ابيب اضطرها للخوض في التفاصيل فكشفت عن حقيقة موقفها وسجلت بـالتالي علـى سياستها ــ أمام من هم عادة معها ــ **موقفا سلبيا سيحمل في طياته التبرير المطلوب دوما لنا في الاستمرار بحمل السلاح وتصعيد كفاحنا المسلح .**

بينما لو انبرينا ، بعفوية ساذجة ، للرد على هذا المشروع بعنف وقطع وتخوين الخ . . . ماذا تكون النتيجة ؟ تصمت اسرائيل وتقول للراي العام : أرأيتم موقف الارهابيين ؟ انهم لا يريدون أي حل سوى اقتلاعنا وتدميرنا الى آخر الاسطوانة المعروفة. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى نكون قد فشلنا حتى في « تحييد » رئيس عربي تجاه موقفنا بغض النظر عن اهمية هذا التحييد وتقدير شعبنا أو قادتنا له .

ان الموقف الفلسطيني الرافض للوجود الاسرائيلي الصهيوني الاستعماري هو موقف مبدئي عادل .وقد اكتسب هذا الموقف تأثيره وفعله الايجابي بعد انطلاق الثورة وطرحها مفهومها لمستقبل فلسطين . وقد كان للثورة ولمفهوم الدول الديمقراطية الذي آمنت به واعلنته ، الفضل فيما كسبته قضيتنا من أصدقاء ومؤيدين ، ولم يكن الفضل في ذلك لا للتنازل ولا للمساومة .

ثم ومن ناحية ايجابية ، تتعلق بشعب فلسطين بالذات ، باعتباره وقود الثورة وأداتها ، انني من المؤمنين بحماس هذا الشعب وايمانه بعدالة قضيته واستماتته في سبيل تحقيق أهدافه . ولكن أليس من حق هذا الشعب على قادته أن يعملوا دوما على تنويره وتثقيفه وتحويل حماسته الى قناعة نضالية مستمرة وعدم تركه فريسة الاعلام الآني يرفعه مرة وينزله مرة أخرى . **ان الصراع طويل طويل ولكن لا يكفي أن نقول ذلك ونمضي . لا بد من افهام الشعب بأن طول المسيرة الثورية وتكلفتها مهما كان ثمنهما يبقيان في النهاية أقل كلفة وخسارة من الاستسلام للمشاريع المشبوهة والحلول التصفوية .**

نحن مطالبون بالغوص كثيرا في شرح ابعاد قضيتنا وصراعنا ، ولا يكفي الاعتماد على شواهد التاريخ بترداد أمثلته من فيتنام أو الجزائر على أهمية هذه الشواهد وما توقده في النفوس من همم وعزائم .

تضيتنا لها ملامحها الخاصة ومشاكلها الخاصة وتعقيداتها الخاصة ، وبالتالي فلا بد لها من مجابهات خاصة تتميز عن غيرها من مجابهات غيرنا من الثوار لمشاكلهم . لا سيما وان الظروف السياسية ، على كل المستويات ، هي ظروف متغيرة ومتحركة ، وما قد يجوز ويمكن في فترة ما ، قد لا يجوز ولا يمكن في فترة أخرى .

معظم المراقبين السياسيين لمسار الاحداث في أمريكا اللاتينية مثلا ، كانوا مجمعين على ان الولايات المتحدة لن تسمح بتكرار التجربة الكوبية بعد ان وعت دروسها وعبرها ، ولكن ما من أحد تصور أن تصل تشيلي الى ما وصلت اليه عن طريق النضال السياسي البرلماني .



نعود لموضوعنا وسنعطفه الآن على المقدمة الطويلة التي بدأنا بها هذا الحديث .

ان الثورة الفلسطينية بقدر ما استطاعت أن تثبت وجودها بقدر ما ستنهال عليها العروض والمشاريع . هكذا يحدث في كل الثورات . في الجزائر كما في الفيتنام . وما من عرض وما من مشروع يقدم في مرحلة الثورة يكون في مستوى أحلامها وأهدافها ، ولكن علينا ان ندرك انه لولا الثورة ولولا استمرارها لما كان ثمة عروض او من يعرضون .

**من هنا ، وعلى ضوء ما ستتعرض له الثورة في المستقبل من عروض تصفوية مختلفة ، علينا ان نكون في مستوى الرد التاكتيكي الذكي القادر على كشف هذه العروض في اطار تبويظها وكشف النوايا التي وراءها .**

ومن هنا أيضا نصل الى ما بدأنا به عند حديثنا عن قدرة القائد على استشفاف المستقبل، واتخاذ المواقف الصحيحة على طريق هذا المستقبل والمستفيدة من كل ظواهر المرحلة الراهنة .

القيادات التاريخية وحدها هي التي تكفل الانتصارات التاريخية وقضيتنا بحاجة الى نصر تاريخي ومن دون مثل هذا النصر لن يكون ثمة سلام ولا حلول حقيقية وانما مزيد من القتال والنضال والتصميم .

ان الستراتيجية والتاكتيك هما أهم قانون من قوانين الثورة ، وعلينا أن نعمق من فهمنا لهذا القانون ، وان نتصرف دائما من موقع الثقة بثورتنا وثوارنا وأن ننبذ الى الابد سياسة المزايدات وتسجيل الموقف تمهيدا للخروج من مستنقع الوهم بأن الستراتيجية الثابتة هي قيد من حديد على حقنا الثوري بالتاكتيك والمناورة .

# فلسطين —
# قضية ام مشكلة ؟

الدكتور كلوفيس مقصود

ان تكاثر التصريحات والاقتراحات حول حل « المشكلة الفلسطينية » يؤكد حقيقة اساسية وهي ان نضال الشعب الفلسطيني — بانتصاراته وانتكاساته — تمكن ان يفرض نفسه عاملا رئيسيا في ازمة الشرق الاوسط . واذا كانت هذه الحقيقة هي بديهية بالنسبة الى الجماهير العربية والقوى التقدمية في العالم الا انها تتخذ الان مدلولات جديرة بالاهتمام والدراسة . ورغم انه باستطاعتنا ان نتجاهل هذه التصريحات والاقتراحات من حيث انها لا تعبر عن مضامين او حتى عن مخططات الثورة الفلسطينية المرحلية الا ان التجاهل ، رغم سلامته المبدئية ، لا يعفينا في هذه المرحلة الدقيقة والشديدة التعقيد والصعوبة من اعارة هذه التصريحات والاقتراحات اهتمامنا .

الا انه لا بد من التأكيد ، ان هذا الاهتمام يصدر عن التوقيت وعن الملابسات القومية والدولية التي تكتنف واقع ازمة الصراع العربي — الاسرائيلي والتردي العام في واقع الرؤيا الراهنة للاقطار العربية والتخبط الذي تعانيه معالجات الازمة من جراء حالة التفكك وغياب الحد الادنى من الالتزام القومي او حتى الحد الادنى من التنسيق على المستوى العربي العام .

ومن حيث ان معظم ما يقال بشأن « المشكلة الفلسطينية » يأتي من مواقع المسؤولية في عدد من الدول العربية فان هذا من شأنه أن يكسبها بعض المصداقية اذ أن العالم يفترض انه ما دام العرب ملتزمين **بالقضية الفلسطينية** فان التصريحات والمقترحات العربية لا بد ان تكون حائزة على موافقة ما ، من أصحاب القضية نفسها . الا ان الاهتمام «بالمشكلة الفلسطينية» شيء والالتزام بالقضية الفلسطينية امر آخر وبالتالي فهو مختلف تماما . من هنا خطورة تكاثر التصريحات والمقترحات « العربية » اذ انها في مجملها ، كما سنبين ، تعمل على تقليص او بالاحرى تحويل **القضية** الفلسطينية الى **مشكلة** فلسطينية . فالقضية الفلسطينية كقضية لها صفة الشمول ، تستوجب التعبئة العامة والالتزام الكامل وما يستتبع هذا من وضوح استراتيجي وتنظيم من أجل تحديد المراحل واعداد من أجل نضالات طويلة الامد، لا تختصر الا بمقدار ما يتحقق من انجازات في مجالات التعبئة ووضوح الالتزام وتنظيم النضال . ان القضية تمس صميم المصير العربي وبالتالي تستحوذ على كلية الاهتمام وتشكل اولوية مطلقة في التفكير والعمل . اما « المشكلة » الفلسطينية فتعني ان مصير الشعب الفلسطيني صار مرشحا للحل من حيث ان تواجده ومستقبله وكيانه تشكل مسألة عالقة وبالتالي يمكن حلها بمعزل عن عملية تقويض الكيان الصهيوني ومؤسساته الذي جعل من فلسطين قضية

العرب . بكلام آخر فان تحول القضية ، الى « مشكلة » يعني سعيا دؤوبا نحو توقيف مقتضيات الوجود الفلسطيني من خلال الاقرار او الاعتراف بالوجود الاسرائيلي الصهيوني وبمقتضيات أمنه وسلامته . من هنا تصير « المشكلة الفلسطينية » في الواقع مشكلة الفلسطينيين وبهذا التحول يصبح الفلسطينيون الى حد كبير مشكلة للعرب ولاسرائيل من حيث ضرورة التوجه نحو ايجاد حل مشترك لهم . وكي يصار التوصل الى مثل هذا الحل لا بد من المباشرة في تلمس الصياغات والمقترحات التي من شأنها تمكين الاقطار العربية من ايجاد حل يوجد للفلسطينيين كيانا دوليا وبالضرورة تقبل به اسرائيل .

هذا يحدونا ، استطرادا ، ان ننبه الى ان الذين يعملون على معالجة المسألة الفلسطينية كمشكلة سوف يعملون على محاولة استغلال الارهاق الناتج عن الاحتلال او التشرد مدخلا لاجل طرح الحلول الجزئية او المبتورة كحالات افضل ومتقدمة على ما هو عليه الشعب الفلسطيني الان . كما سيعمد معالجو « المشكلة الفلسطينية » الى تبيان الفوائد النسبية والتكتيكية المنتظرة من مثل هكذا تطور . وكون القبول او حتى الرضوخ لمثل هذه الحلول من شأنها تأمين الحصول على الجزء بدلا من الامعان في خسارة « الكل » .

كي لا تبدو بعض الاقطار العربية وكأنها منساقة الى مثل هذه « الواقعية » المستجدة وتبدو وكأنها متخلية عن مواقفها الملتزمة السابقة فانها تسعى الى تغليف عملية التوجه نحو معاملة القضية الفلسطينية كمشكلة بمفردات القضية حتى تتاح امامها فرص افقاد الجماهير قدرة التمييز بين الملتزمين الثوريين والذرائعيين الجدد . الا ان الجماهير الفلسطينية والعربية تعي انه بينما يعتبر الذرائعيون الجدد — والقدامى — ان واقع الاحتلال والتشرد هو ذريعة لقبول متسرع لكيان هزيل ومبتور لفلسطين ، فان الجماهير تقيم واقع الاحتلال والتشرد مدخلا لمزيد من الالتزام ومن التعبئة الثورية وتأكيدا لصحة وسلامة تقييمها لطبيعة الصهيونية وللكيان الاسرائيلي الراهن المنبثق عنها .

يتراءى لنا الآن من المساعي المبذولة من اجل تحويل القضية الفلسطينية الى مجرد مشكلة والتي يعتبر تكاثر التصريحات والمقترحات والتحركات صورة علنية لها انما تستهدف مرحليا اتمام ما يلي :

**اولا** — اقتناع أوسع القطاعات الفلسطينية والعربية بأن خيار التحرير قد سقط نهائيا من الخيارات المتاحة « واقعيا » أمام الشعب الفلسطيني وبالتالي فهو مطالب بأن يتدارس الخيارات الاخرى المطروحة والتي تتفاوت من اقليم فلسطيني داخل مملكة متحدة ( مشروع الملك حسين ) أو دولة على الضفة الغربية أو مع قطاع غزة الخ . . . هذه المحاولة تتخذ اشكالا عدة ، منها التمهيد لجعل التخلي عن خيار التحرير كأنه تخلي عن احدى الخيارات والبدائل بدلا من الحقيقة الاساسية بأن مثل هذا التخلي هو في الواقع تخلي عن الخيار الوحيد الذي بدونه لا وجود لقضيتهم ولا مستقبل لمصيرهم . ان خيار التحرير بالنسبة للشعب الفلسطيني وللجماهير العربية ليس **أحد** الخيارات حتى اذا سقط فان أمامه خيارات أخرى بل محور الالتزام والنقطة المركزية للتعبئة النضالية. من هنا فان اشاعة فكرة تعدد الخيارات والبدائل أمام الشعب الفلسطيني — وأمام الجماهير العربية الملتزمة بالقضية الفلسطينية — هو بمثابة التمهيد لعملية قبول فلسطيني بالبحث ومن ثم الاقتناع بخيارات وبدائل أخرى . ان ما يجب تثبيته في هذا المضمار هو ان مجرد القبول بتعدد الخيارات هو في الواقع بدء الاقتناع بمساواتها من حيث مشروعية ، ‹ › جحها ان لم يكن بمساواتها المطلقة . هذا هو الفخ الذي تعمل هذه التصريحات والمقترحات على ايقاعنا فيه لانه بمجرد الالتفات الى البحث في مثل هذه الصياغات المطروحة نكون قد انزلقنا فعلا — بوعي او بدون وعي — في اطار التصادم

مع حركة التحرير وبالتالي دخولنا شئنا أم ابينا في منطق الثورة المضادة . لذلك فان اي قبول بتعدد الخيارات أمام الفلسطينيين — حتى ولو كان التحرير أحدهم — في هذا الوقت او في اي وقت لاحق هو بمثابة رفع مختلف الخيارات الى مستوى خيار التحرير . من هنا يصبح بامكان الامبريالية ودعاة الحلول الجزئية والمبتورة والتصفوية اسقاط التحرير فعلا والاحتفاظ به شكلا ، اذا ما تمكنوا من تسريب منطق تعدد البدائل أمام الشعب الفلسطيني ودفعهم بالتوجه نحو معالجة القضية كمشكلة .

**ثانيا** — ترسيخ قناعة أوسع القطاعات بعدد من الخيارات امام الشعب الفلسطيني ، لا بد من ان يتواقت مع عملية تحويل المقاومة الفلسطينية من كونها الجهة الشرعية المؤهلة لقيادة الشعب الفلسطيني والنطق باسمه ، الى كونها في أحسن الاوضاع **احدى** الجهات الفلسطينية ، التي لا يحول وجودها دون وجود او قيام قيادات فلسطينية اخرى . وهنا يدور الحوار أو الجدل بين الساعين لتصفية القضية الفلسطينيـــة . منهم ، كالسلطة الاردنية ، من يعمل على تصفية المقاومة نهائيا ، لان وجودها حتى كاحدى القيادات من شأنه ان يعرقل ويعطل مسيرة الحلول السياسية والاستسلامية المطروحة . اما البعض الآخر فيقول ان وجود المقاومة **كاحدى** فئات الشعب الفلسطيني — لكن بشكل محاصر او مضمون احتوائه — من شأنه ان يكون عنصر تهديد يمكن بعض هذه الانظمة العربية من تحقيق المزيد من التنازلات ضمن مفاهيم الحلول السياسية المطروحة . وهناك أنظمة عربية ترضى بالمقاومة كقيادة شرعية للشعب الفلسطيني وتعمل على دفعها بأن تكون أداة للاسهام في معالجة القضية الفلسطينية كمشكلة عالقة واغرائها بأنهـــا ستكون مستفيدة من النتائج او الكيان الذي ينبثق عن التسوية المرتقبة .

لقد شاهدنا ان مجزرة أيلول ١٩٧٠ في الاردن كانت محاولة لسحق المقاومة وبالتالي محاولة لتغييبها عن الساحة الفلسطينية بشتى وسائل القمـــع والاكراه والاغتيـــال الجماعي . وبما ان هذا الاسلوب ادى الى عزل تام للسلطة العميلة في الاردن وبالتالي الى افتقاد هذه السلطة امكانيات مزاولتها التعاطي الفعال في المنطقة ، فقد وجد المحور الاميركي — الاسرائيلي فرصة لتحريك البدائل الاخرى والايحاء بأن الولايات المتحدة مستعدة للاستغناء عن خدمات النظام العميل فيما اذا كانت هذه البدائل تبدو وكأنها مرشحة للنجاح في الوصول الى نفس النتائج المتوخاة . الا ان النظام الاردني سيبقى متنقلا من كونه أداة مباشرة للمحور الاميركي — الاسرائيلي أو اداة احتياطية ضاغطة في حال فشل أو عدم جدوى الخيارات الاخرى والموافق عليها أميركيا .

ان تصفية المقاومة قد تبدو مغامرة سياسية داخلية — لاكثر ان لم نقل لكل الانظمة العربية القائمة — لهذا فان السعي لجعل المقاومة **احدى** القيادات الفلسطينية من شأنها أن تستبق المردود السلبي الذي قد ينتج عن تصفية المقاومة ، وقد يسهل بالتالي ايجاد موازين قوى تترجح فيه ، بمساعدات عربية ، قيادات فلسطينية على قيادة المقاومة . من هنا فان توجه هذه الدعوات الى الاعتراف بوجود « جهات أخرى » غير المقاومة النطق باسم الشعب الفلسطيني هو توجه مشبوه من حيث ان نتيجته المنطقية « فلسطنة الفلسطينيين » ، من حيث تمزيق وحدة الشعب الفلسطيني ، وجعله يتصارع فيما بينه حول بدائل يكون التحرير احداها . الا ان تبني قطاع منه ، كبديل آخر ، يصبح مكتسبا لشرعية معينة عندئذ . وحين يدخل الشعب الفلسطيني في عملية التحاور والتصارع بموضوع يجب ان يعتبر من المسلمات البديهية ، يكون الشعب الفلسطيني والجماهير العربية — قد وقعوا في المصيدة التي تعمل الامبريالية الاميركية ، والمحور الاميركي — الاسرائيلي على ايقاعها به . اما المصيدة فهي العمل على نزع أهلية المقاومة ، بأن تكون هي وحدها الممثلة للشعب الفلسطيني والقائدة لمسيرته التحررية . اذا نجح هذا المخطط تكون أهلية المقاومة ، في أحسن الاحتمالات ، تساوت مع أهليـــة القيادات المفتعلـــة

والمزورة المخطط لايجادها وطرحها في الساحة الفلسطينية . ان عملية تكثير الجهات الفلسطينية القيادية والراضية بالحلول الجزئية كمشروع الدولة الفلسطينية ، او الاقليم الفلسطيني او القبول بأي من التعديلات القليلة او الكثيرة علـى هذه المشروعات ، تستهدف حصر فعالية المقاومة وتصويرهـا كاحدى القوى « المتطـرفة » في الواقع الفلسطيني . هنا تتوضح لنا صورة مستقبلية وهي ان اي قبول بصيغة تعدد الجهات الفلسطينية ، هو مباشرة اكثر لباقة في عملية تصفية للمقاومة لان مجرد التسليم بشرعية قيام قيادات متعددة للشعب الفلسطيني هو تسليم مسبق بعملية تنفيذ الاعدام للمقاومة في مرحلة لاحقة . نقول هذا من موقع القناعة التامة بأن واقع وظروف وتركيب الشعب الفلسطيني تجعل المقاومة هي بالضرورة الطليعة القيادية الشرعية له ولنضاله في سبيل حقوقه المشروعة . فقيادة المقاومة لنضال الشعب الفلسطينـي هي وحدها الجهـة الشرعية للفلسطينيين ولا شرعية خارج المقاومة .

يتراءى لنا اذا انه في النتيجة الموضوعية ، ان جعل المقاومة احدى الجهات او الاطراف الفلسطينية هو تاريخيا في نفس خانة تصفية المقاومة وان كان بوسيلة اخرى .
ازاء هذا الاصرار على ان المقاومة هي القيادة الوحيدة المؤهلة لتمثيل الشعب الفلسطيني وقيادة مسيرته ، واعتبار هذا الاصرار على التمسك بالموقع الطليعي للمقاومة ، هو حقيقة سياسية مستمرة وناشطة ، يقوم العاملون من اجل تحويل القضية الفلسطينية الى مشكلة بالاقتراح ان تكون المقاومة نفسها ممثلة بمنظمة التحرير ، هي الجهة التـي تتفاوض وتقبل بالمشاريع البديلة للتحرير والتي تكاثر البحث بها في الاسابيع الاخيرة .
ومن اجل الامعان في تغليف هذه المحاولات وتصويرها بأنها نابعة مـن موقع الالتزام للقضية وليس من موقع التربص لها ، كان هذا الفريق يصر بأن دخول المقاومة في دوامة الحل للمشكلة لن يكون الا بعد تهيئة الظروف التي تمكنها ان تحقق الحد الاقصى من التنازلات الممكنة للشعب الفلسطيني.أي انه بمقابل اسقاط المقاومة الفلسطينية التزامها التحرير الكامل فانه باستطاعتها تجيير رصيدها النضالي السابق من اجل تأمين كيـان «فلسطيني» يكون بمثابة تحويل المقاومة من حركة تصنع التاريخ ، الى أداة اجهاض لكل تراثها ولمستقبل الاجيال التي ائتمنتها على مصيرها وعلى مسيرتها الثورية . نصل الآن الى ان ما هو اخطر من هذا كله هو ان المسعى في هذا المضمار يستهدف خلق تيار داخل المقاومـة يضع مثل هذه البدائل موضع النقاش والحوار ، حتى اذا جـاء جـواب المقاومة الحاسم بالرفض الكامل استطاع محولو القضية الفلسطينية الى مجرد كونها مشكلة ، من وصف المقاومة « بالسلبية » ، وبجهل التكتيك ، او « بتجاهل الوقائع والمعطيات الجديدة » ، او نعتها بنعوت اخرى لا تدين مثالية المقاومة ، بل تشكك في قدرتها على مماشاة العصر ، والتشكيك بسلامة تقييماتها وبالتالي بجدواها في واقعنا الراهن .

ان نعت المقاومة بالسلبية هو من أهون النتائج ، اذ أن ما تسعى اليه بعض الاوساط الرسمية العربية ، هو استدراج المقاومة ، الى تنفيـذ مخططات التصفية للقضيـة الفلسطينية ــ حتى تكون التصفية ذاتية ولديها تغطية فلسطينية اصيلة ــ بعد التمهيد لمثل هذا الاستدراج بمحاولة جعل المقاومة تنساق الى منطق معالجة القضية الفلسطينية كمشكلة من جراء تسليمها بأن تعدد البدائل أمامها امر وارد او محتوم .
هكذا نجد ان مزيجا من حرب الاستنزاف الدموي ومن الحرب النفسية السياسية تشن بنفس الوقت تقريبا على المقاومة بغية الغاء فعاليتها او من اجل تصفيتها اذا أمكن .
ولعل احدى انجع الوسائل في هذا السبيل هو خلق المناخ الذي تجد المقاومة نفسها فيه وكأنها في مأزق وبالتالي عاجزة عن الخروج منه . وتقع المقاومة في مثل هذا المأزق عندما تستدرج الى حالة يتحتم عليها اما التصادم العلني في وقت سابق لاوانه مع انظمة عربية

تدعو الى بدائل فلسطينية غير التحرير او أن يفسر سكوتها عـــن الرد على خيارات اللاتحرير اما موافقة ضمنية او عن رفض عاجز عن تعليل الاسباب . في كل هذه الحالات يصار الى دفع المقاومة الى اتخاذ مواقف في غـــير الوقت الذي تحدده او في ترجمة اللاموقف وكأنه موقف محدد من هذه المشاريع المطروحة .

من هنا يتضح لنا أيضا كيف ان معظم الانظمة العربية القائمة تسعى الى وضع المقاومة في مثل هذا المأزق لانه في حال نجاحها تكون الانظمة هذه حققت خطـــوة نحو احتواء المقاومة او نحو افقادها بعض ركائزها الراهنة . لانه اذا وافقت المقاومة من ذاتها على اسقاط خيار التحرير أو أعطت اي دليل على عدم التمسك الكامل به فانها عندئذ تفقد صفتها المقاومة ( بكسر الواو ) وبالتالي أهليتها لتمثيل الشعب الفلسطيني ناهيك عن فقدانها شرعية قيادتها له . اذا فمعظم الانظمة العربية التـــي تتقدم بمثل المقترحات المتعلقة « بدولة فلسطينية » او باقليم فلسطيني في الاردن او بغيرها يدركون تمامـــا استحالة اقدام المقاومة على مثل هذه الموافقة لذلك فانه من المنطقي ان نعتبر ان مثل هذه المقترحات هي مقدمة لتحويل رفض المقاومة لمشاريعها ذريعة لتطويق المقاومة ومن ثم الانقضاض عليها .

من جهة أخرى فان هذه الدوائر العربية نفسها تعتبر انه بامكان المقاومة أن توافق على درس هذه المشاريع والمقترحات وبالتالي تكون هذه الدوائر والانظمة قد نجحت في عملية شراء الوقت لنفسها من خلال ادخالها المقاومة في متاهات دراسة ما تقدمت به . فاذا ما حصل ذلك تكون هذه الانظمة قد أوصلت خياراتها الفلسطينية الى المرتبة المتساوية لخيار التحرير لدى المقاومة . هذا بدوره يضع المقاومة بوعي او بغير وعي في بوتقة وضمن منطق الانظمة القائمة . وعندما يحصل هذا التطور تتفرغ المقاومة من جوهرها الثوري ومن قدرتها على التفكير الجذري المطلوب من اجل تجاوز المأزق .

كما ان هناك احتمالا آخر بأن تعلن المقاومة رفضها القاطع لكل المشاريع المطروحة في وقت قد يكون غير مناسب لها أن تظهر بحالة تناقض صريح او تصادم مع بعض الانظمة المتقدمة لمثل هذه المشاريع والمقترحات نظرا للمقتضيات المرحلية لستراتيجية المقاومة . وفي هذا المضمار لا بد من لجوء هذه الانظمة الى تفسير رفض المقاومة لمقترحاتها كمبرر لها أن تتخلى عن بعض او كل التزاماتها السياسية والمادية او حتى العسكرية الراهنة للمقاومة معتبرة رفض المقاومة القاطع لا دليلا على تزمت المقاومة فحسب بل على سلوك من شأنه دفع الانظمة نحو سبر غور قطاعات فلسطينية مختلفة . كذلك فقد تتعمد هذه الدوائر والانظمة العربية الى تشجيع حوار داخل المقاومة من أجل بلورة صيغة للرد او للرفض مما يؤدي الى قذف طابة الحوار والنقاش في الموضوع من أيدي الانظمة الى أيدي المقاومة . بهذه الطريقة يصبح بامكان هذه الانظمة التي تكاثرت تصريحات ممثليها أن تظهر وكأنها أكثر وضوحا وحسما فيما يتعلق بالمسألة الفلسطينية بينما تبدو المقاومة وكأنها مرتبكة في ايجاد الاجوبة او الردود على مسألة مفروض انهـــا متعلقة بصميم وجودهم وانها المبرر لدورهم الطليعي ومهماتهم القيادية . واذا بدت المقاومة لجماهيرها وكأنها سجينة اللاحسم فان هذا من شأنه ان يجعل من التنازلات الرئيسية التي تنطوي عليها البدائل التي تطرحها معظم الانظمة العربية وكأنها مهمة في «انقاذ الممكن» بمجابهة الاصرار على « المستحيل » .

يتبين لنا من هذا التحليل ان هذا المسلسل من مقترحات الحـــل للمسألة الفلسطينية استهدف تحريف المقاومة الفلسطينية عن مهمتها المركزية ــ التعبئة المستمرة من أجل ثورة التحرير وشل قدراتها التنظيمية في دائرتهـــا الطبيعية ــ الشعب الفلسطيني ــ واظهارها بمظهر الذي يقوم بتمرينات في العبث . فاذا ما وجد هذا الانطباع وتشكلت هذه القناعة شغرت الساحة الفلسطينية من قيادتها التاريخيـــة المشروعة وأصبحت

مرشحة للتسييب وبالتالي لان ينهشها منطق الانهزامية عند الانظمـــة فيتحول الشعب الفلسطيني من كونه بؤرة ثورية طليعية وأداة تفجير لطاقات الثورة العربية الى احدى الوحدات المستضعفة في موزاييك التردي العربي .

إلا أن اسوأ ما في الموضوع هو ليس في المأزق الذي تريد معظم الانظمة العربية ان تضع المقاومة فيه بل في الذهنية المهيمنة على السلوك العام لهذه الانظمة والمقتنعة ان كل تنازل في جوهر القضية الفلسطينية من شأنــه ان يوسع رقعة التأييد وان يمعــن في « احراج اسرائيل » . الا أن هذا المنطق المعكوس والذي هو في خلفيــة التوجه نحو تحويل القضية الفلسطينية الى مجرد مشكلة يعتبر ان عملية « الاحراج » لاسرائيل أولى بالمجابهة من اجل التحرير . فمما لا شك فيه انه كلما تبين ان المسألة الفلسطينية لم تعد بمستوى القضية عندئذ يهون على العالم أن يؤيد المطاليب المبهتة خاصة وان هذا التأييد لا يصطدم فعلا مع اي وجه من أوجه المؤسسة الصهيونية أو الكيان الاسرائيلي أو مع اي من أهدافها الحقيقية . نقول هذا لا من أجل الانتقاص من قيمة العمل الدبلوماسي الساعي نحو عزل اسرائيل معنويا وسياسيا الا ان هذا لا يجب أن يكون على حساب كون قضية التحرير هي محور الالتزام للامة العربية . ففي نهاية المطاف فان تأييد موقف عربي في « المشكلة الفلسطينية » هـــو نوعيا مختلف ومتخلف عن التأييد الذي يحرزه نضال عربي من اجل قضية التحرير الفلسطيني وان كانت رقعة التأييد أضيق في المراحل الاولى . هنا يصبح من الضرورة تجنب الالتباس الذي يوجده التوجه نحو الحصول على مزيد من التأييد كأن هذا هدف بحد ذاته وأن يبقى التوجه الرئيسي نحو ما يجب أن يكون عليه ـــ التعبئة المكثفة للالتزام العربي . ففي بعض المنعطفات التاريخيــة تجد الامم نفسها مضطرة الى انتزاع احترام العالم كأولوية على استجلاب عطفه أو تأييده . في هذا المضمار يتعين علينا أن نبقى بمنأى عن ما تحاول معظم الانظمة العربية من اغراقنا في اعلام يجعل من التأييد الباهت لمطاليب محدودة في مشكلة محصورة بديلا عن استمرارنا في الالتزام لقضية مصيرية هي من صلب طموحاتنا القومية والتغييرية المشروعة والتي بدونها تتلاشى معطيات كثيرة جدا من الثورة العربية المعاصرة .



ان المقاومة الفلسطينية من حيث هي الجهة الشرعية والمسؤولة عـــن نضال ومصير الشعب الفلسطيني تؤمن بأن العمل الفلسطيني الثوري لا يستقيم الا من خلال التداخل العضوي مع حركة الجماهير العربية . الا ان حق المشاركة العـــربية في طرح بدائل وخيارات يصبح حقا مشروعا اذا انطلق من موقع الالتزام المطلق لهدف التحرير الكامل لفلسطين وتفقد المشاركة مشروعيتها اذا هي استهدفت اسقاط خيار التحرير أو جعله احدى الخيارات . من هنا الطعن بمشروعية الطرح لمشاريع هي شكلا وموضوعا دون هدف التحرير وفي الواقع تستهدف تصفية العاملين من اجـــل التحرير . فحق المشاركة العربية ينبثق من المسلمة البديهية بأن فلسطين هي جزء من الوطن العربي وبالتالي فان تحريرها هي مسؤولية مباشرة قومية للعرب . لذلك فحق المشاركة في التخطيط ينبع من مسؤولية المساهمة في التحرير . اما ما عدا ذلك فتصبح مسؤولية المقاومة الفلسطينية تثوير الوطن العربي وجماهيره حتى تستقيم موازنات القوى لصالح التحرير . اننا نشدد على هذه النقطة الرئيسية لنتفادى فهم المشاركة القومية بغير المفاهيم الثورية اذ ان اية مشاركة من غير المفهوم الثوري والجدلي يعني تدخلا من قبل الانظمة العربية من شأنه أن يكرس التجزئة القائمة في الوطن العربي من خلال التخلي عن هدف ومسؤولية تحرير جزء من وطنه .

هكذا يظهر أن عملية تحويل القضية الفلسطينية الى مشكلة هـــو من صلب القناعـــة والالتزام بمنطق وصوابية وديمومة التجزئة في الوطن العربي . وهكذا نجد كيف ان القول

بوجود « أمة فلسطينية » كما اشار الدكتور محمد حسن الزيات في خطابه انما يعكس قناعة بوجود أمم في الوطن العربي . فاذا نحن سلمنا بأن فلسطين هي أمة بدلا من كونها ـــ كما هي ـــ جزءا من أمة عربية يتبين لنا كيف تتحول المسؤولية المباشرة المنبثقة من واقع الوحدة القومية الى مجرد تبرع غير ملزم في مساندة حل مشكلة لشعب قريب منا وقع عليه ظلم أو غبن . اذا فان تمرير مفردات التجزئـــة فيما يتعلق بالقضيـــة الفلسطينية امر لا يمكن التساهل فيه لان حقوق الشعب الفلسطيني في تقرير مصـــير وتحرير أرضه هو من صلب المصير العـــربي بأسره . من هنـــا فان استعمال « أمة فلسطينية » يؤدي في أحســـن الاحتمالات الى أن تكـــون المسألة الفلسطينية قضيـــة للفلسطينيين ومشكلة لباقي العرب . فاذا ما تم مثل هذا التفكير يكون العرب قد دفعوا بالفلسطينيين الى أن يحولوا هم بدورهم قضيتهم المصيرية الى مجرد مشكلة لان الاصرار على التخلي العربي عن المشاركة المصيرية والتحريرية يجعل الاصرار الفلسطيني على التمسك والنضال من أجل قضيتهم بمثابة دفع نحو عملية انتحار نبيل . ولقد رأينا في اجتماعات مجلس الامن كيف ان تفكيك مسألة الانسحاب عن « المستقبل الفلسطيني » أوجدت انطباعا بأن هذا من شأنه تحديد الهوية الفلسطينية لمـــا سمي في قرار ٢٤٢ « باللاجئين » لكن في الواقع وضع موضوع الانسحاب وكأنه المقدمة المطلوبة لانهـــاء عملية تحويل القضية الفلسطينية الى مجرد مشكلة عالقة .

يضاف الى هذا بأن قرار التقسيم الذي جعل أساسا قانونيا لتحقيق الحل لم يكن المطلوب تنفيذه بل طرحه كالاساس لوجود أمتين مستقلتين على أرض فلسطين . أي ان « الامة الفلسطينية » المطلوب لها دولة لها الحق في مثل هذا الوجود من خلال الوثيقة نفسها التي أجازت قيام الدولة الصهيونية . من هنا يتبين لنا كيف ان تحويل القضية الى مشكلة يتغاضى عن حقيقة تاريخية واساسية في غاية الاهمية وهي ان الرفض الفلســـطيني والعربي لقرار التقسيم لم يكن على نسبة الارض المعطاة بموجب التقسيم لليهود بل على مبدأ التخلي الطوعي عن جزء من وطن وعلى اعتبار الرفض الفلسطيني والعربي يبقى « شرعية » قيام اسرائيل أمر مشكوك فيه واذا أمكن مطعون فيه دوليا . لقد كان الرفض الفلسطيني مبعثه قناعة فلسطينية رسختها التجارب والمعاناة ان ما يواجهونه في بلادهم وما يواجهه العرب في فلسطين هو غزوة استيطانية استعمارية وبالتالي فان الرفض والنضال هما العاملان اللذان يحولان دون أن ترسي هذه الغزوة وتكتسب مـــن قبول ضحاياها بها الشرعية التي تعمل اسرائيل على انتزاعها بشتى الوسائل والاساليب . فالرفض الفلسطيني ـــ والعربي ـــ لاضفاء أية شرعية على وجود كيان صهيوني ليس ادمانا على السلبية والرفضية كما يعتقد البعض بل الشرط الاساسي الذي اعطى ويعطي لثورة التحرير مشروعيتها المعنوية والسياسية والدولية . اذا فالرفض الفلسطيني الذي تجسده المقاومة هو تعبير عن ايجابية نضالية من حيث ان هذا الرفض يمكن الشعب الفلسطيني من استبقاء حقوقه المشروعة والتي اخذت القطاعـــات والهيئات الدولية تعترف بها وتعترف بحق النضال في سبيلها ، كما يثبت ذلك سجـــل قرارات الجمعية العمومية للامم المتحدة خاصة بعد عام ١٩٧٠ .

اذا فان عدم قبول المقاومة الفلسطينية بمشروع « الدولة » الفلسطينيـــة يصبح امرا طبيعيا لانه ينبثق من التمسك الفلسطيني ـــ والعربي ـــ بالشرعية التاريخية والمعترف بها دوليا بحق الشعب الفلسطيني بالنضال من أجل تقرير مصيره واذا كان هناك من محاولات في جعل « تقرير المصير » مرادفا لقيام دولة فلسطينية في جزء من فلسطين فهذا يعني ان الفلسطينيين أنفسهم تخلوا عن هدف التحرير وبالتالي تكون الدولة الفلسطينية وليدة معادلة قبول واعتراف بحق اليهود في ايجاد دولة صهيونية في فلسطين . اكثر من هذا فان قيام دولة فلسطينية من خلال التسليم بحق اسرائيل في الوجود يصبح نهاية المطاف لمسيرة الالتزام القومي لان طبيعة توازن القوى في المنطقـــة التي تكون جاءت

بالدولة الفلسطينية تحتم كونها مقبولة اسرائيليا وما يعني هذا من ترجيح للهيمنة الاسرائيلية على مصير المنطقة . كما ان قيام الدولة الفلسطينية الى جانب سلبياته الواضحة من حيث ما تنطوي عليه الدولة من تخل عن حق التحرير والتسليم بهيمنة اقتصادية لاسرائيل داخل الدولة ومشاركة امنية مرئية او غير مرئية بين الدولة الفلسطينية واسرائيل يعني أن قيام هذه الدولة من شأنه ان يرسخ بشكل يكاد يكون قاطعا عوامل التفسخ والتجزئة والترهل في الوطن العربي وان يلغي حوافزه للوحدة والتحولات الجذرية المطلوبة في المجتمع العربي من حيث ان الدولة الفلسطينية هذه تمارس سيادة شكلية في حين تبقى قدرتها على المبادرة خاضعة لمستلزمات الهيمنة الاسرائيلية .

لا بد أن نزيد على أسباب الرفض سببا آخر وهو ان مجرد طرح الاحتمال بقيام مثل هكذا دولة من شأنه ان يضعف الموقف العربي وبدون أن يكسبه حتى في المجال الذرائعي المحض اية مكاسب مطلقة. ويعود هذا الى ان الجهة المطالبة ان تساهم في تسهيل مهمة قيام الدولة المبتورة هي نفسها رافضة لمثل هذا التطور . ورغم ان هناك قلة اسرائيلية تعتقد ان تلبية مثل هذا الاتجاه قد يؤمن لها أهدافا أمنية مرحلية بالاضافة الى المكسب الاساسي الذي تسعى اليه منذ نشوئها – أي اعتراف عربي بحقها في الوجود والبقاء – الا أن المؤسسات الحاكمة والموجهة في اسرائيل لا ترى أي حافز لها يفرض عليها حتى القبول بمثل هذا القدر من التنازل العربي في فلسطين، من حيث ان مجرد طرح الموضوع من قبل جهات عربية يترجم وكأنه بديل عن تصميم عربي لخلق القوة العربية ولجعلها رادعة لاسرائيل ومن ثم مرجحة عليها لتفرض عليها حتى تلبية الحد الادنى من مستلزمات قرار مجلس الامن ٢٤٢ . لاجل ذلك فان اسقاط خيار التحرير كجزء من مخطط لترغيب اسرائيل في تلبية أهداف مرحلية لبعض الدول العربية هو بمثابة مساومة تقوم على حساب قضية الشعب الفلسطيني لا يمكن له – ولا لجماهيره العربية المشاركة له – ان تكون طرفا في هذه العملية لا من الوجهة المبدئية او السلوكية بل بالعكس فان مثل هذا التطور يحتم على المقاومة احتواء ومنع التفلت الحاصل من جراء واقع التسيب والتفكك في الواقع العربي الراهن .

اما ان تتصور بعض الدوائر ان المشادة الدبلوماسية بين السلطة في عمان والسلطة في تونس هي بمثابة ازمة حقيقية لن تغيب عن الشعب الفلسطيني والجماهير العربية الحقيقة الموضوعية الاساسية بأن هذا هو انعكاس للتناقضات المحتومة في معسكر الذين حولوا القضية الفلسطينية الى مشكلة وبالتالي فان اية مفاضلة تصبح غير واردة اطلاقا – ولا تؤدي هذه المشادة الا الى المزيد من التوعية الحقيقية للجماهير وتصلبها في النضال والالتزام والانضباط . ورغم انه من الطبيعي جدا أن يتأتى من جراء التجربة المأساوية التي عاشها الشعب الفلسطيني مع السلطة الاردنية بلورة في ادانة الملك حسين وقطع في رفض مشاريعه الا أن هذا يكون في اطار ترتيب حدة مواقفنا من أطراف التناقض لكن لا ينتقص موضوعيا من ضرورات مجابهة مختلف هذه المشاريع والتعميات الاعلامية التي تلازمها .

وفي هذا الصدد تطرح قضية المفاوضات – المباشرة او غير المباشرة خاصة فيما يتعلق بمحاولة تشبيه مع المفاوضات التي اجرتها كل من الثورتين الجبارتين – الجزائرية والفيتنامية . ليس هنا مجال البحث في موضوع المفاوضات بشكل عام او بالاسباب التي تجعل العرب – والفلسطينيين بشكل خاص – يرفضون التفاوض على أي مستوى مع اسرائيل . الا اننا نرغب هنا في تبديد أي من الاوهام التي قد تنشأ عن عملية المقارنة في هذا الموضوع . لقد سبق واشرنا مفصلا الى هذا الموضوع في مقال كتبته ( « من فيتنام

الى فلسطين » ــ شؤون فلسطينية عدد ١٩ ).لكن لا بد من التأكيد مرة اخرى أن الثورة الفلسطينية لا يمكن ولا يجوز أن تكون ضد مبدأ المفاوضات بالمطلق وهي ليست ضد التفاوض كأسلوب في التعامل وحل للقضايا . الا ان السؤال هو أي متى تستطيع الثورة ــ اية ثورة أصيلة ــ أن تباشر بعملية التفاوض . الجواب واضح وصريح وهو عندما تنضج الثورة الاوضاع الى درجة يصبح العدو في الموقع الذي يجد نفسه مضطرا ان يتخلى عن المؤسسات والكيانات والسياسات التي جعلت من العدو عدوا والتي دفعت الشعب الى الثورة . في هذه الحالة تصبح المفاوضات استكمالا للثورة لان الثورة تفاوض اجراءات المرحلة النهائية التي تسبق صيرورة اهدافها كاملة . وكما حصل في كل الثورات التحريرية الاصيلة ــ وآخرها ثورة الشعبين الفيتنامي والكمبودي ــ فان التفاوض كان قد سبقه حوار قتالي ونضالي مستمر حتى عندما بدأ هذا الحوار يجني ثماره رضخت الكيانات الاستعمارية وصارت تفاوض ازالة كياناتها . من هنا يمكن القول ان الثورة الفلسطينية تكون على أتم الاستعداد للمباشرة بعملية التفاوض عندما تنضج الاوضاع في المنطقة وفي الساحة الفلسطينية بالذات ويجد العدو نفسه مضطرا ان يتفاوض لا من أجل «انسحابه من الاراضي المحتلة» بل من أجل كيفية التخلي عن المؤسسات الصهيونية التي تقوم عليها اسرائيل تمهيدا لقيام المجتمع الديمقراطي العلماني في كل فلسطين المنتمية مصيريا وتاريخيا الى الامة العربية . فاذا كانت الدول العربية المعنية عاجزة عن ايجاد درجة من الاستنفار والتعبئة والتنسيق من أجل أن تفرض على اسرائيل الرضوخ لقرارات دولية تتعلق بانسحاب قواتها من الاراضي المحتلة فكيف يمكن في هذه الحالة مطالبة الشعب الفلسطيني او قيادته الثورية بأن يقوم بأي اتصال ــ ناهيك عن مطالبته بالتفاوض ــ من اجل سراب لم يتضح بعد ، الى الدرجة المطلوبة ، ما زرعته المقاومة من بذور الثورة التحررية الشاملة ضد الكيان الاسرائيلي . اما التكرم بالاضفاء على المقاومة كونها الهيئة الشرعية لتمثيل الشعب الفلسطيني كاحدى الاغراءات كي تقوم بمبادرات على اي مستوى دون ان تكون هذه مبادرات ذاتية وبموجب توقيت وجدول زمني تحدده هي على ضوء الظروف الموضوعية والثورية التي تعيش بها والمحيطة بها ، فانه يعني تعريضها لمخاطر يكون أقلها ارتهانها لواقع ومعادلات مفروض انها ثورة عليه ومن ثم امتصاص المقاومة في دوامة منطق الانظمة والمفروض ان تكون المقاومة بدء عملية ثورية تصحيحية في الساحة العربية . لهذا الواقع ولهذا المنطق يبقى موضوع « حكومة في المنفى » من حيث انها تصبح صيغة توفيقية بين استمرار الالتزام بخيار التحرير وبين التنفيذ الفوري لقيام دولة فلسطينية . في هذا المجال ايضا لا يمكننا أن نجزم بشكل مطلق اننا ضد « حكومة في المنفى ». الا انه لا بد من التفريق بأن «حكومة بالمنفى » كشكل قانوني وهيكل منظم لتدبير أمور وشؤون الفلسطينيين شيء و« حكومة بالمنفى » كجهاز أساسي من اجهزة الثورة شيء آخر . ويمكن لهذه الصيغة ان تكون اما من الفئة الاولى او الثانية على ضوء التوقيت والظروف التي تنشأ فيها هذه «الحكومة». لذلك فاذا جاءت الحكومة ابان حالة من الانحسار الثوري أو وسط واقع التردي العربي يكون مشروع « الحكومة بالمنفى » اسلوبا من اساليب امتصاص الطاقة الثورية في الشعب الفلسطيني وبالتالي ترشيحه من خلال نزعة التمكتب والمراسيمية والوجود السياسي الملازم للحكومة أن يتحول هدف الشعب الفلسطيني الى الانتقال الى ارض من أجل الحكومة . وهكذا تكون «حكومة المنفى» الممهد لحكومة الدولة الفلسطينية . ولا يخلو هذا من جعل الشعب الفلسطيني بأن يتدرج نحو اهدافه من خلال نقلة الحكومة من المنفى الى « الدولة » . وهكذا يتبين ان مشروع « حكومة المنفى » في غير وقته وفي غير ظروفه هو وسيلة اخرى من اجل الاسراع بتحويل القضية الى مشكلة واظهارها كأنها عمل فلسطيني ذاتي . اما قيام « حكومة فلسطينية بالمنفى » كاحدى اجهزة الثورة فهي ضرورة عندما تكون الثورة متصاعدة ومنجزة وتكون قد باشرت في عمليات التحرير

وانشأت لنفسها قواعد صلبة وانتقلت من عمليات العصابات المحاربة الى حالة الحرب الشعبية الشاملة . عندئذ لا بد للثورة أن تفرغ بعض كوادرها لمهمات ادارية ولانشاء علاقات دولية واعطاء الثورة جهازا يعبر عن الكيان المستقبلي الوشيك التحقيق لها . لقد تمكن نضال الشعب الفلسطيني أن ينتزع لنفسه اعترافا قاطعا بوجوده كشعب حتى من الد أعدائه . ورغم ان الفقرة التي جاءت في البيان المشترك بين الرئيس الاميركي نيكسون والزعيم السوفياتي ليونيد بريجنيف اعترفت له « بمصالح مشروعة » الا ان المصالح المشروعة تبقى دون «الحقوق المشروعة» التي اقرتها الجمعية العامة باكثرية محترمة . الا أنه لا بد من الاشارة الى أنه اذا أتحنا للقضية الفلسطينية ان تتحول الى مشكلة عندئذ تستأثر مواقع التقرير الراهنة في المنطقة وفي العالم تحديد ماهية المصالح المشروعة للشعب الفلسطيني . وهذا يتحدد على ضوء موازين القوى القائمة في الساحة الفلسطينية وفي المنطقة اجمالا .

اما اذا تمسكنا بالتزامنا التحرير الكامل وابقينا القضية الفلسطينية بمستوى القضية عندئذ نكون قد باشرنا في التنظيم والعمل من أجل أن تتأمن الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني . وهذا يعني ان علينا ان نخطط ونعمل لتغيير جذري في موازين القوى في الساحة الفلسطينية بالذات وفي المنطقة كلها .

ان اعدل قضية لا تتحول الى مجرد مشكلة عالقة لا لكونها قضية فحسب بل لانها عادلة. المهم ان نتصرف كأصحاب قضية عادلة لا كمتلهفين يغلب علينا الدلع في الاروقة الدولية. فاما ان نكون بمستوى التحدي او ان يلفظنا التاريخ . لاننا تواطأنا في بلقنة وطننا العربي في حين اننا نمتلك كل الامكانيات وتوفرت لنا كل الطاقات بأن نكون جديرين بالطموح المشروع وبالعظمة الحقيقية .

أي اتجاه سنأخذ متوقف الى حذ كبير على قدرتنا على ان نبقي القضية الفلسطينية بمنأى عن ان تتقلص الى مشكلة وما يرافق هذه القدرة من التزام بأهداف الثورة الفلسطينية وانضباط مسيرتها .

# من يقتل خمسين عربيا يخسر قرشا ...

محمود درويش

فصل آخر من كتاب عن تجربة محمود درويش الاسرائيلية ، يصدر في الخريف القادم عن مركز الابحاث .

● هنا ينامون . اسماؤهم كثيرة وموتهم واحد . كانوا متعبين وكان الغروب صغيرا ، فسقطوا بسهولة ولم يقولوا شيئا لان الموعد كان مفاجئا . وماذا لو أحيطوا علما ؟ فالوصايا معهم . . والعائلة كلها عائدة من العمل ، والعالم ليس لهم .

هنا ينامون . نالوا عقابا على جريمة غامضة . لم يخرجوا في مظاهرة واحدة ، ولم يدافعوا عن الحياة والتراب الا بالصلوات . كانوا يخرجون من البؤس في الصباح الباكر ويعودون الى البؤس في الغروب الباكر . وكانوا ينتظرون المطر ، فجاءهم الموت في غزارة المطر .

هنا ينامون . ويكبر الغروب ، ويتحول الى غابات من الشجر الجاف . لا وقت لذكراهم ولا مناسبة ولا موعد . الحجارة هي الوقت ، وامتداد الغـــروب الذي لا لون له هو الوقت . وماذا نسميهم ؟

ليست مذبحة كفرقاسم يوما للذكرى . وليست مرحلة يغلبها النسيان . انها تاريخ كراهية ممتد منذ استل هرتسل سيفه من التوراة واشهره في وجه الشرق . فسكان هذه القرية المسحوقة المهملة لم يفعلوا شيئا يثير غضبة احد ولو كان عدوا متطوعا .

لم يقاتلوا الا الطبيعة القاسية والبؤس الاسود . فمن أجل ماذا ماتوا ؟ لم يموتوا من أجلنا كثيرا . هم ضحايا لا شهداء . وتلك هي مأساتهم المزدوجة ، وذاك هو حزننا المزدوج عليهم . بوسعنا ان نقول انهم ماتوا من اجـــل ان نعمق كراهيتنا للظلـــم والاغتصاب . ومن اجل أن نعمق عبادتنـــا للارض . ولكننـــا لا نحتاج هذا البرهان الضاري . اننا قادرون على تنمية حاسة الحب والكراهية بدون هذا الموت المجاني . فمن أجل ماذا ماتوا اذن ؟ .

ليس من أجلنا ، بل من أجل القتلة . لكي يمتلىء الصهيوني بالاحساس بأنه قادر على ان يمثل دورا في التاريخ غير دور الضحية . من أجل هذا البرهان يتلذذ بالقتل . « اما أن اكون قاتلا واما أن اكون قتيلا » . هذا هو الخيار الضيق الذي وضعه لنفسه . ان

تاريخا واسعا من الحقد ومركبات النقص يتدفق في اللحظة التي يمارس بها الصهيوني عملية القتل . ولم يكن مدخل قرية كفرقاسم الا مسرحا يثبت به القاتل جدارته بالانتماء الى العالم .

في المحكمة — المسرحية ، استجوب المحامي جنديا اسرائيليا من الذين اشتركوا في المذبحة :

— هل صحيح انك تعمل في البلاد ، وانه طيلة حياتك ادخل اليك الشعور بأن العرب هم اعداؤنا ؟

الجندي : نعم .

المحامي : هل صحيح انك تحمل هذا الشعور نفسه تجاه العرب في اسرائيل والعرب خارجها ؟

الجندي : نعم . ليس عندي أي فرق

المحامي : هل صحيح انك شعرت بأنك اذا لم تنفذ الامر بقتل كل عربي في كفرقاسم اذا رأيته خارج بيته ، فانك تكون قد خنت الروح التي تربيت عليها في الجيش وفي حرس الحدود ؟

الجندي : نعم .

المحامي : لو كنت تسير ، أيام الحرب ، في احد شوارع يافا مثلا ، ولقيت عربيا ، فهل تطلق الرصاص عليه ؟

الجندي : لا أعرف .

القاضي : لو جرى معك في كفرقاسم ما يلي : بعد الساعة الخامسة نادتك امرأة ، وكنت متأكدا من انها ليست خطرة ولا تهدد الامن . فقط نادتك وارادت أن تسألك سؤالا او تطلب منك السماح لها بالعبور الى بيتها . ولنفترض ان هذا كان في الساعة الخامسة وعشرين دقيقة مثلا ، فلو كانت هذه المرأة تبعد ١٠ امتار عن بيتها وهي تطلب منك السماح لها بدخوله . ماذا تفعل ؟

الجندي : لا اسمح لها .

القاضي : ماذا كنت تفعل ؟

الجندي : اذا كانت في الشارع .. أطلق عليها الرصاص .

القاضي : ولكن لم يكن أي خطر . كل ما في الامر أن شخصا ما ، بسبب خطأ ما ، أو بسبب أنه لم يعلم بأمر منع التجول توجه اليك واراد ، باذن منك ، قطع الشارع .

السؤال هو : انك ، رغم ذلك ، كنت ستقتل كل واحد أم انك كنت تميز وتمتنع عن القتل في حالات معينة ؟

الجندي : ما كنت اميز .

القاضي : هل كنت ستقتل كل واحد ؟

الجندي : نعم .

القاضي : حتى لو كان ذلك الشخص امرأة أو طفلا ؟

الجندي : نعم .

القاضي : كنت تقتل كل من تراه .

الجندي : نعم .

وهذا ما حدث فعلا . .

طفل عمره ثماني سنوات ، واسمه طلال شاكر عيسى . هربت عنزة من ساحة داره الى الشارع . لا الطفل ولا العنزة يفهمان بأن أمر منع التجول قد أصبح ساري المفعول في القرية منذ دقائق معدودة . ركض الطفل وراء العنزة ، فانهمر رصاص بندقية وارداه قتيلا .

لحق به ابوه ، فاستأنفت البندقية مهمتها .

ركضت الام نحو زوجها وابنها ، فاستأنفت البندقية مهمتها . لحقت الابنة نورة بوالديها وأخيها ، فاستأنفت البندقية مهمتها .

وماذا كانت مهمة البندقية ؟.

عشية الهجوم الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ ، دعا اللواء شدمي الرائد مالينكي الى مقر قيادته ، وأبلغه بالمهمات الملقاة على الوحدة الخاضعة له . كانت احدى هذه المهمات التي ألقيت على عاتق حرس الحدود في المنطقة الوسطى فرض منع التجول وبقاء السكان داخل بيوتهم في قرية كفرقاسم والقرى المجاورة لها، ابتداء من الساعة الخامسة مساء حتى السادسة صباحا . ودار بين القائدين الحوار التالي كما ثبت في قرارات المحكمة المركزية فيما بعد :

شدمي : يجب ان يكون منع التجول حازما جدا ، وتتم المحافظة عليه بيد قوية ، لا بواسطة اعتقال المخالفين ، وانما باطلاق النار عليهم . ومن الافضل قتلهم بدلا من تعقيدات الاعتقالات .

مالينكي : وما هو مصير المواطن الذي يعود من عمله خارج القرية ، دون ان يعلم بأمر منع التجول ، ومن المحتمل أن يقابل في مدخل القرية وحدات من حرس الحدود ؟

شدمي : لا اريد عواطف . الله يرحمه !

وبانتهاء الحوار السريع والحازم ، قدم مالينكي الى ضابط قوات الاحتياط التابع لفرقته أمرا يتضمن العبارة التالية : « لا يسمح لاي ساكن ان يترك بيته خلال منع التجول . ومن يترك بيته تطلق عليه النار . ولا تكون اعتقالات » .

ودار الحوار التالي بين مالينكي وبين جنوده ، كما ثبت في قرارات المحكمة المركزية فيما بعد :

جندي : ماذا نفعل بالمصابين ؟

مالينكي : يجب عدم الاهتمام بهم . او يجب عدم نقلهم . او لن يكون هناك جرحى . [ حسب الشهادات التي وردت في المحكمة ] .

قائد أحد الاقسام : وماذا بشأن النساء والاطفال ؟

مالينكي : بدون عواطف .

القائد نفسه : وماذا بشأن العائدين من العمل ؟

مالينكي : حكمهم كحكم الجميع . الله يرحمهم . هكذا قال القائد .

في اليوم ذاته ، وفي الساعة الرابعة والنصف ، اي قبل سريان مفعول منع التجول بنصف ساعة فقط ، كان رقيب من حرس الحدود يعلم مختار قرية كفرقاسم بفرض منع

التجول ابتداء من الساعة الخامسة مساء وحتى السادسة صباحا . وحذره بأن منع التجول سيكون حازما ويتضمن خطر الموت . وطلب منه أن يعلن ذلك في القرية. فأخبره المختار أن أربعمائة عامل من كفرقاسم موجودون ، في هذه اللحظة ، في أماكن عملهم خارج القرية . قسم منهم في أماكن قريبة . وقسم آخر في أماكن بعيدة مثل يافا واللد . وانه من المتعذر عليه ابلاغهم بأمر منع التجول في مثل هذه الفترة القصيرة. بعد المناقشة وعد الرقيب المختار بأنه سيسمح للعائدين من العمل بالمرور على عاتقه وعلى عاتق الحكومة !.

وعلى عاتقه .. وعلى عاتق الحكومة ، تم في الساعة الاولى من منع التجول .. بين الخامسة والسادسة مساء قتل سبعة واربعين مواطنا عربيا من قرية كفرقاسم على أيدي حرس الحدود . ومن بين القتلى سبعة اولاد وبنات وتسع نساء .

بعد عشر سنين من المذبحة التي روت عطش الاسرائيلي الى الدم العربي الاعزل روى أحد الذين نجوا من المذبحة بأعجوبة ( صالح خليل عيسى ) للشاعر توفيق زياد شهادته على المجزرة :

« في ذلك اليوم كنت اعمل في بيارة مع اثنين من أبناء عمي . أنهينا العمل بعد الساعة الرابعة بقليل ، وركبنا دراجاتنا عائدين الى القرية . في الطريق التقينا بعمال آخرين قالوا لنا ان في القرية منع تجول واطلاق رصاص ولا أحد يعرف لماذا . هكذا سمعوا . بعد تردد قررنا مواصلة الطريق . كان عددنا يزداد حتى أصبح خمسة عشر عاملا . صرنا على بعد كيلومتر من القرية . لم تكن لدينا مخاوف جدية . احتمال واحد كنت افكر به .. وهو أن يتعرض لنا ضابط قوة الحدود « بلوم » . ربما سيشتمنا ويضربنا قليلا كالعادة . ولم أفكر بشيء آخر .

بعد قليل سمعنا صوت اطلاق رصاص . بدأت أحس أن المسألة خطيرة . قلت لابن عمي : فلنرجع . راح يشجعني . وكان معنا شيخ في حوالي الستين راح يشجعنا بآيات قرآنية . واقتربنا حتى صرنا على بعد مائة متر عن اقرب بيت في القرية .

فجأة .. ظهر رجل من حرس الحدود واعترض طريقنا : قفوا !. وحتى تلك اللحظة ، فان ما كنت أتصوره هو الضرب .. لا الموت .

نزلنا عن الدراجات . وأمرنا الجندي بالوقوف في صف :

— من أين أنتم ؟

— من كفرقاسم . صحنا بصوت واحد .

— وأين كنتم ؟

— في العمل .

ابتعد عنا حوالي خمسة أمتار ، حيث كان اثنان من زملائه يحمل كل واحد منهما مدفعا رشاشا وصاح :

— احصدوهم !

ولم أصدق الا عندما راح الرصاص ينهمر في اتجاهنا . الرشة الاولى على أرجلنا . والثانية أعلى قليلا . وسقطت مع الآخرين . كانت بجانبي عربة خيل كانوا قد احتجزوا صاحبها وأطلقوا عليه الرصاص معنا . سقطت خلف العربة ، لا أعرف كيف . شعرت أنني ما زلت حيا فقط بعدما سقطت . وهذا كل شيء . وابتعد عنا الجنود الثلاثة حوالي عشرة أمتار .

وجاءت ، بعد لحظات ، سيارة شحن . أوقفوها . أمروا ركابها بالنزول . كان فيها كثيرون ( عرفت فيما بعد أن عددهم كان ثلاثة وعشرين ) من عمـــال شركة اساميا للزراعة .

تقدم منهم نفس الآمر الذي أصدر الامر باطلاق الرصاص علينا ، وامرهم بالنـــزول والاصطفاف خلف السيارة . وبعد أن اصطفوا خلف السيارة ملتصقين ، ابتعد عنهم ذلك الآمر ثم صرخ :

ـــ أحصدوهم !

هرب البعض . وسقطت الاكثرية .

وعاد القتلة الثلاثة حيث كنت وباقي ركاب الدراجات القتلى. واخذوا يكومونهم في كومة واحدة على بعد ثلاثة أمتار مني . كانوا يستعملون بطاريات ويطلقون الرصاص . انهم يجهزون على الجرحى .

واقتربوا مني . سحبوا العربة بعيدا . دولابها الحديدي مشى بكل ثقله على قدمي . كنت أصر بأسناني حتى لا أصرخ . تظاهرت بأني ميت . سحبوني ووضعوني على الكوم .. وابتعدوا .

بعدما كوّموا قتلى سيارة الشحن على بعد عشرة أمتار منا ، جاءت سيارة شحن أخرى كان فيها شخصان . قتلوهما . وسمعت هدير سيارة جيب آتية من الطريق الشرقي.. من ناحية القرية . كانت مطفأة . سمعت لغطا ورأيت شخصا ينزل منها . لم أفهم الكلام اذ كانوا على بعد عشرين مترا مني . ثم عادت السيارة من حيث أتت .

وسادت فترة هدوء .

ورأيت القتلة الثلاثة يسيرون ثم يجلسون على بئر القرية . ثم جاءت سيارة شحن . [ لعلك لاحظت انهم كانوا يقتلون كل فوج جديد على بعد بضعة أمتار من الذي سبقه في الاتجاه المعاكس للقرية ، حتى لا يرى الفوج الجديد مصير سابقه ] ولكن السيارة التي أشرت اليها مرت على أكوام القتلى . ويبدو ان القتلة مـــا عادوا يكترثون بأن يلاحظ الضحايا الجدد مصير الذين سبقوهم أم لا يلاحظون . ومرت السيارة من جانب كوم القتلى الذي كنت فيه . سمعت أصواتا نسائية . كان في السيارة كما عرفت فيما بعد ثلاث عشرة امرأة من اثنتي عشرة سنة فما فوق ، وأربعة رجال .

وفجأة ، ركض القتلة الثلاثة وراء السيارة ، واوقفوها ، وانزلوا ركابها .

وفكرت . السيارة تبعد عني من عشرين الى خمسة وعشرين مترا . وشعرت بقوة هائلة تنفضني . وقفت ورحت أركض . لم أدر كيف قفزت عن سياج أمامي . كنت أركض في اتجاه موازٍ للسيارة دون أن أعي . ومثل المطر ، انهمر الرصاص في اتجاهي . واختلط صوت الرصاص بزعيق النساء واصوات ارتطام أجسامهـــن بالأرض . وأحسست بالرصاص يخترق ثيابي . عندها فقط عرفت أين أنا . انبطحت . ثم رحت احبو على يدي ورجلي في كرم زيتون . كنت اتصور الزيتون مملوء جيشا وسيارات عسكرية ، وانه من الممكن ان أصطدم بهم في كل لحظة . وخلف صخرة كبيرة ، تحت زيتونة ، اختبأت وانا افكر بالموت الذي يمكن أن يغتالني في أية لحظة . بقيت هناك حتى الصباح والدم ينزف من جرحين في يدي ورجلي . وفي الصباح اكتشف موضعي جنديان ، ونقلت الى المستشفى » .

في صباح اليوم التالي ، بحث المجرمون عن وسيلة لدفن الجريمة . احضروا اشخاصا من القرية المجاورة ـــ جلجولية ـــ الى مقبرة كفرقاسم،وأمروهم بأن يحفروا سبعة واربعين قبرا . لم يعرف المكلفون بحفر القبور شيئا عن الجريمة . كان عليهم ان يحفروا وكفى..

ومن يومها ، كبرت مقبرة كفرقاسم وصارت مزار شعب ، ودليلا علـــى « طهارة » السلاح اليهودي في اسرائيل !

لم تنته الجريمة بدفن الموتى . لم تنته المجزرة بجفاف الدم . فلكي تستكمل عملية القتل شروطها الاسرائيلية ، كان لا بد « للضمير الاسرائيلي » المشهور بالحساسية تجاه اي خدش يصيب اي يهودي في أي مكان من العالم ، من دخول تجربة الاختبار الانساني . كان لا بد من البحث عن حقيقة وجود هذا الضمير الحساس . كان الضمير غائبا . . غائبا لان ضحايا المجزرة عرب . ويبدو ان شرعية قتل العرب او عدم الاكتراث تجاه تتلهم أصبح حالة تلقائية سائدة في المجتمع الاسرائيلي الذي ربي على غريزة العداء لهذه المخلوقات التي تعكر صفو « النقاء » اليهودي في فلسطين . كان الصمت السادي او المبتهج سائدا . ولم تخرج عن قانون الصمت الا بعض الاقلام التي آلمها انتهاك شروط السمعة الطيبة للسلاح اليهودي التي يروجها دعاة الجرائم الصهيونية . لم تكن قصيدة الشاعر الاسرائيلي البارز ناتان الترمان دفاعـــا عن العدالة الصريعة علـــى مدخـــل كفرقاسم ، بقدر ما كانت دفاعا عن سمعة مجتمع الاغتصاب الاسرائيلي :

لا يجب الكتابة عن شيء آخر.

لا كتابة قصة ولا قصيدة ، لان اللغة العبرية ترفض أن تمر بصمت على هذا العمل القذر الذي جرى في اسرائيل .

هذه هي طبيعة هذه اللغة . وهذه صفتها .

يقولون : ستجري محاكمة ــ وينتهي الامر . سيتكلم العدل ويصدر حكمه .

يقولون : لنترك ذلك للاجراءات القضائية . أو لا يكفي ذلك ؟

ــ لا . ذلك ليس كل شيء .

ان القضاء أبجدية مفروغ منها ، لانه لا يمكن للجريمة الا توقظ القانون .

لكن قبل المحاكمة وبعدها ــ سيظل ينقص هذه القضية مبدأ كبير .

لا يمكن ان يقوم مجتمع انساني حدثت فيه مثل هذه النذالة ،

دون أن تثور فيه رعشة وغضب

غضب جماهيري يحمل السخط الانساني والفردي

سخط الرجال والنساء .

ذلك لانه بدون هذا يكون القضاء رد فعل ميكانيكي ، مبرمج وآلي ،

رد فعل يدور في فراغ وليس في وسط شعب واع متيقظ الحواس .

ولقد دمر الكاتب بوعز عبرون ادعاء السمعة الاخلاقية والروحية التي يروج لها دعـــاة السلطة الاسرائيلية ، فكتب « منذ الجريمة ونحن في امتحان . لقد وضعت استقامتنا وانسانيتنا وشجاعتنا في امتحان فشلنا في اجتيازه » . وعدّد أربعة مذنبين : « الاول ، الصحافة . فباستثناء صحيفتين أو ثلاث صحف من الشواذ ، اتفقت الصحافة على مؤامرة صمت واسدلت ستارا على الجريمة . فبدلا من الكتابة عن القتل والجريمة في كفرقاسم ، كتبت عن « مصيبة » وعن « خطيئة » وعن « الحادث المؤسف » . وحين كتبت هذه الصحف عن ضحايا المصيبة لم يعد واضحا عمن تتحدث : عن القتلى أم عن القتلة . « المذنب الثاني هو القيادة الدينية والاوساط الدينية في البلاد . هؤلاء الذين

يطلبون سلطة لكي « يسيطر الخلق اليهودي » و« روح جدنا اسرائيل » . هؤلاء صمتوا بلا مبالاة كاملة . حتى ولا شخصية دينية واحدة هبت لتنقذ شرف الديانة اليهودية . « المذنب الثالث هو القيادة الاكاديمية . فباستثناء قليل من « المجانين » لم يوجد تقريبا بروفيسور أو محاضر واحد يصرخ « هذا قتل » . « والمذنب الرابع هو القيادة الادبية ــ الفنية . فمنظمة الادباء التي عرفت دائما أن « تحتج بكل شدة » وأن « تتوجه الى ضمير العالم المستنير » صمتت وما زالت صامتة وستصمت » . واضاف الكاتب : « وماذا عن الاحزاب التي كانت تجلس طوال ذلك الوقت كله في الحكم ملوحة بشعارات السلام والعدل واخوة الشعوب ؟ أين كان الثوريون ؟ وأين كنا نحن .. المواطنين البسطاء الذين احسسنا بالقرف والاحتقار ، ونحن نشاهد رقصة الجن ؟ » .

رقصة الجن هي المحاكمة .

وهي الفصل الثالث في الجريمة التي بدأت بالقتل ثم الصمت .. ثم المحاكمة . تمهيدا للمحاكمة ــ التي راوغت الحكومة في اجرائها ــ تجري مصالحة مهينة بين حكومة اسرائيل وبين ذوي ضحايا كفرقاسم !.

خصصت وزارة الدفاع مبلغ مائة الف ليرة ثمنا لخمسين ضحية عربية .

أرخص ثمن في التاريخ ..

وتمت التسعيرة بالشكل التالي : الفا ليرة لمن هو في الخامسة عشرة . الف ليرة سعر ما دون الثامنة . المتزوج وليس له أولاد ثمنه ثلاثة آلاف ليرة . المتزوج وله ولد واحد يساوي أربعة آلاف ليرة . المتزوج وله أكثر من ولد واحد يساوي خمسة آلاف ليرة . وبالوسائل الاسرائيلية ، المعروفة وغير المعروفة ، فرضت السلطة المصالحة والتعويضات .

ثم .. بدأت محاكمة القتلة ، بعدما أدين القتلى !..

بعد سنتين من وقوع الجريمة ، أصدرت المحكمة التي استغرقت وقتا طويلا قراراتها . ما أجمل أن توزع السلطة العسكرية أدوارها بين قاتل وقاض وشاهد .

وفي حكمها « العادل » قررت المحكمة انها وجدت الرائد شموئيل مالينكي والملازم جبرائيل دهان مذنبين في قتل ثلاثة وأربعين مواطنا . فحكمت على الاول بالسجن لمدة سبع عشرة سنة وعلى الثاني خمس عشرة سنة . اما المتهم الثالث شالوم عوفر ، الذي ارتكب بصورة رهيبة أكثر عمليات القتل ــ كما جاء في كتاب المحامي صبري جريس استنادا الى قرارات المحكمة المركزية ــ فقد وجد مذنبا مع دهان بقتل ٤١ مواطنا وحكم عليه بالسجن لمدة خمس عشرة سنة . امـا المتهمان الرابع والخامس ــ الجندي مخلوف حريش والجندي الياهو ابراهام ــ فقد وجدا مذنبين بقتل ٢٢ مواطنا . والمتهمون السادس والسابع والثامن ــ العريف جبرائيل عوليل ، والجندي البرت فحيمه ، والجندي ادموند نحماني ــ فقد وجدوا مذنبين بقتل ١٧ مواطنا ، وحكم على كل واحد منهم ومن الاثنين السابقين بالسجن لمدة ثماني سنوات . وبرأت المحكمة المتهمين الثلاثة الباقين .

ومع أن هذه الاحكام الخفيفة ــ التي تنطوي على تشجيع مزيد من القتل تحت غطاء التسامح القانوني ــ قد أثارت دهشة المواطنين العرب وقلقهم على مستقبلهم ، فانها قد أثارت سخط المتطرفين اليهود في اسرائيل الذين ادعوا أن القتلة قاموا بواجبهم القومي . ولم يتورع بعض الصحف الاسرائيلية عن المطالبة باصدار العفو عن القتلة .

ولم يكن مدهشا ومفاجئا أن يستجيب المسؤولــون الاسرائيليون الى هذه المطالبــة الشعبية ، فقد وجدت المحكمة العسكرية العليا للاستئناف ان الحكم الصادر ضد القتلة كان قاسيا جدا ومن الواجب تخفيفه ، فأصدرت حكما بتخفيض الحكم ضد مالينكي الى ١٤ سنة ، وضد دهان الى عشر سنوات ، وضد عوفر الى تسع سنوات . ثم تدخل رئيس أركان الجيش فخفض الحكم ضد مالينكي الى عشر سنوات ، وضد دهان الى ثماني سنوات ، وضد بقية القتلة الى أربع سنوات .

وجاء رئيس الدولة ليعمق مباديء عدالة القتل الاسرائيلي ، فمنح كلا من مالينكي ودهان عفوا جزئيا وخفض الاحكام ضدهما الى خمس سنوات !..

لقد اخذت سلسلة التخفيفات هذه شكل المباراة في تقديم المكافآت الى القتلة تقديرا لنجاحهم في القتل بدم بارد ، فتبرعت « لجنة اطلاق سراح المسجونين » بتخفيض الثلث من مدة السجن لكل واحد من المحكوم عليهم . وأطلق سراح آخر واحد من القتلة في بداية عام ١٩٦٠ . ووجد المسؤولون الاسرائيليون ان جبرائيل دهان الذي قتل ٤٣ عربيا خلال ساعة واحدة يستحق وظيفة مدنية جديرة بصلات الدم التــي تربطه بالعرب ، فأعلنت بلدية الرملة في العام ذاته انها قبلت دهان للعمل فيها بوظيفة « المسؤول عن شؤون العرب في المدينة » .

وماذا عن اللواء شدمي الذي اصدر اوامره الى مالينكي ؟.واوصاه بأن ينشر بين جنوده تعاليم « بدون عواطف » ؟. وماذا عن المصدر الكبير الذي تلقى منه شدمي الاوامــر العليا ؟. ان محاكمة شدمي ، بصورة حقيقية ، ستكشف النقاب عن المصــدر الاعلى للاوامر . ولذلك ، قدم شدمي امام محكمة عسكرية صورية عين اعضاءها رئيس أركان الجيش .

تمت المحاكمة بشكل سريع . ووجدت المحكمة ان شدمي مذنب في « خطأ تكني فقط » . ولهذا حكمت .. بتوبيخه ، وبدفع غرامة مالية قدرها : قرش اسرائيلي واحد .

لعل قرش شدمي اثمن عملية في تاريخ الجرائم . ستطول شهرته كثيرا ما دام للجريمة مكان على سطح الكرة الارضية . ان المسؤول عن قتل تسعة واربعين مدنيا بريئا في قرية آمنة يعاقب بدفع قرش واحد . هذا لا يحدث كثيرا .. لا يحدث كثيرا في التاريخ ، الا عندما يتعلم ضحايا النازية كيف يقلدون قتلتهم . هذا هو الدرس الذي تعلمه اصحاب التطبيق الصهيوني على أرض فلسطين . ان الحقد التاريخي الذي عبأت به الصهيونية جنودها ضد الانسانية والعالم يجري تدريباته وتمريناته على اللحم العربي الذي أصبح معهدا لتخرج خبراء القتل المجاني .. القتل الذي لا معنى ولا هدف له الا تفريغ مركبات النقص .

وماذا كتب آحاد هعام ــ المفكر اليهودي الذي كرس حياته لدعوى الصهيونية ومقاومة اندماج اليهود في أوروبا الشرقية ؟ ماذا كتب حين شاهد ، بعينيه ، سلوك المهاجرين اليهود الى فلسطين عام ١٨٩١ ، وقبل أن ينشئوا دولتهم ؟ كتب : « وماذا يفعل اخواننا المهاجرون اليهود في فلسطين ؟ كانوا عبيدا في بلاد الدياسبورا ، وفجأة وجدوا انفسهم وسط حرية بلا حدود ، وسط حرية لا رادع لها . ولقد ولد هذا التحول المفاجيء فــي نفوسهم ميلا الى الاستبداد ، كما تكون الحال عندما يصير العبد سيدا . وهم يعاملون العرب بروح العداء والشراسة ، ويمتهنون حقوقهم بصورة معوجة ولا معقولة ، ثم يوجهون لهم الاهانات دون أي مبرر كاف ويفاخرون بتلك الافعال فوق كل ذلك . وليس هناك بيننا من يقف بوجه هذا الميل الخسيس والخطير في آن واحد » . اذا كان آحاد هعام الصهيوني الكلاسيكي قد اشتكى من شراسة المهاجرين الاوائل ، قبل ان ينشئوا دولة ويملكوا جيشا وسلاحا ، فماذا من الممكن أن يكتب المراقب الآن بعدما تحولت الجريمة الى المبرر والوسيلة الوحيدتين لبقاء الحكم الاسرائيلي ؟.

لم تكتف غريزة الجريمة لدى الحكم الاسرائيلي بقتل ٤٩ عربيا في كفرقاسم ، وتبرئة المنفذين ، وبعدم محاكمة المسؤولين لان ذلك يعني محاكمة الكيان الاسرائيلي من اساسه . لم تكتف بذلك ، وانما امتلكت من السادية والنفاق قدرا جعلها تبتز من الضحايا اعترافا بالشرعية وتأييدا للسلاح الفاتك . فبالوسائل الاسرائيلية ابتزت السلطة الاسرائيلية، بعد المجزرة مباشرة ، تأييدا للحزب الحاكم في الانتخابات البرلمانية. فقد حصل الحزب الحاكم القاتل على الاغلبية الساحقة من اصوات الناخبين في القرية المنكوبة . فصارت الجريمة مزدوجة : قتلوهم .. وارغموهم على اعلان الولاء . لقد استجوبوا الجثث ، واستنطقوها لتقول للغزاة القتلة : نعم !

اراد القتلة أن يصوروا ما حدث في كفرقاسم بأنه حادث ، فهل هو حادث .. أم هو طبيعة ملازمة للممارسة الصهيونية على أرض فلسطين ، وسياسة مستمرة تجاه المواطنين العرب الواقعين تحت الاسر الاسرائيلي ؟. لقد قالوا عن دير ياسين أيضا انها حادث ، فهل يكون الحادث حادثا اذا تكرر عشرات المرات . ان القتل ، بدم بارد ، والعنف المسلح هما فلسفة اسرائيلية في تثبيت وجودها . وقد ملأ الفكر الصهيوني صفحات كثيرة لاعطاء العنف شرعية مستمدة من الحاجة الى قيام اسرائيل والمحافظة عليها . وقد نلاحظ ان بعض الصهيونيين الليبراليين انما يعارضون بعض مظاهر العنف عندما يضيع الفارق بين العنف الذي يرمي الى تحقيق هدف سياسي وبين العنف الذي يرتكب جريمة ليس وراءها هدف غير الانتقام الحيواني . وهذا ما يفسر غضبة آحاد هعام الشهيرة ، لان الموقف المتكامل من معارضة العنف الصهيوني انما يستدرج صاحبه الى رفض القاعدة القانونية التي نشأ عليها كيان اسرائيل ، وهي العنف المسلح . ولكن ما جرى في كفرقاسم يتجاوز مفاهيم العنف المسلح الذي يجد له تبريرا سياسيا لدى البعض . فلم تكن الجريمة هناك مثل جريمة دير ياسين مثلا التي هدف الغزاة منها الى دب الفزع بين العرب لدفعهم الى الرحيل وحققت أهدافا سياسية لمصلحة التوسع والانتصار الاسرائيليين . ولم تكن الجريمة « وقائية » للمحافظة على أي مطلب من متطلبات الامن الاسرائيلي ، اذ لم يهدد عمال كفرقاسم وفلاحوها وأطفالها ونساؤها أمن دولة اسرائيل ، ولم يعرقلوا اندفاع جيشها نحو سيناء ! الجريمة هنا خططت ونفذت بدون « ضرورة » و« حاجة » اذا جاز التعبير . انها جريمة من اجل الجريمة . انها أعلى اشكال الجريمة التي تحركها غرائز القتل والانتقام . وقد عبر عن هذا النوع من العنف المسلح الارهابي الشهير مناحيم بيغن ، حين كتب ان أساليب العنف التي لجأ اليها الصهيونيون قبل ١٩٤٨ هي الطريق الوحيد الفعال لتأمين الاهداف القومية في فلسطين ، وانها « أشبعت رغبة جارفة مكبوتة عند اليهود للانتقام » . كان ذلك قبل ٤٨ ، فلماذا في كفرقاسم ٥٦ ؟. لعل فلسفة الوجود كما يفهمها الصهيوني الارهابي « انا أحارب اذن انا موجود » تحتاج دائما الى ممارسة مستمرة والى برهان جديد . ولعل الصهيوني الاسرائيلي الذي يحمل رغبة مكبوتة للانتقام — كما يقول بيغن — محتاج الى تجديد وجوده بطريقة وحيدة هي الحرب ، والى ملء هذا الوجود بأسباب مستمرة لجدارة التفرد ، وهي القتل والقتل والقتل . « كن أخي والا سأقتلك » . هكذا يضيف فيلسوف الجريمة . وليس بوسع العربي الواقع في الاسر الاسرائيلي أن يؤاخي قاتله . وهكذا تبقى حلقة القتل مفرغة بلا نهاية .

ليس في الفكر الصهيوني نهاية للمبررات التي لا تحصى للعنف المسلح الذي لا يفتقر الى وحي من الديانة أيضا . ولهذا ، صار يهوشع بن نون بطلا اسرائيليا معاصرا بسبب وحشية أسلوبه في التعامل مع الشعوب غير اليهودية هذه الوحشية التي تشكل تشابها تاريخيا مع التطبيق الصهيوني اليوم يحتاجه أصحاب القرار السياسي في اسرائيل

كمصدر وحي والهام ، وكركيزة تراثية لاستئناف البعث الاسرائيلي في فلسطين ، على اعتبار ان كل جريمة تصير شرعية وقانونية من أجل تحقيق الهدف الصهيوني . وقد بلغ التطرف باستحضار ارهاب يهوشع بن نون مدى دفع بعض « العقلاء » الاسرائيليين الى الدعوة لتحريم تدريس يهوشع بن نون في المدارس لانه يشكل افسادا لروح الشباب يجعله عاجزا عن التعود على الحياة ، بسلام ، مع العرب في حالة تغير ظروف العلاقات بين العرب واليهود .

ان ما تدعيه اسرائيل من حساسية تجاه ما تعتبره ظلما لاحقا باليهـود في أي مكان بالعالم ، سرعان ما يتحول الى عمل انساني مشروع حين تمارسه ضد العرب . وان ما كان يعتبر جريمة وحشية عندما كان يمارس ضد يهودي ، سرعان ما يتحول الى واجب قومي يهودي عندما ينفذ بالسلاح اليهودي « الطاهر » عندما يتم تطبيقه ضد العرب . وليس عربيا القائل ان الصهيونية « تعتبر العمل الواحد حقا وصوابا اذا قامت هي به وخطأ غير مشروع اذا قام به غيرها». القائل هو موشيه سميلانسكي الذي قال ان القومية اليهودية في فلسطين مبنية على أنانية عسكرية تؤمن بالعنف وبعيدة كل البعد عن الانسانية .

خلاصة القول ان الجرائم التي ترتكبها اسرائيل ضد السكان العرب المدنيين والتي تمثل مذبحة كفرقاسم تجسيدا صارخا لها ، ليست ناشئة عـن تطبيق « رديء » للتراث الصهيوني « الجيد » ، ولكنها تطبيق جيد للتراث الصهيوني الرديء . وهذه النقطـة بالذات هي التي تشكل صخرة صماء وعقدة مستعصية الحل امام الذين يدافعون عن مبادىء الصهيونية «النظيفة» ويعترضون على التطبيق الاسرائيلي القذر لهذه المبادىء، او الذين يعترضون على «الانتهاكات» الاسرائيلية «لقداسة» التعاليم الصهيونية . ان الاعتراض على الممارسة الاسرائيلية سيبقى محاولة لاجتراح المستحيل اذا بقي أسير الالتزام بفكرة الدفاع عن سلامة الايديولوجية الصهيونية ، وضربا من ضروب خداع النفس وخداع الاخرين . ان الذي ينطلق من مبدأ طهارة الفكرة الصهيونية مدعو الى الالتزام بالخط المنطقي للامـور الذي يقود الى الاشتراك في المسؤولية عن جـرائم اسرائيل .

ان تراث الصهيونية وينبوعها «الصافي» هو الذي حلل العنف والجريمة .كان جابوتنسكي واضحا مع نفسه حين قال لمستشار الطلبة اليهود في فينا : « تستطيع ان تلغي كل شيء : القبعات ، والاحزمة ، والالوان ، والافراط في الشراب ، والاغاني . اما السيف فلا يمكن الغاؤه . عليكم ان تحتفظوا بالسيف ، لان الاقتتال بالسيف ليس ابتكارا المانيا، بل هو ملك لاجدادنا الاوائل . ان السيف والتوراة انزلا علينا من السماء ».

ليس التحدي الذي اختارته الصهيونية دائرا على القيم الانسانية والتحدي الحضاري كما تدعي ، ولكنه التحدي حول اولوية الانتماء الى العنف المسلح والى السيف . وقد بلغت المنافسة حول هذه الصفة بمفكر صهيوني آخر هو جوزيف بيرديشفسكي حدا جعله يعترض على صحبة السيف والكتاب ، فقال : « ان كلا من السيف والكتاب يناقض الاخر بل ويقضي عليه كليا . ان الفترة التي يعيشها الشعب اليهودي هي فترة عصيبة. وفي مثل هذه الفترات يعيش الرجال والامم بالسيف وليس بالكتاب . أن السيف ليس شيئا مجردا او بعيدا عن الحياة . انه تجسيد مادي للحياة في أنقى معانيها ، اما الكتاب فليس كذلك » .

مثلما لا نجد نهاية ، في الفكر الصهيوني ، لمبررات الارهاب والعنف المسلح المستلهمة من الاحكام السياسية والذرائع الدينية ، وعقدة الكبت التاريخي ، كذلك لا نجد على

الطبيعة الاسرائيلية نهاية لهذا التطبيق . دعا الرواد الاوائل الى العنف ، ومارسه الجنود الاسرائيليون وحرس الحدود ، وادعى الدعاة ان السلاح الاسرائيلي أطهر سلاح وان الغزاة الاسرائيليين هم اجمل الغزاة . وقد برهنوا هذه المزاعم ، مرات كثيرة ، واثبتوا جمالهم وطهارتهم في كل طرائق تعاملهم مع السكان العرب ، وبالذات مع عمال كفرقاسم واطفالها . بغرامة قرش واحد فقط يسدل الستار على ذبح ٤٩ مواطنا .

وحين كنا نحاول دخول كفرقاسم لمشاركتها في احياء ذكرى ضحاياها ، كان حرس الحدود اياهم ... القتلة اياهم يضربون حصارا حول القرية الثكلى ، ويمنعون الزوار من نقل التعازي . هؤلاء القتلة الابطال لماذا يخافون ذكرى ضحاياهم ؟ ليس تأنيب الضمير هو الذي يدفعهم الى قمع الذكرى،بل هي الكراهية والسادية،والشعور بالحاجة الى برهنة وجودهم ... موجودون دائما مع الجريمة ، وكأنهم يجددون عملية القتل كل سنة بمحاولة قتل الذكرى . ولكننا نعرف كيف نحيي ذكرى ضحايا المذبحة ... ولقد عرف الشعب العربي في فلسطين كيف ينتقم لابنائه : شد على تربة الوطن بأظافره وأسنانه ، وقال للغزاة : لن أوقع صك الغفران . ومضت السلطة في الانتقام من هذا الشعب ، وبلغ الانتقام اوجه حين دشنت مدينة السرقة « كرمئيل » على انقاض اراضي ثلاث قرى عربية في الجليل في يوم ذكرى مذبحة كفرقاسم بالذات ، لتظهر للعرب حقيقة نواياها تجاههم ، ولتدلهم على حدي السيف الذي تحاربهم به : القتل مرة ، ومصادرة الارض مرة اخرى .

لم تكن كفرقاسم قرية ذات شأن في تاريخ فلسطين . ولا تستطيع الرؤيا الشعرية ان تستخرج منها لوحة جميلة . ولكن ذلك الغروب الواقف على حافة الدم جعل كفرقاسم المجهولة ملحمة شعب صابر . وحين وقفنا على مدخلها ، ذات مساء ، أحسسنا بضراوة الفرح المكبوت فينا . وعرفنا الجريمة التي ننال عليها كل هذا العقاب . وأدركنا ان الحجارة هي الوقت ، فجلسنا عليها نغني للوطن .

# الخطر الاسرائيلي على لبنان

خليل ابو رجيلي

« انتم في لبنان مخدوعون بأمر الصهيونية ،

لا ترون فيها غير المال الذي جاءت به الى بلادنا ، ولكنه مال باق لليهود ، واذا استفاد منه بعض الملاكين القلائل عندنا ، فهذا لا يعني ان فلسطين العربية استفادت منه .

( ... ) هل تعتقدون ( أنتم اللبنانيون ) ان في فلسطين غير الشقاء والفاجعة اليوم ؟ ومع هذا فأنتم في لبنان ما تزالون تعتقدون ان وجود اليهود عندنا ثروة لنا . وبينكم من يتغنى بهم ، ومن احباركم الاجلاء من يأخذ جانبهم . ولكن جاؤوا يشلحوننا نحن النصارى القبر المقدس ، جاؤوا يجلوننا عن ارض مخلصنا الالهي باقامة مملكتهم ( العنصرية ) .

كل هذا لم يفتكر به احد منكم بلبنان ، لانكم لا تشعرون بالخطر الصهيوني ولا تقرونه قدره ، بل افتكرتم بتلك الجنيهات التي يصرفها بعض المصطافين اليهود ، ايام الصيف في بلادكم .

ولكن لو أتيح للصهاينة أن يأتوا اليكم وان يعيشوا عندكم احرارا فهل تعتقدون ان واحدا منهم حينذاك يتعامل معكم او يشتري منكم حاجة او يستأجر عندكم بيتا.؟

قد يؤلفون مستعمرات لوحدهم — كما في فلسطين — ويستغنون تماما عن اللبنانيين ويعيشون ضمن دويلات صغيرة مستقلة ولا يكون بينكم وبينهم اخذ وعطاء »(١).

بهذه الكلمات المفعمة بالمحبة والمرارة ، توجه عام ١٩٣٨ المطران غريغوريوس الحجار ، مطران حيفا وعكا وسائر الجليل ، الذي كان يناضل من أجل ابقاء فلسطين عربية ، الى اللبنانيين عبر جريدة الصحافي التائه اللبنانية ليحذرهم من الخطر الصهيوني المحدق ببلادهم بغية تأليف جبهة داخلية متماسكة تعمل مع الفلسطينيين للوقوف في وجه الغزوة الصهيونية الشرسة التي تريد الاستيلاء على فلسطين والاراضي العربية المحيطة بها ، لان ما أصاب ويصيب الشعب الفلسطيني من الغزوة الصهيونية ستنعكس نتائجه عاجلا ام آجلا على الشعب اللبناني .

مضى على هذا التحذير ٣٥ عاما وما زال العديد من اللبنانيين مخدوعين بأمر الصهيونية ونواياها المبيتة ضد لبنان وذلك لانه لم يتسن لهم بعد ان يدركوا مدى حقيقة الخطر الصهيوني على لبنان فهم ما زالوا مأخوذين بالدعاية الصهيونية التي ما انفكت تردد بعد حرب الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ « بأن اسرائيل لا تبيت نوايا عدوانية تجاه لبنان لولا وجود المخربين ( وتعني بهم المقاومة الفلسطينية ) على اراضيه »(٢) لذلك كان هدف الاعتداءات الاسرائيلية المتكررة على الاراضي اللبنانية « القضاء على المخربين والمتعاونين

---

* يعتبر هذا المقال تتمة للدراسة التي نشرتها « شؤون فلسطينية » للكاتب نفسه في العدد ١٤ الصادر في تشرين الاول ( اكتوبر ) ١٩٧٢ .

معهم»(٣) فلو تولت السلطات اللبنانية هذه المهمة بنفسها لما كان جيش الدفاع الاسرائيلي يفكر بدخول الاراضي اللبنانية . وتدعم اسرائيل ادعاءاتها هذه بهدوء الجبهة اللبنانية طوال الفترة التي سبقت حرب الخامس من حزيران لان لبنان وقتها حافظ على علاقات حسن الجوار ولم يسمح بقيام اي تسلل عبر اراضيه لتهديد أمن اسرائيل ولم تتعكر العلاقات الا بعد دخول « المخربين » الى اراضيه . لن يعود الهدوء الى الجبهة اللبنانية الا بعد القضاء على المقاومة الفلسطينية(٤).

هذا الاسلوب المراوغ الذي تتبعه اسرائيل للعب بعواطف اللبنانيين ، عدا عن كونه يستعدي الشعب اللبناني على الفلسطينيين ويحثهم على التصادم والتقاتل الاخوي ، يخفي نوايا اسرائيل الحقيقية المبيتة تجاه لبنان ، تلك النوايا التي ما انفك قادة الحركة الصهيونية منذ تأسيسها عن اعلانها في مختلف المناسبات . لذلك سنحاول في هذا العرض تبيان حقيقة الخطر الاسرائيلي على لبنان من زواياه التوسعية والاقتصادية ، ذلك الخطر الذي يرمي في نهاية المطاف الى تدمير لبنان تدميرا كاملا .

## أولا ـــ الخطر التوسعي

نعرض لهذا الخطر حسب المراحل التاريخية التي مر بها ، فنبدأ أولا بسرد تطلعات بعض الكتاب اليهود خلال القرن التاسع عشر ، قبيل انشاء الحركة الصهيونية ، حول حدود الدولة اليهودية التاريخية والدينية ثم ننتقل الى مطالب الحركة الصهيونية لحدود الوطن القومي الذي يريدونه وتشمل هذه المرحلة الفترة التاريخية الممتدة من سنة ١٨٩٧ ، تاريخ انعقاد أول مؤتمر صهيوني عالمي في بال ، حتى قيام دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ وأخيرا نستعرض تصاريح ومشاريع المسؤولين الاسرائيليين منذ تأسيس الدولة الصهيونية حتى تاريخنا هذا .

لكن لا بد لنا ، قبل المباشرة بهذا العرض التاريخي للتوسع الاسرائيلي ، من تسجيل المنطلقات التي ارتكزت عليها هذه التطلعات التوسعية لتبرير استيلائها على الاراضي العربية(٥):

١ ـــ ان دولة اسرائيل هي الحل المنشود « للمشكلة اليهودية » وهي تعبير عن التطلعات القومية اليهودية ، ويجب ان تضم شمل جميع اليهود المشتتين في أنحاء العالم .

٢ ـــ ان فلسطين هي أرض دولة اسرائيل التاريخية والدينية وتشمل حدودها جميع الاماكن التي تحرك فيها اليهود والاماكن التي أقامت فيها القبائل العبرية في الماضي بالاضافة الى الاراضي الجديدة التي تعتبرها حيوية لاقتصادها وأمنها .

٣ ـــ ان دولة اسرائيل في فلسطين يجب ان تتمتع بمقومات الدولة القادرة على تحقيق الاكتفاء الذاتي الاقتصادي والمنعة العسكرية ، ويجب ان تمتد بحيث تشمل مصادر القوة والارض الواسعة والمياه الضرورية للزراعة والصناعة والمراكز الاستراتيجية التي تضمن لها السيطرة الدفاعية والهجومية على الاراضي المجاورة لها .

٤ ـــ ان الاراضي المشمولة بدولة اسرائيل هي اراض « محتلة » من قبل الساكنين فيها ويجب بالتالي تحريرها واعادتها الى دولة اسرائيل .

استندت الصهيونية في مطالبها بتحديد حدود دولة اسرائيل الى الحجج الدينية والتاريخية وتأثرت بالنزعة القومية العنصرية التي سادت القرن التاسع عشر في اوروبا وتبنت الآراء الاستعمارية التي كانت في أوجها في أواخر القرن التاسع عشر بحيث تغدو في نهاية الامر أبشع مولود لحركة استعمار الشعوب التي قادتها أوروبا « المتمدنة » ضد شعوب العالم .

## أ ــ تطلعات اليهود في القرن التاسع عشر حول حدود دولة اسرائيل :

قدمت خلال القرن التاسع عشر بعض الاقتراحات من قبل الباحثين اليهود لتحديد حدود الارض المقدسة كما وردت في كتاب التوراة وقد أوجز الاقتراحات هذه ، الحاخام اسحق في كتابه عن « حقيقة حدود الارض المقدسة » المنشور عام ١٩١٧ . ونذكر فيما يلي موجزا لبعض هذه الاقتراحات التي تبدو شديدة التعبير(٦):

١ ــ اقتراح ساد المجتمعات اليهودية خلال القرن التاسع عشر بأن حدود دولة اسرائيل تمتد من جبل الاقرع شمالي اللاذقية حتى مدينة حمص السورية ، ومن حصن الاكراد حتى دير قانون شمالي دمشق حتى بحيرة طبرية فبحر الميت وعين قادس على المتوسط.

٢ ــ اقترح الحاخام شوارتز بأن حدود دولة اسرائيل تمتد من جبل النورية عند رأس شكا في شمالي لبنان جنوبي مدينة طرابلس حتى مدينة الجديدة جنوبي مدينة الهرمل في البقاع ومن ثم تمتد عبر خط يصل الى دير قانون شمالي مدينة دمشق فجبل الشيخ فمدينة بانياس فبحيرتي الحولة وطبرية حتى بحر الميت .

٣ ــ اقترح الباحثان اليهوديان ، روبرتسن وبورتر ، بأن حدود دولة اسرائيل تمتد من مصب نهر الكبير ، الحد الفاصل بين سوريا ولبنان، حتى مدينة حماه فالجديدة وقرياطين شمالي شرقي دمشق ، ومن الهرمل حتى جبل الشيخ فنهر الدان ومن هناك تتبع خطا موازيا لنهر الاردن حتى البحر الميت .

تشمل حدود دولة اسرائيل في الاقتراحات الثلاثة على جميع الاراضي اللبنانية وبعض الاراضي السورية والاردنية والمصرية . وقد كانت هذه الاقتراحات المرتكز الذي انطلق منه مفكرو الحركة الصهيونية لتحديد معالم الوطن القومي الذي يريدون انشاءه .

## ب ــ مرحلة نشوء الحركة الصهيونية حتى قيام اسرائيل ( ١٨٩٧ ــ ١٩٤٨ ) :

من الملاحظ في هذه الفترة أن قادة الحركة الصهيونية يطلقون كلمة فلسطين على مساحة من الاراضي تفوق بكثير حدود فلسطين المعروفة جغرافيا ، فيقول ثيودور هرتزل « ان الشعار الذي يجب أن نرفعه هو فلسطين داود وسليمان »(٧) ويسجل في مذكراته ملاحظاته حول اول لقاء له مع السلطات العثمانية فيقول : « طلبت الحكومة العثمانية ٤٠ مليون فرنك وعرضت علينا بالمقابل امتياز خط حديدي يمتد من البحر المتوسط حتى الخليج الفارسي بالاضافة الى حق اقامة جاليات ومستعمرات في فلسطين ضمن مساحة قدرها ٧٠ الف كيلومتر مربع »(٨).

وقد توخى هرتزل الغموض في ملاحظاته حول فلسطين لاسباب تكتيكية ، ويظهر هذا بجلاء عندما يتحدث عن مقابلته لمستشار الامبراطور الالماني الامير هوهنلوه فيقول :

« وسألني ايضا عن الارض التي نريد وما اذا كانت تمتد شمالا حتى بيروت او أبعد من ذلك . وكان جوابي سنطلب ما نحتاجه ، تزداد المساحة المطلوبة بزيادة عدد المهاجرين »(٩).

لكن هرتزل يعرف حين يشاء ان يخرج من الغموض ليصرح بوضوح عن رأيه،كتب بعد أيام منمقابلته هذه يحدد المطالبالتي سيتقدم بها الىالدول التي سيطلب مساعدتها،قال:

« المساحة ( مساحة فلسطين التي يريدها ) من النيل الى الفرات ، لا بد من فترة انتقالية لتثبيت مؤسساتنا يكون فيها الحاكم يهوديا . . . وما ان تصل نسبة السكان اليهود الى الثلثين حتى تفرض الادارة اليهودية نفسها »(١٠).

ان فلسطين التي يريدها هرتزل تشمل جميع الاراضي اللبنانية والسورية والاردنية وبعض الاراضي العراقية والمصرية والسعودية . ان عين مؤسس الحركة الصهيونية

متجهة الى لبنان وسوريا نظرا لاهميتهما الاقتصادية والعسكرية وقد تابع قادة الحركة الصهيونية ، بعد موت هرتزل ، تركيزهم على الاراضي اللبنانية والسورية فانشأوا المستعمرات في الجليل الاعلى قرب منابع الاردن وعلى مشارف حوض الليطاني(١١) كما انشأوا المستعمرات في حوض بحيرة طبرية حول اليرموك وسهل حوران السوري(١٢) وقد ساعد انشاء هذه المستعمرات على رفض مقترحات سايكس التي قدمتها لهم الحكومة البريطانية بعد توقيع اتفاقية سايكس ـــ بيكو عام ١٩١٥ ، لان القبول بهذه المقترحات يعني خسارة الجليل الاعلى ومنابع الاردن(١٣). ويوضح حاييم وايزمان المطامع الصهيونية في الاراضي اللبنانية والسورية فيقول :

« حتى مطلع عام ١٩١٧ كانت القيادة الصهيونية واقعة تحت الوهم الساذج بأن فرنسا ليست مهتمة بالبلاد الواقعة جنوبي بيروت ودمشق وانه بامكان الصهيونية الحصول على هذه المنطقة برمتها ضمن الوطن القومي اليهودي »(١٤).

كان هذا الاكتشاف منطلقا لقادة الحركة الصهيونية حتى يشنوا حملة مركزة عبر وسائل الاعلام واتصالاتهم، تبين ضرورة شمول حدود الوطن القومي على الاراضي الواقعة جنوبي بيروت ودمشق .

ففي ١٥ شباط عام ١٩١٧ نشرت مجلة فلسطين مقالا طويلا عنوانه « حدود فلسطين » تتحدث فيه عن الاسس التي يجب اعتمادها لتعيين معالم حدود فلسطين المستقبل نثبت منها هنا ما يتعلق بلبنان فتقول :

« ان الحد الاستراتيجي الطبيعي الوحيد هو القطاع الضيق الذي يقع في الشمال ، من صيدا الى اقصى الحد الجنوبي للبنان ، والحد الطبيعي الآخر هو وادي البقاع في حال حيازة الاطراف الجنوبية للبنان وجبل الشيخ وتحصينها بشكل يكفل السيطرة على المخرج الجنوبي لهذا الوادي . »

وتعني هنا كلمة اقصى الحد الجنوبي للبنان حدود « لبنان المتصرفية » وقد كان جنوبي لبنان الحالي باستثناء منطقة جزين يدخل ضمن منطقة سنجق عكا .

وفي ٥ أيار ردت نشرة فلسطين على جريدة « كوريرا ديلاسيرا » الايطالية التي نشرت مقالا حول اتفاق بريطانيا وفرنسا ( معاهدة سايكس بيكو ) على الحدود الشمالية ( يعني حدود لبنان الجنوبية ) فقالت :

ما من اتفاق ينص على تقسيم ارض فلسطين القديمة يمكن ان يحوز على موافقة اليهود أو أن ينسجم مع أمانيهم القومية(١٥).

بعد حصول اليهود على وعد بلفور في ٢ تشرين الثاني عام ١٩١٧ بدات اللجنة الاستشارية لفلسطين ( لجنة بريطانية تضم معظم الشخصيات الصهيونية ) عملها لوضع مقترحات لحدود فلسطين في ٦ تشرين الثاني عام ١٩١٨ ، قدمت هذه اللجنة مقترحاتها بشأن الحدود استنادا الى العوامل التاريخية والاقتصادية والجغرافية وأصرت على ان تشمل الحدود الشمالية على نهر الليطاني وجبل الشيخ(١٦).

في المذكرة الرسمية التي قدمتها الحركة الصهيونية الى مؤتمر السلام عام ١٩١٩، أصرت على ان تشمل الحدود الشمالية على جنوبي لبنان وجبل الشيخ . تقول المذكرة :

« ان حدود فلسطين سوف تتبع الخطوط العامة الموضوعة كما يلي : تبدأ من الشمال عند نقطة على البحر الابيض المتوسط بالقرب من صيدا وتتبع منابع المياه التي تنبع من سفوح سلسلة جبال لبنان حتى جسر القرعون ثم الى البيرة وتتبع الخط الفاصل بين حوض وادي القرن ووادي التيم ثم الى اتجاه جنوبي يتبع الخط الفاصل بين المنحدرات الغربية والشرقية لجبل الشيخ »(١٧).

وفي ٦ كانون الاول من نفس السنة حددت الحركة الصهيونية رغبتها بالاستيلاء على جنوبي لبنان فقالت :

« ان الحقيقة الاساسية فيما يتعلق بحدود فلسطين هي انه لا بد من ادخال الميـاه الضرورية للري والقوة الكهربائية ضمن هذه الحدود ، وذلك يشمل مجرى نهر الليطاني ومنابع مياه الأردن وثلوج جبل الشيخ »(١٨).

تعقيبا على هذه الرغبة الملحة بالاستيلاء على مصادر المياه أرسل هيربرت صموئيل(١٩) رسالة الى أعضاء الوفد البريطاني في محادثات السلام في باريس يقول فيها بأن أهمية مستقبل فلسطين مرتبط بتوفر عوامل النجاح لها ، تقول الرسالة :

« ان نجاح مخطط مستقبل فلسطين بأسره يعتمد على مدى قدرة البلاد على استيعاب المهاجرين اليهود وهذا بدوره يعتمد على تطوير الصناعة والزراعة . ويعتمد تحقيق ذلك على توفر المياه والقوة المائية ، ومن هنا كانت الحدود الشمالية المقترحة ( مذكرة الحركة الصهيونية المقدمة لمؤتمر السلام ) حيوية للغاية »(٢٠).

وتقرر ، في اجتماع صهيوني هام عقد عام ١٩١٩ على هامش مؤتمر السلام وضم القاضي برنديس واللورد بلفور واللورد برسي والقاضي فرانكفورتر — صديق الرئيس الامريكي ولسون — بأن تحقيق الوطن القومي لن يتم الا بتوفير مساحة كافية لاستيعاب المهاجرين الصهيونيين وتأمين مصادر المياه الواقعة شمالـي البلاد ( يعني نهر الليطاني ومنابع الاردن )(٢١).

وعلى هامش النشاط السياسي للحركة الصهيونية كانت مجلة فلسطين تتابع الكتابة عن حدود فلسطين ومساحتها كما تراها الحركة الصهيونية ، ففي مقال كتبه بن غوريون واسحق بن زفي بعنوان « حدود فلسطين ومساحتها » ورد ما نصه :

ان الحياة الاقتصادية في فلسطين ( ... ) تعتمد علـى مصادر الميـاه الموجودة فـي شمالي البلاد . ومن الاهمية والحيوية بمكان أن تضمن فلسطين استمرار تدفق المياه التي تروي البلاد حاليا وان تتمكن ايضا من تخزينها والسيطرة عليها عند منابعها . ان جبل الشيخ هو ابو مياه فلسطين الحقيقي ولا يمكن فصله عن فلسطين دون تعريض حياتهـا الاقتصادية للخطر ( ... ) يجب أن يخضـع هـذا الجبـل خضوعا كليـا لسيطرة الذين يستفيدون منه الى الحد الاقصى(٢٢).

وبذل زعماء الحركة الصهيونية جهودا جبارة اثناء انعقاد مؤتمر الصلح في باريس لاقناع من يعنيهم الامر بالتخلي عن المنطقة الواقعة جنوبي دمشق وبيروت والتي تشكل الحدود الشمالية لدولة اسرائيل المقترحة . لذلك اتصل حاييم وايزمن ودافيد بن غوريون ، اللذان كانا في باريس لملاحقة مطالب الحركة الصهيونية ، بالبطريرك الماروني ، الذي كان في باريس أيضا للمطالبة بضم الجليل الاعلى ووادي النصارى الى دولة لبنان ، اتصل به الزعيمان الصهيونيان لاقناعه بالتخلي عن المطالبة بالجليل الاعلى وعن الاراضي الواقعة جنوبي بيروت لقاء وعود مغرية بمده بالمساعدات المالية والفنية والتقنية الكفيلة بتطوير لبنان الذي سيصبح هكذا دولة ذات أكثرية مسيحية . كان الطلب مغريا لكن البطريرك الماروني رفض طلبهم بشدة وأصر على موقفه لان كل محاولة جديدة لتجزئة لبنان ، على غرار ما حدث عام ١٨٦٠ ، ستؤدي الى تدميره(٢٣).

لم يبق اذن أمام الحركة الصهيونية سوى الاتصال المباشر بالدولة الفرنسية لاقناعها بالتخلي عن الاراضي الواقعة جنوبي بيروت وتولى هذه المهمة حاييم وايزمن يقول :

« ذهبت الى لندن عام ١٩٢١ لابحث حدود فلسطين قبل المصادقة على صك الانتداب المتوقعة في حزيران ١٩٢٢ ... وبعدها جئت الى باريس للاجتماع بمسؤولين فرنسيين

هما م. دي مونزي والجنرال غورو . وفي اجتماعي مع هذا الاخير ناقشت في حدود فلسطين الشمالية فلم استطع ان اقنعه لان فرنسا كانت تعتبر حدود فلسطين الشمالية جزءا من سوريا وتطلق عليها اسم سوريا الجنوبية ، وبما ان سوريا هي منطقة نفوذ فرنسية فلا داع اذن لمراجعة تخطيط حدود فلسطين الشمالية » . ويتابع حاييم وايزمن الحديث عن مقابلته مع الجنرال غورو فيقول : « بعد رفضه حاولت أن أقنعه بضرورة مياه نهر الليطاني بالنسبة للاقتصاد الفلسطيني لكنه لم يصغ اليّ لانه كان يعتقد بأن الصهيونية هي شكل آخر للامبريالية البريطانية »(٢٤).

باءت الجهود المستميتة التي بذلها قادة الحركة الصهيونية لضم الاراضي الواقعة جنوبي بيروت الى فلسطين، بالفشل لان فرنسا أصرت على أن تكون الحدود الجنوبية والجنوبية الشرقية الفاصلة بين النفوذ الفرنسي والبريطاني خطا يمتد من راس الناقورة على البحر الابيض المتوسط مرورا ببانياس فمدينة درعا السورية. وقد صادق الفرنسيون والانكليز على هذه الحدود . وهكذا قطع الاصرار الفرنسي الطريق أمام المطامع الصهيونية في لبنان وسوريا معا . واعلن قادة الحركة الصهيونية سخطهم علــى هذا الاتفاق الذي رضخت فيه الحكومة البريطانية للمطالب الفرنسية ، وقد نددوا به تنديدا شديدا لانه افقدهم فرصة الاستيلاء على الليطاني ومنابع الاردن العليا وجبل الشيخ وحوران . وحاول الصهيونيون التعويض عن هذا الغبن الذي لحق بهم عن طريق تغيير الحدود بطرق سلمية وذلك باقامة مستوطنات صهيونية في الاراضي اللبنانية والسورية التي يطمعون بالاستيلاء عليها . لكن هذه المحاولات لاقت معارضة عنيفة من قبل السلطات الفرنسية . وقد صرح المسيو دي جوفينال فيما بعد « انه يوافق على اسكان المهاجرين اليهود بالقرب من الفرات أو أي مكان آخر في سوريا ، ما عدا الاماكن المحيطة بالحدود الفلسطينية لانه يخشى من المطامع التوسعية الصهيونية »(٢٥).

رغم هذه النكسات المتتالية لم تتخل اسرائيل عن محاولاتها للاستيلاء على منابع المياه فقد حاولت قبيل قيام دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ ، شراء الاراضي المحيطة بمنابع الاردن ونهر الليطاني وذلك عن طريق سماسرة ماهرين الا ان محاولتها هــذه باءت بالفشل لادراك بعض المواطنين الهدف من شراء هذه الاراضي(٢٦). لكن اسرائيل عوضت عن فشلها هذا باحتلال أجزاء من قضائي مرجعيون وبنت جبيل عام ١٩٤٨ واصبحت بهذا على مشارف الليطاني ، وقد مكثت في هذه الاراضي نحو سبعة اشهر لكنها تراجعت عنها بعد الضغوط التي مارستها عليها الحكومة الفرنسية . وقد احتفظت بالمقابل بأجود الاراضي الزراعية التابعة للعديد من القرى الواقعة على الحدود اللبنانية الاسرائيلية منها اراضي يارون ، ورميش وعيترون وبليدا وميس الجبل ، وحولا والعديسة وكفركلا، ودير ميماس . . .

**ج ــ مرحلة ما بعد انشاء الدولة ، ( ١٩٤٨ حتى يومنا ) :**

لم تنته قضية المطامع الاسرائيلية بالاراضي اللبنانية مع قيام دولة اسرائيل لان المسؤولين الاسرائيليين ما انفكوا منذ ذلك التاريخ عن التصريح بنواياهم التوسعية . يقول ابا ايبان في ٢ أيار عام ١٩٥١ : « لسنا من المهتمين بالنيل أو بالفرات ولكننا نولي نهر الاردن ومنابعه كل اهتمــام » . فالاهتمــام بمنــابع الاردن يعني الاستيلاء علـــى اقضيـــة حاصبيا ومرجعيون وراشيا اللبنانية وعلى الجولان السوري وسهل حوران .

الا ان ابصار المسؤولين الاسرائيليين تركزت كلها على مياه نهر الليطاني ، وفيما يلي تسلسل للتصريحات الاسرائيلية بصدد الاستيلاء على مياه هذا النهر اللبناني الذي يعلق عليه لبنان آمالا كبيرة في سبيل تطوير زراعته في البقاع والجنوب والقسم الجنوبي من جبل لبنان . بدأ أول تلميح اسرائيلي بالاستيلاء على مياه هذا النهر في الرد الاسرائيلي

على مبعوث الرئيس الامريكي ، اريك جونستون الذي أوفد لاجراء محادثات مع العرب واسرائيل لاقناعهما بقبول مشروع مااين لاستغلال مياه نهر الاردن . كان يهدف المشروع الى تنظيم مصادر مياه نهر الحاصباني وبانياس والدان وينابيــع الحولة لري حوض الاردن الاعلى واستعمال بحـــيرة طبرية لتخزين مياه فيضان نهـــر الاردن واليرموك واستعمالها لري جانبي وادي الاردن الواقعة جنوبي بحيرة طبرية . فرفضت اسرائيل المشروع لانه لا يأخذ بعين الاعتبار جر مياه الاردن الى صحراء النقب لريه وتشجيع الاستيطان فيه واقترحت مشروعا آخر دعي باسم مشروع « كوتن » يقضي بتحويل ٤٠٠ مليون متر مكعب من مياه نهر الليطاني الى نهر الحاصباني لضخها الى سهل البطوف في اسرائيل ومن ثم جرها الى النقب(٢٨). وبررت اسرائيل اقتراحها هذا بأنه لا يوجد أي مجال في لبنان للاستفادة من مياه نهر الليطاني التي تذهب هدرا الى البحر . وادى الاقتراح الاسرائيلي هذا الى ممارسة بعض الضغوط على البنك الدوليلحمله على رفض اعطاء قروض مالية للبنان بغية تنفيذ مشاريع الري من نهر الليطاني ، لان اسرائيل تخشى أن يستغل لبنان هذا النهر فيقطع عليها الطريق للاستيلاء عليه . ويقر الخبراء اللبنانيون الذين رافقوا قضية استثمار مياه الليطاني بأنهم لمسوا عن كثب الضغوط الاسرائيلية لعرقلة استثمار مياه نهر الليطاني في الري لانه من غير المعقول ان يمضي أكثر من ١٨ سنة على انشاء مصلحة الليطاني المكلفة باستثمار ميـــاهه في الـــري وتوليـــد الكهرباء ، ويبقى مشروع الري من مياه النهر امنية لدى الشعب اللبناني لولا الضغوط الاسرائيلية الرامية الى عرقلة تنفيذه حتى تستوليعليه وتجر مياهه الى النقب لتوطين المهاجرين الصهيونيين .

وبعد هذا التاريخ بقليل اي في كانون الثاني عام ١٩٥٥ كتبت دانا آدمز شميدت في المجلة الامريكية الصهيونية « ميدل ايسترن افـــيرز » (Middle Eastern Affairs) ، تقـــول :

« كان من الواضح للاسرائيليين أن أحلام تطوير النقب لا يمكن أن تتحقق بدون مياه الليطاني »(٢٩) .

وفي أول آذار عام ١٩٦٤ ادلى دافيد بن غوريون بحديث الى المجلة الاسرائيلية «هابوكر» قال فيه : « لو كان موشي دايان قائدا اعلى للجيش الاسرائيلي عام ١٩٤٨ لكانت حدود اسرائيل الان أوسع بكثير » فرد عليه في اليوم التالي بيغال الون ، الذي كان قائدا أعلى عام ١٩٤٨ : « لو لم تأمر يا بن غوريون بوقف اطلاق النـــار لكانت قواتنا قد احتلت الليطاني في الشمال وسيناء في الجنوب وهكذا نكون قد حررنا الجزء الاكبر من اراضينا». وعشية حرب الخامس من حزيران صرح ليفي اشكول رئيس وزراء اسرائيل السابق لمندوب جريدة لوموند (Le Monde) الفرنسية بما يلي : « هناك نصف مليار متر مكعب من مياه نهر الليطاني تضيع سنويا في البحر ويجب استعمالها لصالح شعوب المنطقة ولا يسع اسرائيل العطشانة ان تقف مكتوفة اليدين وهي ترى مياه الليطاني تذهب هدرا الى البحر ، أن القنوات باتت جاهزة في اسرائيل لاستقبال مياه نهر الليطاني المحولة »(٣٠). وبعد هذا التصريح يرد بن غوريون على رسالة الجنرال ديغـــول التي يسأله فيها ان يفصح له عن رايه في حدود اسرائيل كما يراها ، يقول : « لو سألتني هذا السؤال منذ عشرين سنة لاجبت بأن الحدود الشمالية هي نهر الليطاني والجنوبية شرق الاردن »(٣١). ويكتب موشي دايان في مجلة الجيش الاسرائيلي في تشرين الاول عام ١٩٦٧ قائلا : « ان حدود اسرائيل الحالية ، باستثناء الحدود مع لبنان ، اصبحت مثاليـــة رغم انها غير واقعية»(٣٢). ويضيف دايان في تصريح آخر أمام اتحاد شباب الكيبوتز في هضبة الجولان المحتلة فيقول : « ان الضفة الشرقية للاردن ولبنان وسوريا ستكون الفريسة التالية لاسرائيل » .

الا أن العامل الحاسم الذي سيحمل اسرائيل للاسراع بالاستيلاء على جنوبي لبنان هو

الحاجة الملحة الى المياه ، في جنوبي لبنان ما يقارب من ١٠٠.٠٠٠ر١٤٧ر١ متر مكعب من المياه(٢٣) تحتاجها اسرائيل لتحلية مياه بحيرة طبرية التي تزداد فيها الملوحة سنة عن سنة نتيجة ازدياد الضخ من مياهها عبر قنـــاة بحيرة طبرية ــ النقب . يقدر خبراء اسرائيل في المياه بأن أزمة المياه في اسرائيل ستبدأ بعد سنة ١٩٧٥ ، فابتداء من ذلك التاريخ سيفوق الطلب على المياه الكميات المتوفرة في اسرائيل . يبين الجدول التـــالي كمية المياه المتوفرة في اسرائيل والطلب الاقصى والادنى على المياه بين عـــام ١٩٧٠ و ٢٠٠٠ وذلك بملايين الامتار المكعبة(٢٤):

| | ١٩٧٠ | ١٩٧٥ | ١٩٨٠ | ١٩٨٥ | ١٩٩٠ | ١٩٩٥ | ٢٠٠٠ |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| الكمية المتوفرة | ١٦٢٠ | ١٦٥٠ | ١٦٦٥ | ١٧٥٠ | ١٨٠٠ | ١٨٥٠ | ١٨٥٠ |
| الطلب الاقصى | ١٤٥٠ | ١٥٨٧ | ١٨٢٥ | ٢١٠٠ | ٢٣٠٠ | ٢٥٠٠ | ٢٧٠٠ |
| الطلب الادنى | ١٤٥٠ | ١٥١٤ | ١٦٦٥ | ١٩٠٠ | ٢١٠٠ | ٢٢٠٠ | ٢٤٠٠ |
| العجز الادنى | — | — | — | ١٥٠ | ٣٠٠ | ٣٥٠ | ٥٥٠ |

قبل أن ننهي البحث عن خطر التوسع الاسرائيلي باتجاه الاراضي اللبنانية لا بد لنا من الاشارة الى أن دولة اسرائيل استطاعت خلال السنين الاستيلاء على بعض الاراضي اللبنانية نذكر منها ما يلي :

ــ اشترى السماسرة اليهود بين عام ١٩١٦ و ١٩٢١ القرى اللبنانية التالية : صلحا ، هونين ، طبريخا ، الصالحة ، واستطاعت الحركة الصهيونية بما لديها من دهاء ونفوذ أن تضم هذه القرى الى حدود فلسطين بعد تعديـــل الحدود الذي جرى بين بريطانيا وفرنسا عام ١٩٢٣ ، وشمل هذا التعديل طول الحدود اللبنانية وتم بموجبه سلخ بعض الاراضي الزراعية الخصبة التي كانت تابعة للبنان(٢٥) وجاء تعديل الحدود عام ١٩٤٩ بموجب اتفاقية الهدنة ليكمل سلخ الاراضي الزراعية الخصبة التابعـــة لقرى الحدود اللبنانية .

ــ نجح اليهود بين الحربين العالميتين في أن يبتاعوا قرية المنارة اللبنانية التي تقع على تل مرتفع يشرف على الجزء الجنوبي ــ الشرقي من جبل عامل ، كما ابتاعوا امتياز تجفيف بحيرة الحولة والمستنقعات المجاورة لها ، وكان الغرض من شراء هذه الاراضي السيطرة على حوض الاردن الاعلى وحوض نهر الليطاني .

ــ عام ١٩٦٧ احتل الاسرائيليون مزارع شبعا وعددها عشرة وشردوا ما يقارب من ٥٠٠٠ شخص كانوا يقطنون فيها ويعتاشون منها .

ــ وبعد حرب ١٩٦٧ شقت اسرائيل الطرقات في بعض الاراضي اللبنانية ، في مرتفعات شبعا وكفرشوبا ومارون الراس ، وانشأت لها مراكز مراقبة في الاراضي اللبنانية ... ولا تزال حتى الان تحتل هذه المرتفعات والمراكز .

**ثانيا ــ الخطر الاقتصادي :**

تطور الاقتصاد اللبناني بعد الحرب العالمية الثانية نحو اقتصاد يسيطر عليه قطاع الخدمات سيطرة كبيرة ، ففي عام ١٩٧٠ كانت نسبة قطاع الخدمات من الناتج المحلي ( البالغ ٠٠٠ر٠٠٠ر٨٦٥ر٤ ل.ل. ) ٦٨ ٪(٣٦). أما أهم الخدمات التي يتكون منهـــا الاقتصاد اللبناني فهي التجارة ، والسياحة والاصطياف ، النقل ، الخدمات الصحية والتربوية والمالية ، الخدمات العقارية ، الترانزيت واعادة التصدير . وكانت نسبة هذه الخدمات من الناتج المحلي عام ١٩٧٠ كما يلي(٣٧): التجارة ٣ر٣١ ٪ السياحة ٨ر١١ ٪ النقل ٤ر٨ ٪ السكن ٨ر٨ ٪ الخدمات المالية ٤ر٣ ٪ الخدمات الاخرى ٨ر٩ ٪ .

اما كمية الاطنان في حركة الترانزيت فقد بلغت عام ١٩٧١ /٦١٨ر٦٣٧ر٣٣/ طنا بلغت قيمتها نحو /٠٠٠ر٦٨٧ر٤٢٩ر٢/ ل.ل.(٣٨).

وقد انطلقت هذه الخدمات في لبنان بعد حرب فلسطين الاولى عام ١٩٤٨ على اثر اعلان المقاطعة الاقتصادية العربية للدولة الصهيونية لان العديد من هذه الخدمات انتقل من فلسطين الى لبنان خاصة الترانزيت واعادة التصدير والخدمات المالية والتجارية وخدمات النقل وقد ساهمت بعض الكوادر الفلسطينية التي نزحت الى لبنان ( خاصة المالية والتجارية ) في دفع تطور الخدمات في لبنان . لقد أفاد الاقتصاد اللبناني افادة كبيرة من مقاطعة اسرائيل بل هذا الحدث كان السبب الاساسي لازدهار قطاع الخدمات فيه ، الذي عرف نموا كبيرا في الخمسينات . يقول الاقتصادي الاسرائيلي ميشال شيفر « بأن المقاطعة العربية للاقتصاد الاسرائيلي كان لها نتائج حسنة جدا بالنسبة للاقتصاد اللبناني »(٣٩).

فاقتصاد الخدمات هذا يتطلب استقرارا سياسيا حتى ينمو ويزدهر ، ففترات الاضطراب بالنسبة له هي فترات انكماش وتراجع بينما تكون فترات الاستقرار فترات نمو كبير وازدهار . فاسرائيل تعرف هذا لذلك لا تنفك في السنوات الاخيرة من اطلاق التهديدات الى لبنان والاعتداء على أراضيه وذلك بغية تهديم اقتصاده حتى تركعه وتخضعه لشروطها الرامية الى تصفية حركة المقاومة على أراضيه ، حتى الان استطاع لبنان ان يجتاز هذه المحنة دون الرضوخ الى الشروط الاسرائيلية المهينة للكرامة الوطنية . عدا هذه التهديدات تروج الدعاية الصهيونية بواسطة وسائل اعلامها في الخارج دعايات كاذبة عن لبنان لمنع السواح من المجيء اليه . وقد انشأت لهذا الغرض مكتبا خاصا في أوروبا الغربية لقراءة الصحف اللبنانية يوميا وجمع المعلومات عن حوادث السير والسرقة والقتل وانباء غلاء المعيشة ومن ثم ترجمة هذه المعلومات الى عدة لغات أجنبية وتوزيعها على مكاتب ووكالات السفر في مختلف انحاء العالم تحت عنوان « لبنان كما يراه أهله .. فتأملوه »(٤٠).

خطر اسرائيل على الاقتصاد اللبناني لا يكمن فقط في خلق اوضاع سياسية غير مستقرة تؤدي الى انكماش اقتصاد الخدمات ، ولا في ترويج الدعايات الكاذبة عن الاوضاع الاجتماعية فيه لمنع السياح والمصطافين من المجيء الى ربوعه ، بل يأتي أيضا من طبيعة النشاط الاسرائيلي المشابه للاقتصاد اللبناني . ويقسم هذا الخطر الى ثلاثة أقسام :

— الخطر الحاضر في ظل المقاطعة العربية الراهنة لاسرائيل
— الخطر المستقبلي في ظل المقاطعة العربية لاسرائيل
— الخطر المستقبلي في حال رفع المقاطعة العربية لاسرائيل

## ١ — الخطر الحاضر في ظل المقاطعة العربية الراهنة لاسرائيل :

ان نطاق الخطر الاسرائيلي الحاضر على الاقتصاد اللبناني في ظل المقاطعة العربية الراهنة لاسرائيل ينحصر في أوروبا الغربية وبعض أقطار أوروبا الشرقية وافريقيا السوداء وبعض البلدان الاسيوية ، وقد اتسع هذا النطاق بعد حرب الخامس من حزيران ليشمل بعض الدول العربية بسبب سياسة الجسور المفتوحة التي ينتهجها الاردن مع الاراضي « العربية المحتلة » التي تتسرب من خلالها المنتجات الاسرائيلية بشكل واسع الى الاسواق الاردنية ومنها الى الاسواق العربية الاخرى خاصة دول المشرق العربي ودول الخليج العربي .

يشعر لبنان بخطر اسرائيل في أسواق أوروبا الغربية في القيود التي تفرض على صادرات بعض منتجاته الرئيسية كالحمضيات والتفاح والخضار والبيض لان اسرائيل تسيطر ضمن هذه الدول على تجارة هذه المنتجات التي تعتبر حيوية بالنسبة للصادرات اللبنانية،

ان نحو ٨٥ ٪ من صادرات اسرائيل الزراعية خاصة الحمضيات والبيض تسوق في أسواق أوروبا الغربية(٤١).

اما المنافسة الاسرائيلية للمنتجات اللبنانية في أسواق أوروبا الشرقية فهي أخف منها في أوروبا الغربية بسبب سياسة هذه البلدان المؤيدة للدول العربية الا ان اسرائيل لا تزال تضايق صادرات الحمضيات اللبنانية الى كل من رومانيا وهنغاريا ويوغوسلافيا حيث تعرض اسرائيل طن الحمضيات واصل الى أسواق هذه الدول بسعر يقل نحو ٢٥ ٪ من سعر طن الحمضيات اللبناني في مرفأ بيروت(٤٢).

اما في افريقيا وآسيا فاسرائيل تضايق الصادرات الصناعية اللبنانية كصناعة الادوات المنزلية وصناعة النسيج والالبسة الجاهزة، وتضايق اسرائيل خاصة صادرات الخدمات الى افريقيا خاصة الخدمات التجارية والعقارية، فالشركات الاسرائيلية — الافريقية المشتركة القوية بسبب تأييد الحكومات الافريقية المعنية، تشدد الخناق على المهاجرين اللبنانيين في هذه الاقطار وتعرقل اعمالهم وتحد من نشاطهم(٤٣).

اما في البلاد العربية فمناسبة اسرائيل تقتصر في الوقت الحاضر في نطاق المنتجات الزراعية خاصة الحمضيات. تتسرب الحمضيات الاسرائيلية الى الاردن عبر جسر اللنبي تحت ستار « منتجات الاراضي العربية المحتلة » وبحجة دعم صمود المناطق العربية المحتلة، ومن الاردن تغزو أسواق دول المشرق العربي ودول الخليج. يباع صندوق الحمضيات الوارد من الاردن المحتلة بسعر اغراقي لا يتجاوز ٦٥٠ غرشا لبنانيا في اسواق عمان وسوريا والسعودية ودول الخليج العربي بينما يتراوح سعر صندوق الحمضيات اللبناني بين ١٢ و ١٤ ليرة لبنانية(٤٤). فكان من نتيجة هذا الوضع ان انخفضت صادرات الحمضيات اللبنانية الى كل من أسواق سوريا والاردن(٤٥) وتضرر منتجو الحمضيات اللبنانية وكانت خسارتهم كبيرة جدا نظرا لقوة المنافسة. فرغم الزيادة الكبيرة في كمية الانتاج لم يبلغ ثمن كامل الانتاج القيمة التي بلغها في الموسم السابق(٤٦). هذا ولا يزال وضع المنافسة الاسرائيلية للحمضيات اللبنانية قائم، لقد اثيرت حوله ضجة كبيرة في موسمي ١٩٦٩/٧٠ و ١٩٧٠/٧١، الا ان هذه الضجة قد خفت فيما بعد وهذا لا يعني بأن المشكلة قد سويت بل يعني بأن منتجي الحمضيات اللبنانيين قد سئموا المراجعة لمعالجة المشكلة وقد تعودوا خلال السنين على العيش مع مشاكلهم المتراكمة لان المسؤولين لا يحركون ساكنا لمعالجة اوضاعهم. ولا يزال مصدرو المنتجات الزراعية اللبنانية يتكلمون بأسى ولوعة عن المنافسة الاسرائيلية لهم في الاسواق العربية ولكن لا احد يصغي اليهم، وهذا الوضع ان لم يعالج بأقرب وقت سيكون له نتائج خطيرة جدا على مجمل اقتصاد البلاد العربية، لان بذلك تكون اسرائيل قد اخترقت جدار المقاطعة العربية لها التي دامت أكثر من ٢٠ سنة(٤٧).

لا يجب التقليل من أهمية خطر اسرائيل هذا على الاقتصاد اللبناني، بل يجب اعطاؤه الاهمية التي يتطلبها، لان اسرائيل تتمتع بمميزات قوية لا يتمتع بها لبنان، وهذه المميزات كفيلة في المدى الطويل ان تهدم الاقتصاد اللبناني اذا لم يبادر اللبنانيون الى التنبه الى هذا الموضوع ومعالجته مع ما يتلاءم مع المصلحة اللبنانية العربية. ان اسرائيل واعية الى خطر المقاطعة العربية لها لذلك تنظم جهودها وتوحدها على مختلف مستويات الدولة بغية التغلغل الى الاسواق الخارجية لايجاد اسواق لسلعها وخدماتها، بينما الجهود في لبنان والدول العربية الاخرى لا تزال مبعثرة وبالتالي ضعيفة وغير فعالة.

**ب — الخطر المستقبلي في ظل المقاطعة العربية لاسرائيل :**

ان العجز المزمن في الميزان التجاري اللبناني والانفجار السكاني في أراضيه سيحمل لبنان في الوقت القريب الى اتخاذ اجراءات على مختلف المستويات الاقتصادية لمعالجة هذا الوضع بغية سد العجز في الميزان التجاري وايجاد عمل ملائم للسكان الذين يصلون الى

عمر العمل . وقد بدأ لبنان فعلا باتخاذ مثل هذه الاجراءات في الخطة السداسية لعام ١٩٧٢ — ١٩٧٧ الذي أقرها منذ سنة . وهذه الاجراءات ستكون في انشاء زراعات جديدة قابلة للتصدير كزراعة الخضار المبكر في البيوت الزجاجية وزراعة الازهار والنباتات العطرية والطبية والفواكه ، او في انشاء صناعات جديدة قابلة للتصدير ايضا كالصناعات الكيمائية وصناعة الادوية والبلاستيك والصناعات المنزلية ، او في توسيع صادرات الخدمات كخدمات النقل والخدمات العقارية والصحية والتربوية . وسيفتش لبنان عن الاسواق الجديدة لصادرات السلع هذه والخدمات في أسواق افريقيا السوداء وآسيا لان اسواق أوروبا لا تتسع الا لبعض الصادرات الزراعية كالزهور والخضار . . . لكن سيصطدم لبنان عندئذ بمنافسة اسرائيلية قوية جدا في هذه الاسواق لان اسرائيل تبني اقتصادها منذ انشائها وتوجهه نحو هذه الاسواق ، وستكون السيطرة في هذه الاسواق من نصيب البلد الذي عرف ان ينظم جهوده في سبيل التغلغل الى هذه الاسواق ، فحظ اسرائيل بالسيطرة على هذه الاسواق اقوى من حظ لبنان لان جهودها موحدة في سبيل ذلك بعكس لبنان المبعثر الجهود . مما يفرض على لبنان على الصعيد الرسمي أن ينشىء منذ الان مكاتب متخصصة لمعالجة قضايا التجارة الخارجية مع الدول الافريقية والاسيوية ويجب ان تنظم هذه المكاتب جهودها مع مختلف الدول العربية حتى تكون المجابهة مع اسرائيل فعالة في هذه الاسواق .

**ج — الخطر المستقبلي في حال رفع المقاطعة العربية لاسرائيل :**

رأينا ان الاقتصاد اللبناني ، لا سيما اقتصاد الخدمات ، لم ينطلق الا بعد المقاطعة العربية لاسرائيل ، فالمقاطعة افادت الاقتصاد اللبناني وكانت سبب ازدهاره ونموه(٤٨) فلو رفعت المقاطعة لاستطاعت اسرائيل ان تغزو الاسواق العربية خاصة في(٤٩):

— تصدير الرساميل الاسرائيلية الى البلاد العربية لان انتاجية الرساميل فيها اكبر مما في اسرائيل لانه يوجد امكانيات أفضل للتوظيف في الدول العربية من اسرائيل .

— تصدير المنتجات المصنعة الى الدول العربية (produits manufacturés) .

— تصدير الخدمات التقنية والعلمية والصحية والتربوية .

— تأمين الترانزيت وخدمات النقل بواسطة مرفأي حيفا واشدود .

وبالمقابل ستستورد اسرائيل من الدول العربية المواد الاولية بأسعار منخفضة ( امثال البترول ، القطن ، الحبوب ، اللحوم ، السكر والمعادن . . . ) كما ستستورد اليد العاملة الرخيصة لان كلفة اليد العاملة اليهودية ( خاصة اليد الصناعية ) مرتفعة .

أي بتعبير آخر ستكون علاقة اسرائيل مع الدول العربية كعلاقة الدول الصناعية الكبرى مع الدول المتخلفة مما يعني استغلال ونهب لثروات البلاد العربية .

في هذه الحالة ستكون جميع الدول العربية خاسرة في حال رفع المقاطعة ، وستكون الخسارة على لبنان كبيرة جدا لان قطاع الخدمات سيتأثر تأثيرا مباشرا حتى الانهيار كذلك القطاع الصناعي الآخذ بالنمو .

١ — ابو رجيلي (خليل) ، **غريغوريوس العجار**، مطبعة الخليل، بيروت ١٩٧٠، ص ٤٩ و٥٠ .

٢ — تصريح نقلته الاذاعة الاسرائيلية في ٢٧/٦/٧٢ .

٣ — تصريح ابا ايبان ، وزير خارجية اسرائيل في ٧٢/٩/١٧ .

٤ — تصريح ليفال الون في ٧٢/٦/٢٤ .

٥ — عبد الوهاب الكيالي ، **المطامع الصهيونية التوسعية** ، مركز الابحاث الفلسطينية، بيروت، تموز ١٩٦٦ ، ص ٥٧ و ٥٨ .

٦ — راجع عبد الوهاب الكيالي ، **نوايا اسرائيل تجاه لبنان** ، النشرة ، وزارة الاعلام اللبنانية ، عدد ٥٥ .

٧ — **مذكرات ثيودور هرتزل** ، الجزء الاول ، ص ٣٤٢ .

٨ — **المصدر السابق**، الجزء الثاني، ص ٦٠٢ .

٩ — **المصدر السابق** ، ص ٧٠١ — ٧٠٢ .

١٠ — **المصدر السابق** ، ص ٧١١ .

١١ — Dr. A. Rupin, *Syrien Als Wirtschafagebiet*, 1916, traduit en français par Georges Shaib, Beyrouth, p. 108.

١٢ — راجع **المصدر السابق** .

١٣ — فريسكو سر رعنان ، **حدود وطن** ، لندن ، ذي باتشوورث برس ، ١٩٥٥ ، ص ٧٨ .

١٤ — **المصدر السابق** ، ص ٨٢ — ٨٣ .

١٥ — مجلة **فلسطين** ، الجــزء الاول ، العدد ١٥ ، ٥ ايار ١٩١٧ .

١٦ — راجع فريسكو سر رعنان، **المصدر السابق**، ص ١٠١ .

١٧ — **المصدر السابق** ، ص ١٠٥ .

١٨ — **فلسطين** ، الجزء السادس ، عدد ١٧ .

١٩ — هيربرت صموئيل ، سيـــاسي بريطاني ، يهودي الاصل ، صهيوني النزعة ، عين اول مندوب سام بريطاني على فلسطين .

٢٠ — **وثائق الحكومة البريطانية عام ١٩١٩** ، الجزء الرابع ، عدد ١٩٧ ، المادة الثالثة ، ص ٢٨٥ .

٢١ — **المصدر السابق** ، ص ١٢٧٦ .

٢٢ — مجلة **فلسطين** ، الجزء الثالث ، عدد ١٧ .

٢٣ — ذكر هذه الحادثة النائب اللبناني ريمون اده ، في بيانه عام ١٩٦٨ عن اعداء لبنان ، وقال انه اطلع عليهـــا في وثائق البطريركيـــة المارونية في بكركي .

٢٤ — Trial end Error, *The Autobiography of Chaim Weizman*, Harpers and Brothers Publishers,, New-York, 1949, p. 289.

٢٥ — راجع فريسكو سر رعنان، **المصدر السابق**، ص ١٣٩ .

٢٦ — جريدة **النهار** اللبنانية ، ١٣ أيلول ١٩٤٥ .

٢٧ — **جيروزاليم بوست** ، ٢ ايار ١٩٥١ .

٢٨ — راجع **فلسطينيات** ، مجموعة من الباحثين باشراف انيس صايغ، م.ت.ف، تموز ١٩٦٨ ، ص ٢١٩ و ٢٢٠ .

٢٩ — راجع « **ميدل ايسترن أفيرز** » ، المجلد السادس ، العـدد الاول ، كانون الثاني ، ١٩٥٥ .

٣٠ — راجع جريدة **لوموند** ، عدد ٧ **تموز** ، عام ١٩٦٧ .

٣١ — **المصدر السابق** ، ١٠ كانون الثاني ١٩٦٨ .

٣٢ — **مجلة الجيش الاسرائيلي**، تشرين الاول ١٩٦٧ .

٣٣ — République Libanaise, Ministère du Plan, *Dossier de base relutif à la planification général de l'équipement bydro-agricole* du Liban, Beyrouth, Juin, 1971.

٣٤ — Israel Dostrovsky, Water for Israel, new approches to old problems in *Science and Public Affairs, October 1972*, Vol. XXVIII, Number 8, p. 13.

٣٥ — عبدالله عاصي ، **صراعنا مع اسرائيل** ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٦٩ ، ص ٩٤ .

٣٦ — حسبت النسبة من الحسابات الوطنية لعام ١٩٦٥ — ١٩٧٠ التي تصدر عن مديرية الاحصاء المركزي في وزارة التصميم العام اللبنانية .

٣٧ — راجع **المصدر السابق** .

٣٨ — **المجموعة الاحصائية اللبنانية** ، عدد ٧ ، ١٩٧١ ، وزارة التصميم العام ، بيروت، لبنان، ص ٣٤١ .

٣٩ — Michel Shefer, Les conséquences du baycottage arabe sur les économies israéliennes et arabes, dans *les Temps Modernes*, No. 233 bis, p. 367.

٤٠ — جريدة **الجريدة** اللبنانية ، ١٩٧٢/٦/٢٤ .

٤١ — خليل ابو رجيلي ، **الزراعة اليهودية في فلسطين المحتلة** ، م ت ف ، ايار ، ١٩٧٠ ، جدول رقم ١٦ .

٤٢ — من مذكرة مصدري الحمضيات التي رفعت الى وزارة التصميم العام اللبنانية عام ١٩٧١.

٤٣ — **النشرة**، وزارة الاعلام اللبنانية، عدد ٥٥.

٤٤ — *Commerce du Levant*, Numéro spécial No. 4238, 20 Mars 1971.

٤٥ — Amin Hijazi, *Market outlets for citrus fruit in Arab and other Countries*, plan Vert, Beirut, November, 1970, p. 10.

٤٦ — راجع جريدة **النهـــار** اللبنانية ، **الملحق الاقتصادي** ، الاحد في ٤ نيسـان ( ابريل ) سنة ١٩٧١ ، ص ٣ . ثم راجع خليل ابو رجيلي ، **الحمضيات في فلسطين المحتلة** ، مركز ابحاث م.ت.ف، بيروت، ايلول ١٩٧٢، الفصل السادس

٤٧ — Commerce du Levant ، **المصدر السابق** .

٤٨ — راجع **النشرة** ، وزارة الاعلام اللبنانية ، عدد ٥٥ .

٤٩ — Shaul Zarhi, *Les Temps Modernes*, No. 233 bis, p. 910-924.

# فيتنام وفلسطين : ندوة

تحسين بشــير     داود تلحــــمي

محمود سويد     د. حسن الشريف

منــير شــفيق     محمــد كشــلي

ادار الندوة : المقدم الهيثم الايوبي

**داود تلحمي** : يوم الجمعة ١٥ حزيران ، الساعة الرابعة بتوقيت غرينتش ، أي قبل أيام قليلة ، أصبح الامر الصادر من قبل الطرفين في جنوب فيتنام «لكل القوات المسلحة، النظامية وغير النظامية ، والى الشرطة المسلحة تحت امرتهم ، باحترام تام لوقف اطلاق النار على امتداد فيتنام الجنوبية » ، كما جاء في نص الاتفاقية الموقعة يوم ٢٧ كانون الثاني ١٩٧٣ في باريس ، اصبح هذا القرار ساري المفعول .

وبهذا انتهت حرب فيتنام او بالاحرى احدى حروب فيتنام . لان شعب فيتنام لم يعرف السلم منذ ثلاثين عاما تقريبا ، منذ ان حمل السلاح ضد اليابانيين ، ثم ضد الفرنسيين بعد اعلان قيام « جمهورية فيتنام الديمقراطية » المستقلة في ٢ أيلول ١٩٤٥ ، واخيرا ضد الاميركيين وعملائهم في الخمسينات ، وبشكل مكثف منذ منتصف الستينات .

انتصر شعب فيتنام ضد الغزو الياباني ، كما انتصر على الاستعمار الفرنسي في معركة « ديان ــ بيان ــ فو » العظيمة عام ١٩٥٤ وها هو اليوم يسجل انتصاره ضد أقوى الامبرياليات التي عرفها التاريخ .

هذا الشعب ــ المعجزة ، هذه الارض ــ الاسطورة ، وهذه التجربة ــ المعين، تستحق منا كل احترام واهتمام . ففيتنام ــ التجربة ، هي أغنى ما يقدمه لنا التراث الثوري المعاصر في مواجهة مختلف اشكال القمع والتسخير . وبقدر ما نحتاج لاستطلاع ماضينا ولدراسة تاريخنا النضالي وتحليل الجذور البعيدة والقريبة لواقعنا ، وتحليل هذا الواقع بتناقضاته وبكل نقاط ضعفه وقوته ، بقدر ما نحتاج لاستخلاص الدروس من التجارب الزخمة التي تقدمها لنا شعوب العالم منذ مطلع هذا القرن بشكل خاص . وهنا لا بد من التأكيد على النقطة التالية :

ان مظاهر القوة في شعب فيتنام وتجربته ، ومظاهر الضعف التي نراها اليوم في الوضع العربي ازاء العدوانية الاميركية ــ الاسرائيلية ــ الرجعية ، ليست معطيات ثابتة ، فقد نمت مظاهر القوة الفيتنامية ــ سواء السياسية الاجتماعية منها او العسكرية ــ من خلال نضال طويل على كافة الاصعدة داخليا وخارجيا . وليس من قانون الا العنصرية ، يمنع من أن تنمو مظاهر كهذه ــ ربما في نمط تطوري متميز ــ بين شعوب العالم العربي في سياق مجابهتها العنيفة للتحدي الامبريالي . وحول هذا الموضوع يتركز نقاشنا اساسا اليوم .

---

* اعد لهذه الندوة قسم الدراسات العالمية في مركز الابحاث .

واذ أرحب بالاخوة الذين تفضلوا بحضور هذه الندوة والمشاركة في بلورة معالم هذه المقارنة أعطي الكلمة للاخ المقدم الهيثم الايوبي لادارة النقاش .

**المقدم الهيثم الايوبي** ( رئيس قسم الدراسات العسكرية في مركز الابحاث ) : قبل أن نبدأ ندوتنا اود أن تسمحوا لي أن أعرفكم على الاخوة المشتركين في الندوة :

— الدكتور حسن الشريف : الاخصائي التقني .

— تحسين بشير : مساعد الامين العام لجامعة الدول العربية .

— داود تلحمي : رئيس قسم الدراسات العالمية في مركز الابحاث .

— محمود سويد : من الصحفيين التقدميين اللبنانيين المعروفين .

— منير شفيق : الكاتب السياسي العسكري .

— محمد كشلي : مدير دار ابن خلدون ، والكاتب السياسي في مجلتي الحرية والبلاغ .

ولقد وزع على كافة الاخوة المشتركين منذ عدة أيام دراسات أعدت من قبل الاخوة الباحثين . وهذه الدراسات هي :

١ — « تاريخ فيتنام : نضال متصل ضد الغزاة » اعدها الاخ داود تلحمي .

٢ — « اتفاقية وقف النار في فيتنام » أعدها الاخ الدكتور صادق جلال العظم ونشرت من قبل صحيفة « النهار » البيروتية .

٣ — « اثر حرب فيتنام على المجتمع الامريكي » أعدها الكاتب الامريكي كين ميركورد .

٤ — « التجربة الفيتنامية ، دروسها السياسية والعسكرية » أعدها الاخ ناجي علوش .

وستكون هذه الدراسات الاربع أساس النقاش الذي سيدور هنا . بالاضافة الى كل ما يود الاخوة المشتركون اضافته . وسيدور النقاش أساسا حول نقاط هامة اربع : ١ ) هل كانت اتفاقية الهدنة الفيتنامية انتصارا لنضال الشعب الفيتنامي أم انتصارا للحرب المحدودة التي شنتها أمريكا والدول الدائرة في فلكها وجيش فيتنام الجنوبية ؟ ٢ ) ما هي الدروس السياسية التي يمكن أن تستنبطها قوى الثورة العربية عامة والثورة الفلسطينية خاصة من النصر الفيتنامي وكيفية الافادة منها في الصراع ضد الامبريالية والصهيونية ، ٣ ) ما هي الدروس العسكرية في هذا المجال على صعيد الاستراتيجية العليا ، والاستراتيجية ، والتكتيك ، والتقنية الحربية ؟ ٤ ) ما هي الدروس الدبلوماسية والاعلامية في هذا المجال ؟

وسيحدثنا الاخ محمود سويد بصورة مبدئية عن الدروس السياسية وعن الوضع بصورة عامة من الزاوية السياسية .

**محمود سويد** : سوف الخص بصورة سريعة سمات النصر الفيتنامي والدروس المستخلصة من التجربة الفيتنامية كمجموعة نقاط ، مدخلا للنقاش .

في تلخيصي لسمات النصر الفيتنامي اذكر النقاط التالية : اولا : حركة تحرير وطني تقوم على تحالف أوسع طبقات وفئات الشعب الفيتنامي ، الوطنية والثورية . وقد عبر « جياب » عن ذلك بقوله : « اكثر ما يمكن من الحلفاء ، اقل ما يمكن من الاعداء ، اجتذاب قوى ، تجنيد قوى ، شق قوى » . حركة تحرير وطني بقيادة حزب الطبقة العاملة الملتزم بالماركسية اللينينية والاممية البروليتارية الثورية . كذلك أكد « جياب » على قيادة الحزب في مختلف مجالات النضال العسكري والسياسي والاقتصادي والثقافي . قيادة المنظمات الجماهيرية في مختلف المجالات وقيادة الحزب للقوات الشعبية المسلحة .

ثانيا: التعبئة الثورية للجماهير : الحرب النظامية + حرب العصابات + حرب الشعب.

نضال سياسي : وسـط الجماهير + نضال عسكري + تخريب معنويات العـدو . حـرب تشمل المدن والقرى والجبـال . تثقيـف ايديولوجي وسيـاسي . اعتبـار العـامل الداخلي أي الاعتماد على القوة الذاتية العـامل الرئيسي لتحقيق النصر ، دون اهمال العوامل الخارجية المساعدة . يقول « جياب » : « الاعتماد اساسا على القوى الذاتية ، مع العمل الدائب لكسب العون الدولي » . . . و« ان اسباب انتصار الحرب الثورية في بلدنا هي في الاساس داخلية . صحة خط الحزب ، تضحيات قواتنا المسلحة وشعبنا على ارض المعركة . الفعاليات السياسية والمعنوية والمادية لبلدنا » .
ثالثا : الظرف الدولي . ويتكون من ثلاثة ابعاد . . . البعد القومي ، فيتنام الشمالية ، نظام ثوري يبني الاشتراكية على قاعـدة ثورة في علاقات الانتـاج وثورة في العلم والتكنولوجيا وثورة ايديولوجية وثقافية . نظام لا يتراجع عن دعم الثورة في الجنوب ، رغم تعرضه ــ ابتداء من سنة ١٩٦٥ ــ الى تدمير كامل . دور تجربة الشمـال في انجاح الثورة الاجتماعية ، في المناطق المحررة في الجنوب . هذا الدور اقترن بأدوار اخرى على الصعيد العسكري والسياسي والتعبوي . البعد الاقليمي الذي يتمثـل في الامتداد اللاوسي والكمبودي . والبعد الاممي الذي يتمثل في المساعدات الصينية والسوفياتية . هذه في رايي سمات النصر الفيتنامي بخطوط رئيسية . . . وسريعة .
اما دروس التجربة الفيتناميـة فتتلخص ايضا في رايي ، بما يلي : اولا ، انتهاج خط مستقل وسيد نفسه في العلاقات مع بلدان المعسكر الاشتراكي ، يستلهم مصلحة الثورة الفيتنامية التي تصب في مصلحة الثورة العالمية . والصمود لضغوط الدول الكبرى سواء كانت دولا كبرى أو دولا امبريالية. ثانيا ، الاعتماد على القوة الذاتية أي العامل الداخلي الذي يحدد قيمة الدعم الخارجي ويحسن توظيفه . ثالثا ، التأثير من خلال ممارسة التجربة الثورية ، في تصويب بعض الممارسات في المعسكر الاشتراكي ، والنقد العملي ، وتقديم البديل الثوري لسياسة التعايش السلمي السوفييتية . رابعا ، استقطاب ودعم ومساندة الراي العام العالمي عن طريق مئات هيئات المساندة والدعم في بلدان أوروبا الغربية . عزل النظام المعادي للولايات المتحدة دوليا . كسب القوى المناهضة للحرب في بلد العدو ، واحداث خلل داخلي يعيق مبادراته ويدمر معنوياته . هذه هي الخطوط العريضة لسمات ودروس التجربة الفيتنامية ــ تلخيصا .
**تحسين بشير**: ان فترة المعاناة التي تعانيها القوى التقدمية العربية والثورة الفلسطينية، تجعل محاولتنا لبحث التجارب الثورية الاخرى وبالتالي ، انجح التجارب الحديثة تجربة فيتنام ، معينا طيبا لدراسة انفسنا ، اكثر مما هو دراسة للقضية الفيتنامية . انما يجب ان نأخذ في الاعتبار ، خطورة استخدام القياس كوسيلة للفهم التاريخي وللتدليل المنطقي وحتى للنقد الثوري . لان استعمال القياس في الفكر العربي، وفي الفكر الثوري الحديث، كان من اكبر المزالق التي دفعت الفكر العربي من عالم الواقع . وأي تفكير ثوري حقيقي ــ أي التفكير الثوري الذي يريد أن يغير المجتمع ــ يجب ان يتم في اطار حقيقة جديدة ، فيجب ان نحذر انفسنا ان لا نستخدم نجاح الاخرين كوسيلة لنوع من الحشيش الفكري الذي يمنعنا من النقد ، نقد انفسنا اولا . في الكثير من الكتابات الفلسطينية نجد هذا القياس متكررا ، ونستخدم هذا القياس كوسيلة للاعذار التي لا نهاية لها . كما نستخدم القياس كوسيلة لعدم النجاح وتأجيل النجاح الى آفاق زمنية لا نهاية لها ، ومثل هذا التفكير استخدم في ديانات كثيرة وفي حركات كثيرة ولم يؤد الى النجاح . ولعلي وأنا اتطرق لخطورة القياس مع مزايا الدراسة المقارنة ، ان انوه بأن الفيتناميين لم يطبقوا التجارب الثورية ، سواء كانت الصينية او السوفييتيـة ، أو التجارب القومية التي استفادوا منها ، تطبيقا اعمى ، بل راعـوا باستمرار مقارنة الواقع الذي يواجهون بتجارب الاخرين وبقدرتهم على تغيير هذا الواقع . في نهاية هذه المقدمة ، أعتقد أن الشعب الفيتنامي والثورة الفيتنامية ، حققا اكبر نجـاح ، وهذا النجاح لا يمكن قصره

على معنى فني محدد : هل اتفاقية وقف اطلاق النار بحد ذاتها نجاح او عدم نجاح ؟ لان الطرح الحقيقي للمشكلة يختلف عن هذا . نجاح التجربة الفيتنامية قائم على تأكيد نجاح الانسان على الآلة — في رايي — . الولايات المتحدة في تدخلها العنيف ضد الثورة الفيتنامية وضد الشعب الفيتنامي ، حاولت أن تطرح ، وطرحت بالفعل ، قضية . وهذه القضية ، ان العلم الحديث والتكنولوجيا الحديثة اذا أحسن حسابها ، باستعمال ( الكومبيوترز ) الادمغة الالكترونية ، والمخططين ، فانها قادرة على هزيمة الانسان . وانكر في هذا المجال انه من حوالي اربع سنوات ، كنت في الولايات المتحدة الاميركية وقابلت « هيرمان كان » وكنا في مناقشة عن الشرق الاوسط ، وكانوا قد انتهوا في مؤسسة هدسن ، من دراسة عن الخيارات أمام الشعب الفيتنامي ، وكانت العملية تبدو وكأنها لعبة اميركية ، ان يدرس المخططون في المجالس الابحاث ويخططوا ، وعلى العسكريين ورجال السياسة التطبيق وتنتهي اللعبة . الشعب الفيتنامي تمكن من ان يحقق نجاح الانسان الذي يملك معدات شبه بدائية او غير متقدمة ، على الانسان الذي يستخدم آخر وسائل الآلة وما اشتق عن الآلة من تكنولوجيا لهزيمة الانسان ، وطرح الشعب الفيتنامي وثورته قضيتين . القضية الاولى ان اي مجتمع انساني ، اذا كان واعيا لامكانياته ، أي واعيا لقدراته الايجابية ولقدراته السلبية ... فباستطاعته اذا حدد هدفا انسانيا معقولا ، أن ينتصر في هذا الهدف ، طال الزمن أو قصر . انه لا توجد هنالك قوة تكنولوجية تستطيع هدم الانسان ، الا اذا هدم الانسان من نفسه ، في معتقداته وفي تنظيمه وفي اصراره على الكفاح . من هذه الناحية يعتبر النجاح في وقف اطلاق النار ، نجاحا أشمل بكثير من المعنى الفني لوقف اطلاق النار ، والواقع ان الدكتور العظم قد تطرق لها ، لانه للنجاح الفيتنامي في رايي معنى كبير جدا . ان الشعوب الصغرى والمتوسطة والنامية تستطيع باستخدام الميزات الايجابية لضعفها النسبي تحقيق أهدافها الاجتماعية والقومية . ثانيا : ان النجاح الفيتنامي قد أثبت فشل دولة كبرى كالولايات المتحدة استخدمت لمدة أربع سنوات اكثر ما عندها من أموال ومن علم ومن تصميم ، وتمكن الشعب الفيتنامي أن يهزم حسم القضية بالطريقة العسكرية الاميركية . وهذا نصر عظيم جدا وهو ليس نصرا فقط على الولايات المتحدة بل نصر على منطق استخدام القوة من جانب أية دولة عظمى لحسم اية قضية تقرير مصير او توحيد لشعب من الشعوب الصغيرة . أرى ان قدرة الفيتناميين على استخدام مواردهم المحدودة والموقف الدولي الضيق ، حتى بين دائرة الحلفاء والاصدقاء ، يضطرهم لاتخاذ موقف عدم انحياز دقيق جدا بين الاتحاد السوفياتي والصين ، يثبت ان التقدم ليس في مجرد استخدام الآلات الحديثة ، كما نحاول في كثير من اركان الوطن العربي ، بل التنمية الحقيقية هي قدرة الانسان على استخدام الممكن لتحقيق أهدافه ، مع تطوير هذه الاهداف وهذه الوسائل حتى يتقدم المجتمع باستمرار . من هذه الناحية، الناحية الايديولوجية او التطبيقية في الثورة الفيتنامية غنية للغاية . طبعا هناك خلاف في نوع القضية وفي الهدف وفي نوع العدو ، وطبيعته ، التي تواجه الشعب الفلسطيني في ثورته والشعب العربي في الثورة الفلسطينية . لهذا الخلاف أركان كثيرة من الناحية التاريخية ومن الناحية الاجتماعية ، سأكتفي في هذه المرحلة بأن أنوه بناحية واحدة وهي أن الشعب الفيتنامي لم يكن يتعرض لتجربة استعمار استيطاني احلالي . الشعب الجزائري مثلا تعرض لاستعمار استيطاني ولكن الاستعمار الاستيطاني الفرنسي لم يكن احلالا ، أي لم تكن فرنسا تستهدف اجلاء الشعب الجزائري او ما كان يطلق عليه : الشعب المسلم ، من ارضهم واحلال فرنسيين في مكانهم . كان الاستعمار الاستيطاني الفرنسي يريد السيطرة على المقادير الطبيعية والمقادير البشرية للجزائر او ما يطلق عليه الجزء الجزائري من فرنسا .

ثورة الشعب الفيتنامي كانت تهدف الى سيادة نظام اجتماعي معين مع توحيد الارض

الفيتنامية والتأثير في المنطقة المجاورة يعني عمل ثورة قومية اجتماعية . في هذه المنطقة الشعب الفلسطيني يتعرض الى مشكلة قد تكون اصعب وهي التعرض لمشكلة استعمار استيطاني احلالي ، أي كان يهدف ويحقق في الخمسين سنة الاخيرة عملية احلال اليهود وتكوينهم في عملية « قومية في حالة التكوين » (Nation becoming) بطريقة عنيفة من الانصهار وبقوة مركزية مدعومة دوليا ، واجلاء الشعب الفلسطيني عن أرضه تماما . ومن هنا يجب — مع استفادتنا من التجربة الفيتنامية — الا ننسى ان التجربة الفلسطينية ونوع الثورة الفلسطينية ، ونوع التحدي الذي تواجهه الثورة الفلسطينية ، تتطلب استفادة اخرى ووعيا آخر وواقعا مختلف .

**محمد كشلي** : اتصور ان النقاش يجب أن يدور في البداية حول المسألة التي طرحها الاستاذ تحسين ، والتي تتعلق بمفهوم استعمال التجارب التاريخية واستعمال المقياس بالنسبة اليها . لان هذا — في رايي — يشكل المدخل الطبيعي لفهم كل ما يمكن أن يفرزه النقاش في هذه الندوة . المسألة الاساسية ليست في المقارنة ولا في استعمال المقياس ، الذي يدرس المسألة من مظاهرها السياسية والعسكرية يصبح المقياس مجردا وشكليا . اي عندما تدرس تجربة فيتنام من انتصاراتها العسكرية البحتة ، سننسى جوهر التجربة نفسها والمقياس التاريخي لها ، وعندما ندرس موقفها السياسي الخارجي ، أو موقفها التكتيكي في مجال معين ، سواء داخلي او خارجي ، سنجد أيضا اننا نغيب المقياس التاريخي للمسألة . **والمقياس التاريخي ليس مجرد عبقرية خاصة بالشعب الفيتنامي ، انما هو الذي يحدد معنى الحروب الوطنية في الشعوب المتخلفة** . الشعوب المتخلفة تتميز ، بشكل اساسي ، بكون أكثرية السكان من الفلاحين، وهي تعاني الركود السياسي والتخلف الاجتماعي ، والعقلية التي يفرزها هذا التخلف السياسي والاجتماعي هي العائق الاساسي أمام تحررها أو قدرتها على التحرر أي ان الاستعمار بحد ذاته يسيطر اقتصاديا من خلال البنية الاجتماعية والذهنيات القائمة ... والركود الذي تعانيه الشعوب المتخلفة عموما ، هذا الركود هو الاستسلام للاستعمار . التجربة الفيتنامية تدلك ، بشكل خاص ، الى أي مدى يمكن ان تحطم البنى التقليدية والعقليات السائدة عند أكثرية الشعب فتحدث عنده يقظة سياسية قادرة أن تجابه متطلبات حرب وطنية تجاه تفوق أمبريالي من النوع الاميركي . ان الذي يدرس التجربة الفيتنامية بمقياسها التاريخي هذا يلاحظ الى أي مدى هي يقظة الفلاحين في فيتنام ولاي مدى استيعابهم حتى للتكنولوجيا . اذ ليس صحيحا ان فيتنام لم تتحدّ التكنولوجيا الأميركية الا بالعامل السياسي ، تحدته أيضا بالتكنولوجيا التي استوعبها الفلاحون وهم أكثرية الشعب الفيتنامي من خلال القدرة على الاستيعاب والوعي السياسي ، ومن خلال دراسة العدو نفسه واستعمال الدفاع المناسب للتكنولوجيا المتقدمة . آخر سقوط للطائرات الاميركية كان من سلاح ، صحيح سلاح متطور تكنولوجيا من الاتحاد السوفياتي ، ولكن تطلبته حاجات التطور للحرب الفيتنامية نفسها ولقدرة المقاتلين والمليشيا على استيعاب السلاح المتطور ضد الطائرات النفاثة الحديثة ، اي قدرة الشعب نفسه على التعبئة على جميع الاصعدة . والذي يدرس التكنولوجيا بحد ذاتها عند فيتنام يلاحظ الى أي مدى ، في خلال عشر السنوات الماضية استطاع الشعب بأكثريته ان يستوعب ، على الصعيد العلمي وعلى الصعيد العسكري وعلى الصعيد الصحي ، على كل مجال من مجالات العلم ، وبالدراسات العلمية وبالجامعات نفسها ، كل مكتسبات الحضارة الصناعية الحديثة . الذي أريد أن أركز عليه في هذا المقياس التاريخي أن الحرب ، حرب شعب متخلف تجاه أمبريالية متقدمة ، تعني الى أي مدى ، استطاعت القيادات والشعب أن يستيقظ سياسيا ويستيقظ ايديولوجيا وفكريا وبالتالي يتخلص من كل العوائق النفسية والسياسية والعقلية التي تمكنه من لعب دوره بشكل جماعي . عندما استطاع الشعب الفيتنامي أن يقضي على الامية المتفشية في ٩٠ ٪ من الشعب والفلاحين يعني انه

استطاع ان يحظى على الفلاحين في الريف ، كما فعلت الثورة الكوبية عندما استطاعت ان تعمم محو الامية لدرجة وصلت الى ٩٠٪ . عندما نطبق هذا المقياس ، وهذا المقياس الذي يمكن تطبيقه على أوضاعنا العربية ، نجد انه — مثلا — لم تزل نسبة الامية في البلاد العربية ، حتى المتقدمة منها ، ٧٠ — ٧٥ ٪ . محو الامية ليس شيئا عاديا وانما يتطلب قدرة الثورة على استقطاب العدد الاكبر من السكان . هذا هو التحدي التاريخي الذي تمثله ثورة فيتنام . اما الدروس الاخرى — عندما تجــزأ — فيمكن دراستها للاستفادة منها ضمن هذا المقياس التاريخي . وبتقديري ان الانتصار الفيتنامي ، هو انتصار لمعنى حرب التحرير الشعبية ، ليس بمفهومها كحرب عصابات ، كما تدرس أحيانا حرب العصابات ، حرية التنقل واضرب واهرب الخ. . . أي بمفهومها التكتيكي ، **انما بمفهوم التعبئة الشاملة بكل ما تحمله هذه التعبئة من تحرر سياسي وفكري وعقلي لجماهير الشعب** . وبرايي ان الدرس الاساسي هو : الى اي مدى يمكن دراسة المراحل التاريخية لحركة التحرر الوطني العربية وفي صلبها القضية الفلسطينية نفسها ، الى أي مدى هذه المرحلة التاريخية مثلت بالضبط هذا المقياس التاريخي ؟ الى أي مدى كانت حركة التحرر الوطني العربية قد حملت ، فعلا ، المقياس التاريخي لحــرب التحرير الوطنية . هنا ممكن ان ندرس فعلا التجربة العربية على ضوء تجربة فيتنام . التاريخ لا يحمل مقارنات بالمعنى المجرد ، ولا يحمل مقارنات بالمعنى المقاييس العقلية ، انما يعني المقارنات بالمراحل التاريخية نفسها ، بمعنى الى أي مدى حروب التحرير الوطنية تنطبق علينا بالذات . وبرأيي هذا هو المدخل لمعنى استفادتنا من تجربة فيتنام .

**منير شفيق** : في دراسة تجربة فيتنام او اية تجربة أخرى ، يمكــن أن نجد قضيتين أساسيتين يمكن التفريق بينهما . التجربة من حيث دلالتها التاريخية في عصر محدد وفي ظروف محددة ، بمعنى ان تجربة فيتنام ، مثلا ، استطاعت أن تعطي دليلا لكل الشعوب المتخلفة بصورة خاصة ، أن بمقدور شعب صغير أن ينتصر على أعتى قوة امبريالية مزودة بأقصى درجات التسليح والتقنية . دروس من هذا النوع هي ضرورية جدا من أجل اعطاء ثقة ملموسة وأكيدة بامكانية احداث مثل هذا الانتصار من قبل اي شعب صغير أو شعب متخلف ضد القوى الامبريالية . لكن الجانب الآخر الذي يجب تفريقه عن النقطة الاولى هو عندما تدرس تجربة فيتنام أو نأخذ اي جانب من جوانبها. نستطيع فعلا أن نجد أن هنالك قوانين عامة يمكن أن تنطبق على كل الحالات . مثلا وجود تنظيم طليعي يقود جبهة عريضة واسعة من الجماهير ، تكوين قوات مسلحة شعبية تابعة لقيادات سياسية مركزية ، المقدرة على تعبئة الجماهير تعبئة ثورية ، وتفجير طاقاتها بما في ذلك بالمعنى الذي ورد في كلام الاخ محمد كشلي . كذلك ضرورة اتسام الثورة بطابع جماهيري حتى يكون بمقدورها تفسيخ القوى المضادة لها ، تفسيخ جيشها ، وعزلها عزلا داخليا ومحليا وعزلها أيضا على النطاق العالمي ، الا ان رؤية هذه الشروط وسواها لنجاح الثورة لا يمكن أخذها بصورة تجريدية عندما تطبق في أي بلد من البلدان ، لان تكوين هذه الشروط ايضا له شروط يجب توفيرها في كل بلد وفقــا لظروفه الخاصة والتطور التاريخي الذي مر به . النقطة الحاسمة التي يجب ان ندركها جيدا هي اننا عندما نتناول الجوانب المختلفة للدروس المستقاة من الثورة الفيتنامية يجب ان يكون دائما مرشدنا في ذلك هو أن نسأل كيف حدث ذلك في فيتنام ، مثلا كيف تحقق بنــاء الحزب ؟ كيف بنيت الجبهة ؟ ليس لنرى الصيغ التي تم بها وانما لكي نرى الجوهر ، الفلسفة التي جعلت تطبيق القوانين العامة تطبيقا خلاقا في ظروف محددة وفي ارض محدودة ، وبين جماهير معينة . ان القضية الحاسمة التي يجب أن نتنبه لها ، ان هنالك شرطا أساسيا يجب أن يتوفر في كل ثورة وهو اكتشاف نظرية الثورة في البلد المعني . بمعنى كيف يمكن أن تقوم الثورة في هذا البلد أو ذاك وهذه النظرية هي شيء خاص في كل بلد حيث تستقى من سماته الخاصة نظرية الثورة في البلد المعني الامر الذي يؤدي الى

استنتاج الاستراتيجية والتكتيك المناسبين . كل هذا يخرجنا ببرنامج الثورة في ذلك البلد . معرفة هذه الشروط الثلاثة الاساسية هي شروط حاسمة لتوفير الشروط الاخرى مثل : قضية بناء التنظيم الطليعي ، بناء الجبهة ، تكوين القوات المسلحة ، طريقة عزل العدو الخ . . . ومن هنا نجد في دراسة الثورة الفيتنامية التطبيق الخلاق الذي قامت به قيادة الحزب الشيوعي في فيتنام في تطبيق القوانين العامة للثورة وعلى التحديد اكتشاف نظرية الثورة في فيتنام ، والاستراتيجية والتكتيك المناسبين ، والبرنامج وبعبارة اخرى تبني الخط الصحيح المناسب لقيادة الثورة . لاننا لو قلنا تعبئة الجماهير وتفجير طاقاتها شرط اساسي من شروط الثورة المسلحة يبقى السؤال : كيف يتحقق ذلك ؟ هنـا دائما تكمن العقدة التي يجب أن تحل في كل بلد وبالنسبة لكل ثورة ، فالاساليب والصيغ التي استخدمت في فيتنام ، ليس بالضرورة يمكن ان تكون صالحة لثورتنا في فلسطين او لاية ثورة اخرى في العالم . لانه هنا تدخل قضايا متعددة بما في ذلك الظروف الخاصة للبلد المحدد ، لظروف العدو الذي تواجهه ، وايضا لها علاقة قوية بتاريخ الشعب وبتقاليده وأفكاره ووضعه العام . اذا القضية الاساسية التي أعتقد انه يجب ان تؤخذ دائما بالحسبـان ، هي : عندما ندرس ثورة فيتنام لا نقوم بالمقارنات بين وضـع فيتنـام ووضعنا الا في نطاق الحدود العامة جدا لكي نخلص فورا الى التركيز على طرح الاسئلة التي ذكرتها وهي عندما نذكر الشروط التي توفرت لانتصار الثـورة في فيتنام ، وهي بجملتها شروط عامة تنطبق على كل الحالات ، أن نسأل ما هي الشروط التي يجب ان تتوفر في بلادنا لكي نوفر هذه الشروط . نقطة أخرى أريد أن أتعرض لها ، حول هذه القضية ، وهي عبارة عامة مرت في كلام الاخ تحسين بشير وهي حول وجود « أمة » في طور التكوين في اسرائيل . طبعا مناقشة هذه القضية يمكن ان تنقل البحث بعيدا عن جوهره ولكن أود أن أبدي تحفظا حولها فقط في هذه الندوة .

**د. حسن شريف** : لا اريد أن أضيف كثيرا في هذه المرحلة ، على النقاش السياسي لان الاخوان أفاضوا فيه ، أريد أن أعلق على موضوع التكنولوجيا . طرحت نقطة على ان جزءا أساسيا من الانتصار في فيتنام هو مقدرة الفيتناميين على الانتصار مقابل الطاقات والامكانيات المادية والتقنية . هذه التجربة مهمة جدا لانهـا تطرح نوعا جديدا مـن التكنولوجيا . ان الفيتناميين استطاعوا فعلا أن يخلقوا تكنولوجيا من نوع جديد تعتمد أساسا على الانسان . التكنولوجيا الاميركية تعتمد أساسا على الآلة وحاولت تحويل كل الحرب الى حرب آلية مطلقة يغيب فيها الانسان . مقابل هذا الشيء الذي يتطلب طاقات مالية ومادية ضخمة ويتطلب طاقات دماغية هائلة كانت تشغل باستمرار على أوسع نطاق . الفيتناميون استطاعوا أن يطوروا ما يمكـن أن نسميه « بتكنولوجيا الانسان» بمعنى الاستفادة القصوى من أبسط الامور المتوفرة للانسان العادي البسيط. واعطي مثلين فقط للتدليل : عندما علم الاميركيون ان الانهر في فيتنام تستعمل كطـرق اساسية للنقل ، حاولوا لغمها بكل الوسائل الممكنة . فكانت الطائرات الاميركية تزرع الالغام في كل الانهر الفيتنامية . في مقابل ذلك استعمل الفيتناميون ابسط وسيلة بدائية من الناحية التقنية ولكن يمكن اكثرها فاعلية ، وهي المراقبة البشرية . زرعوا طول الانهر الفيتنامية بشرا من العجائز رجالا ونساء على مسافات بسيطة ، بحيث تتقاطع انظارهم لمراقبة الالغام التي ترميها الطائرات الاميركية . هذا مثل عن التقنية المتقدمة مقابل التقنية البسيطة ، وهو مثل على ما يستطيع ان يفعله الانسان . والمثل الآخر ، والذي كان مفاجأة للاميركيين ، زرعت كل ارض فيتنام في الجنوب خصوصا بحساسات التي تستطيع أن تلتقط كل التحركات البشرية او الآلية في مسافات هائلة من الارض . وكانوا مطمئنين ان هذه الطريقة تمكنهم من اكتشاف تحرك الآليات ، بفترة ساعات ، او تحرك الكتائب الفيتنامية ، واستعمل لذلك كل الوسائل الممكنة ، الآلات المغناطيسية، والآلات الملتقطة للصوت ، والآلات الملتقطة للحرارة الخ . . . ومع ذلك فوجئوا عندمـا

انطلقت الاعداد الهائلة من الدبابات في هجوم الربيع ، في أمكنة لم يكــن من الممكــن وصولها دون التقاطها على الاجهزة الحساسة . طبعا ، كان الحل التقني الفيتنامي بسيطا جدا وهو فكفكة هذه الآليات في مراكزها ونقلها قطعة قطعة بشكل بسيط جدا بأبسط الوسائل الممكنة وهي وسيلة النقل البشري ، مقابل التقنية المتقدمة . أعتقد ان هذا الشيء يجب ان يعتبر درسا أساسيا ومهما جدا لانه ينطبق في كل مكان . كل ما نحتاجه هو أن نستوعب طاقاتنا الانسانية ونوظفها بالشكل المطلــق مقابل اي تقنية اخرى متقدمة .

**داود تلحمي** : من ناحية تفصيل الدروس السياسية على المستوى الفيتنامي الداخلي والعسكرية على مستوى المواجهة مع اميركا ، فهو موجود في دراسة الاخ ناجي علوش. طبعا قد تكون الدراسة كلها موضع نقاش . الا اني احب ان اضيف بعض النقاط في مجال المقارنة . النقطة الاولى وردت في كلام الاستاذ تحسين وهـــي اجلاء الشعب الفلسطيني عن أرضه ووجوده بالتالي على اراض عربية أخرى ، غير أرضه الاساسية التي هي طبعا احدى الفوارق الرئيسية بين الوضع الفيتنامي والوضع الفلسطيني . وهذا ، باستنتاج مباشر ، يثير صعوبة او استحالة القيام بثورة فلسطينية محضة . يعني ان تكون هناك حركة تحرر فلسطينية ، كما كان هناك حركة تحرر فيتنامية بشكل مستقل في بداية الاربعينات أي عندما خلقت جبهة « الفيت ــ منه » لان جبهة « فيت منه » خلقت على أرض فيتنام ولو انها لم تكن محررة في ذلك الحين . وكان العمل السري بين الجماهير داخل الارض الفيتنامية ، والاستراتيجية كانت استراتيجية تحرير الارض الفيتنامية من الاستعمار الفرنسي الذي كان استعمارا مهزوما في تلك الاثناء من قبل الامبريالية الالمانية ومن قبل حلفائهـــا في الشرق . ولا يجب ان ننسى انه فـــي تلـــك المرحلة لم يكن لفيتنام ارض خلفية ، الصين لم تكن محررة وبالذات الصين الجنوبية في ذلك الحين لم تكن ارضا محررة ولم تصل قوات التحرير الصينية الى الحدود الفيتنامية الا في سنة ١٩٤٩ اي بعد اربع سنوات من اندلاع الثورة المسلحة الفيتنامية وبعد اربع سنوات من اعلان استقلال فيتنام وميلاد جمهورية فيتنام الديمقراطية . اذا لنعود للفرق الاساسي الذي هو التواجد الفلسطيني خارج الارض المحتلة . وهذا التواجد يقتضي ــ شئنا أم أبينا ــ تواصل الصراع الفلسطيني من اجل التحرير مع حركة التحرر العربية ضد الامبريالية وضد ركائزها . وتجارب المقاومة الفلسطينية الاخيرة خاصة في الاردن ومؤخرا في لبنان ، ومشاكله الاخيرة في سائر الدول العربية تثبت الان بما لا يدعو للشك هذا التداخل ، وضرورة توفر استراتيجية عربية تعمل لتحرير فلسطين . هذا لا يعني انه على جميع العرب التوجه في وقت واحد الى ساحة فلسطين ، ضمن جيوش مكثفة تحت قيادة واحدة ، والظروف الواقعية لا تسمح به طبعا ، نظرا لاختلاف الاوضـــاع العربية وترسخ الاقليمية العربية اي أننا نجد تميز بين دولة عربية واخرى . ومهمـــا كان بغضنا لهذه الاقليمية ، فهي موجودة وهذا التميز موجود . وبالتـــالي لا يمكن ان نواجه عملية التحرير الفلسطينية الا اذا حللنا مدى تداخل الوضع الفلسطيني بالاوضاع العربية ، فلكل قطر عربي بالذات ميزاته وتناقضاته ووضعه الاقتصادي ومدى تطوره ومدى سيطرة الامبريالية عليه ، الخ . . . واستخلصنا من كل ذلك رؤية متكاملة تسمح باتخاذ الخطوات المناسبة سواء خطوات ثورية متقدمة او خطوات تراجعية تكتيكية اذا اقتضى الامر ، من أجل ان تسمح باستمرار المقاومة الفلسطينية وتصعيدها . يرتبط بهذه النقطة ، نقطة اخرى مميزة في الوضع العربي ، ويشدد عليها في الصحافة الغربية وهي موضوع النفط . تواجد النفط بكميات هائلة جدا في المنطقة العربية بنسبة ٦٠ ٪ من احتيـــاطي العالم المعروف يجعـــل الان ترابـــط عمليـــة التحريـــر الفلسطينيـــة بالاطماع الامبريالية والتسابق من أجل السيطرة على مناطق ومصادر النفط ، عملية محتم عليها ان تتطور اكثر فأكثر نحو الالتحام . نرى في التصريحات الاميركية بشكــل

واضح مؤخرا وحتى في تصريحات بعض المسؤولين الاسرائيليين المطالبة بالتدخل لضرب المقاومة الفلسطينية ، ولضرب القوى التحررية العربية في الخليج العربي وفي سائر المناطق المتاخمة من أجل « ضمان حرية وصول النفط الى العالم الغربي » الذي يعتمد اكثر فأكثر الان على استيراده من المنطقة العربية . عنصر آخر من العناصر التي تميز الوضع العربي عن الوضع الفيتنامي ، ولم يتطرق له حتى الان هو العنصر الديني — الاجتماعي . وانا اعطي هذا العنصر شيئا من الاهمية ، عندما نقارن تجارب فيتنام او تطبيق الاشتراكية في فيتنام والصين مثلا ، وتطبيق الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي واوروبا الشرقية . الفوارق ليست فقط الفوارق المتعلقة بمدى التطور الاقتصادي في البلدان ، او بطبيعة القيادة او بطبيعة الظروف التي اوصلت الحزب الشيوعي في كل هذه البلدان الى السلطة ، لا بد ان يكون هناك تحليل واف لمدى تأثير الخلفية الاجتماعية ، وبالذات العنصر الديني في كل هذه الاحوال في نمط التطور نحو الاشتراكية في كل هذه البلدان وفي نمط بناء الحزب الثوري ونمط نمو الحركة الثورية ، في نمط تعبئة الجماهير الخ . هناك دراسات من قبل الرفاق الفيتناميين انفسهم حول تأثير الدين بالذات في فيتنام . اعتقد أن الدين الكنفوشي وبساطته وقربه من الحياة اليومية للناس وطابعه الاجتماعي كل ذلك لعب دورا في التحول الذي تكلم عنه الاخ محمد كشلي ، تحول هؤلاء الناس الذين كانوا متخلفين فعلا ، الذين كانوا قبل ثلاثين سنة ، في مرحلة تخلف ربما تفوق التخلف الذي نعاني منه الان في المنطقة العربية ، التحول الذي سمح بتعبئة كل هؤلاء الفلاحين ، تحت قيادة قوى سياسية متطورة جدا ، ومتقدمة ومستوعبة للايديولوجيات العصرية وللتكنولوجيا المتطورة . كل هذا لا بد من أن يجعلنا ننظر الى تأثير التركيب الاجتماعي والعنصر الديني فيه . طبعا بالنسبة للعالم العربي الموضوع يقتضي دراسة الدين الاسلامي الذي هو الدين الغالب في المنطقة العربية والدين المؤثر والذي يعطي الجانب الاجتماعي اي التركيب الفوقي في العالم العربي سماته الرئيسية وبالتالي سينعكس — شئنا ام أبينا — حتى على الحركات المتقدمة سياسيا . سينعكس هذا التراث الاسلامي الذي له مئات السنين من العمر، سينعكس على تركيب هذه القوى وهذه الحركات الثورية ، سينعكس على مدى تعبئة الجماهير ومدى تقبلها لشعارات او لممارسات معينة . نقطة اخيرة جانبية ، هي قضية استعمال الاعلام من قبل ( بكسر القاف ) الرفاق الفيتناميين، الى جانب العمل العسكري والعمل السياسي . بلا شك ، داخل فيتنام كان العنصر الحاسم هو العنصر السياسي العسكري ، ولكن هناك العنصر الاعلامي ، الموجه الى الخارج ، الموجه الى الجاليات الفيتنامية في الخارج والموجه الى العالم بتركيباته المختلفة ، اي الى العالم الاشتراكي، الى العالم الثالث الى العالم الراسمالي بتناقضاته . هذا الاعلام بتقديري ، يلعب دورا مهما ، والنصر الفيتنامي ، كما ذكر الاخ ناجي علوش في دراسته ، كان نصرا سياسيا أساسيا . لقد استطاعت فيتنام ان ترغم امريكا سياسيا على التوقيع على انسحابها وتخليها عن اهدافها العدوانية . وكان للاعلام دور في هذا النصر . استطاع الفيتناميون أن يعبئوا جالياتهم في الخارج . حضرت مثلا ، في باريس ، مهرجان اقامته وزيرة خارجية الجمهورية الثورية المؤقتة وحضر هذا المهرجان آلاف من الجالية الفيتنامية المقيمة في فرنسا ، واغلبهم من البرجوازيين ، أي من التجار الخ... انما كان هناك جو من الحماس والتعبئة الذي كان فعلا يعطي شعورا بأن هذه الجماهير كانت فعلا معبأة ، ومستعدة للقيام بالاعمال التي تطلب منها على مستوى اعلامي ، على مستوى جمع اموال الخ... لان الشعارات التي كانت تطرح من قبل جبهة التحرير كانت شعارات تعبوية تستهدف كما أشار أحد الاخوان ، تعبئة معظم قطاعات الشعب علما بأن القيادة هي قيادة متقدمة ولها خط سياسي متقدم ، انما عملت على تعبئة معظم قطاعات الشعب بما في ذلك قطاعات من البرجوازية الوطنية تحت شعارات تحرر وطني معتدلة . اريد

ان اشير الى موضوع التوجه الى الشعب الامريكي نفسه — بشكل بسيط — لانه ورد في احدى الدراسات — لخلق تناقضات في المجتمع الامريكي وخلق تيار مسالم داخل الشعب الامريكي يطالب بانهاء الحرب . وطبعا لم يكن الموضوع اعلاميا ، هو اساسا موضوع عسكري ، اي أن توجيه الضربات للجيش الامريكي في فيتنام بالاضافة الى التأثير على ابناء الامريكيين الموجودين في فيتنام ، بتكليفهم خسائر كبيرة ، بالاضافة للخط الاعلامي الذي اتبعته الثورة الفيتنامية في الخارج ... وهو خط غير شوفيني تجـــاه الشعب الامريكي ، أثر في تطوير الحركة المعادية للحرب في أمريكا وفي التأثير على قرار الادارة الامريكية لايقاف الحرب . نقطة اخرى وسأشير اليها بسرعة ، هي الاستفادة مـــن التناقضات الامبريالية ، وهذا ليس بجديد على الثورة الفيتنامية . في الثورة الاولـــى استطاعوا ان يستفيدوا من التناقضات بين فرنسا واميركا ، وبين فرنسا واليابان خلال فترة قصيرة وبعد الستينات بين اميركا والامبرياليات الثانوية الاخرى . طبعا كل هذه الملاحظات ، لا يمكن ان يكون لها قيمة اذا لم يؤخذ بعـــين الاعتبار التركيب الاساسي لجبهة التحرير الفيتنامية ، وجود حزب قائد ، وجبهة عريضة الخ ... كافة النقـــاط التي اشار اليها الاخ ناجي علوش في دراسته حول التركيب السياسي والعسكري للثورة الفيتنامية التي كان لها الدور الحاسم للنصر .

**المقدم الهيثم الايوبي** : اريد ان اتحدث عن الدروس العسكرية التي يمكن استخلاصهـــا من النصر الفيتنامي . ولن يكون حديثي بالطبع عسكريا بحتا ، لان الحـــرب الثورية اساسا حرب سياسية — عسكرية يرتفع فيها دور السياسة الى درجة عالية لا تعرفها الحروب التقليدية . ولقد كان نضال الفيتناميين حربا ثورية بكل معاني الكلمة ، لانها كانت حربا سياسية — دبلوماسية — اعلامية — عسكرية . استخدمت السيـــاسة والدبلوماسية والاعلام لزعزعة ارادة القتال لدى العدو قبل القتال وخـــلال القتال وفي فترة المباحثات ، وطبقت المبدأ اللينيني القائل بضرورة تفتيت العدو ماديا ومعنويـــا ووضعه في أسوأ اوضاعه النفسية والاستراتيجية قبل تسديد الضربة الحاسمة لـــه .

ولكـــن قبل ان ابدأ حديثي عن الدروس كما أراها اود تقديم بعض الملاحظـــات التي تستهدف ازالة بعض المفاهيم الشائعة المغلوطة التي رافقت هذا الموضوع .

عندما حققت الثورة الفيتنامية انتصاراتها العظيمـــة ، وعجـــز التصعيد العسكـــري الامريكي عن اركاع الشعب الفيتنامي ، واثبتت المعارك المتتالية عجز التقنية الامريكية عن مجابهة ثورة الانسان المسيس والمؤطر والعامل تحت قيادة ثورية واعية بدأ الحديث في الوطن العربي عن امكانية الافادة من دروس هذه الثورة ، وعن امكانات تطبيق هذه الدروس من قبل القوى الثورية العربية . هنا ظهر رأي يقول بأن الافادة مـــن هذه الدروس صعب بل ومتعذر ، وقدم أصحاب هذا الراي حججا تستند الى وجود خصائص تتعلق بالارض العربية ، وعدم وجود الشعب الفلسطيني على ارضـــه ، وقدموا لنـــا مشكورين [!] معلومات وفيرة عن الغابات والمستنقعات والجبال في فيتنام ، وربطوا الحرب الثورية بهذه العوامل الجغرافية .

وأود أن اقول بهذا الصدد ، أن ما قيل عن العوامل الجغرافية يتعلق بحرب العصابات لا بالحرب الثورية . يتعلق بالتكتيك لا بالاستراتيجية والاستراتيجية العليا ، يتعلـــق باسلوب من اساليب الحرب الثورية لا بالحرب الثورية كنوع متميز من انواع الحروب. أن للارض ( مستنقعات ، غابات ، جبال ... الخ ) تأثيرا كبيرا على حرب العصابات ولكن حرب العصابات عبارة عن اسلوب ، انها وسيلة تستخدم داخل الحرب الثورية دون أن تكون هي الحرب الثورة . انها اسلوب قتالي لا نوع من انواع المجابهات بين شعبين . وقد يكون لمسائل التضاريس والمناخ تأثير على الاستراتيجية ، ولكنه تأثير محدود ضمن اطار علاقتها بالحركات الاستراتيجية لا ضمن اطار النوع الاستراتيجي

المختار للمجابهة . وغايتي من هذا التوضيح هو كشف الخلط القائم بين حرب العصابات والحرب الثورية في كثير من الادبيات العربية — العسكرية والسياسية . وهو خلط ناجم في بعض الحالات عن خطأ في فهم حقيقة الاشياء . كما أنه ناجم في حالات كثيرة اخرى عن رغبة بعض القوى الاجتماعية المستغلة في تيئيس الجماهير العربية من امكانيات تطبيق الحرب الثورية كوسيلة مثلى لمجابهة الامبريالية ومرتكزاتها المحلية ، وكحل حاسم للتناقضات الناجمة عن مختلف اشكال الوجود الامبريالي في بلادنا وكافة صور القهر القومي والاجتماعي الذي تتعرض له جماهيرنا . وتنبع هذه الرغبة في التيئيس من خوف هذه القوى الاجتماعية المستغلة على مواقعها ومصالحها الطبقية المتميزة التي ستتعرض عند اندلاع الحرب الثورية العربية لخطر ماحق فوري او مؤجل نسبيا .

ولا يمكن اعتبار الحرب الثورية وسيلة قتالية ، ولكنها نوع من انواع المجابهة الشاملة، تستخدمه الشعوب الضعيفة [ ماديا ] ضد الغزوات الخارجية او ضد القهر الطبقي الداخلي او ضد هذين الخطرين معا . انها مجابهة شاملة تعبأ فيها كافة الامكانات المادية والفكرية والروحية والسياسية والدبلوماسية للشعب المقهور وتزج في صراع طويل الامد يستهدف قهر ارادة العدو والوصول به الى حالة الانهاك المادي والنفسي التي تجبره على التنازل عن أغراضه سواء أخذ هذا الصراع — من الناحية العسكرية — شكل حرب العصابات ، أم الحرب النظامية ، أم عمليات الارهاب المدينية ، أم حرب الالغام الخ . . . أم أخذ شكلا تمتزج فيه هذه الاشكال كلها أو بعضها حسب طبيعة الموقف العام وموازين القوى . بالاضافة الى أشكال الصراع السياسية والنفسية والدبلوماسية المتعددة .

وعندما كانت القوى الثورية العربية تتحدث عن المجابهة الشاملة كسمة من سمات الحرب الثورية طلع علينا بعض المنظرين المعادين للحرب الثورية ببدعة تستهدف تشويه صورة هذه الحرب واحاطتها بشبكة من الظلال ، وقالوا : اذا كانت التعبئة الشاملة لكل قوى شعب من الشعوب وزجها في المعركة هما الدليل على ان الحرب التي يخوضها هذا الشعب حرب ثورية فان الحروب الاسرائيلية حروب ثورية ، والحروب التي شنتها المانيا النازية ثورية أيضا لانها حروب مارسها شعب متلاحم مع قيادته ، ومعبأ سياسيا واقتصاديا ، واستخدمت فيها كافة امكانات هذا الشعب الروحية والفكرية والمادية الخ . . . والرد اللينيني على هذه البدعة هو البحث عن اهداف الحرب والقوى المستفيدة منها وطبيعة الفكرة السياسية الكامنة وراءها ، واكتشاف اتجاه مسارها بالنسبة لخط التطور التاريخي . وشتان ما بين حرب تقوم بها أمة لسحق أمة أخرى ونهب ثرواتها او تضخيم خزائن القلة القليلة على حساب الجماهير العريضة ، وحرب يشنها شعب مقهور لتحرير أرضه وتأمين رفاهيته وتقدمه أو تشنها جماهير عريضة للتخلص من بؤس تفرضه طبقة أو طبقات مستغلة جشعة . ان الحرب الثانية حرب ثورية تحمل فكرة سياسية عادلة مسايرة لخط تطور التاريخ ( تحرر وطني ، تحرر اجتماعي ، تحرر وطني واجتماعي ) أما الحرب الثانية فهي حرب مضادة للثورة [ حتى لو استخدمت بعض الاساليب الثورية في القتال والدعاية والدبلوماسية الخ . . . ] لانها تحمل فكرة سياسية غير عادلة تعاكس خط تطور التاريخ ، وتخدع الجماهير وتعبئها وتجرها الى المجزرة عن طريق استخدام عقيدة ديناميكية على غرار النازية والصهيونية .
بعد هذا التوضيح أود التحدث عن دروس الثورة الفيتنامية .

الدرس الاول : والاهم على صعيد الاستراتيجية العليا هو تسييس كافة القوات المسلحة بمختلف فروعها ( النظامية والعصابات والميليشيا المحلية ) ، واستخدام الفكرة السياسية كسلاح لرفع مستوى الكفاءة القتالية لكل انسان مشترك في المجابهة الشاملة ، وخلق

الانسان الواعي لقضيته والمستعد للدفاع عنها والموت من أجلها . وتدل الدراسات الخاصة بالحرب الفيتنامية ان كل شيء في هذه الحــرب كان مسيسا ، وان الحرب استخدمت السلاح الاساسي في الحرب الثورية المتمثل في السياسة . وكانت السياسة تستخدم لثلاثة اغراض هي : التدعيم الداخلي لقوى الثورة ، والتفتيت المعنوي للقوى المضادة للثورة ، وتحييد من يمكن تحييدهم داخل معسكر القوى المتذبذبة بين قوى الثورة والقوى المضادة للثورة .

ولقد نجم عن هذا التسييس نتائج متعددة على كافة الاصعدة :

فعلى صعيد التكتيك انعكس هذا التسييس على شكل تعديل لمبدأ ماوتسي تونغ الاساسي « واحد ضد عشرة في الاستراتيجية وعشرة ضد واحد في التكتيك » الذي يعني ان بوسع قوات الثورة أن تقاتل القوات المضادة لها حتى لو كان تفــوق القوات المضادة على الصعيد الاستراتيجي بنسبة عشرة الى واحد شريطة ان تطبق قوات الثورة كل مبادىء الحركة والسرية والسرعة لتحقق تفوقا تكتيكيا يعادل عشرة الى واحد في زمــان معين ومكان معين ( زمان ومكان المعركة ) . ولقد اصبح من الممكن بعد تسييس المقاتلــين الاشتباك بالمعركة دون الحصول على التفوق المذكور [ عدديا ] ذلك لان تسييس المقاتلين وتعبئتهم النفسية لتقديم أكبر التضحيات عبارة عن عامل هام يقلب موازين القوى ، ويزيد الحجم العام لقوات الثورة ويرفع مستوى فاعليتها رغــم عدم زيادة عددها . ومن المؤكد أن التسييس المكثف سمح للفيتناميين أن يشتبكوا بمعارك ناجحة ضد قوات العدو دون ان يحققوا التفوق [ العددي ] المعادل واحد الى عشرة في زمــان ومكان المعركة ، ولكنهم وصلوا مع ذلك الى التفوق [ العام ] المعادل واحد الى عشرة نظرا لارتفاع مستوى الوعي والاندفاع لدى مقاتليهم .

ويمكن تفسير ذلك بالعودة الى قوانين حساب القوى في المعركة ، والتي تستند الى عدة عوامل : مادية وتدريبية وقيادية وسياسية ومعنوية ... الخ . وتملك القوات المضادة للثورة تفوقا ماديا فقط ، على حين تملك قوات الثــورة المسيسة التفوق السياسي والمعنوي والقيادي الخ ... لذا فهي تستخدم هــذه العوامل لقلب ميزان القــوى [ العام ] لصالحها .

وانعكس التسييس على الشؤون الادارية ، بانقلاب كل مواطن الى ممون ومذخر لقوات الثورة . واصبح الشعب الفيتنامي كله مجموعة واحدة تساعــد في عمليات الامداد والتموين والاخلاء والاسعاف ، الأمر الذي أمن استمرار سير الشؤون الادارية رغم جميع الصعوبات الهائلة الناجمة عن القصف الجوي الامريكي للطرق والجسور والموانىء والمستودعات ونقص المعدات والوسائل اللازمة لنقل آلاف الاطنان من الذخائر والمؤن والمواد الطبية وقطع الغيار الخ ... اللازمة للمعركة .

وظهر اثر التسييس واضحا في مجال الاستخبارات . اذ غدا كل مواطن مؤهلا لجمــع المعلومات عن العدو ونقلها الى الثوار ، واخفاء المعلومات الخاصة بقوات الثورة مع تطبيق مبدأ « لم أسمع ، لم أشاهد ، لا أعرف » .

وانعكس تأثير التسييس أيضا على مسألة تدعيم الوعي ورفع مستوى الحماسة وربط النضال بقضايا الحياة اليومية ضمن اطار الوحدة الوطنية . صحيح ان جبهة التحرير الوطني الفيتنامي F.L.N.V. كانت تطرح مسألة حرب التحريــر الوطنية ، وتربطها بشكل مباشر او غير مباشر بالتحرر الاجتماعي والمكاسب الاجتماعية المنتظرة . فلقد كانت تستفيد من المنجزات الاشتراكية المحققة في فيتنام الشمالية ، وتطرح صورة هذا البلد المكافح السائر على طريق التقدم والازدهار كصورة لدولة المستقبل في الجنوب . وكان هذا الربط يجعل المقاتلين أشد حماسة للثورة والتصاقا بها ، ويعطي حرب التحرير الوطنية سمة اجتماعية لا غنى عنها دون الخروج عن برامج الوحدة الوطنية .

الدرس الثاني : هو القيادة الطليعية والحزب القائد . فلقد اثبتت الحرب في فيتنام ان الحرب الثورية بحاجة الى طلائع مترابطة مع بعضها برباط عقائدي حزبي ، لا برباط عشائري او شخصي او طائفي الخ ... واذا كانت الاسرة ، والعشيرة ، والطائفة ، .. الخ تشكل في القرون الماضية شكلا من اشكال الترابط اللازم في الحروب الثورية الغابرة فان الحزب هو التنظيم العصري الوحيد القادر على ضم الصفوف وتلاحمها وقيادة الحرب الثورية في مجتمعاتنا المعاصرة .

بهذا المنظور كان للحزب الشيوعي الفيتنامي دور أساسي وطليعي داخل جبهة التحرير الوطني ، وبهذا المنظور فهم الفيتناميون فكرة الوحدة الوطنية ، المبنية على برنامج سياسي للحد الادنى يجمع كافة القوى الديموقراطية والوطنية تحت قيادة حزب الطبقة العاملة .

الدرس الثالث : هو اهمية وجود أرض محررة الى جانب المناطق غير المحررة. فلقد كان وجود فيتنام الشمالية أساسيا وهاما بالنسبة لقوات الثورة المقاتلة في فيتنام الجنوبية . وكانت فيتنام الشمالية قاعدة هامة للامداد بالمعدات والذخائر والكوادر والمقاتلين الخ... ولم يكن بوسع هذه القاعدة الاستمرار لو لم تكن دولة اشتراكية قوية تملك نظاما تلتف الجماهير حوله وشعبا مستعدا للدفاع عن هذا النظام تحت راية قيادة يثق بها الى أبعد مدى . ولم يكن بوسع فيتنام الشمالية أن تلعب الدور الذي لعبته لو لم تكن قلعة ترفض الخضوع لعملية الردع الجوي والبحري ، وتستطيع الصمود أمام عمليات الغزو البري. ان وجود قاعدة ثورية قوية قادرة على تحمل اشرس الغارات الجوية التي شنتها القلاع الطائرة الامريكية ب ــ ٥٢ خلال عدة سنوات ، والاستمرار مع ذلك في الحياة والانتاج والعطاء ، والبقاء في موقع الصمود ، والاستمرار في مساعدة قوات الثورة على أساس أن لا فرق بين الشمال والجنوب . والاستمرار في دعم قوات الثورة دون الانتقال تحت تأثير الردع وتحت تأثير الفكر الاقليمي الى اعتبار قوات الثورة خطرا على أمنها ، ولا بد من كبح جماحها أو ضربها من الخلف . ان هذا الوجود المتمثل في فيتنام الشمالية أمر يقدم لنا مجالا واسعا للتفكير في المستقبل . وهو يدفعنا الى رؤية حقيقة العلاقة المطلوبة بين الثورة الفلسطينية والثورة العربية .

ان من الخطأ التفكير بثورة فلسطينية دون رؤية العلاقة الجدلية بين هذه الثورة ووجود ثورة عربية ، وقاعدة عربية قادرة على أن تلعب دور هانوي عربية بشكل فعلي . وان تعتبر نفسها جزءا من المعركة مستعدا للصمود أمام الهجمات الواسعة والمحدودة ، والاستمرار في القتال رغم عنف الضربات الرادعة . وتظهر صحة هذا القول اذا ما درسنا واقع الثورة الفلسطينية في داخل الارض المحتلة وخارجها ، ودرسنا ردود الفعل الاسرائيلية ، وما ينجم عنها من ردع بالنسبة لكل دولة عربية لا تحمل سمات القاعدة الآمنة الصامدة ، واحتمالات تحول مواقف هذه الدولة من دعم الثورة الفلسطينية بشكل فعال ، الى دعمها مع تحفظات وقيود ، الى تحديد حرياتها والصدام معها .

ان أي نظام عربي وطني أو شبه وطني معاد لاسرائيل ولكنه غير مستعد لتحمل عملية الردع لمدة طويلة ، سينقلب شاء أم أبى الى قوة تضرب الثورة الفلسطينية عند تحركها بشكل يستثير العمليات الاسرائيلية المضادة . ومن هنا يأتي سبب التركيز على عروبة الثورة وعروبة المعركة ، لان هذا الشرط هو الذي يمكن ان يجعل المنطقة العربية كلا متكاملا كالمنطقة الفيتنامية بشمالها وجنوبها . واذا ما تحقق هذا الشرط أمكن اعتبار الارض العربية بما فيها فلسطين مقسمة الى **منطقة محررة** تشمل بلدا عربيا او اكثر مستعدة للقيام بدور هانوي التي لا تتأثر بالردع . **ومنطقة محتلة** تشمل الارض التي يسيطر عليها العدو سيطرة شبه كاملة . **ومنطقة الاشتباكات** الدائمة التي تشمل اقساما واسعة من الارض المحتلة ومناطق الحدود بين المنطقة المحررة والمنطقة المحتلة ، وكافة

المناطق العربية التي يمكن للقوات المعادية التغلغل فيها خلال العدوان . وفي منطقة الاشتباكات يتم الصراع بين القوى الثورية العربية ـ بما فيها قوى الثورة الفلسطينية ـ وقوات العدو . مع استناد القوى الثورية العربية الى قاعدة آمنة حقيقية . واعتقد ان هذا هو التفسير الصحيح لمبدأ عروبة الثورة ، واهمية تثوير الاراضي العربية كجزء من الصراع مع العدو الاسرائيلي .

الدرس الرابع : هو العصيان المنسق .لقد اثبتت الثورة الفيتنامية خلال كل معاركها انها لا تعمل في منطقة وتترك منطقة اخرى . عندما تبدأ عمليات الانتفاضات المسلحة والاضرابات وعمليات التفجير داخل المدن ، يثور الريف ويحاول ان يقطع طرق المدن ويجتذب قوات العدو . وبالعكس ، عندما يثور الريف وتتحرك جيوش الاعداء لضرب الريف ، تخف القبضة عن المدن وتبدأ الانفجارات داخلها . نقول هذا لان تجربة الاردن وتجربة لبنان ، هي من الامثلة التي لم يتم فيها العصيان المنسق . فعندما تم الهجوم على عمان واربد لم تتحرك جميع قواعد الغور تحركا كثيفا بشكل تقطع معه طرق عمان واربد وتشتت القوات الاردنية . وعندما كانت السلطة تضرب القواعد في الغور لم تكن المدينة تتفجر تفجرا كاملا . وينطبق هذا القول على أحداث لبنان ، فعندما انفجرت المعركة في بيروت لم تنفجر في الريف ، او على الاقل لم تنفجر في طرابلس ، ولم يحصل عصيان منسق ، ولم يتم تشتيت القوات على اوسع مساحة ممكنة من الارض .

الدرس الخامس : هو التنسيق بين مختلف انواع القتال في الحرب الثورية . اذ أن الفيتناميين استخدموا حرب العصابات ، والحرب النظامية ، والارهاب الفردي ضد قادة العدو ، والقنص ، وحرب الالغام ، والحرب النفسية الاعلامية للتفتيت . وكانوا ينسقون بين هذه الانواع ، ويميزون نوعا على النوع الآخر حسب موازين القوى . فاذا سمح لهم ميزان القوى في زمان معين ومكان معين استخدموا الحرب النظامية ، فاذا انقلب ميزان القوى تحولوا الى حرب العصابات ، واذا ما وجدوا في مكان آخر انه لا يمكن العمل الا وفق اسلوب الحرب السرية طبقوا هذا الاسلوب حتى تخف قبضة العدو فتنقلب الحرب السرية الى حرب عصابات أو انتفاضة مسلحة حسب الظرف الملموس . مع الاستمرار الدائب بالعمل السياسي والاعلامي والنفسي .

ان التنسيق بين مختلف أساليب الصراع يعني الفهم الفيتنامي الصحيح لمبدأ موازين القوى ، ومبدأ استخدام الاداة المناسبة لتحقيق الغرض المناسب حسب ميزان القوى الفعلي .

الدرس السادس : تجميع القوى وتفتيت العدو . لقد نادى جيفارا ـ على صعيد استراتيجية الثورة العالمية ـ بضرورة فتح أكثر من فيتنام لمجابهة الامبريالية العالمية . ولقد طبق الفيتناميون المبدأ نفسه على صعيد الثورة الفيتنامية . اذ خلقوا أكثر من بؤرة صراع في أكثر من مكان فاضطر العدو للتوزع على طول فيتنام وعرضها ، ثم ركزوا قواتهم على نقطة واحدة بفضل الحركية والسرعة والسرية وضربوها بشدة ثم تبعثروا . هذه هي الدروس الاساسية التي قدمتها الثورة الفيتنامية للثورة العالمية على صعيد الاستراتيجية . أما بالنسبة للدروس في التكتيك والشؤون الادارية والاستخبارات والتكنولوجيا فانها مشروحة بما فيه الكفاية في الدراسة التي قدمها لكم الاخ ناجي علوش . وشكرا .

**تحسين بشير** : النقطة الاولى توضيح للتحفظ عند الاخ منير حول كون الاسرائيليين قومية في حالة التكوين . بغض النظر عن الصحة التحليلية لوجود هذه القومية بحالة التكوين أو عدم تكون او عدم وجود مقومات قومية ، فأخطر ما في الامر انها تخلق ديناميكية لتعطي الاسرائيليين نوعا من الدفع عن طريق اثبات نفسهم عن طريق العمل المستمر والانجازات المستمرة في حين ان المجتمع العربي لا يزال من الناحية النوعية ، في معظم

قطاعاته في حالة ركود سياسي . النقطة الثانية اننا نحن — وبالنسبة للتحفظ — توجد ناحية أهملناها في المقارنة بين فيتنام وبين الموقف في العالم العربي وهو نوع الاحتلال الاسرائيلي ، نوع ونموذج وطريقة تطبيق هذا النوع من الاحتلال واستحالة قيام الاسرائيليين بنوع من الثورة الاجتماعية المضادة ونوع الاحتلال الامريكي في حكومة سايغون والمحاولات المختلفة القديمة تحت الملكية وتحت الكاثوليك وبعد ذلك في الخليط بين الكاثوليك والبوذيين . الاسرائيليون حاليا يقومون بعمل عمليتين وفي منتهى الخطورة والشعب والقوى العربية لا تفعل ما يكفي للشعب تحت الاحتلال . فكثيرون منا منشغلون أساسا بعملية التحرير وموقف التحرير وعقبات التحرير ولكن ليس هناك اهتمام كاف لمساعدة هؤلاء الموجودين تحت الاحتلال . اسرائيل لجأت اخيرا عن طريق تشغيل العمال العرب من غير ملاك الاراضي او ملاك الارض الصغيرة الى محاولة ثورة مضادة من نوع جديد بأن تعطي للعامل خمسة اضعاف اجره فيما قبل الاحتلال ، فتخلق بذلك نوعا من العامل المعتمد في معيشته على الاستثمار والقرار الذي تسيطر عليه اسرائيل ، والتالي تعمل نوعا من التفسخ في المجتمع الفلسطيني بين الطبقة البورجوازية الموجودة في المدن الصغيرة الفلسطينية ، والقيادات التقليدية وبين هذا العامل الجديد الذي يعتمد على دخله وعلى ما يتأتى اليه من ميزات سواء في العلاج الصحي او التأمين الاجتماعي ، عن عضويته واشتراكه في الهستدروت ، هذا النوع من الثورة الاجتماعية المضادة ، ومضادة لانها غير حقيقية لان هذا العامل يعتمد حقيقة على رغبة الحكومة الاسرائيلية . في اي وقت تستطيع الحكومة الاسرائيلية ان تبطل استخدامه وبالتالي يصبح بلا أساس اقتصادي ، بل ان تستخدم اسرائيل ، مستقبلا بعد سنتين او ثلاث او اربع ، كوسيلة للضغط على الطبقة الجديدة من العمال التي تعودت على نموذج ونمط استهلاكي معين لطردهم من الاراضي طردا اقتصاديا ، بأن توقف تشغيلهم .ولم نتمكن الى الان من الرد ايجابيا على هذه المشكلة في حين ان اسرائيل قامت بهذا وتمكنت في السنة الاخيرة من ايقاف نوع المقاومة الفعالة في الضفة الغربية وغزة ، مع وجود قلة لا تزال تحاول ان تبحث عن طريق الى نوع المقاومة المناسبة لنوع الاستعمار الاسرائيلي . ان الموقف الفيتنامي من القضية كان مختلفا تماما . فلم تتمكن حكومة سايغون ولا الحكومة الاميركية من اكتساب بسنوات طويلة جدا حتى التشغيل ومن الصرف ومن نظريات اعادة تجميع القوى من كسب عنصر مؤيد فعال الى الحكم المؤيد للولايات المتحدة . ان من الواجب علينا ان نبحث عن الوسائل التي يستطيع بها الشعب تحت الاحتلال ان يقاوم ولو بدرجة محدودة . النقطة الثالثة التي احب التكلم فيها هي القدرة السياسية الفيتنامية . القرار السياسي — العسكري — الاقتصادي — الاعلامي هو قرار سياسي . الحرب الفيتنامية والثورة الفيتنامية تتميز بقدرة اتخاذ القرار السياسي المناسب والذي يعتمد على النفس ، ويأخذ في الاعتبار قوى الصديق سواء كان الصين أو الاتحاد السوفياتي والقوى المحايدة والقوى المتذبذبة ، ولكنه في أساسه قرار سياسي . عندما نرى مثلا نمط ضرب الطائرات وعلاقتها في المفاوضات وطول المفاوضات ومتى تحسم المفاوضات ومتى تبطل المفاوضات ، كان قرارا سياسيا يدل على حنكة شديدة . في هذا القرار السياسي لم يلعب الاعلام دورا مهما للرد على الاخ داود بمعنى ان الاعلام نفسه كان منفردا عن القضية . الاعلام كان احد العناصر في اتخاذ القرار السياسي لان من وجهة نظر رد الفعل في الولايات المتحدة نجد القدرة السياسية لاتخاذ قرارات سياسية — عسكرية ، ذات التأثير الاعلامي على داخل المجتمع الاميركي دون وجود نشاط اعلامي فيتنامي في داخل الولايات المتحدة نفسها . ولكنهم استطاعوا ان يفجروا بين الشعب الامريكي ما يجعل القرار الامريكي ضد الفيتناميين قرارا مضادا للقوى المسالمة والقوى المستنيرة في الولايات المتحدة . هذه القدرة على الرؤية السياسية البعيدة الامد ، المقترنة بقدرة تكتيكية ورؤية للمشاكل

المتوسطة بين الامد البعيد والامد المتوسط ، ايضا ناقصة في حالة الرؤية العربية . اننا نرى مثلا الرؤية البعيدة في بناء مجتمع جديد ودولة ديمقراطية لتتعايش فيهـا جميع الاجناس ولكن ماذا يحدث في البعد الزمني بين الحاضر الحالي والفترة الزمنية غير المحددة التي تتم فيها هذه الرؤية . في الحالة الفيتنامية كانت باستمرار ، هناك قدرة تكتيكية ورؤية متوسطة للاستفادة من الخطوات المرحلية لتنفيذ الرؤية النهائية . في حالتنا هناك حاجة ماسة لخلق الرؤية المتوسطة الثورية التي تخدم الرؤية البعيدة ولا تبطلها . ولكن أعود وأركز على ان اهم ما ابقى الحركة الفيتنامية وصقلها واغناها هو الممارسة المستمرة . ان الحرب في فيتنام الجنوبية التي استمـرت في فترات النجاح والفشل في فترات الركود والنشاط ، هي التي أكدت استمرارية هذه الثورة وصقلت وجذبت اليها واستقطبت جميع العناصر المحايدة والمتذبذبة الى الاستمرار في النضال والتي فرضت على الدول بما فيها الدول العدوة احترام الشعب الفيتنامي وقدرته وقدرة ثورته . وعلى هذا الاساس لعل أهم سؤال نواجهه في حالتنا هو : كيف نضمن ونصون للشعب تحت الاحتلال وللشعب الفلسطيني أن يستمر في حركة مقاومة فعالة تزيد وتقل ولكنها تستمر وتستمر بشكل يحس به العدو ويتأثر به ، لان المقاومة الحقيقية هـي المقاومة التي تؤثر في العدو بصورة ايجابية لصالح اهداف الثورة .

**محمد كشلي** : طبعا تشكل الصهيونية واسرائيل نوعا من الاستعمار الاستيطاني المختلف عن ما يحدث في فيتنام او غيرها من البلدان المستعمرة . هذا صحيح ولكنه جزئي ، لان المسألة لا تعود الى هذا الاختلاف بالذات بقدر ما تعود الى نوع الحرب والرد الذي نجابه فيه استعمارا استيطانيا من هذا النوع . لنأخذ مثلا القضية التي طرحهـا الاخ تحسين : اسرائيل استعمار استيطاني مربوط عضويا بالامبريالية العالمية . وفي داخل هذا المجتمع الاستيطاني الذي تحركه فعلا ديناميكية صهيونية ( هي نوع من التعبئة الشاملة للاسرائيليين ) ومع ذلك فان هذا التطور ، أي تطور الاستعمار الاستيطاني ، بعلاقته العضوية ، بالامبريالية يعاني تناقضات حتى على صعيد ما اشير اليه الان من ما يسمى باستيعاب اقتصادي لفئات اجتماعية في الشعب الفلسطيني نفسه فـي الارض المحتلة . اولا : ان هذا الاستيعاب محدود بحدود الاستغلال داخل المجتمع الاسرائيلي نفسه ، يعني ان هناك اضطهادا وحتى للمواطنين العرب في الارض المحتلة ، اضطهاد سـياسي واجتماعي أي لا ينالون حتى الحقوق التي ينـالها المواطـن الاسرائيلي . يعتبرون أصلا مواطنين في الدرجة الثانية او الثالثة ، هناك حتى في التطور الاقتصادي داخل اسرائيل من الممكن القول ان الحدود التي وصلها الان المجتمع الاسرائيلي لن تظل على هذه الوتيرة من النمو فبعض التناقضات بدأت تظهر ، تناقضات مثل تناقضات اليهود الشرقيين والغربيين . هل ستظل اسرائيل قادرة على تمويل اقتصادها مـن الخارج بنفس الوتيرة السابقة ؟ كل هذه عوامل تؤثر على كل مستقبل العلاقة بـين الشعب في الاراضي المحتلة وبين تكوين اسرائيل . الشيء الثاني : اذا كنا نريد فعلا أن ننظر للقضية الفلسطينية من منظار شعب فلسطيني واسرائيل ، سنرى انفسنا في نطاق اضيق من واقع اسرائيل كما تمثله هي فعلا ، يعني كما تمثله على صعيد كونها قاعدة امبريالية للمنطقة العربية كلها ، والتالي الى اي مدى تحدث المجابهة مع كل ما يحيط بالشعب الفلسطيني نفسه من علاقات عضوية بالجبهة العربية كلها . وهذا يظهر طبعا من خلال الاحتلالات الاخرى ، احتلال الجولان واحتلال سيناء . والتحدي الذي تمارسه القضية الفلسطينية بالمقياس العملي نفسه حتى بدون العودة الى النظريات هو كون الشعب الفلسطيني جزء من شعوب الوطن العربي ، وبالمقيـاس العملي نفسه فـان اسرائيل الان واقع امبريالي يتحدى كل البلدان العربية على الاقل المجاورة له ، هذا التحـدي هـو الذي يمكن النظر اليه من المقياس التاريخي . صحيح ان الاسـتعمار الاستيطاني اقوى ، والاستعمار الاستيطاني يجهز اكثر ، ويحاول ان يكون قاعدة

امبريالية اقتصادية واجتماعية وعسكرية ، ولكن كل ذلك لا يعني طرح المسألة على صعيد العقبات انما طرح المسألة على صعيد معنى الحرب الشعبية تجاه اسرائيل او معنى الحرب تجاه اسرائيل . على هذا الصعيد نستطيع فعلا ان نقارن بين فيتنام والوضع الحالي العربي . ان عدم قدرته على تحدي اسرائيل ليس ناتجا عن عدم فعالية المقاومة في الاراضي المحتلة ونحن نرى الان ان العجز العربي الحالي ، يحاول ان يبرر عجزه بهذا الشعار : استحالة المقاومة في الارض المحتلة لاسباب كثيرة . يبرز عجزه عن تحدي اسرائيل وبالتالي يعمل غطاء سميكا عن حقيقة التكوينات الداخلية في كل بلد عربي يعجز فعليـــا عن مجابهة عدو مثل الذي تمثله اسرائيل والصهيونية . قلنـــا انه يمكن ان ندرس بالمقارنة معنى فراغ الجبهة الداخلية العربية في الوطن العربي خاصة في الدول المعنية ويمكن ان ندرس معنى هزيمة حزيران والتناقضات التي ولدتها السنوات الاخيرة ، ويمكن ان ندرس كذلك الى اي مدى مجابهة اسرائيل تتم في نفس الواقع الذي تعتمد عليه اسرائيل ، واقع التخلف وواقع البنى المتخلفة الموجودة في كل بلد عربي . اتصور ان الخلاصة التاريخية الاساسية التي يمكن ان تكون مقارنة بالتجربة الفيتنامية في الوضع العربي الحالي هي بالمقياس التاريخي في الحرب الوطنية والى أي مدى هذا المقياس موجود ؟ والى أي مدى التعبئة الجماهيرية موجودة ؟ والى أي مدى نستطيع القول اننا نجابه اسرائيل في حدود نوع الاستعمار الذي تمثله اسرائيل .

**منير شفيق** : في الواقع ، بتصوري ان المقارنة دائما تحمل فروقا عديدة كثيرة بين اي تجربتين وبين أي وضعين وشعبين . وهذه الفروق هي أيضا أساسا تاريخية وشعبية ، اقتصادية وثقافية بالمعنى الواسع للكلمة . وكذلك بالنسبة لوضع العدو ، وحتى ان مقارنة الحرب الاخيرة التي خاضها الشعب الفيتنامي مع الحـــرب التي خاضها ضد الاستعمار الفرنسي نجد فروقا عديدة . الفروق والمقارنات قد تكون في كثير من الاحيان مضللة في الوصول الى النتائج الصحيحة . لانه باعتقادي ، حتى نستطيع ان نحدد فروقا دقيقة وأن نحدد نقاط الالتقاء الدقيق لا بد من أن يكون بين ايدينا تحليل دقيق للسمات الخاصة لوضع بلادنا وعلى هذا الاساس يمكن اجراء مثل هذه المقارنة . لان في اتخاذ الوضع الذي وصلته فيتنام في المرحلة الحالية ومقارنته بالوضع الحالي سواء بالنسبة للثورة الفلسطينية او بالنسبة لحركة التحرر العربي وللوضع العربي عموما لا يمكن ان يوصلنا الى استنتاجات دقيقة وصحيحة . فعلى سبيل المثال لو أخذنـــا المستوى القتالي الذي وصلته الثورة الفيتنامية ولاحظنا مستوى ديناميكيته ، كما وصفه الاخ الهيثم لان هذا الوضع بالذات لم يكن موجودا في فيتنام دائما . فهو يعبر عن مرحلة راقية في تطور الثورة لا يجوز مقارنتها بمرحلة ادنى . كذلك ان هذا المنطلق يمكن ايضا ان يسحب على كل المجالات الاخرى . فعلى سبيل المثال لو اخذنا مستوى الحزب في فيتنام ، فماذا سيحدث حين نقارنه بالمحاولات الموجودة في بلادنا التي ترشح نفسها لتلعب الدور الذي يلعبه الحزب هناك ؟ سنجد ايضا المقارنة مريعة ومخيفة بالنسبة لوضعنا . فمن هنا استطيع ان اقول ان الاستفادة من دروس فيتنام يجب ان تكون فقط دليلا عاما ، ولا تصبح القالب الذي يطبق على بلادنا . اي اننا يجب ان لا نجعل من الدروس العامة هي الجواب لما يجب ان نعمله هنا . يعني حتى عندما نقول ان ثورة فيتنام اثبتت ان بمقدور شعب صغير اذا خاض حربا طويلة الامد ان ينتصر على اعتى قوة امبريالية . فهذا لا يكفي ، انه صحيح عموما ولكن يجب ان نثبته ايضا في بلادنا حتى تستطيع الجماهير ان تقتنع بهذا الموضوع . ولا يكفي ان نقول لجماهيرنا لقد انتصر شعب فيتنام اذا بمقدوركم أن تنتصروا انتم . يجب أن نقول ذلك ولكن لا يجوز ان نكتفي به ونبني كل عملنا عليه . وانما يجب ان نحلل لجماهيرنا اوضاع بلادنا واوضاع العدو وأوضاع الظروف التي نواجهها ونثبت اننا بالفعل نستطيع ان ننتصر على العدو المتفوق والمدعوم من الامبريالية العالمية . هذه النقطة التي اردت مـــن الاساس ان احول

النقاش باتجاهها وهي ان لا نقوم بمقارنات الا بحدود معينة فقط ونأخذها كدليل عام ولكن يظل التركيز والاساس بالنسبة لما يجب ان نقدمه من تحليل للسمات الخاصة للوضع في بلادنا وبعد ذلك يمكن ان نستطيع الوصول الى مقارنة أدق بين التجربتين . النقطة الثانية وهي متعلقة بقضية الثورة الفلسطينية والوضع العربي . صحيح ان من الخطأ القول ان بالامكان لثورة فلسطينية محضة ان تنتصر على العدو الصهيوني . وصحيح ايضا ان نقول ان هنالك تداخلا بين الثورة الفلسطينية والثورة العربية ، بل هنالك أكثر من تداخل ، ان هنالك وحدة عضوية بين الثورة الفلسطينية والثورة العربية فيما يتعلق بقضية تحرير فلسطين . ولكن الشيء الذي يجب ان نحدده هو ما هي هذه العلاقة بالضبط ؟ هنا يمكن ان أطرح ثلاث سمات اساسية: الاولى **ان الثورة الفلسطينية واعطاء الاولوية لقضية تحرير فلسطين يشكلان شرطا أساسيا لتفجير الثورة العربية وتكوين القاعدة المحررة والمشاركة العربية** . الثانية ان تحقيق اجزاء من اهداف الثورة العربية يتم من خلال وفي اثناء الشرط الاول **ويصبح هو بدوره شرطا أساسيا لاستمرار الثورة الفلسطينية ولانجاز عملية التحرير** . الثالثة : في اثناء هذه العلاقة الجدلية تتحقق الوحدة العضوية للثورة في بلادنا ليس بالنسبة لقضية تحرير فلسطين وانما بالنسبة لسائر اهداف الثورة العربية وقضاياها . يعني القضية ليست مجرد وصف بأنهما متداخلة او ان هنالك علاقة عضوية بين الجانبين وانما المطلوب تحديد ما هي سمات هذه العلاقة الاولية ؟ من أين نبدأ ؟ وفي اثناء عملنا كيف يمكن ان نرى العلاقة والسمات في عملها في ميدان التطبيق العملي ؟ أن اهمية هذا التحديد ينبع من انه يصبح مرشدا نظريا واضحا للقوى الذاتية الطليعية لرسم سياساتها ولخوض نضالاتها .

**محمود سويد** : في تقديري اننا ونحن نحاول استلهام دروس التجربة الفيتنامية في الصراع العربي الاسرائيلي ، لا بد من القاء نظرة على الوضع العربي الراهن الذي نستلهم فيه مثل هذه الدروس . الظرف العربي الراهن يتصف — برأيي — بالسمات التالية : أو الخريطة السياسية للوطن العربي حاليا هي على الشكل التالي : (أ) انظمة رجعية تدور في فلك الامبريالية العالمية ومتواطئة معها ، استفادت من النصر الاسرائيلي سنة ١٩٦٧ ونتائجه باستعادة الكثير من مواقعها على حساب الانظمة التي كانت تسمى تقدمية ثم متقدمة ، وعلى حساب حركة التحرر العربي . (ب) انظمة بورجوازية دولية فشلت في انجاز مهمات الثورة الديمقراطية ، بعضها قطع في تراجعه شوطا بعيدا في تجديد الانخراط بالعلاقات الامبريالية والتعايش مع الانظمة الرجعية في المنطقة ، وتصفية الصراع مع الطبقات القديمة في مجتمعاته، والاستسلام لشروط السلم الاميركي — الاسرائيلي. وبعضها الاخر يشكل حاجزا بين المقاومة الفلسطينية والجماهير العربية في اقطاره ويتصرف على اساس انه البديل عن تفاعل وتضامن هذه الجماهير مع المقاومة . (ج) حركة تحرر عربية بعضها ينتمي الى الانظمة ويلتزم ببرامجها ، وبعضها الاخر لم يستطع ان يثبت قدرته على حمل مصالح الجماهير وادعاء تمثيلها ، وبعضها الثالث يحمل السلاح ويقاتل في أماكن مختلفة من الوطن العربي . وحركة التحرر العربية بمجملها ضعيفة ومفككة تعيش على صمود حركة المقاومة وانتصاراتها ولا يفيد في معالجة ازمتها تغير اسمها من مساندة الى مشاركة . (د) نهوض الشعب الفلسطيني بقيادة ثورته المسلحة كحلقة مركزية في نضال قوى التحرر العربي وصمودها في هذه المرحلة . هذا الظرف العربي يحيط به ظرف اقليمي ، محور يطوق حركة التحرر العربي ، يمتد من السعودية الى اسرائيل فالاردن فتركيا فايران في المشرق العربي فأثيوبيا في شرق افريقيا . تحتل اسرائيل مركز الثقل في هذا المحور في الشرق العربي وتحتل ايران مركز الثقل في الخليج . على الصعيد الدولي : الظرف الدولي : فشل الطريق اللارأسمالي الى الاشتراكية الذي شكل محور العلاقة بين انظمة عسكرية وطنية وبين الاتحاد السوفياتي في آسيا وافريقيا في المرحلة السابقة . واقترن ذلك في

السنوات الاخيرة بانتصارات حققها مبدأ « نيكسون » ضد قوى التحرر في آسـيا وافريقيا بشكل خاص . وضع مريح للولايات المتحدة في الشرق الاوسط ، على عكس فيتنام ، أي عدم حاجتها الى التدخل العسكري المباشر نتيجة كفاءة اسرائيل وقدرتها على استيعاب التقدم العسكري الاميركي . ونتيجة عجز الوضع العربي بالطبع . وتأكيدا لهذا الوضع يلاحظ في الاونة الاخيرة سعي الولايات المتحدة واجهزة الاعـلام الصهيونية للافادة من ازمة الطاقة العالمية ومحاولة افتعال مسألة نقل الاهتمام العالمي من صراع عربي ـ اسرائيلي الى صراع في الخليج . يتسم الظرف الدولي الذي يدور فيه الصراع العربي ـ الاسرائيلي ايضا بنمو العلاقات التجارية والاقتصادية بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة وقطع خطوات واشواط متقدمة على صعيد التعايش السلمي انطلاقا من علاقات من هذا النوع . ثم دخول الصين الشعبية الامم المتحدة والعلاقات مع الولايات المتحدة وتأثير كل ذلك على سياسة الصين الخارجية . في ظل هذه الظروف العربية والدولية يدور الصراع العربي ـ الاسرائيلي . ماذا تفيد حركة التحرر العربي والفلسطينية من التجربة الفيتنامية ؟ في اعتقادي ان المرحلة التي وصلت اليها حركة التحرر العربي تطرح قضايا الحزب والجبهة والتعبئة الجماهيرية الثورية بأفق حرب الشعب الطويلة المدى . وهي قضايا مطروحة على صعيد المقاومـة الفلسطينية من جهة وعلى صعيد حركة التحرر العربي من جهة ثانية . كذلك هنـاك الخط المستقل والملتزم اساسا بالماركسية اللينينية ، والممثل لمصلحة الثورة العربيـة على اساس ان ما تنجزه هذه الثورة يشكل مساهمتها بالثورة العالمية . اي ان قيمة اي موقف من الخلافات النظرية والسياسية داخل المعسكر الاشتراكي تتحدد من موقع الثورة العربية في معسكر قوى التحرر العالمي ومن مساهمتها في هذا المعسكر، وانطلاقا من ان مصلحة الثورة العربية هي في الصراع ضد قوى امبريالية وعميلة من جهـة وبين جماهير مقهورة ومستغلة واوطان محتلة من جهة اخرى . ثم هناك درس آخر هو الاعتماد على القوة الذاتية الذي يحدد قيمة المساعدات الخارجية ويحسن توظيفها وفي هذا الصدد يمكن الاشارة الى النموذج المصري، اي المعونات الخارجية السوفياتية، التي بغياب العامل الداخلي لم تستطع ان تحول فعلا المجتمع المصري الى الطريق الاشتراكي ولم تستطع ان تحقق التحرر الوطني . وينبغي بالتالي ، اعتبار العـامل الذاتي هو العامل الاساسي في معركة التحرر الوطني وطريق التحول الى الاشتراكية .

ولا بد هنا طبعا من الاشارة الى ما عناه النظام المصري في الحديث عن الاعتماد على العامل الذاتي وتعارض ذلك مع ما يعنيه الاعتماد على العامل الذاتي والقوى الداخلية في التجربة الفيتنامية . لذلك لا يمكن ان يكون معنى الاعتماد على القوى الذاتية طـرد المساعدات السوفياتية وتصفية القوى الوطنية بدلا من تعبئة الجماهير لحرب شعبية طويلة المدى. ولا بد من أن نلاحظ في رؤيتنا للواقع العربي الراهن ازدياد وتصاعد موجة القمع للحركة الجماهيرية المترافق مع الخطوات الاستسلامية . هذا التصاعد يستدعي تمرس فصائل الحركة الجماهيرية العربية بأشكال نضال متقدمة على الاشكـال التي تمارس من سياسية واعلامية وتظاهرات شعبية الى تنظيم عمل مسلح ومتسع على غرار الثورة الفلسطينية وثورة ظفار ، وهي النماذج القائمة في المنطقة العربية .

وأود ان اشير اخيرا الى انه في هذا الوضع لا بد من رؤية ما احدثه نهوض الشـعب الفلسطيني المسلح والثورة الفلسطينية ـ بالرغم من كل عوامل الضعف التي تعاني منها ـ وعلى الرغم من كل عوامل القوة التي تتمتع بها اسرائيل . لا بد من ملاحظة ان اسرائيل تقع هي الاخرى في مأزق تاريخي ، وهذا المأزق التاريخي يتمثل بأنها تواجـه مشكلة المسألة الوطنية للشعب الفلسطيني سواء في حالة الحرب او في حالة السلم . اذا انتهت المنطقة العربية مرحليا او حاليا الى نوع من الاستسلام المتمثل في التسويات السلمية المطروحة فان ذلك لا يؤدي الى انقاذ اسرائيل من مأزقها الفعلي بمواجهة

الشعب الفلسطيني المسلح وحركة التحرر العربي النامية . كذلك اذا استمر المأزق العربي الراهن ولم تتوصل الانظمة العربية الى الحل السلمي الذي تنشده فان اسرائيل تواجه ايضا مأزقها التاريخي هذا . وهي تواجه هذا المأزق سواء ضمت اليها المناطق المحتلة بالجماهير العربية الفلسطينية فيها او تخلت عن هذه المناطق لتنضم من جديد الى مملكة حسين او تشكل دولة فلسطينية . في كل هذه الحالات تواجه اسرائيل في الحقيقة مأزقها التاريخي بقيام ونهوض الشعب الفلسطيني المسلح وحتمية تفجر التناقضات التي ينطوي عليها الوضع العربي لمصلحة قوى التحرر العربي بالتحليل الاخير .

**محمد كشلي** : فيما يسمى بالشعار المقارن بـ « هانوي عربية » أي شروط انتصار المقاومة الفلسطينية بالمقارنة بالوضع الفيتنامي الجنوبي والشمالي من خلال الوضع العربي الراهن . بتقديري هذه المقارنة بحاجة الى دراسة المعنى التاريخي لشعار « هانوي عربية » او لعلاقة الثورة الفلسطينية بالوضع العربي . الملاحظة التاريخية الاساسية ان هزيمة حزيران لم تكن بالطبع — وهذا اعتراف معظم الافكار — لم تكن هزيمة عسكرية ، بل كانت هزيمة لكل الهياكل التي كانت تقف خلف الحرب وخلف الناحية العسكرية . اذا درسناها بعمق سنلاحظ ان المسألة الاساسية تتعلق بان طريق البناء الرأسمالي الاقتصادي للوضع العربي فشلت في المرحلة التاريخية . المرحلة الاولى التي حاولت فيها البورجوازية التصنيع ورافق هذه المحاولة نوع من البرلمانية للاحزاب الحاكمة نفسها ، فشلت ، وحاولت اجهزة عسكرية وتكنوقراطية ، أي جهاز الدولة نفسه ان يقيم تنمية رأسمالية رافضا الطريق السياسي للبورجوازية ولكن بنفس الاهداف التي كانت تريدها البورجوازية وعجزت عن تحقيقها ... أي ان حتى ما يطلق عليه الان بالحريات الديمقراطية للجماهير — وهذا الشعار يتردد الان من المغرب حتى الخليج — الذي يرتبط بالمسألة الوطنية ... أي الانجاز الليبرالي للبورجوازية لم يتحقق للجماهير حتى الان ، لا على يد البورجوازية ما قبل الانقلابات العسكرية ولا على أيدي المحاولة الاجتماعية — الاقتصادية الاخيرة . فالمرحلة الحالية للقضية الفلسطينية التي ظهرت بعد هزيمة الخامس من حزيران يتضح أكثر فأكثر ان علاقتها بالصراع الداخلي العربي ، يعني الصراع الذي ينفجر والتناقضات التي تتفجر الان احيانا بعمق واحيانا مضمورة ... تتفجر بأثر الهزيمة نفسها في كل بلد عربي مربوطة بما عجزت البورجوازيات العربية عن تحقيقه وهي انجازاتها التاريخية : الديمقراطية السياسية للجماهير ، التصنيع الخ... كل الانجازات التي انجزتها البورجوازية الاوروبية على صعيد التحرر العقلي والتخلص من الذهنيات الاقطاعية الخ ... هذه المهمات التي تعتبر مهمات بعيدة نجد انفسنا في كل مرحلة نقترب من المأزق لمجابهة اسرائيل ان الثورة الفلسطينية والنهوض الوطني الفلسطيني المسلح مرتبط فعليا بها وبمدى يقظة الجماهير العربية السياسية اي قدرتها على التحرك السياسي والاجتماعي في داخل كل بلد عربي ، وهذا التحرر له اصعدة مختلفة تبرز في كل مرحلة حسب طبيعة النضال التي تخوضه الحركات الجماهيرية . لذلك مثلا نلاحظ الان ان الرد على المأزق بين التسوية السلمية وبين النهوض الفلسطيني المسلح هو شعار الحريات الديمقراطية للجماهير . هذا الشعار يمثل المأزق والهوة التي تقع في العلاقة بين الثورة الفلسطينية وبين التغيرات الداخلية التي تفجرها الطاقات الشعبية ما بعد الخامس من حزيران ( يونيو ) . أي ان التغير الداخلي والصراع الداخلي في كل بلد عربي مرهون بالنهوض الوطني الفلسطيني ، وبنفس الوقت فأن النهوض الوطني الفلسطيني ليس له افق الا بمقدار ما تفجره الصراعات الاجتماعية والجماهيرية في كل بلد عربي على صعيد تغيير وضعها وتغيير تكوينها وبروز حركات سياسية تعبر عنها . أتصور هذه المرحلة المعقدة في معناها التاريخي ، هي التي تشكل الان عقدة الموقف العربي تجاه ما يسمى بالعجز

العربي عن مجابهة اسرائيل وبالحل السلمي وبغير هذه المشاريع ، وحتى بمشاريع ترتبط بالشعب الفلسطيني نفسه كالدولة الفلسطينية . اي ان نهوض الشعب الفلسطيني الوطني في مقياسه التاريخي مرهون بمقدار علاقته العضوية بالتغييرات التي لا بد ان تحدث داخل كل بلد عربي سواء وقعت التسوية السلمية او لم تقع ! اذا وقعت التسوية السلمية ستصطدم الطبقات الحاكمة بازماتها الداخلية الاقتصادية والاجتماعية وتناقضاتها الطبقية الموجودة فيها ، واذا لم تقع التسوية ، سترى ان التناقضات الداخلية ستنفجر باستمرار على ارض المسألة الوطنية نفسها ، اي على العجز عن تحرير الارض المحتلة .

**منير شفيق** : لي ملاحظة على كلام الاخ محمد كشلي ، طبعا من طرحه للموضوع يبدو انه متفق مع الطرح الذي قلت به حول العلاقة بين الثورة الفلسطينية والثورة العربية ولكن في الواقع هنالك نقطة خلاف . نقطة الخلاف هذه هي أن نهوض الشعب الفلسطيني او بقاء الثورة الفلسطينية واستمرارها وعملية الاستمرار في معركة التحرير ضد العدو الصهيوني اذا كانت تشكل الشرط لاحداث تغييرات ثورية في الوضع العربي، وهذه بدورها تشكل شرطا لبقاء واستمرار الثورة الفلسطينية وتشكل شرطا لتحويل المعركة من معركة بين الشعب الفلسطيني او الثورة الفلسطينية والعدو الصهيوني الى معركة على المستوى القومي بين الجماهير العربية والثورة العربية من جهة وبين العدو الصهيوني والامبريالية العالمية والقوى المضادة للثورة من جهة اخرى . الا ان التغيرات التي تحدث في الوطن العربي هي أيضا مشروطة ان تكون باتجاه استراتيجية المعركة ضد العدو القومي . يعني ان المسألة ليست مجرد تفجير الصراعات او تفجير الصراعات واسقاط طبقات مستغلة واعطاء ديمقراطية للجماهير يمكن أن يكون هو الشرط ان لم يكن مربوطا باستراتيجية وبرنامج استمرار المعركة ضد العدو القومي . اهمية هذه الملاحظة هي في التطبيق العملي وفي البناء النظري والتنظيمي وفي الاستراتيجية والتكتيك وقضايا البرنامج الخ ...

السؤال الاهم هو حين تستطيع الثورة العربية ان تنجز احدى مهامها في هذا القطر العربي او ذاك ، هل ستتحول الى محاولة بناء « ثورية » لهذا القطر بما في ذلك التنمية الاقتصادية على أشكال محددة . ام ستخضع كل اجراءاتها وترتيباتها وسياساتها من أجل الاستمرار في دخول المعركة ضد العدو القومي، يعني هل سيرتبط كل ما سيحدث فيهذه الاوضاع العربية لخدمة الاستمرار في المعركة ام ستأخذ اتجاهات اخرى ؟ النقطة هنا تعني تماما ان الثورة العربية في هذه الحالة لن تواجه مسألة اقامة دويلات «اشتراكية» في هذا الاقليم او ذاك ، وانما تصبح المسألة مسألة بناء قاعدة محررة للثورة العربية ككل وتشارك في صدام مباشر وتضع كل امكانياتها وكل ترتيباتها من أجل الاستمرار في القتال ولخدمة هذه المعركة. هناك سؤال اريد ان اسأله للاخوان اذا ممكن حولقضية الدروس المستقاة من تجربة فيتنام : هل يمكن اعتبار تجربة فيتنام انها اضافت شيئا جديدا الى السمات العامة المستقاة من التجارب الثورية ، العالمية ؟ واذا كان ذلك قد حدث فما هي هذه السمات ؟

**المقدم الهيثم الايوبي** : بالنسبة لسؤال الاخ منير فهذا موجود في دراسة الاخ ناجي علوش ، لقد ضمن دراسته الدروس التي اضافتها الثورة الفيتنامية على الصعيد السياسي وعلى صعيد التكتيك والاستراتيجية وعلى صعيد الاستخبارات والشؤون الادارية وقضايا الامداد والتموين الخ .

**منير شفيق** : لتوضيح سؤالي : يلاحظ تماما عندما نتحدث عن الدروس انه باستطاعة شعب متخلف ان ينتصر على قوة امبريالية متفوقة ، مقدرة حرب الشعب بتعبئة وتفجير طاقات الشعب لكي تواجه اعلى اشكال التعبئة . كذلك مثلا اهمية الحزب ، الجبهة

العريضة ، قضية عزل العدو ، قضية العمل في المجال العالمي قضية السياسة الصحيحة ، الخ... كل هذه القضايا التي وضعت على انها سمات أساسية للثورة الفيتنامية هل تخرج عن السمات العامة للثورة المسلحة عموما وللسمات العامة للثورة المسلحة التي تأخذ صفة حرب الشعب طويلة الامد .

**داود تلحمي** : سأتكلم عن نقطة تعرض لها الاخ محمد كشلي بالنسبة للوضع العربي والوضع الفيتنامي بصدد كلامه عن عدم نجاح البورجوازية العربية في تحقيق وانجاز اي تقدم اقتصادي حقيقي او في تحقيق الديمقراطية اللبرالية على مستوى الحريات البرجوازية . اذا قارنا الوضع الفيتنامي وقارناه بالواقع الفلسطيني مثلا او الاوضاع العربية نرى ان الوضع الفيتنامي يتميز بأنه كان وضعا اقطاعيا استعماريا ، اقطاعيا واقعا تحت سيطرة استعمارية اعني أن فيتنام كانت تركيبتها الاجتماعية تركيبة اقطاعية لم يمسها بشكل جوهري دخول الاستعمار الفرنسي لتطويرها اقتصاديا لمستوى اعلى . طبعا الوضع الفلسطيني بحكم الاجلاء وبحكم توزيع الفلسطينيين على أكثر من بلد وضع معقد . أصبح الشعب الفلسطيني في المنطقة المحتلة في ظل وضع استعماري، راسمالي بحكم طبيعة اسرائيل — راسمالي مرتبط بالامبريالية مع كل تعقيدات وخصوصيات الراسمالية الاسرائيلية اذا صح هذا التعبير — والجزء الاخر متوزع بين دول عربية تعاني وتعيش في اوضاع متراوحة ما بين الاقطاع وحتى البداوة المتخلفة ، كما هو الحال في الاردن وما بين برجوازية الدولة وبين التصنيفات التي ذكرها الاخ محمد سويد وبين تعايش الاقطاع الطائفي والاقطاع الاقتصادي والديمقراطية الشكلية ، كما يحدث في لبنان . هنا يطرح سؤال : هل بالفعل ، والتجربة الفيتنامية طبعا اجابت على هذا السؤال — هل بالفعل نحن بحاجة الى المرور بمرحلة البورجوازية الليبرالية ، او هل حتى نحن بالامكان ان نمر بهذه المرحلة حتى في ظروفنا الحالية ؟ التجربة الفيتنامية كانت تجربة انتقال من مرحلة ما قبل الراسمالية — مرحلة اقطاع ، الى مرحلة بناء الاشتراكية ، على الاقل في الجزء الشمالي لفيتنام . وكل الدراسات والمعلومات قد اثبتت انها نجاح كبير . الوضع العربي . معظم الدول العربية الان ممكن أن تقول أنها افسدت من قبل الاستعمار ، اي حاول الاستعمار ، في معظم الدول العربية ان يدخل عليها نوعا من التطور الشبه بورجوازي الذي هو في الواقع في ظل السيطرة الامبريالية على السوق العالمية لا يمكن ان يكون بورجوازيا وطنيا لا يمكن الا ان يكون مرتبطا بشكل من الاشكال بالاستعمار الجديد . بعد نمو الراسمالية اليابانية لم تنم هناك ، خارج اوروبا واميركا الشمالية ، بورجوازية وطنية حقيقية ، لم تنم هناك ، راسمالية حقيقية مستقلة في اي من دول العالم الثالث واي محاولة لتطور بورجوازي راسمالي كلاسيكي، كما يحدث في البرازيل مثلا ، تنتهي في النهاية الى عودة في ركاب الاستعمار الجديد بحكم دخول رؤوس الاموال الاجنبية. هنا يطرح علينا، ليس في حالة فلسطين، لان الواقع كما ذكرت معقد ، لكن في حالة الدول الاكثر تخلفا في العالم العربي مثل الخليج وجنوب الجزيرة العربية ، امكانية الانتقال من مراحل ما قبل الاقطاع ، اي مراحل البداوة الى مرحلة البناء الاشتراكي . هنا تجربة كتجربة اليمن الجنوبية قد تكون معنية في هذه الناحية . نقطة اخرى احببت ان أتكلم عنها بصدد الكلام حول طابع الاستيطان الاسرائيلي وطابع الاسكان الاسرائيلي ، الذي بدأ بالتطرق اليه الاخ تحسين بشير .

لقد رفضت المقاومة فكرة الامة الاسرائيلية التي لها في النهاية نتائج: وهي الاعتراف بحق تقرير المصير لهذه الامة على ارضية معينة . بالمقابل ، اليهود الاسرائيليين لا يمكن ان يشبهوا — بالمقارنة مع فيتنام — بجيش غزو ، كالجيش الاميركي . ولا يمكن ان يشبهوا حتى بالمستوطنين الفرنسيين في الجزائر ، الذين بلغوا المليون وبقوا مئة وخمسين عاما، لكنهم كانوا مرتبطين « بأرض أم » كانت في النهاية ملجأ لهم . يبقى وضع اليهود والاسرائيليين وضع مميز . هم مرتبطون « بوطن أم » ( في نظرهم ) دون حدود جغرافية

الذي هو المجموعة اليهودية العالمية التي يحاولون استقطابها لهذه الارض ، ولكن في النهاية لهم الان شعور ذاتي بانهم منغرسون في هذه الارض التي يقيمون عليها ، هذا بالنسبة لنا ، لا يعني بالطبع الاعتراف من طرفنا بالحق لهم بهذا الشعور ، انما من باب الواقعية الثورية في وضع خطة او استراتيجية تحرير ، لا بد من الاخذ بعين الاعتبار هذا الشعور الذاتي عند العدو وبالتالي استعداده الاقوى من استعداد الجنود الاميركيين في فيتنام للدفاع عن وجوده البشري في فلسطين وبالتالي ، الحاجة من قبلنا الى تحليل المجتمع الاسرائيلي كما هو للاخذ بعين الاعتبار التناقضات التي قد تنشأ ليس من تلقاء نفسها نظرا لارتباط اسرائيل اقتصاديا بعجلة الامبريالية العالمية انما بالضغط العسكري الفلسطيني والعربي . اعني انه لن تبرز التناقضات الاسرائيلية ، ولن تتطور ولن تشكل خطرا على الوجود وعلى الوحدة الاسرائيلية وعلى هيمنة الايديولوجية الصهيونية على اليهود الاسرائيليين الا بوجود ضغط عسكري فلسطيني وعربي يهدد الكيان الاسرائيلي يرافقه توجه سياسي ثوري للافراد. هذا طبعا لاستكمال هذه النقطة. نقطة اخيرة ، احب أن اشير لها في معرض الكلام عن التجربة الفيتنامية ولم يشر لها هي بتقديري : **اهمية القيادة** . طبعا تكلمنا عن دور الحزب والجبهة انما اقصد اكثر من ذلك اهمية القيادة كافراد ، عنصر الافراد القياديين . لقد توفرت في فيتنام قيادات من نوع تاريخي ، « هوشي منه » مثلا ليس قائدا عاديا ، هو قائد تاريخي . جياب ليس استراتيجيا عسكريا عاديا ، هو عسكري استراتيجي من كبار الاستراتيجيين الذين انجبهم علم الحرب خلال القرون الاخيرة هذا باعتراف اعداء الشعب الفيتنامي نفسه . فالعنصر الذاتي في التجربة الفيتنامية هو عنصر مهم ولا بد من توفره كذلك مع الشروط الاخرى التي هي طبعا حيوية جدا في المنطقة العربية ، الشروط التي تكلمنا عنها في كل كلامنا السابق .

**تحسين بشير** : اجد اننا نعيش الان في بحر من الاسئلة ، بعد هذه المناقشة ، لقد ابتدأ الاخ منير مجموعة من الاسئلة الجيدة. الاخ داود اكمل عليها. ولكن يتردد في راسي: لماذا لم تتمكن البورجوازية العربية من أن تكون على درجة من الكفاءة الموازية للبورجوازية الصهيونية لتتمكن من الانتصار عليها او حتى ردعها او حتى الحد منها ؟ لماذا لم تتمكن الثورة الفلسطينية تخطي الكثير من العقبات ؟ لماذا لم نتعلم سياسيا واجتماعيا من هزيمة ١٩٦٧ ونكون جيشا تكوينه مختلف وتفكيره مختلف ؟ لماذا اذهب للجزائر مثلا ، فيقول لي احد المجاهدين القدماء ، احنا حاربنا وقهرنا فرنسا ، عملنا حرب شعبية وانتم في فلسطين او في المشرق لا تريدون ان تتعلموا . ومع ذلك اجد منطلقات تؤخذ بشكل اتوماتيكي . كان كل عربي يجد في التحرير قضيته الاولى ، في حين اجد اولويات مختلفة وتفكير مختلف . المجاهد الجزائري يعتقد انه قد مارس حرب شعبية ونجح فيها وانه الان يدخل مراحل البناء الاشتراكي كما يتصوره . بالنسبة له في الجزائر ، مشكلة فلسطين هذه هي مشكلة يتعاطف معها دينيا — وقوميا بحد اقل — ولكنها مشكلة هناك في فلسطين وعندكم في مصر وبعيدة . كثرت التساؤلات في راسي ، والواقع نتيجة هذه التساؤلات كيف لم نتمكن سواء الاشتراكيون وسواء الاشتراكيون المنادون بالحرب الشعبية وسواء المثقفون الثوريون وسواء الثوريون غير المثقفين ، ان نحول هذه الاراء التي من ١٩٦٧ الى الان اصبحت كلاما يعاد يوميا في المقاهي ، الى قيم جديدة حية وتطبيق حي . هذه هي التساؤلات التي خرجت فيها . ولعل هذه التساؤلات بالممارسة الحقيقية سيجيب عليها الجيل الحالي او الجيل القادم بشكل اكثر ايجابية . ولكن ارجو ان اعلق تعليقا بسيطا على آراء الاخ الهيثم العسكرية ، وهذا يتعلق بمسألة ما هو النصر وما هي الهزيمة . الثورة الفيتنامية قدرة . كثيرون سيقولون ان اتفاقية وقف اطلاق النار هذه ليست نصرا . هي تغيير النزاع ، مرحلة النزاع اخذت شكلا اخر ، وهذه الولايات المتحدة على علاقات طيبة مع الاتحاد السوفياتي والصين . قد يكون

هذا صحيحا ولكن لا شك ان الموقف في الهند الصينية قد تغير كذلك ، واساس هـذا التغيير هو تطبيق معنى النصر في فيتنام . ان الهزيمة والنصر لا يقاسان باحتلال القاهرة او بيروت او كل الارض الفلسطينية . انما النصر هو ان تصل بعدوك الى مرحلة يشعر فيها شعورا نفسيا بأن مواصلة النزاع عن طريق الكفاح المسلح لا فائدة منها . ومن هنا قدرة الفيتناميين على اشغال الاميركيين في السنتين الاخيرتين من النزاع المسلح ضدهم. مهما زادت عدد القنابل او الغارات الجوية او الالغام فلن تؤدي الى نصر اميركا . ولعل العرب او بعض الجيوش والشعوب يتعلمون من تحديد معنى النصر هذا ، على الاقل في معناه الادنى ، وهو الاستمرار في الكفاح على أن يكون هذا الكفاح ، واضح الهدف لنا وللعدو الذي نحن نكافح ضده . وهل هو قادر على استقطاب ليس فقط شعوبنا بل قادر على استقطاب شعوب العالم وتفتيت وتجزئة القوى المعادية .

**محمود سويد** : تعليق فقط على افتراض الاخ منير قيام دويلات اشتراكية بصرف النظر عن المسألة القومية . في اعتقادي ان اسرائيل بعد ٦٧ اجابت عن هذا السؤال برفع مستوى تدخلها في المنطقة العربية وتشكيل نوع من بوليس يلاحق التجارب العربية حيثما ينبغي ان يتدخل ، ونموذجا الاردن ولبنان يشيران على وجه التحديد الى مستوى التدخل الاسرائيلي في المنطقة . لو كان هناك أي أمل للمقاومة الفلسطينية في أن تنتصر في الاردن لتدخلت اسرائيل ولتدخلت الولايات المتحدة واحتلت الاردن وكذلك لو كان هناك أي امكان لقيام حكم وطني ديمقراطي ملتحم مع المقاومة الفلسطينية في لبنان . تعتبر اسرائيل ، بعد ٦٧ ، ان المعنى الرئيسي لانتصارها ، وهذا هو معنى اصرارها على المفاوضات المباشرة وعلى السلم الكامل ، هو تقاسم الثروات في المنطقة العربية مع الولايات المتحدة والامبريالية العالمية والانظمة الرجعية وهذا هو بالضبط ما تعنيه اسرائيل عندما تعلن باستمرار انها هي التي تشكل العامل الرئيسي في مساعدة الولايات المتحدة على حماية الانظمة التابعة لها في المنطقة العربية . هذا من جهة ومن جهة ثانية لا بد من سؤال اخر هو اية أنظمة تبني الاشتراكية ؟ هل هناك فعلا امكان بناء الاشتراكية بصرف النظر عن مسألة التحرر القومي ؟ هل هناك مثلا امكان تجاهل تجارب المنطقة العربية نفسها في مسألة بناء الاشتراكية ؟ ألم يكن فشل هذه الانظمة في حل المسألة القومية مساويا لفشلها في حل المسألة الاجتماعية اي بناء الاشتراكية . وبالتالي هذا يطرح مسألة من يقود معركة التحرير ؟ ومن يقود في الوقت نفسه معركة بناء الاشتراكية ؟ اكثرية فلاحية في المنطقة العربية على غرار الاكثرية الفلاحية في فيتنام يقودها في فيتنام حزب الطبقة العاملة المسلح بالنظرية الماركسية ــ اللينينية . هل هذه هي فعلا ــ المسألة الرئيسية في المنطقة العربية ــ بعد كل التجارب التي عرفتها هذه المنطقة ؟

**منير شفيق** : ملاحظة على ملاحظات ... الاخ محمود سويد : اولا صحيح ان مسألة التدخل الاسرائيلي مسألة واردة تماما لضرب أية حركة تهدف الى احداث تغيير داخل الارض العربية . هذا بالضبط ما قصدته من أن اي تغيير ثوري حقيقي سيتخذ له مكانا على الارض العربية لا بد من ان يتحول الى قاعدة محررة تواجه العدو الصهيوني في معركة دائمة ، تأخذ على عاتقها مهمة القتال ضد العدو ، ولكن رغم ذلك فان هذا لا يعني احتمالات الانحراف الاقليمي وخاصة من قبل قوى تتشكل الان في الارض العربية، يمكن أن تصل الى الحكم ثم تعقد معاهدات مع دول كبرى وتفرض نوعا من المساومة مع العدو الصهيوني والمهادنة في مقابل ان تلجأ الى محاولة بناء داخلي اقليمي . لذلك من الخطأ ان نترك المسألة فقط على أساس ان في التطور الواقعي للاحداث لا يمكن ان يحدث مثل هذا الارتداد الاقليمي ، خاصة وان الكثير من القوى والمنظمات المشكلة الان في البلاد العربية لا تضع قضية تحرير فلسطين وقضية القتال ضد العدو الصهيوني على رأس مهامها وانما تضع القضية على اساس دعم الثورة الفلسطينية ومساندة الثورة

الفلسطينية وهذا يعني ان كل تركيبها الداخلي وتعبئتها السياسية سواء للجماهير التي تعمل بينها او لتنظيمها هي ليست باتجاه القتال . هنا يصبح السؤال هل هذه الانظمة او هذه القوى عندما تصبح انظمة هل ستتحول الى مقاتلة أم أن قضية القتال ومسألة اعتبار قضية فلسطين على رأس مهماتها ليس فقط لاستراتيجية بعيدة المدى وانما أيضا على المستوى التكتيكي لنضالها اليومي . هل هذا هو ما سيحدث ام العكس ؟ من هذا المنطلق يمكن التحديد منذ البداية : كيف يمكن لحركة تقوم على أساس تقديم الوعود الطويلة العريضة لجماهيرها انها سوف تحل كل مشاكلها الاقتصادية وانها سوف ترفع مستواها المعيشي الى درجات أعلى فأعلى وتتعد بالتصنيع وتعد وتعد . . . ثم تقول أنها ستدخل الحرب . اتصور ان مبدأ واساس التحريض السياسي والبنـــاء التعبوي للجماهير العربية وبخاصة للطلائع الثورية يجب ان يكون منذ البداية مكرسا باتجـاه أن امامنا عدو قومي يهدد امننا القومي ويهدد امن الثورة العربية كلها ومستقبلهـا وبالتالي ومنذ البداية لا مناص من مواجهة الحرب معه والتهيئة لتعبئة كل القوى وترتيب كل الامور معنويا وتنظيميا وماديا لمواجهة هذه الحقيقة .

**المقدم الهيثم الايوبي** : كتلخيص للندوة ، وسيكون التلخيص ردا على سؤال الاخ منير شفيق السؤال هو هل اضافت الثورة الفيتنامية شيئا الى اسس الحرب الشعبية ؟ هل ابتدعتها ؟ هل هي سماتها ؟ ام ان هذه هي سمات الحرب الثورية بصورة عـامة ؟ الحقيقة ان الحرب الثورية طويلة الامد ضد الحرب المضادة طويلة الامد هي حرب ذات قوانين معروفة مبنية على التعبئة السياسية ، التعبئة الجماهيرية ، القيادة الواعية ، التلاحم مع الجماهير ، تشتيت العدو على الصعيد الاستراتيجي ، ثم التركيز في المجالات التكتيكية لضربه ثم التبعثر ثانية الخ . . . ان قوانين الحرب الثورية في العالم واحدة . ومنذ ان اندلعت الحروب الثورية في العالم وهذه القوانين تطبق بشكل او بآخر . ولقد طبقت في الاتحاد السوفياتي خلال حرب التدخل ، وطبقت في الصين ، وطبقت في كوبا وطبقت في فيتنـام الخ . . . ولكن في كل بلد من هذه البلدان كانت تطبق مـع أخذ الخصائص البشرية والجغرافية والايديولوجية بعين الاعتبار وادخال بعض التعديلات على القوانين الرئيسية التي تبقى هي قوانين الحرب الثورية الرئيسية . ما يمكن ان نقوله ردا على هذا السؤال وكتلخيص هو أن الثورة الفيتنامية التي انتصرت وقدمت مثالا ناجحا عن الحرب الثورية في عصرنا هذا قد طبقت قوانين الحرب الثورية بابداع مع اسهام خلاق في فهم هذه القوانين وتطبيقها على معطيات المعركة ، سـواء المتعلقة بالصديق او المتعلقة بالعدو او المتعلقة بالارض او المتعلقة بطبيعة النزاع العالمي واكبر درس تقدمه لنا الثورة الفيتنامية هو ضرورة فهم قوانين الثورة ، ودراسة جميع معطيات صراعنا والعوامل المؤثرة فيه وتطبيق قوانين الثورة وقواعدها علـى هذه المعطيات والعوامل مع كثير من الابداع والمرونة والروح الخلاقة .

# نقد المقاومة الفلسطينية ...
# وموضوعة الحزب والنظرية الثوريين

سعيد جواد

الحزب الثوري أم المقاومة المسلحة أولا ؟ هذا السؤال الكبير قفز الى المقدمة بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ . وكانت الاجابة عليه من أبرز المعضلات التي واجهت حركة التحرر الوطني الفلسطينية . ولقد استأثرت هذه المعضلة بأوسع الحوارات واكثرها أهمية حول طبيعة العلاقة بين المقاومة المسلحة والحزب ، وأي المهمتين تتقدم على الاخرى . وبتصاعد حركة المقاومة وتأكيد حضورها وفاعليتها العسكرية والسياسية كنتيجة حتمية للظروف التي خلقتها هزيمة حزيران وانهيار الانظمة والجيوش المهزومة **ارتدت الى الوراء موضوعة اسبقية الحزب الذي يقود المقاومة المسلحة** ، لتقدم الموجة الثورية الصاعدة جوابا للمناقشات النظرية حول هذه المسألة وتحسمها . عندها ، صعدت موضوعة **بناء الحزب الثوري من خلال تصعيد وتعميق حركة المقاومة المسلحة** واكتسابها مضامين طبقية وفكرية متقدمة .

الا أن نكسة معارك ايلول و**الردة الايديولوجية التي أعقبتها** ، ولا تزال ، وعلى امتداد فصول الانحسار المؤقت — **وهذا ليس جديدا في تاريخ الثورات** — جعلت أصوات عشرات المثقفين البرجوازيين **ومن مواقع مختلفة** ترتفع بدءا من « اطروحات » الياس مرقص حول فشل المقاومة وحرب الشعب واستبدالها بدور الجيوش العربية النظامية ، مرورا بكتابات العفيف الاخضر عن المجالس العمالية التي تقفز من فوق حاضر حركة المقاومة وواقعها وشروطها الشديدة الخصوصية ، وهي في الوقت نفسه تستنكف عن الخوض بالمعضلات الجدية الآنية التي تواجهها ومرورا كذلك بجميع العناصر التي « تدعي » الماركسية ، بعد ان وضعت نفسها خارج حركة المقاومة ، ونصبت من نفسها وصية عليها ، وأخيرا محاولة صادق العظم « النقدية » التي لن تكون الاخيرة . وهذه المحاولة رغم طابعها العام كمحاولة تقييم نقدية ، **وانطلاقها من مواقع مختلفة عن الكثير مما سبقها** ، واتسامها بقدر من الموضوعية في نقد بعض الظواهر المرضية التي رافقت حركة المقاومة ، الا ان انتقائيتها الصارخة ، والنتائج العملية التي تترتب على استنتاجاتها النهائية ( والعبرة بالنتائج ) **يجعلها تلتقي مع جميع المحاولات التي سبقتها** ، وتحديدا هي تلتقي معها في **أعدام الفصول الحاضرة من هذه المرحلة التاريخية** . وهذه الفصول ستترك آثارها الواضحة والعميقة ، ليس على حركة التحرر الوطني الفلسطينية فحسب ، بل على مجمل حركة التحرر الوطني العربية بفصائلها الديمقراطية والثورية ومستقبلها .

ان ما يميز هذه المحاولة هو : ( ١ ) ربطها التعسفي بين **خسارة معركة** ، **ونهاية دور قيادة سياسية** وطنية ذات طبيعة ومهام طبقية وفكرية محددة **لا تزال في مواقع وأشكال نضالية ثورية** تجعلها تحتفظ بكامل شروط استمرارها ما دامت تقاتل وترفض التسويات

التي تقود الى تصفية الثورة عمليا ، رغم التردد وعدم الوضوح الذي يطبع سلوك بعض عناصرها ، والتي تكفلت طبيعة الصراع والاتجاهات الشوفينية في معسكر العدو بالغاء هامش التراجع أمامها ، لحد الآن . ( ٢ ) ربطها بين **خسارة معركة** من جهة ونهوض قوى طبقية صاعدة يشكل تكونها ونهوضها أساسا موضوعيا **لبناء الحزب الثوري** من جهة أخرى وهو الذي سيكون الضمانة الاكيدة والوحيدة لاستمرار الثورة وايصالها الى نهايتها المظفرة .

ان العلاقة بين وجود واستمرار حركة المقاومة ، ونهوض شروط الحزب الثوري ، هي علاقة جدلية متداخلة ، وليست علاقة استاتيكية جامدة تجعل من وجود الحزب شرطا لوجود المقاومة . فالمقاومة حالة موضوعية تعبر عن وصول التناقضات بين الاحتلال الاستيطاني ووجود شعب فلسطين الى حالة التفجر والثورة ، وهي ستبقى وتستمر ما دام هناك **عدو واحتلال واضطهاد** في مواجهة **شعب وتمرد وارادة** ، رغم تعرضها لانتكاسات وانحسارات مؤقتة . اما الحزب الثوري الذي يمتلك نظرية ثورية لقيادة حركة المقاومة ، فيعبر قيامه عن استجابة موضوعية تاريخية محددة . وان عناصر تكوينه **تنمو فكريا وطبقيا في احشاء المقاومة الثورية المسلحة** . وهذا يعني ان الحزب والنظرية لا تشكلان في **الفصول الحاضرة من هذه المرحلة** شرطا لاستمرارها الا في تكويناتها الجنينية فكريا وتنظيميا . **والحزب لا يمكن ان يكون شرطا لاستمرار المقاومة** الا باختتام الفصول النهائية للمرحلة الحاضرة **ونهوض الشروط الموضوعية لقيام الحزب** الثوري الذي يقود المقاومة المسلحة الى فصولها النهائية وتبلور النظرية الثورية وسيادتها . تلك الشروط هي : نمو وتبلور الطبقة العاملة في كل مواقع تواجدها ، **وازدياد حجمها ووزنها العسكري والسياسي** في قلب حركة المقاومة . ان الفصل بين مرحلتي الثورة الوطنية والطبقية في حركات التحرر العالمية سمة لا تشارك الثورة الفلسطينية فيها من حيث استمرارها كحركة مقاومة مسلحة مستمرة غير متوقفة، وذات طبيعة طبقية تنتقل اداتها من المرحلة الثانية الى ( الطبقة العاملة ومعسكرها ) عبر جبهة كفاحية موحدة ... فالطبقة العاملة وحلفاؤها في المرحلة الاولى تقاتل مع القيادة الوطنية ما دامت الاخيرة تقاتل وترفض المساومة والتراجع .

ان من السمات البارزة للثورة الفلسطينية علاقتها الجدلية بحركة التحرر العربية والتي عبرها فقط يمكن الغاء ميزة تفوق العدو الصهيوني والامبريالي . **وتاريخيا** وبسبب شروطها الخاصة وطبيعة أعدائها ، **تنتمي الثورة الفلسطينية الى حركة التحرر الوطني العربية الديمقراطية والثورية** ، والاخيرة تناضل نضالا مزدوجا ضد الطبقات البرجوازية المسيطرة وضد العدو القومي . والمقاومة الفلسطينية تقاتل ضد العدو القومي والوطني وضد الانظمة التي تحاول التصدي لها حينما يشكل تصاعدها الثوري نقيضا لآفاقها الطبقية . من هنا تتكون **الارضية المشتركة لمعسكري الثورة** حركة التحرر العربية الديمقراطية والثورية وحركة المقاومة الثورية المسلحة في مواجهة **تضادها** . هذه الارضية هي أساس العلاقة العضوية بين حركة التحرر الديمقراطية الثورية العربية والفلسطينية **وعبر هذه العلاقة الجدلية تتحول الى حركة عربية ديمقراطية وثورية** .

من هنا ، وما دامت الطبقة العاملة ومعسكرها في احشاء الثورة الفلسطينية نامية متطورة ، فان **مهمة بناء الحزب الثوري** وتبلور النظرية الثورية **سيتمان من خلال استمرار المقاومة وتصاعدها** واكتسابها مضامين ثورية متقدمة .

من الواضح ان اية دراسة نقدية ، تتناول فكر حركة ثورية وممارستها في مرحلة او فصل من تاريخ مسيرتها الكفاحية ، لا بد أن تصب في أحد اتجاهين : الاول ، ان تستهدف تقييما وتسجيلا لمرحلة تاريخية كاملة ، تتميز نوعيا ، من حيث تركيب قواها الطبقية ، ومهامها النضالية ، وبرامجها السياسية عن المراحل التي سبقتها او التي تعقبها . وهذا

التقييم والتسجيل لا بد أن يقوم على رصد بنية وطبيعة القوى الفاعلة والمحركة فيها . ومن محاكمة فكرها وبرامجها وسياساتها يمكن تلخيص السمات والقوانين العامة التي طبعت مسيرتها . هذه الدراسة يمكن أن تكون سجلا تراثيا كفاحيا غنيا يضيء ويرسم طريق المعارك الوطنية والطبقية في المستقبل ويكون مثالا لتجارب الشعوب التي تشاركها طبيعتها وقوانينها الاساسية . والاتجاه الثاني : أن تكون محاولة تقييم نقدية للافكار والممارسات والسياسات التي انتهجتها تلك الحركة عبر فصل أو شوط او معركة في تاريخ مسيرتها ، لاستخلاص الدروس والحقائق التي تأكدت وتبلورت في ذلك الفصل أو المعركة ، بهدف صياغة منطلقاتها الفكرية وبرامجها السياسية **التي تعينها في تصحيح مسيرتها والتي تضعها على طريق النصر لاكمال مهماتها الكفاحية .**

واذا كانت الدراسة النقدية التي نشرها الدكتور صادق العظم تقييما وتسجيلا لمرحلة تاريخية كاملة قد « حسمت » في الماضي القريب ، ولاقت « حتفها تقريبا » كما يقول ، فقد كان عليه ان يتريث حتى تنتهي الفصول الختامية ليشهد وقائع فترة « التقريبا » أو هزيمتها النهائية بعد انقضاء « الفترة من الزمن » التي حددها بثقة عالية ، لكي يتمكن من تسجيل نهايتها الدرامية ، ويلتقط نصوصا أكثر اثارة في مفارقاتها من النصوص التي سجلها بعد خسارة معركة أيلول، لكي يستخدمها بكفاءة أكبر عند مناطحتها رأسا برأس. اما اذا كانت ، وكما يخبرنا في مقدمته ، « محاولة نقدية لفهم أسباب وعوامل الهزيمة التي مني بها الكفاح المسلح الفلسطيني على يد النظام الهاشمي » ( رغم انه سرعان ما يقفز لمهمات أوسع واكبر حيث يتصدى لمهام حركة التحرر الوطني الفلسطينية ومعضلات حركة التحرر العربية ) فانه في هذا التصدي لكل هذه المهام والمعضلات ، لا يجيبنا على اي منها ، ولا يستخلص لنا اي درس لمواجهة المهام الجدية والعاجلة التي تواجهها حركة التحرر الفلسطينية المسلحة ، وحركة التحرر العربية الا بصيغة استاذية تعليمية وكأنه يحاضر في طلبة احدى الجامعات ليطلب من طلابه كتابة بحوث مقارنة عن جغرافية عدد من البلدان او اقتصادياتها «او ثوراتها» فيقرر بحزم ودراية ان « المبادىء العامة لقيادة الثورة التحررية الناجحة **معروفة** [ ! ] **ومدونة** [ ؟ ] وقد كتب حولها الكثير من الشروح والتلخيصات في منطقتنا ، كما ان المعالم العامة للطريق الثوريـة التي تمكن المقاومة الفلسطينية من تخطي مأزقها الخانق في الوقت الحاضر **واضحة ايضا** » [ ؟! ] ( ص ٢٤١ ) . هكذا فما على الثورة الفلسطينية الا أن ترجع الى بضعة كتب او نصوص عن المبادىء العامة والمدونة للثورات الناجحة لتحل معضلاتها الكفاحية المعقدة مرة واحدة. ولا ندري لماذا ينصح بالرجوع الى الثورات الناجحة فقط . بينما جميع الثورات الناجحة الكبرى أحرزت نجاحاتها بدراسة شروط انتصار الثورات الناجحة وتفحص ومعرفة أسباب وعوامل وأخفاق الثورات غير الناجحة أيضا .

تقوم الافكار الرئيسية لدراسة العظم النقدية على الفرضيات والاستنتاجات التالية :

١ ـــ ان حركة المقاومة انهزمت في أيلول لانها امتداد لحركة التحرر العربية الام التي انهزمت في حزيران ١٩٦٧ . وبهزيمة أيلول فان حركة المقاومة قد لاقت « حتفها تقريبا ». وفي دراسته يحاول أن يطلق بين أوجه الشبه في الهزيمتين مـــن خلال مسيرة حركة التحرر الفلسطينية المسلحة وحركة التحرر العربية .

٢ ـــ ان « هزيمة » أيلول تكمن في التحليل الاخير في العوامل الداخلية النابعة من تركيب حركة المقاومة ، وبالهزيمة « حسمت » مرحلة تاريخية من كفاح الشعب الفلسطيني بانتظار المرحلة **القادمة** .

٣ ـــ المرحلة القادمة من الكفاح الفلسطيني والعربي التحرري لا يمكن أن تتحول الى ثورة حقيقية الا اذا اخذت بثلاث توصيات ينبه لها ، وهي من دروس الثورة الصينية : الحزب الثوري ، النظرية الثورية ، الانحياز الى الاشتراكية .

ولفحص هذه الفرضيات والاستنتاجات لا بد من التدقيق في الفرضية الاساسية التي يقوم عليها بناؤه التحليلي والنقدي ومتابعتها وملاحقة النتائج التي تترتب عليها .

**١ ــ حركة التحرر الفلسطينية وحركة التحرر العربية والعلاقة بينهما :**

يبدأ العظم بدراسة العلاقة بين حركة التحرر العربية والمقاومة الفلسطينية ، ولكي يبرهن على العلاقة بين الهزيمتين وحتمية هزيمة الحركة الثانية ( الفلسطينية ) يستشهد بنص مقتبس من حديث طويل لنايف حواتمة : « ان حركة المقاومة بكافة فصائلها مثلت امتدادا موضوعيا فكريا وسياسيا وطبقيا لواقع حركة التحرر العربية وتناقضاتها وهذا ليس بجديد فقد مثلت حركة التحرر الفلسطينية والاردنية على امتداد التاريخ المعاصر امتدادا لواقع حركة التحرر الوطني بكل تناقضاتها السياسية والايديولوجية والطبقية » ( ص ١٤ ) . ويتلقف العظم هذه الموضوعة وكأنه التقط المدخل والمخرج لتصوراته وأفكاره ، وليشيد عليها استنتاجاته بعد أن يعطيها تفسيرا مغايرا تماما لما ذهب اليه نايف حواتمة . واذا كانت هذه الموضوعة صحيحة في جوهرها لتحليل وتفسير العلاقة التاريخية بين المقاومة الفلسطينية وحركة التحرر العربية ، وما تتركه الاخيرة على حركة المقاومة من آثار وأمراض وضوابط ، فان مواصلة قراءة النص تؤكد على الفور المعنى المعاكس الذي قصده حواتمة . فالتحليل بالاصل يدور حول علاقة حركة المقاومة مع الانظمة العربية ( والانظمة العربية هي الفصائل الحاكمة من حركة التحرر العربية وليس مجموعها ) وان ما يطرحه هو تعيين الآثار والامراض التي ورثتها حركة التحرر الفلسطينية من حركة التحرر العربية والتي واكبت وتواكب حركة المقاومة المسلحة ، وبالتالي البحث في سبل التعامل معها والتغلب عليها . وباكمال النص المقتبس نقرأ : « ان حركة المقاومة واجهت مسألة طرح برنامج مغاير ، ايديولوجيا وطبقيا وسياسيا ، لحركة التحرر الوطني العربية المهزومة . وهو ما لم تطرحه حتى الآن . . . فان اليسار الفلسطيني قد طرح هذا البرنامج ، وحتى يصبح برنامج هؤلاء الرواد هو السائد فان ذلك يتطلب مرحلة طويلة من النضال الايديولوجي والسياسي والمسلح. وهذا لا يمكن أن يتم بمجرد طرح هذه القضايا نظريا بل يتطلب فترة طويلة من الزمن تكتشف فيها الجماهير من خلال تجربتها الخاصة وبأصابعها العشرة عبر مجموع المعارك والصراعات الجارية ، ان البرنامج الذي يطرحه اليسار هو البرنامج المنقذ والذي يحمل الخلاص الوطني والثوري لشعبنا ولشعوب المنطقة ، بينما يقود البرنامج الآخر ــ البرنامج البرجوازي الوطني اليميني ، الى كوارث متلاحقة ومتصلة »(١) [ يلاحظ ان العظم يعمم دراسته على اليسار باعتباره جزءا من حركة التحرر الفلسطينية المسلحة « المهزومة » بعد أن أكد في المقدمة أن دراسته تخص منظمة فتح لانها هي الثورة الفلسطينية ] .

ومن اكمال النص الذي اعتمدته دراسة صادق العظم ومن نصوص أخرى من دراسات يسار حركة المقاومة ، [ الامتداد الفلسطيني لحركة القوميين العرب التي هي جزء من حركة التحرر العربية ] نجد امكانية ان يتطور هذا اليسار من خلال تصعيد الكفاحات الثورية لا كيسار لحركة التحرر الوطني الفلسطينية، بل أن يتحول الى «طليعة بروليتاريا الالتزام »(٢) بمعنى ان يتحول الى حزب عمالي ثوري يقود المقاومة المسلحة ، ومن خلال المعارك والنضال من أجل البرنامج والحزب الثوري تتحول حركة المقاومة الفلسطينية بمجموعها [ الامتداد المهزوم للاصل العربي المهزوم ، كما يقول العظم ] الى مقاومة ثورية مسلحة بعد أن تتمكن من بناء حزب يمتلك وعيا ايديولوجيا وسياسيا بروليتاريا. ويتأكد هذا التحليل بوضوح أكبر من دراسة للجبهة الديمقراطية « ان طريق الخلاص الوطني يتطلب ارادات ذاتية جبارة تنبثق من صفوف حركة المقاومة ترفض كل ما هو قائم وتدفع على الطريق الجديد، طريق تحويل حركة المقاومة الى حركة جماهيرية منظمة مسلحة بأسلحة ايديولوجية وسياسية ومادية وطنية جذرية ، في ظل قيادة طلائع القوى

المقاتلة تمتلك وعيا ايديولوجيا وسياسيا بروليتاريا معاديا لاسرائيل والاستعمار وحلفائه على امتداد الارض العربية »(٣).

ان ما يعنينا هنا من هذه الموضوعة التي اعتمدها العظم في دراسته عن الاصل والامتداد ولعزيمة الامتداد الحتمية « ولو بعد فترة » ان العظم وعلى امتداد ٢٥٥ صفحة يحاول تجميع « الادلة » لاثبات « حقيقته » عن العلاقة بين الاصل والامتداد وحتمية هزيمة الثورة الفلسطينية التي تمثل هذا « الامتداد » . بينما نجد نايف حواتمة واستنادا الى الموضوعة عينها يتوصل الى امكانية تطوير جناح من حركة المقاومة المسلحة اولا والمقاومة كلها ثانيا من خلال تصعيد وتجذير الكفاح المسلح وتمكين المقاومة من امتلاك برنامج ايديولوجي وسياسي واجتماعي معاكس لبرنامج الاصل الذي انهزم . وبينما يحدد حواتمة في هذه الموضوعة طبيعة حركة التحرر الوطني الفلسطينية والامراض التي ورثتها عن الحركة الام لتعيين المنطلقات النظرية والوسائل الكفاحية الكفيلة بتجاوز هذه الامراض وتحويلها الى حركة ثورية معاكسة ومناقضة لاصلها ولبرامجها المهزومة ، فان صادق العظم يبني فرضياته على تلك الامراض والآثار التي تتضاءل وتضمحل كلما تصاعد الكفاح الثوري المسلح ، ليصل في استنتاجاته الى هزيمة حتمية لحركة المقاومة نتيجة فهمه للعلاقة الميكانيكية بين الاصل والامتداد . واذا كان من حق صادق العظم أن يعتمد الموضوعة نفسها للوصول الى نتائج مغايرة للنتائج التي يبنيها عليها صاحبها ، نقد كان عليه أن يوضح منذ البداية اعتماده المعنى الخاص به والمغاير ، لا ان يلجأ الى صيغة استنتاجية توهم القارىء بأنها تلخيص لموضوعة « الاصل والامتداد » ولما تعنيه حين يؤكد بعد النص المقتبس مباشرة : « نجد في هـذه الصياغة العامة والمقتضبة بالضرورة جوابا يقول ان حركة المقاومة انهزمت لانها كانت امتدادا ، بكل معاني الكلمة، لحركة تحرر أعم وأشمل منها كانت قد انهزمت في حزيران ٦٧ » ( ص ١٤ ) . ثم يستخدم هذه الخلاصة في مكان آخر لاعدام مرحلة تاريخية كاملة من تاريخ حركة التحرر الوطني الفلسطينية .

ولكن التدقيق في المقارنات التي اعتمدها العظم بين حركة المقاومة الفلسطينية وحركة التحرر العربية تكشف الى أي مدى قد استخدم المنهج الماركسي — اللينيني الذي يدعيه في التحليل لكي يتوصل الى حقائقه « المدهشة » .

لا شك ان السيد العظم حينما يكشف في دراسته عن بعض من الامراض والمظاهر التي رافقت حركة المقاومة ، والتي تسببت — الى جانب عوامل اخرى لم يذكرها — فيما يعتبره اخفاقا في معارك ايلول، وما يمكن ان تسببه مستقبلا من عثرات اخرى، يمكن أن تساهم دراسته في استخلاص دروس ونتائج تخدم في تعديل وتصحيح مسيرة الثورة لو اعتمد منهجا نقديا ثوريا حقا(٤). لكن العظم باعتماده المنهج الانتقائي لدراسته ، واضطراره للبحث عن الادلة والاسانيد للفرضيات **والقوالب التي وضعها مسبقا** ، جعل حدود معالجاته تبقى ذات طبيعة تقريرية، وصفية، انتقائية لظواهر معزولة عن بعضها، لا ترقى الى اي منهج تحليلي للافكار والممارسات الاساسية وهو منهج يفتقد النظر في ترابط الافكار والممارسات مع بعضها بعضا والبحث عن محركاتها العميقة عبر منهج فكري منظم صارم في استعمال اداته وبنائه التحليلي .

يلخص صادق العظم التماثل بين حركة التحرر العربية وفرعها الفلسطيني بـ « التماثل القائم بين الطبيعة الطبقية لقيادة وكوادر وبرامج حركة المقاومة وتصوراتها الايديولوجية وبين الطبيعة الطبقية البرجوازية الصغيرة المنشأ لحركة التحرير العربية الام» (ص ١٥) وللتدقيق في هذا التطابق والنتائج العملية النضالية المترتبة عليه سوف نتفحص فيما يلي أربع موضوعات مقارنة بين حركة التحرر الفلسطينية وحركة التحرر العربية :

**١ — الهدف الاستراتيجي الكفاحي والموقف من العدو الاسرائيلي** : منذ هزيمة حزيران

١٩٦٧ بدأت حركة التحرر العربية بالتراجع سريعا الى الوراء ودون توقف بدءا من قبول قرار مجلس الامن ٢٤٢ حتى مشروع فتح القناة والتراجعات امام العدو من اجل التسوية ولا يزال هذا التراجع مستمرا . بينما تصاعدت حركة المقاومة الفلسطينية بدءا بأول عملية مسلحة بعد الهزيمة العربية في ١١ حزيران وهـي مستمرة في رفض كل مشاريع التسوية والتراجع امام العدو . فالقرار ٢٤٢ يحقق هدف التسوية مع اسرائيل ويؤمن حلا لازمات الانظمة العربية الخانقة بانسحاب اسرائيل من جزء من الاراضي العربية ( بالطبع في حالة تحقيق التسوية بشروط اسرائيل والامبريالية ، او الصيغة السوفييتية المصرية القديمة)(٥) بينما يضع شقيقتها الفلسطينية امام مواجهات وتحديات، امام الاعتراف للعدو بجزء من الوطن وبالتالي امام مواجهة مختلفة الاشكال مع الانظمة العربية ( أي حركة التحرر الام ) وهو ما يجعل هدفها الاستراتيجي في التحرير اكثـر صعوبة وتعقيدا ، ولكنه بالمقابل يجعل حركة المقاومة اكثر قدرة على اكتشاف موقعها الطبيعي الامر الذي يكسبها مضامين ثورية تعمق وتجذر نضالهـا ، ويرفدها بحلفاء ثوريين ثابتين متمثلين بحركة التحرر العربية الثورية النامية التي يتزايد تناقضها مـع الانظمة المساومة والمرشحة لمساومات التصفية من جهة ويضع فصائل من « حركـة التحـرر الام » في حـالة التنـاقض والتضـاد مـع شعوبهـا وحركة المقـاومة من جهـة ثـانية . ان الدعـامة الثـابتة في القـرار ٢٤٢ وتفريعـاته هي تصفية حركـة المقـاومة المسلحة على يد الانظمة العربيـة الاصل « المتماثلة مع حركـة المقاومة » فمن ابرز بنود مشروع روجرز تعهد دول المواجهة « بتصفية الاعمال المسلحة التي تنطلق من أراضيها ضد اسرائيل » ومن هنا نجد احدى أهم فصائل حركة التحرر العربية يواجه رئيسها وفد المقاومة بعد قبول مشروع روجرز بقوله : « لقد وافقت على اعطاء ١٠ آلاف كلاشنكوف الى الملك حسين »(٦). بينما « امتدادها » الفلسطيني يواجه نظام الملك حسين في أشرس حرب ابادة كان حصيلتها ٢٠ الف شهيد وجريح بسبب تمرد حركة المقاومة على سياسة الهزيمة التي انتهجتها حركة التحرر الام كاستراتيجية لها . والعظم في محاولته اثبات التصاقية المقاومة بحركة التحرر العربية تجاه مشروع روجرز يجتزىء نصا لياسر عرفات يقول فيه « نحن غير معنيين بما حدث في حزيران وبازالة آثار حزيران » ، هذا الاجتزاء يصل به الى الخلط بين معضلتين منفصلتين تماما : الموقف من مشروع روجرز ، و« ترفع المقاومة عن الخوض بأسباب هزيمة حزيران » . لكن اهمية النص واجتزاءه بالنسبة للعظم تكمن في تسجيل معادلة جديدة عن التصاق حركة المقاومة بحركة التحرر العربية المهزومة ــ وعندما نكمل النص نجده لا يخدم الغرض الذي يريده صادق العظم بأي شكل من الاشكال : « نحن غـير معنيين بما حدث في حزيران وبازالة آثار حزيران ، ولكن الثورة الفلسطينية معنية باجتثاث الكيان الصهيوني من أرضنا وأرض أجدادنا وتحريرها لتعود عربية كما كانت » ( ص ٢٦ ) . هنا لا بد من مشاركة العظم كليا ان المقاومة ، خاصة اتجاهها السائد ، لم تقدم اية دراسة جدية لاسباب هزيمة حزيران لتستخلص منها الدروس التـي تعينها على رسم البرنامـج السياسي والعسكري الثوري البديل لبرامج أنظمة الهزيمة ، ومن هنا جاءت مواقفها العمليـة المرتبكة في مواجهة مشروع روجرز رغم صحـة الموقف الثابت في رفضـه ومعارضته . وما كانت تتطلبه المواجهة من ضرب للحلقة المركزية في سلسلة القـوى المعادية للثورة واسقاط النظام الهاشمي بحسم ازدواج السلطة لصالح المقاومة والحركة الوطنية الاردنية . وهنا لا بد من التذكير والعظم يعرف جيدا أكثر من غيره أن يسار المقاومة قد قدم تحليلات دقيقة وصائبة عن هزيمة حزيـران وكما يقول هو عنهـا « تحليلاتها النظرية الصائبة عموما وقناعاتها المتقدمـة حول طبيعة حركة التحـرر الفلسطينية والمآزق التي تواجهها والحلول الجذرية التي تتطلبها » ( ص ٢٥١ ) .

تلك « التحليلات الصائبة لهزيمة حزيران ومعضلات الثورة » لم تضع اليسار في موقع التناقض مع الفصائل الاخرى [ التي ترفعت عن الخوض بأسباب هزيمة حزيران ] كما يقول حول الموقف من مشروع روجرز ورفضه ، ولا حول تصريح ياسر عرفات عـــن « اجتثاث الكيان الصهيوني » الا اذا افترضنا ان العظم قد « فهم » من القول « نحن غير معنيين بازالة آثار عدوان ٦٧ ، ولكن الثورة معنية باجتثاث الكيان الصهيوني » أن الثورة الفلسطينية المسلحة ستحرر فلسطين وتسقط حكومة تل ابيب ، دون تحرير سيناء والجولان !؟ وهذا ما يشكل امتدادا عكسيا لموقف حركة التحرر العربية الام التي تحولت استراتيجيتها على « تخليص » الاراضي المحتلة عام ٦٧ ( او أراضي احتلت حسب التفسير الاسرائيلي الامريكي ) دون الاهتمام بتحرير فلسطين المحتلة عام ٤٨ وبعدها ؟! ان النتائج العملية لمشروع روجرز بالنسبة لحركتي التحرر العربية والفلسطينية المسلحة هي : **الابقاء على حياة حركة تحرر عربية ( الانظمة ) مساومة مهادنة .. مقابل رأس حركة المقاومة الفلسطينية** ( الامتداد الطبقي والسياسي المهزوم ) **الثائرة والمتمـــردة والرافضة** . أما مسألة ارتباك المقاومة في مواجهة مهمة كسر الحلقة المركزية في سلسلة الاعداء واسقاط النظام الهاشمي فهي مرتبطة باستراتيجية الدفاع الذاتي التي ميزت الاتجاه الاقوى والحاسم في حركة المقاومة وهو ما نتناوله في حينه . ان مظاهر الالتصاق كما فهمها السيد العظم وكما هي واضحة عنده لا تبدو لنا كذلك عند مقارنة المهمات والاهداف الكفاحية في مواجهة اسرائيل والامبريالية . والاختلاف يبـــدو واضحا بل متعاكسا منذ قبول مشروع روجرز ومعارك ايلول حتى الان والذي اتخذ شكل ، عشرة آلاف بندقية من حركة التحرر الام ، صمت كامل على المجزرة ، مكافأة النظام الاردني باتفاقية القاهرة على المجزرة ، ثم اللجنة العربية التي مرت من تحت مظلتها جميـــع المؤامرات الاردنية ضد حركة المقاومة وشعب فلسطين وبالتحديد التعارض والتضاد الفعلي والوحدة الشكلية .

ب ــ **الاستراتيجية الكفاحية بين حركة التحرر العربية والمقاومة الفلسطينية** : مع اطلاق أول رصاصة ضد العدو الاسرائيلي وبدخول اول وحدة مقاتلة الى الارض المحتلة في اليوم الاول من عام ١٩٦٥ دشنت حركة التحرر الوطني الفلسطينية أسلوبا كفاحيا ثوريا جعلها تبدأ مرحلة الابتعاد عن نهج حركة التحرر العربية والتعارض معها وقد قادها هذا الى التصادم والتعارض وسوف يقودها الى التناقض التام في مراحل كفاحية متقدمة مع أكثر فصائل حركة التحرر الوطني العربية الرسمية ، وهذا لا يعني انها تخلصت كليا ، حتى الان ، من الامراض التي ورثتها والتي طبعت وستطبع بعضا من مظاهر مسيرتها الكفاحية ، الى جانب ما تفرضه طبيعة العلاقة مع الانظمة من فرملة وتراجع . ولقد كان تصاعد المقاومة الجماهيرية والثورية المسلحة في الضفة الغربية وقطاع غزة والارض المحتلة قبل حزيران اساسا موضوعيا جعلها تضرب في العمق وتتحول الى حركة جماهيرية ثورية تمد لها جسورا مع حركة التحرر العربية الديمقراطية والثورية من خلف اسوار واستحكامات بعض الانظمة البرجوازية ( وان لم تنجح في حل هـــذه المعضلة التي هي من أعقد معضلاتها الاستراتيجية ، معضلة العلاقة مع حركة التحرر الديمقراطية والثورية ، الا بشكل محدود بسبب الارتداد التي خلقته ظروف ما بعد أيلول على كل من حركة المقاومة والحركة الثورية العربية ) هذا الامتداد والتحول هو الذي جعلها على الفور في موقع التناقض مع الانظمة العربية والذي أخذ بالتصاعد كلما تقدمت وتعمقت العلاقة مع الحركة الديمقراطيـــة من خلف وصاية الانظمـــة . اما العظـــم فيبدو انه غير معني بالحالة الثورية التي فجرها صعود حركة المقـــاومة على امتداد المنطقة العربية ، وما هي آفاقها ، وماذا يعني استمرار تصاعدها بالنسبة لانظمة حركة التحرر الام . ان ما يعنيه بالدرجة الاولى هو انتقاء الظواهر المرضية للوصول الى مطابقات شكلية بين استراتيجية المقاومة وحركة التحرر العربية الرسمية ، فهو سرعان

ما يلتقط مسألة خطف الطائرات ليجعل منها دليلا لذلك . لكن العظم لا يعالج هذه الظاهرة بحجمها الحقيقي ، بل يتوصل من خلال تأكيدها الى ان المقاومة الفلسطينية أعادت الاساليب الكفاحية لحركة التحرر الوطني العربية المهزومة « باختيارها هذا الطريق برهنت قيادة المقاومة انها امينة على ارثها الكفاحي العربي ووفية لطبيعتها الطبقية ، لقد ثبتت بصورة منتظمة على الصعيد الفلسطيني ، ما كان قد مر على الصعيد البرجوازي الصغير سابقا واستعادته بكل أمانة وعاشته من جديد بكل اخلاص» ( ص ٦٠ ) . كيف يجيز صادق العظم لنفسه ان يستخدم ظاهرة خطف الطائرات ، ليصل الى نتيجة : ان المقاومة امينة على ارثها الكفاحي العربي ووفية لطبيعتها الطبقية [ ؟ ] ان المادية الديالكتيكية عند دراستها لظاهرة ما تبحث عن **العامل الحاسم والفاعل والمحرك** عند فحصها للجوانب الايجابية والسلبية لتلك الظاهرة . ومن الواضح لاي ماركسي حقيقي ان الشكل الكفاحي الحاسم والمحرك في نضال حركة التحرر الوطني الفلسطينية هو المقاومة الشعبية الثورية والمسلحة . لكن النظرة الاحادية الجانب ، والتي يشدد العظم على انتقادها في دراسته، قد رافقته في رحلته الطويلة ، والا **فهل كان خطف الطائرات استراتيجية كفاحية عامة لحركة المقاومة** ؟ يا صادق . وماذا عن الاشكال الكفاحية الثورية التي اندلعت بعد حزيران مباشرة في الضفة والقطاع والارض المحتلة عام ٤٨ والاردن ؟ واذا كانت تلك الاشكال الكفاحية المجيدة قد تراجعت مؤقتا بعد أيلول ، وبعد الاجراءات الاقتصادية الاسرائيلية وسياسة « البحبوحة الاقتصادية » فان بوادر صعودها وتجذرها واضحة تماما بعد فشل سياسة الدمج الاقتصادي والبحبوحة المزعومة كما يقر بذلك بعض الاقتصاديين الاسرائيليين في دراستهم لظاهرة تخريب الزراعة العربية بسبب سحب اليد العاملة الرخيصة ، مما أدى الى ارتفاع الاسعار ومستوى المعيشة الذي يلغي ميزة الاجور المرتفعة للعمال العرب الذين يعملون داخل الارض المحتلة ، وبالتالي فشل تلك السياسة الاقتصادية التي اعتمدتها اسرائيل ، وظهور بوادر الصعود الثوري ثانية. وكما اثبتت ردود الفعل الثورية بعد مجزرة فردان وحوادث لبنان التي أذهلت الاسرائيليين وكشفت خطأ حساباتهم .

ان الاشكال الكفاحية المتقدمة لحركة التحرر الوطني الفلسطيني هي التي اكسبتها محتوى طبقيا يتجاوز حدود الطبيعة الطبقية لها ، ويدفعها لاكتساب مضامين كفاحية وطبقية ثورية متقدمة . وبهذا المعنى شكلت حركة المقاومة الفلسطينية حالة جماهيرية ثوريةنقيضية تماما للحالة اللاجماهيرية والمعادية للديمقراطية ومشاركة الجماهير التي ميزت الاشكال الكفاحية لانظمة برجوازية الدولة قبل وبعد حزيران .

في تقريره عن ثورة ١٩٠٥ يتحدث لينين عن الاشكال الكفاحية للثورة الروسية وكيف أكتسبت محتوى كفاحيا متقدما يتجاوز طبيعتها الطبقية : فيقرر «ان الاضراب الجماهيري كان أهم وسيلة لهذا التحول ». ان الثورة الروسية تتسم بسمة أصيلة قوامها انها كانت ثورة **برجوازية ديمقراطية** من حيث مضمونها الاجتماعي ولكنها **بروليتارية** من حيث وسائلها الكفاحية المتقدمة التي تفرضها طبيعة وخصوصية الصراع الطويل الامد مع الاحتلال الاستيطاني ، وطبيعة معسكر اعداء الثورة الى جانب اسرائيل ( الامبريالية الامريكية والرجعية العربية ) ما تجعل مهماتها الكفاحية ذات **طبيعة تحررية وطنية وطبيعة ثورية مركبة** ، وهذا ما يجعل تحالفاتها التاريخية الاستراتيجية الثابتة مع حركة التحرر العربية الديمقراطية والثورية . وبهذا الانتماء ووحدة المعسكر الثوري تكون حركة المقاومة الفلسطينية نقيضا تاما لحركة التحرر العربية المهزومة ، كما هي الحركة الديمقراطية والثورية العربية نقيضا طبقيا ثوريا لانظمة البرجوازية المهزومة .

**جـ ــ التركيب الطبقي لحركة المقاومة الفلسطينية وحركة التحرر العربية الام وتطوراتها**

**القادمة** : ان الشكل الكفاحي الارقى الذي فجرته حركة المقاومة قد أكسبها طابعا طبقيا ثوريا حاسما . فالذين يحملون السلاح بأغلبيتهم الساحقة هم جماهير الفلاحين والعمال واشباه البروليتارية ( من سكان المخيمات ) والبرجوازية الصغيرة .

اما بالنسبة لحركة التحرر العربية الرسمية فقد حافظت علـى تركيبتها البرجوازية الصغيرة ، وعند تكوين دولتها وأجهزتها القمعية والادارية وتركز مصالحهـا الطبقية وتميزها ( برجوازية دولة متفاوتة التطور بالنسبة لكل نظام ) بدأت تتناقض مع نمو حركة التحرر الديمقراطية والثورية ( الطبقة العاملة وحلفائها ) بل أصبحت معنية بلجم حركتها وشل نضالاتها التي تصل الى حد التصفية الجسدية لتعبيراتهـا السياسية التنظيمية الثورية .

ويخلص صادق العظم ، في محاولته رصد التطورات السياسية اليمينية التي اتسمت بها بعض فصائل حركة التحرر العربية بشكل خاص ، وتحليل الاساس الطبقي لتلك الردة، يخلص الى « توصية » المقاومة الفلسطينية بأن عليهـا أن تأخذ بعين الاعتبـار تلك التطورات عند تعاملها مع الانظمة المعنية . أما كيف يفسر العلاقة بين تلك الانظمة وأمتدادها الفلسطيني ، وكيف تنهار الثانية كما انهارت الاولى ، فيمكن متابعته على النحو التالي : بعد أن يتابع تطور العلاقة بين القطاع العام الذي أرست دعائمه الانظمة العسكرية للبرجوازية الصغيرة من جهة والقطاع الخاص القائم على الملكية الخاصة وقانون القيمة ، يخلص الى أنه « كان لا بد لهذا القطاع الديناميكي والنامي من أن يصل الى نقطة يدخل فيها في صراع قوي مع القطاع العام والمصالح التي يمثلها وأن يحسم الموقف تدريجيا لصالحه ، مما يعني على الصعيد السياسي ( الذي يهمنا هنا أكثر من غيره ) ردة يمينية رجعية واضحة » ( ص ١٧٨ ) .

هذا التبسيط في تحليل التطورات الاقتصادية والردة اليمينية الرجعية في واحد من أهم أنظمة برجوازية الدولة العربية ، لا يعني بدقة أهمية وآفاق تلك التطورات وانعكاساتها على المسألة الوطنية والقومية وبالتالي على علاقتها بالمسألـة الفلسطينية وحركة المقاومة . فبرجوازية الدولة التي تقود القطاع العام بعد أن تكونت كطبقة متميزة لها مصالح اقتصادية محددة ، لم تصل الى درجة التناقض الحاد مع القطاع الخاص ، بل ان الدور الاقتصادي الهام الذي تضطلع به الدولة ( القطاع العام ) والمتمثل بنفقاتها الجارية العالية التي تشكل جزءاً كبيرا من القوة الشرائية عن طريق مؤسساتها والقوة الشرائية لمنتسبيها ( المؤسسة العسكرية والاداريـة المتزايدة الاتساع ) الى جانب مؤسساتها المالية والصيرفية التي تقدم الخدمات البرجوازية النامية ورأسمالية الريف ، **هذا الدور المزدوج يساهم في تدعيم القطاع الخاص وتنشيـط الدورة الاقتصادية** مما يجعلها تحافظ على دورها السياسي الحاسم والاقتصادي الفعال مهما تصاعدت وتيرة نمو القطاع الخاص . اما برجوازية الريف ( القاعدة الاجتماعية في الريف لنظام برجوازية الدولة ) وازدياد دورها في الحياة الاقتصادية والسياسية فهي ايضا لا يمكنها التمرد على القطاع العام أو الاستغناء عن دوره الاقتصادي والسياسي ( **السياسي خاصة في كبح جماح الحركة الجماهيرية الفلاحية النامية بتركز الاستغلال في الريف** ) . واذا كانت البرجوازية الصناعية والعقارية النامية تشكل مزاحمة اقتصادية حادة للقطاع العام فهي لا تطمح الى الغائه ، بل تسعى الى افتقاده **الدور الاقتصادي الكابح لنشاطهـا** . هذه التشكيلة من البرجوازية الصناعية النامية ورأسمالية الريف التي تشكل ركيزتي الردة الاقتصادية والسياسية اليمينية ، تكملها المواقع الجديدة التي تحتلها الرساميل الاجنبية الاستعمارية من الاستثمارات العامة والخاصة وتتفاعل معها بوتيرة اقتصادية واحدة . ولكن الدور الاساسي والفعال لبرجوازية الدولة هو المتمثل بسلطتها السياسية التي تستخدم السلطة التنفيذية **كأداة ضارية في الردة اليمينية السياسية في مواجهة**

**الحركة الجماهيرية الديمقراطية** . ومع تفاقم المأزق الوطني والقومي الذي تواجهه هذه الانظمة واحتمالات نهوض الحركة الجماهيرية الثورية التي تشكل نقيضها الحاد تترشح هذه الانظمة لاتخاذ اشكال فاشية جديدة في مواجهة الحركة الديمقراطية الصاعدة . وهذا ما يجعل السلطة السياسية لبرجوازية الدولة وركيزتيها الطبقيتين ( البرجوازية الصناعية النامية وبرجوازية الريف ) اكثر شراسة وعداء للحركة الجماهيرية كلما تقدمت خطوة نحو التفريط بالمسألة الوطنية والقومية ومساومة العدو الامبريالي والصهيوني . وتنامي الحركة الجماهيرية يعكس حالة موضوعية بسبب تفاقم استغلالها واستلابها على يد برجوازية الدولة والريف والبرجوازية الصناعية الناشئة ، خاصة بعد أن سقطت جميع الشعارات التضليلية عن العدالة الاجتماعية ( أو اشتراكية القطاع العام ) هذا التحليل ، للتشكيلة الطبقية وتغيير ادوارها ومواقعها هو مــا يجعلها تفقد تماسكهــا القوي ، ويدفع بالحركة الديمقراطية الجديدة نحو التصاعد ، وبالتالي ما يرشح احتمال ظهور اشكال كفاحية متصاعدة ومتجددة . **وهذا بالضبط هو مــا يتعين على حركــة المقاومة الفلسطينية معرفته** ، لا من أجل التعامل مع الانظمة التي ستحدد هي وليس المقاومة العلاقة التي تفرضها طبيعتها وتراجعاتها وهي الوجه الثاني للعلاقة مع حركة شعوبها الثورية ، بل ما يجب على المقاومة ان تعرفه بالتأكيد **هو مستقبــل النهوض الديمقراطي** وعلاقة حركة المقاومة بهذا النهوض وايجاد أرضية للعلاقة العضوية الثورية بين الحركتين . هذه الوحدة العضوية تجد أساسها الموضوعي في العلاقة بين مواجهة الحركة الديمقراطية والثورية العربية لاعدائها الطبقيين ووقوفهم في نفس معسكر العدو الامبريالي والصهيوني من جهة ، وموقف هذه الطبقات من المسألة القومية وحق تقرير المصير لشعب فلسطين ، وبالتالي تناقضها وتضادها مع حركة المقاومة الفلسطينية من جهة أخرى . هذه الارضية هي التي تجعل الحركة الديمقراطية الثورية العربية وحركة المقاومة الفلسطينية في معسكر واحد ، والطبقات المعادية لشعوبها وحركاتها الديمقراطية والعدو الامبريالي والصهيوني في المعسكر المضاد . هذا التحليل قد أكد لنا التعاكس والتناقض بين حركة التحرر العربية الام وحركة المقاومــة الامتداد الطبقي « المهزوم » . و« التوصية » التي تسجلها الدراسة النقدية لحركة المقاومة في تعاملها مع الانظمة تتخذ صيغة هروب غامضة غير محددة « أي تحــرك فلسطيني ثوري » لا تفسر شيئا على الاطلاق . واذا كــانت الصيغة لا تعين انتماء هذا التحرك الــى اي من المرحلتين « **المحسومة** » « المهزومة » ام **القادمة** المشروع ، فانها تشكل المخرج الوحيد الذي حشر السيد العظم نفسه فيه بعد أن الزم نفسه في بداية دراسته ، وقبل أن يتوصل الى نتائج تحليل التطورات اليمينية في الانظمة العربية ، الزم نفسه بصيغة هزيمة الاصل والفرع **واعدام المرحلة الحاضرة** فما عليه الا ان يوجه نصيحته الى المقاومة « المجهولة » « أي تحرك ثوري » ؟! اما استنتاجاته الاساسية فان استحضارها يوضح تماما الوان اللوحة المتنافرة ( في صفحة ٢٣ ) يقول لنا « والذي اريد قوله هو أن حركة المقاومة بسبب من نوعية قيادتها الطبقية قد استعادت على العموم وبصورة طبيعية جدا تاريخ مرحلة صعود البرجوازية الصغيرة وانهيارها في تاريخنا الحديث جدا ، ولكن على الصعيد الفلسطيني المستقل » .

وبكلمات محدودة نسجل توضيحنا لهذا التشخيص : البرجوازية الصغــيرة العربية واجهت في مرحلة صعودها مواقع الاستعمار القديم ومصالحه الكولونيالية . حركــة المقاومة تواجه الاستعمار الجديد والاستعمــار الاستيطاني . البرجوازية الصغيرة العربية واجهت مواقع الاستعمار القديم من خلال سلطة دولتها البرجوازية . حركة المقاومة تواجه الاستعمار الاستيطاني والامبريالي ببنادق الشعب المقاتل . حركة التحرر العربية تساومت مع بقايا الاقطاع والبرجوازية المتوسطة . حركة المقاومة تواجــه

عناصر الاقطاع والبرجوازية الفلسطينية المتساوقة مع العدو القومي والوطني ( في الضفة الغربية والاردن ) كما تواجه عدوها القومي لانها هي قد وضعت نفسها بالمعسكر المضاد. البرجوازية الصغيرة العربية واجهت نمو الحركة الديمقراطية والثورية بالتضاد والتصادم والحرب الاصيلية . حركة المقاومة تكتسب يوما بعد اخر مضامين طبقية متقدمة وترفدها أفواجا من العمال والفلاحين وأشباه البروليتارية .

هكذا يفهم العظم صراع الطبقات وهكذا يبني تحليله ونقده لفكر المقاومة : الخصائص المميزة للنضال القومي ضد العدو الاستيطاني والنضال ضد العدو الوطني والطبقي ، اشكال الردة الشوفينية للانظمة العربية وجيوشها ، الردة الاقتصادية والسياسية للبرجوازيات العربية التيتجعلها معاكسة ومناقضة للحركة الديمقراطية الثورية العربية وحركة المقاومة الفلسطينية **في آن معا** وتبلور أسس القاعدة النضالية المشتركة لكل من الحركتين العربية الديمقراطية والفلسطينية . هذه الخصائص والحقائق لا تعني شيئا امام مهمة البحث عن قوالب ( الاصل والامتداد ) !

**د ـ حركة التحرر العربية والفلسطينية ومهمات الثورة الديمقراطية وكيف تعبر العلاقة بين الاصل والامتداد عن نفسها** : البرجوازية الصغيرة العربية اقامت أنظمة برجوازية الدولة ، وتصدت لمهام الثورة الوطنية الديمقراطية ؛ وجوفتها وأفرغتها من محتوياتها التقدمية . لقد خلقت هذه الانظمة لها ركائز اجتماعية طبقية في الريف والمدينة وبيروقراطية عسكرية ومدنية . ركزت مصالح أغنياء الفلاحين في الريف مكونة رأسمالية ريفية تشكل جناح قاعدتها الاجتماعية في الريف ، وبلورت شرائح بيروقراطية عسكرية ومدنية ذات مصالح متميزة مشكلة جناح قاعدتها الاجتماعية في المدينة . كيف تدرس الدراسة النقدية هذه الطبقة وكيف تقارنها بالفرع الفلسطيني ؟ يقول صادق العظم : « جاءت هزيمة حزيران لتعزز هذا الاساس ( الردة اليمينية العربية ) وتسرع في وتيرة نموه وفي افساح المجال أمامه لكي يعبر عن نفسه في صراحة على صعيد البنى الاجتماعية الفوقية وخاصة السياسات التي أخذت تنتهجها الانظمة « التقدمية » على اثر هزيمتها والتي تبلورت فيما بعد بشكل الردة الرجعية اليمينية العاتية » ( ص ١٧٨ ) . اننا نتفق مع هذا التشخيص بالنسبة للردة اليمينية العاتية ولكن هذه الردة الى أين ستقودها ، وكيف ستتعامل مع الحركة الديمقراطية التي تشكل نقيضها : ان هذا هو مأزقها الحقيقي فكلما بدأ عجزها يتوضح عن انجاز مهام الثورة الوطنية ازدادت مصالحها الاقتصادية والاجتماعية كطبقة ناشئة تستأثر بسلطة الدولة لضمان مصالحها . وهذا ما يجعلها تتشبث وتستأثر بالحكم ، وهو ما يقودها بالتالي الى التناقض الحاد مع الحركة الديمقراطية والثورية ويجعلها تفقد آخر سماتها « التقدمية » لتضع نفسها في صف القوى المعادية للتطور ، وتبدأ بالتفسخ كطبقة فقدت دورها التاريخي وأصبحت معاكسة للتقدم .

اما « الامتداد الفلسطيني » ، الذي خسر معركة من معاركه الطويلة في أيلول ، فرغم جميع الصفات التي تميزه عن حركة التحرر العربية التي بدأت مرحلة التفسخ وتناقضه معها ، فان صادق العظم يصر على موضوعية هزيمة هذا الفرع الفلسطيني فيقرر : « تمثل هزيمة ايلول اجتماعيا وطبقيا وسياسيا بالنسبة للكفاح الفلسطيني ما مثلته هزيمة حزيران بالنسبة لحركة التحرر العربية المرجاء » ويواصل : « بهذا المعنى شكلت المقاومة امتدادا موضوعيا لحركة التحرر العربي ذات الاصل البرجوازي الصغير وكانت الفصيل الفلسطيني من فصائلها » ( ص ٢٣ ) . فلنفحص هذه المقولة ونطابقها مع واقع الفرع الفلسطيني وما مثله بالمقارنة مع حركة التحرر العربية . الفرع الفلسطيني لم يضطلع بالسلطة السياسية للدولة البرجوازية على تراب وطنه ، ولم تكن لحركة التحرر الفلسطينية مصالح اقتصادية متميزة كطبقة حاكمة ناشئة ( برجوازية

دولة ) . وبدلا من تناقضها ومعاكسيتها لنمو حركة الطبقة العاملة ومعسكرها ( حلفائها ) خلقت بالكفاح الثوري المسلح ارضية وامكانية ازدياد حجم ووزن الطبقة العاملة وسائر الكادحين وتصاعد دورهم الكفاحي والسياسي في مسيرة الثورة . اما من حيث مهامها التاريخية فهي تتصدى لمهمة تحرير الوطن وتقرير حق شعب فلسطين على أرضه وهو ما يستتبع انجاز مهام الثورة الوطنية الديمقراطية . وبسبب من خصوصية الصراع الطويل وتعيين معسكر الاعداء والحلفاء فان حركة التحرر الوطني الفلسطيني تنتمي الى حركة التحرر الديمقراطية والثورية العربية . وهذا ما يجعلها في المعسكر المضاد للانظمة المعادية لحركة شعوبها الديمقراطية وبالتالي نقيضا لحركة التحرر الام ، وبالتالي نكسة ايلول لا تمثل سوى نكسة مؤقتة لحركة تحرر ثورية وليس كهزيمة حزيران بالنسبة لحركة التحرر العربية ونتائجها . وبالرغم من عمر تجربتها القصير فقد استطاعت ان تخلق ظواهر وتقاليد كفاحية ذات محتوى ثوري في الكفاح والممارسة .

يقول جان جونيه في المقال الذي سجل فيه ما رآه وما استنتجه بعد اقامة دامت عدة اشهر بين الفدائيين والشعب بعد معارك أيلول ، ( أي بعد هزيمة المقاومة والتحاقها بالهزيمة العربية حسب مفردات العظم ) يقول جونيه : « فالارادة الثورية لا تقتصر على استعمال مرادفات مؤثرة ، ولا حتى على استعمال البندقيـة بل هي ايضا مرتبطـة بالتحدي الرامي الى العيش حياة سعيدة . واذا وضعنا البرجوازية الفلسطينية جانبا وهي شبيهة بسواها من البرجوازيات فالمخيمات الفلسطينية تتسم بالارادة في مجابهة الحقائق وجها لوجه » . ويواصل ايضا « فالفدائيون المسؤولون الذين انخرطوا بارادتهم في صفوف فتح والشعبية والديمقراطية والصاعقة كانوا قد انشأوا تحت ستار من اللامبالاة الظاهرة نوعا من الاشتراكية البدائية ، اشتراكية ما تحت الاشجار والمطر ، بداية اشتراكية بدوية وهزيلة بمثابة بشير التفاؤل بمجتمع اكثر تعقيدا قد يتكون حولها ... وقد اغتال حسين بداية عالم جديد كهذا بالاشتراك مع اسرائيـل وبعض البلاد العربية وكل البلاد الغربية »(٨) . . . وبعد ان اصبح **الامتداد نقيض الاصل** شاركت حركة التحرر الام في اغتيال الحياة الجديدة ، مهما كان نوع المشاركة سواء بتقديم الاسلحة لحسين ام بوضع قوات جيوش عربية تحت إمرة الملك ام بالصمت .

ان حركة التحرر الوطني في عمان والخليج العربي [ وهي الفرع العماني والخليجي من حركة التحرر العربية « المهزومة » حسب مصطلحات العظـم ] تتعمق ايديولوجيتها واستراتيجيتها الكفاحية وبرامجها السياسية والاجتماعية وقد غادرت كليا مواقع حركة التحرر الام في اغتيال الحياة الجديدة ، مهما كان نوع المشـاركة سواء بتقديم الاسلحة والثورية العربية ( الطبقة العاملة ومعسكرها ) لكن صادق العظم لا يذكر شيئا عن هذا الاستثناء في قاعدته . هذه التجربة التي تحول عبرها جناح من حركة التحرر الوطني العربية ( البرجوازية الصغيرة ) نحو مواقع الحركة الثورية واجهت بالطبع وتواجـه هزائم عسكرية مؤقتة متعددة . لكن هذا لا يجعلها « **تسقط** » بعد كل نكسة او هزيمة مؤقتة تمنى بها لتطوي مرحلة وتبدأ أخرى ، مرحلة الحزب والنظرية الثوريـة . ان الانتقال نحو المواقع الثورية تم ويتم عبر عمليات الكفاح الثوري المعقدة وتبلور التركيبة الطبقية لاجهزة الثورة وكتائبها المقاتلة . ولقد اكتسبت جبهة تحريـر عمان والخليج العربي من خلال تصعيد المعارك الوطنية والطبقية ضد القوات البريطانية والنظـام العماني تركيبـا طبقيا ثوريا مما يدفعهـا بالتالي الى بناء نواة حزبها الثوري ، وتبني الايديولوجية العلمية كمرشد للكفاح ، وصياغة برنامجها واستراتيجيتها الثوريين .

**معركة ايلول والمعضلات الاستراتيجية التي واجهت حركة المقاومة الفلسطينية**

**قبل تناول الدراسة النقدية « لهزيمة » أيلول يتعين تحديد بعض المنطلقات العامة لكي يمكن معرفة مواقع النقد الذي تتناوله الدراسة .**

اولا : ان حركة المقاومة اندلعت وبدأت تتصاعد كظاهرة جماهيرية ثورية بعد حزيران ، اي بعد هزيمة الانظمة العربية وانهيار جيوشها وفقدان توازنها وبالتالي فقدان قدرتها على مواجهة تحرك الجماهير العربية عامة والفلسطينية خاصة في الجبهة الاردنية لمقاتلة العدو الصهيوني ، وهذا ما مكن حركة التحرر الوطني الفلسطينية من تصعيد أساليبها الكفاحية .

ثانيا : ان شعار وسياسة « عدم التدخل في الشؤون الداخليـة للاردن » كان شعارا تكتيكيا صائبا رفعته حركة المقاومة بعد حزيران ٦٧ مباشرة ، لتوفر أجواء نموها وتدعم شرعية وجودها العسكري الذي اكتسبته بفضل بنادق مقاتليها في الوقت الذي تعاني فيه جيوش الانظمة والجيش الاردني بشكل خـاص مرارة الهزيمة . تلك السياسة « عدم التدخل » التي لم يستطع النظام الاردني النفاذ من خلالها لمعارضة نمو المقاومة. وفي الوقت الذي كانت فيه الانظمة العربية تدعم المقاومة لتخفيف ضغط الجماهير عليها لاستغلالها كورقة تكتيكية ضاغطة تجاه اسرائيل ، كان الملك يعلن تأييده لها ، على أمل ضبطها في الحدود التي لا تخرج بها عن سيطرته وقيادة أركانه . لقد كان ذلك في وقت تبدو فيه التسوية مستحيلة رغم قبول قرار ٢٤٢ . الا ان الخطأ والخطر في « شعار عدم التدخل» كان يكمن في استمراره وجعله استراتيجية ثابتة وليس تكتيكا يضمن الاستعداد لمواجهة هجمات النظام المحتملة في أي وقت ، خاصة بعـد أن تصاعد نفوذ المقاومة العسكري ونمت سلطتها السياسية .

ثالثا : بصعود حركة المقاومة وتحولها الى ظاهرة جماهيرية ثوريـة ، ابتعدت حركة التحرر الوطني الفلسطينية عن حركة التحرر العربية الام . وبقـدر تعمقها والتفاف الجماهير الفلسطينية والعربية حولها بدات تحمل في أحشائها نواة النقيض الثوري لانظمة الهزيمة . وهذا ما كان يتطلب الاسراع بتأطيرها وتكبيلها عنـد حدود سقف الانظمة قبل أن تتمكن من الالتحام بحركة التحرر العربية الديمقراطية والثورية وتخلق تفجيرا ثوريا تعجز الانظمة امامه عن الصمود على امتداد المنطقة العربية .

من هنا واجهت الثورة الفلسطينية أول معضلة استراتيجية كان عليهـا أن تحلها هي معضلة **العلاقة بينها وبين حركة التحرر العربية الرسمية ( البرجوازيات الحاكمة ) من جهة وبينها وبين حركة التحرر العربية الديمقراطية والثورية من جهة ثانية .**

رابعا : ان حركة المقاومة قد نمت نموا « شبه شرعي » بالتعايش مع النظام الاردني وتحت شعار وسياسة « عدم التدخل في شؤونه الداخلية » ووحدة البنادق ضد العدو الاسرائيلي ، وهذا النمو جعل تركيبها وبنيتها ووسائلها الكفاحية تترعرع وتتطـور على اساس استراتيجية القتال ضـد العدو الصهيوني وليس ضـد جيش ودبابات « قومية » كما كانت تعتقد بعض قيادات حركة المقاومة وتعذر تحول مدافعها من مواجهة العدو الى اشعال حرب أهلية ضد حركة المقاومة . ان التطور والنمو في ظل العلاقة التعايشية الالية بين قيادة المقاومة وقيادة النظام الاردني هو ما جعل حركة المقاومة تختلف جذريا عن حركة تحرر وطني ثورية مسلحة تندلع من التحدي المسلح للنظام العدو وتنمو بالتضاد والتصادم وخوض المعارك الوطنية والطبقية ضد نظام تحالف القصر والاقطاع والملاك العقاريين . وهذا ما يجعلها تتصلب وتطور أساليبها الكفاحية من خلال سلسلة من المعارك التي تخوضها ضد أجهزته القمعية ومؤسساته السياسية . وهو بالنتيجة ما يضعف تماسك تلك الاجهزة ويرفع درجة تناقضاتها الداخلية ، وبالتالي ما يمكن الحركة الثورية المسلحة من معرفة جوانب الضعف والقوة في أجهزة القمع العدوة، وهو شرط يمكنها من بناء قواتها على اساس تلك المعرفة لضمان أحراز النصر في المعارك الحاسمة مع العدو . هذا الدور هو ما يمكن ان تلعبه الحركة الوطنيـة الاردنية في نضالها ضد النظام الملكي قبل وبعد اندلاع حركة المقاومة او اثناء صعودها ولكن هذا

يتطلب بالضرورة ان تصل فيه الشروط الموضوعية والذاتية للحركة الوطنية والتقدمية في الاردن الى تبني استراتيجية كفاحية ثورية مسلحة لاسقاط النظام الملكي .

وفي الوقت الذي صعدت فيه حركة المقاومة بفعل الظروف الاستثنائية التي تضافرت لاندلاعها وتصاعدها ، كانت الحركة الوطنية الاردنية قبل حزيران وبعده تخوض نضالات ذات طبيعة ديمقراطية ضد النظام الملكي ، وقد أحرز النظام جولات عديدة في لجمهـا واضعافها . من هنا كان صعود حركة المقاومة المسلحة وخاصة بعـد خلق ازدواج السلطة وبدء التحديات العسكرية للنظام ، قد خلق فجوة كبيرة في درجة التطور بين جناحي حركة التحرر الوطني الفلسطينية والاردنية . هذا التطور المتفاوت الذي عمقه وزاد هوته باستمرار الصعود المتزايد للمقاومة قد دفع بالمعضلة الاستراتيجية الثانية الى المقدمة. معضلة **العلاقة بين حركة التحرر الوطني الاردنية الديمقراطية والفلسطينية الثورية المسلحة** . وفي الوقت الذي كانت فيه الحركة الديمقراطية الاردنية لا تزال تطرح مهمات ديمقراطية وتخوض الكفاح بوسائل مختلفة ومتخلفة عن حركة المقاومة ، كانت المقاومة وبانعطافات مفاجئة يفرضها النظام عليها ( أزمة شباط ، ازمة حزيران ، أزمة أيلول ) تطرح مهمة اسقاط النظام الملكي بالقوة العسكرية كاحتمال قائم . وهذا ما يعني التناقض الحاد بين البرنامجين الديمقراطي والثوري ( بمعنى التهديد باسقاط النظام والعمل على ردعه باستراتيجية الدفاع الذاتي ) اما المقصود بالتعارض بين البرنامجين فهو ان الحركة الوطنية الاردنية وبرنامجها الديمقراطي الاصلاحي ( اصلاح مؤسسات النظام وتحقيق مكاسب ديمقراطية ونقابية ) وهذا لا يعني انها لا توافق على اسقاط النظام ثوريا بل وبالضبط كونها لا تملك اية استعدادات جديـة عسكرية للمواجهـة المسلحة ، وهذا ما ظهر جليا منذ الساعات الاولى لمعركة أيلول ان الحركة الوطنية الاردنية قد تقلصت الى عدد العناصر المسلحين الذين انخرطوا قبل الصدام في صفوف حركة المقاومة او التحقوا بها أثناء المعركة . لقد جاء مشروع روجرز واكمل النظـام استعداداته الهجومية عسكريا وسياسيا وتجسدت واضحة معالم الازمة التي قادت الى معارك أيلول قبل ان تتمكن حركة المقاومة الفلسطينية من حل المعضلتين الاستراتيجيتين ثوريا العلاقة مع حركة التحرر العربية الثورية ، ومع الحركة الوطنية الاردنية . وهذا لا يعني بالطبع انها كانت هي وحدها المسؤولة عن هذا التخلف دون غيرها ، انمـا يعني أن هذا العجز هو نتاج الازمة العامة التي تمر بهـا حركة التحرر العربيـة الديمقراطية والثورية بمجموعها .

هذه المعضلات الاستراتيجية التي عانت منها حركة المقاومة الفلسطينية وحركة التحرر العربية والاردنية الديمقراطية والثورية ولا زالت تعاني منها حتى الان ، كيف درسها صادق العظم وكيف نقد المقاومة من خلالها .

يكرس الكتاب ، الفصل الثاني لدراسة معركة أيلول وكما يقول في بداية الفصل « ان التقدم ولو بضع خطوات اولية على طريق تحقيق فهـم افضل لهزيمة أيلول وأسبابها وعواملها ، يتطلب تركيز التحليل في الاساس على حركة المقاومة نفسها وعلى محركاتها الاساسية » ( ص ٧٨ ) . ويستشهد على الفور بتصريح لابي اياد الذي يمس فيه سمة جوهرية من سمات الطبيعة الخاصة التي انطلقت منهـا وتصاعدت في ظلها حـركة المقاومة المسلحة في الاردن « كان عقلنا قبل ايلول ضد النظام ولكن تصلبت عواطفنـا ضده بعد ايلول لاننا قبل ايلول اتينا للنظام «من فوق» ولم يكن يمارس ضدنا اي نوع من الاضطهاد ، بالعكس كان الملك ينتظر عشرين يوما لنسمح له بمقابلتنا وكنا نضرب أمامه الطاولة » ( ص ٧٩ ) . وهذه السمة الجوهرية التي يمسها ابو اياد لا يبحث صادق ويدقق في حقيقتها والظروف التي أملتها والنتائج المترتبـة عليها ، التعايش وليـس التضاد مع نظام الملك وسقف الانظمة وحمايتها الذي سمح بل وفرض ميكانيكية العلاقة

بين نظام معاد لكل حركة جماهيرية وذي طبيعة رجعية استعمارية وبين المقاومة الفلسطينية المسلحة . هذه الخصوصية المتميزة في علاقة المقاومة بالنظام ، وطبيعة وتركيب ونشوء حركة المقاومة ، وعلاقتها بالانظمة العربية ودورها في رسم علاقة المقاومة بالنظام ، يواجهها صادق العظم وكما عودنا في سفره النقدي الطويل بوصفة جاهزة : « في مصطلحات العلم الثوري ان طبيعة النظام الملكي الرجعي معروفة جيدا والسؤال الذي يتجنبه حسام الخطيب هو « هل ان مثل هذا النظام قابل أصلا للتحييد والتجميد والتطويع » من قبل حركة تحرر وطني ثورية مسلحة تتناقض مصالحها واهدافها بصورة جذرية مع مصالحه وأهدافه حتى في المدى القصير » ( ص ٩٨ ) .

لا نريد هنا ان نناقش « حركة ثورية مسلحة تتناقض بصورة جذرية » بعد ان تحدث لنا العظم خلال مائة صفحة عن التصاقية المقاومة بأنظمة الهزيمة البرجوازية ، وكونها امتدادا مهزوما لها لا ندري كيف اصبحت تتناقض جذريا اذا كانت جزءا من الانظمة المهزومة .. بينما الانظمة المهزومة ليست في حالة تناقض مع النظام الاردني . ان ما يجب تأكيده هنا هو : ان حركة تطور الصراع وفصوله المتغيرة بتغير نسبة القوى ومواقعها وأهدافها ، حسب كل شوط وفصل في مسيرة الصراع ، وانهيار الانظمة وجيوشها وصعود المقاومة وعدم وجود تسوية في الافق هذه السمات طبعت الفصل الاول من الصراع ، وتكشفها كلمات ابو اياد : « اتينا النظام من فوق . ينتظر الملك عشرين يوما للمقابلة ، نضرب امامه الطاولة ، لم يمارس معنا أي اضطهاد ، » وفي الفصل الثاني بدأ التحول الذي طرأ على جميع عناصر اللوحة ، وعلى جميع مواقف القوى والفصائل : الموافقة على مشروع روجرز وصعود امكانات التسوية واعادة بناء الجيوش المهزومة وتماسكها وبالمقابل تركز ازدواج السلطة السياسية والعسكرية في الاردن ، وتحول حركة المقاومة الى حالة جماهيرية ثورية على امتداد المنطقة العربية ، هذه التغييرات هي التي حددت طبيعة واشكال المواجهة مع النظام الاردني والعدو الصهيوني وهي بالتالي قد أدت الى تغيير في الاهداف والاستراتيجيات الكفاحية بالنسبة لحركتي التحرر العربية والفلسطينية تجاه العدو الاسرائيلي وتجاه النظام الاردني . ان تلك التغييرات الجذرية التي حدثت بين هزيمة حزيران ومعركة أيلول ، وان كانت لا تلغي أهمية وجود استراتيجية ثابتة من النظام الملكي كعدو متحفز متراجع تراجعا مؤقتا ، ولا تغير من الطبيعة الرجعية للنظام الاردني كما تحدد ذلك « مصطلحات العلم الثوري » ولكن هذه الاستراتيجية الثابتة من النظام في الفترة بين حزيران ٦٧ وأيلول ٧٠ تفقد فاعليتها وديناميكيتها وصحتها اذا افتقدت الى الحلقات التكتيكية المرحلية الوسيطة والمتغيرة وحتى شعاراتها السريعة التعبير حسب تغيير موازين القوى وتعيين الحلقات المركزية في معسكر الاعداء ، هذه الحلقات الوسيطة المتغيرة والشديدة الحساسية والاهمية لا تعني الدراسات النقدية التي تقدم مراحل وتصفي أخرى ، الا بصيغة سحرية عامة « عن مصطلحات العلم الثوري وطبيعة النظام المعروفة جيدا » !؟ لقد أصبح من الواضح الان ان تحليلات اليسار لعوامل هزيمة حزيران وطبيعة النظام الاردني ، ومسألة التناقضات الرئيسية والاساسية وتبدلاتها هي تحليلات صحيحة من حيث المبدأ كما أكد ذلك صادق العظم وهي حسب تعابيره « صائبة ومتقدمة وجذرية... وان اليسار قد بح صوته وهو يدعو لمواجهة الهجمة الرجعية » ولكنه لا يبحث لنا عن الاسباب العميقة التي جعلت برامج اليسار رغم صحتها النظرية عاجزة عن التحول الى ممارسة ثورية والى عدم تمكن اليسار من ان يصبح قوة ثورية فاعلة وحاسمة تتمكن من حسم الحلقة المركزية في الكفاح وتسقط النظام الملكي بمبادرة ومساهمة فعالتين ، هذه التساؤلات الجدية يختزلها العظم بأن اليسار « لم يحضر نفسه للمواجهة ، ولم ينصت للتحذيرات التي كان يطلقها هو نفسه » !؟

ان تنظيرات يسار المقاومة عن التناقض الرئيسي والاساسي والثانوي في تحديده لطبيعة الصراع بين النظام الاردني وحركة المقاومة الفلسطينية واعتبــار التناقض ثانويا في الفصول الاولى لاندلاع حركة المقاومة بعد حزيران ، رغم محاولات النظام تغليب الثانوي على الرئيسي باستمرار ، ثم تحوله الى اساسي وحاسم بعد قبول القاهرة وعمان لمبادرة روجرز ، وتعيين الحلقة المركزية في سلسلة الاعداء : تصفيـــة النظام الاردني ، هذه التحليلات صائبة وصحيحة نظريا ، اذا ما اغفلنا الشروط الشديدة الخصوصية التي رافقت تعايش حركة المقاومة مع النظام بعد ٦٧. ان تلك التحليلات والتنظيرات تمكن من رسم استراتيجية وتكتيك ثوريين بالنسبة لحركة تحرر وطني مسلحة،اردنية ــ فلسطينية تقود حربا اهلية ثورية اندلعت نتيجة لوصول التناقضات الطبقية في المجتمع الاردني ــ الفلسطيني الى درجة التفجر والثورة ، **أي تتويجا للصراعات الطبقية الحادة التي أوصلت الكفاح الوطني الى مرحلة الحرب الثورية** ، قبل ان تواجه مهمة مقاومة الاحتلال او **واجهتهما في آن معا** ، حينما يرفض النظام ومنذ بداية الاحتلال ايقاف الحرب الاهلية لمواجهة العدو . بمعنى آخر ان تكون تلك التحليلات والسياسات تنتمي لحركة ثورية ترعرعت وتصاعدت **عبر ديناميكية الصراع الوطني والطبقي** ، وليس ميكانيكية العلاقة بين قيادة المقاومة وقيادة النظام الملكي . تلك الديناميكية للصراعات تتجدد عبــرها الاصطفافات الطبقية لمعسكري الثورة وتضادها نتيجة لهز وتدمير اسس **علاقات الانتاج المتخلفة التي يرتكز عليها النظام الاردني** ، وتحطيم اسس العلاقات الاجتماعية والانتاجية لتحالف القصر والاقطاع والملاكين العقاريين ، ودفع الصراع الى استقطـــاب وطني وطبقي حاد على امتداد فصول الحرب الثورية ، وشطر المجتمع الاردني الفلسطيني افقيا ( قبل أن يتمكن النظام من شطره عموديا وهو ما حصل ) . المواجهة المسلحة مع مؤسسات النظام القمعية منذ اندلاع الحرب الثورية وانهاكها ومعرفة جوانب ضعفها وقوتها من المعارك الاولى وحتى المعارك الحاسمة الاخيرة للاجهاز على النظام وتصفية مؤسساته العسكرية والسياسية . هذه العلاقة من التصادم والتضاد والصراع هي ما تنتمي اليه تنظيرات يسار المقاومة . اما ظروف بناء المقاومة على اساس استراتيجية مقاومة جيش الاحتلال الاسرائيلي فقد جعل علاقتها مع النظام الاردني شكلا آخر تماما ( التعايش ، دور النظام العربي وحدوده ، غياب الحركة الوطنية الاردنية المسلحة ) . وفجأة بعد مشروع روجرز توضع حركة المقاومة أمام مهمات جيش شعبي ثوري يتصدى لمهمة ازدواج السلطة ، تفرض عليها طبيعة الصراع التحول من مقاومة العدو الصهيوني الى التصدي لجيش الملك .

**حل ازدواج الســـلطة او تحرير الارض غير المحررة أي التي خـــارج سلطة المقاومة ؟**

مــــاذا تعني هــــذه الاصــــطلاحات ؟ ان المقــــاومة لم تحــــرر شــــبرا واحدا مـــــن الارض التي تقف عليها بتحدي نظـــام الملك ، بل انهـــا تقــف عـــلى ارض الاردن بالتعايش معه هذا من حيث الشكل . أما حقيقة الموقف فهي ان المقاومة استطاعت ان تفرض وجودها بقوتها العسكرية التي تحمي التعايش من التجاوز والانفراط ، ما دامت موازين ونسبة القوى الداخلية منها والخارجية التي تتحكم بتلك العلاقة باقية لم تتغير . الا ان القوة العسكرية لحماية العلاقة التعايشية مع النظام شيء **وتحرير الارض وتدعيم سلطة المقاومة استعدادا لخوض حرب أهلية طويلة شيء آخر** . ان المقاومة بهذا المعنى لم تحرر شبرا واحدا من الارض التي تقف عليها خاصة من الريف الاردني حيث تواجدها العسكري الاساسي ، ما دامت لم تحرر الجماهير الفلاحية الاردنية وما دامت لم تحطم العلاقات الانتاجية في الريف . ان انصار الثورة الفلسطينية من الفلاحين والعمـــال الاردنيين والفلسطينيين يخضعون الى العلاقات الاجتماعية والانتاجية لنظام الملك وليس لعلاقات ثورية وقوانين شرعتها حركة المقاومة في الارض التي تقف عليها . ان جماهير الثورة التي تقاتل العدو الصهيوني والتي ترتبط بالعلاقات الانتاجية للطبقات التي تشكل

قاعدة النظام الاردني تخضع بالتالي لسلطة الاستغلال الطبقية الاردنية **التي تطولها من قلب الثورة ومن داخل حصونها** . هذا الواقع الموضوعي والموقف العربي الذي يشكل شرايين الدعم المالي والسياسي والعسكري للمقاومة هو الذي يشير لنا بدقة **استراتيجية الدفاع الذاتي** اولا وتراجع المقاومة ونكستها ثانيا .

كيف استطاعت تنظيرات اليسار تجاوز هذا التحليل بطبيعة حركة المقاومة وعلاقتها مع النظام الاردني ؟ لقد حاول اليسار ان يتصدى لهذه المعضلات وقد جاءت تنظيراته وشعاراته تؤكد حتمية التضاد والتصادم . ولكنها بقيت في حدود التحليلات النظرية التي لم تؤثر بشكل فعال في الاتجاه التعايشي العام . وحتى هذا « التصادم النظري » لم يكن من الممكن ان يستمر او يتقدم خطوة واحدة منذ ولادته دون ان يكون تحت حماية ومظلة الاتجاه العام لحركة المقاومة . هذا التحليل ، نؤكد مرة اخرى ، لا يعني للحظة واحدة ، ان الفشل كان حتميا ، والانتصار مستحيلا . . ان ما يعنيه فحسب هو البحث في الخلفية الفكرية والطبقية للصراع والتي تركت بصماتها على شكل وتطور المعارك باتجاه الدفاع الذاتي ، والتراجعات السياسية الخطيرة بعد ايلول من جهة والتي تفسر عدم قدرة يسار المقاومة من تحويل موضوعاته النظرية الصائبة الى واقع وممارسة ثورية فعالة حاسمة تمكنها من حسم الصراع لصالح حركة المقاومة من جهة اخرى .

ان العلاقة بين حركة المقاومة الفلسطينية وحركة التحرر الوطني الاردنية ، وطبيعة كل منهما قد شكلت معضلة جدية ذات اثر حاسم على تطور الصراع .

ان التخلف المروع لحركة التحرر الوطني الاردنية الديمقراطية قد ادت الى ارتباك وصدع جدي في علاقة المقاومة عموما واليسار خصوصا معهـا والذي عبر عن نفسه في « النيابة » عنها في التصدي لمهامها التاريخية **وامتصاص عناصرها وكتلها المتقدمة** ، بدلا من العمل على دعمها ومساعدتها لتمييز استقلالها كحركة وطنية أردنية وتثويرها لكي تستطيع ان تلحق بالاشكال النضالية المتقدمة للمقاومة وتواجه المهمات المشتركة التي تفرضها طبيعة الصراع بالاشكال الكفاحية المتقدمة التي تمكنت حركة المقاومة من استخدامها عند تعرضها لتحدي النظام . فصعود حركة التحرر الوطني الاردنية وامتلاكها اشكالا كفاحية متقدمة يجعلها قادرة على أن تتصدى للنظام **بهدف تغييره** واقامة حكم وطني ديمقراطي بدعم ومساعدة حركة المقاومة الحليفة ، **لا بهدف ردعه** كما فعلت حركة المقاومة بتركها لمهمتها الاساسية في **مواجهة العدو الاسرائيلي** . لقد كان التفاوت حادا بين اشكال النضال والفاعلية السياسية بين حركتي التحرر الاردنية والفلسطينية انعكس على طبيعة واشكال مواجهة السلطة الاردنية . لقد تجسد التفاوت في اشكال النضال، والذي هو انعكاس لاختلاف طبيعة القوى ودرجة تطورها السياسي، في تعذر ايجاد استراتيجية كفاحية واحدة في مواجهة السلطة الاردنية . فبينما كانت حركة المقاومة تخوض كفاحا ثوريا مسلحا ضد العدو وتواجه هجمات النظام في الوقت نفسه بالردع المسلح مرة والتهديد باسقاط النظام بالعنف الثوري مرة أخرى ، كانت الحركة الوطنية الاردنية لا تزال تحبو في أساليبها النضالية التي ترتبط باستراتيجيتها الاصلاحية التي تهدف لانتزاع مكاسب ديمقراطية للجماهير . « فمن المعروف ان تجمعا وطنيا قد تكون برعاية الملك وعطفه يضم مختلف الفئات والاحزاب والشخصيات(٩) واشترك فيه بعض رجال الحاشية الملكية وقد بقي هذا التجمع — حتى ذلك الوقت — اي عشية أيلول مجرد تجمع سياسي بدون نشاط يذكر(١٠)» وفي عشية ايلول منعت السلطة الاردنية عقد مؤتمر للتجمع الوطني الاردني كان مقررا عقده في ١٣ أيلول .

هكذا « بأمر » حكومي واحد الغت السلطة فاعلية الحركة الوطنية وشلت قدرتها في الدفاع عن حركة المقاومة وامكانية مشاركتهـا في مواجهة الهجمات العسكرية ذلك بسبب من استراتيجيتها النضالية وأساليبها الكفاحية المتخلفة عن حركة المقاومة عند

كل منعطف لاستقطاب الصراع وتحوله الــى مواجهة عسكرية حاسمة بين الجيش والمقاومة . اما بالنسبة للسلطة فقد كانت تضع في حساباتها ، وبدقة ، هذا التفاوت في أشكال النضال وكيفية مواجهة الحركة الوطنية والمقاومة كلا على انفراد . يبدو ذلك واضحا خلال الازمات الحادة ، اي خلال المعارك العسكرية ضد المقاومة . ففي أزمة ١٠ شباط ١٩٧٠ وجهت السلطة الأردنية بيانا من عشر نقاط لتقييد حركة المقاومة وشل فاعلية الحركة الوطنية . وبينما أصدرت في تسع منها تعليمات واجراءات عسكرية للحد من نشاط المقاومة المسلحة ، ذيلت البيان بفقرة واحدة تلغي عمليا امكانية اي تحرك جماهيري للحركة الوطنية « النشاطات الحزبية ممنوعة بموجب القانون وتمنع ممارستها بأي صورة من الصور ويحال المخالفون فيها على المحاكم حسب الانظمة المرعية . مادة ١١ »(١١).

وهذا ما تأكد بصورة رهيبة ومنذ الساعات الاولى لبدء المعركة المسلحة واستقطاب الصراع عسكريا اذ تقلص دور الحركة الوطنية الى عدد البنادق التي تملكها وتستعملها، وان وجدت فبشكل ردود فعل فردية ، وبحجم فاعلية العنــاصر التي التحقت بحركة المقاومة قبل المعارك .

هذه الطبيعة المعقدة للصراع وعمق التناقضات في المجتمع الاردني الفلسطيني التي تحكمت في مسيرة ونتائج معركة أيلول لا تحلها العبارات السحرية التي يستخدمها العظم في « علم المصطلحات الثوري » لكي يخلص بالنتيجة الى ان هزيمة أيلول هي امتداد لهزيمة حزيران ، وفي ايلول لاقت المقاومة حتفها .

لقد كانت المعضلة التي واجهت المقاومة عشية أيلول هي امكانية تحويل المقاومة المسلحة التي اندلعت وتصاعدت وترسخت عسكريا علــى أساس استراتيجية مقاتلة العدو الصهيوني من حركة مقاومة ( فدائية ) ضد العدو الصهيوني تتعايش مع النظام الاردني الى جيش ثوري يخوض حربا طبقية ثورية وبالتحالف مع الحركة الوطنية الاردنية ، ضد نظام تحالف الاقطاع والملاك العقاريين ، وحسم ازدواج السلطة لصالح الحركة الوطنية والديمقراطية الاردنية والمقاومة الفلسطينية ، بينما لم يكــن في حساباتها السياسية واستراتيجيتها انها ستخوض حربا اهلية ضد النظام الاردني ، وان الجيش الاردني سيواجهها بهذه القسوة والبربرية لتعد نفسها ولكي تتمكن من خوض الحرب بنجاح . ان المعضلة هنا تكمن في مدى امكانية تغيير استراتيجية الكفاح من حرب مقاومة ضد العدو الصهيوني الى حرب اهلية ضد جيش ونظام يرتكز الى قاعدة اجتماعية طبقية رجعية ومرتبطة بالاستعمار . هذا التغيير لا يمكــن ان يتم عشية الهجمة العسكرية الايلولية لانه مرتبط بجميع عناصر الخلفية التي تقدم تحليلها .

لكن للعظم تحليلا آخر للمعضلة ، وبرصانة لا ينقصها الحب يكتب مفتيا لحلها تدريبا لشن حرب العصابات ضد الجيــش وتدريبا لمواجهـــة العــدو الصهيوني فيقــول « ان مواجهة الجيش الملكي في الواقع أصعب من شن حرب العصابات ضــد الجيش الاسرائيلي وتتطلب اعدادا من نوع آخر لقوات الثــورة يضاف الى اعدادها لمواجهة العدو الاسرائيلي والاحتلال الذي يفرضه » ( ص ٢١٠ ) هكذا يقفــز في الهواء فوق ظروف نشوء المقاومة والعوامل التي تضبط ايقاع حركتها وتعيين اتجاهها . يفترض ان قوى الثورة المضادة ساكتة لا تتحرك وهي تنظر دون اكتراث الى « اعداد » المقاومـــة ضد الجيش حتى تستكمل تدريباتها المزدوجة لتخوض المعركة المزدوجـــة . هذا اذا افترضنا ان المعضلة هي معضلة اعداد وتدريبات وليست مسألة استراتيجية كفاحية هجومية تقوم على تأجيج حرب أهلية طويلة ، ضد النظام الاردني . وهي استراتيجية مغايرة تماما للبناء الفكري والعسكري والاجتماعي الذي قامت عليه حركة المقاومة .

وبعد هذه التوصيات ينتقل لدراسة العلاقة بين الانظمة العربية والمقاومة . وهنا يلجأ

الى صيغ فضفاضة انشائية غير علمية ، لا نجد فيها أي موقف فكـري محدد يمكن محاكمته ما يضطرنا ان نستعير طريقة صادق في مثل هذه الحالات .. يقرر بأسلوب انشائي لا يحدد شيئا « لكن ليس هذا هو الالتحام المطلوب لان الالتحام المثمر ثوريا لا يمكن أن يكون مع حركة التحرر العربي الرسمية وعلى حالها الحاضرة [ مع من اذن ؟ وكيف تتغير حالها الحاضرة ] وعلى اساس الاتجاهات التي سارت عليها بعد الهزيمة الكبرى . الالتحام المطلوب لا يمكن ان يتم الا على مستوى ثوري أعلى [ اي درجة من العلو ] من كل ما هو قائم حاليا على الصعيدين العربي والفلسطيني . ويبدو واضحا لنا أن شق الطريق الى هذا المستوى [ أي مستوى وضح لك ] الارفع [ ؟ ] هو ما لم تتمكن حركة المقاومة من التوصل اليه وتحقيقه . ويواصل ... ليطرح لنا برنامجا غريبا في منطلقاته واستنتاجاته لتثوير المقاومة فيقول « ولا يمكن تثوير حركة المقاومة حقا بدون النضال الدؤوب لايجاد السبل المناسبة والناجحة للتغلب على هذه الذيلية والقضاء على هيمنتهـا وسيادتها نهائيا » ( ص ٤٥ ) . لا يوضح لنـا هذا الكلام أية مقاومـة هي المقصـودة . ثم مـاذا تعني عبـارات من نـوع مناسـبة ؟ وناجحة ؟ وبصيغـة غامضة افتراضية مرة أخرى تتحدث لنا الدراسة عن التخطي الثوري للواقع القائم والسيطرة عليه فتؤكد « ان القدرة المفترضة [ ماذا تعني المفترضة في علم الاستراتيجية والتكتيك المبنية على التحليل الملموس للواقع الملموس ] لحركة المقاومة على التخطي الثوري للواقع القائم والسيطرة عليه ينبغي أن تبـرز في القدرة على الضغط الشعبي المستمر والمتصاعد عبر ذلك النوع من التنظيم الجماهيري ، وذلك النوع مـن الكفاح المسلح [ ذلك النوع وذلك النوع ، رائع ] الذي يدفع بالوضع العربي باتجاه الاقتراب من مستوى المقاومة النضالي الارفع ويضطره الى تشكيل نفسه من جديد على صورتها [ يلاحظ هذا الفيض من المجاهل والالغاز ] واعادة ترتيب قواه الطبقية والاجتماعية بما يتناسب مع النموذج الثوري في الكفاح والتنظيم الذي تطرحه وتمارسه» ( ص ٥٠ ). في هذا النص يصل العظم الى قمة ضياعه وضبابيته ــ فكيف أجاز لنفسه الحديث عن قدرة مفترضة بعد أن كل الحديث عن هزيمـة الفرع الفلسطيني كامتداد للهـزيمة الحزيرانية . وكيف يبني دراسته على قدرة مفترضة للمقاومة بعد أن درس طبيعتها الملموسة كما يدعي . ثم كيف يتحدث عن ذلك النوع وذلك النوع بصيغة اسم الاشارة الى نوع غير محدد من التنظيم والكفاح ؟ اما كيف **يرتب الواقع العربي قواه ويعيد تشكيل نفسه على صورة المقاومة !!** فقد وصل العظم الى قمة طوباويته بعد ان صور الواقع العربي وكأنه مركبة فضاء اتوماتيكية تصحح مدارها وسرعتها ذاتيا !؟ لا ندري كيف سيضطر الواقع العربي الى اعادة تشكيل نفسه وترتيب قواه الطبقية ، بمعنى ان تصعد صيغ وتسقط أخرى وتتهدد مصالح وتترسخ أخرى وان تتميز حدود معسكري الثورة والثورة المضادة .. هذه الطبقات والمصالح التي تعيد تشكيل نفسها وترتيبها لا تفعل ذلك بارادتها ( بالنسبة للطبقات السائدة ) أي لا تتخلى عن مصالحها الطبقية ومواقعها لتأخذ صورة المقاومة بسبب صياغة ودعوة من نوع ( ذلك النوع ) وهي لا يمكنها ان تضطره لتشكيل نفسه بسبب القدرة المفترضة لها ؟! الا اذا لم تأخذ كلام العظم على اية درجة من الجدية والشعور بالمسؤولية .

أمنية أخرى يوردها صادق العظم بعد أن يستشهد بنص لابي اياد يقول فيه « ان اعداء الثورة الفلسطينية يكونون سلسلة متماسكة من الحلقات تبدأ بالامبريالية الامريكيـة والانظمة المرتبطة بها وتنتهي باسرائيل» ولكن ترتيبا على هذا التشخيص العام والصحيح « نظريا » . يتمنى العظم « لو ان فتحا ( وحركة المقاومـة ) تصرفت فعلا ووضعت استراتيجيتها وخططها على أساس هذا التصـور الواضح لطبيعة التناقض الرئيسي وحولته الى ممارسة سياسية كفاحية جدية لكانت نتائج اية معركة شبيهة بمعركة أيلول

مغايرة لما وقع فعلا » ( ص ٢٠ ) . هكذا يتمنى بعد أن أرهقنا في الحديث عن قدر الامتداد وحتمية الهزيمة وتكرار قضية الاصل والفرع والعلاقة بين نتائج الهزيمة الحزيرانية والايلولية . اما عن الخلفية الفكرية والسياسية لاستراتيجية المقاومة السلبية والعوامل الموضوعية التي تحكمت فيها فقد اختزلها هنا ، بعد ان تحدث عن جزء منها في مكان آخر ، الى أمنية بنفسجية ( حسب استعاراته ) : الى « لو » الحائرة شقيقة « اللماذا » اللعينة التي حيرته وحيرت جميع المثقفين البرجوازيين غيره .. تلك « اللو » و « اللماذا » اللتان حاربتهما الماركسية بعد ان ارسلت دعائم العلم الثوري في الاستراتيجية والتكتيك وكشفت « الاسرار » التي تكمن خلف التناقض بين حركة الواقع وامكانية « اللو » وفسرت ما يحكم كل « لماذا » .

ان الاستراتيجية والتكتيك وجميع الممارسات السياسية التي تقوم عليها والتي تنهجها القوى الاجتماعية المختلفة ترتبط بجملة الظروف والشروط العينية المادية التي تحكم طبيعة واهداف وسلوك تلك القوى .. وهذا ما يعرفه العظم جيدا كما أعتقد .

ان النكسة « المؤقتة » التي منيت بها حركة المقاومة في احدى أهم معاركها لا تعني اطلاقا ان مرحلة من مراحل المقاومة المسلحة قد انتهت ، لتنهض مرحلة جديدة قادمة بقيادة حزب ثوري .. بل تعني وبالضبط ان **جملة معضلات ايديولوجية واستراتيجية لم تستطع ان تنجزها بنجاح حتى الان** . وكونها امتدادا لحركة تحرر عربية ام قد هزمت بجعلها تحمل أرثا من الامراض يكون بالتأكيد بين العوامل التي تجعل محاولتها لتجاوز أزمتها تتعثر .. الا أن ما هو أكيد وثابت أيضا أن أحزابا عمالية ثورية متمرسة في الكفاح والمقاومة المسلحة قد تعرضت لهزائم وانتكاسات متكررة في وقت لم تكن فيه امتدادا بل نقيضا جدليا لبرجوازياتها المهزومة والساقطة . ولكن تلك الهزائم لم تشكل بأي معنى حدا فاصلا بين مرحلة تستنفد وأخرى تنطلق ، بل عبر تلك النكسات والهزائم صححت المقاومة الثورية المسلحة لكثير من الشعوب سيرتها .

في الملايو : قاد الحزب الشيوعي الملاوي المقاومة المسلحة ضد الغزو الياباني منذ سنة ١٩٤٠ وتصاعدت المقاومة الثورية حتى عام ١٩٤٩ . ولكن عدم وضوح استراتيجية الحزب وسياسته تجاه بريطانيا وعودة الجيش البريطاني ، وبالتالي عدم قدرته على تحديد الحلقة المركزية في التناقضات ، والتبدل الذي طرأ على موازين القوى السياسية والعسكرية والذي استوجب استراتيجية كفاحية جديدة .. وتخلف الحزب عن تعيينها وصياغة تكتيكاتها ، ادى بالحزب الى المشاركة مع الجماهير في استقبال القوات البريطانية التي دخلت بعد استسلام اليابان . وعدم تهيئة اعداد ومقاتلي الحزب وكوادره لبدء النضال ضد القوات البريطانية جعل المقاومة المسلحة تواجه هزائم متتالية منذ عام ١٩٥٢ والى فترة غير قصيرة حتى تتمكن من التقاط المبادرة الثورية ثانية(١٢).

في الفليبين : قاد الحزب الشيوعي الفليبيني المقاومة المسلحة في الجزر الفليبينية التي أندلعت عام ١٩٤٢ على اثر الغزو الياباني وتشكل جيش الشعب الثوري ( الهوك )(١٣) في ٢٩ آذار ١٩٤٢ . وحينما أدركت القوات الامريكية ان استطالة عمر الاحتلال الياباني للفليبين سيعني اكتساح قوات « الهوك » والحزب الشيوعي الفليبيني أدركت المؤامرة على الفور وعملت على تحرير اكثر ما يمكن من المناطق وبأسرع وقت . اقامة حكومات محلية من لجان الدفاع المتحدة من اجل اجبار حكومة المنفى في الولايات المتحدة على اشراك « الهوك » في ادارة بعض المواقع في السلطة بعد التحرير . لكن الموقف من حكومة المنفى هو موقف تجاه الولايات المتحدة وسياستها وبالتالي فان عدم وضوح استراتيجية الحزب والثورة تجاه الولايات المتحدة وسياستها والتراجع امام الضغط الامريكي أدى بقيادة الحزب و« الهوك » الى الاشتراك في استقبال القوات الامريكية . وهذا ما جعل الشعب يصاب بخيبة أمل كبرى بعد أن تقلصت توتراته الثورية ، في وقت

بدات فيه المبادرة تنتقل الى القوات الامريكية **المحتفى بدخولها** والتي بدات على الفور حملة الارهاب والاضطهاد .

ان عدم تحديد استراتيجية كفاحية تجاه الولايات المتحدة وعدم اعداد الشعب والمقاومة اعدادا تاما لمواجهة الموقف، اي عدم تحديد طبيعة التناقض الذي أصبح اساسيا والحلقة المركزية في الصراع ، جعل موقف «الهوك» والحزب لا يعكس قوته ولا يستخدم الطاقات الثورية التي يستطيع تفجيرها . وهذا الاضطراب جعل الحزب والمقاومة تتلقى الضربات والنكسات على يد القوات الامريكية اولا والعميلة ثانيا(١٤).

ان المقاومة الثورية المسلحة استمرت وتصاعدت في كل من الفليبين والملايو رغم الانتكاسات والانحسارات التي حلت بها وهي تقاتل وتتجذر وتتعلم من نكساتها وانتصاراتها . وهذا ما يؤكد قطعيا ان الحزب الثوري الذي يمتلك نظرية ثورية ويقود مقاومة ثورية مسلحة يمكن ان يخسر معارك ومعارك لكن المقاومة المسلحة لن تتوقف ولن تكون المعارك غير الناجحة مؤشرات للمراحل التاريخية وسببا للانتقال من مرحلة لاخرى .

اما بالنسبة للمقاومة الفلسطينية فان خصوصية حركة التحرر الوطني الفلسطيني وانتماءها التاريخي لحركة التحرر العربية الديمقراطية والثورية يجعل مهمة بناء الحزب الثوري وبلورة الايديولوجية الثورية هي مهمات تواكب تصاعد النضال وتطوره ، عبر اكتساب الثورة مضامين طبقية وفكرية متقدمة من خلال ارتباطها العضوي بحركة التحرر العربية الثورية وجدلية تطور الصراع العربي — الاسرائيلي — الامبريالي في عموم المنطقة .

### ٣ — دروس النظرية الثورية ، والحزب الثوري ، والانحياز نحو الاشتراكية

يسجل العظم في توضيحه لهدف محاولته النقدية وفي الصفحات الاولى منها ، ملاحظتين يقول في الاولى « ان تقييمنا الاساسي يتناول مرحلة معينة من عمر حركة التحرر الفلسطينية **مرحلة انقضت** واستنفدت نفسها ، ودخلت ميدان الاحداث التي تم حسمها في الماضي **القريب جدا** . وان مراجعة هذه المرحلة ودراستها مسألة مهمة بالنسبة لمواجهة **المرحلة القادمة** من الكفاح الفلسطيني والعربي التحرري » ( ص ١٢ ) . اذن مرحلة **انقضت** ومرحلة **قادمة** ، وليس هناك **حاضر** بين المرحلتين. هنا يستعير لنا العظم وبلهجة غاية في الجد ظاهرة من الظواهر التي يعني بها علم الفضاء واصطلاحاته وهي ظاهرة « منطقة انعدام الوزن » وبالاستعارة **منطقة انعدام الثورة والمقاومة** . اما عملية الانتقال الجدلية المعقدة والتطور الديناميكي الحي الذي يحكم عملية الصراع والذي تتداخل فصوله النهائية للمرحلة **المحسومة** مع الفصول الاولى للمرحلة **القادمة** : مرحلة الحزب والنظرية ، فهي لا تعني شيئا بالنسبة للدراسة النقدية « الجادة » وهذا الفهم الاستاتيكي لطبيعة الصراع هو الذي يبين لنا بأي معنى تتناول الدراسة قضية الحزب والنظرية .

ان الحقيقة التي تكمن خلف الدراسة النقدية هي أن المثقفين الماركسيين الذين يرقبون تطور الثورة من الخارج ، ناقدين او مراقبين ، يجدون انفسهم غير معنيين بالمعضلات والمصاعب الجدية المباشرة التي تواجهها الثورات في كل طور من أطوارها ، وما تواجهه المقاومة الفلسطينية في **مرحلة الانتقال** نحو المقاومة الثورية القادمة من مهام نضالية مباشرة وتحديات شرسة ، تستهدف وجودها . ان هؤلاء المنظرين يعفون أنفسهم من تعيين مهام شروط تحولها الى مقاومة ثورية مسلحة ، ويضعون أنفسهم في مواقع لا يطالبون فيها بصنع قراراتها .

في مناقشة لموضوعات دوبريه حول البؤرة الثورية والحزب الثوري كتب المناضل

والمثقف البرازيلي مارسيلو اندراي « ان دوبريه منظر من نموذج خاص ، أنه مثقف ماركسي ، وقد يكون المنظر الماركسي كادرا سياسيا ، أما دوبريه فليس كذلك ، وبالتالي، طالما بقي المثقف **مراقبا قارئا ودارسا** ، فان تقديره للمشاكل والمهام الثورية يبقى دائما **معمولا به من الخارج فهو لن يعيش أبدا هذه المشاكل على انها مشاكله الخاصة المباشرة** ، التي يتوقف على حلها استمرار المنظمة التي يشكل جزءا منها » .

ان نظرية الثورة لا تتجلى في دماغ المثقف الا بخطوطها العريضة وملامحها الاساسية(١٥) ومن المعروف جيدا ان دوبريه قد واكب أكثر الحركات الثورية في أمريكا اللاتينية ، وطرح موضوعات وتنظيرات للثورة اللاتينية المسلحة [ ليس هنا مجال مناقشتها وتصويبها أو تخطيئها ] الا ان موقف دوبريه ودراساته كما يقول اندراي يعين حدود دروسه « هذه المفاهيم التي يدعو لها المثقف دوبريه لا شك من انه يحسن هذا الشغل جيدا باعطائه دروسا في الاستراتيجية لبيروقراطيي عشرات الاحزاب الذين قضوا عشرات السنوات في ماضي النضال ( الشيوعي ) لكن وضع المثقف يعين حدود الدروس التي يعطيها » وبالطبع فالمقصود هنا دروس **دوبريه وتنظيراته** ، التي شكلت في اغلبها سلاحا ماضيا فعالا بيد الحركات الثورية في أمريكا اللاتينية ولحد الان ، وليس **نقد السيد العظم وارشاداته** .

ولكي نعين حدود دراسته بدقة والنتائج العملية التي تقود اليها استنتاجاته نطرح هذا السؤال الجاد : لو كان العظم مرتبطا مع تشكيلة ثورية مسلحة مقاتلة ( بضع عشرات من المقاتلين ) تشكل نواة المنظمة الحزبية الثورية التي تقوم على كامل مواصفاته وتشكل في تركيبها نواة طبقية عمالية ، وتمثل النظرية الثورية ، وتلتزم بالضرورة ببرنامج واستراتيجية ثوريين .. ماذا سيكون موقفه وقراره العملي في مؤتمر لتقرير **السياسة العملية** ( للنواة الحزبية الثورية ) في مواجهة **تحديات التصفية الامبريالية الاسرائيلية العربية** ؟ لا اعتقد اننا بحاجة الى جهد كبير لمعرفة ذلك الموقف ، فمن مراجعة الصفحات الاولى عن ( منطقة فراغ الثورة ) وعن ( المرحلة التي **حسمت** والمرحلة **القادمة** ) ومن التدقيق بتوصياته النهائية وتصوراته لبداية المرحلة الجديدة ، فان هذا الموقف سيكون **عمليا** تسليم البنادق الى أقرب مركز للبوليس او الجيش عربيا كان المركز ام اسرائيليا . أليست الشروط الموضوعية للمرحلة **القادمة** غير مكتملة ( ١٠٠ الف بروليتاري ، اكمال بناء حزب ثوري ، تبلور النظرية الثورية ، انحياز نحو الاشتراكية .. الخ الخ ) ؟ أين هي الجدية في مسؤولية المثقفين النقديين تجاه حقائق الصراع الطبقي والمنعطف الذي تجتازه حركة التحرر الوطني الفلسطينية والعربية .

**مواصفات الحزب والنظرية ويسار حركة المقاومة** : واذا كان صادق العظم يعتقد ان المواصفات التي حددها حول الحزب والنظرية هي طريق نهوض مقاومة **ثورية جديدة** فان يسار المقاومة وتنظيراته وبالاخص الجبهة الديمقراطية كما يؤكد هو أيضا ، يمكن أن يحوز على كامل شروطه لموضوعة الحزب والنظرية . اما اذا كانت الاخطاء التي سجلتها الدراسة هي التي جعلته يقرر أن اليسار جزء من المقاومة المهزومة ايديولوجيا وسياسيا فان مثل هذه الاخطاء يمكن أن تقع فيها اية حركة ثورية مسلحة يقودها حزب ثوري ويتبنى نظرية ثورية كما تأكد في هذه الدراسة .

ولمعرفة الازمة الحقيقية ليسار المقاومة ، من الضروري متابعة اعتراضات العظم وانتقاداته ومقارنتها مع الخلفية الحقيقية لازمة المقاومة عموما واليسار خصوصا . وحين يتأكد لنا عدم جدية اعتراضاته نخلص بالمقابل الى انه لم يمس على الاطلاق الحقيقة التي تواجه حركة المقاومة في مناقشته لموضوعات اليسار للتمييز بين التناقضات الرئيسية والاساسية والثانوية وكيف يدفع بالتناقض الرئيسي الى الوراء عند

تغليب تناقض ثانوي وتحويله الى اساسي ( وهذا الجانب من التحليل هو الاكثر أهمية على الاطلاق في رسم اية استراتيجية وتكتيك ثوريين ، باعتباره يحدد المواقف المتغيرة بالنسبة للقوى الطبقية ـــ الاعداء والاصدقاء ، والقوى المحايدة ـــ ) يخرج صادق العظم بتساؤل غريب « كيف يمكن أن يتحول التناقض الثانوي الى أساسي استنادا الى تعريف الجبهة لطبيعة التناقض الاساسي . . . هذا اذا لم نذكر ارتداد نايف حواتمة هنا الى الموقف القديم الذي يعتبر التناقض مع السلطة الرجعية تناقضا ثانويا » ( ص ٩٧ ) ، ويواصل أيضا رافضا الطريقة في التحليل ومعلنا جزعه : « في الواقع لقد باتت هذه الطريقة في التعبير نوعا من المتاهة حيث ضاعت المعالم بين الثانوي والرئيسي والاساسي ومواقع كل منهما وطبيعة عمليات التحول الجدلية التي تطرأ عليه » ( ص ٩٧ ) . في مكان آخر يصوب تحليلات اليسار النظرية فيؤكـــد « ان استراتيجتها وتكتيكاتها لم تتناسب مع تحليلاتها النظرية الصائبة عموما وقناعاتها المتقدمة » ( ص ٢٥١ ) . اذن هنا يؤكد أن تحليلات اليسار النظرية صائبة ومتقدمة . هذه التحليلات النظرية الصائبة كما يقول لم يكن من الممكن التوصل اليها بدون تلـــك التمييزات الدقيقة والملـــة بين التناقضات ورصد طبيعتها وتغيراتها . تلـــك التحليلات النظرية الصائبة هـــي نتاج « المتاهات » التي أعلن جزعه بها . ولكن الاستراتيجية والتكتيك بدون تلك التحليلات ستكون تجريبية ويائسة . اما تفسيره للمتاهة « حيث ضاعت المعالم بين الثـــانوي والرئيسي والاساسي ومواقع كل واحد منها وطبيعة عمليات التحول الجدلية التي تطرأ عليه » ( ص ٩٧ ) فلكي يتأكد من عمليات التحول الجدلية التي تطرأ على التناقضات ، لا بد له ، لكي يتأكد منها ، من متابعة التطورات والتحولات الجدلية الحية بين اندلاع المقاومة وامكانية تعايشها مع النظام ، وتحول النظام الاردني الى الهجوم بعد مشروع روجرز والتدقيق فيطبيعة القوى الفاعلة والمتحكمة في معسكري الثورة وقواها المضادة.

اما القول بأن استراتيجيتها وتكتيكاتها لم تتناسب مع تحليلاتها النظرية الصائبـــة ، فينتقض هذا التشخيص كليا في مكان آخر من الدراسة ، ويؤكد:« لقد حذر يسار المقاومة بدون كلل أو ملل من المخطط الذي كان يعده الملك حسين لتصفية حركة المقاومة في الاردن ، كما بح صوته وهو يدعو الى اتخاذ الاجراءات الفعالة ومواجهة خطر الهجمة الداخلية التي كانت قيد الاعداد » ( ص ٢٥٢ ) اذ لم يكن هذا الموقف الصائب معبرا عن الاستراتيجية والتكتيك الصائبين فماذا يمكن أن يكون ؟ موقف العظم من يسار المقاومة كما ظهر هو : تصويب وتخطيء ، وتأكيد ونقض . في التحليل الاخير لا اعتراض بل تأكيد لصحة موضوعاته النظرية واستراتيجيته وتكتيكه ما عدا « لم يحضر نفسه ، ولم يتخذ الاجراءات الفعالة التي يدعو الى اعتمادها » وهذه الاعتراضات لا تمس البناء التنظري والاستراتيجي اذا كان صائبا . اما اعتراضه ونقده لبعض الممارسات والمظاهر ، والتي في جوهرها تتعلق بالمعضلة الاستراتيجية الاساسية معضلة علاقة حركة المقاومة بحركة التحرر العربي الرسمية من جهة والديمقراطية الثورية من جهة ثانية ، فانه يتناولها بتبسيط وخفة بالبنى . فيكتب في معالجة هذه المعضلة : « لقد استقر يسار المقاومة وكما هو واضح على دخول « لعبة الامم » على الصعيد العربي وهي اللعبـــة التي كان اليسار ينتقد فتحا ومنظمة التحرير بسبب تورطهما بها » ( ص ٢٥٢ ) ثم يعدد المساوىء المترتبة على هذه اللعبة . [ البيروقراطية ، التبعية ، التي تؤدي الى فقدان المبادرة ] .

كم يكون النقد مفيدا وثوريا لو تصدى صادق العظم لتحليل ومناقشة هذه الموضوعة التي يسميها « لعبة الامم » والتي تتعلق بأهم معضلات الثورة الفلسطينية اطلاقا . العلاقة مع الانظمة الرسمية والتي تنعكس سلبا او ايجابا على العلاقة مع حركة التحرر الديمقراطية الثورية . بعد معارك أيلول بدأت مرحلة جزر الثورة المؤقت . على صعيد المقاومة وعلى صعيد تراجعات الانظمة وردتهـــا اليمينية كان منتظـــرا ان يحلـــل لنا سمات وطبيعة التحالفات **التكتيكية ، والمؤقتة والضرورية** في مرحلة الانحسار والتراجع .

والعلاقة بين تلك التحالفات **المؤقتة والتحالفات العضويـــة الاستراتيجية** مع حـــركة التحرر الديمقراطية والثورية . لكن تصديه لهذه المعضلة لم يتجاوز زهوه باكتشـاف هذا الاصطلاح وتكراره دون ان يعطي اي تحليل جدي للتغيرات الخطيرة التي طرأت بعد ايلول على موازين القوى بين معسكري الثورة وتضادها . وعمليات التحول الجدلية التي طرأت على واقع حركة المقاومة خاصة وحركة التحرر العربية بشكل عام. وبالنتيجة حتما لا نجد فروقا جوهرية بين اقتراحاته للخروج من المأزق الذي تعاني منه حركة المقاومة وحركة التحرر العربية وبين تنظيرات وبرامج وسياسات اليسار ، نخلص الى انه لم يمس جوهر المعضلة التي طالما تساءل عنها وهي : لماذا لم تتحول تنظيرات اليسار الصائبة ... الى قوة مادية ثورية تمكن من تحويل حركة المقاومة الى مقاومة ثورية وتنجز معضلات الحزب والقطرية الثورية ، وبالتالي معضلات المقاومة الاستراتيجية .

ان أزمة اليسار ومنطلقاته النظرية وبرامجه السياسية أبعد وأعمق من ان تكون الاخطاء التي تحدث عنها العظم هي التي منعته من التحول الى قوة فعالة مؤثرة سائدة وحاسمة في تطور حركة المقاومة . ان الطبيعة الطبقية لتركيب حركة التحرر الوطني الفلسطينية والتي ترتبط بعدم وجود اقتصاد فلسطيني متشكل ومستقل ، والتي تنعكس بعدم وجود بروليتارية صناعية فلسطينية متميزة ونامية في تضاد مع برجوازيتها (عدا الضفة الغربية نسبيا ، وبعد سياسة الدمج بدأت فقد استقلالها النسبي ) تتكـــون وتتصلب كطبقة اجتماعية صاعدة من خلال صراعاتها الثقافية والسياسيـــة الثوريـــة داخل مجتمـــع فلسطيني متماسك اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا هذه الخصوصية تنعكس في ظـــل ظروف حركة التحرر الفلسطينية ومهماتها الكفاحية بظهور يسار مقاوم **يرتكز الى طبقة عمالية هلامية مشتتة وموزعة في علاقاتها مع برجوازيات مختلفة وعبر علاقات انتاجية واجتماعية** افقدتها ، لحد الآن ، قدرتها على التماسك كطبقة متميزة صاعدة مستقلة عن الايديولوجيات البرجوازية الصغيرة . هذا الواقع لا يعكس نفسه على حركة المقاومة فحسب بل ينعكس بتغييرات مختلفة بالنسبة للحـــزب الشيوعي الاردني ، والحـــزب الشيوعي والمنظمات العمالية الماركسية داخل الارض المحتلة . [ بالطبع بالنسبة للطبقة العاملة الفلسطينية داخل الارض المحتلة فان عوامل اخرى تحكم شروط حياتها غير غربتها الوطنية وعزلتها عن البروليتاريا في الضفة والاردن والبلاد العربية الاخرى ] هذه العوامل مجتمعة قد منعت الطبقة العاملة الفلسطينية في جميع مواقعها ، لحد الان ، من التحول الى طبقة صاعدة تستطيع ان تقود حركة المقاومة الفلسطينية .

ان نظرة تحليلية سريعة يمكن أن تحدد لنا :

١ ـــ ان حدة الصراع القومي مع العدو الاسرائيلي يجعـــل طبيعة « الجبهة المعادية لاسرائيل » واسعة وتضم قوى اجتماعية مختلفة ، الانظمة البرجوازيـــة العربية ، البرجوازية الفلسطينية المتوسطة بدرجات مختلفة من الاحتلال ، الى جانب القـــوى الديمقراطية والثورية الفلسطينية .

٢ـــ التركيب الطبقي للمقاومة الفلسطينية، وازدياد حجم الفلاحين،وانصاف البروليتارية (من سكان المخيمات) وصغر حجم الطبقة العاملة (البروليتارية)(١٦) الصناعية، بسبب من سياسة الاحتلال ، والنظام الاردني اللذين حرصا على عدم تطوير الاقتصاد الفلسطيني بل وتخريبه [ سياسة الجالية اليهودية ضد وعد بلفور ، في السيطرة على الصناعات وتطويرها برؤوس الاموال اليهودية واجبار الرساميل الفلسطينية على التوظيف في الزراعة ] . وحينما يكون حجم الطبقة العاملة الفلسطينية صغيرا وموزعا ، فان دورها في المقاومة الفلسطينية سيكون ضعيفا وغير حاسم .

٣ ـــ هيمنة البرجوازية الصغيرة والمتوسطة على حركة التحرر الوطني العربية، وثانوية

الدور الذي تلعبه حركة التحرر العربية الديمقراطية والثورية [ وانعدامه احيانا في قيادة الثورة الديمقراطية ] وعدم فاعليتها وقدرتها على التحالف الاستراتيجي الفعال مع حركة المقاومة الفلسطينية بسبب حاجز الانظمة البرجوازية وقمعها ، والذي تجعل من الحاجز والقمع عازلا بين حركة التحرر الوطني والديمقراطي والمقاومة لتحتفظ لنفسها بالعلاقة اللفظية والشكلية مع حركة المقاومة لمواجهة أزماتها الداخليــة وامتصاص الضغط الجماهيري ، وتصريف انفجاراته باتجاه دعم حركة المقاومة ومد جسور ثورية معها ، وهذا بالطبع ما يشكل بالنتيجة خطرا جديا على الانظمة العربية .

هذه السمات التي رافقت حركة المقاومة هي التي شكلت الاساس الموضوعي لطبيعة وتكوين اليسار وجعلته غير قادر على تحويل برامجه السياسية والعسكرية الى قوة مادية فعالة وحاسمة . وهي عينها كانت خلف تراجعه المدوي بعد معارك أيلول وانحسار الحركة الديمقراطية وسيادة الاجنحة الاشد يمينية في تركيب الانظمـــة البرجوازية الوطنية . ذلك التراجع الذي لم تكن حـــدوده ونتائجه السياسيـــة في اطار التراجع التكتيكي الضروري والمؤقت في محاولة البحث عن تحالفات ضرورية مع الانظمة الوطنية المتقدمة . في مواجهة جزر الثورة . وهذه المعضلة يسميها صادق العظم، «لعبة الامم»، دون التدقيق والبحث في الاشكال والصيغ التحالفية المؤقتة الممكنة مع الانظمة العربية عبر اخضاعها للتوازن الدقيق بين علاقة المقاومة بالانظمة وعلاقتها بالحركة الديمقراطية والثورية النامية ، بالشكل والصيغ التي لا تشكل فيهـــا خطرا على نمو الحـــركة الديمقراطية والثورية في النظام الحليف . لقد أصبح من الواضح الان ان تراجع يسار المقاومة في تحالفاته مع الانظمة العربية قد ساهم في اضعاف بعض فصائل الحـــركة الديمقراطية والثورية ، وذلك بفعل السمة التضليلية التي يمنحها هذا النوع من التحالف والتي استخدمتها الانظمة لتزكية مواقفها أمام الجماهـــير . ولقد كانت انعكاساتها في اطلاق يد تلك الانظمة في معاركها الصامتة والحادة ضد الحركة الديمقراطية والثورية أو في محاولات ترويض واستيعاب بعض من اجنحتها . وبالطبع ان عوامل تراجع يسار المقاومة التي فرضتها حدة الهجمة الامبريالية لم يكن فقط بسبب الصفات التي ميزت طبيعة تكوينه والتي جعلته بالاصل يحمل بذور التراجع في تكوينه ، بل وايضا بسبب من عدم قدرة الحركة الديمقراطية والثورية العربية النامية على أن تلعب دورا فعالا ، من مواقعها النضالية ومن خلف أسوار وقمع انظمتها ، في دعم حركة المقاومة ، ومن جسور التحالف مع يسار المقاومة خصوصا والمقاومة عموما للمساهمة في صد هجمة ايلول والتقليل من آثارها واعانة حركة المقاومة على تجاوز أزمتها المؤقتة الحاضرة . وهذا يجب الا يقود الى اعتبار ذلك الموقف نابعا من قصور وتخلف برامج وسياسات الاحزاب التقدمية والديمقراطية فحسب بل وبسبب من طبيعة الظروف التي تمر بها حركة الطبقة العاملة وحلفاؤها ، وطبيعة الصراع الذي يتخذ اشكالا معقدة مع انظمة برجوازية الدولة ، وتأثير عامل استراتيجية الحركة التقدمية العالمية على الصراع ، والذي يتمثل في الدعم غير المحدود لهذه الانظمة للمراهنة على تطورها ( اللارأسمالي ) . ان تصدي برجوازية الدولة الصغيرة لمعضلات ومهام الثورة الديمقراطية وتصديها لمواقع الاستعمار الجديد قد انعكس في سيطرتها على أجهزة الدولة واعادة ترتيب قاعدتها الاجتماعية التي ترتكز عليها انظمتها فلقد استطاعت أن تخلق قطاعا عاما مسيطرا وتخلق لها الى جانب البيروقراطية شبه البرجوازية التي تسيطر على نمو الاقتصاد ركائز طبقية في المدينة والريف ، عسكرية ومدنية واذا كان هذا الوجه الاول لنظامها الاقتصادي والسياسي فان الوجه الثاني تمثل في تصديها لاية حركة ديمقراطية مستقلة عن قيادتها وتعارض برامجها وسياستها معارضة جدية ، بأقصى درجات العنف الرجعي والفاشي .

تلك هي الشروط المادية العينية لتخلف حركة التحرر العربية الديمقراطية والثورية وهي

عينها التي كبلتها وجعلتها عاجزة عن تحقيق التحالف الاستراتيجي مع حركة المقاومة والمساهمة في تصعيد الكفاح الثوري ضد الامبريالية الامريكية واسرائيل في اكثر من بؤرة كفاحية .

اما عن ملامح المرحلة القادمة لحركة المقاومة فان صادق العظم يعينها لنا على الوجه التالي : « هناك طبقة عمالية فلسطينية تتكون حاليا في الضفة الغربية وفي قطاع غزة سيكون قوامها في المستقبل حوالي ١٠٠ الف بروليتاري وفي الضفة الشرقية لا بد لحالة القمع الشديد السائدة ان تولد نقيضها ، اي حركة وطنية شعبية اكثر جذرية مما عرفته الاردن في السنوات الاخيرة » ( ص ٢٥١ ). هذا الواقع الموضوعي الذي تحدده الدراسة النقدية سوف يتكون خارج المقاومة لانه قد اكد لنا انها قد « انتهت تقريبا » ومرحلتها « حسمت » في الماضي القريب وانها «غائبة عن الواقع الجديد» وبالضبط كما في صياغته « ان حركة المقاومة اصبحت غائبة عن الواقــع الجديد الذي يتكون ، وغــير قادرة على التأثير فيه » ويواصل متنبئا : «ان الاندفاعات التحررية المعادية للامبريالية الضاربة بجذورها بعمق في حياة الجماهير العربية ستعود لتؤكد نفسها من جديد باشكال كفاحية ارقى وعلى اسس تنظيمية وطبقية اكثر جذرية مما عرفناه حتى الان . . . ولكي تتحول الى ثورة حقيقية لا بد من التنبه الى ثلاث دروس استخلصها ماوتسي تونغ من قيادته للثورة الصينية » ( ص ٢٥٣ ) .

ولنتفحص اولا بأول تصوره لتوفير هذه الشروط وتقريبها : اولا : بالنسبة لحركة التحرر العربية الديمقراطية والثورية ، استشهد بالتحركات العمالية والطلابية التي حصلت في المنطقة العربية ضد الانظمة البرجوازية المستسلمة بقوله « كما عبرت عن نفسها بوضوح في التحركات العمالية والطلابية الاخيرة » ( ص ٢٥٣ ) هذه التحركات الثورية التي تمثل جزءا من الاندفاعة التحررية القادمة لم يقل لنــا هل هي حائزة على شروطه ومواصفاته الثلاث ؟ حسب ما اعتقد . . . لا ، وانما تكتسب متانتها الكفاحية الطبقية والنظرية من خلال تصعيد الحركة الديمقراطية الجديدة واستحــداث اشكال نضالية متعددة ومن خلال عملية الصراع يبدأ الاستقطاب الطبقي . واذا كانت حسب رأيه لم تستكمل الشروط فماذا عليها ان تفعل لكي تنتقل الى المرحلة الجديدة.

ثانيا : المقاومة الفلسطينية حدد مستقبلها بــ « التفاعلات التحتية التي تجري داخل صفوف حركة المقاومة في الوقت الحاضر » ( ص ٢٥٣ ) ماذا عليها ان تفعل امــام هذه التفاعلات ؟ ما هو مصيرها عندما تتعرض حركة المقاومة للتصفية ، كما تحاول عبثا القوى المضادة للثورة ؟ وما هو موقفها تجاه الهجمة الامبريالية الاسرائيليــة الرهيبة الشرسة في اخطر مراحلها اطلاقا ؟ وما هو دورها والقيادة البرجوازية ما زالت تقاتل ؟ هل يتعين لها **دور كفاحي كضمان «للفرملة» تراجع بعض عناصر القيادة ودفعها في الاتجاه الثوري** . . . أم لا فائدة ترجى من الفرع الفلسطيني المهزوم وليس هناك شفاء غير ان يبدأ الحزب من الصفر . واذا كان عليهــا ان تبقى حاملة السلاح مدافعة عن ثورتها وحقها في القتال ، وهذا هو ما ستفعله بالضبط، في هذا الشوط من المرحلة «المحسومة» فما هي شروط الانتقال نحو المرحلة الجديدة ؟

ان صادق ، كما تؤكد دراسته ، لا يرى هناك واقعا وحاضرا للمقاومة . . . انــه يرى فحسب مرحلة انتهت ومرحلة قادمة يبشر بها . . .

وبسبب من استشهاداته بالثورة الصينية واعلان موقفه اللينيني نتابع معه رحلة مقارنة قصيرة نستعين بها فحسب، بقدر السمات والمبادىء العامة والمشتركة في التجربتين. . .
في نقده للبرنامج الزراعي والاقتصــادي وتصوره لطبيعة مرحلة الانتقــال للثــورة الديمقراطية من القيادة البرجوازية الصينية الى الحزب الاشتراكي الديمقراطي الصيني، بعد ان تتكون البروليتاريا يحدد لينين :

« ان الديمقراطية البرجوازية الثورية التي يمثلها صن يات صن تفتش بصورة صحيحة عن سبل « تجديد » الصين في تنمية مبادرة جماهير الفلاحين وحزمها وجراتها لاقصى حد فيما يتعلق بالاصلاحات السياسية الزراعية ... وفي النهاية ستنمو البروليتاريا الصينية بمقدار ما تزداد « الشنغهايات » في الصين وستشكل في اكبر الظن لونا من حزب عمالي اشتراكي ديمقراطي صيني يستنفد طوباويات صن يات صن البرجوازية الصغيرة ونظراته الرجعية ، ويبرز على ما نعتقد ، ويصوت ويطور النواة الديمقراطية الثورية في برنامجه الزراعي والسياسي »(١٧).

وفي ظروف الثورة الفلسطينية وقيادتها الوطنية المقاتلة تتكون المراكز الصناعية وتنمو البروليتاريا الصناعية الفلسطينية ، ولكن ليس في ارض ومصانع تحكمها الثورة الفلسطينية حتى تتكون لقيادة المقاومة مصالح اقتصادية واجتماعية من خلال سيطرتها على الاقتصاد وتوجيهه عبر دولتها واجهزتها البيروقراطية على حساب مصالح الشغيلة الاقتصادية ، حتى تبتدىء مصالحها ( أي البروليتاريا ) بالتناقض الحاد ، الطبقي ، قيادتها الوطنية الحاكمة . ان البروليتاريا الفلسطينية تنمو وتتطور في مصانع العدو الاسرائيلي والانظمة الرجعية والمساومة (الاردن بشكل خاص) بمعنى ، ان البروليتاريا الفلسطينية تصعد كفاحها ضد العدو القومي والطبقي في آن معا بالنضال الوطني ، وهو نضال ما دامت القيادة الوطنية تقاتل فهي جزء من استراتيجيته الكفاحية الطويلة الامد . القيادة الوطنية جزء منه عندما يكون ( جنينيا ) في المرحلة الحاضرة . وتتحالف معه عندما يصبح هو التيار الغالب والحاسم في حركة المقاومة وبازدياد حجمها ووزنها السياسي والعسكري تتعمق الستراتيجية العضوية لحركة المقاومة وتتوضح وتتجذر برامجها ... وتتقدم الى مرحلة حرب الشعب الثورية بقيادة عمالية تصونها من الانعطاف والتردد .

ولكن احتمال تراجع فصائل وعناصر من القيادة الوطنية يظل قائما ما دامت الطبقة العاملة جنينا واتجاهها داخل حركة المقاومة ليس فعالا وحاسما . ولكن طبيعة الصراع واستراتيجية العدو الصهيوني والامبريالي قد قلصت حدود التراجع وحشرتها في حدود الخيانة الوطنية والقومية . ان الهامش الوحيد المتروك امام تراجع العناصر الوطنية ومساومتها في صفوف حركة المقاومة يبدأ من مواقع التفريط بتراب الوطن وخيانة الثورة مهما كانت التبريرات النظرية « تاريخية وموضوعية »... وعندما لا تغادر تلك العناصر والفصائل صفوف حركة المقاومة فحسب ، بل تضع نفسها خارج حركة التحرر الوطني الفلسطيني .

والى جانب سياسة العدو ، فان المؤشرات والخصائص التي تميز حركة المقاومة هي :

١ — أن المقاومة المسلحة التي بدأتها القيادة الوطنية في بداية عام ١٩٦٥ ، لا تستطيع ان تتحكم بمسارها وبالتالي انهاءها ان ارادت لانها اصبحت ملك الجماهير الفلسطينية المسلحة خصوصا والشعب الفلسطيني عموما .

٢ — ان العمليات العسكرية التي يعترف بها العدو ولا تعلن عنها قيادة المقاومة قد بدات تتصاعد في الفترة الاخيرة ، وهذه الظاهرة تشير الى ان الظروف التي يعيش تحت ظلها الشعب الفلسطيني تحت ضغط الاحتلال تولد مقاومة متجددة كل يوم ضد العدو . وبالاخص تلك العمليات التي تعكس المبادرات الذاتية الثورية ، بسبب من ظروف الارهاب وتعذر اجراء الاتصالات الدائمة بقيادة المقاومة . وهذه الظاهرة التي تنبثق دون قيادة لا يمكن التحكم في تطورها في المستقبل كضمانة ضد أي تراجع قيادي لعناصر وطنية .

٣ ــ التصميم الثوري للمقاتلين وجماهير المخيمات ، واستعدادهم لمواجهة حملات الابادة المنظمة التي تستهدف نزع سلاح الشعب الفلسطيني ... فالتصريحات التي ادلى بها قادة المقاومة ( من جميع الاتجاهات والمنظمات ) بصيغة ثورية محددة « أن القائد الذي يطالبكم بنزع سلاحكم صوبوه الى صدره » ، هذه الحقيقة لا تحمل الهزل ولا تعبر عن كلام حماسي يقال في المناسبات ، بل تعبر عن الحالة الموضوعية التي تعيشها الجماهير الفلسطينية وتصميمها على حماية ثورتها والدفاع عنها امام كل الاحتمالات .

لقد أظهرت معارك التصدي الاخيرة للمقاومة ، لتخويف وتطويع الشعب الفلسطيني عن الفشل التام امام ارادة الشعب الذي تصلبت ارادته وتعمق وعيه الثوري لمواجهة المؤامرات التي تستهدف تصفية قضيته ... ربما تخسر المقاومة معركة هنا وموقعا هناك الا ان صفة استمرارها ووجودها صفة ملازمة لوجود الشعب ورفضه ، والعدو واستيطانه .

اما اذا تعرضت المقاومة في احد مواقعها الى عملية ابادة اسرائيلية امبريالية عربية فقد ثبت بالملموس والوقائع ان البنادق التي ستسقط منها **لن يزيد عددها واحدة اكثر من عدد الشهداء** ... وهذا كفيل بان يزلزل الارض تحت اقدام اعداء الثورة ويخلق شروط صمودها واعادة المبادرة اليها وتصعيدها ، واذا كانت الحلقة المركزية والمعضلة الرئيسية التي تواجه حركة المقاومة تتلخص بصمودها ورفض كل الضغوطات عليها لاجبارها على التراجع والمساومة فان الشعار الثوري « من يطالبكم بالسلاح صوبوه الى صدره » يبقى هو الشعار الثوري لحركة المقاومة وحركة التحرر العربية الديمقراطية والثورية النامية . اما صادق العظم فان دراسته تعين له موقعا بعيدا عن موقع كل الثوريين العرب في المساعدة ودعم صمود حركة المقاومة في هذه الفصول الخطيرة من مرحلة انحسارها وحركة التحرر العربية عموما، وتصاعد الهجمة الامبريالية الاسرائيلية الرجعية واستمرارها .

وحتى تجتاز حركة المقاومة مرحلة الانحسار بنجاح تكون الشروط الموضوعية للاندفاعات التحررية والديمقراطية قد دفعت المنطقة العربية الى موجة صمود ثورية جديدة ، تكون المبادرة فيها للحركة الديمقراطية والثورية ومن خلالها تكتسب حركة المقاومة دفعا ثوريا في العمق وتجذيرا في تركيبها الطبقي وبنائها الفكري .

بقيت كلمة اخيرة لا بد ان نذكر فيها صادق العظم ، باعتباره قد الح على انه ينطلق من موقع مغاير لموقع الياس مرقص وان موقفه هو موقف لينيني « وانه مستوحى من الموقف اللينيني القائل بأنه كان ينبغي حمل السلاح بعزم أشد وباقدام اكبر وتنظيم أفضل ... » ( ص ٨ ) : هل نجد هنا حاجة لتذكيره بأن صيغة **كان ينبغي** تعني الماضي ( أي الموقف عشية وخلال ايلول ) لا تصلح للمقاومة **في حاضرها** . وهو الحاضر الذي كان على صادق العظم ان يكون هدف دراسته ليحدد موقفه منه ومن سلاح الجماهير . فالمقاومة في حاضرها ما زالت تقاتل وتقاتل وتشد على السلاح ... ان الصيغة اللينينية الحقة لا تعدم مرحلة الانتقال بين مرحلة **حسمت** ومرحلة **قادمة** ، بل تترجم صيغة لينينية محددة على ضوء صيغة **كان ينبغي** بالنسبة لايلول . تخص حاضر المقاومة ومستقبلها. على المقاومة ان تشد على السلاح ، ان تشدد قبضتها عليه ، بعزم أقوى وبتصميم لا يتزعزع ، وتنظيم أفضل ، وبوعي ارقى لطبيعة الاعداء الذين يواجهون الحركة الثورية الفلسطينية والعربية .

## الحواشي :

١ — **شؤون فلسطينية** ، العدد الخامس، ص ٥٠ .

٢ — **حول أزمة حركة المقاومة الفلسطينية** ( الجبهة الشعبية الديمقراطية ) دار الطليعة ، بيروت ، ص ١٠١ .

٣ — **المصدر نفسه** .

٤ — **شؤون فلسطينية**، العدد الخامس، ص ٥٤.

٥ — من الواضح ان الصيغة السوفييتية المصرية المتقدمة لتفسير قرار ٢٤٢ ، كانت ترتد الى الوراء كلما تقدمت الصيغة الامريكية الاسرائيلية. الانهيارات الداخليـــة في الانظمة العربية هـــي الارضية الطبيعية التي رسمت عليهـــا حدود التراجع نحو الصيغة الامريكية الاسرائيلية ، بتحويل الهزيمة امام اسرائيل الى هزيمة امام الامبريالية الاسرائيلية .

٦ — **دراسات عربية** ، العـــدد الرابع ، سنة ١٩٧١ .

٧ — **المؤلفات المختارة** ، **لينين** ، المجلد الاول ، الجزء الثاني ، دار النشر للغات الاجنبيـــة ، موسكو ، ص ٤٥٦ .

٨ — **شؤون فلسطينية** ، عدد ١٦ ، صفحة ١٧ .

٩ — الاحزاب المشتركة هي : البعث ، الاخوان المسلمون ، الحزب الشيوعي الاردني ، الحزب الوطني الاشتراكي ( سليمان النابلسي ) ، حركة القوميين العرب اشتركت في البداية ثم انسحبت بعد ذلك .

١٠ — **المقاومة الفلسطينية والنظـــام الاردني** ، **دراسة تحليلية لهجمة ايلول** ، منشورات مركز الابحاث في م. ت. ف. ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص ٣٩ .

١١ — **المصدر نفسه** ، ص ٥٦ .

١٢ — **دراسات عربية** ، عدد ٢ ، سنة ١٩٧١ ، الصفحات ٨٩ وما بعدها .

١٣ — **الهوك** : ( جيش التحـــرير الوطني ) او الذراع المسلح للحزب الشيوعي الفلبيني .

١٤ — **دراسات عربية** ، عدد ١٢ ، سنة ١٩٧١ ، صفحات ٦٥ وما بعدها .

١٥ — **البؤرة الثورية والحزب الثوري** . مناقشات لموضوعات دوبريه ، ص ١٢ وما بعدها .

١٦ — ظروف العمل الخاصة التي يعيش في ظلها العمال الفلسطينيون في الارض المحتلة والاردن ولبنان وسوريا ، الذين تحرمهم الانظمة من كل حقوق نقابية للعمال مما يشجع الميول الانتهازية لدي شرائح وعناصر من الطبقة العاملة للاحتفاظ بعملها واستمرارها فيه .

١٧ — الشنغهايات: وكما يقصد بها لينين « المراكز الصناعية التي تخطط القيادة الصينيةالبرجوازية لبنائها » والتي يقول عنها صن يات صن « مراكز يتكدس فيها ملايين الناس ويتركز فيها الثراء الرأسمالي والعوز والبؤس البروليتاريان » .

# النفط العربي كمحرك سياسي في ازمة الطاقة

عودة ابو ردينة

قال بيتر بيترسون ، وزير التجارة الاميركي السابق في اجتماع عقدته جمعية الفحم الوطني الاميركية في صيف ١٩٧٢ موجها كلامه الى الجمعية : « لقرنين من الزمن ، كنا نحرق شمعتنا من طرفيها . » ثم تلا بعض الابيات من شعر ادنا فنسنت فيلاي ، فكان كأنه يتلو مرثية ربما رددها احدهم يوما ما لرثاء جميع الصناعات الاستخراجية . تقول الابيات :

**« شمعتي تحترق من طرفيها**
**وستنتهي قبل انقضاء الليل**
**لكنها أيها الخصوم ، لكنها أيها الاصدقاء**
**تعطي نورا بديعا »(١).**

لقد قال رئيس الولايات المتحدة بأن هناك مشكلة في تأمين الطاقة . وفي الدورة الثانية والتسعين لانعقاد الكونجرس ( ١٩٧٢ ) وخلال الفترة الاولى وحدها من هذه الدورة أمضت ١٨ لجنة ولجنة فرعية ١٣٠ يوما وهي ترد على أسئلة تتعلق بنقص الطاقة . وحول ذلك علق احد المحامين الذي يعمل مع عدد من شركات النفط بقوله : « انهم يشبعون المسألة درسا . والمشكلة التي تواجهها الحكومة الان هي أن هناك ٤٣ وكالة معنية بالطاقة »(٢). ويقول وزير الداخلية ، روجرز مورتون ان عدد هذه الوكالات هو ٦١ وكالة(٣) .

لكي نلم « بازمة الطاقة » سنركز في هذه الدراسة على النقاط التالية في محاولة لتحليلها وتقييمها : ١) دور النفط العربي في أزمة الطاقة : ٢) امتحان امكانية استخدام النفط والقوة المالية العربية كسلاح لدعم الوضع العربي في مواجهة اسرائيل والدول التي تدعمها وخصوصا الولايات المتحدة ، ٣) مدى رغبة الدول العربية الرئيسية المنتجة للنفط في استخدام النفط كسلاح ، ٤) السياسة الخارجية الاميركية والنفط العربي .

## ابعاد ازمة الطاقة في الولايات المتحدة

تمتلك الولايات المتحدة ٥ بالمئة فقط من الثروات الطبيعية في العالم ، ولكنها تحتل المرتبة الاولى في معدل الطلب الفردي على الطاقة . وارتفاع معدل الاستهلاك الفردي هذا ناجم عما تملكه الولايات المتحدة من وسائل تعتمد على الطاقة . ففي الولايات المتحدة ١٢٠ مليون سيارة وشاحنة ، و ٢٣٠٠ طائرة ، واكثر من ١٢ مليون مصنع ومركز عمل، و٧٠ مليون بيتا ، جميعها تحرق الطاقة وتستهلك ٥،٥ بليون برميل من النفط ، و ٥١١ مليون طن من الفحم ، و ٢٢ تريليون قدم مكعب من الغاز الطبيعي ، و ١٦٠٠ طن من اليورانيوم القابل للانشطار(٤). ان الولايات المتحدة لا تزال تحتفظ بكميات ضخمة من الاحتياطي في بعض المحروقات . غير ان هذه الكميات محدودة وهناك ضغط لاقامة نوع من الاولويات في استخدامها . وفي هذا المجال يعلق الدكتور جيمس شلسنجر ، رئيس

لجنة الطاقة الذرية ، بقوله « ان الحرية التقليدية التي كانت تتمتع بها الولايات المتحدة في اختيار ما تشاء من المحروقات العديدة ، قد انتهت »(٥).

ان نقصان الطاقة وارتفاع تكاليف القوى المحركة في بعض مناطق الولايات المتحدة قد يؤدي ، وفي غضون عشر سنوات ، الى عمليات نزوح ضخمة في السكان والمصانع من تلك المناطق الى مناطق أخرى يكون الوقود فيها أكثر وفرة . ويعتقد جيمس كيف ، مدير دائرة التجارة والصناعة في ولاية مين ، انه في الاثنتي عشرة سنة القادمة «سوف يؤدي النقص في الطاقة الى خنق النمو الاقتصادي ، والنمو الصناعي والتجاري ، ويقضي على الحاجات الضرورية »(٦).

يشير السيد كيف الى أن ولايات الساحل الشرقي ، والولايات الوسطى ، والوسطى الشمالية تضم ٧٢ بالمئة من مجموع السكان وتستهلك ٦٥ بالمئة من المجموع العام لاستهلاك الطاقة . وهذه الولايات اذن ، تعتبر « في حالة عجز بالنسبة للطاقة الاولية»، لانها تستهلك من الوقود أكثر بكثير مما تنتجه في أراضيها الذاتية ، او ضمن حدودها المحلية .

تقول احدى وثائق وزارة الخارجية ، ان الولايات المتحدة قد تصبح في عام ١٩٨٠ معتمدة على النفط العربي ، ما لم تتمكن سريعا من ايجاد مصادر طاقة جديدة او بديلة للنفط العربي . وتقول الوثيقة ، أنه في حال استمرار الاتجاهات الحاليـة ، فان الولايات المتحدة ستصبح في عام ١٩٨٠ معتمدة على الشرق الاوسط في ٦٥ بالمئة مما تستهلكه من بترول .

تتنبأ دراسة « صناعة النفط الدولية خلال ١٩٨٠ »(٧)، ان استهلاك النفط في ١٩٨٠ سوف يزيد على الضعف في المناطق الصناعية الرئيسية الثلاث خارج العالم الاشتراكي، وهي : الولايات المتحدة ، وأوروبا الغربية واليابان . اذ من المتوقع ان يرتفع مـا تستهلكه هذه المناطق مجتمعة والذي يبلغ الآن ٣٠،٥ مليون برميل في اليوم ، الى ٦٢ مليون برميل . وسوف يرتفع استهلاك الولايات المتحدة من ١٥،٥ مليون برميل ، وهو ما تستهلكه حاليا في اليوم الواحد ، الى ٢٤ مليون برميل . كذلك سوف يرتفع استهلاك أوروبا الغربية من ١٢ مليون برميل الى ٢٦ مليون برميل في اليوم . امـا استهلاك اليابان والذي يبلغ حاليا ثلاثة ملايين برميل في اليوم ، فسوف يقفـز الى ١٢ مليون برميل(٨).

يتساءل السناتور توماس ماك انتاير بقوله « الى متـى يمكن للحكومة أن تستمـر بالسياسة الخاصة باستيراد النفط ، والقائمة على صد النفط الاجنبي في حين أصبح واضحا لدينا أن استيرادنا من هذا النفط سوف يزداد في السنوات العشر القادمة بما لا يقل عن مليون برميل في اليوم الواحد سنويا ؟ »(٩) .

كان هذا السؤال موجها الى جورج لينكولن ، المدير السابق لمكتب تجهيز الطاقة . وقد رد لينكولن على السؤال الا أن رده كان خياليا وكأنه يتكلم في جزيرة روبنسون كروزو . قال لينكولن :

« ان البرنامج الذي أشرف على ادارته يقوم عمليا باستحضار النفط الاجنبي ، وهو من ثم ، ليس برنامجا لاستبعاد هذا النفط . ولكن المشكلة التي أواجهها هي الى أي مدى وبأية طريقة نفعل ذلك »(١٠). ثم مضى لينكولن بعد ذلك يقلل من أهمية « الخطر على امننا »(١١)، والحاجة لتشجيع التطوير الوطني للنفط ومصادر الطاقة الاخرى. وقد بدا حديث لينكولن للبعض ، وكأنه نوع من الوقائية المقنعة . في خطاب له أمام اللجنة التشريعية الخاصة بحدود وثروات البحار ، قال السناتور ماكغفرن ان نظام استيراد

النفط يكلف المستهلكين الاميركيين حوالي خمسة بلايين دولار في العام ، ويأخذ حوالي ٢٠٠ دولار في العام من جيب كل عائلة في ماساشوستس(١٢).

ان احد الاسباب الكامنة وراء نظام استيراد النفط ، وان لم يطرح ذلك علانية ، هو حماية منتجي النفط المحليين . فالنفط العربي يباع في مناطق الساحل الشرقي في الولايات المتحدة بسعر يقل حوالي ١،٢٥ دولار عن سعر النفط الاميركي للبرميل الواحد .

اما السبب الثاني فقد جاء على لسان هوليس دول ، المساعد السابق لوزير الداخلية لشؤون الثروات المعدنية . قال دول : « على الرغم من انه لم يعد لدينا فائض في انتاج المنطقة الشرقية ، فان سياستنا لا زالت تقوم على الحد من الاستيراد ، ولا بد أن نستمر في هذه السياسة اذا أردنا ان ننجح حقيقة في التطوير التجاري للوقود الصناعي المستخرج من نفطنا وفحمنا »(١٣).

اما السبب الثالث فيتلخص في حجة الامن . كان الرئيس ايزنهاور قد فرض كوتا تحدد الاستيراد بـ ٧٣٨،٥٧٠ برميلا يوميا باسم الامن — تشجيعا للتصدير الوطني ولتقليل الاعتماد على التموين الخارجي ، والذي يكون عرضة للانقطاع بسبب الحرب أو المناورات التجارية والسياسية . قام عدد من المنتقدين لنظام الكوتا باعداد اتهام قانوني يقول بأنه لم يجر استعراض حالة الامن في يوم من الايام على الاطلاق . وعلق جون ليتشبلو ، المدير التنفيذي لمؤسسة دراسة الصناعة النفطية ، بقوله ان نظام الكوتا لم يعد مفيدا « ان هذا النظام قد صمم لبلد يكون لديه فائض من الطاقة ، والولايات المتحدة لم تعد ذلك البلد »(١٤).

ان مخططي سياسة الطاقة الاميركية وبعض الاقتصاديين العاملين في شؤون النفط ، يولون عناية فائقة لازدياد اعتماد الولايات المتحدة على النفط العربي . يقول جيمس اكنز « نحن في الولايات المتحدة ، لا نعير الاهتمام الكافي لما يعانيه العرب »(١٥) في مشكلتهم مع اسرائيل . ويعتقد توماس ستوفر ، من جامعة هارفرد ، بأن قيام الولايات المتحدة بازالة جميع القيود على استيراد النفط سيكون «اما عملا ساذجا او لا مسؤولا». ويشعر ستوفر بأن فرض القيود على استيراد الطاقة يمكن تبريره أمنيا واقتصاديا . « تشكل الاستيرادات الخارجية الى منطقة الشاطىء الشرقي حوالي ٥٠ بالمئة من استهلاك النفط ، في الوقت الذي نفدت فيه طاقة الاحتياط المحلي . وهكذا أصبحت التدفئة المنزلية وتوليد الطاقة الكهربائية، على امتداد ساحل الاطلنطي عرضة لانفجارات معادية للاميركيين في فنزويلا ، أو نتيجة لانجازات اسرائيل الجديدة في الشرق الاوسط . ونحن لا يمكن ان نقبل بوضع نكون فيه معرضين للأذى . ان منطق الامن يجد تدعيما له في كون النظام الحالي لتقييد استيراد النفط ، بالرغم من عدم ملاءمته ، لا يشكل عبئا اقتصاديا يذكر ، على الولايات المتحدة . اذ على الرغم من أن سعر النفط الاجنبي ادنى من سعر النفط الاميركي ، فان كلفته الاقتصادية أعلى في الواقع من كلفة النفط الاميركي »(١٦).

## دور النفط العربي في أزمة الطاقة

ان الذي يعطي اهمية خاصة للنفط العربي ضمن الصورة الدولية للنفط هو أن ثلثي احتياط النفط الثابت والقابل للاستخراج ، خارج البلدان الاشتراكية ، موجود في باطن الارض العربية . ينقسم احتياطي النفط في العالم ، وفق تقديرات عدة مراجع صناعية ، على النحو التالي :

العالم العربي ٣٥٠ بليون برميل ، ايران ٦٠ بليون برميل ، الولايات المتحدة ٤٠ بليون برميل ، فنزويلا ١٥ بليون برميل ، اندونيسيا ١٥ بليون برميل ، كندا ١٠ بلايين برميل ،

بلدان غربية اخرى ١٠ بلايين برميل ، بلدان افريقية اخرى ٥ بلايين برميل ، بلدان أخرى(١٧) ٥٥ بليون برميل .

غير ان « هذه الصورة هي دون الواقع بكثير » ، على حد تعبير جيمس اكنز ، مدير مكتب الوقود والطاقة في وزارة الخارجية . فهذه التقديرات تعطي لاحتياطي السعودية ١٥٠ بليون برميل ، الا ان معظم الجهات مقتنعة بأن ما يوجد في السعودية يزيد على ضعف هذه الكمية على الاقل ، وبحسب هذه التقديرات ذاتها يوجد في العراق ٣٠ بليون برميل بينما الرقم الحقيقي يمكن أن يصل الى حوالي ٧٥ بليون برميل(١٨).

لكي نفهم طبيعة السيطرة البترولية العربية يجب أن ننظـر الى نسبة الاحتياطي الى الانتاج . ان ما يملكه العالم العربي من احتياطي يزيد كثيرا عما انتجه حتى الان ، اما في فنزويلا والولايات المتحدة فالامر على عكس ذلك . يقول والتر ليفي، أحد الاقتصاديين العاملين في حقل النفط : « استنادا الى المعلومات الحالية سوف ينتهي احتياطي الولايات المتحدة في غضون ١٢ عاما اما احتياطي الشرق الاوسط وشمال افريقيا معا فلن ينتهي قبل ٦٠ ــ ٧٠ سنة على الاقل »(١٩).

من الواضح ان الولايات المتحدة تستنفد احتياطيها من النفط بسرعة تزيد على خمسة أضعاف السرعة التي يجري بها استنفاد الاحتياطي في العالم العربي ، كذلك فان ما يملكه العالم العربي من طاقة احتياطية تمكنه من احداث زيادة ضخمة في معدل الانتاج خلال العقد القادم . وهنا يكمـــن الدور الاساسي للنفط العربي . يقـــول كريستوفر توجندات ، عضو البرلمان البريطاني والخبير في النفط ، بأنه « ليس هنـــاك بديل لنفط الشرق الاوسط »(٢٠).

ويملك الاتحاد السوفييتي بدوره احتياطيا يزيد على ما أنتجه حتى الان كما ان هذا الاحتياطي يقدر بكميات هائلة . « ولكن ، حتى بدون الاعتبارات السياسية ، لا تستطيع أوروبا الغربية وامركا الشمالية واليابان أن تنظر الى روسيا كمصدر رئيسي بديل لمصدر نفطها الحالي . ففي الاتحاد السوفييتي والبلدان الشيوعية يزداد الطلب على النفط بشكل سريع . وعلى ذلك ، فان دول أوروبا الشرقية تخطط بالفعل لكي يصبح الشرق الاوسط مصدر قسم كبير من مستورداتها النفطية ، اما الصادرات السوفييتية للبلدان غير الشيوعية فلن تكون أكثر من نقطة في بحر . وبحسب التقديرات الحالية سوف تصل الصادرات السوفييتية خلال السبعينات الى حوالي ٥ بالمئة مما تحتاجـــه أوروبا الغربية في الفترة ذاتها وان تلك الصادرات ستستخدم اجمالا لمواجهة الضغوطات المالية والالتزامات السياسية »(٢١).

لا تتوقف أهمية النفط العربي على احتياطيه الضخم وانمـــا تعود أيضا الى تكاليفه الرخيصة . تتراوح كلفة انتاج البرميل الواحد في العالم العربي بين ٤ الى ١٠ سنتات اميركية . وفي ليبيا ، حيث البترول هو الثاني في الرخص ، يكلف البرميل الخام ١٥ سنتا ، اما في فنزويلا فتصل كلفة البرميل من النفط الخام الى ٦٠ سنتا وفي تكساس تصل الى رقم خيالي اذ تبلغ ١٦٠ سنتا(٢٢).

يرجع رخص النفط العربي في جزء منه الى معدل انتاجه العالي . ان معدل انتاج البئر الواحدة في الخليج العربي يزيد على خمسة آلاف برميل في اليوم ، وفي بعض الحقول يصل ذلك الى ١٥ الف برميل في اليوم . وبالمقابل لا يزيد معدل انتاج البئر في الولايات المتحدة على ١٤ برميلا في اليوم(٢٣).

وتقل تكاليف البحث عن النفط في العالم العربي عنه في اي مكان آخـــر . ففي أوائل الستينات قدرت تكاليف اكتشاف الطن الواحد من البترول بـ ١٠٥ سنت في حين بلغت تلك

التكاليف ٣ دولارات في أوروبا الغربية ، و٠٤٤، ١ دولار في الولايات المتحدة ، ودولار واحد في كندا و١٥ سنتا في فنزويلا و١٣ سنتا في افريقيا(٢٤).

تقدر القيمة الدفترية المستهلكة للاستثمارات النفطية الاميركية في العالم العربي بـ ٢٤٢ بليون دولار ، وذلك وفقا لتقديرات وزارة التجارة الاميركية(٢٥). اما القيمة الاستبدالية أو التعويضية فتقدرها وزارة الخارجية بـ ٥٠ بليون دولار أو أكثر(٢٦). وتحول صناعة النفط الاميركية الى الولايات المتحدة ٦،١ بليون دولار في العام(٢٧). لكن ايرادات الدول العربية المنتجة للنفط تزيد بصورة مستمرة عن ايرادات الدول المستهلكة . ويعود ذلك جزئيا الى الاتفاقية الخاصة بالاسعار التي عقدت بين شركات النفط وحكومات البلاد المنتجة للنفط ، والتي كان من نتيجتها ان أصبحت ايرادات البترول لعام ١٩٧٠ على النحو التالي : ٦،١٥ ٪ بالنسبة لجميع البلدان ، ١،٣٣ ٪ في العالم العربي ، و٨،٤ ٪ في البلدان المستهلكة(٢٨).

يعتقد الكثيرون ان على الولايات المتحدة ان تقلل من اعتمادها على مستوردات النفط الاجنبي وخاصة النفط العربي ، وان تعوض عجزها في الطاقة بزيادة استغلالها للفحم. ولكن على الرغم من ان الولايات المتحدة تمتلك احتياطيا ضخما من الفحم يبلغ ٧٥٠ بليون طن ، الا أنها « لا تستطيع مثلا أن تقوم باحراق الفحم بصورة مباشرة في قطاع المواصلات ، كما ان الفحم ليس هو الوقود المفضل لعدد من مجالات الاستخدام » . ويضيف هربرت هانسن ، نائب رئيس شركة نفط الخليج الى ذلك قوله « ان التدفئة العامة التي كانت تعتمد على الفحم أصبحت تقوم الان على الغاز والنفط . يضاف الى ذلك ان اعتبارات البيئة تحد في الوقت الحاضر من استخدام احتياطينا من الفحم بكثرة في الصناعة وتوليد الطاقة وذلك لاحتواء الفحم على كميات كبيرة من الكبريت »(٢٩). وينبغي أن نشير اخيرا الى أن صناعة الفحم لا زالت تعاني من مشكلة كبرى هي سلامة العاملين بها . ففي الشهور التسعة الاولى من عام ١٩٧٢ وقعت ١١٨ حادثة وفاة في المناجم ، وهذا العدد ليس مرتفعا الى درجـــة كبيرة بحيث يمكن أن يعتبـــر مشكلة كبيرة(٣٠).

وهناك بديل آخر للنفط يحظى الان باهتمام كبير ، وهو الوقود الصناعي من الشيل (Shale) والفحم . لكن السيد هانسن يعتقد بأن توقع حدوث زيادة ملحوظة في الوقود الصناعي خلال العشر او الخمس عشرة سنة القادمة ، هو توقع غير واقعي . « ومرة اخرى ، فان المهلة اللازمة التي يحتاجها التطوير التكنولوجي ، وتصميم المنشآت التي تتطلبها سلامة البيئة يجعل من المتعذر على الوقود الصناعي أن يصبح ذا اهمية قبل عام ١٩٨٥ . يقدر مجلس البترول الوطني أن انتاج النفط من الشيل سيكون في حدود ٤٠٠ الف برميل في اليوم ، ومن الفحم حوالي ٢٠٠ الف برميل فقط في اليوم الواحد عام ١٩٨٥ . ومن الممكن على أي حال مضاعفة هذه الارقام اذا توفرت برامج مكثفة . لكنها مع ذلك تبقى كميات ضئيلة نسبيا »(٣١).

يوضح هوليس دول ، أحد الاسباب التي تجعل من الاعتماد على النفط العربي قليل التكاليف على النحو التالي : ان ما تكلفه عمليات التنقيب عن برميل واحد من النفط الخام واستخراجه في العالم العربي ، يبلغ حوالي ٢٧٥ دولارا ، أي ١/٢٠ مما تكلفه عمليات استخراج كمية مماثلة من الطاقة في الولايات المتحـــدة « في المصانع الكيميائية التي تستخدم ثروات محلية » مثل الفحم والشيل(٣٢).

اما البديل الثالث للبترول فهو استخدام الطاقة النووية . ولكن أحد الخبراء الاميركيين الكبار في الطاقة النووية قد بدد الوهم القائل بأن الجواب يكمن في ايجاد مصانع تعمل بالطاقة النووية. يقول ريكوفر : « ان القوة النووية بدورها ذات طاقة محدودة ، تعتمد، كما هو معروف ، على اليورانيوم ، أي على ثروة محدودة . ولكن اذا استطعنا ان

نضمن امكان تمييع الهيدروجين قبل أن تتلاشى بقايا المحروقات ، فان مشكلة الطاقة تصبح أقل خطورة بكثير . لكننا لا نعرف سوى القليل عن هذا المصدر المحتمل للطاقة ، وتطويره سيكون أصعب عملية تكنولوجية عرفها الانسان . وفوق ذلك نحن لا نعرف حتى ما هي الاخطار المحتملة التي يمكن ان يتعرض لها الانسان من جراء استخدام هذا المصدر » .

لكن ماذا عن تطوير مصادر الطاقة الاخرى مثل الطاقة الشمسية ، وطاقة الارض الحرارية ، وطاقة المد والجزر ، وطاقة الكهرباء الستاتيكية ، وطاقة الجاذبية ؟

طريقنا الى المستقبل لا زال في بدايته ، وبعض هذه المصادر ذات قدرة محدودة على انتاج القوة . يقول ريكوفر « لو استطعنا السيطرة على كل الحرارة البركانية في الارض ، فاننا لن نؤمن سوى عشر ما يحتاجه العالم من الطاقة . والشيء نفسه ينطبق على طاقة المد والجزر . اما بالنسبة للطاقة الشمسية والتي تتعلق عليها آمال الكثيرين، فالمشكلة هي في تكاليفها الهائلة . فلو استطعنا مثلا ان نجمع ضوء الشمس الذي يسقط على ١٤ بالمئة من الصحراء الغربية في الولايات المتحدة ، فان ذلك يؤمن ما نحتاجه من قوة منذ الان وحتى عام ١٩٩٠ . لكن تكاليف هذه العملية ، على فرض نجاحها ، سيكون خياليا اذ يبلغ أربعة اضعاف تكاليف القوة النووية »(٣٣).

ان الولايات المتحدة ، ستكون مرغمة في السنوات العشر أو الخمس عشرة القادمة على الاعتماد على النفط كمصدر رئيسي لما تحتاجه من الطاقة .

وبما ان الاعتماد على النفط العربي سيزداد لمواجهة ازدياد الطلب على البترول ، فسوف تزداد اهمية العالم العربي بالنسبة للسياسة القومية الاميركية .

في عام ١٩٧٠ بلغ انتاج البلدان العربية ١٥ مليون برميل من النفط في اليوم أي ٦٠ ٪ من كمية النفط المتداولة في اسواق العالم والتي بلغت ٢٧ مليون برميل يوميا في ذلك العام . وستصل شحنات البترول في عام ١٩٨٠ الى حوالي ٧٠ مليون برميل اي ٧٠ ٪ . يقول جيمس اكنز ، انه في عام ١٩٨٠ ستزيد كميات النفط التي تنتجها أي من ليبيا او السعودية او الكويت او العراق وربما ابو ظبي عن مجموع الاحتياطي الفائض للبلدان الاخرى المنتجة للنفط مجتمعة . أي ان دولة واحدة من هذه الدول تستطيع في ذلك الوقت ، اذا أوقفت انتاجها ، أن تسبب أزمة نفطية ، ويمكن لدولتين معا أن تسببا أزمة خطيرة للغاية(٣٤).

وبسبب هذه المعادلة الجديدة في العرض والطلب ، يقول رئيس شركة كونتيننتال للنفط ، « سوف تشهد بلدان العالم الحر بين الوقت الحاضر ( ١٩٧٢ ) وعام ١٩٨٥ قيام تكتلات جديدة ومهمة للمصالح الاقتصادية والسياسية فيما بينها »(٣٥). ويوضح ماكلين كلامه هذا بقوله : « في الجهة الاولى سوف تقف دول الاوبك ( المصدرة ) ، وربما بعض الدول الاخرى المهتمة في تأمين أكبر فائدة يمكن استخلاصها من ثرواتها الطبيعية ، والتي تدرك في الوقت ذاته مقدار القوة التي تتمتع بها بفضل موقعها الاحتكاري . اما في الجانب المقابل فسوف تقف دول الاستهلاك الرئيسية ، التي ستكون مضطرة ان تشتري كميات متزايدة من النفط لخمس عشرة سنة على الاقل ، اذ لن يكون بامكاننا قبل ذلك الوقت ايجاد بدائل ذات اثر . وعلى هامش هاتين الكتلتين سوف تقف روسيا ، كمراقب مهتم وربما محرض ، وهي تشعر بالراحة لكونها الدولة الكبرى الوحيدة آنذاك التي تتمتع باكتفاء ذاتي في مصادر الطاقة »(٣٦).

ان زيادة مستوردات البترول تشكل هما آخر لمخططي الحكومة الاميركية ، ذلك هو زيادة العجز في ميزان المدفوعات . يقدر بيترسون ، وزير التجارة الاميركي ، انه اذا وصل استيراد الولايات المتحدة من النفط الى ١٢ مليون برميل يوميا في عام ١٩٨٠ ،

وكما هو متوقع ، فان ميزان المدفوعات الامريكي سيقع تحت وطـأة ٢٠ بليون دولار سنويا مما سيولد حالة « عسر هضم » اقتصادية وسياسية(٣٧).

كذلك فان زيادة اعتماد الولايات المتحدة على استيراد النفط والغاز ستترك ذيولا على الاسعار لها آثار مذهلة . وتقـدر وزارة الداخلية الاميركية ، اذا ما صحت التنبؤات حول المستقبل ، انه بمجيء عام ١٩٨٥ سيترتب على الولايات المتحدة ان تدفع الى الخارج ما يزيد على ٢٧،٥ بليون دولار في العام الواحد(٣٨). فالولايات المتحدة تستورد في الوقت الحاضر بما قيمته ٤ بلايين دولار من النفط سنويا . لكن هذه المبالغ تعوض من عائدات الارباح التي تحققها شركات النفط الاميركية العاملة في الخارج ، ومن صادرات المعدات التكنولوجية اللازمة لها . بل ان هذه الارباح تزيد كثيرا علـى المدفوعات المذكورة . اما عندما تصل المدفوعات الى ٢٧،٥ بليون دولار ثمنا للنفط المستورد ، فسوف تضيف عبئا ضخما الى الصعوبات الحالية التي يعاني منها ميزان المدفوعات ، وسيؤدي ذلك « الى عجز يفوق طاقة الامة »(٣٩).

ربما كان من المناسب أن نتذكر ان الولايات المتحدة قامت في كانون الاول ١٩٧١ بتخفيض قيمة الدولار بحوالي ٨،٦ ٪ . وكان ذلك لسببين : عجز في ميزان المدفوعات بمقدار ٢،٥ بليون دولار ، وفائض من الدولارات الجاهزة لدى اليابان بلغ ١٦ بليون دولار . اذن ماذا يمكن أن يحدث لو اضطرت الولايات المتحدة لاجراء تخفيض مشابه في المستقبل لكي تعوض عن العجز الذي سيبلغ ٢٧،٥ بليون دولار . يقول المر بنيت ، مساعد جورج لينكولن في مكتب التجهيز الاقتصادي ، « ان الذي سيحدث على سبيل المثال هو أن يصبح سعر سيارة الفولكسفاكن سبعة آلاف دولار في الولايات المتحدة » .

اما البلدان العربية المنتجة للنفط فستشهد ارتفاعا هائلا في دخلها من النفط في السنوات الخمس التالية وذلك بسبب زيادة الانتاج وارتفاع العائدات من البرميل الواحد . ويبين الجدول التالي ( ١ ) الارقام الخاصة بالانتاج والدخل لعامي ١٩٦٥ و١٩٧٠ والارقام المتوقعة لعام ١٩٧٥ .

## جدول رقم ١

انتاج النفط (بآلاف البراميل في اليوم)، وعائدات الحكومات (بملايين الدولارات في السنة)

| | ١٩٦٥ | | ١٩٧٠ | | ١٩٧٥ | |
|---|---|---|---|---|---|---|
| | الانتاج | العائدات | الانتاج | العائدات | الانتاج | العائدات |
| السعودية | ٢،٢٠٥ | ٢٥٥ | ٣،٧٩٨ | ١،٢٢٨ | ٦،٥٠٠ | ٣،٤٨٧ |
| الكويت | ٢،٣٥١ | ٦٧١ | ٢،٩٨٩ | ٨٩١ | ٤،٠٠٠ | ٢،٠٥٩ |
| العـــراق | ١،٣٢٠ | ٣٧٥ | ١،٥٥٨ | ٥١١ | ٢،٦٠٠ | ١،٤٣٣ |
| ابوظبي | ٢٨٢ | ٧٧ | ٦٩١ | ٢٢٢ | ١،٠٠٠ | ٥٣٦ |
| قطـــر | ٢٣٠ | ٦٣ | ٣٦١ | ١١٦ | ٣٦١ | ١٩٤ |
| عمـان | | | ٣٣٣ | ١٠٧ | ٤٠٠ | ٢١٥ |
| دبي | | | ٨٦ | ٢٨ | ١٥٠ | ٨٠ |
| البحرين | ٥٧ | ١٦ | ٧٧ | ٢٥ | ٧٧ | ٤١ |
| ليبيـا | ١،٢١٣ | ٣٧١ | ٣،٣٢١ | ١،٣٠٠ | ٣،١٧٠ | ٢،٤٧٦ |
| الجزائر | ٥٦٥ | ١٤٤ | ٩٩٠ | ٣٦١ | ١،٤٣٠ | ١،٠٦٥ |
| المجموع | ٩،٢٢٣ | ٢،٣٧٢ | ١٤،٢٠٤ | ٤،٧٨٩ | ١٩،٦٨٨ | ١١،٥٨٦ |

ملاحظة : ان التقديرات الخاصة بانتاج النفط لعام ٧٥ هي تقديرات مضغوطة بالفعل ، اذ انها حسبت على اساس معدل اجمالي للزيادة السنوية هو دون ١٠ بالمئة بعد العام ٧١ . مع العلم أن الزيادة في الانتاج كانت ١٢ بالمئة عام ٧٠ و ١٨ بالمئة عام ٧١(٤٠).

ان ما يدخل للبلدان المنتجة للنفط من عائدات ضخمة سيعطي لقوة المال العربية مركزا جديدا مهما في أسواق العالم المالية . فيقدر جون ماكلين ، رئيس شركة كونتننتال ، مثلا ان عائدات دول منظمة الاوبك من النفط ستبلغ من عام ١٩٧٢ وحتى عام ١٩٨٥ حوالي نصف تريليون ( ٥٠٠ الف مليار ) من الدولارات . فالنفط يصدر من عدد محدود من الدول هي في الغالب دول صغيرة . ومعظم هذه الدول، خاصة تلك التي يتضاءل فيها عدد السكان وتتدنى كثافتهم لانتشارهم على مساحات شاسعة مثل دول الخليج وليبيا، لا يمكن ان تستثمر كل تلك الاموال في بلدانها . لذلك من المحتمل، على حد تعبير ماكلين، ان تتحول دول منظمة الاوبك الى مساهم كبير في المؤسسات المالية والشركات الصناعية في كل من الولايات المتحدة واوروبا الغربية واليابان(٤١). ويشير والتر ليفي ، احد الاقتصاديين المستقلين العاملين في حقل النفط ، انه نتيجة لذلك ستشهد خزائن بعض حكومات الشرق الاوسط وبعض الافراد المرموقين فيها ، سيلا متزايدا من الاموال الاجنبية بحيث تتكدس في هذه الخزائن كميات لم يسبق لها مثيل في تاريخ تجمع الاموال في العالم(٤٢). ويضيف ليفي ان تجارة النفط في المستقبل يمكن ان تؤدي الى اختلال في بنية العالم الاقتصادية والمالية . فهو يقدر انه بمجيء عام ١٩٨٠ سيصبح بين أيدي دول الشرق الاوسط المنتجة للنفط بين ٣٠ الى ٤٠ بليون دولار من النقد السائل سنويا ، يذهب نصفها الى السعودية . « فمثل هذه الاموال لا يمكن أن يجري توظيفها في استثمارات طويلة المدى او قصيرة المدى ، كأن توظف هذه السنة وتسحب في السنة القادمة ، دون أن يؤدي ذلك الى انعكاسات دولية خطيرة قد تؤدي الى فرض قيود شديدة على حرية حركة رأس المال . ان اية قيود دولية على رأس المال ، او حتى الحد من انتقال الاموال لفترات طويلة ، سيلحق أكبر الاضرار في نظامنا المالي »(٤٣).

يعتقد بيترسون ، وزير التجارة السابق ، ان العجز في ميزان تجارة الطاقة سيبلغ في عام ١٩٨٠ حوالي ١٥ — ٢١ بليون دولار في الولايات المتحدة ، و ٢٠ — ٢٦ بليون دولار في أوروبا الغربية و ٩ — ١٥ بليون دولار في اليابان . ويحذر بيترسون من ان هذا العجز المتوقع بمقدار ٤٤ — ٦٢ بليون دولار ، قد تكون له « آثار دراماتيكية مهمة على العلاقات السياسية والاقتصادية في العالم »(٤٤).

« وستصبح الدول العربية المنتجة للنفط ، كقوى مالية ، منافسة للشركات العالمية الضخمة . وتستطيع هذه الدول ، بتحريك أموالها من بلد لآخر ، أن تلحق الدمار بنظام النقد الدولي . فاذا وظفت هذه الدول أموالها في الولايات المتحدة مثلا ، فان الزيادة السنوية في ممتلكاتها ستصل تقريبا الى مقدار ما تدخره جميع الشركات الاميركية . ومثل هذه الزيادة في الاستثمار يمكن أن ترفع من معدل نمونا الاقتصادي بمقدار كبير — تماما كما يمكن لهذه الاموال اذا لم تجد مجالات للاستثمار أن تسبب ركودا اقتصاديا»(٤٥).

ان عائدات الدول العربية المنتجة للنفط تتراكم بشكل سريع بحيث سيصبح ما تملكه من احتياطي اجنبي حوالي ٩ بلايين دولار عام ١٩٧٥ . وبحسب تقديرات وزارة الخارجية، سيصبح ذلك الاحتياطي الاجنبي من ذهب ودولارات وغيرها حوالي ٣٠ بليون دولار او اكثر في عام ١٩٨٠ (٤٦). ومعنى ذلك ، يقول بروجهام ، الرئيس السابق لشركة ارامكو ، انه سيكون بمقدور الدول العربية ان تفرض اي حظر تشاءه على تصدير النفط الى بلد معين او مجموعة من البلدان . ومما لا شك فيه أن حظرا طويلا على التصدير تمارسه بلدان منظمة الاوبك او الكتلة العربية في المنظمة سوف يعجل بوجود أزمة في الطاقة لم يسبق لها مثيل في البلدان المستهلكة للنفط أو تلك التي اوقف عنها البترول . ومثل هذا

الوضع يمكن أن يشل اقتصاديات أوروبا الغربية واليابان ويسبب اضطرابات خطيرة ، وتقنين ، وغير ذلك من الآثار السلبية في هذا البلد ( امريكا ) »(٤٧). ان تسيطر الدول العربية على كميات كبيرة من احتياطي النقد ، يقول بروجهام ، « لن يكون مجرد عامل يسمح لها باستخدام النفط كسلاح ، فهذا الاحتياطي هو سلاح بحد ذاته . ولكن هل ستلجأ دول الشرق الاوسط او بعضها لاستخدام نفطها او احتياطيها النقدي كسلاح سياسي ، ولأية أغراض ؟ ذلك ما لا أستطيع التنبؤ به . الا ان الحقيقة التي يجب ان ندركها هي ان تلك الدول تستطيع ذلك ، وتلك حقيقة لا نستطيع تجاهلها ونحن نرسم سياستنا الخاصة بالطاقة او سياستنا الخارجية »(٤٨).

## اتفاقية المشاركة والنفط العربي

كان تشكيل منظمة الدول المصدرة للنفط عام ١٩٦٠ ، هو الخطـوة الاولى في طريق السيطرة المالية . ففي ذلك العام تشكلت المنظمة بهدف مواجهة التدهور الذي طرا على اسعار النفط الخام في اواخر الخمسينات . وقد نجحت الاوبك في الستينات بوضع حد لتدهور الاسعار ، لكنها لم تستطع حمل شركات النفط علـى زيادة مدفوعاتها الـى الحكومات الا بمقدار ضئيل للغاية .

ادت حرب ١٩٦٧ الى انطلاق القوى التي أحدثت تغييرا جذريا في صناعة النفط الدولية. فقد أدت تلك الحرب الى زيادة العداء العربي للمصالح الغربية بسبب الدعم الاميركي لاسرائيل . كما أدت الحرب ايضا الى اغلاق قناة السويس مما جعل أوروبا الغربية تصبح أكثر اعتمادا على النفط الليبي . ثم جاءت الثورة الليبية وتلا ذلك مباشرة قيام مجابهة بين ليبيا وشركات النفط . عرضت الشركات يومها زيادة زهيدة في المدفوعات مما أغضب النظام الثوري في ليبيا . وفي المجابهة الثانية بين الطرفين رمت ليبيا بكل أوراقها التي أذهلت القائمين على صناعة النفط . قالت ليبيا « ان حاجة الشركات الى النفط اكبر من حاجة الدول المنتجة الى العائدات »(٤٩)*.

وحذت باقي الدول المنتجة للنفط حذو ليبيـا . وحصلت الحكومات بموجب اتفـاقيتي طهران وطرابلس على زيادة كبيرة في نسبة ما تدفعه لها الشركات ، اذ كانت الاموال تقسم مناصفة بين الشركات والحكومات قبل عام ٦٧ ، اما الان فأصبح نصيب الحكومات ٧٩ بالمئة مقابل ٢١ بالمئة للشركات . ثم كانت الضربة القاضية في شهر تشرين الاول ١٩٧٢ ، حيث تم التوصل الى اتفاق بين الشركات وخمس دول عربية منتجة للنفط . ويدعو الاتفاق الى مشاركة الدول العربية المنتجة للنفط ، في الانتاج مع احتفاظها بمـا تحصل عليه من فوائد ضخمة .

وصاحب فكرة المشاركة هذه هو الشيخ احمد زكي اليماني وزير النفط في السعودية ، الذي يصف المشاركة بقوله انها « زواج كاثوليكي لا ينفصم بين مصالح البلدان المنتجة للنفط والبلدان المستهلكة وشركات النفط »(٥٠). علق محلل صناعي على ذلك قائلا : « حقا انه زواج على الاصول ـــ عرس بارود »(٥١). واستعمل ناطق باسم احـدى الشركات تعبيرا اخر لوصف العملية فقال « انها اغتصاب بالرضى »(٥٢).

وبموجب الاتفاقية الجديدة سيصبح للحكومات العربية نسبة ٢٥ ٪ من اسهم الشركات عام ٧٣ على أن ترتفع هذه النسبة تدريجيا لتصل الى ٥١ ٪ في عام ١٩٧٣ ، وذلك على الشكل التالي : تبقى نسبة الـ ٢٥ ٪ ثابتة حتى عام ١٩٧٨ ، وترتفع الى ٣٠ ٪ عام ١٩٧٩ ثم تزداد بنسبة ٥ ٪ سنويا حتى عام ١٩٨٢ ، ثم تزيد اخيرا ٦ ٪ في عام ١٩٨٣ فتصل بذلك الى ٥١ ٪ (٥٣).

* اعدت هذه الدراسة في مطلع العام ١٩٧٣ وقبل اجراءات التأميم الليبية الاخيرة .

ما هو تأثير اتفاقية المشاركة على كبرى شركات النفط وهي شركة ستاندرد اويل ( نيوجيرسي ) ؟ ان ٤٠ ٪ من جملة انتاج هذه الشركة و ٦٩ ٪ من احتياطيها المعروف موجود في الشرق الاوسط وشمال افريقيا . وتشمل مصالح الشركة في العالم العربي على ملكيتها الكاملة لشركة اسو ستاندرد الفرعية العاملة في ليبيا ، و٣٠ ٪ من شركة ارامكو و١٢ ٪ من شركة بترول العراق المحدودة ، وهي شريك ايضا في عدد من الشركات العاملة في العراق وقطر وابو ظبي وسوريا ولبنان .

وبحسب الاتفاقية الجديدة التي تعطي السعودية ٢٥ ٪ ستكون حصة الشركة ٢٢،٥ ٪ من الـ ٧٥ ٪ الباقية ( أي ٣٠ ٪ من ٧٥ ٪ ) ، مما يعني ان حصتها من الانتاج اليومي ستنخفض بحوالي ٣٦٤ الف برميل ، وتنخفض حصتها من الاحتياطي المعروف بحوالي ٦،٥ بليون برميل(٥٤) . وعندما تصل حصة السعودية الى ٥١ ٪ سينخفض ما تملكه شركة جيرسي من احتياطي في مختلف انحاء العالم بحوالي ٢٧ ٪ اذ سينخفض من ٥٠ بليون برميل الى ٣٦،٢ بليون برميل . اما معدل انتاجها اليومي فسيهبط بحوالي ١٤،٥ ٪ اذ سينخفض من ٤،٨ مليون برميل الى ٤،١ مليون برميل يوميا وذلك استنادا الى حصتها في ارامكو وهي ١٤،٧ ٪ ( اي ٣٠ ٪ من ٤٩ ٪ )(٥٥) .

أما بالنسبة للتعويضات التي ستحصل عليها الشركات من الحكومات لقاء امتلاك الاخيرة للاسهم فسيتم حسابها على اساس « صافي القيمة الدفترية الحالية » ، والتي تعني اساسا قيمة دفترية معدلة لتساير نسبة التضخم . ولن يتم دفع تعويضات عن كميات النفط الاحتياطية في باطن الارض او عن الخسائر المستقبلية ، وهو ما كانت الشركات تطالب به(٥٦) .

يقول فؤاد اتيم محرر مجلة « ميدل ايست ايكونوميك سيرفي » ان المشاركة سوف تضمن تأمين استمرار تدفق النفط ، كما تضمن ثبات الاسعار . « ... ان البلدان المستهلكة هي التي ستجني اعظم الارباح من هذه العملية . ذلك ان استمرار شركة النفط يلعب دور الوسيط بين البلدان المستهلكة والبلدان المنتجة ، ودخول شركات النفط الوطنية في البلدان المنتجة الى ميدان العمليات باستثمارات كبيرة ، سيجعل كلا من المستهلك والمنتج معتمدين تماما على بعضهما . هذا الاعتماد المتبادل هو الذي سيضمن تأمين تدفق النفط وكذلك ثبات الاسعار »(٥٧) .

أما بالنسبة لتأثير المشاركة على البلدان المنتجة للنفط، فيقول السيد اليماني«ان ذلك لن ينحصر في زيادة العائدات عن كل برميل . ولكنها ستعطي الدول المشاركة قوة سياسية تؤخذ في الحسبان على صعيد توازن القوى الدولي »(٥٨) .

## استخدام النفط والمال كسلاح سياسي

لقد دابت الدول العربية ، خصوصا التي في موقع الصدام المباشر مع اسرائيل ، على الدعوة لاستخدام النفط كسلاح سياسي ضد الولايات المتحدة . واصبحت هذه الفكرة قوية الان . كان الرئيس السادات قد قال في عام ٧٢ بأن المصالح الاميركية في العالم العربي مقبلة على « خريف حار طويل » . ولا يمر اسبوع الا ونسمع هذه الدعوة تعلن في لقاء رسمي او في صحيفة او من قبل اتحاد نقابي ، لكن شيئا لم يحدث حتى الان .

يدعو الاقتراح السعودي الى عقد اتفاقية بين الولايات المتحدة والسعودية تكون غايتها ضمان تأمين حاجات الولايات المتحدة من النفط في المستقبل ، على أن تعطي الولايات المتحدة معاملة الافضلية للنفط السعودي ، وان تسمح للاموال السعودية بالعمل في « مصب النهر » ـــ أي في اعمال التكرير والتسويق ـــ داخل الولايات المتحدة . يقول اليماني « اننا في المملكة العربية السعودية نمد يدنا لحكومة الولايات المتحدة وندعو الى اتفاقية تجارية بين البلدين ، يكون للنفط السعودي بموجبها مكانة خاصة في ذلك

البلد . وهذه الاتفاقية يجب ان تعفي النفط السعودي من القيود والرسوم ، وأن تشجع زيادة استثمار راس المال السعودي في تسويق النفط . ان هـذا يعني عمليـا ضمان استمرار تدفق النفط الى تلك الاسواق »(٥٩). ان اعطاء الولايات المتحدة الافضلية في الحصول على النفط السعودي سيؤثر على اوروبا الغربية واليابان .

ويقول اليماني بهذا الخصوص : « اذا اقامت الولايات المتحدة هذا النوع من العلاقات مع العربية السعودية ، فذلك يعني ان الاميركيين سيأخذون قسما من نفطنا الخام المتجه الى اوروبا ، وسيكون ذلك أمرا صعبا بالنسبة لاوروبا »(٦٠).

ان « تدفقا مستمرا ومضمونا » سيلاقي استحسان مخططي الطـاقة في واشنطـن واستحسان صناعة تكرير النفط على السواء ، وذلك بسبب الفجـوة المتزايدة بـين الانتاج والطلب في اميركا . ولقد عمل الممثلون الدبلوماسيون الاميركيون علـى حث السعودية لكي تستثمر اموالها في العمليات التي تجري في الطرف الاخـر ــ اي في التكرير والنقل والتسويق داخل الولايات المتحدة . والاميركيون يفعلون ذلك بدافعـين رئيسيين : تعويض الدولارات الاميركية التي تتسرب للخارج بسبب ارتفاع مستوردات النفط ، والتوصل الى علاقة يكون اعتماد طرفيها على بعضهما متساويا ، ويكون مـن شأنها ان تقضي على اي احتمال بامكان عرقلة تدفق النفط الى الولايات المتحدة . وقد عبر عن ذلك احد المسؤولين الاميركيين بقوله : « نحن نعطيهم مكانة خاصة . وهـم يستثمرون بلايين الدولارات في السوق الاميركية ، ومن ثم فهم يضعون بين أيدينا رهينة اذا ما قاموا بايقاف النفط »(٦١). وقال محلل آخر في تعليقه على الموضوع بأنه « اذا كان لحكومة اجنبية مصنع تكرير عندنا وقد كلفها عدة مئات من ملايين الدولارات ، فلا يعقل ان تقوم باقفال حنفية النفط الخام في بلدها وتخاطر بتعطيـل استثمارها »(٦٢). واخيرا فان اعطاء القوة المالية العربية مجالا للاستثمار في الولايات المتحدة يخفف مـن وطأة هذه القوة وطاقتها المخيفة . ذلك ان الولايات المتحدة بهذه العملية تغمر منتجي النفط العرب باموال لا يعرفون ماذا يفعلون بها(٦٣).

*

والسؤال الان هو كيف يمكن استخدام النفط العربي للضغط على الدول الغربية وخاصة الولايات المتحدة لكي تتخلى عن دعمها لاسرائيل ؟

يعالج الدكتور يوسف صايغ ، استاذ الاقتصاد في الجامعة الاميركية في بيروت ، فـي دراسة مقدمة الى جامعة الدول العربية ، هذا السؤال ( سبق ونشرت في العـدد السادس عشر من مجلة « شؤون فلسطينية » تحت عنـوان « النفـط العربي فـي استراتيجية المجابهة العربية ــ الاسرائيلية » لذا نقترح الرجوع اليها مؤثرين عـدم تلخيصها هنا ــ التحرير ) .

يقول الدكتور روبرت بويي ، مدير مركز الشؤون الدولية في هارفرد، «ان النفط العربي يعتمد بالطبع على الاسواق الغربية ولكن ما يملكه العرب من احتياطي نقدي متزايـد يجعلهم اقدر على الحركة من اولئك الذين يستخدمون النفط »(٦٤). ويعتقد الكاتب ، ان المحرك السياسي والاقتصادي الاسلم والاكثر فعالية لحمـل واشنطن علـى تغييـر سياستها تجاه اسرائيل والمسألة الفلسطينية ، هو تحديد انتاج النفط . فمـا دامت الدول العربية المنتجة للنفط لا تستطيع ذاتيا استيعاب الزيادة المتوقعة في عائداتها من النفط ، فينبغي عليها ان لا تزيد الانتاج وذلك للاسباب التالية : (١) ان ذلك لا يعطي للولايات المتحدة او لعميلتيها ، ايران واسرائيل ، ذريعة للتدخل العسكري كما يمكن ان يحدث في حالة التأميم او ايقاف النفط . (٢) ان تحديد انتاج النفط يمكن ان يؤدي الى رفع أسعاره في ضوء الارتفاع المتوقع في الاستهلاك . (٣) ان ذلك سوف يزيد مـن عدم استقرار الاقتصاد العـالمي ، وللمرء الحق في أن يتساءل ، مـا دام الدولار واقع

تحت ضغط الين ، والين معتمد كليا على صناعة مدعومة بالنفط العربي ، فلماذا لا تقوم الدول العربية المنتجة للنفط بتأزيم حالة عدم الاستقرار ؟ واخيرا ، فان ذلك سيسبب نقصا في النفط في كل من اوروبا واليابان والولايات المتحدة . وكما قال جريج روتفين ، نائب رئيس مجلس جوبرز للنفط الوطني في الولايات المتحدة : « اذا ما بدا على أصحاب النفط فتور هذا الشتاء ولو لعشر دقائق ، فبامكانك ان تراهن من أنهم سوف يغضبون وبأن أحد الرؤوس ستتدحرج »(٦٥).

## الرغبة في استخدام النفط كسلاح سياسي

لا تعتقد ادارة نيكسون بأن العرب يريدون الحاق الضرر بمصالح الولايات المتحدة النفطية في منطقة الخليج العربي . والولايات المتحدة واثقة من أن النفط لن يستخدم كسلاح للتأثير على سياستها في المنطقة . والدليل على ذلك نجده في حديث السيد سيسكو الى لجنة الشؤون الخارجية حيث قال : « ... ان العربية السعودية ، كغيرها ... مهتمة تماما بايجاد حل لهذه المسألة [ النزاع العربي ـ الاسرائيلي ] . ومع ذلك فقد خرجت بالانطباع التالي : انهم جميعا ، كل على طريقته ، يدركون اهمية هذه المشكلة واهمية ايجاد حل لها ، **ولكن هذه الزعامات ، في الوقت نفسه ، منهمكة تماما بمشاكلها الداخلية المباشرة ، بتطوير بلدانها ، بثرواتها ومصالحها الوطنية الخاصة .** أن العنصر المشترك بين معظم هذه الدول هو الرغبة في أن يروا المشكلة وقد حلت ، **ولكن السؤال الذي يشغلهم جميعا ، كل على طريقته ، هو كيف يمكن ان أجعل حياة شعبي افضل حالا** »(٦٦).

ويقول السيد هانسن ، رئيس شركة نفط الخليج ، « ... اعتقد أن هناك تيارا قويا مؤيدا لاميركا والغرب ينمو حاليا في بلدان مثل السعودية والكويت ... وهم بالتأكيد لا يريدون استخدام النفط كسلاح سياسي . وسيظل تدفق النفط مؤمنا طالما لم نقم باعمال تضع هذه الدول في موقع سياسي حرج لا يمكن تبريره »(٦٧).

والسؤال الان هو هل يمكن لخطة السعودية في توظيف اموالها في الولايات المتحدة ان تستخدم كعامل اخر للتأثير على السياسة الاميركية تجاه النزاع العربي ـ الاسرائيلي ؟ يجيب الشيخ اليماني على ذلك حين يؤكد « انني في الحقيقة لا اريد استعمال التأثير السياسي بشكل مجرد ، فالذي يحدث دائما بين الدول هو انك عندما تقيم علاقة متبادلة في الميدان الاقتصادي تكون قد اقمت مباشرة علاقة سياسية صلبة »(٦٨). اما الامير سعود الفيصل ، نائب وزير النفط وابن الملك فيصل فقد صرح بما يلي : « ان اعتمادنا على النفط لا يقل عن اعتماد المستهلكين عليه ، ان لم يكن اكثر . ان ايقاف تدفق النفط سيكون بالنسبة لنا انتحارا اقتصاديا . والنفط لن يستخدم كسلاح سياسي ما دام للعربية السعودية دخل في الامر »(٦٩).

## سياسة اميركا الخارجية والنفط العربي

ان مبدأ كيسنجر الخاص بالمفاوضات والتحالفات والقوة ، ينطبق على الشرق الاوسط كما ينطبق على جنوب شرق اسيا . حين وصل نيكسون الى السلطة في عام ١٩٦٩ حاول ان يتجنب الالتزامات الزائدة عن حدها والخطرة التي تميزت بها ادارة سلفه جونسون . وتحاول ادارة نيكسون المحافظة على الوضع الراهن في الشرق الاوسط بالعمل على مستويين : اولا بمحاولة اقناع الاتحاد السوفياتي والصين ، من خلال المفاوضات ، بعدم دعم الانظمة والقوى التي تحاول تغيير الوضع الراهن ، وثانيا باستخدام الدول العميلة لواشنطن كقوة بوليسية ضاربة، وتمثل اسرائيل وايران حجري الزاوية في هذه السياسات الخاصة بالشرق الاوسط .

ويبدو أن نيكسون وكيسنجر غير قادرين على فهم النزاع العربي ـ الاسرائيلي الا من

خلال ما يسمى بالعلاقات بين « القوى » ، وهما غير مبالين اطلاقـا بالحقوق القومية العربية والفلسطينية . ففي التقرير الطويل الذي تلاه في شباط ١٩٧٠ حول السياسة الخارجية الاميركية في السبعينات ، قال الرئيس نيكسون : « ان هدفنا الاولي هـو تدعيم مصالحنا على المدى الطويل بسياسة خارجية معقولة . وبقدر ما ترتكز هـذه السياسة على تقييم واقعي لمصالحنا ومصالح الاخرين ، بقدر ما يكون دورنا اكثر فعالية على الصعيد العالمي . ان ما نقوم به ليس ناجما عن التزاماتنا ، بل أن كوننا متورطين اصلا هو الذي يرتب علينا الالتزامات . ان مصالحنا هي التي تحدد شكل التزاماتنـا وليس العكس »(٧٠). ومضى الرئيس نيكسون يقول ان نجاح الاتحاد السوفياتي في الشرق الاوسط سيعني السيطرة السوفياتية الكاملة على امدادات النفـط . ووصف الشرق الاوسط بأنه المنطقة « التي تتحكم الى حد كبير . . . بثروات العالم »(٧١).

في مقالة للاستاذ برنارد لويس حول اميركا والشرق الاوسط كتب يقول : « لفتـرة من الزمن ، كانت هناك وجهتا نظر حول اهمية اسرائيل للسياسة الاميركيـة في الشرق الاوسط . تقول احداهما أن اسرائيل تشكل العقبة الكبرى لاميركا ـــ فهي حمل ثقيـل ينبغي على اميركا لاسباب سياسية داخلية ، ان تحمله ، يشدها الى الوراء فيما يتعلق بتعاملها مع العرب فيباعد بين الطرفين ويطيل من امد خصومات هي في الواقع ثانوية وحلها ليس عسيرا . اما وجهة النظر الاخرى فترى في اسرائيل ثروة وليس عقبة ـــ انها حليف يعتمد عليه في منطقة يبتعد فيها الاخرون « عنا » ولا نضمن منهم احدا . وصداقة الدول العربية ، حسب وجهة النظر هذه ، هي نوع من السراب الذي يصعب الحصول عليه ويستحيل الاحتفاظ به ، وقيمتها امر مشكوك فيه ، بينما هو في اسرائيل امر يقين . وحليف كهذا يعتمد على نفسه في الشرق الاوسط هو مصدر مفيد للقوة ، وليس للضعف . لقد استمع الكثيرون الى مؤيدي وجهة النظر هذه وهم يتمنون لو كان لاميركا اكثر من اسرائيل في مناطق اخرى من العالم مثل اوروبا الغربية وجنوب شرق اسيا . ويبدو ان هذه النظرة قد سادت اخيرا في اوساط البيت الابيض . فلقد قدمت اميركا لاسرائيـل دعما قويا في مختلف النواحي الهامة ، بل واظهرت استعدادها لتحدي كل من العرب والروس في هذا المجال »(٧٢).

ان عزم الولايات المتحدة على مد اسرائيل بكل ما تطلبه من اسلحة حديثة وعلى تأييـد مطالبها السياسية قد عزز وجهة النظر التي تقول « ان سياسة تسليح سخية نحـو اسرائيل مع تقديم الدعم الدبلوماسي الكامل لها ، من شأنها ان تؤمن قدرة اسرائيـل للدفاع عن نفسها دونما حاجة لتدخل الولايات المتحدة ، وبدون اللجوء الى الاسلحـة النووية » . وتأمل وجهة النظر هذه ان يؤدي ذلك الى اقناع الزعماء العرب ونصرائهم السوفيات بأن الحل العسكري باهظ الثمن ، ومن ثم ، فهي تتوقع ان يخلص بعـض العرب الى استنتاج مؤداه ان الاعتماد على الاتحاد السوفياتي لا يعول عليه في المدى البعيد ، مما سيحدث تغيرا في موقف العرب تجاه اسرائيل يقوم على التخلي عن فكرة محاربتها . ان الذي يمكن ان يحدث في اسوأ الحالات هو ان يظل الوضع الناجم عـن حرب ١٩٦٧ قائما ـــ ولكن مع تأكيد أمن اسرائيل هذه المرة . اما اذا استمر الوضع الراهن فيمكن ان تظل الولايات المتحدة ، مع ذلك، مقتنعة بالرأي القائل بأن اقوى دولة في الشرق الاوسط ، اي اسرائيل ، هي صديق مخلص ، لديه امكانات مهمة في السيطرة على مناطق حساسة مثل قناة السويس والبحر الاحمر . اما بالنسبة لمصالح الولايات المتحدة الاخرى في العالم العربي ، مثل النفط ، فالرأي المرجح هو أن الدول العربيـة لن تعرض مصدر عائداتها للخطر فتوقف ضخ النفط الى الغرب . بل ان بعض أصحاب هذا الاتجاه سيقولون في الواقع ان سيطرة اسرائيل على الخليج المصري تخدم مصالح الدول العربية المحافظة الغنية بالنفط ، على اكمل وجه ، وحجتهم في ذلك ان التسوية السلمية ستعيد من جديد الضغط المصري على السعودية والخليج العربي »(٧٣).

وكما قال دانيال السبرج ، الذي كشف اوراق البنتاجون ، « ان ادارة نيكسون لا تؤيد اسرائيل حبا فيها بل لانها تخدم مصالحها »(٧٤).

ان شركات النفط الاميركية العاملة في العالم العربي تلعب دورا ذكيا في التأثير على السياسة الخارجية الاميركية ، ويمكن ان يتضح هذا الدور من تعليق لاحد المسؤولين الاميركيين قال فيه « ان الضالعين بالامور السياسية في الشرق الاوسط يعرفون مدى اهمية المصالح النفطية . والقائمون على الشركات العالمية هم جماعة لها شأنها ، على صلة بالعناصر ذات الشأن في الحكومة . ان مصالح شركات النفط تتطابق مع المصالح الاستراتيجية للولايات المتحدة سواء في الحؤول دون السيطرة السوفياتية على الشرق الاوسط او في ضمان استمرار تدفق النفط . اما الاعتقاد بأنهم يسعون الى اتجاه سياسي جديد فهو اعتقاد خاطىء »(٧٥).

وللحفاظ على استمرار الوضع الراهن ترى الولايات المتحدة في ايران ، القوة الفعالة المضادة للحركات الثورية . وفي هذا الموضوع يلاحظ لي دينسمور ، القنصل الاميركي السابق في الظهران ، « ان لدى شاه ايران قوة عسكرية متنوعة تمكنه من أن يكون ركيزة الاستقرار في الخليج الفارسي ... والقوة الجوية الايرانية في الخليج قوة ضخمة لا يمكن التصدي لها . لذلك اعتقد بأن العناصر العسكرية المحلية اللازمة للمحافظة على الامن في الخليج ، قائمة فعلا »(٧٦).

« وتسيطر ايران كذلك على المواقع الرئيسية على امتداد الطرق الحيوية للنفط ، كما تقوم باقامة دفاعاتها على مداخل الخليج . يتألف الاسطول الايراني من اربع بوارج ، ومدمرة مزودة بصواريخ ارض — جو ، وفرقة من كاسحات الالغام ، ومجموعة من زوارق الحراسة وقوة بحرية — جوية لديها طائرات هليكوبتر ضخمة وسريعة واكبر فرقة « هوفر كرافت » ( هوائية ) في العالم »(٧٧).

ان احد الادوار المنوطة بايران اذن ، هو منع القوى التقدمية من الوصول الى السلطة على الجانب العربي من الخليج . وفي هذا الموضوع يقول الدكتور الفين كوترل ، مدير مركز الابحاث للدراسات الستراتيجية والدولية في جامعة جورج تاون ، « لقد أشار الشاه انه مهتم بما يجري على الجانب العربي من الخليج وبتلك الحركات . والمح لي ... الى اننا ( اي الاميركيين ) والانجليز قد فوجئنا بالتطورات التي حدثت في ليبيا ، وان اضطرابات على غرار الانقلاب الليبي كانت دوما امرا ممكن الحدوث على الجانب العربي من الخليج »(٧٨).

لقد عبر شاه ايران مرارا عن رغبته في أن يكون قوة واشنطن البوليسية القمعية في الخليج . ففي مقابلة له مع النيويورك تايمز في كانون الثاني ١٩٧٢ ، تظاهر الشاه بأنه يدين اقامة قاعدة بحرية اميركية في الخليج . وهو يعتقد ان ايران اقدر على القيام بالمهمة : « اعتقد بأن الولايات المتحدة تدرك انه ليس بامكانها ان تكون دركي العالم ، وان مسألة الاستقرار في العالم تتطلب اناطة هذه المسؤولية بانظمة مختلفة . فكم مرة بامكانكم ان تعيدوا تجربة فيتنام ؟ اما بالنسبة لنا فالسيطرة على الخليج ليست مشكلة، فحدودنا الساحلية الممتدة لمسافة الف كيلو متر على الخليج وقواعدنا البحرية والجوية العشر تجعلنا قادرين في اية لحظة على اقفال مضيق هرمز . والمشكلة هي انه لو وقعت بعض هذه الجزر الصغيرة بايد غير مسؤولة لكان بامكان زورق صغير مزود بالبازوكا ان يغرق ناقلة نفط » . وتحدث عن قدرته الحربية فقال « على الرغم من ان ايران لم تصبح بعد قوة حربية هائلة ، الا انني لا انصح احدا بأن يحاول التحرش بنا الان ، وخاصة بعد خمس سنوات »(٧٩).

**خلاصة** : من الضروري ان نتذكر درس قناة السويس في عام ١٩٥٦ . فلقد ادى اغلاق القناة انذاك الى شح النفط المرسل الى اوروبا.وتوقف تدفق النفط حتى في ايران حيث النفوذ الغربي قويا ، ذلك انه كان يتعين على النفط الايراني المرور بقنـاة السويس . ودفع توقف النفط ، الولايات المتحدة لكي تضغط على اسرائيل وترغمها على الانسحاب من الاراضي المصرية لكي يعاد فتح القناة ويستأنف تدفق النفط . لقد تلقت اوروبا ضربة قاسية بتوقف النفط واضطرت الى تقنينه في بلدانها .

ومنذ ذلك الوقت بدات شركات النفط تخطط للاحتمالات الطارئة في المستقبل وقامت ببناء ناقلات ضخمة لكي تتجنب الاعتماد على القناة في حال وقوع حرب اخـرى . ولذلك استطاع الغرب ان يستغني عن القناة عندما اقفلت مرة أخرى عام ١٩٦٧ . في السنوات العشر القادمة ستكون الولايات المتحدة وأوروبا واليابان معتمدة على النفط العربي . اذ يبدو ان مخططي الطاقة الاميركيين واثقون من قدرتهم على ايجاد بديل للنفط قبل عام ١٩٨٥ . وتقوم افتراضاتهم في الوقت ذاته على ان تدفق النفط من العالم العربي سيظل مؤمنا طيلة هذه الفترة . لذلك فاذا لم يجر استخدام النفط كأداة سياسية ومحـرك اقتصادي خلال هذه الفترة ــ اي فترة الاعتماد على النفط العربي ــ فسيفقد والى الابد ، كل فعالية له .

---

١ ــ **نيويورك تايمز** ، ١٩٧٢/١٠/١٥ ، ص F ١١ .
٢ ــ **الواشنطن بوست** ، ١٩٧٢/٤/١٦ ، ص B ٥ .
٣ ــ **المصدر السابق** .
٤ ــ **نيوزويك** ، ١٩٧٢/٦/١٢ ، ص ٤٤ .
٥ ــ **المصدر السابق** .
٦ ــ **جورنال اوف كوميرس** ، ١٩٧٢/١٠/٢ ، ص ٢ .
٧ ــ **واشنطن ديلي نيـوز** ، ١٩٧٢/٢/٢ ، ص ٢ .
٨ ــ **المصدر نفسه** .
٩ ــ **نيويورك تايمز** ، ١٩٧٢/٩/٢٤، ص F ٢.
١٠ ــ **المصدر نفسه** .
١١ ــ **المصدر نفسه** .
١٢ ــ **الواشنطن بوست** ، ١٩٧٢/٤/١٩ ، ص A ٨ .
١٣ ــ **نيويورك تايمز** ، ١٩٧٢/٥/٢٢ ، ص ٥٦ .
١٤ ــ **نيويورك تايمز** ، ١٩٧٢/٤/١٢ ، ص ٦٨ .
١٥ ــ **مانشستر جارديان الاسبوعية** ، ١٠/٢١/ ١٩٧٢ ، ص ٧ .
١٦ ــ **نيويورك تايمز** ، ١٩٧٢/١٠/٢٤ ، ص ٤٠.
١٧ ــ الكونجرس الاميركي ، مجلس النواب ، لجنة الشرق الادنى المتفرعة عن لجنة الشؤون الخارجية، **الشرق الاوسط عام ١٩٧١ : الحاجة لتقوية السلام** ، ( واشنطن ، ١٩٧١ ) ، ص ١٢١ . سيشار بعد الان الى المصدر باسم **الشرق الاوسط ، ١٩٧١** .
١٨ ــ **المصدر نفسه** .
١٩ ــ والتر ليفي ، « قوة النفط » ، مجلة **الشؤون الخارجية** ، المجلد ٤٩، عدد ٤ ( تموز، ١٩٧١ ) ص ٦٥٣ .
٢٠ ــ **وول ستريت جورنال** ، ١٩٧١/٦/٦ ، ص ٢٦ .
٢١ ــ كريستوفر توجندات ، « تمويل مستقبل النفط » ، **البانكر** ، نيسان ١٩٧٢ ، ص ٤٦٦ ــ ٤٦٧ .
٢٢ ــ **الايكونوميست** ، ١٩٧٢/٤/١٤ ، ص ٧٩.
٢٣ ــ **الشرق الاوسط ١٩٧١** ، ص ١٢٢ . ص ١٢٢ .
٢٤ ــ توجندات ، **المصدر السابق** ، ص ٤٧٦ ،
٢٥ ــ الكونجرس الاميركي ، مجلس النواب ، لجنة الشرق الادنى المتفرعة عن لجنة الشؤون الخارجية ، **النـزاع في الشرق الادنـى** ، الكونجرس الـ ٩١ ، الدورة الثانية ( ١٩٧٠ ) واشنطن ، ص ٢٧٣ .
٢٦ ــ **الشرق الاوسط ١٩٧١** ، ص ١٢٣ . ص ١٢٣ .
٢٧ ــ **المصدر نفسه** .
٢٨ ــ وزارة التجارة ، مكتب التجارة الدولية ، **الشركات الدولية** ، الفصل الثالث ، ص ١١ .
٢٩ ــ الكونجرس الاميركي ، مجلس النواب ،

لجنة الشرق الادنى المتفرعة عن لجنة الشؤون الخارجية ، **مصالح الولايات المتحدة في الخليج الفارسي وسياستها نحوه** ، الكونجرس الـ ٩٢ ، الدورة الثانية (واشنطن ، وثائق الكونجرس) ص ٣٥ . سيشار بعد الان الى المصدر بمصالح الولايات المتحدة في الخليج الفارسي وسياستها نحوه .

٣٠ ــ **نيويورك تايمز** ، ١٩٧٢/١٠/١٥ ص F ١١ .

٣١ ــ **مصالح الولايات المتحدة في الخليج الفارسي وسياستها نحوه** ، **المصدر السابق** ، ص ٣٦ .

٣٢ ــ **نيويورك تايمز** ، ١٩٧٢/٦/٢٠ ، ص ٥١ .

٣٣ ــ **شيكاجو تريبيون** ، ١٩٧٢/٥/٢٥ ، ص I ــ ١٢ .

٣٤ ــ **بيزنس ويك** ، ١٩٧٢/٧/٢٩ ، ص ٥٩ .

٣٥ ــ **المصدر نفسه** .

٣٦ ــ **المصدر نفسه** .

٣٧ ــ **نيويورك تايمز** ، ١٩٧٢/٦/٢٠ ، ص ٥١ .

٣٨ ــ **وول ستريت جورنال** ، ١٩٧٢/٨/٢٢ ، ص ٢٧ .

٣٩ ــ **بتروليوم انتلجنس ويكلي** ، ١٩٧٢/٧/٣ ، ص ٥ .

٤٠ ــ **الشرق الاوسط ١٩٧١** ، ص ١٢٣ . ص ١٢٣ .

٤١ ــ **بيزنس ويكلي** ، ١٩٧٢/٧/٢٩ ، ص ٥٩ .

٤٢ ــ **نيويورك تايمز** ، ١٩٧٢/١١/١٥ ، ص ٦٥ .

٤٣ ــ **ذي اويل اند غاز جورنال**، ١٩٧٢/١١/٢٠، ص ٢٢ .

٤٤ ــ **المصدر السابق** ، ص ٢٨ .

٤٥ ــ **نيوزويك** ، ١٩٧٢/١٢/١١ ، ص ٩٥ .

٤٦ ــ **جورنال اوف كومرس** ، ١٩٧٢/٩/٢٨ ، ص ٣ .

٤٧ ــ **مصالح الولايات المتحدة في الخليج الفارسي**، **المصدر السابق** ، ص ٥١ .

٤٨ ــ **المصدر نفسه** .

٤٩ ــ **نيويورك تايمز** ، ١٩٧٢/١٠/٨ ، ص E ٣ .

٥٠ ــ **المصدر نفسه** .

٥١ ــ **المصدر نفسه** .

٥٢ ــ **نيويورك تايمز** ، ١٠/٩ ، ص ٣٠ .

٥٣ ــ **الايكونوميست** ، ١٩٧٢/١٠/١٤، ص ٩٢ .

٥٤ ــ مستخرجة من قبل الكاتب .

٥٥ ــ **بيزنس ويك** ، ١٩٧٢/٧/٢٩ ، ص ٥٧ .

٥٦ ــ **ميدل ايست ايكونوميك سيرفي** ، ١٠/١٣/ ١٩٧٢ ، ص ٢ .

٥٧ ــ **نيويورك تايمز** ، ١٩٧٢/١٠/١٥، ص F ٣ .

٥٨ ــ **نيويورك تايمز** ، ١٩٧٢/١٠/٢٨ ، ص ٣٩ .

٥٩ ــ **ناشنال اوبزرفر** ، ١٩٧٢/١٠/١٤، ص ٤ .

٦٠ ــ **ميدل ايست ايكونوميك سيرفي** ، ١٠/٦/ ١٩٧٢ ، ص ٢ .

٦١ ــ **نيويورك تايمز** ، ١٩٧٢/١٠/٣ ، ص ٦٦ .

٦٢ ــ **المصدر نفسه** .

٦٣ ــ **مانشستر جارديان ويكلي**، ١٩٧٢/١٠/٢١، ص ٧ .

٦٤ ــ **كريستشن ساينس مونيتور** ، ١٢/١٣/ ١٩٧٢ ، ص ٢٠

٦٥ ــ **وول ستريت جورنال** ، ١٩٧٢/٨/٢٢ ، ص ٢٧ .

٦٦ ــ **مصالح الولايات المتحدة في الخليج الفارسي وسياستها نحوه** ، ص ٩٠ ــ ٩١ ( التأكيد من الكاتب ) .

٦٧ ــ **المصدر السابق** ، ص ٦٢ ، ٦٣ .

٦٨ ــ **نيوزويك** ، ١٩٧٢/١١/٢٧ ، ص ٨٣ .

٦٩ ــ **بتروليوم انتلجنس ويكلي**، ١٩٧٢/١١/٢٠، ص ٨ .

٧٠ ــ **الشرق الاوسط ١٩٧١** ، ص ١٧٧ .

٧١ ــ **اخبار اميركا والعالم** ، ١٩٧٠/٧/١٣ ، ص ٢٢ .

٧٢ ــ برنارد لويس ، « مراجعة للتطورات في اتجاهات دولتين عظميين نحو اسرائيل والعرب ــ المحمية الكبرى لاميركا في الشرق الاوسط » **التايمز** اللندنية ، ١٩٧٢/٩/٢٠، نقلها السناتور جاكسون ، **سجل الكونجرس** ، ١٩٧٢/١٠/١٢، ص S ١٧٦١٤ .

٧٣ ــ ويليام ب كونندت ، صراع الشرق الاوسط في استراتيجية الولايات المتحدة ، ١٩٧٠ ــ ٧١ ، **مجلة الدراسات الفلسطينية** (انجليزي) المجلد الاول عدد ١ ، الخريف ١٩٧١ ، ص ٤١ .

٧٤ ــ **جويش بوست اند اوبينيون** ، ١١/٢٦/ ١٩٧١ ، ص ٣ .

٧٥ ــ **واشنطن بوست** ، ١٩٧٢/٤/١٦ ، ص B ٥ .

٧٦ ــ **مصالح الولايات المتحدة في الخليج الفارسي وسياستها نحوه** ، ص ١١٠ .

٧٧ ــ **نيويورك تايمز** ، ١٩٧٢/١/٢٥ .

٧٨ ــ **الشرق الاوسط ١٩٧١** ، ص ٥ . ص ٥ .

٧٩ ــ **نيويورك تايمز** ، ١٩٧٢/١/١٧ .

# جيش الانقاذ
# ( ١٩٤٧ ـ ١٩٤٩ )

هاني الهندي

**هذا هو الجزء الثاني والاخير من دراسة الاستاذ هاني الهندي عن جيش الانقاذ ، وكنا نشرنا الجزء الاول منها في العدد السابق .**

## ( ٦ )
## علاقات الانقاذ

ان تكوين الجيش ونوعية قياداته وأساليب تدريب مقاتليه وانعدام التوجيه السياسي ، كل ذلك كان يفترض ان تكون العلاقات داخل الجيش ذات طابع عسكري تقليدي ، أي أن يكون الانضباط دقيقا وصارما ويعتمد على المظاهر والشكليات دون الاهتمام بعامل التوعية السياسية تماما كما هو الامر في الجيوش النظامية العربية . ولكن الواقع لم يكن كذلك . فلقد كانت العلاقات ضمن الجيش من النوع الذي يصعب تصنيفه ووضعه ضمن مقاييس معينة محددة .

لقد كانت العلاقات بين القيادة العامة ــ دمشق ــ وبين قيادة الميدان ــ القاوقجي ــ أبعد عن ان تكون طبيعية ومماثلة لما هو قائم في أي جيش نظامي تقليدي ، وهي علاقات لم تكن تخضع للمقاييس التقليدية المعمول بها . وليس أكثر من الحوادث الصغيرة والكبيرة التي تظهر وكأن هناك جهتين متقابلتين أو مجموعتين لا ترتاحان لبعضهما وتعاملهما المتبادل غير سليم وغير طبيعي أبدا .

في تقديري ان وراء تلك الخلافات أسبابا عديدة ، منها تأثيرات الخلافات السياسية الموروثة والصراعات بين القوى والتيارات السياسية القائمة يومذاك ، وفيها الكثير من الخلافات والطموحات الشخصية غير الموضوعية بين هذه المجموعة من القياديين في الجهاز العسكري للانقاذ . . . ولكن ، الى جانب هذا ، كانت هناك مسألة هامة لعبت دورا في تعقيد العلاقات وتأزيمها هي عدم وضوح الصلاحيات وحدود سلطات كل جهة من الجهتين المتعارضتين ، خاصة وان تكوين الجيش وأساليب عمله وطريقة تشكيله وتنظيمه وغير ذلك من أمور أساسية تمت كلها على عجل وفي ظروف ضاغطة ومعقدة ، ولهذا كانت المسائل المالية والادارية تسبب متاعب واشكالات بين اللجنة العسكرية والقاوقجي أكثر بكثير من المسائل العسكرية المتعلقة بتقديرات الموقف وخطط القتال وكيفية مواجهة تفوق الخصم عسكريا وغير ذلك من أمثال هذه المسائل الهامة . كانت مشاكل ترفيع الضباط والرتباء والتطويع والتسريح وحرية الانفاق والصرف والمحاسبة المالية والتدقيق هي الامور التي كثيرا ما تسببت في التوتر والانفعال . وهناك ناحية ثالثة ملخصها ان الخلافات وهي ظاهرة من ظواهر الكفاح ، خاصة حين يكون مسلحا ، تنشأ عادة بين ما يسمى بقيادات الداخل ( الميدان ) وقيادات الخارج ( المؤخرات ) وهي سياسية ومسؤولة عن التمويل والتسليح والاتصالات .. الخ ) ، ويرجع تفسيرها

لاختلاف ظروف كل طرف من الطرفين ... الا أن هذه الخلافات تميزت ، مع ذلك ، في حالة الانتقاد بالحدة والانفعال والبعد عن الموضوعيـــة . فالقاوقجي المعروف بهدوئه وببرود أعصابه لا يرى أسبابا للفشل والنكبة ، حين يتحدث عن سقوط يافا مثلا ، الا « الاهمال والطموح وقصر النظر والتدريب السيىء للموظفين الكبار الذين كانوا يعالجون قضية فلسطين »(٩٣)، وهو هنا يقصد بالطبع اللجنة العسكرية وليس غلوب وكلايتون واعوان الانكليز ولم يخطر في باله ان يكون ضعف الحركة الوطنيـــة وطبيعة الانظمة العربية ونفوذ الانكليز وغير ذلك من أسباب جذرية يمكن أن تفسر تلك الظواهر التي كان يشكو منها ، والتي هي ، بنظر الطرف الآخر ، أقل ما كانوا يرددونه ويقولونه عنـــه شخصيا .

هذا عن العلاقات الداخلية على المستوى الرفيع ، بين القيادة العامة وقيادة الميدان . ولكن ماذا عن العلاقات ضمن الجيش ذاته، بين قيادة الميدان ووحدات الجيش وافرادها؟ ان أول ما يلفت النظر في نوعية هذه العلاقة هو غياب هيئة أركان عامة في قيادة الميدان لتتعامل مع قادة الافواج العاملين في مختلف المناطق التي تواجدوا فيها . كان التعامل يتم بالاتصال المباشر بين قائد الجيش وقائد الفوج رأسا . فالقاوقجي يخاطب من قبل قادة الوحدات لحل المشاكل الادارية والمالية والتسليحية والامنية والتعبوية ، وليس كما هو المتبع في الجيوش النظامية حيث يتم الاتصال بالجهة المختصة في هيئة الاركان ، بل كثيرا ما كان يحدث ما هو أكثر من هذا بأن يلجأ بعض قادة الافواج الى تجاوز القاوقجي للاتصال بالقيادة العامة مباشرة ، كما ان الهاشمي كثيرا ما كان يتجاوز قائد الانقـــاذ ليخاطب قادة الافواج مباشرة ، وهذا ما يخالف بالطبع ابسط أصول الضبط والتسلسل المعمول بها عادة في الجيوش النظامية ... هذا ولقد حدث ان اصدر الهاشمي أوامر حركة لبعض الوحدات العاملة في المنطقة الوسطى دون استشـــارة القاوقجي ( أبرق للرائد عبد الحميد الراوي ، قائد فوج اليرموك الثالث ، لينجد القدس ، فيما كان مشتبكا بمعركة باب الواد على سبيل المثال ) ... وليس هذا فحسب بل ان « احد الضباط الاكفاء ، وهو معروف بشدة انضباطه ودقته وتنظيمه وبسالته ، بلغ التجاوز عنده ، بعد خدمة ثمانية أشهر في قوات الانقاذ ، انه لجأ الى تعميم كتاب استقالته من الانقاذ على جهات سياسية وعسكرية عديدة » ، وهذا ما يجسد ابسط ظواهر التناقض مع العادات العسكرية التقليدية المعروفة .

وهناك ظواهر أخرى عديدة أبرزت مدى الابتعاد حتى عن تجسيد الاساليب العسكرية التقليدية ومنها بل في مقدمتها الالتزام الصارم بتنفيذ الاوامر . ان الرائد الركن عامر حسك يعدد في كتابه حوادث عدة لرفض بعض الضباط تنفيذ أوامر حركة وقتال . من ذلك رفض الملازم حاجو ان ينجد حامية صفد رغم صدور الاوامر اليه(٩٤)... ومـــن « بوادر انحلال الضبط » التي يشير اليها حسك رفض الملازمين سعدون وعلوش تحريك السريتين اللتين يقودانهما ، لانجاد صفورية والناصرة بحجة انهما أرسلا الى الشجرة لا الى الناصرة ... ثم لانهما يتلقيان أوامرهما من القاوقجي بالذات(٩٥)... أي ان ولاء الضابطين ــ عدا رفض تنفيذ الاوامر ــ هو لشخص قائد الجيش وليس للقيادة ، لشيخ القبيلة ، باعتبار ان الضابطين بدويان ... ولم يعاقب الضابطـــان بل ان احدهمـــا ــ علوش ــ رفع بعد هذه الحادثة بأسابيع قليلة وسلم قيادة فوج .

كذلك شهدت تجربة الانقاذ خلافات وصراعات علنية مكشوفة بل وحتى التحريض من قبل ضابط ضد آخر . ما جرى في يافا بين عادل نجم الدين ــ قائد الحاميـــة ــ وميشـــال العيسى ، الذي عين بدلا عنه ، لا يمكن ان يحصل في اي جيش نظامي ، وكذلك حدث ما هو أسوأ بين الملازم الاول عبد الجبار القيسي والملازم حمود الخطيب في يافا اذ حرض الاول جنود الثاني على قائدهم ودعاهم للعصيان ومغادرة مواقعهم في يافا(٩٦).

هذا وقد كانت العلاقة بين قائد الجيش والضباط ليست في المستوى المطلوب. كان بعض قادة الافواج يشكو من القاوقجي لتصرفه باحدي طريقتين : فاما انه كان يترك الامور لهم بشكل شبه كلي فيتصرفون كما يريدون خاصة وان غيابه عن المقر العام ــ حين كان في الشمال ــ كان مصدر شكواهم وتذمر اللجنة العسكرية(٩٧)، أو انه يتدخــل بأدق التفاصيل في اعمالهم مما كان يولد عندهم شعورا بالضيق ، ومثل على ذلك بعض اوامره التي كان يتدخل فيها « بتعيين مراصد المدفعية ... وتعيين نوع العتاد للاطلاق ... وكيفية استخدام المدرعة ذات المدفع ... »(٩٨) هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية فان حسك ، وهو ضابط ركن الانقاذ ، وضع تقديره العام للموقف بعد قيام الهدنة الاولى بتسعة أيام وطرح الاحتمالات التي يمكن ان يواجهها الانقاذ بعد انقضاء امد الهدنة ، وقدمه للقاوقجي راجيا « مطالعته في ساعات فراغه »(٩٩)، وفيقوله هذا ما هو اكثر من الغمز الظاهر اذ كأن فيه نقدا لقائد الجيش نفسه .

اما القصري فهو يعتقد ان « قيادة الانقاذ كانت ضعيفة جدا وقد بدأ هذا الضعف ( اذا اردنا ان نتجرد ) من القائد نفسه » ... ويتابع نقده مستندا الى مطالعة معلق اجنبي ليقول : « كان القاوقجي .. كبقية المجاهدين العرب غير النظاميين يميل الى العمليــات القصيرة ولا يعتمد على الاغارات العنيفة التي ظهرت في الحرب العالمية الثانية . وكان يحمل عقلية المحارب القديم المتخرج من الكلية العسكرية قبل الحرب العالمية الاولى . وكانت خططه بطيئة وغير مستمرة وبمعدات ضعيفة ، ولهذا لم يستطع ان يستثمر أية معركة بدأها ولم يصل الى قرار حاسم فيها في الوقت المناسب . ولم يتعود هذا الرجل قيادة وحدات كبيرة ( الوية وحتى أفواج ) لان رتبته في الجيش لم تتجاوز رتبة النقيب ، لهذا كان يقاتل باعداد صغيرة ولمدة قصيرة واذا لاقى مقاومة يتراجع ... »(١٠٠) أما عن علاقة الضباط بالمتطوعين فكانت بشكل عام لا تختلف عن العلاقة القائمة في صفوف القوات النظامية ، اي تلك العلاقة التي يمكن ان تعكس تباينا اجتماعيا يقارب ما كان متبعا في الجيوش العربية التي كانت أساليبها مقتبسة من مفاهيم المدارس العسكريــة البريطانية والفرنسية المعمول بها في المستعمرات بشكل خاص ... بكلمة اخرى فان العلاقة بين الضباط والمتطوعين كانت علاقة تمايز وفوارق كبيرة بين هاتين الفئتين في الجيش وسلطة متحكمة بيد الاولى على الثانية ، مع ملاحظة عدم وجود عقوبات جسدية في الانقاذ ، كما كان عليه الحال في بعض الجيوش العربية يومذاك .

هذا عن العلاقة ضمن الجيش وهيئاته . أما عن علاقة الجيش مع السكان المحليين في المناطق التي تواجدت فيها قطعاته ، في فلسطين وفي جنوب لبنان خاصة فقد كانت هي الاخرى أميل الى السلبية منها الى الايجابية . لم تكن الصورة مشرقة بشكل عــام ، وكثيرا ما كانت العلاقة تتوقف على شخصية الضابط المسؤول وثقافته ونظرته فاذا كان الضابط واعيا سياسيا وذا ثقافة وادراك فانه كان عادة يقيم علاقات ايجابية وحسنة مع السكان فكان يتحول التعامل ــ من تقديم الخدمات للمتطوعين ــ الى تعاون وعلاقة ودية يترك اثارا طيبة في نفوس السكان وفي نفوس المتطوعين ، ولكن الطابع الغالب هو ان الضباط كانوا في علاقتهم مع السكان يمثلون جانب التحفظ والحذر الشديدين ، ولم يكونوا يلجأون الى التعامل والتخاطب مع المواطنين الا حين حاجتهم ووحداتهم الــى معونة ما من السكان ويتم ذلك عن طريق المختار او الوجيه البارز في القرية . وكان هناك تجنب وتحاش للتعامل مع اللجان القومية نظرا لان غالبيتها العظمى كانت مرتبطة بالمفتــي .

أما عن علاقة الجيش بالسكان المسلحين في مناطق عمله . فقد اتسمت بغياب التعاون الجدي وافتقد القتال مع العدو ، في معظم الاحيان ، الحد الادنى من التنسيق المطلوب بين الانقاذ والجهاد المقدس ضد الصهاينة . ويؤكد القصري انه « لم يحدث اي تعاون

بين الانقاذ والجهاد المقدس لان القيادتين متنافرتان ومتزاحمتان »(١٠١). ويضيف قائلا انه « كثيرا ما كان يعمل ضمن المنطقة الواحدة ضابطان مع قواتهما احدهما يتبع جيش الانقاذ والاخر يتبع قوة الجهاد المقدس ، الامر الذي كان له أسوأ الوقع وأوخم العواقب »(١٠٢).

وكانت العلاقات بين الانقاذ والجيوش النظامية مشابهة ومماثلة — اي عدم التعاون —. فالمعروف انه لم يقم تعاون رسمي ابدا في القتال بين الانقاذ والجيش الاردني طيلة فترة تواجد الاول في المنطقة الوسطى ، بل كانت هناك هواجس وشكوك تساور معظم ضباط الانقاذ من القيادة العسكرية الاردنية وخاصة الضباط الانكليز العاملين فيها . ولكن كان هناك نوع من التعامل والتعاون غير الرسمي ما بين وحدات الانقاذ والضباط العرب في الجيش الاردني في كثير من المناطق التي تتواجد فيها فصائل من الجيشين. هذا « وكانت اللجنة العسكرية قلقة جدا على مصير الانقاذ بعد ١٥ ايار خاصة حين كانت وحدات الجيش الاردني تتباطأ في نجدة القدس وفي تسلم مواقع معينة من قطعاته . وكانت اللجنة حريصة على سحب الانقاذ من المنطقة الوسطى بأقصى سرعة خشية اقدام الملك عبدالله على حل هذه القوات ومصادرة اسلحتها ، من ناحية ، ولاعادة تنظيمها وضبطها وتدريبها من ناحية ثانية »(١٠٣).

أما عن التعاون في القتال فيمكن القول انه حدث جديا في معركة المالكية الثانية بتاريخ ٤٨/٦/٦ حين اجتمعت قوات نظامية سورية ( فوج البادية وبطارية مدفعية وطائرات ) وقوات نظامية لبنانية ( فوج مشاة بقيادة المقدم جميل الحسامي وسرية دبابات وبطارية مدفعية ) مع قوات الانقاذ (ثلاثة افواج مشاة واربع سرايا مستقلة وفصيل يوغوسلافي) واستطاعت هذه القوات المشتركة ومجموعها ( يزيد على ثلاثة آلاف مقاتل »(١٠٤) أن تنفذ المهمة التي اوكلت اليها وهي « استرداد المراكز العسكرية التي فقدتها قوات المنطقة الشمالية » في شمال فلسطين وبعض قرى جنوب لبنان بتاريخ ٤٨/٥/٢٩ . وقد قاد هذه العملية قائد فوج البادية السوري المقدم طالب الداغستاني وكان الرائد عامر حسك ضابط ركن هذه القوات ... هذا كما ارسل الجيش السوري فوج مشاة بقيادة المقدم علم الدين قواص لنجدة الانقاذ في ١٩٤٨/١٠/٢٩ حين بدأ الهجوم الصهيوني الذي استهدف احتلال الجليل ، ووصلت بعض فصائل الفوج متأخرة الى الجش والصفصاف فتعرضت لخسائر في الارواح والسلاح .

## ( ٧ )

## معارك الانقــاذ

من الامور الملفتة التي تستحق التسجيل عند دراسة معارك الانقاذ اننا لا نزال نفتقد الابحاث العسكرية الجادة لتلك الفترة رغم مرور مدة ( ٢٥ ) سنة عليها ، ولا تزال المكتبة العسكرية العربية خالية من تلك الدراسات التي تتناول كل معركة من معارك الانقاذ — ناهيك عن بقية الجيوش العربية التي قاتلت الصهاينة — من ناحية المهمة والخطة والقيادة والاتصال في كل معركة ، ومن ناحية ميزان القوى وطبيعة التسليح وكيف كان سير المعركة والمناورات ، ومن ناحية الادارة في المعركة ، ودور الاسلحة والخسائر في المعركة ( من الطرفين ) ، والاخطاء في المعركة ، والدروس المستفادة من كل معركة ، والبطولات الفردية والجماعية ... والمفروض في أن تغطي مثل هذه الدراسات نظرة استراتيجية عامة ...

لقد انفجر القتال في كل انحاء المناطق الوسطى والشمالية من فلسطين بعد صدور قرار التقسيم مباشرة ، وقد اتسم هذا القتال في الاسابيع الاولى بمحاولات كل طرف من الطرفين المتحاربين في تحصين مناطقه واحيائه داخل كل مدينة وخاصة المدن المشتركة،

وكانت تتم عمليات تسلل متبادلة نحو مناطق الطرف الاخر حيث تنجر العبوات الناسفة في الابنية وبين السكان هذا في داخل المدن ، اما خارجها فقد دارت معركة مواصلات عنيفة كان للعرب في شهورها الثلاثة الاولى دور المبادأة والتعرض اذ نظموا هجمات مسلحة على وسائط النقل وخطوط المواصلات التي تربط المدن والمستعمرات اليهودية المنتشرة في انحاء فلسطين . « ولقد عمدت قيادة الهاغانا بعد الهجمات الاولى على السيارات اليهودية الى تقييد تحرك السيارات منفردة على الطرق الخطرة ... ثم نظمت قوافل للسيارات كان ترفقها بمجموعات صغيرة من الفتيات والشباب المسلحين للحماية ... وفي اوائل ١٩٤٨ ظهرت مع القوافل السيارات المصفحة محليا التي كانت ترافق القوافل لحمايتها ... »(١٠٥).

وبعد اسابيع قليلة من نشوب معارك المدن والمواصلات حيث كانت « القوافل اليهودية تقع في الكمائن العربية طيلة اشهر كانون الاول وكانون الثاني وشباط. وكانت قصتها، من الناحية اليهودية ، تعيسة وسيئة »(١٠٦)، في تلك الفترة بدأ الانقاذ عملياته العسكرية حين تسللت اولى مجموعاته في فجر ٩/١/٤٨ الى فلسطين عبر لبنان الجنوبي في محاولة للاستيلاء على مستعمرتي دان والمطلة في اقصى الشمال ولكن المحاولة فشلت وكان تدخل الانكليز احد اسباب هذا الفشل وكانت هذه هي اولى معارك جيش الانقاذ .

ان الملاحظ في تجربة الانقاذ ان قواته بقيت ممسكة بزمام المبادرة والتعرض حتى معركة مشمار هاعيميك في ٤/٤/٤٨ ومع ان الانقاذ قام بمحاولات تعرضية بعد هذه المعركة وكان بعضها ناجحا ( نيفي يعقوب في ١٠ ايار ومعركة المالكية الاولى في ١٣ ايار ومعركة المالكية الثانية في ٦ حزيران ) ، الا انه يمكن القول ، بوجه عام ، انه بقي محافظا على قدراته التعرضية رغم انحدارها بعد معركة مشمار هاعيميك حتى بداية الهدنة الاولى ، ولكنه بعد هذه الهدنة خسر المبادأة والقدرة على التعرض تماما كالجيوش العربية ، اذ التزمت القوات النظامية العربية كلها منذ ذلك الوقت موقفا دفاعيا جامدا ويكاد يكون ساكنا تماما ، ولم تتغير هذه الاستراتيجية الدفاعية ابدا منذ تلك الفترة وحتى يومنا هذا .

ان معارك الانقاذ يمكن تصنيفها الى انواع ثلاثة هي : تعرضية ذات طابع اقتحامي ، دفاعية ، تقطيع مواصلات ، مع الملاحظة ان هذا التصنيف قد يفتقد بعض الدقة ذلك ان معارك باب الواد كانت دفاعية ومواصلات في ذات الوقت ، كما يمكن اعتبار معركتي الزراعة ومشمار هاعيميك التعرضيتين متداخلتين مع محاولة القاوقجي تقطيع شبكة مواصلات العدو وعزل حامياته ... ومع ذلك فانه من الممكن ان تصنف معارك الزراعة ومشمار والمالكية الاولى ونيفي يعقوب والمالكية الثانية كأبرز معارك التعرض مع ان الانقاذ نجح في تحقيق مهماته في احتلال نيفي يعقوب واسترداد المالكية وما حولها ولكنه فشل في احتلال الزراعة ومشمار هاعيميك .

هذا ويمكن تقسيم معارك الانقاذ الى مجموعتين اساسيتين من حيث مكان وقوعها وليس لاعتبار اخر كتسلسلها الزمني او اهميتها او حجم القوات التي اشتركت فيها ، بالرغم من الاهمية السياسية والعسكرية الكبيرة ليوم ١٥ ايار ، وعليه فسوف تضم المجموعة الاولى معارك الانقاذ في المنطقة الوسطى وكان القاوقجي هو المسؤول عن القوات التي اشتركت فيها ، وتضم المجموعة الثانية معارك الانقاذ في المنطقة الشمالية وكان المقدم اديب الشيشكلي مسؤولا عنها حتى اوائل حزيران حين انتقلت كل قوات الانقاذ الى الشمال وتجمعت في منطقة الجليل فتولى قيادتها جميعا القاوقجي . وقد يكون من المفيد ان اشير هنا الى ان طابع طرح المعارك في هذه الدراسة يعتمد على السرد والتسجيل اكثر من التحليل لاسباب اهمها ان مثل هذا التحليل للمعارك يحتاج لمتخصص في هذه الشؤون العسكرية وكذلك فان هذه الدراسة لن تطرح كل المعارك التي خاضتها

قوات الانقاذ في المنطقتين الوسطى والشمالية بل ستعتمد على انتقاء معركتين فقط من المنطقة الوسطى ومعركتين من معارك المنطقة الشمالية .

**معارك المنطقة الوسطى :** أهم المعارك التي دارت في هذه المنطقة هي الزراعة ومشمار هاعيميك ونيفي يعقوب وباب الواد والقسطل والقدس وحيفا ويافا . وفي معظم هذه المعارك اشتركت قوات الانقاذ مع الجهاد المقدس والحاميات المحلية جنبا الى جنب في مقاتلة الصهاينة ولكن دون تخطيط وتعاون جدي وذلك لان «التخطيط العربي ، حتى على الصعيد المحلي ، كان يشكو من الغياب الكلي للتعاون بين القادة العرب ... ففي يافا جرت تسمية قائدين مستقلين كان كل منهما يعطي اوامر منفصلة وغالبا مناقضة لأوامر الثاني . وفي اللد حصلت اشتباكات مكشوفة بين المجموعات العربية المتعارضة ... »(١٠٧).

**معركة الزراعة :** يقول القاوقجي في مقتطفات من مذكراته المنشورة اخيرا انه « بعد وصول فوج اليرموك الاول بقيادة المقدم محمد صفا الى منطقة عمله كان الوضع العام في فلسطين دقيقا للغاية ، فقد كانت كل التشكيلات المقاتلة الفلسطينية تقريبا مشتبكة مع الصهاينة ، وكانت تشكو بشكل خاص من نقص في ذخائرها . ولهذا شعرت بأن الوضع يتطلب بأن يباشر فوج اليرموك عمليات قوية ، على الفور ، بقصد رفع معنويات العرب وهز معنويات العدو . لهذا أمرت صفا بأن يقوم بالاستطلاع اللازم ليجد مستعمرة نهاجمها بقصد انزال اكبر ضرر ممكن بها »(١٠٨). وقد اختار المقدم صفا مستعمرة الزراعة ـ يسميها الصهاينة Tirat Zvi ـ تيرات زفي ) جنوب بيسان بنسع كيلومترات وعلى بعد كيلو مترين من غرب نهر الاردن . ولهذه المستعمرة اهمية خاصة باعتبارها حلقة هامة في شبكة مواصلات العدو التي تربط مستعمراته في شرق فلسطين بالمناطق الاخرى ... الا ان معلقا عسكريا انكليزيا يعتقد ان « نية القاوقجي كانت أن يبدأ بالزراعة ويتقدم نحو الشمال ليطوي خط المستعمرات اليهودية ... تمهيدا لحركة اوسع نطاقا غايتها الانتشار في مرج ابن عامر ومستهدفة حيفا »(١٠٩).

وعلى أي حال فان القوة التي قادها المقدم صفا كانت تتشكل « من ثلاث سرايا قادها الملازمون الاولون غسان جديد وحسن مهنا ( سوريا ) وسعدون عبدالله ( العراق ) . وكان الفوج مسلحا بـ ( ٦١٤ ) بندقية و ( ١٨ ) رشاشا خفيفا واربعة مدافع هاون صغيرة ( ٦٠ مم ) وكانت مع الفوج مفرزة الغام ... اما المستعمرة فكانت محصنة تحصينا متينا ومحاطة بالخنادق والاسلاك الشائكة وفيها ( ٢٠٠ ) مسلح مدرب من الهاغاناه » (١١٠)... وقبيل منتصف ليلة ١٦ ـ ١٧ شباط ٤٨ تقدمت السرايا وسط العواصف والامطار والوحول واستغرقها السير حتى وصلت ثلاث ساعات ويبدو ان عامل المفاجأة لم يتوفر نظرا للمسيرة الطويلة وما رافقها « من ضجة نبهت المستعمرة التي أطفأت الانوار ووصلت القوى واحاطت بالمستعمرة من ثلاث جهات . واشتد الاعياء بالجميع ، واصبحت الحركة متعذرة ، ومع ذلك استطاع البعض اختراق الاسلاك الشائكة ، وفتح اليهود النار عليهم وسقط البعض امامها وانكشف المهاجمون وتقهقرت القوات ، واقترح بعض الضباط الانسحاب ولكن اعيد الامر بالهجوم ، وفتح المجاهدون ثغرة جديدة في الخنادق والاسلاك الشائكة ودخلوا أطراف المستعمرة ونسفوا برج مراقبة العدو ، ولكن التقدم ما زال ضعيفا بسبب المطر والطين وتدفق المياه من اليرموك ... واصبح الانسحاب اصعب من التقدم وقنابل الهاون لا تؤثر ولا تنفجر في الطين ... »(١١١). وبقي القتال مستمرا حتى الثامنة والنصف صباحا حين انسحب المهاجمون بسبب تدفق النجدات من ناحية وبسبب قدوم القوات البريطانية التي طلبت انسحاب فوج صفا . وكانت الخسائر العربية ( ٣٨ ) شهيدا وعددا أكبر من الجرحى(١١٢).

هذا ويقول احد الكتاب الصهاينة « ان العرب وصلوا الى مسافة مائتي ياردة من مركز المستعمرة وسط الوحول والامطار ... وتراجعوا »(١١٣).

ويقول ( او بالانس ) ان هجوم الانقاذ « كان جبهويـا وفي طقس ممطر ... ورغم الهجمات التي شنها العرب مرتين او ثلاث لكنها لم تنجح ... كان لهم تفوق في الرجال والسلاح ، ولو استمر الهجوم أو حاول الانقاذ القيام بحركة على الاطراف لكان احتمال سقوط المستعمرة كبيرا ... ولكن ولسبب مجهول ، وكأنه كان هناك اتفاق عام ، اوقف العرب جميعهم الهجوم ثم انسحبوا ... هذا وقد أظهر العرب شجاعة فردية كبيرة ولكن رافقها القليل من المهارة التكتيكية ... والظاهر كأن العرب فوجئوا بصمود اليهود ودفاعهم ... »(١١٤).

ما هي نتيجة المعركة ؟ القاوقجي يعتبرها « انتصارا ونجاحا في قطع المواصلات بين المستعمرات اليهودية في المنطقة ، في حين حاول الانكليز انقاذ اليهود من قوتنا دون ان يوفقوا ، واصبح اليهود ، خاصة الشرقيون ، قانعين بأن جيش الانقاذ كان قويا ولديه موارد عسكرية كافية لتدمير مستعمراتهم وتصفية سكانها »(١١٥). اما القصري فيرى انها « انتهت بالفشل ، واثبتت المعركة انعدام التدريب بين المتطوعين وعدم فائدة القتال بقوات غير مدربة ومدنية في عمليات منظمة تعبوية ، وهم يجهلون أصولها . وان أسلحة المشاة لا تكفي لاختراق المواقع المحصنة ... وان مصير جيش الانقاذ وخيبة أمله قد ارتسم من هذه المعركة ... »(١١٦).

**معركة مشمار هاعيميك** : تقع هذه المستعمرة الهامة قرب الطريق العام الذي يصل جنين بحيفا ، وتبعد مشمار هاعيميك مسافة ثلاثين كيلومترا الى الجنوب الشرقي من حيفا . وقد استهدف القاوقجي من محاولة الاستيلاء عليها السيطرة على مرج بن عامر ( اسمها يعني حارسة الوادي ) وما ينتج عن ذلك من تأثير على مصير حيفا ، ميناء فلسطين الاول . وقد يكون غرضه من تلك العملية ان يخفف من شدة الضغط الصهيوني لفتح طريق القدس — تل أبيب حيث بدأ الصهاينة هجومهم على القسطل كجزء من « عملية نخشون في ٣١ آذار بقصد انقاذ القدس »(١١٧) التي كانت حاميتها وسكانها البالغ عددهم مائة الف يهودي تحت وطأة حصار عربي شديد . هذا ويرى احد المعلقين العسكريين البريطانيين ان « المستعمرة كانت تشكل نقطة اساسية ضد الهجمات القادمة من الشرق وعلى طول مرج بن عامر ... وان هدف القاوقجي الاخير بعد احتلالها هو قطع طريق حيفا — تل أبيب »(١١٨).

يقول القاوقجي في مذكراته « ان القوة التي أعدها كانت تتألف من فوج واحد وسريتين احتياطيتين تساندها بطارية مدفعية تتكون من اربعة مدافع عيار ( ٧٥ مم ) ومدفعين اميركيين قديمين عيار (١٠٥ مم) بقيادة الملازم الاول عفيف البزري ... »(١١٩) وبالاضافة كانت هناك ثلاث مصفحات كان يقودها الملازم فائز حنيفة .

عمد القاوقجي الى تضليل العدو عن هدفه فكلف المقدم صفا — قائد فوج اليرموك الاول — بمهاجمة مستعمرة زراعيم — قرب قرية زرعين العربية — الى الشمال الشرقي من جنين ليلة ٣ — ٤ نيسان ليحول انظار الصهاينة عن مشمار هاعيميك . وانتشرت في نهار ٤ نيسان قوات الانقاذ ( فوج القادسية بقيادة المقدم مهدي صالح العاني وسرية من فوج حطين واخرى أردنية ) وكان عددها الف مقاتل حول المستعمرة وعلى المرتفعات المحيطة بها دون أن يشعر العدو بوجودها . وفي تمام الخامسة من مساء ذلك اليوم بدأت المدفعية قصفها بدقة واحكام . وكان كل شيء في المستعمرة يؤكد ان « المباغتة كانت كاملة » —على حد تعبير القاوقجي — . « وكانت المقاومة في البداية ضعيفة ومرتبكة ، وحين وصل المشاة الى الاسلاك الشائكة توقفت المدفعية عن الرماية فيما تقدمت المصفحات الثلاث حتى الابراج في مدخل المستعمرة ، وكانت صامتة . وهذا فاجأني

وزادني حذرا اذ خشيت ان يكون في ذلك فخ او خديعة ... وهبط الظلام وتحول الرذاذ الى مطر غزير جعل الرؤية صعبة . وخشيت ان تلحق بوحداتنا خسائر كبيرة في الليل نظرا لقلة تدريب افرادها على القتال الليلي وسط الامطار والوحول وخشيت من انتشار الفوضى بين افراد السرية ، لذلك وبسبب قلة العدد امام القوة اليهودية في المستعمرة فقد قررت ان الافضل ان تتجمع السرية على المرتفعات المطلة على المستعمرة مباشرة حتى يطلع الصباح وارى ردود فعل قيادة الهاغانا . وكانت خسائرنا في ذلك الوقت جريحا واحدا فقط »(١٢٠).

هذا ما يقوله القاوقجي . أما الدكتور امين رويحة وكان يومها مع وحدات الانقاذ في مشمار فيقول « ان المقاتلين بعد ان وصلوا الى الاسلاك الشائكة عجزوا عن اقتحامها لعدم وجود الادوات القاطعة اللازمة او المواد الناسفة ، وحصل شيء من الفوضى والارتباك بين المقاتلين مما دفع فوزي الى سحب القوة من جوار الاسلاك وارجاعها الى الخلف لان جنودنا لا يحسنون القتال الليلي ... »(١٢١).

هذا ويقول كورزمان الصهيوني «ان القاوقجي كان يخطط لهذه العملية منذ اسبوعين... حشد الف مقاتل و (١٢) مدفع هاون عيار ثلاث بوصات ، وبضع سيارات مصفحة ، واهم الكل بطارية مدفعية تتكون من سبعة مدافع عيار ( ٧٥ ) مم و( ١٠٥ ) مم . وكان اول من استخدم المدفعية في هذه الحرب ... أما اليهود فكان عدد سكان المستعمرة ( ٣٠٠ ) من الرجال والنساء والاطفال وكانوا يعدون دفاعاتها خلال شهرين ... حفروا خنادق متصلة وسرقوا أسلاكا شائكة من البريطانيين وخزنوا اغذية لمدة شهر ورتبوا مع وحدات الهاغانا المحلية أمر مدفع رشاش ثقيل وهاون عيار ( ٣ ) بوصات ، بالاضافة لما كان عندهم : مدفعا هاون عيار بوصتين ورشاشان خفيفان و (٥٠) بندقية »(١٢٢). ويضيف هذا الكاتب ان المستعمرة تلقت خلال ساعتين ألف قنبلة ثم توقف القصف . وبدأ السكان ينتظرون هجوم المشاة(١٢٣).

ويقول المعلق البريطاني ( أو بالانس ) انه « بعد الاحاطة بمشمار هاعيميك ... وبعد استمرار القصف المدفعي طيلة الليل ... ولسبب او آخر فان هجوم الفجر المتوقع لم يحصل . ولو تم لكانت هناك كل الامكانيات لينتهي بالنجاح باعتبار ان الحامية كانت مؤلفة من السكان فقط مع مجموعة صغيرة من الهاغانا تملك رشاش براوننغ وهاونات صغيرة وعددا محدودا من الاسلحة الصغيرة »(١٢٤). وفي صباح اليوم التالي ، ٥ نيسان، وصل ضابط بريطاني كبير الى مقر قائد الفوج ، المقدم مهدي العاني ، وطلب منه باسم القيادة البريطانية السماح بنقل القتلى والجرحى من المستعمرة ، ويضيف القاوقجي الى هذا ان سيارات الاسعاف والشاحنات البريطانية التي كانت تدخل الى المستعمرة وتخرج منها بحراسة المدرعات والدبابات البريطانية هي التي تولت نقل النجدات والامدادات والجنود الى العدو المحاصر . ( مذكرات القاوقجي ص ٣٩ — ٤٠ ) .

والظاهر ان الانكليز لعبوا دورهم المعتاد اذ نجحوا في اقناع القاوقجي بأن يمنح العدو هدنة ( ٢٤ ) ساعة صباح ٥ نيسان ثم مددت الهدنة يوما آخر كانت النجدات تتدفق على المستعمرة والمناطق المحيطة بها بقصد تطويق قوات الانقاذ وابادتها . وفيما يقول كورزمان الصهيوني ان « اول مجموعة نجدة وصلت للمستعمرة في الساعة الثالثة من صباح يوم ٥ نيسان » — ص ١٢٦ — نجد ان او بالانس البريطاني يشير الى « ان النجدات بدأت تصل المستعمرة يوم ٦ نيسان ولمدة يومين ، فصار في المستعمرة فوجان من الهاغانا ... وكانت هذه هي المرة الاولى التي تقاتل فيها الهاغانا على مستوى الفوج » — ص ٤٣ — . ويضيف هذا الكاتب البريطاني قائلا : « ان العرب قاموا بمحاولة او اثنتين دون ان يكون الهجوم جديا ... » واستمرت المعركة تسعة ايام اشتبكت فيها قوات البالماخ مع الانقاذ في قتال سجال اذ بدأ العدو بشن هجماته المعاكسة

بعد أن استكمل تحشداته واكمل استعداداته وكان هدفه تطويق قوات الانقاذ وابادتها. ويقول المقدم لورتش في كتابه « حرب الاستقلال الاسرائيلية » ان « منطقة القتال كانت مألوفة جدا لقوات الهاغانا ذلك انها كانت لسنوات عديدة قاعدة للتدريب المتقدم لكل قادة الهاغانا من مرتبة آمر فصيل فأعلى ... وكانت القرى العربية المحيطة بمشمار هي هدف الهجمات المضادة التي بدأت تشنها الهاغانا ... وشهدت القرى والمعاقل الجبلية قتالا مريرا. فقد تعرض أحد تلك المعاقل الى (١١) هجوما عربيا متتابعا، وفي مواقع اخرى جرى تبادلها بشكل مستمر . ففي الليل كانت الهاغانا تستولي على هذه المواقع وفي النهار كانت قوات الانقاذ تعود للاستيلاء عليها مستفيدة من تفوقها بالمدفعية »(١٢٥).

متى بدأ الهجوم الصهيوني المضاد ؟ يقول القاوقجي انه بدأ في صباح ٩ نيسان وبقوة تزيد على ستة آلاف جندي مجهزين بعدد كبير من الهاونات والرشاشات الثقيلة ... وقد فشل الهجوم واستطاع الانقاذ استعادة مواقعه ... وبدأ الهجوم المضاد الثاني في صباح ١٢ وتطور القتال الى مجزرة ... وبدأ الهجوم المضاد الثالث في الساعة الخامسة من صباح ١٣ بقوة ست كتائب مع مدرعات وقصف بالهاونات الثقيلة ... وشاهد فوزي في ذلك اليوم اول طائرة استطلاع ... وكان هدف هذه الهجمات تثبيت الانقاذ امام مشمار وتطويقه ... ( مذكرات القاوقجي ٤٣ ـ ٤٤ ) .

وفيما يقول أو بالانس « ان القتال استغرق كله مدة ستة أيام وانتهى في ١٠ نيسان حين قرر القاوقجي فجأة الانسحاب ... »(١٢٦) نجد ان لورتش يقول « ان القاوقجي حاول ان يرغم قوات الهاغانا على التزام موقف دفاعي لحماية المستعمرة حين جرب في ١٢ نيسان ان يعود لمهاجمة مشمار هاعيميك من جديد ولكن جنوده تعرضوا لكمائن اليهود في الادغال المحيطة ... وعلى هذا فقد وجد القاوقجي نفسه مرغما ، بعد سقوط عدد من القرى العربية ، على التراجع خشية عزله عن قواعده ... وبدأت قوات الهاغانا تلاحقه ... واستخدم اليهود في هذه المعركة الطائرات لاول مرة حين اشتركت طائرتا باير كاب من « سرب الجليل » في عمليات استطلاع واسقاط ذخيرة وقصف مواقع المدفعية ... »(١٢٧). ولكن ما هي نتيجة المعركة ؟ القاوقجي يقول ان « خسائرنا في كل مراحل المعركة كانت ( ٢٤ ) جريحا وستة قتلى بما فيهم النقيب مأمون البيطار وان العدو ترك ( ٤٥ ) قتيلا ... في حين ان لدى القاوقجي تقارير من مصادر انكليزية تشير الى ان اليهود فقدوا ( ٢٣٠ ) قتيلا بما فيهم قائد الهاغانا و( ٢١٠ ) من الجرحى ... ( مذكرات القاوقجي : ص ٤٥ ) .

اما طه الهاشمي فقد طلب من القاوقجي انهاءها ـ كما يقول الاخير في مذكراته ص٤٧ ـ لانه رأى فيها معركة استنزافية خاصة وان ما لدى الانقاذ من ذخائر قليل جدا بينما لدى اليهود كميات كبيرة .

هذا ويرى القصري « ان القاوقجي خسر هذه المعركة لانه تأخر في شن الهجوم بالرجال بعد ان مهد لهم بقصف المدفعية ولانه قبل تجديد الهدنة واضاع ستة ايام في معركة لا تحتاج اكثر من ثلاث ساعات . وربما كان لا يعتمد على رجاله ويظن ان قنابل المدافع تكفي لوحدها لسقوط المستعمرة . وبهذه الخسارة سيطر اليهود على مرج بن عامر وشددوا الحصار على حيفا واكتشفوا ان المجاهدين لا يتحملون المعارك الطويلة ولا يستمرون امام المواقع التي تثبت امامهم »(١٢٨).

هذا ويستغرب او بالانس لماذا لم يشدد القاوقجي هجومه على المستعمرة ، اذ يرى ان القائد قد يكون واجه صعوبات في فرض التنسيق والانضباط على المجموعات المختلفة من قواته في هذه المرحلة الاولية وان يفرض عليهم العمل المشترك، وقد يكون وراء ذلك عدم تعوده وقواته على العمليات الواسعة والطويلة المدى التي تتطلب التخطيط والدقة والصبر ، وقد يكون وراء ذلك توقعهم الحصول على نصر سهل رخيص ، ظانين ببساطة

ان مجرد امتلاكهم للمدفعية يمكن ان يوقع الذعر في صفوف اليهود فيدفعهم ذلك الى الجلاء السريع عن مواقعهم . ان نقص الشجاعة عند العرب ليس واردا نظرا لكثرة الوقائع على الشجاعة العربية ... ولو ان القاوقجي قام بهجومه فجر الخامس من نيسان ، اي قبل انجاد مشمار ، فربما كان حظه كبيرا في اجتياحها . ولكنه اضاع الفرصة ودفع الثمن مضاعفا اذ ان الهاغانا راحت تطارده وتتوغل في المناطق التي كان العرب يتخلون عنها ... »(١٢٩).

هذا ويلاحظ كامل الشريف « ان القاوقجي قد استدرجه اليهود الى ان ظفروا بقوته وانزلوا به الضربة القاصمة عند مشمار هاعيميك وبذلك انتهى امره وتبعثرت قواته ... »(١٣٠). الا ان ملاحظة الشريف الاكثر اهمية هي تلك التي يقارن بها قوات الانقاذ والجهاد المقدس والقوة الخفيفة التي قادها احمد عبد العزيز من زاوية اساسية ومشتركة وهي « ان هذه القوات كلها خلطت بين عملها الاساسي الذي كان يمكن ان تنجح فيه . ومضت تدافع عن القرى العربية وتشغل نفسها بالهجوم على المستعمرات المحصنة دون جدوى ... »(١٣١). وكانت المهمة الاساسية ، برأي الشريف « ان تقوم هذه القوات بتعقب العصابات الصهيونية والاغارة على مراكز الجيش الاسرائيلي»(١٣٢)، اي ان يكون عملها الاساسي هو قوة اغارة وتعرض لا قوة نظامية تأخذ على عاتقها مهمات دفاعية او مهاجمة المستعمرات المحصنة ... هذا ويسجل الشريف انتقادا لاحمد عبدالعزيز « لظنه انه بالمدفعية يستطيع التغلب على المستعمرات اليهودية وتحصيناتها ... وان مدافعه الضخمة ستدك الابراج والحصون ، ولن يجد مشاته احدا في قلب المستعمرة لان حماتها سيكونون جميعا تحت الانقاض ... ولم يلتفت لنصائح الاخوان المسلمين والافادة من تجربتهم وكارثتهم امام مستعمرة كفار ديروم ... »(١٣٣) والظاهر ان القاوقجي قد أعطى للمدفعية وزنا أكبر من حقيقتها وطاقتها فكان ان صمدت تحصينات الزراعة امام مدافع الهاون التي ساندت هجوم المقدم محمد صفا وصمدت تحصينات مشمار هاعيميك أمام مدافع الميدان التي رافقت فوج القادسية . وأخيرا .. هل كانت معركة مشمار هاعيميك انتصارا كبيرا كما حاولت أجهزة الاعلام العربية ان تصورها في ذلك الوقت ؟

في رأي المقدم الركن شوكت شقير ان « معركة مشمار هاعيميك كانت عملية فاشلة تماما ونتيجتها كانت هزيمة شنعاء لنا » ، ولدى شقير ملاحظة خاصة تتعلق بادارة المعركة وهي ان القيادة اعتمدت المدفعية سلاحها الاساسي ، وهي نقطة تفوق هامة بجانبنا على العدو ، ولكن القيادة لم تلحظ مع الاسف قلة ما لدينا من ذخيرة لهذا السلاح وهي بالتالي لم تحسن استخدام هذا الجانب الذي تتفوق فيه ، وكانت المعركة اجمالا نقطة تحول كبيرة في قتالنا ضد العدو الصهيوني » ... وفي الواقع فان المرء يميل كثيرا الى اعتبار هذه المعركة نقطة تحول اذ فقد الانقاذ قدراته على التعرض والهجوم ويشارك راي الدكتور امين رويحة الذي رافق المعركة في معظم مراحلها باعتباره المسؤول عن معالجة جرحى الانقاذ يومذاك ... في رأيه « ان هذه المعركة كشفت عورتنا واظهرت نقاط ضعفنا وكانت نتائجها بعيدة الأثر على سير معاركنا القادمة »(١٣٤).

**معارك المنطقة الشمالية** : شهدت هذه المنطقة معارك عديدة خاضها الانقاذ من اقصى شمال فلسطين في المطلة وحتى الناصرة في جنوب الجليل . ودارت أهم هذه المعارك حول مستعمرات المنارة والمطلة وجدين والهراوي والنبي يوشع والشجرة ورامات يوحانان ، وشارك الانقاذ في معظم معارك المدن في حيفا وطبريا وصفد وعكا ، وشهدت الناصرة والمالكية وترشيحا والجش والصفصاف اشتباكات دامية خاصة حين انتزع العدو المبادأة من العرب ، بعد نهاية الهدنة الاولى ، واستطاع على مراحل اخراج جيش الانقاذ من الجليل في أواخر تشرين الاول ١٩٤٨ . وفي هذه المنطقة كانت علاقات الانقاذ مع الجيشين

السوري واللبناني ومع المسلحين المحليين افضل نسبيا مما كانت عليه في المنطقة الوسطى .

**معركة المالكية الثانية** : تقع قرية المالكية ، وهي صغيرة جدا ، في شمال فلسطين وقرب الحدود اللبنانية وفيها معسكر للجيش البريطاني وقد جلا عنه في اواخر نيسان . وقد تعرضت المالكية لمعارك عديدة وتبادلتها الايدي مرات عديدة خلال ستة اشهر بدأت في اواخر نيسان وانتهت في اواخر تشرين الاول . فبعد جلاء الانكليز عنها سيطرت على القرية والمعسكر مفرزة صغيرة من فوج اليرموك الثاني الذي كان يقوده المقدم اديب الشيشكلي . ولكن الصهاينة قاموا بهجوم مفاجىء في ١٢ ايار واحتلوها اذ كانوا على علم بالخطة العسكرية العامة وعلى معرفة بأن القوات السورية ستنطلق من المالكية . ويقول لورتش « ان هناك ثلاث طرق للتقدم من لبنان الى فلسطين. ولقد اختار اللبنانيون الطريق المركزي — اي المالكية — ليس لانه يمكنهم من الوصول الى الجليل الشرقي دون مواجهة المستعمرات اليهودية فحسب بل ويمكنهم فيما بعد من الاتصال بالسوريين والعراقيين ودعمهم في هجومهم على حيفا . ولهذا وضع فوجان من المشاة وسرية مصفحات لتصد التقدم اللبناني من خلال « بوابة المالكية »(١٣٥). ويقول القصري ان الصهاينة « أرسلوا سرية مغاوير من البالماخ من مستعمرة الهراوي وتسللوا الى المعسكر في منتصف ليلة ١٢ — ١٣ ايار واستولوا عليه ... وفي الصباح استعادت قوات الانقاذ بقيادة الشيشكلي المالكية ومعسكرها ... وعند الظهر كان اليهود يلجأون الى المرتفعات المجاورة »(١٣٦). وفي ٢٩ ايار عاد اليهود لطرد قوات الانقاذ من المالكية وقدس وبليدة وعيترون ... ونظراً لاهمية هذه المنطقة فقد قررت قيادة الانقاذ وقيادتا الجيشين السوري واللبناني ضرورة استعادتها ولذلك فقد حشدت في اوائل حزيران قوات مشتركة زادت على ثلاثة آلاف مقاتل وطردت اليهود من المنطقة كلها .

كانت القوات المشتركة في هذه المعركة تتكون من : فوج جبل العرب وكان يقوده الرائد شكيب وهاب ، وفوج حطين بقيادة النقيب مدلول عباس والحقت به سرية عراقية بقيادة الملازم الاول شناوة عرد ، وسرية من فوج اليرموك الاول ، وسرية يمانية وسرية مجدل شمس ، وفوج من المتطوعين اللبنانيين بقيادة النقيب حكمت علي ، بالاضافة الى فصيل من المتطوعين اليوغوسلافيين . هذا من جانب الانقاذ . وكان هناك فوج نظامي لبناني بقيادة المقدم جميل الحسامي وسرية دبابات خفيفة لبنانية . واشترك في القتال ايضا فوج البادية السوري وبطاريتا مدفعية ( ١٢ مدفعا ) بقيادة الملازم الاول عفيف البزري وطائرات سورية . وكانت قيادة هذه القوة المشتركة للمقدم طالب داغستاني والرائد الركن عامر حسك هو ضابط ركن القوة .

وفي الواحدة بعد ظهر يوم ٦ حزيران فتحت المدفعية نيرانها ثم تقدم المشاة على مواقع الصهيونيين في المالكية برتلين ... وبعد قتال دام استمر خمس ساعات انسحب اليهود ودخلت قواتنا منتصرة ... وكانت خسائر اليهود كبيرة ... وكان الضباط والجنود العرب على جانب عظيم من الضبط والسيطرة وشجاعة ممتازة وتشوق لقتال اليهود ... »(١٣٧).

اما الصهاينة فيقولون « ان القوة التي كانت في المالكية — من لواء عوديد المؤلف بشكل اساسي من رجال الحرس المحلي ومجموعات هامشية غير مدربة . وقد استطاعت ثلاثة أفواج عربية ( لبنان ، سورية ، انقاذ ) من شن هجوم مركز صباح ٦ حزيران . ومع ان الاسرائيليين تلقوا تقارير وشائعات عن تحركات عسكرية على جانبي « اصبع الجليل الشرقي » ، الا ان جنود عوديد غير المدربين اخذوا بمفاجأة كاملة . ولقد حاولوا في البداية التصدي لفوج القاوقجي وتعرض السوريون لخسائر كبيرة لوقوعهم في حقل ألغام ولكن القوة اللبنانية نجحت في طرد الاسرائيليين من المالكية ... »(١٣٨). ويتابع

كورزمان ليصف القاوقجي راكبا سيارة الجيب ومرافقا قوات الانقــاذ في تقدمها نحو الجليل حيث يرد التحية للجماهير التي خرجت لاستقباله .

اما المقدم لورتش فانه بعد اشارته الى تحقق المفاجأة بالنسبة لقوات عوديد يذكر ان القوات العربية كانت في حجمها تتشكل من لواءين تقريبا، وقد تابعت تقدمها بعد انسحاب الصهاينة ، الى قدس وتوغلت داخل الجليل ثانية بثلاثـــة ارتال : نحو قرية لوبيـــا والشجرة ، والثاني نحو الناصرة ، والثالث نحو الجليل الغربي(١٣٩) .

هذه المعركة الناجحة لم تستثمرها قيادة الانقاذ كما يجب ، ففي رأي حسك « ان هذه القوة الكبيرة قلما تجتمع في مكان واحد وبقيادة واحدة فاغتنمت هذه الفرصة وعرضت على القاوقجي فكــرة اســتغلال هــذا الظرف والاســتفادة من هــذه القوات القوية بمعنويـاتها والكثيرة بعــــددها واســلحتها وطلبت ان يســتأنف الهجــوم عــلى مــــواقع اليهــود في الهــراوي والنبي يوشـــع ومـــن ثم يطهــر الجيــب في منطقة الحــولة حتى المطـلة في شــمالها والاتصـــال بالقــوات الســـورية في منطقـــة بانياس وجنوبها مؤكدا له ان هذه العملية لا ريب في نجاحها نظرا لوضع اليهود المرتبك في جميع اجزاء فلسطين باعتبار ان سيطرة الموقف كانت بيد القوات العربية في كل جزء حينذاك . . . »(١٤٠) ولم يكن هذا الرأي قاصرا على الرائد عامر حسك ، بل ان هناك عسكريين عرب آخرين تضايقوا جدا يومها من توغل الانقاذ في الجليل وتركه مجموعة المستعمرات الى يسار قواته فيما كانت القوات السورية تقاتل يومها على مقربة منه اذ كانت تهاجم مشمار هايردن . ولو تقدم الانقاذ نحو الشرق بدل التوجه نحـــو الجنوب لاستطاع تأمين الاتصال بالجيش السوري وعزل ما يسمى « باصبع الجليل الشرقي » ومجموعة المستعمرات القائمة فيه لتشكل حاجزا بين سورية ولبنان . هذا ويقول المقدم الركن شقير ان المؤسف ان الصحافة العربية شاركت في التضليـــل اذ كتبت العناوين الكبيرة في تضخيم عودة قوات الانقاذ الى الجليل وكأن فيه قوات معادية وقد تم طردها منه ، وجعلت من ذلك وكأنه هجوم صاعق على نحو مـــا كانت تعرف بـــه الهجمات العسكرية الالمانية الصاعقة ( بليتز كريغ ) في اوربا خلال الحرب العالمية الثانية ، في حين ان الانقاذ لو توجه بقواته نحو الشرق لسحق القوات الصهيونية في الهراوي والنبي يوشع لكان حقق فوائد عسكرية هامة ومفيدة جدا للوضع العسكري العربي العـــام ( سورية ولبنان خاصة ) ولجيش الانقاذ نفسه(١٤١) .

**معركة الجليل في تشرين الاول** : في ٢٢ تشرين الاول ٤٨ انهى الصهاينة احدى أهم مراحل قتالهم ضد القوات المصرية في النقب ، وفي ذلك اليوم بالذات بدأوا يتحرشون بقوات الانقاذ اذ « حاولوا احتلال ميس الجبل والحولة اللبنانية بعد قصفها من الجو ، فصد الهجوم وطاردتهم قوات الانقاذ وقطعت عليهم طريق المنارة »(١٤٢) . ولم تتحرك القوات السورية واللبنانية لنجدة الانقاذ في هذه المعركة تماما كما وقفت كل الجيوش العربية جامدة حين كان الصهاينة يستفردونها واحدا بعد الاخر وعلى مراحل .

كانت قوات الانقاذ تتحمل مسؤوليات دفاعية اضخم من طاقاتها بكثير . ففي يوم ٢٧ تشرين الاول ، أي قبل ساعات من الهجوم الصهيوني كانت قوات الانقاذ تتكون من : لواء اليرموك الاول بقيادة عامر حسك وكانت افواجه الثلاثة تشغل مناطق الجنوب : مجد الكروم وشعب وسخنين وكوكب وكفرمندا والمغار وعيلبون والفرادة والسموعي ، وكان الفوج العلوي بقيادة غسان جديد يشغل القاطع الشرقي : ميرون والصفصاف والجش والرأس الاحمر ، وكان لواء اليرموك الثالث ( وفي الواقع كان عبارة عن فوج اجنادين وسرية عقربا والسرية اليمانية ومتطوعون محليون ) بقيادة المقدم مهدي العاني ويشغل منطقة ترشيحا ومعليا ، اي يواجه الغرب ، وكان لواء اليرموك الثاني ( في الواقع عبارة عن الفوج البدوي الاول وبعض السرايا المستقلة ) بقيادة علوش داغش ويشغل بليدا

وميس الجبل داخل اراضي لبنان، وكانت المفرزة اليوغوسلافية تشغل المالكية وقدس... ومع هذه القوات كانت بطارية مدفعية وبضع مصفحات . ( حسك : ص ٨٠ ــ ٨١ ) .

ويقول حسك : « كانت قواتنا ضعيفة في كل نقطة بسبب انتشارها على جبهات واسعة بالاضافة الى عدم وجود احتياط عام او احتياطات محلية لمعالجة المواقف الطارئة هذا مع حرمانها من الاليات التي يمكن الاستفادة منها في التنقلات السريعة حين تدعو الحاجة . وهذا حرمها ايضا من الحركة وجعلها جامدة تتلقى كل منطقة ضربة منفردة دون أن تمد اليها يد المساعدة ... » ( ص ٤٤ ــ ٤٥ ) . هذا ولقد كان هذا التوزيع للقوات قد اتخذ « شكل قوس دائرة أملته سعة المنطقة وخطورة الطرق الآتية من مناطق عسكرية مهمة ولذا يعتبر التوزيع اطارا خفيفا لا يستطيع الصمود تجاه اي هجوم مهما كان نوعه ... » هذا ولقد كان فوج حطين ــ مثلا ــ مكلفا بمهمة حماية قاطع بلغ طوله ( ٦٠ ) كيلومترا تمتد من شفاعمرو في الغرب الى قرية حطين في الشرق . وان هذه الجبهة لو اعطيت الى فرقة مشاة نظامية كاملة العدة والعدد لتعذر عليها قبول مسؤولية الدفاع عنها بالاضافة الى انها تواجه مراكز عسكرية يهودية مهمة مثل عكا وحيفا في الغرب والعفولة في الجنوب وطبريا في الشرق ، مع وجود مستعمرة كفارة خوريش ضمن حدود مدينة الناصرة ... ( ص ٤٠ ــ ٤١ ) . وكان موقف الاسلحة ولا سيما العتاد منها محزنا جدا ومرعبا فانه لا يكفي لمعركة يوم واحد حتى ولا لبضع ساعات. (ص ٧٢).
وفي الواحدة من بعد ظهر ٢٧ تشرين الاول بدأ الصهاينة قصفا عنيفا بالمدفعية والطائرات على كافة مواقع الانقاذ في الجليل وقاموا بهجمات تضليلية في الجنوب والشمال ولكن هجومهم المركز الاساسي جاء من الشرق ( صفد ) ومن الغرب ( مستعمرة نهاريا في شمال عكا ) بقصد التقاء الرتلين في سعسع ، عقدة مواصلات هامة ، وبذلك يتم تطويق معظم قوات الانقاذ وابادتها .

وبعد قتال عنيف في مختلف المناطق ، وفيما كانت قوة نظامية سورية تحاول التصدي للقوة الصهيونية القادمة من صفد فوجئت بوجودها ضمن وحدات معادية وصلت الى الجش ، شرق سعسع . في هذه الفترة ، اي بعد قتال ( ١٢ ) ساعة صدرت اوامر الانسحاب للواء اليرموك الاول في صباح ٢٨ تشرين الاول لينجو من خطر اطباق فكي الكماشة .

وبالرغم من اعتراض قائد اللواء وقادة افواجه على أوامر الانسحاب الا ان القاوقجي أصر على ذلك . وقد تم الانسحاب من كل انحاء الجليل بعد أن اضطر الانقاذ للتخلي عن معظم تجهيزاته .

هذا ويقول الصهاينة « انه كان للانقاذ ( ٣١٠٠ ) مقاتل في ثلاثة الوية ومعهم مقاتلون محليون ... وكانت هناك ٦ ــ ١٠ مدافع موزعة على هذه الالوية ... وان القائد المباشر للانقاذ لم يكن القاوقجي بل كان شوكت شقير ، المفروز من الجيش اللبناني ...
هذا وكان لليهود اربعة الوية هي : كارميلي وغولاني وعوديد واللواء السابع وكان يقودها موشي كارميل ... وكان هدف العملية التي سموها ــ حيرام ــ تدمير جيش الانقاذ والسيطرة على الجليل الاعلى لبناء خط دفاعي علـى طول الحدود الشمالية لفلسطين كما كانت ايام الانتداب ... هذا وقد بدأت عملية حيرام في ليلة ٢٨ ــ ٢٩ تشرين الاول ١٩٤٨ وانتهت في ستين ساعة ... »(١٤٣).
وقد استطاع الصهاينة بهذه العملية أن يخرجوا قوات الانقاذ من الجليل وان يحتلوا هذه المنطقة العربية كما احتلوا عشرين قرية في جنوب لبنان .

## ( ٨ )

## نهاية الانقاذ

بعد سقوط الجليل كانت حالة الانقاذ سيئة جدا وبحاجة ماسة الى اعادة تنظيم من جديد على ضوء الاحداث والتطورات الكبيرة التي شهدتها المنطقة وعلى ضوء النتائج التي وصلت اليها معركة العرب في فلسطين . وبدلا من اعادة تنظيم أوضاع الانقاذ وكافة القوى الشعبية الفلسطينية وكذلك الجيوش النظامية وذلك ادراكا للاخطار المتزايدة التي يحتلها نجاح الحركة الصهيونية في اقامة دولة اسرائيل ، فان الامور لم تسر كما يجب أن تسير . وعلى اي حال فقد استدعى الامين العام للجامعة العربية القاوقجي الى القاهرة في ٢٢ — ١١ — ٤٨ بحجة البحث معه في اعادة ترتيب الانقاذ وبنائه من جديد . وهناك أبلغه بعد أن شكره على جهوده ، ان مهمة جيش الانقاذ قد انتهت .

والواقع لم يكن اعفـاء القاوقجي الا الخطوة الاولى الهادفة للتخلص من الانقاذ وكافة مظاهر المرحلة السياسية التي تشير الى نهاية سياسة الرفض المبدئي لوجود دولة « اسرائيل المزعومة » لتبدأ مرحلة جديدة تقول ضمنا او علنا بوجوب القبول بالامر الواقع ، اي الاعتراف الواقعي بوجود دولة اسرائيل ، من خلال عقد الهدنة وتشكيل لجان الهدنة المشتركة والتعايش معها في الامم المتحدة ولجانها ثم ببدء العرب لتنظيم المقاطعة الاقتصادية وذلك كجزء من تطوير نوعية مقاتلة هذه الدولة المعادية . . . الخ . وكلف العقيد أنور بنود — من الجيش السوري — بقيادة وحدات الانقاذ فأعاد تشكيل بقاياه بثلاثة أفواج حملت اسم لواء اليرموك وبقيت هذه القوة في جنوب لبنان متخذة مواقعها في بنت جبيل وعين ابل وتبنين ، ثم انتقلت في أواخر آذار ١٩٤٩ الى سورية . « وفي أوائل ايار ١٩٤٩ ، وبعد ان بدأت الدول العربية توقع اتفاقات الهدنة الدائمة في رودس ، صدرت الاوامر من المفتشية العامة لقوات الانقاذ ، بتوجيه من الامانة العامة للجامعة العربية ، بتسريح هذه القوة وانهاء مهمتها وجرى بالفعل حلها رسميا » .

هناك آراء واجتهادات عديدة في تفسير سبب حل جيش الانقاذ . هناك من يقول انه حل لتوقف تمويل الجامعة العربية له — من هؤلاء المقدم شقير — ويرجع سبب توقف الجامعة عن تمويله الى ان مصر — وهي أكبر الدول العربية والمساهمة الاولى — بدأت تقبض يدها عن تسديد التزاماتها المالية للانقاذ خاصة بعد أن رأت أن حالته متدهورة ودوره في المعارك دون المتوقع . وأهم الاسباب — برأيي — هي ردود الفعل السلبية التي كانت تعيشها القيادة السياسية والعسكرية المصرية يومذاك بعد خوضها منفردة جولتين من معارك النقب في تشرين الاول وفي كانون الاول في حين وقفت الانظمة العربية كلها وقفة المساندة الاعلامية الساخنة واتخذت موقف الجمود وعدم المساندة العسكرية . فكان أن قويت اصوات العزلة في مصر ، وبدأت سياسة التراجع والانطواء في الساحة العربية ، وطبيعي ان يكون من نتائج ذلك تقليل مشاركتها في أية نشاطات عربية ، وكان الانفاق على جيش الانقاذ أبرز تلك المساهمات والنشاطات المصرية .

وهناك من يقول ان وراء حل الانقاذ ان القيادة السياسية والعسكرية في سورية كانت متخوفة يومذاك من نشاطات بعض ضباطه الكبار ، وخشيت ان يعمد بعضهم للقيام بحركة عسكرية ضد حكام دمشق ، بايحاء من الملك عبدالله والحكم في الاردن ، ولقد جرى اعتقال بعض الضباط — أحدهم النقيب وصفي التل — في اوائل عام ١٩٤٩ ، ولهذا رحبت دمشق باجراء التعديلات الاساسية في قيادته عنـد اعادة تنظيم وحداته بعـد الانسحاب من الجليل .

أما عن تقييم الانقاذ ففي الحقيقة هناك موقفان ورأيان متعارضان .

الاول ينظر الى هذا الجيش من زاوية الحماسة لوجوب « تسجيل حوادث وأمجاد تلك

الصفحة التاريخية التي عمل فيها جيش الانقاذ ما لم تعمله بقية الجيوش واضاع اكثر من نصف موجوده من شهيد وجريح وأتى بتلك البطولات التاريخية . . . ان قيمة كفاح هذا الجيش وتأثيره لا يمكن تقديره الا عندما يدون تاريخ الكفاح العربي بقلم وضمير منصف فعندها فقط تظهر حقيقة البطولات والتضحيات المتفجرة عن عقيدة عربية وايمان خالص بقدسية الاوطان العربية والتي كان يحملها كل فرد من أفراد هذا الجيش »(١٤٤).

والثاني ينظر الى الجيش نظرة سلبية الى أقصى الحدود واذا كانت هذه الدراسة قد نقلت آراء السباعي والشريف ، وفيها الكثير من التحامل وافتقاد الروح الموضوعية فان هناك آخرين تجنوا على الانقاذ وظلموه . فالعارف يرى ان الانقاذ « خيب آمال الامة العربية فيه . فلم يأت بأي عمل يذكر . لا بل انه فشل في مهمته فشلا ذريعا . . . وكيف يرجى الخير من جيش كهذا ، قوامه خليط من الناس ، لا يجمعهم جامع ، ولا يردعهم رادع . وليس لهم مثل أعلى يجاهدون في سبيله صفا واحدا ويدا واحدة . . . ان رجال جيش الانقاذ اساءوا للناس اكثر من احسانهم اليهم . . . »(١٤٥). كذلك تتحامل «جمعية انقاذ فلسطين » في بغداد على هذا الجيش اذ تراه « نجح في ايجاد دعاية واسعة له كما نجح في الحصول على أكثر مساعدات اللجنة العسكرية والذي كان بالامكان ان يقوم بأعمال جليلة الشأن ، بعيدة الاثر ، وان يحول دون سقوط كثير من المواقع في أيدي اليهود ، ان هذا الجيش كان في كثير من مواقفه وتصرفاته مجانبا للمصلحة الوطنية . . . مما نعتبر أن قيادته مسؤولة عن ذلك . . . »(١٤٦). ولكن في هذه الاقوال الكثير من الظلم والتجني ، فالانقاذ قاتل كما قاتلت الجيوش العربية ، بل انه قاتل احسن وأفضل من قتال بعضها في تلك الفترة ، لهذا لا يمكن ان توجه مثل هذه الاتهامات لمثل هذه الوحدات التي شكلت الانقاذ ، ولعل بعضها ادى واجبه بشكل مثالي وانموذجي ، وما كان بوسعها ولا بوسع غيرها ان يقوم بأفضل مما قامت به بعض وحدات الانقاذ في تلك الظروف .

وبعد .. هل كان الانقاذ جيشا نظاميا ؟ أم كان مجموعات من المقاتلين غير النظاميين ؟ أم كان عصابات تحرير وطني ؟

يرى القصري ان الجامعة العربية « جمعت بعض المتطوعين وباشرت بتدريبهم وتسليحهم على عجل وشكلت منهم وحدات عسكرية شبه نظامية . وبمدة شهر أرسلت قسما منهم الى ميادين القتال . والحقيقة لم يكن لدى هؤلاء المتطوعين الاستعداد الكافي ليقاتلوا كوحدات نظامية او كوحدات غير نظامية لان العدو كان مدربا ومسلحا يجب ان يقابل بقوة أشد منه »(١٤٧).

والواقع فان قوات الانقاذ بحكم تكوينها ونوعية تدريبها وتسليحها كانت في الحقيقة تفتقد الكثير من متطلبات الجيش النظامي . فهي عمليا كانت من حيث المقاتلين والبناء والتدريب والتسليح والكوادر دون الجيوش النظامية التقليدية بكثير . ولكنها في الوقت نفسه رغم كونها ليست عصابات تحرير وطني الا انها أخذت من عصابات التحرير الوطني ( وهي عادة نواة جيوش التحرير أو الجيوش الشعبية الثورية ) مبرر وجودها ، اي الهدف السياسي الذي جمع افرادها لحمل السلاح ، أي ان الانقاذ تشكل بقصد تحرير ارض الوطن وانقاذ شعبه من الاستعمار والصهيونية . وعلى هذا فان قوات الانقاذ كانت قوات شبه نظامية وكان من الممكن ان تتحول بارتفاع مستوى تدريبها وضبطها وتسليحها لتكون كالقوات النظامية ، وكان من الممكن أيضا ، لو استمر القتال ضد الصهاينة وتوفرت قيادة سياسية عسكرية اكثر تقدما وتفتحا ، ان تتحول ، خاصة لو التقت كوادرها مع كوادر الجهاد المقدس ، لتتحول الى جيش شعبي ثوري .

ولكن السؤال الاهم هو هل فشل الانقاذ ولماذا ؟ وقد يكون في الجواب على هذا التساؤل بعض الجواب على سبب الفشل في مواجهة الصهيونية في معاركنا العديدة السابقة .

ما من شك في أن الانقاذ ، كجزء من المواجهة العربية في عام ١٩٤٨ ، قد فشل في تحقيق الهدف الذي تشكل من اجله ، وهو الحيلولة دون قيام اسرائيل . اما اسباب هذا الفشل فيرى المقدم شقير ان « أهمها ( ١ ) عدد المقاتلين اليهود كان اكبر دائما من العرب ، اذ كانوا يجمعون دائما على كل جبهة يهاجمونها قوات اكبر من القوات العربية ( ٢ ) لديهم قيادة واحدة مقابل قيادات عربية لا تنسيق بينها ... وفي حالة الانقاذ لم يتم تنسيق مع الجيش السوري ( ٣ ) تسليح اليهود بعد الهدنة الثانية كان متفوقا على التسليح العربي ( ٤ ) لدى اليهود ايمان واقدام وتنظيم ... »(١٤٨).

أما عن رأي العدو في أسباب هزائمنا فان ايغال الون يعتقد « ان الطاقة العسكرية تعتمد على خمسة عوامل رئيسية هي: ١ – قوتها البشرية ٢ – موقعها الجغرافي الاستراتيجي ٣ – مواردها الاقتصادية ٤ – وضعها السياسي ومكانتها في المسرح الدولي ٥ – نظامها الاجتماعي والسياسي . وعند مراجعة حقائق وأرقام الوضع القائم في الوقت الحاضر فانها تؤكد بوضوح بأن الاقطار العربية تتفوق بشكل قاطع في العوامل الاربعة الاولى ، في حين ان باستطاعة اسرائيل أن تزعم التفوق في عامل واحد فقط هو : نوع وطبيعة تكوينها الاجتماعي ونظام الحكم والقيم فيها ... »(١٤٩). ويعيد آلون تأكيد هذه النقطة حيث يضيف : « لقد كان العامل الوحيد للطاقة العسكرية الذي تفوقت فيه اسرائيل على أعدائها ، من دون شك ، هو نظامها الاجتماعي . فحقيقة كونها ديمقراطية سياسية واجتماعية وسط انظمة قبلية متخلفة اوتوقراطية او دكتاتورية كانت في حد ذاتها ميزة لصالحها ، وبتأثيراتها توازنت ، بل وفي بعض الاحيان رجحت على جميع العوامل الاخرى مجتمعة »(١٥٠). ويعيد آلون هذا التأكيد في مكـــان آخر ليشير ان الحرب مـــع العرب « ليست بين جيشين وامتين بل كانت صدامــــا بين نظامين اجتمـــاعيين وسياسيين متصارعين ... وبالاضافة ليست هناك حتى الان وحدة عربية ، فالدول العربيـــة لم تستطيع حتى الان ان تعمل مجتمعة وموحدة الصف ... »(١٥١).

●

في تقديري ان الانقاذ رغم الدور الهام الذي لعبه ما كان ليستطيع أن يحصل على نتائج أفضل في نوعيتها في ظل تلك الظروف الاجتماعية والسياسية القائمة يومذاك . كيف كان الانقاذ يستطيع ان يقاتل وينتصر والانظمة القائمة كانت بطبيعة تكوينها تخشى القتال الجاد لانه ينشط حركة التقدم الاجتماعي ويحرك الجماهـــير وكانت على تلك العلاقة العضوية بالاستعمار ؟ كيف كان الانقاذ يستطيع أن يقاتل وليس في فلسطين وحدة وطنية بل هناك صراعات وتناقضات عميقة محلية وعربية ؟ وهل كان القاوقجي يستطيع ان يحقق شيئا جديا والوضع في الاردن على ما كان عليه رغم ايمان قائد الانقاذ العميق « بوجوب الاستفادة من شرق الاردن كقاعدة للحركات في فلسطين اذ كانت هذه هي فكرته القديمة التي أبداها في عام ١٩٢٩ ؟ »(١٥٢).

ان الامر الاساسي هو ما ذهب اليه شوكت شقير ولمسه لمسا خفيفا حين قال في تفسير اسباب هزيمتنا : « لدى اليهود ايمان واقدام وتنظيم » ، وهذا الراي يلتقي في جوهره مع تشخيص ايغال آلون حين أكد على الاهمية الحاسمة لطبيعة النظـــام الاجتماعي والسياسي . ذلك ان ما يفتقده الانقاذ في الماضي وما يحتاجه كفاحنا الراهن هو توفر تلك القيادة القادرة على رسم البرنامج السياسي لثورتنا المعادية للامبريالية والصهيونية مع الوسائل القادرة على بناء جبهة وطنية تجند كافة القوى والطبقات الشعبية العازمة على الكفاح المسلح ناظرة اليه من زاوية تاريخية تقوم على اساس ان الشعوب التي تقاتل من اجل مصيرها وأوطانها لا تضع في الميزان مسألة الربح والخسارة ، اذ ان مثـــل هذه الحسابات هي سياسة الغزاة ومواقف المعتدين وحساباتهم ، انما تنظر الى الكفاح المسلح والنضال الدامي من الزاويـــة التي وقف عندهـــا قادة فيتنـــام السياسيون

والعسكريون برئاسة هوشي منه قبيل اعلان حربهم التحررية الوطنيــة حين استكثر بعضهم ضخامة الثمن الذي سيدفعه شعبهم ووطنهم فكان السؤال : هل ان وحدة فيتنام وحريتها أهم وأغلى أم الثمن الكبير المطلوب منا دفعه لمقاتلة الاستعمار وتحرير بلادنا ؟ وكان جواب الفييت مينه على لسان هوشي منه لجماهير فيتنام تاريخيا حاسما وقاطعا كحد السيف : « ان وحدة فيتنام وحريتها أغلى وأهم بكثير من اي شيء آخر . أعز من أية تضحية وخسارة . أمامنا طريق واحد : ان نقاتل ولو كلفنا ذلك أن لا يبقى على وجه وطننا جسر أو معمل او بيت . . . نقاتل ولو مسح العمران من على وجه وطننا . . . ولو اعادنا المستعمرون الى العصر الحجري . . . حريتنا ووحدتنا أهم من أي شيء آخــر وليس هناك ما يوازيها » . ويوم اتخذوا ذلك القرار التاريخي بدأت اسطورة فيتنام . ويوم تبرز تلك القيادة السياسية العربية القادرة على رســم ذلك البرنامج السياسي النضالي وتتخذ مثل ذلك القرار . . . يومها تبدأ اسطورتنا الثورية وتطوى الى الابد قضية الوجود الصهيوني العدواني فوق أرضنا . . . وعندها فقط نكون قد استفدنا حقا من تجربة الانقاذ وتعلمنا الدروس والعظات جيدا ، وعندهــا لا تكون أرواح شهدائنا وضحايانا وخسائرنا في الانقاذ ، وما قبله وبعده ، قد ذهبت وضاعت سدى ، ذلك انها كانت الضريبة المحتومة لهزيمة اعداء أمتنا وعودة شعبنا وتحقيق وحدة دولته الاشتراكية على امتداد الوطن كله . . .

---

٩٣ — Al-Qawuqji, Memoirs 1948, *Journal of Palestine Studies,* Vol. I, No. 4, p. 58.

٩٤ — حسك : **المصدر ذاته** — ص ( ١٨ ) .

٩٥ — حسك : **المصدر ذاته** — ص ( ٥٨ ) .

٩٦ — القصري : الجزء الثاني — ص ( ١٥٣ ).

٩٧ — من «ملاحظات العميد الركن طه الهاشمي» على مشروع عامر حسك ، وهي منشورة في اول الكتاب ، وفيها يعلق الهاشمي كما يلي : «ثانيا: ذكرتم في الصفحة ( ٢٣ ) ان القاوقجي استدعي الى بيروت والذي اعلمه انه لم يستدع الــى بيروت وكان من عادته ان يترك الجبهة ويقضي وقته مع مقره بين عاليه وصوفر بعيدا عــن المنطقة التي كان ينبغي ان يظل فيها يراقــب العدو ويعد العدة لمقابلته . . . » — ص (٨) .

٩٨ — حسك : **المصدر ذاته** — اشارة الى الامر رقم ( ١١٥ ) تاريخ ٤٨/٧/١٨ الموجــه الــى المقدم الشيشكلي والامر رقم ( ١١٤ ) تــاريخ ٤٨/٧/١٨ الموجه الى عامر حسك . . . ص ( ٦٣ ) .

٩٩ — حسك : **المصدر ذاته** — ص (٣ — ٤٤).

١٠٠ — القصري : الجزء الثاني — ص ( ٢٥٢ ).

١٠١ — القصري : الجزء الثاني — ص ( ٢٥٣ ).

١٠٢ — **المصدر ذاته** — ص ( ٢٥٨ ) .

١٠٣ — مقابلة مع شوكت شقير في بيروت فــي ٧٣/٣/٢٠ .

١٠٤ — حسك : **المصدر ذاته** — ص ( ٣٥ ) . . . راجع أمر منتشية المتطوعين رقم ( ٣٩١٠ ) تاريخ ٤٨/٦/٣ مع وصف المعركة علــى ص ( ٢٩ — ٣٦ ) .

١٠٥ — Netanel Lorch: *Israel's War of Independence,* 1947-49, p. 57; Hartmore House Inc. Hartford, Connecticut, 1961-1968.

١٠٦ — E. O'Ballance: *The Arab-Israeli War 1948,* p. 36; Faber and Faber Ltd., London.

١٠٧ — Jon and David Kimche : *Both Sides of the Hill,* p. 82, London, Secker and Warburg 1960.

١٠٨ — Al-Qawuqji: Memoirs 1948, *Journal of Palestine Studies,* p. 35-36. Vol. 1, No 4, Summer 1972.

١٠٩ — E. O'Ballance : *The Arab-Israeli War,* p. 39.

١١٠ — القصري : الجزء الثاني — ص (٢٦٤) .

١١١ — القصري : **المصدر ذاته** — ص ( ٢٦٤ — ٢٦٥ ) .

١١٢ — القصري : **المصدر ذاته** — ص ( ٢٦٥ ).

١١٣ — D. Kurzman :. *Genesis 1948,* p. 64

١١٤ — O'Ballance : *The Arab-Israeli War,* p. 40.

١١٥ — Al-Qawuqji: Memoirs 1948, *J.P.S.*- Vol. 1, No. 4, p. 35.

١١٦ — القصري : **المصدر ذاته** — ص ( ٢٦٥ — ٢٦٧ ) .

١١٧ — Jon and David Kimche : *Both Sides of the Hill*, p. 97.

١١٨ — O'Ballance : *The Arab-Israeli War 1948*, p. 42.

١١٩ — مذكرات القاوقجي .
Al-Qawuqji : Memoirs 1948, *J.P.S.*, Vol. 1, No 4, p. 38.

١٢٠ — القاوقجي
Al-Qawuqji : Memoirs ..., *J.P.S.*, Vol. 1, No 4, p. 38-39.

١٢١ — مقابلة مع الدكتور امين رويحة في حمانا بلبنان ٧٣/٢/٢ .

١٢٢ — Kurzman : *Genesis 1948*, p. 123 — 124.

١٢٣ — Kurzman : *Genesis 1948*, p. 125

١٢٤ — O'Ballance : *The Arab-Israeli War*, p. 42.

١٢٥ — N. Lorch: *Israel's War of Independence* 1947-1949, p. 97..

١٢٦ — O'Ballance : *The Arab-Israeli War*, p. 43.

١٢٧ — Lorch : *War of Independence*, p. 97-98.

١٢٨ — القصري : الجزء الثاني — ص ( ٢٧١ — ٢٧٢ ) .

١٢٩ — O'Ballance : *The Arab-Israeli War*, p. 43-44.

١٣٠ — كامل الشريف : **الاخوان المسلمون في حرب فلسطين** — ص ( ٩٠ ) .

١٣١ — كامل الشريف : **المصدر ذاته** — ص (٩٠).

١٣٢ — كامل الشريف : **المصدر ذاتـه** — ص ( ٨٨ — ٨٩ ) .

١٣٣ — كامل الشريف : **المصدر ذاتـه** — ص ( ١١٠ — ١١٣ )

١٣٤ — مقابلة مع الدكتور امين رويحة في حمانا في٧٣/٢/٢ .

١٣٥ — N. Lorch : *Israel's War of Independence*, p. 177.

١٣٦ — القصري : **حرب فلسطين** — الجزء الثاني — ص ( ٢٩٥ — ٢٩٦ ) .

١٣٧ — عامر حسك : **من مأساة فلسطين** — ص ( ٢٩ — ٣٣ ) .

١٣٨ — D Kurzman : *Genesis 1948* p. 331-332.

١٣٩ — Lorch: *Israel's War of Indepence*, p. 185.

١٤٠ — عامر حسك : **من مأساة فلسطين** — ص ( ٣٥ ) .

١٤١ — مقابلة مع شوكت شقير في ٧٣/٣/٢٠ .

١٤٢ — حسك : **المصدر ذاته** ، ص ( ٧٨ ) .

١٤٣ — Lorch : *Israel's War of Independence*, p. 433-455.

١٤٤ — القاوقجي : مقاطع من رسالة الى عامر حسك — منشورة في مقدمة كتاب حسك : **من مأساة فلسطين** — ص ( ١٢ ) .

١٤٥ — العارف : **النكبة** — الجزء الثاني — ص ( ٤٥٩ ) .

١٤٦ — جمعية انقاذ فلسطين — بغداد — « **١٥ ايار — كارثة فلسطـين** » — محمود فهمـي درويش — السكرتير العام — ص ( ٥٨ ) — مطبعة الرابطة — بغداد ١٩٤٩ .

١٤٧ — القصري : **حرب فلسطين ١٩٤٨** — الجزء الثاني — ص ( ٢٤٤ ) .

١٤٨ — مقابلة مع شوكت شقير في بيروت في ٢٠/ ٧٣/٣ .

١٤٩ — ايغال آلون
Y. Allon : *The Making of Israel's Army*, p. 62.

١٥٠ — آلون : **المصدر ذاته**
Y. Allon : *The Making*... p. 63.

١٥١ — آلون : **المصدر ذاته**
Y. Allon : *The Making*... p. 90-91.

١٥٢ — «**مذكرات طه الهاشمي ١٩١٩ — ١٩٤٣**» — ص ( ٢٢٩ ) — دار الطليعة — بيروت .

# سياسة العمل العبري بين الامس واليوم

عبد الحفيظ محارب

« ينبغي ان تقال الحقيقة كاملة ، بالرغم من انها تحمل بين ثناياها الالم والحزن . لقد درجنا على التباهي وقرع جميع الاجراس : « اننا » حولنا الصحراء القاحلة الى جنة عدن . « نحن » ! والسواعد هي سواعد احمد ومصطفى » .

جوردون

في اعقاب حرب حزيران ، فتح باب العمل امام عمال المناطق العربية المحتلة ، ليعملوا في الاقتصاد الاسرائيلي ، وبذلك فتح معه من جديد ملف سياسة العمل العبري ، هذا الملف بدأت سطوره الاولى في الربع الاخير من القرن التاسع عشر ، واخذت تكتب بغزارة في الربع الاول من القرن الحالي واستمر قائما حتى قيام دولة اسرائيل ثم اخذت سطوره تخف وتهدأ الى ان بدأت تثور وتموج من جديد في اعقاب حرب حزيران .

وقبل الوقوف على ملف سياسة العمل العبري لا بد لنا من التطرق قليلا الى موقف التيارات الاسرائيلية من قضية العمل العربي في الاقتصاد الاسرائيلي في الوقت الراهن باعتبار ان العمل العربي يشكل النقيض للعمل العبري .

يخطىء من يتوهم بأن التيارات السياسية المختلفة في اسرائيل راضية تماما عن وجود اكثر من ٥٠ الف عامل عربي في الميادين الاقتصادية المختلفة في اسرائيل ، فبالرغم من قدرة الاقتصاد الاسرائيلي على استيعاب عدد من العمال اكبر من هذا العدد ، وبالرغم من الفائدة العائدة اليه من جراء فائض القيمة التي تدرها الايدي القوية الرخيصة المستغلة ، يبقى الرضى مشفوعا بنقيضه ، ويعود ذلك الى عاملين اساسيين كانا ولا يزالان يتحكمان في المسلك العام لمجتمع المهاجرين والمستوطنين (١) شهوة التوسع (٢) شهوة الحفاظ على نقاء او صفاء المجتمع اليهودي في « دولة اليهود » ، وهذا ما يفسر لنا الطبيعة التوسعية الاجلائية التي يتسم بها الكيان الاسرائيلي ، بيد أنه ينبغي أن لا يغيب عن البال ان هاتين الشهوتين تتخللهما رغبات صعبة ومتناقضة ، فشهوة التوسع ترافقها رغبة في أن تكون المناطق خالية من السكان الاصليين . وبما ان ذلك ليس أمرا متوفرا ، فان الرغبة تتمثل في ترحيل هؤلاء السكان ، الا ان ذلك يعتبر صعبا بسبب الظروف الموضوعية كما أن شهوة الحفاظ على نقاء المجتمع الاسرائيلي وصفائه تتنازعها رغبة اخرى تتمثل في تسخير السكان ضحايا الشهوة الاولى، للعمل في المجالات الاقتصادية المختلفة .

ان التناقض القائم بين المحافظة على النقاء ، وبين الرغبة في التسخير كان وراء المواقف المتباينة للتكتلات السياسية والتجمعات الاقتصادية في اسرائيل تجاه قضية تشغيل العمال العرب ، ولعل ظاهرة العمال الزراعيين العرب الذين يعملون في المستوطنات الاسرائيلية خير دليل على ذلك ، فقد حدث صراع بين السلطات الاسرائيلية من جهة ( تهيمن عليها شهوة المحافظة على النقاء بيد أنها تسعى من وراء تشغيل العرب الى

احراز مكاسب سياسية ) وبين مستوطنات النقب ( تهيمن عليها الرغبة في تسخير الايدي العاملة العربية الرخيصة ) من جهة اخرى حول ظاهرة العمال العرب الذين يخدمون داخل المستوطنات في ظروف صعبة شبيهة الى حد كبير بظروف الملونين في جنوب افريقيا واوضاعهم ، فالسلطات الاسرائيلية رأت في هذه الظاهرة « خطرا قوميا واجتماعيا » كما جاء على لسان وزير العمل ، منطلقة من شهوة الحفاظ على نقاء مجتمع المستوطنين وطهارته ، ولذا اتخذت قرارا بعدم السماح للعمال العرب بالنوم داخل هذه المستوطنات ، بينما تحركت رغبة التسخير لدى المستوطنين واخذوا يناضلون ضد قرار الحكومة « لانها تعارض تصفية العمل العربي ، اذ بدونه لن تكون هنالك ارباح في الزراعة » . ومن الجدير بالذكر ان الحقائق « المؤلمة » التي يحاول كل طرف التستر عليها امام الاغيار ، والتي من شأنها ان تشوه سمعة اسرائيل ، تجد متنفسا لهـا في الصراع القائم بين الطرفين ، وعلى سبيل المثال اوضاع وظروف العمال العرب تغدو واضحة من خلال الصراع فهنالك « جواري » يخدمن في المستوطنات ولا يعدن الى القطاع ، وغدت مستوطنات النقب شبيهة بمستوطنات جنوب افريقيا . . « ان ذلك بدأ يشبه جنوب افريقيا ، ففي كل بيت تستطيع ان تعثر على خادمة او طباخة وعمال مزارع ، بينما يتحول صاحب البيت بينهم كالسيد » (معاريف٧٢/٨/٨) بدون هذا الصراع ما كان يمكن « للحقائق المؤلمة » ان تقال، ومن المشكوك فيه أن تقال حتى بعد نشرها ، أمام الاغيار ، بيد ان هذا الصراع بين الطرفين ، يجعل « الحقائق » المكبوتة تظهر من خلال عملية مخاض « مؤلمة » ففي كيبوتس مجين ( مثلا ) التابع لحركة هشومير هتسعير ( مبام ) القريب من مشارف رفح يشتغل عمال عرب تحت اشراف مستوطنين من مشارف رفح جلبهم الكيبوتس لهذه الغاية، ومن المعروف ان هناك صراعا احتدم بين حركة هشومير هتسعير ( يسارية النزعة ) وبين مستوطني مشارف رفح ، بسبب معارضة الحركة « لاعمال السلب والنهب » المتمثلة في اقامة المستوطنات الاسرائيلية في تلك المنطقة ، بالرغم من ان واقع قيام مستوطنة مجين هو بمثابة سلب ونهب اخر ، يدركه اعضاء الكيبوتس غير انهم يكبتونه ، بيد ان الطرف الاخر يعمد الى الاعتراف به مثل قول احد المستوطنين من مشارف رفح : « ذات مرة ، ابان تناول وجبة الغداء نشب نقاش حول الاستيطان في المناطق . توجهت الينا احدى الرفيقات بسؤال : هل انتم من مشارف رفح؟ اجبناها بالايجاب وعند ذلك صرخ احد الرفاق : آه ، اذن ، انتم المستغلون » . لقد أثار هذا التلون غضبنا . سألناهم : « فوق أية منطقة هم يعتقدون ، انهم جالسون . واقترحنا عليهم بأن يسكتوا . انهم لا يملكون الحق الادبي في التحدث ضدنا » . واكثر من ذلك نجد اعترافا كاملا « بالحقيقة المؤلمة » شبيها باعتراف جوردون ، ناجم عن الصراع الداخلي ، يدين الحركة الصهيونية برمتها ، ولكن صاحب الاعتراف يرضى بهذا الواقع مثل قول احد مستوطني مشارف رفح المدعو « ياكي » (ضابط في سلك الاحتياط) : « انني لا انفعل من صيحات حركة هشومير هتسعير فعندما جاء جدي الى مستوطنة الشجرة عند بداية القرن الحالي ، قام بنهب العرب ، لقد اشترى البارون اراضي وسلب العرب . كما ان مستوطني كفار شلوم ونير عوز التابعتين للكيبوتس القطري تقعان على ارض عربية وكذلك نحن ايضا نجلس فوق ارض عربية » ( معاريف ٧٣/١/٥ ) .

ويروي صاحب كتاب « أرض الغزال » اريه الياف السكرتير السابق لحزب العمل الاسرائيلي الحقائق التي تتكشف من خلال تصارع وجهات النظر الداخلية بعيدا عن الاغيار اعتراف احد الضباط الاسرائيليين اثناء مناقشة حول الصهيونية موجها كلامه الى الياف : « ماذا تريد منا ، ان الصهيونية تعتمد اساسا على الخبث والخداع والقوة، كان آباؤنا يتمتعون بقسط اكبر من الخبث ، اما نحن فاننا نتمتع بقسط اوفر من القوة » ( مجلة حوتام ٧٢/٨/٤ ) .

لقد اوردنا هذه الامثلة للتدليل على أن الحقائق تخرج من محبسها في حالة انقسام وجهات

النظر بين المستوطنين انقساما عموديا حول قضية معينة ، واذا علمنا ان سياسة العمل العبري موضوع البحث كانت ولا تزال على رأس القضايا الرئيسية التي احدثت انقساما عموديا بين وجهتي النظر منذ مطلع هذا القرن ، فاننا لن نجد صعوبة في البحث عن الحقائق .

كان من نتيجة التبدلات الناجمة عن حرب حزيران ، ان اثيرت من جديد قضية العمل العبري ، واخذ الحديث ينصب على نقيض العمل العبري اي العمل العربي بشكل واسع على خلاف ما كان يحدث في الربع الاول من هذا القرن ، حيث كان التركيز اكثر على العمل العبري وليس على نقيضه . وقد أحدث موضوع النقيض ، انقساما عموديا في وجهات النظر في اسرائيل ، كما أحدث في الماضي موضوع العمل العبري انقساما في الرأي في فترة « اليشوف » ، ومن هنا برز موقفان متعارضان تجاه العمل العربي في اسرائيل ( ١ ) الموقف الاول يدعو الى فتح باب العمل امام العمال العرب في المرافق الاقتصادية المختلفة ، ويدعم هذا الموقف فئتان ، الاولى فئة المستوطنين من اصحاب الاملاك في المستوطنات الزراعية ، ومقاولي البناء وارباب العمل في المدن ، اي الشريحة البرجوازية الريفية والمدينية ، انطلاقا من مصالحها التي تتعزز بفضل فائض القيمة التي تدرها الايدي العربية المستغلة حيث تتفوق لديها رغبة التسخير على شهوة النقاء وكثيرا ما يعلو صوت هذه الشريحة قائلا : « لولا الايدي العاملة العربية لخسرنا في هذا الموسم » . وتجد هذه الفئة متنفسا لافكارها المعبرة عن مصالحها في صحيفة « هآرتس » كما كانت الشريحة المماثلة لها في عهد اليشوف تجد متنفسا لافكارها في صحيفة « هتسفي » ، وتركز هذه الفئة في حديثها على الفائدة الجمة العائدة على الكيان الاسرائيلي ومخططاته « ان الدمج الاقتصادي المتصاعد للاقتصاد العربي بما في ذلك العمال العرب في الاقتصاد الاسرائيلي هو جزء من اجراءات العودة ، والهجرة والاستيطان . . . ان التأثير متبادل ، لقد قيل الكثير عن الفوائد الاقتصادية التي جناها العرب ، بيد ان الفوائد التي جناها اليهود لا تقل عنها ، فلولا العمل العربي ، لما كانت موجة الهجرة تستوعب بالسرعة التي استوعبت بها » . ثم يتطرق صاحب المقال لدور العمال العرب في عملية بناء المساكن للمهاجرين الجدد في فترة الانتداب ، « ان مهاجري المانيا في الثلاثينات استوعبوا في منازل ، اعتمد في بنائها على مواد البناء التي انتجها العرب ، وتم بناء قسم منها في القدس وحيفا ، بواسطة الايدي العربية كما ان عملية استيعاب مهاجري الدول الاسلامية وشرق أوروبا في الخمسينات تمت بالاستعانة بتجنيد الايدي العربية في المناطق القديمة . ان التطور المعروف لدينا في الاعوام التي أعقبت حرب حزيران ليس فيه جديد . . » .

ثم ينتقل صاحب المقال الى مسألة طهارة وصفاء المجتمع اليهودي ، ليقرر بأن الدولة اليهودية في الازمان الغابرة لم تكن قائمة على طهارة وصفاء اليهود ، بل كانت فيها اقليات غير يهودية ، ويذكر ان ابناء تلك الاقليات « اشتركوا في بناء الهيكل ، ولولاهم لما اقيم . وان حقوقهم كانت محفوظة » ، ليصل في النهاية الى القول : « ان الدولة اليهودية لا تعني دولة لليهود فقط » ( هآرتس ٧٢/٥/٢٤ ) . ان هذا القول يعبر تعبيرا صادقا عن موقف الفئة البرجوازية الريفية في اسرائيل تجاه العمل العربي ، الذي لولاه لخسرت المستوطنات موسمها الزراعي « ولولا عمل الاغيار . . لما اقيم الهيكل » !

الفئة الثانية يتزعمها وزير الدفاع موشيه ديان ، وهي تنطلق في دعوتها الى فتح الباب امام العمل العربي ، لخدمة هدف سياسي معين ، سنقف عليه فيما بعد ، وتواجه هذه الفئة ضغوطات نفسية في تصديها لسياسة العمل العبري ، اذ انها نشأت في أحضان تلك السياسة ، فهذه الفئة لم تقف حتى الان ضد سياسة العمل العبري بنفس الحجم الذي وقفت ضدها الشريحة البرجوازية الريفية والمدينية، لانها بموافقتها على العمل

العربي تخدم هدفا سياسيا مرحليا وقد عبر دايان عن ذلك بقوله : «ان الجواب الوحيد للنزاع هو التعايش مع العرب، ان نعيش معا مع العرب الموجودين بين صفوفنا . علينا ان نحولهم من لاجئين يعيشون على مخصصات السمن والارز الى اناس يعملون،علينا ان نؤدي بهم الى وضع يمكنهم من العيش بشرف ، اننا لسنا بعيدين عن ذلك ، فخلال الاعوام الخمسة الماضية عملنا بما فيه الكثير ، ولكن ينبغي بذل المزيد من العمل . **ان الصرخة المطالبة بالعمل العبري تصم آذاني لانها تعني عدم توفير عمل للعرب** » ( معاريف ١٩/٦/٧٢ ) .

الموقف الثاني يغلب عليه طابع المعارضة للعمل العربي ، وهو الذي درج بعد حرب حزيران عن اطلاق الصرخة التي تصم آذان دايان ، وفي الوقت نفسه تجعل مزارعي المستوطنات يتباكون على الخسارة التي تلحقها بمواسمهم الزراعية . يقف الى جانب هذا التيار رجال الادارة في المؤسسة الحاكمة ، ممن تربوا على الدعوة لفكرة العمل العبري . ويركز هؤلاء في معارضتهم للعمل العربي على أمور منها :

١ ــ التخوف على الطابع اليهودي للدولة من خلال فتح الباب على مصراعيه امام اعداد كبيرة من العمال العرب ، ويعتبرون ذلك بمثابة « غزو من الداخل » خاصة وان العمال العرب « المستوردين » من المناطق المحتلة حديثا الى المناطق المحتلة قديما ، هم ليسوا مجرد عمال ، بل هم في الوقت نفسه اصحاب الارض التي شردوا منها ، وان واقع وجودهم فوقها يعتبر بمثابة نوع من « العودة » .

٢ ــ الفروق بين معاشات العمال العرب والعمال اليهود ، الامر الذي من شأنه أن يشوه صورة اسرائيل في الاوساط الدولية .

٣ ــ اقتصار العمل في بعض المهن على العمال العرب ، وتهرب اليهود منها ، الامر الذي ستكون له تبعات خطيرة في حالة الاستغناء عن العمال العرب سواء عن طريق التوصل الى تسوية ، او عن طريق اتخاذ السلطات الاسرائيلية قرارا بهذا الشأن حيث ستبقى تلك المهن السوداء بدون عمال لان العامل اليهودي قد تخلى عنها ، ومن العسير عليه حينئذ ان يعود اليها .

٤ ــ التخوف من حدوث منافسة بين العمال العرب والعمال اليهود من ابناء الطوائف الشرقية الذين يحتلون المراكز الدنيا في مجالات العمل المختلفة في المرافق الاقتصادية ، تتطور الى صراع بين الطرفين ، ويضرب اصحاب هذا الراي مثلا على ذلك بقولهم ان عمال ديمونا ( اكثريتهم من الطوائف الشرقية ) ابان مرحلة الأزمة الاقتصادية التي مرت بها اسرائيل في عام ١٩٦٦ طالبوا بـ « طرد العمال العرب والدروز الذين يعملون في مناطقهم » . الا ان هذا التخوف ليس في محله لسببين اولا : ان عام ١٩٦٥ ليس كعام ١٩٧١ ، ففي المرحلة الاولى استطاع الموجهون لدفة الحكم في اسرائيل بث روح العداء للعرب بين الطوائف الشرقية ، اما المرحلة الاخرى فقد اتضحت الصورة بشكل أوضح أمام اليهود الشرقيين ، حيث اخذت روح العداء تخف وتمحى من خلال صحوتهم على أوضاعهم التعيسة التي خلقها التمييز الواقعي غير المكتوب القائم في المجتمع الاسرائيلي، واذا حدث وان تحولت المنافسة الى صراع وتصادم ، فان ذلك على الارجح سيكون بفعل أيد خفية من داخل المؤسسة الحاكمة . وثانيا ان ابناء الطوائف الشرقية كانوا من بين ضحايا سياسة العمل العبري .

٥ ــ التخوف من حدوث أزمة اقتصادية محتملة وما يترتب على ذلك من حدوث بطالة بين أوساط العمال ، الا ان هذا التخوف ليس في محله أيضا ، فالعمال العرب هم بمثابة أداة لسد الفراغ في المرافق الاقتصادية في اسرائيل ، واذا ما توفرت أداة يهودية لسد هذا الفراغ فسيتم الاستغناء عن الاداة الاولى ، ففي معمل النسيج « اوف اور » في

بلدة اوفكيم مثلا ، تم الاستغناء عن الايدي العاملة العربية في المصنع عندما وصل الى البلدة مهاجرون يهود من الاتحاد السوفياتي لكي يتم استيعابهم هنـــاك ، بيد ان المستوطنين الجدد لم يتأقلموا في عملهم الجديد واستقالوا وبقي المصنع دون أيد عاملة لان الادارة الاولى المحركة له قد استوعبت في منشآت أخرى . ويقدم حانوخ سميث مدير مصلحة القوى البشرية في وزارة العمل تصورا لما يحدث في حالة حدوث ازمـــة اقتصادية بقوله « اذا مـــا حدثت ازمة شبيهة بأزمـــة ١٩٦٦ فان الازمـــة ستمس قطـــاع البنـــاء وعنـــد ذلك سيتأثر العمال العرب المركزين في هذا الفراغ ، واذا ما مست السياحة ، فان العمال العرب من المناطق الذين يعملـــون في المطاعم وجلـــي الصحون هم الذين سيتضررون ايضا ، وفي مقابل ذلك ، اذا مست الازمة الصناعية ، بحيث يصبح من الضروري ايقاف وتيرة التطور الصناعي ، فان المتضررين سيكونون من بين العمال اليهود ، واذا ما تعمقت الازمة ، حينئذ سيحـــل العاطلون عن العمل من العمال اليهود تدريجيـــا محل العمال العرب ، وحتـــى في فروع الاعمال البسيطة » . ( معاريف ١٩٧٢/٥/١٢ ) .

بيد ان هذا الجناح لا يعارض معارضة تامة العمل العربي ، ذلك انه يرى ضمن « السلبيات » التي يركز عليها وجود امر ايجابي في العمل العربي لأنه يخدم فكرة سياسية معينة ، وبين السلبيات الجمة والامر الايجابي ، يتخذ اداريو المؤسسة موقفا معارضا من حيث المبدأ للعمل العربي وفي الوقت نفسه يقبلونه شريطة أن يكون مقيدا بحد اقصى ، وكلما يحدث ارتفاع على الحد الاقصى ، يأخذ أفراد هذا الجناح باطلاق الصرخات والتحذيرات ، مثل وزير المالية بنحاس سابير الذي يتخوف كثيرا على نقاء المجتمع اليهودي ، ويدعو الى عدم تلويث العمل العبري بالعمل العربي ، مع التلويح دائما بسياسة العمل العبري التي تصم آذان ديان . ويقف الى جانبه عدد من الوزراء مثل وزير الزراعة حاييم جباتي الذي يعتبر العمل العربي بمثابة قنبلة زمنية « اعتقد ان تشغيل سكان المناطق المحتلة في الاقتصاد الاسرائيلي بأعداد كبيرة ينطوي على خطورة بالغة بالنسبة لنا . ان ذلك قنبلة زمنية » ( دافار ٧٢/٦/٩ ) . اما سكرتير الهستدروت يتسحاق بن اهارون فقد حذر من انفجار القنبلة التي « سنحترق جميعا منها » : « ان العمل العربي في المناطق هو بمثابة قنبلة زمنية سنحترق جميعا منها . هنالك استغلال واقع على العرب الذين يتلقون ثمنا في مقابل عملهم . لقد خلقنا نوعا من طبقة افندية جديدة بالنسبـــة للعمال العرب ... ان استغلال موارد القوى البشرية في البلاد غير مستغل بما فيه الكفاية ، كما وان العمال اليهود يهجرون العمل اليدوي ، ليحتله العرب . ان هذه المشكلة ينبغي ان تشغل بال الهيئات الحكومية » ( هآرتس ٧٢/٥/٢٣ ) .

وينضم وزير العمل يوسف الموجي الى المهولين من خطر العمل العربي باعتباره يشكل خطرا اجتماعيا وقوميا ويعرب عن اعتقاده « بأننا وصلنا اليوم الى درجة الاشباع في موضوع تشغيل العمال العرب في الاقتصاد الاسرائيلي » ويحذر من زيادة الحد الاقصى للعمال العرب « لان الضمان الوحيد لوجودنا مرتبط بتنفيذ العمل في البلاد بأيد يهودية » ( عل همشمار ٧٢/١٠/١٥ ) .

يمكن تلخيص ما سبق بالقول ان من نتائج حرب حزيران ، فتح الباب امام العمل العربي ( نقيض العمل العبري ) في اسرائيل ، وفي الوقت نفسه فتح الصراع من جديد بين طرفين كبيرين في اسرائيل لا يتورع اي منهما مـــن ذكر الحقائق حتى ولو كانت « مؤلمـــة » وبذلك فتح من جديد ملف سياسة العمل العبري .

## ما هي سياسة العمل العبري ؟

لكي تتضح لنا ماهية سياسة العمل العبري لا بد من الوقوف على البنية الطبقية للمجتمع اليهودي في فلسطين ابان الهجرة الاولى والهجرة الثانية .

كانت طبقة البرجوازية والبروليتاريا الرثة في المدينة والبرجوازية الريفية تطغى على المجتمع اليهودي في الربع الاخير من القرن الماضي وحتى بداية الهجرة الثانية في عام ١٩٠٣ ، وقد خلا المجتمع اليهودي في ذلك الوقت من وجود الطبقة اليهودية العاملة مع انه لم يخل تماما من وجود عمال منتجين . بيد ان عددهم كان ضئيلا جدا ، ففي المدن التي كان يتواجد بها اليهود مثل صفد وطبريا والخليل نجد ان عدد العمال في ذلك الوقت يكاد يكون معدوما والمدينة الوحيدة التي ظهرت فيها شريحة عمالية صغيرة هي مدينة القدس التي كانت في عام ١٩١١ ، تضم حوالي ٤٥ الف يهودي اي حوالي نصف عدد اليهود في فلسطين الذين كانوا يعدون ٨٥ الف نسمة ، وكان عدد العمال اليهود في هذه المدينة حوالي الفي عامل معظمهم من يهود فلسطين ومن ابناء الطوائف الشرقية . اما نسبة العمال الاشكناز فقد كانت ضئيلة جدا بسبب كون ابناء هذه الطائفة يتلقون هبات من اموال الـ«حلوكاه»من الخارج، اي ان سكان المدن كانوا يتكونون من طبقة برجوازية، ارباب حرف واصحاب دكاكين وتجار ، وطبقة بروليتاريـــا تتلقى الهبات عـــن طريق الـ « حلوكاه » وشريحة عمالية صغيرة في مدينـــة القدس . اما الوضـــع الطبقي في المستوطنات فانه اسهل تصنيفا من الوضع الطبقي في المدينة ذلك ان الطبقة البرجوازية الريفية كانت تستحوذ على معظم ابناء المستوطنات ، وقد برزت هذه الطبقة خلال الربع الاخير من القرن التاسع عشر ، حيث اقيمت خلالها ٢٢ مستوطنة تضـــم ٥٢١٠(١) مستوطنين . اعتمدت هذه المستوطنات علـــى الملكية الفردية والعمـــل المأجور بيد ان تمويلها الاساسي لم يأت من قبل المستوطنين بل من قبل كبـــار برجوازيي اليهود في الخارج امثال البارون روتشيلد وبعض العائلات اليهودية الميسورة في روسيا واميركا ومن قبل الجمعيات الخيرية اليهودية ، اذ لم يكن بوسع المهاجرين وهم من ابناء الطبقة البرجوازية الصغيرة والمتوسطة القيام بانشاء مزارع ناجحة،ولم ينجح الا القليلمن هؤلاء في الاعتماد على انفسهم، ولولا البرجوازية اليهودية الكبيرة في الخارج لكان من المشكوك فيه أن تقام مستوطنة واحدة ، فمستوطنة مجدال مثلا الواقعة بالقرب من بحيرة طبريا، اقيمت بفضل اموال البرجوازية اليهودية في روسيا ، وكذلك مستوطنة بوريا في الجليل الاسفل أقيمت بأموال جمعية صهيونية اميركية ، وشرونة اقيمت بأموال شركة أميركية ، ومستوطنات أخرى أقيمت بأموال « الرجل الكريم » البارون روتشيلد . وكانت بعض المستوطنات تابعة لشخص واحد مثل مستوطنة هارطوف بالقرب من القدس التي كانت تمتلكها عائلة جولدبيرغ . اعتمدت هذه المستوطنـــات على الملكية الخاصـــة والعمل المأجور ، وكان المستوطنون الذين يشتغلون بها يمتلكون قطعة ارض بدعم مالـــي من المؤسسات او الاشخاص القائمين عليها وكان الى جانب هؤلاء قلة من العمال اليهود تعمل داخلها بيد انها سرعان ما تحولت الى مالكة للارض ، وبذلك غدت المستوطنات تتشكل من عنصرين اثنين ( ١ ) بيروقراطية ادارية تخدم البارون ( ٢ ) طبقة من الملاكين المستوطنين ، لم يكن العمل الانتاجي من نصيب هاتين الشريحتين الوليدتين في فلسطين، بل كان من نصيب الايدي العربية العاملة . فبالرغم من رغبـــة البارون روتشيلد ان يقتصر العمل داخل المستوطنات التابعة له بقدر الامكان على الايدي العاملة العبرية ، الا ان هذه التوصية لم يكتب لها النجاح ، وذلك بسبب تحول المستوطن العامل الى مالك للارض ، وتحول هذه المستوطنات الى نوع من الاقطاعيات الجديدة في فلسطين ، قامت على اكتاف العمال العرب . ويصف يتسحاق تبنكين تحول المستوطنات الى اقطاعيات بقوله : « لقد غدت المستوطنات تعتمد على الملكية ، وتحـــول المزارع بسهولة الـــى مالك . . . وكان العمل شاقا للغاية في المجال الزراعي ، وكان دخله قليلا ورأى المزارع الحل في استغلال العمل الرخيص . كان أمام المستوطن اليهودي امكانيتان : الهبوط الى المستوى المعيشي لاهل البلاد العرب ، او ان يتحول الى مستغل للعمل الرخيص ، وقد اختار المزارع الطريقة الثانية ، فتعززت مزرعته ، **وتحولت المستوطنات الى اقطاعيات،**

**تعتمد على استغلال العامل الرخيص** ، كما هو الحال بالنسبة لاستغلال عمل السود في الولايات المتحدة »(٢). لقد كان هذا هو الوضع في المستوطنات ، ولم يأخذ المستوطنون بتوصية ورغبة البارون في اقتصار العمل على اليد العاملة اليهودية « لانكم بذلك ينقذ الواحد منكم الاخر وتذكروا بأنكم كنتم فقراء ، لا تتركوا اخوانكم ولا تعطــوا الآخرين فقط »(٣). بيد ان ذلك لم يثمر ، وفضل المستوطنون العمال العرب على العمال اليهود مما دفع القادرين من هؤلاء العمال الى التحول الى مزارعين ملاك ، اما القلة المتبقية فقد بقيت تعمل داخل المستوطنات . لم يكن مزارعو المستوطنات مجرد فلاحين بسطاء، بل كانوا بمثابة طبقة برجوازية ريفية تعتمد بالاساس على جهد وعمل العمال العرب ، ويعود ذلك الى طبيعة المستوطن ، فهو ابن المدينة ، وابن الطبقة البرجوازية الصغيرة ، ولذا فقد تحكمت فيه نفسية التاجر ، وروح البرجوازية الصغيرة ، التي تعتاش بادارتها للامور دون انتاجها ، هذا علاوة على ان المستوطن اليهودي لم يسبق له ان اشتغل بفلاحة الارض منذ زمن طويل ، وقد مس يوسف اهارونفتس نفسية المستوطن التي تسيطر عليها روح التجارة بدل الفلاحة بقوله « ان ابن شعب كان خلال الفي عام مدينياً وابان منفاه الطويل لم يكن خلاقا ، بل استخدم كوسيط للاخرين الذيــن انتجوا ، ابن شعب كهذا لا يمكن له أن يتحول فجأة الى قروي يعيش حيــاة الفلاح . ان « معانــاة التركة » التي خلقتها مئات الاجيال لا تزول بسرعة ، ان شعبا كهذا يمكن ان يتحول من تاجر اقمشة الى تاجر كرمة ، او برتقال ، باستطاعته ان يهجر المدينة وان يخلق له حياة مدينية في القرية ، بيد انه لا يتمكن تماما من نسيان المدينة ونظــام حياتها . ان مزارعينا الموجودين في البلاد هم تجار . . . »(٤).

وبفضل هذه الروح فضل المستوطن اليهودي وكذلك الاداري اليهودي العامل العربي على العامل اليهودي في حالة وجوده ، لان الاول يمكن استغلاله بشكل اكثر وابشع ، ولانه يعطي في الوقت نفسه مجهودا أكبر مما يدر على المستوطنين أرباحا ، فتحولت المستوطنات الى نوع من الاقطاعيات الجديدة في فلسطين ، تضيف الى الاقطاع التركي المسمى بالالتزام نمطا آخر مختلفا عنه ومتقدما عليه مبنيا بالاساس على استغلال الايدي العاملة العربية . اذن يمكن القول ان المجتمع اليهودي في فلسطين حتى مطلع القرن الحالي وبداية الهجرة الثانية ، كان يتكون من شريحتين اساسيتين ( ١ ) شريحة المدن وتتألف بالاساس من البرجوازية المتوسطة والصغيرة ، وقد خلت المدن التي يوجد بها يهود من العمال اليهود باستثناء القدس . ( ٢ ) شريحة الريف وتتشكل بالاساس من البرجوازية الريفية سواء على شكل مستوطن ملاك او اداري بيروقراطي ، ولم تكن هنالك شريحة عمالية تذكر . ويصف موشيه بارسليفسكي في كتابه **تــاريخ الحركــة العمالية في فلسطين** وضع المستوطنات ابان بداية الهجــرة الثانية بقوله : « لقد وجدت الهجرة الثانية اكثر من عشرين مستوطنة جميعها مغطاة بالعمال العرب ، وفي المعدل كان كل مستوطن يعيل ثلاث عائلات عربية، وقد وجد آلاف العمال العرب اذن معيشتهم في المستوطنات ، وكان عدد السكان العرب داخل بعض المستوطنات يفوق عدد السكان اليهود ، وفي الوقت نفسه كان يتدحرج داخلها عدد ضئيل من العمال اليهود ويناضلون للحصول على يوم عمل . هذا هو الواقع »(٥).

**« احتلال العمل »** : تعتبر الهجرة اليهودية الثانية التي تدفقت على فلسطين خــلال الربع الاول من القرن الحالي من اخطر الهجرات اليهودية ، ففيها تم تكوين الخليــة الاولى للطبقة العاملة اليهودية ، هذه الخلية التي أخذت تتنامى وتتعزز حتــى أصبح المجتمع اليهودي قادرا على الاعتماد على ذاته في تكوين الدولة . وقد اصاب موشيه بارسليفسكي حين قال : « ان معركة احتلال العمل كانت أهــم معــركة في تاريــخ الصهيونية ، فهي التي حسمت مصيرها ، وفيها أيضا تعززت قوة الحركة العمالية ،

وبفضلها تم استقلال اسرائيل بعد اكثر من اربعين عاما »(٦). ومع صحة هذا القول هنالك ثلاث ملاحظات تجدر بالتسجيل :

١ ــ ان ولادة الطبقة العاملة اليهودية في فلسطين لم تكن ولادة طبيعية ، كما هو الحال في معظم المجتمعات ، بل جاءت نتيجة تهجير اقتصاد الى فلسطين وتهجير مجموعات بشرية اليها .

٢ ــ لذا ، فان الهدف الذي وضعته الطبقة العاملة الوليدة نصب عينيها يختلف اختلافا كليا عن أهداف الطبقات العمالية الاخرى التي نشأت نتيجة ظهور البرجوازية في بلادها، فبينما نجد تلك الطبقات تضع نصب أعينها الدفاع عن حقوقها والتعاطف مع زميلاتها الطبقات العمالية الاخرى ، نجد الطبقة العمالية اليهودية تسعى لخدمة هدف معين ، يخدم بالاساس مخططات ومرامي الاقتصاد المهجر من الخارج . وقد طغى هذا الهدف على فكر الطبقة العاملة الاسرائيلية ، وغدا اقوى بكثير من الاهداف المطلبية العادية ، ويقر الدكتور تراتكوفر ذلك بقوله : « وحسب ذلك لن يحتاج العامل اليهودي الفلسطيني الى تنظيم عادي ليقف الى جانبه ، لان مصلحته لم تكن هي الاساس في نظره ، ولم تدر المعركة حول الشؤون المهنية للعامل في هذه الحالة ، بل حول اعتبار العمل كاساس في سير الانعتاق القومي.ومن أجل هذا الهدف اقيمت التنظيمات العمالية، وكانت مهمتها أن تجذر فيهم فكرة العمل وامكانية تحقيقه، هكذا اعتبرت رسالة حزب العمال الاول « هبوعيل هتسعير » الذي اقيم عند مطلع هذا القرن وتحول بسرعة الى احد العناصر الهامة في اوساط الجماهير اليهودية الفلسطينية »(٧).

٣ ــ ان اصول الطبقة العاملة الوليدة لا تعود الى البروليتارية اليهودية ، وانما يطغى عليها طابع البرجوازية الصغيرة والمتوسطة ، ويعترف كل من كتسنلسون وتسفي بن شوشان بذلك ، الاول يعتقد ان هذه حقيقة مؤلمة لدى البعض الا انه يعترف بها قائلا : « ربما يكون من يرى في ذلك تحقيرا اذا قلت أن الحركة العمالية في البلاد ولدت من البرجوازية الصغيرة . أنها هي التي انجبت العامل اليهودي في فلسطين»(٨) والاخر يرى ان اكثرية العمال اليهود في فلسطين ، « كانت من أبناء الطبقة الوسطى ، ومن صلب البرجوازية الصغيرة والمتوسطة، وجاءوا الى البلاد ليكونوا عمالا وبهذا تكمن أهمية هجرتهم . ومن لم يحالفه النجاح هجر البلاد . ليست البروليتاريا اليهودية في المنفى هي التي أقامت الطبقة العاملة فيأرض اسرائيل، بل أبناء الطبقة الوسطى المفككة فيالمنفى». وبسبب ذلك ان الصهيونية وجدت رواجا لها بين شرائح البرجوازية الصغيرة ، ولم تجد رواجا بين شريحة البروليتاريا اليهودية في الخارج ، فالبروليتاري اليهودي الذي كان يعمل في المصنع لم يرغب في التخلي عن عمله المكتسب لينتقل الى الاعمال السوداء والشاقة في فلسطين ، واذا حدث وفكر في ترك عمله فانه ينتقل الى بلدان متقدمة صناعيا مثل الولايات المتحدة والبلدان الاوروبية ، ذلك انه بسبب كونه بروليتاريا لم يحظ بثقافة يهودية صهيونية تستحوذ على فكره وتدفعه الى المجيء الى فلسطين ، مثل أبناء الطبقة البرجوازية الصغيرة او الوسطى الذين ترعرعوا في احضان تلك الثقافة .

اذن يمكن القول ان ولادة الطبقة العاملة في فلسطين لم تكن نتيجة تطور اقتصادي طبيعي من خلال ظهور البرجوازية المحلية وما يترتب على ذلك من ظهور الطبقة العمالية بل كانت ولادة الفكرة قبل ولادة الطبقة العاملة كما وان الولادة كانت نتيجة تهجير اقتصاد من الخارج الى فلسطين ، وان اصول الطبقة العاملة اليهودية تعود الى الطبقة البرجوازية الصغيرة والوسطى ، وكان نتيجة هذه الولادة غير الطبيعية ان وضعت بصماتها على الطبقة العاملة الاسرائيلية فيما بعد وجعلتها تتمايز وتتفرد بخصائص معينة عن معظم الطبقات العمالية في العالم .

نعود الان الى قضية « احتلال العمل » التي تعبر تعبيرا صادقا عن سياسة العمل

العبري. كان من نتيجة موجة الهجرة الثانية ان تدفقت على المجتمع اليهودي في فلسطين اعداد كبيرة من العمال الذين يعودون الى أصول برجوازية ومن المثقفين ، وقد تميزت هذه الهجرة عن غيرها من الهجرات بان الطابع المميز لها كان « الريادة » الا ان مجتمع المستوطنين الذي يعتمد على « اقطاعيات » تعرف بالمستوطنات مبنية أساسا على جهد العمال العرب ، لم يستقبل العمال اليهود الوافدين بأذرع مفتوحة ، بل فضل العامل العربي على العامل اليهودي ، ونتيجة لذلك حدث انقسام كبير بين الوافدين الجدد الذين يودون ان يتحولوا الى عمال وبين الملاكين في المستوطنات ، أدى الى ظهور الدعوة « للعمل العبري » التي غدت نوعا من الفلسفة المشفوعة بالقدسية ، أصحاب هذه الدعوة هم المثقفون الذين شملتهم الهجرة الثانية امثال غوردون ويوسف اهارونفتس وبن غوريون وبن تسفي وغيرهم وقد كان جميع هؤلاء عمالا وخدموا بأيديهم في المستوطنات . تعتمد فكرة احتلال العمل على أمرين اساسيين : اولا احتلال اماكن عمل للعامل العبري عن طريق طرد العامل العربي ، وثانيا احتلال ذاتي من قبل العامل للعمل اي ان يغدو محتلا من قبل العمل . وان الاحتلال في الحالتين ليس لمصلحته الذاتية فحسب وانما « للشعب اليهودي كله »(٩). ولكي تتضح لنا صورة فكرة « الاحتلال » لا بد من الوقوف قليلا حول اراء آباء العمل العبري تجاهها .

يطرح جوردون رايه تجاه الموضوع بالسؤال التالي : « ما الغرض من مجيئنا لارض اسرائيل » ثم يجيب : « لانقاذ البلاد وبعث الشعب ، بيد ان هذين الامرين ليسا مهمتين منفصلتين ، بل وجهين لشيء واحد ، فليس هنالك انقاذ للبلاد بدون انبعاث للشعب ، وليس هناك انبعاث للشعب بدون انقاذ للبلاد . ان عملية امتلاك الارض بالاموال لا تعتبر انقاذا بالمعنى القومي ، طالما ان الارض لا تستغل بأيدي اليهود ، كما وان انبعاث الشعب لا يمكن تصوره بدون عمل في الارض وبناء اليشوف على ايدي اليهود ... ان العمل العبري هو أساس البعث القومي مثلما هو اساس انقاذ البلاد القومية ، ان العامل يضع اساسا لبعث الامة بواسطة بعث نفسه ، لان العمل يعيده الى البعث . هذه هي المهمة الاساسية للعمل »(١٠) ومن خلال هذا المفهوم للعمل شدد جوردون على حصر العمل في المستوطنات اليهودية بالايدي اليهودية العاملة « لان بلاءنا كان في العمل وشفاؤنا فيه . ينبغي علينا ان نضع العمل في مركز مطامحنا وان نؤسس عليه كل بنياننا » .

اما يوسف اهارونفتس فيرى هو الاخر ان الشرط الاساسي لتحقيق الصهيونية رهن بوجود طبقة عاملة يهودية فهو يرى انه «حتى لو لم يكن هنالك خطر يحدق بنا من العامل الاجنبي ، لكان يتوجب علينا أن نقف خجلين امام العالم كله — أمام نفس العالم الذي نحتج على تحقيره لنا — لاننا ايضا في وطن بعثنا نستطيع ان نكون فقط شعبا من التجار والباعة المتجولين والسماسرة ، وليس عمالا ومنتجين . وقبل أن نحاسب الاخرين يتوجب علينا محاسبة أنفسنا ، والمحاسبة هي ، ان شعبا لا يمتلك هيكلا واسعا من العمال القريبين من الطبيعة ومن مواد انتاج الطبيعة شعبا كهذا نهايته التحجر في جسده وروحه وليس له حق الوجود ، حتى لو نجح في أن يوجد لنفسه بوسائل مصطنعة امكانية الوجود ، اما الشعب الذي ينهض للبعث فان الشرط الاول لبعثه — العمل . فاذا كان العمل موجودا فان البعث موجود واذا لم يكن هنا عمل ، فلا يوجد أي شيء هنا . اذن ، الشرط الاساسي لتحقيق الصهيونية يتمثل في تكاثر وتحصين العامل العبري في أرض اسرائيل »(١١).

ويذهب اليعزر شوحط أحد تلامذة جوردون في دعوته للعمل العبري الى درجة يطالب فيها بأن تكون كل نبتة تخلق فوق الثرى الفلسطيني من زرع ايد يهودية ففي مقال له « الابداع القومي والحساب » يذكر « ... يتأتى اذن لنا فقط عن طريق العمل :مع

الخيوط التي تضمنا الى البلاد ضما داخليا . ضما حقيقيا فهو الذي يمدنا بنفس العلاقة النفسية العميقة القائمة بين الرسام والصورة التي رسمها ، وليس بنفس العلاقة السطحية القائمة بين المشتري والصورة التي اشتراها . نعم ، ينبغي ان يكون كل ما يخلق ويتكون في البلاد من صنع ايدينا : كل شجرة ، كل خضرة ، كل بيت ، كل سياج ، كل شيء يغدو فيه الانسان شريكا للطبيعة ، كل رسمة في صفحة مستقبلنا ، كل شيء ينبغي أن يكون من صنع ايدينا . بعرقنا نحن فقط ينبغي ان تترطب ارضنا ، وايدينا نحن هي التي ينبغي ان تعيد لها الحياة »(١٢).

وبالرغم من أن فكرة العمل العبري واحتلال العمل يخدم بالاساس هدفا صهيونيا ، الا أنها ارتطمت بمعارضة عامة من قبل سكان المستوطنات . وبلغت المعارضة في بعض الاحيان من الشدة لدرجة مقاطعة العمال اليهود ، كما حدث في مستوطنة بيتح تكفا في نهاية عام ١٩٠٥ ، هذا علاوة على المقاطعات غير المعلنة التي سادت المجتمع اليهودي، وتمسك المستوطنين برأي مؤسس الصهيونية الروحية احاد هعام الذي كان ينظر الى فلسطين بانها بمثابة مركز روحي لليهود .

ابدى احاد هعام رأيه في مسألة العمل العبري عام ١٩١٢ اثناء زيارته للمستوطنات اليهودية في فلسطين في مقال ناقض فيه دعوة العمل العبري لانه حسب اعتقاده من الصعب قيام جماهير فلاحية غفيرة يهودية في فلسطين : « باستطاعة اليهودي ان يكون مزارعا مجتهدا ، صاحب بيت قروي ، يعيش على الفلاحة التي يتقنها ويغوص فيها ، ففي كل صباح يخرج الى حقله ، للاشراف على عماله ، الذين يحرثون او يزرعون ارضه، الذين يغرسون او يركبون كرمته، ولا يمتنع ايضا عن العمل بيديه مع عماله . . . ان حزبا ساميا لهؤلاء المزارعين ، المشفوع بعمل الاخرين لا يمكن ان يشكل اساسا لمبنى كهذا ( يعني الملجأ الآمن ) . ان الاساس في حياة الدولة هي الجماهير القروية ، العمال والفلاحون الفقراء ، الذين يعيشون بصعوبة من عمل أيديهم في الحقل ، سواء في مزرعتهم الصغيرة او في مزارع الحزب « السامي » ان الجماهير القروية في فلسطين ليست لنا في الوقت الحاضر ومن الصعب ان نتصور كيف تخلق لنا في المستقبل حتى ولو تكاثرت مستوطناتنا في كافة أرجاء البلاد » . ثم يصل بعد ذلك الى الفكرة التي ترضي شهوة المستوطنين المالكين في التمتع بالارباح التي يجنونها من الايدي العاملة العربية ، ويقول: « اذن ينبغي علينا ان نرضخ للفكرة القائلة بأن مستوطناتنا القروية في فلسطين، حتى ولو اتسعت مع مرور الزمن لتصل نهاية حدود الامكانات ، ستبقى دائما مستوطنات « عليا » تابعة لاقلية متحضرة متطورة تستمد قوتها من عقلها ومالها ، بينما الجماهير القروية الفقيرة التي تستمد قوتها من عمل ايديها ، لن تكون لنا في ذلك الوقت »(١٣).

يمكن القول ان تصور احاد الذي رسمه في الفترة التي اشتدت فيها الدعوة الى العمل العبري ، يعتمد على شيئين أساسيين .

١ ــ خلق مستوطنات يهودية في فلسطين تشكل بمجموعها حزبا ساميا يتكون من مجموعة « متحضرة مثقفة » ويعني بها الاقلية اليهودية في فلسطين .

٢ ــ اعتماد هذه المستوطنات على عرق وجهد العمال العرب في اقامتها وتطويرها على أساس ان قوة الاقلية المتحضرة تمثل في « عقلها وحالها » .

تسلح المستوطنون برأي احاد هعام واخذوا يروجون لفكرة احتلال الارض من أجل تنفيذ المخطط الصهيوني في وجه الدعوة الى احتلال العمل ، وبدأ صراع بين فكرتين ، الاولى تفضل احتلال العمل ، ولا تنكر فضل الدعوة لاحتلال الارض اذ بدونها لا يمكن تجسيد دعوتها هي ، الا انها تعتبر ان احتلال العمل هو الاهم فلو استطاعت الحركة

الصهيونية شراء جميع الاراضي الفلسطينية وبقـي الوضـع علـى مـا هو عليه في المستوطنات حيث تتشكل الاكثرية من جماهير عربية تتمثل قوتها « في أيديها »، والاقلية من مجموعة فوقية مثقفة ومتحضرة تتمثل قوتها في « عقلها ومالها » فان فلسطين لن تكون لليهود وقد عبر عن ذلك الدكتور فاسماتيك في مقال له بعنوان « مسألة العمال اليهود في فلسطين » نشر في عام ١٩٠٩ جاء فيه « اذا أصبحت فلسطين كلها تابعـة لليهود الاغنياء ، وكل العمال من العرب ، فان فلسطين ستكون في الواقع بلاد العرب وليست بلاد اليهود »(١٤)، بينما أخذ أصحاب الفكرة الثانية يدافعـون عـن فكرتهم مشددين على نقطتين اساسيتين :

١ ــ ان العامل اليهودي حسب رأي المستوطنين ليس عاملا بطبعه وانمـا اراد ان يتحول الى عامل ، وهذا الامر ينطوي على خسارة مركبة بالنسبة للمستوطن المـالك حيث ان العامل العربي ينتج اكثر من العامل اليهودي لكونه « عاملا حقيقيا » ويتقاضى معاشا أقل .

٢ ــ ان مرحلة تحول العامل اليهودي الى عامل حقيقي تستغرق مدة طويلة وهذا يعني ان على المزارع المستوطن ان يدفع « ثمن تعليمه » مما من شأنه ان يجد الفلاح نفسه غير قادر على تحمل نفقات مزرعته ، الامر الذي يؤدي الى عرقلة نمـو المستوطنات وجعلها تسير القهقرى ، فالشرط الاساسي لاستمرار نمو المستوطنات وتقدمها من أجل خدمة الهدف الصهيوني ، حسب رأيهم يتمثل في السماح للعمال العرب في العمـل في المرافق الاقتصادية الاسرائيلية ، وهذا الموقف السابق يعيد الى الاذهان الموقف الراهن لمستوطني منطقة لاخيش الذين اخذوا يرددون بأن الربح في مستوطناتهم مرهون بالعمل العربي .

بيد أن أصحاب الدعوة للعمل العبري وقفوا ضد الفكرة القائلة بأن الفائدة العائدة على المزارع من خلال العمل العربي أكثر منها لدى العامل اليهودي واخذوا يفندونها مركزين على توجيه التهم للعامل العربي، وخطره بالنسبة للمستوطنين، والاموال التي يتقاضاها ولا تعود بالفائدة على اليشوف اليهودي .

فنيما يتعلق بالتهم ، وهي كثيرة ، نجدها عند الكثيرين من دعاة العمل العبري، والحقيقة انهم جميعا وقعوا عند بث هذه التهم في شراك مناقضة انفسهم ، فكثيرا مـا يعثـر القارىء في مؤلفاتهم على التهمة ونقيضها . من بين هذه التهم « ان العـامل العربي كسلان ، ولا يهتم بجودة عمله ولا يحافظ على ادوات العمل . وهنالك اعمال شريرة مقصودة من جانب العرب فهم يدفنون النجيل في الارض لكي يستأجرونهم مرة اخرى لاخراجها . وفي المقابل يقوم العامل اليهودي بتأدية عمله بأمانة . ومن هنا فبالرغم من المعاش الزهيد الذي يتلقاه العامل العربي فان المزارع يجـد أن خسـائـره تفـوق ارباحه(١٥) وبنفس الروح كتب ايضا يوسف اهارونفتس ردا على احتجـاج المزارعين على ارتفاع معاشات العمال اليهود في عام ١٩١٢ « ان معاش العامل العبري يفوق بكثير معاش العامل الاجنبي ، ولكن اذا ما أخذنا بالحسبان الاضرار التي يجلبها العامل الاجنبي للعمل ، مثل : ابقاء جذور اعشاب النجيل داخل الارض ، وكسر الاشجار في بعض الاحيان بسبب الاهمال ، وفي أحيان اخرى عمدا بغرض تدمير ممتلكات اليهود ، وايضا الغش الدائم فيما يتعلق بكمية العمل ونوعيته ، والسرقات المتواصلة وما شابه ... اذن من المؤكد اننا سنجد العمل العبري ليس اكثر كلفة من العمل الاجنبي»(١٦) الا انه بالرغم من « الخسارة التي تفوق الارباح » نجد المستوطن اليهودي كان دائمـا يفضل العامل العربي منذ ان وجدت المستوطنات وحتى الان ، وهذا يعود الى الارباح الجمة التي يجنيها من عرق العامل العربي وجهده ، ومن الجدير بالذكر ان التهم الموجهة ضد العامل العربي ظلت قائمة حتى يومنا هذا ، ففي أعقاب حرب حزيران التي كان

من نتيجتها فتح ابواب العمل للعمال العرب في المستوطنات الاسرائيلية اخذ الداعون لفكرة العمل العبري يشيعون ما درج اجدادهم وآباؤهم على اشاعته ونأخذ على سبيل المثال لا الحصر منسق البيارات يهوداً تسحوري الذي قال انه تعلم العربية لكي « يفهم » العمال العرب فاذا كنت لا تعرف لغتهم فانهم يبيعونك .. وفي اللحظة التي يعرفون فيها انك تفهم لغتهم تعلو قيمتك في نظرهم ويعاملونك معاملة حسنة .. واذا شعروا بأن « المعلم » قد ذهب ، فان اي شيء لا يمنعهم من تخريب الاشجار » ( معاريف ١٥/ ١٩٧٢/١٢ ) .

وبالنسبة للخطر الكامن للمستوطن من جراء استخدامه للعامل الاجنبي فقد اكثر دعاة العمل العبري من تهويل الخطر الذي يمثله العامل العربي في المستوطنات « فالعامل العربي الذي عرف المستوطنة وبيوتها وبساتينها وطرقها ، والذي إستمع واصغى لكل ما يجري داخلها وبدأ يفهم مع الايام لغة مستخدميه كان خطراً في تلك الايام التي ينتهك فيها السلام بين المستوطنة وجاراتها . فالعمال العرب الذين اشتغلوا في المستوطنات لم يترددوا من الاشتراك في الهجوم عليها ولم يخجلوا « كما يقول يوسف شبيرا » من العودة الى عملهم عندما تهدأ النفوس »(١٧) وقيل مثل كلام شبيرا من كل من بن غوريون واهارونفتس وتبنكين وغيرهم . ومن الجدير بالذكر ان التهويل بخطورة العامل العربي قد انتقل من جيل الى جيل ، وارتفع في الاونة الاخيرة على لسان أكثر من مسؤول ووزير في اسرائيل عندما أخذوا يتحدثون عن «الخطر القومي والاجتماعي» و« الخطر الامني » الذي يمثله العمال العرب .

أما فيما يتعلق بالاموال التي يبذرها المستوطنون على العمال العرب ، فقد ركز دعاة العمل العبري على أمرين هامين :

١ ــ ان المبالغ التي تدفع يتلقاها الاغيار اي العرب بدل ان يتلقاها يهود .

٢ ــ ان تلك المبالغ لا تنفق في اليشوف اليهودي بل ينفقها العمال العرب في قراهم ومدنهم ولذا فان الدورة المالية لا تعود الى اليشوف اليهودي على شكل مشتريات وما شابه بل يستفيد منها المجتمع العربي بعكس ما هو عليه الوضع اذا كان العامل يهوديا، ومن هنا اعتبر دعاة سياسة العمل العبري ان الاموال التي يتقاضاها العمال العرب «تشكل ضررا اقتصاديا» ففي مذكرة قدمها الدكتور طاهون الى القسم الفلسطيني للجنة التنفيذية الصهيونية جاء ما يلي « ليست هنالك حاجة للتوسع في الكلام لبرهنة ان مسألة تشغيل العمال اليهود محل العمال الزراعيين العرب تشكل أحد القضايا الهامة للغاية للاستيطان الاسرائيلي . ان أهمية دور توطين العمال وتشغيلهم محل العمال العرب لا تنطوي فقط على تكاثر عددهم بل ايضا على تعزيز المشروع الاستيطاني من الناحيتين الاقتصادية والاخلاقية .. » ثم أخذ صاحب المذكرة يعدد الاخطار الكامنة للمستوطنات من جراء استيعابها للعمال العرب « الذين يفوقون عدد المستوطنين انفسهم » ليصل الى « الضرر الاقتصادي الناجم عن قيام العرب بصرف معاشاتهم التي تلقوها من أيدي المستوطنين اليهود ، داخل تخوم قراهم هم فقط »(١٨) وقد ابرز دعاة العمل العبري قولا لاحد زعماء المستوطنين ( ليس من فئة العمال ) يدعى م. سميلنسكي واعتمدوا عليه في استشهاداتهم ومقالاتهم وكتبهم ، والحقيقة انه يكاد لا يوجد كتاب اسرائيلي حول تلك الفترة تخلو سطوره من الاستشهاد بـ « مأثرة » سميلنسكي والتلويح بها ضد المستوطنين على أساس ان صاحب « المأثرة » هو من بين أولئك الملاك الذين تنبهوا الى الخطر الاقتصادي المحدق باليشوف من جراء العامل العربي .

لخص سميلنسكي وضع الاستيطان اليهودي عند مطلع الهجرة الثانية بقوله : « بلغت تكاليف الاستيطان العبري مبلغ تسعين مليون ليرة ، ذهبت كلها تقريبا ( باستثناء

المبالغ التي بقيت بأيدي الموظفين ) الى المجتمع الاجنبي . جزء من هذا المبلغ هو ثمن اراض ومواد . كان من المنطقي ان يحدث ذلك بالضرورة حسب الظروف الطبيعية لاستيطاننا ، ذلك اننا لم نأت لسلب البلاد ، بيد ان الجزء الاكبر ذهب الى ايدي الاخرين دون ضرورة وانما عن رغبة . ولن نكون من المبالغين اذا قلنا ان نصف المبلغ المذكور انتقل الى ايدي العرب بصفة معاشات مقابل اعمالهم ! واذا كان لدينا اليوم في ارض اسرائيل حوالي الف مزارع ، فهناك ثلاث عائلات عربية تعتمد على كل مزارع منهم في معيشتها . ونجد ان العرب يتلقون اليوم من ايدينا مقابل عملهم قرابة مليون فرنك كل عام ، ولا يعود من هذا المبلغ شيء الى اليهود ، ذلك ان العامل العربي ليس مضطرا لشراء اغراضه من اليشوف العبري ، وكل ما يتلقاه في المستوطنة يدخله الى قريته . ومن هنا يمكن القول انه مع كل مزارع يهودي نضيفه في أرض اسرائيل ، نضيف اغاثة واعانة لثلاث عائلات عربية .. » ليطلق بعد ذلك صرخة العمل العبري ... « ولتعرف اسرائيل أن اصحاب الممتلكات العبريين لن يعيدوا البلاد الى اسرائيل بدون العمال العبريين »(١٩).

ومن الجدير بالذكر هنا ان وسائل الاعلام الاسرائيلية وكذلك المسؤولون الاسرائيليون اخذوا يضربون باستحياء على وتر سميلنسكي من خلال ابرازهم لـ « مبلغ ربع مليار ليرة يتدفق على المناطق المدارة من جراء العمل العربي » .

كتلخيص لما سبق يمكن القول ان فكرتين متناقضتين تنازعتا المجتمع اليهودي في فترة الهجرة الثانية ، الفكرة الاولى تدعو الى اقتصار العمل في المستوطنات على اليهود فقط من أجل تحقيق الهدف القومي وتضع احتلال الارض في المرتبة الثانية في سلم الافضليات مع عدم الاستغناء عنها ، وعبر عن هذه الفكرة مثقفو الهجرة الثانية نيابة عن العمال الذين يعودون الى اصول البرجوازية المتوسطة والصغيرة ، اما الفكرة الثانية فقد عبر عنها المستوطنون الذين روجوا لدعوة احتلال الارض من أجل تحقيق الهدف الصهيوني ، ويدعون الى ضرورة التعايش مع العرب ، متذرعين في كل مناسبة برأي احاد هعام تجاه شكل الاستيطان اليهودي ، لدرجة جعلت بعض دعاة العمل العبري يتهم هؤلاء بأنهم يأخذون ما يحلو لهم من أفكار احاد هعام ويتعامون عن مقالاته المعادية للعرب .

لم تستطع احدى الفكرتين ان تسود في المجتمع اليهودي وان بدا ظاهريا ان قصبة السبق حالفت الفكرة الاولى .

## دور العمال في احتلال العمل :

قبل أن نتطرق الى الدور الشوفيني العنصري الذي قام به العمال اليهود من اجل تحقيق فكرة احتلال العمل لا بد لنا من أن نتطرق قليلا حول اوضاعهم وظروف عملهم في المستوطنات .

بعد أن استطاع دعاة العمل العبري ترويج فكرتهم في المجتمع اليهودي ، واخذت الفكرة تتجذر رويدا رويدا بسبب خشية المستوطنين من تهمة « معاداة السامية » التي لم يتورع دعاة العمل العبري من الصاقها بهم كسلاح قوي لتحقيق اغراضهم وفي الوقت نفسه بسبب رغبة المستوطنين في مساعدة بني جلدتهم شرط أن لا يؤثر ذلك تأثيرا كبيرا على اقتصادهم ، وبين الخشية والرغبة من قبل المستوطنين والدعوة القوية من قبل العمال اخذت عملية التجذير تترسخ ببطء لتخلق النواة الاولى للطبقة العاملة اليهودية في فلسطين . اتسم عمل العمال اليهود في البداية بالنشاط وذلك من أجل اثبات جدارتهم امام المستوطنين ، ومراقب العمل «والمنافس» العربي، كانت هذه العناصر الثلاثة تشكل هاجسا رئيسيا للعامل اليهودي ، ولذا وجد العامل اليهودي نفسه مضطرا لمجابهة

العناصر الثلاثة ، مجابهة المستوطنين عن طريق الاقناع بجدوى العمل العبري ، والثاني عن طريق تصفية وظيفته ، والثالث عن طريق احتلال عمله . ويقدم لنا أحد « محتلي العمل » وصفا عن وضع العامل اليهودي في تلك الفترة بقوله :
« لقد واجهنا في ذلك الوقت ثلاثة عناصر : المزارع ، والمراقب ، والعامل العربي . لقد عارضنا المراقب أكثر من المزارع . فقد كانت مهمته تتمثل في الوقوف حاملا سوطه بيده ويصرخ في وجه العمال : « يا الله ! » . وكان على المراقب النشيط ان يحفظ كل تعابير التنشيط باللغة العربية ، ويتقن الهمز واللمز . لم يكن المراقب موجها فقط ، بل كان ايضا قاضيا ، فاذا لم يجد احدهم استحسانا في نظره ، قام بطرده اثناء العمل . أما العمال العرب فلم يعرفوا من نحن ولماذا جئنا . كانوا يلتقون معنا في الايام الاولى ، عندما لم يكن الفأس بعد صلبا في أيدينا . اجسادنا لم تعتد بعد على العمل ، وايدينا كانت متورمة ، ولم نكن على دراية باللغة العربية ، وكانوا ينعتوننا بـ « المساكين » ويسخرون منا ، ويحاولون التقدم عنا اثناء العمل بالفأس لاقتلاع الاعشاب ، كان المراقب يدخلنا في الوسط ويضع العرب في جناحينا ، ليبدأ بانشاد اناشيد للتنشيط بالعربية ... وكان النشيد يقوم بمهمته ، فالوحشية تبدأ بالتصاعد والفؤوس تطير من كلا الجانبين ، وكنا نصل اكثر من مرة درجة الاغماء من كثرة الركض وفي تلك اللحظات كان المراقب يخرج عن طوره من شدة الفرح ، بيد اننا قررنا : ليكن ما يكون ، ولكن لن نكون في الخلف »(٢٠).
ادرك العمال انهم لا يستطيعون مواجهة المستوطنين المالكين ، لان وجودهم مرتبط ارتباطا وثيقا بوجود الرأسمال العبري حسب مفهوم قادة العمل في تلك الفترة ، الذين كانوا يرددون المقولة التالية : « طالما ان الرأسمال العبري لم يترسخ في البلاد ، لن يستطيع العمال ايضا الترسخ في العمل » ومن هذا المنطلق وجد العمال اليهود انفسهم مضطرين لخدمة البرجوازية اليهودية الريفية بغرض ترسيخها دون التعرض لمصالح تلك الشريحة ، وذلك من اجل ان يقفوا على أرض صلبة فيما بعد ، ومن هنا نقف على سبب ندرة والاصح عدم وجود تمرد عمالي يهودي على الشريحة البرجوازية الريفية ، والحقيقة ان تصدي البرجوازية الريفية للعمال اليهود وتمردها عليهم ( على شكل مقاطعات ) علنية او سرية كان يفوق تصدي العمال اليهود لتلك الشريحة . أما حالة التمرد والعصيان التي كانت تبرز بين الفينة والاخرى بين صفوف العمال اليهود فقد كانت انعكاسا امينا لغيظ العمال اليهود من وجود العمال العرب في المستوطنات .

انصب نضال العمال اليهود ضد فئة المراقبين على العمال ، فهذه الفئة ليست طبقة برجوازية يمكن بواسطتها ترسيخ العمل العبري، بل شريحة بيروقراطية ، كانت بمثابة سوط في أيدي الشريحة البرجوازية الريفية لحث العمال العرب على بذل مزيد من الجهد والعرق . لم يقبل العمال اليهود بأن يوجه هذا السوط ضدهم ، ولذا اخذ مفكروهم يشجبون هذا السوط ويعتبرونه مناقضا لبعث امة ، كما عبر عن ذلك بيرل كتسنلسون في مقال « من داخل العمل » اراد كتسنلسون بمطالبته تصفية فئة المراقبين التوصل الى هدفين : الاول ازالة المراقبة عن العمال اليهود وهذا ما يسعى اليه برغبة خالصة، الثاني ازالة المراقبة عن العمال العرب، ليس دفاعا عن العمال العرب، ولكن على أمل زج صاحب العمل في وضع غير مريح مع العمال العرب الامر الذي يساعد سياسة احتلال العمل من قبل العمال اليهود ، يقول كتسنلسون : « ليس الكل يدرك ما هي قيمة بعث شعب بواسطة مجموعة سمسارين مستعبدين ، على اكتاف شعب اخر ... ان ذلك ليس مجرد عمل مستأجرين ، ابناء شعب غريب ، ذلك انه تحت الشكل البرجوازي الخارجي يستتر امر افظع ، يتمثل في كل العلامات الواضحة لنظام العبودية » وعندما ينتقل ليتحدث حول فئة المراقبين يقرر « ان هذه الفئة هي

بمثابة حلقة ضرورية في نظام العبودية التابع لنا »(٢١).

لم يلغ نظام المراقبين عن العمال العرب ، بل بقي قائما حتى الان ، بيد انه الغى بالنسبة للعمال اليهود ، وبذلك تخلص العمال اليهود من منافسة العامل العربي في بذل مزيد من العرق والجهد ، وغدا قرار « لن نكون في الخلف » لا معنى له . اذ بدأ العمال اليهود لا يعملون في وسط العمال العرب ، بل لوحدهم وبعيدين عنهم . وقد نمت عملية الفصل هذه التي غدت ظاهرة دارجة مسلم بها في اليشوف اليهودي روحا شوفينية لدى الاجيال اليهودية التالية ، ففي الوقت الراهن يرفض العمال الزراعيون اليهود العمل سوية مع العمال العرب ويتضح ذلك من الاجابة على سؤال صحفي وجه الى عمال يهود يشتغلون في نفس البيارة التي يشتغل فيها عدد كبير من عمال قطاع غزة ، اذا كان العمال اليهود والعرب يشتغلون معا ، اجاب العامل اليهودي البرت كوهين : « ولا مرة ، اذ لا يمكن للقط والفأر ان يتواجدا في غرفة واحدة ! » ( معاريف ١٥/١٢/١٩٧٢ ) .

بالاضافة الى ذلك بدأت سياسة التمييز تأخذ مكانا لها الى جانب سياسة الاستغلال والعبودية ، فبعد ان كان العامل العربي يرزح تحت نير الاستغلال اصبح يرزح تحت نير التمييز ، فالعامل اليهودي يشتغل ثماني ساعات اما العامل العربي فقد كان عليه ان يشتغل اكثر من المدة المذكورة ويتلقى معاشا اقل بكثير من معاش زميله العامل اليهودي . ويعترف اهارونفتس بذلك بقوله في عام ١٩١٠ « لقد بدأنا نصادف في المستوطنات مناظر كهذه ، مجموعة من العمال تشتغل بمعاش سبعة قروش لليوم تقف في جانب ، وفي الجانب الثاني مجموعة اخرى تقوم بالعمل ذاته لكن بمعاش قدره عشرة قروش لليوم »(٢٢) اما حاييم الروزوروف فيعترف في مقال له نشر في عام ١٩٢٦ بسياسة التمييز الواقعة على العمال العرب بقوله : « في كل مكان في البلاد حيثما وجد ساعد العمل العبري ممسكا بالفأس والمحراث والشاكوش ، نجد العامل العربي الرخيص يرافقه كالظل . لقد اصطدم العامل العبري ذو المستوى الاستهلاكي الاوروبي ، في كل خطوة وشبر بمنافسة البدائي ، ابن الشعب الجار ، الذي تزيد متطلبات حياته قليلا عن الصفر . فالى جانب اليهودي الذي يعمل ٨ ساعات باجر يومي يتراوح بين ١٧٫٥ — ٣٥ قرشا مصريا مقابل العمل « الاسود » غير الفني ، نجد عاملا يشتغل ١٢ — ١٤ ساعة ، ولا يتجاوز معاشه الذي يتلقاه مقابل عمله حدود ٨ — ١٢ قرشا مصريا »(٢٣).

ومن الجدير بالذكر هنا ان سياسة التمييز في الاجور ناجمة بالاساس عن طبيعة مجتمع المستوطنين والمهاجرين ، الذي تحتم عليه ظروفه من أجل استكمال الطبقات فيه ، اتباع تلك السياسة ، والمجتمع اليهودي في فلسطين شبيه الى حد كبير بمجتمعات المهاجرين والمستوطنين الاوروبيين التي أقيمت خارج القارة الاوروبية ، وقد واجهت تلك المجتمعات قضية العمل ، واعد كل منها حلولا خاصة لها ، وقد رأى بعض زعماء اليشوف اليهودي مثل حاييم الروزوروف ان قضية العمل التي تواجه المجتمع اليهودي لا يمكن موازاتها ومماثلتها مع القضية ذاتها في الولايات المتحدة واستراليا لان وضع المجتمعين اصبح مختلفا عن أوضاع المجتمع اليهودي ، أما المجتمع الوحيد الذي يواجه نفس المشكلة التي يواجهها اليشوف فهو مجتمع البيض في جنوب افريقيا « يبدو لي ان قضية العمل فيجنوب افريقيا هي الحالة الوحيدة تقريبا التي تنطوي على شيء من الشبه لظروفنا الموضوعية ومشاكلنا لدرجة تسمح لنا بالمقارنة »(٢٤) ومن المعروف ان جنوب افريقيا حلت قضية العمل فيها بواسطة قوانين تمييزية صدرت عند مطلع هذا القرن في اوج الدعوة لسياسة العمل العبري ، تعرف بقوانين « الحاجز اللوني » التي تتلخص في طرد العمال الملونين من الاعمال المهنية الفنية ، واحلال عمال اوروبيين محلهم ،

واقتصار تلك الاعمال على العمال الاوروبيين فقط ، وفي اتباع سياسة تمييزية في الاجور حيث ينال العامل الاوروبي اضعاف ما يتلقاه العامل الملون بغرض تشجيع هجرة عمالية اوروبية الى جنوب أفريقيا لاستكمال نمو الطبقات المختلفة في المجتمع الابيض . وقد خرج الروزوروف في عام ١٩٢٦ من خلال مقارنته بين مجتمع البيض في جنوب افريقيا والمجتمع اليهودي في فلسطين بالاستنتاج التالي : « ان الاستنتاج العام الذي نتوصل اليه بالضرورة يتعلق بمسألة الاجور في البلاد : تخفيض اجرة العمل اليهودي الى مستوى اجرة العمل العربي ، والتنظيم المشترك. النتيجة : ارض اسرائيل لن تكون أرض هجرة للعمال الاوروبيين ، وبعد ان تغادر مجموعة كبيرة من العمال البلاد سيبقى عدد معين من العمال العبريين الاوروبيين داخل هستدروت العمال التي ستكون بمعظمها عربية ، او : ارض اسرائيل تستخدم كمركز هجرة واستيطان لعمال يهود اوروبيين ، حينئذ يتشكل مجالان اقتصاديان ومخططان للعيش ينسجم كل منهما في مجتمعه ، ما دام المجتمع اليهودي ليس العامل الاقتصادي الحاسم لكل البلاد »(٢٥) من الواضح ان الروزوروف ومن ورائه دعاة العمل العبري قد فضلوا الامكانية الثانية التي طرحها الروزوروف في استنتاجه ، ومن هنا يمكن القول ان سياسة التمييز نابعة بالاساس عن طبيعة مجتمع المستوطنين والمهاجرين .

بدت روح قوانين « الحاجز اللوني » تخيم بشكل او بآخر على مجتمع اليشوف ، فقد أخذت الاعمال هناك بسبب تلك الروح تنقسم الى ثلاثة انماط ، عليا ووسطى ودنيا ، الاعمال العليا مثل قص اغصان الكرمة وتركيب أشجار الحمضيات وما شابه تعتمد على « طهارة » اليد العاملة اليهودية ، الاعمال الوسطى مثل العمل في جني ثمار الكرمة وجني اثمار اخرى اخذت تنتقل ببطء الى الايدي العاملة اليهودية ، واما الاعمال الدنيا الشاقة مثل عزق الاعشاب ، وكل ما يحتاج الى جهد بدني فقد بقيت من نصيب الايدي العاملة العربية(٢٦) .

نعود الان للحديث حول الدور الشوفيني الذي قام به العمال اليهود من أجل فرض سياسة احتلال العمل .

استخدم العمال اليهود وسائل عدة لتحقيق هدفهم من بينها الخبث والاعتداء على عمل العمال العرب، مثل خلع المشاتل التي زرعت بأيد عربية والاضراب والتظاهر ، وفيما يتعلق بوسيلة الخبث نورد هنا الحادثة التي قام بها أعضاء تنظيم « بار جيورا » الذي تأسس عام ١٩٠٧ وكان من بين اعضائه بن تسفي الرئيس الثاني لدولة اسرائيل . وضع التنظيم الجديد هدفا معلنا « احتلال الحراسة واحتلال العمل » . توجه التنظيم الى مستوطنة الشجرة وطلب من المسؤولين الموافقة على ان يحل العمال اليهود محل العمال العرب وقد لبى المسؤولون الطلب وكان من بين العمال دافيد بن غوريون، وقرر التنظيم بعد ذلك ان يشغل العمال اليهود حراسة المستوطنات محل الحراس من أبناء الشركس ، ولم يوافق مستوطنو الشجرة على ذلك فما كان من التنظيم الا ان لجأ الى طريقة تتسم بالخبث ، فاخذوا يراقبون الحارس الشركسي ، وعلموا انه يذهب سرا في ساعة معينة من الليل الى بيته في القرية المجاورة ، فاغتنموا تلك الساعة وتوجهوا الى اصطبل المزرعة ونقلوا بغلة من هناك وخبأوها في مكان اخر ثم أشاعوا بأن لصوصا سرقوا البغلة ، وعندما بلغ الامر سماع الموظف المسؤول عن المستوطنة توجه نحو الحارس فلم يجده ، لانه كان نائما في بيته ، الامر الذي اثار غضب الموظف فطرد الحارس ووافق على أن يشغل عمال يهود مهمة الحراسة(٢٧) .

أما وسيلة الاعتداء وخلع الاشجار فتدل عليها الحادثة التالية : « عند بداية هذا القرن قررت الهستدروت الصهيونية اقامة غابة تحمل اسم هرتزل تخليدا لذكراه ، وكخطوة

اولى شرع العمال في غرس مشتلة اشجار بالقرب من مستوطنة بن شيمش بواسطة العمال العرب . وقد اثار هذا العمل استياء عظيما بين صفوف العمال اليهود : « كيف يحدث ذلك ؟ غابة لذكرى القائد الكبير ، بعمل غير عبري ؟! » وقد اعتبروا ذلك تدنيسا لحرمة هرتزل وشرفه « أما المسؤول عن المشروع الخبير الزراعي بيرمان فقد ادعى انه لم يجد عمالا عبريين للقيام بهذا المشروع . فما كان من العمال اليهود في بيتح تكفا الا ان نظموا انفسهم وبعثوا بمجموعة منهم الى مكان العمـــل لازالـــة « التدنيس » وبعـــد مفاوضات مشفوعة بالتهديدات مع المسؤول عن المشروع ، تمت الموافقة على طـــرد العمال العرب واحلال العمال اليهود مكانهم ، وفي نفس الوقت قدمت مجموعات اخرى من العمال اليهود في يافا وبعض المستوطنات الى مكان العمل وانضموا الى المجموعة الاولى ( في مارس ١٩٠٨ ) ، واتخذوا قرارا : « نحن العمال العبريين ، نحتج ضد هذا الواقع المخجل من جانب الصهيونية الرسمية ، وتعبيرا عـــن الاحتجاج نقرر خلع المشاتل التي لم تغرس بواسطتنا ، ومن ثم نقوم بغرسها من جديد » . وبالفعل قام هؤلاء العمال بتنفيذ اغرب قرار يندر وجود شبيه له في تاريخ مجتمعات المستوطنين والمهاجرين ، بروح مفعمة بالشوفينية حيث « توجه بعض المجتمعـــين فورا وخلعوا المشاتل التي غرسها العرب ، ومن اجل تحاشي وقوع ضرر للمشاتل ، عادوا في اليوم الثاني وقاموا بغرسها ثانية »(٢٨) .

اما شعار ترك العمل الذي اتخذه العمال اليهود من أجل تجذير « احتلال العمل » فتدل عليها الحادثة التالية : في عام ١٩٠٨ اقامت الهستدروت الصهيونية مزرعة كبيرة اشرف عليها الخبير الزراعي بيرمان بالقرب من بحيرة طبريا ، وكان الشرط الاساسي أن يجري العمل في المزرعة بما يحفظ طهارة العمل العبري . وقد استدعى بيرمان العمال اليهود الذين عملوا معه في غرس المشاتل في بن شيمش للعمل في المزرعة، ولبى هؤلاء الدعوة. كانت العلاقة بين المشرف والعمال اليهود في بداية الامر حسنة للغاية، الا انه مع توسع المزرعة ، واجه العمال اليهود صعوبات في الاعمال التي تحتاج الى جهد جسماني مما أدى الى عرقلة سير العمل ، هذا علاوة على ان « عددا كبيرا من العمال اليهود أصيب بالحمى » الامر الذي ادى الى شل المزرعة ، وكحل لحالة الشلل هذه أقدم بيرمان على المحظور حين استدعى عمالا من القرية العربية المجاورة للقيام بالاعمال التي لا يستطيع القيام بها العمال اليهود الاصحاء منهم أو المرضى ، بيد أن هذه الخطوة أحدثت استياء شديدا بين صفوف العمال العبريين ، وكاحتجاج على ذلك قرر العمال ترك المزرعة ، وقد أثارت عملية الاضراب عن العمل في المستوطنة وهجرها تذمرا شديدا بين أوساط العمال الذين اخذوا من خلال نقابتهم « هحوريشي » يطالبون باقالة بيرمان من وظيفته ، وكحل وسط تمت الموافقة على نقل بيرمان الى وظيفة اخرى وبقي قسم من العمال يعمل في المزرعة بعد طرد العرب منها(٢٩) .

وقد استخدم العمال اليهود سلاح الاضراب من اجل تكريس سياسة العمـــل العبري ففي عام ١٩١٤ أضرب العمال اليهود في مستوطنة الشجرة طيلة شهرين بسبب رفض ادارة المستوطنة الاستجابة لمطالب العمال اليهود بطرد العمال العرب ، ويبدو ان العمال اليهود في أماكن أخرى قد أضربوا مطالبين مثل زملائهم في مستوطنة الشجرة بطرد العمال العرب ويصف اليعزر يافه في كلمة القاها في مؤتمر عمال الجليل عام ١٩٥١ موجة الاضراب بقوله : « ... اتسعت حدود الاضراب في ذلك الوقت، واندلعت الحرب في جميع أرجاء البلاد ، وخارجها من أجل فكرة العمـــل العبري ... كم من العـــار والاهانات واجهنا خلال الاسابيع القليلة التي عملنا بها هناك... كم من اعمال قاموا بها أمام أنظارنا لانتهاك مقدساتنا ، حتى اندفعنا الى الحرب ! وكم هو عظيم حزننا عندما اضطررنا لترك أرض الشجرة التي ارتوت من دمـــاء اخوتنا ، ومن مقابر اخوتنـــا هناك »(٣٠) .

الى جانب احتلال العمل في المستوطنات ، أخذ العمال اليهود يعملون من أجل احتلال العمل في المدن وخاصة في مضمار البناء ، وغني عن القول أن العمل في هذا المضمار يعتبر من الاعمال الشاقة التي لا يتقنها الا العمال العرب او حسب المراجع الاسرائيلية « كانت حكرا على العمال العرب » فالمستوطنات الاسرائيلية خلال الهجرة الاولى والثانية اقيمت معظمها بأيد عربية ، كما ان الايدي العاملة العربية كان لها نصيب كبير في تشييد المستوطنات في الهجرات اللاحقة . ومع ذلك فقد حاول العمال اليهود خلال اشتداد الدعوة لسياسة العمل العبري دخول هذا الميدان الشاق ، حين قاموا بعملية احتلال أولى ، لبناء مدرسة يهودية في يافا . ففي عام ١٩٠٩ قرر تنظيم « محبي صهيون » اقامة مدرسة للبنات في يافا ، وبطبيعة الحال توجه المقاول اليهودي الى الايدي العاملة العربية ، بيد ان ذلك احدث استياء في صفوف العمال اليهود في القدس الذين قرروا التوجه فورا الى يافا واحتلال العمل هناك ، فخضع المقاول لرغبة العمال اليهود وطرد العمال العرب ، ويبدو ان حماس العمال اليهود أعماهم عن اتقان العمل في اشادة المدرسة ، مما تسبب في انهيارها بعد مدة وجيزة ، وبالرغم من ذلك أصر العمال اليهود على اعادة بنائها من جديد . وقد اعتبرت هذه العملية بمثابة انجاز كبير واهتزت لها قلوب الداعين لعبرنة العمل فرحا وابتهاجا ، وتصف رسالة نشرت في صحيفة ( هبوعيل هتسعير آذار ١٩٠٩ ) البهجة والسرور اللذين عما النفوس بقولها : « كانت هناك فرحة غامرة عندما انتهى العمل في بناء الطابق الاول لمدرسة البنات الذي جرى هذه المرة بأيدي بنائين عبريين فقط ... استدعى الدكتور حيسين البنائين الى بيته وهناك فرحوا معا . وقد عبرت لجنة المهندسين التي تشرف على العمل ، عن ثقتها ورضاها من عمل البنائين ، الذين أثبتوا مدى خطأ اللجنة السابقة التي تخوفت من الاعتماد على البنائين اليهود ، اما الدكتور حيسين فقد قال انه من الخطأ اتهام اعضاء اللجنة السابقة بأنهم لم يرغبوا في بنائين يهود ، بل الصحيح هو انهم لم يؤمنوا بأن بوسع اليهود انجاز العمل بشكل جيد . وبعد الاحتفال جرت تظاهرة في الشارع وانتهت الامسية بالخطابات ورفع الانخاب وبالاغاني والرقص »(٣١).

بيد ان تظاهرة الاغاني والرقص الناجمة عن احتلال العمل في مدرسة واحدة تلتها مظاهرة صاخبة مشفوعة بالاصطدامات ، فعندما شرع العمل في بناء تل ابيب في عام ١٩٠٩ لم يستدع العمال اليهود للقيام بهذه المهمة ، بل فضل القائمون على بناء المدينة الوليدة العمال العرب ، وبالفعل تم وضع الحجر الاساسي للبيت الاول على أيدي عمال عرب واستمر العمال العرب في بناء مئات البيوت الاخرى ، مما ادى الى ظهور موجة استياء شديدة بين أوساط العمال اليهود الذين اخذوا يعقدون الاجتماعات وينطلقون بتظاهرات صاخبة ضد العمل العربي .

ومن الجدير بالذكر هنا وفي معرض الحديث عن محاولة احتلال العمال اليهود قطاع البناء ، ان نشير الى انه كان يحدث صراع قوي بين فئة المقاولين اليهود ، وبين العمال اليهود شبيه الى حد كبير بين الصراع القائم بين المستوطنين المالكين والعمال هناك ، فالمقاول اليهودي يجني ارباحا اكثر فيحال تشغيل العمال العرب، الا انه في حالة ارتفاع حرارة الدعوة لاحتلال العمل كان يردد الجملة التالية : « يهود لماذا لا ؟ الا انني لا أضمن الجدران » بمعنى انه لا يأخذ على عاتقه مسؤولية حدوث انهيار أو سقوط في المبنى الذي يشاد بأيد يهودية ، ويقول دعاة العمل العبري : « ان هذا القول هو بمثابة الترويج لمقاطعة سرية ليس له مثيل في اية أمة او لغة »(٣٢).

والحقيقة ان الذي يندر له مثيل في اية امة هو قصة احتلال العمل بواسطة العمال اليهود ، وينبغي أن لا يغيب عن بالنا أن الدور الشوفيني العنصري الذي قام به العمال

اليهود لاحتلال العمل ، يوصف في المصادر والمراجع الاسرائيلية بالدور البطولي من أجل الهدف القومي مع اضفاء مسحة نضال طبقي عليه .

يمكن تلخيص ما سبق بالقول انه نتيجة للصراع بين الشريحتين البرجوازيتين الريفية والمدينية من جهة والعمال اليهود ومثقفيهم من جهـة ثانيـة ، وكنتيجة لطبيعة مجتمع المهاجرين والمستوطنين أخذ العمال اليهود يتمتعون بوضع مميز عن أوضاع العمال العرب في جميع المجالات ، وضع شبيه الى حد كبير بوضع العمال الاوروبيين في جنوب افريقيا بفضل قوانين الحاجز اللوني هناك ، الا ان العمال اليهود لم يكتفوا بالوضع المميز كما هو الحال في جنوب افريقيا بل قاموا بدور عنصري شوفيني تمثل في حملاتهم من أجل « احتلال العمل » وطرد العمال العرب . ولم يكـن نضالهم موجها ضـد البرجوازية بقدر ما هو موجه ضد العمال العرب لادراكهم بأن وجودهم مرهون بوجود البرجوازية اليهودية ومرتبط بها ارتباطا وثيقا .

**تسخير اليهود الشرقيين لاحتلال العمل :**

بالرغم من الوضع المميز الذي حصل عليه العمال اليهـود لم يستطع معظم هـؤلاء الاستمرار ومواصلة العمل في المستوطنات ، فقد أخذ حماس الكثيرين منهم يخف ويذوي بعد الحصول على شهوة « الاحتلال » ويعود ذلك الى عدة أسباب من أهمها ( ١ ) ان العمال اليهود لم يكونوا عمالا « عاديين » اذ انهم يرجعـون الى أصول البرجوازية الصغيرة والمتوسطة ، هذا علاوة على صعوبة التأقلم في المحيط الجديد ، وتعرضهم لطقس مختلف لم يعتادوه ، ولامراض لم يألفوها . ( ٢ ) موقف المستوطنين المالكين المعادي : فبالرغم من الموافقة الظاهرية التي أرغم المستوطنون على اعطائها ، فانهم بشكل عام كانوا يرفضون تلك السياسة، ويصطدمون في كثير من الاحيان بالعمال اليهود الامر الذي ولد كراهية بين الطرفين . ( ٣ ) الشعور الذي اعترى العمال اليهود بأنهم « غرباء » في المستوطنات نتيجة اصطدامهم مع المستوطنين وتفوق الآخرين عليهم من حيث العدد ، وقد اعتبرت الفئات الموالية للعمال مسلك المستوطنين تجاه العمال اليهود « الغرباء » بأنه بمثابة « لا سامية يهودية في ارض اليهود » . لهذه الاسباب مجتمعة أصبح اليأس يسيطر على قسم من العمال مما دفع بالكثيرين منهـم الى ترك البلاد والعودة الى اوروبا او التوجه الى اميركا او التحول الى مستوطنين مالكين . وقـد تدارس اليشوف اليهودي هذا الوضع المستجد ، فظهرت ثلاثة تيارات هناك تعطي كل منها تصورا لحل المشكلة . ويقول اهارونوفيتس ، ان التيار الاول دعا الى اعادة العمال الى أوطانهم أو اية اماكن اخرى ، من خلال الشفقة عليهم والثاني يقول بأنه من الافضل تحويلهم الى مزارعين بدل تسفيرهم الى الخارج، اما التيار الثالث فكان يؤمن انه «لكون هؤلاء الشباب القادمين من الخارج لا يستطيعون احتلال العمل بسبب ثقافتهم الزائدة واحتياجاتهم الكبيرة ، التي لا يستطيع العمل تلبيتها ، ينبغي علينـا توجيه عملنـا الى جانب آخر تماما، الى اليهود اليمنيين ، فهؤلاء يمرون في وضع ثقافي متدن ، ويكتفون بالقليل .. ولن يؤثروا علـى المزارع ، وبوسعهم منافسة العنصر المحلـي واحتلال العمل »(٣٣) .

من الواضح ان هذه الفكرة لقيت استحسانا لدى شريحة البرجوازية الريفية ، التي اخذ افراد منها لا يكتفون بطلب جلب عمال يمنيين الى المستوطنات بل ويدعون الى «احتلال» اليمنيين لاماكن العمل التي كان الاشكنازيون الاوروبيون قد احتلوها مـن قبل العمال العرب ، والغريب في الامر ان العمال اليهود وافقوا على ذلك ، فقد أخذ « هبوعيل هتسعير » يشدد على دور اليهود الشرقيين في عملية « احتلال العمل » ففي عام ١٩٠٨ قرر مؤتمر هبوعيل هتسعير التأثير بواسطة الدعاية، على أرباب الاعمال بأن يعملوا على

احلال العمال من ابناء الطوائف الشرقية ومواليد البلاد عامة محل العمال العرب(٣٤) على اساس انهم يعتبرون عنصرا ملائما لتنفيذ سياسة العمل العبري . ويفسر اهارونوفيتش وجه الغرابة المتمثل في اتفاق المستوطنين والعمال الاشكناز على أن يحل العمال اليمنيون محل العمال اليهود الذين أصابهم اليأس بقوله بأن اليشوف اليهودي راى في هجرة اليمنيين في ذلك الوقت « المسيح المنتظر » وانـه كان بمثابة « الفريق الذي يتمسك بالقشة » ليقرر « بأن هـذا العلاج انقض عليه الان كـل من المزارعين والعمال ، الطرف الاول وجد فيه امكانية صيد عصفورين بحجر واحد : عامل عبري وايضا عبد مستسلم مرغوب فيه لثمنه البخس ، الطرف الثاني وجد فيه نوعا من التعزية ، فأماكنهم لن تعبأ بواسطة الاجانب ، بل بواسطة اخوتهم اليهود »(٣٥).

من خلال هذه الرغبة الجماعية من قبل العمال والشريحة البرجوازية ، تحركت الحركة الصهيونية بمساعدة من « المكتب الفلسطيني » الذي يرئسه الدكتور روبين وبتشجيع حركة هبوعيل هتسعير لتسخير اليهود اليمنيـين الموجودين في فلسطين للعمل فـي المستوطنات وجلب المزيد منهم من اليمن ، حيث أرسل موفد خاص في عام ١٩١٠ ، واثمرت جهوده بجلب ١٢٠٠ مهاجر يمني الى فلسطين ، ويبدو ان اليشوف لم يرغب في هؤلاء القادمين الجدد عند مجيئهم ، واعتبر أن العدد أكثر من اللازم والمرغوب فيه ، ولذا أرسل المسؤولون عن الحركة الصهيونية رسالة الى الموفد الخاص يطالبونه فيها بوقف عملية التهجير الا في حال تلقي بيان جديد(٣٦).

لم يقم العمال اليهود اليمنيون بعمليات « احتلال » اسوة بالعمال اليهود الاوروبيين وانما وقعوا تحت عبودية قوة « العقل والمال » التي تحدث عنها أحاد هعام ، والانكى من ذلك ان المستوطنات التي كانت تشكل حالة اقطاعية جديدة في فلسطين استقبلتهم استقبالا سيئا في اعقاب رحلتهم الطويلة . ويصف ي. شبيرنتساك الذي رافق احدى القوافل الى مستوطنة ريشون لتسيون استقبال المستوطنين لهم بقوله : « صرح رئيس لجنة المستوطنة قائلا : لماذا جئتم بهـذه المصيبة . . . قامت نساء المستوطنـة بجمع النساء اليمنيات ليعملن خادمات عندهن واستوعبت معصرة الخمور بعض الرجال ، في البداية زج اليمنيون في قبو « بيت الشعب » وبعد ذلك تم جمع مبلغ بسيط واقيمت لهم منازل خشبية خلف الكنيس »(٣٧).

وبذلك تحول « المسيح المنتظر » عند ظهوره في المستوطنات الى « مصيبة » على حد تعبير رجال المستوطنات ، وفي الوقت نفسه تحول الى بقرة حلوب لا يتورع المستوطنون في ضربها واذلالها لبذل مزيد من العرق في المستوطنات ، فبالرغم من ان هؤلاء عملوا ما في وسعهم لتحسين أوضاعهم بيد أن أوضاعهم أخذت تسير من سيىء الى أسوأ بفعل العلاقة الاستغلالية السائدة في المستوطنات و« تقاعس » أصحـاب الدعوة للعمل العبري عن الدفاع عن هؤلاء ، ويعطي مؤرخ الحركة العمالية اليهودية في فلسـطين موشيه برسلفسكي وصفا لنظرة المستوطنين الاوروبيين تجاه اليهود اليمنيين بقوله : « لقد كانت النظرة تجاههم كالنظرة الى أناس متدني المرتبة ، فمعاشهم كان قليلا، وطلب منهم أن يتحلوا بطاعة رب العمل. لم تكن قليلة حالات الاستخفاف والظلم وايضا الضرب من خلال الشعور بالسيادة تجاههم» ويقر كتسنلسون حالات الضرب التي كان يتعرض لها اليمنيون من قبل المستوطنين بقوله « لا يمكنني أن أمر مر الكرام على كل ما شاهدته بسكوت ، لانني شاهدت وليس انسانا غريبا ، دماء نظيفة، تضرب دون ان تقترف ذنبا، وكذلك فساد العدالة الذي كان من نصيب المضروبين بواسطة منتخبي الشعب المختار في الارض المختارة » وأيد ذلك الكاتب يعقـوب رفينوفيتس الذي كتب مقـالا في هبوعيل هتسعير ( ١٩١٣ ) تعرض فيه الى التنكيل والاساءات التي تتعرض لها الفتيات اليمنيات في المستوطنات(٣٨). وقد بلغت هذه الاساليب ذروتها في حادثة جرت عام ١٩١٣ بين

مستوطن مالك يدعى « ي. م. » ويمنيتين تعبـــر بشكل حاد عـــن الروح الاقطاعية المشفوعة بالعنصرية التي تحلى بها اولئك الذين توتهم في « العقل والمال » فقد صادف ان وجد المستوطن المذكور يمنيتين في كرمته تقومان بجمع الاغصان، فما كان منه الا ان تقدم نحوهما وقام بتكبيل ايديهما ومن ثم ربطهما بذنب حماره وسار بهما ممتطيا حماره من الكرم حتى وسط مستوطنة رحوبوت(٣٩).

ونتيجة لهذه الاوضـاع التعيسـة اصبح العمال اليهود اليمنيون «غرباء» في مجتمع المهاجرين والمستوطنين ، بيد أنهم يختلفون عن « الغرباء » السابقين ، فالغربة الاولى التي يشعر بها العمال الاشكناز سطحية بينما الغربة الثانية نفسية وعميقة ، الاولى نجمت عن الفارق الطبقي ، والاخرى نجمت عن الفارق الطبقي والاثني معا .

بالاضافة الى مجمل الاوضاع التعيسة التي واجهها العمال اليمنيون بسبب طبيعة مجتمع المهاجرين والمستوطنين ، أخذت سياسة التمييز توجه ضدهم بشكل مفضوح ، ففي مشروع بناء مستوطنة نحالات يهودا الذي اعد في عام ١٩١٢ لتكوين مستوطنة عمالية يهودية وردت الشروط التالية :

١ ــ كل عنصر يتلقى ٧ دونمات. ٢ ــ كل أعضاء المستوطنة يتلقون مساحات متساوية. ٣ ــ من مجموع الـ ٣٥٠ دونما يخصص منها ٥٠ــ٦٠ دونما لاقامة مستوطنة يمنية تضم ٢٠ شخصا . ومن الملاحظ في هذه الشروط ان العامل اليمني في المشروع الجديد لم يحظ بكلمة « عضو » وانه روعي ، بالرغم من أن المستوطنة مستوطنة عمال فقط ، ان يفصل العمال اليمنيون عن العمال الآخرين ، واهم من ذلك أن نصيب الفرد من العمال اليمنيين كان ٣ دونمات بينما نصيب زميله العامل اليهودي الاوروبي سبع دونمات(٤٠). ومن هنا تمخضت سياسة العمل العبري وولدت نوعين من العمال اليهود متمايزين طبقيا واجتماعيا مما كان له الاثر الكبير فيما بعد في بلورة الطبقة العاملة في اسرائيل ، حيث اخذت الحلقة العمالية الاولى من العمال الذين يعودون الى اصول اوروبية تستقطب الاشكناز وفي المقابل أخذت الحلقة الاولى من العمال اليمنيين تستقطب العمال اليهود من ابناء الطوائف الشرقية ، الحلقة الاولى نمت وترعرعت وسط الاعمال الفنية العادية المريحة ، والحلقة الاخرى نمت وترعرعت وسط مجالات الاعمال السوداء الشاقة .

لم يكن هم العمال اليمنيين « احتلال العمـــل » بقدر ما كانوا يسعون الى الحصـــول على عمل شريف يقيهم غائلة الجوع ، ففكرة سياسة العمل العبري وأهدافها لم تكن مستحوذة على أفكارهم بسبب افتقارهم الى الثقافة الصهيونيـــة ، وانما الذي أخذ يسيطر على افكارهم ازالة التمييز والحيف والازدراء اللاحق بهم ، ففي عام ١٩١٣ ، أصدر العمال اليمنيون اليهود بيانا استنكروا فيه سياسة التمييـــز الموجهة ضدهم ، وسياسة الخداع التي اتبعت لمجيئهم الى فلســـطين وجاء في البيان الذي وجه الـــى المستوطنين الاشكناز « .. الان غدونا في نظركم صغيرين وقذرين ، انكم تقولون عنا : كلاب ! أغيار !.. اننا محتقرون من الجميع لكوننا فقراء والله يشهد بأننا لم نأت من اليمن الا بعد أن استمعنا اليكم »(٤١). ثم طالب البيان بتوفير الحياة الكريمة للجالية اليمنية .

أصيب دعاة العمل العبري بخيبة أمل مريرة من واقع ثلاثة امور :

١ ــ معاملة المستوطن للعامل اليهودي اليمني معاملة سيئة .

٢ ــ الوهن الذي أصاب العمال اليهود الاوروبيين مما اثر على مواصلة عمليات الاحتلال والانكى من ذلك ان قسما منهم قد أصابه اليأس وفضل مغادرة البلاد .

٣ ــ عدم وعي العامل اليمني لسياسة العمل العبري .

والحقيقة ان بعض دعاة العمل العبري كان يتخوف كثيرا من اللجوء الى العمال اليمنيين

كدواء لمعضلة العمل العبري مثل بن غوريون واهارونفتس وغيرهم ، فقد كتب اهارونفتس في عام ١٩١٠ محذرا من الاخطار الكامنة وراء ذلك قائلا : « عندما نطرح الان فكرة ايجاد أيد عاملة عبرية للمزارع بنفس سعر الايدي الاجنبية ينبغي علينا قبل كل شيء أن نسأل أنفسنا ، أي أعمال نقصد ؟ اذا كنا نقصد الاعمال التي ارتفع سعرها وانتقلت الى ايدي اليهود ، فاننا نهدمبأيدينا الامور التي بنيناها بجهد جهيد ، واذا كنا نقصد الاعمال التي بقيت في أيدي جيراننا لكون أسعارها منخفضة ، فاننا نرتكب خطيئة بحق اليمنيين الذين نأخذهم كأداة لتحقيق فكرتنا . في الحالة الاولى نخطىء بحق أنفسنا، لاننا نخلق لنا منافسا أخطر من المنافس السابق : فأثناء تصدينا للمنافس الاول التجأنا في حربنا الى تفاني العامل اليهودي ونوعية عمله والفائدة التي يجلبها الى المستوطنة في الحاضر ، وفضل الفكرة القومية في المستقبل . ولكننا لا نملك الحق او المقدرة في مجابهة هذا المنافس ، لانه يحوي جميع الخصائل التي أعددناها .. »(٤٢).

لم يتوقف دعاة العمل العبري عن نشاطهم ، بل اخذوا يصعدونه ويشيرون به في كل مناسبة لدرجة أصبحوا معه أسرى فكرتهم ، وبالرغم من ذلك فقد وصل مجموع عدد العمال اليهود في المستوطنات عند بداية الحرب العالمية الاولى يناهز الـ ٢٠٠٠ عامل بينما وصل عدد العمال العرب الذين يعملون في المستوطنات ٥٠٠٠ عامل . وخير صورة للصراع حول سياسة العمل العبري بين المستوطنين من ناحية ودعاة العمل العبري من الناحية الاخرى ، نجدها في قصة كتبها « بيرنر » تحت عنوان « بين الماء والماء » حين يتصدى مزارع لاحد العمال وهو يلقي كلمة حول العمل العبري والواجبات القومية وما شابه ، مقاطعا اياه « لقد سمعنا ذلك ، سمعنا ... لقد عيل صبري ، بما انني يهودي فأنا أسمع ذلك دائما ، في كل احتفال وفي كل عرس ، وفي كل حفلة — من هو المذنب ؟ ذنب من ان اليهودي غير مؤهل ليصبح عاملا جيدا ؟ من هو المذنب في ذلك ؟ على عاتق من يقع عبء سفر عمالنا الحقيقيين الى اميركا وليس الى هنا ؟ لقد قدم الى هنا ، أفراد ، مجموعات من شبيبة اليشيفاه يرقصون ، واخذوا على عاتقهم مهمة اكبر من طاقتهم — يشتغلون اسبوعا ويفرون ... قبل نصف عام ، في بداية فصل الشتاء ، كان في « يزرعيل » ثلاثون عاملا ، كان ؟ آه ؟ والان كم بقي منهم ؟ »(٤٣).

كتلخيص لما سبق يمكن القول ان سياسة العمل العبري قد دخلت طورا جديدا عندما عجز العمال الاشكناز عن الاستمرار في العمل ، اذ التجأت الى العمال اليمنيين لتحقيق ولاستكمال ما عجز عن القيام به العمال الاشكناز بيد ان هؤلاء الذين لم يكونوا على وعي بأهداف سياسة العمل العبري ، وقعوا فريسة سهلة للاستغلال من قبل المستوطنين المالكين ، وبذلك خلقت في اليشوف اليهودي شريحتين عماليتين متمايزتين الشريحة الاولى أخذت تستقطب فيما بعد العمال من أبناء الطوائف الشرقية والشريحة الاخرى أخذت تستقطب ابناء الطوائف الغربية .

*

لم يحسم الصراع بين العمال والمستوطنين خلال فترة الهجرة الثانية ( اي خلال الفترة التي ركزنا حديثنا عليها ) ، بل استمر في العشرينات والثلاثينات والاربعينات وتجمد مع قيام الدولة ، وبعث من جديد في اعقاب حرب حزيران . لا نود هنا الخوض في تفاصيل ودقائق العمل العبري في الفترات اللاحقة لان التعمق في التفاصيل سيدخلنا في تفرعات وتشعبات كبيرة وكثيرة لا تضيف جديدا على جوهر الدعوة لسياسة العمل العبري الذي ركزنا عليها الحديث ، وانما يثري الموضوعات ذات الصلة بسياسة العمل العبري ، وبالرغم من اهمية هذه الموضوعات الا ان خوضها في هذا البحث القصير يعني شيئا واحدا وهو عدماستيفائها حقها من الدراسة والتمحيص وهذا ما لا نريده.ومع ذلك فاننا

سنركز الحديث قليلا حول استمرارية سياسة العمل العبري وموقف التيارات الحزبية من تلك السياسة بشكل عام لاعطاء صورة مصغرة عن تلــك السياسة في الفترات اللاحقة .

**موقف التكتلات السياسية من سياسة العمل العبري :**

اتسمت فترة العشرينات والفترات اللاحقة بظهور احزاب عمالية ونقابات عمالية في المجتمع اليهودي في فلسطين ، وقد تبنت معظم هذه الاحزاب والنقابات المبادىء والافكار التي طرحها دعاة العمل العبري. واذا علمنا أن دعاة ومفكري العمل العبري غدوا قادة ومنظري الاحزاب العمالية ندرك مدى النشاط الواسع الذي تم من أجل تطبيق تلك السياسة . ومع ذلك فقد شهدت هذه الفترات محاولة من قبــل التنظيمات العمالية الصهيونية لاحتواء العمال العرب سياسيا عن طريق الجمع بين نقيضين: تطبيق سياسة العمل العبري والدفاع عن حقوق العمال العرب في أماكن العمل التي تديرها سلطات الانتداب مثل سكة الحديد والموانىء والمعسكرات ، التي يعمل بها جنباً الى جنب العمال العرب واليهود وقد قامت الهستدروت بهذه المحاولة حين دعت في مؤتمرها الثاني الى « احداث علاقة رفاقية مع العمال العرب في البلاد » ومن اجل تطبيق سياسة الاحتواء اتبعث ثلاث طرق :

١ ــ الدفاع السياسي أمام حكومة الانتداب والحكومة المركزية في لندن عــن حقوق شؤون العمال في البلاد دون تمييز في الدين والجنس والقومية .

٢ ــ دعم نقابة عمال سكة الحديد والبريد والتلغراف في تنظيم انفسهم .

٣ ــ اصدار صحيفة عمالية باللغة العربية تحمل اسم « اتحاد الشعب » . وبالفعل صدرت الصحيفة في عام ١٩٢٥ . وكان رئيس التحرير يتسحاق بن تسفي الذي غدا فيما بعد رئيسا لدولة اسرائيل . وكانت الصحيفة تعمل جاهدة لاحتواء العمال العرب سياسيا(٤٤). بيد ان هذه المحاولة لقيت فشلا ذريعا بسبب الوعي الســـياسي لـــدى العمال العرب للطبيعة الشوفينية للهستدروت ، ومع ذلك فقد بقيت محاولات الاحتواء قائمة قبل وبعد قيام اسرائيل ، واستمرت بعد حرب حزيران .

إن محاولة الهستدروت احتواء العمال العرب ، لا يعني انها تخلت عن الدعوة للعمل العبري بل بقيت الدعوة تحتل مكانا مرموقا في السياسة الهستدروتية ، وقد تبلورت سياسة الاحتواء من خلال اختلاف وجهات النظر تجاه جوهر ومفهوم العمل العبري لدى الاحزاب العمالية الاسرائيلية ، ومع ان هذه الاحزاب تبنت فكرة العمل العبري الا انها أخذت تختلف فيما بينها حول حجم تطبيقها .

كان حزب عمال اسرائيل « الماباي » وهو الحزب الاقوى قبل وبعد قيام اسرائيل يرفع شعار « مئة بالمئة عمل عبري » ويدعو الى عدم التخلي عن شعار « مئة بالمئة » لان ذلك حسب مفهوم الحزب سيؤثر علـــى المشروع الصهيوني وعلى مستقبل العامــل اليهودي اما اعضاء حركة هشومير هتسعير ( وهي الحركة التي انجبت فيما بعد حزب مابام ــ يساري صهيوني ) فقد عارضوا هذا الشعار باعتبار ان مــن شأنه ان يثير الشكوك بين صفوف العمال العرب الذين تحاول الهستدروت احتواءهم سياسيا ، هذا مع العلم أن هشومير هتسعير كان يدعو الى اقامة مجتمعين في فلسطين عربي ويهودي بمفهوم صهيوني خاص ، ولذا اكتفى برفع شعار « الحد الاقصى من العمل العبري » وقد حدثت نقاشات واسعة بين الجانبين ، وادعى الجانب الاول ان محاولة هشومير هتسعير رفع هذا الشعار لن تفيد في شيء لان « العمال العرب » سيفهمون صيغــة هشومير هتسعير بشأن الحد الاقصى من العمل العبري ، تماما كشعار « مئة بالمئة » وقد تبلورت النقاشات بين الحزبين في آب عام ١٩٣٤ في مجلس الهستدروت، واستمرت

في الثلاثينات والاربعينات . واما كتلة عمال « الصهيونيين العموميين » التي تضم بين أعضائها موشيه كول وكتسنلسون فقد حافظت على الدعوة للعمل العبري. ففي المؤتمر الذي عقد في رعنانا في ١٩٣٥/١١/٢٢ اتخذت مقررات من بينها « حرب دفاعية واحتلال العمل العبري »(٤٥) كما أن بقية الاحزاب اليمينية والدينية كانت ترفع شعار العمل العبري وتدعو اليه . اما الحزبان اللذان عارضا سياسة العمل العبري من خلال مفهومين مختلفين، فهما حزب «عمال صهيون ـ يسار» والحزب الشيوعي الفلسطيني. الاول ـ تأسس عام ١٩٢٤ وجمع بين نقيضين الصهيونية والشيوعية ـ كان الحزب يعتقد ان الطبقة العاملة العبرية غير مؤهلة لتنفيذ سياسة العمل العبري لافتقارها الى اللياقة البروليتارية لانها ولدت من صلب البرجوازية الصغيرة وبنت جيل واحد، اما عملية الانقاذ فانها ستأتي من خلال « البروليتاريا » الحقيقية عندما تهاجر الى البلاد . اما الحزب الشيوعي الفلسطيني فقد اتخذ موقفا واضحا ضد سياسة العمل العبري ومجمل الاهداف الصهيونية . وفي الاول من ايار ١٩٣٦ اصدر الحزب منشورا الى الجمهور اليهودي دعاه فيه للانضمام الى الاضراب الذي أعلنه العرب والنضال من اجل المطالب التالية « الغاء الانتداب ووعد بلفور ، مجلس تشريعي ديمقراطي شعبي ، وقف الهجرة، واحتلال العمل والارض . . . الغاء المنظمات الصهيونية العسكرية »(٤٦).

في هذه الفترة استمر الصراع قائما في المجتمع اليهودي بين العمال من جهة وبين البرجوازية الريفية من جهة أخرى كما كان في السابق ، واصل فيها دعاة العمل العبري نشاطهم ضد البرجوازية الريفية . ففي المؤتمر الرابع لنقابة العمال الزراعيين ـ على سبيل المثال ـ الذي انعقد في يونيو ١٩٣١ في تل ابيب شن يتسحاق تبنكين حملة ضد شريحة البرجوازية الريفية قائلا « ان الاقتصاد الاسرائيلي المبني على الاستغلال بدون عمل عبري ، يعتبر خطيئة تجاه الضمير . . . ». لم يفلح دعاة العمل العبري في تقليص عدد العمال العرب في المستوطنات الاسرائيلية بل استطاعوا زيادة العمال اليهود في تلك المستوطنات . ففي عام ١٩٢٣ كان عدد العمال العرب في المستوطنات ٤٠٠٠ عامل ارتفع في عام ١٩٣٠ الى ٥٥٠٠ وفي ١٩٣٣ الى ٦٠٠٠ ووصل بين عامي ١٩٣٤ ـ ١٩٣٩ الى عشرة الاف ثم انخفض العدد بسبب حدة العداء : اما عدد العمال اليهود فقد اخذ في الثلاثينات يفوق عدد العمال العرب بقليل، ولم يرض عددهم دعاة العمل العبري ففي عام ١٩٣٨ عقد مؤتمر حزب عمال اسرئيل وجاء في مقرراته « ان كون كثيرين من ابناء البلاد لا يأخذون على عاتقهم مهمة المساهمة الشخصية ، بأجسادهم في بناء البلاد والدفاع وانقاذ الشعب بل يسعون الى الحياة السهلة والمريحة ، ومنهم من يتشتت في ارجاء المعمورة سعيا وراء الثقافة والحياة الجديدة ، ان ذلك هو بمثابة شهادة فقر لليشوف . . . ونذير شؤم لمستقبلنا ولصورة الجيل الجديد في البلاد »(٤٧).

ازاء عدم انصياع البرجوازية الريفية لفكرة العمل العبري ، وعدم مقدرة العمال اليهود على تطبيق الفكرة سواء لكونهم عمالا غير « طبيعيين » او لكونهم بروليتاريا بنت جيل واحد خرجت من صلب البرجوازية المتوسطة والصغيرة ، وجد دعاة العمل العبري أن تطبيق الفكرة مرهون باتساع روح الكراهية بين اليهود والعرب ، وكان اول من نظر لذلك يوسف اهارونفتس حين قال اثناء تحدثه عن العوامل التي من شأنها ان تعمل على استبدال الايدي العاملة الاجنبية بالايدي العاملة العبرية : « ان العامل الاهم يكمن في خوف المزارع من العامل الاجنبي . حتى الان كان حديثنا للمزارع حول هذا الخطر كنوع من التنبؤ الذي من الممكن التنبه له ومن الممكن ايضا الاستخفاف به، ولكن في الاونة الاخيرة بدأت الاحداث تتوالى الواحدة بعد الاخرى وهي ترغم المزارع الانتباه لهذا الامر. وما دام العربي يأخذ بأسباب التطور فان هذه المحاولات ستكرر او تخرج نهائيا من كونها حالات وتأخذ شكلا مستديما للكراهية ، والتعصب القومي، وهذا الامر ، الذي

يذهلنا ، هو أيضا الضمان الاكيد لصالح العامل اليهودي »(٤٨). والحقيقة ان اهاروفيتس ليس الوحيد من دعاة العمل العبري الذي ربط نجاح فكرة العمل باتساع شقة الكراهية والتعصب القومي بين العرب واليهود ، بل معظم دعاة العمل العبري من قادة الاحزاب العمالية اليهودية في فلسطين .

في نهاية هذا البحث واستلهاما منه ، اود التطرق الى طبيعة الطبقة العاملة في اسرائيل، والعمل العربي هناك .

قبل التطرق الى الموضوع الاول اود أن ابدي تحفظا واحدا ، انني لا أزعم بأنني درست في هذا البحث ولادة وتطور الطبقة العاملة في اسرائيل ، بل حاولت جهدي دراسة سياسة العمل العبري ، ومع ذلك فانني اعتبر ذلك محاولة اولية لفهم طبيعة الطبقة العاملة في اسرائيل . ومن هنا يمكن تسجيل الملاحظات التالية :

١ ـ ان الطبقة العاملة في اسرائيل هي وليدة الفكرة ، ففكرة الخلق سبقت الوجود ، وعندما ظهر الوجود كرس لخدمة الفكرة ، بعكس نشوء معظم الطبقات العمالية الاخرى ، حيث سبق ظهور الطبقة العاملة الفكرة او الايديولوجية . من هنا كان تعلق الطبقة العاملة في اسرائيل بالفكرة التي خلقت من اجلها شديدا .

٢ ـ ان خلق الطبقة العاملة اليهودية كان امرا على جانب كبير من الاهمية والخطورة اذ لولا قيام الطبقة العاملة لما تمكن المجتمع اليهودي في فلسطين من اقامة دولة يهودية بسبب عدم استكمال بناء الطبقات فيه ، ذلك انه من المستحيل بناء دولة في مجتمع يتكون فقط من البرجوازية الريفية والمدينية ، بل الاصح من مجموع الطبقات ، أو حتى من قبل طبقة واحدة هي الطبقة العمالية .

٣ ـ ان نمو وتطور الطبقة العاملة اليهودية في فلسطين رافق نمو وتطور البرجوازية اليهودية الريفية منها والمدنية ، وقد جرى من خلال عملية سلب ونهب منظمة ، بالرغم من التناقض الجانبي بين الطبقتين ، فقد قامت الطبقة البرجوازية بدور سلب الارض وقامت الطبقة العمالية اليهودية بسلب العمل ، اي تحالف الطرفان بسلب وسيلة الانتاج الكبرى وسلب العمل في وسيلة الانتاج تلك ، مما ادى في نهاية المطاف الى طرد الشعب الفلسطيني ، الذي يتكون معظمه من الفلاحين والعمال خارج وطنه .

٤ ـ ان الطبقة العاملة في اسرائيل تشعر تماما كالطبقة البرجوازية هناك بالاستفادة من الاحتلال ، ومن الارتباط بالمصالح الغربية ، فالاحتلال يشبع شهوة التوسع لديها كما ويدر عليها ارباحا مادية ، اما الارتباط بالغرب فالحقيقة انه ليس حبا بالغرب بقدر ما هو عملية حساب دقيقة للمصالح ، فهي باعتبارها وليدة الفكرة الصهيونية وخادمة لها ترى انها تلتقي مصلحيا وليس بالضرورة وديا ، بالاستعمار بسبب طبيعة الحركة الصهيونية ، ذلك ان اسرائيل لا يمكن لها ان تبقى بدون الاعتماد على الاقتصاد الغربي.

٥ ـ ان الطبقة العاملة في اسرائيل تتكون من شريحتين مختلفين متمايزتين ، الشريحة الاولى تتكون معظمها من أبناء الطوائف الغربية الذين يحتلون المراتب العليا من الاعمال اليدوية والفنية ، والشريحة الثانية تتكون معظمها من ابناء الطوائف الشرقية الذين يحتلون المراتب الدنيا من الاعمال مثل الاعمال السوداء وما شابه . وتمتاز الشريحة الاولى بتأصل الفكرة الصهيونية بين صفوفها اما الشريحة الثانية فان الفكرة الصهيونية اكتسبت لديها اكتسابا ، ولذا يمكن القول ان الطبقة العاملة في اسرائيل لا تختلف عن الطبقات الاخرى في اسرائيل التي تشكل بمجموعها المجتمع الاسرائيلي ، في تصورها للقضايا الرئيسية في المنطقة وفي العالم مثل قضايا الحرب والسلام ، أو في نظرتها تجاه حركات التحرر العالمية سواء تجاه الثورة الفلسطينية او الفيتنامية او أية ثورة اخرى معادية للاستعمار .

هل تتغير النزعة الشوفينية لدى الطبقة العاملة في اسرائيل ؟

بالرغم من النزعة الشوفينية للطبقة العاملة الاسرائيلية ، الا ان طبيعتها يمكن ان تتغير — ليس من خلال نضال داخلي — ، وانما من خلال تغير الظروف والاوضاع المحلية والدولية اي من خلال عملية التغيير التي تلمس شيئين اثنين .

١ — ضعف الاستعمار الغربي الذي يمد اسرائيل بمقومات الحياة والاستمرار بالوجود .

٢ — تغيير خريطة العالم العربي رأسا على عقب ، من خلال بناء دولة واحدة فيه ، تعتمد اساسا على الطبقة العمالية والفلاحية المسلحة بالنظرية الاشتراكية العلمية التي ينتفي فيها استغلال الانسان ، حينئذ ستجد الطبقة العاملة الاسرائيلية سواء قبيل تحرير كامل التراب الفلسطيني او بعد التحرير نفسها اكثر من الطبقات الاسرائيلية الاخرى ، استعدادا لنفض غبار الروح الشوفينية ، والانضمام الى المجتمع الجديد البديل .

وفيما يتعلق بالقضية الثانية ، العمل العربي في اسرائيل ، يمكن القول ان الدوافع وراء الموافقة على تشغيل العمال العرب وفق طريقة الحد الاقصى تهدف الى تحقيق اغراض سياسية ، وبالتحديد ثلاثة اغراض :

الهدف الاول : وهو الاهم ، محاولة ابعاد الطبقة العاملة الفلسطينية وخاصة الشرائح المسحوقة منها عن الثورة الفلسطينية بواسطة ايجاد اعمال لها تجني من ورائها ارباحا من خلال معاشات مرتفعة نسبيا ، الامر الذي من شأنه ان يجعل تفكير هذه الشريحة منصبا على رفع مستواها المعيشي ، خاصة وانها ذاقت الامرين قبل حرب حزيران ، ونكتفي هنا بتثبيت استشهاد حول هذا الهدف الذي ترمي اليه اسرائيل « ان الضمان الانجع للهدوء والامن واحباط مشاريع المخربين يكمن في ايجاد عمل للسكان العرب وزيادة مستواهم المعيشي » . ( معاريف ٧٢/٥/١٢ ) .

الهدف الثاني : محاولة محو صورة العداء المرتسمة في ذهنية الجماهير الشعبية ، والمسلمات الناجمة عن تلك الصورة تجاه الكيان الاسرائيلي، من خلال السماح للجماهير الشعبية بالاحتكاك بالمجتمع الاسرائيلي ومشاهدته عن كثب . والحقيقة ان بعض المسلمات تأخذ بالتصدع والاهتزاز في بداية الامر ، بفضل الدعاية العشوائية غير الواعية التي كانت تبثها الانظمة العربية ، بيد أن عامل الزمن لا يعمل لصالح اسرائيل في هذا المجال ، فهو كفيل بكشف الطبيعة العنصرية التمييزية التي يتسم بها الكيان الاسرائيلي .

الهدف الثالث : طمس حدود الرابع من حزيران ١٩٦٧ من خلال الحركة المتبادلة الدؤوبة اليومية عليها ، تمهيدا لرسم حدود جديدة .

هنالك دوافع اخرى يعتقد البعض انها اساسية ، الا انها في الحقيقة ثانوية ، مثل حاجة الاقتصاد الاسرائيلي للأيدي العاملة العربية ، ومع ان هذا القول صحيح ، الا انه ليس دافعا اساسيا ، ذلك ان بامكان اسرائيل الحصول على اعتمادات وقروض كبيرة من الغرب والمؤسسات الصهيونية ولا يكلفها ذلك عناء كبيرا ، ومثل حاجة المؤسسة العسكرية الى العمال العرب بغرض تمكين جزء من العمال اليهود من ترك المرافق الاقتصادية والانخراط في سلك الخدمة العسكرية ، الا ان هذا الدافع يبقى ثانويا ، وفي بعض الاحيان غير مقبول اصلا بسبب محافظة الطرف العربي بشكل محكم على هدوء الجبهات . اذن يمكن القول ان دوافع تشغيل العمال العرب هي دوافع سياسية ترمي الى حصر النفوذ الفدائي ، وازالة الصورة المسبقة تجاه الكيان الاسرائيلي ، ومحو خريطة الحدود . ومع ذلك فقد بقي السؤال الكبير قائما في المجتمع الاسرائيلي «هل نسمح للعمال العرب العمل في اسرائيل ؟» وقد بلغ من الشدة

بين الطرفين لدرجة دعا فيها رئيس الهستدروت يتسحاق بن اهارون الى الانسحاب من مناطق عربية معينة ( ربما كان يقصد قطاع غزة ) دون التوقيع على اتفاقية سلام .

ويبدو ان هذا السؤال الذي واجه اليشوف ولا يزال قائما في اسرائيل قد اخذ يتدحرج حتى بلغنا نحن . وبالرغم من اهمية السؤال الا انني اعتقد ان الخوض فيه هو بمثابة رياضة عقلية كما وان التوصل الى « نعم » او « لا » ليس فيه شيء يفيد المقاومة الفلسطينية ، لاننا بالاصل لا نواجه هذا السؤال ، وانما نواجه سؤالا اكبر ينبغي ان نصب فيه فكرنا وعملنا **« كيف توظف المقاومة الفلسطينية جهد وعرق ودموع العمال العرب سواء العاملين منهم في المرافق الاقتصادية الاسرائيلية او غيرها في عمل نضالي دؤوب من اجل تحرير الارض والانسان ؟ »**

هذا هو السؤال الذي ينبغي أن نجهد فكرنا فيه .

---

* ملاحظة : جميع المراجع ادناه باللغة العبرية.

١ — تسفي بن شوشان ، **تاريخ حركة العمال في ارض اسرائيل** — المجلد الاول — ص ١٧. « عام عوبيد » طبعة ثانية . عام ١٩٦٣ .

٢ — يتسحاق تبنكين ، **مجموعة مقالات** ، ص ١٠٢ ، هكيبوتس هآرتسي .

٣ — بن غوريون . **دولة اسرائيل الجديدة** ، المجلد الاول ، عام عوبيد ، طبعة ثانية ١٩٦٩.

٤ — يوسف اهارونفتس . **الشعب والبلاد** ، ص ٨٦ . تربوت فحينوخ ١٩٧٠ .

٥ — موشيه بارسليفسكي . **الحركة العمالية في أرض اسرائيل** . الجزء الاول . ص ٨٤ . هكيبوتس همؤحاد . ١٩٦٦ .

٦ — موشيه بارسليفسكي **المصدر السابق** . ص ٨١ .

٧ — اريه تراتكوفر. **المجتمع الاسرائيلي**. ص١٣٣ مساداه ١٩٥٩ .

٨ — بيرل كتسنلسون . **كتابات** . المجلد الحادي عشر . ص ٢٤ . حزب عمال اسرائيل «دافار» الطبعة الثانية ١٩٤٩ .

٩ — تسفى بن شوشان . **المصدر السابق** . ص ٧٥ .

١٠ — غوردون . **كتابات غوردون** . المجلد الثالث ص ٥١ . المكتبة الصهيونية ١٩٥٤ .

١١ — يوسف اهارونفتس . **المصدر السابق** . ص ٨٣ .

١٢ — موشيه بارسليفسكي . **المصدر السابق** ص ٨٣ — ٨٤ .

١٣ — شلومو ريخف . **كتابات مختارة** . ص ٢٢٧ — ٢٢٨ . هكيبوتس هآرتسي ١٩٦٦ .

انظر أيضا . بن غوريون **المصدر السابق** ص ٤٩ .

١٤ — شلومو ريخف . **المصدر السابق** . ص ٢٢٢ .

١٥ — يوسف شبيرا . **العمل والارض** . المجلد الاول . ص ٦١ . عام عوبيد ١٩٦١ .

١٦ — يوسف شبيرا . **المصدر السابق** ص ٦٢.

١٧ — يوسف شبيرا . **المصدر السابق** ص ٦٢.

١٨ — اليكس باين. **تاريخ الاستيطان الصهيوني**. ص ٦٧ . مساداه . الطبعة الرابعة ١٩٧٠ .

١٩ — بن غوريون . **المصدر السابق** . ص ٥٠.

٢٠ — تسفي بن شوشان . **المصدر السابق** . ص ٧٦ — ٧٧ .

٢١ — موشيه بارسليفسكي . **المصدر السابق** . ص ٨٧ .

٢٢ — يوسف اهارونفتس . **المصدر السابق** . ص ٧٨ .

٢٣ — حاييم الروزوروف . **كتابات** . المجلد الثالث . ص ١٣٥ . شتيبل . ١٩٣٤ الطبعة الثانية .

٢٤ — حاييم الروزوروف . **المصدر السابق** . ص ١٣٨ .

٢٥ — **المصدر السابق** . ص ١٦٢ .

٢٦ — يوسف اهارونفتس . **المصدر السابق** . ص ٧٨ .

٢٧ — مناحيم تلمي . **محاربو الحرية في اسرائيل**. ص ١٩ . فريدمان . ١٩٥٥ .

٢٨ — تسفي بن شوشان . **المصدر السابق** . ص ١٢٨ — ١٢٩ .

٢٩ — **المصدر السابق** . ص ١٣٠ — ١٣١ .

٣٠ ــ موشيه بارسلينسكي . **المصدر السابق** . ص ٨٧ .
٣١ ــ تسفي بن شوشان . **المصدر السابق** . ص ١٥٠ .
٣٢ ــ **المصدر السابق** . ص ١٥١ .
٣٣ ــ يوسف اهارونفتس . **المصــدر السابق** . ص ٧٠ .
٣٤ ــ تسفي بن شوشان . **المصدر السابــق** . ص ١٤٢ .
٣٥ ــ يوسف اهارونفتس . **المصــدر السابق** . ص ٧٠ .
٣٦ ــ اليكس باين . **المصدر السابق** . ص ١٠١. أنظر ايضا كتاب م. روبين . **بداية عملي في البلاد** . المجلد الثاني ص ١٠٦ . عام عوبيد ١٩٦٨ . تحرير اليكس باين .
٣٧ ــ موشيه بارسينسكي . **المصدر السابق** . ص ٩٧ .
٣٨ ــ **المصدر السابق** . ص ٩٧ ــ ٩٨ .
٣٩ ــ يوسف شبيرا . **المصدر السابق** . ص ٢٣٥ .
٤٠ ــ دافيد بن غوريون . **العامــل العبــري وهستدروته** . ص ٦٨. تربوت فحينوخ ١٩٦٤، الطبعة الثانية .
٤١ ــ يوسف شبيرا . **المصدر السابق** . ص٢٣٦
٤٢ ــ يوسف اهارونفتس . **المصدر السابق** . ص ٧٩ .
٤٣ ــ كتسنلسون . **المصدر السابق** . ص١٤٤.
٤٤ ــ تسفي بن شوشان . **المصدر السابق** . المجلد الثالث . ص ١٣٦ .
٤٥ ــ **المصدر السابق** . ص ١٦٣ .
٤٦ ــ **المصدر السابق** . ص ٣٠١ .
٤٧ ــ **المصدر السابق** . ص ٢٩٧ .
٤٨ ــ يوسف اهارونفتس . **المصدر السابق** . ص ٥٩ .

**ملاحظة** : لاستكمال وضع وظروف العمال العرب في المناطق المحتلة بعد ١٩٦٧ ، ننصح بالرجوع الى **شؤون فلسطينية** العدد ٧ ، ص ٢٦٤ .

# رسالة من قارىء
# حول مقال « سقوط صفد »

اسعد محمد برغوتي

**جاءنا من الاخ اسعد محمد برغوتي ، نزيل الدوحة عاصمة دولة قطر ، الرسالة التالية :**

في العدد ٢١ ( أيار ١٩٧٣ ) من شؤون فلسطينية كتب السيد جادو عز الدين عن سقوط مدينتنا « صفد » . ورغم انه نبه في مقاله الى انه لم يكن يلم بكل جوانب وتفصيلات سقوط المدينة وانه اعتمد فيما كتب على ما علق بذاكرته كواحد من الضباط الذين شاركوا في الاعدادات التي اتخذت لانقاذ المدينة ، لا يمكننا الا الاشارة بأسف لما تضمنه المقال من تساؤل مسموم حول انسحاب ابناء المدينة منها . ولجلي بعض الحقيقة عن ظروف سقوط المدينة ولتبقى صفحات نضال ابنائها مواقف فخر واعتزاز لاجيالنا القادمة أخط ما توفر لدي من معلومات استقيتها من بعض ابناء صفد العاملين بقطر والذين عاصروا وشاركوا في الدفاع عن مدينتهم حتى ساعة تسليمها ( لا سقوطها ) ومن كتاب « النكبة » للمؤرخ الفلسطيني عارف العارف ومن كتاب « فلسطين عبر ستين عاما » للسيد اميل الغوري ومن بعض ما علق بذاكرتي لاحداث مدينتنا في اسابيعها الاخيرة ، وانني اذ أكتب عن مدينتي صفد لابعد عن تاريخها المغالطات للوقائع والغمز المقصود او العكس لنضال ابنائها أهيب بكم العمل فورا لتجنيد لمكانيات مركز الابحاث لتاريخ نضال شعبنا بصدق وأمانة قبل ان تمسخه الاقلام المسمومة .

تعجل شباب صفد قتال اليهود ، فقتلوا قبل شهور عدة من تاريخ انتهاء الانتداب البريطاني أحد رجالهم في السوق المحلي للمدينة ، أغلقت على اثر ذلك جميع المداخل بين الحي اليهودي والاحياء العربية وراح كل فريق يستعد للايام القادمة وكل بحسابه ذكريات عامي ١٩٣٦/٢٩(١).

كانت الاسلحة المتوفرة لرجال المدينة تلك التي كان يسمح بها الاستعمار البريطاني كأسلحة الصيد وبعض المسدسات المرخصة وعددا قليلا جدا من البنادق الحربية امتلكها اصحابها بشكل سري وكانوا يعتزون بها اعتزازهم بأولادهم رغم عدم فعاليتها(٢). ولم يكن لدى شبابها أية فكرة عن القتال ولم يتلقوا اية تدريبات باستثناء ما كانوا يقومون به بشكل عفوي من الرمي على الهدف واصابته .

كان دخل معظم عائلات المدينة عن طريق ابنائها العاملين في المدن الكبيرة كحيفا والقدس وغيرهما . من هذا لم تتوفر أيضا للمدينة الطاقة البشرية القادرة على القتال(٣). كما لم يكن لدى سكان المدينة أية معلومات حقيقية عن أسلحة وقوة العدو البشرية اذ لم يكن هذا الامر موضع اهتمام ( ونحن الاكثرية وبالعصي والحجارة نبيدهم )(٤).

قبل انسحاب الانكليز بأسابيع قليلة ارسل اديب الشيشكلي(٥) الملازم احسان كلماز(٦) كآمر لحامية صفد وبصحبته بعض الجنود . كان احسان شعلة وطنية وشجاعة نادرة واخلاقا حميدة ، هذه الصفات حببته وقربته لقلوب ابناء المدينة صغارهم وكبارهم وسرعان ما أصبح مثلهم الاعلى يسمعون منه ويتلقون أوامره بقدسية . استغل احسان بذكاء محبة المناضلين له وحماسهم وتشوقهم للجهاد فراح يدربهم وينظمهم ويقودهم لمعارك خفيفة(٧) مع العدو ويحاول قدر امكانياته مساعدتهم بالحصول

لهم على الذخيرة والاسلحة ، فتمكنوا خلال فترة قصيرة من تحقيق العديد من العمليات الناجحة ضد العدو دون ان يتكبدوا خسائر تذكر ، كما قام بنفسه وبمساعدة ابناء المدينة العاملين في مراكز الجيش البريطاني بالدخول الى تلك المراكز ودراستها عن كثب مما مكنه والمناضلين من تحقيق مكاسب هامة يوم انسحاب الانكليز من المدينة كما سيأتي .

حوالي الساعة الثالثة من بعد ظهر ١٦ نيسان ١٩٤٨ تم انسحاب الانكليز(٨) من المدينة وفي نفس الوقت قاد احسان المناضلين فهاجموا المراكز(٩) التي أخلاها الانكليز وفي أقل من ساعة واحدة كانوا قد احتلوها ودخلوا بمعركة مع المواقع الامامية لليهود واستطاعوا اجبارهم على التراجع لمواقع خلفية بعد تكبيدهم خسائر فادحة(١٠). كان ذلك اليوم عرس صفد الحقيقي رغم غدر الانكليز لهم(١١). وكانت زغاريد النساء تعلو اصوات الرصاص مشجعة للمناضلين وفرحة بالنصر الذي حققوه وزاد تعلق ابناء المدينة بقائدهم احسان .
مع بزوغ فجر اليوم التالي ( ١٧ نيسان ) كانت سرية من مقر قيادة جيش الانقاذ بقيادة الملازم عبد الحميد السراج تدخل مدينة صفد ولحقهما فصيلان من سرية ادلب يقودهما الملازم هشام العظم(١٢) وسرية اردنية(١٣) يقودهما الرئيس ساري فنيش(١٤) ويعاونه الضابط اميل جيمعان ، دخلت هذه القوات المدينة بأمر من الشيشكلي ومعها أمر منه بتعيين الرئيس ساري فنيش قائدا للحامية ومنحه سلطة اعلان الاحكام العرفية كما عين اميل جيمعان مساعدا له .

وجد احسان كلماز ان الفرصة مؤاتية مع وصول تلك القوات لاقتحام الحي اليهودي وانهاء الوضع في المدينة قبل ان يسترد العدو أنفاسه وتصله النجدات بيد أن القائد الجديد عارض الامر بشدة مدعيا ان مهمته مع قواته دفاعية لا اكثر .

في ١٨ نيسان وصل اليهود نجدات من البالماخ ووقعت في نفس اليوم اشتباكات بين الطرفين ولاول مرة راح اليهود يقذفون المدينة العربية بقنابل الهاون وراجمات الالغام(١٥). وشعر شباب المدينة ان مبدأ الدفاع المعتمد من القيادة من شأنه ان يقتل حماس المناضلين ويقلب الوضع لصالح العدو نتيجة التعزيزات التي كانت تصله تباعا فالتفوا حول قائدهم المحبوب احسان وراحوا يحثونه على متابعة القتال ولم يكن احسان اقل منهم حماسا للامر فقاد فريقا منهم وهاجموا موضعا للحي اليهودي وعلى اثر ذلك اصطدم احسان بساري فنيش بمشادة كلامية(١٦) انتهت بمغادرة احسان المدينة .

ضمد ابناء المدينة جراحهم وحاولوا الالتفاف حول ساري الا ان نفسه كانت قد طفحت بالحقد والكراهية فراح يعاملهم اسوأ معاملة(١٧).
في ١ ايار وبعد وصول النجدات لليهود بأعداد كبيرة بعد سقوط حيفا في ٢٤ نيسان وبعض القرى القريبة من صفد(١٨) هاجم اليهود قريتي بيريا وعين الزيتون(١٩) وتمكنوا من احتلالهما ودمروا عين الزيتون تدميرا تاما . وعبثا حاول الصفديون اقناع ساري بنجدة القريتين. وباحتلال القريتين المذكورتين تمكن اليهود من محاصرة المدينة من جميع الاطراف باستثناء الطريق الجنوبي الغربي للمدينة . وفي ٥ و ٦ ايار ازداد تدفق قوات العدو على صفد سالكين طريق الجاعونة ـ صفد الرئيسي والترابي خلف جبل كنعان وأقاموا اتصالا مع الحي اليهودي في المدينة عن طريق قرية عين الزيتون فأصبحت المدينة تحت سيطرتهم وراحوا يقذفونها بأسلحتهم المختلفة بكثافة .

سافر وفد من رجال المدينة على اثر ذلك الى دمشق لمقابلة المسؤولين واطلاعهم على الوضع في المدينة(٢٠). وفي ٧ ايار قدم الشيشكلي الى صفد وبعد تفقده الوضع عاد الى مقر قيادته في الصنصاف(٢١) وراحت مدفعيته تقصف الحي اليهودي . وكرر القصف في اليوم التالي ( ٨ أيار ) كما اشتبك في اليوم ذاته المناضلون واليهود بمعارك عنيفة صمد فيها العرب ونفد الكثير من ذخيرتهم فراحوا ينتظرون رجوع الوفد الذي سافر لدمشق ليأتي بالنجدة والعتاد . وفيما كان الوفد في دمشق يصف الى رئيس اللجنة العسكرية الوضع في دمشق دخل عليه الشيشكلي(٢٢) الذي أكد للرئيس كل ما قاله رجال الوفد وطلب المساعدة غير ان الرئيس اجاب «العين بصيرة واليد قصيرة». عندئذ سافر السيد زكي قدوره الى عمان وبصحبته اميل جيمعان(٢٣) في محاولة للحصول على المساعدة من هناك وقابل الملك فرد الاخير قائلا للرئيس قدوره « لم لا تذهب للقوتلي الذي دخل المعركة قبل ان يكون مستعدا لها ! » ولما حاول هذا اقناع الملك بضرورة انقاذ صفد اعتذر الملك قائلا انه لا

يستطيع ان يدخل فلسطين قبل انتهاء الانتداب — « هذا ما انذرني به الانكليز » .وغادر قدوره عمان مخلفا فيها اميل جميعان[24] متوجها لدمشق ثانية وقابل القوتلي هنـــاك فطمأنه — ان صفد قيـــد اهتمامه . واثر هذه المقابـلة ارسلت اللجنـــة العسكرية ١٣٠ جنديا من جنود جيش الانقاذ بقيادة عز الدين التل في ٩ ايار فقام العرب حال وصول هذه القوة بمناوشة مواقع العدو وقصفه بقنابل الهاون[25].

غادر الشيشكلي صفد في ٩ ايار بعد زيارة تفقدية لبضع ساعات كما غادرها بعد ظهر اليوم نفسه ساري فنيش قائد الحامية فتسلم منه اميل جميعان القيادة[26]. وفي الساعة الواحدة من بعد منتصف الليل ٤٨/٥/١٠ صدرت الاوامر من اميل جميعان الى قواته بالانسحاب واعلن عن سقوط المدينة في ١١ أيار عام ١٩٤٨[27].

وقد لخص اديب الشيشكلي بتقريره الى قيادة جيش الانقاذ اسباب سقوط صفد كما يلي :

١ — انسحاب ساري فنيش آمر الحامية بصورة غير مشروعة . ويشكو الشيشكلي من أن ساري كان يتغيب عند كل هجوم .

٢ — توزيع سرية عزالدين التل بصورة واسعة .

٣ — جهل السرية المذكـــورة لقواعد القتـــال واستعمال السلاح .

٤ — استعمال اليهود للاسلحة المختلفة بكثرة هائلة وحرقهم الحرش في القلعة .

٥ — معاكسة الاحوال الجوية للعمليات الحربية.

٦ — عدم عمل آمر الحامية بالوكالة اميل جميعان على الصمود ، فقد كان موقفه ظاهر الضعف من ابتداء الهجوم ولا أدري ( الكلام للشيشكلي ) ان كان ذلك بسبب انهياره المعنوي او لسبب مقصود بعد رجوعه من عمان .

وهكذا سقطت المدينة بيد اليهود — هذه المدينة التي بقيت بيد العرب اجيالا عديدة وكانت تدعى فيما مضى ( صفت ) بمعنى المطية ثم حور الاسم الى صفد ولها تاريخ طويل انتزعها الملك الظاهر ابو الفتح بيبرس من يد الافرنج وأمر بتجديدها وتحصين قلعتها وعمل لها ابوابا سرية الى خندقها وشارك بحمل تراب خنادقها وحجارتها بنفسه .

## الحواشي

١ — في كلا الثورتين هاجـــم عرب صفد الحي اليهودي ودمروا مستعمرة عين زيتيم القريبة من المدينة وأحرقوها . وكان اليهود أبدا يتوعدون أهل المدينة بالانتقام ، من شهداء المدينة في الثورتين نذكر الشهيد فؤاد حجازي اعدم في عكا وخلد ذكره وذكر رفاقه الشاعر الفلسطيني الكبير ابراهيم طوقان في العديد مـــن قصائده الوطنية ، والشهيد محمد محمود عبد المجيد أعدم لحيازته مسدسا حربيا ، والشهداء محمد ابو شيره ، محمود الحـــدري ، احمد قدورة الملقب بالحاج ياسين ، احمد خليل صوان ، احمد ابو ديه ، سليم الحاج عثمان ، سليم غريري ، عبدالله الاصبح ، محمود النقيب ، محمد حسان ، مصطفى دواه ، نايف اسعد مراد ، وغيرهم .

٢ — بنادق عثمانية وبنادق فرنسية ( ام حبة ).

٣ — كان هناك زهاء ٢٠٠ مناضل في المراحل الاولى من النضال وارتفع العدد حتى سقوط المدينة الى حوالي ٥٠٠ .

٤ — كان في المدينة في اواخـــر عهد الانتداب البريطاني ١١٩٣٠ نسمـــة منهم ٩١٠٠ مسلم و ٤٣٠ مسيحيا و ٢٤٠٠ يهودي ، ولم يبق من سكانها عند سقوطها عربي واحد .

٥ — كان الشيشكلي في ذلك الوقت قائدا لفوج اليرموك الثاني ( جيش الانقاذ ) ومسرح عملياته منطقة الجليل ( صفد ، عكا ، الناصرة ) قواته تتراوح ما بين ٤٥٠ و ٥٠٠ مقاتل ، اجتاز حدود فلسطين عن طريق بنت جبيل في ٨ كانون الثاني ١٩٤٨ وضم بين صفوفه العديد من رجال سوريا المعروفين امثال اكرم الحوراني وعبد السلام العجيلي وعبدالكريم الزهور وخليل كلاس وعبد الحميد السراج وغيرهم . ألحق بهذا الفوج سرية اردنية بقيادة الرئيس ساري فنيش من الحصن واميل جميعان من مأدبا .

٦ — ضابط سوري شجاع استشهد في معارك سمخ قرب جسر المجامع .

٧ — نصب الكمائن لوسائل نقل العدو خاصة طريق صفد — الجاعونة حتى اصبح هذا الطريق بالنسبة للعدو « طريق الموت » .

٨ — ذكر الشيشكلي بتقريره المرفوع لقائد جيش الانقاذ بتاريخ ١١ ايـــار رقم ٤٨ ان الانكليز اخلوا صفد فجأة بتاريخ ١٦ نيسان . ( يقول

عارف العارف بكتابه **النكبة** الجزء الاول ، ان عبد الرحمـــن الخضرا « احد رجال المدينـــة الموثوقين » حدثه ان الشيشكلي اجتمع بتاريخ ١١ نيسان بمنزل سليمان سعد الدين « من ابناء المدينة » بالقائد البريطاني وطسن قائد منطقة صفد وطلب منه ( أي الشيشكلي ) ان يفسح له المجال لمهاجمة صفد ومستعمرة عين زيتيم القريبة منها دون تدخل منه، فرد وطسن انه لا يستطيع البت في الامر وانه يرغب باستشارة الجنرال ستوكويل قائد منطقة حيفا وشمـــال فلسطين وفي اليوم التالي ( ١٢ نيسان ) عقد اجتماع بمنزل محمد يوسف الخضرا « من ابناء المدينة » حضره الجنـــرال ستوكويل نفســـه والبريغادير والكنهد قائد منطقة الجليل والقائد وطسن والشيشكلي وعبد الرحمن الخضرا الذي كان يقوم بمهمة الترجمة واتفق في الاجتماع على ان يرجىء الشيشكلي مهاجمة صفد والمستعمرات الاخرى الى ما بعد ١٦ نيسان فتعهد الشيشكلي بذلك ) .

٩ — مركز رئاسة بوليس المدينة ، دار الحاج فؤاد الخولي قرب مدخل الحي اليهودي وكانت مركزا للبوليس ، القلعة ، مركز بوليس كنعان.

١٠ — قتل يومئذ من اليهود ١٨ وجرح اربعون ، هذا ما اعترف به الكاتب اليهودي مايرفيشر راجع العدد ٢٤ من مجلـــة **الهـــدف** المقدسية بتاريخ ١٩٥٠/٩/٣ .

١١ — تمركزت القوة البريطانية اثر انسحابهـــا من المدينة لبعض الوقت في منطقة الصينية قبالة صفد من الشرق وقذفت الاحياء العربية وقلعة المدينة بمدافع الهاون وقنابل الدبابات فاستشهد العديد من الرجال والنساء والاطفال .

١٢ — كان السراج والعظم ، السوريان مـــن جيش الانقاذ ، الفوج الثاني .

١٣ — قيل ان عددها ١٠٠ جندي الحقت بجيش الانقاذ بناء على رغبة ملك عمـــان ( **النكبـــة** الجزء الاول ) .

١٤ — ساري فنيش واميل جيمعان كانا يعملان في الجيش العربي قبل صدور قرار التقسيم ولما صدر القرار المذكور استقالا من الجيـــش وهبطا الشام فعرضـا خدماتهما على طه الهاشمي ( من الرجال المعروفين في العراق ، عضـــو اللجنة العسكرية المنبثقة عن اجتماعات مجلس الجامعة العربية في عاليه ، لبنان ) فضمهما الى جيش الانقاذ . وفي رواية اخرى ان السرية الاردنية بجنودها وضباطها كانت ملحقة بجيش الانقاذ بناء على رغبة الملك في عمان ، ( كلا الروايتين نقلا عن عارف العارف ، **النكبة** الجزء الاول ) .

١٥ — راجعـــات « دويد » ، حـــول اليهود حمام النساء الكائن في الحي اليهودي الى موضع لتصليح السلاح وصنعوا فيه السلاح المذكور . تأثيره التدميري معدوم الا ان صوت انفجـــاره رهيب . راجع مجلة **الهدف** المقدسية العـــدد ٢٦ تاريخ ٥٠/٨/١٧ والعدد ٢٧ تاريـــخ ٥٠/٨/٢٤ .

١٦ — حسم ساري المناقشة مع احسان باشهار مسدسه في وجهه مهددا اياه بالقتل فغـــادر احسان المدينة قائلا بأعلى صوته رحمه الله « سقطت صفد » . كادت تقع يوم مغـــادرة احسان المدينة مذبحة كبرى بين الاهالي وقوات ساري اذ استنكر الجميع اعمال ساري وابدوا عزمهم على الاحتفاظ باحسان وراحوا يتجمعون لتنفيذ ما عزموا عليه الا ان تدخل زعماء المدينة حال وذلك الاصطدام .

١٧ — عرف سكان المدينة ساري فنيش بسوء الخلق والجبن منذ وصوله المدينة وبعد مشادته مع احسان ووقوف الاهالي الى جانب الاخير طفحت نفسه السيئة بالشر فراح يعامل ابناء المدينة بكل قسوة فاعتقل العديد منهم بدون سبب وأمر بجلـــد آخرين في ساحة السرايـــا القديمة .

١٨ — الجاعونة ، فرعم ، الطابغة ، المنار ، المنصورة ، القديرية . وباحتلال هذه القرى طوقت المدينة من الشرق والجنوب .

١٩ — شمال صفد على بعد كيلومترات قليلـــة وتتحكمان بالطريق الرئيسي الوحيد للمدينة .

٢٠ — كان الوفد برئاسة السيد زكي قـــدورة رئيس بلدية صفد ذلك الوقت .

٢١ — من قرى صفد .

٢٢ — نقلا عن **النكبة** ( الجزء الاول ) .

٢٣ — لم يذكر زكي قدورة في حديثه لعارف العارف مهمة اميل جيمعان في دمشق او سبب وجوده فيها او تاريخ مغادرته صفد . ( راجع **النكبة** الجزء الاول ص ٣٠٥ ) .

٢٤ — عاد اميل جيمعان الى صفد بروح انهزامية ظهرت بأعماله واقواله اذ سحب قواته من

اكثر من موقع لم يتعرض لاي هجوم وراح يشيع بين الاهالي عدم امكانية الدفاع عن المدينة ويحثهم على اخلاء المدينة من النساء والشيوخ والاطفال . وكان واضحا ان القوة الاردنية ستنسحب من المدينة بعدما صرح اميل جميعان بان رؤساءه في عمان اخبروه بأن صفد داخلة في القطاعين السوري واللبناني وطلبوا منه عدم العودة الى صفد الا انه لم يشأ ان يترك جنوده في المدينة فعاد اليها .

٢٥ — في قول آخر ان القوة كانت مؤلفة من ١٥٠ جنديا وسرية واحدة من سرايا فوج اليرموك وكانت هذه القوة سيئة التدريب ووزع قواتها فور وصولها اميل جميعان على المراكز التي اخلاها من رجاله وكانت أفدح الخسائر البشرية التي تكبدتها المدينة في هذه القوة .

٢٦ — غادرها ساري فنيش حاملا معه جميع حاجياته وقضى ليلة ٩ — ١٠ ايار في قرية عين التينة من قرى صفد . ولقد اقدم على ترك المدينة دون علم الشيشكلي . وعندما وصل دمشق القي القبض عليه بأمر من وزارة الدفاع السورية وكانت النية متجهة الى محاكمته لولا ان تدخل ملك عمان في الامر فأطلق سراحه .

٢٧ — يقول الشيشكلي في تقريره ان اليهود بدأوا هجومهم الاخير على صفد في الساعة التاسعة والدقيقة ١٥ من ليلة ٩ — ١٠ ايار وتلقى من وكيل آمر الحامية اميل جميعان اشارة لاسلكية مآلها ان ذخيرته قد نفدت فأمره الشيشكلي بالانسحاب وصدر هذا الامر في تمام الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة والخمسين من صباح يوم الاثنين الموافق ١٠ ايار ١٩٤٨ . وهناك من يعتقد ان في الامر حيلة مدبرة من عمان مع اميل جميعان تقضي باسقاط المدينة ان حاول الحاج امين الحسيني دخول فلسطين من لبنان لاسقاط خطة الحاج امين . وكان فعلا قد سرى الخبر بأن الحاج امين جاء من مصر قبل سقوط المدينة ببضعة ايام وهبط المالكية وتبنين ( من اعمال صور في لبنان ) وما الى ذلك من القرى الغربية من الحدود وكان يقصد دخول فلسطين من تلك الناحية ليؤلف فيها حكومة عربية فلسطينية .

يقول اليهود انهم عثروا بعد ان تمت لهم السيطرة على كميات كبيرة من السلاح والعتاد في السرايا القديمة مقر قيادة اميل جميعان.وقد حدثني السيد عبد الفتاح الحجة من ابناء المدينة ويعمل الان في قطر انه كان ليلة سقوط المدينة مع السيد احمد ابو زينة ايضا ، يعمل الان في قطر ، وكانا ضمن المدافعين عن المدينة ومركزهما في بناء الحاج فؤاد الخولي الواقع في مدخل الحي اليهودي وانه ارسل الى القيادة من قبل رفاقه لجلب الذخيرة وعند وصوله هناك لم يجد احدا والابواب مشرعة وكانت خراطيش الذخيرة ملقاة على الارض ومخلوطة اصنافها بشكل يصعب فرزها وكانت بكميات كبيرة وانه عاد الى رفاقه واعلمهم بالامر فانسحبوا .

# مراجعات

Maxime Rodinson, **Marxisme et Monde Musulman,**
(Editions du Seuil, Paris 1972).

صدر مؤخرا للمفكر اليساري الفرنسي المستقل ، مكسيم رودينسون ، مؤلف ضخم ( ٦٩٨ صفحة ) بعنوان « الماركسية والعالم الاسلامي » ( باريس ، منشورات دي سـاي ، ١٩٧٢ ) . ولقد سبق للاستاذ رودينسون ان تناول جوانب عديدة من قضايا العرب في مؤلفاته السابقة[1]. وما يهمنا في هذه العجالة التحليلية الانتقادية هو تناول الجانب الفلسطيني في هذا الكتاب . وأول ما يجدر التنويه به هو أن الكاتب لا يخصص فصلا ولا معالجة مترابطة للقضية الفلسطينية — فضلا عن كون الكتاب مجموعة دراسات ومقالات متنوعة . ولهذا كان لا بد لنا من الاطلاع الكامل على محتوياته لكي نستخلص منها ما له علاقة مباشرة بموضوعنا . فكنا امام مشكلة منهجية : هل نتناول الموضوع من خلال توزعه التسلسلي على فصول الكتاب أم نحاول التفرد بعرض متناسق ، مفتعل ؟ ووجدنا أنفسنا أيضا أمام سؤال ملح : هل ثمة تطور حاصل في نظرة رودينسون الى القضية الفلسطينية؟ وعليه، فقد رأينا من جهة ان نكتفي بعرض تسلسلي لموضوعات رودينسون الخاصة بالقضية الفلسطينية في كتابه « الماركسية والعالم الاسلامي » ، ورأينا من جهة ثانية ان هـذه الموضوعات قـد وضع رودينسون معظمها قبل كتابه « اسرائيل والرفض العربي » الصادر سنة ١٩٦٩ ، وايضا قبل مداخلته في العدد الخاص من مجلة « الازمنة الحديثة » الصادر سنة ١٩٦٧ بعنوان « الصراع العربي الاسرائيلي » ، فضلا عن احاديثه المنشورة في مجلة « بارتيزان » الفرنسية بشكل مناظرة مع ارنست مندل ، وفي مجلة دراسات عربية وسواها. ولهذا نرى انه من الافضل ان تخصص دراسة خاصة بتطور آراء ومواقف اليسار الفرنسي من اليهود والقضية الفلسطينية ، بدءا من الفونس توسنل ( اليهود ملوك العصر ، باريس ١٨٤٦ ) ، مرورا بالحزب الشيوعي الفرنسي والحزب الاشتراكي ، وانتهاء بجان بول سارتر ( تأملات في المسألة اليهودية ) وجورج فريدمان ( نهاية الشعب اليهودي ؟ ) ومكسيم رودينسون .

**١ — فلسطين والاستقلال العربي :**

في فصل عنوانه « حول سياسة ماركسية في البلدان العربية ، بحث مستقل » ، يتناول الاستاذ مكسيم رودينسون المهمات المطروحة على المجتمعات العربية الراهنة ، معالجا بالافضلية مهمة الاستقلال ثم التنمية . وفي سياق معالجته لمهمة الاستقلال العربي يتناول القضية الفلسطينية ( ص ٤٦ — ٥٧ ) . يبدأ بتعريف ماهية الاستقلال بقوله : « ان ضمانة الاستقلال تعني التزام البلدان العربية وسيرها على طريق تنمية مستقلة ذات تمركز ذاتي، توجهها احكام وقواعد وطنية وفقا لحاجات المجتمع العربي ذاته . ان هـذا الهدف يعني بوضوح مكافحة كل ما من شأنه ان يحد من حرية واستقلال قرار الامم او الامة العربية ، كما تشاؤون . وبما ان معظم الامم العربية مستقلة الان ، فان الخطر

[1] — من أشهر مؤلفاته عن العرب وقضاياهم : « القمر عند العرب وفي الاسلام » ، باريس ١٩٦٢ ، « الاسلام والرأسمالية » باريس ١٩٦٦ ، « محمد » باريس ١٩٦١ ، وطبعة منقحة ١٩٦٨ ، « اسرائيل والرفض العربي »، باريس ١٩٦٩ ( منشورات دي سـاي ) ، « تلك آثارنا » ، بيروت ١٩٤٣ ، دار المكشوف ، « الجزيرة العربية قبل الاسلام »، انسيكلوبيديا لابلياد ، ج٢ باريس ١٩٥٧ ، « الساميون والابجدية »، باريس ١٩٦٣، «العالم الاسلامي وانتشار الكتابة العربية» ، باريس ١٩٦٣ .

الداهم يأتيها من مجتمعات بشرية اخرى ، من جماعات اثنية — قومية اخرى نريد ان تحد من هذه الحرية بآلية ( ميكانيزم ) سياسية اقتصادية او سواها او انها تنجر الى ذلك بدون قصد مسبق . ولا يمكن ان يكون المقصود بذلك سوى مجتمعات تنوي استغلال مجتمعات اخرى ... »

ويبين ان المقصود بالخطر على العرب هو « ما يسمى عادة بالنزعات الامبريالية » ، ويشير الى ان الامبريالية ليست هذا الوحش الاسطوري ، ذا الرأس الوحيد ، الذي يتغذى من دم البشر ونخاعهم ، مطاردا بغضبه الخالد ارادة التقدم والحرية في كل انحاء العالم . اذن ما هو المقصود بالامبريالية ؟ يقول : هناك امبرياليات وكل مجتمع هو امبريالي بالقوة . ويعلل موقفه الغامض هذا بقوله : كل مجتمع لم يتردد — عندما استطاع — في تأمين مصالحه الخاصة والبحث عن سعادته على حساب الاخرين . لكن هل هذا هو المقياس الوحيد لتعريف الامبريالية ؟

يعتبر رودينسون ان الامبريالية الرأسمالية هي من أخطر الامبرياليات الراهنة في عصرنا ، على انه يفتح باب النقاش لمعرفة ما اذا كانت بنية المجتمع الرأسمالي الراهن بالذات هي التي تجبره او لا تجبره على ان يكون امبرياليا . فهل يفهم من هذا الكلام ان هناك رأسمالية امبريالية ورأسمالية غير امبريالية وكيف ؟ أم ان هناك مفارقة في درجات نمو قوى الامبريالية وقدرتها على السيطرة والامتداد ؟

يؤكد من هذه الزاوية انه في الواقع ثمة « امبريالية اقتصاديا رأسمالية حاليا » وان « الامم الرأسمالية تخلت مؤقتا على الاقل عن امبريالية سياسية اي عن السيطرة السياسية المباشرة على الامم الاخرى » . ولكن رودينسون لا يعطينا امثلة ملموسة ومعاصرة على ذلك . ونحن نسأله هل تخلت الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا مثلا عن الامبريالية السياسية كما يحددها ؟ وهل ان اليابان والمانيا الاتحادية — وهما الان في طور الامبريالية الاقتصادية — لا تطمحان او لا تعملان منذ الان على الانتقال الى الامبريالية السياسية ؟ واخيرا ، الى اي حد يمكن الفصل ، جدليا وفي الواقع بين الاشكال الاقتصادية والسياسية والعسكرية والثقافية للامبرياليات الرأسمالية الراهنة ؟ انه يحصر دور الامبرياليات الرأسمالية بالامبريالية الاقتصادية ، منظرا ذلك بقوله : « ان المجتمعات الرأسمالية المتطورة تستفيد من تفوقها ( في نطاق او خارج نطاق خطة مدروسة ) — ( هل هذا صحيح اصلا او قابل للافتراض ؟ ) لاجل الحد من امكانات التقرير المستقل عند المجتمعات المتخلفة فيما يختص بالاقتصاد ؟ وان الدول الرأسمالية تستفيد من هذه الالية لتضغط ايضا على حرية التقرير السياسي في الدول المتخلفة » . اذن هناك امبريالية اقتصادية — سياسية معا ؟ والا فكيف يمكن فصل الارتهان الاقتصادي عن الارتهان السياسي والعسكري ؟

وينتقل الى الحديث عن « الامبرياليات الاشتراكية » قائلا انها « امبرياليات كامنة حاليا » ، ولكن أليس في هذا تضليل ؟ اذ كيف يمكن ان نضع امام الشعوب النامية، الامبريالية الاوروبية — الاميركية القائمة على نفس مستوى ما يسميه رودينسون « الامبرياليات الاشتراكية الكامنة حاليا » ؟ انه يلاحظ مثلا ان القوى الاشتراكية لا تعمل على اعاقة الاستقلال الاقتصادي للبلدان المتخلفة ، وذلك خلافا لما يجري مع البلدان الرأسمالية .

وبعد ، يتناول الامبريالية الاسرائيلية ، بقوله : « بما ان المقصود هنا هو البلدان العربية فلا بد من الاخذ بعين الاعتبار ، علاوة على ما تقدم ، امبريالية خاصة نوعيا ، تهدد هذه البلدان ، ألا وهي الامبريالية الاسرائيلية . ان القضية معقدة ودقيقة ، وتستوجب تدقيقات كثيرة ، من الواضح انه من الصعب أن نطالب بها الناس والمجتمعات الملتزمين مباشرة في المعركة . ومعالجة القضية موضوعيا تعرضنا لاتهامات شديدة من كل الاطراف، بعضها مستوحى من مشاعر حميدة بحد ذاتها . وبما انني قد انزلقت في السير على هذا الطريق ، فسوف أواصل سيري » ( ص ٥٠ ) .

وفي سياق تحليله وتحديده لظاهرة الامبريالية الاسرائيلية ، يقول : « انه لامر شرعي ان نعتبر ، مثلما برهنت على ذلك بالتفصيل في موضع آخر ، ان الانغراس الواسع لسكان من اليهود ، ثم تكوين دولة يهودية على الارض الفلسطينية ، بمثابة ظاهرة استعمارية تدخل في سياق توسع اوروبا الامبريالي ، مع تفاوت زمني معين . ان جماعة بشرية ، جماعة اليهود الصهاينة ، قد تكونت شيئا فشيئا في تشكيل أثني جديد ، له لغة عبرانية ، ومزود بقوة متعاظمة ، وحائز على حظوة الحماية البريطانية سنة ١٩١٧ . ولقد

استعمل هذه القوة ليلحق به قسما مـن سكان فلسطين الاصليين وليطرد الاخرين . واننا لا نرى من جهة ثانية كيف كان يمكن أن يتحقق بطريقة أخرى المشروع الصهيوني الموضوع بوضوح سنة ١٨٩٧ لاجل خلق دولة يهودية فوق ارض عربية . صحيح ان هذا التأصل له مزاياه النوعية ، وان المجموع اليهودي الذي كان الصهاينـة يختارون منه ، كان له من جهة ثانية وبوجه خاص مـا يعذره كثيرا على الاقل في ان يرى في خلق دولة يهودية علاجا للامراض التي كانت ترهقه . بقي ان هذه النتيجة قد تم الحصول عليهـا بفرض [ التشكيل اليهودي الصهيوني ] ارادته بالقوة على جماعة بشرية اخرى . وفي هذا بالذات تحديد مسيرة من الطراز الامبريالي ، حتى وان كان الامر لا يتعلق اطلاقا بقرار ماكيافيلي صادر عن كائن اسطوري يدعى امبريالية بوصفها عنصرا في خطة عالمية وضعتها هيئـة اركان سرية لاجـل اذلال الشعوب المحبة للحرية ، ولمص دمائها » .

ويضيف رودينسون : « كان بالامكان ايقاف التحليل عند هذا الحد ، لو ان السكان الجدد والدولـة الجديدة قد قبل بهما جيرانهم » ، ويورد مثال اوستراليا التي تكونت دولتها على مثال اسرائيل، ولكنه يسارع الى التنويه : « ولكن الامر ليس كذلك ، كما نعرف ، فيما يختص بدولة اسرائيل . فعلاوة على مسألة المسيرة الامبريالية التي ساعدت على تكوينها ، تثار مسألـة النزعات الامبريالية المحتملة لدى الدولة المكونة على هذا النمط . وانه لمن الملائم تحليل الامور بجدية اكثر مما هو حال البيانات الاخلاقية والدعائية او التمثلات الاسطورية المزدهرة التي تقـدم تفسيرات بسيطة لانهـام بسيطة » .

وينتقل رودينسون الى تحليل الامبريالية الاقتصادية والامبريالية السياسية بالنسبة الى اسرائيل ، متمسكا بمنهجه السابق الذكر . يقول : « على الصعيد الاقتصادي ، تتمتع دولة اسرائيل بتفوق ملحوظ على جيرانها . فكتلة الرساميل المستثمرة فيها ، والعدد المتزايد للمنتجين او المنظمين من ذوي الكفاءات الاكثر تقدما في العصر الصناعي ، تؤمن تفوقها على نحو حاسم في هذا المضمار . وكما سبق لنا القول آنفا ، فان هذا يؤمن لهـا امكانات توسع اقتصادي على حساب الاقتصاديات المجاورة والاقل نموا منها ، وبذلك تؤمن امكانات الحد من استقلال جيرانها في التقرير الاقتصادي .

ولقد سبق لامكانات التوسع الاقتصادي هذه ان تحققت ، بأحجام ضئيلة جدا ، في نطاق فلسطين تحت الانتداب البريطـاني ، لمصلحة المؤسسة اليهودية(اليشوف)في فلسطين التي كان بمستطاعها ان تبيع بسهولة منتوجاتها في لبنان وسورية وضفة الاردن الغربية الخ . ولقد توقف ذلك او كاد ، بعد انشاء دولة اسرائيل وقطع العلاقات بين هذه الدولة والبلدان المجاورة . الا ان هذا التوسع استمر على نحو شبه سري بواسطة التجار العرب المستفيدين في البلدان المجاورة ، وتطور بوجه خاص بعد حرب حزيران ١٩٦٧ بفضل الاجراءات التي تسهل مرور السلع على الحدود الجديدة التي توصلت اليها دولة اسرائيل . واذا قام السلام بين اسرائيل وجيرانها ، فمن الممكن بكل تأكيد ان يتطور هذا التوسع الاقتصادي بسهولة اعظم . والدول العربية يفترض فيها ، لكي تدافع عن نفسها ، ان تتخذ اجراءات حماية هامـة ، خاصة وان نمو الدول العربية الى نفس مستوى دولة اسرائيل ، هو الذي من شأنه ان يضمنها ضمانا نهائيا في مواجهة امكانات السيطرة الاقتصادية هذه . ومن المؤكد ، من جهة ثانية ، ان كل اجراء حماية قد يصطدم بمقاومة ربما تكون بالغة الفعالية من جانب القوى الضاغطة التجارية داخل الدول العربية ». ويدافع رودينسون عن فصل موضوعة الامبريالية الاقتصادية عن موضوعة الامبريالية السياسية ، اذ يقول : « خلافا لما تقول به الماركسية الدارجة عموما ، ولما يقول به القوميون غير الماركسيين الذين لهم مصلحة ايديولوجية في ذلك، فان امكانات التوسع الاقتصادي لا تؤدي بالضرورة الى توسع سياسي . فمن زاوية اقتصادية تماما ، قد يكون بمستطاع اسرائيل ان تعيش وان تزدهر جيدا دون ان تتوسع في الاراضي ، كما هو حال النرويج او سويسرا . ان توسع اسرائيل في الاراضي لم يكن سببه العوامـل الاقتصادية وانمـا العوامـل السياسية » . ويتابع رودينسون تعليله المنحرف ، بفصل العوامل الاقتصادية عن العوامل السياسية، وهو يدرك تماما انها عوامل مترابطة جدليا ، لا يمكن فهمها بمعزل عن بعضها بعضا ، وهو لا يجهل على الاقل بأن بنية الاقتصاد الاسرائيلي هي بنية عسكرية متطورة . ولكنه مع ذلك يواصـل تفسيره ـــ الخاطىء من حيث المنهج اصلا والذي أسماه بمنهج الماركسية المستقلة ـــ يقول : « لقد وجدت المشاريع التوسعية فقط في بعض القطاعات

وعند بعض الجماعات الاسرائيلية في بعض المراحل. وهي ، ككل مشروع سياسي ، كانت قابلة لان تتبع وان تحد وتوسع او تترك حسب الظروف . فليس هناك توسع بحد ذاته ، وانما هناك توسع بالنسبة الى حدود معطاة . وعلى سبيل المثال ، كان هناك أولا عند القائد الاعلى د. بن غوريون وجماعته سنة ١٩٤٨ ، قبول شبه مقهور بالحدود التي يرتئيها مشروع تقسيم هيئة الامم المتحدة . ثم كان هناك ، بمساعدة الحرب ، ارادة توسع فيما يتعدى هذه الحدود . غير ان ارادة فرض الاعتراف بالدولة الجديدة على الجيران العرب كانت تقريبا ارادة عامة تقريبا وثابتة » . فهل يتفضل الاستاذ رودينسون وهو يدرك الطبيعة الامبريالية العامة — السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية والدينية لاسرائيل — ان يوضح لنا مدى صحة فصله الامبريالية الاقتصادية عن الامبريالية السياسية ، بعد ان اوقع نفسه في التناقض الصريح ، عندما استعان بتحليل تاريخي عيني ؟ ان وحدة البنية الامبريالية لا تتجزأ ، فهي على الرغم من تشعبها ، متداخلة تماما ، وأي فصل بينها كأجزاء متفاعلة ومترابطة — تتباين اولويات ممارستها : ممارسة عسكرية سياسية ام ممارسة اقتصادية — انما يعني تزوير تحليلي لمعطى واضح علميا وواقعيا . أليست الامبريالية الاقتصادية هي عمل عنفي وهي مرتبطة جذريا وعمليا بتعبيرها الامبريالي السياسي والعسكري الخ ؟

يقول متابعا : « وكان العامل الاهم هو ان الاستراتيجية التي اختارتها الدوائر الحاكمة المهيمنة ، كانت استراتيجية تتضمن استخدام القوة العسكرية بالدرجة الاولى . وليس هنا المجال لمناقشة ما اذا كانت هذه الاستراتيجية هي الوحيدة الممكنة ، ولا المجال لمناقشة تقييم هذا الاختيار ولا هدفه اخلاقيا . ومن الواضح ، في كل الاحوال ، وحتى الان ، انه لم يترتب عليها هذا الاعتراف الكلي والكامل من قبل الدول العربية ، وانما ترتب عليها توسع في الاراضي بعد الديناميكية التي سارت بها هذه الاستراتيجية . وبهذا المعنى ، كانت هناك فعلا مسيرة امبريالية اسرائيلية . وهذا واضح بشكل خاص بعد مضي ٤ سنوات على حرب حزيران ١٩٦٧ ، اذ نرى ان الحكومة الاسرائيلية ترفض بوضوح الجلاء عن الاراضي المحتلة مقابل اعتراف الدول العربية بها». وبعد هذا المدخل الملتوي الى مشكلة الامبريالية الاسرائيلية العسكرية والسياسية ، ينتقل رودينسون فورا الى تبريرها،واللعب على معطيات المشكلة ذاتها : فهو من جهة يقول : « حقا يمكن القول ان هذا التوسع ناتج عن رفض الدول العربية، ومن ثم عن رفض الجماهير العربية الاعتراف بتكوين دولة جديدة » . ويقول من جهة ثانية « ولكن هذا الرفض ذاته ناجم عن الطبيعة الامبريالية لتكوين الدولة » . ومجددا يعود الى فكرة تبرير التوسع الاسرائيلي — اذا كنا قد أحسنا فهم الكاتب — حينما يقول :

« ان القول بأن دولة اسرائيل قد توسعت لانها كانت ذات طبيعة توسعية ، انما يقودنا الى معضلة اطباء موليير » . كيف ؟ هنا يوضح الكاتب رؤيته ويكشف موقفه السياسي : « اذا استمرت الدول العربية في رفض الاعتراف باسرائيل ، اللهم اذا لم تنسحب اسرائيل من أراض لا يمكنها الانسحاب منها ، واذا استمرت اسرائيل من جهة ثانية في رفضها التفاوض حول الاراضي مقابل السلام ، فمن الواضح ان حالة الحرب ، الخفية على الاقل ، سوف تستمر . وفي هذا الوضع ، تجد الحكومة الاسرائيلية نفسها معرضة باستمرار لاغراء احتلال أراض أخرى ، وربما ان مزالق الصراعات المقبلة ستدفعها قدما بشدة . وكل شيء سيتوقف على الحساب الاستراتيجي للقادة الاسرائيليين الذين سيوازنون بين الفوائد والعوائق التي ستواجههم من جراء ضم اراض جديدة » . ألا يعني هذا ان رودينسون بات يعتبر ان رفض العرب الاعتراف باسرائيل — التي يعتبرها هو نفسه دولة امبريالية — هو السبب الراهن لعدوانية اسرائيل ولاحتلالها اراض عربية بالقوة وامكان اقدامها الان او غدا على احتلال جديد؟ هذا واضح بلا شك ، وهو من صلب منطقه . ولكنه ، مع الاسف الشديد يتهم العرب بأنهم يسيئون فهم مشكلة صراعهم مع اسرائيل عندما يؤكدون على خطرها الراهن والمقبل ، ويخرجون بنتيجة واحدة هي ان مكافحة هذه الامبريالية وحلفائها ، وتحرير فلسطين المحتلة هو السبيل الوحيد لاستقلال فلسطين وعودة الشعب العربي الفلسطيني اليها. فما هو رأي الاستاذ رودينسون ؟

يقول « هناك ايضا وضع آخر يمكن ويجب توقعه . فلنفترض ان سلاما قد حل بين اسرائيل ( المتوسعة نسبيا ) وبين الدول العربية المجاورة ، الداخلة معها في معركة فعلية ، فانه من غير المحتمل ان

تتوقف مطالبة الفلسطينيين بسبب هذا الواقع . والحق انه ليس من المستحيل ان تتصاعد هذه المطالبة وان تتمكن من التوصل الى صدام عسكري . ولا يجوز ان ننسى ان كل صدام عسكري للفلسطينيين وحدهم مع اسرائيل هو صدام صعب، لكونهم لا يستطيعون الانطلاق الا من قواعد واقعة في البلدان المجاورة ، ولانه اذا كان هناك سلام فعلي ، فان اسرائيل يمكنها بكل وضوح مطالبة الدول المجاورة بعدم تقديم قواعد كهذه . وربما تستطيع الحركة ان يكون لها قاعدة داخلية في الاراضي الواقعة تحت سيطرة اسرائيل . ولكن في الحالة التي رسمت خطوطها الكبرى ، حالة قيام انتفاضة خطيرة فعلا على اسرائيل ومتطورة داخل حدودها ، فان اسرائيل تملك سلاحا يبدو انه لا مرد له : انه امكان طرد كل او على الاقل اكثرية السكان العرب » .

بعد هذا الغوص في التصورات ، والابتعاد عن رؤية الواقع الصدامي بين العرب والاسرائيليين ، يقفز رودينسون الى نقد التصور العربي واليساري عن الامبريالية الاسرائيلية ، واصفا اياه بأنه « تصور اسطوري للامبريالية » . ولكن ما هو مستنده فيما يقول ؟ « انه استعمال الامبريالية بدلا من استعمال تعابير واضحة مثل الحكومة الاميركية ، الاقتصاد الاميركي ، الاقتصاد الرأسمالي ، الحلف الاطلسي الخ » . فهل اطلع الاستاذ رودينسون على الادبيات العربية واليسارية حتى يصدر مثل هذا الحكم المبتسر ؟ وما هي المواقف — الاهداف التي يريد بلوغها ؟

يقول « اذن يمكن الاعتبار بتحفظ ان البلدان العربية خاضعة لتهديد امبريالية اقتصادية اسرائيلية في حالة السلام ، ولتهديد امبريالية اسرائيلية سياسية في حالة استمرار الوضع الحربي . انهم يستطيعون الخلاص من الامبريالية السياسية اذ يعقدون السلام وفقا لشروط اسرائيل ، اي بقبولهم الاستسلام لنتائج امبريالية سياسية سابقة ، والا فان استمرار حالة الحرب يفرض عليهم في آن واحد خطر توسع مقبل اكثر عمقا وضرورة تكريس جزء هام جدا من مواردهم للجيش، وهذا يضغط ضغطا واضحا على امكاناتهم الانمائية أي على استقلالية تقريرهم الاقتصادي . وفي حالة السلم ، سواء قبلوا الشروط الاسرائيلية الراهنة ام اعتدلت هذه الشروط واصبحت مقبولة من جانبهم في المستقبل ، فان الدفاع ضد الامبريالية الاقتصادية الاسرائيلية قد يكون بكل وضوح اكثر سهولة بكثير ، ولربما سينحصر في بعض تدابير الحماية » . وهذا يعني بكل بساطة : استسلموا لاسرائيل سياسيا حتى تسلموا اقتصاديا . ولكن هل لهذا الكلام من معنى ؟ ان سبب كل هذا التناقض في منطق رودينسون يعود الى فصله الاعتباطي ما بين الاقتصادي والسياسي ، وهذا منطق غير ماركسي وغير يساري على الاطلاق . ولكن رودينسون يستمر في استعراض جميع الاحتمالات الممكنة ، وهنا لا يستبعد حالة الانتصار الشامل للعرب على اسرائيل ولكنه سرعان ما يستدرك : « الا انه يبدو ان افقا كهذا ليس له ادنى حظ في ان يتحقق في مدى من الزمن يدخل في توقعاتنا وحساباتنا . اذن لن نأخذه بعين الاعتبار هنا » . ويعود الى احتمال آخر : تبدل البنى الداخلية لدولة اسرائيل ، بحيث يصل الى الحكم فيها جماعة تطبق « استراتيجية سلمية » . وماذا يعني بذلك ؟ « يعني بذلك استراتيجية سياسية ترمي الى تحقيق هدف اسرائيل الاول ، وهو اعتراف الدولة المجاورة بها ، كتشكيل شرعي ، بواسطة اساليب تستبعد الحرب وضغط القوة العسكرية كأسلحة رئيسية. ومن دلائل هذا التوجه مثلا التفاوض على اساس الانسحاب من الاراضي المحتلة في حزيران ١٩٦٧ مقابل الاعتراف بها...». وهذا يعني ان رودينسون لا يرى حلا آخر لمشكلة فلسطين سوى الحل الاسرائيلي ، وانه يستبعد كليا آفاق الحل العربي والفلسطيني . ويعتمد في موقفه هذا على ما يسميه « ازالة صهيونية اسرائيل» (désionization d'Israël). ولكن هل من المحتمل ان تخرج اسرائيل من صهيونيتها ؟ وهل يفترض بالعرب عامة ، والفلسطينيين خاصة ان ينتظروا حدوث مثل هذا الخروج ، مثلما كان اليساريون الفرنسيون ذوو الاستعلاء على نضال الشعب الجزائري يطلبون منه انتظار معجزة يسار المتروبول ؟ أليس كفاح العرب والشعب الفلسطيني ضد الصهيونية هو الذي يزيل صهيونية اسرائيل بالتحديد ؟

**٢ — استشهادات أخرى عن القضية الفلسطينية:**
ان ما عرضناه حتى الان ، ربما يشكل صلب الرؤية السياسية عند رودينسون فيما يختص بعلاقة فلسطين بالاستقلال العربي ، وبوحدة العرب التي يعتبرها « احتمالا من بين عدة احتمالات » وهي

« ليست ضرورة » . ولكن رودينسون يورد في كتابه استشهادات اخرى عن القضية الفلسطينية، موزعة على النحو التالي :

أ — يتناول رودينسون ( ص ٢٣٦ ) موضوع « الاسلام عامل سياسي في مصر بعد عبد الناصر ؟»، فيقول : « ان اتخاذ المواقف من الصراع الاسرائيلي — العربي يلعب دورا كبيرا . ويعتبر البعض انهم يستطيعون وصف الدول العربية بأنها ثيوقراطية في مجملها ، معتقدين انهم بذلك ينالون من صوابية مآخذ العرب على اسرائيل ، اذ يضيفون هذه التهمة الى التهم الاخرى التي يصفون بها هذه الدول . انه مسار مشكوك بأمره، من حيث المنطق السليم ، فضلا عن كون العرب الاكثر نضالا ضد اسرائيل هم بكل وضوح أولئك الذين ينددون بهذه المثالب تنديدا أكثر صرامة من سواهم » .

ب — يتحدث ( ص ٢٥٨ ) عن هوية اعداء التطلعات القومية العربية المعادية للفاشية ، ويحصرها بما يلي : بريطانيا العظمى ، فرنسا ، اليهود ( في مرحلة صعود الفاشية في الحرب العالمية الثانية ).

ج — في الحرب العالمية الاولى نالت « الجاليات اليهودية الصغيرة في فلسطين حقوقا خاصة » ( ص ٣٤٨ ) . ويقول الكاتب ( ص ٣٢٠ ): « ومنذ عام ١٩٢٠ ، تعزز الوسط اليهودي في فلسطين ، مع عناصره العمالية ذات النزعة الاشتراكية ، والقادمة من اوروبا الشرقية . وكان هذا الوسط يقدم تربة خصبة لنمو الحركات الاشتراكية والنقابية ، المبتعدة في معظمها عن الشيوعية بسبب مواقف البلاشفة المعادية للصهيونية » . ويضيف ( ص ٣٥٢ ) : « ان الحركة [الشيوعية] بادىء الامر لم تكن تملك الا عند يهود فلسطين نواة من المناضلين الحسني التكوين وفقا للقواعد الجديدة ، وتعيش في البلد نفسه . ولكن اولئك المناضلين لم يكونوا فعالين بوجه خاص على اثر التناقض الداخلي بين معارضتهم المبدئية للصهيونية وبين انتمائهم الى مجتمع خلقته الصهيونية وحافظت عليه . وكان الكومنترن قد أوصاهم بـ « تعريب » الحزب [ الشيوعي الفلسطيني ] ، الامر الذي أدى الى مصاعب وتمزقات وانشقاقات وعدم انضباط واستقالات » . ويتابع ( ص ٣٥٣ ) : « ان اشتراكية الاممية الثانية لم تكن جذابة للجماهير الشرقية الا قليلا ، ما عدا يهود فلسطين ... » . ويقول ( ص ٣٥٥ ) : « وفي فلسطين فقط ، سهلت العوامل العالمية بعض التسهيل مهمة الشيوعيين في مواجهة القضايا البالغة الخطورة التي كان يثيرها اتجاه الجماعة اليهودية نحو تكوين دولة يهودية، تدينها ايديولوجية الحركة [ الشيوعية ] » .

د — يستعرض (ص ٣٥٦ ) اثر موقف الاتحاد السوفياتي سنة ١٩٤٧ على الاحزاب الشيوعية العربية فيقول : « أدى موقف الاتحاد السوفياتي سنة ١٩٤٧ ، من تقسيم فلسطين ، اذن من خلق دولة اسرائيل الى التقليل من اعتبار الاحزاب الشيوعية في البلدان العربية ، تلك الاحزاب التي كانت تبرر التطور السوفياتي على مضض ... وفي المقابل استطاع اليهود الفلسطينيون اخيرا ان يتخذوا موقفا اكثر ترابطا مع موقف شعبهم . فظهروا وطنيين ومتطرفين في حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ » . « وفي العالم العربي ، ادت حرب فلسطين الى الفقدان النهائي لكل ثقة ممنوحة للاجهزة الحاكمة ، والى توطيد حاسم للاتجاهات الثورية . وسوف تطبع هذه الموجة الثورية الجديدة بتأثير حاسم للافكار الماركسية ، في حين ان الشيوعيين ، عموما ، ما عادوا يلعبون فيها سوى دور ثانوي نسبيا . ففي غضون الحقبة السابقة ، اخترقت الافكار الماركسية مجمل المجتمعات الشرقية » .

هـ — يتناول الكاتب دور الفلسطينيين في الاردن فيقول ( ص ٣٦٠ ) : « وفي الاردن لم يتمكن النظام المحافظ والموالي للغرب من منع القوى الاشتراكية من الاضطلاع بدور هام في سياسته الداخلية . والفلسطينيون منشغلون بشكل رئيسي بكفاحهم ضد اسرائيل ، ذلك الكفاح الذي ازداد استقلالا ووحدة بعد عام ١٩٦٥ . ولكنهم غالبا ما يتأثرون بالماركسية ، والعوامل الخارجية تدفعهم نحو البحث عن الدعم الصيني » ويوضح في هامش الصفحة ( ٣٦٠ ) : بعد كتابة هذه الاسطر ، تكاثرت التحليلات ذات النمط الماركسي في اليسار الفلسطيني .

و — في الصفحة ( ٣٦١ ) ، يتناول رودينسون نوع النظام السياسي في اسرائيل ، قائلا : « وفي اسرائيل كان التطور مختلفا تماما . ففي الحكم حزب اشتراكي ( في حكومات ائتلافية ) بدون انقطاع منذ قيام الدولة . ولكن المقصود بذلك

اشتراكية بالغة الاندفاع للدفاع عن مصـــالح الاجراء في نطاق اتفاق مع المنشأة الحرة ، ومع ابقاء النظام البرلماني ، كما في بريطانيا العظمى والسويد . يضاف الى ذلك ان هذا الدفاع مرتبط تماما بالمصلحة القومية . كذلك هو الحال في بعض البلدان العربية ولكن المصلحة القومية تدفع العرب لمكافحة الانـدراج في العـالم الراسمالي الصناعي الذي يهدد استقلالية تقريرهم ، في حين ان اسرائيل تبحث بشكل واضح عن دعم سياسي في هذا العالم الذي تربطها به اواصر وطيدة ، والذي تساهم فيه الى حد معين . ويحاول الاشتراكيـــون المعارضون ( وحزب المابام في مقدمتهم ) ان يوفقوا المصلحة القومية مع اتجاه اكثر ثورية نحو تمشرك أعمق في الاقتصاد ونحو الارتباط مع الدول التي تحقق فيها هذا التمشرك (Socialisation) وكذلك مـع الحركـات الثوريـة العـالمية . وعمليـا لقد ضحوا في الفترات الحاسمة بهذا الاتجاه في سبيل المصلحة القومية ، وكذلك فعل معـظم الشيوعيين اليهود سنة ١٩٦٥ . وهناك أقلية ضئيلة من اليهود اتحدت مع العرب في اسرائيل للبحث عن سبيل آخر ، الامر الذي يمكنه ان يؤدي الى رفض الاساس الصهيوني لدولة ذات سيطرة يهودية تضمنها اجراءات عضوية » . ويضيف الكاتب ما يلي في هامش الصفحة ( ٣٦١ ) : « هنا ايضا سأكتفي بالاشارة الى كتابي « اسرائيل والرفض العربي » والى المراجع التي يذكرها . فمنذ ذلك الحين ، تطورت حركـة رفض عنيفـة في اوساط الشبان من الفئات اليهودية المحرومة ، المنحدرة من العالم الثالث ( فهود سود او بيض ). وهذه الحركة لا تدين اطلاقا السمة القوميـة للدولة . وترفض الجماعة التروتسكية الصغيرة ( متسبن : المنظمة الاشـتراكية الاسرائيليـة ) الموضوعـات الاساسية التي تقوم عليها الدولة الصهيونية ، ويمكن لآرائها ان تبدو احيانا ذات صلة بآراء الحركات الفلسطينية ، ولكن مـع فارق هو أن متسبين ، خلافا للفلسطينيين ، تقبل بواقع التكوين الجديد الاثني الاسرائيلي — اليهودي ( وليس جماعة دينية يهودية ) ، ذي الحق في في بنية سياسية مستقلة ، غير واضحة من حيث طبيعتها . وان انشقاقات جديدة ( شملت بضعة أفراد ) قد سلخت من متسبين بعض التروتسكيين « اللمبرتيين » الذين يتهمونها بالانحياز غير الكافي الى المفهوم الماركسي اللينيني الوغمائي للحزب الطبقي ، وبعض ( الماويين ! ) ، القريبين من موضوعات الجبهة الشعبية الديموقراطية لتحرير فلسطين ، الذين يندون بأفكار متسبين عن فلسطين المقبلة ، القائمة على اساس نظام خاص بالشعب الاسرائيلي — اليهودي .

ز — يشدد رودينسون على «ان الرفض الاسرائيلي لاتفاق مشرف ، تقبل به الدول العربية ، قـد أسهم بقوة في تطور العالم العربي نحو اليمين ، واضعا في رأس اهتماماته الراهنة هدفا قوميـا جوهريا ، مهما قال في ذلك السفسطائيون : انه هدف الكفاح ضد اسرائيل » . ويشير ، من جهة ثانية الى ان اليساريين العرب وجهوا انتقادا شديدا للاحزاب الشيوعية العربية التي كانت ، في العشرينات ، على صلة بالحزب الشـيوعي الفلسطيني ، ويوضح ان الشيوعيين اليهـود المقصودين ، بهذه الصلة ، كانوا من ألد اعداء الصهيونية ، وكانت قرارات الكومنترن توجههم أكثر فأكثر في هذا الاتجاه : « صحيح ان اولئك الذين كان يفترض بهم ، في البداية ، ان يتجهوا نحو الشيوعية ، كانوا قد قدموا الى فلسطين في اطار الايديولوجيا الغامضة للصهيونيـــة المتمركسة ، اي جاءوا بفكرة « تجدد » يهودي يمكن حدوثه في فلسطين بدون الاساءة للعرب بل وبالتعاون معهم . وسرعان ما سقطت هـذه الاوهام بعد الاحتكاك بالواقع ، وايضا تحت تأثير توجيهات الكومنترن المعادية للصهيونية ، فانفصل عن الشيوعية اولئك الذين كانت الايديولوجيـا الصهيونية أشد وطأة عليهم ، والذين ظلوا في الحزب الشيوعي الفلسطيني كانوا يتميزون بعداء شديد للصهيونية ، فوجهت اليهم اكثرية متحدهم القومي الآخذ في التكون ، اتهامات الخيانة مرارا وتكرارا . ولا بد من التشديد على ان الاوهـام عند العرب كانت في تلك المرحلة بالغة التعـدد مثلما هو الحال عند اليهود ، وان القيـادة « الاقطاعية » للحركة القومية العربية واتجاهاتها غالبا ما كانت تصب على شعارات عنصريـة ودينية ، قلما كانت تحرك التقدميين من اليهود وغير اليهود ، ليمنحوا العرب ثقتهم العمياء » ( ص ٤٢٣ — ٤٢٥ ) .

ح — ويضيف رودينسون ، في معرض حديثه عن « الاحزاب الشيوعية في مصر وسوريـة » ان الاوساط اليسارية كانت تحت تأثير قوة خـارقة

من الدعايات المتعددة المصادر والمعادية للعرب ؛ ومنها : الصور المشوهة السائدة في الادبيات الاستعمارية ايام العصر الذهبي للامبراطورية الفرنسية ، وفي الادبيات التقليدية للارساليات ، وكذلك روايات التجسس والدعاية الاسرائيلية ( ص ٤٢٧ ) .

ط — لا يتناول رودينسون مباشرة وبالتفصيل مسألة « الحزب الشيوعي الفلسطيني » ، وانما يشير في هامش الصفحة ( ٤٢٩ ) الى ما يلي : « سنجد ، حول الحركة الشيوعية في فلسطين الواقعة تحت الانتداب ، معطيات هامة ومعاشة ، في كتاب بالعبرية للقائد السابق جوزيف برجيه ( الذي صار اسمه بارزيلاي ) . وفي هذا الكتاب يتحدث برجيه عن محادثات طويلة اجراها في اذار عام ١٩٢٩ مع ستالين ، بحيث جرى بحضوره لاول مرة ( وربما لآخر مرة ) درس مشكلة الصهيونية الفلسطينية وعلاقاتها مع الحركة القومية العربية . وكان الخط المقرر هو تعريب الحزب [ الشيوعي الفلسطيني ] والكفاح ضد القيادة الرجعية للحركة القومية العربية . وأرسل مندوب ، هو التشيكوسلوفاكي ب. سميرال الذي الذي كان من واجبه ان يدرس الوضع وان يتخذ قرارات . ولقد انقطع الاجتماع السري للقادة [ قادة الحزب ] مع المندوب ( الاجتماع الذي عقد في قرية بيت صفافا على بعد ٨ كيلومترات من القدس ) ، بسبب الحركات العربية الخطرة المعادية لليهود والتي انفجرت في آب ١٩٢٩ » . والجدير بالذكر ان كتاب برجيه قد صدر في تل ابيب سنة ١٩٦٨ — بعنوان :

(Y. Y. Berger Barzilay: hat - trâgédyâh shèl ha - mahpékhâh ha - sôvyètit, Tel Aviv, 'Am 'ôvéd, 1968).

ط — وفي سياق تناوله لموضوع « التطور نحو الحياد ودور الشيوعيين في سورية » يشير الى علاقة حلف بغداد باسرائيل . يقول : « كان حلف بغداد هو قطرة الماء التي جعلت الاناء ينضح ، أي انه كان محاولة خاطئة ترمي الى اعطاء تركيا مكانة هامة في الشرق الاوسط . وهذا الامر اثار كثيرا من المخاوف عند العرب الذين كانوا ، منذ وقت غير بعيد ، تحت السيطرة التركية ... ان تركيا ذات الماضي العلماني الحديث ، والحليفة لاسرائيل ، لم تكن لتثير سوى الحذر في اوساط الجماهير الدينية والوطنية » ( ص ٤٣٤ — ٤٣٥ ).

ي — اما فلسطين قوميا ، فيشير رودينسون اليها في معرض حديثه العام عن « الماركسية والقومية العربية » ، وبشكل خاص صفحة (٤٦٢ — ٤٦٦) حيث يتحدث عن « الايديولوجيا الجديدة » عند العرب :

— لقد تميزت سياسيا مرحلة ما بين الحربين في الشرق الاوسط بنوع من التواطؤ بين بريطانيا العظمى والسلالة الهاشمية ( عائلة الشريف حسين ) ، فترك قسم للفرنسيين ( سورية ولبنان ) وأعطي قسم للصهاينة (بؤرة يهودية في فلسطين).

— والعرب بدلا من ان يتوحدوا ، كان الانقسام بين صفوفهم في درجته القصوى ، في حين كان جزء من فلسطين يعطى للمهاجرين الاجانب ، للصهاينة الذين لا يخفون نيتهم في انشاء دولة خاصة بهم ، وهكذا لعبت جبهة الاعداء دورا كبيرا : وهذه الجبهة كانت تضم الامبريالية الانكلو — فرنسية واليهود ، بينما لم يكن العرب — باستثناء العنصرية السورية التي نادى بها انطون سعاده — عنصريين لا ايديولوجيا ولا سياسيا .

— في ايار ١٩٣٩ ، كان « الكتاب الابيض » في فلسطين يرمي الى الحيلولة ( كذا ) دون تحول الجالية الصهيونية الى دولة ذات اكثرية يهودية... وفي حرب فلسطين سنة ٤٧ — ١٩٤٨ كان البريطانيون يدعمون العرب بشكل شبه سري ( كذا ) . وكان النشاط المعادي للامبريالية الفرنسية واسرائيل يعبىء الشعور القومي العربي الى أبعد حد . من جهة ثانية كانت قوى حلف الاطلسي ترمي الى ادخال الدول العربية في تحالف عسكري معاد للسوفيات ، وفي الحقيقة لم يكن العرب ضد السوفيات ، ولم يكونوا يعتبرون الشيوعية خطرا عليهم ، وانما كانوا حذرين من القوى الغربية وانصارها في الارستقراطية العربية ، ومن العناصر الغربية التي كانوا يريدون ان تتحالف الدول العربية معها ، والتي كان يعطى لها دور قيادي في الشرق الاوسط ، وهذه العناصر الغربية هي : تركيا واسرائيل . وهذا كله عزز عند العرب فكرتي الوحدة والاستقلال المترابطتين بالتوق الى التقدم الاقتصادي والاجتماعي .

— وفي بداية عام ١٩٥٥ ، جاء حلف بغداد (بريطانيا العظمى ، تركيا ، العراق ، ايران ، الباكستان ) ليستفز الشعور القومي العربي مرة اخرى .

س — يعود رودينسون ، ثانية ، الى العشرينات، مشيرا الى نداء الاممية الصادر في تموز ١٩٢٠ ، والموجه الى شعوب الشرق الاوسط ، والذي يدعو ايضا لانعقاد مؤتمر باكو . وهذا النداء خصص في توجهه فلاحي بلاد ما بين النهرين والجزيرة العربية ومصر وفلسطين . ونورد منه :

« اننا ندعوكم الان لشن اول حرب مقدسة صحيحة تحت الراية الحمراء للاممية الشيوعية ... ».

« انهضوا جميعا نهضة رجل واحد لشن حرب مقدسة ضد الغزاة الانكليز ... ».

« هبوا ، ايها العرب والافغان ، الضائعين في الصحارى الرملية والمنقطعين عن العالم بأسره ، بسبب الانكليز ... » .

« انها لحرب مقدسة لاجل تحرير شعوب الشرق ، حتى لا تعود البشرية منقسمة الى مضطهِدين ( بكسر الهاء ) ومضطهَدين ( بفتح الهاء ) ، ولاجل المساواة التامة بين جميع الشعوب والقبائل ، مهما كانت اللغة التي تتكلمها ، ومهما كان لون جلدها ، والدين الذي تؤمن به ... » .

هذا ولم يلق هذا النداء صدى في العالم الاسلامي الا حيث كانت تتوفر امكانات الكفاح الوطني . ولم تؤسس احزاب شيوعية او تنظيمات مماثلة الا في الحلقات الاجنبية داخل البلدان العربية ، في مصر وفلسطين . ويوضح ( ص ٤٧٩ ) : « كانت الحركة الشيوعية في فلسطين ، محصورة بجماعات يهودية صغيرة ، كان موقفها المعادي للصهيونية ، في وسط صهيوني او « متصهين » على الاقل ، موقفا عاجزا بالقوة ومن حيث التحديد .

ع — وفي سياق بحثه عن « الثورة البروليتارية والوفاء للاتحاد السوفياتي » ينقل رودينسون ( ص ٤٨٤ ) النص التالي من مقررات الحزبين الشيوعيين السوري والفلسطيني سنة ١٩٣١ : « ان الكفاح لاجل الاستقلال الوطني والتوحيد الوطني للشعوب العربية على اساس السيادة الشعبية يرتبط ، في سورية وفلسطين ومصر ، بالكفاح لاجل ثورة زراعية فلاحية موجهة ضد النهابين الامبرياليين وعملائهم الصهاينة في فلسطين، وكذلك ضد الملاكين العقاريين الاقطاعيين المحليين». ويوضح الحزب الشيوعي الفلسطيني في قرار اتخذه مؤتمره المنعقد سنة ١٩٣١ : « ان الحزب الشيوعي يعتبر ان الحل الوحيد للقضية الفلاحية يكمن في كفاح ثوري انتفاضي للفئة الرئيسية من الجماهير الفلاحية بقيادة الطبقة العاملة التي يوجهها حزبها الشيوعي ضد الامبرياليين والصهاينة والملاكين العقاريين العرب » .

وهذا يعني انه بدأت تظهر في الحزب الشيوعي الفلسطيني والسوري ، علاقات بين المطلب القومي والمسيرة نحو الاشتراكية . ولكن ضعف هذه المجموعات في تلك الفترة لم يؤد الى شيء آخر سوى ان هذا النوع من العلاقات بين النضال القومي التحرري والنضال الاشتراكي كان بذرة لتطور مقبل ( ص ٤٩٩ ) . اذن كانت مهمة الماركسيين ان يؤسسوا قومية اشتراكية ، معادية للامبريالية وللرأسمالية ( ص ٥١٥ ) .

ف — يشير رودينسون ( ص ٥٢٠ ) الى « ان الفكرة التي اقترحتها « الحركة السامية » الاسرائيلية [ التي يتزعمها اوري افنيري ] ، والقائلة باتحاد دول آسيا الغربية وافريقيا الشمالية ، تبدو بوجه خاص ، كفيلة بالتوفيق بين العوامل التي يجدر اخذها بعين الاعتبار [ مهما كان التفكير في مصدرها ] » .

ص — عن فلسطين ونجيب عازوري ، يقول رودينسون ( ص ٥٩١ — ٥٩٢ ) : « ان افكار الكواكبي قد تناولها وطورها المسيحي السوري — الفلسطيني نجيب عازوري ( المتوفى سنة ١٩٣٦ )، الذي أسس في باريس ( مع يوجين يونغ الموظف الفرنسي الكبير ) « رابطة الوطن العربي » ، ونشر كتابا بعنوان « يقظة الامة العربية في آسيا التركية » ( باريس ، منشورات بلون ، ١٩٠٥ )، وانشأ مجلة « الاستقلال العربي » ( باريس ١٩٠٧ — ١٩٠٨ ) . وكان اول من نادى بامبراطورية عربية مستقلة . ولكن انتماءه الى اقلية ، وواقع ان دعايته قد نشرت بالفرنسية فقط ، وعلاقاته المحتملة مع السياسة الفرنسية الاستعمارية ، قد اساءت كثيرا لتقبل افكاره » .

ق — يعود في الصفحة ( ٥٩٣ ) الى الحديث عن تآمر بريطانيا العظمى على فلسطين بعد فصلها عن سورية ، وفتح ابوابها امام الاستعمار اليهودي ، تنفيذا لوعد بلفور الصادر في ٢ نوفمبر ١٩١٧ ، وللاتفاقية السرية المعقودة سنة ١٩١٦ بين سايكس وبيكو .

ويتناول في الصفحة (٥٩٤) تناولا سريعا حركات التمرد الكبرى في البلدان العربية بعد الحرب

العالمية الاولى ، فيذكر : انتفاضة مصر سنة ١٩١٩ ، انتفاضات فلسطين سنة ١٩٢٠ ، الانتفاضة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠ . ويقول ان حركات التحرر العربية الفعلية كانت قليلة ومرتبطة في أغلب الاحيان بظروف محلية: الانتفاضة السورية ( ١٩٢٥ — ١٩٢٧ ) ، حركة رشيد عالي الكيلاني في العراق (نيسان — ايار ١٩٤١) ، التي يجب ان تضاف اليها انتفاضة عبد الكريم البعيدة في المغرب ( ١٩٢١ — ١٩٢٦ ) . ولكن استياء الشعوب قد تجسد في حركة متواصلة من الاضرابات والتظاهرات والانتفاضات الصغيرة ، التي كانت بالطبع تشدد من اعمال القمع ضدها . هذا ولم يتوصل العرب الى صياغة سياسة مشتركة ، فكانوا يتفقون على صعيد الدعاية ويختلفون على صعيد العمل الملموس . وفي سنة ١٩٤٨ مني العرب بهزيمة اليمة سددتها لهم دولة اسرائيل الجديدة ، وهم متفرقون وعلى رأسهم قيادات فاسدة ، الامر الذي زاد من حدة حرمان العرب وآلامهم (ص ٥٩٥ — ٥٩٦ ) . ويشير رودينسون الى ان الشعور القومي العربي قد ازداد تعمقا بعد حرب السويس سنة ١٩٥٦ .

واخيرا لا بد من ملاحظة ختامية وهي ان الاستاذ مكسيم رودينسون لم يدخل حركة مقاومة الشعب الفلسطيني منذ ١٩١٩ حتى الان في سياق تحليله، وهذا نقص فادح في كتاب يتناول الموضوع العربي والاسلامي من كافة جوانبه . بقي ان تناقش معطيات هذا الكتاب وان تقيم بالتفصيل ، لان الحوار من زاوية علمية وملتزمة ، من شأنه ان يغني تجربتنا الفكرية والثورية .

**الدكتور خليل احمد خليل**

## توفيق فياض ، **الشارع الاصفر**
## ( دار العودة ، بيروت )

في مجموعة توفيق فياض القصصية « الشارع الاصفر » يتكوم الانسان الفلسطيني تكوما جريحا حول ارضه . يدخل في جسدها مداويا قروحها ، ومتشبثا بها بنضالية ثورية مليئة بالعنف والتحدي. انه لا يجد نقطة ارتكازه خارج الارض.فهي المنطلق والهدف في آن . واذا كان الشعر الفلسطيني المعاصر ، لا سيما شعر الارض المحتلة ، يتكون حول الارض ، ويرسم اطاراته في حدود علاقة الانسان بها ، فان هم توفيق فياض هو تحويل الانسان الى جزء من هذه الارض وتحويل الارض الى امتداد للانسان . فالحدود تتساقط . وهاجس المقاومة ينصب على التشبث بالبقاء داخل الارض المحتلة بالرغم من سوداوية الافق ، وصعوبة فتح كوى في داخله من أجل الوصول الى الشمس والحرية .

لقد استطاعت القصة الفلسطينية ، ان تكتشف ارضها الفنية والفكرية الخاصة بها . وهي بذلك تشكل مساهمة جادة في اغناء الادب العربي المعاصر بالكثير من الابعاد التي تميز علاقة الانسان الفلسطيني بأرضه فلقد استطاع غسان كنفاني ان يصل الى رصد علاقة الانسان بالموت ، عبر تحويله للموت من مجرد حدث فردي او جماعي ، الى فعل تاريخي تتحدد اطرافه عبر علاقة الانسان بالارض وعبر ممارسته النضالية ومسيرته نحو هذه الارض . كذلك استطاع اميل حبيبي ان يكشف علاقة الفلسطيني بوطنه ، عبر اكتشافه للعلاقات الانسانية الحميمة ، لليوميات والجزئيات التي تندرج في كل نضالي يرفع صوت الصمود والقتال ويمجد الانسان . ويأتي صوت توفيق فياض . انه صوت يكتشف تقنية العمل الابداعي من خلال العملية الفنية نفسها ، ويكتشف الانسان من خلال اطار القمع ورد الفعل تجاه القمع حيث يصير الانسان ، نشيدا قرويا ينحدر في السهول ويصعد الجبال ، حاملا علامة فلسطينيته في جراحه وفي اصراره على الصمود .

تتمحور مجموعة الشارع الاصفر حول ثلاثة محاور:

١ — القمع الاسرائيلي ونقاط تمفصل المقاومة الشعبية .

٢ — الارض وعلاقة الانسان بها .

٣ — البعد الانساني للفعل التاريخي .

هذه المحاور الثلاثة تندمج داخل العمل الفني . وتأخذ لنفسها اطارا واحدا هو الارض الفلسطينية وضرورة البقاء فيها .

**١ — القمع الاسرائيلي ونقاط تمفصل المقاومة الشعبية :**

لعل قصة « الشارع الاصفر » وهي اولى قصص المجموعة تشكل وثيقة اتهام كاملة لاشكال القمع الوحشي الذي يمارس ضد عرب الارض المحتلة . وتوفيق فياض يضع نفسه في حيفا « في الغيتو العربي في حيفا » حيث يصل القمع الى درجة جنونية . فالشرطة التي تعتقل امين سعد في تظاهرة « نظمها شلة من الزعران العرب » تمارس معه أبشع انواع التنكيل والبطش والارهاب . الانسان يتحول الى خرقة تتكوم في بئر عميقة لا يصلها شيء بالحياة . والسلطة تقمعه في حياته الشخصية عبر الضغط المادي على خطيبته وداد كي تتركه . ان ثقل الموضوع كله ينصب على ناحيتين : من **جهة اولى** هناك الوجهاء العرب في حيفا الذين باعوه وباعوا أنفسهم للمحتل . ومن **جهة اخرى** هناك ضراوة القمع الذي يتعرض له المناضل في الارض المحتلة. وفياض حين يحاول تصوير الجانب الاول من الموضوع فان بطله امين سعد يكتفي بالتقيؤ على المارة من شرفة منزله ، او هو يقوم باشعال النار حيث يرقص وجهاء العرب ليلة رأس السنة . اما حين تتعرض ريشته للجانب الثاني من الموضوع ، فان عنف القمع يصل به الى وصفه بشكل سوريالي « قبل لحظات معدودة فقط ، كان يعلق من كعبيه في حانوت قصاب وسط سوق عكا ... وقد شرع القصاب في تقطيع اوصاله وهو لا يزال حيا ، دون ان يستطيع الكلام ، كان ينظر اليه وهو يقطع يديه على الجذع ، ويضع قطعها على الطاولة ! ثم ما لبث ان قطع رأسه ووضعه الى جانب يديه !!... » القمع يصل حافة الجنون وتصويره بشكل كلاسيكي قد يوقع الفنان في تبسيط الموضوع او في التقليل من أثره . من هنا يقفز الكاتب الى الوصف غير الواقعي ، ليصور واقعا معاشا . فسوريالية هذا المقطع ، — الغرق في كابوس مرعب — هو واقع يومي يعيشه الانسان العربي المسحوق تحت احذية الغزاة . لكن القصة لا تتوقف عند حدود وصف الواقع ، انها تبحث لنفسها عن المخرج . وهنالك بالفعل مخرج سهل الهجرة « انك تعيش هنا في قبر ! شعبك كله هنا يعيش في قبر ، مظلم ، قاتم ! وطنك هذا الذي لك،وليس لك،لماذا لا تهجره ؟ لماذا!؟»جواب امين سعد على هذا التساؤل يأخذه من اطفال شعبه من اغانيهم : « لاني اذا هجرتك يوما تهجرني روحي واذا نسيتك ينساني الفرح » .

اما اليأس من النضال ، والانزواء خارج حلبة القتال ضد المحتل ، فان اصوات المتظاهرين وهتافاتهم تصير حركة فعل تاريخي تخرج الانسان من يأسه الفردي ، وتحيله الى لحن في اغنية نضال جماعية .

اذا كان القمع الاسرائيلي يظهر في قصة « الشارع الاصفر » واضحا فانه في بقية قصص المجموعة ، يصبح رمزا يفتك بالارض نفسها . ففي قصة « الراعي حمدان » يتحول المحتل الى ذئاب جائعة ، تلتهم الارض والاغنام التي ترعى عليها ، وهو في قصة « أم الخير » يصبح حية سامة تقوم بعملية قتل جماعية لعائلة بكاملها وتحيل اهالي القرية الى جموع من النازحين هربا من الداء الذي ينبت قروحا في جسد ام الخير ، وهو في قصة « ليلة القدر » يتحول الى مرض يفتك بعيون الصبية الجميلة العينين . وهو في قصة « الكلب سمور » جندي انكليزي او صهيوني يفتك بأهالي القرى . القمع هو الكابوس الذي تعيش مجموعة « الشارع الاصفر » في ظلاله . وهذا القمع يتمفصل حول جسد الارض . حول القرية الفلسطينية . انه السرطان الذي يدخل جسد القرية ولا يستطيع احد مقاومته . وحين يأخذ القمع شكلا مدينيا « حيفا » فانه يصبح في قسوته قمعا لا معقولا . يفصل الراس من الجسد ، يبيع الاعضاء الاخرى في حانوت قصاب .

غير ان الرد على هذا القمع يأخذ نقطتي ارتكاز :

أ — تعلق الانسان بأرضه . هذا التعلق الذي يصل الى حدود بقاء الانسان وحيدا امام قروح ام الخير التي يتحول جسدها الى شجرة تشفي قروح الناس الذين بقوا معها الى النهاية .

ب ــ النهر الجماهيري الهادر الذي يغتسل فيه المثتنون من آثار سياط الجلادين على اجسادهم . فالقمع يولد اليأس الى حين ، ولكن الحركة الجماهيرية لا تتوقف ، وهي في سيرها نحـــو أهدافها ، تستطيع ان تداوي الجراح الفرديـــة التي تظهر على اجساد المناضلين .

٢ ــ الارض وعلاقة الانسان بها :

اذا كان الادب الفلسطيني يحاول ان يرسم اطاراته حول الارض الفلسطينية ، فهذا يعود الى طبيعة القضية الوطنية الفلسطينية نفسها . فالهجـــرة الجماعية ، تجعل من العودة الى تراب الوطن حلمها اليومي ووقود نضالها الرئيسي ، كما ان الاقلية العربية التي بقيت داخل جدران السجن الاسرائيلي ، لا تجد مبرر وجودها وسط الظلام الذي يحيط بها سوى مزيد من التعلق بالارض . مزيد من الالتصاق بها والذوبان في احشائها . فحمدان الراعي الذي تحيط الذئاب بأغنامه من كل ناحية وتفتك بها ، يرفض ان يهاجر مع جموع ابناء القرية الذين فضلوا الرحيل « قلت لك يا ناجي ، بطلعش من هالبلد ، لو بفطس بزقاقاتها وبلقاش مين يدفني ! حمدان قال كلمته وبرجعش فيها . . . بدك تشرق يا نذل شرق ، اما حمدان ، درب النذال ما هيش دربه ، وعمره ما نقل فوقها تدم . براسك يا ناجي هالموال غنيه ! بيجيك يوم يا ناجي توكل ايديك فيه ندامة ! مية الغربة عشاربها حنظل يا ناجي ، وبرسيمها الاخضـــر عالغنم عليق » . هذا الاصرار القروي، الرعوي على البقاء في الارض ، ترافقه عامية فلسطينية ، بسيطة . فالفلاح لا يعرف المعادلات الحسابية . انه مقتنع بأرضه حتى لو سرقوها منه كما في قصة « الفرس » فانه لا يبيع فرسه ويرحل . فالفرس تلد مهرا . والتفاؤل والاصرار عـــلى الصمود يأتي من فعل الطبيعة نفسها . الطبيعة قادرة على البقاء وعلى التجدد . الفرس تلد مهرا رغم ان الارض سرقت بأمر اداري ، فان الفرس تستطيع ان تكتشف بقعة ارض عليها تقف وتستمد الحياة .

لقد استطاع فياض في قصة « أم الخير » ان يحول الرمز الى فعل ايمان بالمستقبل . فالحية التي دست السم في اللبن وقتلت عائلة « أم الخير » وملأت جسدها بالقروح ، هذه الحية استطاعت ان تجبر أهل القرية على الهرب الى الحقول والسكن في الخيام . لكن حسن الذي أحب أم الخير عندما كان يافعا وبقي مخلصا لحبه رغم مرور السنين الطوال . حسن بقي مع ام الخير ومع قروحها التي تنقل العدوى الى جسده . بقي امام الجروح حتى ماتت ام الخير . لكنها فعليا لم تمت . تحولت الى جذع يرويه حسن من قروحه الدامية « وفي صباح اليوم التالي ، كان برعمان أخضران يتفتحان حيث كان الوشمان على غمازتيها ، وقد اخذا يكبران يوما بعد يوم ويتفرعان ، ومن اطرافهما كانت تسقط عند كـــل صباح دمعتان ، على قروح حسن التي اقعدته تحتها ، فتشفى عند كل صباح قرحتان » . هنا تتحول علاقة الانسان بالارض الى علاقة صوفية ، علاقة الدخول الى الجراح ومعانقتها والبقاء فـــي داخلها . فأم الخير ستتحول الى شجرة خضراء الغصون ، اذا بقي الانسان متمسكا بها يسقيها صموده واصراره .

اما في قصة « الكلب سمور » فان الارتباط النضالي بالارض يصبح هاجس الكاتب الرئيسي ، فالتاريخ النضالي الطويل الذي صنعه الشعب الفلسطيني في معاركه ضد المحتلين الانكليز ثم ضد الغزاة الصهاينة ، ينتقل الى الكلب سمور الذي يكلمه الكاتب وكأنه انسان يناضل من أجل قضية يعرفها جيدا . فالكلب يتعود على محاربة الجنود الانكليز، ثم ينتقل الى محاربة الجيوش العربية التي دخلت فلسطين سنة ١٩٤٨ دون ان تحارب . وحين يصل اهل القرية فان الكلب يتركهم ويعود الى البيت ليحرسه « ــ لا حول ولا قوة الا بالله . . . رجع سمور عالبلد يا قاسم . ورد قاسم بصوت كسير : ــ على الاقل رجع يموت في الدار يابا. . . مش مثلنا ، نموت مهججين من الجوع والعطش ، لا بيت ولا مأوى » .

في قصص هذه المجموعة ، يعلو صوت الارض ، ليغطي جميع الاصوات الاخرى . فصوت الانسان لا يصير مسموعا ، الا اذا كان جزءا من صوت الارض . وقيمة الانسان لا تأتي الا من خلال تعلق رجليه بالارض وانغراسها فيها . هـــذا الهاجس الدائم في قصص هذه المجموعة هـــو الذي يميزها فعليا . لكن الارض ليست واحـــة رومانسية يلتجىء اليها المحارب ساعة القيلولة . انها هي ساحة المعركة ، لان المعركة تجـــري باسمها . من هنا ، ورغم الصوت الفـــلاحي

الواضح الذي ينبع من هذه المجموعة ، فان توفيق فياض لا يسقط في الرومانسية . يحاذيها ، ويلتجيء الى الرموز التي تستطيع ان تحمل نوازع شعبه وآماله ومعاركه النضالية .

**٣ ـ البعد الانساني للفعل التاريخي :**

في قصة « ليلة القدر » يتوحد البعد الانساني بالفعل التاريخي بشكل مذهل . فالنضال ليس مجرد رفع شعارات سياسية او تعلق شامل بالارض انه بحث عن الانسان من خلال النضال والارض . فالارض تكشف في اعماقها عن الانسان الرابض هناك . ففي ليلة القدر تقدر سنية ابنة السابعة عشرة ان تبحث عن نور عينيها بيديها . فهي فقدت البصر رغم جمال عينيها ولا تزال منذ سبعة عشر عاما تنتظر ان يرد النور الى عينيها بقدرة ما . لكنها تكتشف من خلال ليل الانتظار الطويل ان لا شيء يرد لها بصرها سوى نضالها هي : « ـ ما عدليش عالصبر يا ستي ... وان ما فرجتها انا عحالي مش رح الله يفرجها » ، هكذا تخاطب سنية جدتها التي تدعوها الى انتظار الفرج وتخرج الى الطريق باحثة عن الضوء . في هذه القصة يصل الرمز الى غايته ، فاذا كان الرمز هو محاولة اعادة تصوير الواقع بواسطة رموز واقعية تسهل اقامة العلاقات المعقدة بينها، فان قصة ليلة القدر تصل الى هذه الرؤية النافذة. فسنية اليوم أصبح عمرها خمسة وعشرين عاما ، لكنها لا تنتظر . انها تقاتل في الشارع في سبيل عينيها ، في سبيل جراح أم الخير ودماء امين سعد المنثورة على طرقات حينا .

قصص توفيق فياض من خلال ابعادها الثلاثة ، تحاول الكشف عن العمق الانساني ، عن التوق الى الجدية في علاقة الانسان الصراعية بالحياة . من هنا فجميع ابطاله الرمزيين يكشفون في ذواتهم عن انسان يتطلع بحدة الى الخلاص . وفياض يتوجه الى وجدان جماعي . الى الوجدان الفلسطيني المناضل . من هنا فشخصياته فلاحية. وحين يصل الى البرجوازية فانه يصور فسادها وسقوطها امام ارجل المحتل .

الفعل التاريخي الذي تدعو اليه هذه المجموعة هو فعل انساني في الاساس . فالتكوم حول الارض الفلسطينية لا يجد معناه الحقيقي بمعزل عن الانسان الفلسطيني الذي يصنع هذه الارض بجراحه وعرقه . هكذا لا يسقط فياض في التعليمية والمباشرة . انه يبحث عن الانسان فيما هو يبحث عن الارض ، وصوت الانسان يأتي من جراح ام الخير وتأوهات حمدان الراعي ومحبة قاسم للكلب ودخول امين سعد في البحر الجماهيري الذي يصير وقع اقدامه على الارض نشيدا لهذه الارض .

ان الصوت الفلسطيني القادم الينا من الارض المحتلة في هذه المجموعة القصصية ، هو صوت ناضج فنيا . فالقضية رغم مباشرتها وحرارتها لا تحجب الجهد الابداعي الذي تبذله ريشة الكاتب . فتعدد الاصوات داخل القصة الواحدة ، والقدرة على ولوج اللاواقعية دون الوقوع أسير النظرة الاحادية للامور ، بمعنى دون الوقوع في متاهة اعادة ترتيب الامور بشكل غير واقعي ، وبالتالي الابتعاد عن الارضية التي عليها يقف العمل الفني الثوري ، ثم وبالاخص القدرة على الدخول في العالم الفلاحي دون الوقوع في الرومانسية الجاهزة التي تستطيع ان تقضي على العمل الفني في مهده . كل هذه المؤشرات تدلنا على الطاقات الكامنة خلف القصة القصيرة التي لا تستنفد . فاذا كانت حياتنا العربية لا تزال ، في مختلف أبعادها الثقافية والسياسية والاجتماعية ، أسيرة عدم القدرة على التحرك الثوري الجذري بمعنى عدم القدرة على اعادة فهم تراثنا الثقافي ورسم الابعاد السياسية والفكرية للحركة النضالية الواقعية في حركتنا الثورية العربية ، فان القصة القصيرة قادرة عبر ايجازها والتقاطها للجزئيات ، ان تطل على مشارف كليات حياتنا النضالية العربية دون الوقوع اسيرة التعميمات .

ان شهادة « الشارع الاصفر » شهادة مليئة بالغنى والدلالات . وتوفيق فياض استطاع بتجربة فنية متواضعة ان ينقلنا الى أعماق الجرح الفلسطيني ، الى اعماق وجدان الذين بقوا في الغيتو العربي يقاتلون ويموتون .

أ. خ.

Congrès Juif Mondial, Section Française, **Israel dans la Conscience juive** (P. U. F. Paris 1971).

ان نظرة اولى الى الاطروحات التي يلقيها الفكر الصهيوني المعاصر في شارع الثقافة الغربية والتي يرددها مستعملا كل القنوات الممكنة ، تشد نظر الانسان العربي الى جملة ملاحظات تستحق التأمل والتفكير .

ان الصهيونية تستعمل أدق وأعمق الاساليب العلمية لطرح جملة مواضيع وقضايا لا علاقة لها بالعلم . انها في نقطة انطلاق عملها تستند على بنيان عقلي متين وفي نهاية مطافها تقذف بجملة محاكمات تناقض العقل ، انها تنطلق من الوضوح لتعطي سجل الضباب والتعمية . أي بمعنى اخر انها في البحث عن ايصال صوتها الى أكبر جمهور ممكن ترتكز على أسس بحث اعلامي دقيق ، ثم بعد ذلك تطرح جملة قضايا ميتافيزيقية . تطرح حزمة من المواضيع الانسانية التي تدغدغ القلب. انها في طرحها تصر وتركز على البعد الانساني وعلى الشمولية الانسانية . متجاوزة بذلك وعن وعي تام الطرح السياسي والعلمي للامور ، أن صلب العمل الدعائي الصهيوني اليومي في الغرب يعتمد على مخاطبة العاطفة ( مستندا بلا شك على جهل السواد الاعظم من السكان للقضية الفلسطينية ) ويرفض اطلاقا طرح الامور من وجهة نظر سياسية او تاريخية .

ملاحظة اخرى تستحق الوقوف ، ان الصهيونية واعية تماما لطبيعة وتعقد العمل الذي تقوم به وواعية كذلك بصورة تبرير سياستها وقبولها تلجأ وتصل من خلال بحث متواتر شديد الى تركيبات ذهنية ذات لمعان واغراء ، صورة براقة من التنظير ذي النزعة الانسانية، ان كل هذه التركيبات يسهل دحضها ، فهي جملة تلفيقات في اطار لغوي وفلسفي جذاب ، لكنها مع ذلك تستهوي حشدا كبيرا من المثقفين ، ان من يتصفح الكتاب المذكور ( اسرائيل في الضمير اليهودي ) يجد عالما من التلفيقات المتظرة العجيبة ، نواة أكاذيب يلفها اطار من الثقافة والفلسفة، السؤال الذي يفاجىء القارىء العربي مباشرة ، هو ما مقدار الجهد الذي يبذله الحركة الصهيونية حتى استطاعت ان تقول كل هذه الاكاذيب وتجد ايضا جمهورا عريضا من المثقفين يستمع الى هذه الاكاذيب ويقبلها كحقيقة .

الملاحظة الاخرى التي يمكن استخلاصها من خلال الكتاب هي جملة الرحلات والندوات والمناظرات التي هيأتها الصهيونية لتحفظ شبكة علاقاتها مع هؤلاء المثقفين ولتحافظ على حوارها المستمر معهم، لكن الامر الهام في نظري والذي يبدي حذق العمل الصهيوني هدفهم التركيب النفسي والعاطفي للانسان الغربي ، ان الصهيونية توقظ وتحرض كل النزعة الانسانية في الغرب والنزعة الانسانية المسيحية بشكل خاص ، انها بهذا تستند على ارضية علمية في عملها الاعلامي ، انها بواسطة هذا الفهم تستغل ما يعرف هنا « بمركب الاثم » الذي يشعر به الغربيون نحو اليهود ، ان العزف على كل هذه الاوتار الانسانية يسهل حقن الانكار ويحول الاكاذيب الى حقائق يومية ، ان التنظير الصهيوني يحاول تحميل المواطن الاوربي ثقل كل الظلم الذي لحق باليهود ابتداء من العصور الوسطى حتى الان . امر اخر يمكن استخلاصه من الكتاب المذكور هو التركيز على الرباط المقدس بين اسرائيل والغرب ، فاسرائيل هي الوجود الاوربي في العالم الثالث وان اسرائيل في ( نضالها ) ضد حائط العالم الثالث انما تسعى لنشر القيم الغربية ، ان بين اسرائيل والغرب قدرا مشتركا ، هو الدفاع عن الحضارة ونشرها .

ان اسرائيل بهذا الطرح المتعدد الالوان والذي يعزف بحذق على كل أوتار البنيان النفسي والاخلاقي والعنصري تحاول الوصول الى كل خلية ومسام في بنيان المجتمع الغربي .

يضاف الى كل هذا أمر آخر يمثل ديماغوجية العمل الصهيوني ، هو الطرح الفكري الثنائي ، اي طرح فكر لليهود وبين اليهود ، وطرح فكر آخر لمناصري القضية الصهيونية او لرجل الشارع الاوربي ، فعملها بين اليهود يعمل على تعميق الهوية والشخصية اليهودية ، وتشبثها بعزلتها ويهوديتها. فاليهودي بدون يهوديته عار ، كما يقولون ، كما ان اسرائيل هي التمثيل التاريخي والمشخص للكيان اليهودي ، اي طرح فكر عرقي عنصري . في حين ان حوارها مع اللايهودي يعتبر الشمولية الانسانية موضوعة اساسية في العمل .

ولعل الصور الآتية تبرز بعض معالم الفكر

الصهيوني المعاصر وتظهر القنوات التي يسير فيها كي يخرج من جديد كحقيقة اصيلة تعمل وبسهولة من اجل الآلة الصهيونية .

أولى هذه الصور تتحدث وباسهاب عن الالتـزام الروحي والخلقي للشعب اليهودي تجاه المجتمع البشري قاطبة ، « فالشعب اليهودي هو ضمير هذا العالم » ، وان اليهودي التائه كان تائها لانه رفض قبول القيم المنحطة ورفض قبول الظلم وتحقير الانسان ، هـذا اليهودي التائه عبر القرون كان يعبر دائما عن الرفـض الانساني لعالم الظلـم والكراهية ، ان التتويج التاريخي لهذا الرفض المستمر هو انتصار الكرامة الانسانية والتي تتمثل ببقاء الذات اليهودية وخلق اسرائيل ، ان الالتزام الاخلاقي للشعب اليهودي تجاه المجتمع البشري لم يتوقف ، وهو الان يسير ضمن اتجاهين ، الاول هو التزام اليهودي بالدفاع عن أخيه اليهودي والحفاظ على الذات والهوية اليهودية ، حيث ان ذوبان هذا الذات هو ضربة للقيم الاخلاقية ، وهذا يستلزم تجميع اليهود جميعا في بلد واحد » !

« الالتزام الاخلاقي الاخر لليهود هو التزام نحو العالم الثالث ، ان اسرائيل ممثلة الكيان اليهودي ذات كفاءة علمية وثقافية كبيرة لذا تجد نفسها أمام مهمة أساسية وثقيلة نحو العالم الثالث الذي يرزح في ظروف لا انسانية » .

كما نرى الصورة مليئة بالنزعة الاخلاقية والانسانية في حين ان الاسس الكفيلة بفهـم ظهور المشكلة اليهودية ثم الحركة الصهيونية والتلاحم بين هذه الاخيرة والامبريالية كل ذلك لا مكان له في الصورة، حيث ان الطرح التاريخي للامور يقود الى كشف حقيقة الوجه الصهيونـي وكذب الادعـاءات الصهيونية .

الصورة الثانية اكثر تأثيرا وتعتمد على ابتزاز العاطفة ، وبالتالي تبرير الحاضر من خلال الماضي، يقول اوغستان جيرار : « ان حضور اسرائيل في ضمير الشعوب يعني الحضور المستمر لملايـين الموتى بين ١٩٣٣ — ١٩٤٥ ، واليهـود يمثلون الوجدان الانساني الذي قاتل النازية من اجـل السلام وشرف الانسان ، والذين بموتهم لم يدافعوا عن ذواتهم فقط بل دافعوا عن كل البشرية ، واذا كانت النازية تمثل القطب الانساني الرامز للعدوان والتعصب واللاانسانية فان الشعب اليهودي هو القطب الاخر المناقض لهذه القيم ، ان هذا القدر المأساوي لليهودي لا يمكن فهمه ضمن مجموعـة قوانين ومقالات لانه قدر ملفوف بغموض تاريخي سحيق ، فاليهودية ظاهرة روحية ميتافيزيقية ، ويجب فهمها بالروح لا بالعقل ، لهذا فان انخراط اليهود في الحرب لم ( يكن لمحاربة الالمان ، ولم نحارب لنجعل العلم الفرنسي يرفرف من جديد ، بل لاننا شعرنا ان العدالة قد امتهنت فـي شخص اسرائيل ) في كل هذا جانب غامض ، ربما هو قدر اليهود ، ان اليهود بقتالهم هذا اصبحـوا ( الضمير السياسي ) للفرنسيين ، بل ان اسراع الفرنسيين بحل المشكلة الجزائرية ، وتظاهرات الفرنسيين من اجل تحرير الجزائر لم يكـن الا انعكاسا للحضـور اليهودي في ضمـير الشعب الفرنسي، فالفرنسيون قد رأوا في الجزائري المظلوم صورة اليهودي الذي يذبحه النازيون » !!

أولى الملاحظات التي تطل علينا من هذه الصورة الصهيونية ، هي النزعة العرقية ، الملاحظة الثانية هي التزييف التاريخي ، ان كل الشعوب قد قاتلت ضد النازية وليس فقط اليهود ، الملاحظة الثالثة هي الاصرار على ( ميتافيزيقية ) الشعب اليهودي. ان اسرائيل والحركـة الصهيونية هي محصلـة تاريخية لجملة اعتبارات يسهل فهمها ، فاليهودية لم تستمر رغما عن التاريخ بل من خلال التاريخ وبواسطته كما يقول رودنسون .

الصورة الثالثة تعود فتركز على البعد الروحي لاسرائيل ناسيـة ان اسرائيل ليست الا ظـلا امبرياليا وان كل انعكاساتها وتلوناتها ليست الا انعكاسا واهنا لرؤوس الامـوال ، والامبريالية العالمية ، نرى في هذه الصورة المحاكمة الآتية : « ان عذابات اليهود الطويلة قد اعطتهم طابعا قدسيا فهم شهداء وقديسو هذا العالم ، لهذا السبب نرى ان البشرية تتعاطف مع اليهود ، وترى في اسرائيل مثالا لنبـل الانسان وخلاصه ( أعتقد ان اسرائيل ستبقى دائما وعلى الرغم من المفاوضات الدبلوماسية والتسويات الاقتصاديـة ضمير هذا العالم ) » !! ويمضي هذا المنظـر الصهيوني فيستخلص نتائج تتأتى من ( قدسية ) اسرائيل منهـا ان آلاف الشباب ، بل افضـل العناصر وأنشطها على حد قوله ، يسافرون كل عام الى اسرائيل ، ان ذلك لا يتم بدافع السياحة والاصطياف ، وليس بسبب الفضول وحب المعرفة، ولا بغية التعرف على التنظيم الاجتماعي للكيبوتز ، بل ان هؤلاء الشباب ينقادون بغموض نحو اسرائيل

لانها تبقى في لا شعورهم وفي ضميرهم رمزا للامل والخلاص ، ان اسرائيل هي عالم القيم ، لهذا فكل من يرى في اسرائيل رمزا للعدالة والقيم هو صهيوني وان لم يكن يعرف ذلك ، فالصهيونية ( كما يراها المنظرون في هذا الكتاب ) « ليست مجرد نزوة عابرة او شوقا آنيا بل هي بحث دؤوب عن التوازن الداخلي للانسان ( فالحضارة ما بعد الصناعية أفرزت معها أزمة روحيـة وخلقية ، أفرزت معها تلاشيا للقيم ، من هذا المنظار تبقى اسرائيل ( مشعلا للامل ) ، فاسرائيل تمثل عالما متوازيا للتقدم التكنيكي والعلمي ) » !!

من هذه المحاكمة يصل المنظـر الصهيوني الـى نتيجتين أولهما التوازن الروحي للشخصية اليهودية على عكس غيرها مـن الشخصيات ، والنتيجة الثانية ان اسرائيل هي رمز عالم القرن الحادي والعشرين الذي يطمح فيه الانسان الى مصالحة مجتمع الاستهلاك وعالم القيم الانسانية ، وبذلك « تعتبر اسرائيل بديلا وتجاوزا للمجتمع الاشتراكي في أحسن أحواله » !!

بعد ذلك نصل الى أطروحة بير برنهار الذي يتحدث عن الدور الثقافي لليهود ، فهو لا يرى الظروف التاريخية التي تدفع اليهودي الى التفكير ، كما لا يرى الامكانيات المتاحـة له ، بل يرد ذلك الى خصائص اليهودي ، فاليهودي عنده ليس ظاهرة تاريخية تفهم من خلال المنطق التاريخي بل هو ظاهرة ذات بعد خاص ليس له قوانين ، يقول في تحليله ( ان حضور اليهودية في العالم ومسارها التاريخي أعطى للبحث الفكري كل الدوافع الممكنة للابداع والبحث عن الحلول ، فهي مصدر الهام ، لذلك أصبح كل باحث عن الحقيقة يهوديا وان لم يكنه . ان اليهودية تمثل ثقـل الارتكاز الفكري والروحي في هذا العالم ( أنتم شعب منذ ثلاثة آلاف عام ، شعب له في التاريخ كثافة حضارية لا يمكن مقارنتها مع أي شعب آخر ، انكم تحملون أكثر من أية مجموعة انسانية أخرى على وجه الارض سيماء هوية الذات ووحدتها ) .

اليهوديـة كمـا يراها الكـاتب « ميزان حرارة للاخلاق والقيم » ، ان « التدخل اليهودي يأتي ليجعل الانسان يتجاوز أزمته » ، فاليهودية عرفت نهضة مريعة مع ظهور المجتمع الصناعي ، ان « مجيئها المواكب للثورة الصناعية هو رد فعل أخلاقي مقابل تعقد الحياة في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين » ، وان « دور الفكر اليهودي كان في اخراج الفكر الغربي من أزمته والسماح له بمتابعة مسيرته لخلق التحول الهائل الذي نلمسه اليوم ، ان الفكر اليهودي بسبب قدراته الخاصة حافظ على توازنه واتساقه خلال ثلاثة آلاف عام » . ان هذا الفكر « متجانس منذ البدء الى اللانهاية ، وشفافيته واتساقه هو الذي يعطيه القدرة للتدخل دائما ، ذلك انه لا يعاني من حالات اللاتوازن والاضطـراب التي مرت علـى المجتمعات الاخرى . واليهـودية ظاهرة سرمدية ، وهي حركة نضالية مستمرة من اجل تعديل واصلاح المجتمع البشري ، ان الصهيونية والتي هي تعبير عن نهضة اليهودية في القرن العشرين ليست مجرد حركة سياسية بل هي حركة روحية أخلاقية تسعى لخلق مجتمع انساني متوازن، وقد وجدت اليهودية دائما لكنها لم تصل الى أعلى مستوياتها وقمة ديناميكيتها الا في بداية القرن العشرين اي القرن الذي أزم العالم الروحي للانسـان ، انها البديل عن العالم التكنيكي الساحق للانسان ، ومن هنا تأخذ الحركةالصهيونية شموليتها وبعدها الانساني. ان الكيبوتز هو بديل المدينة الصناعية الخانقة »!!

ويتابع الكاتب تحليله ليصل الى جـذور عرقية وحضارية مشتركة بين الفكـر اليهودي والفكـر الغربي ، فهو يرى ان الثقافة الاوروبية في هذا القرن هي حصيلة تكافـل وتفاعل بين الفكـر اليهودي والفكـر الغربي وبالتالـي فان فرويـد ودوركايم وكافكا واينشتاين وشونبرج هم مفكرون يهود فهموا أزمة العصر ثم حاولوا اعطاء حلول مناسبة ، هذه الحلول هي التي تكون اساس الثقافة الاوربية المعاصرة . ان هناك ثنائية الفكر اليهودي — الغربي وهي ثنائية متكاملة في الوقت نفسه . هذه الثنائية بقيت متوازنة وفاعلة حتى جاء النازيون فكسروا هـذا التوازن والتفاعـل وأحدثوا صدعا في هذه الثنائية . ان الكاتب يرى في ضرورة اعادة لحام هذه الثنائية المهمة الاولى التي يجب ( النضال ) من اجلها .

مفكر آخر ( جان ماري دوميناك ) يبحث عن تحليل آخر ليشرح الاسباب التي « جعلت من اسرائيل ضميرا للشعوب » ، فاسرائيل بالنسبة لـه هي محصلة للعذاب والمعـاناة ( عندما نتكلم عـن اسرائيل ، نتكلم عن دولة ليست كالدول الاخرى ، دولة بلا نظير ، وهذا طبيعي يمليه علينا الشعور بالاثم وعقدة الذنب ، لقد اضطهد اليهودي خلال

مئات السنين ، ان شعورنا واحساسنا بهذا الاضطهاد ( يجعل من اسرائيل ضميرنا وان ضميرنا هو اسرائيل ، ان ما يجعل من اسرائيل ضميرنا هو كونها الرمز لسقوط الانسان التاريخي ) . ويتابع الكاتب ليرى في اسرائيل مرآة لكل الخدوش والجراح التي شوهت الوجه الانساني ، ثم يعود ليعطي محاكمته هذه بعدا فلسفيا ، فاسرائيل عنده هي « نظير الفكرة المطلقة عند هيجل » ، فالفكرة عند هيجل تبدأ بتحسس الامور البسيطة ثم تنتهي خلال التاريخ الى المعرفة الكاملة ، واسرائيل كذلك بدأت من التيه والضياع وانتهت الى وجود كامل « يمثل الحرية والعدالة » !!

الحقيقة ان كتاب « اسرائيل في الضمير اليهودي » مجموعة أكاذيب وتلفيقات ذات طلاء لماع ، لكن هذا القول لا يمكن ان يعطي حلا ، ذلك ان هذه الاكاذيب لها مكان وجمهور ، وهي توجه عادة الى جمهور المثقفين والكتاب الذين يدافعون بأقلامهم يوميا عن اسرائيل . وهؤلاء الكتاب انفسهم يعودون ليطرحوا القضية الفلسطينية كما يريدون ، ان هذا الاعلام المتقدم يحصد نتائجه بشكل مباشر وكثيف . ويمكن القول ثانية ان أسلوب العمل الدعائي الصهيوني أسلوب متقدم ، فهو يتكلم عن الانسان، ومركب الاثم ، والتحالف الثقافي الروحي بين الغرب واليهود ، ويعطي كل ذلك صلة ثقافية عصرية ، ثم يقوم بنشر هذه الاطروحات من خلال جهاز اعلامي متين ، فالمنظمة الصهيونية العالمية تملك فروعا في أكثر من ٦٠ بلدا وتحت تصرفها وفق المعطيات الرسمية لنشرة ( الصحافة اليهودية في العالم ) والصادرة في لندن أكثر من ٨٥٠ صحيفة ومجلة ، وتقدم محطة الاذاعة الاسرائيلية برامجها بجميع لغات العالم الرئيسية .

**فيصل دراج**

## انيس فوزي قاسم ، **قانون العودة وقانون الجنسية الاسرائيليان : دراسة في القانونين المحلي والدولي .**
( سلسلة دراسات فلسطينية ، رقم ٨٩ ، مركز الابحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ١٩٧٢ ) .

ما زلنا — على الرغم من تدفق الكتابات والمنشورات عن اسرائيل — نجهل الشيء الكثير عن تشريعاتها الداخلية . وقد جاءت هذه الدراسة تسد فراغا وتلقي ضوءا على بعض القوانين التي سنتها اسرائيل لخدمة الاغراض الصهيونية . ووضعت الدراسة أصلا كأطروحة لنيل شهادة الماجستير في القانون الدولي العام . وكتبت بأسلوب علمي رصين يخاطب العقل ويعتمد المنطق . وينبغي لدراسة من هذا النوع الا تبقى حبيسة الجامعة التي قدمت فيها ، أو وقفا على القارىء العربي . ان الواجب يقضي بتعميمها وايصالها الى اكبر عدد ممكن من المثقفين في العالم الذين يشكلون قوة واعية ومتحركة وضاغطة .

ان لكل انسان حقا مقدسا في حماية قيمه الانسانية، بغض النظر عن الدين او العرق او اللون او الجنس الذي ينتمي اليه . ومن واجب كل دولة توفير هذه الحماية ، وتطوير هذه القيم ، وسن التشريعات الكفيلة بصيانة حقوق الانسان. واهتمام المجتمع الدولي بمسألة حماية حقوق الانسان والدفاع عنها يتزايد جيلا بعد جيل . وتقوم الامم المتحدة اليوم بدور ريادي في هذا السبيل . والاراء متفقة على ان انتهاك حرمة هذه الحقوق من قبل دولة ما لم يعد مسألة داخلية بل اصبح أمرا مهما يعني الاسرة الدولية ويخولها حق التدخل . ومن الحقوق الاساسية للانسان حق التمتع بجنسية ما . وقانون العودة الاسرائيلي موضوع فريد وغريب في حقل الجنسية . لقد كان غرضه ، عندما صدر عام ١٩٥٠ ، تسهيل هجرة اليهود الى اسرائيل ، ولكنه اصبح ، حينما تضمنه قانون الجنسية الصادر عام ١٩٥٢ ، احدى الوسائل المنظمة للجنسية الاسرائيلية . ان كل شيء في اسرائيل مكرس لخدمة الاهداف الصهيونية ، ولهذا

لا يمكننا تحليل قانون الجنسية الاسرائيلي الا بالاستناد الى قاعدته او خلفيته الصهيونية .

ان الهجرة الى اسرائيل تشكل العنصر الاساسي في الحركة الصهيونية، فهرتزل كان يعتبر ان الغاية القصوى لهذه الحركة هي خلق دولة لليهود ، وايجاد الارض لانشاء هذه الدولة ، وتنظيم هجرة اليهود اليها . واعلن مؤتمر بازل اهداف القانون العام الصهيوني ، وكان في طليعتها ذلك الهدف الذي يعتبر ان يهود العالم يشكلون تجمعا قوميا اسمه « الشعب اليهودي » . ومفهوم هذا الشعب قد صمم ليكون وسيلة سريعة وفعالة لتجنيد الهجرة اليهودية الى اسرائيل . والعضوية في هذا التجمع ليست سوى جنسية اضافية تفرض على اليهود دون ادنى اعتبار لجنسيات الاقطار التي يقطنونها. انها تمنحهم الحق في العودة الى « وطنهم » . ان قانون العودة ، كقانون هجرة ، يمنح حق العودة ، وكقانون جنسية يهب كل يهودي « عائد » الجنسية الاسرائيلية بشكل مباشر وآلي . وعودة اليهودي « حق » لا يطاله مبدأ التقادم .

والغريب ان القانونيين الصهيونيين يحاولون تبسيط الخلفية السياسية لمفهوم العودة فيصورون المسألة كأنها أمر يتعلق بقضية عقارية تستهدف استعادة قطعة ارض فقدت منذ فترة وجيزة . انهم لا يحاولون البتة تجاوز هذا الاطار لدراسة النتائج السيئة التي قد يلحقها هذا القانون بالسكان الاصليين ، ولا يشيرون الى الحدود القانونية التي أقامتها الاعراف والقواعد الدولية في حقل الجنسية. ولكن المؤلف يفضح مراميهم ويصف الخلافات التي ذرت قرنها مؤخرا في اسرائيل بسبب تعريف اليهودي ، ويحلل بعمق وموضوعية قانون الجنسية الاسرائيلي الذي يتناول جنسية اليهود وغير اليهود .

لقد كان لسكان فلسطين جنسية قبل قيام اسرائيل ، ولكن حينما ظهرت هذه الدولة توقف مفعول الجنسية الفلسطينية وأصبح سكان اسرائيل ، ما بين ١٤ ايار ١٩٤٨ و ١٤ تموز ١٩٥٢ ، عمليا ، دون جنسية . والسلطات الاسرائيلية هي التي تعمدت ذلك وفرضته كي تتمكن من مواصلة عملية تهجير السكان العرب الباقين وحرمان من نزح منهم ، طوعا أو كرها ، من حق العودة . وسخرت المحاكم الاسرائيلية بمبادىء العدالة فقضت بأن الجنسية الفلسطينية قد توقفت بمجرد قيام اسرائيل ، واصبح الفلسطينيون ، بالتالي ، بلا جنسية . ان المادة الاولى من قانون الجنسية الاسرائيلي تنص على ان « لا تكون جنسية اسرائيلية الا بموجب هذا القانون » .

ومن المهازل المؤلمة ان القانون يمنح السكان والمهاجرين اليهود الجنسية الاسرائيلية اوتوماتيكيا، في حين انه لا يسمح للفلسطينيين بالقيام بمعاملات التجنس الا اذا توافرت لديهم بعض الشروط الخاصة التي تعتبر أحيانا شروطا مستحيلة . وحتى لو توافرت جميع الشروط فان ذلك لا يخول الفلسطيني حق اكتساب الجنسية حكما . انه بحاجة ايضا الى تذليل عقبة « الاستنساب » الذي يقوم به وزير الداخلية . ويملك الوزير في هذا المجال صلاحيات مطلقة ، ويعد القرار الصادر عنه نهائيا لا يمكن استئنافه .

ان للقانون الدولي معايير واحكاما تشمل قوانين الجنسية ، فهو يعتبر ان الجنسية رابطة قانونية اساسها ارتباط اجتماعي . ومع ان الدولة هي التي تضع قانون جنسيتها فانها تخضع في ذلك لقيود وضوابط نظمها القانون الدولي . ان حق الدولة في تنظيم أمور جنسيتها ليس حقا بلا حدود. ان كل قانون للجنسية يجب ان يراعي المبادىء والقواعد التي تتضمنها الاتفاقات والاعراف الدولية المتعلقة بالجنسية . وذهبت محكمة العدل الدولية الى ان الدول ليست ملزمة باحترام قوانين سنتها دولة ما اذا لم تكن هذه القوانين منسجمة مع قواعد القانون الدولي . فما هي اشهر القيود التي يفرضها هذا القانون على الدولة التي تنظم قوانين جنسيتها ؟ وهل احترمت اسرائيل هذه القيود والتزمت بها عندما اصدرت تشريعاتها الخاصة بالجنسية ؟

هناك ، أولا ، قيود أو حدود مفروضة على تنظيم الجنسية عند الولادة . فالقانون الدولي يعترف بطريقتين لاكتساب الجنسية بالولادة : مبدأ الاقليم ( الولادة فوق اقليم الدولة ) ، ومبدأ الدم ( التحدر من أحد رعايا الدولة ) . وقد تبنت كل دولة هذا المبدأ او ذاك او كليهما . ولكن القانون الاسرائيلي أخذ ، من ناحية ، بقاعدة الدم ، وتبنى ، من ناحية اخرى ، طريقة جديدة ، هي حق العودة ، فكل « من قدم الى اسرائيل او ولد فيها قبل انشاء

الدولة ، وكل من ولد فيها بعد انشائها » يكتسب الجنسية .

وهناك ، ثانيا ، قيود أو حدود مفروضة على تنظيم الجنسية بالتجنس . وهنا يجب توافر أمرين: وجود علاقة معقولة بين طالب الجنسية والدولة ، ووجوب التقدم بطلب صادر عن ارادة صريحة . وبالاضافة الى ذلك يجب تنظيم الجنسية على اسس غير عنصرية. لقد حمل العالم على قوانين الجنسية الالمانية الصادرة عام ١٩٣٥ لانها حرمت اليهود من حق المواطنية في الرايخ . واول عمل قام به الحلفاء بعد انتصارهم كان الغاء هذه القوانين العنصرية الجائرة . غير ان القانون الاسرائيلي لا يقيم وزنا لهذه الاعتبارات ، فهو لا يشترط توافر شرط الاقامة لليهودي القادم الى اسرائيل . ان مجرد العودة تكسبه الجنسية . والقانون لا يتطلب منه ان يعبر عن رغبته في التجنس ولا ان يقدم طلبا بذلك . ان الجنسية تفرض عليه فرضا . ورفضها يتطلب منه اعتراضا صريحا امام موظف رسمي . وهي قائمة حصرا على اساس ديني . والمحكمة العليا في اسرائيل دعمت في قراراتها هذا الاساس . وحينما حاولت تغييره في قضية شاليت سارع الكنيست الى نقض قرارها وتثبيت المعيار الديني الصهيوني بقانون . ثم ان اسرائيل تمارس في منح الجنسية للمهاجرين اليهود عملية «انتقاء» . ويكفينا ان نشير الى حادثة اليهود السود الذين قدموا من الولايات المتحدة ، عام ١٩٦٩ ، ورفضت السلطات الاسرائيلية منحهم حق « العودة » ، حتى يتسنى لها استشارة السلطات الدينية حول ما اذا كان بامكان اشخاص سود ان يكونوا يهود. وفي ١٩٧٢/١٢/٨ ، اعلنت المحكمة العليا « ان يهودية هؤلاء السود ليست ثابتة » .

وهناك ، اخيرا ، القيود والحدود المفروضة على ازدواج الجنسية . فهناك اتجاه قوي في القانون الدولي يهدف الى تقليص حالات ازدواج الجنسية، لان له آثارا سيئة بالنسبة الى مصالح الفرد والدولة معا ( مثلا : دعوة الشخص ذي الجنسية المزدوجة الى الخدمة العسكرية ، او مطالبته بدفع الضريبة في الدولتين ، او احتمال الاشتباه بولائه ) . ولكن القانون الاسرائيلي تبنى مبدأ الازدواج . ولعله فعل ذلك من اجل تشجيع الهجرة اليهودية . غير ان التناقض يبدو جليا عندما نرى ان الغالبية العظمى من العائدين ( الذين يفترض فيهم العودة الى « وطنهم » ) ترغب في الاحتفاظ بجنسيتها الاصلية .

وفي الفصل الاخير من الدراسة يوجه المؤلف توصياته الى اسرائيل كي تلغي قوانينها العنصرية، والى الدول الاخرى والهيئات الدولية كي تواجه بحزم انتهاكات اسرائيل لحقوق الانسان وحرياته. يؤسفنا ان نلاحظ ان هذه التوصيات ستبقى توصيات ما دامت اسرائيل تعمل ليومها وغدها كأنها تعيش أبدا ، وما دمنا منغمسين في هموم يومنا نتهرب من التفكير في أمور غدنا .
قال حاييم وايزمن : « انني متأكد من ان العالم سيحكم على الدولة اليهودية بما ستفعله بالعرب». وقد فعلت بالعرب ، خلال ربع قرن ، اكثر مما فعله النازيون باليهود .

**الدكتور محمد المجذوب**

## الحلم والفجيعة

ليس غسان كنفاني ، مجرد علامة مضيئة في تاريخنا المعاصر . بل هو يحمل بذور الكشف عن المسار الصحيح لعلاقتنا بهذا التاريخ . فكنفاني يقع بالضبط في نقطة التقاء الفجيعة بالحلم ، هذه النقطة التي نسميها في لغتنا السياسية ، الممارسة . في هذه النقطة لم يكن الادب ممارسة لعلاقة الانسان بذاته او بغيره من الناس . بل كان علاقة حميمة بالبحر الجماهيري الذي يختزن اعظم الطاقات ، والذي يحمل في احشائه فجر التحولات الجذرية .

في نقطة اللقاء هذه كتب كنفاني الادب ، ممارسة تاريخية ، في أقسى الظروف النضالية التي يمر بها شعب من الشعوب . « المخيم » ، « الهجرة » و« المقاومة » ليست عناوين لروايات كنفاني وقصصه . انها العصب الذي يشد الكلمات ، فتخرج مليئة بطاقة الفعل ، قادرة على طرح العديد من الاسئلة وان لم تكن قادرة على الاجابة عليها جميعا . كتابة كنفاني علاقة دائمة بين طرفين : القطيعة والاستعادة . القطيعة بوصفها رفضا للماضي ، رفضا للمخيم والهجرة وقيمهما التي تستلب الفلسطيني وتحيله لاجئا . والاستعادة بوصفها اكتشافا لجميع القيم النضالية الموجودة خلف ظاهرة المخيم . هذه العلاقة ، هي التي جعلت لكتابات كنفاني حضورا مذهلا . انه الحضور وسط الآلام ووسط الدماء التي يدفعها الفلسطيني في احتفال ثوري جماعي في مواجهة لحظة الانحطاط في حياتنا العربية .

وعندما انفجر غسان كنفاني ، انفجرت الكلمة الثورية الملتزمة ، شهادة على قدرة الثورة على الاستمرار ، وعلى تأسيس تراثنا النضالي الذي تكتبه الجماهير بدمائها .

كان الموت بطلا رئيسيا في كتابة كنفاني . غير ان بطولته لم تكن مجانية . كانت تاكيدا على نقيضه ، الذي لن نكتشفه اذا لم نخض لحظة الموت . فالحياة هي ذروة الموت كما اكتشف كنفاني بالممارسة التي هي بحجم الارض الذي يرقد في داخلها .

في الذكرى السنوية الاولى لاستشهاد كنفاني ، نرى كيف استحال الحبر دما يمتزج بالبرقوق الاحمر ، ويمتد نهرا من دماء آلاف الشهداء المقاتلين ، الذين يكتبون تاريخا ثوريا جديدا ، ونرى كيف يستحيل الدم مسارا تاريخيا يقود الى الحلم .

## مرزوق يقود قطار الصدفة

« الاشجار واغتيال مرزوق » هي العمل الروائي الاول لعبد الرحمن منيف . تحاول الرواية ، ان تعالج واقعنا السياسي والاجتماعي والثقافي من منظورين مختلفين : الياس نخلة الفلاح القادم من الطيبة ، يرى الحياة العربية من خلال الريف وتحولاته ، حيث يجد نفسه خارج المجتمع وخارج جميع اطاراته . ومنصور عبد السلام المثقف العائد من أوروبا ، الذي يواجه المدينة ، مسلحا بثقافته وايمانه بالديمقراطية ، فتسحقه حضارة القمع وترميه خارجا . الغربة والبحث عن عمل هو الذي يوحد بطلي الرواية . انهما غريبين لا يجدان مكانا ضمن الواقع الذي يعيشان وسطه . ولقاؤهما هو الاخر ، يتم خارج المجتمـع . خارج الانتاج . الحوار في الرواية ، يجري داخل قطار يجمعهما بطريق الصدفة . الاول ذاهب الى ما وراء الحدود ، لانه بعد أن تنقل في جميع المهن الممكنة ، يمتهن التهريب ، والثاني ذاهب الى عمل له بعد مضي ثلاث سنوات على طرده من التعليم في الجامعة .

وعبر هذا الحوار يرسم الياس نخلة ، لوحة عن حياة الريف ، وعن معاناته كفلاح اصيل وسط هذا الريف . وتتمحور قصة حياته حول اربعة أمور :

ــ **الارض** حيث يبدأ حياته متعلقا بها الى أبعد الحدود . وينتهي بعد عمليات الابعاد الاجتماعية المستمرة، متعلقا برياح الهجرة والسفر والتهريب.

ــ **البحث عن العمل** هو مبرر وجود الياس نخلة ، وهو الذي يعطي حياته هذا البعد الرومانسي القروي المغامر . فينتقل في جميع الاعمال الممكنة.

ــ **المرأة** التي هي النقطة المفصلية في تجربته الانسانية . علاقته بها ، مباشرة وطريفة في آن . وهو يتعامل معها بنفس العقلية التي يتعامل فيها مع الاشجار .

ــ **الاشجار** التي تصير كائنات تتحرك . من اجلها يعيد الياس نخلة نسج علاقته بالقرية ، من اجلها يهرب ومن اجلها يعود .

هذه القضايا الاربع ، تعود لتظهر في شخصية منصور عبد السلام . لكنها تأخذ هنا طابعا تراجيديا . فهو ليس متعلقا بالارض ، الا بمقدار علاقته بالهزيمة التي شارك في صنعها عسكريا بوصفه مجندا . والعمل هو مأساة حياته . فالثقافة ليست وظيفية ، الا بمقدار ما تتخلى عن نفسها وتصبح مجرد أداة دعائية في خدمة السلطة ، والاصرار على معنى ما للثقافة يقذف بك خارج المجتمع . اما المرأة فهي المكان الذي تتكثف فيه غربته وشعوره باليأس الكامل . وهو حين يحاول مصالحة الواقع بالزواج التقليدي ، فان هذا الزواج يرفضه هو الاخر . اما شجرة منصور فهو مرزوق . شجرة وحيدة تلخص الانقطاع والاستمرار في آن معا . مرزوق المناضل الذي تغتاله يد السلطة ، يتحول الى طقس يومي يمارسه منصور عبد السلام في منفاه العملي مع بعثة الاثار الفرنسية .

في الملامح الاربعة لشخصيتي روايته ، نقطة مركزية يحاول منيف ان يطرحها . فمنذ رواية توفيق الحكيم « عصفور من الشرق » وموضوع العلاقة بالغرب ــ العدو والمثل في آن معا ــ تأخذ حجمها في الرواية العربية المعاصرة : العلاقة بالغرب هي نقطة التقاطع الصعبة والمعقدة التي تتكون ــ بها وضدها ــ ملامح الانتلجنسيا العربية وسط شعور مأساوي بالغربة . الشخصيتان الرئيسيتان ، تعبران بنسبة واحدة ، عن عدم القدرة على الاندماج ، ــ البقاء خارج الاطر الاجتماعية القديمة ، والبقاء خارج اطر سلطة القمع الايديولوجي ــ فيبقى المثقف خارج حركة الواقع ( بمعناها السياسي المباشر ) ويبقى الانسان العادي خارج هذه الحركة ( بمعنى خارج همومها اليومية ) غارقا في عملية البحث عن لقمة الخبز وداخلا حلبة التحولات ــ التي لا تمسه الا لتؤكد وعيه الشعبي الحاد بالمسألة التي يطرحها ــ . من يبقى داخل الاطر بعد ان تقطع الاشجار ويموت مرزوق ؟ يبقى الضباط والتجار والسماسرة . اما الياس نخلة فيبدأ عملية رشوة رجال الجمارك . وينصرف منصور عبد السلام الى اغتيال صورته في المرآة فينتهي في مستشفى المجانين .

ان القطار كمكان للقاء ، هو مكان يؤكد الغربة والخروج من الاطر السائدة . عبد الرحمن منيف، يلتقط من الواقع طرفين لشخصية واحدة . وهو حين يقوم بتوحيدهما في علاقة الاشجار بمرزوق ، فانه عمليا يدين الواقع الذي نحياه . ويترك لنفسه ــ عبر حرية اختياره للاحداث ولربطها ببعضها ــ مجالا واسعا للحركة ضمن اطار العلاقة بالغرب ، وانعكاس هذه العلاقة داخل مجتمع مهدد بسلطة قمعية لا حدود لها ، تنمو في ظل هيمنة الهزيمة ، على أغلبية مفاصل الحياة في المجتمع العربي .

منصور عبد السلام والياس نخلة هما شخص واحد ، او آلاف من الرجال المسحوقين تحت وطأة القمع ، « جيلنا لم يعط نفسه حتى فرصة الخيال . ان يتخيل ببناء مدن سعيدة . بهدم هذا العالم المتوحش الكئيب . هذه المتع الصغيرة التي يحسها أي حشاش ، لم ينعم بها هؤلاء الصغار » . ويلخص منصور تجربته في مذكراته « مرزوق ليس واحدا ، مرزوق كل الناس ، مرزوق شجرة ، مرزوق ينبوع ، مرزوق هو الياس نخلة الذي لا يموت » .

هذه الرواية ، هي علامة هامة في تطور الرواية العربية . فتشكيلها الكلاسيكي ، المليء بالحوار البسيط والمباشر ، استطاع ان يحتال على المضمون الشديد التعقيد . انها بلجوئها الى الحوار الواقعي تتغلغل في مشاعرنا ، وتعطينا احساسا حادا بواقعيتها ، رغم انها ليست رواية واقعية

بالمعنى الكلاسيكي . انها تنتقي بعض احداث الواقع ، تعيد تركيبها ومزجها فتشكل موقفا انسانيا من هزيمة عسكرية ، هي تلخيص لعدم القدرة على بناء مجتمع قادر على التحرك نحو المستقبل . وهي بهذا المعنى صرخة في سبيل الحرية والديموقراطية . من هنا فهي ليست رواية واقعية الا بمقدار ما تخدم ممارسة الكتابة الواقعية الرؤية الفنية . وهي رومانسية ريفية بمقدار ما يشكل الريف ثوبا تنزف عليه جراح حزيران .

## سياح على أرض الهزيمة !

« الثقافة والهزيمة » هو موضوع الندوة التي نشرتها مجلة البلاغ ١٨ و٢٥ حزيران ١٩٧٣ . وقد شارك فيها كل من : نجاح العطار ، غالي شكري ، حنا مينة ، يوسف ادريس ولطفي الخولي . والندوة وان عقدت منذ حوالي ستة أشهر في القاهرة ، فانها تطرح أكثر القضايا تعقيدا واثارة للجدل في حياتنا الثقافية .

في مستهل الندوة قدم نجاح العطار وغالي شكري ورقتي عمل كأساس للنقاش . فنجاح العطار تعتبر ان الهزيمة هي هزيمة الانسان العربي المسحوق بالقمع والتخلف . « ان اكثرنا يلتقي عند رأي يقول : ان هزيمة حزيران عنصر جديد من هزيمة أكبر واسبق هي هزيمة الانسان العربي في معركة وجوده الفعلي » . ان آثار هذه الهزيمة قد سمحت للتيارات التجريدية والعدمية والعبثية والضبابية بالظهور . لكنها تؤكد على « ان تأصل الخط الواقعي لدى بعض الكتاب هو الذي ظل يطبع نتاجهم بطابعه الاصيل المتطور بتطور الاحداث » . وفي نهاية كلمتها تطرح نجاح العطار قضية الايصال ، داعية الى الكتابة السهلة العميقة .

اما غالي شكري فانه يؤكد النقطة التي اثارتها العطار وهي ان الهزيمة « كانت التعبير العسكري الدموي المباشر عن هزيمة واقعة في باطن المجتمع العربي » . ولقد اعادت الهزيمة طرح المسألة الوطنية . فقضية فلسطين أضحت قضية الانسان العربي اينما كان واكثر من أي وقت مضى ، « في ظل المقاومة الفلسطينية المسلحة التي مارست وتمارس دورها الايجابي » . اما نتائج الهزيمة على المستوى الثقافي ، فيمكن تلخيصها بنقطتين :

١ — فهي من جهة « أكدت في الاغلب الرؤى الفكرية للادباء العرب المعاصرين من مواقعهم المختلفة » .

٢ — ومن جهة اخرى « فاجأت الكثيرين من ادبائنا » ، الراضين بالواقع ، او الذين لا يرون سوى الهموم الصغيرة العابرة . ويخلص الى ان القلة النادرة من الادباء العرب استطاعت ان تضيف الى رؤيتها القديمة عناصر جديدة .

طرح يوسف ادريس قضية بالغة الاهمية . فهو يرى ان الهزيمة الثقافية هي أخطر انواع الهزائم « ذلك ان الثقافة ليست لمجرد الثقافة ، كما ان الفن ليس لمجرد الفن وانما هو روح الامة » . والثقافة في رأي ادريس قد ازدهرت بعد الهزيمة لان الادباء العرب هم ادباء مقاومون.

اما حنا مينة فانه يؤكد على الادب الواقعي الذي تنبأ بالهزيمة قبل وقوعها : « الادباء العرب قبل الهزيمة قد نبهوا الى وضع الانسان ، الى فقره وتخلفه » ، مستشهدا بروايتيه « الشراع والعاصفة » و « الثلج يأتي من النافذة » . ثم يعيد تقييم الادب الذي دعا الى الكتابة بالسكين والازميل ، فيرى انه ادب عصبي فيه مرارة صادقة ، لكنه اوصل نفسه الى درجة اليأس وفقدان الرؤية والامل . ثم يطرح علاقة الادب بالمستقبل ، فيدعو الى التخلي عن الكتابة الصعبة والمعقدة مؤكدا على الايصال . اما الحجة التي يتذرع بها الكتاب العرب وهي انهم يكتبون للاجيال القادمة يقول مينة : « ولست ادري من زعم لهؤلاء المبدعين ان الاجيال القادمة ستكون بحاجة الينا لنكتب لها » .

ولعل مداخلة لطفي الخولي ، هي اكثر مداخلات الندوة عمقا وشمولا . فهو لا يكتفي بوصف الواقع وتحليله ، انما يقوم بعملية ربط هذا الواقع الثقافي بخلفياته ، فهو يطرح قضيتين رئيسيتين تؤديان

الى طرح السؤال المركزي « كيف كان عدد الكتاب العرب الذين شاركوا في حركة المقاومة قليلا جدا ؟ » .

١ — ان ارتباط الادب بالهزيمة هو في الواقع ارتباط هذا الادب بالتطور السياسي والاجتماعي والمناخ الفكري عموما . « والمناخ الفكري يشتمل عندي على الاطار الديمقراطي وصياغاته المختلفة والامكانيات المتاحة للانسان كي يعبر عن نفسه بحرية » .

٢ — ان الاديب والفنان في بلادنا قد ساير الموجة التي شملت العالم الثالث كله . موجة تضخيم دور الفرد في التاريخ » .

ويصل الخولي الى استنتاج اساسي هو التناقض بين الموضوعية والذاتية . هذا التناقض هو الذي وضع الفنان الواقعي « في موقف السائح وسط الجماهير او موقف المنادي وليس المشارك».

وهو حين يحاول الاجابة على السؤال الذي طرحه ، يطرح ثلاث امكانيات للاجابة :

أ — القمع الفكري الذي تمثل بالجدانوفية .
ب — وهذا ما يؤدي الى تهرب الاديب من الالتزام.
ج — ان مشكلة الادب مرتبطة بشكل وثيق بمشكلة المجتمع ككل . « ان تحرير الادب او تحرير المرأة لا يمكن ان يتم بمعزل عن الحركة في المجتمع ككل » .

يطرح حنا مينة في رده على مداخلة الخولي ثلاث نقاط : أ — ان النقاد وليس الادباء هم الذين يتحملون مسؤولية الاتجاه الجدانوفي. في الخمسينات « أصبح مفهوم الادب الواقعي ، هو تصوير الجانب الميت في الانسان ، والمساعدة على الموت أكثر » . ب — لم يقف الكاتب العربي على رصيف الاحداث « لقد ساهم ادباؤنا في كل المعارك . لكنهم الان في حالة انتفاء عن المساهمة في المعركة، لان الحركة الان في شبه انتفاء » . ج — « يقول الخولي ان ادباءنا لم يغطسوا الى العمق ، وهذا صحيح . بمعنى اننا لم نكتب شيئا بحجم « الدون الهادىء » او « سقوط باريس » ذلك اننا لم نكتب فصلا عن الهزيمة » .

وفي ختام الندوة ، يعود لطفي الخولي الى تأكيد كون الجدانوفية كانت ايديولوجية مرحلة كاملة ثم يطرح قضيتين رئيسيتين :

١ — الدور الجماعي للكاتب يزداد شحوبا الان . وهذه ظاهرة غريبة وغير صحية . « فالفنان هو مهندس النفس البشرية » . لكن هذا مهدد اذا تقوقع الكاتب او الفنان .

٢ — دعوة الى التجمع الجبهوي ، والى خوض الصراع الفكري .

ويلخص غالي شكري استنتاجات الندوة باقتراح عملي : « قيام جبهة وطنية تقدمية ديمقراطية من ادباء وفناني الوطن العربي . لو ان هذا الاقتراح يأخذ من الدرس والمناقشة في سنوات اخرى ما يستحقه لكان مؤشرا هاما لحل الكثير من القضايا المعلقة » .

ان أهمية ندوة « البلاغ » هي في طرح المسألة . حتى وان كانت الندوة شبه عفوية ، رغم ورقتي العمل التي تقدم بها نجاح العطار وغالي شكري. وعفوية الندوة تتجلى من خلال قضيتين :

١ — فالندوة لم تطرح المسألة الجذرية بكل أبعادها : مسألة سيرورة علاقة الادب بالواقع . ليس على المستوى النظري فحسب ، ولكن على مستوى الواقع العربي الراهن . فالمسألة ليست مسألة التعبير عن هزيمة الخامس من حزيران ، انها مسألة القدرة على اكتشاف دور للادب من خلال اكتشاف محاور الصراع ونقاط تقاطعه .

٢ — ان النتيجة العملية التي خرجت بها الندوة « قيام جبهة ديمقراطية في ميدان الادب والفن » هذه الجبهة الضرورية واقعيا ، تصطدم باستحالة تشكيلها العلني في ظروف القمع الذي يزداد شراسة . من هنا يصبح السؤال عن الارض التي ستقوم عليها هذه الجبهة وعن القوى التي ستتحالف معها . أليست ثقافة « تحت الارض » هي الثقافة الوحيدة الممكنة في هذه المرحلة ؟

## حديث هام
## لكنه غامض

في عدد حزيران ١٩٧٢ من مجلة المعرفة الصادرة في دمشق مقابلة هامة اجراها بدر الدين عرودكي مع المستشرق الفرنسي جاك بيرك . في هذه المقابلة يطرح بيرك العديد من المفاهيم الادبية والثقافية التي تمس مباشرة حياتنا الثقافية الراهنة . وتتمركز آراء بيرك حول ثلاثة محاور :

١ ـ فهو حين يحلل ظاهرة التجديد في الشعر العربي المعاصر يصل الى الاستنتاج « ان الشعر المعاصر ، قد تبنى المعنى القديم والمستمر للاطلال والذي هو عبارة عن الحنين الى الوطن ، وأضاف اليه معنى اجتماعيا جديدا هو الاغتراب او الضياع » . وحول مبررات دراسة الشعر العربي انطلاقا من مقدمات سوسيولوجية يرى بيرك : « مما لا شك فيه ان ما هو شعري لدى الشاعر لا يكتفي بعكس البيئة ، وانما يقوم بخلقها ايضا. الشعر والشعر العربي منه هو كما قال مؤخرا شاعركم الكبير ادونيس مقولة من مقولات الابداع التاريخي . ان بينه وبين المقولات التاريخية الاخرى ، السياسة والتكنولوجيا الخ. ، علاقات متكافئة ، لا علاقات انعكاسات . ومن الخطأ القول ان الشعر يعكس الواقع . انه كالوعي يؤثر على المقولات الاخرى ، بقدر ما تؤثر هي عليه ... الشاعر انسان ، يؤثر في المجتمع تأثيرات لا يتلقاها هو نفسه من المجتمع . انه بذلك يؤلف رسول فضل القيمة . وذلك يفسر بالتالي تضامنه في الحياة السياسية مع الطبقات الاجتماعية خالقة فضل القيمة » .

ب ـ يعيد بيرك محاكمة عصر النهضة . فهو يدعو الى نقد النهضة المتهمة « بوضع العرب في طريق خاطىء . اني اعتبر ادباء النهضة مقتبسين ومتممين » .

ج ـ حول القصة والرواية والانواع الادبية الاخرى ، يرى بيرك ان الفنون التي كانت معروفة سابقا ، أي قبل ما يسمى بعصر النهضة ، قد أخفقت في تجديد نفسها ، نتيجة الصراع بين القديم والجديد . كالموسيقى مثلا . بينما في الرواية وهي نوع ادبي جديد « فقد كان العرب خلاقين بما فيه الكفاية » . وهو يعتبر ان العرب قد نجحوا كثيرا في ميدان الابداع الشعري : « فعندما سيطر الشاعر بما فيه الكفاية على قيم لغته الخاصة لكي يضاعف في الابداع في المناهج او في مصادر الوحي . فقد حقق هذه المضاعفة بواسطة قيم لغته الخاصة ، لا عن طريق مناوأتها. ولذلك بالتحديد اعتقد ان العرب قد حققوا نجاحهم الاكبر في الشعر » .

ان المقابلة مع جاك بيرك ، كبيرة الاهمية . فهي في طرحها للقضايا الرئيسية التي تشكل ميدان الممارسة الابداعية في حقل الادب والفن ، تطرح اشياء جديدة ، ومنهجها في التحليل الادبي يتجلى في ضرورة دراسة الشعر انطلاقا من مقدمات سوسيولوجية . غير ان الطابع السريع للمقابلة ، قد أبقى أهم المفاهيم التي يطرحها بيرك ، غامضة وخارجة عن اطار الدراسة الموضوعية الهادئة . فموضوع علاقة الشعر بالوعي ، وعلاقة الوعي بالمقولات الاخرى ، ووضع وجهة نظر بيرك ضمن السياق التاريخي لفهم العرب للشعر وممارستهم للابداع الشعري ، قديما وحديثا ، يتطلب مناقشة واسعة ، تنطلق من ضرورة اكتشاف العلاقة بين المستويات المختلفة للثقافة العربية ، وعلاقة هذه المستويات بالتطور التاريخي ، الاجتماعي ، الاقتصادي ، لبنية المجتمع العربي .

## درويش يمرّ
## بين فراغين !

● يتابع محمود درويش في قصيدته الجديدة « كأني أحبك » [ الاهرام ٦ ـ ٧ ـ ٧٣ ] الخط الذي بلوره في « النزول من جبل الكرمل » . فالموقف الغنائي هو موقف مأساوي في بعده الاساسي . والمزاوجة بين الواقع والحلم هي مزاوجة لا تنتهي الا الى تساؤل جديد . فالقصيدة تنتهي في نقطة

بدايتها حول السؤال الذي لا يـزال مرتسما ، والتحولات داخل القصيدة ، ليست سوى محاولة للمزج بين اطراف متعددة ، توحدهـا الكآبة ، ويصير فيها الوطن صدى لامتداد الانسان في عالم موحش ، يغربه ويدفعه خارجا ، فلا يبقى امامه سوى التساؤل :

« لماذا نحاول هذا السفر

وكل البلاد مرايا

وكل المرايا حجر

لماذا نحاول هذا السفر »

ان قراءة ثانية لقصيدة درويش تطرح علينا العديد من الاسئلة ، عن مسار التجريبية في الشعـر العربي ، التي يحاولها درويش في اصرار وعناد . فتجريبيته تتنقل بين محورين :

أ ــ القصيدة الشاملة ، التي تحمـل موقفـا انسانيا شموليا ، وتحاول ان تبلوره بلغة شعرية تبتعد عن تراث لغة الشاعر ، لتكتشف في اللغة ابعادا جديدة ، ولتقتحم الاسـئلة الصـعبة التي تطرحها المواجهة الواقعيـة . في بناء متعـدد الاصوات ، تنبع هندسته التشكيلية مـن داخـل العلاقة بين اطرافه المتعددة .

ب ــ الغنائيات ، التي هي استمرار ، لتراث الشاعر اللغوي والرؤيوي ، يقف المغني وسط قضيته ، ويتنقل بين ابعادهـا حاملا صورته فـي الاساس ، المنعكسة على جسد الحبيبة الغائبة دائما .

في العلاقة بين هذين المحورين، ينمو شعر درويش، محاولا ان يمسك بطرفي لعبته الخطرة . فالانتقال نهائيا الى مواقع جديدة ، بشكل جذري ، ليس قضية شخصية ، يستطيع شاعر ان يحلها بشكل فردي . انها قضية تغييرات الواقع ، وانفجاراته، التي بها ، ومعها يتطور الشعر ، ويكتشف ارضه التي يقف عليها

« آه لا بد من حارس بيننا

كأن المياه التي تفصل الجسدين

دم الجسدين

وكنا هنا ضفتين »

« كأني أحبك » ، محاولة للاستمرار الغنائي ، لكن الاستمرار لا يعني البقاء ، دون انعطافات يفرضها منطق الحب ، ومنطق توغل الفجيعة داخل علاقة الشاعر بأرضه وشعبه . فاذا به يمشي بين فراغين ... « مر يوم بلا شهداء » و « مر يوم بلا شعراء » ليصل الى لحظة السؤال عـن معنى العلاقة بين جثته والقمر في بدايـة الشروع في مغامرة السفر ، الذي يبقى سؤالا بغير جواب .

## ادونيس . .
## يهدم من الداخل

في ٣٠ حزيران ١٩٧٣ ، جرت مناقشة الرسالة التي تقدم بها الشاعر ادونيس لنيل الدكتوراه في الادب العربي في معهد الاداب الشرقيـة التابع لجامعة القديس يوسف في بيروت. موضوع الرسالة « الثابت والمتحول ، بحث في الاتباع والابداع عند العرب ــ منذ نشوء الاسلام حتى نهاية القـرن الثالث الهجري ــ » وقد شارك في النقاش : الاب بولس نويا ، سعيد البستاني ، انطوان غطـاس كرم وعبدالله عبد الدايم . والرسالة هي حدث هام في حياتنا الثقافية ، لانها من جهة تطرح احد اعقد الموضوعات الفكرية ــ العلاقة بالتراث وفهمنا لهذا التراث ــ ولانها من جهة ثانية تتبع منهجية جديدة ، دراسة التراث من منظور مقولتي الثبات والتحول ، لتصل الى استنتاجات جذرية . وفي الدفاع الذي تلاه في بداية المناقشة ، قدم ادونيس الخطوط الرئيسية لاستنتاجات رسالته : « بما ان الثقافة العربية ، بشكلها الموروث السائد ، ثقافة اتباعية ، لا تؤكد الاتباع وحسب ، وانمـا ترفض الابداع وتدينه ، فان هذه الثقافة ، تحول بهذا الشكل الموروث السائد ، دون اي تقدم حقيقي . لا يمكن بتعبير آخر ، كما يبدو لي ، ان تنهض الحياة العربية ويبدع الانسان العربي ، اذا لم تتهدم البنية التقليدية للذهن العربي وتتغير كيفية النظر والفهم التي وجهت الذهن العربي وما تزال توجهه ... غير ان كل تغيير يفترض الانطلاق بأن اصل الثقافة العربية ليس واحدا بل كثير . وبأن

هذا الاصل لا يحمل في ذاته حيوية التجاوز المستمر ، الا اذا تخلص من المبنى التقليدي ولا يكون اولوية للمعنى على الصورة ، او للنطق على الكتابة ، بل هناك جدلية وحدة بينهما .

واذا كان التغيير يفترض هدما للبنية القديمة التقليدية ، فان هذا الهدم ، لا يجوز ان يكون بآلة من خارج الذهنية العربية ، وانما يجب ان يكون بآلة من داخلها . ان هدم الاصل ، يجب ان يمارس بالاصل ذاته . وفي هذا الهدم يجب التوكيد على ان الحقيقة ليست في الذهن بل في التجربة . والتجربة الحقيقية الحية هي ما تؤدي الى تغيير العالم . وهكذا تكون النظرية الصحيحة وعيا بممارسة عملية تستهدف هذا التغيير » .

وفي المقدمة التي كتبها ادونيس لرسالته ، محاولة لدراسة أهم التيارات الفكرية والادبية منذ نشوء الاسلام وحتى نهاية القرن الثالث الهجري . وهو في مقدمته يحاول أن يعيد تركيب الفكر العربي ضمن هاتين المقولتين ، ليكتشف ان لا جدل بينهما بل هما يسيران في خطين متوازيين .

ان الاهمية الكبرى لرسالة ادونيس هي في جرأتها على طرح المسألة الاكثر تعقيدا في فكرنا العربي . وهو في محاولته هذه ، يحاول اعادة فهم التراث العربي ، واعادة تصنيفه وتقويمه . وادونيس في رسالته هذه يتابع العمل الذي قام به في مقدمة « ديوان الشعر العربي » وفي « زمن الشعر » حيث حاول التنظير للحركة الشعرية العربية بمقاييس « فنية » لا تكشف ارتباط البنى ببعضها ، انما تقيم بينها مجرد نقاط تقاطع . وهذا يؤدي الى وقوع البحث في الانتقائية . والرسالة سوف تصدر قريبا في بيروت . ولا بد من العودة اليها ومناقشتها بشكل مفصل .

## مشروع رواية

صدر عن دار ابن خلدون رواية عاصم الجندي « كفرقاسم » . والرواية هي مشروع اولي لكتابة سيناريو عن مذبحة كفرقاسم . انها دراسة أعدت لتكون الخلفية التي يبنى على اساسها سيناريو سينمائي . لذلك فهي تحاول ان تتكون في اطار متحرك لعلاقات اجتماعية وسياسية تربط بشرا محددين الى بعضهم البعض في مواجهة الوحشية الاسرائيلية . انها كرواية ، تفتقر الى مقومات العمل الروائي الحقيقي . انها مشروع اولي . فيه الكثير من الحقائق التاريخية ومن جهد البحث. وقد فاز سيناريو هذه الرواية الذي أعده المخرج اللبناني برهان علوية بالجائزة الاولى في مسابقة سينمائية للدول الناطقة بالفرنسية . قيمة الجائزة مئة الف ليرة لبنانية تستخدم لانتاج السيناريو سينمائيا . وسوف تقدم الجائزة في مهرجان يقام في بيروت بين ١ و١٣ ايلول ١٩٧٣ .

الياس خوري

# اسرائيل والتكنولوجيا : ثلاثة تقارير

## التقرير الاول

## التكنولوجيا في اسرائيل

### الدكتور محمد عجلان

للموضوع أهميته الكبيرة بسبب عديد من العوامل، تضافرت لتعطي له أهمية تكاد تكون الاولى حاليا فيما يتعلق باسرائيل . وأبرز اهميته سرعة الهزيمة في يونيو ( حزيران ) ١٩٦٧ — وقسوتها ومداها . ولعبت اسرائيل على نغمة الفجوة التكنولوجية بينها وبين العرب لتجعل من مجرد الاسم رعبا يملأ الصدور . وساعدها الاستعمار بالاعلان في كل مناسبة عن تميز تكنولوجي جديد يضيفه الى ترسانتها . بل ووقع الكثير من العرب اسرى هذا المخطط . راح الذين أعمت الشماتة قلوبهم يرددون قول اسرائيل والاستعمار . وذهب دعاة اليأس والاستسلام الى تضخيم ما سمي بالفجوة والدعوة الى الصبر والتأني حتى يكون للعرب نصيبهم من قدرات هذا المارد الجديد . وراحت اقلام — قد لا يشك في اخلاصها — ببحث ظواهر مختلفة في المجتمع الاسرائيلي وهي أسيرة قسوة الهزيمة ومداها ، وخرج ما كتبته هذه الاقلام — بصرف النظر عن النوايا — تضيف انغاما في السيمفونية الكبرى التي يعزفها الاستعمار واسرائيل . وتكاد الشعوب العربية لهذا تقع أسيرة التميز التكنولوجي الاسرائيلي . وتكاد صورة المارد تطغي على ما عداها من صور في أمر النزاع العربي الاسرائيلي. من هذا وغيره ، كانت للموضوع اهميته القصوى. ومن هذا وغيره ، تكون صعوبة المعالجة ، لانها تتم في أرضية تكاد لكثرة ما بث فيها من دعاية تشبه حقلا من الالغام . وليكن سبيلنا لنشق طريقنا خلاله عددا من النقاط يتم الاتفاق حولها قبل الدخول الى الموضوع .

أولا : ان المعالجة لا يمكن ان تكون اكاديمية تعنى بالظاهرة من حيث هي فحسب . تعدد جوانبها المختلفة ، وتقيم هذه الجوانب وتصل في النهاية الى استنتاج وان بني على عدد من الحقائق الا انه كان استنتاجا أصم .

ثانيا : ان أي ظاهرة في المجتمع الاسرائيلي — وكل المجتمعات — لا يمكن أن تنفصل عن باقي الظواهر، بل أنها جميعا وفي الظروف الطبيعية للمجتمعات يجب أن تنعكس على بعضها بعضا . تلك قاعدة جدلية لا يجوز ان نحيد عنها حتى لا تقع فريسة التأثير الخاص لاي لون من الوان الظرف وحده .

ثالثا : الا نقع فيما وقع فيه الكثيرون قبل يونيو ( حزيران ) ١٩٦٧ من فرط التهوين .

رابعا : والا نقع فيما تريد لنا اسرائيل والاستعمار بعد يونيو ١٩٦٧ من فرط التهويل .

وليكن هدفنا تقييما موضوعيا اهم ما نصل اليه منذ ان نستكشف الطريق السليم للتحرير واستعادة الحقوق .

#### المجتمعات التكنولوجية

اذ توصف اسرائيل بالتقدم التكنولوجي الكبير بالنسبة للعرب، في وقت تتعالى فيه الاصوات كذلك عن الثورة العلمية والتكنولوجية المعاصرة في العالم، فان الربط الذهني يكون تلقائيا فيما بينهما ويصبح المستمع — اراد او لم يرد — مضطرا الى ان يربط بين هذه وتلك ، وان يرى في اسرائيل صورة محلية من هذا *الوافد العلمي* الجديد . ومن هنا

كان واجبا ان نلمس ملامح تلك الثورة التكنولوجية العالمية وما تستلزمه في المجتمعات التي وجدت بها، وما تضفيه عليها من صفات ليكون هذا منظارا — وفي الواقع معيارا — نرى ونقيس به المجتمع الاسرائيلي .

ومع أنه باعتبار الثورة التكنولوجية واقعا جديدا على المجتمع العالمي ، وقد تختلف الاراء بعض الشيء حول آثارها الاجتماعية والسياسية او الشروط الاجتماعية اللازمة لنموها وتطورها الا انه تكاد الاراء تتفق حول اعتبار الثورة التكنولوجية نتاجا طبيعيا لظاهرتين تلازمتا في العقود الاخيرة ، الاولى ظاهرة « الطوفان العلمي » بكل ما تحمله كلمة الطوفان من معاني الاكتساح والسيطرة والطغيان ، والثانية الاستخدام السريع الفوري لهذا الانجاز العلمي في حقول النشاط الاقتصادي عامة .

وينتج من ذلك عديد من المستلزمات حتى تتحقق منهما الظاهرتان المتلازمتان ضمن ملامح الثورة التكنولوجية . لعل اهمها **وجود قاعدة علمية** قادرة على الخلق والابتكار وليس مجرد الاضافة للمحصول العلمي الانساني ، **ووجود قاعدة صناعية** لها من التقدم التكنيكي وترتبط بالبحث العلمي التطبيقي الى درجة ان تستطيع تحويل الانجاز العلمي الى واقع عملي .

أما **القاعدة العلمية** فيكاد يتفق الرأي على أنها تكون قد تواجدت اذا ما تحقق ان يوجد في المتوسط ثلاثة من العلماء ( وليس مجرد المشتغلين بالعلم ) لكل ألف من السكان ، وان يكون الهرم العلمي بحيث لو افترضنا ثلاثة مستويات للابداع العلمي فانه يكون هناك ازاء كل عالم في المرتبة العليا اربعة في المرتبة الثانية ، وتسعة في المرتبة الثالثة . هذا الوضع الذي ينتج عنه توسع كبير في التعليم الجامعي الى حد انه من بين كل ١٠٠٠ من السكان ينخرط في الجامعة ٢٩ فردا في الولايات المتحدة ( او ٤٣ ٪ من عدد المواطنين الواقعة اعمارهم بين ٢٠ ، ٢٤ عاما ) ، ١٨ فردا في الاتحاد السوفياتي ، ١٠ في هولندا ، ١٠ في السويد ، وذلك ليتوفر دائما الفيض المستمر من الاعداد اللازم انخراطها في سلك البحث العلمي . كما يستلزم وجود القاعدة العلمية أمران اخران ، الاول تزايد الانفاق على البحث العلمي الى ان يصل في المتوسط الى ٢٫٨ ٪ من الناتج القومي. فالواقع ان الولايات المتحدة ، مثلا تنفق ما يزيد على ٤ ٪ على البحث العلمي ، كما ينفق الاتحاد السوفياتي حوالي ٣٫٥ ٪ بينما يتراوح ما تنفقه اوربا حوالي ٢ ٪ من الناتج القومي . ولا بد ان يستقر في الاذهان انه ليست مجرد النسبة هي الدالة الفعلية بل لا بد من ارتباطها بصورة مباشرة بالناتج القومي في هذه البلاد ، والذي يجعل من مخصصات البحث العلمي ارقاما تكاد بالقياس الى ميزانيات عديد من الدول النامية تصبح ارقاما فلكية . أما الامر الثاني الذي يستلزمه الاقرار بوجود القاعدة العلمية فهو امكان مضاعفة المحصول العلمي في عدد قليل نسبيا من السنين . ولعلها حقيقة قد تصلح بعض الشيء للمقارنة ان نذكر ان اوربا وقد بدأت نشاطها العلمي منذ منتصف القرن السابع عشر اذ كان متوسط مضاعفتها للمحصول العلمي كل ١٥ عاما بينما كانت الفترة عشرة اعوام لامريكا الشمالية بدءا من منتصف القرن الثامن عشر ، وكانت سبعة أعوام للاتحاد السوفياتي بدءا من ثورته الاشتراكية في ١٩١٨ ، وكانت خمسة اعوام بالنسبة للصين بدءا من ثورتها الحديثة في ١٩٥٠ .

ويضاف بالضرورة في شأن القاعدة العامة ان تصبح رسالة خريج الجامعة — ذلك الذي يجب ان يهيىء أساسا للبحث العلمي — في أي موقع له في المجتمع، طاقة عاملة في البحث العلمي، وليس مجرد تسيير الاعمال . لقد أنفق قدر من الثروة القومية لكي يصل بالتعليم الجامعي الى هذا المستوى ، وان تستغل قدراته عند اقل من هذا يكون اهدارا لقدر من الثروة القومية . وهذا واقع يستلزم بالتالي ان يتوفر في المجالات العملية — على الاقل — لكل جامعي ثلاثة الى اربعة افراد من ذوي التأهيل المتوسط . يتيح وجودهم ومعاونتهم للجامعي في العمل أن يحقق الدور المفروض منه. والواقع أن الامور تذهب الى أبعد من ذلك . فالبحث العلمي والتوجه العلمي في الاداء وتحقق اثر البحث العلمي والمعرفة العلمية في الواقع الاقتصادي للمجتمع لا يتحقق بانزواء البحث داخل المعامل والمختبرات فحسب ، بل يجب ان ينتقل الاسلوب العلمي الى الممارسة اليومية للحياة في المجتمع . فالعمل اليومي في اي موقع ومكان من المجتمع يوفر الاف وملايين الفرص للمشاهدات ، وتسجيلها ، والربط بين الظواهر ، والوصول الى استنتاجات مبدئية على الاقل ، ذلك النوع من

النشاط الفكري الذي يمكن أن يوجه البحث التطبيقي على الاقل في عديد النواحي ، ويوفـر اصدق المجالات للحكم على نجاحه. والمعيار الحقيقي للتقدم العلمي في أي مجتمع — ومن ثم رسوم القاعدة العلمية فيه — يكمن ليس في كمية البحوث التي تفرزها مختبراته ومعامله ، بل في استطاعة افراد هذا المجتمع — أيا كانت مهنهم — أن يراقبوا النتائج العلمية في التطبيق ، وان يحققوا صحتها، بل وان يحسنوها وأن يضيفوا مـن الاقتراحات ما يساعد على تطويرها .

اما القاعدة الصناعية فحتى يوصف احد البلدان بأنه قد حقق وجودها فان ذلك يتضمن ليس مجرد قيام الصناعات المختلفة فيه ، بل مواصفات معينة للقطاع الصناعي . وهذه وان كانت عديدة الا انه يمكن ان يؤكد اتفاق الراي بصورة واسعة على اضفاء هذه الصفة اذا تحقق عدد من الشروط لعل أهمها :

* قيام الصناعة الثقيلة ويعنى بها في الاساس صناعات الحديد والصلب والمعادن غـير الحديدية والصناعات الهندسية .

* واذا كانت الصناعات المعدنية معروف ما يعني بها ، فان وجود القاعدة الصناعية تستلزم أن تشمل الصناعات الهندسية انشطة مثل صناعة الادوات ، معدات انتاج الكيماويات ، معدات الهندسة الكهربائية ، صناعة المعدات والماكينات الثقيلة ، وآلات توليد الطاقة ، ومعدات النقـل وآلات تشغيل المعادن وهكذا .

* ولا يعني هذا مجرد انتاج هذه القوائم مـن المعدات والالات ، بل انه يلزم عند اختبار التركيب الانتاجي في أي بلد من البلدان أن يفحص بدقـة التركيب الداخلي أي التركيب الانتاجي داخل كل فرع من فروع الصناعة ، فلهذا اثره الكبير على تقدير المستوى التكنولوجي للانتاج في الفرع ومن ثم الانتاج القومي ككل .

* هنـا تدخل اعداد من معايير القياس بالاضافة الى المعايير المعتادة منها التوزيعالنسبي للرأسمال الثابت بين اجهزة الانتاج واجهزة القياس والتحكم والمعايرة ، ومؤشرات الكفاءة الانتاجية التي تبنى على أساس الربط بين الانتاج والاتفاق من عوامل الانتاج في توليد وحدة الانتاج ، ومدى الهدر فـي استخدام المستلزمات بمختلف مصادرها ، ونسبة راس المال اللازم لتشغيل العامل مقارنا بالغير ، ونسبة الانتاجية مقارنة كذلك بدول اخرى ذات مستويات مختلفة من التطور ، ومؤشرات التطوير في طرق الاداء كما تنعكس على هـذه العوامل السابقة وهكذا .

وحين يتم التلاحم بين القاعدة العلمية والقاعدة الصناعية وهو الشرط الضروري لاسهام المجتمـع في الثورة العلمية والتكنولوجية العالمية ، فان ذلك يعني فوق ما سبق او يجب ان يتحقق منـه عديد من الصفات التي يمكن الاشارة اليها في :

* ان يتزايد معدل النمو للناتج القومي بمعدلات مرتفعة ، ولكن يصبح أغلبه راجعا الى التقـدم العلمي والتكنيكي الناتج من انجاز علمي تكنولوجي أكثر من أن يرجع الى زيادة الاستثمار من رؤوس الاموال ، او لزيادة العمالة كما او كفاءة . ذلك مما ينطبق على الدول المتقدمة فعلا ، وان كان يلزم بعض الحذر في اعماله على الدول النامية ، وكثير منه في حالة الدول المتخلفة .

* ان يتضاءل نصيب المواد الخام في اقتصاد الدولة اذ يتقلص القدر الناتج عنه في تكلفة الانتاج، ويصبح القدر الاكبر من التكلفة راجعا الى الثروة العلمية المستغلة في الانتاج ، سواء كانت فـي صورة البحوث العلمية التي أنشأته وتطوره او في صورة الاسلوب التكنولوجي المستخدم في الانتـاج ومدى تقدمه .

* ان يتحول الانتاج وعلى الاخص الصادرات في تزايد نسبي لصالح الصناعات النامية مثل المعدات الالكترونية والطيران والادوات العلمية والكيماويات على حساب الانتاج والصادرات التقليدية .

* ان يتزايد نصيب الاتمتة ممثلا في تزايد عدد العقول الالكترونية من مختلف الاحجام والقدرات في رأس المال المستغل .

* ان يكون للمجتمع ككل دور متزايد في الاتجاه العالمي الحالي نحو تسخير واستخدام الطـاقة الذرية وفي الصناعات الكيماوية كممثل فعلـي للاتجاه التكنولوجي الحديث والالكترونيات كمفتاح السيطرة العلمية على الانتاج وعلى نشاط الطيران ووسائل التحكم والقياس سواء عن قرب او عن بعـد .

وحقيقة ان ما سبق انما يعطي ملامح تلك المجتمعات التي يمكن وصف انها تشارك في الثورة العلميـة

والتكنولوجية المعاصرة ، ولكن هذه الملامح حيث تتحقق فانها لا تنشأ من فراغ ، بل هي النتاج الطبيعي لعملية تطور مستمرة في المجتمع دفعت به الى بلوغ هذا الشأن .

ويلعب عديد من العوامل دوره في وصول المجتمع الى ذلك الوضع . لعل أولهـا ضخامة المجتمع بالمعنى المادي للكلمـة أي في مساحته وخاماتـه وعناصره البشرية وفوق ذلك انتاجه القومي وما يخصصه للبحث العلمي وللمستوى التعليمي لافراده كافة ، ولعل منها توفر رؤوس الاموال القادرة على المخاطرة والمثابـرة وراء البحث ونتائجه ، ومنها كذلك اتساع السـوق سواء المحلـي او الخارجي الذي يتيح انطلاق الانتاج المحقق الـى الاستهلاك ، ومنها كذلك — في الدول الرأسمالية بالذات — وجود الشركات العملاقة التي يمكن ان تسيطر على مراحل عملية انتاجية معينة من ألفها الى يائها وأن تعمل كل عوامل تحسين النـوع وخفض التكلفة وتدرج العمليات وغير ذلك والتي تتيح لها امكانياتها الانفاق على البحث العلمـي والذي يصل كمتوسط في العالم الان الى ما بين ٢٠،١٠ ٪ من اجمالي انفاقها ..

وقد يتميز بين هذه العوامل في المجتمع ارتفـاع المستوى التكنيكي لدى أفراده الذي لا بد يسمح بأن تتحول الاعمال التي تؤدى في تلقائية وميكانيكيـة ورتابة الى وسائل تكنيكية بحتة تخلى العامل من العمل العضلي ليتفرغ للعمل الذهني وهو المرحلة الاولى نحو دخول مجتمع الثورة التكنولوجية التي فيها يسلم النشاط الذهني المرتبـط بشكل مباشر بالعملية الانتاجية الى الالات ذاتها عن طريق العقول الالكترونية التي تحكم أداؤها . كما يتميز بـين العوامل ارتفاع المستوى التعليمي عامة. فبالاضافة الى ما ذكرناه عن نسب التعليم الجامعـي فان مجتمعنا في عصر الثورة التكنولوجية لا يمكـن ان يعيش أو أن يتقدم فيها اذا كان مستوى اغلبيـة افراده عند ما اصطلحنا على تعريفه بالمرحلـة الابتدائية ، غير أن نشاط البحث العلمي وزيادة خريجي الجامعات ، وتوجيههم نحو البحث العلمي في مواقع عملهم شروط اساسية ولكـن ارتفاع مستوى التعليم عامة في البلاد شرط مكمـل ولا يصلح الاول بدونه .

ان ارتفاع كل من التقنية ( التكنيك ) والمستوى العلمي انما هما في الواقع طاقة تكنولوجية محتملة.

## الصورة الاسرائيلية

يجب عنـد استعراض صورة المجتمع الاسرائيلي في أي شأن من شؤونه أن نضع نصب اعيننا وان يظل في الذهن دائما عدد من المعايير المدروسة التي ينظر لذلك الشأن في ضوئها . فنحن العرب عرضة على الدوام للانبهار بمختلف ظواهر تلك الدولة . لقد دأبت دعايتنا وحكامنا طوال القدر الاكبر من ربع القرن الذي مضى من حياة اسرائيل — بل وفيما قبله — يبثون فيما بيننا ما يدفع الى الاحتقار لشأن هذه الدولة « المزعومة » وعلـى العكس التضخيم لكل ما نملك او نستعمل من سلاح — اذا كنا قد استعملنا — ازاءها حتى سرت العقيدة لدينا بأن اسرائيل ما هي الا كيان تافه تكفي هبة مـن الريح لتلقي بها في زوايا النسيان . واذ تعيش شعوبنا أسرى هذا الوهم الذي لم يكن له من جانب العرب ما يسنده ثم نفاجأ بمرات ثلاث متتالية من انتصار ان لم يكن ساحقا فهو كبير لهذا الكيان الضعيف — كما ظللنا نسمع — لامر كفيل بأن تنفغر الافواه بالدهشة وان يولد رد فعل يذهب بنا من النقيض الاول هو وهم الدعاية العربية المستمرة بضعف العدو وتفاهة شأنه ، والنقيض الثاني هو الانبهار الى حد اليأس بانجاز ذلك « الضعيف ، التافه الشأن » .

ولقد دفعت نكسة حزيران ( يونيو ) ١٩٦٧ بسبب سرعتها وقسوتها الى انهيار ذلك الاسلوب الدعائي العربي السابق ، وارتفع عاليا — وربمـا لاول مرة — صوت الداعين بالمعرفة بالعدو قدر المعرفة بالنفس كضرورة أساسية لامكان ان يتحقق للعرب نصر . وتوالت الدراسات الهادئة الهادفة حول مختلف شؤون المجتمع الاسرائيلي .

ولكن ليس من خشية في ان نقول ان تلك الدراسات تأتي ونحن العرب في حالة الانتقال من النقيض الى النقيض . تأتي ونحن في حالة الانبهار مما استطاع ان يحقق ذلك العدو الذي درجنا عشرين عاما على رؤيته ضعيفا لا يصمد امام نفخة من الريح ، ومن ثم فقد يشوبها بعض من التضخيم ، وقد يعتريها بعض المغالاة . ذلك أمر محتمل . يضاف له انه لا يمكن لعربي ان يدرس شأنا من شؤون اسرائيل او ان يعرض لامر من أمورها الا وكانت الصورة العربية خلفية ثابتة في ذهنه لا يفتأ يعرض ما يدرس للمقارنة ازاءها . وتزداد هنـا الفرص لحـالة الانبهار . انه ليس من انكار ان واقعنا متخلف ،

وان التخلف يذهب به في بعض النواحي ان يكاد المرء يخجل من الحديث عنه . ولكنه واجب ان نحذر دائما من أن يجعل هذا من صورة العدو عملاقا ننتهي في النهاية ان لا سبيل الى مجاراته. ذلك في الواقع حذر لا بد ان يتوفر لكل من الكاتب والقارىء قبل أن نعرض لصورة اسرائيل والتكنولوجيا .

لقد أوضح ما سبق أن عرضناه في شأن الثورة التكنولوجية العالمية المعاصرة، وفي شأن التكنولوجيا عامة انه لا بد أن ننظر اليها من زوايا ثلاث ، زاوية القاعدة العلمية ، وزاوية القاعدة الصناعية والزاوية المشتركة حيث يلتقيان ويتفاعلان وهي زاوية الاقتصاد .

## النشاط العلمي في اسرائيل

ان من المسلم به أن ادراك دعاية الصهاينة لدور العلم وأهميته في بناء الدولة الصهيونية يرجع الى نفس الوقت الذي بدأ فيه هرتزل دعوته العنصرية، وان التخطيط للنشاط العلمي قد بدأ منذ اوائل القرن الحالي .

وانعكس هذا عمليا في انشاء الجامعة العبرية في القدس منذ ١٩١٨ ، وأعقبها اقامة كل من معهد وايزمان ومعهد التخنيون حيث استطاعت ثلاثتها مع الوقت والجهد أن تصل الى مرتبة متقدمة من الناحية الاكاديمية تعترف بها الاوساط العلمية العالمية .

وتابعت الدولة بعد قيامها نفس الاتجاه فانشأت هيئة الطاقة الذرية الاسرائيلية بعد ثلاثة شهور فحسب من قيامها ، وأضافت جامعتين جديدتين في تل ابيب وبار ايلان ، ونشرت عددا من المعاهد يوردها دليل المؤسسات العلمية والتقنية في اسرائيل، منها ٦٨ مركزا في قائمة المعاهد والمحطات ومراكز الابحاث المتخصصة في التكنولوجيا والعلوم الطبيعية ، ٥٢ مركزا آخر في قائمة مراكز التطوير والبحوث في الحقل الصناعي تتوزع تخصصات الاولى منها بين العلوم الزراعية والاسماك والصحة ومصادر المياه والبترول والشؤون الصناعية والتحليل النفسي والطقس واخيرا علوم الفضاء والطاقة الذرية ، كما يتميز من بين مراكز النوع الثاني سبعة تخصصت في صناعات الكترونيات الصناعة والطب والملاحة الجوية ومعدات الاشارة والانذار والاجهزة العلمية وصناعات الطيران وما يتصل بها .

وتبذل اسرائيل جهدا كبيرا في سبيل اعداد القوة البشرية اللازمة لسير الابحاث العلمية في الجامعات والمعاهد الى درجة ان يزيد العدد الى حد ما عن ٣٠٠ باحث نصفهم على الاقل من حملة الدكتوراه .

وفي سبيل استمرار تجدد المعرفة العلمية والاتصال بالتطورات العلمية عالميا فانها تشترك في معظم المؤتمرات العلمية العالمية والاجتماعات والحلقات والندوات والدورات التدريبية حتى كانت الثانية بين دول العالم في هذا الشأن بنسبة مساهمة وصلت الى ٨٨ ٪ بعد أمريكا فقط . وتوالى ارسال العلماء للاستزادة والمشاركة في البحوث في معاهد خارجية ، وتنشط في اقامة المؤتمرات العلمية محليا حتى كان متوسط عدد المؤتمرات العلمية ( أو ما يشابهها ) التي تعقد بها يزيد عن عشرين اجتماعا سنويا . كما تنظم ترجمة لكل الدوريات والمقالات العلمية في العالم لتتوفر بذلك لدى افرادها المراجع العلمية كاملة فضلا عن استغلال الترجمة تجاريا .

ومع ان اسرائيل تخرج من حملة الدكتوراه عددا اذا قيس بالنسبة الى عدد السكان لفاق معظم دول العالم ، الا انها تشجع هجرة الفنيين والاخصائيين اليها من الخارج ، وتقوم جمعيات صهيونية بالدعوة والتشجيع والتمويل لهذا النوع من الهجرة الى حد ان صار تركيب الطاقة البشرية العلمية والتكنولوجية في منتصف الستينات مكونا من ٥٢٪ من خريجي المعاهد الاكاديمية الاسرائيلية، ٤ ٪ طلاب أنهوا تحصيلهم العلمي في الخارج والباقي وقدره ٤٤ ٪ من المهاجرين والوافدين . اما تمويل البحوث العلمية والتقنية فمتعددة المصادر . فاسرائيل تنفق ما يمثل حوالي ١،٥ ٪ من الدخل القومي ( او ١،٣ من الناتج القومي ) على البحوث ولكن هذا الرقم تراوح في نسبته الى اجمالي الانفاق على البحث العلمي بين ١١ ٪ ، ٦٥ ٪ حيث يمول الباقي من مصادر خارجية اهمها « جمعيات اصدقاء » المعاهد الاسرائيلية في الخارج، وبعض المؤسسات الخاصة والعامة والشركات العالمية ( شركة فولكس فاجن مثلا ) . والهيئات الحكومية الامريكية التي تصل مساهمتها في تمويل بعض البحوث الى ١٠٠ ٪ .

وأدى هذا الجهد المستمر الى الاثمار في حقل البحوث العلمية المنشورة فحققت اسرائيل معدل نشر قدره مقال علمي لكل عالم بحثي سنويا ، وهو

معدل يفوق جميع الدول النامية على الاطلاق ، بل ويتفوق في الكم — أي من ناحية العدد — على انتاج قارات بأكملها مثل أمريكا اللاتينية .

هذا في شأن قوى البحث العلمي وقيادته . أما في شأن الجامعيين العاديين فيحتوي المجتمع الاسرائيلي على حوالي ٥٥،٠٠٠ جامعي من مختلف التخصصات ، تفخر اسرائيل بأن من بينهم ٩٠٠٠ مهندس بمتوسط قدره ٣ مهندسين لكل ألف من السكان وهي نسبة لا تتوفر لعديد من الدول الاوربية ، وان بينهم من الاطباء ما جعل نسبتهم الى السكان كنسبة ١ : ٤٠٠ وهي افضل نسبة عالمية في هذه الناحية ، مما امكن ان يوفر من بينهم حوالي الالف للقيام ببحوث علمية في الطب وعلوم الحياة ، وان كان من وفدوا اليها كمهاجرين من هؤلاء الاطباء يبلغون سبعة أضعاف من تلقوا علومهم الطبية في البلاد .

هذا وغيره من الحقائق حول التعليم العالي في اسرائيل يمكن ان يحدث بالفعل بعض الانبهار ، ولكن استكمال الصورة عن التعليم عامة او عن الصلة بنواحي النشاط الاقتصادي سوف يقلل بالتأكيد من درجة الانبهار وان كان لن يمحو حقيقة ان هناك تقدما وفي نواح معينة خاصة اذا ما تورن بالدول العربية المجاورة .

فهذا العدد من الجامعيين في اسرائيل والذي جلبت نصفه تقريبا من الخارج لا يزيد كثيرا عمن حصلوا هذا المستوى العلمي من شعب فلسطين المشرد ، والذي لو توفرت له الارض والتجميع والتنظيم لربما استطاع ان يحقق ما يحققه الاسرائيليون خاصة في الظروف الثورية التي يعيشها هذا الشعب .

واذا كانت الاحصاءات تتضارب بعض الشيء في شأن مستويات التعليم في اسرائيل الا انه يمكن ان يستنتج منها ان المحصول العلمي يقف عند مستوى المرحلة الابتدائية لحوالي نصف السكان ، وان من تتاح لهم فرصة اكمال الدراسة حتى المرحلة الثانوية لا يزيد عن ٢٥ ٪ بأي حال ، بالاضافة الى حوالي ٢٠ ٪ يتلقون تعليما فوق المرحلة الابتدائية اما في المدارس الثانوية المهنية أو في مراكز التدريب المختلفة ليتبقى ما بين ٥،٣ ٪ ( حسب الاحصاءات المختلفة ) تتاح لهم فرصة التعليم الجامعي . وهذا الاخير رقم ضعيف بالنسبة لدولة كاسرائيل يتوفر لها الدعم المالي اللازم ، ووضع مخططوها للعلم شأنا في حسابهم ، بل انه ينخفض عن النسبة المناظرة في اكثر من دولة عربية .

وينعكس هذا الوضع بالفعل على تركيب قوة العمل الاسرائيلية التي يبلغ نسبة العمال غير المهرة فيها ٢٦،٢ ٪ ونصف المهرة ٣٠،٩ ٪ والعمال المهرة ٢٨،٦ ٪ والفنيون ٩،٢ ٪ والجامعيون ٥،٢ ٪ كما ينعكس في نسبة الفنيين الى الجامعيين حيث لا يوجد سوى ١/٣ ١ فني لكل مهندس بينما ان المتعارف عليه وجود ما بين ٣ـ٤ من هؤلاء حتى يتوفر للمهندس ان يعمل بالمستوى الذي يجب ان يعمل عليه المؤهل جامعيا . ولذلك كثيرا — حسب أقوال المشاهدين لذلك المجتمع — ما تجد المهندسين يقومون بأعمال الفنيين . ولذلك يقرر المهندسون في مؤتمر عقدوه بالقدس في يناير ٦٧ اللوم للحكومة لانها « لا تخلق الاجواء المناسبة التي يستطيع المهندسون ان يلعبوا الدور الرئيسي في الصناعة عوضا عن السماسرة » .

ورغم الجهد الاسرائيلي في اخفاء الارقام عن هجرة المهندسين والاطباء والعلماء فقد ثبت انه قد هاجر خلال الفترة ١٩٦٢ الى ١٩٦٦ من اطباء اسرائيل ٥،٣ ٪ ، وتشير احصاءات هيئة الامم ان نسبة المعدل السنوي للمهندسين الذين نزحوا من اسرائيل الى الولايات المتحدة وفرنسا وكندا بالنسبة لمجموع خريجي الجامعات في كافة الحقول بلغت ١٥،٧ ٪ لنفس الفترة الزمنية المشار اليها . ويعترف رئيس معهد التخنيون في حيفا « ان السبب الرئيسي لنزوح خريجي المعهد يعود الى ان ٤٦ ٪ من خريجي قسم الهندسة قد وجدوا اعمالا كفنيين في اسرائيل ، وليس كمهندسين في حقول اختصاصهم » .

ولا تتوزع التخصصات في التعليم العالي توزيعا يسترشد بالاحتياجات الفعلية للبلاد ويخطط على اساسها فنجد مثلا ان العلوم الاجتماعية والانسانية والحقوق لا تحظى بأكثر من ١٥ ٪ من مجموع الطلاب ، كما نجد في النهاية ان المجتمع يعاني تخمة زائدة من المحامين مثلا ومهندسي الالكترونيات .

ويشير عديد من الدلائل ان كثيرا من البحوث العلمية الممولة من الخارج انما تستهدف مصلحة الممول قبل ان تكون ذات فائدة مباشرة للمجتمع ذاته . والعلم والبحث العلمي في هذه الحالة لن يمثل الا بيعا لقوة العمل لصالح مشتر من جهة ما بدلا من ان يمارس وضعه الذي تفترضه الثورة

التكنولوجية المعاصرة من حيث تحوله الى قوة انتاجية مباشرة للمجتمع المعني .

ولربما كان أخطر ما يعيب التنظيم العلمي الاسرائيلي عامة هو ذلك التمايز العنصري الكبير بين اليهود الشرقيين واليهود الغربيين ، والذي لا بد تنعكس له آثار سياسية واجتماعية طال الوقت أو قصر .

ولكن نعود في النهاية لنكرر ان التقييم الصحيح لاوضاع العلم في اسرائيل يجب ان يأخذ جانبي الصورة في الاعتبار بايجابياتها وسلبياتها حتى لا نقع في خطأ التهوين حين نرى السلبيات فحسب ، او في انحراف التهويل اذ لا تقع العين الا على الايجابيات .

### النشاط العلمي والانتاج

وقد نجد هنا عديدا من المنجزات التي تصدق أمثلة لاستخدام العلم في دفع القوى الانتاجية قدما الى الامام . فحين تنتشر ٤٥ محطة لقياس الطاقة الشمسية ، ينعكس ذلك في استغلال الطاقة الشمسية في كثير من التطبيقات الصناعية حيث تحتوي الكثرة من المنازل في النقب على سخانات شمسية لتسخين المياه والتدفئة المركزية ، وتصنع برادات ( ثلاجات ) شمسية تقوم على استخدام تيار دائم من بخار الماء وبعض المركبات الغازية .

واذ تتدعم البحوث الذرية ، وتوليها الدولة كل العناية — لاسباب سوف نستجليها فيما بعد — يتحقق من ذلك ان تنجح اسرائيل في تموين العالم بحوالي ٩٥ ٪ من احتياجاته من الاوكسيجين الثقيل ، وتستخدم النظائر المشعة في العمل في ١٢٢ مؤسسة صناعية بينها مصانع للبطاريات والاطارات والمولدات الكهربائية والانابيب والاسلاك والفولاذ والحديد والمعادن والادوية والاصباغ وغيرها . ويستخدم الكربون المشع في الابحاث التاريخية . ويستطيع علماء اسرائيل المشاركة في تصميم المفاعلات النووية اللازمة لتحلية مياه البحر وفي نفس الوقت انتاج الكهرباء كمساهمة في حل أزمة الطاقة في اسرائيل ، ورسم المشاريع لحفر القنوات باستغلال التفجيرات الذرية ، واستخدام النظائر المشعة في مكافحة الحشرات عامة وذبابة الزيتون بصفة خاصة الى حد نقل الخبرة العلمية في هذا الصدد الى اليونان .

ويأخذ العلم اتجاهه نحو الابحاث التطبيقية للمشاركة في حل بعض القضايا المستعصية، فحسب ما جاء في كتاب اخطار التقدم العلمي في اسرائيل « تطورات الابحاث الرياضية تطورا انقلابيا بمجيء البروفيسور حاييم بيكرز وجماعته الى رحفوت ، اذ أنهم جابهوا مشاكل رياضية اهم بكثير من مشاكل الرياضيات الكلاسيكية » فقد وجدوا ان اسرائيل تحتاج الى الماء والوقود . ومن اجل ذلك تركوا الرياضيات النظرية وانصرفوا الى تطبيق أساليبها في ميدان الجيوفيزياء حتى توصلوا الى مغريات ناجحة انتهت باكتشاف البترول في ناحية والى حل المشاكل المتعلقة بالمد والجزر في المحيطات في ناحية اخرى .

وينجح العلماء الاسرائيليون مع صناعة الالكترونيات في تصنيع خمسة من العقول الالكترونية ، وان كان يوجد منها الان ما يناهز المائة عقل ، الا ان هذا الانجاز مما لا يمكن اغفاله .

واذ يعود العلماء الى الارصاد المسجلة منذ ما يزيد على خمسة وعشرين عاما حول الاشعاع الشمسي والرطوبة النسبية والضغط الجوي ويقومون بتحليلها واستقراء مدلولاتها يتطور هذا مع تطبيق كل المعرفة العلمية الخاصة بالزراعة حسب البيئة الفلسطينية لايجاد شروط التكليف اللازم للنباتات مع الظروف والاوضاع المناخية المحلية ، وبالتالي توضع جداول لكميات الماء والسماد والحرارة والنور اللازمة لكل نبات حتى توصل الفلاح الاسرائيلي الى تسجيل انتاج اكبر كمية من الحبوب في وحدة مساحة الارض المزروعة بين سائر بلدان العالم ، وزيادة مدة قطاف قصب السكر الى ٦ شهور بدلا من ثلاثة كما هو الحال في بلاد العالم والى وضع خارطة للتربة الاسرائيلية. وحقيقة ان المساحات وصغرها ، والفلاح وتوعيته وهدفه السياسي وراء قدر كبير من هذا النجاح ، ولكن يظل لهذا الانجاز العلمي قيمة كبيرة في هذا المجال .

تلك أمثلة من الانجاز العلمي المرتبط بصورة مباشرة بالعمليات الانتاجية . اذا اضفنا لها طبيعة اهمية قيام الصناعة بالنسبة لاسرائيل وان السياسة العامة تعتبر الصناعة ورشة التنمية للتقنية وميدان التدريب واكتساب الخبرات للمهندسين والعاملين في الابحاث التطبيقية وانها المحور الرئيسي الذي تدور حوله جميع مؤسسات وتنظيمات مصادر الماء والكهرباء والموانىء والمطارات والمدارس

المهنية ومراكز التدريب ومعاهد التعليم العالي والمواصلات البرية والجوية والبحرية لفسر ذلك الاهتمام بوجود المختبرات المجهزة تجهيزا حسنا في مختلف المؤسسات الصناعية والانتاجية .

الواقع انه كما يتبع كل جامعة مؤسسة للابحاث والتطوير وظيفتها تحويل المنجزات العلمية في المختبرات الاكاديمية الى وسائل تقنية للانتاج فان من مهام معهد التخنيون الاساسية اجراء البحوث اللازمة لتطوير فروع الصناعة المختلفة ، فانه تنتشر كذلك المعاهد النوعية الخاصة بفرع محدد من فروع النشاط الانتاجي مثل معهد المنسوجات ودائرة هندسة النسيج في معهد التخنيون ، ومعهد ابحاث منتجات الغابات والخيوط ، ومختبر تشعيع الاغذية في رحفوت ، ومؤسسة خاصة تعنى بمشاريع الابحاث في الصناعة البتروكيماوية ، وجمعية للابحاث لصناعة الدهانات ، ومعهد خاص لصناعة الماس ، وآخر للابحاث الجيولوجية والجيوفيزيائية عدا مراكز تطوير الصناعات الالكترونية التي سبق الاشارة اليها ، وغير ذلك من المعاهد او المختبرات او المراكز أو المؤسسات أو الدوائر الاكاديمية التي توجه جهودها نحو الابحاث التطبيقية وأبحاث تحسين النوع وتحسين الكلفة واعادة تخطيط المصانع وهكذا .

الا ان هذا الجهد الذي يبدو مكثفا في الابحاث العلمية ، والصلة العضوية التي تبدو وثيقة بين الانتاج والبحث العلمي لم تجعل من الصناعة الاسرائيلية ذلك الصرح الذي كان ولا بد ان يكون حسب ما يبدو من شكل هذا الجهد وهذه الصلة. فنصيب الصناعة من الانتاج القومي ما زال يدور حول نسبة ٢٥ ٪ وهي نسبة لا يمكن في ضوئها ان يوصف المجتمع بأنه صناعي . وحسبنا في هذا أن عددا من البلدان العربية لم تتوفر لها رؤوس الاموال الهائلة التي توفرت لاسرائيل ، بل على العكس تعرضت لاستنزاف وحصار وغيرها وصلت بها نسبة الصناعة الى الانتاج القومي حوالي او قريبا من هذا الرقم .

ويؤكد هذا التوزيع النسبي للتوظيف على القطاع الاقتصادي اذ يبلغ نصيب الخدمات ٤١،١ ٪ من القوة العاملة ، والصناعة ٢٧،٩ ٪ والزراعة ١١،٧ والبناء والاعمار ٩،٢ ٪ والنقل والمواصلات ٧،٦ ٪ والمنافع ١،٨ ٪ والتعدين والمحاجر ٠،٧ ٪ .

وتفيد احصاءات هيئة الامم أن نصيب الزراعة في الناتج العام قد انخفض بين ١٩٥٣ الى ١٩٦٦ من ١٢ الى ٨ ٪ بينما بقي نصيب الصناعة ثابتا على التقريب فانتقل من ١٣ الى ١٤ ٪ فحسب . وتشير تقارير اخرى الى انه مهما يكن من أمر فان الصناعات الاسرائيلية ذات نطاق محدود . وكذلك فان ما يسمى بالصناعات القائمة على العلم انما هي بدرجة او باخرى ملك للدولة وتشرف عليها وزارة الدفاع، وانه ليس بعيدا عن الاحتمال ان تكون هذه الصناعات مدعوة بشكل اصطناعي على نمط الكيبوتزات وغيرها من الانشطة التي تقوم على أساس الخسارة . وان هذه الصناعات القائمة على العلم تمثل اقل من واحد في المائة من الانتاج القومي . وان من الصعوبة في حالة ضيق السوق المحلية ان يتم انجاز توسع كبير في الانتاج الصناعي في مدى قصير الا اذا كان بالامكان تصريف هذا الانتاج في أسواق جديدة في الخارج ، وهو الامر الذي يصعب تحقيقه على أية دولة مماثلة حتى وان كان اقتصادها اكثر تطورا من اسرائيل .

ونضيف الى ذلك انه حين تفيد البيانات انه قد اقيم ما بين اعوام ١٩٥٠ ، ١٩٥٨ ما قدره ٧٥٩ مشروعا صناعيا تبلغ مجموع استثماراتها ٢٨٠ مليون دولار ، فان ذلك يعني انه في المتوسط قد استثمر حوالي ثلث مليون دولار للمشروع الواحد، وهو ما يدل على حجم جد صغير بالمقاييس التكنولوجية المعاصرة ، وباعتبار ادعاء اسرائيل دائما انها تأخذ من الفنون الانتاجية احدثها .

ولعل مراجعة الدراسة الوافية التي يقدمها كتاب اخطار التخطيط الصناعي في اسرائيل تشير في عديد المواقع الى صغر الوحدات الصناعية ، وحاجة الكثير منها الى تحديث آلاتها وتجديدها ، والى غياب وسائل ضبط الانتاج وعدم وجود معايير للنوعية ، وانخفاض الانتاجية وارتفاع التكلفة ، والى نقص المهارات حتى في صناعة الماس التي تكاد في بعض وجوهها تعتبر تخصصا اسرائيليا . كما تؤكد نفس الدراسة ان اسرائيل لا تختلف عن البلدان الاخرى التي تمر او مرت بمرحلة التصنيع ، حيث أن تلك الفروع التي تتطلب مستوى عاليا من التقنية واموالا ضخمة للتوظيف واجهزة معقدة ، ما زال في المرحلة الاولية .

وبصرف النظر عن الخطط التي توضع وتنشر وقد يكون من أهدافها ان تلعب دورا في الحرب النفسية التي تشن على العرب ، او في استجلاب الاموال من دول الغرب فان صناعات المعادن — وهي أحد الاسس للتقدم التكنولوجي — في بلد لا تجبر موارد طبيعية معينة على أن يتجه قدر من التصنيع كبير اليها، تمثل ٢٣٪ فقط منمجموع الانتاج الصناعي، وتغطي ١٨ ٪ من الصادرات الصناعية . ولكن المفارقة هنا ان هذه الصناعة وهي التي تعرف عادة بكفالة رأس المال تقدم عملا النسبة قدرها ٢٩ ٪ من اليد العاملة في الصناعة .

كما أن الصناعات الكيماوية ، ورغم شهرة البحوث الاسرائيلية في الكيمياء منذ حاييم وايزمان رئيسهم السابق والعالم الفذ في الكيمياء في عصره لم تدخل الصناعات الكيماويــة عامة والبتروكيماوية الا بالتعاون مع شركات عالمية للكيماويات والعطور والادوية ، وان كانت القدرات العلمية والخبرة التقنية قد اتاحت اقامة مؤسسات خاصة للعناية بالابحاث في هذه المجالات .

وفي مجال صناعة الطائرات وهي التي تدل بالفعل على تقدم تكنولوجي كبير نجد اسرائيل على الدوام تلجأ للمعونة الخارجية اذ تشتري على سبيل المثال مصنعا لتصميم طائرة نفاثة امريكية ذات ٧ مقاعد تصلح لرجال الاعمال . ومع ما ثبت من سرقة اسرائيل لتصميم طائرات الميراج نجدها تلجأ الى امريكا للاتفاق بمد المعونة الفنية لانتاجها محليا . صحيح ان الاموال اللازمة لهـذا النشاط كبيرة ولكن لو أنها الاموال فقط لما كانت اسرائيل لتعنى كثيرا بضرورة اللجوء الى امريكا ، فيتم الاتفاق اخيرا على تصنيع سوبر ميراج بمحرك الفانتوم .

### الصور الاسرائيلية المتناقضة واسبابها

ان العرض السابق يبرز أن الصورة الاسرائيلية في هذه النواحي تتناقض من زاوية تواجد جوانب ايجابية متقدمة جنبا الى جنب مع جوانب اخرى سلبية . ولكن التناقض لا يقف عند هذا الحد . فهناك معدل سنوي للنمو يعتبر اعلى المعدلات في العالم بعد اليابان ويدور حول ١١ ٪ ، مما يثير التساؤل عما اذا كان نتيجة قدرات وتطوير تكنولوجي خاص ، ولكن البحث يثبت انه في الواقع كانت نتيجته ان اتيحت لاسرائيل الاستثمارات بصورة قد لا تجاريها فيها دولة اخرى سواء كان ذلك من نهب ممتلكات العرب ومن افراغ بريطانيا عن ارصدة فلسطين الاسترلينية المجمدة دفعة واحدة في ١٩٤٨ وما حصلت عليه من المانيا من تعويضات والقروض والهبات الضخمة بحيث اصبح ما حصلت عليه اسرائيل حتى منتصف الستينات يوازي ٣٠٠٠ دولار لكل اسرائيلي ، ذلك فضلا عن الدعم الامريكي بعد ١٩٦٧ والذي باعتراف كل الدوائر فاق كل ما قدمت امريكا لاسرائيل قبل ذلك اضعافا . وصار التراكم الرأسمالي يفسر ما بين ٣٠ الى ٤٥ ٪ من اجمالي النمو في الناتج القومي في اسرائيل بالمقارنة بنسبة قدرها ٢٠ الى ٢٥ ٪ في دول اوربا الغربية . ويؤكد تلك الحقيقة لانخفاض معدل النمو الى ٧ ٪ في ١٩٦٥ ، ١،٥ ٪ في ١٩٦٦ حين انخفضت القروض وارتفعت البطالة الى ٣،٣ ٪ في ١٩٦٤ ، ٦،٦ ٪ في ١٩٦٦ ، ١٠،٥ ٪ في ربيع ١٩٦٧ .

ولان اسرائيل بلد فقيرة الموارد الطبيعية نسبيا ، فقد كان المنتظر ان تستغـل القـدرات الفنيـة والتقنية التي تتوفر لها بفضل هذا الجهد العلمي الكبير ونوعية المهاجرين اليها ، والدعم الامبريالي في تصدير الخبرة الفنية الى البلدان الناميـة في عديد الانشطة من زراعة ومبيدات وتعمير وانشاء وتصنيع وهكذا . ومع أنها قد قطعت شوطا في هذا الاتجاه بالفعل الا ان الوقائع تثبت في بلد بعد الاخر عدم ارتفاع القدرات الفنية والتقنية الى الحد الذي وصلت بها الدعاية اليه ، وبدأ بالتالي ينحسر ذلك المد الاسرائيلي .

ولانها بلد فقيرة الموارد فقد كان منتظرا ان تتحول اسرائيل في تجارتها وصادراتها من الصناعـات التقليدية مثل الماس المصقول والنسيج واللعب الخشبية والاسمنت والاطارات الى الصناعيـة النامية مثل المعدات الالكترونية والادوات العلمية والكيماويات وهي المنتجات التي تقل فيها نفقـات النقل ، ويمكن تطوير المهارات والمعرفة الفنية في انتاجها . ولكن ميخائيل برونو في كتابه مشاكل التطور الاقتصادي في اسرائيل من ١٩٧٠ الى ١٩٨٠ يضع علامة الاستفهام الرئيسية حول مقدرة اسرائيل على احداث هذا التحول .

ولانه فيما قبل البترول الذي تستولي عليه اسرائيل من سيناء حاليا ، فان مصادر الطاقـة التقليدية والمعروفة تكاد تصطدم فيها ، الا من حقـول الغازات البسيطة في روش زوهار التي تستخدم

حاليا في صناعة الفوسفات وبعض المصانع الكيماوية في صناعة البحر الميت ، وقليل من البترول لا يزيد عن ٥ ٪ من احتياجات اسرائيل ، فقد كان من المنتظر وقد ركزت اسرائيل قدرا ضخما من الجهد والاستثمارات في الطاقة القمرية ان تندفع في اتجاه محاولة تسخيرها لحل مشكلة الطاقة بدلا من الاعتماد على الكهرباء المولدة من محطات حرارية تعمل بالبترول المستورد وترتفع تكلفتها . ولكنا هنا نجد ان اسرائيل قد ركزت على النظائر المشعة وانتاجها ، ثم على الاوكسيجين الثقيل ، ثم على تجميع المعلومات حول انتاج القنبلة الذرية بحيث تكاد تجمع المصادر على استطاعتها انتاجها في حدود ٦ الى ١٦ شهرا اذا اعتزمت ذلك ودون الحاجة الى اجراء تفجيرات تكشف عن التجارب من هذا النوع قبل الانتاج الفعلي . ومع تعقد مشكلة الطاقة ومشكلة المياه نجد اسرائيل وقد اضطرت بعد انكشاف اقامتها للمفاعل الذري الكبير في ديمونا ان تقرر أنها تستهدف به العمل على توليد الكهرباء وتحلية المياه . ولكنها ظلت فيما يبدو تركز الجهد نحو امتلاك القدرة على انتاج السلاح النووي ( بمعونة فرنسية عند البداية ) واتجهت اخيرا الى الشروع في تحلية المياه بعد أن قضت سنوات طويلة في بحوث علمية في هذا الاتجاه وان كانت مبتكرة الا انها اكثر تكلفة واقل طاقة .

ولا ينخفض صوت الدعوة في اسرائيل الى الابقاء على الفارق التكنولوجي بين العرب وبينها وزيادته قدر الامكان ، لان ذلك في نظر هذه الدعوة : يؤكد فوز اسرائيل في أي معركة تنشب ، ويقلل من حجم الخسائر البشرية ساعة القتال ، ويتيح امكان السيطرة على السوق العربية عند أي تسوية ، ويرفع الدخل القومي ويهيىء الفرص لاستيعاب مهاجرين اكثر ، ويزيد الثقة بالنفس مما يدفع الغرب الى زيادة المساعدات ، ويجتذب دول العالم الثالث والعناصر القادرة تكنولوجيا سواء من الغرب او الاتحاد السوفياتي .

ولان العين في معظم هذه الاهداف موجهة صوب العرب ، ولان اسرائيل لا تعاني بفضل الدعم الغربي عامة والامريكي خاصة من مشاكل اقتصادية فالمعونات الصهيونية والامريكية والقروض الوافرة وغيرها تعين على تخطي مشاكل في هذا الاتجاه . لهذه الاسباب ، ولما يبدو من أن مخططي الدولة الصهيونية برسالتها الامبريالية في قلب العالم العربي يرون الحاجة الاولى حاليا الى تأكيد وجود الدولة وفرضها على الشعوب العربية ، فان افضل تلخيص لمدى استفادة اسرائيل من جهدها العلمي والتكنولوجي هو ما اورده الاستاذ انطون ب. زملان في دراسته الواسعة عن العلم والتعليم العالي في اسرائيل حيث يحدد ذلك في : انتاج القنبلة الذرية ، تطوير انظمة مواصلات آلية متقدمة ذات اهمية حيوية ، تطوير وانتاج وشراء معدات صناعية للعمليات الليلية ، بلوغ المقدرة على استعمال وسائل الحرب الكيماوية والتكنولوجية ، تطوير الصناعات العسكرية الاساسية والعمل نحو الوصول الى مستوى الاكتفاء الذاتي خلال العشرين سنة الماضية ، انتاج وتطوير المعدات العسكرية البصرية الضرورية ومتابعة أحدث التطورات بخصوص استعمال الاشعة الضوئية المركزة ( ليزر ) في اكتشاف الاهداف وتحديد مداها .

وهناك من الحقائق العديد مما يشير الى ان اسرائيل تركز في استخدام الانجاز العلمي والتطوير التكنولوجي للاغراض العسكرية في الاساس قبل ان تباشر هذه مهمتها في الحياة المدنية واقامة مجتمع له تماسك اقتصادي . والشواهد على ذلك كثيرة . فمؤسسة الطاقة الذرية تنشأ تحت اشراف وادارة وتوجيه وزارة الدفاع . وتحقق اسرائيل انجازات فنية قوية فعلا في المجال العسكري مثل قنبلة الاسمنت التي استخدمتها في تدمير المطارات العربية في ١٩٦٧ بكفاءة عالية، والتي لا يتيسر انتاجها الا اذا سبقتها بحوث في علوم الفضاء . كما تجري حوالي ستمائة تعديل فيطائرة الميراج لتلائم اهدافها واجواء استخدامها. وتشرف وزارة الدفاع بالكامل على كل الصناعات الالكترونية محتفظة بكل اسرارها ، ومضحية بذلك في ان تتعاقد على ما تريد مع مصانع مدنية فتدفع بهذا الى تطورها والى نشر الوسائل المتقدمة في ارجاء النشاط الاقتصادي كله . وتفاخر بأن لجيشها اعلى نسبة من العقول الالكترونية للفرد المقاتل في العالم في الوقت الذي ينقص صناعتها ونشاطها المدني الكثير . وفي الوقت الذي يجوب مندوبو الجامعات والمعاهد العلمية الاسرائيلية العالم سعيا الى دعم مالي للبحوث العلمية ، وينشر بوسائل عديدة اجمالي الانفاق على التعليم العالي والبحوث العلمية فانها تعتبر من الاسرار

الكبرى مخصصات مراكز الابحاث التابعة للمؤسسة العسكرية .

ولعل خلاصة هذا الموقف ما يشير اليه احد الخبراء الذين استدعتهم اسرائيل من وجود الروابط القوية بين العلماء الاسرائيليين والمؤسسة العسكرية ، وانعدام مثلها بينهم وبين الصناعة الاسرائيلية ويضيف ان عالما اسرائيليا بارزا قد صرح له بانه لا يوجد اساس منطقي للترابط بين صناعة لا زالت تعيش في القرن التاسع عشر وبين علم يعيش في منتصف القرن العشرين . ولكن يبدو ان ذلك ليس من هدف القيادة الاسرائيلية المباشر فانه يعود بعد بضع سنوات ليعيد التوحيد بوجوب ايجاد جسر فوق هذه الهوة بأقصى سرعة ممكنة .

## الخلاصة

من كل ما سبق ان اسرائيل بها من المشاكل العديد الكثير الذي كان يمكن أن يتصدى لها العلم وان توجه اليه جهود البحث العلمي .ورغم العقبات الطبيعية من نقص مصادر الطاقة والمياه والمواد الخام ، وصغر السوق المتاح فانه كان ممكنا ان تستطيع العلوم والتكنولوجيا الاسرائيلية بكل الدعم المادي والادبي الذي يتم لها تحقيق ان تجد اسرائيل لنفسها مكانا الى حد ما في السوق العالمية لبيع منتجات متطورة .

ولكن يبدو انه مع امكان ذلك فان اسرائيل تقصر جهدها — او على الاقل توجه اغلبه في الاتجاه العسكري اساسا مرتضية ان تقف في سلم التطور العلمي والتكنولوجي عند حدود القدرة على تقييم ما يناسب اهدافها وملاءمته مع ظروفها .

ولن نضع علامة استفهام كبيرة او صغيرة امام هذا الوضع الذي قد يبدو غريبا ، فان علينا الا ننسى انه لم تكن اسرائيل منذ انشئت الا لتكون العصا الطويلة للامبريالية ضد العرب لتحتفظ بهم وبثرواتهم اسرى النهب الاستعماري ما استطاع الاستعمار ذلك .

ان الامبريالية ليست في حاجة الى بضع مصانع تنشأ في اسرائيل مهما بلغ شأوها — علما بأنه هدف وان لم تكن له الاولوية — ولكنها في حاجة الى ضمان اخضاع العرب .

ومن هنا تسخر كل الامكانيات لهذا الهدف اولا*.

---

* ارجو ان اعدد هنا بعضا من المراجع التي كان لها الفضل الاكبر في العون على تقديم هذا البحث وهي : اخطار الاثمنة ، الحقيقية والخيالية بقلم ف. جروميكا ، عصر الانسان او الروابط بقلم س. فولكسوف ، في مواجهة اسرائيل بقلم د. اسماعيل صبري عبدالله ، نمو الاقتصاد الاسرائيلي بقلم محمد عثمان ، السياسة النووية الاسرائيلية بقلم د. محمود خيري بنونه ، اخطار التخطيط الصناعي في اسرائيل بقلم يوسف مروه ، اخطار التقدم العلمي في اسرائيل بقلم يوسف مروه ، العلم والتعليم العالي في اسرائيل بقلم انطوان ب. زحلان ، هجرة الادمغة العربية بقلم د. الياس زين ، هجرة الادمغة والهجرة المضادة من اسرائيل بقلم د. الياس زين ، ذلك عدا مقالات اخرى في مجالات شؤون فلسطينية ، السلام والحرية والاشتراكية ، والطليعة وغيرها .

# التقرير الثاني

# بعض الملامح البارزة للتقدم العلمي والتكنولوجي في اسرائيل

الدكتور محمود خيري بنونه

العلم والتكنولوجيا هما احدث تعبير عن القوة في العصر الحديث ، اذ أن من يسيطر عليهما ويتفوق في مجالهما يسيطر على العالم(١). بعد ان وجدت الدول نفسها غير قادرة على حيازة قدر من القوة يحقق لها الامن ومواجهة ترسانات الاسلحة الحديثة ، وبعد أن أصبحت الحكومات عاجزة عن مراقبة ما ينقل الى داخل حدودها من افكار وثقافات ووجهات نظر تهدد امنها من الداخل . وقد وجدت الصهيونية في العلم وسيلة لغزو فلسطين وسلاحا لانتزاع الارض من أصحابها ودعامة لحفظ كيان اسرائيل وهي محاطة بالاعداء من كل جانب واداة تساعد على بقائها ونموها وتوسعها . والفكر الصهيوني اذ يمتد في اصوله الى الدين اليهودي ، يعمل على انشاء اسرائيل الكبرى كموطن قادر على احتواء جميع اليهود الذين يرغبون الاستقرار فيه باستغلال العلم بحثا واسلوبا وتخطيطا وتطبيقا في جميع نواحي النشاط الذي يبذلونه لتحقيق اهدافهم في ظل الظروف القائمة حول الوطن الذي يطمعون فيه .

وقد عمل الصهيونيون منذ البداية على الربط بين العلم وفلسطين ، وارادوا لها ان تكون مركزا للابحاث العلمية والتطبيقات العملية ، فاجروا عدة أبحاث لاكتشاف مادة بديلة للبترول بتقطير الكحول ومشتقاته ، وللبحث عن اغذية بديلة جيدة المذاق سهلة الهضم قليلة التكاليف ، واستغلال مخلفات البترول في انتاج المفرقعات(٢). واسرائيل منذ قيامها لا تدخر وسعا لتبقى متفوقة في مجالات البحث العلمي والتقدم التكنولوجي .

ولما كانت مواجهة اسرائيل تقتضي الالمام عامة بالخصائص البارزة لتقدمها العلمي والتكنولوجي لذا سوف يعرض هذا البحث بعض هذه الخصائص ، على أن يقوم العلماء العرب في كل مجال من مجالات التخصص ببحث نشاطها في مجال تخصصهم .

واذا كانت اسرائيل تستفيد من التقدم العلمي والتكنولوجي في دول العالم الاخرى ، وهو يدين للعلماء العرب باسس ونظريات ومبادىء علمية وضعوها قديما وحديثا ، واذا كانت اسرائيل تعمل على تحقيق تفوق علمي وتكنولوجي على العرب باتباع اساليب مشروعة وغير مشروعة ، فان الامر يقتضي ان يستغل العرب نشاطها في هذا المجال لتحقيق تفوق عليها .

واسرائيل تعمل على خلق صورة مضللة عن نفسها تفسد بها تخطيط الاخرين وتظهر نفسها كمنارة للعلم والتقدم في بحر من الجهل والتخلف . وذلك يقتضي منا دراسة فاحصة تبين حقيقتها ، ومن الخطورة ان يقف جهلنا بها حائلا دون مواجهتها بتخطيط علمي مضاد ، واشد خطورة ان يخلق كبرياؤنا عجزا عن تقدير ومعرفة موضعها في هذا المجال . لذلك سوف يتضمن هذا البحث عرضا لتعليم العلم ، وركائز التقدم العلمي والتكنولوجي ، والخصائص البارزة للتقدم العلمي والتكنولوجي واثرهما في اسرائيل .

## تنظيم البحث العلمي في اسرائيل

يرتبط البحث العلمي والتقدم التكنولوجي في اسرائيل بنظام التعليم التي تطبقه ، والنشاط الذي تمارسه المعاهد العلمية في هذه المجالات ، والجمع بين البحث العلمي الاساسي والبحث العلمي التطبيقي في مختلف المجالات .

**نظام التعليم في اسرائيل*:** تأثر نظام التعليم في اسرائيل بالديانة اليهودية كما تأثر بفكر المهاجرين اليهود الذين هاجروا الى اسرائيل في القرن التاسع عشر . وكان فيما قبل يرتكز على عدة مدارس تديرها الاحزاب السياسية واتحادات العمل . ولكنه طور اخيرا الى نظام موحد ، يستغرق اثني عشر عاما ، ستة منها للتعليم الابتدائي وثلاثة للتعليم المتوسط ، وثلاثة للتعليم العالي . والتعليم خلال تسع السنوات الاولى مجاني والزامي . وتسيطر وزارة التعليم عليه سيطرة مركزية عن طريق انتقاء المدرسين ووضع الكتب وتحديد المناهج واجراء الاختبارات في السنوات النهائية لكل من المرحلتين .

وتعطى للمفتشين سلطة كبيرة للتأكد من تطبيق المبادىء والتعليمات التي تصدرها الوزارة ، اذ يتوقف على تقاريرهم ترقية المدرسين او مجازاتهم. وهم أيضا يعاونون المدارس بالتدريس والارشاد عند زيارتها .

ويلاقي النظام الجديد للتعليم في اسرائيل عدة مصاعب لاختلاف نوعية الطلبة ولغتهم وخلفيتهم العلمية ، وقلة المدرسين خريجي الجامعات المؤهلين لتدريس الاساليب والعلوم الحديثة . ولتلافي ذلك توضع المناهج لتناسب الطلبة ذوي المستوى المتوسط وتترجم الكتب لعدة لغات .

ولتلافي النقص في المدرسين المؤهلين تعقد الدورات في الجامعات بصفة منتظمة لتأهيل المدرسين وتعميق وتجديد معلوماتهم ودراسة المناهج الجديدة في مجالات الرياضة والعلوم. كما تنظم بعض المدارس المتوسطة طاقما من الخبراء ، من المدرسين الممتازين ، لزيارة المدارس ودراسة المصاعب التي يقابلها تعليم العلوم الحديثة ولاعطاء المشورة لتذليلها وكتابة تقارير عنها لرفعها ودراستها في المستويات الاعلى .

وقد وضعت المناهج الحديثة لتعليم الرياضة والفيزياء والكيمياء وعلم الحياة وطبقت في بعض المدارس لتجربتها وتعميمها . كما وضع منهاج لتعليم جهاز الحاسب الآلي لتعريف الطلبة بماهية الجهاز وما يمكنه القيام به من اعمال ، وما لا يمكنه القيام به ، وهو الان تحت التجربة لتعميمه. اما الجامعات في اسرائيل فتتمتع بحرية اكاديمية ، ولا يستطيع احد ان يتدخل في مناهجها ولا في الاسلوب الذي تطبقه، وهي توجه جهودها أساسا للبحث . ونظرا لاهمية الجامعات والمعاهد العليا وأثرها على التقدم العلمي والتكنولوجي في اسرائيل ، لذلك سوف نوجز في الفقرات التالية بعض الاعتبارات والمبادىء التي تحكم نشاط هذه المراكز العلمية ، متخذين معهد وايزمان نموذجا لهذه المراكز .

**المبادىء التي تخدم نشاط مراكز البحث العلمي في اسرائيل*:** تضع اسرائيل في اعتبارها انها تقع في مكان متوسط من العالم ودياناته ، وانها مركز التقدم في منطقة الشرق الاوسط المرتبطة بالماضي القديم وان قمة العلم والمعرفة في الدولة تتمثل في جامعاتها ومعاهدها العلمية العالية . وان مستوى النشاط العلمي بهذه المراكز العلمية يجب الا يفوق المستويات العلمية في المنطقة فحسب ، بل يجب ان يتفوق بين المستويات العلمية في العالم ، لان « اسرائيل تعيش صراعا من اجل البقاء ... ، وتجسم فكرة العالمية في منطقة متخلفة ... » ولان هذه المعاهد « تجسم فكرة العالمية كما جاءت في الدين اليهودي اكثر من فكرة الاقليمية التي تمثلها دولة اسرائيل » .

وتهتم اسرائيل بالناحية الاجتماعية في هذا المجال فتنشىء الحدائق ، ومنازل الضيافة والمقاصف ، ومساكن للعاملين في المعهد ، لضمان حياة عائلية هادئة لمن يعملون به ، وليستمر النشاط العلمي بجانب الحياة الطبيعية تطبيقا للمبدأ القائل بأنه « ليس بالعلم وحده يمكن ان نكسب دائما . فلننشىء معبرا يصل بين العلم والروح البشرية »(٣). والنشاط العلمي في هذه المراكز يوجه طبقا للموازنة بين الضروري والعلمي والنظري والواقعي .

ومراكز البحث العلمي في اسرائيل تبيح الانفتاح على العالم وتشجعه اذ يسمح للعاملين فيها بعرض نشاطهم في صحافة العالم . وتتابع هذه المراكز النشاط العلمي في اهم مراكز البحث العلمي في العالم لتستفيد بنتائجه وتساهم فيما يرتبط بالمطالب الوطنية بجهود خاصة تنسقها مع الجهود التي تبذل في الخارج . وبذلك يجمع النشاط العلمي في اسرائيل بين الموضوعات العالمية التي يتناولها العلماء في اكثر دول العالم تقدما ، وبين الموضوعات الاقليمية التي ترتبط بالاقليم الذي تعيش فيه .

كذلك يتضمن النشاط العلمي لهذه المراكز بحث موضوعات تدخل في نطاق العلوم الانسانية بالاضافة الى موضوعات العلوم الاخرى خشية تعرضها للعزلة الروحية ولخلق الصلات بين العلماء من كل التخصصات ، وكذا لخلق مراكز للبحث العلمي تفوق في مستواها وشمولها المعاهد والمراكز المشابهة الموجودة في دول المنطقة .

كما تجمع هذه المراكز بين البحث العلمي الاساسي وبين البحث التطبيقي ، لحل المشكلات العملية بأسلوب علمي دون ان تهمل البحث العلمي البحت من اجل العلم نفسه .

**البحث العلمي الاساسي والبحث العلمي التطبيقي:** قال وايزمان عند افتتاح احد المعاهد العلمية في

اسرائيل « ان المعهد سيعمل على حل المشكلات العلمية بأسلوب علمي دون ان يترك البحث العلمي البحث من اجل العلم نفسه »([٤]). والنشاط العلمي في اسرائيل يختص بعضه بالبحوث العلمية البحتة ، لان هذه البحوث تصل الى ارفع مستويات البحث العلمي دون تقيد بظروف المجال الذي تجري فيه. كما ان النتائج العلمية والمكتشفات التي تصل اليها هذه البحوث تساهم في المشروعات العملية ، كما تساهم في حل المشكلات المتعلقة بهذه المشروعات([٥]).

والبحث العلمي الاساسي لا يسير في اسرائيل طبقا لخطة موضوعة لان التخطيط لا يجدي في هذا المجال ، ولان اهداف البحث الاساسي لا تكون معروفة، وهو يهدف الى الوصول للمجهول ويتوقف اسلوبه ومنهاجه على قدرة الباحث نفسه وعلى النتائج غير المتوقعة التي يصل اليها ، والتي قد تحدث اثناء البحث وتؤدي الى تعديل منهاجه .

يترك للباحث اختيار موضوع البحث الاساسي الذي يرغب العمل فيه . فاذا ما أراد باحث ممتاز في مجاله — من اي مكان من العالم — الحضور لاجراء بحث في اسرائيل ، واذا ما ووفق على بحثه وتوفرت الامكانات اللازمة لهذا البحث ، تنشأ له وحدة جديدة للبحث الاساسي . وبذلك يطلق العنان للبحث العلمي مهما كان مصدره ، تحقيقا لمبدأ عالمية العلم ، ويشجع صغار العلماء الموهوبين على استغلال مواهبهم دون قيود ، بفتح مجالات لنشاطهم دون تعويق او تعطيل([٦])، مما يحول دون استنزاف العقول الى الخارج .

غير ان هناك قيودا ترشد الى اختيار موضوعات البحث العلمي الاساسي لانه « ليس من الحكمة لعلماء الدول الصغرى بحث موضوعات مطروقة... والارشد لهم طرق ميادين جديدة ، وتفضل تلك التي لدولتهم فيها جهود طليعية »([٧])، لان الموضوعات المطروقة بين دول العالم على نطاق واسع تخصص لها امكانات قد لا تتوفر في دولة صغيرة . لذلك فان معظم مشروعات البحث العلمي في اسرائيل تأتي من داخل المعهد نفسه([٨]).

اما البحوث التطبيقية ، وتتضمن بحوث التنمية ، وبحوث الصناعة فتسير طبقا لتخطيط موضوع لان أهدافها تكون محددة من قبل ، في كل ميدان من ميادين التخصص . ويوضع لهذه البحوث نظام ، لتعطي عائدا لما ينفق عليها .. ولا تبخل اسرائيل بالمساعدات المالية والتشجيع في مجال البحث العلمي ، وكلما كان المستوى العلمي عاليا ورفيعا في الدولة ، وكلما كانت البحوث التي تقوم بها فريدة في نوعها ، كلما سهل عليها الحصول على معونات من الخارج وكلما ازدادت قدرتها وارتفع مستواها في هذا المجال ، نتيجة لما تكتسبه من سمعة علمية ومركزا علميا مرموقا .

وتضع اسرائيل في اعتبارها ان تقدم الدول — الصغرى والكبرى — يعتمد أساسا على العلم وان هذا الاعتماد يزداد باستمرار ، والدولة التي تأخذ العلم من الاخرين دون ان تساهم فيه بنشاط بارز سوف يبقى موقفها دائما سيئا ، وان تخلف الدولة في النواحي الاقتصادية وغيرها يكون غالبا نتيجة للتخلف العلمي . والعلم نفسه يتيح للدولة قدرة على استغلال قدراتها من اجل تطوير العلم نفسه .

### ركائز التقدم العلمي والتكنولوجي في اسرائيل

تعتمد المدنية الحديثة المعاصرة على التقدم العلمي، « واسرائيل تجاهد لتحقق توافقا بين ما ورثته من قديم الزمان وبين ميلادها الحديث ، وتنظر للعلم كمنقذ لها في هذا الميدان ، وليس من العجيب ان البحث العلمي في اسرائيل يلعب دورا هاما في نموها »([٩]). والتقدم العلمي والتكنولوجي في اسرائيل يقوم على دعامتين اساسيتين : البشر ، والموارد .

**العامل البشري** : لا يتأثر الانتاج العلمي بعدد السكان بقدر ما يتأثر بمدى توفر العناصر العلمية القادرة على البحث والدراسة بين هؤلاء السكان، وبصلاحية المناخ الاجتماعي الذي يوفر للعلماء مجالا صالحا لممارسة نشاطهم ، وصلاحية المناخ السياسي الذي يوفر ساسة يشجعون العلماء والنشاط العلمي .

واسرائيل تملك أعلى نسبة من العلماء بالنسبة لتعداد سكانها([١٠]). وقد عملت على توفير العلماء بأسلوبين اولهما فوري عاجل ، والثاني ممتد آجل، اما الاول، فقد وضعت له برنامجا لتهجير العلماء اليهود الى اسرائيل، وكانت الصهيونية تعمل منذ بدء نشاطها على استجلاب العلماء اليهود الذين طردوا اثناء حكم هتلر الى فلسطين.كما استغلت الصهيونية فكرة الولاء المزدوج وراحت تمتص جهود العلماء المنتشرين في جميع دول العالم .

وقد عملت اسرائيل على ارسال البعثات الدراسية الى انجلترا والمانيا والولايات المتحدة للبحث والدراسة والالمام بأحدث ما وصل اليه البحث العلمي والتقدم التكنولوجي في مختلف المجالات . اما المنهاج المتد فقد تضمن تأهيل الباحثين والعلماء في الجامعات والمعاهد ومراكز البحث العلمي في اسرائيل ، وتشجيع البحث العلمي وخلق المناخ المناسب لاستجلاب العلماء من اي مكان في العالم . ونتيجة لذلك لم تتعرض اسرائيل لاستنزاف العقول « فليس هناك اي استنزاف للعقول بين علماء اسرائيل ، وعلى العكس ، فهناك جذب مستمر لاستجلاب العلماء من خارج اسرائيل الى داخلها »(١١).

وتشترك اسرائيل في اغلب المؤتمرات العلمية ذات المستوى الرفيع التي تعقد في الخارج وقد جاءت الثانية بعد الولايات المتحدة الامريكية في ترتيب الدول التي شاركت في المؤتمرات العلمية في الفترة من ١٩٥٥ — ١٩٦٥ . وبذلك ساهم علماؤها في هذه المؤتمرات ، واسمعوا صوت اسرائيل الى حوالي نصف مليون عالم من مائة دولة اشتركت في هذه المؤتمرات ، واطلعوهم على منجزاتهم العلمية وتبادلوا معهم الاراء في هذه المجالات(١٢).

كما تعمل اسرائيل على عقد مؤتمرات ودعوة العلماء من دول العالم لاستجلابهم الى جامعاتها ومعاهدها العلمية للاستفادة بخبرتهم وآرائهم . ولم تنقطع زيارات العلماء لاسرائيل منذ قيامها حتى الان(١٣).

نتيجة لهذه الجهود اصبحت اسرائيل رغم صغر عدد سكانها تملك قدرة علمية تعادل ما تملكه الدول المتوسطة مثل كندا والهند(١٤). ولم يكن بين دول الشرق الاوسط في عام ١٩٦٢ من تستطيع توفير العناصر البشرية اللازمة لانتاج سلاح نووي الا اسرائيل(١٥).

وهناك عامل آخر ساعد على مضاعفة نشاط العلماء في اسرائيل ، اهمها « الروح البطولية والتعاونية بين اليهود داخل وخارج اسرائيل ، التي خلقها التحدي المستمر والقيادات المتفانية»(١٦). والواقع ان التخطيط العلمي في اسرائيل يستغل كل الوسائل المشروعة وغير المشروعة لخلق هذه الروح وتنظيم استغلال العلماء اليهود في الداخل والخارج لصالح اسرائيل .

**الموارد والوسائل المتاحة :** « البحث العلمي كالنبات الرقيق لا يترعرع الا في البيئة المناسبة ، عندما ترعاه الدقة والمثابرة »(١٧). ويبدو ان اسرائيل لا تدخر وسعا لتوفير الموارد والوسائل اللازمة لتنمية ومضاعفة النشاط العلمي . وهي لا تبخل بالمساعدات كيفما كان نوعها لانشاء وادامة مراكز علمية ، كجزء اساسي من الاستثمار الوطني . كما انها تضع مطالب البحث العلمي في الاسبقية الاولى بين المطالب الاخرى(١٨).

وتخصص اسرائيل جزءا كبيرا من ميزانيتها للصرف على البحث العلمي . وتعاون المساهمات العظيمة من رؤوس اموال اليهود المنتشرين في جميع انحاء العالم على توفير الاموال اللازمة . ولولا هذه المساعدات ما كان التعليم ولا العلم ليستطيع انجاز الا القليل ، وهناك خطر كبير على النشاط العلمي في اسرائيل بدون العون الخارجي(١٩).

وتولي اسرائيل عناية خاصة لتوفير الكتب والمراجع العلمية مهما كان مصدرها . وهي تطبق برنامجا لنشر ١٦٠ كتابا مترجما في كل عام ، وبذا تعاون علماؤها على الاطلاع على تيار ضخم ومستمر من المعلومات والبيانات الخاصة بالابحاث العلمية التي يجريها اكبر العلماء في جميع انحاء العالم ، وفي جميع قطاعات التخصص العلمي(٢٠).

والانفاق على البحث العلمي في اسرائيل يوجه لجميع انواع البحوث العلمية ، الاساسية والتطبيقية ، الانمائية والصناعية ، طبقا لاسبقية محددة تهدف الى تحقيق الاهداف العلمية في جميع المجالات .

كما تولي اسرائيل اهتماما خاصا بخلق المناخ والبيئة الصالحة لاستقرار العلماء والباحثين ، فتوفر لهم حياة اجتماعية مناسبة في الجامعات والمعاهد ومراكز البحث ، وتوفر لهم كل وسائل الراحة والترفيه والتشويق(٢١).

### من الخصائص البارزة للتقدم العلمي والتكنولوجي في اسرائيل

للتقدم العلمي والتكنولوجي في اسرائيل ملامح مميزة منها انها ترمي الى تحقيق تفوقا علميا في المجال العلمي ، كما ان نشاطها العلمي لا يتناسب مع امكانات الدول وقدراتها . وهي توجه اهتماما خاصا بالطاقة النووية ، والنواحي العسكرية واستخدام العقول الالكترونية .

**التفوق العلمي في المجال العالمي :** كان وايزمان يعتقد ان « اسرائيل يجب ان تكون على اعلى مستوى في مجال الانجازات العلمية والثقافية ليس بين دول الشرق الاوسط فحسب ولكن بين جميع دول العالم . وكان يقول انه لا يريد ان يقال « هذا اعظم عالم في اسرائيل » ولكنه يريد ان يكون العلماء في اسرائيل على اعلى مستوى بين زملائهم خريجي جامعات انجلترا وامريكا »(٢١). وتحقيق ذلك يوفر لاسرائيل خبرة علمية ومركزا علميا مرموقا وشهرة عالمية بين الدول المتقدمة في العالم ، مما يدعم قدرتها على مواجهة الدول العربية وتحقيق اهدافها التوسعية . كما يمهد لنفاذها الى الدول النامية والتغلغل فيها وتوثيق صلاتها بها تحت شعار المعونة والخبرة العلمية .

**عدم التناسب بين النشاط العلمي في اسرائيل وبين ما تملكه من قدرات :** تملك اسرائيل قدرات علمية وتكنولوجية تعادل ما تملكه بعض الدول المتقدمة المتوسطة ، كما ذكرنا من قبل . ولتحقيق ذلك تسلك طرقا مشروعة وغير مشروعة وتحمل ميزانيتها فوق طاقتها . والارجح انها تهدف الى تحقيق مستوى علمي رفيع يضمن لها مركزا قويا بين الدول المتوسطة ، عندما تملك المقومات البشرية والاقليمية والاقتصادية التي تضعها في مصاف هذه الدول ، عندما تنجح في تحقيق احلامها التوسعية.

**الاهتمام بأبحاث واستخدام الطاقة النووية في اسرائيل :** الاهتمام بأبحاث الطاقة النووية واستخدامها من اهم واخطر مميزات البحث العلمي والتقدم التكنولوجي في اسرائيل . وهي تبني قاعدة عريضة — نسبيا — للصناعات النووية تتيح لها اذا أرادت توجيه نشاطها الى الاغراض العسكرية(٢٢). وهي تملك من الناحية العلمية والتكنولوجية مقومات سلاح ذري . والارجح انها قطعت شوطا بعيدا في صناعته(٢٣) لاكتساب خبرة وقدرة ، وحتى لا تبقى متخلفة في هذا المجال . كما انها تملك المقومات المالية لانشاء قوة نووية صغيرة ، ولكن ليس دون ارهاق لاقتصادها(٢٤). وفي مجالات الاستخدام السلمي تعمل اسرائيل على استخدام الطاقة النووية في مجال الابحاث والدراسات الفيزيائية والكيميائية كما تستخدمها في مجالات الصناعة والزراعة والطب والتجارة وتحلية مياه البحر وتوليد الكهرباء .

وفي مجال الاستخدام السلمي تعتزم اسرائيل بتخطيط يوائم بين اهدافها وقدراتها دون تحمل اعباء تزيد عن طاقتها ، كما تعمل على بدء الابحاث والتطبيقات النووية مبكرا لضمان تفوق علمي وتكنولوجي . وهي تتفادى الانفاق على ابحاث وتجارب باشرها الاخرون ، وتستغل النتائج التي توصلوا اليها اقتصادا للنفقات . وهي تستغل الطاقة النووية من اجل مضاعفة التنمية افقيا ورأسيا ، ومن اجل تحقيق الانتاج النووي الاقتصادي مبكرا ما امكن . كما تعمل على تخطيط النشاط النووي للاغراض السلمية بحيث يمهد لخدمة الاغراض العسكرية(٢٥).

**الاهتمام باستخدام جهاز الحاسب الالي في البحث العلمي في اسرائيل :** نظرا لان علم الحاسب الالي اصبح علما هاما بالنسبة للانسان المعاصر ، اذ صار لزاما على الانسان المتنور في هذا العصر ان يلم بعمل هذا الجهاز ، نظرا لان اجهزة الحساب الالي اصبحت عنصرا بارزا في حياتنا الثقافية والعلمية والتكنولوجية ، لذلك وضعت اسرائيل منهاجا لعلم الحاسب الالي لتعريف الدارسين بالاعمال اتي يؤديها هذا الجهاز ، وكيف يؤديها ، والاعمال التي يمكنه القيام بها ، وسبب ذلك . وقد عقدت دورة لتأهيل المعلمين لتعليم هذا العلم في مدارسها. والنسبة بين عدد الاجهزة المستخدمة في اسرائيل وعدد سكانها نسبة عالية بين الدول المتوسطة ( تملك ٢٠٠ جهاز طبقا لاخر احصاء ) .

**من آثار العلم والتكنولوجيا في اسرائيل**

تعمل اسرائيل على قهر كل ما يقابلها من مشاكل طبقا لتخطيط علمي عقلاني صحيح . وقد تناغم البحث العلمي في اسرائيل لحل مشكلات الانسان والدولة فسارت بحوث العلوم الانسانية والتنظيمية والطبيعية ، الاساسية منها والتطبيقية، والانمائية والصناعية جنبا الى جنب .

وبفضل البحث العلمي تحل مشاكل الهجرة في الداخل والخارج ، وتحاول خلق شعب متجانس من شرائح هاجرت اليها من دول الشرق الاوسط وشمال افريقيا ووسط وشرق اوروبا وامريكا اللاتينية .

واستطاعت اسرائيل ان تخلق من اليهود المهاجرين ، وهي عناصر لا تعرف الفلاحة ، فلاحين من اكثر فلاحي العالم تقدما . كما استطاعت تحويل ارض خالية من الثروات ، صحراوية في غالبيتها ، الى ارض منتجة بعد ان استجلبت

المياه . ووفرت الحبوب والمزروعات الصالحة للنمو فيها ، وربت الماشية حيث لا توجد المراعي وضاعفت الانتاج الحيواني بالوسائل العلمية .

وبفضل الطب الحديث والاهتمام بالصحة العامة، وبفضل البحوث الطبية العلمية الاساسية التي تجري في المعاهد العلمية لدراسة طبيعة الامراض ومسبباتها ، ونظام عمل الكائنات الحية ، وبفضل البحوث التطبيقية التي تجري على المرضى ، وبفضل بحوث التنمية والصناعة التي تجري لانتاج العقاقير والادوية ، تمكنت اسرائيل من الانتصار على الامراض والطفيليات والاوبئة المنتشرة في المنطقة ، رغم انها تستقبل مهاجرين من جميع انحاء العالم .

وبفضل العلم والتكنولوجيا اصبحت جامعات اسرائيل ومعاهدها ومدارسها التقنية ومستشفياتها من اكثرها تقدما في العالم ، واستطاع نظام التعليم فيها ان يحقق التعليم للكبار والصغار بأسلوب مستقر متطور .

وبفضل العلم والتكنولوجيا اصبحت اسرائيل اكثر دول العالم النامية تقدما ، واحتلت مركزا علميا مرموقا بين الدول المتوسطة والدول الكبرى . واستطاعت ان تنفذ الى العديد من الدول الافريقية والاسيوية تحت شعار تقديم المعونة العلمية والفنية .

وأصبحت اسرائيل تملك قدرة نووية ، في مجالي الاستخدام السلمي والعسكري ، تفوق ما تملكه دول متوسطة كثيرة من دول العالم . فهي تصدر الماء الثقيل ، وتملك مفاعلات تنتج الوقود النووي، وتستغل الطاقة النووية في نواحي النشاط الزراعي والصناعي والطبي .

وفي الميدان العسكري ، وصل الانتاج العسكري في اسرائيل الى مستوى « مثير للاعجاب »(٢٥) اذا ما قورن بمستوى انتاج دول العالم الثالث . وتدل التقديرات الاخيرة الى ان ٢٠ في المائة من معدات اسرائيل العسكرية تنتج في داخلها وان هذه النسبة سوف تصل الى ٥٠ في المائة بين عامي ١٩٧٥ — ١٩٨٠ . ولها اكتفاء ذاتي بالنسبة لما تحتاجه من الاسلحة الصغيرة . وهي تحاول انتاج كل ما تحتاجه من قطع غيار لطائراتها .

واسرائيل تحرص على ان تكون كل مشروعاتها مربحة او ضرورية لها فيمجال الاستخدام العسكري او في مجال التجارة الخارجية . وقد ثبت ان مشروعات صناعة الطائرات في اسرائيل قامت على اساس تحقيق اقصى ربح ، وليست من اجل صناعة طائرات عسكرية . ويقدر ما تصدره من انتاجها العسكري بحوالي ٣٠ الى ٤٠ في المائة من مجموع ما تنتجه . وقد بلغ ثمن ما صدرته في عام ١٩٦٧ حوالي ٢٠ مليون دولار .

وتنتج اسرائيل البنادق والرشاشات الخفيفة ومدافع المورتار من كل العيارات حتى ١٦٠ مم ومدافع الماكينة الاوتوماتيكية ، وهي في طريقها لانتاج المدفعية الثقيلة من عيار ١٢٠ مم ، وعيار ١٦٠ مم . واسرائيل لا تنتج الدبابات ولكنها تطورها لتضاعف كفاءتها ولتصبح اصلح للاستخدام في ظروفها الخاصة . وفي مجال صناعة الطائرات تنتج اسرائيل بعض الطائرات ، والمحركات ، وقطع الغيار ، واجزاء الطائرات ، والمعدات الارضية اللازمة لها ، والالكترونيات وبعض معدات الطيران الخاصة وكلها تحتاجها للصيانة والتصليح. كما تنتج اسرائيل بعض الصواريخ على اساس التصميم الفرنسي بعد تعديله .

واسرائيل قطعت خطى سريعة للوصول الى الاكتفاء الذاتي وان كانت لا تزال تعتمد على استيراد كل احتياجات الانتاج العسكري من الخارج . وانقطاع وصول هذه المطالب يؤثر تأثيرا شديدا على انتاجها في هذا المجال .

## الخاتمة

لقد وضعت اسرائيل للتفوق العلمي والتكنولوجي اسبقية اولى بين اهدافها القومية . وهي حريصة على حفظ هذا التفوق بالطرق المشروعة وغير المشروعة . فبفضل هذا التفوق أمكنها تحييد قدرات العرب المادية والمعنوية ، البشرية والاقتصادية ، السياسية والعسكرية . وهي قدرات كلها قائمة ولكنها كامنة لا تقوم بدورها في المعركة . والبحث العلمي والتطور التكنولوجي والتخطيط العقلاني الجاد ، تلك هي الوسائل التي تمهد لاستغلال القدرات لتحقيق النصر .

## الحواشي :

١ — Steph Hertesz. «*National Security*» by David M. Abshire and Others. Hoover Institution Publications 1963. Published by Preager, New York, London, p. 211. And Hanson W. Baldwin. «*Strategy For Tomorrow*, Harper & Row, N.Y. 1970, p. 333.

٢ — Chaim Weizman, «*Trial and Error* ». Harper N.Y. U.S.A. 1949, p. 444.

* Joseph Gills. «Science Education in a Developing Country». *Bulletin of the Atomic Scientists*, October 1972, p. 41.

* Stephen Spender, «A Center of Critical Values» Science and Public Affairs, *Bulletin of the Atomic Scientists*, October 1972, p. 2.

٣ — انظر **المرجع نفسه** ص ٣ .

٤ — انظر **المرجع نفسه** ص ٣ .

٥ — انظر **المرجع نفسه** ص ٤ .

٦ — انظر

Dr. I. Berenblum, «Basic and Applied Research in a Small Country». *Science and Public Affairs*, October 1972. p. 30.

٧ — **المرجع السابق** ص ٣٠

٨ — **المرجع السابق** ص ٣٠ .

٩ — انظر **المرجع نفسه** ص ٣١ .

١٠ — انظر لكاتب هذا البحث، **السياسة النووية لاسرائيل** . مطبوعات دار الشعب ١٩٧٠ ص ١٢ .

١١ — انظر **المرجع السابق** I. Berenblum ص ٣٠.

١٢ — شاركت اسرائيل في ٤٨٤٢ مؤتمرا واجتماعا اجريت خلال هذه المدة . انظر **المرجع السابق** لكاتب هذا البحث ص ١٣ .

١٣ — قام اوبنهايمر ، العالم الامريكي الذي لعب دورا كبيرا في صناعة القنبلة الذرية الاولى بزيارة اسرائيل عام ١٩٦٥ ، كما زار الدكتور ادوارد تيلر الملقب بابو القنبلة الهيدروجينية اسرائيل في اخر هذا العام . انظر المرجع السابق اخذ عن يوسف مروة . « **الابحاث الذرية الاسرائيلية** » مركز الابحاث ، بيروت ص ٥٨ .

١٤ — Leonard Beatong Maddox, *Spread of Nuclear Weapon's*», Published for the Institute for Strategic Studies, Chatto & Windus, London, p. 24 and p. 168.

١٥ — **المصدر نفسه** .

١٦ — انظر **المرجع السابق** I. Berenblum ص٣١.

١٧ — انظر **المرجع نفسه** ص ٣٢ .

١٨ — انظر

Albert B. Sabin, «Conditions for the Application of Science and Tecknology for Human Welfare», *Science and Public Affairs*, October 1972.

١٩ — انظر **المرجع السابق**

Stephen Spender ص ٢ .

٢٠ — انظر **المرجـــع الســـابق**

Stephen Spender **ص ٢** .

٢١ — انظر **المرجع السابق** لكاتب البحث ص ١٠٥ ، ص ٨ — ٣١ .

٢٢ — انظر

« Israel is already the worlds sixth atomic power»

Hanson W. Baldwin, «*Strategy for Tomorrow*», Harper and Row, N.Y. p. 182.

٢٣ — انظر **المرجع السابق** لكاتب المقال ص١٠٥

٢٤ — انظر **المرجع نفسه** ص ١١٩ .

٢٥ — انظر

Sipri Stockholm International Peace Research Institute. «*The Arms Trade with the Third World.*» Humanities Press. N.Y. 1971. pp. 768-781.

# التقرير الثالث

## دور الجامعات والمعاهد العليا في اسرائيل في البحث العلمي والتكنولوجي

### بكر مصباح تنيرة

العلم هو السلاح الذي يستطيع به الانسان أن يتحكم في الطبيعة ، ويستغل ثرواتها لتحقيق أغراضه على الوجه الامثل . وبالعلم يتمكن الانسان من التغلب على تحديات الحياة . وقد ادركت الصهيونية العالمية هذه الحقيقة ، واتخذت منها اساسا من اسس اقامة دولتها اسرائيل . ثم تابعت اسرائيل بعد قيامها السير على نفس المنهج في المجالات المختلفة . ولا شك انها استطاعت بما توفر لها من امكانات لم تتوفر لمثيلاتها من الدول الصغيرة ان تحقق تقدما علميا وتكنولوجيا جديرا بالدراسة والبحث خاصة من قبل العرب الذين يتعرضون لاخطاره على حقوقهم ومصيرهم ومستقبلهم .

وان الدعوة لبحث التقدم العلمي والتكنولوجي في اسرائيل بادرة طيبة في حد ذاتها ، ولكنها تحتاج منذ الان الى عناية وتنظيم وتخطيط يفترض المتابعة الدائمة لما تقوم به المؤسسات العلمية في اسرائيل من نشاط ، وما تقدمه من ابحاث في فروع العلم المختلفة ، واوجه تطبيق ما تتوصل اليه من اكتشافات واختراعات جديدة .

وقد بين حاييم وايزمان العالم الكيميائي واول رئيس دولة لاسرائيل ، اهمية البحث العلمي ودوره في التغلب على التحديات التي ستواجهه اسرائيل ، وحث على مضاعفة الجهد وخاصة في مجال التعليم العالي لاعداد الباحثين والخبراء في مختلف المجالات ، كما طالب بأن تقوم اسرائيل في المستقبل بدور قيادي في منطقة الشرق الاوسط بما تحققه من تفوق علمي وتكنولوجي(١). وقد أكد ذلك دافيد بن جوريون رئيس وزراء اسرائيل الاسبق في مقدمة الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل لعام ( ١٩٥١ — ١٩٥٢ ) فقال : « العلم سلطان البشر على قوى الطبيعة وسوف نستعين به دائما لاننا لن ننجح في تحقيق مشروعاتنا اذا لم نسخر العلم لتحقيقها » .

وتقوم الجامعات والمعاهد العليا في اسرائيل بدور فعال في تحقيق التقدم العلمي والتكنولوجي .

وقد اوضح ذلك شمعون بيريس وزير المواصلات والاتصالات الاسرائيلي حاليا فقال : « على اسرائيل ان تبذل جهدا تربويا وفكريا ضخما في اعداد الجيل الجديد . فقد قرأت في أحدى نشرات وزارة التربية والثقافة اننا نأتي في الدرجة الخامسة في العالم من حيث نسبة عدد الطلبة الجامعيين بين المواطنين ، فبين كل مائة الف مواطن لدينا ٧٥٠ طالبا جامعيا ، وان هذا الانجاز يبدو باهرا ، الا ان هناك قطاعات تعتبر فيها هذه النسبة غير كافية ، فاذا اردنا ان ننتج طائرة او صاروخا فان هذه النسبة لا تنسجم مع اوضاع اسرائيل . ان تعقيدات السلاح لا تتوقف على حجم البلد بل ان كل ما في الامر هو نوعية الانجاز والتنفيذ . ولذلك نحن بحاجة الى ضمان التعليم العالي لعدد اكبر من المواطنين والى تدريب مهني أكثر ضمن الجهد التربوي العام . ان خريجي الجامعات والمعاهد الاسرائيلية والمؤسسات التي يعملون بها يجب ان يحافظوا على البقاء في موقف الرواد والمستكشفين ، وأعني بهذا ان عليهم ان لا يكونوا محافظين في استخدام وسائل التجهيز والتقنية ، بل عليهم ان يظهروا اقصى حدود الفضول العلمي الى درجة المغامرة والمجازفة في استغلالهم اخر المستكشفات في الشكل والطريقة النوعية والمواد »(٢). وهكذا يتضح الطموح العلمي الذي يتطلع اليه شمعون بيريس ، ويدعو الجامعات والمعاهد العليا الى الاخذ به .

ومن اهم الاعمال التي تقوم بها الجامعات والمعاهد العليا في اسرائيل : ١ — تزويد مرافق الدولة بما تحتاج اليه من متخصصين في ميادين العمل المختلفة . ٢ — اعداد الباحثين والخبراء والعلماء في مختلف التخصصات العلمية . ٣ — القيام بالابحاث والتجارب في مختلف فروع العلم . ٤ — جذب العلماء اليهود من مختلف انحاء العالم والاستفادة من علمهم وخبراتهم ، وذلك بتهيئة الظروف العلمية التي تناسب تخصصاتهم ، وتحقيق طموحهم العلمي .

وفي هذا البحث الموجز ، الذي لا يعدو ان يكون

مقدمة لما تقوم به الجامعات والمعاهد العليا في اسرائيل في البحث العلمي والتكنولوجي . نستعرض ما يأتي : ١ — نشأة وتكوين وأهم الاقسام التي تشملها كل منها . ٢ — تطور عدد الطلاب وتخصصاتهم العلمية . ٣ — النشاط العلمي الذي تقوم به في مجال الابحاث والتجارب.

وما زالت القوى البشرية تمثل المصدر الاساسي للقوة والطاقة والعلم هو المعيار الاساسي في ذلك .

## اولا — الجامعات

### ١ — الجامعة العبرية في القدس

**١ — نشأتها** : كانت فكرة انشاء جامعة عبرية في فلسطين من ابرز الاهداف التي تبنتها المنظمة الصهيونية العالمية كجزء من مخططها لتهويد فلسطين ، ووسيلة علمية وعملية لجذب العلماء اليهود للبحث والتدريس فيها ، واداة لتربية جيل صهيوني يستخدم العلم في اقامة الدولة الصهيونية ، وتحقيق اهدافها .

ومن الناحية التاريخية ترجع فكرة انشاء الجامعة العبرية الى الدكتور هرمان شابيرا الذي كان يعمل استاذا للرياضيات في جامعة هيدلبرج بالمانيا . وقد تقدم بفكرته هذه الى المؤتمر الصهيوني الاول الذي عقد في بال بسويسرا عام ١٨٩٧ . وقد وافق المؤتمر على الفكرة ، ووضع حجر الاساس لبناء الجامعة على جبل سكوبس في القدس عام ١٩١٨ ، وتم افتتاحها في عام ١٩٢٥، وتقوم الجامعة العبرية الى جانب نشاطها الاكاديمي الاساسي والذي يتمثل بالتعليم العالي للطلاب ، بنشاطات علمية على جانب كبير من الخطورة وخاصة في مجالات العلوم الطبيعية والرياضية والكيميائية . من هنا تنبع اهمية دورها في النشاط العلمي في اسرائيل .

**٢ — الكلية العلمية وتطور عدد الطلاب وتوزيعهم العلمي** : تضم الجامعة العبرية ثماني كليات ، هي : الزراعة ، العلوم الطبيعية ، الطب ، الصيدلة ، القانون ، العلوم الاجتماعية ، الانسانيات ، والتربية . وقد تطور عدد طلابها منذ عام ١٩٤٨ — ١٩٦٩ من ٩٥٧ طالبا الى ١٢٧٣١ طالبا ، ويبين الجدول رقم ( ٢ ) توزيعهم على الكليات وفقا لاحصاءات عام ١٩٦٩ ، ويلاحظ ان هناك اهتماما واقبالا على دراسة العلوم الطبيعية والطب والزراعة . كما يلاحظ ان هناك عددا كبيرا من الطلاب الباحثين وطلاب الدراسات العليا — الماجستير والدكتوراه .

ويبلغ عدد الاساتذة والمحاضرين ٩٩٠ ، وعدد الموظفين ١٤٣٢ ، ويبلغ عدد الخريجين من الكليات المختلفة عام ١٩٦٩ ، ٢٣٦٧ . من هذا يتضح الدور العلمي الذي تقوم به الجامعة العبرية في مجال التعليم العالي وتخريج الطلاب في التخصصات العلمية التي تخططها سياسة الدولة وخاصة في العلوم الطبيعية حيث تبلغ نسبة الطلاب ١٦٪ الى المجموع الكلي .

**٣ — نشاط الجامعة العبرية في مجال الابحاث العلمية** : (٣). تضم الجامعة العبرية عددا من المعاهد المتخصصة ومعامل الابحاث التي تقوم بنشاط علمي يهدف الى تطوير القدرات الذاتية لاسرائيل في المجالات المختلفة ونظرا لقلة المعلومات عن هذا الدور الذي تقوم به الجامعة العبرية وصعوبة الحصول على المعلومات عن الابحاث التي تعدها نكتفي هنا بعرض نماذج لها مبينين أهم الاتجاهات العلمية التي تحظى بأهتمام الباحثين فيها والتي تعتبر بدورها جزءا من سياسة اسرائيل العلمية .

**١ — معهد الرياضيات :**

يقوم معهد الرياضيات التابع للجامعة العبرية بعدد من الابحاث ذات الاهمية العلمية ، منها :

أ — التحليل : يعمل الرياضي البروفسور س . أغمون على تطوير نظرية معادلات التفاضل الجزئية في الشكل الاهليلجي . كما ان البروفسور أ. روبنسون يعالج مواضيع الجبر التفاضلي ، في حين ان الاساتذة الدكاترة : أ. دفورتزكي ، ب. كاتس، أ. جاكوموسكي، م. ماشلر ، يعملون جميعا على وضع وتطوير نظرية جديدة للاجسام المحدبة في الاجواء العامة .

ب — الاحتمال : يعتبر البروفسور دفورتزكي مسألة « الحركة البروانية » في الفيزياء من مواضيع الاحتمال والاحصاء . ويعمل الدكتور مايزجيلر على تحديد نظريات الاحتمال . كما يشتغل الدكتور هـ. كيستن بابحاث تتعلق بالقوالب العشوائية ويعمل على تطبيق معادلة شرودنجر في البلورات الوحيدة الابحاث المختلطة عشوائيا مع المواد الضريبية . وقام الدكتور ر. خوجسل

باستكشافات رياضية هامة حول طرق هيلبرت الفراغية في تفسير عمليات ماركوف المعقدة .

جـ ـ نظرية الالعاب : اكتشف الدكتور ر. ج. اومان نظرية الالعاب التعاونية واوضح كذلك الكثير من نظرية الاستعمالة .

د ـ الجبر ونظرية الاعداد : قام البروفسور أ. أميتسور بوضع اسس جديدة للتعقيدات النظرية في نظرية الحقول . كما اجرى تعديلات على طريقة سيلبرغ للبراهين الاولية في نظريات الخطوط التقريبية .

هـ ـ المنطق الرياضي وتطبيقاته : اكتشف البروفسور م. رابين بعض المسائل في نظرية المثال ، كما ان البروفسور أ. روبنسون وضع بعض اسس الحساب اللاقياسي .

**٢ ـ دائرتا الفيزياء النظرية والتجريبية :**

أ ـ قام البروفسور راقه بعدة ابحاث في ميدان التحليل الطيفي وتصنيف مستويات الطاقة في الذرات . وقد اكتشف البروفسور راقه طريقة عرفت بأسمه تستخدم كثيرا في دراسة وفهم نموذج الحلقة النووية حسب الافتراض القائل بان الجسمة داخل النواة تتصرف بطريقة مشابهة لتصرف الالكترونات في الذرة ، وبفضل دراسات البروفسور راقه ومساعديه اصبحت اسرائيل تعتبر من المراكز الدولية لابحاث التركيب النووي.

ب ـ في دائرة الفيزياء التجريبية ، يجري البحث في شتى مواضيع الفيزياء النووية على اساس دراسة طبيعة النوى وطرق انحلالها وتغيرها الى نوى اخرى مختلفة ، بالاضافة الى ابحاث اخرى في مواضيع فيزياء الحالة الصلبة وانصاف الموصلات والوميض الالكتروني ومراكز الالوان والتحليل الطيفي الميروموجي والظواهر الحرارية العالية . وانصاف الموصلات ، كما يدل الاسم ، هي اجسام صلبة ذات توصيل كهربائي يتراوح بين المعادن ذات التوصيل الجيد العالي ولاخرى رديئة التوصيل.والاهم من ذلك هو ان الالكترونات هي التي تسبب التوصيل في المعادن ، بينما في انصاف الموصلات يوجد نوعان من الشحنة الكهربائية : الالكترونات السالبة والثقوب الموجبة . وهناك اعمال مستمرة في مختبر البصريات من اجل استكشاف بعض الظواهر البصرية الناتجة عن امتصاص البلورات للنور .

والهدف من هذه الابحاث هو دراسة العمليات التي تنطوي عليها هذه الظواهر لكي يتمكن الخبراء من السيطرة على تصرفات الاشعة اثناء اختراقها للبلورات .

واما في مختبر الاشعاع الميكروموجي ، فتجري تجارب وابحاث هامة حول اشعتي لارز ومازر وترتكز هذه التجارب على حقيقة كون ذرات اكثر من نصف العناصر تحتوي على عدد ضروري من الالكترونات . وهذا ما يجعلها تنطوي على بعض الميزات المغنطيسية . ويتجه اهتمام العلماء الى قياس مستويات الطاقة في مثل هذه الذرات لفهم اسباب صفة المغنطيسية ولاستخدام هذهالمعلومات في سبيل استكشاف الصفات الفيزيائية للبلورات. وهذا النوع من الابحاث تستخدم فيه الحرارة المنخفضة وامواج الراديو العالية الذبذبة المشابهة لامواج الرادار . وأدت ابحاث البلورات هذه الى وضع اجهزة دقيقة للكشف عنالصواريخ الموجهة والاقمار الصناعية على مسافات بعيدة . وقد اصبحت هذه الابحاث البلورية ذات اهمية خاصة في دراسة امواج الراديو الصادرة عن الفضاء الخارجي .

وافتتح منذ خمسة اعوام فرع خاص لفيزياء الحرارة العالية والحرارة النووية ، تجري فيه أبحاث هامة حول الحالة الرابعة للمادة المعروفة باسم ( البلازما ) ، اذ أن ذرات الغاز تتحول الى ايونات موصلة للكهرباء عندما تتعرض لدرجة حرارة عالية . وتعتبر اعمال الدكتور هـ. ز. تابور وابحاثه التي اجراها في مختبر الفيزياء التطبيقية في الجامعة حول الطاقة الشمسية ذات اهمية خاصة بالنسبة لاسرائيل بحيث اصبحت الاجهزة الشمسية للتدفئة المركزية والتبريد والتهوية والتقطير والطبخ اجهزة شعبية عادية في متناول جميع السكان .

**٣ ـ مدرسة هاييم وايزمان للكيمياء :**

تشرف الجامعة العبرية على ادارة هذه المدرسة علميا وماديا ، بحيث يمكن اعتبارها كاحدى كليات الجامعة وهي تشمل : أ ـ دائرة الكيمياء التحليلية واللاعضوية . ب ـ دائرة الكيمياء الفيزيائية . جـ ـ دائرة الكيمياء العضوية . د ـ دائرة الكيمياء الحيوية . وتقوم كل من هذه الدوائر بأبحاث هامة في مجالات تخصصها(٤). كما توجد دوائر علمية اخرى في الجامعة العبرية

مثل دائرة النبات ، ودائرة الجيولوجيا ، ودائرة الجغرافيا ، ودائرة الارصاد الجوية والمناخيات، ودائرة الزراعة .

هكذا يتبين ان دور الجامعة العبرية في مجال الابحاث العلمية يفوق دورها في الدراسة الاكاديمية . ولهذا بالطبع اسبابه العديدة سوف نذكرها عند تحليل هذه الظاهرة المنتشرة في مختلف المؤسسات العلمية في اسرائيل .

## ٢ ــ جامعة تل ابيب

**١ ــ نشاتها :** تعود فكرة انشاء جامعة تل أبيب الى ما قبل الحرب الثانية . وقد بدأت من الناحية العملية بتأسيس مدرسة عليا للاقتصاد والقانون. ولمواجهة التطورات التي حدثت في اسرائيل بعد قيامها في ١٤ مايو ١٩٤٨ ، وزيادة عدد السكان نظرا للهجرة الواسعة برزت الحاجة لانشاء هذه الجامعة . وقد تم افتتاحها في عام ١٩٥٦ ، ثم توسعت عام ١٩٥٩ وبدأت الدراسة فيها بشكلها الجديد عام ١٩٦٠ . وهي تأتي في المرتبة الثانية من الناحية الاكاديمية بعد الجامعة العبرية في القدس ونشاطها في مجال الابحاث العلمية محدود.

**٢ ــ الكليات والمعاهد التابعة لها :** تضم خمس كليات ، كما توجد اربع معاهد تابعة لها . والكليات هي : كلية العلوم وتشمل علم الحيوان، علم النبات ، علم الجرائيم ، والرياضيات التطبيقية . وكلية الدراسة الطبية المتواصلة ، وكلية العلوم الاجتماعية ، وكلية الطب ، وكلية العلوم الانسانية التي تشمل الدراسات اليهودية ايضا ، وكلية الحقوق .

أما المعاهد فهي : معهد دونولو لعلم حفظ الصحة الفيزيولوجي ، ومعهد علم الوراثة عند الانسان، ومعهد الابحاث الصهيونية ، واكاديمية اسرائيل للموسيقى ، وفي عام ١٩٦٦ ــ ١٩٦٧ قامت فيها بعض المشاريع العلمية منها : افتتاح معهد كبلون للرياضيات التطبيقية وعلم طبيعة الفضاء . وتم شراء مركز للالات الحاسبة من الولايات المتحدة الامريكية ، ووضع حجر الاساس لمعهد موشي شاريت للعلوم التربوية ، ووضع حجر الاساس لمدرسة ركاناتي للادارة العامة والمالية، وبدء العمل في مدرسة وشنياب للفنون الجميلة والتطبيقية .

**٣ ــ تطور عدد الطلاب ومجالات تخصصهم العلمي :**(٥). ارتفع عدد الطلاب فيها منذ بدء الدراسة عام ١٩٦٠ ــ ١٩٦١ من ٨٢٥ طالبا الى ٧١٠٢ طالب عام ١٩٦٨ ــ ١٩٦٩ ، اي تضاعف عددهم ما يزيد على سبع مرات . ويبلغ عدد طلاب كلية العلوم الطبيعية ٩٨٢ ، وكلية العلوم الانسانية ٢٨٣٧ . كما يبلغ عدد الطلاب الباحثين ٣٣ طالبا منهم ٣٠ طالبا يبحثون في كلية العلوم الطبيعية ، ٣ طلاب فقط في كلية العلوم الانسانية. وبلغ عدد الطلبة في قسم الماجستير ٦٩ طالبا منهم ٤٤ طالبا في كلية العلوم الطبيعية ، ٥ طلاب في كلية العلوم الاجتماعية ، و ٢٠ طالبا في كلية العلوم الانسانية .

من هذا يتضح اهمية الدراسات العلمية وعلى وجه الخصوص العلوم الطبيعية ويبين الجدول رقم ( ٣ ) توزيع الطلاب وفقا لسنوات الدراسة، ومجالات التخصص . وبلغ عدد الاساتذة والمحاضرين ٧٠٦ ، وعدد الموظفين ١٥٣١ .

## ٣ ــ جامعة بارايلان(٦)

**١ ــ نشاتها :** تختلف أسباب نشأة جامعة بارايلان والغاية منها على سابقتيها ، الجامعة العبرية وجامعة تل أبيب . فقد أنشأتها مؤسسة مزراحي الدينية عام ١٩٥٥ .

وسميت بهذا الاسم نسبة الى الحاخام مئير بارايلان ، وهي تختلف عن بقية الجامعات في اسرائيل ، فهي تهدف الى خلق جيل من الشبان المتعلم يكون ملما بالموضوعات الدينية والعصرية ويكون متمسكا بالعقيدة اليهودية .

**٢ ــ نظامها والكليات التابعة لها :** تتبع هذه الجامعة نظام الساعات المعمول بها في الجامعات الامريكية وبهذا فانها تتيح الفرصة للامريكيين والكنديين لاتمام دراستهم في اسرائيل . وتضم الجامعة ثلاث كليات : كلية الدراسات الانسانية وتشمل اللاهوت اليهودي والتاريخ والادب اليهودي ، ثم اللغات والادب وتشمل اللغة العبرية والعربية والانجليزية والفرنسية واليونانية واللاتينية ، وكلية العلوم الاجتماعية وتشمل التاريخ والفلسفة والاجتماع والاقتصاد وعلم النفس والتربية . كلية العلوم وبها اقسام للاحياء والكيمياء والفيزياء والرياضيات والحيوان والنبات والبكتريا والكيمياء الحيوية .

**٣ ــ تطور عدد الطلاب وتوزيعهم وفقا للتخصص**

العلمي : ارتفع عدد الطلاب من ١٧٢ طالبا عام ١٩٥٦ — ١٩٥٧ الى ٣٦٤١ طالبا عام ١٩٦٨ — ١٩٦٩ . ويبين الجدول رقم ( ٤ ) توزيعهم على التخصصات العلمية . وبلغ عدد الاساتذة والمحاضرين ٤٣١ ، وعدد الموظفين ٥٠٨ . وذلك وفقا لاحصاءات عام ١٩٦٩ .

**٤ — جامعة حيفا(٧)**

١ — **نشأتها** : يعود تاريخ تأسيس هذه الجامعة لعام ١٩٥٢ عندما تأسس معهد للقانون والاقتصاد، وفي عام ١٩٥٤ انشئت دائرة للعلوم الانسانية ودائرة للمحاسبة ، وفي عام ١٩٥٧ تم افتتاح دائرة للعلوم الاجتماعية . ثم قامت بلدية حيفا ببناء هذه الجامعة بشكلها الجديد الذي افتتح رسميا عام ١٩٦٤ .

٢ — **كلياتها** : تتألف جامعة حيفا من كليتين هما : كلية الدراسات الانسانية ، وكلية العلوم الاجتماعية ، وتضم هاتان الكليتان خمسة عشر قسما : التوراة ، اللغة العبرية ، التاريخ اليهودي ، التاريخ العام ، اللغة والادب الفرنسي ، اللغة والادب الانجليزي ، اللغة والادب العربي ، الجغرافيا ، التربية ، علم الاجتماع ، وعلم السياسة .

٣ — **تطور عدد الطلاب** : ارتفع عدد الطلاب من ٥٦٥ طالبا عام ١٩٦٤ — ١٩٦٥ الى ٢٢٠٣ طلاب عام ١٩٦٨ — ١٩٦٩ . ويبين الجدول رقم ( ٥ ) توزيع الطلاب وعدد الاساتذة والمحاضرين ومجموع العاملين في الجامعة . ولا يوجد لجامعة حيفا نشاط علمي كما هو واضح ، كما انه لا يوجد بها كليات عملية .

**ثانيا — المعاهد العليا**

**١ — معهد اسرائيل التكنولوجي ( التكنيون )(٨)**

تأتي أهمية التكنيون الاكاديمية في المرتبة الثانية بعد الجامعة العبرية مباشرة أما أهميته في مجال النشاط العلمي الذي يقوم على الابحاث فهي في مقدمة المؤسسات العلمية في اسرائيل ، ويتضح ذلك من اقسام المعهد ومجالات التخصص العلمي فيه كما سنرى .

١ — **نشأته** : بدأت فكرة انشاء معهد التكنيون مع انشاء الجامعة العبرية في اوائل هذا القرن، ومع بدء تنظيم النشاط الصهيوني في فلسطين ، وسياسة اقامة الدولة الصهيونية . وكانت الغاية منه في البداية تخريج العمال المدربين والمهندسين ليكمل انواع الدراسات التي كانت تدرس في الجامعة العبرية .

وقد اقترح انشاءه الدكتور بول ناتان عام ١٩٠٧. وبالفعل شرع في تأسيسه على جبل الكرمل في حيفا في اوائل ١٩١٢ وافتتح رسميا عام ١٩٢٤ ويقوم التكنيون بأبحاث على جانب بالغ الاهمية وخاصة في مجال الذرة ، هذا الى جانب العمل الاكاديمي العادي .

٢ — **اقسام المعهد والكليات والمختبرات التابعة له** : يضم المعهد الكليات الاتية : الهندسة المدنية ، هندسة البناء ( فن المعمار ) وتخطيط المدن ، والهندسة الميكانيكية ، والهندسة الكهربائية ، والهندسة الكيميائية ، والهندسة المعمارية ، وهندسة الطيران ، كما يوجد في المعهد الاقسام الاتية : هندسة الادارة الصناعية، والرياضيات ، والطبيعيات ، والكيمياء ، وعلم الميكانيكيات والعلوم النووية ، وعلم الميكروبات ، والجراثيم العامة والتطبيقية ، والدراسات العامة والتربية .

ويشمل المختبرات الاتية : مختبر فحص مواد البناء ، مختبر فحص الالات المائية (الهيدرولية)، مختبر ميكانيك التربة وفحص الطرقات ، مختبر الفحص الميكانيكي ، مختبر الصدأ ، مختبر التلبيس المعدني ، مختبر المائيات ( الهيدروليك ) مختبر هندسة التربة .

٣ — **تطور عدد الطلاب وتوزيعهم العلمي** : بلغ مجموع الطلاب في المعهد عام ١٩٤٨ — ١٩٤٩ ، ٦٧٨ طالبا ، ارتفع عام ١٩٦٨— ١٩٦٩ الى ٥٦٥٩ طالبا . ويبين الجدول رقم ( ٦ ) توزيع الطلاب على مختلف التخصصات العلمية ، كما يتضح من الجدول المذكور ارتفاع عدد الباحثين وطلبة الماجستير والدكتوراه وخاصة في مجال العلوم الطبيعية ، والكهربائية والطيران والهندسة الميكانيكية .

وقد بلغ مجموع الاساتذة والمحاضرين عام ١٩٦٩ ٤٦٠ ، ومجموع العاملين ٩٥٢ .

٤ — **النشاط العلمي في مجال الابحاث** :(٩)

انشئت في المعهد دائرة خاصة بالهندسة والعلوم

النووية وذلك لتلبية حاجات الابحاث الذرية التي تقوم بها اسرائيل . وكانت الغاية من انشاء هذه الدائرة تدريب العلماء في مواضيع فيزياء المفاعلات النووية وبالتالي تأمين الخبراء اللازمين للعمل في المفاعلات الذرية في النبي روبين ، وديمونــــا ، وريشون لتسيون ، وناحال سوريك . ويتضمـــن المنهــاج محاضرات علمية واعمــال اختبارية في الفيزيــاء ، ونظرية المفاعــل وتصميمه وكيميــاء وتكنولوجيا محطة الطاقة الذرية والتعدين النووي للسنة الاخيرة .

٢ — **معهد ابشتاين للفيزياء :**

ويعتبر مــن اهــم الفروع العلمية في المعهــد . وبالاضافة الى اعداد المهندسين الفيزيائيــين فــان هنـــاك طلابا يعملـــون لنيل درجات الماجستـــير والدكتــوراه ويقومون بابحاث فيزيائية هــامة في مواضيع الاشعة الكونية وفيزياء الحالة الصلبة . كما أن هناك فريقا من العلماء يقوم بأبحاث هامة في دراسة الاشعة الكونية والتيارات الناتجة عن اصطدام جسيماتها بالجو الارضي . كما ان فريقا اخر من العلماء يقوم بدراسة خصائص الاشعـــة الكونية في محطة بنيت على قمة جبل الكرمل وفي محطة ثانية بنيت في نفق داخل الجبل المذكــور حيث تمر الطريق المؤدية الى حيفا .

٣ — **تكنولوجية الغذاء :**

يقوم فريق من العلماء في التكنيون تحت رئاســـة البرفســور برافرمان بتدريب الشبان والفتيات على كيفية انتاج مواد غذائية افضل من اجل رفـــع مستوى الغذاء والتغذية في اسرائيل .

والى جانب هذا النشاط العلمي في مجال الابحاث، يعمل التكنيون على نشر محاضرات جوزيف ونش، وسلسلة شلومو كمبلانسكي التذكارية ، وخلاصات لاطروحات الدكتوراة وشهادات استاذ العلـــوم ، والفهارس . وفي حقل البناء ينشر المعهد نشرة تكنيون وهندسة تكنيون الانسانية .

### ٢ — معهد وايزمان للعلوم

١ — **نشأته** : اشرف حــاييم وايزمـــان العـــالم الكيميـــائي واول رئيس دولـــة لاسرائيل علـــى تأسيس المعهد الذي يحمل اسمه ، كمركز للابحاث عام ١٩٣٤ ، ثم اعيد تنظيمه عام ١٩٤٩ ويعتبر معهد وايزمان ثاني معهد في اسرائيل من حيـــث النشـاط العلمي واهمية الابحاث التي يقوم بها .

٢ — **اقسام المعهد** : يضم المعهد عشر كليـــات في الحقول العلمية الاتية : الرياضيات التطبيقية ، الفيزياء النووية ، التأثير النووي ، الالكترونيك ، بلورات أشعة اكس ، النظائر ، التجمعـــات ، البيوفيزياء، الكيمياء العضوية، والاحياء التجريبية. وبالاضافة الى هذه الكليات، فهناك اقسام للكيمياء الضوئية والتحليل الطيفي ، والتحليـــل الطيفي بواسطة أشعة تحت الحمـــراء والبيوكيميـــاء ، والوراثيات الحيوانية والنباتية . وبلغ مجمـــوع الطلاب في المعهد عام ١٩٦٩ — ٣٣٤ طالبا . ويعتبر المعهد مركزا للبحث والنشاط العلمي اكثر منه معهدا للدراسة .

٣ — **النشاط العلمي** : عندما أسس معهد وايزمان للعلوم كان منذ البداية معهدا للبحث العلمي . من هنا كانت العناية بتزويده بكل ما يجعله يقوم بهذا الدور في النشاط العلمي . فهو يضم عـــدة دوائر علمية مخصصة تقوم كل منها باجراء التجارب والمواد والابحـــاث في مختلـــف نواحي البيئـــة والتكنولوجيا .

١ — **دائرة الكيمياء العضوية** : تقوم هذه الدائرة بأبحاث هامة في ميدان المركبات الكربونية ونواتج العمليات الحيوية كالمواد الكربوهيدراتية التـــي تشكل الاغذية الاساسية للجسم البشري والمواد الهيدروكربونية الضرورية لتسيير المحركات الالية. وتتعلق هذه الابحاث بكيفية نشوء الكربون ومن ثم النباتات والمخلوقات الحية ومن ثـــم كيفيـــة تكوين نشوء زيت البترول في العصور الجيولوجية القديمة . هذا بالاضافة الى مجالات اخرى تقوم هذه الدائرة باعداد التجارب والابحاث عنها .

٢ — **دائرة الاطياف تحت الحمراء وبلورات اشعة أكس** : تتركز أعمال هذا القسم على تطوير طرق جديدة لامتصاص وانكسار اطياف الاشعة تحـــت الحمراء . وهناك عدة أجهزة صممت وانتجت ، بما في ذلك جهاز التحليل الطيفي الضخم المعـــروف بأسم ( رحفوت ) ، الذي يعمل كمقياس للاطياف والانكسارات التي تحصل بواسطة الاشعة تحت الحمراء وهو أضخم وأعظم جهاز من نوعه ، اذ يحتوي على حجر اسطواني الشكل يبلغ طولـــه ١١،٧ م وقطره ٦٠ سم ، ومصنوع من مـــادة مقاومة قوية تتحمل الفراغ الضروري الذي يحتاجه انعكاس الاشعة تحت الحمراء لمسافة ٢٢٥ مترا.

ويقوم الخبراء الاسرائيليون الذين يعملون على هذا الجهاز حاليا بعدة ابحاث هامة تتعلق بصفات الجزئيات البسيطة مثل قوة الارتباط التي تربط ذرات الجزء والصفات الكهربائية لهذه الرباطات، وكذلك يدرسون طبيعة التفاعلات بين الجزئيات الضرورية التي تتحرك احداها حول الاخرى مسببة التصادم الثنائي بينهما .

ومن الجدير بالملاحظة أن الكثير من هذه الابحاث تنشر في المجلات العلمية سواء في اسرائيل او خارجها . هذا بالاضافة الى أن الابحاث ذات الطابع السري لا يتم نشرها ، ولكن يمكن تحديد اتجاهات البحث العلمي من خلال ما ينشر . وما ذكر ليس الا نماذج من هذه الابحاث التي كانت قائمة منذ أربع سنوات على الاقل ، فلا بد أن في هذه الفترة حدث الكثير الذي يوجب المتابعة والبحث .

٣ — **دائرة الرياضيات التطبيقية** : انشئت هذه الدائرة في المعهد لاهمية الموضوع الذي تتخذه مدارا لابحاثها ، وقد تطورت الابحاث الرياضية تطورا انقلابيا بمجيء البروفسور حاييم بيكريز وجماعته الى رحفوت ، اذ أنهم واجهوا مشاكل رياضية اهم بكثير من مشاكل الرياضيات الكلاسيكية . وأسسوا فكرتهم على حاجة اسرائيل الى الماء والوقود . وبندرة هاتين المادتين في مواردها الطبيعية . لهذا كانت عنايتهم في تطبيق أساليب الرياضيات في ميدان الجيوفيزياء . وفي أبحاث ترمي الى اكتشاف البترول او الماء في جوف الارض عن طريق التعرف على نوعية الصخور التي تتكون منها ، وبالفعل اجريت تجارب في هذا الصدد في منطقة حيليتس بالقرب من مدينة عسقلان بالقرب من قطاع غزة ، وقام الخبراء في عام ١٩٥٦ بحفريات ناجحة انتهت باكتشاف البترول . وتضم هذه الدائرة عقلا الكترونيا من أهم العقول في العالم ( وايزاك ) وهو من صنع المعهد .

٤ — **دائرة أبحاث النظائر** : تقوم هذه الدائرة بدراسة تأثير النظائر على الصفات الفيزيائية والكيميائية والبيولوجية لمختلف أنواع المواد . وهذه الدراسة تتناول ما يأتي : ١ — دراسات حول طرق انفصال النظائر . ٢ — دراسة آلية التفاعلات البيولوجية والكيميائية . ٣ — دراسة التفاعلات النووية . ٤ — استخدام النظائر في التطبيقات العلمية المختلفة .

٥ — **دائرة الالكترونيك** : تقوم هذه الدائرة بأبحاث أساسية في حقل المغنطيسيات والميكرومغنطيسيات وتعمل على تطبيق الابحاث النظرية في تطوير اجهزة الكترونية جديدة . وهناك تعاون وثيق بين هذه الدائرة وشركة ( يدا ) للابحاث والتطوير الاسرائيلية التي اصبحت اليوم تملك فروعا عديدة في كثير من بلدان العالم .

٦ — **دائرة ابحاث التجمع** : ينبع اسم هذه الدائرة من الموضوع الذي تناوله . فمن المعروف أن النايلون والمطاط والسيلولوز من المواد البلاستيكية الصناعية ، فهي تصنع من سلسلة جزئيات متشابهة مستطيلة تعرف عمليا بأسم التجمعات . وتعرف الدراسة الاساسية لهذه التجمعات المشحونة كهربائيا باسم ( تعدد الاقطاب الكهربائية ) وهذه الدراسات هي ما تقوم به هذه الدائرة العلمية في معهد وايزمان .

٧ — **دائرة البيولوجيا التجريبية** : تجري هذه الدائرة أبحاث علمية هامة تحت ادارة البروفيسور برينبلوم في سبيل التوصل لمعرفة أسباب مرض السرطان . وتوصل العلماء في هذه الدائرة الى أن الورم السرطاني لا يظهر حال حدوثه بل قد يستغرق ذلك سنوات عديدة حتى يتمكن الاطباء من ملاحظته .

٨ — **دائرة الفيزياء النووية** : تضم اعمال هذه الدائرة الى ثلاث مجموعات : الدراسات النظرية في التركيب النووي ، والدراسات التجريبية في البناء النووي ، ودراسات الطاقة العالية التي تتضمن الاشعة الكونية .

وهناك اهتمام خاص من علماء هذه الدائرة بأعمال وأبحاث التأثير النووي المتعلقة بآلية ومعدل التفاعلات الكيميائية السريعة المتبادلة في السوائل ولذلك يستخدم هؤلاء العلماء احدث مطياف مغناطيسي نووي ذو طاقة عالية . ومن الجدير بالذكر ان هذا المطياف هو من تصميم ووضع خبراء هذه الدائرة . كذلك نجح هؤلاء الخبراء أنفسهم في صنع وتطوير اجهزة جديدة لدراسة صفات السوائل والجوامد .

هكذا يتبين من هذا العرض الموجز للدوائر والاقسام التي يشملها معهد وايزمان ، والابحاث والتجارب التي تقوم بها أهمية هذا المعهد ودورها في البحث العلمي ، والتقدم التكنولوجي الذي وصلت اليه اسرائيل ، وتسخيرها للعلم والعلماء

لمواجهة المشاكل التي تعترضها بتكوينهــا الغريب والمفتعل ومع ذلك نجحت في ذلك .

ويوجد بالاضافة الى الجامعات والمعاهد العليا التي تم استعراض مقوماتها ونشاطها معاهد عليا حديثة النشأة لم تتوفر عنها معلومات كافية في القـــاهرة على الاقل ، ونذكر منها هنا على سبيل المثال : معهد النقب للدراسات العليا وهو يعني بدراسة اوضاع صحراء النقب ويعد مقدمة لتطويرها وانشاء مراكز علمية اخرى فيها وذلك تهيئة لما ستكون عليه في المستقبل هذه المنطقة الهامة ، ولا سيما انها تتصل بخليج العقبة الذي يعتبر منفذ اسرائيل الى افريقيا خاصة والعالم بصفة عامة .

ويضم المعهد المذكور قسما لدراسة الهندسة واخر للعلوم الطبيعية كما يضم قسما للعلوم الانسانية والاجتماعية . وقد بلغ مجموع الطلاب فيه ٧١٩ حسب احصاءات عام ١٩٦٩ . ويبين الجدول رقم ( ٧ ) توزيعهم على الاقسام المذكورة .

كما يوجد مجموعة كبيرة من مراكز الابحاث بعضها دراسي والاخر يعنى بموضوعات البحث العلمي المتنوعة وتساهم الى جانب الجامعات والمعاهــد العليا في البحث العلمي والتكنولوجي .

## خلاصة البحث

مما سبق يتضح ان الجامعات والمعاهد العليا في اسرائيل تساهم مساهمة كبيرة في تطوير البحث العلمي والتكنولوجي ، وتقوم باعداد الباحثـــين المتخصصين لذلك . وظاهرة البحث العلمي فيها تعود الى طبيعة تكوين اسرائيل ذاتها . كما تعود الى أسباب نشأتها وأهدافها في المنطقة العربية . فمصدر الهجرة اليهودية منذ البداية كان يوفر لاسرائيل اعدادا كبيرة من ذوي المؤهلات العلمية العالية الذين كانوا يحتاجون الى مؤسسات علمية يمارسون من خلالها نشاطهم العلمي(١٠). كما ان تحدي اسرائيل للامة العربية واصرارها على قبول الحق العربي في فلسطين قد دفعها الـــى العمل لتحقيق التقدم العلمي والتكنولوجي وخاصة فـــي ميدان صناعة الاسلحة حتى تحافظ على موقعها . ومن الملاحظ ان هنـــاك تركيزا علـــى العلـــوم الطبيعية ، كما أن هناك عناية واضحة بالابحاث الذرية .

كل هذا يشكل دافعا أساسيا للعمل من أجل متابعة هذا التقدم حتى يتمكن العرب مـــن خلال مؤسساتهم العلمية الماثلة من معرفة العدو الذي يتحداهم ويعملون على تطوير وسائلهم وأدواتهم في مواجهته .

---

١ — Chaim Weizman, *Trial and Error*. Schocken Books. N.Y. 1966, pp. 444-462.

٢ — *Israel Year Book* - 1965, p. 31.

٣ — يوسف مروة ، **اخطار التقدم العلمي في اسرائيل** ، مركز الابحاث ، بيروت ١٩٦٧ ، ص ١٢ — ٢٢ .

٤ — يوسف مروه ، **المصدر السابق** ، ص ١٧ — ١٩ .

٥ — Statistical Abstract of Israel, 1969, p. 569.

٦ — منير بشور وخالد مصطفى الشيخ يوسف ، **التعليم في اسرائيل** ، مركز الابحاث ١٩٦٩ ص ١٣٥ — ١٣٦ .

٧ — منير بشور ، **المصدر السابق** ، ص ١٣٦ .

٨ — يوسف مروه ، نورمان دندن ، د. م. ص، **المؤسسات العلمية والثقافية والفنيةفي اسرائيل**، مركز الابحاث ، بيروت ، ١٩٦٧ ، ص ١٦ — ١٧ .

٩ — يوسف مروه ، **اخطار التقدم العلمي فـــي اسرائيل** ، ص ٢٥ — ٢٧ .

١٠ — انطوان : ب. زحلان ، **العلـــم والتعليم العالي في اسرائيل** ، ترجمة محمـــد صـــالح العالم ، مؤسسة الدراســـات الفلسطينيـــة بالاشتراك مع دار الهلال — القاهرة — ١٩٧٠ ص ٤٨ .

## جدول رقم (١)
## طلاب الجامعات والمعاهد العلمية العليا في اسرائيل

| | ٤٩/٤٨ | ٥١/٥٠ | ٥٧/٥٦ | ٦١/٦٠ | ٦٥/٦٤ | ٦٦/٦٥ | ٦٧/٦٦ | ٦٨/٦٧ | ٦٩/٦٨ |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| مجموع الطلبة في الجامعات والمعاهد العليا | ١٦٣٥ | ٣٠٢٢ | ٥٨٤٢ | ١٠٨٣٦ | ١٨٣٦٨ | ٢١٧٥٦ | ٢٥٥٤٢ | ٢٨٥٢٠ | ٢٢٢٨٩ |
| طلاب السنة الجامعية الاولى | ٤٠٥ | ١٠٨٥ | ١٧٧٠ | ٣٢٦٦ | ٦٠٥٥ | ٧٣٨١ | ٧٩٨٥ | ٧٧٤٠ | ٨٩٠٤ |
| الطلاب الباحثون | ٨٨ | ١٤٨ | ٣٤٣ | ٥١٦ | ٨٥٢ | ٩٨٣ | ١١٢٢ | ١٢٠٨ | ١٣٨٠ |
| خريجو الجامعات | ١٩٣ | ٣١٣ | ٨٨٤ | ١٦٥٤ | ٢٤٩١ | ١٧٠٠ | ٢٩١٢ | ٢٧٦١ | ٤٤١٨ |
| **الجامعة العبرية :** | | | | | | | | | |
| مجموع الطلاب | ٩٥٧ | ٢٠٦٨ | ٣٦٦٦ | ٧٠٢٠ | ١٠١٦٤ | ١٠٨١٣ | ١١٤٥٨ | ١١٥٨٦ | ١٢٧٣١ |
| طلاب السنة الاولى | ٢١٥ | ٧٩٩ | ١١١٢ | ٢٠٩٦ | ٣٣٥٧ | ٣٢١٨ | ٣٠١٩ | ٢٧٤٦ | ٣٢٤٨ |
| الطلاب الباحثون | ٨٦ | ١٤٦ | ٣٠٦ | ٤٣١ | ٥٨٠ | ٦٠٣ | ٦٥٩ | ٧٦٧ | ٨٢٩ |
| الخريجون | ٥٨ | ١٢٥ | ٥٣٦ | ١٠٠٤ | ١٦٦٢ | ١٧٣٩ | ١٧٣٤ | ٢١٦٠ | ٢٣٦٧ |
| **معهد التكنيون :** | | | | | | | | | |
| مجموع الطلاب | ٦٧٨ | ٩٥٤ | ٢٠٠٤ | ٢٣٨٠ | ٣٩٢٨ | ٤٤٢٢ | ٤٩٤٣ | ٥١١٥ | ٥٦٥٩ |
| طلاب السنة الاولى | ١٩٠ | ٢٨٦ | ٦٥٨ | ٥٤١ | ٩٦٢ | ١٠١١ | ١٠١٧ | ٩٤٧ | ١٠٥٣ |
| الطلاب الباحثون | ٢ | ٢ | ٣٧ | ٨٥ | ١٢٧ | ١٦٢ | ٢٠٤ | ١٨٩ | ٢٨١ |
| الخريجون | ١٣٥ | ١٨٨ | ٣٤٨ | ٥٩١ | ٥٦٥ | ٥٨٧ | ٧٤٦ | ٨١٥ | ٩٢٤ |
| **جامعة تل ابيب :** | | | | | | | | | |
| مجموع الطلاب | — | — | — | ٨٢٥ | ٢١٢٦ | ٣٥٤٧ | ٤٨٢٥ | ٦٢٠٨ | ٧١٠٢ |
| طلاب السنة الاولى | — | — | — | ٣٧٨ | ٩٥٧ | ١٩٧٢ | ٢٠٨٦ | ١٨٦٤ | ٢٢٠٣ |
| الطلاب الباحثون | — | — | — | — | — | ٩ | ١٣ | ١٢ | ٣٣ |
| الخريجون | — | — | — | ٢٣ | ١٢٦ | ١٨٥ | ٢٤٣ | ٤٢١ | ٦٥٥ |

| | | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| **جامعـــة بارايلان :** | | | | | | | | | |
| مجموع الطلاب | — | — | ١٧٢ | ٦١١ | ١٤٠٦ | ١٨٣٨ | ٢٤٨٥ | ٣١١١ | ٣٦٤١ |
| طلاب السنة الاولى | — | — | — | ٢٨١ | ٥١٠ | ٧٣٠ | ٩٨٨ | ١١٧٦ | ١١٠٦ |
| الطلاب الباحثون | — | — | — | — | — | ٦ | ١١ | ٨ | ٥ |
| الخريجـــون | — | — | — | ٣٦ | ١٢٦ | ١٥٣ | ١٨٩ | ٢٠٤ | ٢٧١ |
| **جامعـــة حيفـــا :** | | | | | | | | | |
| مجموع الطلاب | — | — | — | — | ٥٦٥ | ٨٧٨ | ١٢٦٧ | ١٨٢٩ | ٢٢٠٣ |
| طلاب السنة الاولى | — | — | — | — | ٢٦٩ | ٤٥٠ | ٦٣٩ | ٨١٥ | ٨٤١ |
| الخريجون | — | — | — | — | — | ٨ | ٤١ | ٦١ | ١٣١ |
| **معهد الدراسات العليا في النقب :** | | | | | | | | | |
| مجموع الطـــلاب | — | — | — | — | — | — | ٢٨٢ | ٢٦٤ | ٧١٩ |
| طلاب السنة الاولى | — | — | — | — | — | — | ٢٣٦ | ١٩٢ | ٤٥٣ |
| **معهد وايزمان للعلوم :** | | | | | | | | | |
| مجموع الطلاب | — | — | — | — | ١٧٩ | ٢٥٨ | ٢٨١ | ٣٠٧ | ٣٣٤ |
| الطلاب الباحثون | — | — | — | — | ١٤٥ | ٢٠٣ | ٢٣٥ | ٢٣٢ | ٢٣٢ |
| الخريجون | — | — | — | — | ١٢ | ٢٨ | — | ١٠٠ | ٧٠ |

**المصدر :** *Statistical Abstract of Israel.* Central Bureau of Statistics - Jerusalem. 1967, p. 539 - 1969, p. 566.

## جدول رقم (٢)
## الجامعة العبرية واقسامها ( ١٩٦٨ — ١٩٦٩ )

| | الزراعة | العلوم الطبيعية | الطب | القانون | العلوم الاجتماعية | الانسانيات | المجموع |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| مجموع الموظفين | ٩٤ | ٤٠١ | ٣٩٠ | ٥٤ | ١٧١ | ٣٢٢ | ١٤٣٢ |
| الاساتذة والمحاضرون | ٦٢ | ٢٣٤ | ٣٢٣ | ٢٨ | ١٣١ | ٢١٢ | ٩٩٠ |
| مجموع الطلاب | ٤٨٢ | ٢٠٧٥ | ٨١٩ | ١٠٩٢ | ٣٣٥٤ | ٤٩٠٩ | ١٢٧٣١ |
| طلاب السنة الاولى | ١٢٠ | ٥٠٨ | ٩٤ | ١٣٦ | ٨٨٤ | ١٥٠٦ | ٣٢٤٨ |
| عدد الطالبات | ٥٥ | ٧٣١ | ١٨٥ | ٣٠٠ | ١٤٧٤ | ٣١٦٠ | ٥٩٠٥ |
| الطلاب الباحثون | ٧٩ | ٣٨٣ | ٩١ | ٢٠ | ٤٥ | ٢١١ | ٨٢٩ |
| الخريجون | ١١٦ | ٤٩٩ | ١٣١ | ٣٠٧ | ٦٩١ | ٦٢٣ | ٢٣٦٧ |
| الخريجات | ٦ | ١٥٩ | ٢٧ | ٩٥ | ٢٤٣ | ٣٦٠ | ٦٠٠ |
| قسم البكالوريوس | ٧٦ | ٣٠٢ | — | ٣٠٠ | ٦٤٠ | ٥٤٩ | ١٨٦٧ |
| الاناث | ٤ | ١١٠ | — | ٩٣ | ٢٣٣ | ٣٤٤ | ٧٨٤ |
| الاطباء | — | — | ٩٨ | — | — | — | ٩٨ |
| قسم الماجستير | ٢٨ | ١٥٠ | ١٦ | ٦ | ٤٧ | ٥٧ | ٣٠٤ |
| الاناث | — | — | ٢٥ | — | — | — | ٢٥ |
| قسم الدكتوراة | ١٢ | ٤٧ | ١٧ | ١ | ٤ | ١٧ | ٩٨ |
| الاناث | — | ٥ | ٦ | — | — | ٣ | ١٤ |

المصدر : *Statistical Abstract of Israel*, 1969, p. 567.

## جدول رقم (٣)
## جامعة تل أبيب واقسامها ( ١٩٦٨ — ١٩٦٩ )

| | العلوم الطبيعية | الطب | القانون | العلوم الاجتماعية | الانسانيات | المجموع |
|---|---|---|---|---|---|---|
| مجموع العاملين | ٣٢٩ | ٤٨٠ | ٣٩ | ٢٢١ | ٤٦٢ | ١٥٣١ |
| الاساتذة والمحاضرون | ١٨٠ | ١٧٥ | ٢٠ | ٩٩ | ٢٣٢ | ٧٠٦ |
| مجموع الطلاب | ٩٨٢ | ٣٩٣ | ٦٤٢ | ٢٢٤٨ | ٢٨٣٧ | ٧١٠٢ |
| الطالبات | ٣٨١ | ١١٨ | ١٩٦ | ٧٣٠ | ١٩٧٥ | ٣٤٠٠ |
| طلاب السنة الاولى | ٢٤٠ | ١١١ | ٢٤٨ | ٦٣٩ | ٩٦٥ | ٢٢٠٣ |
| الباحثون | ٣٠ | — | — | — | ٣ | ٣٣ |
| الخريجون | ١٧٨ | ٣١ | — | ١١٥ | ٣٣١ | ٦٥٥ |
| الطالبات | ٧٢ | ٤ | — | ٤٣ | ١١٦ | ٢٣٥ |
| البكالوريوس | ١٣٤ | — | — | ١١٠ | ٣١١ | ٥٥٥ |
| الطالبات | ٥٥ | — | — | ٤٣ | ١٠٨ | ٢٠٦ |
| الماجستير | ٤٤ | — | — | ٥ | ٢٠ | ٦٩ |
| الطالبات | ١٧ | — | — | — | ٨ | ٢٥ |
| الاطباء | — | ٣١ | — | — | — | ٣١ |
| الطالبات | — | ٤ | — | — | — | ٤ |

المصدر : *Statistical Abstract of Israel*, 1969, p.569

جدول رقم (٤)
جامعة بارايلان واقسامها ( ١٩٦٨ — ١٩٦٩ )

| | العلوم الطبيعية | العلوم الاجتماعية | الانسانيات | المجموع |
|---|---|---|---|---|
| مجموع العاملين | ١٨٢ | ١٧٣ | ١٥٣ | ٥٠٨ |
| الاساتذة والمحاضرون | ١١٣ | ١٠٥ | ١٢٣ | ٣٤١ |
| مجموع الطلاب | ٦٦٦ | ١،٢١٢ | ١،٧٦٣ | ٣،٦٤١ |
| الطالبـــات | ٤١٤ | ٦٩٨ | ١،٢٥٨ | ٢،٣٧٠ |
| طلاب السنة الاولى | ١٨٣ | ٤٠٩ | ٥١٤ | ١،١٠٦ |
| البـــاحثون | — | ٢ | ٣ | ٥ |
| الخريجـــون | ٧٦ | ٧٣ | ١٢٢ | ٢٧١ |
| الطالبـــات | ٣٩ | ٤٣ | ٩١ | ١٧٣ |
| البكالوريوس | ٥٧ | ٧٣ | ٩٥ | ٢٢٥ |
| الطالبـــات | ٣٢ | ٤٣ | ٧٦ | ١٥١ |
| الماجستير | ١٩ | — | ٢٧ | ٤٦ |
| الطالبـــات | ٧ | — | ١٥ | ٢٢ |

المصدر : *Statistical Abstract of Israel*, 1969, p.569

جدول رقم (٥)
كلية حيفا واقسامها ( ١٩٦٨ — ١٩٦٩ )

| | العلوم الاجتماعية | الانسانيات | المجموع |
|---|---|---|---|
| مجموع العاملين | ٧٤ | ١٩٦ | ٢٧٠ |
| الاساتذة والمحـــاضرون | ٢٠ | ٦٥ | ٨٥ |
| مجموع الطلاب | ٦٠٩ | ١٥٩٤ | ٢٢٠٣ |
| طلاب السنة الاولى | ٢٧٣ | ٥٦٨ | ٨٤١ |
| الطالبـــات | ٢٩٩ | ١٠٩٧ | ١٣٩٦ |
| الخريجون | ١٨ | ١١٣ | ١٣١ |
| الطالبـــات | ٦ | ٧١ | ٧٧ |

المصدر : ***Statistical Abstract of Israel*, p. 570.**

جدول رقم (٦)

## معهد التكنيون واقسامه ( ١٩٦٨ — ١٩٦٩ )

| | العلوم الطبيعية | الصناعية والادارة | الهندسة الزراعية | هندسة الطيران | الهندسة الكيميائية | الهندسة الكهربائية | الهندسة الميكانيكية | الهندسة المدنية | الهندسة المعمارية | المجموع |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| العاملون | ٣٠٦ | ٤٩ | ٤١ | ٥٤ | ٤٩ | ١٢١ | ١١٩ | ١١٦ | ٧٥ | ٩٥٢ |
| الاساتذة والمحاضرون | ١١٤ | ٢٧ | ٢٢ | ٢٣ | ٢٢ | ٤٥ | ٥٠ | ٨٦ | ٦٢ | ٤٦٠ |
| مجموع الطلاب | ٨٦٨ | ٥٧٢ | ٢١٠ | ٢٧٤ | ٢٧٧ | ١١٤٢ | ٧٧٩ | ٩٠٠ | ٤٣٧ | ٥٦٥٩ |
| طلاب السنة الاولى | ١٨٨ | ١٠٢ | ٤٨ | ٧٣ | ٨١ | ١٨١ | ١٦٨ | ١٤٣ | ٦٩ | ١٠٥٣ |
| الطالبات | ٢٣٨ | ١٩ | ١ | ٢ | ٦٢ | ١٤ | ١٣ | ٧٠ | ١٧٣ | ٥٩٢ |
| الباحثون | ١١٢ | ٢٧ | ١١ | ٩ | ١٤ | ٢٨ | ٢٨ | ٢٨ | ٣ | ٢٨١ |
| الخريجون | ١٩٢ | ٧٧ | ٢٤ | ٤٩ | ٧١ | ٢٠٢ | ١١٦ | ١٣٣ | ٦٠ | ٦٢٤ |
| الطالبات | ٤٢ | ١ | — | — | ١٦ | ٢ | — | ٢١ | ١٣ | ٩٥ |
| البكالوريوس | ١٤٠ | ٦٣ | ٢٠ | ٤٥ | ٥٧ | ١٦٧ | ٩٨ | ١١٢ | ٥٥ | ٧٥٧ |
| الطالبات | ٣١ | ١ | — | — | ١٥ | ٢ | — | ١٨ | ١٣ | ٨٠ |
| الماجستير | ٣٤ | ١٤ | ٤ | ٣ | ١١ | ٣٠ | ١٧ | ١٧ | ٤ | ١٣٤ |
| الطالبات | ٥ | — | — | — | ١ | — | — | ٢ | — | ٨ |
| الدكتوراة | ١٨ | — | — | — | ٣ | ٥ | ١ | ٤ | ١ | ٣٣ |
| الطالبات | ٦ | — | — | — | — | — | — | ١ | — | ٧ |

المصدر : *Statistical Abstract of Israel*, 1969, p. 568.

## جدول رقم (٧)

## معهد النقب للدراسات العليا ( ١٩٦٨ — ١٩٦٩ )

| | الهندسة | العلوم الطبيعية | العلوم الاجتماعية | الانسانيات | المجموع |
|---|---|---|---|---|---|
| مجموع العاملين | ١٠٧ | ٦٢ | | ٨٩ | ٢٥٨ |
| الاساتذة والمحاضرون | ٥٤ | ٢٨ | | ٣٨ | ١٢٠ |
| مجموع الطلاب | ٢٥٤ | ١١٧ | ٨٨ | ٢٦٠ | ٧١٩ |
| طلاب السنة الاولى | ١٦٣ | ٥٧ | ٦٢ | ١٧١ | ٤٥٣ |
| الطالبات | ٤ | ٥٧ | ٥٠ | ١٧٣ | ٢٨٤ |

المصدر : *Statistical Abstract of Israel*, p. 570.

## جدول رقم (٨)

## توزيع الطلاب على الدراسات العليا

## ( ١٩٦٨ — ١٩٦٩ )

| اقسام الدراسة | الماجستير والدكتوراه | البكالوريوس | المجموع | ١٩٦٨/٦٧ |
|---|---|---|---|---|
| الانسانيات | ٩٤٢ | ٨،٦٨٧ | ٩،٦٢٩ | ٨،٥١٢ |
| العلوم الاجتماعية | ٧٩١ | ٦،٠٩٩ | ٦،٨٩٠ | ٦،٠٨٤ |
| القانون | ٦٢ | ١،٦٤٥ | ١،٧٠٧ | ١،٨٩٣ |
| الطب | ١،٠٠٨ | ٨٧ | ١،٠٩٥ | ٩٤٦ |
| العلوم الطبيعية | ١،٧٠٣ | ٣،٠٤٨ | ٤،٧٥١ | ٤،٥٢٥ |
| الزراعة | ١٢٣ | ٢٤٤ | ٤٦٧ | ٣٩٦ |
| الهندسة | ١،٣٣٦ | ٣،٥٣١ | ٤،٨٦٧ | ٤،٢٧١ |

المصدر : ***Statistical Abstract of Israel*, 1969, p. 571.**

# شهريات

## (١) المقاومة الفلسطينية

خلال الشهر الماضي استمر الحديث عن « الدولة الفلسطينية » التي رافقها ، مرتبطا بها ومكملا ، موضوع آخر هو المفاوضات مع اسرائيل التي تنهي حالة الحرب القائمة . واذا كان هذا الحديث قد اثير في الماضي دون تحديدات مميزة ، فقد بدأ في الاونة الاخيرة يتخذ له شكلا ذا أبعاد مرسومة السمات أحيانا كما أصبح في حالة واحدة على الاقل جزءا من سياسة دولة عربية . وقد انضج الحديث من هذا الموضوع غموض محادثات القمة التي تمت مؤخرا بين بريجنيف ونيكسون والتي نتج عنها بيان اكثر غموضا عن اتفاق الطرفين على الاعتراف « بحقوق الشعب الفلسطيني » ضمن اطار « الاستمرار في بذل جهودهما [ الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ] لتطوير أسرع لتسوية ممكنة في الشرق الاوسط » . وقد كانت مواقف الدكتور محمد حسن الزيات ، وزير الخارجية المصري ، في مجلس الامن لدى مناقشته أزمة الشرق الاوسط والتي أكدها فيما بعد لصحيفة « أخبار اليوم » القاهرية ( ٦/٣٠ ) بقوله « ان الفلسطينيين امة يجب ان يكون لها صوتها ومكانها عند الحديث عن أية تسوية لازمة الشرق الاوسط » ، كانت هذه المواقف سببا في اثارة التساؤل عما يهيأ للفلسطينيين (وبالتالي للمقاومة) من دور في أية تسوية قادمة . وقد جهدت وسائل الاعلام لتفسير محادثات نيكسون — بريجنيف وجملة الاجواء التي خلقتها بالاضافة الى مناقشات مجلس الامن ، في ضوء المساومات بين الدولتين الاكبر في العالم على القضايا الدولية المعلقة بما فيها « أزمة الشرق الاوسط » . ثم جاءت تصريحات الرئيس التونسي ، الحبيب بورقيبة ، لصحيفة « النهار » اللبنانية ( ٧/٦ ) عن «الدولة الفلسطينية» والتي مهد لها بحملة مطولة عن المفاوضات العربية — الاسرائيلية ، لتعمق التساؤل ذلك ، خاصة وقد حملت تصريحات بورقيبة شكلا محددا ويكاد يكون منفصلا للحل . فقد ركزت هذه التصريحات على أن « لا شيء في التاريخ اسمه شرق الاردن .. [ فقد ] اجتزأت بريطانية الجزء الصحراوي من فلسطين مع من عليه من قبائل واضافت اليه وسمته شرق الاردن » . وهو لذلك يدعو الى حل المشكلة في اجتماع قمة « للبحث في الدولة الفلسطينية» . وهو يضع اطارا لهذا الحل في عودة العرب الى القبول بقرار التقسيم للعام ١٩٤٧ ، و« اذا تنازلنا وقبلنا بالجزء من فلسطين الذي أعطته الامم المتحدة وعدلنا الاوضاع الاصطناعية التي خلقتها بريطانيه في شرق الاردن فسنتمكن من خلق سلام وتعاون مثل الذي حدث بيننا وبين فرنسه » . وكان واضحا ان « فكرة » الرئيس التونسي تدعو الى اقامة دولة فلسطينية على ما يطلق عليه الان الضفة الشرقية لنهر الاردن بالاضافة الى الجزء الذي كان من نصيب العرب في قرار تقسيم ١٩٤٧ . والامر اللافت للنظر في تصريحات الرئيس التونسي هو اشارته الى ان اميركه قد رحبت بفكرته ، الامر الذي أكد التساؤل حول جدية الدولتين الكبريين في التوصل الى تسوية في الشرق الاوسط تأخذ في حسابها ما اثير حول « الدولة الفلسطينية » . وقد اخذت وسائل الاعلام العربية ( اللبنانية خاصة ) ولاسباب مختلفة ومتباينة أحيانا في التركيز على هذا التصور. فذهبت « النهار » ( ٧/٨ ) الى ان من بين اغراض الزيارة التي سوف يقوم بها كيرلنكو ( الذي وصفه الاعلام العربي بأنه الرجل الثاني في الاتحاد السوفياتي ) الى لبنان ( زار لبنان في وقت لاحق لنشر التعليق ) البحث مع المسؤولين اللبنانيين في قضية الدولة الفلسطينية وانه سيبلغ هؤلاء المسؤولين ان الاتحاد السوفياتي يؤيد فكرة انشاء دولة فلسطينية . كما ذكرت « المحرر » اللبنانية ( ٧/١٣ ) أنه وردت معلومات تتحدث عن مشروع « الدولة الفلسطينية » والجهود الدولية التي تبذل

حاليا من اجل اقناع الاطراف المعنية به . واضافت ان هذه المعلومات تشير الى ان اتفاقا تم حول هذا الموضوع بين اميركه والاتحاد السوفياتي خلال مؤتمر القمة بين بريجنيف ونيكسون . كما أوردت الصحيفة نفسها ان ريمون اده ، السياسي اللبناني، نقل معلومات عن لسان مسؤول سوفياتي كبير تقول ان حل أزمة الشرق الاوسط أصبح وشيكا وذلك على اساس تحقيق مشروع الدولة الفلسطينية . وذكرت الصحيفة انه يفهم من كلام اده ان المسؤول السوفياتي الكبير والذي ابلغ اده بتفاهم مبدئي بين واشنطن وموسكو حول الدولة الفلسطينية هو مدير شؤون الشرق الاوسط في وزارة الخارجية السوفياتية الذي رافق كيرلنكو في اثناء زيارته للبنان . واضاف اده ان المسؤول السوفياتي ابلغه بأن لحكومته بعض التحفظات على مشروع الدولة الفلسطينية ومن ابرزها ان الاتحاد السوفياتي موافق على مشروع اقامة هذه الدولة الى جانب دولة اسرائيل شرط موافقة الشعب الفلسطيني ، وانه في حال رفض المشروع المذكور فان الاتحاد السوفياتي يعتبر نفسه في حل من الامر . وذكرت « المحرر » ان مصادر دبلوماسية مطلعة نقلت كلاما مماثلا عن « الدولة الفلسطينية » عن لسان مسؤولين في السفارة الاميركية في بيروت. ورافق ذلك كله موقف مستحدث للجزائر ورد على لسان وزير خارجيتها ، عبد العزيز بوتفليقه ، عندما أعلن في باريس ( ٧/١٠ ) ان المفاوضات المباشرة امر ممكن حول النزاع في الشرق الاوسط بشرط ان تشمل ممثلين عن المقاومة الفلسطينية ( « دايلي ستار » اللبنانية ٧/١١ ) .

هذه الاجواء السائدة ، عربيا وعالميا ، كيف واجهتها حركة المقاومة ؟ في حديث ادلى به الاخ ابو عمار لمجلة « الى الامام » ( ٦/٢٩ ) لاحظ « ان فكرة طرح الدولة الفلسطينية — وهي طبخة بحص لن يخرج منها شيء — بدأت ليس في يومنا هذا بل منذ ما يتجاوز خمس سنوات . وكانت هذه الفكرة تضيع ثم تبرز حسب الظرف الذي تمر به المقاومة الفلسطينية والظروف العربية وكذلك الوضع الدولي وما يتبع ذلك من مناورات . ومن نافل القول ان نذكر اننا لن نتنازل عن شبر واحد من التراب والارض الفلسطينية ولن نرضى بغير هدفنا الذي حددنا : اقامة الدولة الديموقراطية على كامل التراب الفلسطيني ... ان توقيت طرح الدولة الفلسطينية الان هو مناورة تستهدف بالنتيجة تمزيق وشق الصف الفلسطيني ... هناك فرق كبير بين ان نوضح موقفنا أمام شعبنا واصدقائنا من موضوعة الدولة الفلسطينية ، وبين ان نتلهى بمحاربة طواحين الهواء علىالطريقة الدونكيشوتية، فموقفنا الواضح لا يحتاج الى مجرد تساؤل ، لان موقفنا يعتمد أساسا على طموحات وتطلعات شعبنا في التحرير الكامل والعودة وحق تقرير المصير » . وأكد ابو عمار هذا الموقف في مناسبة أخرى فقد أدلى لدى وصوله الى الكويت بحديث لصحيفة « الرأي العام » الكويتية ( ٧/١٣ ) اجاب فيه عن رأي حركة المقاومة « بالدولة الفلسطينية » بقوله : « في معظم الاوقات كان بعض الدول العربية يتصرف بوحي من تصور خاص به ، على ان الثورة الفلسطينية ، منذ بدايتها ، قامت على تصور واضح ومحدد بشأن مصير فلسطين : اي الدولة الديموقراطية غير العنصرية . وسنواصل كفاحنا من اجل هذا الهدف . وعلى هذا فأي تحرك يجري خارج هذا التصور لا علاقة لنا به البتة » . ونفى ابو عمار ان يكون بورقيبة قد سأل المقاومة عن رأيها « قبل ان يطرح هذه الضجة » وقال « لقد فوجئنا به » .

الدكتور جورج حبش، الامين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، من جهته اكد رفض مشروع « الدولة الفلسطينية » وأدانه . ففي خطاب ألقاه في ٧/١٠ في الذكرى الاولى لاستشهاد غسان كنفاني ( نقلته « الهدف » ٧/١٤ ) وصف « الدولة الفلسطينية » بأنها « الانحراف الذي تتعرض له مسيرتنا اليوم» وأكد « ان هدف الثورة الاستراتيجي دولة ديموقراطية محبة للسلام مرتبطة بالمنطقة العربية وبحركة التقدم العالمية ، ولن يكون هدفنا في يوم من الايام دولة فلسطينية قائمة على اساس الاعتراف باسرائيل قاعدة الامبريالية العدوانية في المنطقة » . وفي دمشق أعلن تعليق اذيع يوم ٧/١٢ من برنامج صوت فلسطين (نقلته « المحرر » ٧/١٣) رفض الجماهير الفلسطينية المطلق لفكرة اقامة دولة فلسطينية وتصميمها على استرداد فلسطين وقال التعليق « ان شعبنا اختار طريق الكفاح وهو يواصل الشوط داخل الارض المحتلة وخارجها لا مكابرة منه ولا عنادا ولكن ايمانا بقدرته على تحرير ارضه رغم كل الصعوبات والتضحيات ، وهو مصمم على رفض كل التسويات المشبوهة وعلى رأسها اقامة دولة فلسطينية عميلة » . ومن جهة اخرى نشرت صحيفة « البيرق » اللبنانية ( ٧/١٣ )

ان السيد كمال جنبلاط ، الامين العـــام للجبهة العربية المشاركة في الثورة الفلسطينية ، ابلغ كيرلنكو « ان المقاومة الفلسطينية بكل فصائلها تعارض مجرد طرح فكرة الدولة الفلسطينية وان الشعب الفلسطيني له الحق بكامل ارضه ووطنه وان هدف الثورة الاستراتيجـي هو قيام دولـــة ديموقراطية في فلسطين ، لا دولة قائمة على حراب اسرائيل » . اما صحيفة « الى الامام » الناطقة بلسان الجبهة الشعبية — القيادة العامة فقد اتهمت ( ٧/٦ ) الجبهة الشعبية الديموقراطية بقبول مشروع « الدولة الفلسطينية » . ففي تعقيب مقتضب لها علقت فيه على مقال نشرته صحيفة « الحرية » اللبنانية ( ٧/٢ ) بعنوان « مشروع الدولة الفلسطينية بين الموقف الوطنـــي والموقف الاسرائيلي الهاشمي » قالت « الى الامام » ان هذا المقال « يمثل انعطافا خطيرا في جزء من حركة المقاومة التي رفضت عمـــوم قواعدها الثوريـــة وكوادرها السياسية مسألة الدولة الفلسطينيـــة واعتبرتها جزءا من مخطط التسوية الاستسلامية». بيد ان الاخ ياسر عبد ربه ، عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية عن الجبهة الشـــعبية الديموقراطية القى خطابا في مخيم برج البراجنة ( ٧/١٦ ونشرته « المحرر » ٧/١٧ ) قال فيه « ان مشروعات انشاء دولة فلسطينية ليست ســـــوى مناورات تستهدف انتزاع تنازلات جديدة من العرب لمصلحة العدو الصهيوني...ان الشعب الفلسطيني لا يريد دولة مصطنعة تقع بين المطرقة الاسرائيلية والسندان الاردني وهما اداتا الامبريالية الاميركية الصهيونية » .

على صعيد الاعلام الفلسطيني الرسمي ( الخاضع لتوجيه مجلس الاعلام الفلسطيني الموحـــد التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية ) كانت الاشارة الوحيدة التي وردت حول هذا الموضوع هي التعليق الذي كتبه المحرر السياسي لوكالة الانباء الفلسطينيـــة ( وفا ) في ٧/٢٤ والذي جاء فيه انه « كثر الحديث مؤخرا عن مشاريع واقتراحات حول كيان فلسطيني او دولة فلسطينية ضمن مـــا يسمى بحل سلمي لمشكلة الشرق الاوسط ، وخلال الاسابيع الماضية تناقلت وكالات الانباء ومراسلو الصحف والاذاعات التحليلات والتكهنـــات والاستنتاجات حول هـــذه القضية حتى ان بعضها تعـــرض مباشرة لموقف الثورة الفلسطينية وفصائلها وعدد من رجالاتها ». وقد أكدت ( وفا ) في هذا الشأن ان الثورة أعلنت منذ انطلاقتها ان تحرير كامل ارض فلسطين ثم اقامة دولة حرة ديموقراطية عليها هو هدفها وان الكفاح المسلح هو الطريق الوحيد لتحقيق هـــذا الهدف ، وان الميثاق الوطني الفلسطيني والبرنامج السياسي والتنظيمي للثـــورة الفلسطينية وكافـــة مقررات المجالس الوطنية الفلسطينيـــة والمجلس الشعبي قد حددت بوضوح وصراحة كاملين اهداف النضال الفلسطيني .

ان هذه الاشارة الوحيـــدة في الاعلام الفلسطيني الرسمي لمسألة « الدولة الفلسطينية » تكشف عن طبيعة معالجة حركة المقاومة لهـــذا الموضوع . فبخلاف الضجة الاعلامية الكبيرة التي اثارتهـــا المقاومة لدى طرح مبادرة روجرز في العام ١٩٧٠ والنشاط السياسي والجماهيري الواسع الذي قامت به لتوضيح موقفها الرافض للمبادرة ، بخلاف ذلك اتسم التنـــاول الفلسطينـــي لمسألة « الدولـــة الفلسطينية » بأكبر كمية من الهدوء ، فلم يصدر أي بيان رسمي عن اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية يوضح موقفها . اما التفسير الـــذي تتحدث به اوساط المقاومة عن مثل هذا التناول الهادىء فينطلق من التأكيد على ان هذا المشروع ليس مقصودا لذاته ، تماما كما كان مشروع روجرز ثم مشروع المملكة العربية المتحدة الذي طرحـــه حسين في العام الفائت ، وانما يستهدف هـــذا المشروع كما استهدف المشروعان اللذان سبقاه الى « تمزيق وشق الصف الفلسطيني » كما عبر الاخ ابو عمار في حديثه لمجلة « الى الامام » الذي أكد في المناسبة نفسها ان « نتيجة طرح مبادرة روجرز عام ١٩٧٠ كانت ان ذر قرن الخلافات بين الدول العربية واصبح العرب عربين بين مؤيد ومعارض وايضا مهاجم . وفي النتيجة كان ذلك مكسبا كبيرا للعدو الصهيوني وللولايات المتحدة الاميركية التي استطاعت ان تشق الصف العربي ». هذا التفسير تؤكده أوساط المقاومة وتطوره فتقول ان رفض المقاومة الفلسطينية لمشروع « الدولة الفلسطينية » رفضا حاسما حازما تضع كل ثقلها لافشاله بتوهم انه موجود وقائم وعلى عتبة التنفيذ سيضع المقاومة — تماما كما حدث اثر مشروع روجرز — في مواجهة كثير من الانظمة في حالـــة تصادمية ( وهو هدف المشروع — الوهم ) قد لا تكون نتيجتها في المدى المنظور لمصلحة المقاومة . فكما كان أيلول ١٩٧٠ احد نتائج مشروع روجرز عندما اقتنع النظـــام الاردني بامكان الحل على حساب المقاومة وعندما

استنفرت المقاومة جميع قواها « لاحباط » المشروع ، فسيكون هناك أيلول آخر ربما اشد فداحة اذا جهدت المقاومة « لاحباط » المشروع الجديد الذي لما يزل وهما و« طواحين هواء » كما وصفه الاخ ابو عمار .

ان هذا التفسير المقبول منطقيا لا يحجب حقيقة ان المراقب يستطيع ان يرصد نقاشا هامسا يدور احيانا مستغلا المعالجة الهادئة التي التزمت بها حركة المقاومة وعدم تصديها للرد بعنف لمثل هذه الاراء الهامسة التي تنصب في الاتجاهات التالية :

ان الرفض الفلسطيني لجميع المشاريع التي عرضت بدءا من قرار التقسيم للعام ١٩٤٧ أفقد الشعب الفلسطيني « الكل » بعد ان رفض «الجزء» وكان هذا « التعنت » الفلسطيني سببا في تثبيت كثير من الوقائع الجيوسياسية في المنطقة العربية التي هي في التحليل النهائي — حسب هذا الاتجاه — لا تخدم المصالح العربية بعامة ومصالح الشعب الفلسطيني بخاصة. كما ان هذا «التعنت»، يقول اتجاه مكمل ، يعتبر أسلوبا غير ذكي في سياسة كسب الاصدقاء . فالمقاومة الفلسطينية في رفضها كل مشروع يعرض عليها لايجاد تسوية ما في المنطقة تحشر نفسها في معزل سياسي عن اصدقائها في العالم الامر الذي يفقدها مرونة التحرك لتحقيق اهدافها . وفي المقابل فان اعلان القبول بمثل هذه المشاريع الهادفة الى تسوية حتى ولو كان اعلانا « تكتيكيا » سيعزل اسرائيل ويكشف سوءاتها وهي التي اثبتت الاحداث عنادها وعنتها وتمسكها الاستراتيجي بما احتلته في العام ١٩٦٧ وعدم استعدادها لمجرد التفكير في الحديث عن الاراضي التي دخلت بحوزتها في العام ١٩٤٨ . وواضح ان هذه الحجة قد استهلكتها جملة التنازلات العربية التي ابتدأت رسميا بقبول قرار مجلس الامن الرقم ٢٤٢ .

بيد ان اخطر الاتجاهات التي يلمحها الراصد احيانا هي تلك المشككة في جدوى الاستمرار في الكفاح المسلح لتحقيق الهدف الاستراتيجي الذي أعلنته المقاومة : تحرير كامل التراب الفلسطيني بحرب الشعب طويلة المدى واقامة الدولة الفلسطينية الديموقراطية . والاطار التبريري الذي يتحرك ضمنه هذا الاتجاه يستند الى ادعاء ان الظروف الموضوعية المحيطة بحركة المقاومة تجعل استمرارها في حكم المستحيل : فعالميا هناك توجه حثيث لتسوية القضايا المعلقة بين الدولتين الكبريين في العالم بدءا من فيتنام ومرورا بالكوريتين والالمانيتين وانتهاء بالشرق الاوسط . وهذا التوجه يتخذ له شكلا تواطئيا مساوما لن يكون في حال من الاحوال لمصلحة القضية الفلسطينية كما يفهم هذه المصلحة اربابها المباشرون ما دامت الدولتان الكبريان تسلمان تسليما بوجود اسرائيل واقعا غير قابل للنقاش . وعربيا هنالك موجة التنازلات المنحدرة ككتلة الجليد المتدحرجة من عل تكبر كلما ابتعدت عن القمة نحو الحضيض وهي في انحدارها السريع ذلك على استعداد لاجتياح حركة المقاومة في طريقها ودوسها ان وجدت ان هذه الحركة تقف عثرة في وجه حل معضلة الاحتلال القائم منذ العام ١٩٦٧ ، وهي معضلة ، بالاضافة الى أمور أخرى، تمثل للانظمة ( كتلة الجليد المتدحرجة ) اكثر من مأزق داخلي تجد نفسها امامه مهددة بالخطر في حال استمراره . عربيا ، مرة ثانية ، اظهرت الممارسة ان حركة التحرر العربية ( التي اعتبرت المقاومة نفسها انها جزء منها وطليعة لها ) غير قادرة — باستثناءات محددة — على تشكيل سند وقائي لحركة المقاومة يمنع عنها عاديات الافتراس من جانب الانظمة التي تستهدف ذلك . وفلسطينيا، تمر حركة المقاومة حاليا في مرحلة انحسار امام موجات متصاعدة من العداء الذي يستهدف رأسها نفسه ولا يخفي حقيقة هذا الهدف بل يجهر به ويعد العدة لتنفيذه . والمقاومة عندما فقدت الساحة الاردنية ، وهي موطن شعبها الرئيسي وأمنع معاقلها ، كشفت عن نفسها افضل دروعها وبذلك فان صمودها صمودا طويلا امام محاولات تصفيتها وسحقها بات أمرا لا يراهن عليه . ويصل اصحاب هذا الاتجاه الى النتيجة التي يستخلصونها من جميع تلك الحيثيات وهي ان التعنت انتحار والتشبث العنيد موت محتم غير احتفالي . ولدرء هذه النتيجة ينقلب وهم « الدولة » الى تمني ان تكون . وبعيدا عن الخوض في تفصيلات الحجج المقابلة والتي يفرضها منطق الثورة نفسه والذي يرفض ذلك المنطق الذي عرضنا بعض ملامحه ، يطرح سؤال ، ان كان يتعلق مرحليا بمسألة « الدولة الفلسطينية » وهي موضوعنا هنا ، فهو بمضمونه الشامل يتناول مسألة التنازلات بإجمال: لماذا تكون التنازلات وما هي الاوضاع التي تؤدي الى تسويات تنازلية ؟

في حالة الوصول الى عتبة النصر النهائي يفرض المنتصر شروطه على الخصم المهزوم بعد ان يكون

الشوط النضالي الطويل المليء بالانتصارات الجزئية والمرحلية قد اقنع الخصم بأن التسليم بشروط المنتصر هو الخيار الوحيد الذي لا مناص منه . وفي هذه الحالة ، يعلمنا التاريـخ ان المنتصر يقدم اقسى ما لديه من شروط لينال بعد « تنازلات » يقبل بها افضل اوضاع تخدم اهدافه التي قاتل من اجلها وتتلاءم مع المعطيات الموضوعية علـى جانبي الصراع . وفي حالة الهزيمة ، تحت وطأتها وسيطرة عناصرها الساحقة لكل امل واثق مـن طردها ، يجد المهزوم نفسـه مضطرا للامتثـال لشروط المنتصر مع محاولات حثيثة ، مستميتة ، لنيل اخفها وطأة في ضوء درجة الهزيمة ومقدار فداحتها والظروف الخاصة والعامة التي احاطت بهـا .

الى أي مدى ينطبق مثل هذا العرض على حركة المقاومة الفلسطينية وعلى أي من اطراف المعادلة تقف هذه الحركة ؟ في البداية علينا ان نثبت بديهية نراها وهي ان كل حل لا ينطبق باجمال علـى الاهداف المعلنة لحركة المقاومة هو **تنازل** بغض النظر عن مسبباته ودواعيه ، فقد يكون هناك « تنازل » المنتصر عن اقسى شروطه المعلنة لنيل أهدافه الحقيقية ، كما قد يكون في المقابل تنازل المهزوم المفروض عليه هذا التنازل. فهل تمثل حركة المقاومة أيا من هاتين الحالتين ؟ مما لا يحتاج الى اثبات ان حركة المقاومة لم تنتصر . هي بالفعل حققت كثيرا من الانجازات بيد ان انتصارها النهائي لا يزال شوطه المعاني مترامي المسافات . وبذلك فان أي تنازل تقدمه ( اقليم فلسطيني في مملكـة عربية متحدة ، مفاوضات ، دولة فلسطينية الخ ) لن يكون « تنازل » المنتصر . في المقابل هل انهزمت حركة المقاومة لتقبل بتنازل المهزوم ؟ على الرغم من ان السؤال راعش الا ان مواجهته تضع كثيرا من الحقائق في حجمهـا الصحيح . ان الجواب « حركة المقاومة لم تهزم » ليس جوابا تعسفيا وانما هو مبني على استقراء معطياتها نفسها : فحركة قادرة على حمل جراحها التي اثخنها ايار اللبناني وفقدان ثلاثة من قادتها في عملية واحدة ، والذهاب بهذه الجراح — في ظروف من الحصار النفسي والعسكري والسياسي رهيبة — الى عمق الارض المحتلة لتنفذ بعض عملياتها ( راجع جدول عمليات المقاومة في هذا العدد )، حركت كهذه تثبت ان عطاءها الثوري يحمل بذور استمراره وامكان تطويره نحو الارقى . ان عملية تعريب تصفيـة المقاومة بكل شراستها لم تستطع ان تفقد حركة المقاومة ادواتها النضالية . صحيح كانت الوطأة شديدة أعاقت تطوير الكفاح المسلح نحو الاشمل ، بيد ان هذه العملية بمراحلها المختلفـة وبتباين الساحات التي جرت فوقها لم تتمكن من تحطيم وسائل النضال التي تتملكها حركة المقاومة . هي **حاصرتها** فعلا ولكنها عجزت عن **وأدها** . والبرنامج هل هزم ؟ نقفز فوق التاريخ وحقائقه اذا زعمنا بأن هناك بديلا للبرنامج الذي طرحته حركة المقاومة والذي يجعل حرب الشعب طويلة المدى صلبـه ومحوره مستندا الى نتائج تجارب الشعوب التي انتصرت بقواها البشرية المعبئة على تفوق الخصم التكنولوجي . حتى الدولـة الديموقراطية التـي يتعايش فيها الجميع بحقوق وواجبات متساوية ، وهي الهدف التتويجي للنضال المسلح ، قد وجدت استجابة حقيقية لدى بعض اليهود المخاطبين بهذا الهدف . والا فما تفسير ظاهرة « الجبهة الحمراء » في اسرائيل التي تضم عربا ويهودا ؟ وما تفسير تصريح الجنرال اهارون ياريف لصحيفة « يديعوت احرونوت » الاسرائيلية ( ٧/٦ انظر « المحرر » ٧/٧ ) واعترافه بأن هناك بعض اليهود وعددا قليلا من الاسرائيليين يساعدون الفدائيين العرب ؟ ان كانت هذه الاستجابة تبدو على نطاق ضيق حتى الان فان صـدق المقاومة مع شعـار الدولـة الديموقراطية وتصعيد نضالها كفيلان بتوسيع هذه الاستجابة .

ان حركة المقاومة لم تنهزم . غير ان ثمة وهمين انهزما في الواقع : الوهم الاول ان الثورة هي انتصارات دائمة ، هي خط لا ينكسر متصاعد للاعلى غير قابل للتراجع احيانا والنكسات كذلك ، هي المنعة المطلقة التي يخترقها خارق . والوهم الثاني ان الثورة يجب ان يكون مرضيا عنها من الجميع ، « محبوبة » من الجميع ، مباركة مدللة وجاهية . وعندما اثبت الواقع ، الممارسة ، التجربة ، ان هذين مجرد وهمين وان الامور **يجب** الا تكون كذلك ( واذا كان الامر هكذا حقيقة فان ثمة خللا ما في الثورة ) وضع بعض ارباب هذين الوهمين انفسهم **في جو الهزيمة** الذي أرهبهمبالفعل وسحقهم باتجاهين متنافرين : اما الهروب الى الامام بالحكم بالاعدام على المقاومة «المهزومة» ومحاولة البحثعن شكل اخر من العمل ( مقولة الحزب مثلا ) متجاهلين ان المقاومة ما تزال واقعا ينبض عرقه بالدم ، واما النكوص وتبرير النكوص بحجج كالتي سلفت.

ان ما نريد ان نتوصل اليه هو ما يلي : لان المقاومة لم تهزم فهي ليست **ملزمة** بتقديم تنازل المهزوم ( مرة اخرى : اقليم في مملكة عربية متحدة، مفاوضات ، دولة فلسطينية الخ ) . اما الاوضاع العالمية والعربية والفلسطينية التي يتحدث عنها اصحاب الاتجاه التنازلي فهي تدخل في حساب كل ثورة ، كل ثورة باطلاق ويجب ان تدخل . ولو كانت جميع القضايا الدولية تواجه من اطرافها المعنية « بحسن نية» وبعدل وبغير تآمر ومساومات، ولو كانت جميع المشكلات المحلية قابلة للحل بسهولة وبدون تعقيد مغمس بالدم ، فهل كان من حاجة الى ثورة !

**عصام سخنيني**

## (٢) القضية الفلسطينية دوليا

والتقى برجنيف بنيكسون . ثم اجتمعت دول اوروبا صغيرها وكبيرها ( باستثناء البانيا ) تحت شعار الامن والتعاون . ولم تعط كل هذه اللقاءات الشيء الكثير على صعيد ما يسمى « بمشكلة الشرق الاوسط » ، كما كانت تتوقع وتأمل بعض الدول العربية . الا اذا اعتبرنا ان لقاءات الكبار هي التي أنجبت هذه « الدولة الفلسطينية » التي يتحدث الكثيرون عنها باصرار ملفت للانتباه . و« الدولة » هي اليوم الموضوع « المركزي » (!). فقناة السويس والاراضي العربية المحتلة عادت الى الصفوف الخلفية . و« حقوق الفلسطينيين الشرعية » أصبحت هي الواجهة .

وهذا التعبير يغطي مفاهيم وأهدافا مختلفة . الكل يتفق اليوم وبعد ثمانية اعوام من انطلاقة المقاومة الفلسطينية الجديدة على شيء واحد كانوا يجهلونه او يرفضونه قبل ذلك : وهو وجود الشعب الفلسطيني كشعب ذي صفات مميزة يحق له بالتالي أن يجد تعبيرا ملموسا لهذا التميز . وكانت « الدولة ــ المشروع » احد هذه التعابير... واحدثها .

ولكن الاختلاف بعد ذلك كبير بين انصار الدولة المستقلة المرتبطة عربيا وانصار الدولة الهزيلة المعتمدة على رضى اسرائيل في بقائها والمجهضة للعملية الثورية الفلسطينية الممتدة عربيا ( ان لم يكن طرحهم للدولة مجرد تلويح يستهدف ضرب وحدة الحركة الوطنية الفلسطينية وتحالفها مع القوى العربية المتقدمة ) . بالاضافة طبعا الى الذين يرفضون هذه « الدولة » على ضوء التوازن المختل لصالح القوى الامبريالية واسرائيل .

ومهما يكن من أمر ، ومهما جاءت التصريحات العربية والدولية المتنبئة « بحل قريب » ، فالحركة الوطنية الفلسطينية والعربية ــ وبالذات القوات المسلحة ــ امام وضع جديد يقتضي الكثير من اليقظة ووضوح الرؤيا .

### لقاء القمة والموقف السوفياتي

انعقدت القمة السوفياتية الامريكية في جو من التساؤلات حول الاهمية التي ستعطى « للمواجهة العربية الاسرائيلية » خلاله . وكانت بعض الدول العربية ــ وبالذات مصر ــ تأمل ان يتوصل الاتحاد السوفياتي الى دفع الامريكيين للضغط على اسرائيل لتبني موقف أكثر « ليونة » .

وكانت الاوساط السياسية تشير قبل ذلك الى تأزم جديد في العلاقات بين مصر والاتحاد السوفياتي . فمراسل كريستشان سيانس مونيتور في بيروت ذهب

الى حد القول « ان التوتر بين الاتحاد السوفياتي ومصر عاد الى ذروته » [ ٦/١٩ ] . بينما قال فؤاد مطر في النهار قبل ايلم [ ٦/١١ ] « ان العلاقات رسمية ... ودون العلاقات مع سوريا والعراق » مضيفا بأن الاتحاد السوفياتي في الوقت نفسه لن يتخلى عن سياسته « بالوقوف مع مصر مهما حدث » .

وكانت القمة . وتركزت على ما يبدو بشكل اساسي حول العلاقات الثنائية . ووقعت عدة اتفاقيات في هذا المجال وكان نصيب « المشكلة » في البيان الختامي كلمات قليلة :

**« أعرب الطرفان عن قلقهما العميق ازاء الوضع في الشرق الاوسط . وتبادلا الاراء حول وسائل تحقيق تسوية . وقد عرض كل طرف مواقفه ازاء المشكلة . ووافق الطرفان على متابعة جهودهما لكي يتم في اسرع وقت ممكن احـراز تسوية ، تتناسب مع مصالح كافة الاطراف في المنطقة ، بما يحفظ استقلال وسيادة دول المنطقة ، ويلخذ بعين الاعتبار حقوق الشعب الفلسطيني المشروعة » .**

واذا اخذنا الكلمات وحدها بعين الاعتبار نلاحظ ان العبارات الاولى تظهر انه لم يكن هناك اتفاق بين الطرفين حول الموضوع ، وقد اشارت اذاعة اسرائيل نفسها الى ذلك [ نشرة الرصد ٦/٢٥ ] . كما ان العبارة الاخيرة تعيدنا الى ما ذكرناه سابقا حول الاهتمام المتزايد بالمسألة الفلسطينية من وجهة النظر التمثيلية ، علما بأنها قد لا تعني اتفاقا حول شكل ونحوى هذا التمثيل . وقد سارع احـد « الموظفين الامريكيين الكبار » الى القول في لقاء مع « السفير » الاسرائيلي في واشنطن سيمحا دينتس « بأنه لا يجدر اعارة اهتمام كبير لهذه الفقرة » [ رصد اذاعة اسرائيل ٦/٢٦ ] . ولكن ما لفت الانتباه واثار التعليقات عربيا واسرائيليا كان غياب اية اشارة الى قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ او مهمة يارنغ. وقد اعتبرت الاوساط المصرية هذا الاغفال تنازلا من الاتحاد السوفياتي للموقف الامريكي [ احسان عبد القدوس في تعليقه باخبار اليوم ٦/٣٠ ] واتجاها نحو اعطاء « مشكلة الشرق الاوسط » اهمية ثانوية في جدول الاهتمامات السوفياتية [ الاهرام ٦/٢٥ ] . الا ان محمد حسنين هيكل كان هذه المرة اقـل نقدا للموقف السوفياتي من غيره : فكتب في ٦/٢٩ في الاهرام مقالا اكد فيه ان الاتفاق السوفياتي الامريكي الاخير لا ينهي التناقضات بين الدولتين وان معظم المصالح السوفياتية غير متناقضة مع المصالح العربية . وأوضح ان الدعم السوفياتي انخفض مؤخرا الى النصف الا انه قابل للتجدد والتزايد اذا أحسن استغلال ازمة الطاقة في العالم . وكان قد أكد في مقاله السابق [ ٦/٢٢ ] بأن الاتحاد السوفياتي لا يرغب في حل امريكي للنزاع في المنطقة خشية ان يفقد ما تبقى من مكانة له في العالم العربي .

اما في اسرائيل ، فقد لقيت صيغة البيان والتوضيح الذي اعطاه كيسنغر له ارتياحا عاما . وكـان مستشار الرئيس الامريكي قد أعلن في مؤتمـر صحفي عقب انتهاء المحادثات [ ٦/٢٥ ] بـأن الدولتين لم تتفقا علـى طريقة حل « الصـراع الاسرائيلي العربي » ولكنهما لا تريدان التورط مباشرة في الصراع ، كما تحدث عن الماضي القريب مشيرا الى ان **الغزو السوري للاردن عام ١٩٧٠ ( كذا ) كان يهدد العالم بحرب عالمية** . وكانت الاوساط الاسرائيلية تخشى ان يؤدي اي اتفاق سوفياتي — امريكي الى دفعها لتقديم تنازلات من اجل تحريك « الوضع الجامد في الشرق الاوسط ». فقد علقت يديعوت احرونوت علـى نتائج القمة مشيرة الى « تغيير في سياسة موسكو ... بالاتجاه نحو تسوية سلمية وعدم استغلال النزاع العربي الاسرائيلي لمصالحها الخاصة » على حد تعبيـر الصحيفة [٦/٢٦] . وأشارت معاريف [٦/٢٦] الى تصميم واشنطن على محاربة « الارهاب » مع اتجاهها لادخال الفلسطينيين طرفا في التسوية . اما هآرتس [ ٦/٢٦ ] فقد كتبت بأن الوضع اعيد الى ما قبل « حرب الايام الستة » اذ فقد قرار مجلس الامن وزنه باغفال الحديث عنه .

وتحدث معلق الاذاعة الاسرائيلية دوف ينـون [ ٦/٢٦ ] فقال : « ان العرب يشعرون بخيبة امل كبيرة . وبالفعل فهم يرون — وخصوصا في مصر — انهيار سياستهم القائمة على احتمـال تدخل الدول الكبرى . وخيبة الامل العربية تجاه الاتحاد السوفياتي تبدو اشد منها تجاه الولايات المتحدة » . وحلل في نفس الاذاعة « الخبيـر » غاليه غولان الموقف السوفياتي قائلا [ نشرة الرصد ٦/٢٧ ] : « يبدو دون شك ان السوفيات لا يريدون حاليا الاهتمام بالشرق الاوسط ولا يريدون ان تعرقل ازمة المنطقـة التقارب السوفيـاتي الغربي ، ولذلك فهم يحاولون التقليل من اهمية الشرق الاوسط في خطبهم وشعاراتهم... واصبحوا يتحدثون اليوم اكثر عن القوى الراديكالية داخل

المجتمعات العربية ... ويقدمون مساعدات للفلسطينيين ... ويقلصون التزاماتهم العسكرية في العراق وسوريا ومصر » .

والعبارة الاخيرة لا تتفق مع معلومات اخرى ترد بين حين وآخر عن تزويد الاتحاد السوفياتي للدول الثلاث المعنية بأسلحة متطورة . ففي ٥/١٦ ، كتب فؤاد مطر في النهار يقول بأن السوفيات سيزودون مصر بعشر طائرات ميغ ٢٣ او ميغ ٢٥ وبأجهزة رادار وتشويش كما انهم وضعوا خطة خاصة لحماية السد العالي . وأوردت وكالات الانباء [ رويتر ، وكالة الصحافة الفرنسية ٦/٢١ ] اخبارا منقولة عن صحف اسرائيلية تشير الى وصول صواريخ مضادة للطائرات من نوع سام — ٦ لسوريا ( وهي من طراز حديث جدا ويبلغ مداها ٣٠ كيلومترا وتستخدم ضد الطائرات المحلقة على ارتفاع منخفض ) ، فتكون بذلك سوريا البلد الثاني بعد مصر التي تحصل على هذه الصواريخ .

وقد تضمنت رحلة الامين العام للحزب الشيوعي السوفياتي موضوعا آخر يتعلق بالمسألة الفلسطينية ، وهو موضوع هجرة اليهود السوفيات . وكانت المنظمات الصهيونية قد صممت قبل الرحلة على استعمال كافة الضغوط المباشرة وغير المباشرة — عن طريق انصارها من رجال الكونغرس بشكل خاص — لدفع الاتحاد السوفياتي للسماح بهجرة متزايدة . وقد واجه برجنيف ضغوط بعض اعضاء الكونغرس ( المجسدة في تعديل جاكسون الذي يحاول ربط الاتفاق التجاري بالهجرة اليهودية ) باعطاء ارقام تبرز « الحرية شبه المطلقة للهجرة اليهودية » . ففي رده على جاكوب جافيتس المعروف بميوله الصهيونية في احدى اللقاءات ، أعطى برجنيف الارقام التالية :

في ١٩٧٣/١/١ ، كان ٦٨ ألف يهودي سوفياتي قد تقدموا طلبات هجرة وحصلوا على ترخيص بالخروج . وخلال عام ١٩٧٢ ، قدم ٦١ الفا طلبات خروج ، ووفق على ٦٠،٢٠٠ منها . ومنذ مطلع ١٩٧٣ تقدم ١١،٤٠٠ طلب ، ووفق على ١٠،١٠٠ طلب منها . الا ان ناثان بيلد ، وزير الهجرة الاسرائيلي شكك في صحة هذه الارقام [ وكالة الصحافة الفرنسية ٦/٢١ ] مشيرا الى ان ٣١،٤٧٨ يهوديا سوفياتيا وصلوا الى اسرائيل خلال عام ١٩٧٢ وان العدد الاجمالي لليهود السوفيات الذين وصلوا منذ ١٩٦٨ وحتى ١٩٧٣/٦/١ يقارب ال ٦٣،٠٠٠ بينما ادعى ان ١٢٠،٠٠٠ طلب خروج كانت قد قدمت . ورغما عن هذا النفي للارقام السوفياتية الذي تردد في معظم الصحف الاسرائيلية ، عبرت الاوساط الاسرائيلية عن ارتياحها لما جرى حول قضية اليهود السوفيات اثناء زيارة برجنيف [ نشرة الرصد ٦/٢٠ ] . وذهبت غولدا مئير الى حد القول بأن مجرد تكلم برجنيف عن المشكلة هو « نصر لليهود السوفيات » . وحللت دافار [ ٦/٢١ ] الموقف السوفياتي قائلة انه « موقف تفاوضي ضعيف في موضوع الشرق الاوسط والقضية اليهودية » مضيفة « بان برجنيف بمحاولته الحصول على مكانة الدولة المفضلة في مجال التجارة ، يضطر لاتخاذ موقف دفاعي بالنسبة للقضية اليهودية » .

وباختصار نستطيع ان نقول ان اللقاء السوفياتي الامريكي لم يعط جديدا على صعيد المسألة الفلسطينية . وقد أكد برجنيف نفسه ذلك في تعبيره عن « تشاؤم واضح » لصعوبة ايجاد اي حل خلال مروره بباريس بعد الزيارة الامريكية [ لوموند ٦/٢٨ ] . واستمر كل من الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة على موقفهما [ فايننشال تايمز ٦/٢٦ ] مكتفين باستبعاد أية مواجهة مباشرة بينهما . اما في صدد المسألة اليهودية فلا شك انها بالغة التعقيد وتحتاج منا الى حوار مستمر مع الاصدقاء السوفيات لاستيضاحهم وتوضيح موقفنا .

## الولايات المتحدة : دعم اسرائيل والسيطرة على الخليج

وزعت وكالة رويتر في ٦/١٧ خبر اتفاق امريكي — اسرائيلي تحصل بموجبه اسرائيل على أكثر من ٨٠ طائرة فانتوم وسكايهوك خلال السنوات الاربع القادمة ( منها ٤٨ طائرة فانتوم ) وذلك بمعدل طائرة فانتوم كل شهر . وهذه الشحنة تضاف الى المئة وعشرين طائرة فانتوم التي بحوزة اسرائيل . وكتبت هآرتس في اليوم التالي تقول ان اسرائيل قد تطلب مزيدا من الطائرات والاسلحة المتطورة لمواجهة « الاختلال » الذي ستخلقه برأيها شحنات الاسلحة الامريكية للسعودية والكويت . واشارت الصحيفة الى اهتمام اسرائيل بطائرة امريكية حديثة من طراز ف — ١٤ تحمل اسم « تومكات » ازاء احتمال وصول طائرات ميغ ٢٣ وميغ ٢٥ للدول العربية في الثمانينات . كما اشارت

الى احتمال الاسراع في الشحن بمعدل طائرتين بدل الطائرة الواحدة كل شهر .

وفي ٦/٢٧ اذاع « صــوت اسرائيل » بالعبرية خبرا مفاده ان لجنة الخارجية في مجلس النــواب الامريكي قررت تقديم مساعدة قدرها ٥٠ مليون دولار لاسرائيل في العام المالي الجاري . وكانت اللجنة قد استبعدت تخفيض هذا المبلغ .

وكتبت جريدة جيروسالم بوست في ٦/١٩ معلقة على هذه الانباء تقول : « ان اعلان الولايات المتحدة بأنها ستبيعنا طائرات وفي هــذا الوقت بالذات خلال هذه الزيارة ( أي زيارة برجنيف ) يعبر عن موقف امريكا القائل بأن اسرائيل القوية هي افضل ضمانة للاستقرار في الشرق الاوسط ». الا ان البؤرة الاسرائيلية لا تبدو الاهتمام الوحيد للولايات المتحدة في المنطقة . بل يبدو اكثر فأكثر وضوحا انتقال الاهتمام الرئيسي لها الى منطقة الخليج [ وصف ٦/١٧ ] ، وتركيزها بنفس القوة على تسليح الدولة الايرانية لمنع اي تطور ثوري في المنطقة يهدد مصالحها .

وقد كان هذا الموضوع على رأس جدول اعمــال المجلس الوزاري لحلف السنتو الذي اجتمع في طهران في النصف الاول من حزيران الماضي . وقد عبر وليام روجرز فور وصوله للعاصمة الايرانية عن ارتياحه « لازدياد روح التعاون بين ايــران وجاراتها عبر الخليج الفارسي » كما أعلن عــن ترحيبه بتحول ايران الى « اكبر قــوة عسكرية وسياسية في الخليج » [ اسوشيتدبرس ٦/٩ ] ( والمعروف ان حلف السنتو يضم كلا من تركيا وايران وباكستان بالاضافة الى الولايات المتحدة وبريطانيا وقد حمل اسم حلف بغداد في السنوات الاولى من حياته ) . واعرب موظف امريكي كبير فيما بعد [ نشرة الرصد ٦/٢٩ ] عــن اهتمام « دول معاهدة سنتو بصورة متزايــدة بالنشاط التخريبي في دول الخليج الفارسي » ( كذا ) مضيفا بأن « الولايات المتحدة تأمــل ان تصبــح دول الخليج ... بقيادة السعودية وايران منطقــة مستقرة » . ولا يلقى تسليح السعودية اجماعا في الاوساط الحاكمة الامريكية التي تتخوف مــن انقلاب على النمط الليبي يغير كافة الحسابات . فقد عبرت جريدة نيويورك تايمز [ ٧/٧ و ٧/١٠ ] النافذة عن معارضتها لسياســة بيع الاسلحــة للسعودية معربة عن احتمال استخدام هذا السلاح في نهاية المطاف ضد مصالح امريكا . وقد دفعت هذه الانتقادات المسؤولين الامريكيين الى توضيح سياستهم فأكد سيسكو ان الشحنات لا تؤثر على التوازن [ اذاعة اسرائيل في ٦/٢٨ ] حتى لو حولت الطائرات لمصر ... نظرا لتأخر وصولها ( ١٩٧٥ ) ولحاجتها الطويلة الامد للصيانة والتدريب .

واضاف سيسكو في معرض تبرير سياسة حكومته « ان للسعودية والكويت مواقف ونفوذا في الشرق الاوسط ، واستمرار بقائها كدول قوية ومستقلة وذات ميول غربية من شأنه ان يساعد بصــورة ايجابية على خلق جو من السلام » (!) .

وفي مجال الحديث عن السياسة الامريكية لا بد من لفت الانتباه الى بعض المواقف المميزة . فالشيخ وليام فولبرايت عضو مجلس الشيوخ الامريكــي معروف بمواقفه النقدية احيانا لسياسة نيكسون . وهذا النقد لا ينطلق **بالطبــع** من رفض للطابــع الامبريالي للسياسة الامريكية بل **من فهم مختلف لمصلحة الامبريالية الامريكية . ونظرا لمـا تمثلــه** آراء فولبرايت من تيارات قوية داخل الجهــاز الحاكم ، لا بد من متابعة مواقفه . ففي خطاب له امام اللجنة الخارجية ( التي يرئسها ) بتاريخ ٥/١٩ نقلته جريدة النهار يقول فولبرايت :

« ان الكثير من القلق الحالي حول مشكلة الطاقة مرده في الاساس الى الاعتقاد السائد ان الاعتماد الامريكي المتزايد على الدول العربية المنتجة للنفط يجب ان يؤدي حتما الى تآكل تعهــدنــا تجــاه اسرائيل ...

... ان المسألة بالنسبة لنا هي ما اذا كــان العداء العربي للولايات المتحدة أمرا محتوما او نتيجة تضارب حقيقي للمصالح او نتيجة سياسة امريكية خاطئة وغــير منسجمــة مع مصالحنــا القومية ... »

وبعد التأكيد على وجود « مصلحة عاطفية قوية » مع اسرائيل والمطالبة بتعهد عسكري لحمايتها يقول بأن « لنا مصالح اخرى في الشرق الاوسط : ثمة مصلحة اقتصادية في النفط العربي ... ومصلحة استراتيجية في تفادي قيــام نزاع مع الاتحــاد السوفياتي ، وهاتان مصلحتان تتعارض معهمــا سياستنا الحالية » .

ويسجل فولبرايت « رفض حكومة الولايات المتحدة، تدعمها أكثريات كونغرسية كبيرة ، تعديل التزامها

تجاه سياسة اسرائيل الحالية . ولذا فالمرجح هو ان يستمر الوضع الراهن في الوقت الحاضر ، وهو أمر أنا واثق من ان الفرقاء سيندمون عليه في الوقت المناسب » مشيرا الى احتمال تحول الدول العربية النفطية الى ما يسميه « دول راديكالية » تهدد استمرار تدفق النفط .

**مواقف اسيوية**

● وفي صدد الحديث عن النفط العربي ، ننسى أحيانا اهمية مصدر الطاقة هذا بالنسبة لدولـة صناعية اسيوية كاليابان تفتقد تقريبا ايـة مواد خام رئيسية في اراضيها . **فاليابان** تستورد قرابة ٩٠ بالمئة من نفطها من منطقة الخليج ( بالمناصفة بين ايران من جهة والسعودية والكويت من جهة اخرى ). فلا غرابة اذا بأن تكون الدولة الصناعية الرأسمالية الثانية في العالم مهتمة بما يشاع عن ازمة الطاقة بقدر اهتمام الدولة الاولى .

وقد برز هذا الاهتمام خلال الشهر الماضي [٧/١٠] باجتماع عقده سفراء اليابان في دول « الشرق الاوسط » في طوكيو لبحث الموضوع في اطـار مجمل السياسة اليابانية في المنطقة . وقد أوصى السفراء بعد انتهاء اجتماعاتهم بزيادة المساعدات الاقتصادية للبلدان التي تشتري اليابان منها معظم نفطها . كما اوصوا باستيراد النفط مباشرة من البلدان المنتجة بدل المرور بالشركات . وفيما يختص « بمشكلة الشرق الاوسط » اتجه المؤتمرون نحو دعم « جهود الدولتين الكبيرتين » لحل النزاع على اساس قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . ومن الملاحظ ان اليابان تحاول عدم التورط مع طرف او آخر لضمان التبادل التجاري المزدهـر في الاتجاهين ( استيراد النفط ، وتصدير العديد من المنتوجات الصناعية كالسيارات والالات الخ ... ) سواء مع الدول العربية او مع اسرائيل ( رغما عـن التزام بعض الشركات اليابانية — وخاصة شركات السيارات — بالمقاطعة العربية ) . ومن الجدير بالذكر ان اليابان درجت في السنوات الماضية داخل اروقة الامم المتحدة للتصويت في اتجاه مشابـه للتصويت الاميركي ، الا ان الاعتبارات النفطية قد تدفعها لاتخاذ مواقف اكثر « اعتدالا » .

● في مؤتمر صحفي عقده في كوبنهاغن سوارانغ سينغ وزير خارجية **الهند** ، قال ردا على أسئلة صحفي اسرائيلي [ نشرة الرصد ٦/٢٢ ] « ان الهند اعترفت باسرائيل وبأن لاسرائيل ممثلية لديها، ومنذ ذلك الوقت لم يجر تبادل للسفـراء بـين الدولتين » . واضاف بأنه « لا توجد علاقة مباشرة بين النزاع الاسرائيلي — العربي والجمود السائد في العلاقات الديبلوماسية بين اسرائيل والهند » و « بأن الهند مهتمة بشكل خاص باعادة فتح قناة السويس » .

● نقل « صوت اسرائيل باللغة العبرية [ الرصد ٧/٥ ] على لسان سفير « **كامبوديـا** » ( طغمـة لون نول ) قوله بان « بلده » قد يطلب مساعدات عسكرية من اسرائيل اذا توقفت الولايات المتحدة عن مساعدتها في منتصف آب . وعلى اثر هذا التصريح طالبت كتلة راكاح الشيوعية في الكنيست بمناقشة الموضوع لمعرفة مدى تورط اسرائيل في دعم الانظمة المعادية للشعوب في الهند الصينية. ولكن الحكومة الاسرائيلية اكتفت بنفي ارسالها لاية مساعدة عسكرية لكامبوديا . الا ان الخبر بحد ذاته بالاضافة الى دعم اسرائيل لنظام فان ثيو في فيتنام الجنوبية ، مثل جديد على دور « وسيط الامبريالية » الذي تلعبه الدولة الصهيونية في مختلف دول العالم الثالث .

**أوروبا : مؤتمر الامن والعلاقات البريطانية — الاسرائيلية**

● في ٧/٣ بدأت جلسات مؤتمر الامن والتعاون الاوروبي في هلسنكي ( فنلندا ) . وقد مثلت في هذا المؤتمر ٣٣ دولة اوروبية ( أي مجموع دول اوروبا باستثناء دولتين : البانيا التي قاطعتـه لدور الاتحاد السوفياتي في الدعوة اليه ، واندورا الدولة — القرية الواقعة بين فرنسا واسبانيا ). وحضرت المؤتمر كذلك كندا والولايات المتحـدة اعتبارا لتواجد قوات لهما على ارض اوروبـا . وقد كان الاتحاد السوفياتي بالفعل من المتحمسين أصلا لعقد هذا المؤتمر على اساس انه اعتراف رسمي بالحدود الحالية القائمة في اوروبا (وبالذات حدود ووجود المانيا الديموقراطية ) وبجو الانفتاح السائد في العلاقات بين شرق القارة وغربها . وقد طرحت المسألة الفلسطينية في المؤتمر بشـكل غير منتظر من قبل رئيس وزراء مالطا دوم مينوف الذي طالب بحضور مندوبين من كل من تونس والجزائر كمراقبين للمؤتمر . وأسرع الوزيـر الهولندي باقتراح دعوة اسرائيل . وكان ابا ايبان قد ارسل رسالة يطلب فيها دعوة اسرائيل في حال تمثيل أي بلد عربي في المؤتمر .

وقد خلق اصرار مينتوف على طلبه جو أزمة في المؤتمر ، انسحب هو على اثره واستمر سائر الوفد بتكرار الطلب . واقترح وزير خارجية فرنسا ردا على الاقتراح المالطي ، ان تدعى تونس والجزائر في المرحلة الثانية على مستوى الخبراء بعد ثلاثة أشهر وفي ذلك الاجتماع يبحث طلب اسرائيل . وقد أيدت كل من يوغوسلافيا واسبانيا هذا الاقتراح وعارضته كندا مدعومة من الولايات المتحدة والمانيا الغربية مطالبة بدعوة مماثلة لاسرائيل . وصرح مينتوف فيما بعد [ رصد اذاعة اسرائيل ٧/١٠ ] بان السماح لاسرائيل بالحضور يعني ضرورة دعوة كل من مصر وليبيا وسوريا .

● في ٦/٣٠ وصل الى اسرائيل اللورد بالنيل نائب وزير الخارجية البريطانية بهدف مقابلة عدد من المسؤولين الاسرائيليين ( مئير ، الون ، دايان، ايبان ، العميد ايلي زعيرا رئيس شعبة الاستخبارات والعميد شلومو غازيت حسب تعداد الاذاعة الاسرائيلية ) .

ولم يطرأ حسب التصريحات الرسمية أي تغيير في العلاقات القائمة بعد الزيارة . ولكن وقع حادث بسيط كاد ان يتحول الى ازمة ديبلوماسية واقتضى توضيحا من الحكومة البريطانية . ففي احدى اللقاءات اشار احد اعضاء الوفد البريطاني جيمس كريغ رئيس قسم الشرق الادنى وشمال افريقيا في الوزارة الى ان اسرائيل كانت البادئة باطلاق النار في حرب ١٩٦٧ . وقد اثارت هذه الملاحظة غضب غولدا مئير واضطر الناطق الرسمي البريطاني ان يشير فيما بعد الى ان تعبير كريغ كان تعبيرا تقنيا ولا يعني بالضرورة تحميل اسرائيل مسؤولية حرب ١٩٦٧ . الا ان هذا التعقيب لم يمنع ادوات الاعلام الاسرائيلية من الاشارة الى تفاقم العلاقات البريطانية الاسرائيلية منذ تشرين الثاني ١٩٧٠ حين القى دوغلاس هيوم خطابا طالب فيه بانسحاب اسرائيل من كافة الاراضي المحتلة بما فيها القدس والجولان ، هذا التفاقم الذي ادى — على رأي هذه الادوات — الى تقارب في وجهات النظر الفرنسية والبريطانية. وقد انهى مراسل اذاعة اسرائيل في لندن تعليقه على الموقف البريطاني بقوله « ان البريطانيين انفسهم يعترفون بأنه ليس لهم تأثير ملموس على الاحداث في الشرق الاوسط ، ولذا فانه لا يتوجب على اسرائيل اظهار يقظة خاصة واهتمام بالسياسة البريطانية » .

**داود تلحمي**

## (٣) المناطق المحتلة

**الخامس من حزيران في المناطق المحتلة :** قبل التحدث عن ردود الفعل في المناطق المحتلة بمناسبة مرور ستة أعوام على الاحتلال ، لا بد من التطرق الى مجموعة من الاحداث تشير الى صمود ونضال الجماهير العربية هناك ، وتعتبر ردود الفعل استمرارا لها ، فبالاضافة الى النشاط العسكري لخلايا الثورة الفلسطينية في المناطق المحتلة ، شهدت معظم المناطق حالة نضالية ، فقد شهدت هضبة الجولان ولادة خلايا ثورية مقاومة ، تعرف في المصادر الاسرائيلية بـ « شبكات التجسس والتخريب » ، بلغ العدد الاخير لاعضائها المعتقلين ٦٣ ، وشهدت الضفة الغربية مدا جماهيريا في اعقاب استشهاد القادة الثلاثة في بيروت ، اذهل القادة الاسرائيليين الذين أخذوا يعترفون بأن فكرة « التعايش » غير قائمة بالرغم من مرور ستة اعوام على الاحتلال ، كما وعبر هذا المد عن أصالته ابان الاحداث الاخيرة بين سلطات الجيش اللبناني والمقاومة الفلسطينية ، فقد قامت سلطات الاحتلال باحباط التظاهرات التي كانت تعتزم التجمعات الفلسطينية القيام بها تعبيرا عن تلاحمها مع المقاومة ، ومع ذلك فقد عبرت الجماهير عن هذا الالتحام في المسيرة الجنائزية الضخمة لاحد شهداء الاحداث في مدينة نابلس . اما القطاع فقد شهد مدا نضاليا تمثل في تصدي رجال المقاومة هناك للمخطط الاسرائيلي الرامي الى اقامة لجان حارات منتخبة ومرتبطة بسلطات الاحتلال ، واحباطهم لهذا المخطط وذلك بتوجيه تحذير للزعامة التقليدية ، ووضع حد لحياة اولئك الذين لم يستجيبوا للتحذير . وقد قدم هذا المد النضالي ثلاثة شهداء من قادته على رأسهم محمود الاسود الملقب بـ « تشي غيفارا » ، مما ادخل الفرحة والبهجة في نفوس قادة الاحتلال ، وقد وصف مراسل الاذاعة هذه الفرحة بقوله : « كان من الطبيعي لدى مجيئي يوم السبت الى القطاع في ساعات الصباح ان ارى قادة اسرائيليين من اصحاب الوجوه المتجهمة عادة ، يمشون جذلين، وفي مكتب قائد القوات في القطاع كانت «الشمبانيا» تصب كالماء ، ولم يخف قائد كبير هو قائد العملية ومساعدوه سرورهم من نجاح الكمين » ( معاريف ٧٣/٣/١١ ) وبالرغم من ذلك فقي بقي المد النضالي قائما في القطاع ، واعترفت صحيفة همولام هزيه ( ٧٣/٣/١٤ ) بذلك حينما كتبت تحت عنوان : ماذا يحدث في غزة ؟ « عندما نقل القطاع من قيادة العميد ارئيل شارون الى قائد المنطقة الوسطى رحبعام زئيفي احتفل الجميع بتطهير غزة من المخربين ، بيد أن الوقائع كانت وبقيت مختلفة: الاسرائيليون هم جسم غريب في القطاع ، يستظلون السكان ، ويمرون في الشوارع في تظاهرة قوة ، الا انهم ليسوا الحكام الحقيقيين هناك ، ففي غزة ما زال يسيطر ، كما كان يسيطر منذ ١٩٦٧ ، جيش الظل للمخربين ... ان سياسة عدم التدخل الخاصة بديان ، والتي تتلخص في اعطاء سكان المناطق حكما ذاتيا ، واقتصار مهمة الحكم العسكري على ادارة الامور من فوق — قد اختفت وزالت ، فبدل عدم التدخل يدير الان رجال الحكم العسكري كل شيء ، **انهم يديرون ومنظمات التخريب تحكم** » .

لقد كانت ردود الفعل بمناسبة مرور ستة اعوام على الاحتلال شديدة في الضفة الغربية ، خاصة وان العناصر اليسارية الوطنية ، وتنظيمات المقاومة العاملة هناك — فتح والجبهة الشعبية — قد أخذت في الاونة الاخيرة تقوم الى جانب النضال المسلح بنضال سياسي مكثف ، عبر عن نفسه في المنشورات التي تحمل اسم المقاومة الفلسطينية والتي عمت معظم مدن وقرى الضفة الغربية ، وتفاوتت ردود الفعل بين الاضرابات ووضع حواجز على الطرقات والقيام بمسيرات جنائزية كما حدث في مدينة القدس ، وبين تعطيل الدراسة في المدارس والاضراب ومحاولة القيام بتظاهرات ، ورش الطرقات بالمسامير ، كما حدث في مدينة نابلس ، وبين كتابة الشعارات على الجدران والسيارات وتوزيع المناشير المناوئة للاحتلال كما حدث في مدن وقرى الضفة الغربية ، ووسط ذلك شهدت الضفة الغربية الاعلام الفلسطينية ترفرف هناك ، ففي الرابع من يونيو رفع العلم الفلسطيني على المدرسة الثانوية لبلدة بيت جالا، وفي الخامس من يونيو ارتفعت الاعلام الفلسطينية فوق جبل جرزيم في مدينة نابلس ، كما وارتفعت اعلام فلسطينية فوق اماكن اخرى في الضفة ، فوق اسوار القدس ، وفوق المآذن ، وقد بلغ

التحدي الشعبي روعته عندمـا رفـرف العلـم الفلسطيني فوق مقر البوليس في بيت حنينا .

حدث كل ذلك، بالرغم من التدابير الامنية المشددة، واجتماع الحكام العسكريين لمناطـق الضفـة الغربية برؤساء البلديات والزعامة التقليدية هناك، وقد اعترفت الصحف الاسرائيلية ان هذه الاعمال « قد جرت هذه المرة على ضوء النشاط المتزايد للاوساط اليسارية المتطرفة ومؤيدي منظمـات التخريب » .

هذا ، وقد وزعت الهيئة الاسلامية في القـدس بيانا على الصحف ، بمناسبة « الذكرى الاليمة » جاء فيه : « اليوم تبدأ السنة السابعة والاحتلال جاثم على ارضنا ينفذ اهدافه ويحقق احلامه ، يصادر الاراضي ويهدم الابنية ، ويدمر القرى ويزيل الحضارة ويستولي على المقدسات ، فها هو باب الحرم الشريف باب المغاربـة الـذي استولت سلطات الاحتلال على مفتاحه عنوة وما زالـت متحدية حقوق الله في بيوته ، مخالفة الانظمـة والقوانين الدولية والعدالة الانسانية ، وها هو الحرم الابراهيمي الشريف يتحول الى كنيس للمرة الاولى في التاريخ ، فيحرم المسلمون من زيـارة مقامات انبيائهم ويحرمون من الصلاة في ذلـك الجزء العزيز من مسجدهم المحزون . تقـام المستعمرات ، وتجري التغييرات خلافا لكل قانون وتحديا لكـل المنظمات الدولية وتجاهلا لجميـع الاعراف والحقوق الانسانيـة . ان الهيئـة الاسلامية ، وهي ترى السنة السابعة للاحتلال تبدأ وما زالت هذه الامة تؤمن بعدالة قضيتها ، تعود وتؤكد تمسك هذه الامة بارضها وتفانيها في سبيل حريتها وتعلقها بوطنها . ان الهيئة الاسلامية وهي تستقبل هذه الذكرى الاليمة ، وبالرغم من المرارة والالم الذين تشعر بهما تجاه جميـع المنظمات والهيئات الدولية ما زالت تأمل في بقية من ضمير عالمي لا بد أن يتحرك ، وهي تنبه السلطات المحتلة ان تتعظ بحوادث التاريخ وشواهده ، وان عدالة السماء لا بد ان تسود وان الايام دول ، وان الله يمهل ولا يهمل ، وانه لم يمت حق وراءه مطالب . ان الهيئة الاسلامية وهي تستقبل هذه الذكرى الاليمة ، لتحيي في الامة هـذا الصمود الرائع وهذا التمسك بالارض وهـذا الشعـور بالمسؤولية ، وهي تناشد هذه الامة مزيدا مـن الصبر ومزيدا من التمسك بالارض ومزيدا من التماسك ، فان الفرج آت ، وان الله مـع الصابرين » ( الاتحاد ٧٣/٦/٨ ) .

**اجراءات لتكريس الاحتلال :** وفي مقابل ذلـك ، كانت سلطات الاحتلال تصعد مـن اجراءاتها ، الرامية الى تكريس الاحتلال واستدامته ، واضفاء الشرعية عليه ، فعلاوة على شبكة المستوطنـات القائمة والتي تتعزز يوما بعد يوم في جميع المناطق المحتلة ، وما يترتب على ذلك من نهب للاراضي العربية ، اتخذت مؤخرا اجراءات من أهمهـا :

١ ــ التصديق من قبل الكنيست في ٧٣/٥/٢٣ على مشروع قانون يقضي بضم اهالي القدس العربية الذين بلغوا سن الـ ١٨ بعد عام ١٩٦٩ الى جدول انتخابات المجلس البلدي في القدس . ومن المعروف ان الكنيست كانت قد أقرت في عام ١٩٦٨ قانونا ادخل في حينه جميع سكان القدس العربية الى سجل ناخبي المجلس البلدي ، ويأتـي مشروع القانون هذا كملحق للقانون الاصلي لتكريس ضم المدينـة .

٢ ــ التعويض على املاك العرب في القدس : بالاضافة الى ذلك اقدمت الكنيست بتاريخ ٦/٢٧/ ٧٣ على اقرار قانون يحمل اسم قانون امـلاك الغائبين ( تعويضات ) ، يمكن العرب سكـان اسرائيل الذين ينطبق عليهم قانون « الغـائب الحاضر » من تلقي تعويضات على ممتلكاتهم . وكان مشروع القانون هذا قد برز قبل حوالي عامين ( تطرقنا اليه اكثر من مرة في شهريات المنـاطق المحتلة ) واحدثت عليه تعديلات كثيرة ، الى أن اقر رسميا . وبموجب القانون ستدفع تعويضات لاصحاب الممتلكات ابتداء من مطلع يوليو ١٩٧٥ على دفعات ، الدفعة الاولى تصل الى عشرة الاف ليرة نقدا ، اما الدفعات الاخرى فستدفع على شكل سندات دين يتم تسديدها سنويا على شكل اقساط متساوية على مدى ١٥ عاما ، ومن المعروف ان القانون موجه بالاساس الى سكان القدس لخدمة هدفين أساسيين: تجريد السكان العرب من حقوقهم المغتصبة في عام ١٩٤٨ بواسطة مبالغ مالية ، وثانيا ، تكريس ضم القدس من خلال سريـان مفعول هذا القانون الخاص بـ « العرب سكان اسرائيل » على مدينة القدس نفسها . ومن ناحية اخرى تواصل سلطات الاحتلال اقامـة ضواح سكنية حول مدينة القدس لاحاطتها بسوار مـن المستوطنات اليهودية ، وقد ذكر مؤخرا روحـي الخطيب محافظ القدس السابق الذي ابعدتـه سلطات الاحتلال ، ان الضواحي اليهودية الجديدة

التي تقام هناك ستضم حوالي ٣٥ الف وحدة سكن تتسع لنحو ١٢٢ الف يهودي اي ضعف عدد العرب القاطنين حاليا في القدس . وسيرتفع هذا العدد كما اعلن عن ذلك اكثر من وزير اسرائيلي من بينهم وزير الاسكان زئيف شيف الى ٢٤٠ الف نسمة عام ١٩٧٥ ، اي حوالي خمسة اضعاف السكان العرب. ومن المعروف ان سلطات الاحتلال كانت قد أقدمت على مصادرة خمسة الاف دونم في عام ١٩٦٨ من اراضي القدس العربية، والحقت ذلك بمصادرة عشرة الاف دونم اخر في ٢٠ آب ١٩٧٠ بغرض تهويد مدينة القدس .

٣ ــ فرض الانتخابات للمجالس المحلية القروية : بعد نجاح سلطات الاحتلال في فرض الانتخابات البلدية في مدن الضفة الغربية الكبرى ، تقوم الان بالاعداد لفرض انتخابات للمجالس المحلية القروية في الضفة الغربية ، ويبلغ تعداد سكان هذه القرى حوال ١٢٠ الف نسمة ، ومن المقرر ان يتوجه سكانها الى صناديق الاقتراع عند نهاية هذا العام .

٤ ــ توسيع ميناء غزة : تم في ٦٣/٦/٤ افتتاح الرصيف الثاني في ميناء غزة الذي سيتم انشاؤه خلال العامين القادمين ، وسيستثمر في اقامته مبلغ ٢٥ مليون ليرة ، وحضر حفل الافتتاح عدد من كبار القادة والشخصيات الاسرائيلية من بينهم قائد المنطقة الوسطى رحبعام زئيفي ومدير مصلحة الموانىء اهارون ريمز ومحافظ بنك اسرائيل موشيه زنبار . وذكر وزير المواصلات شمعون بيرس الذي افتتح الرصيف « ان غزة قد انفصلت الى الابد عن مصر ». ومن المعروف ان تكاليف الرصيف الاول الذي اقامته سلطات الاحتلال والذي استغرق العمل فيه قرابة تسعة شهور قد بلغت مليون ونصف المليون ليرة ، وقد تم خلال عام ١٩٧٢ تفريغ ١٦٠ الف طن من الاسمنت في الميناء ، الا انه بعد الانتهاء من اقامة الرصيف الثاني سيصل الاستيعاب الى نصف مليون طن من الاسمنت .

٥ ــ التخطيط لاقامة مطار في منطقة غزة ! بالاضافة الى اعمال توسيع ميناء غزة ، تعكف سلطات الاحتلال على دراسة مشروع لاقامة مطار دولي على شاطىء البحر جنوبي غزة ، ويعتبر هذا المطار المزمع انشاؤه المطار الدولي الثاني الاسرائيلي بعد مطار اللد . ولم يتحدد بعد المكان الذي سيشاد عليه .

٦ ــ الضغط على سكان مشارف رفح لبيع اراضيهم: بعد ان رفضت محكمة « العدل » العليا في اسرائيل شكوى سكان مشارف رفح بشأن اعادتهم الى اراضيهم ومضاربهم التي اجلوا عنها بالقوة بغرض اقامة مستوطنات اسرائيلية عليها ، اخذت سلطات الاحتلال بواسطة قائد منطقة رفح تنهج اسلوب الضغط المشفوع بالتهديد لدفع القبائل العربية صاحبة الارض ، للتنازل عن اراضيها بواسطة بيعها ، ففي اواخر شهر ايار وبعد رفض محكمة « العدل » العليا بيوم واحد استدعى الحاكم العسكري لمدينة رفح وجهاء القبائل وحرص على ان يتحدث مع كل واحد منهم على حدة في محاولة منه لاحداث ثغرة في الموقف الصلب الذي يدعو الى الاعجاب ، المتمثل في عدم التخلي عن شبر واحد من اراضيهم ، الا ان محاولاته هذه باءت بالفشل ، فقد ذكر رؤساء القبائل الذين اجتمعوا مع الحاكم العسكري ( كما جاء في صحيفة هآرتس ٧٣/٥/٣٠ ) ان الحاكم الاسرائيلي هدد كل واحد منهم بشكل مختلف ، لدفعه لبيع ارضه ، وكشفت صحيفة هآرتس بعض اساليب التهديد التي تتبعها سلطات الحكم العسكري لدفع سكان البلاد الاصليين للتخلي عن اراضيهم ، فذكرت على لسان برهم محمد عودة ، يعمل مدرسا ، بأن الحكم العسكري هدده بطرده من وظيفته خلال عشرة ايام اذا لم يقدم خلال هذه الفترة على بيع ارضه، وذكرت ايضا ان الحاكم العسكري هدد شخصا آخر بالسجن اذا لم يقم ببيع ارضه ، واضافت ان احد الشيوخ اراد الحصول على رخصة لشراء سيارة خاصة ، الا انه لم يحصل على ذلك « والسبب رفضه بيع ارضه » . ومن الجدير بالذكر هنا ان محكمة « العدل » الاسرائيلية التي رفضت مطلب البدو العادل باعادتهم الى ارضهم وبيوتهم ، قد فرضت عليهم ايضا « دفع مبلغ الف ليرة للجيش وللحكومة كنفقات للمحكمة » .

٧ ــ الاستمرار في شراء الاراضي العربية : لا زالت عمليات شراء الاراضي العربية واستملاكها بواسطة اليهود مستمرة وآخذة في التصاعد ، وقد كشف ذلك مراسل دافار ( في ١٩٧٣/٦/١٩ ) عندما ذكر بان عملية الاستملاك شملت آلاف الدونمات وتركزت في الاونة الاخيرة في ضواحي بيت جالا وغوش عتسيون وشمال القدس، وذكر ان الاسعار تتحرك من ٣٠٠٠ ليرة للدونم وحتى ٢٠ الف ليرة ، واضاف ان المشترين الافراد يدفعون اسعارا أعلى

من الهيئات العامة اليهودية التي تقوم بأعمال الشراء بموجب تصريح رسمي .

**اقامة الجامعة في الضفة** : لا زال الحديث يدور في الضفة الغربية حول فكرة اقامة جامعة هناك ، بيد ان اخراج مشروع الجامعة الى حيز التنفيذ لا زال يتعثر بسبب المواقف المتباينة للاطراف الناعلة وذات الصلة بالموضوع بالرغم من ان سلطات الاحتلال قد وافقت في شهر مارس هذا العام على مشروع اقامة الجامعة . كان اول من دعا الى فكرة اقامة جامعة في الضفة الغربية مجموعة من دعاة الكيان الفلسطيني وعلى رأسهم المحامي عزيز شحاده من رام الله ، قبل حوالي أربعة اعوام ونصف ، ولكن ومع مرور الوقت ، اخذت مشكلة المدارس الثانوية تتفاقم ، الامر الذي جلب انصارا جددا لهذه الدعوة ، وتعززت بموافقة يجآل الون نائب رئيسة الحكومة عليها قبل حوالي عامين ، واصبح يقف الى جانب اصحاب الدعوة من دعاة الكيان الفلسطيني ، شخصيات مستقلة ، واقتصرت المعارضة على عدد من الزعامة التقليدية المرتبطة بالنظام الاردني ، ثم قطعت الفكرة شوطا كبيرا عندما وافقت سلطات الاحتلال رسميا على اقامة الجامعة ، التي ستبنى كما يقول الداعون لها بأموال عربية وستدار بواسطة اساتذة عرب ، وقد شكلت لجنة تأسيسية ضمت عناصر من الزعامة التقليدية في الضفة وكذلك بعض رجال سلك التعليم ، بغرض جمع الاموال من الدول العربية لاخراج المشروع الى حيز التنفيذ ، بيد ان ذلك اصطدم حتى الان بمعارضة اتحاد الجامعات العربية ومن معظم الدول العربية ، وشبه معارضة من النظام الاردني . ومع ذلك فان دعاة فكرة اقامة الجامعة لا زالوا يواصلون نشاطهم ، وقد ألمح كل من عزيز شحاده ومحمود ابو الزلف رئيس تحرير جريدة القدس ان « صندوق فورد » ابدى استعداده لتقديم معونات مالية ، وذكرا ان اقامة الجامعة تحتاج الى ستة ملايين ليرة لكي تستوعب ألفي طالب ، وانهما على استعداد لتلقي المعونات من الدول العربية ، ومن الغرب .

ومن الجدير بالذكر هنا ان الجانب الاسرائيلي بالرغم من الموافقة على اقامة الجامعة لا يزال منقسما هو الاخر ، فهنالك المؤيدون للفكرة وهنالك المعارضون لها . وقد لخص الصحفي الاسرائيلي ايلي ايل ( معاريف ٢٢/٦/٧٣ ) الاسباب التي يوردها مؤيدو الفكرة بالتالي :

١ ــ « ان ذلك يعتبر جزءا من السياسة المتبعة في المناطق ، فمثلما يمتلك العرب في المناطق صحفا ومصانع ومجالس محلية تخصهم ، فلتكن لهم ايضا جامعة تخصهم .

٢ ــ من الافضل ان يبقى شباب الضفة الذين ينهون المرحلة الثانوية هنا ، على ان يلتحقوا بالجامعات العربية او الاوروبية ، حيث يكونوا هناك معرضين للتحريض وللتجنيد من قبل منظمات « التخريب » . ان هؤلاء يعتبرون افضل مادة بشرية لمنظمات التخريب ، ذلك ان هؤلاء الشباب يعرفون جيدا الاسرائيليين ويعرفون كذلك من هم الذين يتعاونون مع اسرائيل . اما في حالة بقائهم في الجامعة في الضفة فانهم يخضعون لنفوذ معين ولاشراف من قبل اسرائيل ، اما في الخارج فهم لا يخضعون لحكم ، كما وليست لديهم ارتباكات نفسية ومن السهل اقناعهم لمحاربة اسرائيل . »

اما الاسباب التي يوردها المعارضون فتمثل تخوفهم من ان تتحول الجامعة الى « بؤرة مثالية لنمو قومية معادية لاسرائيل » لاعتقاد هؤلاء « ان المثقف العربي لا يصبو نحو الليبراليين في بلده ، بل نحو المتطرفين ، فالشريحة المثقفة العربية لا تخجل من كونها متطرفة قوميا ، هذه الصفة التي يعتبرها المثقف الغربي بمثابة بقعة سوداء . حتى اليساريون من بينهم يتفوهون بالمبدأ اللينيني القائل « بأن الثورة الوطنية تسبق الثورة الاشتراكية » .

ووسط وجهات النظر المتناقضة حول اقامة الجامعة ، تتفاقم مشكلة خريجي المدارس الثانوية وتزداد اوضاعهم سوءا ، خاصة وان جامعات الدول العربية كما صرح بذلك بعض رجالات الضفة الذين قاموا بجولة في الدول العربية ، ستستوعب نقط عشر خريجي المدارس الثانوية الذين يعتزمون استكمال دراساتهم . اما فيما يتعلق بالالتحاق في جامعات اوربا الغربية وامريكا . فقد ظهرت صعوبات جديدة تتمثل في عدم ترحيب هذه الجامعات بالطلبة الفلسطينيين ، فقد ذكرت صحيفة معاريف ( ٢٠/٦/٧٣ ) ان عشرات من الطلبة في الضفة الغربية الذين توجهوا قبل ثلاثة شهور الى مؤسسات تعليمية في اوربا ، لم يحظوا برد ، او اجيبوا سلبا ، « خشية التورط في نشاط تخريبي » .

ع ٥ م ٥

# ملحق المناطق المحتلة

## الذكرى السادسة لحرب حزيران ومناقشات مجلس الامن في صحف الضفة الغربية

تناولت الصحف العربية الصادرة في الضفة الغربية خلال شهر حزيران ( يونيه ) الماضي ، مسألتين أساسيتين يمكن ادراجهما تحت عنوانين منفصلين على الرغم من شدة التزاوج والالتصاق فيما بينهما . وأول هاتين المسألتين كانت بمناسبة مرور الذكرى السنوية السادسة لحرب حزيران بكل ما عنته هذه الذكرى المؤلمة من ضياع لبقية الوطن ، وتشريد للشعب الفلسطيني ، وتعرضه للقهر والتقتيل والحصار . اما المسألة الثانية التي اغرت الصحافة العربية في الضفة الغربية بتناولها باسهاب واضح وشديد ، فهي مناقشات الدورة الاولى من اجتماعات مجلس الامن الدولي لمناقشة ازمة الشرق الاوسط التي ترافقت مع الذكرى السادسة لحرب حزيران ، والتي طرح فيها المندوب المصري مسألة الاعتراف بالامة الفلسطينية ضمن الحدود التي نص عليها قرار تقسيم فلسطين الصادر عن الامم المتحدة لعام ١٩٤٧ .

### الذكرى السنوية السادسة لحرب حزيران :

ليس مستغربا ان يكون للذكرى السادسة لحرب حزيران في الضفة الغربية مذاق خاص ولون مختلف عما لهذه الذكرى في سائر بقاع وعواصم العالم العربي . فاحساس اهلنا بالاسر والاضطهاد ، كواقع يومي يعيشونه ، يجعل هذه الذكرى أشد ايلاما واكثر مرارة . وتعرض جماهيرنا للمصادرة في حرياتها واراضيها — بشكل يومي ايضا — يزيد من ثقل كابوس الاحتلال وعسفه، وممارسةاسرائيل لسياسة الامر الواقع وسعيها الحثيث لخلق وقائع سياسية وسكانية جديدة في الارض المحتلة ، بتعديل القوانين ومصادرة البيوت والاراضي واقـامة المستعمرات وجلب المستوطنين الجدد وتغيير معالم القدس ، يجعل جماهيرنا في الارض المحتلة معنية اكثر بالاحتلال ومقاومته ، ومطالبة بقوة للتعرض له ومصارعته بكل أشكال وادوات النضال المتاحة . وبالفعل ، فقد كانت جماهير شعبنا في الارض المحتلة في مستوى مسؤولياتها الوطنية ، مبرهنة من جديد على التزامها الواعي بقضية النضال الوطني ، ومتحسسة بعمق مدى مأساتها ومسؤولياتها في آن واحد . فقد اوردت صحيفة « الشعب » الصادرة في ٦ حزيران تقريرا عن الضفة الغربية في ذكرى الخامس من حزيران نورده لاهميته بنصه الكامل كما جاء في الصحيفة العربية : « بدت مدينة القدس صباح أمس مقفرة ومغلقة على أثر قيام التجار بالاضراب بمناسبة الخامس من حزيران . الا ان قوات الامن تدخلت في الساعة التاسعة والنصف وبدأت في وضع علامات على أبواب المحال المغلقة ، مما دفع بعض التجار الى فتح محلاتهم التجارية في حين رفض البعض الاخر فتح محالهم فتم اعتقال اكثر من ١٠ منهم . وعلم ان اوامر صدرت الى رجال الشرطة في القدس الذين ما انفكوا يجوبون الشوارع بالتعاون مع رجال الجيش ، بأن يبحثوا عن الحوانيت التي ظلت مغلقة لمعرفة اصحابها والتوجه الى منازلهم لاحضارهم واجبارهم على فتحها ومن يرفض فعلى الشرطة القيام باعتقاله . كما تخلف عدد من العمال العرب عن التوجه الى مراكز اعمالهم بالمناسبة . كما قام عدد من الشبان والشابات والهيئات في القدس العربية بزيارة مقابر شهداء الخامس من حزيران ووضعوا اكاليل الزهور على هذه الاضرحة ، وخاصة النصب التذكاري قرب المتحف الفلسطيني باب الساهرة . كما ناقش عدد من الاساتذة في المدارس مع طلابهم موضوع حرب الايام الستة ، وتليت الفاتحة على أرواح الشهداء . وكانت قوات الاحتلال قد اتخذت جميع التدابير والوسائل الكفيلة لكسر الاضراب العام بهذه المناسبة اذ اخذت تجوب شوارع مدينة القدس دوريات عسكرية مسلحة مشيا على الاقدام وفي سيارات عسكرية . وعلى الرغم من ذلك وعلى مرأى من رجال الجيش والشرطة ظلت الحركة التجارية مشلولة وعندئذ عمدت السلطات الى ارسال مجموعة من رجال الشرطة العرب ليقوموا برسم علامات دائرية على ابواب الحوانيت المغلقة واطلاق شائعات على مسامع الناس والمارة ... بسيطة غرامة ١٠٠٠ ليرة . كما قالوا لاحد التجار الذي عمد الى فتح باب حانوته عندما رأى رجال الشرطة يدمغون حانوت جاره (لا... لا هات هويتك ويمكن فتح حانوتك في عمان ) . وفوجيء الناس

بوزير الشرطة وكبار موظفي الداخلية والخارجية يرافقهم صحفيون ومصورون يترجلون من سياراتهم امام بريد القدس ، ومنه اتخذوا طريقهم الى محطة الباصات يتفقدون الحوانيت المغلقة وقد عمد الوزير ومرافقوه الى مصافحة بعض التجار العرب والتقاط صور بهذه المناسبة وتبادل الحديث . وفي نابلس القيت بالشوارع كميات كبيرة من المسامير مما ادى الى تفجير اطارات العديد من السيارات التي كانت تحاول العمل داخل المدينة كما جابت السيارات العسكرية والدوريات شوارع مدن الضفة الغربية . وكانت المدارس مفتوحة في الضفة الغربية ولكن الطلاب العرب بدوا وكأنهم يتجاهلون الدروس وبقوا داخل ملاعب مدارسهم طوال امس ولم ترد انباء عن وقوع مظاهرات » ( الشعب ١٩٧٣/٦/٦ ) . وفي اليوم التالي ( ٧ حزيران ) ذكرت الصحيفة نفسها ان سلطات الاحتلال اعتقلت سبعة عشر شخصا اكثرهم من التجار . وقالت الصحيفة انه « جرى استجوابهم بشأن الاضراب الجزئي الذي شمل عددا من المتاجر يوم أمس الاول . وقد أطلق سراح المعتقلين في المساء . ومن جهة أخرى اعرب اصحاب المتاجر العرب في المدينة عن استيائهم الشديد لقيام رجال الشرطة بوضع علامات مميزة بالدهان ، على ابواب متاجرهم » ( الشعب ١٩٧٣/٦/٧ ) .

رغم هذا الوصف الواسع الذي قدمته صحيفة « الشعب » لردود الفعل في الضفة الغربية في ذكرى الخامس من حزيران ، وخاصة في مدينة القدس ، فان هناك كثيرا من مظاهر ردود الفعل الهامة التي وقعت قبل يوم الذكرى السادسة للحرب وبعدها ، والتي يمكن تسجيلها هنا اعتمادا على صحف الضفة الغربية نفسها . فقد ذكرت صحيفة « القدس » في عددها الصادر يوم ٤ حزيران انه « رفع اشخاص مجهولون امس العلم الفلسطيني على سور القدس القديمة قرب مغارة سليمان امام موقف الباصات . وقد ظل العلم الفلسطيني مرفوعا فوق السور عدة ساعات حتى حضرت قوات الشرطة وأنزلته من هناك . ومن جهة اخرى وزعت نشرات في الكثير من مدن وقرى الضفة الغربية خلال اليومين الماضيين . وكذلك ظهرت كتابات على الجدران تدعو المواطنين الى الاضراب غدا بمناسبة الذكرى السنوية السادسة لليوم الخامس من حزيران . وقد وقعت المنشورات « جبهة المقاومة الشعبية في الضفة الغربية » . »

( القدس ١٩٧٣/٦/٤ ) . كما ذكرت صحيفة الشعب تحت عنوان « المنشورات توزع بالخليل » ان تلك المنشورات وزعت بالمدينة لدعوة « المواطنين والتجار الى الاضراب في ذكرى الخامس من حزيران » ( الشعب ١٩٧٣/٦/٤ ) . وقالت الصحيفة في العدد نفسه تحت عنوان آخر : « امتلأت جدران مدينة القدس أمس بشعارات تدعو المواطنين الى الاضراب بمناسبة ٥ حزيران وتندد بالاحتلال . كما كتب على بعض الجدران **فلسطين عربية** بالدهان الاسود . كما شوهدت بعض السيارات وهي تحمل نفس الشعارات . ويعتقد ان هذه الشعارات كتبت في الليلة الماضية. كما شوهدت نفس الشعارات في شعفاط وبيت حنينا وقلنديا » ( الشعب ١٩٧٣/٦/٤ ) .

وبينما ذكرت صحيفة « الشعب » تحت عنوان « العلم الفلسطيني فوق سور القدس » ان البوليس الاسرائيلي نزع علما مرفوعا فوق سور البلدة القديمة ( الشعب ١٩٧٣/٦/٤ ). وقالت صحيفة « القدس » في عدد اليوم التالي ان اشخاصا مجهولين رفعوا « خلال يوم امس العلم الفلسطيني **في عدة قرى ومناطق في القدس** . فقد شوهد العلم الفلسطيني مرفوعا قرب نصب الجندي العربي المجهول في مقبرة باب الاسباط ، وكذلك قرب مخفر شرطة بيت حنينا وصور باهر » ( القدس ١٩٧٣/٦/٥ ) . وفي الوقت الذي ذكرت فيه صحيفة « الشعب » يوم ٦ حزيران نقلا عن راديو صوت فلسطين ان منشورات ثورية وزعت في مدن الضفة الشرقية بمناسبة الخامس من حزيران تشيد بالنضال ضد دعاة الهزيمة وتهاجم السياسة الاردنية ، ابرزت الصحيفة في عنوان آخر نبأ نقلته عن وكالة « رويتر » جاء فيه ان الشيخ محمد علي الجعبري رئيس بلدية الخليل انتقد الدعوى الى الاضراب في ذكرى الخامس من حزيران . وقال الجعبري « كان يجب على سكان الضفة الغربية الاضراب في ذكرى تأسيس جامعة الدول العربية التي كانت سبب مآسي الشعب العربي الحالية بدلا من الاضراب في ذكرى ٥ حزيران » . ( الشعب ١٩٧٣/٦/٦ ) . وكانت صحيفة « القدس » قد ذكرت في عددها الصادر يوم ٥ حزيران ان الشيخ الجعبري نفسه شن حملة على القادة العرب ودعا الاسرائيليين والعرب الى العمل على تحقيق « السلام » على ارض السلام . كما دعا الشعب الفلسطيني « لانتخاب

لجنة تنفيذية عليا في مؤتمر عام لحل القضية مع العرب واليهود وتقرير مستقبله . وطالب الدول العربية واسرائيل ان يساعدوا على عقد مثل هذا المؤتمر ، ووضع الضفة الغربية وقطاع غزة في هذه الاثناء تحت اشراف دولي مدة خمس سنوات » ( القدس ١٩٧٣/٦/٥ ) .

**مناقشات مجلس الامن والحديث عن الدولة والامة الفلسطينية :**

افتتح الدكتور محمد حسن الزيات وزير الخارجية المصري مناقشات مجلس الامن حول أزمة الشرق الاوسط ، في السادس من شهر حزيران ، بالحديث عن وجوب احترام حقوق الشعب الفلسطيني وفقا لما جاء في قرار التقسيم الصادر عن الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة في ٢٩ تشرين الثاني ( نوفمبر ) ١٩٤٧ ، مؤكدا على انه يقع على اعضاء مجلس الامن التي اعترفت دولهم باسرائيل التزام مماثل بالاعتراف للفلسطينيين بحقهم بالعيش في سلام داخل حدود وراء التقسيم المشار اليه .

ولقد أثار هذا الطرح ردود فعل مختلفة ومتفاوتة على الصعيدين العربي والفلسطيني . ففي الاردن وهي اشد الدول التصاقا بهذا الموضوع ، بدت شواهد ردود الفعل واضحة في تصريحات عدد من الرسميين ومن خلال تعليقات وسائل الاعلام الاردنية ، حيث اعتبر هذا الطرح المصري « المفاجىء » متناقضا ومضادا للتصور الاردني لمستقبل الفلسطينيين الذي لخصه مشروع المملكة العربية المتحدة . وباستثناء هذا الموقف من جانب السلطات الاردنية وتصريحات الرئيس التونسي الحبيب بورقيبه ، التزمت معظم الدول العربية صمتا مطبقا حيال هذا الطرح . والذي يعنينا في هذا الصدد ، متابعة ردود فعل هذه التصريحات لدى صحف الضفة الغربية باعتبار هذه الصحف تعبر عن وجهة نظر مجموعة من الفلسطينيين المعنيين بدرجة كبيرة بمثل هذه التصورات للمستقبل السياسي للشعب الفلسطيني .

بداية لا بد من القول ان صحف الضفة الغربية لم تجمع على فهم او تصور واحد لتصريحات وزير الخارجية المصري وردود الفعل التي اثارتها هذه التصريحات لدى كل من الاردن والمقاومة الفلسطينية . فصحيفة « البشير » الاسبوعية التي تصدر في بيت لحم وجدت في تصريحات الزيات وتصريحات المندوب الاردني لدى مجلس الامن ، عبد الحميد شرف ، فهما مشتركا لمسألة حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره . وقالت الصحيفة ان هذا الفهم المشترك لم يأت عن طريق الصدفة وانما جاء عبر التفاهم والتنسيق بين البلدين ، خاصة وان الشهور الاخيرة « شهدت تقاربا بين مصر والاردن كما شهدت نشاطا ملحوظا للجهد العربي الموحد في المجالات السياسية والدبلوماسية » . واضافت ان لقاء مصر والاردن حول هذه النقطة الهامة جعل شعار اقامة دولة فلسطينية « الشعار العربي القومي الذي يتفق عليه الجميع » . وبما ان تحقيق مثل هذا الشعار يحتاج الى فترة من الاتصالات والمناقشات التي قد تستغرق وقتا طويلا فقد اقترحت الصحيفة التلحمية « وضع المناطق المحتلة تحت اشراف مؤقت للامم المتحدة ، لجعل مهمة يارنغ اسهل ، وجعل خطواته نحو تحقيق السلام أسرع ... » ( البشير ١٩٧٣/٦/٩ ) .

اما صحيفة « القدس » اليومية فقد عرضت الموقف المصري من مسألة الدولة الفلسطينية بالاشادة بدور مصر ومركزها الحضاري في العالم العربي ، منتقلة الى القول بأن الزيات قد عرض موقف بلاده في مجلس الامن « بعقل منفتح ، وادراك واع ، وبموضوعية كاملة ، وبصورة منصلة وواضحة...» ثم عرضت الصحيفة للاسئلة الستة التي طرحها الزيات والتي تتعلق بتفسيرات ضرورية لبعض فقرات قرار المجلس رقم ٢٤٢ او تتصل بتوضيحات تتعلق بمذكرة يارنغ في ٨ شباط ( فبراير ) ١٩٧١ ، خالصة الى القول بأنه « يتضح ان طلب اسرائيل للمفاوضات واصرارها على ذلك انما يعتبر هروبا من الالتزام بهذه المبادىء وتجنبا مقصودا لتطبيقها » ( القدس ١٩٧٣/٦/١٣ ) .

اما صحيفة « الشعب » التي تصدر يوميا في القدس فقد علقت على « انتهاء الفصل الاول من المناقشات » بقولها انه بعد انتهاء مناقشات الدورة الثانية فاننا سنكون امام خيارين « اولهما : الحل السلمي بطريق الفرض .. او وهو ما يميل المراقبون الى ترجيحه لعدة اسباب .. فهو اندلاع الحرب في المنطقة ، بكل ما تنطوي عليه المعركة من شراسة ونفس طويل .. **ويبدو ان المناقشات ليست للتسوية بقدر ما هي تمهيد للمعركة** ... كما يبدو ان رياحها قد اخذت تهب عاجلة ومستعجلة فيما نراه من بادرة تحقيق شعار ( وضع المصالح

الاميركية في المنطقة في دائرة الخطر المباشر ) وهي البادرة التي جاءت متأخرة عشرين عاما عن موعدها .. ولكل أجل كتاب » ( الشعب ١٥/٦/١٩٧٣ ) . وفي تعليق آخر نشرته صحيفة «الشعب» تحت عنوان « القطر الفلسطيني هو ( القومية العربية ) » رأت في الطروحات المصرية والتونسية والمواقف الاردنية والعربية عامة — دون ان تسمي الاشياء بمسمياتها — سببا رئيسيا في « تعثر النشاط الفلسطيني ، وفي المجال العربي بالذات ، وعلى الصعيد السياسي والاعلامي والتنظيمي والمالي » . وقد رأت الصحيفة ان من المسلمات التي قررتها الدول العربية في مؤتمراتها على مستوى القمة منذ العام ١٩٦٤ ، « **ان الشعب الفلسطيني ممثلا في مجلسه الوطني ، ومنظمة التحرير الفلسطينية ، له كامل الحق في ارضه ، وهويته وتقرير مصيره ، بل ان مؤتمر الخرطوم بالذات اوضح بكل صراحة ان لا تصرف في القضية الفلسطينية الا برضى اصحابها وموافقتهم ، قطعا لكل مساومة ، او استسلام ، او انتهاز** » . وحملت الصحيفة بعض الدول العربية مسؤولية التخلص من التزامها القومي عن طريق « القاء العبء على كاهلهم [ أي الفلسطينيين ] في ان يتخذوا مسيرة فلسطينية منفردة وخاصة بحيث ينفرد هذا الشعب بحل ما ، يتيح لبعض هذه الانظمة اما نفض يديها كليا ، او الادعاء بأنها بريئة مما فعل او قبل الفلسطينيون به » . وألمحت الصحيفة في تعليقها الى ان الحديث عن دولة فلسطينية من واقع العجز والهزيمة يقصد به« **اشغال الفلسطينيين بمنعطفات جانبية ومتاهات هامشية ، تلهيهم وتبعدهم عن الهدف الاساسي في استرداد حقهم ، بل كامل حقهم في الحياة ، والوطن ، والحرية ، وهذه الانظمة فيما تفعل وتساهم عن جهل او قصد مع المخطط الامبريالي في ابقاء النشاط الفلسطيني مكبل الايدي ، معطل الانجاز ، ولو ادى الى وقوعها من الشعب الفلسطيني في صف القوى المضادة** » . وخلصت الصحيفة الى القول بأن الطريق الصحيح الوحيد المجدي هو ان تكون كافة الاقطار العربية في خدمة القضية الفلسطينية « وان تعتبر الشعب الفلسطيني المنزرع في بقايا قطره ، او المنتظر العودة لوطنه ، هو الشعب الممتاز ، المختار ، الذي يعطى الاولوية ، ويحظى بالافضلية ، لان هذه الامة بدون هذا القطر ، وذلك الشعب ، تكون ناقصة الاستقلال ، مهيضة الوجود ، مهينة الكرامة والخلود » ( الشعب ١٨/٦/١٩٧٣ ) .

ويمكن القول ان صحف الضفة الغربية قد اتخذت مواقف مختلفة من مسألة الدولة والامة الفلسطينية كما جاءت على لسان وزير الخارجية المصري اثناء مناقشات مجلس الامن . فصحيفة « الشعب » اتخذت موقفا مغايرا لما اتخذته كل من صحيفتي « القدس » و« البشير » اللتين التقتا مع بعض الاختلاف في التفاصيل على الترحاب بهذا الطرح المصري . فبينما ترى صحيفة « الشعب » ان مثل هذه المواقف تهدف الى الانحراف بالمسيرة الفلسطينية بما يخدم المخططات الامبريالية ، ترى صحيفة « القدس » في احد تعليقاتها انه يمكن التعايش بين منظمة التحرير الفلسطينية والنظام الاردني ذلك لان « جميع الصور التي تطرح مشروعات لمستقبل الفلسطينيين في شكل دولة او في شكل مملكة متحدة ذات اقليمين ، لا تخرج في اي اعتبار عن الاعتراف بالشخصية الفلسطينية ، والاقرار بحق تقرير المصير المشروع ، قبل او بعد الحل ، على حد سواء » ( القدس ١٩/٦/١٩٧٣). وبينما ترى « البشير » ان الاردنيين والمصريين بوحدهم فهم مشترك لمسألة الدولة الفلسطينية وحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره ، نتيجة للتقارب بين الدولتين في الاشهر الاخيرة ( البشير ٩/٦/١٩٧٣ ) ، ترى صحيفة « القدس » ان هناك محددات مختلفة لموقف كل من الاردن ومصر ازاء هذه المسألة تختلف باختلاف العلاقة السياسية لكلا النظامين بالفلسطينيين . اذ ترى الصحيفة ان كلام مندوب الاردن لدى الامم المتحدة لم يخرج في مبنى كلامه ومعناه عن الاعتراف فقط بالشخصية الفلسطينية وحق الفلسطينيين في وطنهم وارضهم ( القدس ٢١/٦/١٩٧٣ ) . وترى صحيفة «القدس» — عكس ما تراه صحيفة « الشعب » — ان الموقف المصري في مجلس الامن يهدف الى فضح موقف اسرائيل . وانه بمثل هذا الفهم « يغدو الموقف « تكتيكا » وليس « استراتيجية » بقصد قلب الاوضاع والمفاهيم » وتضيف الصحيفة معتمدة على « حسن النوايا » قائلة : « ان مبادرة الاردن لاعلان المملكة اقليمين اقرار بكيانين او دولتين ، فلماذا لا تقع مبادرة مصر ضمن هذا المفهوم او ضمن أي اطار قريب منه .. أليس حسن النوايا كفيلا بتنسيق الامور وتحقيق الانسجام والتفاهم ؟ » ( القدس ٢٤/٦/١٩٧٣ ) .

وفي الختام لا بد من الاشارة الى ان صحف الضفة الغربية ، على الرغم من معرفتها المسبقة لموقف المقاومة الفلسطينية ازاء مثل هذه الحلول والمشاريع ، فانها تجنبت الخوض في مناقشة هذا الاتجاه مكتفية بالقول ان الموقف المصري الداعي الى اقامة دولة فلسطينية ضمن حدود قرار التقسيم لعام ١٩٤٧ قد يعكس « وجهة نظر مصر تجاه المنظمات الفلسطينية ، لا باعتبارها الوجه الثوري او النضالي للفلسطينيين وانما باعتبارها « ومنظمة التحرير بالذات » وجههم التمثيلي والدبلوماسي » ( القدس ١٩٧٣/٦/٢١ ) .

**عيسى الشعيبي**

# ( ٤ ) اسرائيليات

## برانت في اسرائيل : معركة الكلمات ذات « الطابع الخاص »

زيارة المستشار الالماني الغربي ويلي برانت الى اسرائيل في شهر حزيران الماضي ، هي اول زيارة يقوم بها مستشار الماني غربي وهو في هذا المنصب الى اسرائيل .

بل أن برانت هو اول حاكم الماني يطأ ارض فلسطين ، لا منذ اغتصابها سنة ١٩٤٧ فحسب ، بل منذ سنة ١٨٩٨ ، يوم زار فلسطين القيصر الالماني ويلهالم غليوم الثاني ، وكان من بين مستقبليه « نبي » الحركة الصهيونية بنيامين تيودور هرتسل .

ولقد تنبه الاسرائيليون الى الاهمية الخاصة لهذه الزيارة ، ورددوا اهتمامهم بها قبل أسابيع عديدة من بدء الزيارة ، كما برز ذلك في مقالة كتبها شلومو شبير في جريدة « دافار » الاسرائيلية شبه الرسمية يوم ٧٣/٤/٦ ، وركز فيها على « الاهمية الخاصة والبالغة » لزيارة برانت .

وعادت الجريدة ذاتها قبل بدء الزيارة بثلاثة اسابيع لتؤكد هذه الاهمية ، عبر مقالة كتبها رئوفين عشور ، واعتبر برانت فيها « الناطق الرسمي باسم اوروبا » ( دافار ٧٣/٥/١٥ ) .

وشهدت الاسابيع القليلة التي سبقت الزيارة ، ما يمكن اعتباره تسابقا على الاشادة ببرانت وبماضيه اللانازي ، وبأهمية الزيارة ، وضرورة استقباله بما « يليق به من تكريم » ، فكتبت جريدة بديعوت احرونوت ( ٧٣/٥/١٦ ) : « ان زيارة المستشار الالماني برانت لاسرائيل هي احدى الزيارات السياسية الهامة جدا منذ انشاء الدولة، وان حضور السيد برانت اثناء ممارسة منصبه كمستشار هو خطوة لا تستطيع شخصية أقل صداقة وأقل تمسكا بمبادئها ان تقدم عليها ... واذا لم يحظ السيد برانت في اسرائيل باستقبال لائق ، فلن يحق ذلك لاي ضيف آخر » .

وظل تسابق الصحف الاسرائيلية على تكريم برانت مستمرا حتى يوم وصوله في السابع من حزيران حين اطلق عليه لقب « القائد ذو الاهمية الكبرى في أوروبا » ( معاريف ٧٣/٦/٧ ) .

وفي جميع هذه المقالات والتعليقات ، كان الاسرائيليون يركزون على ضرورة الزام المانيا الغربية باقامة — وأحيانا باستمرار اقامة — « علاقات خاصة ومتميزة مع اسرائيل » مع التذكير بماضي المانيا النازي ، كما ذكرت ذلك بوضوح افتتاحية جريدة « دافار » يوم وصول برانت حيث جاء فيها : « ينبغي ان نضمن ان يواصل الشعب الالماني تحمل مسؤوليته التاريخية، وذلك عن طريق اقامة المانيا علاقات متميزة معنا ، بالرغم من مساعي بون الرامية الى تحسين علاقاتها مع الدول العربية » ( دافار ٧٣/٦/٧ ) .

لكن ، وفي اليوم ذاته ، كان بعض الصحف الاسرائيلية ، قد بدأ يبحث عن اعذار لعدم التمكن من الزام المانيا بالاخذ بسياسة « العلاقات الخاصة » مع اسرائيل ، وكان أول ما أوردته في هذا المجال القول بأن « هناك جهات المانية من أحزاب غير الحزب الاشتراكي الديموقراطي الالماني الذي يتزعمه برانت ، مثل وزير الخارجية الالمانية والتر شيل ، الذين لا تروق لهم وجهة النظر الداعية لاقامة علاقات خاصة مع اسرائيل ، ويطلبون التقرب من الدول العربية ويتأثرون بضغوطها ... » ( هتسوفيه ٧٣/٦/٧ ) .

اضافة لهذا المطلب الاسرائيلي من المانيا الغربية، ومستشارها ، كانت هناك مطالب أخرى ، وجاءت زيارة برانت الى اسرائيل لتثيرها .

من هذه المطالب ان تعمل المانيا الغربية على عدم اتخاذ دول أوروبا الغربية موقفا موحدا ازاء ازمة الشرق الاوسط وطرق حلها .

ومنها ايضا استمرار تدفق المساعدات الالمانية الغربية بأشكالها المتعددة — من التعويضات الى القروض « الاشبه بالهبات » — الى اسرائيل .

ومنها ايضا صدور بيان مشترك عن محادثات برانت والمسؤولين الاسرائيليين وعلى رأسهم غولدا مئير اثر انتهاء زيارته لاسرائيل .

وقبل ان نعرض ما تحقق وما لم يتحقق من هذه المطالب الاسرائيلية ، يجدر ان نذكر بأن المستشار الالماني قد رد على تحية الترحيب الاسرائيلية ،

بأحسن منها ، حيث انه ما كاد يصل الى مطار اللد ، وتعزف الموسيقى نشيدي « هتكفا – الامل » الاسرائيلي ، و« دويتش لاند اوبر اليس – المانيا فوق الجميع » الالماني ، حتى انتقل الى القدس وزار – كما هو مسجل في برنامج الزيارة – متحف « يادفشيم » لتخليد ذكرى ضحايا النازية ، وهناك خرج على برنامج الزيارة ، عندما تقدم من الميكروفون داخل المتحف وقرأ فقرات من المزامير باللغة الالمانية « وكانت تلك اول مرة تقرأ فيها مثل تلك الفقرات باللغة الالمانية في ذلك المتحف » ( رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٦/٨ ) .

نعود الان الى المطالب الاسرائيلية واحدا واحدا بادئين بالاول بينها ، وهو المتعلق باقامة « علاقات خاصة » مع اسرائيل .

كان هذا الموضوع بالذات ، قد وجه بصيغة سؤال الى والتر شيل وزير خارجية المانيا الغربية ، اثناء مؤتمره الصحافي الذي عقده في القاهرة يوم ٧٣/٥/٢٢ ، لدى اختتام زيارته لمصر ، ورد عليه بالقول انه « ليست هناك علاقات خاصة بين المانيا واسرائيل ، الا ان هناك علاقات ذات طابع خاص ، اساسها التاريخ المشترك الذي يميز الشعبين » . ( رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٥/٢٣ ) . ولقد رأى بعض المعلقين العرب في هذا التصريح ردا لبقا من شيل هو في الواقع اختيار موفق لكلمات لا تغضب العرب اكثر منه موقفا سياسيا لحكومة المانيا الغربية .

وظل هذا التفسير واردا الى أن جاءت زيارة برانت الى اسرائيل ، حيث ردد تعبير شيل أكثر من مرة ، بل أضاف له كلمة « طبيعية » لوصف العلاقات التي تربط المانيا باسرائيل ، وحتى عندما تحايل أحد الصحافيين على برانت وسأله في المؤتمر الصحافي الذي عقده يوم ٧٣/٦/٩ حول ما اذا كانت المانيا تنوي « الاستمرار بعلاقاتها الخاصة مع اسرائيل » ، اجاب برانت بأنه « يجب النظر الى العلاقات بين المانيا واسرائيل على ضوء الاحداث في عهد الحكم النازي ، ونقصد بذلك ان العلاقات الطبيعية بيننا هي ذات طابع خاص » . ( هآرتس ، دافار وغيرهما ، ٧٣/٦/١٠ ) .

ومع تبين ان استخدام هذا التعبير لوصف العلاقات الالمانية الاسرائيلية ، انما يعكس مبدأ سياسيا تلتزم به حكومة المانيا الغربية بأحزابها المؤتلفة ، جاءت ردود الفعل الاسرائيلية ، متراوحة بين عكسها للقلق وعكسها للغضب .

وفي حين اكتفت جريدة « هآرتس » المعروفة برصانتها – بالمقارنة مع صحف العدو الاخرى – بالقول « ان لشعب اسرائيل ودولته الحق في أن ينالوا من المانيا معاملة دائمة ذات طابع خاص ، لا ان تكون هذه المعاملة مرحلة انتقالية تنتهي بالسعي وراء المصالح » ، وكانت بذلك تعكس قلقا اسرائيليا واعترافا ضمنيا بأن مصالح المانيا الغربية تكمن في تغيير سياستها ازاء اسرائيل والدول العربية ، تجاوزت جريدة « هموديع » – الناطقة بلسان الحزب الوطني المتدين ، وأحد أطراف الائتلاف الحاكم في اسرائيل – هذا الحد ، وقالت « ان العبارة التي يستخدمها المستشار هي بمثابة دعوة غير طبيعية ، وينبغي ان نقول للمستشار برانت انه لن تقوم علاقات طبيعية بين اسرائيل والمانيا . والواقع ان الوقت قد فعل فعله ، لكن هناك حدودا ايضا للعلاقات الشخصية ، ( تقصد الصحيفة الترحيب ببرانت نظرا لماضيه المعادي للنازية ) ويبدو لنا اننا وصلنا الى حافة هذه الحدود » ( هموديع ٧٣/٦/١١ ) .

وكما كان برانت واضحا في هذه النقطة ، كان واضحا وحادا ازاء المطلب والامنية الاسرائيلية الثانية ، المتعلقة بالتزام المانيا الغربية موقفا يمنع من اتخاذ موقف موحد لاوروبا الغربية ازاء الشرق الاوسط وأزمته .

ومبعث التخوف الاسرائيلي من موقف موحد تتخذه دول اوروبا الغربية ، يفسره عدم ارتياح اسرائيل لمواقف فرنسا ، وتخوفها من انحياز بريطانيا الى جانب الحق العربي من ناحية ، ومن ناحية ثانية ، اقتناع اسرائيل بأن اي موقف موحد لدول اوروبا الغربية ، لا بد الا ان يكون نتيجة لمبادرة فرنسية ، او فرنسية بريطانية . وكلما يتذكر الاسرائيليون هذا الموضوع يرد في ذهنهم المشروع الذي يسمونه « وثيقة شومان سيئة الذكر » ويقصدون بذلك المشروع الذي تقدم به موريس شومان وزير الخارجية الفرنسي وأقره مؤتمر وزراء خارجية دول السوق الاوروبية المشتركة في السنة الماضية ، وهو يدعو الى انسحاب اسرائيل من جميع الاراضي العربية التي احتلت في حرب حزيران ١٩٦٧ .

وكان برانت قد رد على سؤال في مؤتمره الصحافي المذكور ، بقوله : « آمل ان نستطيع مع مرور الزمن ان نطور سياسة اوروبية غربية مشتركة

بالنسبة للشرق الاوسط والمناطق الاخرى . واقول لكم بصدق سيداتي وسادتي ان اوروبا الغربية ستتحد في النهاية » . ( رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٦/١١ ) .

ولقد وصف اريبه ميكل معلق اذاعة العدو هذا الرد بأنه « جواب قاطع من شأنه ان يقلق اسرائيل ان لم يكن على المدى القصير ، فعلى المدى البعيد» ( المصدر السابق ) .

اما فيما يتعلق بالمطلب الاسرائيلي الثالث ، وهو استمرار تدفق المساعدات الالمانية لاسرائيل ، فقد كان الموقف الالماني منسجما مع مطالب اسرائيل. ومعروف ان « العلاقات الاقتصادية بين المانيا واسرائيل كانت اول جسر اقيم للتفاوض بين اليهود والالمان بعد الحرب ، ذلك ان اتفاقية لوكسمبورغ [ للتعويض على ضحايا النازية ] التي أقرت عام ١٩٥٣ ، درت ولا تزال تدر على دولة اسرائيل ومواطنيها مليارات الماركات الالمانية . وبهذه المليارات وضع اساس الصناعة والملاحة في اسرائيل ، ... وعدا التعويضات تقدم المانيا الغربية لاسرائيل سنويا ومنذ ٢٢ عاما قروضا للتنمية . وفي البداية اتفق اديناور وبن غوريون على ٤٠ مليون دولار سنويا ، واليوم تحصل سنويا على ١٤٠ مليون مارك قروضا طويلة الاجل وبفائدة منخفضة جدا ، وليس فقط قروضا تدفع على أقساط » ( رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٦/٤ ). وقالت جريدة « معاريف » في تعليق لها على ما تحقق من زيارة برانت لاسرائيل « ان احدى نتائج الزيارة كانت الاتفاق على تشجيع الاستثمارات الالمانية في اسرائيل » ( معاريف ٧٣/٦/١١ ) .

وعن المطلب الاسرائيلي الرابع حول صدور بيان مشترك عن محادثات برانت في اسرائيل والذي لمحت بعض المصادر في اسرائيل الى رغبتها في صدوره ، اوضح برانت انه في جميع زياراته التي يقوم بها للدول الاجنبية يحرص على عدم صدور بيان مشترك ، مكتفيا بما يعطيه من تصريحات يعتبرها ملزمة، وانتهت الزيارة فعلا دون ان يصدر عنها بيان رسمي مشترك .

وفي تقييم الاسرائيليين النهائي للزيارة انها — على حد تعبير جريدة « دافار » يوم ٧٣/٦/١٣ — « قد جاءت لتأخذ اكثر مما لتعطي » . وهذا التحفظ ازاء الزيارة بمجملها عكسته بالاضافة الى «دافار» جريدة « معاريف » التي قالت « ان الزيارة قد امتازت بالتوفيق الا أن اقتراحات المستشار كانت حذرة ومتحفظة ، وقد اوضح جيدا حدود صداقته لاسرائيل ، وهي الصداقة التي لا يرافقها الالتزام والتأييد السياسي او المساندة للموقف الاسرائيلي . ويعتقد ان المستشار قد طلب اعفاء بلاده من اي تعهد سياسي ينبع عن النكبة ) تقصد الحرب العالمية الثانية ) . ومن الصعب ان نرى في تسلسل مثل هذه الاحداث مكسبا سياسيا لاسرائيل » . ( معاريف ٧٣/٦/١١ ) .

من ناحية ثانية ، ذكرت جريدة «يديعوت احرونوت» في عددها يوم ٧٣/٦/١٥ ، ان المستشار الالماني برانت قد قال انه « عندما سندخل الامم المتحدة في تشرين الاول ( اكتوبر ) المقبل سوف نتصرف ازاء اسرائيل هناك كأصدقاء ، ... واكد انه لا يجب ان تدفع اسرائيل ثمن توسيع السوق الاوروبية المشتركة » .

لكن ابرز ما نقل عما دار بين برانت ومئير ، كان تعبيره عن اعتقاده بأن على اسرائيل ان تكون مهتمة بالاسراع في الاعتناء بشؤون المنطقة ، بل كذلك المبادرة من جانبها الى التقدم نحو تسوية سلمية خلال وقت قريب ، كما حذر من ازدياد ازمة الطاقة في العالم ، الامر الذي قد يؤدي الى توجيه ضغط متزايد من جانب دول النفط العربية على الغرب ، لفرض السلام في المنطقة » ( يديعوت احرونوت ٧٣/٦/١٥ ) .

واذا كان كل ما تقدم مقصورا على الصعيد الرسمي ، فماذا عن العلاقات الاسرائيلية الالمانية على الصعيد الشعبي ، وعلى صعيد المستقبل بشكل خاص .

بالنسبة الى اسرائيل هناك تعبير دارج يردده الاسرائيليون كثيرا ، يقول « ليس للنقود رائحة » وهم بذلك يجدون المبرر لانفسهم بأخذ المساعدات المالية الالمانية والتعويضات عن ضحايا النازية ، دون الالتزام باعتبار قضايا الماضي المعوض عنها منتهية ، وحتى الان كان اكثر الاسابيع الثقافية فشلا في اسرائيل ، الاسبوع الثقافي الالماني في العام الماضي ، ومثل « الجسر الثقافي » الذي يربط اسرائيل بالمانيا الغربية ، بقية الجسور باستثناء الجسر الاقتصادي طبعا .

اما في المانيا فقد ذكر احد الاسرائيليين في لقاء تم مع الدكتور باول فرانك سكرتير حكومة المانيا الغربية ، الذي رافق برانت في زيارته الى

اسرائيل ان استفتاء اجراه معهد « السنباخ » في المانيا وكان موضوعه موقف الالمان ازاء اسرائيل والعرب ، قد أوضح « ان ٣٧ ٪ من الذين وجهت اليهم الاسئلة قد اعربوا عن تأييد غير محدود لاسرائيل في مقابل ٥ ٪ فقط ايدوا العرب ... كما تبين انه كلما صغر سن الموجهة اليهم الاسئلة في هذا الاستفتاء ، زادت نسبة التأييد لاسرائيل ، وفي حين ٤٤ ٪ من مؤيدي اسرائيل تتراوح اعمارهم بين ١٦ و١٩ سنة فان من تزيد اعمارهم على ٦٠ سنة شكلوا ٢٨ ٪ من مؤيدي اسرائيل » ( يديعوت احرونوت ٧٣/٦/١٥ ) .

مقابل هذا الاستفتاء الذي يصعب التأكد من دقته او عدم دقته ، فان هناك حقيقة ملموسة تدحضه تماما .

ففي الاسبوع الثاني من شهر آذار ( مارس ) الماضي عقدت شبيبة الحزب الاشتراكي الديموقراطي الالماني الذي يتزعمه برانت نفسه ، مؤتمرا دعت له شبيبة العديد من الاحزاب في دول اجنبية منها اسرائيل . وفي هذا المؤتمر اعيد انتخاب قادة الشبيبة المعروفين بتأييدهم للحق العربي ، كما اصدر المؤتمر توصيات تندد باسرائيل ، الامر الذي دفع الاسرائيليين في المؤتمر — وكانوا فيه بصفة مراقبين — الى الخروج من قاعة المؤتمر احتجاجا .

ونظرا لما لهذا الموقف من الشبيبة الالمانية من اهمية ، وخاصة بالنسبة لمن يهتم بالمستقبل ، فقد فشل بن حورين — سفير اسرائيل لدى المانيا الغربية — من ضبط اعصابه ، واعلن في اجتماع عقد في بون « ان شبيبة الحزب الاشتراكي الديموقراطي الالماني هي اقلية عمياء وصماء ترفض ان تميز بين التقدمية والرجعية » . ( معاريف ٧٣/٣/١٥ ) .

## الاضرابات في اسرائيل

الموجة الجديدة من الاضرابات ، التي بدأت تعم اسرائيل منذ بداية شهر حزيران ( يونيو ) الماضي، مرشحة لان تستمر وتتصاعد كلما اقترب موعد انتخابات الهستدروت — في شهر ايلول (سبتمبر) المقبل — والانتخابات البرلمانية العامة للكنيست — في شهر تشرين ثاني ( نوفمبر ) المقبل — ، وذلك نظرا لازدياد احتمالات تمكن المستخدمين والعمال من تحقيق مطالبهم وحقوقهم في ظل تنافس وتصارع الاحزاب السياسية على نيل ثقة واصوات الناخبين ، بعضها انسجاما مع منطلقاتها وسياستها وبعضها الغالب استغلالا لها ، وجميعها معا تبرز التخلخل شبه الدائم في علاقات العمل داخل اسرائيل .

وبرغم ان جريدة « دافار » هي رسميا جريدة الهستدروت ، وان الهستدروت رسميا هي التي يفترض ان تناصر وتؤيد العمال والمستخدمين لنيل حقوقهم من ارباب العمل ، بصفتها « النقابة العامة للعمال في اسرائيل » ، فان موقف الهستدروت ازاء اكثر من تحرك عمالي ، اثبت انها اقرب الى رب العمل منها الى العامل .

وفي ظل اقتراب موعد الانتخابات ، وازدياد عنف موجة الاضرابات ، تحركت غالبية الاحزاب غير المشاركة في الائتلاف الحاكم ، الى درجة ان كتلة غاحال اليمينية المتطرفة — المكونة من حزبي « حيروت » و« الاحرار » — نشرت في الصحف الاسرائيلية عددا من الاعلانات التي تهاجم فيها سياسة الحكومة الاقتصادية .

ولقد شملت موجة الاضرابات قطاعات واسعة ومتعددة ، بدءا بالاطباء وانتهاء بعمل مصنع الورق ، مرورا بأعضاء السلك الجامعي وصحافيي هيئة الاذاعة والتلفزيون ومستخدمي الجمارك وغيرهم .

ومنذ صباح يوم ٧٣/٦/٧ ، اعلن ٦٠٠٠ طبيب في اسرائيل يعملون في «صندوق المرض» والمستشفيات الاضراب عن العمل ، مطالبين بزيادة اجورهم بنسبة ٦٩ ٪ ، وذلك بعد ان كانوا قد اعلنوا عن « نزاع عمل » يوم ٧٣/٥/١٥ ، ونشروا في الصحف قبل بدء الاضراب بأيام اعلانات قالوا فيها « اننا نريد ان نتقاضى ثلث اجر الطيارين » ( دافار ٧٣/٦/١١ ) .

ورد وزير صحة العدو على هذه المطالبة بانه « بلغ معدل النسبة التي اقترحنا اضافتها الى رواتب الاطباء ٤٥،٦ ٪ ، وهذه اكبر علاوة اعطيت لاي قطاع من المستخدمين هذا العام » ( المصدر السابق )) ، وزادت جريدة « دافار » الناطقة بلسان الهستدروت « ان على الذين يطالبون بتقاضي رواتب

تعادل ثلث رواتب الطيارين ، ان يعلموا بأن قضايا العمل والرواتب تخضع لقانون العـــرض والطلب ، وان نسبة الاطباء في اسرائيل مرتفعة جدا ، كما ان نسبتهم ستزداد كثيرا خلال السنوات المقبلة » ، وكانت « دافار » بذلك الى جانب تحريضها ضد الاطباء المستخدمين تشهر في وجههم سيف التهديد .

وكان اضراب الاطباء قد بدأ بموافقة نقابة الاطباء ، وعدم تدخل الهستدروت رسميا ، لكن بعد مرور ١٣ يوما على بدء الاضراب ، وازدياد عنف حملة التشهير بهم اعلنت اللجنـــة التنفيذية العامـــة للهستدروت عن حقيقة موقفها ، ودعت نقابـــة الاطباء الى انهاء الاضراب واستئناف العمل المنتظم فورا ، وتسوية نزاع العمل « طبقا للمقترحات التي قدمها ممثلو الحكومة ، وصندوق المرض ... وكان قرار المطالبة هذا قد اقر بأغلبية ٤٤ صوتا ( اصوات « التجمع » و« الاحرار المستقلون » ) ضد ٢٠ صوتا للكتل الاخرى ، وامتناع « كتلة الاخوة » عن التصويت » ( رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٦/٢١ ) .

ومع استمرار اضراب الاطباء اخذت الازمة بينهم وبين « ارباب العمل » تزداد تعقيدا ، الى درجة اضطرتهم التهديد بتصعيد اضرابهم ، فانهالت عليهم التهم التي وصلت حد وصف تصرفهم بأنه يتنافى مع الاخلاق ، وكتبت « يديعـــوت احرونوت » يوم ٧٣/٦/٢٦ : « ان الاطباء كانوا يحظون بعطف غير قليل من جانب الشعب الذي كان يتفهم كذلك الدوافع التي حملتهم على الاضراب ، وهذا العطف قد يتلاشى كليا بعد ان قرر الاطباء تصعيد العقوبات وقطع الاتصال مع ارباب العمل ( الاطباء المضربون يعملون في المستشفيات ومراكز وعيادات صندوق المرض ) . وان الاضراب المستمر الذي يعده لنا الاطباء يتنافى مع الاخلاق » . وجاء ضمن الحملة على الاطباء تصريح سكرتـــير الهستدروت الذي اتهمهم بأنهم « يعزلـــون انفسهم عن جمهـــور المستخدمين ، وانهم خلافا للحق يعتقدون انهـــم يستطيعون القيام بنضالهم بمعزل عـــن سائـــر مستخدمي الدولة » ( رصد اذاعة اسرائيل ٢٨/ ٧٣/٦ ) .

وبرغم هذه الحملة التـــي تعرض لها الاطبـــاء المضربون ، فانهم صعدوا اضرابهم في اليوم الثالث والعشرين للاضراب ( اي يوم ٧٣/٦/٢٨ ) ، « حيث اغلق في مستشفى ايخيلوف مثلا القسم الداخلي ( و ) واجزاء من قسم الجراحة ، والقسم الداخلي ( أ ) وارسل العشرات من المرضى الى منازلهم » ( المصدر السابق ) .

وفي اليوم ذاته كسب الاطباء الدعوى التي تقدموا بها الى المحكمة ، وسمح لهم بموجب قرار المحكمة بتقاضي اجور مقابل معالجة المرضى اعضاء صندوق المرض ( رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٦/٢٩ ) .

والاقتراح الذي تقدم به مندوبون عن الحكومة ، ورفضه الاطباء يقضي ان « يصبح الراتب غـــير الصافي لمدير القســـم بين ٥٢٠٠ و٥٣٠٠ لـــيرة اسرائيلية ويحتمل ان يصل الى ٥٤٠٠ لـــيرة ، ويصل راتب مدير مستشفى الى ٥٦٠٠ ليرة ، وراتب الطبيب الاختصـــاصي يبلغ ٣٥٠٠ ليرة ، والطبيب العادي في المستوصف يبلغ راتبه ٣٦٠٠ ليرة مقابل ٢٤٠٠ ليرة سابقا ، كذلك وافق مندوبو الحكومة على ان يضاف الى رواتب الاطباء مقابل تحسين الخدمات ، مثل الزيارات في المنازل ، ٢٥٠ ليرة اضافية » ( رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٦/٢٨ ). على ان هذه المبالغ هي مجمل الراتب قبل حسم الضرائب العديدة .

لكن اضراب الاطباء ظل مستمرا حتى مطلع هذا الشهر ، وانهي يوم ٧٣/٧/٤ ، وقالت جـــريدة « معاريف » انه « ليس في الاتفاق الذي تم التوصل اليه اي بند لم يكن بالامكان الاتفاق عليه قبل بدء الاضراب ، ولم يكن للاضراب اي داع ، ولم يكن بالامكان ان ينتهي بانتصار احد الطرفـــين » . ( معاريف ٧٣/٧/٥ ) ، ولـــم ينشر اي توضيح لشروط الاتفاق ، لكن وزير الصحة اعلن بأن زيادة الرواتب لم تزد اكثر من ٤٥٦ ٪ واعلن الاطباء في المقابل انهم احرزوا ما طالبوا به .

وفي حين كـــان اضراب الاطبـــاء مستمرا فشلت المفاوضـــات بين النقابـــة القطرية للصحافيـــين الاسرائيليين وهيئة الاذاعة ، وبدأ اضراب الاذاعة منذ صباح يوم ٧٣/٦/١٢ ، حيث توقف البث من اذاعة اسرائيل نهائيـــا باستثناء ثـــلاث نشرات اخبارية يوميا فقط باللغتين العبرية والعربية في الساعات السابعة صباحا والثانية ظهرا والثامنة مساء ، كذلك استمر بث نشرات الانباء عبر البرامج الموجهة الى اوروبا الشرقية ، وتوقف بث برامج التلفزيون الاسرائيلي نهائيا وبدون استثنـــاء . ( صحف يوم ٧٣/٦/١٣ ) .

واستمر شل اذاعة العدو اسبوعا كاملا ، حيث استؤنف بث البرامج الاذاعية عند منتصف ليل ١٨ — ٧٣/٦/١٩ ، وذلك بعد توقيع ادارة مصلحة الاذاعة ووفد النقابة القطرية للصحافيين وممثلي المستخدمين على مذكرة تقضي بأن يطبق على الصحافيين في مصلحة الاذاعة الاتفاق الذي كان وقع من قبل مع المهندسين .

وقبل انهاء اضراب الصحافيين العاملين في اذاعة العدو بثلاثة ايام كان العمال المياومون في مصنع الورق في الخضيرة — وعددهم ٨٠٠ عامل — قد أعلنوا الاضراب ، وغادروا مواقع عملهم في حين استمرت الالات في المصنع بالعمل « الامر الذي عرض محتويات المصنع للخطر » على حد قول مجلس امناء المصنع ، الذي هدد العمال عندما فوض ادارة المصنع بالاستعداد لاغلاق المصنع « الذي يزود اسرائيل بـ ٥٠ ٪ مما تستهلكه اسرائيل من الورق، ويشغل عدا المياومين المضربين ٥٠٠ مستخدم شهري » . ( رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٦/٢٠ ) . لكن مجلس عمال الخضيرة ايد الاضراب ومنح المضربين تأييدا تاما .

ويوم عودة الاذاعة الى العمل المنتظم ، اعلن مستخدمو الجمارك والضريبة الشرائية والمكوس في تل ابيب ايقاف اعمالهم لمدة ساعتين ، وعقدوا اجتماعا اقروا اثناءه قرارات لجنتهم القطرية التي دعت الى البدء بفرض العقوبات اعتبارا من يوم ٧٣/٦/١٩ ، وذلك احتجاجا على رفض سكرتارية هستدروت مستخدمي الدولة طلبهم بتشكيل لجنة للاطلاع على شروط العمل الخاصة بهم ( هآرتس ٧٣/٦/٢٠ ) ، وبموجب هذه القرارات امتنع المستخدمون عن استقبال الجمهور بعد الساعة ١١ ظهرا .

ويوم ٧٣/٦/٢٦ بدأ العلماء الباحثون في جهاز الامن ممارسة عقوبات ادارية ، وطالبوا الهستدروت بالموافقة على اعلان الاضراب العام في مطلع هذا الشهر ( تموز — يوليو ) ، وقال هؤلاء في ندوة صحافية في حيفا انهم يطالبون الحكومة بالاعتراف بمبدأ وجوب مساواة اجورهم مع زملائهم في المؤسسات الثقافية العليا . ( معاريف ٧٣/٦/٢٦ ) .

واعلنت منظمة المعلمين ونقابة المعلمين الثانويين يوم ٧٣/٦/٢٧ عن نزاع عمل وتهديدات باتخاذ تدابير منها الاضراب عن التدريس في مطلع العام ترجمهم مع سلم التدرج الجديد للمهندسين . ( رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٦/٢٧ ) .

وفي اليوم التالي قررت سكرتاريات هستدروت مستخدمي الدولة ، انه اذا لم تلب الحكومة حتى عشية يوم السبت ٧٣/٦/٢٩ طلبهم الرامي الى الشروع في مفاوضات فورية حول مطالبهم بدء اضراب ( رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٦/٢٩ ) .

وطلب يغآل الون من مستخدمي الدولة تأجيل الموعد الذي حددوه لبدء الاضراب ريثما يعود بنحاس سابير وزير مالية العدو من اميركا ، لكن سكرتاريات مستخدمي الدولة رفضت هذا الطلب، ثم عادت فتبلته . ( رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٦/٣٠ ) .

كذلك شهدت اسرائيل اضرابات اخرى منها اضراب كبار الاساتذة والمحاضرين في الجامعة العبرية في القدس يوم ٧٣/٦/١١ ، وكان زملاء المضربين في جامعة بار ايلان ينوون اعلان الاضراب هم ايضا ، الا ان رئيس قضاة المحكمة الاقليمية للعمل في تل ابيب اصدر أمرا مساء يوم ٧٣/٦/١٠ ( عشية بدء الاضراب ) منع السلك الجامعي في بار ايلان بموجبه من الاضراب ، « لكن القاضي لم يصدر أمرا مماثلا لمنع اعضاء سلك المساعدين من الاضراب ، وذلك لانهم مضربون منذ الشهر الماضي ( أي شهر نيسان — ابريل ) » . ( رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٦/١١ ) .

ولقد عبر عن الجو الذي يخيم على علاقات العمل في اسرائيل ، اعلان في جريدة «يديعوت احرونوت» في عدد يوم ٧٣/٦/١٥ ، دفعت ثمنه كتلة غاحال اليمينية المعارضة وجاء فيه : « ٨٠٠٠ طبيب يبحثون عن وزير الصحة ، ٥٠٠٠ عضو في سلك الجامعات يبحثون عن وزير التربية والتعليم ، ٢٥٠٠٠ مستخدمي السلطات المحلية يبحثون عن وزير الداخلية . ان الاضراب يشمل مستخدمي هيئة الاذاعة الذين يبحثون عن نائب رئيسة الحكومة . وجميع هؤلاء يبحثون عن وزير المالية . ايها المواطن ، هذا هو الواقع : الخدمات الاكثر حيوية معطلة ، وانت الذي يعاني من ذلك . استخلص النتيجة ، وتكتل حول كتلة غاحال » .

وبدون ان يكون واضحا بعد مستقبل الاضرابات الجديدة ، انتقل سيلها من شهر حزيران الى شهر تموز الحالي .

## غولدا مئير : من الاصرار على الرفض .. الى الاصرار على الاستمرار ؟

رئيسة حكومة العدو غولدا مئير، اعلنت ، رسمياً، في السابع عشر من شهر حزيران الماضي ، عن عزمها الاستمرار في تولي منصب رئاسة الحكومة فترة ولاية جديدة .

ومدة الولاية في اسرائيل اربع سنوات ، تنتهي بانتخابات برلمانية عامة لتشكيل الكنيست الجديدة المكونة من ١٢٠ عضواً .

وكانت مئير قد رددت على مدى اشهر عديدة اصرارها على رفض الاستمرار في رئاسة الحكومة في الولاية المقبلة ، وهو الاصرار الذي تراجعت عنه في واشنطن ، حيث اعلنت هناك ، بعد مقابلتها لنيكسون ، عبر احدى شبكات التلفزيون الاميركية يوم ٧٣/٣/٤ ، بقولها : « ان استمراري في منصبي يرتبط بقرار الحزب ، فوجهوا السؤال حول هذا الموضوع الى حزبي » ، واعتبر هذا التصريح — مع العلم بأن الحزب كان قد طلب والح عليها في الاستمرار بمنصبها — تراجعا عن اصرارها السابق ، ونزولا عند رغبة الرئيس الاميركي ، لا عند رغبة حزبها — وهو حزب العمل الحاكم .

وجاء اعلان مئير الرسمي عن تراجعها، واستعدادها للاستمرار في منصبها ، في رسالة وجهتها الى اهرون يدلين سكرتير عام حزب العمل .

وذكرت مصادر في قيادة حزب العمل التي رحبت بقرار مئير هذا ، ان الدافع وراء قرار مئير بالاستجابة للضغوط القوية التي وجهت اليها ، « يكمن في شبكة من التقديرات ، في وسطها تقديرات تتعلق بالجو المخيم حاليا داخل حزب العمل ، والذي يستدعي استمرار بقاء مئير في مركز القيادة لضمان وحدة الحزب » . ( دافار ٧٣/٦/١٨ ) .

وكان قد برز داخل الحزب اكثر من مرشح لوراثة مئير ، وبدأت تتشكل — او يعاد تشكل — كتل داخل الحزب الواحد ، تدعم وتدعو كل كتلة لمرشحها . ومن هؤلاء المرشحين بنحاس سابير وموشي دايان ويغآل ألون .

وعندما سئل شمعون بيرس — وزير المواصلات الاسرائيلي — الذي يعتبر من الداعين الى دايان عما اذا كان ترحيب حزب العمل باعلان مئير انها ستترشح لمنصب رئاسة الحكومة لولاية جديدة، يعكس خوفا من مجابهة في الحزب بين المرشحين المحتملين ، اجاب بأن هذا الامر « صحيح نوعا ما » ( رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٦/٢٧ ) .

وموقف غولدا مئير الذي تحول من الاصرار على الرفض الى القبول بالترشيح تحول مرة اخرى الى الاصرار على ... استمرار الترشيح حيث أعلنت انها عندما قررت الاستمرار في منصبها لم تكن تعني انها ترمي الى تسليم المنصب بعد مدة الى شخص آخر ، « بل الاستمرار فيه طوال ولاية كاملة » . ( معاريف ٧٣/٦/٢٠ ) . وعادت الى تأكيد اصرارها في الاستمرار في رئاسة الحكومة امام طلاب من جامعة النقب في بئر السبع . ( رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٧/٦ ) .

## (٥) القضية الفلسطينية عسكريا

### حمل الاسلحة في لبنان

في ١٩٧٣/٦/٩ نشرت صحيفة « النهار » نقلا عن مصادر السلطة العسكرية اللبنانية « ان الاوامر المعطاة الى حواجز الجيش والدرك والشرطة في انحاء لبنان هي مصادرة كل سلاح ، وتوقيف حامله ايا تكن جنسيته ، وهذه الاوامر منسجمة مع الاتفاق اللبناني الفلسطيني الحاصل في ١٧ ايار » . وفي اليوم التالي أصدرت وكالة الانباء الفلسطينية ( وفا ) عن مصدر فلسطيني مسؤول تصريحا ينفي وجود أي اتفاق من هذا النوع ويقول « اننا نؤكد مرة اخرى انه لم تجر أية اتفاقات بين السلطة اللبنانية والثورة الفلسطينية في ١٧ ايار ولم يجر أي اتفاق في شأن ما ذكرت « النهار » حول قضية حمل الاسلحة . وان حق ثوارنا في حمل أسلحتهم للدفاع عن انفسهم تكفله اوراق المهمات التي يحملونها من قبل قيادتهم ، وكذلك هو حق القيادات والضباط والمرافقين بحمل أسلحتهم » . ولم يصدر عن السلطة العسكرية اللبنانية بعد ذلك ما يؤكد نبأ صحيفة النهار او ينفيه رغم ان هذا النبأ يطرح مسألة عسكرية حساسة بالغة الاهمية وهي : هل يحق للثوار وقادة الثورة حمل سلاحهم في لبنان للدفاع عن أنفسهم ضد مختلف المخاطر ؟

الثوري ، كل ثوري ، سواء كان في القاعدة أم القمة ، عنصر معبأ دائما ومستنفر في كل الحالات، وهو يعيش حالة « مهمة دائمة » ويعتبر نفسه تحت السلاح في كل لحظة . ويقدر العدو أهمية الانسان الثوري ويعتبره هدفا اساسيا للضربات المضادة ، خاصة وان قوى الثورة لا تقدم أهدافا ماديا تصلح للضرب الا نادرا . والهدف الوحيد الذي تقدمه هو الانسان الذي لا تندلع الثورة الا به ومن أجله . وما دام الانسان الثوري هدفا فان عليه حماية نفسه على اعتبار ان هذه الحماية جزء من حماية الثورة . وتتم الحماية بالاختفاء ، والسرية ، وتطبيق قواعد الامن ، والتمويه ( بمعناه الواسع ) خلال التنقل والاجتماع والاقامة ، وكلها تدابير حماية سلبية لا بد وان ترافقها تدابير حماية ايجابية تتمثل في استخدام السلاح دفاعا عن النفس .

وتزداد ضرورات الحماية الشخصية مع تزايد حجم الخطر . فهي تقل في المناطق النائية المعزولة او المناطق المحررة ، او المناطق التي تسكنها جماهير مؤيدة وتندر فيها حركة الاغراب ، كما تقل اذا كان العدو قليل الديناميكية او عندما تكثر التحديدات المختلفة التي تعرقل عمل العدو خارج مواقعه ، او خارج حدود البلاد المحتلة . على حين انها تزيد بشكل ملحوظ في المدن السياحية المفتوحة وفي المناطق التي تنشط فيها الاستخبارات المعادية المباشرة او غير المباشرة . واذا طبقنا هذه القاعدة على امن الثورة في الاراضي اللبنانية وجدنا ان هناك مجموعة من العوامل الذاتية والموضوعية التي ترفع مستوى الخطر وتزيد بالتالي ضرورات الحماية والامن .

واذا كان من واجب الثورة نفسها سد الثغرات الذاتية ، وضبط مسألة السرية ، ومنع تسرب المعلومات ، والحد من امكانات الاختراق والتغلغل بين صفوفها ، فانها لا تستطيع التأثير على الظروف الموضوعية المحيطة بها وهي : ١ — طبيعة العدو الاسرائيلي الديناميكية ، وتجاهله للاعراف الدولية وخرقه للحدود العربية تحت غطاء امبريالي يحميه من عقاب المجتمع الدولي . ٢ — نشاط الاستخبارات الامريكية في لبنان اعتمادا على قواعد ثقافية واقتصادية وسياسية واسعة الانتشار . ٣ — طبيعة النظام الاقتصادي اللبناني السياحي — الكومبرادوري وطبيعة النظام اللبناني الحر وما ينجم عنهما من تسهيلات يحصل عليها الاجانب في مجالات التحرك والاقامة والعمل وتساعد عمليات الزرع المؤقت او الدائم لعملاء الاستخبارات الاسرائيلية او الاستخبارات الامبريالية المتحدة عضويا مع الاستخبارات الاسرائيلية واستخبارات الدول العربية الرجعية المعادية للثورة .

من هنا تأتي أهمية تأمين الثورة لحمايتها الذاتية. ولقد اشارت مجلة فلسطين الثورة (١٩٧٣/٦/٢٠) الى هذه النقطة بقولها : « ونود ان نذكر هنا بما حدث في ١٠ نيسان [ الاغارة الاسرائيلية على بيروت ] حيث لم توفر السلطة الحماية المطلوبة للقادة الثلاثة حتى بالرغم من تواجد مساكنهم على بعد امتار من مواقع عسكرية للسلطة ، فكانت النتيجة التي شهدنا » . ولا تتعارض الحماية الذاتية بأي شكل من الاشكال مع السيادة

اللبنانية بل تتفق معها وتساندها لانها تجابـــه التعديات الامبريالية والاسرائيلية على امن لبنان وسيادته بشكل مباشر او غير مباشر .
لقد صرحت السلطات اللبنانية والقوى السياسية اللبنانية انها تؤيد الثورة الفلسطينية . وتعمل السلطات ما في وسعها وضمن حدود قدراتهـــا للحفاظ على أمن هذه الثورة . ويمكن اعتبار تآمر القوى المعادية على الثورة تعديا من هذه القوى على السيادة اللبنانية ، على حين لا يمكن بأي شكل من الاشكال اعتبار الجهود التي تبذلها أجهزة الامن اللبنانية والجهود الفلسطينية المكملة لها [ الحماية الذاتية ] تعديا على هذه السيادة بل تدعيما لها . والحماية الذاتية بحاجة لعدة تدابير عملية من بينها حمل السلاح الذي لا يدخل في اطار التعدي على السيادة بل يدخل في اطار منع العدو الحقيقي من التعدي على هذه السيادة.
ولننظر الى الموضوع من جانب آخر . ان الدول التي تتعرض سيادتها وسلامة اراضيهـــا للخطر تستخدم الاساليب الديبلوماسية والسياسية لدرء هذا الخطر ، كما تستخدم القوة المسلحة للغرض نفسه . وتنقسم القوة المسلحة هنا الى جيـــش نظامي وقوات امن ( درك وشرطة ) وميليشيا شعبية مسلحة ( سواء كانت الميليشيا لبنـــانية أم فلسطينية ) . وليس من المنطق اعتبار تسليح الميليشيا اللبنانية ، او تسليح سكان الجنوب ، او تسليح مفارز الدفاع الذاتي في المدن والمصانع والمؤسسات وكل ما يمكن ان يتعرض للعدوان انتقاصا من سيادة لبنان . وينطبق هذا القــول على تسليح المخيمات المعرضة للعدوان ، وتسليح افراد الثورة الفلسطينية وقادتها ما داموا معرضين للخطـــر فـي كـــل لحظـــة وفي كـــل مكان .
والاخطاء ؟ ان المطالبين بمنع حمل السلاحيشيرون الى ما قد تشكله هذه الاسلحة من تحد للمشاعر وما قد تسببه من فوضى ، وبلبلة ، واعتداءات الخ ... ولكن لماذا تشكل الاسلحة بين ايدي الثوار كل هذه السلبيات ، ولا تكون كذلك اذا ما حملتها الشرطة او الدرك او الجيش؟ ان النظام العسكري والقوانين الصارمة التي تمنع السلبيات التي يمكن ان يقع فيها افراد القوات المسلحة النظامية عبارة عن اساليب انضباطية لها مـــا يماثلها داخل قوات الثورة مع فوارق نوعية تتعلق باختلاف القوات الثورية عن القوات النظامية . وكوادر الثورة قادرة على تأمين انضباط ثوري صارم نابع من الوعي السياسي الذي تتمتع به الكوادر والافراد وقناعتهم بقداسة مهمتهـــم التاريخية . ومن المحتمل ان يرتكب بعض الثوار أخطاء انضباطية ، ومن المحتمل ان يؤدي حمل السلاح الى سلبيات ، ولكن من الممكن ايضا انزال العقاب الثوري بالمخالفين . وكما ان من الخطأ المطالبة بسحب اسلحة الشرطة اللبنانية مثلا لان شرطيا استخدم مسدسه « الرسمي » لقتل جاره انتقاما او نتيجة عبث بالسلاح ، فان من الخطأ المطالبة بمنع الثوار من حمل السلاح خوفا من التجاوزات والسلبيات والاخطاء . ان الانسان واحد ، والخطأ البشري واحد ، والعقاب المطلوب واحد . ولكن العقاب ينصب على المذنب والمسيء، ولا يمكن ان يكون جماعيا . وخاصـــة اذا كانت جماعية العقاب تعني تعريض أمن الثورة كلهـــا للخطـــر .

## توحيد قوات الميليشيا الفلسطينية

عقدت قيادة المقاومة في الشهر الماضي سلسلة اجتماعات تم التوصل خلالها الى توحيد قـــوات الميليشيا في مخيمات لبنان . وذكرت صحيفـــة « النهار » ١٩٧٣/٦/١٦ : « واثر ذلك تشكلت قيادات في مختلف المخيمات لتطبيق الاجراء الجديد. وذكرت مصادر المقاومة ان هذا الاجراء هو خطوة أساسية في طريق الوحدة العسكرية الشاملة بين قوات المنظمات الفدائية » .
ويأخذ هذا الخبر أهمية بالغة من حقيقتين هما :
١ — ان استراتيجية العدو وأساليبه لردع الثورة ومجابهتها تعتمد على شن حرب مستمرة ضـــد قوى الثورة في كل مكان عن طريق تسديد ضربات هجومية تشمل مواقع الثورة ومعسكراتها ومقرات قياداتها ، كما تشمل مخيمات الفلسطينيين ومراكز تجمعاتهم . ٢ — ان الميليشيا الفلسطينية هي الجماهير المعبأة والمسلحة والمستعدة لحمايـــة الثورة والدفاع عن المخيمات ومراكز التجمع .
ومن المعروف ان هذا الدفاع يتم وفق اسلوب الدفاع عن مواقع الاقامة المؤقتة لا وفق اســلوب الدفاع عن جبهة محددة. لذا فهو يعتمد على الرصد والانذار ومخافر الحراسة لمنع المفاجآت ، مع السماح لبقية المقاتلين ( الميليشيا ) بالراحة ، شريطة ان يستطيع هؤلاء المقاتلون الالتحـــاق بمواقعهم ( التي تكون نقاطا دفاعية او مجموعات احتياطية متحركة ) فور بدء الانذار بغية الاشتراك بمهماتهم في قطاعات سكنهم — لا في قطاعات موزعة

على المنظمات — وفق خطة مدروسة واقعية جرى التدريب عليها بشكل مسبق .

ولا يمكن تنظيم هذا الدفاع ، واعداد المتطلبات الادارية اللازمة له، والقيام بتدابير الامن والتوعية الاساسية الا اذا كانت القوة القائمة به (الميليشيا) موحدة تعمل تحت قيادة ميدانية مركزية واحدة . وتقول كراسة دراسات حول بعض قضايا حرب الشعب — الدفاع عن المخيمات(مركز التخطيط) : « لا يمكن لاية منظمة من منظمات الثورة الفلسطينية الموجودة في مخيم ما تنظيم الدفاع عن هذا المخيم بشكل منفرد . ولا بد ان يكون الدفاع واحدا ، وان تكون خطته واحدة متكاملة مع توزيع المهمات على المنظمات . ويخطىء من يظن ان التنسيق في هذه الحالة يكفي لمجابهة مسائل اعداد الدفاع قبل المعركة ، وتنفيذ المعركة الدفاعية . لان التنسيق بين عدة أطراف ، مهما ارتفع مستواه وحسنت نوايا المشتركين فيه ، عاجز عن مجابهة عدو يعمل ككتلة واحدة . واذا كان التنسيق في الاستراتيجية وعمليات الوحدات الكبرى وعلى مستوى قيادات المنظمات ممكنا بل ومطلوبا فان التنسيق في تكتيكات المجموعات الثورية الصغيرة داخل المخيمات امر غير مجد ولا بد من الاستعاضة عنه بتوحيد القوة تحت امرة قيادة ميدانية واحدة. تمارس دورها خلال الاشتباك بشكل فعلي » . (ص ٤) .

ان الجماهير الفلسطينية تواقة لرؤية اليوم الذي تتوحد فيه القوات المسلحة لجميع المنظمات ، لان هذا التوحيد هو السبيل الامثل لتصعيد العمليات ، وتسهيل مهمات القيادات وتوفير جهودها ، ورفع مستوى الامن والانضباط، وتحسين حالة التدريب ، وتدعيم الوعي السياسي وانهاء حالة التشتت وتعدد الولاءات . ومن الملاحظ ان التنظيمات كلها تعمل ما بوسعها لتنفيذ قرار التوحيد وتحقيق تلاحم الميليشيا بأسرع وقت ممكن. ومن المنتظر ان نرى عما قريب ميليشيا فلسطينية أشد وعيا واكثر قوة وانضباطا وقدرة على تنفيذ المهمات القتالية .

**صواريخ سام — ٦ السوفييتية في سوريا**

الدرع يكمل السيف ، وكل سلاح يستخدم في تقوية الدفاع يقوي بالتالي فاعلية القوة الهجومية ويزيد امكاناتها الضاربة واحتمالات نجاحها . هكذا ينبغي ان نفهم حصول الجمهورية العربية السورية على مزيد من الصواريخ المضادة للطائرات ، ومن بينها صواريخ سام — ٦ . فلقد نشرت **الجيروزاليم بوست** في عددها الصادر في ٧٣/٦/٢١ نقلا عن « مصادر اسرائيلية مسؤولة » أن سوريا تلقت من الاتحاد السوفييتي عددا من بطاريات سام — ٦ ووزعتها حول دمشق . وان هذه الصواريخ هي أحدث ما في الترسانة السوفييتية المضادة للطائرات من أسلحة ( لوريان لوجور ١٩٧٣/٦/٢٢ ) .

وتعتبر سوريا الدولة الثانية — بعد جمهورية مصر العربية — التي تحصل على هذه الصواريخ الحديثة . الصالحة لمجابهة الطائرات المحلقة على ارتفاعات منخفضة وارتفاعات عالية . ويبلغ طول الصاروخ سام —٦ ستة أمتار ومجال عمله من ٩٠ مترا حتى ٣٠،٠٠٠ متر لا ١٠،٠٠٠ متر كما ذكرت المراجع الغربية من قبل عندما قارنت هذا الصاروخ مع صاروخ هوك . وهو يعمل بالوقود الصلب ، ويمتلك اجهزة خاصة لملاحقة الهدف ، ويمتاز بأنه سهل الحركة ويصعب تحديد موقعه بالرصد الجوي نظرا لان شاحنته التي تحمل ٣ صواريخ تعتبر واسطة نقل وقاعدة اطلاق بآن واحد . وهذا ما يعطيه مرونة كبيرة ، ويحمي قواعده من اخطار الطيران المعادي الذي لا يزال متفوقا في سماء المنطقة . ومن المؤكد ان هناك اهمية عسكرية لوجود بطاريات سام — ٦ في مصر وسوريا الى جوار شبكة بطاريات سام — ٢ وسام — ٣ التي يبلغ مجموعها — حسب التقديرات الاسرائيلية — ١٥٠ بطارية. لان هذه الانواع الثلاثة من الصواريخ تكمل بعضها وتخلق شبكات دفاع متطورة على الارتفاعات المنخفضة والمتوسطة والعالية . الامر الذي يؤدي عند انتشار القواعد في جميع المناطق الحساسة الى افقاد السلاح الجوي الاسرائيلي لجزء كبير من أهميته ، وحرمانه من امكانات الردع والضرب بالعمق بلا عقاب . هذا في الدفاع . أما في الهجوم فان المدى البعيد لهذا الصاروخ وقدرته على الحركة يجعلانه قادرا على حماية سماء المعركة الهجومية من موقعه حتى حدود المهمة اليومية للفرقة ، والتحرك خلال الليل لاخذ مواقع جديدة يستطيع منها حماية سماء الارض المكتسبة خلال اليوم السابق ، وحماية سماء المعركة الهجومية لليوم التالي . وتعلق اسرائيل اهمية كبيرة على المغزى السياسي لهذه الصفقة . ويرى العميد الاحتياطي حاييم هرتسوغ كبير المعلقين

العسكريين الاسرائيليين « أن هذا يثبت ان روسيا على الرغم من أن نقطة الثقل في جهودها في الشرق الاوسط تتركز اليوم في الخليج الفارسي [ العربي ] وخاصة في العراق فانها لا تقلص جهودها في هذا الجزء من المنطقة ، اي في دول المجابهة مع اسرائيل » ... « ولا يسمح الاتحاد السوفييتي للعرب بالتخلف في مستوى الاسلحة الموجودة في حوزتهم ، وهذا لا يعود الى ان الروس مهتمون بالضرورة بضمانة ابقاء الكلمة الاخيرة للعرب ، في ما يتعلق بالاسلحة والمعدات ، بل يعود الى ان هناك سباقا آخذا بالاشتداد اليوم ، مع دول غربية ، وخاصة بريطانيا وفرنسا ، اللتان تهتمان بالحلول محل الروس كمصدر لتسليح الدول العربية » ( ر. أ. أ. ملحق العدد ٢٥٠ ص ١١٦ ) . وتذكر وكالات الانباء عن لسان هرتسوغ نفسه « ان تزويد مصر وسوريا بصواريخ من نوع سام — ٦ في وقت تعقد فيه محادثات تمة في واشنطن لخفض حدة التوتر في العالم يدل على ان الاتحاد السوفييتي غير مستعد للتخلي حتى عن جزء من أهدافه في هذه المنطقة » ( النهار ٢٣/٦/٧٢ ) .

ان التعاون السوفييتي — السوري في مجال تدعيم القوة المسلحة السورية هو جزء من التعاون السوفييتي — السوري غير المشروط في كافة المجالات الاقتصادية والسياسية والعلمية . وتذكر مجلة نيوزويك « ان دمشق حصلت في هذا العام على اسلحة سوفييتية يقدر ثمنها بـ ١٨٥ مليون دولار ، وتضم هذه الاسلحة الطائرات والدبابات وصواريخ ستريلا الفردية المضادة للطائرات ( التي كانت من أنجح الاسلحة في يد الشيوعيين في فيتنام ) . ومجمل ثمن ما حصلت عليه سوريا خلال عام ١٩٧٢ كله هو ١٥٠ مليون دولار » ( نيوزويك ٩/٧/١٩٧٣ ) . وتقدر المجلة عدد الخبراء والفنيين السوفييت العاملين في سوريا بـ ١٤٠٠ شخص ، وهذا رقم متوافق مع ارقام معهد الدراسات الاستراتيجية في لندن الذي يقدر عدد الخبراء والفنيين السوفييت في سوريا بـ ١٠٠٠ — ٢٠٠٠ شخص

The Military Balance 1972 - 1973.

ان حصول سوريا على الاسلحة والمساعدات حق من حقوقها وواجب قومي مفروض عليها رغم حاجة مشروعاتها الانمائية والبنائية والتعليمية الخ ... لكل ليرة اضافية . ومهما قيل عن اعباء هذه المصروفات وتأثيرها على خطط البناء الداخلي فهي جزء من قدر الشعب العربي السوري ، وضريبة قومية يدفعها عن طيب خاطر ، وضرورة ملحة لكل دفاع يمنع العدوان والاغتصاب ، وكل هجوم يحرر الارض المغتصبة .

### الاردن تطلب اسلحة بريطانية جديدة

في يوم ١٠/٧/١٩٧٣ وصل الملك حسين الى لندن قادما من ايران لاجراء محادثات سياسية وعسكرية مع زعماء الحكومة البريطانية ومن بينهم رئيس الوزراء ادوارد هيث ، ووزير الخارجية اليك دوغلاس هيوم ، ووزير الدفاع لورد كارنغتون ، والوزير المسؤول عن المساعدات للبلدان الاجنبية ريتشارد وود . ولقد نقلت اذاعة اسرائيل عن صحيفة الغارديان « ان حسين يأمل في عقد صفقة أسلحة هنا بمبلغ ٢٥ مليون جنيه استرليني . فهو قلق حيال تزايد القوة الاسرائيلية في مجال المدرعات . ويريد أن يحصل من بريطانيا على دبابة تشيفتن المتطورة » ( ر.أ.أ. ملحق العدد ٢٦٦ ، ص ٢٨٤ ) .

وتعتبر الدبابة تشيفتن من أحدث الدبابات في العالم . وهي دبابة ميدان رئيسية ثقيلة مزودة بمدفع عيار ١٢٠ مم مع عداد مدى قادر على حساب المسافات من ٥٠٠ الى ١٠،٠٠٠ متر واجهزة للقتال الليلي . ويستطيع مدفع الدبابة الرمي على مسافة ٣٠٠٠ متر بقذائف APDS و٨٠٠٠ متر بقذائف HESH ( وبعد المدى امر مهم في قتال الدبابات وخاصة في المعارك التصادمية ) . وكانت بريطانيا قد قررت تزويد قواتها المدرعة بهذه الدبابة ، ثم باعت ٨٠٠ دبابة منها لايران على ان تسلم على دفعات ، بدأ تسليم الدفعة الاولى منها في عام ١٩٧٢ . ومن المحتمل ان ترفض بريطانيا بيع هذا النوع من الدبابات للاردن بعد أن رفضت بيعه لاسرائيل نظرا لان السياسة البريطانية المعلنة تعارض بيع دبابات تشيفتن الى البلدان المشتركة في النزاع العربي — الاسرائيلي . وحتى لو استطاع الملك حسين الحصول على عدد من هذه الدبابات فان الصفقة التي سيعقدها ستبقى مقيدة بحدود الموقف البريطاني من مسألة النزاع العربي — الاسرائيلي. ذلك الموقف الذي عبر عنه جوزيف غودبر امام الجمعية العربية — البريطانية بقوله بأن بلاده مستعدة لبحث مسألة تقديم السلاح الى العرب

« شريطة ان لا تؤدي الاسلحة الى تبديل ميزان القوى في الشرق الاوسط » ( النهار ١٩٧٢/٨/٢٢ ) ، كما عبر عنه الناطق بلسان وزارة الخارجية البريطانية الذي قال في ١٩٧٢/١٠/١١ « ان سياسة بريطانيا لم تتغير ، وهي لا تفرض حظرا على الاسلحة ، ولكنها لا ترسل الى المنطقة اسلحة تخل بميزان القوى » ( ر. أ. أ. ملحق العدد رقم ٩٢ ) .

ان الدبابة تشيفتن ضرورية جدا لتدعيم سلاح المدرعات الاردني الذي لا يضم دبابات ثقيلة او قانصات دبابات . وكل ما فيه عبارة عن دبابات متوسطة يبلغ عددها حوالي ٣٤٤ دبابة ( ١٩٠ دبابة امريكية من طراز م — ٤٧ ، و١٤ دبابة امريكية من طراز م — ٦٠ ، و١٤٠ دبابة انكليزية من طراز سنتوريون ) The Military Balance 1972 - 1973. وهذا هو ما يدفعه الى السعي للحصول على دبابات ثقيلة تحقق التوازن داخل سلاحه المدرع ، وتجعل هذا السلاح قادرا على تنسيق قواه لتنفيذ مختلف المهمات في المعركة .

وبالاضافة الى الدبابات فان من المحتمل ان يطلب الملك حسين عددا من طائرات لايتيننغ وذلك لتدعيم سلاحه الجوي الذي لا يضم سوى ٥٠ طائرة مقاتلة ( ٢٥ طائرة بريطانية من طراز هوكر هنتر للهجمات الارضية ، و١٥ طائرة امريكية من طراز ف — ١٠٤ أ )

The Military Balance 1972-1973

ولكن لماذا يتجه الملك حسين ورئيس وزرائه زيد الرفاعي نحو لندن للحصول على الدعم السياسي والعسكري بدلا من متابعة التوجه نحو واشنطن التي لم تتأخر في دعمه وباعته عددا من الدبابات الحديثة وسربين ( ٢٤ طائرة ) من الطائرات المقاتلة الجديدة ف — ٥ التي يطلق عليها لقب « فانتوم الدول النامية » ؟ ان الملك حسين يجد نفسه اليوم في مأزق سياسي ، ويرى بأنه فقد القدرة على المشاركة في رسم سياسة المنطقة ، وان مشروع اقامة الدولة الفلسطينية الذي أيده عدد من الدول العربية ورفضته المقاومة بشكل حاسم ، موجه ضد مملكته التي يخشى ان تتقلص حدودها الى حدود امارة شرق الاردن القديمة . لذا فقد وجد ان من مصلحته ان يلجأ الى اصدقائه القدامى بعد ان لاحظ ميل اصدقائه الجدد لمشروع الدولة الفلسطينية .

ومهما يكن من أمر ، وسواء حصلت الاردن على أسلحتها من بريطانيا او من الولايات المتحدة الامريكية فان تحديد الاهمية القومية لهذه الصفقة مرتبط ارتباطا وثيقا بالطبيعة الطبقية لليد التي ستستخدم هذه الاسلحة ، والجهة التي ستسدد اليها ، والاهداف التي ستخدمها ، لان هذه الامور تحدد في النهاية ما اذا كانت الاسلحة معدة لمعركة التحرير ام لقمع الجماهير . ولا شك في أن جماهير الشعبين الفلسطيني والاردني تعلمت كثيرا من الدروس الثمينة في هذا المجال خلال معاركهما المستمرة مع النظام الاردني .

ومن الواضح ايضا ان دبابات تشيفتن المطلوبة من بريطانيا والاسلحة الانكلو — امريكية الاخرى ستلعب بالاضافة الى دورها القمعي الداخلي دورا عربيا يتمثل في خلق قوة قادرة على مضايقة النظامين السوري والعراقي ، ولو بشكل محدود. وتذكر الاسوشيتدبرس في معرض الحديث عن زيارة الملك حسين لبريطانيا التي انتهت دون صدور بلاغ مشترك بريطاني — اردني ، ان ملك الاردن ورئيس الوزراء البريطاني بحثا الوضع في الخليج واتفقا « على وجوب منح ايران كل التأييد الممكن لسياستها الخاصة بايجاد الاستقرار في الخليج ومقاومة الضغط العراقي » ( العمل ٧٣/٧/١٤ ). وهكذا تدعم الاردن قواتها المسلحة ، وتشحذ أسلحتها ، وتعد ما استطاعت من « قوة » بانتظار جولة جديدة على طريق « فتنمة » المنطقة العربية، وعلى طريق التحول الكامل للصراع العربي — الامبريالي الى صراع عربي — عربي سافر .

**المقدم الهيثم الايوبي**

# جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية من ٦/١٣ – ١٩٧٣/٧/١٢

| الرقم | تاريخ العملية: اليوم | الساعة | موقعها | نوع العملية | السلاح المستعمل | خسائر العدو البشرية: قتيل جريح | خسائر العدو المادية | خسائر المقاومة: جريح | قتيل | مفقود | المصدر | تاريخه |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ١ | ٦/١٤ | ظهرا | تل ابيب | تفجير | عبوات ناسفة | غيرمحدد | تدمير عدد من المنشآت | – | – | – | تصريح عسكري رقم٧٤٢ | ٦/١٥ |
| ٢ | ٦/١٥ | مساء | طولكرم | تفجير | عبوات ناسفة | غيرمحدد | تدمير مكتب العمل واحراق محتوياته | – | – | – | تصريح عسكري رقم٧٤٣ | ٦/٢٥ |
| ٣ | ٦/٢٩ | ٢٢،٣٠ | نحلات بن يافي/تل ابيب(١) | تفجير | عبوات ناسفة وحارقة | غيرمحدد | تدمير المركز المهني في شارع عيحت اسرائيل<br>– تدمير شارع السوق بما فيه من متاجر ومستودعات بلغ عددها ١٠ متاجر ومستودع<br>– تدمير مصنعا للورق<br>– تدمير معمل كيماويات<br>– تدمير مصنع صابون كما امتدت النيران الى عدة ابنية مجاورة | – | – | – | تصريح عسكري رقم٧٤٤ | ٦/٣٠ |
| ٤ | ٦/٣٠ | ١٨،٠٠ | ١– غادة بلفور/قرب مطار رامات دافيد الحربي<br>٢– احراش بيت كيشيت/ الناصرة (مناطق عسكرية) | تفجير | عبوات حارقة | غيرمحدد | – احتراق ٤٠٠ دونم من غادة بلفور<br>– امتداد النيران الى معسكرات العدو واصابة المنشآت باضرار<br>– احراق ١٠،٠٠٠ شجرة حرشية في بيت كيشيت<br>– اصابة مجمع للثروات الحيوانية | – | – | – | تصريح عسكري رقم٧٤٥ | ٧/ ١ |

| | | | | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ٥ — ٧/١ | ١١،٠٠ | مزراتس/شرق مدينة حيفا (منطقة عسكرية) | تفجير | عبوات ناسفة وحارقة | غيرمحدد | تدمير القسم الشمالي من معمل البتروكيماويات | — | — | — | تصريح عسكري رقم٧٤٦ | ٧/ ٤ |
| ٦ — ٧/ ٦ | ٢١،٣٠ | طريق الحميدية(٢)/بيسان في الغور الشمالي | كمين | تذائف صاروخية واسلحةرشاشة | غيرمحدد | اعطاب احدى آليات الدورية الثلاث واصابة عدد من الافراد | — | — | — | تصريح عسكري رقم٧٤٧ | ٧/ ٧ |
| ٧ — ٤/١٨ | ظهرا | القدس | تفجير | عبوات حارقة | غيرمحدد | تدمير واحراق أجهزة التبريد فيدار الاذاعة وامتداد النيران الى قسم الارشيف وبعض المكاتب في الطابق العلوي | — | — | — | تصريح عسكري رقم٧٤٨ | ٧/ ٧ |
| ٨ — ٧/ ٨ | ظهرا | كريات اونو/بين تل ابيب وبتاح تكفا | حرق | غير محدد | غيرمحدد | حرق ٤٠٠ دونم من مزارع الحمضيات واستمرت النيران لمدة خمس ساعات | — | — | — | تصريح عسكري رقم٧٤٩ | ٧/ ٩ |
| ٩ — ٧/ ٩ | — | مطار دوف(٣) العسكري/ شمال شرقي تل ابيب | تفجير | عبوات ناسفة | غيرمحدد | حريق هائل في مصفاة البترول كما امتدت النيران الى مخازن الوقود | — | — | — | تصريح عسكري رقم٧٥٠ | ٧/١٠ |
| ١٠ — ٧/ ٩ | — | بني براك/شمال مستوطنة رامات جان | تفجير | عبوات ناسفة | غيرمحدد | تدمير المنشأة | — | — | — | تصريح عسكري رقم٧٥١ | ٧/١٠ |
| ١١ — ٧/١١ | صباحا | تل ابيب | تفجير | عبوات ناسفة | غيرمحدد | تدمير مجمع الضغط العالي الذي يزود تل ابيب والمنطقة الجنوبية بالكهرباء | — | — | — | تصريح عسكري رقم٧٥٢ | ٧/١٢ |
| ١٢ — ٧/ ٦ | — | دورا/الخليل | تفجير | عبوات ناسفة | غيرمحدد | تدمير جزء من مكتب العمل واحتراق محتوياته كما يعتقد بوجود اصابتين | — | — | — | تصريح عسكري رقم٧٥٣ | ٧/١٢ |

١ — اذاع راديو اسرائيل بتاريخ ١٩٧٣/٦/٣٠ في الساعة التاسعة ان النيران تشتعل في مجموعة من المعامل والمصانع في منطقة نحلات بنيامين بتل ابيب . واضافت بان النيران قد شبت مساء ٦/٢٩ وحاول عشرات من رجال الاطفاء اخمادها طوال الليل ، وقد أصيب ستة منهم بحروق ونقلوا الى المستشفى . وتشتعل النيران في المركز المهني القريب من رحوبوت ، عيمق يزراعيل ، نحلات بنيامين ، وشارع السوق ، وابادت النيران حتى الان معامل نجارة ومستودعات اخشاب ومعامل ورق ومستودعا كيماويا ومعملا للصابون . وقطعت شركة الكهرباء التيار عن المنطقة واغلقت الشرطة الشوارع بوجه حركة السير ... بلغت قيمة الخسائر مليون ليرة. ( راجع نشرة **رصد اذاعة اسرائيل** [الصادرة يوميا عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية] العـدد ٢٥٧ بتاريخ ١٩٧٣/٦/٣٠ ص ١٦٠ ) .

٢ — اعترف العدو بالعملية اذ اعلن « اطلقت امس في منطقة سهل بيسان بالقرب من كيبوتس حمدية عدة طلقات على دورية لحرس الحدود ، ولم يصب احد باذى . ورد افراد الدورية باطلاق النار ... » . ( نشرة **رصد اذاعة اسرائيل** العدد ٢٦٣ بتاريخ ١٩٧٣/٧/٧ ص ٢١٤ ) .

٣ — اعترف العدو بالعملية اذ اعلن « أخمد رجال الاطفاء في تل ابيب مساء اليوم الحريق الهائل الذي هدد مخازن النفط قرب مطار دوف ... » . ( نشرة **رصد اذاعة اسرائيل** العـدد ٢٦٥ بتاريخ ١٩٧٣/٧/١٠ ص ٢٢٤ ) .

* **ملاحظة** : تصدر التصاريح العسكرية عن الاعلام العسكري في القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية .

**غازي خورشيد**

# اعادة توطين اللاجئين

## اتفاقية هبة

هذه الاتفاقية ، المؤرخة ٦ نيسان ١٩٧٣ ، معقودة بين حكومة الولايات المتحدة الاميركية الممثلة بوزارة الخارجية (« الوزارة ») ، والنداء الاسرائيلي الموحد ش.م. ، وهي وكالة تطوعية لا تستهدف الربح ، منظمة وقائمة بموجب قانون عضوية الشركات لولاية نيويورك ، وتوجد مكاتبها الرئيسية في ٥١٥ بارك أفنيو ، نيويورك ، ولاية نيويورك ١٠٠٢٢ (« المتلقي ») .

### المادة ١ — الهبة

فقرة ١،١ **الهبة** . بالاستناد الى الفقرة ١٠١ (ب) من قانون التفويض في العلاقات الخارجية للولايات المتحدة لعام ١٩٧٢ والتشريع المتعلق بالمخصصات ، واستنادا الى بنود وشروط هذه الاتفاقية ، تهب الوزارة بموجب هذه الاتفاقية للمتلقي مبلغا لا يزيد عن واحد وثلاثين مليون (٣١،٠٠٠،٠٠٠) دولار اميركي لتقديم المساعدة لاعادة توطين اللاجئين اليهود او من هم في وضع مشابه من اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية في اسرائيل ، (يشار اليهم فيما بعد بكلمة « اللاجئين »*) .

فقرة ١ ، ٢ **استعمال الاموال** . (أ) ان اموال هذه الهبة سوف تستعمل من اجل (١) العناية والمحافظة على ، وبناء او توسيع مركز عبور للاجئين في فيينا ، النمسا ، في طرقهم الى اسرائيل . (٢) تعليم وتدريب واعادة تدريب اللاجئين . و (٣) بناء وحيازة مساكن جديدة ، جناح مستشفى ، ومراكز استيعاب واستقبال للاجئين . ان اموال هذه الهبة سوف تخصص وتوزع على البرامج المحددة في الفقرة ١ ، ٢ (ب) ادناه ، والتي سيجري وصفها بشكل اوفى في المادة ٢ (« البرامج ») .

(ب) ان البرامج والحد الاقصى المخصص لكل منها من هذه الهبة ستكون على الشكل التالي :

| البرنامج | المبلغ بالدولار |
|---|---|
| ١ — تكاليف العناية والرعاية في الطريق لـ ٣٠٠٠٠ لاجىء | ١،٢٠٠،٠٠٠ |
| ٢ — انشاء او توسيع مركز العبور في فيينا ، النمسا | ٥٠٠،٠٠٠ |
| ٣ — انشاء او استملاك مراكز استيعاب واستقبال جديدة | ٤،٠٠٠،٠٠٠ |
| ٤ — انشاء او استملاك جناح مستشفى | ٢،٠٠٠،٠٠٠ |
| ٥ — انشاء او استملاك شقق و/ او بيوت متنقلة | ١٥،٧٠٠،٠٠٠ |
| ٦ — منح جامعية | ١،١٠٠،٠٠٠ |
| ٧ — تدريب واعادة تدريب الحرفيين والفنيين | ١،٠٠٠،٠٠٠ |
| ٨ — تكاليف رعاية للمتدربين اثناء العمل | ١،٢٥٠،٠٠٠ |
| ٩ — تكاليف رعاية في اولبانيم ، ومراكز الاستيعاب والاستقبال | ٤،٢٥٠،٠٠٠ |
| المجموع | ٣١،٠٠٠،٠٠٠ |

فقرة ١ ، ٣ **اعادة التخصيص** . يمكن اجراء تعديل على المبالغ المخصصة للبرامج المبينة في الفقرة ١،٢

* كلمة لاجئين المستعملة في هذه الوثيقة وضعت خصيصا من قبل واضعي الوثيقة بدلا من كلمة مهاجري الاتحاد السوفياتي لاضفاء صبغة انسانية على المشروع ولايهام العالم بان المهاجرين اليهود من الاتحاد السوفياتي هاربون من الاضطهاد .

(ب) بشرط (أ) الحصول على موافقة مكتوبة مسبقة بهذا الشأن من الوزارة للمتلقي . (ب) كل زيادة في المبلغ المخصص لبرنامج يجري مقابلها تخفيض مساو لها من المبلغ المخصص لبرنامج او اكثر من البرامج الاخرى و (ج) لا يتعدى مجموع هـذه الزيادات ٣،١٠٠،٠٠٠ دولار .

**المادة ٢ — البرامج**

فقرة ٢، ١ **العناية والرعاية في الطريق** . يمنح المتلقي مبلغ ٤٠ دولارا للوكالة او المنظمة التي تدير مركز العبور في فيينا في النمسا عن كل لاجيء تستقبله بين الاول من كانون الثاني الى ٣١ كانون الاول ١٩٧٣ . وتستخدم هذه الاموال فقط وبشكل مباشرة من اجل رعاية اللاجئين والعناية بهم في طريقهم الى اسرائيل ومن اجل نفقات تشغيل المركز المرتبطة بصورة مباشرة برعاية اللاجئين والعناية بهم.

فقرة ٢، ٢ **مركز العبور** . ينشيء المتلقي مرفقا جديدا او يعيد تصميم و/ او يوسع مركز العبور الحالي خارج فيينا ، النمسا ، لاستعماله من قبل اللاجئين في طريقهم الى اسرائيل . ويساهم المتلقي بمبلغ لا يقل عن ٥٠٠،٠٠٠ دولار لاغراض هـذا البرنامج من مصادر غير هذه الهبة . ويبدأ البرنامج في أو قبل ١٥ حزيران ١٩٧٣ ، وينتهي في ٣٠ حزيران ١٩٧٥ .

فقرة ٢، ٣ **مراكز الاستيعاب والاستقبال** . يستملك المتلقي او ينشيء مرافق جديدة لاسكان (أ) عائلات اللاجئين القادمة حديثا الى اسرائيل والتي يتلقى واحد او اكثر من افرادها تدريبا في اللغة او في غيرها لفترة محدودة قبل استقراره بصورة اكثر دائمية (ب) اللاجئين الافراد الذين يتلقون بصورة مشابهة ، تدريبا في اللغة او غيرها لفترة محدودة . ان هذا الاسكان سوف يشار له بعبارة « مراكز الاستيعاب » و « مراكز الاستقبال » على التتالي ، ولا يقصد منها ان يشغلها اللاجئون او غـيرهم بصورة دائمة . ان اي التزام رسمي او انفـاق للاموال على هذه الاغراض من قبل المتلقي بعـد ١ كانون الثاني ١٩٧٣ ، سوف يعتبر التزاما او انفاقا لاغراض هذه الهبة .

فقرة ٢، ٤ **جناح المستشفى** . يستملك المتلقي او ينشيء مرافق مستشفى جديد بحيث يكون موقعه وتجهيزه متناسبا مع الاحتياجات الطبية للاجئين . ويجري انشاء وتجهيز هذه المرافق على أحـدث مستوى مطبق في ظل ظروف مشابهة في اسرائيل .

ان أي التزام رسمي او انفاق للاموال من قبـل المتلقي على هذه الاغراض سوف يعتبر التزاما او انفاقا لاغراض هذه الهبة .

فقرة ٢، ٥ **الاسكان الدائم** . يستملك المتلقي او ينشيء بنايات جديدة ذات شقق ، او بيوتا جديدة متنقلة ، اذا وجد ذلك معقولا ومرغوبا ، لاستعمالها للسكن من أجل توطين اللاجئين . هذا الاسـكان يجب ان يصمم وينشأ بحسب مستويات عمرانيـة وهندسية جيدة ، وفي جميع الاحوال بحسـب المستويات التي تعادل، على الاقل، تلك المستويات السائدة في المناطق المجاورة . ان أي التزام او انفاق للاموال من قبل المتلقي على هذه الاغراض بعد ١ كانون الثاني ١٩٧٣ ، سوف يعتبر التزاما او انفاقا لاغراض هذه الهبة .

فقرة ٢، ٦ **المنح الدراسية ، التدريب واعـادة التدريب** : يقدم المتلقي للوكالات والمؤسسـات المناسبة في اسرائيل المبالغ المحددة في الفقرة ١،٢ (ب) (٦) و(٧) المذكورة اعلاه لتوفير (أ) التعليم الجامعي للطلاب واللاجئين المؤهلين و(ب) تدريب واعادة تدريب الحرفيين والفنيين من اللاجئين ذوي المهارات والميول المناسبة . ان الاموال التي يقدمها المتلقي بالاستناد الى هذه الفقرة ٢، ٦، سوف تستعمل فقط وبصورة مباشرة من أجـل الخدمات التعليمية والتدريبيـة ، ويجب ان لا تستعمل للمساعدة في العناية باللاجئين ورعايتهم او لاي غرض آخر . ان أي التزام رسمي او انفاق للاموال من قبل المتلقي على هذه الاغراض بعد ١ تشرين الثاني ١٩٧٢ ، سوف تعتبر التزاما او انفاقا لاغراض هذه الهبة .

فقرة ٢، ٧ **تكاليف الرعاية في اسرائيل**. (أ) يستخدم المبلغ المشار اليه في الفقرة ١، ٢ (ب) (٧) لرفع دخول اللاجئين الذين يتلقون تدريبا اثناء العمـل ، والذين تقل دخولهم عن دخول الاشخاص الذين يقومون بعمل مشابه في اسرائيل على اساس الدوام الكامل . هذه الدفعات سوف لا تقدم للاجئين الذين يتلقون تكاليف رعاية بموجب الفقرة ٢، ٧ (ب) المذكورة ادناه ، وسوف تدار بموجب المبـادىء والاسس التي تدار بموجبها البرامج المشـابهـة الموجودة حاليا في اسرائيل .

(ب) ان المبلغ المشار اليه في الفقرة ١، ٢ (ب) (٩) سوف يستخدم من أجل العناية ب ورعاية اللاجئين المنتسبين لـ « اولبانيم » ( بحسب الاستعمال

الشائع لهذا الاصطلاح في اسرائيل في هذا التاريخ)، وفي مراكز الاستيعاب ومراكز الاستقبال ( بحسب وصفها في الفقرة ٢، ٣، اعلاه ) .

(ج) يجري تقديم تكاليف الرعاية من خلال واحدة او اكثر من الوكالات او المنظمات المسؤولة عن ادارة هذه البرامج او المرافق المشار اليها في هذه الفقرة ٢، ٧، على ان تستخدم هذه المبالغ فقط وبصورة مباشرة من أجل رفع الدخول او العناية باللاجئين ورعايتهم ، ويجب ان لا تستخدم بأية صورة اخرى ، بما في ذلك ، وليس هذا على سبيل الحصر ، النفقات الادارية العامة ، او التكاليف غير المباشرة لادارة الوكالات والمنظمات . ان أي التزام رسمي او انفاق للاموال من قبل المتلقي على الاغراض المحددة في الفقرة ١، ٢ (ب) (٨) و (٩) بعد ١ تشرين الثاني ١٩٧٢ ، سوف تعتبر التزاما او انفاقا لاغراض هذه الهبة .

**المادة ٣ — الصرف**

فقرة ٣، ١ **الصرف** . (أ) بتاريخ لا يتجاوز ١٥ يوما بعد تاريخ هذه الاتفاقية تقوم الوزارة بتسليم ممثل عن المتلقي ، يعين بموجب الفقرة ٣، ٢ (ب) (١) ادناه ، في مكاتب الوزارة في جنيف بسويسرا شيكا او شيكات بمبلغ بقيمة عشرة ملايين (١٠،٠٠٠،٠٠٠ ) دولار امريكي تدفع لـ « النداء الاسرائيلي الموحد ، ش. م. » .

(ب) الدفعات التالية تدفع بنفس الطريقة وبنفس المكان ، بالشكل التالي :

١ — في ١٥ ايار ١٩٧٣ ١٠،٠٠٠،٠٠٠ دولار
٢ — في ١٥ حزيران ١٩٧٣ ١١،٠٠٠،٠٠٠ دولار

فقرة ٣، ٢ **شروط سابقة** . باستثناء موافقة الوزارة كتابيا على العكس ، فان كل عملية صرف بموجب الفقرة ٣، ١ سوف تكون خاضعة لاستكمال البيانات والضمانات والتعهدات من قبل المتلقي بالصورة الواردة ادناه بتاريخ الصرف ، ولاستلام الوزارة شهادة مقدمة بنفس التاريخ ، من قبل وبالنيابة عن المتلقي ، يقدمها مسؤول او ممثل مفوض عنها تكون صورتها كالتالي : « استنادا الى الفقرة ٣، ٢ (أ) من اتفاقية هبة لاعادة توطين اللاجئين المعقودة بتاريخ ٦ نيسان ١٩٧٣ ( « الاتفاقية » ) بين الولايات المتحدة الامريكية ، الممثلة بوزارة الخارجية ( «الوزارة» ) والنداء الاسرائيلي الموحد ش. م. ، وهي وكالة تطوعية لا تستهدف الربح ، منظمة وقائمة بموجب قانون عضوية الشركات لولاية نيويورك ( « المتلقي » ) ، فان الموقع ادناه يشهد بهذا انه مسؤول او ممثل للمتلقي ، ومفوض حسب الاصول لتقديم هذه الشهادة ، وانه ، بناء على معرفته الفعلية واقتناعه ، المستندين الى استقصاء معقول للحقائق والظروف ذات العلاقة ، قد تحقق ، بهذا التاريخ، من استيفاء جميع البيانات والضمانات والتعهدات التي تتطلب الاتفاقية من المتلقي تحقيقها عند هذا التاريخ .

ان هذه الشهادة مقدمة لصالح وبالنيابة عن المتلقي مع ادراك ان الوزارة سوف تستند على البيانات الواردة هنا لاغراض الفقرة ٣، ٢ (أ) من الاتفاقية.

النداء الاسرائيلي الموحد ، ش.م.

التاريخ . . . . . . من قبل . . . . . .

( يكتب الاسم والمنصب )

(ب) وبالاضافة الى هذا ، فان الصرف المنصوص عليه في الفقرة ٣، ١ (أ) سوف يكون خاضعا للتقديم المسبق ، من قبل المتلقي للوزارة ، بصورة مرضية نصا وروحا ، ما يلي :

١ — بيان موقع من قبل مسؤول من جهة المتلقي ، يحدد فيه اسم ممثله المفوض باستلام الدفعات بموجب الفقرة ٣، ١ ، ومرفقا به افادة بتفويض هذا الممثل مع عينة من توقيعه مع التصديق على صحتها ، و

٢ — افادة مرضية للوزارة تفيد ان هذه الاتفاقية قد اعتمدت ووفق عليها ، ويجري تنفيذها من قبل المتلقي ، وانها تشكل التزاما قانونيا صحيحا وملزما للمتلقي ، وان تطبيقها يجري حسب شروطها .

فقرة ٣، ٣ **المبالغ المتحصلة** . (أ) ان المبالغ المتحصلة عن الدفعة الاولى والدفعات التالية سوف توضع من قبل المتلقي في حساب يحمل فائدة يفتح بأسمه لهذا الغرض فقط . وسوف يكون للمتلقي السيطرة الكاملة على هذا الحساب وسوف يقوم بالسحب منه للتوزيع على البرامج ، غير ان الفائدة المكتسبة سوف تكون من حق الوزارة وتنقل اليها فور استلامها من قبل المتلقي .

(ب) يمكن للمتلقي ان يحول المبالغ المتحصلة عن هذه الهبة ، في أي وقت ، لاية عملة اخرى ، بالسعر السائد في السوق في زمن ومكان التحويل . وسوف لا تقوم الوزارة بأي تعديل او أي صرف اضافي كنتيجة لاي تغيير في اسعار تحويل العملات الوطنية ، سواء حدث هذا قبل او بعد تاريخ الصرف .

## المادة ٤ — البيانات والضمانات والتعهدات الاضافية من قبل المتلقي

فقرة ٤، ١ الاستعمال من قبل اللاجئين : لكي يصبح المتلقي مؤهلا لاستلام هذه الهبة ، يتوجب عليه ان يبين ويضمن للوزارة بأنه (أ) سوف يجري انفاق المبالغ المنصوص عليها في الفقرات ٢، ١ و ٢، ٦ و ٢، ٧، لمصلحة اللاجئين فقط . (ب) ان المرافق المستملكة او المنشأة ، بالاستناد الى الفقرتين ٢، ٢ و ٢، ٥ سوف تستعمل مبدئيا لمصلحة اللاجئين فقط و (ج) ان هناك توقعا معقولا بأن البنايات والمرافق المستملكة او المنشأة بموجب الفقرات ٢، ٢ و ٢، ٣ و ٢، ٤ و ٢، ٥ سوف تستعمل بالدرجة الاولى لمصلحة اللاجئين لعدد كبير من السنوات .

فقرة ٤، ٢ السمسرة. يبين المتلقي ويضمن للوزارة، بأنه ، فيما يتعلق بهذه الهبة وبتنفيذ هذه الاتفاقية ، لم يدفع ولن يدفع ، وانه بحسب علمه ، لم يجر ولن يجري من قبل أي شخص او هيئة ، دفع أية سمسرة او مقابل اتعاب او أية عملية دفع من أي نوع مهما كان ، باستثناء المكافآت المنتظمة للمسؤولين والمستخدمين الذين يعملون لدى المتلقي بشكل دائم ، أو باستثناء المكافآت مقابل خدمات مهنية او فنية صحيحة او ما يشابهها ، بالمعدل السائد في الزمان والمكان اللذين قدمت فيهما هذه الخدمات .

فقرة ٤، ٣ اللوحات . اثر اتمام برنامج مركز العبور المشار اليه في الفقرة ٢، ٢ ، واثر استملاك او اتمام بناء كل مركز استيعاب او مركز استقبال المشار اليهما في الفقرة ٢، ٣ ، ومرفق المستشفى المشار اليه في الفقرة ٢، ٤ ، وكل بناية مؤلفة من شقق المشار اليها في الفقرة ٢، ٥، يعمل المتلقي على وضع لوحة معدنية غير قابلة للتلف أو أي علامة مناسبة اخرى ، بجوار المدخل الرئيسي للبناية او المرفق ذي العلاقة ، للاعتراف بمساهمة الشعب الاميركي في اقامته . ويقوم المتلقي بعرض الشكل ونص الكلمات والموقع المقترح للوحة او العلامة بموجب هذه الفقرة ٤، ٣ ، من أجل أخذ الموافقة المسبقة للوزارة ، وذلك بتاريخ لا يقل عن ٩٠ يوما قبل الانتهاء من برنامج مركز العبور ، ومن كل بناية او مرفق جرى تشييده بموجب الفقرات ٢، ٣ و ٢، ٤ و٢، ٥ ، وقبل استملاك أية بناية او مرفق .

فقرة ٤، ٤ موقع المرافق والنشاطات . (أ) يتعهد المتلقي ١ — ان يكون موقع أية بناية أو مرفق يستملك او ينشأ ، استنادا الى الفقرات ٢، ٣ و ٢، ٤ و ٢، ٥ ، في الاراضي التي كانت خاضعة لادارة حكومة اسرائيل قبل حزيران ١٩٦٧ . ٢ — ان تكون المنح الدراسية والتدريب الممول ، استنادا الى الفقرة ٢، ٦ ، فقط في جامعات ومدارس تدريب واقعة في هذه الاراضي او في الولايات المتحدة الاميركية ، و ٣ — توفر تكاليف الرعاية بموجب الفقرة ٢، ٧ فقط للاجئين الذين يعيشون ويعملون او يتلقون التدريب في هذه الاراضي او في الولايات المتحدة الاميركية .

(ب) لا يجوز استعمال أي جزء من هذه الهبة لاستملاك او انشاء بنايات او مرافق بموجب الفقرات ٢، ٣ و ٢، ٤ او ٢، ٥ بدون الموافقة الكتابية المسبقة للوزارة فيما يتعلق بالموقع الجغرافي لها . هذه الموافقة سوف لا ترفض بدون سبب معقول ، وسيتم النظر في طلبات الموافقة هذه بشكل فوري من قبل الوزارة .

فقرة ٤، ٥ ملكية المرافق . يكون للمتلقي ويحتفظ بحق الملكية القانونية والسارية المفعول لجميع البنايات والمرافق التي تستملك او تنشأ استنادا الى الفقرات ٢، ٣ و٢، ٤ و٢، ٥ ، باستثناء انه من الممكن نقل هذه الملكية مع الموافقة الكتابية المسبقة للوزارة (أ) بدون مقابل ، لمنظمة خاصة لا تستهدف الربح أو (ب) عن طريق البيع ، بسعر السوق ، للاجئين ، بحيث تستعمل الاموال المتحصلة من هذا البيع ، من قبل المتلقي، لاستملاك او انشاء مرافق او بنايات اضافية ، مشابهة لتلك التي بيعت ، مع الخضوع في كل حالة لجميع البنود والشروط التي تنطبق على هذه البرامج ، حسب الاتفاقية ، بالدرجة الاولى ، وتخضع ايضا لاعلام الوزارة بشكل مسبق ، وحق الوزارة ، الذي تحتفظ به ، بالمطالبة باعادة هذه الاموال المتحصلة الى حكومة الولايات المتحدة .

فقرة ٤، ٦ المصروفات المباشرة . ان الاموال المتحصلة من هذه الهبة سوف تستعمل فقط وبصورة مباشرة من اجل البرامج المذكورة في هذه الاتفاقية. ويتعهد المتلقي انه لن يخصص أي جزء من أي بند من بنود توزيع الهبة ، ولن يستعمله ليدفع (أ) اية مصروفات عامة ، او ادارية او تكاليف غير

مباشرة تكلفها المتلقي ، محسوبة على اساس المبادىء المحاسبية المقبولة عموما في الولايات المتحدة او (ب) أية مصروفات، محسوبة على هذا الاساس، لاية وكالة او منظمة تقوم بادارة هذه البرامج ، ما لم تكن ناتجة كليا عن الارتباط بهذه البرامج .

فقرة ٤، ٧ **النفقات المعقولة** . ان كلا من البرامج الممولة من هذه الهبة ، سوف يجري التخطيط لها من ادارتها من قبل المتلقي حسب المعايير والممارسات التجارية المعادلة على الاقل لتلك التي تطبق على مشاريع مشابهة تقوم بها في نفس المنطقة الجغرافية، مؤسسات تجارية ذات تجربة وسمعة حسنة . ان جميع الممتلكات والبضائع والخدمات التي يحصل عليها المتلقي او أي وكيل للمتلقي مقابل الاموال المتحصلة من هذه الهبة ، سواء كان ذلك عن طريق الشراء او الاستئجار او خلاف ذلك ، سوف يتم الحصول عليها بأسعار لا تزيد عن الاسعار السائدة للممتلكات والبضائع والخدمات في المكان والزمان اللذين تم بهما الحصول عليها . وتجري ادارة برامج المنح الدراسية والتدريب والرعاية ، مع الاخذ بعين الاعتبار الرغبة في سد حاجات اكبر عدد ممكن من اللاجئين ، وهكذا سوف يجري تحديد الاتفاق على كل لاجىء بالقدر الذي يكفي لتحقيق اغراض هذا البرنامج .

**المادة ٥ ــ التقارير ، والسجلات والمراقبة**

فقرة ٥، ١ **التقارير** . (أ) يقوم المتلقي ، في اليوم الثلاثين او قبل ذلك بعد آخر يوم عمل من كل شهر تقويمي ، بتقديم بيان مصدق الى الوزارة ، ذاكرا فيه الاسم والموطن الاصلي لكل لاجىء انفقت عليه الاموال ، بموجب الفقرة ٢، ١ ، خلال المدة السابقة للتقرير ، وتاريخ وصوله الى مركز عبور فيينا ومغادرته له ، والمعلومات التي تعتبر الوزارة طلبها معقولا .

(ب) خلال ثلاثين يوما من انتهاء كل ربع سنة تقويمية ، يقدم المتلقي الى الوزارة تقريرا يبين وضع كل برنامج ضمن هذه الاتفاقية ، في نهاية مدة ربع السنة . ويجب ان يتضمن التقرير الربعي عن كل برنامج ، بيانا بمجموع المصروفات خلال ربع السنة ، والاغراض التي انفقت من اجلها هذه المصروفات ، والمبلغ المتبقي من الالتزام الوارد في الهبة . وستتضمن التقارير أية معلومات اضافية ترى الوزارة ان طلبها معقول . وسوف يغطي التقرير الربعي الاول الفترة الواقعة بين ١ نيسان الى ٣٠ حزيران ١٩٧٣ ، اما التقرير النهائي المتعلق بكل برنامج فسوف يقدم عن ربع السنة الذي يتم فيه البرنامج .

فقرة ٥، ٢ **البيانات المالية السنوية** . خلال ١٢٠ يوما من انتهاء كل سنة مالية للمتلقي ، يكون فيها اي برنامج غير منته ، يقدم المتلقي الى الوزارة ثلاث نسخ من بيانه المالي السنوي ، معدا حسب المبادىء المحاسبية المقبولة عموما في الولايات المتحدة ، ومصدقا من قبل مراقب حسابات عمومي مقبول للوزارة .

فقرة ٥، ٣ **السجلات ، المراقبة** . (أ) يحتفظ المتلقي في مكاتبه الرئيسية في مدينة نيويورك بسجلات وافية وتامة ودفاتر حسابات حسب المبادىء المحاسبية المقبولة عموما في الولايات المتحدة ، وتغطي التفاصيل المالية العائدة لكل برنامج ، بغض النظر عن كون المتلقي يديرها فعلا بنفسه . ويجب ان تتضمن سجلات المتلقي نسخا عن جميع الاستفسارات بشأن المناقصات وقوائم اسعار البضائع والخدمات التي تطلب بموجب هذه الهبة ، والاتفاقات المتفاوض بشأنها ، وجميع قوائم الاسعار والمناقصات المستلمة ، والفواتير التجارية للموردين ، وكشوف البضائع المشحونة او اية مستندات تتعلق بشحن البضائع المحصلة في الولايات المتحدة ، او ، حسب ما يقتضيه الحال ، اية مستندات تتعلق بالحصول على البضائع والخدمات مثل عقود البيع والخدمات ، وتقديم الاثباتات من قبل المتلقي عند تحصيله البضائع والخدمات بأسعار تزيد عن ادنى الاسعار ، او عند حيازة املاك . هذه السجلات ، وحيث يكون ضروريا السجلات الاضافية ، يجب ان يحتفظ بها بطريقة تسمح بالتحقق من التزام المتلقي بالبيانات والضمانات والالتزامات المتضمنة في هذه الاتفاقية ، بما في ذلك خاصة ، وليس على سبيل الحصر ، التزاماته بموجب الفقرة ٤، ٧ اعلاه .

(ب) يكون للوزارة والمراقب العام للحسابات في الولايات المتحدة ، وأي من ممثليهما المفوضين ، الحق في فحص وتدقيق ونسخ جميع السجلات ودفاتر الحسابات المشار اليها في الفقرة ٥، ٣ (أ) ، وجميع المستندات او التقارير المتعلقة بهذه الهبة او بالبرامج ، وذلك في جميع الاوقات المعقولة . جميع هذه الدفاتر والسجلات ، يجب ان يحتفظ بها وان تكون في المتناول لغرض المراقبة ، لمدة

لا تقل عن ست سنوات بعد تاريخ آخر دفعة من الوزارة .

(ج) يجب الاحتفاظ بسجلات اضافية من قبل الملتقي في مكاتبه الرئيسية في مدينة نيويورك ، وتقديمها للمراقبة بموجب الشروط الواردة في الفقرة ٥، ٣ (ب) ، على الشكل التالي :

١ — اثر استملاك مساكن دائمة او الانتهاء من انشائها ، بموجب الفقرة ٢، ٥ ، يحتفظ بقوائم تحوي اسم كل رب عائلة ( او ساكن منفرد ) يشغل مسكنا ، ومكان اقامته الاصلية ، وعدد الافراد الذين يعيشون مع كل رب عائلة ، وأية معلومات ترى الوزارة طلبها معقولا ، وتكون هذه القوائم في المتناول لغرض المراقبة لمدة ثلاث سنوات بعد امتلاك او الانتهاء من انشاء المساكن .

٢ — فيما يتعلق بالمنح الدراسية والتدريب، يحتفظ بقوائم تحوي اسم كل منتفع بها ومكان اقامته الاصلية ، ومكان ونوع التعليم او التدريب ، وأية معلومات اخرى ترى الوزارة طلبها معقولا ، وتكون هذه القوائم في المتناول لغرض المراقبة ، ما دامت هذه البرامج تمول من هذه الهبة .

٣ — فيما يتعلق بتكاليف الرعاية ، بموجب الفقرة ٢، ٧ ، يحتفظ بقوائم تحوي اسم كل شخص يتلقى او يستفيد من هذه الرعاية ، ومكان اقامته الاصلية ، ونوع التدريب الذي يتلقاه ، وأية معلومات اخرى ترى الوزارة طلبها معقولا ، وتكون هذه القوائم في المتناول لغرض المراقبة ، ما دامت هذه الرعاية تقدم بموجب هذه الهبة .

**المادة ٦ — متفرقات**

فقرة ٦، ١ **انهاء الخدمات** . بالاضافة الى حقوقها بموجب الفقرة ٣، ٢ ، يمكن للوزارة ، حسب تقديرها ، ان تتوقف عن صرف الدفعات بموجب هذه الاتفاقية ، اذا قررت (أ) ان أية دفعة تشكل خرقا لنصوص قوانين الولايات المتحدة ، او (ب) ان حدثا قد حدث يجعل من غير المحتمل ، في تقدير الوزارة ، ان تتحقق اغراض هذه الهبة ، او ان يتمكن الملتقي من اداء التزاماته حسب الاتفاق .

فقرة ٦، ٢ ، **استعادة الاموال** . (أ) اذا قررت الوزارة ان أية دفعة قدمت الى الملتقي ، تشكل خرقا لقانون الولايات المتحدة ، او انها استعملت من قبل الملتقي لاغراض مغايرة للبرامج الواردة في هذه الاتفاقية ، ستقوم باشعار الملتقي كتابيا بذلك . وسيسمح للملتقي بمدة ٣٠ يوما من تاريخ هذا الاشعار للقيام بتصحيح الخرق او المخالفة ، وعليه ان يعلم الوزارة كتابيا بالاجراء التصحيحي الذي اتخذه . واذا لم يتخذ اجراء تصحيحي خلال ثلاثين يوما بحيث يكون مرضيا للوزارة ، فان على الملتقي ان يتخذ الاجراء المناسب لتقليل المصروفات من هذه الدفعة الى الحد الادنى ، ولالغاء الالتزامات القائمة الممولة منها . وبعد دفع المصروفات التي لا يمكن حذفها والالتزامات التي لا يمكن الغاؤها ، على ان لا يتجاوز ذلك مدة ٩٠ يوما من تاريخ اشعار الوزارة ، يقوم الملتقي باعادة ذلك الجزء الذي لم ينفق من الدفعات التي تقرر انها تشكل خرقا لقانون الولايات المتحدة او انها انفقت بطريقة تشكل خرقا لهذه الاتفاقية ، الى الوزارة .

(ب) بدون الانتقاص من أية حقوق اخرى تملكها الوزارة او حكومة الولايات المتحدة بموجب هذه الاتفاقية ، يوافق الملتقي على التعويض على حكومة الولايات المتحدة عن أية تكاليف او اضرار تحملتها كنتيجة لاخفاق الملتقي في الالتزام بما نصت عليه الفقرة ٥ ، ٣ .

فقرة ٦ ، ٣ **استخدام الممثلين**. (أ) جميع الاجراءات المطلوبة او المسموح بالقيام بها او التي يتخذها الملتقي ، يمكن ان يقوم بها واحد او اكثر من الوكلاء المفوضين حسب الاصول بحيث يكونون مقبولين لدى الوزارة . وبالاستناد الى الاتفاقية المعقودة اساسا بتاريخ ٢٥ تشرين الاول ١٩٦٠ بين الوكالة اليهودية لاسرائيل ش. م. ، نيويورك ، والوكالة اليهودية لاسرائيل ، القدس، (و.ي.أ.)، والتي يسري مفعولها حاليا بين الملتقي والوكالة اليهودية لاسرائيل ، القدس ( يرفق طيه الاتفاقية الاصلية والوثائق اللاحقة المتعلقة بها ، باعتبارها مستند رقم ١ ) ، فان الملتقي يعين و.ي.أ. باعتبارها وكيلة المعتمد الوحيد في كافة الامور المتعلقة ، بين امور اخرى ، بـ « تقديم العون والمساعدة للرجال والنساء والاطفال اليهود للهجرة الى اسرائيل [و] لاستيعابهم واعادة تأهيلهم وتوطينهم هناك » ( المستند رقم ١ ، المادة ١ ، الفقرة أ ) . وعلى هذا الاساس توافق الوزارة على و.ي.أ. باعتبارها وكيلا للملتقي لاغراض هذه الفقرة ٦ ، ٣ (أ) .

(ب) ان تعيين او استخدام وكيل او اكثر من قبل الملتقي ، بما في ذلك الـ و.ي.أ. ، بموجب الفقرة

٦ ، ٣ (أ) اعلاه لا يعفي المتلقي من أي التزام بموجب هذه الاتفاقية ، ولا ينتج عنه استبدال هذا الوكيل مكان المتلقي كطرف في هذه الاتفاقية لاي غرض كان .

فقرة ٦ ، ٤ **الحصانة السيادية ، عدم المسؤولية .**
(أ) ان هذه المنحة تقدم ، باعتبارها عملا حكوميا من اعمال السيادة ، من قبل حكومة الولايات المتحدة الاميركية ، ولا يقصد منها اي تخل عن الحصانة السيادية لحكومة الولايات المتحدة ، ولا ينشأ عنه أي حق ادعاء فيما يتعلق بأية مسألة تنشأ عن او استنادا الى هذه الاتفاقية .

(ب) بدون الحد او الانتقاص ، بأية طريقة ، من شروط الفقرة ٦ ، ٤ (أ) اعلاه ، يؤمن المتلقي ويوافق على عدم المساس بحكومة الولايات المتحدة الاميركية ، والوزارات والوكالات التابعة لها ، ومسؤوليها ووكلائها العاملين ضمن صلاحياتهم ، فيما يتعلق بكل وأية مسؤولية تنشأ عن هذه الاتفاقية او بالارتباط بأية مسألة واردة فيها .

فقرة ٦ ، ٥ **عدم جواز انتفاع المسؤولين .** لا يجوز لاي عضو او نائب في كونغرس الولايات المتحدة ، او أي مسؤول او اي شخص مستخدم لدى حكومة الولايات المتحدة ، ان يتلقى ، بطريق مباشر او غير مباشر ، أي جزء من اموال هذه الهبة او أية منفعة تنشأ عنها .

فقرة ٦ ، ٦ **القانون الملزم .** هذه الاتفاقية خاضعة ويجري تفسيرها على اساس قانون ولاية نيويورك.
فقرة ٦ ، ٧ ، **كامل الاتفاقية .** هذه الاتفاقية تشكل الاتفاقية بأكملها بين الاطراف ذوي العلاقة بهذه الهبة ، وهي تحل محل ، وتلغي أية اتفاقية اخرى او تفاهم ، سواء كان مكتوبا او غير مكتوب ، قائم بين الطرفين فيما يتعلق بمضمون هذه الاتفاقية او أي جانب من جوانبها .

فقرة ٦ ، ٨ **الاتصالات .** ما لم ينص على غير ذلك هنا ، فان أية وثيقة او اشعار او طلب ، يعطى او يقدم او يرسل من الوزارة او المتلقي ، استنادا الى هذه الاتفاقية ، يجب ان يكون كتابة ، وسوف يعتبر انه قد أعطي او قدم او ارسل الى الطرف الموجه اليه عندما يجري تسليمه باليد او بالبريد ، او تلغرافيا او برقيا او ببرقية لاسلكية ، بالطريقة التالية :

(أ) الى الوزارة في واشنطن دي. سي.
المساعد الخاص لوزير شؤون اللاجئين والهجرة
الغرفة ٧٤٣٠
وزارة خارجية الولايات المتحدة
واشنطن دي. سي ٢٠٥٢٠
الولايات المتحدة الاميركية
(ب) الى الوزارة في جنيف
المستشار
وحدة اللاجئين والهجرة والصليب الاحمر
بعثة الولايات المتحدة الى المكتب الاوروبي للامم المتحدة والهيئات الدولية الاخرى
٨٠ شارع دو لوزان
جنيف
سويسرا
(ج) الى المتلقي
نائب الرئيس التنفيذي
النداء الاسرائيلي الموحد ش. م.
٥١٥ بارك افينيو
نيويورك ، نيويورك ١٠٠٢٢
الولايات المتحدة الاميركية

او أي عنوان آخر يمكن ان يعينه أي فريق بواسطة اشعار كما ذكر هنا .

وشهادة على ذلك ، فان الوزارة والمتلقي ، اللذين يعملان من خلال ممثليهما المفوضين ، قد دفعا الى عقد هذه الاتفاقية نيابة عنهما ، وجرى تسليمها في التاريخ المذكور اعلاه .

الولايات المتحدة الاميركية
توقيع
فرانك كيلوغ
المساعد الخاص لوزير شؤون اللاجئين والهجرة
وزارة الخارجية
النداء الاسرائيلي الموحد ش. م.
توقيع
ملفين دوبنسكي
الرئيس
توقيع
غوتلايب هامر
نائب الرئيس التنفيذي

# نشرة رصد اذاعة اسرائيل

## باللغتين العبرية والعربية

اصدر مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية اعتبارا من ١٩٧٢/٨/١ نشرة استماع يومية للاذاعة الاسرائيلية التي تبث برامجها باللغة العبرية، واعتبارا من اول تموز ١٩٧٣ نشرة اسبوعية ترصد الاخبار والتعليقات التي تبثها اسرائيل باللغة العربية . وذلك بغية تزويد الجهات المعنية والمسؤولة والمختصة في البلاد العربية ( العسكريون ، السياسيون ، الاعلاميون ، الصحافيون ، الاقتصاديون ، مكاتب المقاطعة ، الباحثون الخ ... ) باخبار العدو ومواقف قادته واتجاهات سياسته والتطورات التي تطرا عليه في مختلف الميادين ، واخبار المناطق المحتلة حديثا بحيث يسهل على ذوي الشان ، حين يطلعون على حقيقة ما يجري ويقال في اسرائيل ، اتخاذ الاجراءات اللازمة .

تتميز نشرة مركز الابحاث بانها تتضمن تسجيلا كاملا ودقيقا للتعليقات السياسية والندوات والمقابلات واقوال الصحف التي تبث من الاذاعة يوميا ، بالاضافة الى تسجيل جميع نشرات الاخبار . وتتميز النشرة الاسبوعية بقيمة كبيرة تكتسبها من دراسة الحرب النفسية التي توجهها اسرائيل للعرب، ولدراسة التباين بين ما تذيعه اسرائيل بالعبرية لمواطنيها وما تذيعه بالعربية للعرب الى جانب جميع الاخبار المتعلقة بعرب المناطق المحتلة عام ١٩٦٧ .

وتطبع النشرة على « الاوفست » لضمان اخراجها بشكل جيد ومريح للقارىء .

يقوم المركز بتوزيع النشرة يوميا على المشتركين في بيروت . اما المشتركون خارج بيروت فترسل لهم النشرات بالبريد الجوي ، او باية وسائل اسرع .

يتوجه مركز الابحاث اليكم على أمل ان تشتركوا بنسخة او اكثر من هذه النشرة . وبالنظر الى التكاليف الباهظة نسبيا للنشرة ( الاستماع ، الترجمة ، السحب ، التوضيب ، التوزيع ، الورق وخلافه ) فقد تقرر ان تكون قيمة الاشتراك خمسماية ليرة لبنانية للحكومات والمؤسسات العامة ، وثلاثماية ليرة للمؤسسات الخاصة والصحافة ، او ما يعادل ذلك بالعملات الاخرى ، يضاف اليها اجور البريد : في البلاد العربية ١١٠ ل. ل. ، في اوروبه ١٥٠ ل. ل. ، في الاميركتين ٤٠٠ ل. ل. ، وفي آسيه وافريقيه ٢٥٠ ل.ل.

ان مساهمتكم بالاشتراك باكبر عدد ممكن من النسخ هو الذي سيمكن النشرة من الصدور والاستمرار والنمو ( خاصة واننا ننوي ان نبدا بعد فترة وجيزة بنقل البرامج الاذاعية الاسرائيلية التي تبث باللغات الانكليزية والفرنسية ) .

ترسل الاشتراكات الى :

مركز الابحاث ، نشرة الاستماع

ص. ب ١٦٩١ ، بيروت .

صدر حديثا عن مركز الابحاث

أســـماء

# المواقع والمعالم الطبيعية والبشرية الجغرافية المعروفة في فلســطين حتى العــام ١٩٤٨

**بقــلم**

**قسطنطين خمار**

كتاب يحوي نحو ستة آلاف اسم لجميع المعالم الجغرافية التي عرفت حتى تاريخ اغتصاب فلسطين مع ايضاح عن موقع هذا الاسم ونوعه والمنطقة التي يقع فيها وتهجئته بالحروف اللاتينية ايضا والاسم العبري المستحدث لــه .

**عــدد محــدود من النســخ**

**أطلبه من مركز الابحاث ــ قسم التوزيع**

**ص.ب ١٦٩١ ــ بـيروت**

٢٤٠ صفحة من القطع الكبير

سعر النسخة ١٠ ل.ل. تضاف اليها اجور البريد الجوي : ١ ل.ل. في العالم العربي، ٢/١ ٢ ل.ل. في اوروبه ، ٥ ل.ل. في سائر الدول .

**السعر ٢١/٢ ل.ل. في لبنان وسوريا**
**٣١/٢ ل.ل. في سائر الاقطار العربية**

# شؤون فلسطينية


٢٥

أيلول ( سبتمبر ) ١٩٧٣




# شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

رقم ٢٥ ايلول ( سبتمبر ) ١٩٧٣

شهرية فكرية لمعالجة أحداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
تصدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .



**العنوان** : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني
( متفرع من السادات ) ، راس بيروت ، بيروت ــ لبنان ،
ص.ب ١٦٩١ ، تلفون : التحرير ٣٥١٢٦٠ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ،
برقيا مرابحاث ، بيروت .

ثمن العدد : ٢/١ ٢ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٢/١ ٣ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٥ ل.ل. في اوروبا وافريقيا وآسيا ، ٨ ل.ل. في سائر دول العالم .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٣٠ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٤٠ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٦٠ ل.ل. في اوروبا وافريقيا وآسيا ، ٩٠ ل.ل. في سائر دول العالم .

الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٤٥ ل.ل. في جميع الدول غير العربية .

الغلاف : كتب عن الارهاب الصهيوني .

# المحتويات

# عازف الكمان على الجمجمة !..

محمود درويش

كنا نحملها حرفا حرفا ، نقطة نقطة ، ونسافر من جهات الدنيا الاربع الى برلين . هناك اكتمل الاسم ، فأطلقناه كالحمام والرصاص .. صرخة رددها نصف مليون حنجرة : فلسطين تحيا ..

وفي الطريق من الشرق الاوسط الى برلين ، كنا نقرأ مرثية الكراهية القبيحة التي اعلنها الغزاة عن موت فلسطين « التي لم تعد موجودة » . كانوا يترجمونها حرفا حرفا ونقطة نقطة .

برلين ! ما أقسى الزمن ، وما أشد طاعته حين تكون الايدي قوية وواعية . لقد أتعبتك القصائد التي تروي معجزة النهوض من بين الانقاض . ولكن ينبغي أن تفهمينا ، لاننا نستخرج اسمنا من بين الانقاض .

كان ياسر عرفات يستدرج ذكرياته في ذلك المساء الالماني الجميل : كم كبرنا ! . قبل أكثر من عشر سنوات كنا نتسلل الى مثل هذه المناسبة في وارسو . كنا ثلاثة أو أربعة شبان نكتب اسم فلسطين على يافطة صغيرة ، فلا يعرفنا أحد ولا يقبلنا أحد . كنا غرباء عن العالم . وكان الوفد الاسرائيلي كبيرا ، وكان العلم الاسرائيلي كبيرا .

وماذا في برلين اليوم ؟ . في مهرجان الشباب العالمي العاشر ، عرف الضمير الانساني العالمي المشترك في المهرجان أن فلسطين تلاحقه بقسوة المثول أمام امتحان القيم . وان قضية الحرية لا ينبغي ان تتحول الى وجهة نظر قابلة للحياد عند حدود فلسطين . فكان العالم المحتشد في برلين من قارات الارض كلها يهتف لفلسطين هتاف المستقبل والحاضر والماضي المشوب بالاحساس بالذنب والاثم أحيانا . ليس الشرق شرقا والغرب غربا الى هذا الحد . وان عقدة الذنب التي لاحقت الكثيرين من الاوربيين تجاه المصير اليهودي آخذة في التحول التدريجي ، عند الشباب خاصة ، تجاه المصير الفلسطيني الذي قدّم عقوبة مجانية لجريمة لم يرتكبها العرب . لقد تمادى الاسرائيليون في الابتزاز ، وتاجروا بكارثة آبائهم متاجرة دفعت الجيل الاوروبي الجديد الى اعادة النظر بذنب لم يرتكبه . ان جيل الشباب اليساري والديموقراطي الذي هز الغرب بمظاهرات التأييد لثورة الشعب الفيتنامي هو نفسه الذي يلتف اليوم حول حركة الشعب الفلسطيني التي تمثل جوهر قضايا الحرية في هذه المرحلة من العصر ، بكل ما تعنيه من مقاومة للامبريالية العالمية وامتحان لجدارة الانتماء الى البشرية .

لم يدهشنا أن يتجاهل الغزاة الاسرائيليون هذا المعنى وهم ينظرون ، بحزن ، الى مهرجان برلين . لقد استسهل وزير خارجيتهم المتحذلق تفسير هذه الظاهرة الجديدة فنسبها الى « المعاداة الجديدة لليهود » . ولا يبدو ان الاسرائيليين سيكفون عن مطاردة الضمير الاوربي بذكريات ما حدث لليهود . ولا يبدو أنهم سيتوقفون عن اهانة

هذا الضمير بمحاولتهم دفعه الى معاملة جرائمهم ضد الفلسطينيين والعرب على انها اجراءات عادلة تقتضيها متطلبات ارساء دعائم الحضارة الاوربية في الشرق ! . « من الغريب أن نرى كيف ان اليسار الثوري الذي هو على استعداد لدعم القتال في سبيل الحرية الفردية لكل يهودي ، يرفض الحريات الجماعية لليهود » . هكذا يقول أبا ايبن عن مهرجان برلين الذي ندد بالجرائم الجماعية التي ترتكبها اسرائيل وهي بمثابة تجسيد « الحريات الجماعية لليهود » . ان العطف على اليهودي المضطهد ، في فترة ما ، في اوروبا لا يشكل تعاطفا مع قيام المجتمع اليهودي في اسرائيل باعلان موت فلسطين والسعي المستمر الى قمع الشعوب العربية ومنعها عن التطور .

هذا هو معنى التحول التدريجي في نظرة اجزاء كبيرة من الشباب العالمي الى قضية فلسطين التي كانت القضية الاولى في مهرجان برلين ، ليس بسبب مهارة النشاط الذي اداره اعضاء الوفد الفلسطيني في المهرجان ، بل بسبب جوهر القضية ذاتها بالدرجة الاولى . لم نعد غرباء كثيرا عن العالم . . لا لان العالم أفاق وحده ، ذات صباح ، فوجدنا أصحاب قضية عادلة . ولكن لأننا تحركنا ، لاننا مسسنا جسد العالم الذي يحب الراحة والرقص والغناء وتدخين الحشيش . لاننا لم نعد غرباء كثيرا عن أنفسنا تضاءلت فجوة الاغتراب بيننا وبين العالم .

قبل عشر سنين لم يكن بوسع العلم الفلسطيني ان يرتفع على أي مكان . . لا في الشرق ولا في الغرب . فلماذا ملأ جدران برلين وساحاتها وقاعاتها وضمائرها وحناجرها اليوم ؟ . لماذا يُدعى ياسر عرفات لان يكون ضيف شرف في هذا التجمع العالمي الضخم؟ . كان دور العالم نحونا محددا : أن يبعث الينا بأكياس من الخبز والجبن والاقمشة التي تشكل وطنا . كنا اولادا عاقلين ، فكان العالم أعقل . وكان دورنا محددا : أن نقف طوابير منتظمة ببطاقات الاغاثة ، وان نجلس على ضفاف الجداول العربية لنغسل دموعنا على الوطن المجاور . كان العالم يأتينا ، وكنا ممنوعين من الذهاب الى العالم لئلا نغتال هدوءه بصرخة او مطلب . كان يجب ان نكون لاجئين .

وها نحن تغيرنا كثيرا ، فتغير العالم . حين غيرنا دورنا ، غيَّر العالم دوره . انتقلنا من مفهوم المرتينة الذي يعني النخوة والمغامرة الفردية ومصاحبة المُوال الى مفهوم البندقية الذي يعني التنظيم والعمل الجماعي والثورة من أجل أهداف واضحة وعادلة . لم نعد لاجئين . صرنا مقاتلين . وحين نعمّق وعينا لموقعنا في حركة الصراع وتشابك عناصره نستطيع ان نبلغ حالة فرز الاصدقاء والاعداء . كان مهرجان برلين تجمعا لحركات الشباب اليساري في العالم . واكتسبنا تحالفهم على خلفية معنى وأبعاد الصراع الذي نخوضه . هذا هو سندنا العالمي لاننا نخوض معركة حرية وطنية ذات مضمون متقدم . ان تعميق مضمون حركتنا الثوري بأبعاده الوطنية والقومية والعالمية ، وتطوير ممارستنا وأساليبنا الثورية هما الشرطان اللذان يستقطبان مزيدا من تأييد أوساط ثورية وديموقراطية في العالم . ليس العالم واحدا . وليس الشرق شرقا والغرب غربا مرة اخرى . نحن جزء من الحركة الثورية العالمية بشقيها الشرقي والغربي . وليس زحفنا على الركب في اتجاه استعطاف الغرب الرسمي بقادر على تقليل غربتنا عن العالم . ان حركة علاقاتنا يجب أن تكون مضبوطة بجوهر قضيتنا التي هي قضية ثورية . وان ما أعطاه مهرجان برلين من تجسيد للتحول الايجابي في حركة علاقات المقاومة الدولية ، وفي الدرجة الاولى من تعميق الرابطة مع الاسرة الاشتراكية ، هو تطور بالغ الخطورة في تعمق مفاهيم الحركة الفلسطينية يكسبها سندا شديد القوة من جهة ، ويعرضها لمحاولات تصفية جديدة من أعداء هذا التحالف من جهة اخرى .

لم تعد فلسطين ورقة في ايدي أحد . ذهبت الى برلين في أيدي أصحابها . لقد استقلت معنويا . صارت تدخل من الابواب الرئيسية ولا تتسلل من النوافذ السرية او من حقائب الديبلوماسية . هذا هو أهم انتصار حققته حركة الشعب العربي الفلسطيني المسلحة. يبقى الحق مطارحة ذهنية ، اذا لم يسلح نفسه بالقوة . وهذا هو الفارق بين الحالة الفلسطينية في مهرجان وارسو وبين الحالة الفلسطينية في مهرجان برلين . لقد سلمتنا فبتنام الراية في ضمائر الشعوب . فهل نستطيع القيام بهذا العبء الثقيل ! . بقدر ما تكون المسؤولية عبئا بقدر ما تكون جدارة النضال .

كم تغير وجه العالم حين تغير وجهنا . كانت رايتنا تخرج من دمنا ومن بين الانقاض . وحين دخلت المدرج الكبير وقف العالم على أقدامه لتحيتها وغنى لفلسطين ، ولم يسأل أحد عن العلم الاسرائيلي الذي يرتفع بعيدا عن ضمير العالم على سطوح الجرائم في الشرق الاوسط . كانت أنغام عازف الكمان اليهودي الجالس على السطح خافتة لا تكاد تسمع ، لان هدير الطائرات الاسرائيلية كان عاليا ، وكان ينشر الموت على سطوح المنازل العربية . وكان الفارق بين عازف الكمان اليهودي وبين قائد الطائرة الاسرائيلي كبيرا جدا . وهذا هو السبب الذي لا يفهمه وزير الخارجية الاسرائيلي للتحول العميق لدى اليسار العالمي بين تأييده الحرية الفردية لليهودي ، ورفضه «الحريات الجماعية» التي تعني حرية اسرائيل في قتل العرب وفي ابتزاز العالم .
لم أتمكن من مخاطبة عازف الكمان اليهودي في مسرحية شالوم عاليخم الـذي أبكـى اوروبا على مصير عائلات يهودية تشردت في اوائل هذا القرن ، ولكنني تمكنت مـن مخاطبة مرافقي الالماني الذي شاهد المسرحية معي : هل ترى النفاق ؟ يبكون على بيت مهجور ، ولا يصمتون لحظة لنداء وطن مهدور .

ــ لم تكن أنغام هذا العازف مسموعة قبلما قاد ابناؤه الطائرات .

ــ من أجل هذا تخطفون الطائرات ، ليصير لكم صوت ؟

انا الذي وجهت السؤال الى نفسي . ليست القضية متشابهة ، وليس الرد على العنف بالعنف [ من الجانب الفلسطيني ] شبيها بتحقيـق الذات بالعنف [ مـن الجـانب الاسرائيلي ] . ولكن ، لماذا نخطف الطائرات ؟ وبطريقة اخرى : من أين اكتسبنا كـل هذه الخبرة في الاساءة الى انفسنا ؟ . ترددت صحف المانيا الديموقراطية في نشر نبأ حادثة مطار أثينا الدموية ، ثم نشرتها بحياء ، بينما اطلقتها وسائل الاعلام في المانيـا الغربية بضجيج . هل يكفي ان نقول اننا غير مسؤولين عن هذا الحادث ولا عن اختطاف الطائرة اليابانية ؟ لقد نددنا وبقينا مسؤولين ، لان بعضنا جعل خطف الطائرات مرادفا للثورية الفلسطينية حتى سوغ لاي شاب ان يخطف طائرة باسم فلسطين .

وجهت سؤالا الى مرافقي : لماذا كل مشاهدي المسرحية شيوخ .. أين الشبـاب ؟ أعطاني جوابا خبيثا كسؤالي : قد يكونون في العمل . كانت الساعة العاشرة مساء . قلت : الناس محايدون بالطبيعة . والفن هو الذي يحركهم . لو استطعنا ان نقـدم مسرحية عما يحدث لنا الان : عن عازف الكمان الاسرائيلي فوق الجمجمة ، لتغير شيء كثير في الوجدان . قال : ستجدون في القاعة مشاهدين شبابا أيضا ! .

ليس للحماقة قومية ولا جنسية . بعض الفلسطينيين المتحررين من الحكمة السياسية يجعل ، بسلوكه الطائش ، الجنرال ديان حكيما . وأغلبية الاسرائيليين الغارقين فـي العجرفة والعنف تجعل حمقى الفلسطينيين حكماء . الفرق هو أن الجريمة الاسرائيلية ترتكبها دولة . والحماقة الفلسطينية يرتكبها أفراد . ها هي اسرائيل التي استصرخت العالم لضمان سلامة الاجواء العالمية ، ووصفت التعرض للطائرات بأنه جريمة وحشية

تقوم ، بسياستها وجيشها واعلامها ، بتبني الاسلوب الذي ترفضه ويرفضه العالم . وتنقض طائراتها الحربية على طائرة ركاب تقلع من بيروت الى بغداد . ان ما يكون جريمة حين يرتكبه الاخرون يصبح عملا وقائيا شرعيا حين ترتكبه « سيدة » العالم .. اسرائيل . لقد اساءت اسرائيل الى سمعتها السيئة بما لم تتمكن كل اجهزتنا الاعلامية من أن تفعله في حربها مع اسرائيل . ليس هذا هو المهم .. **المهم هو ان اسرائيل قدمت حجة قوية ومبررا كبيرا للعنف الفلسطيني** . لقد أسقطت عن نفسها — ليس في نظرنا بل في نظر المحايدين — صفة الدولة التي تتمتع بالشرعية الدولية وأسفرت عن كونها تتصرف تصرف العصابات . لم تتأخر اسرائيل في قول الحقيقة عن نفسها بالنسبة لنا مرة اخرى ، **فنحن نعتقد ان خطف طائرة أهون بكثير من خطف أوطان** . ولكنها قالت الحقيقة عن نفسها للمحايدين الذين نسوا اسقاطها الطائرة الليبية واغتيالها فلسطين واراضي عربية شاسعة . كاد العالم أن ينسى أنها مجرمة فجاءت تذكره بهويتها . بنت أمريكا المدللة . سيقول عنها الامريكيون : لم يحدث شيء . البنت المدللة كانت تلعب فكسرت زجاجة . لم يحدث شيء . عاد الركاب سالمين . وها هي تخطف طائرة اخرى !.

وحين اعترى بعض الاسرائيليين القلق على سمعة اسرائيل من جراء هذه الجريمة وطالب وزير حربيته بالاستقالة ، دافع ديان عن نفسه أمام الاسرائيليين وأمام الرأي العام العالمي بأنه كان ينوي اسر أحد زعماء المقاومة الذي كان من المقرر أن يسافر على متن الطائرة . فهل سيستطيع ديان القول ، دفاعا عن هذه النقطة ، انه يعتبر سكان الشرق الاوسط رعايا اسرائيليين له الحق في اعتقال من يخرج منهم عن القانون ؟ . ان اسرائيل هي المطلوبة للمثول امام محكمة الأخلاق العالمية ، هي التي يجب ان تؤسر في قفص الاتهام ، هي الخارجة عن الشرعية العالمية بمجرد دخولها هذه الشرعية ! وهذه الشرعية الدولية مطالبة بالتكفير عن اثمها وانقاذ شرفها — اذا كان ذلك مهما — لانها اجازت للجريمة التي تجاوز عمرها ربع قرن من الزمان ان تجلس مرتاحة آمنة على اوراق ميثاق الامم المتحدة والقانون الدولي .

— قل لعازف الكمان الجالس على السطح : ان حزنه قد وصل متأخرا .

— ولكن لندن تنتظره منذ ثلاث سنين .

— لقد بكت أوتاره في اوائل القرن ، فلماذا نسمعه الان .. الان فقط .

— لانه صار قويا . ان حزن الضعفاء يا صديقي لا يصل .. لا يصل ابدا ، واذا وصل فانه يكون اعتداء على الراحة . هكذا العالم . وليس العالم كله لك .. لك الغاضبون ، وليست كل المدن غاضبة ، وليست المدينة كلها غاضبة . لقد صار بكاء الكمان اليهودي مسموعا الان من على سطح منزل في روسيا القيصرية ، لان ثمة كمانا وحشيا تعزفه اسرائيل على جمجمة في قلب فلسطين .

— ولماذا تسمعونه هنا في برلين ؟

— لان قصتنا معقدة . الم تتحدث كثيرا عن الفرق بين اليهودي والصهيوني ؟

— تحدثت ، **ولكن الصهيوني سمسار الدم اليهودي** . يأخذ من أحزانه فتوى للقتل ويقول أنا مسكين . وانتم عندما تبكون مع نداء الكمان البعيد قد لا تسمعون هدير طائرة الصهيوني الفتاكة .

— وما ذنب عازف الكمان البعيد ؟

— لا ذنب لعازف الكمان البعيد .

— لقد وصل حزنكم الينا لانه صار الى ثورة .. ونحن أصدقاء ..

وداعا برلين ..

# سياسة اللاانحياز :
# تقييم جديد ومهمات جديدة

الدكتور كلوفيس مقصود

تبدو كلمة « اللاانحياز » لاول وهلة ، وكأن لها مدلول سلبي وبالتالي فهي تعني انها سياسة تعرف ماذا ترفض أكثر مما هي قادرة على تحديد ماذا تريد . فاللا النافية تعطي في الواقع هذا الانطباع ، الا ان الاكتفاء بهذا القدر من التعريف لا يفي مطلقا سياسة اللاانحياز حقها . وتاريخ هذه السياسة حافل بانجازات ضخمة في مساعدة حركات التحرر في العالم الثالث وفي تخفيف حدة التوتر اثناء مرحلة الحرب الباردة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي وفي توفير العناصر البشرية من أجل تنفيذ مهمات سلام في مناطق أزمة عديدة . وهنا لا بد من الاشارة الى ان سياسة اللاانحياز انبثقت في مرحلة كانت معرفة ما نرفض بمثابة بداية الطريق لاكتشاف ومن ثم تحقيق ما نريد .

نسوق هذه المحاولة لاعادة النظر في تعريف سياسة اللاانحياز بمناسبة انعقاد مؤتمر القمة للدول غير المنحازة الان في الجزائر والذي ، كما في السابق تتمثل فيه منظمة التحرير الفلسطينية لعرض قضايا نضال الشعب الفلسطيني ودراسة الوسائل الناجعة التي من شأنها ضمان القدر الاقصى من المساعدة لهذا النضال وارساء قواعد جديدة للعلاقات والتنسيق تأخذ بعين الاعتبار المتغيرات التي حدثت في الواقع العالمي وفي حالة المجابهات والتحديات التي تواجهها حركة التحرر الفلسطيني بشكل خاص وحركة التحرر العربي بشكل عام .

في هذا المضمار ، فان ميزة الرفض وان اتسمت بالسلبية تشكل ، كما شكلت في الماضي ، موقفا حاسما من تحالفات عسكرية واستراتيجية اعتبرتها القيادات الوطنية في العالم الثالث مقيدة لحركتها وبالتالي مؤدية الى فقدان الاستقلال مضمونه الحقيقي ، لان الاستقلال بالنسبة للحركات التحررية الاصيلة وللحكومات الوطنية التي انبثقت عنها — مثل الهند في اواخر الاربعينات ، ومصر عبد الناصر في الخمسينات — لم يعن ممارسة لاشكال ومراسيم السيادة بل لحق المبادرة الكاملة في اتخاذ الموقف في ضوء مصالح حماية المكاسب القومية وتطويرها من خلال التنمية والتحول الجذري في المجتمعات التي يعملون فيها او يتسلمون فيها مقادير السلطة . الا ان هذه القوى المتحررة كانت ولا تزال تعتقد ان انجاز مهماتها الوطنية ، وفي مجالات التنمية والتحول بالذات ، تتوقف الى حد بعيد على مساهمتها في تخفيف حدة التوتر الدولي واشاعة جو الانفراج وتحويل مناطق الاحتكاك الى مناطق سلام .

الا ان هذه الاهداف المرحلية والبعيدة المدى اصطدمت ، كما كان متوقعا ، بسياسات الامبريالية التي تخلت عن أشكال الاستعمار التقليدية وتنازلت في كثير من المناطق عن الوجود الاستعماري المباشر لتمارس سيطرة استغلالية على الطاقات الاقتصادية وان

تستوعب ضمن اطارها الستراتيجي العام الدول الحديثة الاستقلال والتي لم تسمح لها الفرص ان ترسخ معالم سيادتها او أن تنفذ الى حقيقة التعقيدات القائمة والمستجدة في الواقع الدولي . من هنا وجدت سياسة اللاانحياز نفسها بحالة تصادم مباشر وغير مباشر مع القوى الامبريالية في العالم خاصة الولايات المتحدة التي انتقلت اليهـا بعد الحرب الثانية مواقع التوجيه الامبريالي في العالم وسعت بشكل دؤوب لتطبيق سياسة ( املاء الفراغ ) الذي احدثه انكفاء واضمحلال الاستعمارين الفرنسي والبريطاني .ولعل محاولات ترميم العلاقات الاستعمارية باشكال جديدة نجحت في قيام حلف بغداد اثنـاء العهد الهاشمي في العراق والذي كان لثورة العراق في ١٤ تموز الفضل الاكبر فـي تقويضه واخراج العراق من موقع التصادم مع حركة التحرر العربي الى موقع طليعي في هذه الحركة . لذلك يمكننا القول بأن سياسة اللاانحياز التي قام بتنفيذها الرئيس الراحل جمال عبد الناصر كانت أداة استنهاض وتعبئة للجماهير العربية في مجابهـة حركات الاستعمار الجديد ومحاولاته المتكررة ــ خاصة في الخمسينات وثم بالستينات ــ لتقويض المكاسب الوطنية للوطن العربي التي حققتها سياسة اللاانحياز .

من هنا يتبين لنا بوضوح ان سياسة اللاانحياز كانت بطبيعة ظروفها وخلفية الدوافع لتبنيها سياسة معادية للامبريالية ولمحاولاتها تطويق وتقييد الحركات التحررية في الوطن العربي وفي العالم الثالث . فهي اذا سياسة منحازة ضد الامبريالية بشكل حازم ونضالي وحاد . الا ان التقرير هذا لا يعفينا من الاشارة الى ان ميزة التصادم مع الامبريالية لم تكن في مستوى واحد من الوضوح او من الحدة عند كل الدول التي اعلنت التزامهـا بسياسة اللاانحياز . الا انه ، بالنسبة لحركة التحرر العربي ، يمكن الجزم بأن سياسة اللاانحياز عنت بالنسبة اليها سياسة مجابهة اصطدامية مع الامبريالية الغربية وفي مقدمتها الولايات المتحدة .

ان السبب في هذا الطابع الاصطدامي لسياسة اللاانحياز العربية يعود الى ان المجابهة المصرية مع اسرائيل والصهيونية العالمية أدت بحركة التحرر العربية ــ أكان علـى مستوى الحكومات المتحررة او على مستوى نضالات الجماهير ــ ان تكتشف العلاقة العضوية القائمة والمتزايدة بين اسرائيل وبين مصالح واستراتيجية الامبريالية الاميركية. الا انه كانت هناك محاولات عديدة في الساحة العربية من اجل استدراج العرب الـى تبديل قناعتهم هذه بانشاء علاقة تحالف مع الغرب على اعتبار ان الغرب ــ والولايات المتحدة فيما بعد ــ هو وحده القادر ان يلبي مطالب العرب بشأن القضية الفلسطينية اذا نحن أمنا مصالح الغرب الاقتصادية والدفاعية . كان هذا المنطق يسود المنطقـة وتعمل على اشاعته كل القوى الرجعية والمحافظة في الوطن العربي ، حتى جـاءت صفقة الاسلحة التشيكية التي عقدها الرئيس عبد الناصر عام ١٩٥٥ والتي كان مـن اولى نتائجها فك طوق الحصار الذي فرضه الغرب على العرب والذي ارتضته وعملت من أجله كل قطاعات الرجعية العربية . كانت صفقة الاسلحة التشيكية هي نقطـة تحول في تاريخ العرب المعاصر ، فمصر ــ وهي اقوى واكبر الدول العربية التحمت مع حركة الجماهير العربية في مطالبتها باعطاء معنى الاستقلال مضامين جوهرية وثورية ، تمكن العرب من التصدي لاعدائهم الخارجيين والداخليين . أدى هذا التحول الهام في سياسة مصر الى انقلاب مقاييس المنطقة واكساب قيادة عبد الناصر بعدا جماهيريا في الساحة العربية مكنه ان يخاطب الامة العربية فوق رؤوس حكوماتها المترددة او المائعة او الرجعية . كان لموقف مصر من قضية السلاح التشيكي ان كسر طوق احتكار الغرب للمنطقة وضع الامبريالية الاميركية ــ الغربية في موقع الدفاع عن النفس وجرأ الجماهير العربية على تصعيد مجابهاتها للانظمة المتخاذلة والمسببة لديمومة عنـاصر التجزئة والتخلف والتكاسل في التصدي لاسرائيل .

الا أنه لا بد من التذكير ايضا ان الاتحاد السوفياتي خاصة في اواخر الحقبة الستالينية كان يندد بشدة بالدعوات لسياسة اللانحياز . كان يتعمد تصوير الداعين لسياسة اللانحياز بأنهم « احتياطيو الاستعمار الغربي » وان هذه السياسة « مشبوهة » من حيث انها تؤدي الى انقسام الجبهة المعادية للاستعمار . كان لا بد في اثناء هذه الحقبة، وكان جواهرلال نهرو أبرز الداعين لهذه السياسة ، ان يتحمل ممارسو سياسة اللانحياز والداعون لها هذا الافتراء الصادر من القيادة الستالينية وان يضعوه ضمن اطاره الحقيقي . ولقد كان تقييم سياسة اللانحياز لهذا الموقف السوفياتي المتزمت انه ناشىء عن واقع داخلي هو سجين قوالب نظرية جامدة لكنه لا يمكن أن يؤول الى تناقضات أساسية بين الاتحاد السوفياتي وحركات التحرر في العالم الثالث . فبالنسبة لهذه الحركات كان الاتحاد السوفياتي ( الستاليني ) ، ولا يزال ، قوة رئيسية في مناهضة الامبريالية الاميركية . وبالتالي فان أي تباين أو اختلاف في تحديد معنى اللانحياز لا يمكن ان يحجب حالة التلاقي المنتظم والمتوقع بين حركات التحرر وبين الاتحاد السوفياتي ، واذا كان التشهير الستاليني بسياسة اللانحياز أدى في بعض الاحيان الى انعكاسات سلبية في علاقة حركات التحرر مع بعض الاحزاب الشيوعية الا أن هذا لم يحل دون أن تنصب محصلة نضالات القطاعين في دفع الجماهير الى مواقع متقدمة في صراعها مع الاستعمار ومع اسرائيل .

لكن الاتحاد السوفياتي ذاته بعد فترة وجيزة من نهاية العهد الستاليني دخل في مرحلة انفتاح نسبي على التباينات والمفارقات المذهبية معه الحاصلة في حركة التحرر العالمية وخاصة في العالم الثالث ، ولعل زيارة خروشوف وبولغانين للهند في عام ١٩٥٥ كانت بدء ممارسة سياسة الانفتاح . وكان من جراء هذا التبدل في الموقف أن استبدل تقييم سياسة اللانحياز من كونها « احتياطي للاستعمار » الى كونها سياسة وطنية مناهضة للاستعمار . واستتبع هذا الانفتاح النسبي تصميما سوفياتيا على تقديم المساعدات الفعلية ، على كل المستويات ، لدول اللانحياز من أجل تمكينها من مجابهة الابتزاز الامبريالي . وكانت صفقة الاسلحة والمعونة الاقتصادية التاريخية التي قدمها الاتحاد السوفياتي لبناء سد اسوان .

كان من جراء هذا التقارب الجديد بين المعسكر الاشتراكي ودول اللانحياز ان اخذت الاجهزة الغربية تحاول تصوير هذه السياسة بأنها «تغطية للتبعية للاتحاد السوفياتي». وتعمد وزير خارجية الولايات المتحدة جون فوستر دلاس اهانة هذه السياسة بوصفها انها « لا أخلاقية » . الا ان طبيعة استشراس الامبريالية الاميركية ونمو مصالحها وتدخلاتها السافرة في محاولات قلب الانظمة الوطنية والتقدمية ومحاولاتها ــ الفاشلة فيما بعد ــ باجهاض الحركات التحررية خاصة في منطقة الهند الصينية ــ أدت جميعها الى لقاء مستمر ــ وان لازمه تقطع في بعض الاحيان ــ بين الاتحاد السوفياتي والدول اللامنحازة . وقد وضح هذا اللقاء في المواقف المشابهة التي اتخذت في الامم المتحدة .

في هذا الصدد لا بد من الاشارة الى الدور الايجابي والبناء الذي لعبته سياسة اللانحياز رغم العراقيل السياسية والدبلوماسية والاقتصادية والنفسية في دفع مسيرة الانفتاح العقائدي داخل المعسكرين . صحيح انه كان هناك من عوامل ذاتية ومراجعات جذرية حصلت داخل الاحزاب الشيوعية الحاكمة التي أدت الى اتباع سياسات أكثر مرونة واكثر تحللا من المواقف المتزمتة والدغمائية السابقة . الا ان تأكيد حركات التحرر في العالم الثالث على انتهاج حكوماتها الوطنية سياسة اللانحياز ساهم الى حد كبير في الحيلولة دون وقوع العالم الثالث او بالاحرى معظمه في بوتقة التحالفات الستراتيجية المنبثقة عن منطق الحرب الباردة والاستقطاب الشديد الذي تم في الخمسينات . لقد كان لتمسك معظم الدول الحديثة الاستقلال بممارسة اللانحياز ان اعطى دفعا للقوى النيبرالية ــ بمعنى الانفتاح لا بالمدلول البورجوازي للكلمة ــ أن تتحرك وتسهل عملية

التفاعل مع التنوع القائم في المجتمع الدولي . وهكذا تكون سياسة اللاانحياز اثبتت انها سياسة منحازة بالفعل لقوى التصحيح والانفتاح داخل المعسكرات العقائدية والستراتيجية وبالتالي فهي متفاعلة ومتعاملة وليست كما يبدو للبعض انها سياسة حياد وعزلة بالمعنى المطلق . الا ان اللا الثانية في سياسة اللاانحياز تعني انه ، في معطيات المعادلات القائمة ، كان لا بد للدول الحديثة الاستقلال ان تستبقي المبادرة اذا ما ارادت المحافظة على الاستقلال .

يتعين علينا اذا أن نركز تعريفنا مرة اخرى لسياسة اللاانحياز من حيث ان دعوتها للتعايش السلمي بين القطبين العالميين كانت سياسة من أجل ايجاد مناخ ملائم للتخطيط من أجل التحولات الجذرية المطلوبة لتحقيق برامج تنمية تمكن العالم الثالث الدخول الى القرن العشرين أثناء القرن العشرين . الا أن بعض الذين فهموا سياسة اللاانحياز خطأ ارادوا أن يضفوا على هذه السياسة بعدا انتهازيا بدلا من البعد المبدئي الذي تنطوي عليه . فمنهم من حدد سياسة اللاانحياز بأنها سياسة تعتمد المناورة المحضة في خضم علاقات وتناقضات القوى الكبرى . هؤلاء اعتقدوا أن استمرار التوتر واحتدامه بين القوتين الاعظمين من شأنه أن يمكننا من أن ننتزع من هذه القوى تنازلات لصالحنا القومي العام بواسطة تخويف كل منهما على حدة بأننا سوف ننحاز الى الآخر اذا لم يوافق على مطالبنا ومواقفنا . الا أن هذا التصور ــ والذي ينعكس اليوم بافتعال مخاوف حول لقاء القمة الثنائي الذي تم في حزيران الماضي في واشنطن ــ بالاضافة الى مناقضته الوجه المناقبي في نضالنا على المستوى الدبلوماسي فانه يتجاهل قدرة هذه الدول ان تتعرف على حقيقة مطالبنا ومواقفنا . ان سياسة اللاانحياز تكمن لا في دبلوماسية الوشوشة والكواليس او في اتباع منهج المناورات التكتيكية المحدودة الافق بل في مدى مصداقية ارادتنا في تحقيق مصالحنا وأهدافنا القومية الثابتة وفي كون هذه الارادة قادرة على تحريك الأحداث بمطلق الحرية والاستقلالية .

كان لا بد للمتغيرات التي طرأت في الاوضاع الدولية ان تؤثر على أوجه عديدة من سياسة اللاانحياز . ولعل الخلاف الصيني الهندي عام ١٩٦٢ كاد أن يؤدي الى اضعاف سياسة اللاانحياز في أقوى دولة التزمتها ــ أي الهند . الا ان ما يهمنا في هذه العجالة ليس سردا لاسباب وأحداث هذا الخلاف والازمة التي نشبت عنه بل مدى ما شكل هذا الخلاف من خطر حقيقي على مستقبل هذه السياسة . صحيح انه كانت هناك اسباب موضوعية وتاريخية للأزمة الصينية ــ الهندية الا أن ما يهمنا هنا هو ان تصعيد الازمة والاصطدام الذي قام من جراء هذه الازمة كاد يحرف بالهند عن مواقفها الصلبة ويدخلها داخل دائرة المخطط الاميركي العام . الا ان اية دراسة لهذه الفترة تجعلنا نكتشف ان التناقضات المذهبية والاستراتيجية بين الصين والاتحاد السوفياتي كانت قد بدأت تظهر بوضوح أكثر . فسياسة الانفتاح السوفياتي على الدول اللامنحازة واعطائها المزيد من المساعدات الاقتصادية والعسكرية والمالية ساعدت ، بنظر الصين ، عملية التضييق على الاحتمالات الثورية داخل هذه الدول وبالتالي فوت على الاحزاب والقوى الثورية فرص تبوء مواقع القيادة الفعلية في هذه البلدان . أضف الى ذلك ان فائض المساعدات الاقتصادية ، التي حول الاتحاد السوفياتي قسما منه الى الهند وبورما ومصر ، الخ .. كان يجب أن يظل محصورا داخل المعسكر الاشتراكي . بكلام آخر وجدنا الصين في الستينات تجتر التقييم الستاليني لدول اللاانحياز من اجل اعطاء التبرير النظري لتفاقم ازمتها مع الاتحاد السوفياتي . كان من جراء ازمة الصين والهند عام ١٩٦٢ ــ ١٩٦٣ ان ادركت دول اللاانحياز انها امام تحد خطير لمستقبل سياستها . فهي من جهة حريصة على أن تبقى الصين في دائرة التضامن الاسيوي الافريقي وأن لا يؤدي النزاع بين أكبر دولتين آسيويتين الى شل فعاليات العالم الثالث والى تقويض

ما بناه مؤتمر باندونغ من اسس للتعاون والتنسيق بين سياسات ومواقف العالم الثالث بأسره . الا أن حرص الدول اللامنحازة على صداقة الصين وعلى انشاء المزيد من العلاقات ومن التعامل معها كان يوازيه حرص على ان تبقى أكبر دول لامنحازة في دائرة اللانحياز وان لا يدفعها الشعور الوطني المتأجج اثر النزاع مع الصين الى الارتماء بأحضان من ارادوا الاستفادة من مأزق الهند وما كاد يؤدي اليه المأزق من نمو في نفوذ العناصر اليمينية داخل حزب الكنغرس الحاكم . وهنا كانت مبادرة الرئيس عبد الناصر التي بلورت حرص سياسة اللانحياز على حماية الهدفين ــ متانة الصداقة والعلاقات مع الصين والمرتكزات السياسية الداخلية داخل الهند التي قامت منذ الاستقلال بأدوار قيادية في تنفيذ سياسة اللانحياز . وكان من جراء هذه المبادرة ان تدخلت الدول اللامنحازة والصديقة للصين وتقدمت بمقترحات كولومبو التي لا تزال تتحكم في العلاقات الصينية الهندية الراهنة .

وهكذا فان سياسة اللانحياز اثبتت انها لا تنظر الى اللانحياز كرابطة مذهبية تفرض على ملتزميها التأييد الآلي لموقف احدى الدول التي تمارسها بل انها تخضع أزمات احدى الدول اللامنحازة مع الدول التقدمية والاشتراكية الاخرى لمعايير موضوعية من شأنها أن تبقي الازمة بمنأى عن التدهور للاسس المطلوبة في بقاء الحوار والعلاقات حية ونامية .

لقد كان لمبادرة مصر عبدالناصر عام ١٩٦٢ ــ ١٩٦٣ في حصر الازمة بين الهند والصين نتائج ايجابية في الحقل الداخلي الهندي من حيث ان نهرو تمكن بأقل ثمن ممكن ، اخراج صديقه كريشنا مينون من الحكم ، ان يتجاوز التحدي اليميني داخل حزبه وفي البلاد كلها والذي كاد أن يشل زعامة نهرو سياسيا . وكان الهدف الاميركي في هذا الوقت هو تمكين بعض حلفاء الولايات المتحدة اليمينيين من تبوء مراكز أكثر قوة وبالتالي أكثر قدرة على خدمة المصالح الاميركية من خلال حرف الهند عن النهج الذي رسمه نهرو لها بعد الاستقلال . ان تجاوز نهرو لمثل هذا التحدي اليميني الصارخ لزعامته في فترة خريف ٦٢ وشتاء وربيع ٦٣ هو الذي مهد السبيل فيما بعد لانديرا غاندي أن تدفع بالهند الى المزيد من الممارسة الاستقلالية ومساندة قضايا التحرر في العالم .

الا أنه تبقى حقيقة واضحة لا بد من التأكيد عليها وهي أن تفاقم الخلاف بين الاتحاد السوفياتي والصين أدى الى تمكن الامبريالية الاميركية من استعادة أنفاسها في عدد من دول العالم الثالث ومن أن تتحرك فيه بحرية أكثر مما ادى الى انتكاسات متعددة للقوى الوطنية الحاكمة في عدد من الدول اللامنحازة مثل اندونيسيا وغانا واضعاف قوة الاندفاع عند الحركات التحررية . أو بالاحرى تأخير وعرقلة مسيرتها . الا أن النزاع السوفياتي ــ الصيني حتم على الدول اللامنحازة ان تنقل بعض أوجه لانحيازها الى مواقفها ازاء هذا في المعسكر الاشتراكي العالمي نفسه .

الا أن اللانحياز في هذا المضمار هو غير اللانحياز بين المعسكر الغربي ــ الاطلسي وامتداداته في العالم الثالث والمعسكر الاشتراكي بصورة اجمالية . ففي حين ان اللانحياز هو تعبير عن موقف استقلالي بعيد عن الارتهان للمقتضيات الستراتيجية العسكرية للاحلاف نفسها فانه ينطوي كما أشرنا على احتمالات مستمرة تصادمية مع المعسكر الامبريالي من حيث تستهدف الامبريالية تقويض معالم وفرص التحرر الوطني في العالم الثالث اجمالا وفي الوطن العربي على وجه التخصيص . فسياسة اللانحياز لا تعني مطلقا موقفا متوازي المسافة بين الاتحاد السوفياتي المناهض للامبريالية الاميركية وبين التصرفات الامبريالية للولايات المتحدة . انها تعني ان الدول اللامنحازة هي بالضرورة أقرب بكثير الى الاتحاد السوفياتي من حيث قربه من مواقف وأهداف اللانحياز . في هذا المضمار فان الاصرار على اللانحياز هو اقرار من جانب كل من

الاتحاد السوفياتي ودول اللاانحياز على ان ترتيب أولويات كل منها ليس متطابقا بشكل دائم وبالتالي لا بد من الاعتراف بهذا التباين وبالتالي التوجه نحو المزيد من التنسيق . هكذا يمكننا فهم المعاهدات الجديدة التي عقدها الاتحاد السوفياتي مع عدد من الاقطار اللامنحازة مثل العراق ومصر والهند . ان هذه المعاهدات لا تقيد حرية الحركة عند اي من الطرفين بل تقنن وتضبط انتظام التنسيق من خلال الاقرار المبدئي بضرورة التلاقي الدائم في المواقف من خلال الاعتراف بمشروعية التباين في الاولويات وفي ترتيبها .
الا أن هذا لا يعني ان هذا النوع من التعاقد هــو شرط للتنسيق بل يشكل في معادلة اللاانحياز مع الاتحاد السوفياتي احدى أنماط التنسيق . اما فيما يتعلق بمد سياسة اللاانحياز الى دائرة الصراعات داخل معسكر الاصدقاء أو الحلفاء فهذا يعني ان الدول الملتزمة سياسة اللاانحياز تتدخل من أجل ترميــم الصدع فيما بينها كجزء من مهــام اللاانحياز في تقوية وتصليب جبهة مناهضة الامبريالية لان المفترض ان كلا الصــين والاتحاد السوفياتي هما قطبان رئيسيان في هذه الجبهة . اما المتناقضات والنزاعات التي تقوم بين الولايات المتحدة وبعض حلفائها فانها تختلف بطبيعتها عن تلك القائمة داخل المعسكر الاشتراكي . هنا تقوم سياسة اللاانحياز ــ أو هكذا مفروض بها ان تقوم ــ بدعم النزعات الاستقلالية التي تؤكد ذاتها بين الحين والآخر داخل المعسكر الغربي أو امتدادات هذا المعسكر في العالم الثالث . ولقد ظهرت بوادر هذه النزعة في السياسة التي انتهجها الرئيس الفرنسي ديغول والتي لا تزال تميــز سياسة خلفه بومبيدو . الا ان التململ العام الذي ظهر في عدد من الدول الاوروبية وتوجه السوق الاوروبية المشتركة نحو الاحتفاظ بمبادرات متميزة عن السياسة الاميركية وفي بعض الاحيان بعيدة عنها ومتناقضة معها كما بدأ يحصل في المواقف الاوروبية ازاء ازمة الشرق الاوسط الا أن النزعة الاستقلالية هذه لم تتضح الى درجة يمكن اعتبار هذه الدول مرشحة لدائرة الدول اللامنحازة .
هذا لا يعني بالطبع أن هذه البوادر الاستقلالية عن المقتضيات الستراتيجية والاقتصادية الاميركية يجب أن تبقى بدون تجاوب وبدون تطوير في مستوى العلاقــات بينها وبين الاقطار اللامنحازة . لكن تميزها عن الواقع الامبريالي لا يكفي بل لا بد أن يتحول التباين ــ اذا ما نحن توخينا الجدوى من هذا التباين ــ الى استعداد للمجابهة مع السلوك الامبريالي للولايات المتحدة والذي ظهر بشكل اجرامي في الهند الصينية ولا يزال يميز مواقف الولايات المتحدة في الشرق الاوسط والالتزام الكامــل بالاهداف الاسرائيليــة والصهيونية في المنطقة . فرغم ان الولايات المتحدة قد تشارك أحيانا المجتمع الدولي في ادانته لاسرائيل كما فعلت في مجلس الامن لان لا مهرب لها ازاء وضوح جريمة القرصنة الجوية التي ارتكبتها اسرائيل الا انها تعطل باستمرار أية عقوبة مطلوب فرضها لتحمي حليفتها من النتائج المنطقية لاعتداءاتها ولتحدياتها للمجتمع الدولي نفسه .
لقد وجدنا كيف ان التباين في المواقف بين أوروبا غربية ــ خاصة فرنسا ــ متجهة نحو الاستقلال أخذ يتوضح خاصة فيما يتعلق بالنزاع العربي ــ الاسرائيلي بنسبة وضوح النزعة الاستقلالية بشكل عام . الا انه وجدنا أيضا أن نمو النزعة الاستقلالية في أوروبا الشرقية ، هذه النزعة التي تتسم بالاقتراب من الخطوط العريضة لسياسة اللاانحياز ، عبرت عن نفسها ــ في رومانيا مثلا ــ برغبة في تأكيد تميز سياستها نحو أزمة الشرق الاوسط عن الموقف السوفياتي . هذا التطور السلبي حصل في الوقت الذي كان على رومانيا أن تدرك أن مشروعية نزعة الاستقلال عن الاتحاد السوفياتي لا تعني مخالفة السوفيات في مناهضة الامبريالية ومناهضة عميلتها اسرائيل . من هنا فان التقارب الروماني الاسرائيلي مثلا كان بمثابة مشاكسة للاتحاد السوفياتي على حساب الالتزامات

المبدئية فيما يختص بتحدي الصهيونية لبديهيات الاشتراكية وتحدي اسرائيل للمدلولات الحقيقية للاستقلال .
الا انه ، بنفس الوقت ، فان استقلالية يوغوسلافيا عن المعسكر الذي يقوده الاتحاد السوفياتي لم تؤد الى نفس النتيجة التي أدت اليها النزعة الاستقلالية في رومانيا مثلا . ويعود السبب في ذلك الى أن يوغوسلافيا ساندت الموقف العربي قبل استكمال الاتحاد السوفياتي التزاماته الشاملة للقضايا العربية المصرية وبالشكل الواضح الذي وضع هذه القضايا في صميم اولويات الاهتمامات السوفياتية . من أجل ذلك كانت يوغوسلافيا واستمرت في مقدمة الدول اللامنحازة مع العلم انها لم تسع منذ مؤتمر بلغراد عام ١٩٦١ ان تدفع الدول اللامنحازة الى أخذ نفس موقفها الذي اتخذته من الاتحاد السوفياتي . أدرك الرئيس تيتو ان خلافاته مع الاتحاد السوفياتي كانت صادرة من اختلاف في تحديد نوعية العلاقات بين الدول الاشتراكية وتباين وجهات النظر في هذا الصدد وبالتالي لا يمكن لها أن تنسحب على معادلات واتفاقيات الاتحاد السوفياتي مع دول اللاانحياز .
ان التطورات التي حدثت في العشر سنوات الماضية على الصعيد العالمي حتمت على ما يبدو مزيدا من التساهل فيما يتعلق بتعريف اللاانحياز . فالى جانب التفكك الذي حصل داخل المعسكرين التقليديين ونمو النزعات والتوجهات الاستقلالية فقد بقيت سياسة اللاانحياز سياسة خاصة بالعالم الثالث وبالدول النامية . من هنا فان دخول عدد من الدول الاسيوية — الافريقية في دائرة اللاانحياز كان بمثابة تعبير عن انتمائهم للدول النامية أكثر من كونها تعبيرا حتى عن التزام بالخطوط العريضة لسياسة اللاانحياز . وكاد يكون الشرط الوحيد في بعض الاحيان لدخول دائرة اللاانحياز مجرد عدم الانتساب الرسمي في أحد الاحلاف العسكرية الراهنة والمرتبطة جوهريا وعضويا بالولايات المتحدة والغرب . أما وجود قواعد عسكرية للولايات المتحدة مثلا في المغرب والمملكة العربية السعودية والعلاقات الستراتيجية الخاصة بين الولايات المتحدة والاردن والحبشة وغيرها من اشكال الانحياز في عدد من الدول الافريقية والاسيوية من شأنها تمييع المقاييس التي تحدد تعريف سياسة اللاانحياز الراهنة . الا انه ، على ما يبدو ، ارتؤي ادخال واستبقاء هذه الدول داخل اطار اللاانحياز من أجل درء مخاطر تفردها واحتواء مخاطر سياساتها الدولية بقدر المستطاع ، فما دام رجحان القوى التحررية متوفر فان التساهل في مقاييس الانتماء يصبح معقولا ومقبولا .
من جهة أخرى فقد طرأ على مفهوم اللاانحياز تطور آخر لكنه ايجابي في المدى الطويل وهو تزايد اهتمام دول أميركا اللاتينية بهذه السياسة ودخول عدد متزايد منها في دائرة اللاانحياز . ويعود هذا الاهتمام الى أن أميركا اللاتينية اجمالا تسعى ان تتحرر من الهيمنة الاميركية وان لم تكن تريد التحرر من العلاقة المتميزة مع الولايات المتحدة . لكن ثورة كوبا وتحديها الناجح للولايات المتحدة شجع التيارات التقدمية والوطنية في عدد كبير من دول اميركا اللاتينية مما دفع شعوب عدد منها على انتخاب ودفع قوى يسارية ومعروفة بنزعاتها الاستقلالية الى مواقع السلطة . فبالاضافة الى كوبا وجدنا التحالف الاشتراكي — رغم الصعوبات الجمة التي يضعها التحالف اليميني — الاميركي بزعامة الندي يرسخ سياسة اللاانحياز بشكل واضح وأقرب ما تكون الى النزعة الصدامية مع الامبريالية الاميركية . كذلك يمكن اعتبار عودة البيرونية الى الارجنتين بمثابة تمرد حقيقي وطني على السيطرة الاميركية الامبريالية رغم انها أقل التزاما بالخط اليساري الواضح المتمثل بتجربتي كوبا وشيلي . يضاف الى ذلك ان ريح التمرد الوطني قد وصل الى عدد من الحكومات اللاتينية مما أدى الى تجمعها في موقف موحد اثناء معالجة السلطة الاميركية في قناة بناما وكيف اجبر هذا الموقف ان تلجأ الولايات المتحدة الى ان تستعمل الفيتو في مجلس الامن .

ان توسع رقعة اللاانحياز ، رغم خطورة التساهل في المعايير المطبقة ، من شأنه ان يؤدي الى احكام العزلة على الامبريالية الاميركية . ولقد رأينا كيف ان التدخل الاستعماري الاميركي في الهند الصينية أدين بشكل اجماعي مما ساعد في تقويض هذا التدخل في حين ان ادانة التدخل الاميركي كانت محصورة في المعسكر الاشتراكي وعدد من دول اللاانحياز . هذا يعني ان توسيع اطار اللاانحياز يحسم التذبذب والغموض في صالح قضايا التحرر الوطني ومن هنا جدوى التواجد الفلسطيني الثوري في مناطق دول اللاانحياز وفي مؤتمرات هذه الدول .

والان بعد أن خطت كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي خطوات ثابتة نحو ترسيخ سياسة التعايش السلمي والتعاون في العديد من المجالات الاقتصادية والثقافية وابعدا نتيجة لقائهما شبح الحرب النووية من خلال معادلة الردع المتبادل الذي أوجده تكافؤ القوة بينهما ، فان هذا يزيح عن سياسة اللاانحياز مركزية اهتمامها بهذه الاهداف من حيث انها اصبحت الى حد كبير مؤمنة ومضمونة . الا انه بنفس الوقت يحمل سياسة اللاانحياز مسؤوليات جديدة في ضوء هذه المتغيرات في علاقات الدول الكبرى مع بعضها . ولعل التحدي الاساسي الذي يواجه مؤتمر دول اللاانحياز هو تعريف مهمات سياسة اللاانحياز في المرحلة القادمة من حيث تدعيمها للانجازات في صالح الانفراج والتعايش السلمي من جهة ومن حيث تجنيب العالم الثالث من خطر ان يؤدي هذا التعايش الى تجميد قضاياه الاساسية او من حيث اتمام اتفاقات « من فوق رأسه » كما تتخوف الصين وكما يصر الاتحاد السوفياتي على استبعاد مثل هذا الاحتمال . هنا يتوجب على دول اللاانحياز ان تؤكد ان تجاوبها ، مع ضرورات التعايش بين الدولتين الكبيرتين ، ومع ترحيبها للاستقرار الذي ينطوي عليه تفاهمهما ، فان الاستقرار لا يمكن ولا يجوز ان يعني تجميدا لقدرة حركة هذه الدول على مجابهة عوامل التخلف في مجتمعاتها او لقدرتها على ضرب ما تبقى من معاقل الاستعمار والعنصرية في مناطقها . بالعكس فان تحرر العالم من الخوف من الصدام النووي بين الجبارين هو بدوره وسيلة انعتاق قوى التحرر من الاجهاز على ما تبقى من قواعد للامبريالية في العالم .

هنا تتجلى بوضوح أهمية القضية الفلسطينية بالنسبة للتقاطع بين الابعاد الجديدة لسياسة اللاانحياز والمعادلة الجديدة للتفاهم الثنائي بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة . ان القضية الفلسطينية مرشحة من الان وصاعدا ان تحتل موضوعيا رأس أولوية الاهتمامات لدول اللاانحياز . صحيح ان المواجهة الاقتصادية بين الدول النامية والدول المتقدمة — أي دول جنوب العالم ودول شمال العالم — ستستحوذ على اهتمامات دول العالم الثالث في الحقبة القادمة اذ أنه لا يمكن ان يبقى العالم منقسما طبقيا بالطريقة التي هو عليها الان . كذلك قضايا التحديث وايجاد البنية الهيكلية والمؤسسات وايجاد صيغ التعاون من أجل الاسراع في تحقيق الثورة التقنية المطلوبة ستكون بالضرورة ميزة التوجه المقبل لهذه الدول . الا ان القضية الفلسطينية من الوجهة السياسية سوف تكون محور الاهتمام لان اسرائيل تشكل حركة استعمارية توسعية في عصر انحسار الاستعمار وتقلصه وتشكل نموذجا للعنصرية وللتمييز في عصر أقر المجتمع الدولي — حتى القطاعات التي تمارس التمييز — لا مشروعية العنصرية وسياسات التمييز . يضاف الى ذلك بالطبع ان دول الوطن العربي هي في صلب دائرة اللاانحياز وبالتالي فهي مؤهلة ان توصل الى معظم دول اللاانحياز أولوية التزاماتها بالقضية الفلسطينية وما ينطوي عليه أي تساهل مع اسرائيل من احتمالات تفجير الموقف في منطقة الشرق الاوسط . وهذا يعني ان اي تغاض عن اسرائيل سيكون بمثابة تشجيع للنزوات الاستعمارية في الغرب وللممارسة العنصرية أن تحاول استعادة مواقعها في العالم الثالث اذا ما أبدى هذا العالم أي تهاون او مهادنة للكيان الخارج عن المشروعية الدولية وعن القيم الحضارية والذي لا يتصور « أمنه » أو « بقاءه » الا من

خلال التفلت من كل الضوابط القانونية والشرعية والمناقبية . لذلك فان مهمة الدول العربية طرح القضية الفلسطينية من زاوية كونها استمرارا لحركة مناوأة الاستعمار بمختلف اشكاله التقليدية والجديدة لا كنزاع بينها وبين اسرائيل فقط .

يتراءى لنا من هنا ان نوعية الالتزام العربي بالقضية الفلسطينية هي التي تحدد مدى ونوعية الالتزام بها من قبل دول اللاانحياز . ورغم تواجد عدد من الـدول غير العربية المتبنية لقضية التحرير الفلسطيني فان هذا لا يعفي الدول العربية من الحسم في طبيعة التزاماتها بالقضية الفلسطينية . فدول اللاانحياز مرشحة ، وان كان بنسب متفاوتة ، لتفهم نوعية المجابهة الفلسطينية الثورية مع اسرائيل وتطابق هذه المجابهة الفلسطينية مع الارادة العربية للمجابهة مع اسرائيل . ورغم ان مثل هذا المستوى من التأييد لن يتحقق بهذا المستوى من الشمول في المرحلة الراهنة الا ان الدول العربية في مؤتمرات اللاانحياز مطالبة ان تسهل مهمة ايصال القضية الفلسطينية من خلال مفهوم المقاومة لها لان المقاومة كما اثبتت تجارب حركات التحرر في العالم الثالث هي الجواب على تحدي الاستعمار . واذا كان مستوى المقاومة في الساحة العربية هو أدنى من مستوى التحدي الامبريالي ــ الاسرائيلي للامة العربية فلا مفر للدول العربية ان تدفع الى المقدمة في محافل اللاانحياز أوضح المقاومين ــ الثورة الفلسطينية .

لم تكن سياسة اللاانحياز تعني يوما كما اشرنا موقفا حياديا او متوازي المسافة بين الخطأ والصواب او بين الحق والباطل بل التزاما نضاليا للصواب والحق . المهم ان نعرف نحن ماذا نريد حتى يعرف حلفاؤنا الطبيعيون في عالم اللاانحياز كيف يترجمون التزامهم بالحق الى مساهمات فعلية في قضية التحرير الفلسطيني بالاضافة الى ما يبينوه من تفهم وتأييد لمجابهاتنا المرحلية مع اسرائيل .

# « الوفاق » وازمة الشرق الاوسط

عبد القادر ياسين

قامت الدنيا ولم تقعد بعد ، منذ قيام الرئيس الامريكي ، ريتشارد نيكسون ، بزيارة كل من الصين والاتحاد السوفياتي ، في شباط ( فبراير ) وايار ( مايو ) من العام الماضي على التوالي . وكانت الزيارتان بالغتي الدلالة ، ذلك أن زيارته للاولى جاءت بعد طول عداء ، بلغ حد انكار حكومة الولايات المتحدة لوجود الصين الشعبية ، بينما كانت زيارته للاتحاد السوفياتي اول زيارة يقوم بها رئيس امريكي منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ . وعلا اللغط منذ زيارة السكرتير العام للحزب الشيوعي ، ليونيد بريجنيف ، للولايات المتحدة ، والتي تمت في حزيران ( يونيو ) الماضي . ومعروف أنه تم خلال زيارتي نيكسون وبريجنيف التوصل الى تسويات للعديد من المشاكل السياسية والاقتصادية التي تهم الطرفين ، لعل ابرزها مشكلة فيتنام ، والصفقات والاتفاقيات التجارية الضخمة التي وقعها الطرفان ، السوفياتي والامريكي .

ولعل من المسلم به ان ما يسميه البعض بـ « الوفاق » بين الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفياتي ، ان هو الا التعايش السلمي ، الذي طالما دعا اليه الاتحاد السوفياتي ، وعارضته ، بل وانكرته ، الولايات المتحدة الامريكية وبقية المعسكر الامبريالي . ومعروف ان الولايات المتحدة كانت قد نظمت ضد الاتحاد السوفياتي — منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية — **حربا باردة** هدفت من ورائها خنق الاتحاد السوفياتي واماتته ببطء ، وقد ارتكزت تلك الحرب الباردة الى احتكار الولايات المتحدة للقنبلة الذرية ، والى نجاحها في اقامة سلسلة محكمة من الاحلاف العسكرية ( الاطلنطي ، البلقان ، بغداد ، جنوب شرقي آسيا) أحاطت بالاتحاد السوفياتي وبالمعسكر الاشتراكي احاطة السوار بالمعصم .

وبعد انتقال أسرار القنبلة الذرية الى الاتحاد السوفياتي في أواخر الاربعينات ، وبعد اتساع رقعة المعسكر الاشتراكي ، ورسوخ هذا المعسكر ، وبعد تحول النظام الاشتراكي الى نظام عالمي ، وبعد تفوق الاتحاد السوفياتي في بعض المجالات العسكرية والعلمية غير الهينة ( الصواريخ الذرية العابرة للقارات — الغواصات الذرية — الوصول الى القمر عام ١٩٥٧ ) حاولت الاوساط العدوانية الامريكية تكثيف الحرب الباردة ضد المعسكر الاشتراكي وحركات التحرر وتصعيدها ، وتوصل جون فوستر دلاس ، وزير الخارجية الامريكية في الخمسينات الى الستراتيجية **حافة الحرب** . الا أن هذه الاستراتيجية أتت متأخرة عن موعدها . اذ كان طبيعيا ان تخف حدة الحرب الباردة لا أن تشتد ، مما دفع بالولايات المتحدة الى اعتماد استراتيجية **الحروب المحدودة** ، التي قسمت بموجبها الدول الوطنية الى حلقات صغيرة ، تمهيدا لاسقاطها الواحدة تلو الاخرى ، باستخدام تكتيكات مختلفة : بالمستشارين العسكريين الامريكيين، فبالمرتزقة ، واخيرا باللجوء الى سلاح التدخل العسكري المباشر . وكان طبيعيا — والامر كذلك — ان تتراجع المواجهة بين الدولتين الى مرتبة **المواجهة المرنة** .

واليوم ، وبعد ان انسحت الظروف القديمة مكانها لظروف جديدة ، كان من المنطقي ان يحكم **التعايش السلمي** للعلاقة بين النظامين العالميين : الراسمالي والاشتراكي. وبعيدا عن الارقام والاحصاءات والتفاصيل ، نستطيع ان نلحظ جملة دوافع لدى الطرفين ، الامريكي والسوفياتي ، جعلت من دخولهما مرحلة التعايش السلمي ضرورة ملحة .

**فعسكريا** ، انهار الوهم الامريكي القائل بامكانية تدمير المعسكر الاشتراكي بضربة خاطفة ، كما فقدت الاحلاف العسكرية الاستعمارية مبررات وجودها ، بل وتجاوزها التاريخ بعد الاختراعات العسكرية الضخمة ، وتكدس أسلحة الدمار البعيدة المدى ، لدى كلا الطرفين معا . وبالتالي ابتعدت ، الى درجة تقترب من الانتفاء ، امكانية نشوب حرب عالمية ثالثة بين الدولتين الكبيرتين ، الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي .

**ومن الناحية السياسية** ترمي الولايات المتحدة ، من وراء هذا التعايش ، الى الوقيعة بين الاتحاد السوفياتي وبين الصين ، والى ممارسة التخريب الايديولوجي داخل دول المعسكر الاشتراكي. وتنتسب هذه الاستراتيجية الى هنري كيسنجر، مستشار الرئيس الامريكي الحالي لشؤون الامن القومي .

**أما الدوافع الاقتصادية** التي ارغمت الولايات المتحدة على هذا التعايش ، فلعلها أتت من احساسها بخطر المنافسة الاقتصادية الاتية لها من اليابان ومن السوق الاوروبية المشتركة . والتي كان من نتائجها ضمور الاسواق التي كانت ترتع الولايات المتحدة فيها الى وقت قريب ، ضمورها لحساب اليابان والسوق الاوروبية المشتركة . فعلى سبيل المثال ، بلغ متوسط صادرات السوق الاوروبية المشتركة الى دول البحر الابيض المتوسط عامي ١٩٧١ و١٩٧٢ ما قيمته ٦،٣ مليار دولار سنويا ، في حين تراجعت صادرات الولايات المتحدة الى الدول نفسها الى ٥،٩ مليار دولار كمتوسط للسنتين المذكورتين(١) . هذا مع العلم بأن دول هذه المنطقة كانت على « رأس » أسواق الولايات المتحدة من حيث استيعابها للبضائع الامريكية . وقد كان لكل هذا اثره الكبير في التدهور الملموس لمركز الولايات المتحدة المالي ، وفي ارتفاع معدلات البطالة ، وفي انفجار أزمة المواد الخام في الولايات المتحدة . كل هذا دفع بالولايات المتحدة الى التفتيش الجنوني عن أسواق تعوض بها ما انتزع منها . ويبدو انها وجدت ضالتها في الاسواق السوفياتية والصينية الضخمة. وقد عززت أزمة الطاقة — التي برزت مؤخرا في الولايات المتحدة — هذا التوجه ، نظرا لغنى الاتحاد السوفياتي بمصادر هذه الطاقة .

وتجيء خطوة الولايات المتحدة هذه بعد أن اثبتت سياسة خنق الاتحاد السوفياتي عقمها، وبعد ان قامت معظم حليفات الولايات المتحدة بتوسيع معاملاتها التجارية مع المعسكر الاشتراكي والاتحاد السوفياتي بشكل خاص .

وفي الجانب السوفياتي كانت هناك دوافع من نوع اخر، عسكرية وسياسية واقتصادية. فالاتحاد السوفياتي — انطلاقا من الماركسية اللينينية التي يعتنقها — يرى أن السياسة ان هي الا تعبير مكثف عن الاقتصاد ، وان الحرب امتداد للسياسة بوسائل عنيفة . ومن ثم فالاتحاد السوفياتي يرى في انتصاره الاقتصادي انتصارا سياسيا وعسكريا محتما . ففي المباراة الاقتصادية بين النظامين — الاشتراكي والراسمالي — سوف تكون الغلبة للنظام الاشتراكي القائم على الادارة المخططة للاقتصاد ، مما يجنبه الازمات والكوارث الاقتصادية التي ابتلي بها النظام الراسمالي . وان كان هذا لا ينفي احتياج الاتحاد السوفياتي لبعض السلع والاجهزة العلمية الامريكية ، وعلى وجه الخصوص تلك المستخدمة في تعمير الصحاري ، من أجل تعمير سيبيريا المترامية الاطراف ، والتي لا تزال معظم مصادر المواد الاولية فيها بكرا بدون استثمار .

وفي **المجال السياسي** يرمي الاتحاد السوفياتي الى تعميق التباعد الاوروبي — الأمريكي،

والياباني — الامريكي . مما سيكون له اكبر الاثر في التعجيل بانهيار النظام الاستعماري العالمي ، كما يقدم خدمات جلى للمعسكر الاشتراكي ولحركات التحرر الوطني العالمية .

اما **عسكريا** ، فلا شك ان الاتحاد السوفياتي يأمل في الحد من صلف الولايات المتحدة وعدوانيتها ، ويحول دون ممارستها دور البلطجي العالمي . مما يزيد في فرص انحسار موجة الحروب المحدودة الامريكية . وان كان هذا لن يمنع الولايات المتحدة من ابتكار اساليب عدوانية جديدة لضرب حركات التحرر الوطني في العالم !

وتجدر الاشارة هنا الى أن التعايش السلمي لم يلق استجابة كاملة في الدولتين . بل انه ووجه بمعارضة غير بسيطة من قبل بعض العناصر الدوجماتية السوفياتية ؛ تلك التي عجزت عن تفهم الاسباب الموضوعية لهذه السياسة الجديدة . كما قامت في وجه تلك السياسة معارضة أشد داخل الولايات المتحدة ، من رجال الصناعات العسكرية، الذين يرون في هذا التعايش ما يهدد مصالحهم الطبقية ، بسبب الحد من التسلح ، وتضييق نطاق الحروب ، مما سيؤدي الى بوار صناعاتهم . وغني عن القول ان العناصر الصهيونية والمتعاطفين معها في الولايات المتحدة ، تقف ضد هذا التعايش ، لما يحمله من امكانية جعل موقف الولايات المتحدة من اسرائيل محكوما — الى حد ما — بعلاقاته الجديدة مع السوفيات . كما عبر العديد من المعلقين السياسيين الاسرائيليين عن قلقهم من احتمال وقوع مثل هذا التغير ، خاصة وان ازمة الطاقة في الولايات المتحدة تعزز مثل هذا الاحتمال ، بما يشكله من ضغط لصالح الوطن العربي ؛ الغني بمصادر تلك الطاقة. وتخوف الاسرائيليين وانصارهم هنا له ما يبرره ؛ اذ أن قبول الولايات المتحدة بمبدأ التعايش السلمي — في حد ذاته — يعد تراجعا من قبلها لصالح الاشتراكية والاتحاد السوفياتي ، الذي يعتبر التعايش السلمي جزءا أساسيا من سياسته الخارجية . وان كان هذا التعايش ليس جزءا من الماركسية ، الا ان فلاديمير لينين هو الذي استحدثه غداة قيام الدولة الاشتراكية الاولى ، عام ١٩١٧ .

ولا يمتد التعايش السلمي لأبعد من العلاقات الدولية . فلا علاقة له البتة بمسألة الصراع الطبقي في كل دولة على حدة ؛ اذ لا يمكن التعايش بين القاهرين والمقهورين ، كما لا ينسحب التعايش الى ميدان الصراع الايديولوجي؛ فلا تعايش بين الفكر الرأسمالي والفكر الاشتراكي .

ولا يغير التعايش السلمي القوانين التي تحكم العلاقات بين الدول المتباينة الانظمة ، وان كان محتما عليه ان يضعها في اعتباره . وهي قوانين حتمية الصراع الطبقي على المستويين الوطني والعالمي .

وتدعو الاشتراكية العلمية الى التعايش السلمي ، لانه يوفر ظرفا افضل لتقدم الثورة العالمية . وقد أكد لينين على أن التعايش بين النظامين سينتهي بانتصار الاشتراكية .



أعربت بعض الدوائر السياسية والصحفية العربية* عن بالغ قلقها من أن يكون التقارب الامريكي — السوفياتي قد تم على حساب حركات التحرر الوطني في العالم بشكل عام والقضية العربية بشكل خاص . وكأن لسان حال تلك الدوائر يقول « في خلافهما رحمة » ! فقد اشار احسان عبد القدوس الى البيان المشترك الصادر في اعقاب اجتماع بريجنيف ونيكسون في موسكو ، في ايار ( مايو ) من العام الماضي ، والذي تضمن « الاسهام في نجاح مهمة يارينغ » و« تحقيق تسوية سلمية » و« بحث خطوات اخرى لتحقيق استرخاء عسكري في تلك المنطقة » . وقد نوه عبد القدوس الى تزايد تدفق الاسلحة الامريكية الى اسرائيل في اعقاب هذا البيان في حين بقيت اتفاقيات الاسلحة

بين مصر والاتحاد السوفياتي على حالها . ووضع الكاتب المصري احتمالين لتفسير هذا التدفق « اما ان نيكسون وبريجنيف قد اتفقا على أن يكون الاسترخاء العسكري هـــو الوصول باسرائيل الى القوة العسكرية التي تعجز كل القوى العربية عن مواجهتها ، وتقدر استحالة التحرك العسكري ضدها ، فتسترخي . واما ان نيكسون قـــد خدع بريجنيف ، وبعد أن اتفق معه على وقف التسلح أسرف في تسليح اسرائيل ، في حين ان بريجنيف ظل محتفظا بكلمته » . وبالرغم من أن احسان عاد وبرأ الاتحاد السوفياتي من تهمة التواطؤ مع نيكسون ، اذ اردف « ومهما تعددت التفسيرات ، فالذي لا شك فيه ان الاتحاد السوفياتي يقف بجانب القضية العربية ، بمبادئه ومصالحه »(٢). بالرغم من هذا الاستدراك فقد سارعت « المصادر السوفياتية الرسمية » ــ على حد وصف صحيفة اخبار اليوم لها ــ سارعت الى الرد على رئيس تحرير الصحيفة المذكورة ، بأنه « لا مجال للحديث عن الاسترخاء العسكري في منطقة الشرق الاوسط ما بقي احتلال اسرائيل للاراضي العربية وما دام لم يتضمن الحقوق الشرعية لعرب فلسطين ، وانه اذا كان السلام هو الموضوع الاساسي لمباحثات بريجنيف ونيكسون القادمة ، فأخطر بؤرة للحرب تهدد السلام في العالم الان هي مشكلة الشرق الاوسط ، وان بريجنيف في هذه المباحثات سيدافع عن مصالح العرب لانها تتفق ومصالح الاتحاد السوفياتي في هـــذه المنطقـــة . وان اي انفراج في الوضع الدولي يجعل تصفية ازمـــة الشرق الاوســـط اكثـــر الحاحا »(٣).

ومن جهة اخرى حذرت صحيفة الاهرام القاهرية ، في افتتاحيتها يوم السابع عشر من حزيران ( يونيو ) الماضي ، من أن تكون سياسة الوفاق « سببا في اغفـــال الازمـــات المستعصية ، او الكامنة ، عند قاعدة المجتمع الدولي ، او سببا لاتفاقات ، معلنة ، او غير معلنة ، تجرد الاطراف المحلية في اي نزاع من ارادتها المستقلة ، في تقرير مصائرها واختيار سياساتها . والا تعرض عصر الوفاق لمزيد من القلاقل ، واختفى المبرر المعلن لسياسة التعايش في عصر لم يعد يحتمل ان يحتكر فيه عدد محدود من الدول مقـــررات تطور البشرية كلها » .

واظهرت بعض الدوائر العربية الامر وكأنه تواطؤ ، او ارتباط ، او اتفاق بين العملاقين الامريكي والسوفياتي على حساب الدول الصغرى ، بل ولاقتسام هذه الدول فيمـــا بينهما . وتضع تلك الدوائر ــ في مقولاتها هذه ــ النظام الاشتراكي على قدم المساواة مع النظام الاستعماري . وقد عبرت تلك الدوائر عن سخطها لعدم توصل الزعيمين الامريكي والسوفياتي ، نيكسون وبريجنيف ، الى تسوية لازمة الشرق الاوســـط . وتخصيصهما اقل من مائة كلمة للشرق الاوسط في بيانهما الاخير الذي حوى نحو اربعة الاف كلمة . ( لهواة الدقة ٨٩ كلمة من ٣٧٠٠ ) .

ونسي هؤلاء ــ او تناسوا ــ أن الف باء السياسة تقضي بأن اية تسوية سياسيـــة للمشاكل هي انعكاس لميزان القوى بين الطرفين المتنازعين . وفي أزمة الشرق الاوسط، فان اية تسوية سياسية ــ في ظل ميزان القوى الحالي ــ لا بد وان تكـــون مرادفة للهزيمة . فالتسوية السلمية هنا هي بين طـــرف مهزوم هزيمة كاملة ، واخر منتصر انتصارا كاملا .

ومن المؤكد ان الاتحاد السوفياتي لا يريد لنا مثل هذه التسوية ، او بشكل أدق هـــذه التصفية . فهو يرى في الانظمة الوطنية وحركات التحرر الوطني احتياطيا للثـــورة الاشتراكية ، وذلك بفعل موقف هذه الانظمة والحركات المعادي للاستعمار وبالتالي للراسمالية !

وهذا محمد حسنين هيكل يؤكد هذا المعنى حين يقول أن الاتحاد السوفياتي لا يريد « أن يرى هزيمة عربية ، لان ذلك من شأنه ان يطيح تماما بما بقي من هيبته في المنطقة . . .

لا يريد الاتحاد السوفياتي ان يكون هناك حل امريكي لازمة الشرق الاوسط ، لانه اذا جاء حل امريكي فان السلام الذي يليه سوف يكون سلاما أمريكيا ، وهذا يؤثر على الميزان السياسي الحساس والمتأرجح في الشرق الاوسط خصوصا بالنسبة له »(٤).

واما اسباب تدحرج ازمة الشرق الاوسط الى ذيل جدول اعمال نيكسون وبريجنيف ، فنحن الذين اخترنا لها هذا الوضع بصمت الموت المخيم على جبهاتنا العسكرية ، وبمدافعنا المكممة افواهها في الخنادق . وقد اكد ما يقرب من هذا المعنى هيكل نفسه، حين قال « ... فالمشكلة على الطبيعة ــ أي في ارضها ــ ليس فيها ما يغري او ما يفرض على الاخرين ان يهتموا بها او يرفعوها من ذيل القائمة الى راسها ... ولان قضايا اخرى سبقتها في طبيعة سياسة الوفاق ذاتها . كانت هناك اسبقية لمطالب التوازن والتكامل بين القوتين الاعظم ( تحديد الاسلحة النووية ــ التعاون في مجالات ابعاد الفضاء وأعماق المحيطات ) وكانت هناك اسبقية للمنافع الاقتصادية المتبادلة ( التجارة ــ البترول ــ التكنولوجيا الصناعية الامريكية ) وكانت هناك اسبقية لتصفية آثار عصر الحرب الباردة ومخلفاته ( الامن الاوروبي ــ التخفيض المتوازي لقوات حلف الاطلنطي وحلف وارسو ) ثم وعلى مهل ، على مهل ، تتهادى بقية المشاكل حسب درجات حرارتها »(٥).

ان قطاعات شتى من البورجوازية الوطنية العربية تنفر من فكرة القتال ، بل و«تناضل» من أجل عدم خوضه ضد العدو الاسرائيلي المغتصب . وبعض اجنحتها تطمع للوصول الى تسوية سلمية للازمة عن طريق **المضاربة** على التناقضات الدولية ، وليس بالكفاح والتضحية**. فنراها تارة تعلق الامل على غرب اوروبا ، واخرى على لقاء القمة الامريكي ــ السوفياتي ، وهلم جرا ...

واتجاه المضاربة هذا اتى الى البورجوازية من جناحها الطفيلي، الذي نما واتسع ــ كما وكيفا ــ اعتمادا على المضاربة في الاقتصاد . الا ان المضاربة السياسية لم تعد وقفا على هذا الجناح ، بل انتقلت عدواها الى أجنحة اخرى من البورجوازية الوطنية العربية . فالبورجوازية البيروقراطية، بالرغم من وقوفها مع بقاء القطاع العام واستمرار التعامل مع السوفيات ، وهو موقف يعكس مصلحتها الطبقية البحتة ؛ اذ بدون القطاع العام والمساعدات الاقتصادية السوفياتية تضحى امتيازاتها اثر بعد عين . مع ذلك فهذا الجناح من البورجوازية يخشى الحرب مع اسرائيل بحجة أنه « لا قبل لنا بمواجهة اسرائيل » . وهو يقدم مبررا « نضاليا » لرفضه الحرب ، اذ يطالبنا بتجاهل اسرائيل وتجاهل احتلالها للاراضي العربية ، على غرار ما فعلت الصين الشعبية مع فرموزا ، وترك القضية للزمن ليحلها لصالحنا على غرار الحل الصيني لقضية فرموزا !! أما الجناح البورجوازي الاخر فهو الجناح التكنوقراطي وتكاد مواقفه من العدوان الاسرائيلي والحرب لا تختلف مع الجناح السابق ، وان تمايز موقفه عنه فيما يخص القطاع العام والتعامل مع السوفيات . فهذا الجناح مع تصفية القطاع العام والتعامل مع الغرب . أما اشد هذه الاجنحة رجعية وأقلها وطنية فهو جناحها الزراعي ، الذي يجتر الفكر الاقطاعي ، نظرا لغياب فكره الخاص ، ويعارض هذا الجناح كل الاجراءات التقدمية في السياسة والاقتصاد والحرب ، مهما تواضعت . ويفزع من الحرب لوعيه بانها ستقترن برفع معدلات الضريبة عليه ، وهو الجناح الذي نجح في التملص من الضرائب وهو الجناح الطفيلي . كما يعي هذا الجناح ان الحرب من شأنها القفز بالطبقات الشعبية للمشاركة في الحكم ، وهو أمر يزعج هذا الجناح ويقض مضجعه .

ومن ذلك فالصورة ليست على هذا القدر من القتامة ، اذ تظل آمال الشعوب العربية معلقة على القيادات الوطنية لانظمة المواجهة العربية ، لتقهر تطلعات هذه الاجنحة والانطلاق بالشعب نحو البناء والتحرير .

وتاريخ البورجوازية العربية في المضاربة على التناقضات الدولية ، تاريخ طويل . لعل من أبرز امثلته لجوء مصطفى كامل — رئيس الحزب الوطني المصري — في مطلع هذا القرن الى فرنسا الاستعمارية تحت وهم الاستعانة بها على الامبريالية البريطانية التي كانت تجثم على صدر الشعب المصري آنذاك . والمثل البارز الثاني ، كان لجوء الحاج امين الحسيني — مفتي القدس ورأس الحركة الوطنية الفلسطينية قبل النكبة — في أواخر الثلاثينات الى المانيا النازية ، طمعاً في مناصرتها للحركة الوطنية الفلسطينية !

ولعل فيما يقوله أحد الكتاب المصريين ما يلقي المزيد من الضوء على توجه البورجوازية العربية المعاصرة هذا ، اذ يقول . . . والعالم كله لا يقابل هذا الارتباط ( يقصد التعايش السوفياتي الامريكي ) بارتياح ، حتى لو افترضنا انه ارتباط يؤكد السلام العالمي . وعدم الارتياح يرتبط بالمصالح الواقعية لكل دولة وما يمكن ان تتأثر به نتيجة هذا الارتباط . . . اما الدول الصغيرة النامية — ونحن منها — فلا شك أنها اكثر قلقا من هذا الارتباط . . . فان الدول النامية او معظمها ، أقامت اسلوبها السياسي الدولي على وجود تصارع بين الدولتين ، بحيث تستطيع من خلال هذا التصارع أن تحقق مصالحها الذاتية ، حتى مع افتراض أن الدولتين لن تقدما على مواجهة احداهما الاخرى عسكريا . ولا شك أن هذا الارتباط الجديد قد قضى على التصارع الدولي في صورته الكاملة ، ولم يبق منه الا فقاعات تصارع ، لا تؤثر في اتخاذ أي موقف جدي من احداهما تجاه الاخرى خاص بأي قضية عالمية . أي ان هذا الارتباط يمكن ان يكون عملية تقسيم سياسي بين الدولتين الاعظم للاشراف على مصير العالم ، استكمالا للتقسيم الجغرافي الذي تم باتفاقية يالتا ، التي اعلنت أيام الحرب العالمية الاخيرة . وهو ما يتطلب من الدول النامية ان تعدل وتغير كل استراتيجيتها ، وفي كل تكتيكاتها ، وفي كل اهدافها. كما حدث بين كوريا الشمالية والجنوبية ، وكما حدث لألمانيا ، وكما حدث في كل مكان تعود ان يبني نفسه على تصارع الكتلتين العالميتين »(٦) .

وإذا كان الجزء السابق من مقالنا فيه ما يرد على معظم ما قاله عبد القدوس هنا ، فان ثمة مسألتين ، مما اثاره من مسائل ، تحتاجان الى بعض التوضيح والتعليق . الأولى تلك الخاصة بتقسيم العالم السياسي والجغرافي بين أمريكا والاتحاد السوفياتي .والثانية اضطرار الدول النامية الى تغيير استراتيجيتها وكل اهدافها . فبالرغم من كون الاتحاد السوفياتي طرفا أساسيا في علاقات القوى الدولية ، بطبيعة ضخامة تأثيره، كما وكيفا، الا انه ليس ثمة ما يربطه بمناطق النفوذ — التي دابت الدول الاستعمارية على تقسيمها واقتسامها فيما بينها — وذلك بحكم طبيعة نظامه الاشتراكي . وما العلاقات الامريكية — السوفياتية الجديدة الا صياغة جديدة للعلاقات الدولية،فرضتها ظروف سبق الاشارة اليها . ولم يصبح النظامان الاشتراكي والراسمالي — ولن يصبحا — سمنا على عسل . وسيظل التناقض بينهما قائما طالما بقيت الرأسمالية ، بل هو التناقض الرئيسي الذي ما فتىء يحكم عالم اليوم . وليس التعايش السلمي الجديد ارتباطا ولا تواطؤا ، كما انه ليس — ابدا — بداية النهاية للثورة الاشتراكية والصراع الطبقي . والتعايش لا يلغي التناقضات بين النظامين . وكل ما في الامر ان المرحلة الجديدة ترمي الى تجنب الصدام والتحكم في أسباب المواجهة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي . واذا كان مفهوما ان تغير بعض الدول في تكتيكاتها ، فليس هناك ما يبرر تغييرها لكل استراتيجيتها وكل أهدافها !! فالاستراتيجيات والاهداف ثابتة ، والتغيير لا يلحق الا بالاساليب ، بالتكتيكات .

وليس دافع هذه الاجنحة من البورجوازية للتعلق بسراب التسوية السلمية مجرد الضحالة الثورية وحسب ، بل عشمها — أيضا — ان يعيد التاريخ نفسه ، فتنجح في التوصل الى مثل تسوية العدوان الثلاثي لعام ١٩٥٦ . وتجهل هذه الاجنحة — وربما

تتجاهل ــ اختلاف الظروف وتغيير المواقع ، وبالذات فيما يخص الولايات المتحدة ، التي كانت تتطلع الى ضربة قاضية خاطفة تذهب بالنظام الناصري عام ١٩٥٦ . ولعل في هذا ما يفسر اقدام الولايات المتحدة على مطالبة حليفاتها ــ بريطانيا وفرنسا واسرائيل ــ بالانسحاب ، عقب فشلهم في اسقاط عبد الناصر . كما ان موقف الولايات المتحدة هذا جاء منعا لاتساع شعبية الاتحاد السوفياتي في الوطن العربي ، خاصة بعد موقفه الحازم من العدوان المذكور،وبعد توجيهه انذاره الشهير بضرب لندن وباريس بالصواريخ في حالة عدم انسحاب قوات المعتدين من قناة السويس . اما اليوم فان عدوان ١٩٦٧ من صنع الولايات المتحدة نفسها ، بل ان الانتصار الاسرائيلي في هذا العدوان قد تسم صنعه في الولايات المتحدة ، على حد تعبير مندوب صحيفة دافار الاسرائيلية في واشنطن غداة العدوان المشار اليه . ومن جهة اخرى فان اسرائيل التي كانت مجرد تابع لقوات بريطانيا وفرنسا في عدوان ١٩٥٦ ، مما اضطرها للانسحاب في أعقاب انسحاب القوات البريطانية والفرنسية ، قوات اسرائيل هي اليوم التي قامت بالعدوان بنفسها ، دون تدخل مباشر من قوات استعمارية اخرى . كما ان اسرائيل لم تعد مجــرد عميلــة للاستعمار ، اذ اصبح لها أطماعها الخاصة ، بعد ان استكملت دورتها واكتملت ملامحها كدولة استعمارية.ويفسر احسان عبد القدوس هذا الميل لدى بعض أجنحة البورجوازية الوطنية العربية ، فيقول بأن « قرار انسحاب القوات المصرية من سيناء عقب الضربة الاولى ، كان قرار يغلب فيه التقدير السياسي على التقدير العسكري ، فقد اتخذ هــذا القرار تكرارا لقرار الانسحاب الذي اتخذ عام ١٩٥٦ ، خلال معركة الاعتداء الثلاثي ، وعلى أمل ان تحل القضية حلا سياسيا كما حدث عام ٥٦ ، ولكن الذي حدث عام ٥٦ لم يتكرر عام ٦٧ ، وكانت النتيجة ــ نتيجة الخطأ في التقدير السياسي ــ ان بقيت الارض العربية تحت الاحتلال الاسرائيلي حتى اليوم »(٧) .

وما فتئت هذه الاجنحة الوطنية تمني النفس بحل على غرار الحل الفيتنامي ، ولكن بدون اراقة دماء ، اي بعد انتزاع جانبه الكفاحي ، متوهمة بأن حل المشكلة الفيتنامية انما أتى كنتاج للتفاوض الفيتنامي ــ الامريكي في باريس ، ولاتفاق نيكسون وبريجنيف في موسكو . والكتّاب البورجوازيون هنا يتعمدون اغفال نضال وتضحيات الشعب الفيتنامي التي فاقت كل تصور . وعلى سبيل المثال ، فقد كتب أحد هؤلاء الكتاب يقول عن انسحاب أمريكا من فيتنام « . . . رغم أنه تم تحت ضغط تجمعات شعبية داخل امريكا وخارجها، الا أنه لم يتحقق الا بالاتفاق مع الاتحاد السوفياتي ، وهو الاتفاق الذي يعتبر الاساس الذي تقوم عليه اليوم سياسة الاعتماد المتبادل بين الدولتين . وهو ما يؤكد أن الولايات المتحدة اضطرت هي ايضا الى اتخاذ مواقف يمكن ان توصف بالتساهل ، او الاغضاء ، او التجاهل، او الضعف، للوصول الى التعامل المباشر مع الاتحاد السوفياتي »(٨) .

## ماذ عن المستقبــل ؟

لقد وضح ان الاتحاد السوفياتي لم يفرط في حقوقنا ، ولا تزال مساعدته تمدنا بأسباب الصمود . بل أن مؤشر مؤازرة الاتحاد السوفياتي للمقاومة الفلسطينية سجل ارتفاعا ملحوظا في الاشهر القليلة الماضية ، ماديا ومعنويا ، وفي هذا الصدد نكتفي بالاشــارة الى المناشدة التي ارسلها مجلس السوفيات الاعلى للملك حسين للحفاظ على حيــاة ابي داوود ورفاقه . وما يلفت النظر هنا ان هذا العمل هو الثاني من نوعه من جانب هذا المجلس منذ انشائه ، اي منذ اكثر من نصف قرن !

كما عبر البيان المشترك الصادر عن محادثات بريجنيف ــ نيكسون الاخيرة عن اختلاف وجهتي النظر السوفيتية والامريكية فيما يخص الشرق الاوسط وتمسك كل طرف بوجهة نظره ، واكد البيان بقاء السوفيات على مواقعهم القديمة بالنسبة لتأييدهم للحــق العربي .

ولا شك ان التعايش السلمي يوفر ظروفا افضل لحركات التحرر الوطني ؛ بازاحته العديد من الاحلاف والقواعد العسكرية الاستعمارية من طريقها .

وتظل للادارة الوطنية التأثير الاساسي في حسم التناقضات . كما أن المتغيرات الدولية الجديدة لا تحد من كفاحنا ان لم توسع آفاق تطوره .

ومن ثمة فعلينا ان لا نهرب من مواجهة مسؤولياتنا النضالية . وان نكف عن البحث على أسباب قصورنا لدى الاخرين .

---

١ — رؤية اقتصادية للقاء القمة — التقارب الاقتصادي بين واشنطن وموسكو لماذا ؟ — بقلم محمد عيسى ( انظر : **الاهرام** — ١٩٧٣/٦/٢٢ — ص ٤ ) .

* نتحدث هنا عن دول المواجهة فقط دون غيرها. كما لا يعنينا هنا سوى مناقشة مواقف القوى الوطنية : اما الطبقات الرجعية وغير الوطنية، من كومبرادور واقطاع وبقايا اقطاع ، فأمرها لا يعنينا ، وهي خارج نطاق هذه المناقشة .

٢ — احسان عبد القدوس — بعد ست سنوات.. لا نزال في مجلس الامن ( انظر : **اخبار اليوم** ١٩٧٣/٦/٢ ص ٦ ) .

٣ — رد من الاتحاد السوفياتي عن معنى الاسترخاء العسكري — راجع : **اخبار اليوم** ١٩٧٣/٦/٩ ص ١ .

٤ — محمد حسنين هيكل : على هامش لقاء نيكسون وبريجنيف ( انظر : **الاهرام** ٦/٢٢/ ١٩٧٣ ص ٣ ) .

٥ — **المصدر نفسه** .

** تحضرني، بمناسبة الكفاح، المناقشات التي دارت عقب هزيمة حزيران ( يونيو ) ١٩٦٧ في مصر ، والتي عارض فيها علي صبري ومحمد فايق استمرار القتال ضد اسرائيل ، وردا على الذين طالبوا بتحويل مصر الى فيتنام جديدة ، بان هناك ثمة أمر يحول دون هذا التحويل ، وهو مجاري القاهرة ، فليس في فيتنام مجاري ، في حين تقوم مثل هذه المجاري في القاهرة ، مما يجعلها عرضة للانفجار في حالة استمرار القتال وتعرض القاهرة للغارات الجوية الاسرائيلية . وقد عرفت هذه المتولة **بنظرية المجاري** !!

٦ — احسان عبد القدوس ، ماذا فهمنا من لقاء بريجنيف ونيكسون ؟ **اخبار اليوم** ١٩٧٣/٦/٢٣ ص ٦ .

٧ — احسان عبد القدوس بعد ست سنوات .. لا نزال في مجلس الامن . **اخبار اليوم** ٢/٦/ ١٩٧٣ . ص ٦ .

٨ — احسان عبد القدوس . ماذا فهمنا من لقاء بريجنيف ونيكسون ؟ **اخبار اليوم** ١٩٧٣/٦/٢٣ ص ٦ .

# مصادر دراسة الارهاب الصهيوني

الدكتور جورج طعمة

يصدر هذا المقال من تجربة قاسية . ففي ايار ( مايو ) ١٩٦٩ نشرت بالانكليزية في نيويورك مقالا عن الارهاب الصهيوني عنوانه « التحدي والصمود : حكم للتاريخ » وكنت لسنوات خلت قبل ذلك اهتممت بالارهاب الصهيوني فأخذت أجمع اصوله وما كتبه الارهابيون الصهاينة انفسهم وما اكثره تمهيدا لوضع كتاب في الموضوع كنت وما زلت آمل ان اتفرغ اليه . وحين كنت اراجع ابشع صنوف الارهاب الصهيوني لم يكن يخيل الي يوما انني سأستفيق ليلة على اطلاق الرصاص لاعرف في ساعات الصباح الاولى ان الانكشارية الارهابيين الصهاينة — واقصد بالانكشارية هنا كل ما في الكلمة من حرفية المعنى لاننا لا نعرف بعد عن وجود فرقة انكشارية في صفوف الجيش الاسرائيلي — قد ذبحوا تلك الليلة في بيروت على بضعة مائة امتار من حيث أسكن — ابو يوسف وكمال ناصر وكمال عدوان — الذين انضموا الى ركب قافلة الشهداء العرب. ولم يكتفوا بقتل كمال ناصر ، بل برمزية لا يخفى معناها — صلبوه . ان يصلب الصهاينة كل من يشهد للحق ويظهر بطلان حلمهم بالتحكم الدنيوي جريمة ارتكبوها وما زالوا يرتكبونها ولا يتورعون عن ارتكابها كلما أخافهم صوت الحق الذي يذكرهم بجرائمهم . لكنهم حين يظنون انهم ذبحوا الشهادة للحق فسترتفع شهادات اخرى وسيصلب آخرون .

واذن فموضوع الارهاب مطروح اليوم داخليا من خلال مأساة تقرع على ابوابنا كل يوم وعالميا في المنظمة الدولية . وعندما تنعقد الجمعية العامة للامم المتحدة في دورتها العادية الثامنة والعشرين بعد منتصف ايلول ( سبتمبر ) فسيكون بند « الارهاب الدولي » مدرجا على جدول اعمالها وذلك تنفيذا للقرار ٣٠٣٤ تاريخ ١٨ كانون الاول ( ديسمبر ) ١٩٧٢ ( البند رقم ٩٤ ) في ما يبدو انهجزء من حرب الاستنزاف الفكري الذي تشنه اسرائيل والصهيونية الدولية ضدنا . لكن هذه المرحلة الجديدة من مراحل النضال العربي ضد الد اعدائنا يمكن ، اذا عرفنا ان نخوضها بدقة ومعرفة علمية ، ان تنقلب ضد اسرائيل والصهيونية التي كانت رائدة الارهاب الدولي لسنوات أبعد مما يخيل لنا كما سنظهر في ما بعد . فالصهيونية دخلت التاريخ عن طريق الارهاب ونحن بالتالي ملتزمون بأن نلم بأسس وابعاد الوجود الدموي المأسوي الذي فرضته الصهيونية واسرائيل علينا . ومن هنا ضرورة معرفة التاريخ لا بمراحله الكبرى فحسب بل بجزئياته ودقائقه التفصيلية .

ما هي المعرفة التاريخية ؟ ما هو الحكم التاريخي ؟ ما هي العلاقة بين الاثنين ؟ هل ثمة حكم تاريخي يمكن ان يكون منفصلا عن المعرفة التاريخية او عن التاريخ عندما نعيشه ؟ كيف يصبح الحدث المجهول الذي يفرض بقوة علينا تاريخا ؟ كيف يمكن للحكم التاريخي ان يكون منبثقا عن المعرفة التاريخية ملخصا لها وبمثابة جسر بينها وبين حاضر الانسانية ومستقبلها ؟ لماذا يستيقظ الحس التاريخي عندما يجابه المفكر مأساة انسانية ذات أبعاد كونية ؟ ما هي الرابطة الخفية بين المأساة وتطلعات الانسان التاريخية ؟

أجاب كروتشه Croce المفكر الايطالي الكبير في كتابه « التاريخ — قصة الحرية » على

هذه الاسئلة بقوله : « ليس يكفي ان نقول ان التاريخ هو حكم تاريخي ، بل تقضي الضرورة ان نضيف ان كل حكم هو حكم تاريخي او بكل بساطة التاريخ نفسه... وليس الحكم التاريخي مجموعة متنوعة من المعرفة ولكنه المعرفة ذاتها التي لا تترك مجالا لما عداها » .

واذا كانت الطبيعة لا تعرف الفراغ فالتاريخ البشري لا يعرف الفراغ ايضا . وتشكل حوادث فترة تاريخية ما سلسلة وثيقة الترابط لها أسبابها السابقة ونتائجها اللاحقة. وحين تؤدي نتائج احداث معينة الى ما يقرب من اغتيال شعب بكامله — كالشعب الفلسطيني العربي ، وتتناول هذه النتائج الملتهبة الامة العربية بكاملها وبأصولها وفروعها — شئنا ذلك أم أبيناه — ورضينا عنه أم لم نرض به ، كأننا وسط مأساة يونانية نحن من ضحاياها ومتفرجيها معا ، فان الحكم التاريخي يصبح ضرورة الزامية . والتهرب من اتخاذ موقف او اطلاق حكم لا ينفع الهارب شيئا كما لا ينفع الزرافة ان تدفن راسها في الرمال هربا من العاصفة الهوجاء . ونحن بحكم انسانيتنا وتاريخنا الفاجعي الطويل مدعوون لان نطلق حكما . هذا هو اذن الاطار التاريخي الانساني الذي يحتم علينا ان نتخذ موقفا ازاء مشكلة الارهاب والعنف التي تثير العالم اليوم . فما هو سبيلنا الى ذلك .

**مصادر دراسة الارهاب الصهيوني « من فمك ادينك يا اسرائيل »** : امـــام الباحث العربي — وخاصة أولئك الذين يخوضون هذه المعركة في منظمة الامم المتحدة الان — وسيخوضها العقل والعلم العربيان لعدة سنوات مقبلة — فرصة نادرة لا يمكن ان تتاح لاي باحث او عالم او دبلوماسي يريد ان يخوض هذه المعركة الفكرية بمسؤولية وعلم . ذلك ان قادة الارهاب الصهيوني اليهودي نشروا وما زالوا ينشرون حتى اليوم كتبـــا ومؤلفات ضخمة تناولوا فيها بالاسهاب والتفصيل الدقيق مختلف المنظمات الارهابية التي ينتمون اليها ونشوءها وتنظيماتها وايديولوجيتها واهدافها التخريبية وجرائمهـــا ومعاركها وفظائعها وكتبوا عنها بكل صراحة ودون خوف . وليس من المبالغة القول انك لا تجد في أي تراث سياسي عسكري لاي شعب من شعوب العالم كهذا التراث الرهيب عن العنف والارهاب الصهيوني . ان مجرد الكشف بهـــذه الصراحة وهذا الوضوح من قبل القتلة أنفسهم وقادتهم عن أبشع الجرائم التي يمكن ان يرتكبها بشر ضد بشر ، بل وحتى ضد اليهود بالذات عندما كانت المصلحة تقتضي ذلك ، يكون بحد ذاته تحديا للعقل والضمير الانسانيين . وليس على الباحث العربي الا أن يتناول اي مصدر من هذه المصادر او ان يقرأ أي فصل منه . وجل ما أطمح اليه في هذه الدراسة الموجزة هو ان افتح كوة او نافذة صغيرة يستطيع القارىء ان يطل منها على جحيم ذلك الارهاب .

امام القارىء قائمة بالمصادر عن الارهاب الصهيوني اليهودي مقسمة الى ثلاثة اقسام :

اولا : المصادر الاولية وتتكون فقط من كتابات نفر من قادة الارهاب الصهيوني او اعضاء المنظمات الصهيونية البارزين .

ثانيا : المصادر الرسمية وقوامها منشورات رسمية من وزارة الخارجية الاميركيـــة والخارجية البريطانية ووثائق او تقارير صادرة عن منظمة الامم المتحدة ويشمل ذلك بعض محاضر جلسات مجلس الامن .

ثالثا : مصادر نصنفها على انها ثانوية وانما كتابها اما ان يكونوا انفسهم صهيونيين اشتركوا في اعمال الارهاب ثم حدثت عندهم نوع من الردة بعد مرور سنوات على أعمالهم ويعيشون في اسرائيل الان ، كأوري افنيري ، او صهيونيين سابقين ارتدوا على الصهيونيـــة واسرائيل وغادروها كموشي مينوحين والد الموسيقار المشـــهور

يهودا مينوحين او كتاب يعطفون على اسرائيل وعاصروا الاحداث التي يكتبون عنها او شخصيات دولية لعبت دورها في تاريخ فلسطين وكانت نفسها ضحية الارهاب الصهيوني كالوسيط الدولي الكونت فولك برنادوت والمؤرخ كريستوفر سايكس ابن السياسي البريطاني سايكس او كتاب من غير المذهب اليهودي يؤيدون اسرائيل .
وفي ما يلي قائمة هذه المصادر بأقسامها الثلاثة :

## ثبت بالمصادر عن الارهاب الصهيوني اليهودي الاسرائيلي

**المصادر الاولية**

*PRIMARY SOURCES*


1. Avner: *Memoirs of an Assassin : Confessions of a Stern Gang Killer.* Thomas Yoseloff, New York, 1959.

أفنر . **مذكرات قاتل . اعترافات مجرم من عصابة سترن** . نيويورك .

2. Bar-Zohar, Michael : *The Avengers: The Drama of the Daring Jews Who are Avenging the Six Million Dead.* Translated from the French by Len Ortzen. Hawthorn Books, Inc., New York, 1967.

ميشيل بار — زوهار . **المنتقمون . دراما اليهود الجريئين الذين ينتقمون للستة ملايين يهودي الذين ماتوا** . نيويورك ، ١٩٦٧ .

3. Bar-Zohar, Michael: *The Hunt for German Scientists 1944-60.* Translated from the French by Len Ortzen. Hawthorn Books, Inc. New York, 1967.

ميشيل بار — زوهار . **اصطياد العلماء الالمان . ١٩٤٤ — ١٩٦٠** . نيويورك ، ١٩٦٧ .

4. Begin, Menachem: *The Revolt, Story of the Irgun,* N.Y. 1951.

ميناحيم بيغن . **الثورة . قصة الارغن** . نيويورك ، ١٩٥١ .

5. Cohen, Dov: *The Conquest of Acre Fortress.* Hadar Publishing House Ltd., Tel-Aviv, 1962.

دوف كوهين . **غزو قلعة عكا** . تل ابيب ، ١٩٦٢ .

6. Cohen, Geula: *Women of Violence, 1943-1948; Memoirs of a Young Terrorist.* The World Publishing Co., Cleveland and New York, 1966.

غويلا كوهين . **مذكرات ارهابية فتاة . امرأة من اتباع العنف** . نيويورك ، ١٩٦٦ .

7. Allon, Yigal: *The Making of Israel's Army;* Bantam Books, Inc., 1971.

يغال الون . **تكوين جيش اسرائيل** . نيويورك ، ١٩٧١ .

7. Davis, Mac: *Jews Fight Too;* Hebrew Publishing Co., New York, 1945.

ماك ديفيس . **اليهود يحاربون أيضا** . نيويورك ، ١٩٤٥ .

8. Dekel, Efraim: *Shai The Exploits of Hagana Intelligence.* Thomas Yoseloff, New York, 1959.

افرايم ديكل . **شاي . مآثر جاسوسة الهاغاناه** . نيويورك ، ١٩٥٩ .

9. Dinour, Ben Zion: *Sepher Toldot Ha-Haganah (History of the Haganah)* Hebrew. Tel-Aviv: Ma'arachot, 1959.

بن صهيون دينور . **تاريخ الهاغاناه** . بالعبرية . تل ابيب ، ١٩٥٩ .

10. Frank, Gerold: *The Deed;* Simon and Schuster, Inc., New York, 1963.

فرانك جيرولد . **الفعل العظيم . اغتيال اللورد موين** . نيويورك ، ١٩٦٣ .

11. Gil'Ad, Zerubbavel: *Sepher Ha-Palmach;* Ha-Quibbutz Ha-Meuchad, Tel-Aviv, 1953, 1954 (in Hebrew).

جلعاد زيرو بافل . **كتاب البالماخ** . تل ابيب ، بالعبرية ، ١٩٥٣ — ١٩٥٤ .

12. Golany, B: «*Statehood and Zionism*» *What the Herut Revisionist Movement Stands for.* The Blue-White Pocket Library. N.Y. 1958.

ب. غولاني . **انشاء الدولة والصهيونية . مبادىء حزب حيروت** . نيويورك ، ١٩٥٨ .

13. Gruber, Ruth: *Destination Palestine: The Story of the Haganah Ship Exodus 1947.* Current Books, Inc., A.A. Wyn, New York, 1948.

روث غروبر . **النهاية فلسطين . قصة باخرة الهاغاناه « الخروج — اكسوداس » لعام ١٩٤٧** . نيويورك ، ١٩٤٨ .

14. Irgun Zvai Leumi B'Eretz Israel: *The Hebrew Struggle for National Liberation;* (A selection of Documents on its background and on events punctuating its course-not found).

الارغن زفاي ليومي بأرض اسرائيل . **الكفاح العبري من أجل التحرر القومي** . ( مجموعة وثائق بالعبرية عن هذه الحركة وخلفيتها والحوادث التي ادت الى تطورها — غير موجود ) .

15. Jabotinsky, Vladimir: *The Story of the Jewish Legion.* Bernard Ackerman, Incorporated, New York, 1945.

فلاديمير جابوتنسكي . **قصة الفرقة اليهودية** . نيويورك ، ١٩٤٥ .

16. Katz, Samuel, *Days of Fire:* the Secret History of the Irgun Zvai Leumi and the Making of Israel. Doubleday & Co. N.Y. 1968.

صموئيل كاتز . **ايام من النار . التاريخ السري للارغن زفاي ليومي** . نيويورك ، ١٩٦٨

17. Lorch, Netanel: *The Edge of the Sword;* G.P. Putnam Sons, New York, 1969.

ناتانائيل لورخ . **حافة السيف** . نيويورك ، ١٩٦٩

18. Mardor, Munya: Strictly Illegal: *Haganah;* The New American Library, Inc., New York, 1964.

مونيا ماردور : لا شرعي بكل معنى الكلمة . عنوان الطبعة الانكليزية . **الهاغاناه** . عنوان الطبعة الاميركية وهي التي اعتمدتها . نيويورك ، ١٩٦٤ .

19. Stone, I.F.: *Underground to Palestine.* Boni & Gaer, Inc., New York, 1946.

ا. ف. ستون . **طريق الارهابيين الى فلسطين** . نيويورك ، ١٩٤٦ .

20. Suhl, Yuri: *They Fought Back: The Story of the Jewish Resistance in Nazi Europe.* Edited and translated by Yuri Suhl; Maggibbon & Kee, London, 1968.

يوري شول . **لقد حاربوا قاتليهم . قصة المقاومة اليهودية في المانيا النازية** . لندن ، ١٩٦٨ .

21. *Sepher Hashomer* (The Book of Hashomer). Hebrew. Tel-Aviv: Davar, 1936.

كتاب الهاشومير « **فرق الحراس** » بالعبرية ، تل ابيب ، ١٩٣٦ .

22. Tushnet, Leonard: To Die with Honor: *The Uprising of the Jews in the Warsaw Ghetto.* The Citadel Press, New York, 1965.

ليونارد تاشنت . **الموت بشرف . قتال اليهود في غيتو وارسو** . نيويورك ، ١٩٦٥ .

## OFFICIAL SOURCES — المصادر الرسمية


1. *«Foreign Relations of the United States» — 1943-Volume IV and Vol VIII, 1943-45 the Near East and Africa:* United States Government Printing Office, Washington 1964. Department of State.

**العلاقـــات الخارجية للولايات المتحدة الاميركية . الشـــرق الادنى وافريقيـــا . المجلد الرابع ١٩٤٣ . المجلد الثامن ١٩٤٥** . المطبوعات الرسمية للحكومة الاميركية . ١٩٦٤ و ١٩٦٩ . وزارة الخارجية الاميركية .

2. *United Nations Progress Report of the United Nations Mediator on Palestine Submitted to the Secretary-General for transmission to the Members of the United Nations:* General Assembly, official Records: Third Session Supplement No 21 (A/648) (Part 1 & part 2), Paris, 1948.

**تقرير الوسيط الدولي في فلسطين للامين العام من اجل رفعه لاعضاء الامم المتحدة** . الجمعية العامة . الوثائق الرسمية . الدورة الثالثة . رقم A /٦٤٨ اضافة ٢١ . القسمان الاول والثاني . باريس ١٩٤٨ .

3. *Statement Relating to Acts of Violence, July 24, 1946. British Command Paper 6873.*

**بيان رسمي يتعلق بأعمال العنف . تموز ( يوليو ) ١٩٤٦ . الوثيقة الرسمية البريطانية رقم ٦٨٧٣ .**

4. *Security Council Official Records, Third Year; 358th Meetings: 18 September 1948.* And *367th and 368th Meetings: 19 October 1948.*

**الوثائق الرسمية لمجلس الامن . السنة الثالثة . الاجتمـــاع رقم ٣٥٨ في ١٨ ايلول ( سبتمبر ) ١٩٤٨ والاجتماعان رقم ٣٦٧ و ٣٦٨ في ١٩ تشرين اول ( اوكتوبر ) ١٩٤٨ .**


## SECONDARY SOURCES — المصادر الثانوية


1. Avnery, Uri, *Israel Without Zionists:* A Plea for Peace in the Middle East; The MacMillan Co., New York, 1968.

اوري افنيري . **اسرائيل بدون صهيونيين** . دعوة للسلام في الشرق الاوسط . نيويورك، ١٩٦٨ .

2. Ben-Gurion, David; *Israel: Years of Challenge;* Holt, Rhinehart and Winston, New York, 1963.

دافيد بن غوريون ( واسمه قبل تغييره دافيد غرين ) . **اسرائيل . سنوات التحدي** . نيويورك ، ١٩٦٣ .

3. Bernadotte, Folk: *To Jerusalem;* Hodder and stoughton, London, 1951.

فولك برنادوت . **الى القدس** . لندن . ١٩٥١ ( نشر بعد قتله ) .

4. Davis, John H. *The Evasive Peace.* London: Cox & Wyman Ltd., 1968.

جون ديفيس . **السلام الهارب** . لندن ، ١٩٦٨ .

5. *Generals of Israel:* Editor: Moshe Ben Shaul-Translated from the Hebrew by I. Hanoch; Hadar Publishing Co. Ltd., Tel-Aviv, 1968.

**جنرالات اسرائيل** . نشر موشي بن شاوول . بالعبرية أصلا وترجم للانكليزية . تل أبيب ، ١٩٦٨ .

6. Institute for Palestine Studies, The, & The Arab Women's Information Committee: *Who are the Terrorists? Aspects of Zionist and Israeli Terrorism.* Beirut, 1972.

مؤسسة الدراسات الفلسطينية . **من هم الارهابيون** . بيروت ، ١٩٧٢ .

7. Khane, Meir; Churba, Joseph; King, Michael: *The Jewish Stake in Vietnam;* Crossroads Publishing Co., New York, 1967.

مايير كهانه وميشيل كنغ . **المصلحة اليهودية في فيتنام** . نيويورك ، ١٩٦٧ .

8. Kimche, Jon and David: *A Clash of Destinies;* Frederick A. Praeger, Inc, New York, 1960.

جون وداوود كمشه . **اصطدام الاقدار** . نيويورك ، ١٩٦٠ .

9. Lilienthal, *Alfred: What Price Israel ?* Henry Regnery Company, New York, 1953.

الفرد ليلنتال . **أي ثمن اسرائيل** . نيويورك ، ١٩٥٣ .

10. Menuhin, Moshe: *The Decadence of Judaism in our Time;* Exposisition Press, New York, 1965.

موشي مينوحين . **انحطاط اليهودية في زمننا** . نيويورك ، ١٩٦٥ .

11. Perlmutter, Amos: *Military and Politics in Israel: Nation-Building and Role Expansion.* Frank Cass & Co. Ltd. London, 1969.

عاموس برلمتر . **العسكرية والسياسة في اسرائيل . بناء الامة ودور التوسع** . لندن ، ١٩٦٩ .

12. Sharef, Zeev: *Three Days;* Doubleday and Co., Inc., New York, 1962.

زيف شارف . **ثلاثة أيام** . نيويورك ، ١٩٦٢ .

13. Slater, Leonard: *The Plege.* Simon and Schuster, New York, 1970.

ليونارد سليتر . **العهد** . نيويورك ، ١٩٧٠ .

14. Sykes, Christopher: *Crossroads to Israel - 1917-1948:* The World Publishing Company, Cleveland, Ohio, 1965.

كريستوفر سايكس . **الطرق المتقاطعة لاسرائيل ١٩١٧ — ١٩٤٨** . كليفلاند ، ١٩٦٥ .

15. Tuchman, Barbara: *Bible and Sword.* Minerva Press, New York, 1968.

برباره تاكمان . **التوراة والسيف** . نيويورك ، ١٩٦٨ .

16. Zukerman, Willam, *Voice of Dissent-Jewish Problem, 1948-1961.* New York: Bookman Associates Inc., 1964.

ويليام زوكرمن . **صوت مخالف . المشكلة اليهودية ١٩٤٨ — ١٩٦١** . نيويورك ، ١٩٦٤ .

17. Robnet, George W.: *Conquest Through Immigration: How Zionism Turned Palestine into a Jewish State.* Institute for Special Research, Pasadena, California, 1968.

جورج روبنت . **الغزوة بواسطة الهجرة** . كيف حولت الصهيونيــة فلسطين لدولة يهودية . كاليفورنيا ، ١٩٦٨ .

ولا بد قبل أن نناقش المرتكزات العقائدية والفكرية التي قامت عليها « ايديولوجية » الارهاب الصهيوني من التمييز كما هو معروف في القوانين الجزائية بين التصميم للارهاب وبين الجريمة ذاتها . فالاول ، بديهيا ، سابق للارهاب ويقود اليه ، بدليل ما نصت عليه مقدمة دستور اليونسكو ( منظمة الامم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم ) التي

جاء فيها : « لما كانت الحروب تبتدىء في عقول الرجال ففي عقول الرجال يجب أن تبنى حصون الدفاع عن السلام » فواضح اذن ان التصميم في العقل يسبق التنفيذ بالفعل . والقرار العقلي الذي بموجبه تم تجريد شعب بكامله من حقوقه قبل القضاء على هذا الشعب هو بصورة أكيدة مصدر من مصادر العنف . وعندما كتب هرتزل بشكل جازم عام ١٨٩٦ في كتابه « دولة اليهود » في وقت لم يكن فيه عدد اليهود في فلسطين يزيد كثيرا عن عشرين الفا اذ قال :

« ان دولة اليهود يجب ان تشكل في فلسطين جزءا لا يتجزأ من سور الدفاع عن أوروبا في آسيا وقلعة متقدمة للحضارة ضد البربرية »(١) وعندما كتب في مذكراته : « سنحاول أن نخرج السكان المعدمين عبر الحدود بأن نجد لهم عملا في البلاد التي نطردهم اليها وننكر عليهم أي عمل في بلدنا »(٢). ويتابع قائلا : « اذا انتقلنا لمنطقة حيث توجد حيوانات مفترسة لم يتعود عليها اليهود — كالافاعي الكبيرة مثلا الخ — فسأحاول ان استعمل السكان البدائيين للقضاء على هذه الحيوانات قبل ان اجد لهم عملا في البلاد التي يعبرون اليها »(٣) ذلك كله كان المصدر الاول والاساسي للارهاب والعنف .

وعندما وصف وعد بلفور عام ١٩١٧ الاغلبية الساحقة من العرب في فلسطين بأنهـا « السكان غير اليهود » فمثل هذا الوصف المبهم وفي ذهنية الزمن الذي صدر فيـه التصريح كان يعني ضمنا وبسخرية « السكان البدائيين » «Natives» مما هم أحط من ان ينظر فيهم مشجعا بذلك العنف الصهيوني الاستعمـاري لان يتمادى ضد اولئـك « البدائيين » — فقد كان ذلك عملا اولا من اعمال العنف .

وعندما قدم وايزمن للمجلس الاعلى لمؤتمر السلام المنعقد في باريس مذكرته المعروفة المؤرخة في ٣ شباط ( فبراير ) ١٩١٩ والتي تضمنت « الحد الادنى لدولة اليهود المقبلة فأدخل فيها كل فلسطين وجنوبي لبنان وجنوبي سوريا حتى دمشق وخليج العقبة ثم خط حديد الحجاز حتى معان ومنابع مياه الاردن في سفوح جبل الشيخ »(٤) — وهي كلها اجزاء لا تتجزأ من الوطن العربي — فقد كان ذلك فعلا من افعال العنف . وعندما نشرت عام ١٩٥٢ الوثائق السرية البريطانية العائدة لعام ١٩١٩ وعرف ان بلفور قال في ١١ آب ( اغسطس ) من ذلك العام للوزارة البريطانية : « في فلسطين نحن لا نفكر البتة ان نعمد الى أي شكل من استشارة السكان الحاليين ومعرفة رغائبهم »(٥). فقد كان يضع أسسا من أسس الارهاب والعنف الصهيوني الذي نشأ واستمر وما زال مستمرا ضد العرب حتى اليوم .

وهكذا فان ما « ولد في عقول الرجال » قد أدى بالفعل الى الارهاب الصهيوني الذي جعل من فلسطين العربية جحيما حقيقيا لا اسطورة او خرافة . ومـن خلال كتابات الارهابيين الصهيونيين نجد العقيدة الصهيونية قد بنيت — بين ما بنيت عليه — على المقدمات التالية : ( ١ ) الايمان « بالعسكرية » من أجل ذاتها ايمانا مطلقـا وانشاء الاجيال المتعاقبة من الصهيونيين عليها بحيث تصبح قسما مـن تكوينهم ( ٢ ) نقض الحقوق الطبيعية للعرب نقضا مطلقا بحيث تصبح بالنسبة للصهيوني جريمـة ابادة الجنس العربي عملا مطلوبا من اجل ذاته ( ٣ ) تبرير اللجوء لاية وسيلة مهما كانت ممعنة في الاجرام لتحقيق الاهداف المقدسة لهم في « **ارض اسرائيل** » بحيث يصبح القتل والاغتيال والارهاب من عاديات الحياة اليومية ( ٤ ) اعتماد **قانون أعلى** هو المطلق بالنسبة لهم او **مطلق صهيوني** يضع الصهيونيين كلهم في جهة وباقي الجنس البشري في جهة أخرى هي أدنى من حيث يتفنون ( ٥ ) الارتسام والدخول في كهنوت صهيوني غايته انقاذ « وطن اليهود » بحيث يصبح **الحقد** الاعمى ضد العرب من مقومات الايمان وتطهير « ارض اسرائيل »(٦) من العرب سبيلا لتحقيق الطهارة الصهيونية .

ما أكثر الادلة التي يمكن أن نأتي بها لايضاح هذه المجموعة الرهيبة من العقائد ولكننا نكتفي بقدر يسير .

كتب العالم موشي مينوحين الذي قلنا انه نشأ صهيونيا في فلسطين ثم ارتد على الصهيونية ما يلي :

« لقد كنت يوما فردا من أفراد العصابة ( واستعمل بالانكليزية كلمة Gang ) ونشأت في نعيم الاستيطان في القدس الى أن بلغت الخامسة عشرة من عمري تشبعت لمدة خمس سنوات صلبة في « الحياة اليهودية الكاملة » من القومية اليهودية السياسية الى أن أدركت سن العشرين . وكانت تلك المدرسة تطعم ابناءها بأفكار مؤسسها هرتزل . وكان من أبناء صفي موشي شاريت ( شرتوك قبل أن يغير اسمه بعد قيام اسرائيل ) الذي أصبح في ما بعد رئيس وزارة في اسرائيل خلال الفترة الوجيزة التي « انسحب » فيها بن غوريون من الحكم .

« نحن أوائل المتخرجين من « المعبد المقدس » للقومية اليهودية السياسية نذرنا نفوسنا و « ارتسمنا » لننقذ « الوطن اليهودي » بأي ثمن كان ولنطهر فلسطين من العرب «Goyimrien».

« أعرف من أي مصدر اتكلم . فقد تبعت اعمال « عصابتي Gang » خلال هذه السنوات كلها . ولزمني حياة كاملة لكي أفصل نفسي عن هذه الفلسفة البدائية الهوجاء في القومية اليهودية التي أراها شكلا مرضيا من الانانية الجماعية . هذه القومية التي تعتبر ذاتها مطلقة يدين لها العالم بكل شيء ولا تدين بشيء لاحد »(٧).

« كل انسان آخر هو على خطأ وأنت وحدك على الصواب . لا تحاول أن تجد أعذارا من اجل ذلك فهي غير ضرورية وهي غير صحيحة . وليس بوسعك ان تعتقد بأي شيء في العالم اذا اعترفت ولو مرة واحدة انه ربما يكون خصومك على صواب لا انت . فهذه ليست هي الطريقة لتحقيق أي أمر . لا توجد في العالم الا حقيقة واحدة . وهي بكاملها ملك أنت . وان لم تكن واثقا بها فابق في بيتك . ولكن ان كنت واثقا لا تتطلع الى الوراء وستأتي في اتجاهك » ( جابوتنسكي . الفرقة اليهودية . صفحة ٦٣ ).

« لقد أفسدت ابناءكم وعلمتهم كيف يحطمون النظام ( وأحيانا زجاج النوافذ ) وحاولت أن أعلمهم ان الترجمة الصحيحة لـــ «Kamaz alef-o» ليست « تعلم كيف تقرأ » ولكن **« تعلم كيف تطلق الرصاص »** . لقد فعلت ذلك دائما ولا شبهة لدي في انني لم الحق اي ضرر بهم . لذلك اتوسل ان لا يمنعني القدر من القوة والشرف في ان اتابع نفس الاهداف لنهاية حياتي ككاتب وكمرشد » ( جابوتنسكي مقالة National ) . وهنالك قصة قديمة تروى عن شاب سئل في الكيبوتز كيف ترى المشكلة العربية فأجاب « من خلال فوهة البندقية » ( أوري أفنيري . اسرائيل بدون صهيونيين . ص ١٣٥ ) . « تعلمت منذ حداثة سني عن أبي اننا نحن اليهود لا بد ان « **نعود** » لارض اسرائيل. ولا يجوز مطلقا القول ان « نذهب » او « ان نسافر » او « ان نأتي » بل بكل حزم **أن نعود** . ذلك هو الفارق الكبير . وهو فارق شامل كل الشمول » ( بيغن . الثورة ص ٣ وفي حاشية يعطي بيغن التحديد الجغرافي لارض اسرائيل بحيث تشمل كافة ضفتي الاردن حيث عاشت القبائل العبرية ) . « انت بحاجة لكي تتمكن من المحافظة على باب مفتوح مع الحركة السرية الى شيء هو أكثر من مجرد استعمال الاسماء الملفقة . ان اكثر الامور ضرورة هو الشعور الداخلي الذي يحول ما هو « شرعي » الى « غير شرعي » وما هو « غير شرعي » الى « شرعي » و« مبرر » . لقد كنا مقتنعين « بالشرعية » المطلقة لاعمالنا « اللاشرعية » ( بيغن المصدر السابق ص ١٠٨ ) .

« القول ان ابني يعمل في الهجرة « اللاشرعية » لايصال اللاجئين اليهود لفلسطين شرف

لا يحق لي أن أناقشه فيه » ( جابوتنسكي . مذكرة خاصة قدمها لاعضاء مجلس العموم البريطاني في آذار ١٩٢٠ ) .

## المنظمات الارهابية ــ الهاغاناه

نجد في المصادر التي تبحث في الهاغاناه ــ وهي كلمة عبرية تعني الدفاع ــ روايات مختلفة عن نشأتها واصولها . فمنيا ماردور Munia Mardor في كتابه الذي عنوانه « الهاغاناه » يروي انها نشأت في منتصف الثلاثينات « كتدبير دفاعي ضد قوى النهب والسلب العربية » ويذهب ميناحيم بيغن في كتابه الثورة ان الهاغاناه حلت عام ١٩١٩ محل فرق الحرس ( الهاشومير ) « التي تأسست اثناء الحكم التركي والتي كانت حرسا ليليا لحماية المستعمرات اليهودية من سطو العرب وقطاع الطرق . وكان معظم الذين تطوعوا بالاصل في صفوف الهاغاناه من الفرقة اليهودية التي أسسها جابوتنسكي عام ١٩١٧ وقاتلت في صفوف الحلفاء في الحرب العالمية الاولى » ( بيغن . الثورة . ص ٣٤. حاشية ٢ ) . ويذهب اسرائيل غاليلي في « كتاب البالماخ » ان بذور الهاغاناه بدأت في « الشتات » خلال العهد العثماني مع فرق الحرس الليلي ( هاشومير ) وتطورت في ظل الانتداب البريطاني واصبحت المنظمة السرية المدعوة الهاغاناه . أما افنر Avner في كتابه «مذكرات قاتل ــ اعترافات مجرم من عصابة السترن» فيكتفي بالقول ان الهاغاناه تأسست في ظلال الحكم التركي . وفي كتاب « تكوين الجيش الاسرائيلي » المنشور عام ١٩٧٠ ليغال الون نائب رئيسة الوزراء ووزير التربية حاليا واحد ضباط الهاغاناه ومن قادة البالماخ سابقا يتحدث بتفصيل أكثر عن نشأة الهاغاناه فيقول : « ان المآثر التي حققها جيش اسرائيل والجرأة النادرة التي تحلى بها امام قوى عربية تفوقه عددا لا يمكن فهمها الا اذا عرفنا كيف تكونت القوة العسكرية اليهودية ( يتحدث الون هنا عن حرب ١٩٤٨ ) ــ **وهي قوة نشأت قبل سبعين سنة** كمجموعات من زمر صغيرة من الحراس وتطورت الى أن أصبحت الجيش الحديث البارع الذي ربح حرب الايام الستة » . يتابع الون فيقول : « منذ عام ١٨٨٠ عندما كانت البلاد لا تزال تحت الحكم العثماني ولم يكن عدد السكان ليزيد عن بضعة عشرات من الالوف ــ ( يعطي الون عدد اليهود حينذاك في فلسطين كلها على انه ٢٤٠٠٠ نصفهم يعيش في القدس والنصف الاخر موزع في الجليل وصفد وطبريا ويافا وعكا ) ــ ابتدأ تشكيل خلايا سرية للدفاع ضد السرقة والسطو والقتل والاغتيال . ولم تكن لهذه التنظيمات صفة سياسية ولكن ترتب عليها بصورة غير مباشرة نتائج سياسية . فاليهود اذ وجدوا انه لم يكن بوسعهم ان يعتمدوا على السلطات العثمانية لحمايتهم اعتادوا أكثر فأكثر ان يعتمدوا من اجل الدفاع عن انفسهم وأملاكهم بل وحقهم ان يعيشوا في الارض المقدسة . وهكذا تشكلت منذ بداية هذا العصر نوى متعددة مختلفة لمنظمات عسكرية يهودية سرية ذات اتجاهات سياسية وأهمها فرق « الهاشومير » « الحراس » التي تعتبر بحق على انها المنظمات التي سبقت الهاغاناه . واخذت هذه الفرق تفكر في هذه المرحلة ان يكون دفاعها عن اليهود على مستوى وطني قومي واسع . وكانت مستعدة دوما للدفاع عن اية مستعمرات يهودية مهما كانت بعيدة او نائية ــ بل كلما كانت ابعد كلما كانت افضل . واخذت تحمي هذه الضيع النائية بالاشتراك مع الفلاحين والمزارعين فيها » ( المصدر السابق ، صفحة ٤ ــ ٥ ) .

ويكشف لنا الون في سرده تاريخ نشوء المنظمات الارهابية عن عراقتها في التجسس فيقول : « خلال الحرب العالمية الاولى وخاصة بعد اعلان وعد بلفور ودخول الولايات المتحدة الاميركية في الحرب اشتبه الاتراك بحق بخيانة اليهود للامبراطورية العثمانية وتعاونهم سرا مع البريطانيين . وعندما اكتشف الاتراك ان اليهود كانوا يقومون بأعمال تجسس وراء الخطوط التركية الالمانية ، وان منظمة تجسس يهودية تدعى Nili

نيلي — ( الاحرف العبرية الاولى من العبارة « نتساح يسرائيل لو يشاكير » — اي — نصيح اسرائيل لا يكذب — عبارة مأخوذة من التوراة صموئيل الاول : الاصحاح ١٥ الفترة٢٩—) وهي فرقة يهودية تتألف اكثريتها من شباب اوائل المستوطنين اليهود آخذوا بملاحقة جميع المنظمات العسكرية او شبه العسكرية اليهودية وطردوا للشمال في الجليل جميع اليهود الذين استوطنوا في الجنوب على مقربة من مصر وحيث كانت القوات البريطانية تتقدم باتجاه فلسطين . كانت اولى فرق اليهود قد انتظمت في نطاق الجيش البريطاني الذي كان يقاتل في الشرق الاوسط . وكانت هذه الفرق تتألف من جنود يهود متطوعين ونظاميين من فلسطين وبريطانيا واميركا . وكانت هذه اول فرصة للشباب اليهود ان يكتسبوا خبرة وتدريبا في التنظيم العسكري . وتمكنوا ايضا ان يجمعوا مقدارا غير يسير من المعدات العسكرية الخفيفة التي أثبتت في ما بعد انها ذات اهمية قصوى لليهود » ( المصدر السابق صفحة ٥ ) .

خلال السنوات الواقعة ما بين الحربين العالميتين ( ١٩٢٠ — ١٩٣٩ ) اشتدت المقاومة العربية وعلى حد تعبير آلون جاءت في موجات كل موجة منها اكبر من الثانية وبينها ثلاث نزاعات رئيسية عام ١٩٢١ و ١٩٢٩ و ١٩٣٦ — ١٩٣٩ . ومرت فترات كثيرة عصيبة كانت تمضي ساعات وأحيانا ايام قبل ان يتمكن اليهود من نجدة المستعمرات المحاصرة مما جعلهم يضاعفون جهودهم لانشاء قواتهم العسكرية . وقد اعلنت سلطات الانتداب ان انشاء مثل هذه القوات امر غير شرعي لكن هذا لم يمنع اليهود في فلسطين من ان يمضوا قدما في تنظيم قواهم العسكرية بصورة سرية ودون توقف . هكذا وعلى التدريج تكونت الهاغاناه .

ومما ادى الى تقوية الهاغاناه في هذه الفترة تدفق المهاجرين اليهود من عدة بلاد وخاصة من اوروبا الشرقية . ولم تكن هذه التقوية في الكم فحسب بل وفي النوع ايضا اذ ان اغلبية المهاجرين الجدد كانت من الشباب وكلهم مثالي متحمس والعديد منهم كانت له خبرة بالتنظيمات شبه العسكرية والسرية عندما كانوا يدافعون عن الاحياء اليهودية في شرقي اوروبا حين كانت هذه الاحياء تتعرض للهجوم .

وقد اثر على تكوين الهاغانا ، وذهنية المنخرطين فيها اختيار امكنة المستعمرات اليهودية التي كانت خاضعة لاهداف استراتيجية وسياسية محضة . ولم يكن العامل الاقتصادي هو العامل المؤثر في اختيار المستعمرات فحسب ولكن اكثر من ذلك وبصورة رئيسية حاجات الدفاع المركزي والستراتيجية الشاملة للاستيطان التي كان هدفها الرئيسي ضمان وجود سياسي يهودي في جميع انحاء البلاد والدور الذي يمكن يوما أن تلعبه مثل هذه المستعمرات في المستقبل وخاصة في مجابهة حاسمة لا بد من وقوعها يوما في نظر المخططين للاستيطان الصهيوني. وهكذا نشأت المستعمرات على مختلف انواعها منعزلة الواحدة عن الاخرى بالمسافات الجغرافية والعراقيل والفوارق الطبيعية . والنتيجة ان كل مستعمرة يهودية جاءت قلعة محصنة للهاغاناه . وكان يرافق التخطيط الاقتصادي والزراعي التخطيط العسكري وكانت موازنة الهجرة تعنى بالسيف والمحراث معا وتؤمن احتياجاتهما .

وقد ادخلت هذه الحاجات عدة عناصر جديدة في تفكير الهاجاناه العسكري وتنفيذ مخططاتها . ويشمل ذلك وضع ستراتيجية متماسكة شاملة تأخذ بعين الاعتبار الحاجات العسكرية في مختلف أنحاء البلاد . مقدرة على التحرك السريع . استعمال اكبر للاسلحة الاوتوماتيكية الخفيفة . وفوق ذلك كله ادى تطور الهاغاناه الى اقامة قيادتين سريتين قيادة مدنية عليا وقيادة عسكرية عليا لها رئاسة اركان كاملة وتخضع القيادتان الى التنظيم الصهيوني المتمركز في الوكالة اليهودية المسماة ايضا بالمنظمة الصهيونية العالمية .

ان افضل مصدر عبري لدراسة الهاغاناه هو تاريخ الهاغاناه لمؤلفه بن صهيون دينور نشر في تل ابيب عام ١٩٥٩ وقد اعتمد الكاتب الاسرائيلي الصهيوني عاموس برلمتر في كتابه العسكرية والسياسية في اسرائيل ـ بناء الامة ودور التوسع الذي نشر عام ١٩٦٩ وهو حاليا استاذ في جامعة هارفرد . يقول برلمتر :

تعود جذور جيش اسرائيل الحالي الى بنيات الامن ووحدات الدفاع التي اوجدتها حركة الرواد اليهود في فلسطين . وقد خلق هذه الوحدات الاشتراكيون الصهيونيون وهم أقوى العناصر في الاستعمار الصهيوني وأشدها بأسا واكثرها فاعلية في تجنيد القوى اليهودية . وقد شملت الحركة الاشتراكية الصهيونية نطاقا واسعا من الرجال والافكار والمنظمات في الشتات وفي فلسطين ولكنها في فلسطين فقط اصبحت حركة قوية ذات نتائج بعيدة . والدور الذي اضطلعت باعبائه فيها هو التفاعل بين الالتزامات الايديولوجية الاشتراكية ومقتضيات الواقع التي عدلتها . وكانت النتيجة التحويل التدريجي للجهد الاستعماري الى برنامج حركة تحرير قومية . واصبحت الحركة الاشتراكية الصهيونية الاداة الرئيسية في بناء الامة والعامل الدافع في ثورة الرواد . خالقة مجتمع جديد ومؤسسة الهاغاناه وبالتالي الجيش الاسرائيلي .

وفي المراحل الاولى من الاستعمار الصهيوني في فلسطين نشأ مفهومان مختلفان حول دور العسكريين وهما مفهوم النموذج المهني ومفهوم نموذج الرواد . كان يمثل الاول فلاديمير جابوتنسكي وكان هدفه انشاء جيش وطني غير منحاز لاية ايديولوجية او حزب سياسي على أن يكون هذا الجيش تحت تصرف الدولة المنتدبة من أجل توطيد سيطرة اليهود على فلسطين .

ولكن الفكرة التي رجحت على فكرة جابوتنسكي حول الدور القيادي العسكري كانت فكرة « الجندي الرائد » المبنية على نظريات يوسف ترمبلدور وطبقت على ما سمي « فوق العمال » . وكان يرى وظيفتها الدفاعية على أنها لضمان بقاء المستعمرات التعاونية ويرى في الانضباط العسكري وفي الجندي الرائد في الاستيطان طريقة لتحقيق الخلاص على المستوى الفردي والقومي . وتصور ترمبلدور شراكة عسكرية سياسية تسيطر القيادة السياسية فيها بصورة مستمرة . وكان على العسكريين ان يتشبعوا بايديولوجية الصفوة السياسية وان يعملوا باعتبارهم السلاح التنظيمي . وعندما تعمل هاتان الصفوتان العسكرية والسياسية مع بعضهما فلتجنيد كامل قوى الامة خالقان بذلك نوعا جديدا من المجتمع ودولة جديدة .

**الهاشومير : فرق الحراس** ـ يذهب برلمتر كسابقيه ان اولى قوى الدفاع اليهودية تشكلت في الشتات في اواخر القرن التاسع عشر، وان حزب بوعالي صهيون وهو الحزب الذي سبق الحركة الاشتراكية الصهيونية هو الذي شكلها من اجل الدفاع عن الاحياء اليهودية ( الغيتو ) من الهجوم عليها . وهذا الحزب هو الذي أشرف أيضا على تشكيل فرق الحرس في فلسطين عام ١٩٠٥ والتي حلت محلها عام ١٩٠٩ فرق الحرس المعروفة بـ هاشومير . وكانت فرق الهاشومير في بدايتها لا تشكل مجموعة متماسكة من الصهيونيين بل مزيجا من الصهيونيين من شرقي اوروبا واوكرانيا والقفقاس ثم انضم اليها يهود روسيون ماركسيون وبثوا فيها روحا محاربة . والذي ابقى على فرق الحرس « الهاشومير » حتى منتصف العشرينات كان قرب التزامها الايديولوجي والقومي من الفئات الاشتراكية الرائدة في فلسطين .

وكانت فرق الهاشومير تعمل كنواة تآمرية ( استعمل برلمتر كلمة Conspirational ) تغلغلت في معظم المنظمات الاشتراكية الصهيونية في فلسطين لتتدخل وتنافس عمل

الهستدروت ( الاتحاد العام للعمال في فلسطين ) . وهكذا تحت ستار تأمين الدفاع سعت فرق الهاشومير الماركسية ان تحول فعالية الصهيونية الاشتراكية الى اتجاه ماركسي.وفي عام ١٩١٢ حددت الهاشومير عقائديتها كما يلي:(١) لن تحصر فرق الحرس دورها بالحماية المادية للمستوطنات اليهودية . بل يجب ان تدخل في اذهان المستوطنين الوعي بضرورة الدفاع عن انفسهم (٢) تشكل فرق الحراس نواة توسيع الوظائف الدفاعية للمجتمع اليهودي (٣) يجب أن تكون هي صاحبة الامتياز للدفاع عن المجتمع اليهودي في فلسطين (٤) يتبع ما تقدم ان فرق الحرس يجب ان تصبح القوى المسلحة المتآمرة للمجتمع اليهودي في فلسطين . ولتحقيق هذه الاهداف اقامت الهاشومير التي كانت منظمة سرية الاجراءات التنظيمية لمثل هذه الفعالية . وفي عام ١٩١٩ اصبحت الهاشومير رابطة متماسكة لا يزيد عدد اعضائها على المائة ولم تكن مجرد اتحاد للحرس بل نشأ تماسكها عن عدة اسباب : العقائد الاشتراكية ، تجربة الحراسة ، الحياة الشيوعية المشتركة ، الترابط القومي والفلكلور البطولي . ولم يكن الشكل الاخير الذي عرفت به مجرد جمعية حراس ولكن نواة اجتماعية سياسية تقودها نخبة اشتراكية قومية نظروا لانفسهم على انهم يمثلون الاندفاع الصهيوني الاشتراكي .

**فرق العمل** : قاد الجهد الثاني لتشكيل فرق دفاعية ترمبلدور وهو صهيوني اشتراكي راديكالي ومحارب قديم اشترك في الحرب الروسية اليابانية عام ١٩٠٥ وقد اشترك مع جابوتنسكي ووايزمن في الدعوة لتشكيل فرقة يهودية تحارب في صفوف الحلفاء في الحرب العالمية الاولى . وقد تم تشكيلها بالفعل وكانت القاعدة لبنية سياسية تنافس حولها عدد من الاحزاب الصهيونية عندما قاربت الحرب العالمية الاولى من نهايتها .وقد نظر جابوتنسكي الى الفرق اليهودية على انها المرحلة الاولى لتطوير جيش يهودي في فلسطين وقام جابوتنسكي بجهود جبارة لابقاء الفرق اليهودية كطلائع جيش الاحتلال اليهودي في فلسطين وضروري ان نتوقف قليلا هنا لنلقي نظرة اجمالية ونستخلص بعض النتائج المترتبة على هذه المرحلة الاولى مرحلة ولادة الارهاب الصهيوني . ويبدو أن هذه الروايات المتعددة عن نشأة الارهاب الصهيوني تثبت النتائج التالية :

١ ــ تعود نشأة الحركات الارهابية الصهيونية الى ولادة الحركة الصهيونية في اواخر القرن التاسع عشر في اوروبا وانها بدات بكل تأكيد في مطلع هذا القرن في اوروبا الشرقية مما يجعل مجيء اليهود لفلسطين او على حد تعبيرهم « عودتهم لارضهم » غزوة عسكرية استيطانية . ومع ان الجيل العربي الذي كان في الجامعات في الحرب العالمية الثانية واخرها لم يسمع عن الارهاب الصهيوني والتشكيلات الارهابية اليهودية الا في اواخر الحرب العالمية الثانية فان قواعده واطار تشكيلاته تعود حتما الى ما قبل وعد بلفور والى ما قبل الانتداب البريطاني على فلسطين .

٢ ــ ان المستعمرات اليهودية منذ تأسيسها كانت قلاعا عسكرية وهي وان كانت دفاعية في مرحلتها الاولى لكنها كانت معدة لان تصبح قلاعا للهجوم والتوسع بدليل ما كتبه الون عن الاستراتيجية الشاملة والاعتبارات التي املت اختيار مواقعها .

٣ ــ الدمج الكامل في الاستيطان اليهودي بين المؤسسة العسكرية والمؤسسة المدنية بحيث تغذي الواحدة الاخرى باستمرار وكلما قضت الحاجة لذلك : بل لا بد من التأكيد ان المؤسسة العسكرية هي القاعدة الكبرى التي تغذت وتتغذى منها المؤسسة المدنية. والانتقال من الواحدة للاخرى في زمن الحرب والسلم شامل سهل وشبه آلي . ويترتب على ذلك اننا سنجابه لعدة اجيال اخرى مجتمعا اسرائيليا هو في اصله وتكوينه وبنيته واتجاهه مجتمع عسكري .

٤ ــ ان جمع الاسلحة واخفاءها والتدرب عليها يعود لاواخر الحرب العالمية الاولى .

٥ — ان المؤسسة الجاسوسية الاسرائيلية وهي كلها جـزء لا يتجزأ من الارهـاب الاسرائيلي وقسم منه ، رافقت المؤسسة العسكريـة الاسرائيلية منذ الحرب العالمية الاولى .

٦ — الاثر القوي الذي كان للفرقة اليهودية التي حاربت في صفوف الحلفاء في الحرب العالمية الاولى في تكوين العسكرية الاسرائيلية التي قام عليها الارهاب الاسرائيلي وفي ازدواجية الولاء عند كل صهيوني بحيث ان الجنود والمتطوعين الاميركيين والبريطانيين اليهود منذ ذلك الحين احسوا بواجب الخدمة العسكرية في صفوف المستعمرين اليهود في فلسطين واسفار المستعمرات اليهودية بالقوة .

٧ — تتضح العرقية الاستيطانية الصهيونية منذ بداية الحركة الصهيونية، فالاشارات في جميع المصادر عن الارهاب اليهودي التي اعتمدنا عليها حتى الان كلها تشير الى العرب « كبدو » « ورجال عصابات » و« لصوص » و« قتلة » مما يضع اليهود الصهاينة منذ بدء المجابهة على مستوى أعلى في نظر أنفسهم عن العرب ولا يتركون ثمة مجال لشك القارىء انهم من طينة اعلى .

٨ — هذا كله لم يمنع الذين ارخوا للارهاب الصهيوني الذي كـان قاعدة العسكريـة الاسرائيلية من الاعتراف بقوة المقاومة العربية للغزوة الصهيونية منذ بداية الغزوة في العشرينات وانها كانت عاملا فعالا في تقوية المنظمات الارهابية الصهيونية .

في ثلاثمائة صفحة يعظم الكاتب ماردور وهو من ضباط الهاغاناه سابقا اعمال العنف والارهاب والتآمر التي خططت لها الهاغاناه ونفذتها ، يروي انه في عام ١٩٣٦ « كان علينا ان نحصل على السلاح حيث كان بل كان علينا ان نشرع بصنع أسلحتنا . [ ص ٥ ] » ويتابع « كانت الهاغاناه منظمة سرية ولكن اعضاء وحدات « البم » POM كـان عليهم أن يمعنوا اكثر في السرية(٨). كانت فرق العمليات الخاصة فرق كوماندوس . وكانت المفاجأة ضرورية لنجاح أية عملية قدر ما كانت شجاعة اولئك الذين يقومون بها ضرورية . » ( ص ٧ ) وكان على الفتيات في صفـوف الهاغـاناه ان يهيئن البـزز العسكرية المسروقة من الشرطة الانكليزية لاستعمالها في خديعة العرب ونسف بيوت المخاتير . ويقول « لقد تم نسف بيت مختار اخر من قبل وحدة كان يقودها دايان الذي سيصبح في المستقبل رئيس اركان للجيش الاسرائيلي » (ص ١٥).وهكذا يتضح ان نسف البيوت العربية نوع من الارهاب الذي تدرب عليه دايان ولم يحدد الكاتب الارهابي ان كان دايان في هذه العملية يرتدي ثياب الشرطة البريطانية.اما اليوم فدايان يرتدي ثوب وزير الدفاع الاسرائيلي . وبين الاهداف الرئيسية للهاغاناه كان فتح الطريق لفلسطين امام المهاجرين اليهود غير الشرعيين .

ومن الفصول التي تلقي ضوءا كبيرا على تغلغل الهاغاناه في البلاد العربية الفصـل العاشر الذي عنوانه «الاتجاه لليهود الشرقيين» . اقول «تلقي ضوءا كبيرا» لان الرواية المألوفة التي ترددها الدعاية الصهيونية ان يهود البلاد العربية غادروا لاسرائيل بسبب اضطهاد العرب لهم وان مجرد تبادل للسكان قد تم عندما طردت الاكثرية العربية مـن فلسطين بين ١٩٤٧ و١٩٤٨ . لكن الكاتب يروي لنا انه هو ذاته كان مكلفا عام ١٩٤١ بمهمة التغلغل بين اليهود في البلاد العربية وتركيا وايران لاقناعهم بالهجرة لاسرائيـل عندما تقوم هذه الدولة . ولتحقيق هذا الهدف انشأت الهاغاناه سرا طريقا مـن ايران للعراق مارة بشرق الاردن او سوريا ولبنان حتى تتصل بفلسطين ، ولتسهيل هـذا التغلغل — يقول الكاتب — انه تم اقناع عائلات يهودية لتقيم محطات على الطريـق احيانا بشكل « وكالات للتصدير والتوريد » كما كانت الحال في كل من دمشق وبيروت وبغداد . ومما سهل في نقل هذه الطوائف اليهودية من البلاد العربية ان عددا مـن

اعضاء الهاغاناه كانوا ضباطا في الجيش البريطاني وكان بوسعهم بالتالي ان يمونوا المهاجرين بوثائق مزورة .

يتابع هذا المؤلف فيقول : « سعيا وراء اغراء اليهود بالهجرة لفلسطين تمكنت **وانـــا ارتدي الثياب العسكرية البريطانية** تمكنت من السفر من دمشق للرطبة فبغـــداد . » ( ص ٩٤ ) . وفي العراق « كنت اجتمع بفرق يهودية اسسناها للدفاع الذاتي في بغداد واتحدث اليهم عن الهاغاناه ومآثرها في فلسطين . وكانت هذه الفرق تضم شـــبابا وشابات معا » ( ص ، ٩٧ ) . وفي عام ١٩٤٣ سافر الارهابي الكاتب لايران للقيـــام « بوظيفة تمثيلية وهي اهداء الجيش السوفياتي سيارتي اسعـــاف مقدمتين من يهود فلسطين » . وقد مهدت له هذه المهمة الطريق لان يقيم خلايـــا سريـــة فـــي ايران ( ص ٧٧ ) .

وكان بين الاهداف الرئيسية للهاغاناه الحصول على اكبر قدر ممكن من السلاح مـــن الجيش البريطاني . وفي عام ١٩٤١ كانت الوحدات اليهودية مقيمة في مصر والصحراء الغربية مما وسع الى حد كبير مجال الاستيلاء على الاسلحة البريطانية . يقول :

« اخذ رجال الهاغاناه الذين انخرطوا في الجيش البريطاني على عاتقهم **مهمة مزدوجة** : ان يحاربوا في صفوف الجيش البريطاني على اية جبهة يرسلون اليها وفي الوقت ذاته أن يقوموا بكل ما يستطيعون القيام به من اجل تسليح يهود فلسطين ـــ اليشوف ـــ » . ( ص ١٦٣ ) .

وكانت مهمة تزوير جوازات السفر والثياب ملقاة على عـــاتق فرقة اختصاصية مـــن الرجال والنساء . وكان للاذاعة السرية للهاغاناه ـــ صوت اسرائيل «كول اسرائيل» ـــ رمزا خاصا للاتصال بجميع خلايـــا الهاغاناه الممتدة من شمالي افريقيا لايران .

وعندما انتهت الحرب العالمية الثانية أخذت « ريكش » ـــ فرق الهاغـــاناه المكلفـــة بالحصول على السلاح تجوب انحاء اوروبا بحثا عنه وفي ٣٠ ايلول ( سبتمبر ) ١٩٤٧ يروي المؤلف ان بن غوريون امره بالعودة لاوروبا من أجل استئناف عمليات ـــ ريكش ـــ وانه كان مسؤولا لاثنين من قادة الهاغاناه اسرائيل غاليلي ويعقوب دوري . وفـــور التصويت على قرار التقسيم كانت مهمة « ريكش » الحصول على جميع انواع الاسلحة بما في ذلك أثقلها لتهريبها لفلسطين من أجل الحرب المقبلة مع العرب . يقول في وصف عمليات ريكش التي اشترك فيها :

« لقد كنا هناك نشتري الاسلحة في بلاد غريبة ونعبئها في صناديق عجيبة ونحملها على مراكب اجنبية في بلاد أجنبية . ويرافق ذلك كله الضرورة القاهرة للسرية المطلقة . **لقد كنا متآمرين خارج القانون ومع ذلك كنا نطيع ما هو قانون اعلى بالنسبة الينـــا .** » ( ص ٢٣٠ ) .

هذا هو « القانون الاعلى » الذي اشرنا اليه في ما تقدم من هذا البحث والذي حلـــل الصهاينة اليهود والاسرائيليين من كل الضوابط الاخلاقية العادية التي يأخذ بها جميع الناس وبررت في اعينهم ارتكاب أية جرائم وحشية بربرية بما في ذلك جرائم الاغتيـــال من اجل الدولة . ويهم القارىء العربي ان يعرف ان كتاب « تاريخ الهاغاناه » لبن زيون دينور الذي اوردناه في قائمة المصادر تضمن لوائح باسماء الزعماء العرب الذين قررت قيادة الهاغاناه اغتيالهم ـــ منذ عام ١٩٤٥ ـــ ومن اعضاء هذه القيادة وزراء في دولة اسرائيل اليوم ـــ ولكن الهاغاناه اجلت التنفيذ .

واكملت الهاغاناه رسالتها وبلغت ذروة مهمتها في ٣١ ايار ( مايو ) ١٩٤٨ عندما أصدر رئيس الوزارة بن غوريون الامر التالي :

« مع اقامة دولة اسرائيل خرجت الهاغاناه من مخبئها وتحولت الى جيش نظـامي . » ( ص ٢٣٠ ) .

وفي القسم الرابع والاخير من الكتاب يروي لنا الكاتب كيف ان جيش اسرائيل النظامي انتهز فرصة وقف اطلاق النار في ٢٢ ايار (مايو) ١٩٤٨ والتعليمات الصادرة عن مجلس الامن بتاريخ ١٩ آب ( اغسطس ) ١٩٤٨ لانهاء عمليتين : الاولى عملية « بلق » Belek — وتعني الطائر — والثانية عملية « وعاء الغبار » التي انتهت في ٢١ تشرين الاول ( اكتوبر ) ١٩٤٨ . أما العملية الاولى فقوامها تهريب ثلاث قاذفات قنابل ثقيلة من المطارات العسكرية من اميركا طراز ب — ١٧ المعروفة بالقلاع الطائرة والتي هربت عن طريق باناما وحطت في مطارات سرية فياوروبا الشرقية ومنها لاسرائيل ثم استعملت في قصف كل من دمشق والقاهرة في صيف ١٩٤٨ . وانتهت العملية بتوسيع رقعة اسرائيل ٢٢ ٪ عن حدود التقسيم وقد قامت الهاغاناه بهذا التوسع مع فرق البالماخ الارهابية والتي سنتحدث عنها في ما بعد . وشملت العملية الثانية عمليـة « الآفات العشر » التي قادها يغال الون وانتهت باحتلال النقب . لقد تغير اسم الهاغاناه فعلا بعد قيام اسرائيل . ولكنها احتفظت جوهرا بالموقف الارهابي كما « ولد في عقـول » مؤسسيها وقادتها .

يتحدث الكثيرون ان العرب لم يقبلوا قرار التقسيم الذي صوتت عليه الامم المتحدة عام ١٩٤٧ . ويفعل حسنا هؤلاء لو قرأوا بعض التاريخ . فالتقسيم لم يكن في نظر اسرائيل اكثر من نقطة ارتكاز للتوسع . ونجد احد الادلة الكثيرة على ذلك في الوثائق الرسمية لوزارة الخارجية الاميركية التي تظهر دور الهاغاناه في الموضوع كله. ففي برقية مؤرخة في ٢٣ كانون الثاني (يناير) ١٩٤٣ من الوزير المفوض الاميركي كيرك لوزير خـارجيته جاء ما يلي : « وجدت من ناحية اليهود الموظفين الصهاينة في الوكالة اليهودية في القدس جازمين« أن فلسطين ستصبح في نهاية هذه الحربلا مجرد وطن قومي لليهود ولكن دولة يهودية بالرغم من أية معارضة تأتي من اكثرية مليون العربي الذين يعيشون الان هناك. ويبدو بشكل قاطع ان جهودهم منصرفة لارغام العرب على خرق الهدنة غير الرسمية التي قامت بينهم منذ أن ابتدأت الحرب . وليس سرا ان الهاغانـاه وهـي المنظمـة العسكرية السرية اليهودية مسلحة تمام التسليح وقد اعدت خططا كاملة لتحقيق هذا الهدف »(٨) .

وفي ٥ ايار ( مايو ) ١٩٤٣ بعث الجنرال باتريك هرلي الممثل الشخصي للرئيس روزفلت برسالة جاء فيها : « اشارت المنظمة الصهيونية في فلسطين الى التزامها لبرنامج موسع يشمل (١) دولة يهودية ذات سيادة تضم فلسطين وشرقي الاردن (٢) اخراج السكان العرب من فلسطين للعراق (٣) ان يصبح الشرق الاوسط بكامله خاضعا للقيـادة اليهودية في اقتصادياته وتنميته »(٩) .

**البالماخ** : كانت تشـكل القوة الضاربة للهاغاناه وانتخب الذين انخرطوا في صفوفها من اقوى عناصر الهاغاناه وشباب المستعمرات . وكان تشكيلها نتيجة للتذمر بـين جيل الشباب وفي الكيبوتزات ان الهاغاناه ويهود فلسطين اجمالا اما انهم يتعاونون مع السلطة المنتدبة او لا يأخذون موقفا هجوميا من العرب وكانوا يريدون العكس . امـا أفضل مصدر عن البالماخ فهو كتاب في جزئـين بالعبريـة عنوانـه **« سفر البالماخ »** لزروبجـافل جلعـاد نشر في تـل ابيب ١٩٥٣ . يبتـدىء الجـزء الاول بـ ١٩ نيسـان ( ابريـل ) ١٩٣٦ وينتهي في ٢٩ تشـرين الثـاني ( نوفمـبر ) ١٩٤٧ أي تـاريخ تصويت الامم المتحدة على التقسيم . أما الجزء الثاني فيتـابع التغطية حتـى نهاية عام ١٩٥٢ وفي اوله رثاء يغال الون للارهابي اسحق سعده Isaac Sadeh الذي يشير اليه كبطل وهو الذي ادت جهوده الى تشكيل فرق البالماخ . كان قد أسس

فرق « الدوريات » Ha-modedet من المستعمرات الجماعية الشيوعية بالاشتراك مع Wingate والتي عرفت أيضا « بمشمار » او « الحرس المتنقل » Mishmar'na وكان يطالب بتأسيس صفوة عسكرية محترفة ومستقلة تكون نواة لجيش مستقل يبنى حولها . وقد تمكن سعده من اقناع غولمب قائد الهاغاناه وموشي سنيه رئيس اركانها بمخططه فعين سعده قائدا للبالماخ على ان يكون مقره في رئاسة أركان الهاغاناه فشكل فرقا دعيت باسمه . وكان عددها ست فرق تعمل كل واحدة منها في جهة من جهات فلسطين . وفي ١٥ أيار ( مايو ) ١٩٤١ دمجت بالهاغاناه على انها القوة الضاربة لها .

وهكذا اصبحت البالماخ اول وحدات عسكرية محترفة للهاغاناه لها هدف شامل وهو الاشراف على الوضع العسكري في فلسطين بكاملها كما انها تمثل الاتجاه التوسعي العسكري في الحركة الصهيونية وتحقيقه على مستوى واسع لا الاكتفاء بمجرد الدفاع عن المستعمرات ولها ايديولوجيتها ونظامها الدقيق . وبين ١٩٤١ و ١٩٤٨ تطورت البالماخ وتشعبت بحيث اصبحت لها تنظيماتها العسكرية في كامل انحاء فلسطين . والى الجانب السياسي كانت هناك العقيدة السياسية لرجال البالماخ .

وكنموذج لعقيدة التوسع في الارض التي كانت الدافع الاساسي والهدف الاعلى للبالماخ نورد ما القاه اسرائيل غاليلي لضباط الهاغاناه والبالماخ في ٢٠ تشرين الاول ( اوكتوبر ) ١٩٤٧ قال : « ان مجرى الصهيونية على طريق تحقيقها هو في الاساس حرب اليهود في الشتات وككل حرب له طبيعته السياسية ويجابه عقبات سياسية يجب التغلب عليها . واسرائيل هي تجسيد لذلك » ( سفر البالماخ . الجزء ٢ . ص ١٤ ) « يجب أن لا ننسى ان اسرائيل التي نحارب من اجل اقامتها هي قبل كل شيء تصور للارض . والتصور ليس تصور الامم المتحدة في مشروع التقسيم وانما اسرائيل بكاملها . وليست ستراتيجيتنا خاضعة للقواعد التكتيكية الروتينية . وانما هي خاضعة لقدرنا وقدرنا ان نكون في أرضنا . ان نكون في جميع ما اعطتنا اياه الامم المتحدة على الاقل مع الامل ان **نستولي على كامل أرض الوطن الام** » ( المصدر السابق ص ٢٠ ) . وفي ١٧ شباط ( فبراير ) ١٩٤٨ خطب اسرائيل غاليلي في جماعة يقول : « سندافع لا عن كل بقعة يوجد فيها يهود ولكن عن جميع الاراضي التي خصصت لنا بموجب التقسيم وما وراءها » . ( المصدر السابق ، ص ١٨ ) .

وقد لخص يغال الون كل مرحلة من مراحل معركة الصهيونية من أجل اسرائيل في اقسام عناوينها « الاهداف والواقع » و« حقيقة الامر » . يقول في القسم الرابع من هذه الاقسام «لم تبتدىء حرب الاستقلال في ١٤ أيار ( مايو ) ١٩٤٨ باعلان قيام الدولة وغزوة الجيوش العربية . بل لا يستطيع أحدنا ان يقول انها بدأت باتخاذ قرار التقسيم في ٢٩ تشرين الثاني ( نوفمبر ) ١٩٤٧ . بل من الاصح ان نضع بدايتها عند تاريخ وصول اول باخرة ــ الباخرة دولين ــ التي كانت تحمل لاجئين من أوروبا بعد نهاية الحرب العالمية الثانية أي في آب ( اغسطس ) ١٩٤٥ » . وفي حرب ١٩٤٨ كانت فرق البالماخ هي التي احتلت النقب وكانت تقاتل في الجبهة الجنوبية .

من الادوار الرئيسية التي قامت فيها البالماخ هي اخراج الاكثرية العربية من فلسطين . فمذبحة دير ياسين اشتركت فيها الهاغاناه والبالماخ مع عصابة الارغن كما سنظهر في ما بعد . ونشير هنا الى ما كتبه يغال الون في الفصل الذي عنوانه « تنظيف الجليل » ، الذي قام على تنفيذ خطة عرفت « بخطة دالت » . وكان قوام هذه الخطة القاء الرعب في قلوب الجماهير العربية في الجليل عن طريق مخاتير اليهود بالايحاء لمخاتير القرى العربية ولمن لهم اتصال فيها ان جيشا يهوديا قويا يتقدم وانه يحرق جميع القرى العربية في طريقه وانه لم يبق للعرب سوى ان ينجوا بأنفسهم فأخذ العرب بالهرب بالآلاف وكان ذلك قبل خمسة ايام من اعلان الدولة اليهودية . وقد حققت هذه الخطة تمام المقصود

منها بشكل مدهش . هنالك مصادر اخرى روت تفاصيل « خطة دالت » بالاضافة الى كتاب البالماخ ذكر الاستاذ وليد الخالدي ثلاثا منها — في بحث منشور عام ١٩٦١ — وهي معارك اسرائيل ١٩٤٨ بالعبرية ( كورفت ) Qurvot وهو مرجع ثقة عن البالماخ والهاغاناه ، وبالانكليزية The Edge of the Sword — «حافة السيف» لمؤلفه ناتانائيل لورش وهو من ارهابيي الهاغاناه سابقا كما يروي في كتابه ثم عين في السلك الدبلوماسي الاسرائيلي ومن مهازل القدر انه كان يمثل بلاده مرارا في اللجنة الثالثة للجمعية العامة التي تبحث في حقوق الانسان والشؤون الثقافية . وكتاب « تصادم الاقدار » لمؤلفه داوود كمشه . وقد جاء في الاول من هذه الكتب الثلاث « ان الهدف من « خطة دالت » كان السيطرة على جميع المناطق التي اعطيت لليهود بموجب قرار التقسيم بالاضافة الى المناطق التي احتلتها البالماخ خارج حدود التقسيم . ويروي انه من اصل ثلاث عشرة عملية لتحقيق اهداف « خطة دالت » والتي يرد ذكرها بتفصيل واسهاب في « كتاب البالماخ » « فان ثمان منها قد نفذت في أراض عربية تقع خارج حدود التقسيم » .

يتخلل المجلدين الضخمين عن البالماخ اللذين يتناولان كما ذكرنا من عام ١٩٣٦ الى عام ١٩٥٢ اشارات متعددة للعرب بوصفهم « العدو » . ومما تجدر ملاحظته ايضا وجود عشرات الخرائط فيهما عن جولات للبالماخ « اثناء قيام افرادها بالواجب » في مختلف انحاء فلسطين والمناطق المعدة للاحتلال . وقد تضمن المجلد الاول صفحة ٩٨ خطة وضعتها البالماخ عام ١٩٤١ من اجل احتلال دمشق عسكريا بالاشتراك مع قوات الحلفاء .

ومن ارهابيي البالماخ الذين اشتهروا واصبحوا رؤساء أركان الجيش الاسرائيلي موشي دايان ( ١٩٥٣ — ١٩٥٧ ) واسحق رابين ( ١٩٦٣ — ١٩٦٧ ) وحاييم بارليف ( ١٩٦٨ — ١٩٧١ ) وعرف الجيش الاسرائيلي ٤٥ لواء كانوا من ارهابيي البالماخ السابقين ومنهم من اصبحوا وزراء وهم : الجنرال موشي دايان وزير الدفاع . الجنرال الون وزير العمل . الكولونيل موشي كرمل الذي اصبح وزيرا للنقل واسرائيل غاليلي احد مؤسسي البالماخ ورئيس اركان سابق للمنظمة الارهابية الام الهاغاناه اصبح معاونا لوزير الدفاع عام ١٩٤٨ وبعد انتخابات ١٩٦٥ وزيرا للاعلام .

قدرت الحكومة البريطانية في الوثيقة الرسمية التي أذاعتها في ٢٤ تموز ( يوليو ) ١٩٤٦ ( رقم ٦٨٧٣ ) والتي عنوانها « بيان حول اعمال العنف » قدرت قوى الهاغاناه والبالماخ ووصفتها كما يلي :

« الهاغاناه والبالماخ : منظمة عسكرية غير شرعية مجهزة تجهيزا قويا تأتمر بقيادة مركزية ولها قيادات اقليمية تابعة لها وتتألف من ثلاثة فروع تحت كل فرع منها نساء مجندات كما يلي :

قوة ثابتة تتشكل من المستوطنين وسكان المدن يقدر عدد جنودها بأربعين الفا .

جيش ميداني يستند الى قوة الشرطة في المستعمرات ومدرب لعمليات متحركة يقدر عدده بستة عشر الفا .

قوة ضاربة تحت السلاح بصورة دائمة ( البالماخ ) معبأة ولها وسائل نقلها تقدر قوتها بألفين في وقت السلم وبستة الاف في وقت الحرب . وجميع هذه القوى خاضعة للتجنيد الاجباري . فتلامذة المدارس ذكورا وأناثا بين سني ١٧ و ١٨ يمضون سنة في الخدمة الالزامية . وقد ذكرت الصحيفة الاسرائيلية هابوكر انه كان ينبغي قبل ١١ تشرين الثاني ( نوفمبر ) ١٩٤٥ ان تقدم كل منظمة لائحة بأعضائها الذين سينخرطون في الخدمة الالزامية لقسم التجنيد في الوكالة اليهودية » .

**الارغن زفاي ليومي او المنظمة العسكرية القومية** : لا يزال المصدر الاسلامي لدراسة هذه المنظمة الارهابية المتطرفة كتاب زعيمها مناحيم بيغن وعنوانه الثورة: قصة الارغن. ويليه كتاب صموئيل كاتز ــ ايام من النار ــ التاريخ السري للارغن زفاي ليومي وهو من قادة الارغن هاجر من افريقيا الجنوبية لفلسطين واصبح بعد قيام اسرائيل عضوا في الكنيست الاسرائيلي .

يقول بيغن الذي ولد ونشأ في بولونيا انه كطالب كان ناشطا في حركة « بيتار » التي أسسها جابوتنسكي بين يهود أوروبا الشرقية والتي كان هدفها العمل من اجل العودة لفلسطين . وقد أصبح رئيسا لهذه الحركة في بولونيا التي ضمت الملايين مــن اليهود الفقراء . يقول : « لقد ناضلنا اصدقائي وأنا لنعلم جيلا بكامله أن يتهيأ ليكافح لا من أجل اعادة بناء دولة يهودية فحسب بل ايضا ليحارب ويتألم ويموت من اجلها اذا اقتضت الحاجة . واذ كنا ملتزمين بتعليم الشباب وتنظيم عودتهم لارض اسرائيل بالرغم من ممانعة بريطانيا ارتفع في أرض اسرائيل علم الانبعاث القومي اليهودي وطلائع القوة اليهودية : الارغن زفاي ليومي وكان ذلك في نيسان ( ابريل ) عام ١٩٣٧ . وقد استندت الى تعاليم جابوتنسكي ( ١٨٨٠ ــ ١٩٤٠ ) أكبر قائد سياسي ــ على حد تعبير بيغن ــ لليهودية المعاصرة بعد هرتزل . وقد تنبأ بدقة أن الشعب اليهودي لن يحقق دولته واستقلاله قط الا اذا كان مستعدا أن يحارب من أجلهما . وقد رأى جابوتنسكي في الارغن القوة الحاسمة في الحرب الذي لا بد منه من اجل التحرر القومي » . ( الثورة ص ٣ ) . لكن زمن قيام الارغن ــ في ما يؤكده بيغن ــ يسبق زمن الهجرة اليهودية الواسعة لفلسطين ويعود الى زمن تأسيس « الفرقة اليهودية » اثناء الحرب العالمية الاولى من قبل يعقوب جابوتنسكي ــ وهو الذي أسس ايضـــا الحركة الصهيونية التصحيحية عام ١٩٢٥ ــ وليوسف ترمبلدور .

سبق أن أشرنا الى جابوتنسكي الذي يعتبر الاب الفكري للارغن وانه وضع كتابا عن « الفرقة اليهودية » يحمل هذا العنوان . وانه لمن المفيد حتما أن نتعرف على نوعية تفكيره . قال في الفصل الاول من كتابه : « مولد فكرة الفرقة » « ان الامل الوحيد في اعادة فلسطين لنا هو في تجزئة الامبراطورية العثمانية ولم أشك قط انه اذا دخلت تركيا الحرب فستقهر وستجزأ . وانه لتعتريني الدهشة هنا كيف يمكن لانسان ان يتصور خلاف ذلك أو أن تعتريه أية شكوك في الموضوع . . . اعتقد انه كان واضحا بالنسبة الي تماما ــ ومنذ الولادة اذا صح القول ــ انه اذا وقعت حرب بين انكلترا وتركيا فالسلوك السليم بالنسبة لليهود هو **أن يشكلوا فرقة منهم وان يساهموا في غـــزو فلسطين** . وحقيقة الامر ان هذه الفكرة هي فكرة طبيعية لا بد أن تأتي في مثل هذه الظروف لاي انسان في حالة سليمة طبيعية » . ( الفرقة اليهودية ، ص ٣٠ ــ ٣١ ) .

وفي حوار مع صديق له في ما اذا كان اليهود أبنـاء عم للاتراك يقول : « لن نسمح للمعتوهين والمجانين ان يملوا سياستنا . فالاتراك ليسوا أبناء عم لنا على الاطلاق . بل لا توجد اية صلة البتة بيننا وبين اسماعيل [ الذي تحدر العرب منه ] . **نحن قسم من اوروبا واننا لنحمد الله على ذلك : فخلال ألفي سنــــة ساعدنا على بنـــاء الحضارة الاوروبية . نحن ذاهبون لفلسطين لنوسع حدود أوروبا الاخلاقيـــة الى الفرات** . ان الد عدو لنا في هذا المشروع هم الاتراك . ولن ندع ساعة سقوطهم تدق دون ان نفعل شيئا في ذلك » . ( المصدر السابق ، ص ٣٢ ) .

وعندما أعلنت الحرب « منع الاتراك اللافتات باللغة العبـــرية فوق المحلات التجارية واوقفوا زعيم الحركة الصهيونية في فلسطين مع انه الماني الجنسية ونفوا عددا كبيرا من يهودها للخارج واعلنوا صراحة انهم **لن يسمحوا باستمرار اي استعمار يهودي فيها بعد الحرب** » . ( المصدر السابق ، ص ٤٠ ) .

وبعد أن تشكلت الفرقة اليهودية يعلق : « تلك الفرقة المجهزة بحراب وبنادق لويس Lewis **ساهمت اخيرا في غزوة فلسطين وتامينها لليهود** » . (المصدر السابق، ص ٤٥).

لست أعتقد أن كلام جابوتنسكي الاب الروحي الذي تدعيه الارغن والذي تدعيه الهاغاناه يحتاج الى شرح أو تفسير او تعليق . فاليهود في نظره غزاة أوروبيون لا تربطهم بالعرب أية صلة ويجب ان يحتلوا فلسطين بالقوة لتوسيع رقعة أوروبا الى الفـرات . وقد ساهمت الفرقة اليهودية فعلا بغزو فلسطين لانها كانت تحت امرة الجيش البريطاني الذي دخلها . ومن روحها وصفوفها نشأت العسكرية الاسرائيلية التي كانت ولادتها في شكل الارهاب فقامت الهاغاناه اولا والارغن ثانيا لانها وجدت ان الهاغاناه كانت معتدلة وكان عليها أن تلتزم منذ البداية بخطة الهجوم لا بخطة الدفاع .

يقول بيغن في مقدمة كتابه الثورة « لقد كتبت هذا الكتاب لشعبي بالدرجة الاولى كي لا ينسى الفرد اليهودي في الحاضر كما نسي في الماضي وبشكـل مفجع هذه الحقيقـة البسيطة : « توجد أشياء أثمن من الحياة واكثر فظاعة من الموت » .

« ولكنني كتبت هذا الكتاب ايضا لغير اليهود ـ خشية أن لا يكون قد ثبت لديهم او خوفا من ان يكونوا قد نسوا انه من الدماء والنار والدموع والرماد قد خلق صنف جديد من البشر لم يعرفه العالم لاكثر من الف وثمانمائة سنة وهو « **اليهودي المحارب** » . ذلك اليهودي الذي ظنه العالم ميتا ومدفونا ولن يبعث قط قد بعث حيا من جديد لانه قد تعلم تلك « الحقيقة البسيطة » عن الحياة والموت وانه لن يساق ثانية قط الى حافـة القبر وانه لن يزول عن وجه الارض » . ( الثورة . المقدمة . ص ١ ) .

والكتاب ينبض بالحقد في كل صفحة من صفحاته وبيغن لا يحاول اخفاء ذلك بأي شكل او يداور فيه بل يعلنه في المقدمة ويعترف انه بين الدوافع الاولى التي استوحى منها فلسفته ومنطقه . يقول : « قال ديكارت أفكر فأنا اذن موجود. واقول احارب فأنا اذن موجود » . وهذا القول الاخير عنوان للفصل الرابع في الكتاب الذي يشرح فيـه بيغن عقيدته . واني لاجزم ان كل مثقف عربي يجب ان يقرأه . ومن المؤسف ان ما نكتبه اليوم في هذا الموضوع كان يجب أن يكتب قبل ربع قرن على الاقل وان يصبح قراءة الزامية على التلامذة والطلاب العرب ليعرفوا القدر المرسوم أمامهم : قدر يترجم بالدم والحديد والنار وليدركوا تلك الحقيقة البسيطة التي أدركها اليهود وليتيقنوا ان المآسي التي تفرض على الافراد والجماعات ليست من ابداع الخيال بل هي حقائق سنعيشها وسنعيش أرهب منها لان الاسوأ لم يقع بعد .

كتب بيغن منذ ١٩٥٠ معلقا على مأساة الشعب اليهودي « الانسانية بكاملها ستتقهقر الى الوراء الى ظلام الوحشية اذا سمحت لنفسها أن تنسى قدر الملايين من اليهود من أمثال « دريفس » أو اذا فشلت ان تنتج كاتبا كاميل زولا Zola ليذكرها بمأساة ذلك الضابط الفرنسي اليهودي الذي اتهم بالخيانة ظلما . واذا كانت الانسانية بكاملها مهددة بعدو اسمه اللامبالاة فهذا التهديد هو أكبر بما لا يقاس بالنسبة لليهود انفسهم . لذلك فان أكبر تحذير لليهود وغير اليهود يوجه الينا بالكلمات البليغة التي قالها الشاعر كبلنغ « لكي لا ننسى » . وواجب الثورة هي ان تبقي مأساة اليهود حية في أذهان الناس وان تذكرهم بها أبدا ودائما وبكل وسيلة ممكنة وبأي ثمن كان .

واليوم وبعد اقتلاع ثلاثة ملايين عربي من جذورهم وتهديد ملايين أكثر بالاقتلاع والزوال يجب أن نتوجه للعالم وللعرب قبل العالم بذات الكلمات البليغة « لكي لا ننسى » .

**الصراع بكامله منذ نشوء قضية فلسطين الى اعلان قيام اسرائيل هو في نظر بيغن بين قوتين متقاطبتين : اليهود من جهة والبريطانيون المحتلون من جهة اخرى . أما العرب فوجودهم هامشي في هذاا لصراع التاريخي بين القوتين . وأن وجدوا فهم مجرد دمية في**

يد البريطانيين لتحارب اليهود بهم . ولذلك فالارهاب اليهودي ارتكز الى مقدمة تستنتج منها كل مواقفه . لا وجود « شرعي » للعرب . وما هو « شرعي » للاكثرية العربية هو مجرد « لاشرعية » بريطانية . لذلك يقول « بيغن » اخذت « الارغن » على عاتقها بالاشتراك مع حزب جابوتنسكي الصهيوني التصحيحي ومع منظمة « بيتار » بين الشبيبة اليهودية في أوروبا الشرقية ان تأتي بآلاف المهاجرين اليهود « غير الشرعيين » للبلاد رغم معارضة بريطانيا والعرب للهجرة اليهودية غير الشرعية . وبعد فبن غوريون ذاته وباقراره كان مهاجرا غير شرعي .

« الثورة » التي اختارها بيغن عنوانا لكتابه واسما لحركته هي التي تحول اللاشرعية الى شرعية . ولكنها ليست أكثر من ستارة للارهاب الدموي والبطش الانساني الذي تميزت به حركته . وليس ضروريا ان يكون الارهاب ارهابا يهوديا صهيونيا ضد العرب بل كان في أحيان كثيرة ارهابا يهوديا ضد اليهود . ففي الفصل ذاته الذي عنوانه « أحارب فأنا اذن موجود » كتب بيغن عن حرب عصابته ضد الحيلولة في وجه الهجرة اليهودية لفلسطين : « ان الباخرة باتريا Patria التي وصلت لحيفا تقل مهاجرين يهود لم تبحر قط . فالارهابيون اليهود — وقد استعمل هذه اللفظة بالذات Jewish Terrorists وضعوا قنبلة في الباخرة ليحولوا دون اقلاعها . وقد انفجرت القنبلة فقتل وغرق أكثر من مائتي يهودي » . ( الثورة ، ص ٣٥ ) .

وماذا عن ارهاب الارغن ضد العرب ؟ يقول بيغن « لقد نجحنا في المراحل الاولى من الثورة ان نحقق هدفا ستراتيجيا هاما : لقد نجحنا في تعطيل العامل العربي الموضعي .

عندما وقعت الهجومات العربية ضد اليهود اعوام ١٩٢٠ و ١٩٢١ و ١٩٢٩ و ١٩٣٣ و ١٩٣٦ — ١٩٣٩ فقد كان البريطانيون يبررون وجودهم في فلسطين من اجل الدفاع عن اليهود . ولكن بعد ان نجحنا في تعطيل القوة البريطانية دون ان نتعرض للعرب اخذ البريطانيون يبررون وجودهم في فلسطين من اجل حماية العرب » . ( المصدر السابق ، ص ٤٨ ) . « قلنا للعرب انه لم تكن لدينا اية رغبة في محاربتهم او الحاق الاذى بهم . واننا حريصون كل الحرص ان نراهم مواطنين مسالمين في الدولة اليهودية المقبلة . واستشهدنا بالحقيقة التي لا تنكر في اننا في العمليات التي قمنا بها في المناطق العربية لم نقم بأي عمل ضد سلام العرب أو أمنهم » . ( المصدر السابق ، ص ٤٩ ) . لكن بيغن لا يلبث ان يكذب نفسه بنفسه . فمنذ عام ١٩٣٧ مارس الارهابيون اليهود قتل العرب واغتيالهم مستعملين ابشع انواع الارهاب والتحدي . وعندما اقتضت الستراتيجية الارهابية مهاجمة العرب فقد فعلوا ذلك . وفي ما يلي ما كتبه مناحيم بيغن نفسه عن مذبحة دير ياسين التي أنكرت الهاغاناه والبالماخ الاشتراك بها ووصفتها « بأنها غير ذات فائدة عسكرية وانها ضد الخطة العسكرية العامة من أجل الدفاع عن القدس » . ( المصدر السابق ، ص ١٦٢ ) . ولتكذيب ادعاء قيادة الهاغاناه يورد مناحيم بيغن نص رسالة تلقاها قائد الارغن في منطقة القدس من قائد الهاغاناه في المنطقة ذاتها . وفي ما يلي نص الرسالة : « لقد علمت أنكم تخططون لهجوم على دير ياسين . وأرغب أن أشير هنا ان احتلال دير ياسين والمحافظة عليها يشكلان مرحلة في خطتنا العامة . . . وعلاوة على ذلك فاذا دخلت قوة اجنبية لدير ياسين فان هذا يعطل خطتنا من اجل اقامة مطار في دير ياسين » . ( المصدر السابق ، ص ١٦٣ ) . ويتابع بيغن فيقول : « ان المطار اقيم في دير ياسين وان احتلال دير ياسين تم بمعرفة الهاغاناه وموافقة قائدها » . ( المصدر السابق ، ص ١٦٣ ) . ثم ينتقد رياء بن غوريون لانه اعتذر للعرب عن هذه المذبحة .

يمضي بيغن في التعليق على نتائج مذبحة دير ياسين فيقول : « لقد سيطر الذعر على العرب . فقرية كولونيا التي صدت حتى ذلك الحين كل الهجمات التي قامت بها الهاغاناه أخلاها سكانها في ليلة وسقطت دون اي قتال . كذلك اخليت قرية بيت

الاقصى . وكانت هاتان القريتان تطلان على الطريق الرئيسية المؤدية للقدس التي امكن فتحها والاحتفاظ بها بعد ذاك بعد ان تمكنت الهاغاناه من احتلال القسطل . وفي ما تبقى من البلاد سيطر الرعب على العرب واخذوا يهربون لينجوا بأرواحهم . وسرعان ما تحول هذا الفزع الجماعي الى اندفاع جنوني للهرب لم يعد بالامكان السيطرة عليه . ومن مجموع ۸۰۰ الف عربي كانوا يعيشون على بقعة اسرائيل الحالية (كتب بيغن كتابه بالعبرية ونشره عام ١٩٤٩) لم يتبق غير ١٥٦ الف عربي . وانه لتصعب المبالغة في الاهمية السياسية والاقتصادية لهذا التطور . ولقد مهدت دير ياسين الطريق لانتصاراتنا الحاسمة في طبريا واحتلال حيفا » . ( المصدر السابق ، ص ١٦٤ — ١٦٥ والحاشية رقم ١ ) .

وخصص بيغن الفصل ٢٩ من كتابه لـ « احتلال يافا » . وهذا الفصل برمته يجب ان يصبح جزءا لا يتجزأ من وثائق الامم المتحدة ومحاضرها لانه يظهر بشكل قاطع ( ١ ) كيف ان الصهاينة اليهود كانوا مصممين على « تطهير » فلسطين من جميع السكان العرب بما في ذلك المناطق العربية التي اعطيت للعرب بموجب التقسيم ( ٢ ) كيف ان جميع المنظمات الارهابية كانت تتعاون في ما بينها لتحقيق هذا الهدف رغم ان الوكالة اليهودية الناطقة باسم يهود فلسطين ويهود العالم حينذاك كانت تعلن عكس ذلك . فاذا تذكرنا ان التقسيم تم التصويت عليه في ٢٩ تشرين الثاني ( نوفمبر ) ١٩٤٧ وان الجيوش العربية لم تدخل فلسطين الا في ١٥ أيار (مايو) ١٩٤٨ فان الاشهر الواقعة بين هذين التاريخين كانت حاسمة وهي الاشهر التي كان الجهد العسكري السياسي الصهيوني منصبا خلالها على هدف مزدوج: تعطيل التقسيم فعليا وعمليا والدعاية في الوقت ذاته أن اليهود قبلوا التقسيم وان العرب رفضوه . يقول بيغن في الفصل عن « غزوة يافا » : « في الاشهر التي سبقت الغزوة العربية تابعنا القيام بهجمات في كامل المنطقة العربية . **وفي الايام الاولى من عام ١٩٤٨** كنا نفسر لضباطنا انه حتى هذا لا يكفي . فهجمات من هذا النوع نقوم بها قوى يهودية كانت دون ريب ذات اهمية نفسية كبرى . ونتيجتها العسكرية من حيث توسيع الجبهة العربية وارغام العدو على الدفاع لم تكن بدون قيمة . ولكن كان واضحا بالنسبة الينا ان اكثر الهجمات جراة لم تكن وحدها كافية لتحسم الموقف . **كان املنا ان نسيطر اكثر فاكثر على الارض** » .

« وفي نهاية كانون الثاني ( يناير ) ١٩٤٨ في اجتماع لقيادة الارغن اشترك فيه قسم التخطيط حددنا أربعة أهداف ستراتيجية : ( ١ ) القدس . ( ٢ ) يافا . ( ٣ ) سهل اللد — رمله . ( ٤ ) المثلث ( والمقصود بالمثلث مجموعة الاراضي التي تضم المدن العربية الثلاث نابلس طولكرم جنين ) » . ( المصدر السابق ، ص ٣٤٨ ) . ومن العودة لمشروع التقسيم وخارطته يتضح ان منطقة القدس كان مقررا ان تصبح منطقة دولية . وان يافا التي كانت مدينة عربية بكاملها اتبعت للدولة العربية وان كانت تقع ضمن منطقة يهودية وان المثلث بكامله كان داخلا في الدولة العربية . ثم يتابع بيغن فيقول : « حين قررنا على **ستراتيجية الغزو** لم تكن لدينا الاسلحة الكافية » . ( المصدر السابق ، الصفحة ذاتها ) .

واذن كان لا بد من الحصول على الاسلحة لا سيما وان الهجمات الاولى على يافا أثبتت ان احتلال هذه المدينة المقاومة كان أمرا صعبا . وعندها نصب ارهابيو الارغن كمينا لقطار مسلح كان يحمل عشرين طنا من الاسلحة فأوقفوه واخذوا بتفريغه وساعد الجنود البريطانيون مدة **اربع ساعات** على تفريغه ونقله لسيارات الشحن . وفي تلك الاثناء وزع رجال الارغن البرتقال على الجنود البريطانيين كمرطبات لهم . ويصفهم بيغن « بأنهم عملوا بمشقة وايمان . فنقلوا صندوقا بعد صندوق . وحملوا سيارة شاحنة بعد سيارة الى ان تم تفريغ القطار » . ( المصدر السابق ، ص ٣٥٢ — ٣٥٤ ) .

وعندما استعدت فرقة الارغن لتزحف على يافا خطب بيغن في رجاله يقول : « يا رجال الارغن . نحن الان على طريقنا لنغزو يافا . نحن الان مقبلون لنخوض احدى المعارك

الحاسمة في حرب استقلال العبرانيين » . ويختتم بيغن الفصل بقوله : « كانت غزوة يافا احدى الاحداث المصيرية في حـــرب الاستقلال العبراني » . ( المصدر السابق ، ص ٣٧١ ) .

بعد كل ما تقدم يحسن بنا ان نستذكر قول بيغن الذي سبق أن استشهدنا به : « قلنا للعرب انه لم تكن لدينا اية رغبة في محاربتهم او الحاق الاذى بهم وانا حريصون كل الحرص ان نراهم مواطنين مسالمين في الدولة اليهودية المقبلة . . . الخ »

جاء في البيان الرسمي للحكومة البريطانية رقـــم ٦٨٧٣ تاريخ ٢٤ تموز ١٩٤٦ عـــن الارغن ما يلي :

« الارغن زفاي ليومي — المنظمة الحربية القومية — تشكلت عام ١٩٣٥ من العناصر المنفصلة عن الهاغاناه . لها قيادة سرية ويقدر عدد جنودها بين ٣٠٠٠ و ٥٠٠٠ مقاتل».

**ليحي او عصابة سترن** The Lehi, Stern Gang : زمرة انشقت عام ١٩٤٠ عن الارغن أسسها ابراهيم سترن Abraham Stern — اسمه المستعار « يوري » وقد قتل عام ١٩٤٢ .

قد يكون أفضل مدخل لتعريف عصابة سترن عناوين كتب ثلاث ترد في ثبت المصادر اثنان منها كتبها افراد من عصابة سترن هما ( ١ ) مذكرات قاتل : اعترافات مجرم من عصابة سترن لأفنر وهو اسم مستعار ، ( ٢ ) غويلا كوهين : امرأة من اتباع العنف . مذكرات فتاة ارهابية ١٩٤٣ — ١٩٤٨ ، والثالث كتاب لصحفي اميركي جيرولد فرانك : الفعل العظيم : اغتيال اللورد موين الوزير البريطاني في القاهرة من قبل شابين يهوديين حاولا استعجال التاريخ بمسدس وشنقا من أجل ذلك . ويضيف الناشر الاميركي على غلاف الكتاب لتوضيح محتواه : « هنا القصة الصحيحة المؤثرة لجريمة قتل ساعدت في تغيير مجرى التاريخ » . وكنماذج مما يجده القارىء في هذه الكتب نورد ما ذكره أفنر عن السطو على مصرف باركلي في ٢٦ أيلول سبتمبر ( ١٩٤٧ ) في الفصـــل الذي عنوانه « وقت للقتل » . قال « اقتربنا ببطء من السيارة المسلحة التي كانت تنقل المال . لم يخامر أفراد الشرطة الثلاث الذين كانوا يحرسون السيارة اي ريب . وكانت ثلاثة ظهور عريضة مندارة لنا ومستعدة ان تتلقى الموت المخزي الذي يجدر بها . سحبت مسدسي واطلقت النار فوقع الجندي الاول صريعا بدون صوت . واطلق رفيقي يوآف Yoav النار على الثاني فتهاوى قليلا ثم وقع ميتا . وكانت نهاية الرجل الثالث داخل السيارة غير مسرة . فقد اطلق يوري الرصاص عليه من الباب فأصابه في ساقيه وبطنه . وبدا كأنما نهاية العالم تجثم فوق شارع اللنبي . فرصاصنا أخلى المكان من الناس . . . » ( أفنر . مذكرات قاتل . ص ٩٣ — ٩٤ ) . وروى عن مهاجمة **دار سكن** كان يقطنها احد ضباط الجيش : « كان يحرس الفيلا شرطيان عربيان . وعوضا عن ان نتغلب عليهما ببطء فقد أطلق أوزي Ouzy الرصاص عليهما ثلاث عشرة مرة فوقعا يتضرجان بدمائهما. وهنا ركض الرجال الاربعة الذين يحملون الديناميت باتجاه المنزل . عندها فتحت نافذة على الطابق الاول وظهر الضابط يصوب بندقيته . . . فرفعت الرشيش الذي أحمله وأطلقت اربع طلقات . وبعد بضع ثوان تداعت الدار بفعل انفجار مائة كيلوغرام من المتفجرات . وفي ساعة متأخرة من تلك الليلة التي تم بها الهجـــوم اغتسلت ولبست قميصا ابيض وذهبت للسينما » . ( افنر . مذكرات قاتل . ص ٨٥ — ٨٦ ) .

ولهذا الاجرام فلسفته . فقد عبرت عنه غويلا يوهين كما يلي : « لقد عشنا المطلق » ( امرأة من اتباع العنف . ص ٥٤ ) « كل ما ينفع الامة حتى أن كان يعود بالضرر على عدة أفراد فهو أخلاقيا مرغوب به . واي شيء يعود بالضرر على الامة حتى ان كان نعمة بالنسبة لافراد كثيرين فهو أخلاقيا غير مرغوب به » ( المصدر السابق ، ص ٥٥ ) « ان مجرد الامر الواقع اننا كنا حركة سرية خلع علينا السلطة لان نشرع وان نحكم .

والتبرير الرسمي لهذا القانون هو في فكرة واحدة : ان نحمي الضعيف من القوي . فالذين كانت بيدهم السلطة والذين كانوا يتحكمون بأعمال الشرعية كانوا دائما الجانب القوي » ( المصدر السابق ، ص ٥٥ ) .

وبالرغم من الانكارات المتعددة التي ادلى بها كل من بن غوريون وشاريت في عامي ١٩٤٥ و١٩٤٦ وفي انه لا صلة لهما وللهاغاناه بجرائم عصابة سترن وارهاب الارغن . لكن المصدرين الاساسيين عن عصابة السترن يثبتان العكس . فقد أكدت الارهابية كوهين « أن التعاون كان وثيقا ومنسقا بحيث ان الهاغاناه والبالماخ والارغن والسترن كانوا يستطيعون ان يضربوا معا وفي آن واحد . وهكذا ولدت قوة يهودية محاربة واحدة عرفت باسم «الجبهة المقاتلة»«The Insurrectionary Front». ففي ليلة ٢١ تشرين الاول ( أوكتوبر ) ١٩٤٦ استطاعت هذه المنظمات كلها وعلى قدم من المساواة ان تشترك في سلسلة من الضربات من عكا الى غزة ومن الشاطىء الى هضاب القدس » ( المصدر السابق ، ص ٩٨ ) .واما بن غوريون ـــ الذي سماه مؤرخه بار زوهار رجل الدولة النبي فقد شجب جرائم عصابة السترن ولكنه بعد بضعة أشهر من قيام دولة اسرائيل عبر عن احترامه « للذين نذروا نفوسهم كالرجلين اللذين شنقا في القاهرة لانهما قتلا اللورد موين . واما ابراهيم سترن فهو أحد ارفع الرجال الذين عرفهم عصرنا » ( جرولد فرانك . الجريمة . غلاف الكتاب ) .

وصف البيان الرسمي البريطاني الذي سبقت الاشارة اليه عصابة سترن بأنها انشقت عن الارغن عندما قررت الارغن ايقاف عملياتها عام ١٩٣٩ . ويقدر رجال السترن من ٢٠٠ الى ٣٠٠ متعصبين خطرين لا يتورعون عن اية جريمة . وقــد تعاونوا لمدة مع جماعة الارغن لان كلتا العصابتين تؤمنان بالتطرف الذي لا حدود له كما اكد البيان البريطاني الرسمي النتائج التالية :

( ١ ) ان الهاغاناه وقوتها الضاربة المرتبطة بهـــا البالماخ ـــ وكلتاهما تحت القيـــادة السياسية لاعضاء بارزين في الوكالة اليهودية ـــ تقومان باستمرار بأعمال تخريب وعنف خطط لها بعناية فائقة تحت ستار « حركة المقاومة اليهودية » .

( ٢ ) ان منظمة الارغن زفاي ليومي وعصابة السترن قد عملتـــا منذ الخريف الماضي بالتعاون التام مع قيادة الهاغاناه في تنفيذ بعض العمليات المشتركة وان ( ٣ ) محطة الاذاعة المسماة « كول اسرائيل » التي تدعي انها « صوت حركة المقاومة » والتي كانت تعمل بتوجيه كامل من الوكالة اليهودية كانت تدعم هذه المنظمات .

هنالك مصادر حكومية ودولية اخرى ـــ مما اسمينـــاه في ثبت المصـــادر بالمصادر الرسمية ـــ بحثت عن الارهاب الصهيوني اليهودي غير نص البيان الرسمي للحكومة البريطانية الذي سبق الاستشهاد به . فهنالك كتاب العلاقـــات الخارجية للحكومـــة الاميركية من المنشورات الرسمية والذي يتضمن الوثائق السرية الرسمية الاميركية التي ترفع السرية عنها بعد عشرين عاما . ففي المجلدين الرابـــع والثامن مـــــا يثبت ان الحكومة الاميركية كانت على علم منذ عام ١٩٤٣ ان الوكالة اليهودية والمنظمة الارهابية الهاغاناه التابعة لها والمنظمات الارهابية الاخرى كانت لها خطط موضوعية لاخـــراج الاكثرية العربية من فلسطين والسيطرة سيطرة كاملة عليها وعلـــى مقدرات الشرق الاوسط ان كتب لها تنفيذ هذا الامر الاخير .

وهنالك قراران صوت عليهما مجلس الامن الدولي في ١٨ أيلول ( سبتمبر ) ١٩٤٨ اذ انعقد المجلس فور اغتيال برنادوت الوسيط الدولي من قبل الارهابيين اليهود وتحت انظار حكومة اسرائيل رقم ٥٧ جاء فيه « أن مجلس الامـــن ، أصيب بصدمة عنيفة للموت المفجع الذي أصاب وسيط الامم المتحدة الكونت فولك برنادوت نتيجة لفعل آثيم

جبان ارتكبته زمرة مجرمة من **الارهابيين** Terrorists في القدس حين كان ممثل الامم المتحدة يقوم بواجبه من أجل تحقيق السلام في الارض المقدسة » . والثاني رقم ٥٩ تاريخ ١٩ تشرين الاول ( اوكتوبر ) ١٩٤٨ الذي نص على ما يلي :

( ١ ) يسجل مجلس الامن باهتمام ان حكومة اسرائيل الموقتة لم تقدم حتى اليوم تقريرا لمجلس الامن او للوسيط بالوكالة حول تطور التحقيق عن اغتيال الوسيط الدولي .
( ٢ ) تطلب من تلك الحكومة ان تقدم لمجلس الامن في وقت مبكر تقريرا عن التطور الذي تم في التحقيق وان تبين فيه الاجراءات التي اتخذت ازاء اهمال الموظفين او اية عوامل أخرى أثرت في ارتكاب الجريمة .

لكن الثابت الان ان حكومة اسرائيل في التقرير الذي قدمه مندوبها لدى الامم المتحدة ايبان الحالي والذي كان اسمه قبل تغييره اودري ايفان Audrey Evan وهو ضابط مخابرات في الجيش البريطاني من جنوبي افريقيا في الاصل — قد تنصلت من الجريمة وحاولت طمس معالمها وان الارهابي اليهودي الذي اشرف على تنفيذ قتل برنادوت اعتقل بعد محاكمة صورية ثم صدر عفو عام عن المعتقلين فأفرج عنه وانتخب في ما بعد عضوا في الكنيست الاسرائيلي .

ان كيفية اغتيال برنادوت وتنفيذ القتل ومناقشات مجلس الامـــن ومسرحية حكومة اسرائيل في تقديم تقرير واخفاء معالم هذا العمل الارهابي الشنيع تشكل كلها موضوعا لدراسة مستقلة عن ارهاب الدولة . وقد جاء في التقرير الذي رفعه لمجلس الامـــن الوسيط بالوكالة الدكتور رالف بانش عن اغتيال برنادوت الذي قتل معه ضابط فرنسي كان مساعدا له : « ان هذه الاغتيالات تشكل تحديا كبيرا من قبل عصابة مستهترة من الارهابيين اليهود » ( وثيقة مجلس الامن رقم ١٠١٨ /S تاريخ ١٩٤٧/١٢/٣١ ) .

لقد توقفت في هذا المقال عند عام ١٩٤٨ وباستثناء اغتيال برنادوت لم أتناول بالبحث ارهاب دولة اسرائيل والعصابات التي شكلتها الجاسوسية الاسرائيلية واشرفت عليها لتنفيذ أبشع الجرائم . فالباحث الذي يريد تقصي الارهاب الاسرائيلي الرسمي بوسعه الرجوع لكتابي بار زوهار « **المنتقمون** » بحث فيه مـــا قـــامت به عصابـــات ارهابية يهودية في المانيا الغربية بعد نهاية الحرب العالمية الثانية من تسميم الخبز والمياه في بعض المدن الالمانية و« اصطياد العلماء الالمان » وكيف لاحقهم الاسرائيليون واغتالوا عددا كبيرا منهم . واغتيال الشهداء الثلاثة ابو يوسف وكمال ناصر وكمال عدوان ليلة العاشر من نيسان ( ابريل ) من هذه السنة وفي هذه المدينة بالذات نموذج حي لما يمكن لاسرائيل أن لا تتورع عن القيام به ومما يجعل بحث الارهاب الاسرائيلي موضوعا يتناول حياتنا بالصميم . ويكفي ان نذكر ان ايبـــان دافع عن هذه الجريمة الشنعـــاء بقحة مذهلة .

ثمة بضع نتائج يمكن استخلاصها من هذا البحث :

١ — ان النفسية الارهابية الاجرامية لا يمكن ان تتغير بتغيير الاسماء . فتغيير اسماء الهاغاناه والبالماخ والارغن وعصابة سترن الى جيش اسرائيل الدفاعي وتغيير اسماء قادة اسرائيل ورجالها من ديفيد غرين الى بن غوريون وشرتوك الى شاريت وأودري ايفان الى ابا ايبان لا يعني مطلقـــا ان التركيب النفسي والخلقـــي وتصور العلاقات الانسانية قد تغير . فرجال هذه العصابات الارهابية وقادتها أكثرهم اليوم مـــن قادة اسرائيل ورجالها . ويكفي ان نستذكر ما ارتكبته اسرائيل وترتكبه ضد العرب مـــن سكانها وفي المناطق المحتلة . فلقد أحصت سجلات الامم المتحدة خمس عشرة مخالفة لاتفاقيات جنيف على الاقل ادينت اسرائيل من أجلها وكان اوضحها واقواها ادانتهـــا « بجرائم الحرب » بدليل ما جاء في الفقرة ٧ من القرار رقم ٣ الذي صوتت عليه لجنة

حقوق الانسان في ٢٢ آذار ( مارس ) ١٩٧٢ والتي نصت على ما يلي : « ان لجنة حقوق الانسان »

« تعتبر ان المخالفات الخطيرة لاتفاقية جنيف الرابعة التي اقترفتها اسرائيل في المناطق المحتلة تشكل **جرائم حرب واهانة للانسانية** »

ووفقا للتشريع الدولي الحديث في جرائم الحرب لا تسقط الجريمة عن المجرم بتقادم الزمن بل تجب محاكمته مهما كان انقضاء الزمن على جريمته .

ثانيا — من العودة لثبت المصادر التي استندت اليها في هذا البحث يتضح ان الصهاينة والاسرائيليين الذين قادوا عمليات الارهاب ثم كتبوا عنهــا وصفوا انفسهم بالقتلــة والارهابيين وأحيانا في عناوين كتبهم لا في بطونها فحسب حيث وصفوا جرائمهم بدقة وتفصيل .

ثالثا — تشكل هذه المصادر الاولى في الارهاب الصهيوني الاسرائيلي مجموعة فريدة لا يوجد مثيل لها في أي تراث تاريخي أو سياسي . ذلك انك تجد في عدة لغات كتبا مثلا كتبها « الكوماندوس » عن أفعالهم أثناء الحرب . اما ان تجد تراثا بكامله يبحث في الارهاب ويؤكده ويعطي تفاصيل أبشع الجرائم فهذه ظاهرة يجدر بنا أن نتوقف عليها طويلا وان نسبر أغوارها ومعانيها . وكتب هذا التراث « الارهابي » جاءتنا من الغرب من أكبر دور النشر في أميركا وبريطانيا فهلا فكر الغرب بهذا القسم من نتاجه ؟ ولا يمكن ان يرد على ذلك بالقول ان الغرب الحضاري يضج بالمتناقضات التي تعطل بعضهـا البعض . فالموضوع هنا جوهري اكثر مما هو صوري او شكلي لان الغــرب سيوصم — كما هو موصوم الان — بخطيئة الازدواجية والتناقض في القيم اذ اعتبر مجرم الحرب الالماني مجرما واعتبر مجرم الحرب الاسرائيلي او الصهيوني مؤسس دولة ورجل دولة. اما ان تطبع كبريات دور النشر في لندن كتبا لارهابيين صهاينة يذكرون فيها كيف قتلوا ضباطا وجنودا وأفرادا ومدنيين بريطانيين فهذا بدوره ووحده كاف لان يكشف عــن مسرحية مقاومة الانتداب البريطاني للارهاب الصهيوني اليهودي الذي كانت نتيجته الاغتيال الجغرافي — السياسي لفلسطين ولشعبها العربي بكامله .

رابعا — في مرحلة الانهيار المخزية التي نجتازها يحسن بالذين يتحكمون اليوم بالقضايا الكبرى المصيرية ان يتذكروا نوع الدولة التي هي اسرائيل وتكوينها الاجرامي وتطلعاتها. ان نظرة المسؤولين الاسرائيليين للعرب لم تتغير اليوم عن النظرة الاساسية التي قامت عليها ايديولوجية الارهاب الصهيوني .

خامسا — اننا في مجابهة اسرائيل نجابه مجتمعا عسكــريا « سبارتيا » . لقد كتب بالعربية الكثير والقيم عن اننا نجابه مجتمعا علميا تكنولوجيا واننا يجب ان نقابل هذا المجتمع بأساليبه وكل هذا صحيح . لكن المرحلة التي سبقت مرحلة العلم والتكنولوجيا

كانت — كما أؤمل ان يكون هذا البحث قد أظهر — مرحلة تكويــن وتأهب عسكريين وتربية عسكرية قادت كلها الى ضرورات العلم والتكنولوجيا . ولا بد ان ننطلق من مجتمع سبارتي بكل مقوماته الذهنية والفكرية والروحية والارادية للتغلب على الانحلال ومقابلة المجتمع السبارتي الذي في جوارنا . ودفعا لاي التباس أقول ان الفرق أساسي وجوهري وكياني بين مجتمع يحكمه الجيش ومجتمع « سبارتي » بحيث يمكن ان يفرد لهذا التمييز بحث مستقل .

واذا عدنا أخيرا لهذا السجل الارهابي الصهيوني الاسرائيلي الذي أدى لمأساة فلسطين فأي حكم نستطيع اطلاقه ؟ الاحكام التي اطلقت حتى الان ليست قليلة . ولكني أفضل أن أورد منها ما ليس عربيا بل ما يدين اسرائيل من اسرائيل . قال موشيه ديان في رثاء صديق له اسمه روي روتنبرج قتل في صدام مع العرب قبل بضعة أشهر من حــرب

١٩٥٦ : « لنتوقف اليوم عن قذف الذين تتلوه بالاتهامات . من نحن لنناقش حقدهم ؟ » « ها قد انقضت ثمانية أعوام الان وهم يجلسون في مخيماتهيم في غزة وتحت اعينهم وابصارهم نحول لمتلكاتنا الاراضي والقرى التي عاش عليها آباؤهم وأجدادهم »

«...نحن جيل من **المستوطنين** ودون الخوذة الفولانية والمدفع لا نستطيع أن نزرع شجرة او ان نبني بيتا » . ( استشهد به اوري أفنيري في كتابه . اسرائيل بدون صهيونيين ، ص ١٣٤ ) .

وكتب الفيلسوف الاسرائيلي مارتن بوبر Martin Buber في كتابه اسرائيل والعالم « ان أكثر التعاليم فسادا بين جميع التعاليم المتهافتة هو الذي يذهب الى ان طريق التاريخ تقرره القوة وحدها دون غيرها . وقد تغلغلت هذه النظرية في تفكير الشعوب وتفكير حكوماتها ولم يبق من الايمان بالروح الا مجرد أقوال معادة » . ثم ينتقل الى نقد الفظائع الارهابية ضد العرب ويعلق على مذبحة دير ياسين بالذات فيقول : « هنا كانت الجريمة جريمتنا او جريمتي انا بالذات جريمة اليهود ضد الروح . انني حتى اليوم لا افكر بما وقع دون أن أشعر نفسي مذنبا » . ( مارتن بوبر . اسرائيل والعالم . نيويورك ١٩٦٣ ، ص ٢٥٦ — ٢٥٧ ) .

وقد رأينا كروتشه في مطلع هذا البحث يؤكد ان « كل حكم هو حكم تاريخي او بكل بساطة التاريخ » فهل يستطيع العالم أن يحجم عن اطلاق حكم ؟

يقول المفكر الفرنسي كامو Camus في كتابه « السقوط » في حوار بين صديقين عن يوم القيامة يقول : « يا صديقي سوف أكشف لك عن سر خطير . لا تنتظر يوم الحساب لتصدر حكما . ان الحكم يصدر يوم » . ( كامو . السقوط . الطبعة الانكليزية . نيويورك ١٩٦٨ . ص ٢٠٥ ) .

---

١ — هرتزبرغ آرثر . **الفكرة الصهيونية** . نيويورك . الطبعة الثانية ، ١٩٦٦ . ص ٢٢٢ .

٢ — تيودور هرتزل . **المذكرات** . نيويورك ١٩٦٠ في خمسة أجزاء . الجزء الاول . ص٨٨ .

٣ — **المصدر السابق** ، ص ٩٨٠ .

٤ — **الدبلوماسية في الشرق الاوسط . مجموعة وثائق . ١٩١٤ — ١٩٥٦** . الجزء الثاني . نيويورك ١٩٥٦ . ص ٤٥ — ٥٠ .

٥ — **وثائق السياسة البريطانية . ١٩١٩ — ١٩٣٩** . لندن . منشورات صاحبة الجلالة . ١٩٥٢ . ص ٣٤٥ .

٦ — من اجل تحديد رسمي « لارض اسرائيل » راجع **الكتاب الحكومي السنوي ٥٧١٣ (١٩٥٣) دولة اسرائيل** . مقدمة بقلم دافيد بن غوريون **والكتاب الحكومي السنوي ٥٧١٦ ( ١٩٥٥ ) اسرائيل الدولة والامة** ص ٢٢٠ — ٢٢١ .

٧ — موشي مينوحين . مجلة **قضايا** [ اشوز ] . عدد الخريف ١٩٦١ . ص ٣ .

٨ — الحكومة الاميركية . وزارة الخارجية . **العلاقات الخارجية ١٩٤٣** . المجلد الرابع . **الشرق الاوسط وافريقيا** . ص ٧٧٧ .

٩ — **المصدر السابق** . ص ٧٤٨ .

# غرباء في وطنهم :
# البيئة والاوضاع السياسية للعرب في اسرائيل

صبري جريس

**في المطبعة حاليا طبعة جديدة ، منقحة ومعدلة ، لكتاب « العرب في اسرائيل » للاستاذ صبري جريس الذي نشره أول الامر باللغة العبرية في الارض المحتلة ، وقد سبق لمركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية ان ترجمه الى العربية ونشره في العام ١٩٦٧ — ١٩٦٨ ونفد بعد صدوره باشهر قليلة . ثم ترجم الى عدة لغات اجنبية . اما الطبعة الجديدة ، التي اضاف المؤلف اليها اقساما تغطي اوضاع العرب في الارض المحتلة في السنوات الست الاخيرة ، فتصدر عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية . وفيما يلي أجزاء من الفصل الرابع ننشرها على حلقتين :**

## البيئة والاوضاع السياسية

يتصف النظام السياسي الاسرائيلي بكثرة الاحزاب والفئات السياسية التي تشترك فيه ، وتعتبر جزءا لا يتجزأ منه . وهو وضع تعود جذوره الى أسس الحياة السياسية بين المستوطنين اليهود في فلسطين ايام الانتداب البريطاني من جهة والى واقع الحركة الصهيونية العالمية ، على كثرة منظماتها واحزابها ، من جهة أخرى .

ان هذه الاوضاع التي ساعدت على استمرارها تلك الطرق السهلة ، نسبيا ، التي يمكن بواسطتها اقامة تنظيمات سياسية جديدة ، أو الانفصال عن تنظيمات قائمة ، أو الاتحاد معها ، رافقت الحياة السياسية في اسرائيل منذ انشائها بحيث ان الحكومة الموقتة ، وهي أول حكومة تشكل في اسرائيل بعد اعلان قيامها ، كانت عبارة عـــن ائتلاف بين القوى السياسية الكبيرة ، بينما كان « مجلس الشعب » الذي اعتبر بمثابة برلمان موقت مشكلا من ممثلين عن كل الفئات السياسية التي كانت قائمة وقتها . ففي الانتخابات العامة الاولى ، التي جرت في مطلع سنة ١٩٤٩ ، اشتركت ٢١ قائمة انتخابية ، فازت ١٢ قائمة منها بمقاعد في الكنيست(١) . وقد لازم هذا الوضع الانتخابات في اسرائيل حتى الآن . ففي الانتخابات العامة الستة ( ١٩٥١ — ١٩٦٩ ) التي تلت الانتخابات الاولى ، والتي جرت حتى الان في اسرائيل ، اشترك ما يزيد على ١٠٠ قائمة ، فازت منها ٧٧ قائمة بمقاعد في الكنيست ، اي بمعدل يزيد على ١٢ قائمة لكل كنيست(٢) . ولقد نتجت عن هذا الوضع حقيقتان مهمتان : أولاهما ان اي حزب ، او قائمة انتخابية ، لم يفز مرة بأكثرية مطلقة تمكنه وحده من تشكيل حكومة ، ولهذا كانت الحكومات الاسرائيلية دائما حكومات ائتلافية تعتمد على عدة احزاب ، وثانيتهما ان النشاط السياسي امتاز ، بصورة عامة ، بصراع وتناحر حادين بين مختلف الاحزاب والفئات السياسية للحصول على أصوات الناخبين .

ان الوضع السياسي الذي أشرنا اليه ، على تعدد تجمعاته السياسية ، كان مقتصرا

اساسا على اليهود في فلسطين ايام الانتداب دون غيرهـم ، بحيث بدا وكأنه عنصر اساسي من وجودهم في البلد . ويظهر ان معظم المستوطنين اليهود وزعماءهـم كانوا راضين عن هذا الوضع ، اذ بدت على الكثيرين منهم دلائل الحيرة تجاه حقوق الاقلية العربية السياسية التي بقيت في اسرائيل بعد اعلان قيامها . ومما زاد في حيرة السلطات الاسرائيلية ان معظم أبناء تلك الاقلية كان من القرويين أو البدو الذين لم يتمتعوا أصلا بخبرة ملحوظة بالتنظيم او العمل السياسي ، خصوصا وانه بعد حرب ١٩٤٨ كان معظم القيادة السياسية العربية ، ان وجدت ، قد انتقل الى خارج اسرائيل . غير ان الاوضاع الداخلية في اسرائيل التي استوجبت اجراء انتخابات عامة هناك في مطلع سنة ١٩٤٩ ، وحتى قبل انتهاء القتال وتوقيع اتفاقيات الهدنة مع الدول العربية المجاورة ، اجبرت السلطات الاسرائيلية على تحديد موقفها السياسي من العرب هناك والسماح لهـم بالاشتراك في تلك الانتخابات ، بعد أن أسكتت تلـك الاصوات التي كانت تدعو الى ابعادهم عن الحياة السياسية الاسرائيلية .

ان القوة السياسية الرئيسية التي نشطت بين العرب في اسرائيل ، قبيل الانتخابات للكنيست الاول ، كانت السلطة الاسرائيلية نفسها ، ممثلة في حزب مباي الذي اشترك في الانتخابات بقائمتين عربيتين مرتبطتين به ، فازت احداهما بمقعدين في الكنيست . اما القوة الثانية فكانت الحزب الشيوعي الاسرائيلي الذي اشترك في تلك الانتخابات ايضا ، مشكلا المعارضة الرئيسية لمباي،وكان من بين مرشحيه الذين فازوا بمقعد في الكنيست احد اعضائه العرب.كذلك نشط حزب مبام بين العرب في تلك الانتخابات، والذي شكل قائمة عربية مرتبطة به ، الا انها لم تحصل على اي مقعد في الكنيست(٣) ونشط معـه باقي الاحزاب الصهيونية الاسرائيلية « التي كادت تجتاح الناخبين العرب »(٤) بوعودها، الا أن أيا منها لم يتجه الى تشكيل قوائم عربية مرتبطة به او الى اضافة عرب الى قوائم مرشحيه ، واكتفى ببذل المحاولات للحصول على أصوات العرب « الذين اشتركوا في الانتخابات دون حماسة بالغة »(٥) . ويبدو ان طريقة العمل السياسي هذه التي اتبعت خلال أول انتخابات عامة في اسرائيل أصبحت من يومها الطريق التقليدي والوحيد لهذا النشاط بين العرب في اسرائيل . فعدا تغيير بسيط طرأ قبيل الانتخابات للكنيست الثاني ( ١٩٥١ ) عندما دخل حزب مبام الحلبة ، وهذه المرة بضم مرشح عربي دائم الى قائمة مرشحيه للانتخابات لا بقائمة عربية منفصلة مرتبطة به ، والعمل للحصول على جزء من أصوات العرب ، لم يطرأ اي تغيير أساسي على هذا الوضع الذي لا يزال حتى الآن على ما كان عليه ، وعلى الرغم من بعض المحاولات التي بذلت لتغييره والتي باءت كلهـا بالفشل . وهكذا بقي النشاط السياسي بين العرب في اسرائيل ، منذ اقامتها ، محصورا في الاحزاب الصهيونية من جهة والحزب الشيوعي من جهة اخرى .

ان طريقة التمثيل السياسي التي رسمت للعرب في اسرائيل ، كما اشرنا اليها ، أسفرت عن انتخاب ٧ أو ٨ أعضاء عرب في كل انتخابات عامة تجري في اسرائيل ، عدا الكنيست الاول اذ كان عددهم ثلاثة ( أنظر الجدول ١ أدناه ) مرتبطين ارتباطا وثيقـا بالقوى السياسية التي تحتضنهم ، ويفترض أنهم يمثلون مصالح ناخبيهم العرب في الكنيست . واما تلك القوى ، من جهة ثانية ، فقد بذلت كل ما في وسعها ، كل حسب امكانـاته ، لتصر «تمثيل» العرب عليها دون غيرها ولمنع تدخل اية جهة اخرى، خصوصا التنظيمات العربية القومية ، ان وجدت في هذا المجال . والسلطة الاسرائيلية ، بأسلوبها هـذا ، ادخلت العرب في اسرائيل في دوامة الحياة السياسية الاسرائيلية وجعلت الكثير منهم ، ربما أغلبيتهم ، يقبلون بفرح على الاشتراك في اللعبة ، معتقديـن انهم بعملهم هذا يمارسون حقوقهم المدنية وتأثيرهم في الحكم في اسرائيل ، بينما لم تكـن تلك الطريقة عمليا ، كما وصفها مستشار سابق لرئيس الحكومة الاسرائيلية في الشؤون العربية ، وكما سنرى ، الا « صراعا ، باسم العرب ، بين اليهود ولمصلحة اليهود »(٦).

# الجدول ١

## أعضاء الكنيست العرب وانتماءاتهم

| الكنيست | تاريخ انتخابه | عـــــدد الاعضـــــاء العـــــرب | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| | | القوائم العربية(١) | الحزب الشيوعي الاسرائيلي(٢) | مبام | المجموع(٧) |
| الاول | ١٩٤٩/١/٢٥ | ٢ | ١ | — | ٣ |
| الثاني | ١٩٥١/٧/٣٠ | ٥ | ٢ | ١ | ٨ |
| الثالث | ١٩٥٥/٧/٢٦ | ٥ | ٢ | ١(٥) | ٨ |
| الرابع | ١٩٥٩/١١/٣ | ٥ | ١ | ١ | ٧ |
| الخامس | ١٩٦١/٨/١٥ | ٤ | ٢(٣) | ١ | ٧ |
| السادس | ١٩٦٥/١١/٢ | ٤ | ٢ | ١ | ٧(٨) |
| السابع | ١٩٦٩/١٠/٢٨ | ٤ | ٢(٤) | ١(٦) | ٧ |

( ١ ) في الكنيست الاول قائمة واحدة ، وفي الكنيست الثاني والثالث والرابع ٣ قوائم ، وفي الكنيست الخامس والسادس والسابع قائمتان . هذه القوائم كانت مرتبطة بمباي حتى الكنيست الخامس ، وفي السادس كانت مرتبطة بتجمع مباي — أحدوت هعفوداه ، وفي السابع بتجمع حزب العمل — مبام .

( ٢ ) منذ الكنيست السادس : القائمة الشيوعية الجديدة ( راكاح ) .

( ٣ ) احدهما اميل حبيبي ، ابتداء من ١٩٦١/١٠/٤ .

( ٤ ) احدهما اميل حبيبي ، استقال بتاريخ ١٩٧٢/٢/١٥ .

( ٥ ) منذ ١٩٥٥/٩/٢١ .

( ٦ ) منذ الكنيست السابع : تجمع حزب العمل — مبام .

( ٧ ) من ١٢٠ عضواً .

( ٨ ) ابتداء من ١٩٦٤/٥/٥ حتى نهاية ولاية الكنيست السادس سنة ١٩٦٥ ، انضم عضو عربي آخر الى الكنيست ، سليم جباره ، على قائمة أحدوت هعفوداه ، بعد أن استقال احد اعضاء الحزب اليهود فحل محله .



كان مباي القوة السياسية الرئيسية في اسرائيل التي عملت على صياغة أسلوب العمل السياسي بين العرب بالصورة التي صيغ بها ، ولا يزال يعتبر العامل الحاسم في هذا المجال حتى الآن(٧)، بينما لم يكن نشاط الاحزاب الاخرى ، عامة ، الا عبارة عن رد فعل لنشاطه . ومباي ، حزب عمال ارض — اسرائيل ( وهذا اسمه الرسمي ) كان ، منذ مطلع الثلاثينات ، أكبر القوى السياسية بين المستوطنين اليهود في فلسطين واستمر في الاحتفاظ بمركزه هذا بعد اقامة اسرائيل اذ لم ينقص عدد أعضائه في الكنيست مرة عن ثلث مجموع الاعضاء ، ولهذا كان دائما الحزب الرئيسي الذي شكل الحكومات الاسرائيلية . ونكتفي ، للدلالة على مدى تأثير الحزب في السياسة الاسرائيلية، بالاشارة الى أن أربعا من أهم الوزارات الاسرائيلية ، وهي رئاسة الحكومة ووزارات الدفاع والخارجية والمالية ، كانت دائما في أيدي اعضاء الحزب او المحسوبين عليه . وكنتيجة لمركزه وحجمه هذين ، لعب مباي الدور الرئيسي في صراع الحركة الصهيونية مع العرب في فلسطين وخارجها ، خلال السنوات الاربعين الأخيرة .
أن موقف مباي الذي يعتبر نفسه جزءا من التيار الاشتراكي — الديمقراطي في العالم ، من الحركة القومية العربية عامة ومن عرب فلسطين خاصة لم يتصف بوضوح بالغ .

فبالنسبة الى الحركة القومية العربية ، يندر ان يجد المرء رايا معتمدا من الحزب يوضح موقفه . اما بالنسبة الى عرب فلسطين ، فقد كان الحزب يكتفي باعلان انهم « سكان في ارض اسرائيل » ، لهم الحق في العيش في الدولة اليهودية بعد اقامتها ، والذين اصبحوا فيما بعد « مواطنين في اسرائيل » . لكن الاوضاع السياسية التي نشأت في اسرائيل بعد اقامتها لم تسمح للحزب بالاستمرار في موقفه الغامض هذا ، اذ نتج عن وجود اقلية عربية في اسرائيل وضع مغر للحزب دفعه الى العمل بينها . اما الاسباب التي دفعت مباي الى السير في هذا الاتجاه فكانت عديدة : منها ان الحزب ، بصفته اكبر الاحزاب بين اليهود ، لا يستطيع ان يسمح لنفسه بالتخلي عن محاولة احتلال هذا المركز بين العرب ايضا . ومنها ان الحصول على تأييد العرب داخل اسرائيل لسياسة الحكومة الرسمية ، والاثبات ان العرب واليهود يستطيعون العيش بسلام في ظل حكم صهيوني ، امر لا بد ان يكون له تأثيره ، على المدى الطويل ، في الصراع العربي — الاسرائيلي ، خصوصا في ضوء الادعاءات المبائية التقليدية بأنه لا تناقض اساسي بين مصالح العرب والصهيونية في فلسطين ، وان اي تناقض بين الطرفين هو من صنع الزعامة العربية التقليدية التي تبغض الصهيونية .

ولكن قرار مباي بالعمل سياسيا بين العرب جوبه بصعاب واضحة ، لم يكن من السهل التغلب عليها من جهة . وبمحاذير لا يجوز تجاوزها من جهة اخرى . فالحزب ، نظرا الى ماضيه وحاضره ، ومركزه وعقيدته ، لم يكن يملك بضاعة سياسية مغرية لعرضها على العرب بالذات وكسب تأييدهم ، وهو اساسا لا يقبل العرب حتى اعضاء في صفوفه(٨)، لاعتقاده ان العربي لا يستطيع ان يكون عضوا مخلصا في حزب صهيوني كمباي . ومن جهة اخرى ، اضطر الحزب ، بسبب نظرته الى العرب — داخل اسرائيل بالذات — الى التريث قليلا قبل البدء باعطاء الاشارة للعمل السياسي بينهم ، خشية ان يفلت الزمام ، مع مرور الزمن ، من يد الحزب فيؤدي الى بروز قيادات او اتجاهات سياسية معينة بين العرب ، يصعب على الحزب التحكم فيها . ولكن الذين يسمون بالخبراء بالشؤون العربية لدى الحزب سرعان ما قدموا حلولهم لهذه المشكلات ولغيرها ، عندما قرروا ان على العرب الاشتراك في الحياة السياسية الاسرائيلية بقوائم انتخابية ( لا باحزاب ) تشكل قبيل كل انتخابات عامة في اسرائيل ، ويختار اعضاؤها من بين المتعاونين مع السلطة ، على اساس اقليمي — محلي وطائفي . ويتولى جهاز الحزب دعم هذه القوائم ، ماليا ومعنويا ، خلال الانتخابات ، وبهذا « يحررها » من عناء اقامة اجهزة سياسية خاصة بها ، ويكفل تعلق المرشحين او من ينتخب منهم به ، ويضمن ولاءهم لكل مواقفه السياسية .

ان الاسس التي اشرنا اليها لا تزال الصفات المميزة لنشاط مباي السياسي بين العرب. فالصبغة الاقليمية — المحلية والطائفية تظهر بوضوح في تركيب القوائم الانتخابية التي شكلها الحزب في كل انتخابات جرت للكنيست . ففي الانتخابات الاولى ( ١٩٤٩ ) ، دفع مباي قائمتين عربيتين الى الاشتراك فيها ، فازت احداهما ( « القائمة الديمقراطية للناصرة » ) بمقعدين ، شغل احدهما سيف الدين الزعبي ( مسلم من الناصرة ) ، وشغل الثاني امين جرجورة ( مسيحي من الناصرة )(٩). اما في الانتخابات الثانية ( ١٩٥١ ) ، فقد طرأ تغيير على موقف السلطة من العرب ، اذ كان المثلث قد ضم الى اسرائيل بعد اتفاقية الهدنة الاسرائيلية — الاردنية لسنة ١٩٤٩ . وكانت الاوضاع قد استقرت في الجليل ايضا ، بحيث كان من الملائم ارسال اعضاء عرب الى الكنيست يحسبون على هذه المناطق . وفي الوقت نفسه كانت السلطات الاسرائيلية قد بدات وقتها محاولاتها لفصل ابناء الطائفة الدرزية عن باقي العرب في اسرائيل ثم اعتبارهم « امة » منفردة قائمة بذاتها ، ولذلك كان من الواجب ضمان تمثيل درزي في الكنيست .وقد تصرف مباي

على هذا الاساس ، فاشتركت في الانتخابات ثلاث قوائم : اولاها « القائمة الديمقراطية للناصرة » التي تغير اسمها الى « القائمة الديمقراطية لعرب اسرائيل » ، ففازت بثلاثة مقاعد احتلها الزعبي بالاضافة الى عضوين جديدين : جبر معدي ( درزي من يركا في الجليل ) ، ومسعد قسيس ( مسيحي من معليا في الجليل ) . اما القائمتان الاخريان فكانتا قائمتي « التقدم والعمل » التي انتخب منها عضو واحد ، صالح خنيفس ( درزي من شفاعمرو في الجليل ) ، و« الزراعة والانماء » التي انتخب منها فارس حمدان ( مسلم من باقة الغربية في المثلث ) . وقد استمر وضع هذه القوائم على ما هو عليه خلال الانتخابات الثالثة ( ١٩٥٥ ) أيضا ، ولكن « القائمة الديمقراطية لعرب اسرائيل » فازت بمقعدين بدلا من ثلاثة في الانتخابات السابقة ، فحل معدي مكان الزعبي الذي استقال من منصبه ، بينما فازت قائمة « التقدم والعمل » بمقعدين بدلا من واحد ، فدخل صالح سليم ( مسلم من شفاعمرو ) الى الكنيست ، الى جانب زميله في القائمة ، صالح خنيفس .

اما في الانتخابات الرابعة (١٩٥٩) ، فقد تخلى مباي عن خدمات جميع اعوانه السابقين وغيرهم كلهم(١٠)، بعد أن ادخل تغييرات على أسماء تلك القوائم وتركيبها ، ولكنه استمر في دعم ثلاث قوائم : « التعاون والاخاء » التي فازت بمقعدين شغلهما كل من لبيب أبو ركن ( درزي من عسفيا قرب حيفا ) ، ويوسف دياب ( مسلم من طمره في الجليل ) ، و« التقدم والانماء » التي فاز عنها احمد الضاهر ( مسلم من الناصرة ) ، والياس نخله ( مسيحي من الرامة في الجليل ) ، و« الزراعة والانماء » التي فاز عنها محمود الناشف ( مسلم من الطيبة في المثلث ) . وقد عاد مباي وادخل تغييرات اخرى على هذه القوائم ، قبيل الانتخابات الخامسة ( ١٩٦١ ) ، فجعلها قائمتين بدلا من ثلاث : « التقدم والانماء » و« التعاون والاخاء » ، واعاد جبر معدي الى الكنيست واستبدل « نائب المثلث » محمود الناشف بدياب عبيد ( مسلم من الطيبة ) . ومنذ ذلك الوقت ، وبعد أن انخفض ايضا عدد الاعضاء المرتبطين بالحزب من خمسة الى اربعة ، حرص مباي على أن يكون دائما اثنان منهما مسلمين ، وثالث درزي ، ورابع مسيحي . اما في الانتخابات السادسة ( ١٩٦٥ ) ، فقد اعيد الزعبي الى الكنيست ، بينما طرأ تغيير آخر على تلك القوائم قبيل الانتخابات السابعة ( ١٩٦٩ ) ، أثر خلاف نشب بين أولئك الاعضاء ، فتحالف الزعبي مع معدي ، ونخله مع عبيد . ويظهر من طريقة تشكيل هذه القوائم ان المرشحين أنفسهم ليس لهم اي راي في ذلك ، وانما قيادة مباي هي التي تتخذ القرار النهائي والملزم ، « اذ لا اعتقد ان لنا وزنا ما » ، كما يقول الزعبي ، «فنحن نلتزم بقرار مركز الحزب بشأن هذا الموضوع »(١١). وغني عن القول ان مباي ، باسلوبه هذا ، قوّى النزعات الحمائلية ـــ الطائفية والاقليمية ـــ المحلية بين الجماهير العربية في اسرائيل ، وقلص كثيرا امكانات قيام قيادة عربية قومية على صعيد قطري ، وهو ما كان يتحسب منه دائما . ويبدو ، من ناحية ثانية ، ان مباي لم يكن اساسا حرا في انتهاج الطريق التي أشرنا اليها ، فاضطر في البداية ، تحت ضغط الظروف ، الى اتباع هذا الاسلوب الذي لاقى استحسانا لديه فيما بعد فرفض التنازل عنه . « فمع قيام دولة اسرائيل تحفظ المثقفون العرب من كل نشاط أو اتصال سياسي بسلطات اسرائيل التي لم يبق لها الا تشجيع كل مبادرة ممكنة اخرى . وهكذا حدث ان العرب لم يكونوا هم الذين قرروا من هم المرشحون العرب في الانتخابات للكنيست الاول ، واية قوائم ستشكل ، وكم عددها . وبهذا تقررت ثلاث اسبقيات :

١ ـــ أن المثقفين العرب لا يحتلون المكان الطبيعي اللائق بهم في التمثيل السياسي . . .

٢ ـــ عمليا ، ليس العرب هم الذين يقررون من هم الاعضاء العرب في الكنيست .

٣ ــ الاعضاء العرب والقوائم العربية اتباع لغيرهم ... اما الاحزاب الاسرائيلية فلا تريد التنازل عن هذه الورقة ... »(١٢).

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو كيف يختار مباي (ومن بعده حزب العمل) الاعضاء العرب المرتبطين به ؟ ان سيرة اولئك الاعضاء تظهر أن قسما منهم ينتمي الى ذلك النوع من العملاء المستعد للتعاون مع أي محتل لقاء منفعة مادية ، بينما القسم الآخر هو من ابناء العائلات الكبيرة او الزعماء المحليين الذين ابدوا استعدادهم للتعاون مع الحزب . فسيف الدين الزعبي وجبر معدي ، « الرجلان القويان » في القوائم العربية واللذان لم يستطع الحزب الاستغناء عن خدماتهما نهائيا على الرغم من انه حاول ذلك أكثر من مرة ، هما ، بشهادتيهما ، عميلان سابقان لمخابرات الهاغاناه ، تدرجا في مجال التعاون مع السلطات الاسرائيلية حتى وصلا الى مركزيهما الحاليين . وسيف الدين الزعبي يحمل وسام محاربي الاستقلال الاسرائيلي والذي منح له «لمساهمته في أمن المستوطنات [ اليهودية ] ، ورعاية شؤون الدفاع في المروج [ المحيطة بالناصرة ] ، وكذلك احباط محاولات العصابات للهجوم على المستوطنات اليهودية، من خلال المخاطرة بحياته»(١٣). وكان الزعبي قد بدأ اتصالاته بالتنظيمات الصهيونية في فلسطين خلال أواخر الثلاثينات، بعد أن باع قطعة أرض يملكها الى الكيرن كاييمت ثم اصبح سمسارا لشراء الاراضي العربية لحساب الشركة ، حيث تعرف فيما بعد الى مديرها في حيفا ، ومن خلاله الى آبا حوشي ، حيث كانت الطريق ممهدة أمامه للاستمرار في تعاونه مع الصهيونيين(١٤)، وكان من ابرز المتعاونين مع الحكم العسكري في الناصرة ، بعد احتلال المدينة سنة ١٩٤٨ . اما جبر معدي ، فقد كان يعمل لمصلحة المخابرات الاسرائيلية لقاء راتب شهري قدره ٤٠ ليرة(١٥)، وساعد القوات الاسرائيلية ، خلال حرب ١٩٤٨، على احتلال بعض القرى الدرزية في الجليل . وبسبب نشاطه هذا رشح لنيل وسام الاستقلال الاسرائيلي ، ولكن منح الوسام تأجل بعد أن ابدت دوائر اسرائيلية معينة شكوكها في ان الشيخ معدي كان ، في حقيقة الامر ، عميلا مزدوجا لمصلحة الاسرائيليين ولمصلحة قوات جيش الانقاذ العربية(١٦). كذلك رشح معه لنيل الوسام نفسه وللاسباب نفسها(١٧) عضوا الكنيست السابقان الآخران لبيب ابو ركن ( عضو من ١٩٥٩ الى ١٩٦١ ) ، وصالح خنيفس ( عضو من ١٩٥١ الى ١٩٥٩ )(١٨)، والاخير كان أيضا قد ساعد القوات الاسرائيلية على احتلال عكا في سنة ١٩٤٨(١٩). اما الياس نخله الذي انتخب للكنيست في سنة ١٩٥٩ ، وكان في الانتخابات التي سبقتها مرشحا من قبل حزب الصهيونيين العموميين ، فيرى ان مباي « فضله على الآخرين بسبب سمعة عائلته الطيبة »(٢٠)، بينما يصف فارس حمدان ( عضو من ١٩٥١ الى ١٩٥٩ ) بداية علاقته بمباي بقوله : « حضر الي ، في سنة ١٩٥١ ، رجال مباي ، واقترحوا علي أن أصبح عضو كنيست من قبل قائمة عربية مرتبطة بالحزب ، وقد وافقت حالا وانضممت اليهم »(٢١). وعندما سئل حمدان عن سبب موافقته على هذا الاقتراح ، أجاب « لان مباي هو الحزب الكبير في البلد ، والحكومة تستند اليه . ومباي وحده فقط يستطيع ان يساعدنا . ومن المعروف ان الضعيف يسارع الى الامساك بيد القوي ، فحبذنا السير مع الحكومة والاستفادة من ذلك »(٢٢).

ولكن ، على الرغم من ذلك ، يبدو ان « السير مع الحكومة » لم يعد بفوائد جمة على أولئك الاعضاء ، ولا على ناخبيهم . فالمعلومات المتوفرة ، في هذا الشأن ، تشير الى ان ما حصل عليه أولئك الاعضاء كان عبارة عن منافع مادية ضئيلة ، كتعيين أحدهم عضوا في مجلس ادارة شركة تسويق المنتوجات الزراعية العربية(٢٣)، وتأجيل جباية الضرائب المطلوبة منه ، ومنحه رخصا لحمل أسلحة مختلفة(٢٤)، أو تأجير آخرين بضع مئات من الدونمات من الاراضي الزراعية ، من أملاك الغائبين(٢٥)، حيث يقومون باعادة تأجيرها

للمزارعين العرب لقاء عمولة . ويظهر ان الوحيد من بين أولئك الاعضاء الذي حاولت السلطات مساعدته فعلا كان فارس حمدان الذي اشتركت وزارة الصناعة والتجارة معه في تمويل مصنع للمعلبات أقيم في باقة الغربية(٢٦)، ووظفت في ذلك المشروع مئات الآلاف من الليرات . غير ان المشروع افلس ، في نهاية الامر ، لسوء ادارته(٢٧). كذلك فان حظ ناخبيهم لم يكن أحسن من حظهم كثيرا ، وسنعود للبحث في هذا ، فيما بعد .

كذلك فان الدعم المعنوي الذي حصل عليه أولئك الاعضاء لم يختلف كثيرا عن المنافع المادية التي قدمت اليهم . فمباي لم يعتبر هؤلاء الاعضاء الا مجرد تابعين له ، وظيفتهم التصويت الى جانبه في الكنيست ودعمه عند تشكيل الحكومات الاسرائيلية ، على الرغم من انهم لم يستشاروا مرة في تشكيل تلك الحكومات ولم يحصلوا على اي منصب وزاري او غيره الا مؤخرا ونتيجة مبادرات أحزاب اسرائيلية أخرى اضطر مباي الى الاستجابة لها . ومما يجدر ذكره هنا ان بن ـــ غوريون ، زعيم الحزب المرتبط به أولئك الاعضاء ، لم يجد لديه وقتا كافيا لاجراء مقابلة معهم الا بعد مرور عشر سنوات على قيام اسرائيل، عندما اجتمع اليهم أول مرة سنة ١٩٥٨ ، وهو الاجتماع الذي تم على ما يبدو للتخفيف من الاستياء الذي نجم يومها عن موقف بن ـــ غوريون ، عندما شاع نبأ رفضه استلام بطاقة هويته الاسرائيلية لانها طبعت ايضا باللغة العربية ، الى جانب العبرية(٢٨). ثم اجتمع بن ـــ غوريون ثانية الى أولئك الاعضاء في أواخر سنة ١٩٥٨ . وصرح ، خلال اعلانه التغييرات التي تقرر ادخالها على الحكم العسكري سنة ١٩٥٩ بأنها جاءت نتيجة مشاورات معهم ، في محاولة لتعزيز موقفهم ، مـــع ان الواقع هو ان بن ـــ غوريون اضطر الى اعلان تلك التغييرات نتيجة ضغوط الاحزاب المشتركة في الائتلاف الحكومي عليه(٢٩). ويظهر السجل البرلماني لاولئك الاعضاء ، على اية حال ، ان نشاطهم في الكنيست ينحصر ، ان حضروا الجلسات ، عدا تصويتهم الى جانب الحكومة عند طرح الثقة ، في ابداء رأيهم بصورة عامة في المشكلات التي تجابه العرب في اسرائيل ، والطلب من السلطات العمل على حلها بطريقة تميل عادة نحو التزلف والاستعطاف ، واذا ما تطرقوا الى الشؤون السياسية الخارجية فيكتفـــون بمناشدة الدول العربية باحلال السلام مع اسرائيل . ومن جهة اخرى ، نتج عن مركز الاعضاء العرب المبائيين هذا ان تقلص دورهم ، وانحصر في التوسط للعرب لدى الدوائر الاسرائيلية المختلفة أو تعاطي المحسوبية على صعيد محلي . وقد وصف أحدهم ، دياب عبيد ، طريقة عمله لخدمة العرب في اسرائيل خلال فترة عضويته في الكنيست من ١٩٦١ الى ١٩٦٥(٣٠)، فذكر انه كتب خلال هذه الفترة نحو ٢٠٠٠ رسالة الى مختلف الدوائر الحكومية ، اسفرت عن حل ٣٢٣٣ قضية ، منها ٢١٤ مشكلة عامة تتعلق بالقرى والمجالس المحلية العربية . كذلك تمت ٧٢٣ مقابلة بين عرب اسرائيليين وبين اقاربهم في الدول المجاورة ، ومنح ١٣١٩ قرضا ماليا لافراد عرب ، وحلت ٣٦٨ مشكلة خاصة في وزارة المعارف والثقافة و٥٩٤ مشكلة خاصة أخرى في وزارات حكومية أخرى ، واجتمعت ١٥ عائلة عربية الى اقاربها من اللاجئين الذين يسكنون خارج اسرائيل . واضاف مراسل « هآرتس » تعليقا على هذه الاقوال ، « ان عضو الكنيست عبيد الذي استطاعت الحكومة ، بفضل صوته، الحصول على اكثرية لشطب مشاريع القوانين لالغاء الحكم العسكري(٣١)، لا يذكر ، بين انجازاته ، ولو استجوابا واحدا أو مشروع قانون واحد . ان كل نشاطه ، ومصـــدر فخره ، ينحصر في أعمال وساطته لتعيين مدرس او نقله من مكان [ عمل ] بعيد الى مكان أقرب لمحل اقامته ، او توصية باجراء مقابلة على بوابة مندلباوم [ في القدس ] بين مواطنين عرب مع اقاربهم في الاردن ، أو الاسراع في منح قرض . ان مواطنا اعتياديا يتوقع ، في حكم ديمقراطي ، انجاز هذه الاعمال دون الحاجة الى اللجوء الى عضو في الكنيست »(٣٢). والظاهر ان اعمال الوساطة التي اشرنا اليها هي فعلا قمة نشاط عبيد السياسي ، فعندما سئل مرة عن رأيه في السلام بين اسرائيل والعرب ، أجاب « ان

احلال السلام لا يتعلق بنا ، وانما بالسياسة العليا ... التي لا اتدخل فيها »(٣٣). اما حالة الاعضاء العرب الآخرين فلا تختلف كثيرا عن حالة زميلهم عبيد ، فكلهم ايضا لا يتدخلون في شؤون « السياسة العليا » ، ويكتفون بممارسة نشاط مماثل لنشاط زميلهم، كل في منطقته وبين معارفه . ان وضع الاعضاء العرب هذا يعيد الى الاذهان ، حقا ، شخصية العربي « رشيد » الذي تصوره هيرتسل يعيش في دولة المستقبل الصهيونية ، وهو قانع بما كتب له ، ويتصرف تماما كما يتوقعه منه المجتمع الصهيوني ان يتصرف ، بل ويبدو ان هذه أولى نبوءات هيرتسل التي تحققت في اسرائيل ، كما نشاهدها حاليا ، وربما كانت الوحيدة(٣٤).

ولكن على الرغم مما ذكرناه ، فان القوائم العربية لا تزال حتى الان تحصل على نسبة غير قليلة من أصوات الناخبين العرب في اسرائيل ، وعلى الرغم من ان نسبة الاصوات التي يحصلون عليها تقل من انتخابات الى اخرى ، فانها لا تزال تشكل نحو ٤٠ ٪ من أصوات العرب ( انظر الجدول ٢ ادناه ) . ولم تكن المنافـــع المادية والخدمات التي يستطيع اعضاء القوائم العربية ، بحكم تعاونهم مع السلطة ، تقديمها الى الناخبين العرب هي السبب المباشر الوحيد لحصولهم على تلك النسبة من الاصوات ، اذ ان جهاز مباي قد استغل أيضا ما لديه من سلطة يتمتع بها عادة الحزب الحاكم لدعم أولئك الاعضاء وتأمين أكبر عدد من الاصوات لهم(٣٥) وكان أول الاجهزة التي استغلت من أجل ذلك جهاز الحكم العسكري ، وهذا ما ذكـــر في الفصل الاول(٣٦). ولا تزال السلطة الاسرائيلية ، حتى الآن ، تستغل صلاحيات الحكم العسكري الباقية لفرض القيود على العديد من العناصر العربية النشيطة في القائمة الشيوعية الجديدة ( راكاح ) ، وهي القوة السياسية الرئيسية التي تنافس القوائم العربية انتخابيـــا بين العرب ( أنظر الجدول ٢ ادناه ) فتعرقل بذلك نشاطها السياسي(٣٧). اما الجهة الثانية التي استغلت في هذا المجال ، فكانت مستشار رئيس الحكومة للشؤون العربية ومساعديه ، الذين على الرغم منكونهم موظفين رسميين يمارسون نشاطهم وكأنهم جزء من مباي واجهزته. وقد وصف أحدهم مرة المستشار بأنه « ليس مستشارا بل منفذا . وعلى أية حال فانه ليس مستشارا لرئيس الحكومة . انه منفذ ، وربما يقوم حتى بارشاد بعض الدوائر الحكومية . وهناك ، الى حد كبير ... علاقات متبادلة بينه وبين الحكم العسكري . وليس واضحا تماما ما اذا كان المستشار هو الذي يرشد الحكم العسكري أم ان الحكم العسكري هو الذي يرشد المستشار ... ويبدو ... ان رئيس الحكومة لا يلجأ كثيرا الى نصائح مستشاره للشؤون العربية »(٣٨). ( وفعلا فان أحد المستشارين للشؤون العربية ، أوري لوبراني ، أعلن فيما بعد انه يتلقى النصح من بن ـــ غوريون ، رئيس الحكومة ، أكثر مما يقدمه هو الى بن ـــ غوريون )(٣٩). وكان مكتب المستشار قد أعد ، في سنة ١٩٦٨ ، قبيل الانتخابات للكنيست السابع وبناء على طلب حزب العمل ، دراسة عن أوضاع الناخبين العرب وافضل الطرق للحصول على أصواتهم في الانتخابات المقبلة. وقد اثارت هذه الدراسة حنق كتلة غاحال اليمينية التي كانت مشتركة يومها في الحكومة، ضمن اطار حكومة التكتل القومي ، والتي اعتبرت هذا العمل تدخلا لمصلحة حزب دون آخر ، فطالبت ببحث الامر في اجتماع عام للكنيست ، الا ان اقتراحها رفض(٤٠). وفي أواخر كانون الثاني ( يناير ) ١٩٧٣ ، عاد المستشار للشـــؤون العربية واشترك في اجتماع عقده رؤساء الاجهزة العربية في حزب العمل للبحث في كيفية العمل بين العرب في الانتخابات المقبلة(٤١).

اما الجهة الرئيسية الثالثة التي نشطت لمصلحة مباي وقوائمه العربية بين الناخبين العرب ، فكانت الدائرة العربية في الهستدروت ، النقابة العامة للعمال في اسرائيل ، وهي الدائرة التي يشرف مباي ومؤيدوه على نشاطها بصورة شبه مطلقة . وعدا النشاط الثقافي الذي حاولت هذه الدائرة القيام به بين العمال العرب ، قبل قبولهم اعضاء في

# الجدول ٢

## توزيع اصوات الناخبين العرب بحسب القوائم الانتخابية(١)

## ( في المناطق العربية(٢) فقط )

| القائمة | الكنيست الرابع (١٩٥٩) عدد الاصوات | الكنيست الرابع (١٩٥٩) نسبة مئوية | الكنيست الخامس (١٩٦١) عدد الاصوات | الكنيست الخامس (١٩٦١) نسبة مئوية | الكنيست السادس (١٩٦٥) عدد الاصوات | الكنيست السادس (١٩٦٥) نسبة مئوية | الكنيست السابع (١٩٦٩) عدد الاصوات | الكنيست السابع (١٩٦٩) نسبة مئوية |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| كل الاصوات | ٧١،٧٢٣ | ١٠٠،٠ | ٧٦،٩١٨ | ١٠٠،٠ | ٨٨،١٠٢ | ١٠٠،٠ | ١٠١،١٠٩ | ١٠٠،٠ |
| القوائم العربية(٣) | ٤٢،٠٢٩ | ٥٨،٦ | ٣٥،٠٢٦ | ٤٥،٥ | ٣٧،٧٩٩ | ٤٢،٩ | ٤١،٢٠٥ | ٤٠،٨ |
| الحزب الشيوعي الاسرائيلي (ماكي) | ٨،٠٩٧ | ١١،٣ | ١٧،٢٨٧ | ٢٢،٥ | ٥١١ | ٠،٦ | ٧٤٤ | ٠،٧ |
| القائمة الشيوعية الجديدة (راكاح) | — | — | — | — | ٢٠،٦٩١ | ٢٣،٥ | ٢٩،٨٧١ | ٢٩،٥ |
| مبـاي | ٣،٣٠٤ | ٤،٦ | ٦،٢٦٨ | ٨،١ | | | | |
| احدوت همفوداه | ٦٤٧ | ٠،٩ | ٣،٦٨٢ | ٤،٨ | (٤)٧،٤٨٧ | ٨،٥ | (٥)١٣،٤٦٤ | ١٣،٣ |
| مبـام | ١٠،٣٦٣ | ١٤،٤ | ٩،٢٣٢ | ١٢،٠ | ٩،٠٨٧ | ١٠،٣ | | |
| القائمة الرسمية (رافي) | — | — | — | — | ٢،٤٧٥ | ٢،٨ | ٩٩٢ | ١،٠ |
| احزاب المتدينين(٦) | ٢،٧٦٢ | ٣،٩ | ٣،٢٣٦ | ٤،٢ | ٤،٨٦٨ | ٥،٥ | ٨،٨٣٤ | ٨،٧ |
| احزاب اليمين(٧) | ٣،٤٧٤ | ٤،٨ | ٢،٠٧٨ | ٢،٧ | ٣،٠١٧ | ٣،٥ | ٣،٤٢٩ | ٣،٥ |
| هاعولام هازيه (افنيري) | — | — | — | — | ١،٧٩٧ | ٢،٠ | ١،٢٣٣ | ١،٢ |
| آخـرون | ١،١٤٧ | ١،٥ | ١٠٩ | ٠،٢ | ٣٧٠ | ٠،٤ | ١،٢٣٧ | ١،٣ |

( ١ ) Israel, Central Bureau of Statistics, *Results of the Elections to the Fifth Knesset...*, Special Series No 166, (Jerusalem, 1964), pp. 20-25; *Results of the Elections to the Sixth Knesset...*, Special Series No 216, (Jerusalem, 1967), pp. 96-103 and *Results of the Elections to the Seventh Knesset...*, Special Series No 309, (Jerusalem, 1970), pp. 60-62.

٢ ) تضم نحو ٩٠ ٪ من اصوات العرب في اسرائيل ، ولا يمكن معرفة توزيع اصوات العرب في المدن المختلطة ، لان اصوات العرب واليهود هناك يندمج بعضها في بعض .

٣ ) في الكنيست الرابع ثلاث قوائم ، وفي الكنيست الخامس والسادس والسابع قائمتان .

٤ ) « التجمع ، مباي ــ احدوت همفوداه » .

٥ ) « التجمع ، حزب العمل ــ مبام » .

٦ ) هي الحزب الديني القومي الذي يحصل على اكثرية الاصوات ، واغودات يسرائيل ، وعمال اغودات يسرائيل .

٧ ) في الكنيست الرابع : حيروت ، الصهيونيون العموميون ، وفي الخامس : حيروت والاحرار ، وفي السادس : كتلة حيروت ــ الاحرار ( غاحال ) ،

الهستدروت وبعد ذلك ، فقد كانت هي الجهاز الذي تولى القيام بالنشاط الاعلامي بين العرب . وقد أشرفت هذه الدائرة على اصدار صحيفة « اليوم » ، الصحيفة اليومية الوحيدة باللغة العربية التي كانت تصدر في اسرائيل منذ أوائل أيلول ( سبتمبر ) ١٩٤٨ حتى اواخر ايار ( مايو ) ١٩٦٨ . وكانت « اليوم » قد صدرت أصلا عن جماعة من المستشرقين اليهود على رأسهم ميخائيل آساف(٤٢)، مراسل الصحيفة الهستدروتية « دافار » للشؤون العربية ، والذي عمل محررا لـ « اليوم » خلال عدة سنوات ، بمساعدة وزارة الاقليات ، ثم حولت الى ادارة « جمعية اليوم » التي شكلت في نيسان ( ابريل ) ١٩٥٣ لهذا الغرض(٤٣). وفي تموز ( يوليو ) ١٩٦٠ ، عقد اتفاق بين الجمعية والهستدروت والحكومة ، تعهدت الحكومة بموجبه تغطية نصف نفقات الصحيفة(٤٤) بما في ذلك تغطية عجز السنوات السابقة ، « ذلك بأن الحكومة تعتقد انه لا ينبغي التنازل عن صحيفة يومية لمواطني الدولة الذين يقرأون العربية ، ولهذا فانها تشارك في تمويل « اليوم » »(٤٥). ولكن صحيفة « اليوم » على الرغم من كونها صحيفة شبه حكومية مدعمة بأموال تقدمها الدولة ، فانها كانت عمليا نسخة مصغرة عن « دافار » ، مهمتها الرئيسية الدعاية لمواقف مباي والمتعاونين معه بين العرب ، ولم تحجم عند الضرورة عن مهاجمة باقي الفئات السياسية الاسرائيلية ، ومن ضمنها حتى الاحزاب المشتركة في الائتلاف الحكومي . الا انه على الرغم من ذلك فان الصحيفة لم تتمتع بانتشار واسع بين العرب ، اذ ارتفع توزيعها من ١٥٠٠ نسخة يوميا في سنة ١٩٤٨ الى ٥٠٠٠ نسخة في سنة ١٩٦٢(٤٦)، منها نحو ١٨٠٠ نسخة كانت ترسل الى مشتركين دائمين(٤٧) ومعظمهم من المدرسين العرب في المدارس الاسرائيلية ، التي كانت اشتراكاتهم تحسم من رواتبهم وتحول الى الصحيفة ، دون أخذ رأيهم . ويبدو ان العجز المالي المتراكم من اصدار هذه الصحيفة ، مقارنا بكمية التوزيع الضئيلة من جهة وعدم قدرتها على جذب عدد أكبر من القراء ، نتيجة حظها السياسي المتزمت في تأييده للسياسة الاسرائيلية الرسمية ومحاولتها تبرير كل موقف اسرائيلي مهما بلغ من تطرفه من جهة اخرى ، دفع الدوائر المختصة الى العمل على اقفالها ، فتوقفت عن الصدور في اواخر ايار ( مايو ) ١٩٦٨(٤٨). غير ان حرص السلطات الاسرائيلية على تزويد القارىء العربي في اسرائيل بصحيفة يومية باللغة العربية سرعان ما دفعها الى مواصلة جهودها في هذه الناحية ، ولم يمض أكثر من خمسة اشهر على توقف « اليوم » عن الصدور ، حتى بدأت في أواخر تشرين الاول ( اكتوبر ) ١٩٦٨ ، صحيفة عربية يومية أخرى ، « الانباء » ، تصدر في القدس على اسس مشابهة لتلك التي صدرت بموجبها « اليوم » ، اذ تحظى « الانباء » كسابقتها « اليوم » ، بمساعدة مالية ( « واشراف » ) من قبل الحكومة(٤٩). الا انه يبدو ان الدوائر الاسرائيلية المختصة استفادت من تجربة « اليوم » فاتجهت الى العمل لتعديل لهجة « الانباء » ، وجعلها غير منفرة ، ليس بالنسبة الى القارىء العربي في اسرائيل فحسب ، وانما بالنسبة الى العرب في المناطق المحتلة سنة ١٩٦٧ ايضا(٥٠) بعد ان اوكلت رئاسة تحريرها الى مدير سابق للاذاعة الاسرائيلية باللغة العربية .

ومما يجدر ذكره هنا ان مباي لم يكتف بالعمل بين العرب بموجب الطرق التي أشرنا اليها ، وانما حاول التعامل معهم على اساس « عقائدي » ايضا ، في فترات متقطعة . فقد بدأ مؤيدوه عملهم في هذا المجال في سنة ١٩٦٢ عندما راحوا يدعون الى نشر ما أسموه « الوعي العربي الاسرائيلي »(٥١)، الا انه سرعان ما فترت حماستهم فتوقفوا عن العمل قرابة السنتين ثم استأنفوا نشاطهم من جديد . ففي آب ( اغسطس ) ١٩٦٤ ، عقد في حيفا ما سمي « مؤتمر المثقفين » الذي ضم معظم مؤيدي مباي بين العرب ، معلنا انه يؤمل ان تكون خلاصة ابحاثه « الثقل الايديولوجي المضاد لاهداف الثورة العربية »(٥٢). اما هذا الثقل الايديولوجي ، فقد انحصر في اعلان معارضة حق اللاجئين العرب في العودة الى وطنهم ، لانه لا تجوز « المطالبة بزيادة سكان البلد بنحو ٤٠ بالمائة

يعتبرها الحكم في الدولة معادية » ، وتوجيه اللوم الى العرب في اسرائيل لانهم « لم يثبتوا اخلاصهم غير المتحفظ للدولة . . . وأمنها . وقسم منهم راودهم الامل المكبوت أن يتغير التوازن السياسي في المنطقة »(٥٣). غير ان « مؤتمر المثقفين » ، على اية حال ، لم يمارس اي نشاط يذكر عدا انعقاده ، فعاد مباي وقرر استئناف نشاطه بعد سنتين اخريين . ففي حزيران ( يونيو ) ١٩٦٦ ، أعلن عن اقامة « لجنة العمل العربية ــ الاسرائيلية في سبيل اسرائيل » . اما رئيس اللجنة ، رستم بستوني ، فقد أعلن ان لجنته وضعت أمامها ثلاثة أهداف ، وستعمل في ثلاثة مجالات : « الاول : المجال المحلي وبلورة العلاقات العربية اليهودية داخل اسرائيل . . . ذلك لان مشكلة عرب اسرائيل هي في حد ذاتها يهودية وقضية وجهة نظر الجماهير اليهودية في البلد بالدرجة الاولى . . . والثاني : محاولة العمل لدى الوفود العربية في الامم المتحدة لشرح موقف عرب اسرائيل ازاء النزاع القائم بين اسرائيل والدول العربية وموقف عرب اسرائيل من منظمة التحرير الفلسطينية . والثالث : العمل في المجال الدولي لتسوية النزاع الاسرائيلي ــ العربي بطريق المفاوضات المباشرة بين جميع الاطراف . . . والاهابة بالرأي العام العالمي ان يعمل لحمل الحكومات العربية على مبدأ المفاوضات المباشرة »(٥٤). ومرة اخرى لم تسفر هذه الحماسة عن نتيجة تذكر ، ولهذا استمر التفتيش عن « عقيدة » للعرب في اسرائيل ، الذي يبدو انه ضاع اخيرا في غمرة التفتيش عن « عقيدة » للعرب في المناطق المحتلة سنة ١٩٦٧ ايضا .

ان الاطر والاتجاهات التي اشرنا اليها كانت الملامح الرئيسية لنشاط مباي السياسي بين العرب في اسرائيل ، وقد استمر هذا الوضع قائما منذ اقامة اسرائيل حتى ١٩٦٨ ــ ١٩٦٩ ، عندما أقيم حزب العمل الاسرائيلي بعد اتحاد حزبي مباي واحدوت هعفوداه ، ثم تحالف هذا الحزب مع مبام ضمن « تجمع حزب العمل ــ مبام » قبيل الانتخابات للكنيست السابع في سنة ١٩٦٩ . ولقد رافق هذه الاحلاف السياسية بعض التغييرات التي أدخلت على نشاط تلك الاحزاب الصهيونية المشتركة فيها بين العرب ، وبالتالي على نشاط المتعاونين معها من العرب ، وهو ما سنعرضه عند بحثنا في نشاط تلك الاحزاب .

●

لم يكن مباي ، كما اشرنا ، الحزب الاسرائيلي الوحيد الذي حاول ممارسة العمل السياسي بين العرب في اسرائيل ، فمعظم الاحزاب الصهيونية الاخرى حاول اقتفاء اثره لكسب تأييد العرب والحصول على نصيب من اصواتهم . اما أول هذه الاحزاب فكان مبام ، حزب العمال الموحد الذي يتخذ بالنسبة الى باقي الاحزاب الصهيونية موقفا فريدا ، وأحيانا غريبا ، في نوعه من القضية الفلسطينية خاصة ومن العرب عامة ، وهو الموقف الذي يعود الى طبيعة تكوين هذا الحزب . فجذور مبام نبتت بعد فترة قصيرة من بدء تبلور زميله الاكبر ، مباي ، اذ أن اجداد مبام كانوا قد ظهروا في فلسطين مع مطلع العشرينات في صورة حركة كشفية ، سرعان ما اتجهت الى العمل للاستيطان في البلد . ومع اواخر العشرينات ، كانت الحركة قد اتخذت طابع مؤسسة استيطانية تعمل لتأسيس الكيبوتسات لاعضائها في مختلف انحاء فلسطين ، ضمن اتحاد كيبوتسات هاشومير هاتسعير ( الحارس الفتى ) ، وهو الاسم الذي أطلقته على نفسها . وحتى هذه المرحلة لم يكن هاشومير هاتسعير ليختلف كثيرا عن باقي اتحادات الكيبوتسات التي كانت تسعى مثله للاستيطان في انحاء فلسطين كافة . غير أنه سرعان ما اكتسب صفة ميزته عن باقي التجمعات العمالية الصهيونية في الكيبوتسات وخارجها عندما اعتنق ، خلال تفتيشه عن عقيدة خاصة به ، ما أسماه التفسير الماركسي للصهيونية الذي وضعه بير بروخوف . ولقد دفعت هذه العقيدة هاشومير هاتسعير ( ومن بعده مبام ) الى اتخاذ مواقف متناقضة مرة بعد اخرى ، لا مجال لعرضها هنا ، والتي وجد نفسه معرضا للنقد بسببها من الماركسيين والصهيونيين في آن واحد .

غير ان ما يهمنا هنا من عقيدة هاشومير هاتسعير هو ذلك الشعار الذي تبناه ايام الانتداب والذي دعا بموجبه الى اقامة دولة ثنائية القومية ، من العرب واليهود في فلسطين ، وهو الشعار الذي انهمك هاشومير هاتسعير فترة غير قصيرة في مناقشته ، بينه وبين نفسه من جهة وبينه وبين باقي الفئات العمالية الصهيونية من جهة اخرى . ولكن هذا الشعار ، على اية حال ، اختفى بعد اقامة اسرائيل ، ذلك بانه « كان واضحا لاولئك الذين ايدوا ثنائية القومية ، ان دولة اسرائيل التي قامت من خلال تقسيم البلد [ فلسطين ] يجب ان تكون دولة يهودية . كما كان واضحا لهم ان الدولة اليهودية ملزمة بمنح السكان العرب الذين يسكنون داخل حدودها المساواة الكاملة ، وعليها الاعتراف بهم بصفتهم اقلية قومية،مع كل الحقوق والواجبات الناتجة عن مثل هذا الاعتراف»(٥٥).

وعليه فان هاشومير هاتسعير ، انطلاقا من عقيدته هذه ، كان مؤهلا اكثر من اي حزب صهيوني آخر ، بعد اقامة اسرائيل ، للتعامل مع العرب الذين بقوا داخلها . ولكن اوضاع الحركة الداخلية يومها حالت دون ذلك ، اذ انه عندما اعلن قيام اسرائيل كان هاشومير هاتسعير قد اتحد ، في مطلع سنة ١٩٤٨ ، مع فئة عمالية أخرى ، كانت قد انشقت عن مباي في سنة ١٩٤٦ ، ليقيم حزب مبام . ولقد عارضت تلــك الفئة التي عرفت ، فيما بعد ، باسم احدوت هعفوداه والتي كان العديد من زعمائها مـــن نشيطي الهاغاناه والبلماح سابقا، موقف هاشومير هاتسعير القديم من العرب وحالت دون تقرب مبام منهم . ولهذا اضطر الحزب الى ان يتبع ، خلال الانتخـــابات للكنيست الاول ، الوسائل نفسها التي اتبعها مباي ، فأيد قائمة عربية مرتبطـــة به خاضت الانتخابات وحدها ، الا ان أحداً من مرشحيها لم ينجح في الانتخابات(٥٦). اما في الانتخابات للكنيست الثاني ، فقد ضم الى قائمة الحزب أحد المرشحين العرب ، رستم بستوني ، الذي كان من بين الفائزين في الانتخابات حيث شغل مقعده في الكنيست الى جانب باقي أعضاء الحزب اليهود . ومنذ ذلك الوقت ، يصر مبام على ان يكون احد أعضائه في الكنيست عربيا ( يوسف خميس في الكنيست الثالث والرابع والخامس ، وعبدالعزيز الزعبي في الكنيست السادس والسابع ) . ولكن مبام لم يتمكن من اقرار موقفه هذا بسهولة اذ ان الخلافات بين شطريه ، ومن ضمنها موقف الحزب من قبول العرب اعضاء فيـــه ، استمرت حتى سنة ١٩٥٤ عندما انفصل عنه احدوت هعفوداه واقام حزبا مستقلا وتمكن مبام على اثر ذلك من تنفيذ قرار سابق له وقبول العرب أعضاء فيه متساوين في الحقوق والواجبات ، رسميا على الاقل . ومنذ ذلك الوقت ، لا يزال مبام عند موقفه هذا ، فبقي الحزب الصهيوني الوحيد الذي يسمح بانضمام العرب الى صفوفه . وقبل انشقاق احدوت هعفوداه عن مبام كانت قد انشقت عنه ايضا فئة يسارية صغيرة(٥٧) بقيادة موشيه سنيه ، كان من بين أعضائها رستم بستوني ، انضمت فيمـــا بعد الى الحزب الشيوعي الاسرائيلي . اما بستوني فقد ترك هذه الفئة ايضا وتقرب من مباي ، اذ عمل في خدمته فترة غير قصيرة ، وفي نهاية المطاف هاجر من اسرائيل(٥٨).

اتخذ نشاط مبام بين العرب طابعا يختلف عن طابع باقي الاحزاب الصهيونية الاخرى ، اذ انه لم يكتف بالعمل بينهم على اساس مادي نفعي بل اتجه الى العمل على اساس عقائدي ايضا ، عارضا صهيونيته الاشتراكية على العرب ومحاولا جذبهم الى صفوفه . وقد حاول مبام العمل بجد بين العرب ، فبدأ اقامة خلاياه بينهم في وقت مبكر ، ومنذ سنة ١٩٥١ بدأ اصدار مجلته الاسبوعية باللغة العربية ، « المرصاد » التي لا تزال تصدر حتى يومنا هذا . وفي اواسط الخمسينات ، اقام ما اسمـــاه حركة الشباب العـــربي الطلائعي(٥٩) التي حاولت العمل على حل بعض مشكلات الشباب العربي في اسرائيل ، ثم ساعد بعد ذلك في اقامة اتحاد المزارعين العرب الذي حاول العمـــل على تنشيط الزراعة العربية في اسرائيل ، غير ان المنظمتين لم تخرجا عن كونهما منظمات هامشية صغيرة . وفي سنة ١٩٥٨ ، ساهم في اصدار مجلة ادبية شهرية بالعربية ، « الفجر » ،

التي استمرت في الصدور عدة سنوات . وكذلك اسس ، في السنـــة نفسها ، شركة الكتاب العربي(٦٠) التي تولت اعادة نشر العديد من الكتب العربية لكبار الكتاب العرب من خارج اسرائيل وتوزيعها ، فسدت بذلك نقصا ملحوظا لقراء العربية في فترة كان دخول الكتب العربية فيها الى اسرائيل محظورا — ولفتت بذلك انظـــار دور النشر التجارية الى امكان استغلال هذه الظاهرة ، التي قامت بدورها باعادة اصدار وتوزيع العشرات من الكتب العربية . وفي الوقت نفسه كانت الكيبوتسات التابعة للحزب توفر العمل للكثيرين من العرب في مرحلة كان من الصعب خلالها على العمال العرب ايجاد اعمال لهم في اسرائيل ، بينما نشطت الوزارات الحكومية التي رئسها اعضاء الحزب ، عندما كان مبام ينضم الى الحكومة ، في العمل على حل العديد من المشكلات المتعلقة بالعرب . كذلك يشعر المرء بأن أعضاء الحزب العرب ، بعكس غيرهم من الذين ارتبطوا بأحزاب صهيونية أخرى ، يحرصون الى حد معين على « الاستقلال » فيما يتعلق بآرائهم وهويتهم وانتمائهم القومي .

ولكن مبام لم يحظ بنجاح ملحوظ بين العرب فبقي تأثيره محدودا بينهم ، بينما كانت نسبة الاصوات العربية التي يحصل عليها تقل من انتخابات الى اخرى (انظر الجدول ٢ اعلاه). ويعود هذا اساسا الى الخط الذي اتبعه الحزب بين العرب ومحاولته التصدي للقوتين الرئيسيتين العاملتين بينهم ، مباي والشيوعيون ، وعرض نفسه كبديل لكليهما ، في حين انه لم يكن باستطاعته تقديم المنافع المادية التي كان بامكان مباي تقديمها الى مؤيديه من جهة ما ، او تولي الدفاع عن قضايا العرب ، محليا وخارجيا ، لكسب تأييدهم كما فعل الشيوعيون من جهة اخرى ، ولهذا وقع بين فكي كماشة ضيقت الخناق عليه . اما هذا الوضع بحد ذاته فيعود الى طابع الحزب ومواقفه العديدة المتناقض بعضها مع بعض ، بحيث ظهر اكثر من مرة بأنه ذو وجهين وذو لسانين وهي المواقف التي تنعكس على الكثير من تصرفاته . فالحزب يتحدث ، مثلا ، مع اليهود بلهجة معينة ومع العـــرب بلهجة اخرى . وبينما تحمل الصحيفة العبرية اليومية «عل هامشمار» ، شعار «للصهيونية ، للاشتراكية ، لاخوة الشعوب » تعلن الصحيفة العربية « المرصاد » انها من اجـــل « التحرر القومي والاجتماعي واخاء الشعوب » . والامر لا يتوقف عند الاختـــلاف في الشعارات فحسب ، بل يتعداه الى اختلاف في موقف كل من الصحيفتين تجاه العديد من القضايا ، وهو ما لم يكن خافيا على الشباب العربي الذي يتوجه الحزب عادة اليه والذي يقرأ بأغلبيته العربية والعبرية ، مما يضعه وجها لوجه امام تلك التناقضات ، وبالتالي يحمله عن الابتعاد عن الحزب . كذلك فان موقف الحزب ، مثلا ، من الحركة القومية العربية لم يحظ بموافقة اعضائه العرب ، على الرغم من ان مبام يعلن تأييده لحركات التحرر القومي . اما موقفه من حق الشعوب في تقرير مصيرها ، فلم يتفق ابدا مع آرائه ونشاطه تجاه القضية الفلسطينية ، بينما لم تمنعه معارضته لمصادرة اراضي العرب من اقامة كيبوتساته على الاراضي المصادرة(٦١) . يضاف الى ذلك كله ان موافقة الحزب على الانضمام الى الحكومات الاسرائيلية من حين الى آخر وذلك « للنضـــال من الداخل » وتحمل مسؤوليات السياسة الاسرائيلية ، داخليا وخارجيا ، في الوقت الذي كان يدعو فيه الى النضال « المعتدل » ( لئلا « يغضب » الحكم العسكري. . . ) بحيث ظهر ان الحزب عاجز عن احداث تغييرات جوهرية في السياسة الاسرائيلية ، ان كان داخل الحكومة او خارجها ، لم يكن كل هذا ليدعم موقفه ومكانته بين العرب عامة.

وقد استمر مبام في محاولته العمل مستقلا بين العرب منذ اقامة اسرائيل حتى قبيـــل الانتخابات للكنيست السابع عندما وافق في سنة ١٩٦٨ على الاشتراك في الانتخابات المقبلة ضمن قائمة موحدة مع حزب العمل ، ضمن اطار « تجمع حزب العمل — مبام » ، مقلصا بذلك حرية عمله السياسي بين العرب ، فحصل سوية مع حزب العمل عـــلى نسبة اقل من الاصوات التي حصلا عليها معا في الانتخابات السابقة ( انظر الجدول ٢

اعلاه ) . ولكن مبام لم يدع هذه الفرصة تمر دون الحصول على ما يعتبره انجازا لسياسته العربية ، فأصر على ادخال اسم مرشحه العربي ، عبد العزيز الزعبي ، ضمن قائمة مرشحي التجمع أسوة بباقي المرشحين اليهود ، وكان له ما اراد . ثم أعلن ، في مرحلة لاحقة ، انه سيسعى لتعيين هذا المرشح نائبا لاحد وزرائه بعد الانتخابات ، ولكن هذا الموقف اثار حنق مرشحي القوائم العربية المرتبطة بمباي ، الذين اعتبروا مثل هذا العمل مكافأة لاعضاء مبام العرب على نشاطهم المعادي لعرب مباي . وراوا انه يشكل اهانة لهم حيث انهم أولى بذلك ، وينبغي تعيينهم للمناصب الحكومية قبل غيرهم ، بينما أعرب احدهم ، سيف الدين الزعبي ، وهو ابن عم عبد العزيز ، عن تقديره لمبام « الذي لا يتخلى عن اعضائه ، ولا يرميهم للكلاب » ، معلنا ان « عرب اسرائيل الذين يشجبوننا هم على حق » لان بعض الدوائر في حزب العمل « لم يبق على احترام كبير لاعضاء الكنيست العرب . فقد مسوا بنا واهانوننا وجعلوا منا لعبة كرة قدم »(٦٢) . اما نتيجة هذه الضغوط ، فكانت ان استجاب حزب العمل لطلبات المتعاونين معه من العرب ، فانتخب سيف الدين الزعبي نائبا لرئيس الكنيست مع افتتاح جلسات الكنيست السابع في سنة ١٩٦٩ ، ولم تمنح الموافقة لمبام على تعيين وزير عربي ، الا خلال ايار ( مايو ) ١٩٧١ ، وبعد مرور نحو السنتين من تعيين سيف الدين نائبا لرئيس الكنيست ، فعين عبد العزيز الزعبي نائبا لوزير الصحة المبامي ، وهو اول عربي في اسرائيل يعين في مثل هذا المنصب . وبعد ذلك بمدة قصيرة عين جبر معدي نائبا لوزير المواصلات ، بينما استقال سيف الدين الزعبي من نيابة رئاسة الكنيست ليحل محله الياس نخلة .

ولا شك في أن مبام هو الذي وقف أساسا وراء حركة التعيينات هذه ، « فهو الذي اقترح ... تعيين نائب رئيس كنيست عربي ... وهو الذي اقترح أيضا تعيين نائب وزير عربي » ، كما أعلن عبد العزيز الزعبي عند تعيينه(٦٣) . والزعبي ، نائب الوزير ، يختلف في تاريخه ونشأته السياسية عن باقي زملائه العرب الذين عينوا معه ، والذين كنا قد أوردنا لمحة عنهم فيما سبق(٦٤) ، اذ أن الرجل يمثل تلك القلة من العرب التي عملت باخلاص مع مبام ، وتدرجت حتى احتلت مراكز مختلفة في جهاز الحزب . فالزعبي انضم الى مبام في سنة ١٩٥٥ ، وكان يومها يعمل موظفا في مكتب القيم على أموال الغائبين في الناصرة ، ثم استقال من عمله هذا في سنة ١٩٥٨ ليعمل في صحيفة « المرصاد » ومجلة « الفجر » ، ثم ترأس دار الكتاب العربي التي أسسها الحزب ، ومنذ ذلك الوقت وهو يعمل في جهاز الحزب . ويبدو ان مبام ، على أية حال ، لم يتعب نفسه كثيرا في دراسة مدى الفائدة التي سيعود بها تعيين عرب في مناصب وزارية على الحزب او على العرب الذين يؤيدونه او في نوع الصلاحيات التي سيتمتع بها مرشحه ، او طبيعة الاعمال التي يستطيع هو او باقي الاعضاء العرب الذين عينوا في مناصب مماثلة القيام بها(٦٥) . اما الزعبي نفسه فيرى أن تعيينه نائبا لوزير كان « خطوة الى الامام نحو المساواة الكاملة للجمهور العربي ودمجه في الدولة بصورة اوثق . ولهذا مغزى سياسي ، داخلي ودولي ، لجهة ازدياد مشاركة المواطنين العرب في شؤون الدولة ... طبعا ، سيكون هناك من يقول ان تعييني جاء كي يشار الى السياح « ها ان لدينا نائب وزير عربيا ... » ، ولكن الامر سيحمل على وجود نية حسنة لدى حكومة اسرائيل لاتباع التعاون والاحترام المتبادل بين دولة اسرائيل المستقلة وبين الدول العربية المستقلة المجاورة ــ عندما يحل السلام »(٦٦) . ويبدو ايضا ان مبام لم ينتبه ، على أية حال ، الى أنه عندما كان يسعى لتعيين عرب في مناصب تنفيذية وتشريعية رفيعة في اسرائيل فيما يعتبره مساعدة للعرب على نيل حقوقهم كمواطنين ، كان في الوقت نفسه يشترك في حكومة اسرائيلية لا تصر على التنكر لحقوق الفلسطينيين في

المناطق المحتلة فحسب وانما تحظر عليهم حتى مجرد العمل السياسي — موقف آخر من مواقف مبام المتناقضة ، والتي يظهر احيانا وكأنها غير قابلة للتفسير .



ان مباي ومبام لم يكونا الحزبين الوحيدين اللذين حاولا العمل سياسيا بين العرب في اسرائيل ، اذ ان باقي الاحزاب الصهيونية ادلى بدلوه أيضا وحاول التقرب من العرب للحصول على نصيب من أصواتهم عند اجراء الانتخابات العامة في البلد . ولكن ما يميز نشاط مباي ومبام عن نشاط الاحزاب الباقية ، في هذا المجال ، هو أن نشاطهما كان نشاطا دائما وثابتا تولت أجهزة خاصة ، اقيمت داخل هذين الحزبين ، الاشراف عليه ومتابعته ، بينما لم يكن نشاط باقي الاحزاب عامة الا عبارة عن حماسة موسمية تشتد قبل اجراء الانتخابات ، للحصول على أكبر عدد من الاصوات العربية، ثم تعود لتضمحل بعدها . ولقد تكررت هذه الظاهرة من قبل اكثر من حزب اسرائيلي .
أما أول الاحزاب التي حاولت التعامل مع العرب بالطريقة التي أشرنا اليها . فكان حزب الصهيونيين العموميين الذي كان يعتبر نفسه جزءا من اليمين الصهيوني ويدعي بأنه يعمل ليصبح بديلا لمباي في الحكم . فقبل الانتخابات للكنيست الثالث ( ١٩٥٥ ) ، تقرب الصهيونيون العموميون الذين كانوا يومها مشتركين في الائتلاف الحكومي ، من بعض الفئات العربية من صغار الملاكين الذين تضرروا من سياسة اسرائيل الاقتصادية في اولى خطواتها ، وساعدوها على تأليف قائمة انتخابية مرتبطة بهم ( ترأسها الياس نخله الذي ارتبط ، فيما بعد ، بمباي ) ، خاضت الانتخابات منفردة . وقد ساعد الحزب على القيام بنشاطه هذا كون أحد اعضائه ، يوئيل روكاح ، وزيرا للداخلية وقتهـا ( وسنلاحظ ، فيما يلي ، ان اكثر من حزب اسرائيلي حاول الاستفادة من منصب وزير الداخلية في الانتخابات عندما كان هذا المنصب موكلا الى احد اعضائه ) ، غير انه على الرغم من ذلك لم يفز احد من مرشحي تلك القائمة(٦٧) . ولقـد اكتفـى الصهيونيون العموميون بهذه التجربة ، فلم يعاودوا الكرة في الانتخابات التالية ( ١٩٥٩ ) . ولكـن زملاءهم ، التقدميون ، حاولوا القيام بهذا الدور خلال هذه الانتخابات ، فاضافوا بعض المرشحين العرب الى قائمتهم ، في أماكن غير مضمونة ، فلم ينتخب اي منهم . امـا خلال انتخابات ١٩٦١ ، وبعد أن كان الصهيونيون العموميون قد اتحدوا مع التقدميين واقاموا حزب الاحرار ، فقد قلص الحزب الجديد من نشاطه بين العرب . ولقد تقلص هذا النشاط اكثر خلال انتخابات ١٩٦٥ (و١٩٦٩ ) ، بعد أن تحالف الحزب مع حيروت، ضمن اطار كتلة حيروت — الاحرار ( غاحال ) التي اكتفت بدعاية سطحية محدودة بين العرب ، دون القيام بأية محاولة جادة للحصول على تأييد أية فئة منهم ، وهو ما يعود أساسا الى الموقف المتطرف الذي يتخذه حيروت من القضايا العربية خاصة والعرب عامة(٦٨) .
كذلك حاول حزب احدوت هعفوداه العمل بين العرب استنادا الى الاسس نفسها التي أشرنا اليها ، ولكن الحزب بدأ نشاطه متأخرا . ففي اول انتخابات خاضها منفردا في سنة ١٩٥٥ ، بعد انشقاقه عن مبام ، لم يبذل الحزب أي نشاط يذكر بين العرب لكسب أصواتهم . ولكن هذا الموقف تغير قبل انتخابات ١٩٥٩ ، بعد أن كان الحزب قد انضم الى الحكومة وعين احد اعضائه ، يسرائيل بار — يهودا ، وزيرا للداخلية ، فبذل نشاطا كبيرا للتقرب من العرب . ولقد رأى الحزب يومها ان يخرج عن النمط الذي اتبعه باقي الاحزاب الاسرائيلية حتى ذلك الوقت، فعمد الى اقامة حزب عربي مرتبط به، هو حزب العمل العربي ، وذلك على الرغم من معارضة الحكم العسكري ومحاولته منع مثل هذا النشاط ، وبدأ باصدار صحيفة أسبوعية باللغة العربية ، « العمل » ، ثم ساعد على اقامة قائمة عربية متحالفة معه خاضت الانتخابات منفردة ، غير أن احدا من مرشحيها

لم ينتخب ايضا . أما خلال انتخابات ١٩٦١ ، فقد عدل الحزب خطته وبدلا من تأييد قائمة عربية متحالفة معه اضاف بعض المرشحين العرب الى قائمته في اماكن شبه مضمونة ، الا ان ايا من اولئك المرشحين لم يدخل الكنيست بعد الانتخابات . غير ان الحزب ، في محاولة لاظهار حسن نيته تجاه المتعاونين معه من العرب ، حمل احد اعضائه اليهود ، يتسحاق بن — اهرون ، على الاستقالة من عضويته في الكنيست في سنة ١٩٦٤ ، وحل محله احد المرشحين العرب ، سليم خليل جباره ( من الطيرة ، المثلث ) الذي استمرت عضويته في الكنيست قرابة سنة ونصف السنة ، حتى نهاية ولاية الكنيست الخامس سنة ١٩٦٥ . ولقد بدل احدوت هعفوداه ثانية سياسته تجاه العرب قبل انتخابات ١٩٦٥ ( و١٩٦٩ ) ، عندما تحالف مع مباي ضمن اطار « تجمع مباي — احدوت هعفوداه » ، وهو التجمع الذي اشترك بقائمة موحدة للحزبين في انتخابات ١٩٦٥ ، والذي انتهى في سنة ١٩٦٨ بعد اتحاد الحزبين واقامتهما حزب العمل الاسرائيلي الذي تحالف بدوره أيضا مع مبام خلال انتخابات سنة ١٩٦٩ ضمن اطار « تجمع حزب العمل — مبام » فاشترك في هذه الانتخابات بقائمة موحدة ايضا . أما احدى نتائج هذه التحالفات ، فكانت ان توقف احدوت هعفوداه عن ممارسة اي نشاط سياسي مستقل بين العرب ، ومع مرور الزمن دمج نشاطه في نشاط مباي، وفيما بعد في حزب العمل .

ان تحالف مباي واحدوت هعفوداه ، واشتراك مبام معهما فيما بعد ، لم يسفرا عن توحيد كل قوى المعسكر العالمي الصهيوني في اسرائيل ، وبالتالي لم يؤد الى توحيد جهودهم في المجال العربي الداخلي . ففي الوقت الذي اتفق فيه مباي واحدوت هعفوداه على توحيد قواهما خلال انتخابات سنة ١٩٦٥ ، انشقت فئة صغيرة معارضة لهذا الاتجاه داخل مباي عن الحزب الام ، تزعمها دافيد بن — غوريون ( لاول مرة في المعارضة ) وموشيه ديان وشمعون بيريس ، والتي سرعان ما قررت الاشتراك في الانتخابات بقائمة منفصلة خاصة بها ، هي قائمة عمال اسرائيل ، رافي . ولكن رافي لم يكتف بالعمل بين اليهود فقط وانما اتجه الى العمل بين العرب ايضا فأقام قائمة انتخابية عربية مرتبطة به ( « قائمة السلام » ) جمعت حولها غلاة المتعاونين مع السلطة بين العرب « والمعجبين » بالحكم العسكري الذي « يحافظ على الامن » ، واشتركت في الانتخابات منفردة وحصلت على بضعة الاف من اصوات العرب ( انظر الجدول ٢ اعلاه ) ، لم تكن كافية لانتخاب أي من مرشحيها(٦٩). ولقد عاد رافي واتبع الاسلوب نفسه في انتخابات سنة ١٩٦٩ ، ولكنه لم يتبن قائمة عربية منفصلة هذه المرة وانما اتجه الى العرب للتصويت له مباشرة وحصل على نصيب من اصواتهم . غير انه ليس بالامكان ، على اية حال ، تلخيص تجربة رافي الانتخابية مع العرب دون الاشارة الى ذلك المدى من التزلف الذي تبديه الاحزاب الاسرائيلية وزعماؤها تجاه الناخبين العرب للحصول على اصواتهم . فخلال المعركة الانتخابية لسنة ١٩٦٥ ، شن رافي اوسع هجوم له ضد خصومه السياسيين . وعلى رأسهم طبعا مباي الذي انشق رافي عنه. ولم يكتف رافي بانتقاد خصومه امام اليهود فقط وانما وسع انتقاداته وعرضها امام العرب أيضا . ففي اجتماع انتخابي عقد في قرية الطيرة بالمثلث ، حضره نحو ٣ آلاف شخص ، وصف موشيه ديان السياسة الاسرائيلية الرسمية الداعية الى دمج العرب في الدولة « بأنها هراء . فهذا لن يكون وهو غير ضروري »(٧٠). واضاف ديان يقول لمستمعيه العرب : « انني اعترف قطعا بأن لكم ، كعرب ، لغة وتاريخا وثقافة وتقاليد خاصة بكم، ولهذا لا ارى اية مصيبة في وجود علاقات لكم بشعوب الشرق الاوسط . اقرأوا صحفها واستمعوا الى اذاعاتها . ويمكنكم ان تخلقوا من بينكم كتابكم وشعراءكم ولا تسمحوا لاي كان بكتابة صحفكم . اكتبوها بأنفسكم . . . وكان ديان قد دعا المستمعين ، في بداية حديثه ، الى عدم الخضوع للضغط بالاغراء لبيع اصواتهم بالنقود »(٧١). بقي ان نشير

فقط الى ان السياسة الاسرائيلية تجاه العرب التي انتقدها ديان والمحاذير التي نبه مستمعيه العرب منها ، في محاولة منه للحصول على اصواتهم ، كانت أساسا من عمل زملائه في قائمته الانتخابية ، والتي يتحمل ديان نفسه ، الى حد ما ، نصيبه في المسؤولية عنها .

أما الفئة الاخيرة من الاحزاب الصهيونية الاسرائيلية التي حاولت العمل بين العرب ، فكانت مجموعة الاحزاب المتدينة : الحزب الديني القومي وهو أكبر هذه الاحزاب ، واغودات يسرائيل وعمال اغودات يسرائيل . والاحزاب المتدينة ، انطلاقا من عقيدتها ومفهومها للواقع الاسرائيلي ، لم تعلق آمالا كبيرة على الناخبين العرب ، ولم تحاول العمل بجد بينهم . فالمتدينون يعلمون ان كفاحهم لاضفاء الطابع الديني اليهودي على الحياة في اسرائيل ، العامة او الخاصة ، وصراعهم للحفاظ على حرمة يوم السبت ، مثلا ، واتباع قواعد الاطعمة المحللة او اقامة المزيد من المدارس الدينية اليهودية ، لم يكن ليهم أكثرية العرب في قليل او كثير ، ولهذا غالبا ما حاولوا التعامل مع الناخبين العرب على اساس المنفعة المادية عارضين عليهم شراء أصواتهم بالنقود . وقد شذ عن هذه القاعدة قليلا الحزب الديني القومي الذي عرف ، بالاضافة الى ذلك ، كيف يستغل منصب وزير الداخلية ، الذي شغله أحد اعضائه منذ مطلع الستينات دون انقطاع ، لتحقيق منافع للحزب والحصول على كمية من اصوات العرب لمصلحته خلال كل انتخابات عامة تجري في اسرائيل . وهو ما كان يتم عادة عن طريق عقد صفقات انتخابية مع عناصر عربية محلية ، تتعهد بموجبها تلك العناصر بتأييد الحزب خلال الانتخابات للكنيست ، مقابل تأييد الحزب لها ، ماديا ومعنويا ، خلال انتخابات البلديات والمجالس المحلية العربية(٧٢) ، وحمل وزارة الداخلية على تسهيل نشاطها ومساعدتها. ولقد أظهرت نتائج الانتخابات أكثر من مرة ( انظر الجدول ٢ اعلاه ) ان المتدينين استطاعوا بهذه الاساليب الحصول على نصيب من اصوات الناخبين العرب لا يقل عن النصيب الذي حصلت عليه الاحزاب الاخرى .

والواقع أن مجمل نتائج الانتخابات العامة في اسرائيل تظهر أنه ما من فئة اشتركت في أي انتخابات الا ووجدت بين العرب مناصرين لها ، قلوا او كثروا ، كانوا على استعداد لمنحها أصواتهم . أما آخر هذه الفئات . فكان قائمة هاعولام هازيه التي ترأسها اوري افنيري ، وهو محرر المجلة الاسبوعية التي عرفت بهذا الاسم والمعروفة بدفاعها عن العديد من القضايا العربية المحلية في اسرائيل ، والتي ظهرت في الانتخابات اول مرة في سنة ١٩٦٥ ، فحصلت على ٢٪ من مجموع اصوات الناخبين العرب في المناطق العربية ، غير ان هذه النسبة انخفضت الى ١٫٢٪ في سنة ١٩٦٩ . ويبدو ان تقرب افنيري ، خلال نشاطه في الكنيست ، من المؤسسة الاسرائيلية التي استطاعت احتواءه تدريجيا ثم محاولته محادثة اليهود بلهجة والعرب بلهجة اخرى(٧٣) ( والتي أدت في النهاية الى استقالة سميح القاسم وعثمان برانسي محرري الطبعة العربية لمجلته ، « هذا العالم »(٧٤) نفر عددا من مؤيديه العرب الذين تخلوا عنه .



---

١ — آشر تسيدون ، « بيت هانفحاريم » ، ( « مجلس النواب » ) ، تل ابيب ، احياساف ، الطبعة السادسة ، ١٩٧١ ، ص ٤٠ .

٢ — المصدر نفسه ، ص ٤١ — ٤٤ و ٤٧٧ و ٥١٣ .

٣ — انظر « هآرتس » ، ٧ و٢٦ و٢٧/١/١٩٤٩ .

٤ — ميخائيل آساف ، « تطور اندماج العرب في دولة اسرائيل » ، « هامزراح هيحاداش » ، السنة الاولى ، العدد ١ ، ١٩٤٩ ، ص ٤ .

٥ — المصدر نفسه .

٦ — يهوشاع بلمون في « هآرتس » ، ١٤/١/١٩٦٦ .

٧ — اتحد مباي مع حزب احدوت هعفوداه في سنة ١٩٦٨ ، واقاما « حزب العمل الاسرائيلي» الذي انضم اليه ، فيما بعد ، قسم من جماعة رافي . ولكن على الرغم من اقامة الحزب الجديد ، لا يزال اعضاء مباي السابقين هم الذين يسيطرون على نشاط الحزب في المجال العربي .

٨ — بدأ حزب العمل الاسرائيلي مؤخرا بمنح العديد من مؤيديه بين العرب بطاقات عضوية ، خصوصا اولئك الذين « خدموا في اجهزة الامن » ( « **معاريف** » ، ١٩٧٢/٩/١٤ ) ، وكان بعض الزعماء الاسرائيليين قد اقترح ، قبل ذلك ، اقامة حزب عمل عربي مستقل في اسرائيل ( « **دافار** » ، ١٩٧٢/٢/٢٤ ) .

٩ — للاطلاع على نتائج هذه الانتخابات وتركيب القوائم المشتركة فيها ، انظر آشر تسيدون ، « **مجلس النواب** » ، **المصدر السابق** ، ص ٣٨٢ — ٣٩٩ و ٥١٤ — ٥١٥ .

١٠ — ولم يحظ هذا القرار بموافقة خنيفس وتسيس ، فاشتركا في الانتخابات بقائمتين منفصلتين خاصتين بهما ، غير انهما فشلا في الانتخابات اذ لم يتمكنا من الحصول على اصوات كافية .

١١ — من مقابلة له مع يوئيل دار في « **دافار** » ، ١٩٦٨/١٠/٦ .

١٢ — يهوشاع بلمون في « **هآرتس** » ، ١٩٦٦/١/١٤ .

١٣ — من مقابلة له مع نحمان نبيان في «**هآرتس**»، ١٩٧١/١/٢ .

١٤ — **المصدر نفسه** .

١٥ — من مقابلة له مع تسفي طال في « **يديعوت احرونوت** » ، ١٩٧٠/٣/٢٥ .

١٦ — **المصدر نفسه** .

١٧ — حتى أوائل سنة ١٩٧٢ ، منحت السلطات ٨٢ عربيا في اسرائيل اوسمة من هذا النوع . « **دافار** » ، ١٩٧١/٨/١٣ ، و ١٩٧٢/٣/٢ .

١٨ — « **يديعوت احرونوت** » ، ١٩٧٠/٣/٢٥ .

١٩ — Shabtai Teveth, *Moshe Dayan*, (Jerusalem, Weidenfeld and Nicholson, 1972), pp. 133-134.

٢٠ — من مقابلة له مع مع رؤوفين مروز في ملحق « **عل هامشمار** » ، ١٩٧١/٢/٢٦ .

٢١ — من مقابلة له مع زئيف شيف في «**هآرتس**»، ١٩٥٥/٧/١٥ .

٢٢ — **المصدر نفسه** .

٢٣ — وزير الزراعة ، ردا على استجواب ، في « **محاضر الكنيست** » ، ١٩٥٢/١/٧ ، ص ٨٩٣ .

٢٤ — « **معاريف** » ، ١٩٥٥/١٠/٧ .

٢٥ — وزيرا المالية والزراعة ، ردا على استجوابين ، في « **محاضر الكنيست** » ، ١٩٥٢/١/٢١ ، ص ١٠٢٩ و ١٩٦٩/٥/١٣ ، ص ٢٤٨٠ . انظر ايضا مقابلة سيف الدين الزعبي مع يوئيل دار في « **دافار** » ، ١٩٦٨/١٠/٦ .

٢٦ — وزير الصناعة والتجارة ، ردا على استجواب ، في « **محاضر الكنيست** » ، ١٩٦٠/٧/٥ ، ص ١٧٦٧ .

٢٧ — انظر **المصدر نفسه** ، ١٩٦٨/٧/٣ ، ص ١٩٦٨ .

٢٨ — « **هآرتس** » ، ١٩٥٨/٤/٣٠ .

٢٩ — بحسب رأي عضو الكنيست السابق ، موشيه اونا ، في مذكراته . « **هاتسوفيه** » ، ١٩٧١/٧/٢٢ ، نقلا عن مجلة « **عموديم** » .

٣٠ — في مقابلة له مع « **اليوم** » ، ١٩٦٥/١٠/٢٠ ، كما نقلتها « **هآرتس** » ، ١٩٦٥/١٠/٢٨ .

٣١ — انظر ص ٨٧ اعلاه .

٣٢ — عطاالله منصور في « **هآرتس** » ، ١٩٦٥/١٠/٢٨ .

٣٣ — في مقابلة له مع ملحق « عل همشمار » ، ١٩٧١/٢/٢٦ .

٣٤ — للمقارنة انظر تيودور هيرتسل في « التنويلاند » ، ( البلد القديم — الجديد ) ، نقلا عن الترجمة العبرية من « كتفبي هيرتسل » ( مؤلفات هيرتسل ) ، القدس ، المكتبة الصهيونية ، ١٩٦٠ ، المجلد الاول ، ص ١٦٥ — ١٧٢ .

٣٥ — ويصف يهودا اريئيل ، في هآرتس (١٩٦٥/١١/٤ ) ، عملية فرز الاصوات في قضاء عكا ، حيث تكثر نسبة العرب بين السكان ، بعد الانتخابات بقوله ان الحضور توقعوا العثور على بطاقات انتخابات داخل الصناديق « مطوية ومؤشر عليها بصورة خاصة من قبل عائلات بأسرها في قرى الاقليات ، وذلك لمعرفة عدد ابناء العائلة الذين صوتوا لقائمة معينة » . وتتبع هذه الطريقة عادة بناء على اتفاق مسبق بين « زعماء » العائلات والاحزاب المختلفة ،

وتعتبر من أكثر الطرق فعالية لإجبار الناخبين على التصويت لجهة معينة ، حيث تقرر كمية الاصوات نوع المعاملة التي يحظى بها ابناء العائلة فيما بعد .

٣٦ ــ بحث في الفصل الاول عند الحديث عن الحكم العسكري .

٣٧ ــ انظر ، مثلا ، تفاصيل حملة الاعتقالات بين نشيطي الحزب العربي قبيل انتخابات ١٩٦٩ في « **الاتحـــاد** » ، ١٠ و٢٤ و١٩٦٩/١٠/٣١ .

٣٨ ــ حنان روبين ( مبام ) في «**محاضر الكنيست**»، ١٩٦١/٣/٢٣ ، ص ١٩٦٨ .

٣٩ ــ من محاضرة له نقلهـــا زئيـــف شـــيف في « **هآرتس** »، ١٩٦١/٤/٤ .

٤٠ ــ انظر الاستجوابات والنقاش في «**محـــاضر الكنيست** » ، ١٩٦٨/١٠/٣٠ ، ص ١٢٤ ــ ١٢٩ .

٤١ ــ « **دافار** » ، ١٩٧٣/١/٢١ .

٤٢ ــ انظر اقواله عن الصحيفة في « **هامزراح هيحاداش** » ، السنة الاولى ، العدد الاول ، ١٩٥٠/١٩٤٩ ، ص ٦ .

٤٣ ــ حاييم موشيه شابيرا ، وزير الداخلية ، ردا على استجواب في « **محاضر الكنيست** » ، ١٩٦٢/٧/٢ ، ص ٢٥٢٦ .

٤٤ ــ تقرير مراقب الدولة للسنة المالية ١٩٦٣/ ١٩٦٤ ، رقم ١٥ ، ١٩٦٥ ، ص ١٠٧ ــ ١٠٨ .

٤٥ ــ دافيد بن غوريون ، رئيس الحكومة ، ردا على استجواب في « **محاضر الكنيســـت** » ، ١٩٦٢/٧/١٨ ، ص ٢٧٦١ . انظر ايضا اقوال ليفي اشكول ، رئيس الحكومة ، ردا عـــلى استجواب في المصدر نفسه ، ١٩٦٧/٤/١٠ ، ص ٢٠٦٣ .

٤٦ ــ ميخائيل اساف في « **هامزراح هيحاداش** »، **المصدر السابق** ، و « مجموعة معلومات عن نشاط الهستدروت بين العرب » ، تشرين الثاني ــ كانون الاول ( نوفمبر ــ ديسمبر ) ١٩٦٢ ، ص ١ .

٤٧ ــ بن ــغوريون فـــي « **محاضر الكنيست** » ، ١٩٦٢/٧/١٨ ، ص ٢٧٦١ .

٤٨ ــ وقد « نعت » صحيفة « **الاتحاد** » ( ٦/١١/ ١٩٦٨ ) الناطقة باسم القائمة الشيوعيـــة الجديدة ( راكاح ) ، صحيفة « اليوم » عند توقفها عن الصدور بقولها : « صحيفة اليوم ذات السمعة السيئة ، اضطرت الى الخروج من الميدان » .

« لقد نعاها اصحابها ، في الاسبوع الماضي ، ولعل أحدا لم يأسف عليها الا الذين ربوها وتعهدوها بالغذاء السياسي والمادي ، وارادوا بها تضليل الجماهير العربية وتحطـــيم معنوياتها ...

« ان افلاس جريدة « اليوم » لم يكن افلاسا ماديا أدى بها الى الانكماش والانقراض ولكن هو افلاس سياسي ، لانها عجزت عن كسب عطف القراء ... ولم تكن اكثر من بوق عنصري ... من أبواق الدعاية الرسمية » .

٤٩ ــ يسرائيل شلومو بن ــ مئير ، نائب وزير الداخلية ، ردا على استجواب في « **محـــاضر الكنيست** » ، ١٩٦٨/١٢/٣٠ ، ص ٩٨٠ .

٥٠ ــ للاطلاع على عرض للصحف العربيـــة في اسرائيل والمناطق المحتلة واتجاه كل منها ، انظر « **يديعوت احرونوت** » ، ١٩٧٣/٧/٣٠ . وانظر ايضا مقالة توفيق خوري عن صحيفـــة « **الانباء** » في « **دافار** » ، ١٩٧١/١٢/٥ .

٥١ ــ بحث في الفصل الاول من الكتاب .

٥٢ ــ « **الاتحـــاد** » ، ١٩٦٤/٨/٢٨ .

٥٣ ــ **المصدر نفسه** ، نقلا عن « **معاريف** » ، ١٩٦٤/٨/٢٣ .

٥٤ ــ من مقال له في « **اليوم** » ، ١٩٦٦/٦/٢٤، كما نقلته « **الاتحـــاد** » ، ١٩٦٦/٧/١ .

٥٥ ــ بيرتس مرحاف ، «**تولدوت تنوعات هابوعليم بايرتس يسرائيل** »، (تاريخ حركة العمال في ارض ــ اسرائيل) ، تل ابيب ، سفريات بوعاليم ، ١٩٦٧ ، ص ١٤٣ .

٥٦ ــ انظر «**هآرتس**»، ٧ و٢٦ و١٩٤٩/١/٢٧ .

٥٧ ــ للمزيد من المعلومات انظر بيرتس مرحاف، **المصدر السابق** ، ص ١٦٥ ــ ١٧٣ . انظر ايضا موشيه براسلافسكي ، « **تنوعات هابوعليم هآيرتس ــ بيسرائيليت** » ، ( « حركة العمال في ارض ــ اسرائيل » ) ، تل ابيب، هاكيبوتس هامئيدحاد ، ١٩٦٢ ، الجزء الرابع ، ص ٢٠١ و٢٠٨ .

٥٨ ــ ومما يلفت النظر في موقف بستوني رأيه في اعضاء الكنيست العرب الذين كان مرة واحدا منهم ، اذ يرى « أنهم ، لكونهم مرشحـــي احزاب لا يمثلون في حقيقة الامر ، المواطنين العرب في اسرائيل ولكن في داخل احزابهم تسمع آراؤهم في مشكلات الاقليات ... » ــ انظـــر

مقالته « المجتمع العربي في اسرائيل » ، « هامزراح هيحاداش » ، السنة الخامسة عشرة، العدد ١ — ٢ ، ١٩٦٥ ، ص ٢ .

٥٩ — للاطلاع على رأي امين سر الحركة في حركته ، انظر

Mahmoud Yunis, «Arab Pioneer Youth Movement », *New Outlook*, February, 1958, pp. 54-56.

وانظر ايضا

Abdul Aziz Zubi, « Discontent of Arab Youth,» *ibid*, January, 1958, pp. 12-17.

٦٠ — *New Outlook*, September 1958, pp. 55-56.

٦١ — ومن بين هذه الاراضي اراضي قرية كفربرعم التي اقيم عليها كيبوتس برعم التابع للحزب ، وهي الواقعة التي هوجم الحزب كثيرا بسببها .

٦٢ — من مقابلة له مع يوئيل دار في « **دافار** » ، ١٩٦٨/١٠/٦ .

٦٣ — من مقابلة له مع رفائيل بنكلر في « **عل هامشمار** » ، ١٩٧١/٥/٢١ . انظر ايضا شلومو افنيري في « **معاريف** » ١٩٧١/٨/٦ .

٦٤ — Jacob M. Landau, *The Arabs in Israel*, pp. 190-201.

٦٥ — علق عضو الكنيست اوري افنيري على تعيين جبر معدي نائبا لوزير المواصلات بقوله : « انه [ معدي ] يظهر في الكنيست مرة كل ربع سنة ، ويخطب مرة في السنة . واشك في انني استمعت الى خطبه الستة خلال السنوات الست التي قضيتها في الكنيست . فالشيخ يخطب بالعربية ، وهو يقرأ كل كلمة من ورقة مكتوبة بصعوبة بالغة . من الناحية العلمية ، من الصعب ان تعرف ماذا سيفعل الشيخ ... في اكثر الوزارات التي تعتمد على التكنولوجيا في الدولة ، وهي وزارة عقول الكترونية ، واقمار فضائية ، واجهزة تليفون معقدة ، ومحطات اذاعة عصرية ... ان ادخال الشيخ في هذه الورطة خطأ يضاهي الجريمة ، والارخص ادخال فيل الى مخزن للادوات الخزفية » — ( **هاعولام هازيه** ، ١٩٧١/١٠/١٣ ) .

٦٦ — من مقابلة له مع رفائيل بنكلر في « **عل هامشمار** » ، ١٩٧١/٥/٢١ .

٦٧ — انظر تحليل يعقوب افيئيل لنتائج تلك الانتخابات بين العرب في « **هآرتس** » ، ١٩٥٥/٨/١٠ .

٦٨ — انظر ايضا :

Jacob M. Landau, *The Arabs in Israel*, pp. 119, 125, 132 and 144.

٦٩ — وانظر ايضا :

Jacob M. Landau, *The Arabs in Israel*, p. 139.

٧٠ — « **معاريف** » ، ١٩٦٥/١٠/١٠ .

٧١ — **المصدر نفسه** .

٧٢ — انظر ، مثلا ، « **هآرتس** » ١٩٦٥/١٢/١، و ١٩٦٦/١١/٢٠ عن طريقة عمل الحزب في الانتخابات العامة والانتخابات لبلدية الناصرة. وانظر ايضا تعليق صحيفة الحزب «**هاتسوفيه**»، ٨ و ١٠ و١٩٧٠/١٢/١١ ، حول نشاط الحزب في الانتخابات لبلدية الناصرة في سنة ١٩٧٠ .

٧٣ — انظر مقال عطاالله منصور ، « وجها هاعولام هازيه » ، في « **هآرتس** » ، ١٩٦٦/٣/٢٢ .

٧٤ — انظر بياتهما ، « شد الحبل مع افنيري »، في « **الاتحاد** » ، ١٩٦٦/٩/٢ .

# خواطر حول
# مشكلات التعبير والاتصال الشعريين
# في المجتمع العربي

أدونيس

I

تشكل مسألة التعبير والاتصال الشعريين أو مسألة العلاقة بين المبدع والمتلقي، في التراث النقدي العربي، مدارا للجدل منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا. فقد بدأت هذه المسألة تظهر في النقد العربي مع ظهور الاسلام.

كان الاسلام رؤيا جديدة للكون ونظاما جديدا للحياة، أي انه لم يكن استمرارا «للقديم»، للجاهلية العربية، بل كان انفصالا عنها. لكن، على الرغم من انه كان تأسيسا جديدا لبنى اقتصادية واجتماعية وسياسية وثقافية تغاير البنى الجاهلية، **فقد احتفظ بالشكل الشعري الجاهلي كطريقة للتعبير الشعري**. وهكذا كان الاسلام انقطاعا عن الجاهلية، على صعيد النظر أو المضمون، واستمرارا للجاهلية على صعيد الشكل أو التعبير.

هذا الموقف يطرح عددا من التساؤلات: هل كان تبني الاسلام للشكل الجاهلي عائدا الى انه يعبر التعبير الاكمل عن شخصية العربي، اللغوية والذهنية، بحيث استحال تغييره حتى على الاسلام ذاته؟ هل هو عائد الى كونه نموذجا بيانيا كاملا اكتسب، بفضل الخبرات الطويلة المتراكمة، خاصية الثبات والاطلاق، حتى أصبح شكلا موجودا بذاته، منفصلا، ومستقلا؟ أم لعله يعود الى حرص الاسلام على الاتصال ـ اذ ادرك أن الشكل الشعري الجاهلي بنية لغوية ـ تعبيرية ينفعل بها العربي، ويفهمها بسهولة الحياة اليومية ذاتها، فتبنى الشكل لكي يكون أداة وواسطة تنقل «المضمون» الاسلامي الجديد؟ أم لعله يعود الى أن الاسلام كنظرة للثقافة، وللكون بعامة، يفصل بين الذات والموضوع، الانسان والطبيعة، اللغة والشيء، الشكل والمضمون، وهكذا صارت «حياة» العربي اسلامية، أما «روحه» فبقيت جاهلية؟

ليس من غرض هذا البحث ان يجيب عن هذه التساؤلات، بقدر ما يريد اثارتها تدليلا على أن لمسألة التعبير والاتصال جذورا قديمة في التراث العربي، وعلى انها بالتالي مسألة لا تحتاج الى الدراسات الجمالية وحسب، وانما تحتاج كذلك الى دراسات انتروبولوجية.

الثابت، تاريخيا، هو أن الشاعر المسلم افصح عن ايديولوجيته الاسلامية بالشكل الجاهلي. فقد حارب الجاهلية بأسلوب التعبير الذي ابتكرته الجاهلية نفسها. وعبر عن الصراع من اجل انتصار الدين بالطريقة الفنية ذاتها التي كان يعبر بها الشاعر الجاهلي عن انتصار قبيلته في صراعها مع القبائل الاخرى. وامتدح النبي والخلفاء

بالطرق الفنية ذاتها التي كان شعراء الجاهلية يمتدحون بها الملوك والامراء ، أو قادة القبائل .

وقد أدى هذا الموقف الاسلامي من الشعر الى نتائج كثيرة اذكر منها ما يتصل بموضوعنا:

١ — الفصل بين « الشكل » و« المضمون » . الشكل وعاء حيادي ، قائم بذاته ، موجود سلفا ، هو الشكل الجاهلي . والمضمون هو الاسلام ، بقيمه وموحياته .

٢ — ليس الشكل بالنسبة الى الشاعر هو وحده الموجود مسبقا ، بل « المضمون » هو كذلك موجود مسبقا في الرؤيا الاسلامية .

٣ — اذا كان الشاعر يرث « شكله » و« مضمونه » فان ما يطلب منه هو أن يصوغ ويؤالف ، وان يحسن الصياغة والمؤالفة ، وليس أن يبدع : فالله أبدع له المضمون ( العقيدة الاسلامية ) ، والتاريخ العريق ، لغة وشعرا ، أبدع له الشكل . فمن اين له هو أن يبدع ما يفوقهما ؟ ان مهمته هي في أن يأخذ ما أعطي له ، وأن يجيد في محاكاته واستعادته . فهو لا يبدع بل ينسخ ويصوغ .

٤ — الشعر في الجاهلية فاعلية أولى ، في مستوى العمل والحلم والدين ، أي في مستوى الطبيعة والغريزة . فهو حدس أساسي في المعرفة ، بل هو الحدس الاكمل .

غير أن النبوة ، في الاسلام ، هي الحدس الوحيد ، والمعرفة كلها تصدر عن هذا الحدس . وهكذا **حلت النبوة محل الشعر ، وتراجع الشعر الى مستوى الفاعلية الثانية** . صار ثقافة : أداة لخدمة الدين ، ينشره ويدافع عنه ويمجده . وهذا **يعني أن الاسلام ألغى الشعر من حيث انه مصدر للمعرفة ، أو من حيث انه طريقة أصلية في استبطان العالم والكشف عنه ومعرفته** ، وأثبته كأداة كلامية للدفاع عن الدين .

٥ — ليس الشاعر في الاسلام « ذاتا » ، وانما هو جزء في « الجماعة » الاسلامية . فليس هو الذي يفكر ، بل الجماعة — وليس هو الذي يكتب بل الشكل — اللغة . والشعر جزء من عملية Processus النشاط العام الذي تقوم به « الجماعة » .

## II

تلك هي الجذور التاريخية لمسألة التعبير والاتصال في الشعر العربي ، عرضتها بايجاز ، وهي تفيدنا في ملاحظة الامور التالية :

١ — الامر الاول هو أن النتاج الشعري العربي ضعف كما ونوعا في العقود الخمسة الاولى التي تلت ظهور الاسلام .

وهذه ظاهرة فسرت بانشغال العرب عن الشعر، بالقرآن أو بانشغالهم عنه بالفتوحات. وهو تفسير يجد في الدين والنشاط الحربي العملي أسباب ضعف الشعر وقلة الاهتمام به . غير أن هذا التفسير قد يوضح الاسباب التي **تتصل بكمية الشعر ، لكنه لا يوضح تلك التي تتصل بنوعيته**. ولعلها تكمن في الموقف الايديولوجي الاسلامي ذاته من الشعر.

فحين نقل الاسلام الشعر من مستوى الطاقة الخلاقة ، الى مستوى العادة والصنعة ، جعل الشعر أمرا نافلا يمكن الاستغناء عنه ، وأكد بالتالي على انه حين يستخدم ، كشكل تعبيري ، لا يقوّم من حيث انه شعر ، بل من حيث أنه كلام يحسن اذا كان حسنا أي اذا كان يخدم الاسلام ، ويقبح اذا كان قبيحا ، أي اذا كان لا يخدم الاسلام ، أو يتناقض ما يفصح عنه مع ما يفصح عنه الاسلام .

٢ — الامر الثاني هو ان الشعر العربي لم يبدأ بالنهوض الا حين بدأ الشاعر يقيم مسافة بينه وبين الايديولوجية الدينية من جهة ، وبينه وبين « الجماعة » بالمعنى الديني ، من

جهة ثانية ، أو حين بدأ الانفصال ، بتعبير آخر ، بين الذات والجماعة ، في محاولة من الشاعر لاستعادة ذاته « الضائعة » في « الجماعة » وفي « الدين » . في هذا الانفصال اخذ الشاعر يدخل العالم « المحرم » — ويرفض الاشكال والافكار المسبقة . **واذا كان هذا الانفصال عزله عن الجمهور الوارث ، القديم ، فقد وصله بجمهور ناشيء جديد .**
وقد بلغت هذه الحركة من الانفصال والاتصال أوجها في نهاية القرن الثالث الهجري ( التاسع الميلادي ) ، في نتاج ابي نواس وابي تمام .

٣ — الامر الثالث هو نشوء نظرتين في فهم الشعر وكتابته : نظرة تستند الى الاسلام ، كرؤيا وكممارسة ، ونظرة تستند الى الشعر ذاته ، من حيث انه تجربة متميزة ، او فعالية انسانية تتصل بأخص خصائصه الانسانية . واستندت النظرة الاولى الى التقليد ، أما الثانية فاستندت الى الابداع . وتبعا لذلك ، نشأ نوعان من الجمهور . ويكشف لنا النقد الذي أثير حول ابي تمام ، عن خصائص كل من النظرتين ، وعن القيم التي يتمسك بها كل من « الجمهورين » .

غير أن التطور الثقافي ، والعوامل التي رافقت هذا التطور ، وبخاصة العوامل الخارجية ، جعلت المجتمع العربي ينكفىء على ماضيه ، مما ادى الى سيطرة النظرة التقليدية ، وسيادة القيم المنبثقة عنها . وتقوم هذه النظرة التقليدية على الاسس التالية :

١ — الاساس الاول هو الفصل بين المعنى والكلام ، واعتبار المعنى سابقا ، وليس الكلام الا صورة له أو رسما تزيينيا .

٢ — الاساس الثاني هو الفصل بين الشكل والوظيفة . ففي كل تطور حضاري يتطابق الشكل والوظيفة ، بحيث إن تغير الوظيفة يستتبع تغير الشكل . لكن مع ان وظيفة الشعر في المجتمع العربي تغيرت في الاسلام ، كما أشرنا ، عما كانت عليه في الجاهلية ، فان شكله لم يتغير . وهذا مما أكد الانفصال بين المعنى والكلام ، وأدى الى جعل التعبير الشعري **نوعا من المطابقة بين الكلام والمعنى ، او تكيفا مع القديم .**

٣ — التكيف لغوي — أخلاقي في آن : يتطابق سلوك الخلف مع النموذج الاصلي السلفي للسلوك ، ويتطابق تعبير الفرد مع النموذج البياني الاصلي للتعبير . وينطلق هذا التطابق أو التكيف مع القديم ، سواء كان فكرا أو تعبيرا ، من الايمان بأن القديم كامل ثابت ، وبأنه واضح ، وبأنه عقلي منطقي . وهذا مما يفترض ان يكون التعبير عنه واضحا ، وان لا يجيء بما يغير القديم ، بل على العكس يجب ان يجيء بما يزيده ثباتا .

٤ — يعني هذا التكيف ان الشعر العربي القديم هو ، بالنسبة الى الحديث ، في مقام الاجمال ، كما أن القرآن ، مثلا ، هو ، بالنسبة الى الفكر الديني في مقام الاجمال ، وما يأتي بعده في مقام التفصيل .

فالتفصيل هو لسان الاجمال وترجمانه وشرحه ومرآته . والمفصل اذن ليس ابتكارا وانما هو شرح للمجمل ومظهر له . وهذا يعني ان الاقدم هو ، بالضرورة ، الافضل ، وان الاسبق هو الاعلم . فالنور العربي واحد أوله ، دينيا ، النبوة ، وأوله ، شعريا ، الجاهلية . والافضلية تتدرج تبعا لتدرج القرب من الاولية . وليست الحياة اليومية الا تمرسا بمحاكاة الاول . وفي هذا ما يشير الى أن الشعر ، شأن الدين ، يحدد بنشأته الاصلية الكاملة . فكما أن الدين تدين أي تكرار طقسي ، فان الشعر هو ، كذلك ، نوع من التمرس بفهم الماضي واستعادته في تكرار طقسي .

٥ — ومن هنا انطبع الذهن العربي بما أسميه **الماضوية** ، وابرز ما تؤدي اليه الماضوية ، في اطار بحثنا ، هو رفض المجهول ، أو غير المألوف بل الخوف منه . وفي

**هذا ما يفسر ايمان العربي بأن الانسان لا يقدر أن يتكيف الا مع الاشياء والافكار التي يستطيع خياله أن يجاريها ويقبل بها ، أما تلك التي يعجز عن تفسيرها ، فانه يرفضها . وهو ، حين يواجه فكرا او شعرا لا ينبع مما يعرفه مباشرة ، يحاول اولا ان يفهمه بالمقارنة مع تراثه الذي يعرفه ، اي مع ما يفهمه ، وحين لا يكون ثمة مجال للمقارنة ، فان هذا الشعر أو الفكر يبدو له غريبا وخطرا . المهم ، بالنسبة اليه ، هو الواضح ، هو ما يفهمه ويسمح له بالتوجه في الطبيعة والثقافة ، في الحياة والمجتمع . ومن هنا يستخدم العربي موروثه لكي يفهم كل شيء ، وما يتناقض مع هـذا الموروث لا يكون جديرا بأن يعطى اية قيمة .**

٦ — في ضوء هذا كله ، ندرك الدلالة في صراع الافكار ، داخل المجتمع العربي ، بدءا مما سمي بعصر النهضة ، حتى اليوم . فهو يكاد ان يكون استعادة للصراع الماضي بين قيم الثبات الماضوية ، وقيم التحول المستقبلية ، حتى ليبدو غالبا انه يجري بالكيفية الماضية ذاتها تقريبا ، وبوسائلها ، القمعية والانعتاقية ذاتها تقريبا .

ندرك ، بالتالي ، الدلالة في موقف العربي المتناقض مما نسميه الحداثة . فهو يقبل منها كل ما يحسن الحياة وطرقها المعيشية بخاصة ، لكنه يرفض الموقف العقلي الذي أدى الى نشوء الحداثة . انه ، بتعبير آخر ، يأخذ من الحداثة منجزاتها العلمية التقنية ، لكنه يرفض النظرة التي أبدعتها . **والحداثة الحقيقية في الابداع ، لا في المنجزات بذاتها .**

III

حين نقول اليوم : « يجب أن يكتب الشاعر العربي بلغة يفهمها الجمهور » ، يبدو هذا القول ، في ضوء المسار التاريخي لمشكلة التعبير والاتصال ، كما عرضتها بايجاز ، مبهما ، لا يقول شيئا ، وخارج المشكلة الحقيقية .

آ — فهو مبهم لانه لا يحدد هذا الجمهور : هل هو الخاضع للثقافة الشعرية التقليدية ، أم هو المتحرر منها وما طبيعة هذا التحرر ؟ وهو مبهم أيضا لانه لا يحدد اللغة الشعرية : هل هي اللغة التقليدية ، أم هي اللغة الجديدة — وما طبيعة هذه الجدة ؟

ب — وهو لا يقول شيئا لانه يكرر بداهة . فالشعر يكون للآخر ، لجمهور ما ، او لا يكون شيئا .

ج — وهو خارج المشكلة الحقيقية ، لان هذه المشكلة ليست في تقرير الصلة بين الشعر والجمهور ، بل في **تحديد معنى هذه الصلة ، وتحديد الجمهور ، وتحديد اللغة الشعرية .**

IV

نحدد الجمهور السائد ، على صعيد فهم الشعر وتذوقه ، بالثقافة السائدة والتي هي جزء من الايديولوجية السائدة . هذه الايديولوجية المتحققة في مؤسسات المجتمع العربي : ( العائلة ، المدرسة ، الجامعة ، التشريع ، السياسة ، الديـن ، الثقافة بأشكالها الاعلامية والادبية ) والمجسدة في ممارسات الاجهزة الايديولوجية للنظام العربي السائد ، **لا تؤسس شروطا جديدة وعلاقات جديدة ، وانما تعيد انتـاج العلاقات الاستغلالية الماضية** . فهذه الايديولوجية السائدة ليست الا استعادة للايديولوجية الاستغلالية الماضية ، وليس التحول السياسي ، الظاهري ، اكثر مـن ازاحة للطبقة القديمـة المستغلة ، من أجل أن تحل محلها طبقة جديدة مماثلة ، لا مـن اجل تحرير الطبقـة المستغلة . وهكذا فان العائلة في المجتمع العربي ما تزال أسيرة التكوين القبلي — الثيوقراطي ، والمدرسة العربية ليست تقليدية وحسب ، بل رجعية ايضا فيما تدرسه

وفي طرق تدريسها على السواء ، والدين ما يزال مهيمنا على الحياة المدنية بكاملها ، وعلى الحياة الثقافية والتشريعية والسياسية ، وما يزال الوعي الطبقي مطموسا بهذه الهيمنة الدينية ، على الاخص ، ( المؤمنون جماعة واحدة ، امة واحدة . . . الخ)، ولذلك فان الصراع الطبقي ما يزال هو الآخر مطموسا .

والواقع ان الموضوعات السائدة في الشعر العربي اليوم ، هي الموضوعات الغزلية والجنسية ، والموضوعات الاجتماعية — السياسية . الاولى رومنطيقية من حيث الطبيعة ورجعية من حيث النظرة . اما الثانية فهي المعادل السياسي للرومنطيقية العاطفية . ذلك انها صيغ وشعارات حماسية وليست كشفا عن آفاق جديدة لعلاقات جديدة .

والجمهور الذي يخاطبه هذا الشعر ، ليس من طبقة واحدة ، وليس ذا ثقافة واحدة . وانما هو مجموعات من الافراد الذين أخذوا بنصيب قليل او كثير، من المعرفة المدرسية. وهذا الشعر **ينقل اليهم ما يعرفونه** . وهو ، اذن ، **لا يقدم وعيا جديدا لانه لا يقدم متعة فنية متميزة وجديدة** .

لكن ، اذا كانت عبارة « سائدة » هنا تعني ان الفئات القاهرة في المجتمع العربي تسود بايديولوجيتها الفئات المقهورة ، فانها تتضمن أيضا ان لهذه الفئات المقهورة ذاتها ، **طليعة تمتلك وعيها الخاص بوضعها** ، بكونها مقهورة ، وانها تتململ من اجل التحرر والانعتاق من شروط حياتها هذه ، ومن الايديولوجية السائدة .

لنقل ، اذن ، ان المجتمع العربي ما يزال في بنيته الايديولوجية الغالبة ، مجتمعا تقليديا، غير انه ، مع ذلك ، **يتحرك ايديولوجيا ، بقيادة اقلية طليعية في اتجاه الحداثة الثورية** .

V

هذا هو الوضع الذي يعيش فيه الشاعر العربي المبدع ، ويعانيه : اقول المبدع لاشير الى ارتباطه بما سميته **الحداثة الثورية** ، من جهة ، ولاميزه من جهة ثانية ، عن أسماء كثيرة تنتحل هذه الحداثة او تكتب الشعر بقوة الاستمرار التقليدي ، دون ان تعاني اية مشكلة ، على هذا المستوى . ولكي أقول ، بالتالي ، ان مشكلات التعبير والاتصال انما هي مشكلاته هو، وحده دون غيره من هؤلاء المنتحلين او الواقفين في الموقع الاستمراري الذي لا يتيح طرح مثل هذه المشكلات .

ان هذا الشاعر يواجه ، على الصعيد الفني ، مشكلة ذات وجهين متلازمين : كيف يعبر بحداثة ثورية ( توكيدا لانفصاله عن الالية الايديولوجية السائدة ) ، وكيف يوصل هذا التعبير ( توكيدا لارتباطه العضوي مع الفئات الطليعية المقهورة العاملة للتغلب على الايديولوجية السائدة وعلاقاتها ) . **هكذا يبدو ان دور هذا الشاعر هو في أن ينتج فعالية جمالية لا يستوحيها من العادة السائدة بقوة الايديولوجية السائدة ، بل يستوحيها ، على العكس ، من الطاقة الكامنة ، المقموعة لكن القادرة على تغيير شروطها القهرية وابداع شروط جديدة لحياة جديدة .**

VI

هناك ، اليوم ، في الشعر والنقد العربيين مستويان لهذه الفعالية الجمالية : الاول تبسيطي ، توفيقي وهو السائد . والثاني تعميقي ، جذري . في المستوى الاول نجد نتاجا شعريا ينتحل الحداثة الثورية ، اعني ان هذه الحداثة آتية من **الحيلة الكتابية** لا

من الهوية الاصلية . فالاسس التي يصدر عنها هذا النتاج سواء ما اتصل منها بالايقاع، والصورة ، والجملة ، والكلمة ، والبنية اللغوية بعامة ، هي نفسها الاسس التقليدية.

وهذه الحيلة شكلية تقوم على تفكيك بنية البيت القديمة الى جزيئات ، ومن ثم اعادة تركيب هذه الجزيئات في نمط آخر . فهي تغير في البنية النمطية لكنها تحتفظ بالموقف القديم من اللغة الشعرية ، الذي أدى الى هذه البنية . والموقف اذن ما يزال قديما ، فان الجدة هي في الرؤيا الجديدة للغة الشعرية ذاتها ــ وليست في مجرد تنميط آخر للبنية الشكلية القديمة . وهكذا ما يزال الشكل اناء جاهزا يعبأ بالأفكار ، كما كان في الماضي . اختلف حجم الاناء وابعاده ، لكن طبيعة العلاقة بينه وبين ما يحتويه ، ما تزال هي نفسها العلاقة القديمة . فبدلا من تعبئته ، مثلا ، بفضائل الخليفة او القبيلة ، فانه يعبأ اليوم بفضائل الثورة .

الشعر ، في هذا المستوى ، **يعمم النمطية القديمة** . وتعميم هذه النمطية مشاركة في تعميم الاستلاب . فاللغة الجمالية التقليدية المعممة في مجتمع يتململ باتجاه الثورة كالمجتمع العربي ، انما هي قوة ايديولوجية تستلب العربي لانها تشارك في اخضاعه لقمع معمم .

والشعر ، في هذا المستوى ، ينظر الى الجمهور **كميا** : يهمل الفروقات النوعية ، بين فئة وفئة وبين فرد وفرد ضمن الفئة الواحدة . وهو في الحالتين ينطلق من قناعة نظرية مسبقة أن الشعر كلام كغيره من الكلام ، وان الجمهور يفهم الكلام ، بالضرورة ، ولذلك لا بد من ان يفهم الشعر بالضرورة . وفي هذا ما يشير الى أن اللغة الشعرية ، بالنسبة اليه هي الكلام لكن الذي يختلف عن غيره بكونه موزونا ، يحمل مضمونا تقدميا او يكشف عن موقف تقدمي .

والشعر ، في هذا المستوى ، يقف من الناحية الظاهرية مع الطاقة المقموعة العاملة لتغيير بنية المجتمع العربي بكاملها ، لكنه في الوقت نفسه يقف مع العادة السائدة ــ اي انه يتبنى الطرائق التقليدية التي عبرت وتعبر بها هذه البنية عن نفسها . وفي هذا استعادة للموقف الاسلامي من الشعر الجاهلي : ابداع بنية جديدة للمجتمع ، والابقاء على أشكال التعبير التي أنتجتها البنية القديمة .

وتنتج عن هذا الموقف نتائج تتناقض مع كون الشعر فعالية جمالية ثورية . من هذه النتائج اعطاء الاولية للمضمون . وهذا يعني ان موقف الشاعر عقلي ، يفكر ويحلل ويعاني ويختار . ثم يجيء التعبير فيبحث عن الشكل الذي يرى انه يلائم لنقل ما يعانيه.

ومن هذه النتائج اعطاء الاولية للقارىء او السامع أيا كان ، دون تحديد ، لان الغاية افهامه واقناعه ، اكثر مما هي الكشف عن أعماق الشاعر وعوالمه الداخلية ، حتى الجوانب الثورية منها . ومن هذه النتائج اعتبار الشعر نشاطا تثقيفيا ، يراقبه العقل ويوجهه ، وهو اذن وسيلة اعلامية مرحلية ، تنبع قيمته من فعاليته كوسيلة . ومن هذه النتائج تجريد الشعر من طبيعته الخاصة كفعالية انسانية متميزة بكونها **انتاجا جماليا** ، ومن ثم مزجه بأشكال التعبير الاخرى عن الذات ، وانعدام التمييز ، جماليا، بينه وبينها.

والشعر ، في هذا المنظور ، مؤسسة : انه الزواج لا الحب ، والوصول لا المغامرة ، والفكرة لا المعاناة ، والموضوع لا الذات ، والعادة لا الطاقة . فهذا المنظور يشدد على الوسيلة الفعالة . والسؤال : « ما العمل ؟ » ، مطروح ، في المستوى نفسه على العامل والسياسي والشاعر. والمقياس هو في الفعالية الكمية، وهي هنا في مدى الانتشار. وهذا يعني ضمنيا أن الجمهور هو العدد ، وان اية رواية بوليسية أو جنسية أفضل من نتاج شكسبير أو غوته ، لانها أكثر انتشارا .

هذا الموقف لا يهتم بتحديد او ابداع طراز جديد من الممارسة الشعرية يختلف عن الطراز الموروث ، أو نمط من التعبير يختلف عن الانماط التقليدية . المسألة ، بالنسبة اليه ، ليست في الفعالية التي تؤدي الى تغيير القيم الفنية التقليدية ، والحساسية وطرق الفهم والتذوق الناتجة عنها ، وانما هي في تقديم مادة استهلاكية تجذب الجمهور وتنمي فيه القيم الموروثة ذاتها ، وتحافظ على استمراريتها .

وفي هذا الموقف ما يشير الى اعتبار النتاج اللغوي كأنه نتاج يدوي ، أو اعتبار اللغة طريقة من طرق العمل . فكما ان نتاج العامل ليس فرديا ولا يحصر في اطار الفرد ، وانما هو شامل ، أي قابل للتبادل اي انه ، بمعنى آخر ، **سلعة** ، وقيمته في مدى قدرته على ان يكون سلعة ، فان القصيدة يجب ، هي ايضا ، ان تكون قابلة للتبادل ، أي سلعة . وقيمتها تكمن في مدى قدرتها على أن تغري الناس بقبولها وتداولها .

## VII

اما في المستوى الثاني فينطلق الشعر والنقد العربيان من موقف يرى ان الشعر فاعلية اولى كالحب ، كالحلم ، كالجنس ، وليس مجرد عادة ثقافية . ولهذا قبل البحث في مسألة الاتصال لا بد من البحث في النص ذاته : هل هو شعر أم انه نص يتزيا بشكل الشعر ؟ خصوصا ان الاتصال هو في الدرجـــة الاولى **جمالي** ، وليس اعلاميا ، او ايديولوجيا بالمعنى المباشر المحدد . وهذا ما يفترض مقدمات مبدئية لكل بحث في مسألة التعبير والاتصال الشعريين .

١ ـــ أصوغ المقدمة الاولى كما يلي : حيث نجد في نص ما ، استخداما للكلمات يحيد بها عما وضعت له أصلا ، على الصعيد اللغوي العام ، ونجد طريقة في هذا الاستخدام أصيلة تغاير الطرق الموروثة أو المألوفة ، على الصعيد الابداعي الخاص ، فاننا نجد شعرا . كل نص لا يتوفر فيه هذا الحد الادنى لا يمكن اعتبـــاره شعرا ، حتى حين يستخدم الوزن .

٢ ـــ المقدمة الثانية هي أن الشعر ، كشريحة من الايديولوجية الثقافية ، ليس له وجود مادي شأن الايديولوجية الدينية ، مثلا ، أو السياسية . فالشخص المؤمن بالله مثلا ، يصلي ويصوم ويزكي ... الخ ، أي يقوم بأعمال مادية تطابق أو تحقق ايمانه . لكن الشخص الذي يقرأ ، مثلا ، قصيدة ( أو يكتب قصيدة ) عـــن الموت ، فانه لا يسلك بالضرورة عمليا ، أي لا يقوم بعمل مادي يطابق انفعاله الجمالي بالموت . وحتى حين يقرأ ( أو يكتب ) قصيدة عن الحب ، فقد لا يتيسر له ان يسلك عمليا ، ماديا ، بشكل يطابق انفعاله الجمالي بالحب . فالشعر لا يفترض بالضرورة ، مطابقة مادية لمضمونه على النقيض ، من الدين او السياسة او التشريع ... الخ . فأفكار الشاعر ، كذات تنتج الشعر ، ليست بالضرورة الاعمال المادية التي يقوم بها ، كذات تقوم بأفعال مادية معينة .

٣ ـــ المقدمة الثالثة هي أن قانون التفاوت أو التطور اللامتساوي والذي يعني ان تطور البنية التحتية لا يلازمه بالضرورة ، مباشرة ، تطور البنية الفوقية ( والعكس صحيح ) ، يسمح لنا بالقول ان من الممكن ان يكون الشعر ، متقدمـــا في مجتمع ذي بنية تحتية متخلفة ، أو أن يكون متخلفا في المجتمع ذي البنية التحتية المتقدمة .

وبما ان الحالة الاولى هي حالة المجتمع العربي ، فلا بـــد ، في بحث مسألة التعبير والاتصال من ملاحظة القضايا التالية :

آ ـــ ان الثقافة السائدة في المجتمع العربي ، أي ثقافة الجماهير ، ثقافة متخلفة بحكم خضوعها لبنية اقتصادية وعلاقات اقتصادية متخلفة .

ب ــ ان الشعر ، كشريحة مستقلة نسبيا من الايديولوجية الثقافيـــة متقدمة جدا ، بالقياس الى الايديولوجية السائدة .

ج ــ ان التطور ، المستقل نسبيا ، للتعبير الجمالي أتاح ابتكار اشكال تعبيرية لم تتجاوز الاشكال الموروثة وحسب ، وانما فرضت اعادة النظر في الاسس الجمالية الموروثة ، وفي معنى الشعر ذاته .

د ــ ان هذا التطور أدى موضوعيا الى الانفصال عن الثقافة السائدة وقيمها ، أي ادى الى الانفصال عن الجمهور الشعري السائد .

هـ ــ لكي يتذوق الانسان الفن أو يتمتع به لا يكفي ان تكون له ثقافة عامة ، وانما يجب ان تكون له ، كما يقول ماركس ، **ثقافة فنية** .

VIII

اقف قليلا ، في ضوء هذه المقدمات ، عند المشكلة النقدية ــ الايديولوجية حول الشعر واشكاله التعبيرية المتقدمة ، والتي نصوغها في السؤال التالي : أيهما أكثر تقدمية او ثورية ، الشكل التقليدي ، المشترك بين الجماهير ، أي الذي تفهمه الجماهير ، والذي يحمل مضمونا تقدميا ، أم الشكل الثوري ، غير المشترك ، والذي يصعب فهمه ، لكن الذي يحمل هو ايضا مضمونا تقدميا ؟ ( أفصل هنـــا بين الشكل والمضمون بغايـــة تبسيطية ، توضيحية ) . والجواب السائد هو الذي يفضل النتاج الاول ، وهو ، في رأيي ، خاطىء ، شعريا وثوريا . ذلك انه يفصل ، في الفعالية الجمالية ، بين محتواها وشكلها ، ويتبنى الشكل المتخلف للتعبير بحجة سهولته . وهو رأي ينظر الى الشعر بمقاييس من خارج الشعر .

والواقع ان هذه المشكلة تكشف عن نوعين من العلاقة مع الجمهور الشعري السائد ، في الشعر العربي اليوم : الاولى **مدحية** ، بشكل عام ، ويمثلها النتاج الشعري الاول . والثانية **نقدية** ، بشكل عام يمثلها النتاج الثاني . الاولى **تبشيرية ، تعليمية** ، والثانية **ابداعية ، جمالية** .

تؤدي العلاقة الاولى بالشاعر الى المغالاة في اسقاط أحلامه على الواقع ، فيسلك ويكتب كأنه في وضع ثوري حقيقي ، مما يذكر بأسلوب الفخر المتشدق ، عند شعراء الماضي ، وكأنه يخاطب جمهورا حول الحياة العربية تحويلا شاملا . الشاعر هنا يتوهم واقعا ويشيع هذا التوهم بانتفاخ تبشيري . ومن هنا يبدو شعره تعبيرا عن ظاهرة نفسية مرضية : فهو تعويض او عزاء عن عجز وفشل مستمرين . انه ثورة من لا ثورة له ، انه الشعر الايهام ، الشعر ــ الافيون . انه الضياع وقد انتظم بيانيا : مرآة لفظيـــة تصقلها الحماسة ، لا يكتشف فيها الجمهور رجاءه ، بل عزاءه . وهذا شعر يندرج في الاطار التقليدي المتخلف ، محتوى وطريقة تعبير .

اما العلاقة الثانية فتكشف عن ان الشاعر ينظر الى العمل الثوري ككل لا يتجزأ ، لكنه يميز بين مستوياته وطرائقه . فللشعر ، مثلا ، **طبيعة تخصه ولذلك** له صفات تميزه ، ان له ، بالتالي **خصوصيته** في الاداء وفي التلقي . وهو لذلك ، يمارس التعبير ويفهم الاتصال انطلاقا من وعيه هذه الطبيعة من جهة ، ووعيه الثقافة السلفية السائدة من جهة ثانية . ومن هنا لا يأخذ المتلقي ــ القارىء ، كما هو ، بثقافته السلفية فيخاطبه بطريقة تمليها او تفرضها هذه الثقافة ، وانما يأخذه **كقوة ثورية** آخـــذة في التكون ، فيخاطبه بطريقة تمليها هذه القوة . انه ، بتعبير آخر ، لا ينظر اليه كعادة ، وانما ينظر اليه **كطاقة** .

الشاعر في العلاقة الاولى يموه اغتراب القارىء ، اما في العلاقة الثانية فان الشاعر يكشف عن هذا الاغتراب . الاول يقول له ان ما ترثه من دين ونظم اخلاقية وتقاليد ... الخ ، مجد عظيم لا يضاهى ، والثاني يقول له ان عليك ان تعيد النظر ، جذريا ، في هذا المجد لانه مبعث اغترابك عن ذاتك ، اليوم . الاول يقول له ان طرائق التعبير التي ترثها ذات جمال لا يستنفد ، والثاني يقول له ان هذه الطرائق ، تكتنز اشكال اغترابك ، ولهذا يجب ان تتجاوزها ، بحثا عن طرائق لا تجد فيها عادتك بل طاقتك . الاول يزين له الجمال الموروث ، الجاهز ، والثاني يقول له : اخلق جمالك الخاص — فالجمال يكون ابداعا ثوريا ، او لا يكون .

IX

ان النقد الايديولوجي للشعر يطرح بذاته قضايا فنية كثيرة ، من حيث تناوله النتاج الشعري ، أي من حيث التطور لا من حيث النظرية . ومع ان اطار بحثنا لا يسمح بمناقشته ، فلا بد من الاشارة الى أكثرها أهمية مما تفيد في اضاءة مسألة التعبير والاتصال ، ويرتبط بها مباشرة . أوجز هذه القضايا فيما يلي :

١ — اذا كان الشاعر يخاطب القارىء كطاقة ، فان هذه الطاقة ليست قوة وحيدة . وانما هي قوة كثيرة متعددة الاوجه . فالشاعر يخاطب القارىء بدءا من تجربته هو لا من تجربة القارىء ، لكن دون أن يعني ذلك ان هناك تناقضا بين التجربتين ، بل بمعنى ان الشعر هو أولا معاناة — يصدر عن ذات تعاني . وهكذا قد يخاطب الشاعر القارىء من حيث انه طاقة حلم ، او من حيث انه طاقة حب ، او من حيث انه طاقة عمل ، او من حيث انه طاقة استباق وتجاوز ، او من حيث انه هذه القوى جميعا . وطبيعي ان يتغير نوع الأداء بحسب الحالة التي يعانيها ، وان يتغير تبعا لذلك نوع التلقي .

وبما أن القارىء العربي ليست له ، اجمالا ، ثقافة غنية ، لا كما ولا نوعا ، فان مستوى المشكلات التي يعانيها هو مستوى مبتذل ، أعني انه سريع وتعميمي . وهو ، عامة ، بعيد عن الآفاق التي فتحتها العلوم والتجارب الانسانية الحديثة . والشاعر الذي يسر له أن ينخرط في هذه الآفاق ، لا بد من أن يتأثر بها في تعبيره ، لذلك لا بد من ان يكتنز شعره بأبعاد حضارية وجمالية يصعب على هذا القارىء ، موضوعيا ، ان ينفذ اليها . واذا كان من نقد يوجه هنا فلا يجوز ان يوجه الى الشعر ، وانما يجب ان يوجه الى **النقص والعجز في العمل التحويلي الثوري العام** .

٢ — اذا صح ان الشاعر يخاطب القارىء من حيث انه **طاقة** ، وان هذه الطاقة كثيرة ، فان ثمة اراء في الكتابة الشعرية تتباين تبعا لتباين الشعراء والنقاد ومتذوقي الشعر ، بعامة ، في البنية النفسية والعقلية . ومثل هذا التباين في مجال الحساسية والتعبير عنها قائم حتى بين الشعراء الذين ينتمون الى ايديولوجية واحدة . وهذا يعني ان ثمة تنوعا او تباينا ، على صعيد التعبير الشعري ، ضمن الوحدة الايديولوجية .

غير أن النقد السائد قلما يلحظ هذا التباين . اسأل ، مثلا : هل في الماركسية ما يحول دون ان يخلق الشاعر الماركسي للعشق وابعاده ، او لعوالم الحلم او المستقبل او لكشوف العلم معادلا جماليا بالشعر ؟ واذا كان لا يكتب مثلا ، بشكل مباشر، عن الصراع الطبقي او المنجزات والقضايا السياسية والاجتماعية اليومية ، فهل يعني ذلك انه غير ماركسي ، او أنه مناوىء للجمهور وقيم التقدم ؟

ان التقويم الشعري السائد يعتبر ، مثلا ، ان الشاعر الذي يكتب قصيدة في التأميم او هجاء الاستعمار او الاقطاع ، بشكل مباشر ، أكثر ثورية من الشاعر الذي يحاول ان

يخلق للحب ، مثلا ، او للحرية ، او للتفتح الانساني ، الثوري، بمعناه الجذري الشامل، بعدا جماليا بالشعر .

٣ ـ صحيح ان الشعر كجزء من البنية الفوقية مشروط بالبنية التحتيـة الاقتصادية وعلاقاتها الاساسية.لكن صحيح ايضا ان المشروط غير شروطه.فاذا كان نمو العشب مشروطا بالماء ، فان العشب يظل شيئا اخر غير الماء . فالانسان المشروط بالاوضاع الاقتصادية والاجتماعية ، هو غير هذه الشروط . والا لما استطاع ان يغير الواقع او ان يخلق واقعا جديدا . **وهكذا فان العلاقات الاساسية في البنية التحتية تاطر الشعر وتشحنه ، لكنها لا تخلقه** . الانسان هو الذي يخلق الاقتصاد ويخلق الشعر . ان الشروط تؤثر في كيفية التكون لكنها ليست التكون ذاته وليست الشيء المتكون . وعلى هذا **فان جوهر الانسان ليس في كونه مشروطا ، بل في كونه يفلت من الشروط كلها، ليس في كونه مخلوقا ، بل في كونه خالقا** . فجوهر الانسان هو في انه كائن خلاق مغير. وجوهر الثقافة ، بالتالي ، هو اذن في الابداع المغير .

٤ ـ ان القيم الجمالية الموروثة التي تستعاد بزي جديد، بحيث يرى فيها القارىء صفات زخرفية اغرائية ، فيستهلكها بسهولة ومتعة ، انما هي **وسيلة لتحييد الشعر** ، من جهة ، وهي من جهة ثانية ، **مادة استهلاك** . وكل ثقافة استهلاكية لا يمكن ان تكون عنصر تغيير . على العكس ، ان هذه الثقافة ترتكز الى الثوابت النفسية الموروثة والى ثوابت القيم ، وهي اذن عنصر ترسيخ لما يجب هدمه .

ومن هنا ندرك كيف أن ثقافة الاستهلاك تشارك في ترسيخ القمع والحيلولة دون التحرر . وندرك بالتالي الاسباب التي تجعل الانظمة القمعية تشجع ثقافة الاستهلاك . فهي تشيع الاعتقاد بأن التلبية التي تقدمها هذه الثقافة تطابق حاجات حقيقية ، **فتخلق ، استنادا الى الجماهير وباسمها ، القيود التي تكبل بها الجماهير . ان الثقافة التي تستعيد القيم الموروثة والتي تشجعها الانظمة ، كثقافة مشروعة وكحاجة ضرورية ، تكشف عن ممارستها الايديولوجية القمعية . انها رمز لقوة كابحة في اتجاه الماضي ، لا رمز لقوة دافعة في اتجاه المستقبل .**

٥ ـ الشكل الحديث يصدم لجدته . وهو ، بجدته نفسها ، تجاوز للراهن ، احتجاج على الصورة الثابتة . وهو ، بهذا المعنى ، ثوري . ان تفجر الشكل عند الشاعر يشير الى الرغبة في الانفصال عن واقع ايديولوجي واجتماعي قمعي . فكل تجديد شكلي يدخل ، بخلاف الظاهر ، في اطار الممارسة السياسية التي تهدف الى تغيير الواقع القائم. **اما ممارسة الشكل الموروث فتهدف الى المصالحة العاطفية والعقلية مع الواقع. وهكذا فان طريقة التعبير هي التي تكشف عن الاتجاه السياسي الصحيح . ان السياسة الرديئة لا تنتج الا الشعر الرديء . ومن هنا لا يمكن ان يكون الاتجاه السياسي الذي تفصح عنه قصيدة ما صحيحا الا اذا كان اتجاهها الفني صحيحا** . ومن هنا كان رفض الحداثة كما تبدو بخاصة في طرق التعبير ، يدل على نزعة محافظة غايتها اما الابقاء على الفصل التقليدي بين الشكل والمحتوى ، واما المزج والمصالحة بينهما بطريقة مزيفة . وهو ما يسود في المجتمع العربي . ولذلك فان ما يسود في هذا المجتمع انما هو **الاعلام الموزون ، واللهو الموزون ، والجمالية الشكلية الموزونة .**

٦ ـ ان اللغة الشعرية القديمة، شأن علاقات الانتاج القديمة، عامل اغتراب وتغريب. ان الشاعر الذي يكتب اليوم بالطرق الشعرية القديمة ، لا يكون مغتربا عن ذاته وعصره وحسب ، وانما يكون ايضا مشاركا في تغريب الانسان . ان شاعرا يؤمن بالثورة ، بتغيير المجتمع جذريا ، لكنه يعبر باشكال نشأت في ظل الاقطاع والثيوقراطية ، يخون الثورة والانسان في آن . انه بهذه الكتابة يطيل أمد الحساسية والقيم الاقطاعية

التيوقراطية ، ويضفي عليها الشرعية الثورية بحيث يوحي ان ثمة لقاء او وحدة بين التيوقراطية والثورة . **وانها لمفارقة غريبة ان نرى اليوم في المجتمع العربي شعراء يؤمنون بالاشتراكية والشيوعية ويعبرون عن ايمانهم بالطرق ذاتها التي عبر بها الشعراء القدامى الذين مجدوا الخلافة والتيوقراطية .**

يجب ، في هذا الصدد ، ان نشير الى امرين : الاول هو ان جدة اللغة الشعرية او ثوريتها تتضمن ، بالضرورة ، نفي اللغة الشعرية القديمة ، والامر الثاني هو أن **هذا النفي جدلي ، فالجديد حين ينفي القديم يكون طالعا ، في الوقت نفسه من هذا القديم ذاته .**

X

يبدو مما تقدم ان الشعر العربي السائد والنقد الشعري السائد والتذوق الشعري السائد ، انما هي جميعا **تنويع على الشعر القديم والنقد القديم والتذوق القديم . بل ان التقويم الايديولوجي الحالي للشعر انما هو نفسه تنويع على التقويم الايديولوجي الاسلامي .**

ان سيادة الانتاج والتقويم ، على الصعيد الجمالي ، انما هي انعكاس لسيادة الثقافة التقليدية ، على الصعيد الايديولوجي ، وسيادة هذه الثقافة نتيجة طبيعية لسيادة العلاقات الانتاجية القديمة .

ومن هنا نقول ، بصيغة أخرى ، ان الجمالية السائدة هي الجمالية الموروثة ، جمالية الخضوع للمعيار . وهي وليدة الايديولوجية الدينية التي تعلم الانسان انه ليس موجودا في طبيعته الخاصة ، وان وجوده الحقيقي انما هو خارج هذه الطبيعة .

وهكذا تبدو الايديولوجية التقليدية السائدة انها دفاع عن استمرار ما لم يعد يحمل الطاقة على الاستمرار ، وانها تضفي على الواقع ما أصبح غريبا عنه ، وانها تفرض عليه ان يتنفس بقلب اصطناعي . أنها في التحليل الاخير ، ليست الا تسويغا لقمع الانسان . ولهذا فان هدمها ، وهدم أشكالها الجمالية ، على الاخص ، انما هو اسهام في هدم الاسس التي يقوم عليها هذا القمع خصوصا ان الفرد العربي ما يزال ضائعا على مستويين : عام وخاص ، عام يتصل بالايديولوجية ، وخاص يتصل بمستوى أعمق جذورا ، مستوى الطبيعة . انه ، بتعبير آخر ، يعيش حياتين : عامة لا يستطيع ان يجد نفسه الحقيقية فيها ، وخاصة لا يستطيع أن يحققها بسبب أنواع القمع الكثيرة . أن موروثه الايديولوجي السائد ، متناقض مع حضوره في العالم الراهن ، عالم الحداثة الثورية ، ومقتضياته . وفي هذه الحالة تبدو الدولة نفسها ضائعة ، بل يبدو المجتمع كله ضائعا .

ولا حرية للعربي في هذا الضياع العام الا حرية الخضوع للسلطة السائدة وايديولوجيتها: « نعم » لكل شيء تقوله او تفعله السلطة ، هي المعادل المدني الارضي لـ « آمين » كلمة الخضوع لكل ما يأمر به الله .

ولا يفيد هنا تحرر العربي على الصعيد العام او السياسي وحده ، مع انه لم يتحرر بعد، وانما يجب أن يتحرر على الصعيد الخاص ، من القمع الخاص . فكل تحرير لا يتناول العام والخاص معا ، في حياة الفرد العربي ، لا يؤدي الا الى مزيد من الاغتراب . ان التحرر السياسي ، بتعبير آخر ، اذا لم يرافقه تحرر من الايديولوجية التقليدية ، ليس تحررا ، ذلك ان **التحرر السياسي ليس التحرر الانساني الكامل ( ماركس )** . فالمسألة هي في أن الفرد العربي ليس متحررا داخل ذاته ، هي في انه تقليدي ، داخل ذاته ايضا وليس في العلاقات الاجتماعية ، او خارج ذاته وحسب .

ويبدو ان **العلامة الاولى للجدة الشعرية هي في ايصال الانفصال ، ان صح التعبير ، اي هي في نفي السائد المعمم ، ورفض الاندراج فيه ، والانفصال عن هذا الكل القمعي . فالرفض او النفي هو ، بهذا المعنى ، علامة الاصالة ، الى كونه علامة الجدة .** ذلك انه هو وحده ، بنفيه المظهر المخادع للكل القمعي ، قادر **ان يظهر الطاقة الخلاقة في المجتمع. والنفي هنا هو ، بذاته ، ذو دلالة ايجابية .**

ولا بد من التوكيد هنا على انني لا اقصد ان اعزل الشعر عن الجمهور او الحياة العامة او اقول ان الشعر ظاهرة كافية بذاتها . ذلك ان الشعر مرتبط عضويا بالحياة العامة ، **وهو ، جوهريا ، سياسي** . وانما اريد ان اشير الى ان **الشعر نتاج فعالية عالية** ، ولا ينتج تأثيره الصحيح الا في جمهور يقدر ان يتجاوب مع هذه الفعالية ، اي مع جمهور مسلح بالثقافة الفنية العالية . خصوصا ان الجمهور ، على الصعيد الفني ، هو غيره ، على الصعيد السياسي ، مثلا . **فهو في الفن لا يمكن أن يكون كميا أو عدديا .**

كل رفض للحداثة الشعرية الحقيقية ، بحجة او بأخرى يتضمن اذن الرغبة في المحافظة على القيم القديمة للغة الشعرية ، سواء ظلت محافظـــة على الفصل بين المحتـــوى والشكل ، او مزجت بينهما ، بنمطية توهم بالتغير ، اي بنمطية زائفة .

وهكذا فان رفض الشكل ، الحديث حقا ، انما هو رفض لتفجير الواقع وقيم الثقافة التقليدية : انه توكيد على ان **تبني النمطية الزائفة ، ليس الا وسيلة تستخدمها البنية السياسية الراهنة لتقنيع القمع الذي تمارسه هي ويمارسه الواقع .**

ان استمرار البنية التعبيرية القديمة دليل على استمرار البنية الثقافية الذهنية القديمة. فتحطيم البنية التعبيرية اذن ، وهو ما يبرز فنيا في الشكل ، دليل على الخروج من البنية الثقافية القديمة . وعلى هذا فان تحرير الشكل يكشف عن الرغبة في تحرير المجتمع ، ذلك ان الشكل ، اي الاطار الجمالي ، لا يمثل العلاقات الفنية وحسب ، وانما يمثل كذلك العلاقات الاجتماعية . فالاجتماعي قائم موضوعيا في بنية التعبير ، اي في الشكل. ومن هنا لا تكمن قيمة الشعر في مجرد التزامه السياسي ، وانما تكمن فيما **تطرحه رؤياه ككل ، أو فيما تكشف عنه ككل . وهكذا يصبح الالتزام تعبيرا عن فعالية جمالية كلية ، أي عن رؤيا الثورة الاقتصادية الاجتماعية السياسية في صورها وتجلياتها وابعادها الجمالية . فالالتزام الشعري الثوري هو الالتزام بالكشف لا بالوصف .**

وفي هذا الالتزام ، وحده ، يتحقق تجاوز الثقافة الموروثة ، وتجاوز بنيتها التعبيرية ، وأرساء قواعد جديدة لتأسيس كتابة جديدة .

ان في هذا كله ما يشير أخيرا الى ان مشكلات التعبير والانصال في مجتمع يتحول ، شأن المجتمع العربي ، لا يمكن ان يصل البحث فيها الى الوضوح الكامل ، ذلك انها مشكلات هي نفسها متحولة . ولهذا يصعب التنبؤ بوضع الشعر العربي المقبل . ان مستقبل هذا الشعر رهن بتحرر المجتمع العربي ذاته ، تحـــررا شاملاً ، موضوعيا وذاتيا ، اجتماعيا وفرديا . ولعل القيمة الحاضرة للشعر العربي كامنة في مدى تعبيره عن طاقة التحول في المجتمع العربي واحتضانه القيم والآفاق التي تختزنها هذه الطاقة او تكشف عنهـــا .

# خروج محمود درويش :
# هل قتل الشاعر أم بعثه ؟

ريتا عوض

يوم الثلاثاء ، في التاسع من شهر شباط عام ١٩٧١ ، وصل محمود درويش فجأة الى القاهرة(١)، واعلن في مؤتمر صحفي عقده يوم الخميس في الحادي عشر من الشهر نفسه أن القضية التي يناضل من أجلها هـي العنصر الذي دفعه « الى اتخاذ موقع جديد وعنصر جديد للجبهة التي أحارب فيها »(٢). وكان محمود درويش يعي أن الخطوة التي اقدم عليها برحيله عن الارض المحتلة « خطيرة »(٣)، ويبدو انه كان يشعـر ان هذه الخطوة ستثير التساؤل والنقاش ، لذلك كان مدخله الى تقديم نفسه في هذا المؤتمر الصحفي قوله : « أريد أن أعلن منذ البداية ، انني اعتبر مسألة وجودي في القاهرة مسألة شخصية أتحمل وحدي مسؤولية اختيارها دون تحويلها الى موضوع للمناقشة والاخذ والرد »(٤).

وكان ما تخوف محمود درويش منه ، اذ انبرت أقلام كثيرة لمناقشة « قضية خروجه » من الوطن المحتل . وحملت بعض الصحف والمجلات عليـه بشدة ، ورمي بالهروب وبالتخلي عن النضال . وأجلس محمود درويش في قفص الاتهام ، « ... وتكاد العيون تخرج من محاجرها اصابع اتهام ، وتنطلق الالسنة خناجر في الظهر : لقد تعب مـن النضال . هرب وخلى الساح والرفاق . لهفي على البطل يصير لاجئا سياسيا »(٥). ولعل المجلة التي قادت حملة التهجم على محمود درويش هي مجلة « الجديد » اللبنانية، التي اتهمت الشاعر بالخيانة العظمى حين اعتبرته « هدية تل أبيب الى القاهرة »(٦)، وقالت ان خيانته « تستحق الاعدام ، والتشهير بمرتكبها ، واحراق كتبه ، وجعل اسمه لا يذكر الا مقرونا باللعنات ، كما يذكر اسم ( ابليس ) لعنه الله »(٧).

هذا الكلام يعطي فكرة عن طبيعة الحملة التي تعرض لها محمود درويش اثر وصوله الى القاهرة . ولعل الاحكام السريعة التي يلقيها حملة الاقلام تشير الى التضعضع السياسي والاجتماعي والفكري الذي يعيشه العالم العربي ، اذ تؤكـد اللامسؤولية التي وقع فريسة لها من يفترض فيهم أن يكونوا اكثر الناس مسؤولية وهم رجال القلم . ولعل هذا التضعضع يتضح في اختلاط المعايير ، وضياع القياس الحتمي الصحيح مما يسمح أن يعتبر الانسان الواحد مناضلا وخائنا في الوقت نفسه .

من الواضح أن من اتهم محمود درويش بالخيانة لم يكن ينظر الى الشاعر فيه ، بل الى المناضل الذي تخلى عن موقع نضاله . وقد قالها بعض مهاجميه صراحة « فما كان الذي يعنينا من أمر محمود درويش انه شاعر ، وان الصحيح ان نقول ان الذي يعنينا من شعره أنه محمود درويش »(٨). وقد كانت هذه النظرة غالبة ، الى حد بعيد ، على جانب كبير مما كتب في محمود درويش وزملائه من شعراء الارض المحتلة ، اذ ظل هذا النقد محصورا في الناحية السياسية ولم يتجاوزهـا الى الناحية الفنية في نتاجهـم الشعري .

ولعله يصح ان نعتبر ان ما يقوله الشاعر نزار قباني يقع في هذا الاتجاه حين يقرر « ان اهمية شعراء المقاومة تنبع من كونهم تحولوا في اذهاننا الى رموز . وعلى هذا الاساس نفهمهم ونرحب بهم كمحاربين دون ان نتدخل في تفاصيل ملابسهم وطراز بنادقهم وعدد الازرار في معاطفهم العسكرية . ما دام شعراء المقاومة في فلسطين المحتلة يطلقون الرصاص في صفوفنا فاننا نرحب برصاصهم ... اما بقية التفاصيل الجمالية والفنية فليس هذا وقتها ... »(٩). ويقع في الاتجاه نفســـه قول ادوار البستاني ، « فنحن ميالون ــ عندما نعالج فعالية أدب المقاومة في فلسطين المحتلة ــ الى ان نتخطى القواعد الجمالية الشكلية وأن نضحي ببعض متارف الشعر ، لننتقل رأسا الى الطاقة الحيوية والثورية التي يمكن لهذا الادب ان يفجرها في بيئته الضيقة أولا ، ومن ثم في الضمير الانساني على النطاق الاوسع »(١٠).

ويتوجب علينا ان نسجل ، ان فريقا آخر من النقاد اهتم بالناحية الفنية لشعر المقاومة وحاول ابرازها ، كما نلاحظ من الاستفتاء الذي أجرته مجلة « الطريق » مع بعض النقاد حول هذا الشعر ، حين طرحت السؤال : « كيف تقيمون الدور الوطني والاجتماعي والجمالي الذي أداه شعر المقاومة في فلسطين المحتلة ؟ »(١١). ولعل النظرة الاقرب الى الصواب هي تلك التي جعلت قيمة هذا الشعر الفنية توأما للتجربة النضالية التي ولدته؛ فلا يعود هناك فاصل بين حدس وتعبير . ومن ذلك قول الشاعـــر أحمد عبد المعطي حجازي مخاطبا محمود درويش : « فأنت شاعر مجيد لانك شاعر مناضل . هذه هي فرسك كما عودتها . لن يستجيب لك الشعر الا وانت على تلك الفرس الخطرة . وانت تسلحت بنظرية ثورية ، وتربيت في حزب ، وسوف ينتظر الناس وننتظر نحن أيضا ، في أي شيء تختلف تجربتك أنت ــ وقد صرت وحدك ــ عن تجارب الذين لا يملكون هذا التراث »(١٢).

هذا الحديث يطرح قضية الالتزام ، حيث يصبح الشعر والنضال وجهين لحقيقة واحدة ، ولا يكون هناك شعر الا بالتجربة النضالية التي ولدته. وهنا يكون الالتزام فرسا خطرة، لان على الشاعر أن لا يستسلم للفرس الهائجة تقذفه كما تشاء فيقع . بل عليه ان يروض هذه الفرس ، وأن يكون هو المسيطر عليها ، فينطلق بهـــا كيفما أراد . لذا فالالتزام الصحيح ليس انسياقا مع عقيدة تفرض على الشاعر ، بل هـــو فعل حرية ؛ بمعنى أن الشاعر يعود بنفسه فيكتشف العقيدة التي تصبح جزءا من ذاته لا سلاسل خارجية تقيده .

من هنا نجد اجابة على السؤال : هل محمود درويش مناضل أم شاعر ؟ حيث لا يعود هناك مجال لفصل بين الشعر والنضال . ومن هنا يكتسب خروج محمود درويش من الارض المحتلة خطورته ، اذ أن التجربة النضالية هي التي خلقت الشاعر الملتزم . وقد وعى محمود درويش هذه الحقيقة فقال : « ومن هنا لم يعد من حقي التصرف كمسافر او سائح ، ولهذا السبب أشعر انني مطالب أمام الراي العام بتوضيح هذا ، وسأقدم تحديدات عامة لاتابع بعدها طريقي »(١٣).

ولكن النضال لا يرتبط ببقعة جغرافية ، بل هو في الاساس موقف ، والاحتلال الصهيوني لا يختص بفلسطين فحسب ، بل هو قضية الامة العربية بأسرها ، المهددة حضاريا في وجودها واستمرارها . ويلوح لي ان خروج محمود درويش من الارض المحتلة مرتبط بايمانه بوحدة مصير هذه الامة اذ يقول : « انني أحدق في أعماق نهر النيل وأرى رحلة التاريخ الصاعدة دائما ، وأسمع خرير الاردن وبردى والفرات في نغم واحد تتدفق على الرغم من الركود المؤقت الذي لن يستمـــر طويلا »(١٤). لذا لا يعود خروج محمـــود درويش من فلسطين المحتلة هروبا بالضرورة ، بل يمكـــن أن يشكل تغييرا لموقـــع

النضـال . ولن يكون الحكم في المستقبل الا لتجربة الشاعر النضالية والقومية ، التي لن يكون شاعرا لولاها .

ويلاحظ ان الموقف السياسي الذي يرى في الاحتلال الصهيوني تحديـا للامة العربية بأسرها يلتحم مع موقف آخر فني يجعل من الشعر الذي يكتب في ظل الاحتلال انبثاقا من التراث الشعري العربي ، ومواكبة للشعر العربي المعاصر الذي يكتب في بقية اقطار العالم العربي . ولكن معظم الذين تعرضوا لنقد الشعر العربي في فلسطين المحتلة لم يحاولوا أن يربطوه بتيار الشعر المعاصر في الوطن العربي ، بل نظروا اليه من حيث هو ظاهرة قائمة بذاتها . فلم يستطيعوا أن يجدوا له مكانا في سلم الشعر الحديث ، مع ان الشعراء الفلسطينيين اعتبروا ان شعرهم جزء لا يتجزأ من الشعر العربي المعاصر ، وانهم تلامذة للشعراء العرب القدماء والمحدثين ، فقال محمود درويش : « وشعرنا ليس ندا أو بديلا للشعر العربي المعاصر .. انه جزء غير متجزىء منه ورافد من روافد النهر الكبير . لقد تربينا على أيدي الشعراء العرب القدامى والمعاصرين ، وحاولنا اللحاق بأسلوب الشعر الحديث بعد أن تعرفنا على رواد هذا الشعر في العراق ومصر ولبنان وسوريا ، ونحن لا يمكن الا ان نعتبر انفسنا تلامذة لاولئك الشعراء »(١٥).

كما أكد سميح القاسم موقفا مماثلا في قوله : « أعتقد ان شعرنا جزء لا يتجزأ من الحركة الشعرية العربية ، تأثر بها وتفاعل معها ، والملامح الخاصة به تقابلها الملامح الخاصة بالشعر الجزائري او الملامح الخاصة بالشعر العراقي مثلا . ومن الطبيعي ان كل عمل شعري يتأثر بالبيئة الضيقة التي يعيش فيها بالاضافة الى تأثره بالبيئة العربية الواسعة وبالعالم واية مرحلة قادمة ستكون جزءا من الحركة الشعرية العربية في مسيرتها بكافة انجازاتها ونكساتها أيضا »(١٦).

ولعل السبب في عدم ربط هذا التيار الشعري بجذوره العربيـة وتضخيم صورته في الاذهان عائد الى أن من تعرضوا لنقده لم يستطيعوا التحرر من النظرة السياسية او العاطفة الوطنية عندما اكتشفوا فجأة بعد هزيمة عام ١٩٦٧ ، ان هناك حركة شعرية في الارض المحتلة، لا سيما وان الامة العربية كانت خارجة من هزيمة عسكرية وسياسية رهيبة أفقدتها توازنها لبعض الوقت ، ودفعت الشعب الى البحث عن ابطال يملأون الفراغ الذي خلفه الابطال المهزومون، ويعوضون عن الهزيمة النفسية التي كان الشعب العربي يعاني منها ، فوجد في الشعراء الفلسطينيين الذين يقاومون الاحتلال الصهيوني بالكلمة ، تعويضا عن الهزيمة العسكرية .

وقد أحس محمود درويش ، وهو في الارض المحتلة ، بخطورة موقف هؤلاء النقاد فكتب مقالة بعنوان « انقذونا من هذا الحب القاسي » في مجلة « الجديد » التي تصدر في فلسطين المحتلة في حزيران عام ١٩٦٩(١٧). ولكن السنتين الماضيتـين شهدتا موجة انحسار في الاهتمام بالشعر الذي يكتب في الوطن المحتل كما لاحظ ذلك محمود درويش نفسه(١٨). ويبدو ان السبب فيه هو أن هذه الفترة شهدت ارتفاعا ملحوظا في العمليات العسكرية التي تقوم بها الثورة الفلسطينية في الارض المحتلة ، مما ساعـد الشعب العربي على استعادة ثقته بنفسه والاستعاضة بأبطال الفداء والاستشهاد عن « أبطال الكلمة ». وأحسب ان الظروف السياسية التي ارتفعت بالشعر الفلسطيني هي الظروف نفسها التي اسقطت الكثير منه ، ولم يصمد في الحالة هذه غير الشعر الذي يتمتع بمستوى فني جيد ، تحله قيمته الفنيـة مكانـا في سلم الشعر العربي المعـاصر ، هو موضعه الحق .

من هنا لا يفقد شعر محمود درويش هويته خارج فلسطين المحتلة لانه ينتمي الى التيار الشعري العربي الكبير . ولا يفقد هذا الشعر صفته النضالية خارج الارض المحتلة لان قضيته تخطت المنطقة الجغرافية المحتلة ، واكتسبت بعدا عـربيا قوميا بل وعالميـا

انسانيا . لذا لا يعود « خروج » محمود درويش من الارض المحتلة هو المحك لقياس شاعريته ، بل المحك هو في استمرارية تجربة الشاعر النضالية ، وفي ارتقاء شعره فنيا . فيغدو تقويمنا لقضية خروج الشاعر معتمدا على هذين العنصرين اللذين هما في حقيقتهما وجهان لحقيقة واحدة . فتصبح عودتنا الى نتاج محمود درويش الشعري أساس حكمنا عليه ، فننظر كيف أثرت الفترة التي عاشها خارج الارض المحتلة في تجربته النضالية ، وكيف تجلت هذه التجربة في صورتها الفنية ؟ وهل يشكل ديوانـــه الاخير « احبك أو لا احبك » ، الذي كتب قصائده بعد خروجه ، تطورا في مسيرته الشعرية ؟ وكيف ؟

انبثقت تجربة محمود درويش النضالية والفنية من قضية طرحها بقوله : « كيف أوفق بين شق الطريق أمام الكلمة لتمارس مفعولها بين الجماهير بصفتها كلمة ثورية مـــن ناحية ، وبين متطلبات الشروط الفنية المتطورة لهذه الكلمة ؟ »(١٩). هنا يطرح الشاعر قضية الالتزام في الادب : فالشاعر الملتزم يسعى الى ايصال نتاجه للجماهير شرط الا يضحي بالمستوى الفني لهذا النتاج . كيف عالج محمود درويش هذه القضية ، وكيف تطورت نظرته اليها خلال مسيرته الشعرية ؟

تقع مسيرة محمود درويش الشعرية ، على ما أرى ، في مراحل ثلاث : تشمل الاولى الفترة التي سبقت حرب حزيران . وتمتد الثانية في السنوات التي تلت الحرب وحتى قرار الشاعر بالخروج نهائيا من فلسطين المحتلة . وتتمثل الثالثة — التي تمتد حتى اليوم — في المدة التي قضاها خارج الوطن المحتل ، وجاء ديوانه الاخير « أحبك أو لا أحبك » صورة عنها .

أصدر محمود درويش في المرحلة الاولى مجموعات شعرية ثلاث هي : « عصافير بلا اجنحة » عام ١٩٦٠ ، و« أوراق الزيتون » عام ١٩٦٤ ، و« عاشق من فلسطين » عام ١٩٦٦ . وشهدت هذه المرحلة انضمام الشاعر الى الحزب الشيوعي في عام ١٩٦١ ، بعد أن قرأ مبادىء الماركسية وتأثر بها : « وصرنا نقرأ مبادىء الماركسية التي اشعلتنا حماسا وأملا ، وتعمق شعورنا بضرورة الانتماء الى الحزب الشيوعي الذي كان يخوض المعارك دفاعا عن الحقوق القومية ودفاعا عن حقوق العمال الاجتماعية . وحين شعرت اني أملك القدرة على أن أكون عضوا في الحزب دخلت اليه في عام ١٩٦١ ، فتحددت معالم طريقي وازدادت رؤيتي وضوحا وصرت أنظر الى المستقبل بثقة وايمان . وترك هذا الانتماء آثارا حاسمة على سلوكي وعلى شعري »(٢٠).

ولكن التزام الشاعر سبق انضمامه الى الحزب الشيوعي ، اذ انعكس هذا الالتزام في ديوانه الاول « عصافير بلا أجنحة » الصادر قبل سنة من تاريخ انتماء الشاعر الحزبي. وقد عبر محمود درويش في هذا الديوان عن تجربة هي وليدة « الحب .. والعذاب .. والكفاح .. والثورة .. والالـــم .. والنداء المبحوح القادم مـــن البعيد .. مـــن البعيد .. »(٢١) فاختص جانبا من قصائد الديوان بالقضية النضالية ، وأفرد الشاعر الجانب الاكبر من قصائده للغزل . وظلت قصائد الديوان ، وبخاصة ما ارتبط منها بالقضية النضالية ، خطابية مباشرة ، التزم فيها الشاعر عمـــود الشعر الكلاسيكي ، كقوله مثلا :

لا تلمني ! اشعل الحقد دمي ... وحنيني في عروقـــي يتضخم !
لا تلمنـــي انها ارضي تبكـــي ... الطيق الصمت والام تالـــم ؟!
انهـــا أمـــي ولا اعـــرفهـــا ... ايها الافق الذي حولي تضرم
انا جيـــل لست وحدي ثائرا ... قد تعاهدنا على ان نتقدم !

لكن الانتماء الحزبي انتقل بالشاعر ، على حد تعبيره ، من « سمة ( الثـــوري الحالم )

الى الثوري الاكثر وعيا »(٢٣) كما يظهر في ديوانه الثاني « اوراق الزيتون » ١٩٦٤ ، اذ انطلقت التجربة التي ولدته من تمسك الانسان الفلسطيني بهويته العربية في ظل سياسة التهويد التي اعتمدتها السلطة المحتلة . ويقول محمود درويش : « وتشيع في جو الديوان رائحة الريف ، وآلام الناس ، والتغني بالارض والوطن والكفاح والاصرار على رفض الامر الواقع ، وحنين المشردين الى بلادهم ، ومحاولة العثور علـى مبرر لصمود الانسان أمام مثل هذا العذاب »(٢٤) . ويتضح ، في هذا الديوان ، تأثر الشاعر بانتمائه الى الحزب الشيوعي حيث يضع للشعر وظيفة مساعـدة العمال والفلاحين والمكافحين ، فيقول :

لو كانت هذي الاشعـار
ازميلا في قبضة كادح
قنبلة في كف مكافح !
لو كانت هذي الاشعار !
لو كانت هذه الكلمات
محراثا بين يدي فلاح
وقميصا .. أو بابا .. أو مفتاح !
لو كانت هذي الكلمات(٢٥) .

ولم يكن محمود درويش ، في هذه المرحلة ، يعاني قضية التوفيق بين ايصال الشعر للجماهير وبين المحافظة على سمو المستوى الفني ، لانه كان يعتقد ، حينئذ ، بضرورة تبسيط الشعر كي يؤدي وظيفته بين الجماهير . فجاءت قصائـد « أوراق الزيتون » مباشرة خطابية في مجملها . يقول :

قصائدنا ، بلا لون
بلا طعم .. بلا صوت !
اذا لم تحمل المصباح من بيت الى بيت !
وان لم يفهم « البسطا » معانيها
فأولى ان نذرّيها
ونخلد نحن .. للصمت !!(٢٦)

وفي عام ١٩٦٦ صدر ديوان الشاعر الثالث « عاشق من فلسطين » حيث عبر محمود درويش عن تجربة نضالية قاسية ، اذ أن « القسم الاكبر من الديوان كتب في السجن او عن السجن »(٢٧) . ولعل الفترة التي قضاها الشاعر في السجن أتاحت له فرصة التأمل، وبالتالي المزج بين رافدين رفدا ديوانيه السابقين ، هما الغزل والتغني بالوطن . فاتحدت في بعض قصائد هذه المجموعة المراة بالارض ، واصبـح التغزل بالمرأة غزلا بالارض والوطن كما في قوله مثلا :

يود الثغر لو يمتص عن شفتيك
ملح البحر .. والزمن ..
يود .. يود .. لكني
وراء حديد شباكي
أودع وجهك الباكي
غريقا فوق دم الشمس مهدورا على الافق(٢٨) .

وقد توهجت رؤيا الشاعر خلال انعزاله في السجن « لان السجن » ، على حد قوله ، « لم يبعدني عن الناس والاشياء والقضية ، وانما جعلني أهضمها بشهية ونهم »(٢٩) . وشهدت هذه المجموعة الشعرية تطورا في مفهوم الشاعر للالتزام ، عبر عنه محمود

درويش بقوله : « ولعل التزامي هنا لم يعد مبدأ او وجهة نظر او طريقة ، وانما صار نبضا في الدم »(٣٠). كما شهدت تطورا في تعبير الشاعر الفني ، حيث خرج في معظم قصائد الديوان عن عمود الشعر الكلاسيكي . يقول درويش : « وهكذا ، أرى اني خطوت خطوة نحو المزج بين الاشياء مما استدعى صيغة أكثر مرونة تتسع لحركة المزج، أسفرت عن انزال ضربة ، غير مقصودة لذاتها ، ببناء القصيدة الكلاسيكي . وقد حدث ذلك بما يشبه التلقائية ، اذ لا خيار لك وسط هذه الحركات والرموز في ان « تقرر » شكلا ما فالعملية هنا هي التي اخذت اطارها وشكلها »(٣١).

ثم كانت المرحلة الثانية من مراحل مسيرة محمود درويش الشعرية، حيث عانى الشاعر هزيمة حرب حزيران ، فتعمدت تجربته الشعرية بالنار وبالدماء ، فجاء ديوانه « آخر الليل » ١٩٦٧ ، الذي كتب قصائده بعد الهزيمة ، اكثر اعماله الشعرية نضجا حتى هذه الفترة ، وأرفعها من الناحية الفنية . ويعبر محمود درويش عن تجربته الشعرية في هذه المرحلة بقوله : « وأنا شخصيا ، وانا قابع في السجن تعطلت اعصابي . وبعد خروجي لم اجرؤ على القيام بمحاولة الكتابة ، لان التشنج والرؤية الغارقة في الدم والحروق لم تتح لي بلورة المدخل الذي سأنفذ منه الى مثل هذا الموضوع المهلك ... بعد شهور وجدت نفسي اكتب بهدوء ظاهري هذه القصائد التي يحتويها ديوان « آخر الليل » وقد سهّل علي العملية ، الى حد ما ، ادراكي انه لم يتبق لي شيء الا العقيدة والكلمة . فلماذا تسقطان ؟ وهما وسيلتاي للصداقة مع الحياة والتعويض الباقي . لقد استطعت في هذه القصائد ، واقول ذلك بنبرة فخر ، ان انقذ انسانيتي من الموت ، في تلك الفترة العنيفة التي هددت انسانية الانسان بأفدح الاخطار . وعندما انفجر الحلم ، وجدت اني ما زلت متشبثا بانبل تراث : انسانيتي »(٣٢). من هنا استطاع الشاعر ان يقف بتحد امام الموت ، رافضا ان يكون جزءا من الماضي الميت ، ومنطلقا برؤيا جديدة للبحث عن شعر جديد . لذلك كان الموت الذي أحاط بالشاعر سبيلا الى ولادة جديدة اكتسبها في هذا الديوان ؛ يقول :

وليكن
لا بد لي أن أرفض الموت ،
وان كانت أساطيري تموت
انني أبحث في الانقاض عن ضوء وعن شعر جديد
آه .. هل ادركت قبل اليوم
ان الحرف في القاموس يا حبي بليد(٣٣).

هكذا انتصر الشاعر على الموت بالعقيدة ، دون ان تتدخل عقيدته بشكل ظاهر ، اذ لم تعد القصائد نظما لشعارات سياسية ، يقول محمود درويش : « وفي الحوار القاسي او الصراع بين الموت والحياة انتصرت على الموت دون ان اجعل ايديولوجيتي تتدخل ظاهريا »(٣٤) من هنا كان التطور في مفهوم الشاعر للالتزام ، فأصبح الانتماء الحزبي تجربة تغني رؤيا الشاعر ، فكفت القصيدة عن كونها خطبة سياسية ، وخرجت صور الطبيعة في « آخر الليل » عن محدوديتها ، وتعددت دلالاتها فاكتسب بعضها دلالات رمزية ؛ كقوله مثلا :

كان الخريف يمر في لحمي جنازة برتقال
قمرا نحاسيا تفتته الحجارة والرمال
وتساقط الاطفال في قلبي على مهج الرجال
كل الوجوم نصيب عيني .. كل شيء لا يقال ..
ومن الدم المسفوك اذرعة تناديني تعال !(٣٥)

هنا لا يغض التزام الشاعر من مستوى القصيدة الفني ، بل تسمو القصيدة فنيا بمفهوم الشاعر الجديد للالتزام .

لكن تطور مفهوم محمود درويش لمعنى الالتزام طرح امامه قضية جديدة : كيف يستطيع الشاعر الملتزم أن يصل بنتاجه الشعري الى الجماهير ، ويحافظ في الوقت نفسه على مستوى فني رفيع للقصيدة ؟. يقول درويش: «ولكن «آخر الليل » الذي اعتبره افضل ما كتبت ، استقبل بفتور علني من أغلبية القراء في بلادنا . وقال لي عشرات من المثقفين : يا محمود ! عد الى الوراء . اذا كان هذا هو التقدم الفني فليتك لم تتقدم ، وقيل لي بشفقة : «ليتك لم ترحل عن القرية .. هذا الشعر غير مفهوم» . . . .من المكابرة ان اقول اني لم أشعر بعذاب نفسي . هل يترتب علي ، لكي لا ينقطع التفاعل بين شعري وبين الناس ، ان اعود الى التعبير المباشر ، والحث الصريح على الكفاح والتمسك بالأمل والعقيدة ؟ . . . ان هذه الاسئلة تشغل بالي بشكل ملح ، وخاصة انـي اعتبر نفسي شاعرا ثوريا يخاطب الجماهير ويلتزم بقضية الجماهير ويكتب من اجل الجماهير »(٣٦) .
والاجابة ، في رأيي ، هي أن على الشاعر ان يروض القراء على تلقي الشعر الجيد الذي لا يخضع لسهولة التعبير المباشر ، لا ان يستجيب للسهولة المبتغاة ، وبذلـك يتحمل الشاعر الملتزم بالاضافة الى مسؤولية النضال والتعبير ، مسؤولية النهوض بالذوق العام ، والانتقال به من طور القصيدة الكلاسيكية الخطابية الى القصيدة الحديثة التي لا تستسلم للخطابية والمباشرة .

لم ينشر محمود درويش مجموعة شعرية قبل ديوانه « العصافير تمـوت في الجليل » الصادر عن دار الاداب في حزيران عام ١٩٧٠ . وان كانت قد « أصدرت » للشاعر ثلاثة دواوين لم يختر قصائدها ولا عناوينها : اثنان منها عام ١٩٦٩ ، حمل احدهما عنوان « حبيبتي تنهض من نومها » ، والثاني عنوان « يوميات جرح فلسطيني » ، وثالث عام ١٩٧٠ حمل عنوان « الكتابة على ضوء بندقية » . وقد كانت هذه الدواوين تجميعـا لقصائد مختلفة ظهرت للشاعر في المجلات والجرائد ، لا تربطها تجربة واحدة ولا زمن متقارب ، وتكـرر بعضها في اكثر من مجموعة شعريـة ، وشاعت فيهـا اخطـاء كثيرة مختلفة(٣٧) .

وقد أشار محمود درويش الى هذه القضية في مقابلة اجرتها معه مجلة الاداب حين قال: « لست متحمسا للطريقة التي تنشر فيها كتبي في بيروت . اني اسمع عن صدور كتب لم اصدرها . لماذا ؟ لم أمت بعد ، عندما أموت افعلوا بي ما تشاؤون ، ولكن الان دعوني اعمل على مهلي . دعوني اكتب في الظل ، واتركوا لي ان اقرر متى اخرج الى الضوء . وأرجو ان يكون لي الحق في مطالبة النقاد بالا يحاسبونني الا على ما أصدره انا . ولذلك من الضروري ان اقول اني لم اصدر منذ مجموعة « آخر الليل » الصادرة في كـانون الاول ١٩٦٧ الا مجموعة واحدة هي « العصافير تموت في الجليل » . ومع ذلك اريد ان أشكر الناشرين الذين يهتمون باعمالي . ولكنه شكر مشوب بالعتاب الودي »(٣٨) .

لهذا السبب لن اتوقف عند هذه المجموعات الشعرية ، بل عند ديوان « العصافير تموت في الجليل » ، الذي صدر خلال اقامة الشاعر في موسكو ، وكتبت معظم قصائده عـام ١٩٦٩ ، عندما وصلت القضية الفلسطينية الى ذروة تأزمها : فالعدو الصهيوني يضم الاراضي التي احتلت ، ويواصل ارهابه اليومي ضد الشعب الفلسطيني ، والعـالم يتفرج على المجازر المتواصلة ولا يحرك ساكنا ، والثورة الفلسطينية تواصل عملياتهـا العسكرية لتحرير الوطن المغتصب . وقد انطلقت تجربة محمود درويش الشعرية من هذا الواقع ، فقال في التعبير عن تجربته الشعرية في هذا الديوان : « دم على الطرقات وفي كل الحدائق . . . وعلى مرايا العالم ، والحقيقة تأخذ شكل المذبحة . والضحيـة مطالبة باثبات براءتها ، ولا قاض الا الموت . هل استطاع وطني ان يملك الا حريته في

ان يموت كما يشاء ؟ الموت هو البطاقة التي يقدم بها وطني نفسه الى العالم . فاتخذ لك موقفا من الموت الاختياري . ان مجموعة « العصافير تموت في الجليل » غارقة في التعامل مع الموت الذي ليس موتا في جوهره »(٣٩).

شهدت هذه المرحلة تطورا جديدا في مفهوم محمود درويش للشعر الملتزم ، اذ اصبحت رسالة الشاعر اقرب ما تكون الى الكشف حيث أصبح الشعر رؤيا للمستقبل . يقول : « وسنعرف الان ان الشعر هو رؤية ثورية للحاضر ورؤيا للمستقبل . ولماذا نكتب ؟ لاننا جديرون بانتمائنا الى الحياة ومحتاجون الى الاحساس الدائم بهذه الجدارة »(٤٠). هذا، على ما أرى ، هو التفهم الصحيح لمدلول الالتزام في الشعر ، حيث لا يعود الشعر الملتزم صورة فوتوغرافية للواقع بل كشفا للمستقبل ، فيصبح الشاعر نبي الثورة التي ستخلق الغد الافضل . من هنا جاء هذا الديوان بداية تحول واضح في مسيرة محمود درويش الشعرية ، فقد تخلص الشاعر نهائيا من القصائد العمودية ، واستطاع — الى حد كبير — ان يتخلص من الخطابية والمباشرة اللذين طبعا دواوينه الاولى ، واكتسبت صوره الشعرية دلالات رمزية تخطى فيها جميع مجموعاته الشعرية السابقة؛ يقول مثلا:

في الحلم ، ينضم الخيال اليك ،
يرتد المغني
عن كل نافذة . ويرتفع الاصيل
عن جسمك المحروق بالاغلال
والشهوات والزمن البخيل
نامي على حلمي . مذاقك لاذع .
عيناك ضائعتان في صمتي
وجسمك حافل بالصيف والموت الجميل .
في آخر الدنيا اضمك
حين تبتعدين ملء المستحيل(٤١).

ثم كانت المرحلة الثالثة من مراحل مسيرة محمود درويش الشعرية ، التي شهدت تجربته الكبرى بخروجه نهائيا من فلسطين المحتلة ولجوئه الى مصر ، في شباط عام ١٩٧١ . ولا يصح الاعتبار ان تجربة محمود درويش الشعرية تساوت مع تجارب غيره من الشعراء العرب بعد خروجه من فلسطين المحتلة ، لانه اصبح ، مثلهم ، ينظر الى القضية من الخارج . ذلك ان خروج محمود درويش من فلسطين ، في رأيي ، لم يمح تجاربه التي عاشها في ظل الاحتلال ، بل ان تلك التجارب قد اتسعت الان لتشتمل على نظرة جديدة لا تلغي الاولى بل تغنيها . وهذا ما قصد اليه محمود درويش في مؤتمره الصحفي الذي عقده بعد يومين من وصوله الى القاهرة ، حين قال : « ولست اول مواطن او شاعر يبتعد عن بلاده ليقترب منها »(٤٢).

وقد اغتنت تجربة محمود درويش النضالية بعد سنة عاشها في العالم العربي ، اكتشف خلالها سر الهزائم العربية ، عندما كشف احتكاكه بالواقع المهترىء ، ستار التمويه الذي فرضه هذا الواقع حول نفسه . يقول محمود درويش : « عندما كنت في اسرائيل كان صعبا علي ان افهم بشكل مباشر سر الهزائم العربية لان خيالي كان يتعامل مع ارقام كبيرة . مع واحد وعلى يمينه ثمانية اصفار . وهذا التعامل مع الارقام كان يبعدني عن حقيقة مضمون هذا الرقم الكبير . كنت مقتنعا بأن المعركة في الشرق الاوسط هي معركة بين قوى التحرر وبين قوى أجنبية ومحلية تعيق هـذا التحرر . لا زال هـذا التحديد صحيحا ، ولكن في الاطار الواسع للكلمة . ان حركة التحرر تعترضها معارك داخلية أشد خطورة . انها مليئة بالمناهج القبلية المغرقة في التخلف الفكري والسياسي . لم تتخذ حركة التحرر مسارا واحدا ، وربما يتضح لنا بعد قليل ان الكثير من فرضياتنا

السابقة كانت خاطئة . نحن الآن بدأنا الشك في قدرة العسكر على تحقيق منجزات اجتماعية . ان بعض الدول العربية تحكمها احذية عسكرية تحت ستار التقدم والاشتراكية والتحرر . وعندما تعيش في العالم العربي تدخل في تفاصيل الصورة . هذا هو الفارق بين النظرة من بعيد والنظرة من قريب . باسم التقدم تحارب محاولات خلق صيغة ثورية للتقدم ، ونضرب على سبيل المثال المقاومة الفلسطينية . ان اعداء المقاومة ليست الرجعية فقط . كنت اعرف العالم العربي في السابق عن طريق الاذاعة. وليست هناك في العالم اذاعة تقول الحقيقة . ان الاذاعة هي تعبير مهذب عن كذبة شرعية او مشروعة . انا الآن لا أسمع الاذاعة . ولكنني أرى . ارى ان المعركة هي آخر ما يشغل اغلبية الحكام العرب . أنهم يخوضون فعلاً معركة ويخوضون فعلا حربا، ليس ضد الغزاة ، ولكن ضد المواطنين . وباسم المعركة مع العدو يقمع كل صوت داخلي »(٤٣).

من هنا اكتسبت تجربة محمود درويش النضالية بخروجه من الارض المحتلة بعدا جديدا ، اذ أصبحت علاقته بالعالم العربي علاقة معايشة يومية ، كشفت له أسرار الهزائم العربية المتواصلة . فاذ الهزيمة أكثر من ضعف في التخطيط العسكري ، او مفاجأة عسكرية غير متوقعة . فهي في أساسها ، نتيجة للتخلف الحضاري الذي تعاني الامة العربية منه ، والمتمثل في غياب الفكر الاصيل الموجه ، والانسياق الجماهيري المتهور وراء قيادات تقليدية اثبتت انهيارها عبر الهزائم المتلاحقة ، وظلت مومياء محنطة جالسة حيث كانت قبل أن تموت . ولعل هذا التخلف الحضاري يتمثل في انتصار صور الجمود والتحجر على كل صوت او فعل يسعى الى تغيير الواقع والمطالبة بتخطي الهزيمة بفعل يتعدى الخطب الحماسية . ( ولعل ضرب الحركة الطلابية التي شهدتها شوارع القاهرة في السنتين الماضيتين ، والتي طالبت برفض المساومات والتنازلات والاتجاه الى الفعل لا الكلام ، واتهام الطلبة الذين فجروا هذا التحرك بالخيانة ، دليل على صحة ما نذهب اليه ) . من هنا تقع على كاهل المناضل خارج الارض المحتلة ، مسؤوليات قد تكون اكبر من مسؤوليات المناضل في ظل الاحتلال . فعلى المناضل في الخارج تقع مسؤولية حضارية تتمثل في النهوض بالحضارة العربية ، والانتصار على أسباب التخلف والانهيار ، وبناء المجتمع العربي الجديد القادر على مجابهة العدو ، فضلا عن مسؤولية التحرير .

من هذه التجربة الجديدة ، مضافا اليها ، تجربة الشاعر في المعاناة والنضال في ظل الاحتلال الصهيوني ، وآلام الغربة والحنين الى الوطن ، أنطلقت قصائد مجموعته الاخيرة « أحبك أو لا أحبك » ، التي صدرت عن دار الآداب في بيروت في شباط عام ١٩٧٢ ، وكتبت قصائدها بين عامي ١٩٧٠ و١٩٧١ في موسكو والقاهرة . وقد عمقت الغربة والحنين الى الوطن مأساة الشاعر ، فاستطاع — على اغترابه عن وطنه — ان يتحد بهذا الوطن ، بينما لم يستطع الوصول الى هذه المرحلة في أي من قصائده التي كتبها في فلسطين المحتلة . ويعتبر اتحاد الشاعر بالوطن سمة من ابرز السمات التي يتميز بها ديوانه الاخير « أحبك او لا احبك » .

يتألف هذا الديوان من قصيدة طويلة في سبعة عشر نشيدا بعنوان « مزامير » واحدى عشرة قصيدة اخرى . ونلاحظ ان محمود درويش اختار « مزامير » عنوانا لقصيدته الطويلة ، وكأنه يصلي لوطنه كما صلى داود لربه . وقد قرأ محمود درويش التوراة باللغة العبرية وتأثر بها ؛ قال : « وأنا شخصيا أشعر بأن تأثير اللغة العبرية علي قادم من منطقة بعيدة في التاريخ هي منطقة التوراة ... ولهذا فأنا لا اخشى التوراة كأثر أدبي وان كنت أرفضها كتعاليم لان فيها فصولا مغرقة في العنصرية . اما من الناحية الاخرى ، فتحتوي التوراة على صفحات مشرقة ومغرقة في الشاعرية والبناء

الاسطوري والبناء الملحمي . انني أشارك ناظم حكمت الرأي بأن نشيد الاناشيد هو اعظم كتاب حب في تاريخ الشعر ... »(٤٤). وقد استطاع محمود درويش في مزاميره ان يتخطى الصلاة للمعشوق الى نوع من الاتحاد معه ، فصارت الارض جزءا من كيانه، ودما يمده بالحياة ، فيقول :

اريدك ، او لا اريدك —
ان خرير الجداول . ان حفيف الصنوبر
ان هدير البحار . وريش البلابل محترق في دمي — ذات
يوم اراك ، واذهب(٤٥).

هنا تتجسد قضية الشاعر في نزوحه عن وطنه : هل كان نزوحه هروبا ؟ لا . لان الوطن لم يعد صورة منفصلة عن ذات الشاعر ، بل اصبح حقيقة داخلية تسكن دماءه ، فوصل الى اتحاد صوفي مع الوطن المعشوق . ويصبح العشق قدرا لا يقــدر الشاعر على الهروب منه ؛ وهو يتمنى ان يهرب لكن قدره يلاحقه اينما ذهب . ويتجسد قدر الشاعر وحشا رهيبا يسعى الى خنقه بعد ان افترس أصدقاءه ، ولا يجدي الشاعر هروب من الوطن المعشوق ، لان الحدود التي ظن انه سيبتعد عنها برحيله ، تعدو وراءه ، يقول :

هارب من الحدود التي افترست اصدقائي
والحدود تعود ورائي
الحدود تقترب
وتلامس حلقي(٤٦).

ويصطدم الشاعر بمأساة الواقع ، حيث تصبح كل مذبحة صورة لمأساة الوطن ، وتتكرر المذابح والمآسي ، فلا يعود هناك جديد يتوقع ، فيفقد الشاعر دهشته امام صور الدماء المتكررة ، وتضيع الطفولة منه ، لان الدهشة من سمات الطفولة التي ترى الاشياء عذراء . ويتجمد الشاعر حجرا بضياع دهشته ، فتصبح الطفولة الضائعة معادلة للحياة التي رحلت . ويتحول الوطن بابتعاد الشاعر عنه حلما مساويا للحقيقة في صدقه، ان لم يكن اكثر صدقا . ولعل الشاعر هرب من فساد الواقع الى الحلم حيث تتبدى الحقائق اكثر جمالا ، وكأنه بهذا يعيد خلق الواقع في عالم ما فوق الواقع ؛ يقول :

ويا أيها الوطن المتكرر في الاغاني والمذابح
كيف تتحول الى حلم وتسرق الدهشة
لتتركني حجرا
لعلك اجمل في صيرورتك حلما
لعلك اجمل(٤٧).

وتضيع هوية الشاعر باغترابه عن وطنه ، فيحاول ان يجسد شكلا صورة مرسومة في لاوعيه للوطن ، وكأنه بهذا يجد الانتماء الذي يحدد شخصيته . ولكن الشاعر يعيش صراعا مع القدر ، فتخطف قوة لا يعيها يده ، ويقف ضائعا لا يعرف هويته ولا مبدأ انتمائه ، يقول :

اريد ان ارسم شكلك
فتخطف السماء يدي
اريد أن ارسم شكلك
ايها المحاصر بين الريح والخنجر
اريد أن ارسم شكلك
كي اجد شكلي فيك(٤٨).

ويجد الشاعر هويته في ذكرياته عن الماضي ، ولكن الزمن مصمم حتـى على انتزاع الذكرى من اللاجئين ، فيصبح اللجوء والاغتراب هوية لهم ؛ يقول :

والذكريات هوية الغرباء احيانا ، ولكن الزمان
يضاجع الذكرى وينجب لاجئين ، ويرحل الماضي ،
ويتركهم بلا ذكرى . اتذكرنا ؟ وماذا لو تقول : بلى !
اتذكر كل شيء عنك ؟ ماذا لو نقول بلى ! وفي الدنيا
قضاة يعبدون الاقوياء(٤٩).

ولكن الذكريات تصبح وجها آخر للموت ، اذ أن الذكريات والموت هما وسيلة الرجوع الى وطن ، يتأرجح جريحا على حبل مشـنقة بين عدد لامتناه من الخناجر ، فيعود الشـاعر الى اكتشـاف نفسـه بالانتماء ؛ فيقول :

والذكريات تمر مثل البرق في لحمي ، وترجعني اليك ..
اليك . ان الموت مثل الذكريات كلاهما يمشي اليك ..
اليك ، يا وطنا تأرجح بين كل خناجر الدنيا وخاصرة
السماء(٥٠).

ويظل الشـاعر منقطع الجذور بدون تربة يزرع فيها فتمده بأسباب البقاء ، ويظل معلقا بين أرض غريبة وبين سماء غريبة ، ولا يبقى له سوى الاتحاد الكامل بالوطن المعشوق، فيقول :

لم يبق لي
الا ان اتشرد في ظلك الذي هو ظلي
ولم يبق لي
الا ان اسكن صوتك الذي هو صوتي(٥١).

وفي غمرة انفعال الشـاعر يكتسب الواقع بعدا أسطوريا فيعادل رمز بابل — المزروع في اللاوعي الانسـاني — صورة الوطن الذي اتحد الشـاعر معه ، فلا يعود الوطن حدودا جغرافية يعيش الشـاعر خارجها ، بل يصبح روحا حلت في الشـاعر ، ولذلك فهو معه اينما ذهب ؛ فيقول :

أيتها النوافذ البعيدة كالحب الاول
أنا لا اقيم في بابل
بابل هي التي تسكن تقاطيع وجهي
أينما ذهبت .
ويا أيتها النوافذ البعيدة كالحب الاول
أنا لست منفيا
في قلبي نفيت المنفى ، وذهبت(٥٢).

وتتشـعب حدود الوطن في جسم الشـاعر ، فتحفر خطوطها في جبينه وتحت عينيه، فيقول:

هذه الشقوق المحفورة في جبيني
ليست بصمات السنين
وهذه الخطوط الزرقاء تحت عيني
ليست دليلا على السهر مع النساء
انها الحدود التي تتشعب في جسمي(٥٣).

وتتجسد مأساة الوطن المحتل في القدس التي ضاعت هويتها ، وتقلبت كالحرباء متخذة في كل مرة صورة مختلفة من صور المأساة : فتتخذ صورة اله أسطوري عار ، وتتجسد فيها

آلام الجلجلة والصلب ، وتذوب معالم المأساة ، فتتحول الى فضاء ممتد لا تحد آلامه حدود ، فيقول :

نرسم القدس :
اله يتعرى فوق خط داكن الخضرة . أشباه عصافير
تهاجر .
وصليب واقف في الشارع الخلفي شيء يشبه
البرقوق والدهشة من خلف القناطر
وفضاء واسع يمتد من عورة جندي الى تاريخ شاعر(٥٤).

ويزيد من وقع المأساة ان الشعب يحقن بمورفين الامل الكاذب ، فتتسع الاحلام وترتفع، وبذلك يكون الوقوع الى أرض الواقع أكثر ايلاما . وتتحد مأساة اللجوء الفلسطيني بمأساة سقوط بابل ، فتتعمق المأساة وتتخذ بعدا جديدا ؛ فيقول الشاعر :

ونغني القدس :
يا أطفال بابل
يا مواليد السلاسل
ستعودون الى القدس قريبا
وقريبا تكبرون .
وقريبا تحصدون القمح من ذاكرة الماضي
قريبا يصبح الدمع سنابل .
آه ، يا أطفال بابل
ستعودون الى القدس قريبا
وقريبا تكبرون
وقريبا
وقريبا
هللويا
هللويا !(٥٥)

وتنتهي عند هذا « المزامير » السبعة عشر بما يشبه الصلاة ، ولكنها صلاة غير المؤمن الذي يتفوه بكلمات رددت على مسامعه ، وهو لا يصدقها ، ففقدت حرارة الايمان ، وتكثف وقع المأساة التي اقترنت بلون من الوان السخرية ساعد الشاعر على الارتفاع عنها وتخطيها .

ويواصل محمود درويش في قصائد الديوان الباقية تغنيه بالمعشوقة الارض ، ويتخطى الحب معناه الحصري الضيق ليصبح وسيلة لبث الحياة في الاشياء. ويصبح الحب معادلا للحياة ، لان الشاعر يحيا باسم المعشوقة بياتريس ، التي تمنحه بالحب الحياة ؛ فيقول في قصيدة « تقاسيم على الماء » :

احبك يوما
احبك قرب الخريف البعيد
تمر العصافير باسمي
طليقه
وباسمي يمر النهار
حديقه
وباسمك أحيــا
احبك يوما ،
وأحـــيا ..
وراء الخريف البعيد(٥٦).

وتتجلى بياتريس فيحجب نورها الاشياء ، وتستطيع بجمالها الالهي ان تحل المعجزة بأن تعيد الحياة للتربة العاقر فتنمو سنابر القمح ، وتمنح الحياة للانسان . وتزيح المعشوقة عن الارض موت الشتاء ، وتحلّ الحياة في الطبيعة ؛ فيقول الشاعر في قصيدة « قتلوك في الوادي » :

طلعت من الوادي
يقال تضاءل الوادي وغاب
وجمالها السري لف سنابل القمح الصغيرة
حل اسئلة التراب
هل تذكرون الصيف يا أبناء جيلي
يا كل ازهار الجليل
وكل ايتام الجليل
هل تذكرون الصيف يصعد من أناملها
ويفتح كل باب(٥٧).

وتبعث عشتروت ربيعا بعد كل مجزرة ، وتصعد صبية خضراء من نهر الدماء ، وتكون انبعاثا متكررا في الموت المتكرر ؛ فيقول :

ولتذكرينا ..
نحن نذكرك اخضرارا طالعا من كل دم
طين .. ودم
شمس .. ودم
زهر .. ودم
ليل ...ودم
وسنشتهيك —
وأنت طالعة من الوادي
ونازلة من الوادي
غزالا سابحا في حقل دم
دم
دم
دم(٥٨)

وتعود عشتروت التي قتلت في الوادي ، الى الحياة ويضيع الموت في ضجة الميلاد ، فتكتسي جسدا أثيريا الهيا وتحل في الوجود ؛ فيقول :

كبرت مراسيم الوداع
والموت مرحلة بدأناها
وضـــاع الموت
ضــاع ...
في ضجة الميلاد
فامتدي
من الوادي الى سبب الرحيل
جسما على الاوتار يركض
كالغزال المستحيل(٥٩).

ولكن الشاعر يعاني آلام الفراق والاغتراب ، ويصبح الموت وسيلة للجمع بين المحب والمعشوقة ، بعد أن عجزت الحياة عن الجمع بينهما . ولكن المحب لا يستطيع أن يصل حتى الى الخلاص بالموت ، لان عصورا تمتد بينه وبين الموت المخلص ، وتمتد بينهما آلام

الجلجلة والصلب . عندها يصبح كل طفل مسيحا، ويعاني الشاعر آلام الطفولة المعذبة، وهذا أقسى الوان العذاب ، لأن الطفولة تجسد البراءة والايمان ؛ فيقول :

بيني وبينك برهة في زي مشنقة
ولم اشنق .. فعدت بلا جبين
بيني وبين البرهة امتدت عصور ،
والمسيح
يلج الصليب ، ولا مسيح بلا صليب
اي طفل ليس في وطني مسيح(٦٠)!

ذلك ان الشاعر عانى آلام الطفولة المنفية المعذبة ، عندما وضعت مأساة عام ١٩٤٨ حدا لطفولته الهادئة . يوم غادر موطنه لاجئا الى لبنان ، قبل ان « يتسلل » عائدا الى الوطن ، فيصبح لاجئا فلسطينيا في فلسطين . ولم تعد طفولة الشاعر مجرد مرحلة من مراحل حياته ، لكنها ، على حد قوله « كانت وطني »(٦١). لان سعادة الطفولة ما قبل المأساة اتحدت في لاوعي الشاعر مع صورة الوطن ، عندما كان ملكا لابنائه قبل ان يغتصبه الاعداء .

أفاد محمود درويش من تجربته التي عاشها في العالم العربي في قصيدة الديوان الاخيرة « سرحان يشرب القهوة في الكافتيريا » ، بشكل خاص . وتمثل هذه القصيدة مأساة الفلسطيني التائه الذي يعاني آلام الرحيل والاغتراب ، حيث استعار الشاعر قصة الشاب الفلسطيني سرحان بشاره سرحان ، الذي اغتال روبرت كندي ، احد المرشحين لرئاسة الولايات المتحدة الاميركية — الذي كان يخوض معركته الانتخابية تحت شعار دعم دولة اسرائيل بالمال والسلاح — في الخامس من حزيران عام ١٩٦٨ . وقد اختار سرحان هذا اليوم بالذات ليؤكد للعالم انه فدائي ينتقم لآلاف الضحايا من ابنـــاء شعبه الفلسطيني ، الذين قتلهم الصهاينة بالاسلحة الاميركية . وأصبح سرحان في قصيدة محمود درويش رمزا للشعب الفلسطيني الذي يعاني آلام المنفى ، وعندما حمل السلاح لينتقم لشهدائه ويستعيد بلاده اتهم بأنه قاتل . ونلاحظ في القصيدة ان سرحان ولد وتربى في مطبخ سفينة . وتظل السفينة تمضي وتبتعد به عن وطن لا يعرفه . ويعيش سرحان آلام اللاانتماء : فهو معلق على خشبة بين البحر والسماء ، يبحث عن هويته ومعنى وجـــوده :

ولكن سرحان
قطرة دم تفتش عن جبهة نزفتها .. وسرحان قطرة دم
تفتش عن جثة نسيتها . وأين(٦٢)؟

ويصور محمود درويش خيبة أمله في الواقع العربي بعد أن عايش هذا الواقع لمدة سنة، وعلم ان المجتمع العربي ما زال مليئا بالمناهج القبلية . فباتت فلسطين ناقة يمتطيها ليصل الى السلطة ويحتفظ بالمراكز ، ولم تكن القدس سوى منبر للخطب الرنانة التي تحول الهزيمة انتصارا . ويتخذ اسم القدس وسيلة لبث السوداوية او اللهو والشماتة:

وما القدس والمدن الضائعه
سوى ناقة تمتطيها البداوة
الى السلطة الجائعة
وما القدس والمدن الضائعه
سوى منبر للخطابه
ومستودع للكآبه
وما القدس الا زجاجة خمر وصندوق تبغ(٦٣)...

وازاء هذا الواقع العربي الزري يعيش الشعب الفلسطيني بالاضافة الى مأساة الغربة عن الوطن المحتل مأساة الخيانة واللامبالاة العربية التي تلبس اثواب الوطنية والتقدمية محاولة بذلك ان تختفي وراء هذه الاقنعة الواهية ، فيبدو الواقع اكثر ايلاما . وتظل ارض الوطن تحت الاحتلال بينما تتلهى الانظمة العربية بالتساؤل عن جدوى القتال ، وتساوم — بقبولها مشاريع الحلول المستوردة — على بضعة امتار مما تعتبره أتربة ووحولا ، لانها عاجزة عن خط الفعل المحول :

وما الارض ؟ ما قيمة الارض ؟
أتربة ووحول ، نقاتل او لا نقاتل ؟ ليس مهما سؤالك
ما دامت الثورة العربية محفوظة في الاناشيد والعيد والبنك
والبرلمان(٦٤) .

هنا تتجسد مأساة الشعب العربي بالواقع الفاسد ، حين يفقد الوطن قيمته المعنوية ويصبح قطعة من أرض ، وحين يستغل اسم الثورة للتهرب من القتال ، وحين يتحجر معنى الثورة ويتحول من فعل يولد الانبعاث الى ستار تختفي وراءه العيوب ، فيمتنع الانبعاث الصحيح . ولكن هذه الارض ليست أتربة ووحولا للفلسطيني . هي جزء من ذاته : فعصير ثمارها يجري في شرايينه ، وحقولها محفورة في كفه ، ومساء كرملها يعيش في ذاكرته :

... ولكنها وطني
من الصعب ان تعزلوا
عصير الفواكه عن كريات دمي
ولكنها وطني
من الصعب ان تجدوا فارقا واحدا
بين حقل الذرة
وبين تجاعيد كفي
ولكنها وطني ..
لا فوارق بين المساء الذي يسكن الذاكرة
وبين المساء الذي يسكن الكرملا(٦٥) .

لكن مأساة الهزائم المتكررة ومهزلة التخاذل العربي المتمثل في البحث عن افضل العروض الدولية لاكتساب بضعة أمتار اضافية من «الاتربة والوحول» دفعت الشعب الفلسطيني الى أن يهب رافضا ان تكون الخيمة وطنا له وهوية ، ويذهب هو للقتال ليفتدي ارض الوطن :

وليست خيامك ورد الرياح ، وليست مظلات شاطىء
تدجج باعمدة الخيمة ، احترقي يا هويتنا — صاح لاجىء(٦٦) .

ولكن الفلسطيني الثائر لا يواجه حربا واحدة بل حربين ، لان « ما الفرق بين الغزاة وبين الطغاة »(٦٧) . ففي الوقت نفسه الذي يقاوم فيه الاحتلال ، عليه ان يخوض حربا ضد وجود التخلف في الداخل ، التي فرضت على الشعب العربي الهزائم المتواصلة ؛ « وحربك حربان . حربك حربان . سرحان !... »(٦٨) . لذا يتوجب على الانسان العربي ان يخلق الحضارة العربية الجديدة ، لان المعركة ضد الاحتلال الصهيوني ليست مجرد حرب ننتصر فيها او نهزم ، بل هي صراع حضاري طويل .
يبقى السؤال : ما هي قيمة ديوان « احبك او لا احبك » الفنية ، وماذا اضاف الى تجربة محمود درويش الشعرية ؟ لا شك في ان هذا الديوان يعتبر نقطة تحول جديدة في مسيرة محمود درويش الشعرية ، او هو تطوير للتحول الذي بدأ في « العصافير تموت

في الجليل » . فبعد ان تخلص الشاعر من القصائد العمودية في « العصافير تموت في الجليل » ، واعتمد وحدة التفعيلة في السطر الشعري ، حاول ان يزاوج بين الجملة الشعرية التي تعتمد التفعيلة والجملة النثرية التي لا تعتمدها في « احبك او لا احبك » ، كما هو واضح في « المزامير » . واعتمد في مواضع كثيرة من ديوانه الجملة الشعرية التي كتبها على صورة الكتابة النثرية ، بدلا من السطر الشعري ، وبخاصة في « المزامير » و« سرحان يشرب القهوة في الكافتيريا » .

عبر محمود درويش عن تجربته الفنية في هذا الديوان بقوله : « كنت شديد الحماس الى عدم التنازل عن التفعيلة ، ولكن ايماننا بالحداثة ، وقبولنا التنازل عن القافية ووحدة السطر قد يجرنا الى التنازل عن التفعيلة ايضا لان كل مبررات الشعر الحديث اذا سرنا بها حتى النهاية قد توصلنا الى اكتشاف عدم وجود قواعد ثابتة في الشعر ، على الرغم من كون التفعيلة قاعدة مهما قلنا فيها ، وقد نستغني عنها في يوم من الايام. هذا اذا كنا نؤمن ان الشعر ليس بناء لغويا فقط وليس قاعدة مقررة ، وانما هو حالة شعرية والحالة الشعرية قد يكون احسن وسائل التعبير عنها كلمات لا تفعيلة لها ، وقد يكون الزواج بين الجملة الشعرية ، كما هو شائع والجملة النثرية منتصف الطريق نحو الغاء التفعيلة نهائيا في يوم ما . أنا شخصيا احزن كثيرا عندما أتصور مستقبلا للشعر لا تفعيلة فيه ، ولكن حزني هذا قد يضحك الاجيال القادمة عندما يقودها التطور الشعري الى الاستغناء عن اشكال نعتبرها اليوم ثورية وستكون ذات يوم متخلفة . وبودي أن الاحظ هنا بعض بوادر أزمة الشعر العربي الحديث الذي بنى كل مبرراته على التحرر من اطر جاهزة ووجد نفسه في السبعينات أسير اطر جاهزة خلقها هو . ان الحرية لا تكون في التحرر من قيود الاخرين فقط ولن اكون حرا ما دمت اسير قيود خلقتها »(٦٩) .

من الملاحظ في هذا الحديث ان محمود درويش لم يستقر على راي حول « الشكل » الذي سيتخذه وسيلة للتعبير . وهو ضائع ، على ما يبدو ، بين اعتماد التفعيلة او الغائها ، او المزج بين الجمل الموزونة والجمل المنثورة . لذلك فهو يقع في بعض التناقض عندما يعتبر التفعيلة قاعدة يؤسفه التخلي عنها ، ويتحدث في الوقت نفسه عن « قيود » التفعيلة التي وقع الشعر الحديث أسيرا لها ، بعد أن تخلص من قيد وحدة البيت والقافية . ولعل الخطأ الذي وقع فيه محمود درويش هو أنه ينظر الى ما هو « شائع » ولا يعود الى الاصول النقدية الفلسفية التي تغني تجربة الشاعر بالثقافة الاصيلة . فليست جميع التجارب المختلفة التي يشهدها شعرنا الحديث صحيحة بالضرورة ، وبخاصة تلك التي تتحرر الى حد بعيد مما يسمى « بالقيود » ، فتنساح القصيدة وتتشتت ، وبالتالي تفقد وحدتها العضوية . ولعله يصح في هذا المجال العودة الى ما قاله الناقد البريطاني رتشاردز ، من « ان الكثير مما يمكن اداؤه بنجاح في الشعر يكون معيبا لو جاء نثرا لانه يكون حينئذ مفرطا في الذاتية والانفعال باعثا على الافكار والظنون الدخيلة . . . وحينما يصل الكلام الى اقصى درجات الدقة والصعوبة حينئذ يصبح الوزن الوسيلة الحتمية الوحيدة »(٧٠). من هنا تميل التجارب الشعرية التي تعتمد العاطفة القوية الى التعبير عن نفسها تلقائيا داخل اطار الوزن ، حتى أن بعض القطع النثرية الصادرة عن عاطفة قوية تحمل ايقاعا واضحا ، وتتخذ لنفسها وزنا في حالات كثيرة كنثر جبران مثلا .

أما من ناحية الصورة الشعرية فقد استطاع محمود درويش في ديوان « احبك او لا احبك » ان يصل الى الصورة الشعرية ذات الدلالات الرمزية وان لم يستطع ان يصل الى الرمز في أعلى مستوياته . فالصورة الرمزية في درجات ، لذلك يجب ان نفرق بين الصور التي تحمل قيمة رمزية لانها تحمل الكثير من المدلولات والتعقيدات وبين الرمز

الحقيقي الذي يمتاز بالحيوية والاستقلال وحرية الحركة داخل القصيدة . لنأخذ مثلا قصيدة الديوان الاخيرة « سرحان يشرب القهوة في الكافتيريا » ، التي يعتبرها الشاعر اكثر قصائده « حداثة وتعقيدا »(٧١). فمع ان الشاعر قصد ان تكون شخصية سرحان رمزا للشعب الفلسطيني فهو لم يستطع بلوغ الرمز من حيث هو صورة مستقلة تنفعل بذاتها وتنمو داخل القصيدة . ولم يستطع ان يتقمص شخصية سرحان ولذلك اعتمدت القصيدة السرد لا الفعل الدرامي ، فظل الشاعر يتدخل من الخارج ليحدثنا عن سرحان، ولم تظهر شخصية سرحان بذاتها كصاحب فعل في القصيدة . ولم يستطع محمود درويش ان يتخلص من التعبير المباشر في مواضع كثيرة من مجموعته الشعرية هذه كأن يقول مثلا : « وسرحان متهم بالضياع وبالعدمية »(٧٢)، و« سرحان لا يقرأ الصحف العربية. .لا يعرف المهرجانات والتوصيات.فكيف اذن جاءه الحزن. .كيف تقيأ؟ »(٧٣)، و« جراحك مطبعة للبلاغات والتوصيات ، وباسمك تنتصر الابجدية ، باسمك يجلس عيسى الى مكتب ويوقع صفقة خمر واقمشة ويحيي العساكر باسمك »(٧٤).

كذلك ، ومع ان محمود درويش استغل في مجموعته هذه ، الاشارات الاسطورية ، فهو لم يستطع أن يعيد خلق الاسطورة ، ويكسبها معاني جديدة اذ أن الاسطورة التي تعبر عن حقائق النفس البشرية ، توحد بين العيني والمطلق ، وترتفع بالتجربة الشعرية من الفردية الى الحقيقة الانسانية الخالدة . فالشاعر وان استطاع ان يتحد مع الوطن في مواضع كثيرة — أشرنا الى بعضها — في ديوانه ، فانه لم يستطع ان يجعل من هذا الوطن اسطورة . وان تخطى التجربة الفردية الى القومية وشارف التجربة الانسانية المطلقة ، فانه لم يبلغها .

لكن هذه الاحكام لا تغض من قيمة ديوان « احبك او لا احبك » . فهذا الديوان الذي يمكن اعتباره تحولا ملحوظا في مسيرة محمود درويش الشعرية ، هو بداية انطلاق الشاعر نحو آفاق جديدة من الصعب ان نعرف الان الى أي مدى ستصل به . وقد حكمت على هذه المجموعة الشعرية بالمعايير النقدية نفسها التي يحكم بها على أي شاعر عربي آخر ، لايماني ان الشعر الفلسطيني ليس ظاهرة منقطعة عن تيار الشعر العربي الحديث ، بل هو جزء من هذا التيار . ومن البديهي ان محمود درويش ليس من جيل رواد الشعر العربي الحديث كالسياب والحاوي والبياتي وادونيس وعبد الصبور ، ولذا فنحن نتجنى عليه اذا حاولنا ان نجد له مكانا بينهم . ولكنه من الجيل الثاني من شعراء التيار الحديث ؛ هذا الجيل الذي ما زال يبحث عن طريق : فهو تارة يقتفي آثار الرواد ، وطورا يحاول اشكالا جديدة من خلال قراءاته للشعر العالمي . ولكن المهم ان محمود درويش اكتسب تجربة نضالية وفنية جديدة ظهرت بوضوح في مجموعته الشعرية الاخيرة ، فبلغ فيها مستوى لم يبلغه في قصائده التي نظمت في الوطن المحتل. لان وجوده في العالم العربي فتح امامه مجال الاستفادة من تجربة الشعراء الرواد في الادب الحديث ، ومواكبة النشاط الادبي العربي والعالمي بشكل مباشر ، فضلا عن الابعاد النضالية الجديدة التي اغتنت بها تجربته الشعرية . ولا تعد السنة او السنتان كثيرا في مسار التجارب الشعرية . وأرى أن أمام محمود درويش آفاقا واسعة في الشعر يستطيع ان يصل اليها بموهبته ، اذا انكب على تعميق ثقافته الفلسفية والنقدية ، وواصل تكثيف تجربته النضالية ، فيكون ما عرف « بقضية خروج محمود درويش » انبعاثا جديدا للشاعر .

---

١ — جريدة **الانوار** ، بيروت ، ١٩٧١/٢/١٠ ، ص ١ .

٢ — جريدة **الانوار** ، نص البيان الصحفي الذي تلاه محمود درويش ، بيروت ، ١٩٧١/٢/١٢ ، ص ٦ .

٣ — م. ن. ، البيان .

٤ — م. ن. ، البيان .

٥ — مجلة **الصياد** ، بيروت ، ١٩٧١/٢/٢٥ ،

ص ٦٠ — ٦١ .
٦ — مجلة **الجديد** ، بيروت ، ١٩٧١/٤/٢ ، ص ٣٤ .
٧ — م. ن. ص ٣٢ .
٨ — علي جواد الطاهر ، مجلة **الاداب**، بيروت، ايار ، ١٩٧١ ص ١٤ .
٩ — مجلة **الطريق** ، بيروت ، تشرين الثاني ، كانون الاول ، ١٩٦٨ ، ص ١٣ .
١٠ — م. ن. ص ٢٤ .
١١ — م. ن. ص ١٠ . لعل هذا الاتجاه ظهر اوضح ما ظهر في اجابات بلند الحيدري وجورج غانم وفؤاد الخشن .
١٢ — احمد عبد المعطي حجازي ، مجلة **روز اليوسف** ، ١٩٧١/٢/٢٢ ، ص ٤٤ .
١٣ — **الانوار** ، بيانه الصحفي .
١٤ — م. ن. البيان .
١٥ — محمود درويش ، مجلة **الاداب** ، مــن مقاله بعنوان « انقذونا من هذا الحب القاسي » آب ١٩٦٩ ، ص ٥ .
١٦ — **الاداب** ، حديث مـع سميح القاسم ، تشرين الاول ، ١٩٧٠ ، ص ٥ .
١٧ — نشرت مجلة **الاداب** هذه المقالة في عددهـا الصادر في شهر آب ١٩٦٩ .
١٩ — مجلة **الاسبوع العربي** ، حديث لمحمــود درويش ، بيروت ١٩٧٢/٣/١٣ ، ص ٤٦ .
١٩ — مجلة **الطريق** ، ع. ن. ص ٥٧ .
٢٠ — م. ن. ص ٥٤ .
٢١ — محمود درويش ، **عصافير بـلا أجنحة** ، بيروت ، دار العودة ، لا. ت. . مقدمــة الشاعر للديوان ، ص ٥ .
٢٢ — م. ن. ص ٢١ — ٢٢ .
٢٣ — مجلة **الطريق** ، ع. ن. ، ص ٥٥ .
٢٤ — م. ن. ص ٥٥ .
٢٥ — يوسف الخطيب ، **ديوان الوطن المحتل** ، دمشق ، دار فلسطين ، ١٩٦٨ ، ص ١٣٦ .
٢٦ — م. ن. ص ١٣٦ .
٢٧ — مجلة **الطريق** ، ع. ن. ص ٥٦ .
٢٨ — **ديوان الوطن المحتل** ، ص ١٩٠ .
٢٩ — مجلة **الطريق** ، ع. ن. ص ٥٦ .
٣٠ — م. ن. ص ٥٦ .
٣١ — م. ن. ص ٥٦ — ٥٧ .
٣٢ — م. ن. ص ٦٠ .
٣٣ — « **ديوان الوطن المحتل** » ، ص ٢١٦ .
٣٤ — مجلة **الطريق** ، ع. ن. ص ٥٧ .
٣٥ — « **ديوان الوطن المحتل** » ، ص ٢٢٥ .
٣٦ — مجلة **الطريق** ، ع. ن. ، ص ٥٧ .
٣٧ — راجع مثلا قصيدة « سقوط المطر » فـي مجموعة « **يوميات جرح فلسطيني** » ص ١١ ، وراجع القصيدة نفسها في « **العصافير تموت في الجليل** » ص ٥٦ . وقصيدة « ريتا أحبيني » في « **يوميات جرح فلسطيني** » ص ٧١ ، وراجع القصيدة نفسها في «**العصافير تموت في الجليل**» ص ٣٩ . وقصيدة «العصافير تموت في الجليل» في الديوان الذي يحمل هذا الاسم ص ١٨ ، والقصيدة نفسها التي اطلق عليها ناشر ديوان « يوميات جرح فلسطيني » اسم « العصافير تموت في الجليل » ص ٨٥ . ليس هذا حصرا للاخطاء ، وانما هذه امثلة قليلة .
٣٨ — مجلة **الاداب** ، ايلول ١٩٧٠ ، ص ٦ . وقد نشر الحديث في كتاب يحمل اسم محمــود درويش ، وهو بعنوان « **شيء عــن الوطن** » نشرته دار العودة ، عام ١٩٧١ . ولكنها حذفت هذه الفترة التي جاءت في اخر الحديث ، لان دار العودة هي التي أصدرت دواوين الشاعر التي لم يقف على اصدارها ، كما قامت بجمع بعض مقالاته التي كتبها في فلسطين المحتلـة والمقابلات التي اجريت معه في هذا الكتاب الذي اطلقت عليه اسم « شيء عن الوطن » .
٣٩ — م. ن. ص ٤ — ٥ .
٤٠ — م. ن. ص ٤ .
٤١ — محمود درويش ، **العصافير تموت فـي الجليل** ، دار الاداب ، بيروت ، ١٩٧٠ ، ص ٤٢ — ٤٣ .
٤٢ — جريدة **الانوار** ، البيان .
٤٣ — مجلة **الدستور** ، حديث لمحمود درويش، بيروت ، ١٩٧٢/٣/١٣ ، ص ٤٧ .
٤٤ — مجلة **الاسبوع العربي** ، ع. ن. ص ٤٨.
٤٥ — محمود درويش ، **احبك او لا احبك** ، دار الاداب ، بيروت ، ١٩٧٢ ، ص ٩ .
٤٦ — م. ن. ص ٥٣ .
٤٧ — م. ن. ص ١٤ — ١٥ .
٤٨ — م. ن. ص ١٤ .
٤٩ — م. ن. ص ٣٠ — ٣١ .
٥٠ — م. ن. ص ٣١ .
٥١ — م. ن. ص ٤٢ .
٥٢ — م. ن. ص ٤٦ .

٥٣ — م٠ ن٠ ص ٥٤ ٠
٥٤ — م٠ ن٠ ص ٥٨ ٠
٥٥ — م٠ ن٠ ص ٥٩ — ٦٠ ٠
٥٦ — م٠ ن٠ ص ٨٥ — ٨٦ ٠
٥٧ — م٠ ن٠ ص ٩١ ٠
٥٨ — م٠ ن٠ ص ٩٩ — ١٠٠ ٠
٥٩ — م٠ ن٠ ص ١٠٦ ٠
٦٠ — م٠ ن٠ ص ١١٩ ٠
٦١ — مجلة **الطريق** ، ع٠ ن٠ ص ٥٢
٦٢ — **احبك او لا احبك** ، ص ١٥٣ ٠
٦٣ — م٠ ن٠ ص ١٥٦ ٠
٦٤ — م٠ ن٠ ص ١٥٩ ٠
٦٥ — م٠ ن٠ ص ١٥٦ — ١٥٧ ٠
٦٦ — م٠ ن٠ ص ١٦١ ٠
٦٧ — م٠ ن٠ ص ١٦٣ ٠
٦٨ — م٠ ن٠ ص ١٦٣ ٠
٦٩ — جريدة **صدى لبنان** ، حديث مع محمود درويش ، بيروت ١٩٧٢/٢/٢٩ ، ص ٦ ٠
٧٠ — انور ارمسترنج رتشاردز ، **مبادىء النقد الادبي** ، ترجمة مصطفى بدوي ، القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، ١٩٦٣ ، ص ٢٠١ ٠
٧١ — مجلة **الاسبوع العربي** ، م٠ ن٠ ص ٤٧ ٠
٧٢ — **احبك او لا احبك** ص ١٥١ ٠
٧٣ — م٠ ن٠ ص ١٥٥ ٠
٧٤ — م٠ ن٠ ص ١٥٩ — ١٦٠ ٠

# التربية الثورية الفلسطينية

باسم سرحان

**هذا تصور شخصي مثالي لما يرى صاحبه ، مسؤول قسم التربية في مركز التخطيط في م. ت. ف. ، لما يجب ان يكون عليه التعليم الفلسطيني في ظل الحرب الشعبية طويلة الامد . وهو لا يعكس استراتيجية مركز التخطيط حول التعليم الفلسطيني . وهو تصور اولي وهناك مجال واسع لتعميقه وتعديله وتفصيله . ولكنه يشكل ارضية ملائمة للنقاش في اوساط الثورة الفلسطينية حول كيفية الوصول الى خلق تربية ثورية وحول مضمون هذه التربية .**

لقد هب الشعب الفلسطيني المشرد قبل انطلاق الثورة الفلسطينية مرات عديدة مطالبا بحق ابنائه في تربية وطنية عربية فلسطينية . وكانت تلك الانتفاضات الجماهيرية في الاقطار العربية المضيفة موجهة بشكل خاص نحو نظام التعليم وبرامج التدريس المتبعة في مدارس وكالة هيئة الامم المتحدة (الاونروا). وكانت تلك الانتفاضات تأخذ أشكالا مختلفة منها منع الاولاد من الذهاب الى المدارس لفترة معينة ، ومهاجمة المدارس وتحطيم بعض أجهزتها ، ورفع عرائض للمسؤولين في الاونروا وللمسؤولين عن شؤون اللاجئين . أما المطلب الاساسي الذي كان يتكرر في كافة الانتفاضات الشعبية فكان ادخال مادة التاريخ وجغرافية فلسطين في مناهج التعليم المعطاة لابناء فلسطين وتدريسهم القضية الفلسطينية مع التركيز على دور الحركة الصهيونية والاستعمار في سلبهم وطنهم . والهدف الكامن وراء هذا المطلب هو سعي الفلسطينيين وتصميمهم على المحافظة على الشخصية الفلسطينية وابقاء القضية الفلسطينية حية في نفوس أبنائهم حتى يتم التحرير والعودة .

اما بعد انطلاق الثورة فقد ازداد ضغط الجماهير الفلسطينية من أجل تحقيق تربية وطنية فلسطينية ، ثم تم دفع ذلك المطلب خطوة الى الامام حين اخذ بعض الممارسين في الثورة يتحدثون عن ضرورة ايجاد تربية ثورية فلسطينية . ورغم كل الجهود التي بذلتها الجماهير الفلسطينية ، والاراء التي اخذت تتردد في اوساط الثورة والتي تبلور بعضها وبرز عبر انشاء قسم للتخطيط التربوي ( لتربية ثورية فلسطينية ) في مركز التخطيط التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية ، رغم كل ذلك فان المطلب الفلسطيني الاساسي في تربية وطنية ما زال بعيدا عن التحقيق ، دع جانبا مطلب تربية ثورية . ولا يعود عدم تحقيق التربية الوطنية والثورية الى تقصير ذاتي في الثورة او الجماهير ، وانما يرجع الى الوصايات العربية والدولية المختلفة والمتضاربة المفروضة على تربية الفلسطينيين وتعليمهم . يضاف الى هذه الوصايات الوصاية الاسرائيلية التي فرضت بعد احتلال قطاع غزة والضفة الغربية عام ١٩٦٧ .

وانا اعتقد انه لا غنى للثورة الفلسطينية لكي تنمو وتتقدم على طريق النصر — عن تربية ثورية تعطى للاجيال الفلسطينية في كافة اقطار تواجدها . وسأحاول في هذا المقال ان أضع تصورا للتربية الثورية الفلسطينية ، وهذا التصور يعكس ما يجب ان تكون عليه

تلك التربية بغض النظر عن اعتبارات الوصاية العربية الحالية وبغض النظر عن العقبات والعراقيل القائمة حاليا في وجه تطبيق اي مقدار من التربية الوطنية او الثورية الفلسطينية ، وهي عقبات تغلف عادة باتهام كل من ينادي بتربية فلسطينية بالنزعة الاقليمية . وان الهدف من وضع هذا التصور هو دفع الثورة على تبنيه او تبني تصورا مماثلا له حيثما وحينما تستطيع . وتصوري للتربية الفلسطينية هو عبارة عن مفاهيم أساسية أجدها لازمة وضرورية لاي تربية فلسطينية وطنية وثورية . وقد يرى البعض ان هذا التصور ضرب من الخيال ضمن الظروف السياسية والاجتماعية الفلسطينية والعربية الحالية . قد يكون ذلك صحيحا ، ولكنه يصبح غير صحيح عندما ننظر الى المستقبل البعيد والى الاجيال القادمة متخطين الواقع العربي والفلسطيني السيء . ان هذا التصور أساسا هو نظرة تفاؤل وايمان بالمستقبل . وانا لا أرى بتاتا استحالة تطبيقه مستقبلا .

## الحاجة الى تربية فلسطينية

لا بد من التحدث اولا عن دواعي وجود تربية فلسطينية قبل ان نتحدث عن شكل ومضمون هذه التربية . من الامور البدهية ان يكون لكل شعب نظامه التربوي الخاص به . ولكن هذا الامر البدهي يشكل مسألة حياة او موت بالنسبة للشعب الفلسطيني الذي يعيش خارج ارضه والذي انقسم الى مجموعات بشرية كبيرة منعزلة جغرافيا ولا يوجد تفاعل مادي يومي بينها ، وان كان يوجد بينها تفاعل عاطفي ومعنوي شديد . ان هذا التشتت الجغرافي يهدد عدة مقومات للشعب الفلسطيني كشعب واحد أهمها الشخصية الفلسطينية المميزة ، والتراث الفلسطيني ، ووحدة التصور والعمل في سبيل التحرير واعادة بناء المجتمع الفلسطيني . كل هذه المخاطر تجعل وجود تربية فلسطينية امرا ذا أهمية قصوى ، لان التربية الفلسطينية يمكن ان تلعب دورا حاسما في المحافظة على الشخصية الفلسطينية وفي احياء التراث الفلسطيني والمحافظة عليه ، وفي تحديد تصور واحد وممارسة موحدة لدى معظم الفلسطينيين حول النضال الفلسطيني والمجتمع الفلسطيني .

ومن الدواعي الاخرى لوجود تربية فلسطينية خلق او تكوين انسان فلسطيني جديد قادر على النضال الطويل وعلى المساهمة الفعالة في انجاح عملية التحرير . ان خلق الانسان الفلسطيني الذي يحمل هذه المواصفات لا يأتي ارتجالا او عفويا ، وانما يأتي عبر عملية بناء شاقة وطويلة تلعب التربية الثورية فيها دورا أساسيا . ان المجتمعات لا تتكون « بالطبيعة » وانما تخضع لعملية تكوين موجهة تتخللها صراعات وتفاعلات عديدة تصل بالنهاية الى « شكل ما » او « ترتيب ما » للمجتمع لكن هذا « الشكل » او « الترتيب » ما يلبث ان يتغير تدريجيا بفعل القوى الجديدة او ينهار كلية بفعل التغير الثوري العنيف. وبالتالي اذا اردنا مجتمعا فلسطينيا يتوجه بكليته للنضال والتحرير فلا بد من الدخول في صراع كبير مع انفسنا ومع محيطنا الخارجي لبناء مثل هذا المجتمع . ان استمرار الثورة الفلسطينية واستمرار الرفض الفلسطيني حتى الوصول الى التحرير مسألة تحتاج الى جهود في كافة المجالات بشكل عام وفي مجال التربية وبناء الاجيال بشكل خاص . فاذا اردنا انسانا فلسطينيا ثائرا علينا ان نخلق هذا الانسان . والانسان حيوان اجتماعي وهو نتاج مجتمعه او بيئته . ويتكون الانسان كحيوان اجتماعي له شخصيته وافكاره الخاصة ويتبع عادات معينة وسلوك محدد من خلال عملية « التكييف الاجتماعي » ، أي تكييف الفرد على العيش في مجتمع ما ضمن تقاليد وأنماط يحددها المجتمع . والمؤسسات التي تكون مسؤولة عن عملية « التكييف الاجتماعي » تتفاوت في المجتمعات المختلفة التعقيد ، لكنها أساسا العائلة او البيت ، والمدرسة ، والكنيسة او النظام الديني ، والدولة ( من خلال الجيش او الحزب ) . وفي كل او بعض هذه

المؤسسات يتكون لدى الفرد اطار مرجعي يعود اليه في تصرفاته وفي اتخاذ قراراته حول الاقدام على عمل ما او الاحجام عنه . وبالتالي نرى أن تكوين الانســان الفلسطيني كحيوان اجتماعي له صفات وتوجهات ومسؤولية معينة تقع في الدرجة الاولى على عاتق الثورة الفلسطينية وفي الدرجة الثانية على عاتق العــائلة الفلسطينية . ان هاتــين المؤسستين تتحملان مسؤولية تقديم تربية متكاملة للاجيال الفلسطينية ترتبط ارتباطــا وثيقا بواقع الشعب الفلسطيني واهدافه . المجتمعات المستقرة تعمل على بناء اجيال تساهم في تنميتها الاقتصادية وفي تطوير نفسها حضاريا وثقافيا . وهي تعمل من خلال نظمها التعليمية على خلق المهارات والكفاءات اللازمة لدفع عجلة انتاجها الى الامــام ولرفع مستواها الاقتصادي . وقد كان هذا حال الفلسطينيين الذين عاشوا في مجتمعات عربية مستقرة وانخرطوا في نظمها التعليمية . ان نظم التعليم العربية موجهة لخلــق المهارات والكفاءات التي تفيد في عملية التنمية الاقتصادية للدول العربية . وقد اكتسب الفلسطينيون خلال ربــع قرن العديد من المهــارات التي تصلح لمجتمعــات مستقرة ، وخاصة مهارات الطبقة الوسطى كالمحاسبة والتجارة والتدريس واللغــات والترجمة والعلوم الاقتصادية والسياسية والقانون ، وساهموا من خلال مهاراتهم في بناء وتطوير عدة مجتمعات عربية . ولكن نصف الشعب الفلسطيني مشرد ومشتت خــارج ارضه والنصف الثاني على أرضه ولكن تحت الاحتلال .

وبالتالي لا يعقل ان يستمر كل الفلسطينيين في اكتساب مهارات التنمية ولا يتوجه اي جزء منهم نحو اكتساب المهارات التي تتطلبها عملية التحرير . ان الفلسطينيين بحاجة لانتاج الانسان القادر على المساهمة في التحرير اكثر من حاجتهم لانتاج الانسان القادر على ادارة مصرف او مصنع او مزرعة . ولذلك ارى ان يستمر الشعب الفلسطيني في فرز اجزاء منه لمتابعة اكتساب مهارات التنمية لاستخدامها في بناء المجتمع الفلسطيني بعد التحرير ودعم صمود المجتمع الواقع تحت الاحتلال ، وان يقوم في الوقت نفسه بفرز اجزاء اخرى لاكتساب المهارات التي تساهم في عملية التحرير . وعلى الثورة ان تعمل في مجالي تعليم هما مجال التعليم في الدول العربية ومجال التعليم التابع لها مباشرة مثل مدارس ابناء الشهداء ومدارس الثورة التي لا بد وان ترى النور في المستقبل القريب . ومن المفترض الا تختلف استراتيجية الثورة الفلسطينية في مجالي التعليم المذكورين الا فيما يتعلق بجانب التطبيق العملي بالنسبة لمدارس الثورة ( كالعمل والانتاج معــــا ، والتدريب العسكري المكثف ، والتدريب المهني الخاص باحتياجات الثورة ) . اما جوهر التربية في الحالتين فيبقى جوهر تربية عربية تقدمية تتماشى مع المشاكل السيــاسية والاجتماعية والحضارية والتقنية التي تواجهها الامة العربية . وهكذا فــان خاصيــة التعليم الفلسطيني لا تجعله تعليما اقليميا منعزلا عن مشاكل المجتمع العربي الكبير ، وانما تجعله رائداً للتعليم العربي القومي . ويكون نظام التعليم الفلسطيني موجهــا نحو التحرير بشكل يخدم اهداف الشعب الفلسطيني ومتطلبات حرب التحرير الشعبية التي سيخوضها ذلك الشعب . وعلى الثورة ان تضغط من أجل ادخال الفكر الثوري على نظم التعليم العربية التقليدية والتي تستوعب قطاعا كبيرا من ابناء فلسطين . بهذه الاستراتيجية المزدوجة في بناء الانسان الفلسطيني والعربي تستطيع الثــورة الاعداد لدخول مرحلة حرب التحرير الشعبية طويلة الامد . وانا لا ارى امكانية قيام حرب تحرير شعبية طويلة الامد وناجحة بدون خلق الثورة لنظام تربية وتعليم فلسطيني محــدود وسيطرتها عليه سيطرة تامة ومطلقة . وقد يقول البعض ان بناء انسان فلسطيني يتقن مهارات تصلح للقتال والتحرير سوف يخلق تناقضا مع محيطه المستقر (الدول العربية) الذي يحتاج الى مهارات تصلح للتنمية . ولكن هذا القول مردود لسببين : اولهما انه على المجتمع العربي الكبير ان يتفهم ويتقبل ويساعد على بناء ووجود الانسان الفلسطيني الذي يتقن مهارات تصلح للتحرير وليس للتنمية . وثانيهما ان على المجتمع العربــي

نفسه أن يفرز الالاف من أبنائه الذين يتقنون مهارات تصلح للتحرير لان معركة التحرير هي معركة قومية وليست معركة اقليمية ، ولانه لا تحرر عربي طالما هناك جزء من الجسم العربي يرزح تحت الاحتلال .

## بعض مفاهيم التربية الثورية

الهدف الاساسي للتربية الوطنية ، كما ذكرنا ، هو الحفاظ على الشخصية الفلسطينية وربط الانسان الفلسطيني بارضه وتراثه . أما الهدف الاساسي للتربية الثورية فهو خلق الانسان الفلسطيني والعربي الجديد ( أي الانسان الثائر والقادر على مواجهة التحدي الصهيوني وتحمل اعباء التحرير واسترداد الارض المغتصبة ) . وبالطبع فان التربية الثورية ترتكز على التربية الوطنية . وان أية تربية تقدم للانسان الفلسطيني يجب ان تكون تربية متكاملة ، أي تربية تهتم بكافة جوانب شخصية وحياة ذلك الانسان .
ان خلق الانسان الثوري لا يتم بتدريبه على السلاح فقط ، ولا بتثقيفه وتوعيته سياسيا فقط ، ولا باعطائه أية مهارة أو فن يخدم الثورة فقط ، وانما يتم بتغييره اجتماعيا تغييرا جذريا بحيث يحمل هذا الانسان روح وفكر وعقل وقيم واخلاق ومهارات الثوري الذي سيصنع حرب تحرير شعبية . ان هذا العبء ليس بالبسيط ابدا . فالنظم التربوية في الدول المستقرة تتناول جانبا او جانبين من هذه الجوانب ، بينما على الثورة ان تهتم بكل هذه الجوانب . لقد كتب الكثير وقيل الكثير عن ولادة الانسان العربي الجديد بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ . ولكن الحقيقة ان الانسان العربي الجديد لم يولد بعد لان القيم الاجتماعية والفكر الاجتماعي والسلوك الاجتماعي الذي ادى الى الهزيمة ما زال سائدا عند الجماهير الفلسطينية والفكر الاجتماعي والسلوك الاجتماعي الذي ادى الى الهزيمة ما زال سائدا عند الجماهير الفلسطينية والعربية ـــ ما عدا استثناءات هنا وهناك وخاصة في صفوف الثورة الفلسطينية . ان على الثورة الفلسطينية وعلى قوى الثورة العربية ان تقوم بتحطيم القيم الاجتماعية العربية التي ادت الى الهزيمة من اجل بناء الانسان الجديد الذي يحمل قيما ستقود حتما الى النصر .
القيم الاجتماعية تصبح حقائق اجتماعية تؤثر على السلوك الانساني وعلى علاقات الناس بعضهم ببعض . والحقائق الاجتماعية تميل الى الاستمرار حتى بعد فقدان مبررات وجودها ودورها الاجتماعي . وهي لا تسقط الا بعد خلق حقائق اجتماعية جديدة تنمو تدريجيا لتحل محل الحقائق القديمة . وهناك العديد من الحقائق الاجتماعية المتوارثة منذ مئات السنين والتي يفترض في الثورة الفلسطينية والقوى الثورية ان تتحداها لكي تخلق مكانها حقائق اجتماعية جديدة تتلاءم مع طبيعة التحدي الذي تواجهه الامة العربية . وان اكبر تحد يواجه القوى الثورية العربية وخاصة الثورة الفلسطينية هو تغيير معايير المكانة الاجتماعية ـــ والتي هي حاليا العائلة والمال والعلم والمهنة ـــ واحلال معايير جديدة للمكانة الاجتماعية خاصة بالنسبة للفلسطينيين وهي : الالتزام ، خدمة الجماهير ، والتعلم من أجل تلبية متطلبات الثورة وليس من اجل تحسين الوضع الفردي . فالانسان الذي يحترم ويقدر اكثر في المجتمع هو الانسان الذي يعمل اكثر منه لخدمة الثورة والذي يخدم الجماهير والذي يختار موضوع دراسته ( خاصة الدراسات العليا ) على ضوء حاجات الثورة . ومن التحديات الاخرى امام الثورة رفض ضغط العائلة على الفرد ، رفض اضطهاد الكبار للشبان ، اطلاق المجال امام حرية التفكير والتعبير والمناقشة ، مساواة المرأة بالرجل فعلا وعملا لان المرأة تشكل طاقة بشرية لا غنى عنها في حرب التحرير الشعبية ولانها تلعب دورا هاما في اكمال عملية التربية اذ تتولى من خلال عملها البيتي ، خلق الروح الجماعية والقضاء على الروح الفردية والانانية قضاء مبرما . اما كيف يتم خلق هذه الحقائق الاجتماعية الجديدة فنقول بكل بساطة ان على الطلائع الثورية ان تخلقها . ودور الطلائع الثورية ـــ سواء

من المقاتلين او المعلمين او المسؤولين السياسيين ــ هو اتباع سلوك جديد في حياتهم اليومية وفي علاقاتهم بالاخرين ومقاومة الضغط الاجتماعي الذي سيواجهه سلوكهم الجديد الى أن يتغلب سلوكهم الجديد على الانماط السابقة ويصبح هو النمط السائد .

وفي هذا المجال تقع على المعلم الثوري مهمة مزدوجة اذ عليه اتباع السلوك الجديد والدفاع عن هذا السلوك في محيطه وبيئته ثم تلقين القيم الجديدة والسلوك الجديد الذي تمليه لتلاميذه . وعلى المعلم ان يطرح للمناقشة مع تلاميذه وبشكل مستمر كافة الظواهر والتصرفات الاجتماعية التي تتحكم بمجتمعهم ثم عليه ان يطرح الافكار الجديدة والقيم الجديدة .ونحن نرى انه بدون هذا التغيير الاجتماعي الجذري لن تكون هناك حرب تحرير شعبية قادرة على الصمود عشرات السنين . لكن هذا القول لا يعني ان التغيير الاجتماعي يجب أن يتم اولا بشكل متكامل لكي تبدأ حرب التحرير الشعبية . فالصحيح هو أن مقدارا كبيرا من التغيير الاجتماعي ومن خلق الحقائق الاجتماعية الجديدة يأتي من خلال الممارسة الثورية ومن خلال مسيرة حرب التحرير الشعبية . وعلى كل حال يبقى للتربية الثورية دور اساسي في خلق الارض الخصبة الملائمة للثورة ونفسية الثوار .

وأنا أرى ان أي تربية ثورية فلسطينية يجب أن ترتكز على الاسس التالية :

١ ــ التركيز على تفتيح الذهن واعطاء نمط تفكير معين اكثر من تركيزها على تزويد الطلاب بمعلومات . فرغم ان كلا الجانبين مهم ، فان الجانب الاول اكثر اهمية لانه متى تفتح ذهن الطالب واكتسب نمط تفكير وبحث جيد يمكنه الحصول على المعلومات التي تتوفر عادة بشكل غير محدود .

٢ ــ القضاء على فكرة ان من يفشل في العلم ( أي في تحصيل الشهادات ) يفشل في الحياة . والعمل ، بدلا من ذلك ، على ترسيخ فكرة ضرورة خدمة الثورة حسب مقدور كل انسان عقليا وجسديا . فليس هناك فشل في المجتمع الفلسطيني لان الثورة قادرة وبحاجة الى استيعاب جهد كل فلسطيني. والفاشل في المجتمع الفلسطيني هو من لا يقوم بخدمة ثورته وشعبه مباشرة . ويكون شعار التربية الثورية : « اخدم الثورة بأفضل طريقة ممكنة » .

٣ ــ القضاء على الانانية الفردية بدون القضاء على المواهب الفردية . والعمل على توجيه المواهب والقدرات الفردية لكي تكون في خدمة المجموع . كذلك افهام الطلاب انه لا يوجد أي انجاز يمكن تسميته بانجاز فردي ( أي يعود الفضل به الى فرد واحد ) . اذ ان أي انجاز ، حتى الذي يعتمد ظاهريا الى حد كبير على فرد واحد ، هو في الواقع نتاج مجهود انساني كبير . فكل علم او معرفة مبنية على علم او معرفة سبقتها .

٤ ــ انفتاح المعلم على طلابه والتقرب منهم كثيرا . ولا داعي لخوف المعلم من فقدان الاحترام نتيجة لذلك . فعلى المعلم أن يكسر كل الحواجز القائمة بينه وبين طلابه لكي يساعد على نمو شخصيتهم المستقلة الجريئة ، بحيث يمكنهم من المشاركة في حركة ثورية شعبية ديمقراطية بدل ان يكونوا جنودا يرتجفون امام قائدهم وينفذون الاوامر بلا وعي . وهذه المشاركة في الثورة تساعد على المحافظة على مسيرة الثورة وخطها الاساسي وترسخ اقدام المقاتل الفلسطيني وتعطيه قوة نضالية هائلة .

٥ ــ تعويد الفرد على قبول ان يتعلم ما تطلبه منه الثورة لا ان يتعلم ما سيؤمن له حياة خاصة رغيدة . وهذا يتطلب من الثورة القيام بتقدير لاحتياجاتها البشرية والفنية كل عدة سنوات او كل مرحلة من المراحل .

٦ ــ توثيق علاقة المعلم بأهالي طلابه من أجل تأمين تربية متكاملة وغير متناقضة ، ولاحداث انسجام بين التربية البيتية والتربية المدرسية .

٧ ــ افهام الطلاب ان كل حقيقة اجتماعية قابلة للتغيير وانه ليست هناك قيم ومعايير ثابتة ومطلقة ، بل الاصح ان هذه المعايير والقيم والتصرف الذي يعتمد عليها امورا نسبية . ففكرة الحقائق الثابتة والقيم الخالدة فكرة تعيق الثورة وتعيق عملية التغيير الثوري .

٨ ــ خلق الانسان الفلسطيني المتمرد والرافض . فنحن لا نريد انسانا فلسطينيا خانعا ومستسلما مهما صعبت الظروف ومهما كبرت التحديات . والرفض والتمرد هما مصدر قوة الفرد الفلسطيني ومصدر قوة المجتمع الفلسطيني .

## النظام التربوي الثوري الفلسطيني

من المفروض ان يختلف نظام التربية الثورية الفلسطينية عن النظم التربوية التقليدية شكلا ومضمونا . فالهيكل او البنيان التقليدي للتعليم كترتيب المدارس والمراحل الدراسية والشهادات ومقاييس النجاح والفشل كلها امور مرفوضة بالنسبة لهيكل او بنيان التعليم الثوري . فلا يمكن لشعب يقوم بثورة ويعيش في ظل حياة يومية ثورية ان يقيم المدارس العادية والثابتة كاطار للتعليم النظري . كما انه من غير الممكن ومن غير المقبول وضع اولادنا في هذه المدارس ١٢ سنة لكي لا يتقنوا شيئا يتعدى القراءة والكتابة وبعض الثقافة العامة الضعيفة . كما ان الشهادات التي تمنح للتلاميذ في نهاية كل مرحلة مسألة غير ذي بال وغير واردة بالنسبة لنظام تعليم ثوري ، خاصة اذا اعتبرت الشهادة اجازة مرور من مرحلة الى اخرى او اجازة انتقال من مجال تعلم الى آخر . فنحن نتصور هيكل التعليم الثوري كالتالي :

أولا : مرحلة الحضانات او الروضات . وهذه مرحلة مهمة في تكوين شخصية الطفل ونفسيته وفي نموه العقلي ، وعلى الثورة ان توليها عناية كبيرة لانها تحدد الاسس المسلكية للأولاد والتي سيتبعونها عندما يكبرون .

ثانيا : مرحلة تعليم القراءة والكتابة والحساب . وهذه المرحلة توازي المرحلة الابتدائية في التعليم التقليدي ، ولكن تختلف عنها في المضمون .

ثالثا : مرحلة تهيئة الفرد لاخذ دوره في النضال المسلح . وهذه المرحلة غير ثابتة زمنيا لكنها تحتاج الى ثلاث سنوات كحد ادنى .

رابعا : يفرز من المناضلين اعداد معينة لمرحلة التخصص واكتساب المهارات اللازمة للثورة علميا وعسكريا وسياسيا وفكريا . اما الاطار العام لهذا الهيكل التعليمي فهو مدارس الثورة وان انشاء مدارس الثورة يفترض في الثورة سحب جزء من التلاميذ الفلسطينيين من المدارس التقليدية . اما مدارس الثورة فيجب ان تكون وسط المخيمات او قريبة منها في مرحلتي الحضانة وتعليم القراءة والكتابة والحساب . وان تأخذ شكل معسكرات الاشبال في مرحلة تهيئة الفتيات والفتيان للانخراط في الكفاح المسلح . اذ لا يجوز عزل اولادنا في هذه المرحلة ضمن جدران الغرف عدة ساعات كل يوم .

اما في مرحلة التخصص فتأخذ مدارس الثورة شكل ورش علم وعمل وانتاج ، بحيث لا ينفصل الفرد عن الممارسة الثورية وعن الاسهام في الثورة . ومن المفترض ان توجد هذه المدارس حيث يتوفر الوجود العلمي للثورة الفلسطينية .

اما مضمون التعليم الثوري فيجب ان يختلف اختلافا كبيرا عن مضمون التعليم التقليدي . ففي مرحلة الحضانة يجري التركيز على الاناشيد الفلسطينية والالعاب الجماعية وتغرس فلسطين كمدن وسواحل ومعالم ولباس وتراث في نفوس الاطفال من خلال الصور . كما يجري ترسيخ صورة الفدائي في ذهن الطفل وخياله بحيث يصبح الفدائي

او المقاتل مثاله الاعلى . وفي المرحلة الابتدائية يركز على تعليم الاولاد تاريخ وجغرافية فلسطين مع معلومات مبسطة حول القضية الفلسطينية واغتصاب فلسطين وحول العدو الصهيوني . كما يدرس الاولاد تاريخ النضال العربي وطبيعة الاستعمار . ولكن عدد الساعات التي تعطى لتدريس هذه المواضيع تكون أقل من عدد ساعات تدريس التاريخ والجغرافية واللغات في المدارس التقليدية . كما ان التاريخ والجغرافية والمواضيع السياسية تدرس كمواضيع حية ترتبط بالبيئة وبواقع الشعب الفلسطيني ، والعربي وتستعمل كادوات تعبئة وتوعية . اما بقية ساعات النهار فيقضيها الاولاد في القيام باعمال يدوية ومهنية تخلق عندهم الفة بالالة . كما يركز الى حد كبير على تربية الاولاد البدنية وعلى تدريبهم العسكري . ويجب تشجيع حاسة الخلق والابداع عند اولادنا .

أما في مرحلة التهيئة للمشاركة الفعلية والمباشرة في النضال المسلح فيجرى تكثيف البرنامج الرياضي والعسكري ، ثم يشدد على تدريس الرياضيات والعلوم الطبيعية . ثم يستحدث برنامج مهني يتعلم بموجبه كل فرد مهنة واحدة على الاقل ومن الافضل ان يتعلم أكثر من مهنة من المهن التي تفيد الكفاح المسلح مباشرة . اما من الناحية التربوية العامة فنشدد في هذه المرحلة على الامور التالية :

١ — ربط التلميذ بالثورة والعودة بناء على أمور ملموسة وليس بناء على شعارات عاطفية فقط . أي على التربية الثورية ان تبين لاولادنا بالارقام والدلائل الحسية الفوائد التي سيجنونها من وراء التحرير وأهمها أن يكون الفلسطيني حرا وسيد نفسه وان يبقى موفور الكرامة . وهذه أمور يفتقدها خارج وطنه . فلا عزة ولا كرامة ولا استقلال — اقتصادي وفكري ونفسي واجتماعي — للفلسطيني الا عن طريق النضال المسلح واسترداد الارض .

٢ — التركيز الشديد على دراسة العدو وطبيعة صراعنا معه ، ومحاولة تفهم نقاط قوته وضعفه من اجل ايجاد أفضل السبل للقضاء عليه .

٣ — دراسة فلسطين والقضية الفلسطينية من مختلف وجوهها دراسة عميقة وتفصيلية .

٤ — دراسة تجارب الشعوب الاخرى التي مرت بظروف ومراحل مشابهة لظروفنا .

٥ — دراسة شروط ومراحل واساليب حرب التحرير الشعبية .

بعد الانتهاء من مرحلة التأهيل ينتقل الفتيات والفتيان الى المشاركة الفعلية في الجوانب المختلفة للنضال الفلسطيني ويتابعون تخصصهم المهني او العلمي في احدى مؤسسات او معاهد الثورة العلمية العالية شرط الا ينقطعوا عن الممارسة الثورية وان يعملوا على تطبيق ما يتعلمونه أولا بأول خاصة في مجالات الطب والهندسة والزراعة والتخصصات المهنية الاخرى .

ان تحقيق هذا النظام التربوي وتطبيق مضمونه يتطلب تحقيق شرطين أساسيين وهما :

١ — خلق المعلم الثوري الذي لا يعمل كمدرس فقط وانما كأداة تغيير ثورية . ويتم ذلك من خلال دورات تدريب وتثقيف وحلقات دراسية تعطى للمعلمين الفلسطينيين ويكون هدفها الاساسي خلق حركة فكرية تربوية ثورية في أوساط المعلمين . وما تلبث هذه الحركة أن تتحول الى نمط عمل وممارسة وأداة تحريك وتوجيه للاخرين داخل المدارس وخارجها .

٢ — وضع منهج تربوي متكامل يأخذ بعين الاعتبار الاساليب الحديثة في التربية

والتعليم . فبدون هذا المنهج المدروس والمتكامل لا يمكن تطبيق أهداف الثورة في بناء الاجيال الثائرة والمناضلة .

ضمن هذا النظام التربوي أو التربوي ـ الاجتماعي تستوعب الثورة الفلسطينية وتعبىء معظم طاقات الشعب الفلسطيني مهما صغرت او عظمت . وقد يبدو هذا التصور للبعض مثاليا يستحيل تطبيقه ، لكن الواقع ان تطبيق جزء منه يبقى أفضل من لا شيء وان اعتماد المفاهيم التربوية التي وردت ضمن هذا التصور يعطي دفعا لثورة الشعب الفلسطيني ويجعلها تقف على أسس صلبة وراسخة .

اما المحاذير الرئيسية لانشاء نظام تربية وتعليم فلسطيني فهي تمويله ، واقتصاره على الفلسطينيين خارج الارض المحتلة ، واحتمال انغلاقه على نفسه . فنحن نخشى ان يؤدي تمويل نظام التعليم هذا من قبل بعض الدول العربية الى وقوع الثورة الفلسطينية بدرجة كبيرة تحت وصاية تلك الدول . ولذلك على الثورة ان تعتمد على امكانياتها الذاتية وان تعمل على بناء نظام التعليم الفلسطيني خطوة خطوة كما عليها ان تعتمد على كادر تعليمي عربي وفلسطيني يقبل نصف راتب او مخصص مناضل . كما ان مشكلة انغلاقه على نفسه يمكن أن تحل بفتح أبواب مدارس الثورة أمام كل شاب عربي يرغب في الانضمام اليها . وتبقى مشكلة اقتصار التعليم الفلسطيني على فلسطينيي الخارج ( خارج الارض المحتلة ) اذ لا يجوز أن نطلب من فلسطينيي الداخل ( الارض المحتلة ) ان يخرجوا للالتحاق بمدارس الثورة ، وانما العكس هو الصحيح اذ علينا ان ندفع فلسطينيي الخارج الى الداخل .

# الصناعة الحربية الاسرائيلية وعقدة « السوبر »

هشام عبدالله

دفع تطور صناعة الاسلحة في اسرائيل العديد من الكتاب العرب للبحث في هذا الموضوع . وقد اختلطت الحقيقة في ابحاثهم بالدعاية الاسرائيلية بشكل أساء كثيرا الى قيمة هذه الابحاث التي لم تقدم دراسات علمية بقدر ما كانت امتدادا للاعلام الاسرائيلي ، مع زيادة في التهويل .

ومما لا شك فيه ان لانتاج الاسلحة في اسرائيل قيمة اقتصادية يبالغ البعض في تقديرها أيضا ، عندما يشير الى أن اسرائيل تصدر او هي ستصدر أسلحة تقدر قيمتها بالملايين، ويتناسى في الوقت نفسه انه كان بامكان اسرائيل أن تحصل ، ربما على نتائج أفضل ، لو استثمرت هذه المبالغ في مجالات صناعية أخرى . فمصانع الطائرات الاسرائيلية مثلا تشغل اكثر من ١٣ر٥٠٠ عامل ومهندس وتقني(١)، وتنتج أصنافا قليلة من المعدات والاسلحة ، وتصنع بكميات ضئيلة نوعين من الطائرات ، أحدها امريكي التصميم ، وكلا النوعان يطيران بمحركات أميركية ، ومع هذا فان عدد العاملين في هذه المصانع يزيد عن عدد العاملين في مؤسسة بريجيت داسو الفرنسية ، والتي هي اتحاد لشركات مارسيل داسو ، بريجيت للطيران ، ومارسيل داسو الكترونيك، والتي تدير ١٧ مصنعا في مختلف حقول الطيران والالكترونات ، وعددهم ١٣ر٠٠٠ عامل(٢)، يعملون في مجالات الابحاث والتطوير ، ومختلف مرافق الانتاج ، وتنتج هذه المصانع سلسلة طائرات ميراج بأنواعها، وعدة انواع من طائرات رجال الاعمال منها « فالكون ١٠ » و« فالكون ٢٠ » ، وطائرة النقل النفاثة قصيرة المدى « داسو مركور » والتي تتسع لـ ١٣٤ راكبا ، وطائرة النقل بريجيت ٩٤١ والتي تتسع لـ ٦٠ راكبا وملاحا ، وطائرة الدورية البحرية بعيدة المدى « اتلانتك ١١٥٠ » بالاضافة الى المعدات الالكترونية المختلفة . وتوضح هذه المقارنة مدى سوء الادارة والهدر في الطاقات الاقتصادية داخل مصانع الطائرات الاسرائيلية . وما يهمنا في هذا البحث هو فصل الحقيقة عن الاعلام فيما يتعلق بالاسلحة التي تنتجها اسرائيل . وكقاعدة انطلاق لمعرفة مستوى هذه الاسلحة نشير الى انه لا يمكن اعتبار اسرائيل دولة متقدمة من الناحية الصناعية ، فهي أقل منزلة من اليابان واسبانيا مثلا ، واللتان تعتبران في مجال صناعة الاسلحة — حاليا على الاقل — من الدول متوسطة التقدم ، وبالتالي فاسرائيل أقل قدرة منهما على انتاج اسلحة متطورة .

## وحيدة من نوعها في العالم

في مقابلة اجراها رفائيل باشو من معاريف مع مدير عام مكتب الامن الاسرائيلي يشعياهو ليفي حول صناعة الاسلحة ، سأل باشو : « **هل نستطيع القول ان « مصلحة تطوير وسائل الحرب » تطور أسلحة جديدة وحيدة من نوعها في العالم** »(٣) .

ويعكس هذا السؤال فتح باب جديد في اتجاه قديم للدعاية الصهيونية والاسرائيلية ، الاتجاه القديم عن شعب الله المختار والتفوق والعبقرية اليهودية ، اما الباب الجديد فهو الصناعة الحربية الاسرائيلية .

لقد حققت الصناعة الحربية الاسرائيلية تقدما لا بأس به وان كان هذا التقدم لا يوازي الامكانات الضخمة المتوفرة للسلطات الاسرائيلية ، سواء منها المادية والتقنية والخبرات الفنية التي تستوردها جاهزة من الدول الغربية المتحضرة ــ وبعد نجاحات محدودة في مجال انتاج الاسلحة بدأت الدعاية الاسرائيلية في تحويل كل ما تمسه اليد الصهيونية الى شيء سحري وحيد من نوعه في العالم .

وليس هناك مبالغة في قولنا السابق بأن نجاحات اسرائيل محدودة ، فجميع الاسلحة الاسرائيلية الرئيسية العاملة هي من صنع اجنبي ، على الرغم من محاولات الدعاية الاسرائيلية اخفاء دبابات « باتون » خلف رشاش « عوزي » ، واخفاء طائرات الفانتوم خلف صاروخ « شفرير » فقوة الجيش الاسرائيلي في الاسلحة لا تنبع أصلا من رشاش « عوزي » او صاروخ « شفرير » بل من المدفعية والدبابات الحديثة والطائرات الاحدث ، وكلها في الجيش الاسرائيلي أجنبية المصدر .

فهناك عدة فروع لاتجاهات الصناعة الحربية الاسرائيلية ، اولها الصناعة بموجب ترخيص من بلد المنشأ ، كما في صناعة طائرات التدريب فوغاماجستير الفرنسية وصناعة مختلف انواع الذخائر والمدافع الصغيرة العيار والرشاشات وغيره(٤). ويلقي الاعلام الاسرائيلي أضواء باهتة على هذا المجال من الصناعة على الرغم من انه أخطر قطاعات الصناعة العسكرية في اسرائيل ، وهو الذي يقدم الدعم الحقيقي المجرد من الدعاية الضخمة للقوة الاسرائيلية .

## اجراء التحسينات

والفرع الثاني من فروع الصناعة هو اجراء التعديلات (التطوير في القاموس الاسرائيلي) على الاسلحة الاجنبية التي تشتريها اسرائيل ، لتناسب متطلبات اسرائيل القتالية ، وقد اجريت تعديلات على معظم الاسلحة الثقيلة التي اشترتها اسرائيل تقريبا ، فأبدلت مدافع طائرات السكاي هوك عيار ٢٠ ملم بمدافع ديفا عيار ٣٠ ملم والتي تصنع في اسرائيل بموجب ترخيص(٥) وزودت طائرات الهليكوبتر سيكورسكي اس ٦٥ بخزانات اضافية ومصافي للرمل « ضرورية للعمل في الصحراء »(٦). وقامت بتزويد دبابات م٤٨ أ ٣ بمدافع عيار ١٠٥ ملم بدلا من مدفعها الاصلي عيار ٩٠ ملم(٧). وفي كل المرات التي تمت فيها هذه التعديلات أبرزت أخبارها كما لو كانت أهم من السلاح نفسه. فقد قامت اسرائيل في الاونة الاخيرة باجراء عمرة شاملة وتصليحات على دبابات« سونتوريون مارك ٥ » التي تمتلكها والتي بنيت في الخمسينات ، فقامت بتغيير المحرك الاصلي من طراز « ماتيور » والذي اوقف انتاجه في بريطانيا ، بمحرك امريكي يعمل بالمازوت طراز « كونتيننتال » ، وابدل مدفعها القديم عيار ٢٠ رطلا بمدافع بريطانية عيار ١٠٥ ملم . وبعد هذه « اللمسات » الاسرائيلية وصفت « السنتوريون المطورة » بانها افضل من دبابات العدو من طراز « ت ٥٤ » و « ت ٥٥ »(٨) وفي حديث مع العميد حاييم دومي قائد مصلحة التسلح في الجيش الاسرائيلي ، قال ردا على سؤال : « حسب المعطيات المتوفرة لدينا استطيع القول ان دبابات سونتوريون المحسنة تفوق بمزاياها الدبابات الموجودة لدى الاردن »(٩) علما بأن دبابات السونتوريون الاردنية هي مارك ١١ ، ومزودة بمدفع عيار ١٠٥ ملم ، وبأجهزة للاشعة تحت الحمراء للرؤية الليلية ، هذا بالاضافة الى ان تصميمها العام قد بني ليتوافق مع المدفع والمحرك، بخلاف السونتوريون الاسرائيلية ، اما عن قدرتها القتالية فقد قال دومي « شارك بعض هذه الدبابات في بعض العمليات القتالية في الهضبة السورية ولبنان ، وقد اثبتت جدارتها بشكل مقبول »(١٠). وقالت معاريف « داخل لبنان اثبتت الدبابات ، « الحديثة ــ القديمة » مقدرة حركة وجدارة عالية على اراض وعرة وصعبة للغاية »(١١). وقد يصدق هذا القول لو أن عمليات قتال حقيقية بالدبابات قد جرت في لبنان ، تبرز من خلالها ميزات

« السونتوريون المحسنة » ، لان من الصعب ابراز هـذه الميزات في عمليات قتال غير متكافئة بين دبابات ، وان كانت قديمة ، وسيارات عسكرية غير مسلحة او دبابات آم اكس ـ ١٣ الخفيفة والمعدة اساسا للاستطلاع. وتتضح اهمية التحسينات الاسرائيلية اذا ما القينا اضواء على اعمال اسرائيل السابقة في هذا المجال .

يبدو ان هناك نفورا تاريخيا في اسرائيل من مدافع الدبابات التي يقل عيارها عن ١٠٥ ملم ، فقد كان لدى اسرائيل ٢٠٠ دبابة شيرمان م ٤ ، اشترتها في الخمسينات ، وقـد « طورت » هذه الدبابات وزودت بمدافع فرنسية عيار ١٠٥ ملم ومحركات ديزل جديدة طراز « كونس » ، واستخدمت هذه الدبابات التي اطلق عليها اسم سوبـر شيرمـان على نطاق واسع في حرب حزيران ، ولكن درعها الرقيق نسبيا ، جعلها سهلة التدمير من قبل المدافع عيار ١٠٠ ملم لدبابات « ت ٥٤ » و « ت ٥٥ » المصرية ، وكـانت الاصابات كبيرة(١٢).

ولم « تنج » باقي الاسلحة من التحسينات الاسرائيلية ، كما سبق وذكرنا ، فقد ابدلت مدافع طائرات السكاي هوك ، « وتمكن أحد مهندسي الصناعات الجوية من تحسين محرك الطائرة المقاتلة السكاي هوك وان المصنع الذي ينتج هذه الطائرات بدأ بتنفيـذ ابتكارات هذا المهندس في انتاجه الجديد »(١٣). وعدا عن هذا « قالت مصادر أجنبيـة ـ غير اسرائيلية ـ ان اسرائيل ادخلت تحسينات على طائرات الميراج الفرنسية»(١٤). وليس لهذه التحسينات اهمية فعلية بل أن بعضها لا يدخل في باب « التحسينات » على الاطلاق . بل يمكن ان يوصف بأنه « اختلاف في وجهات النظر » فمن المؤكد ان المصانع الامريكية تمتلك مدافع ٣٠ ملم تزود بها طائرات السكاي هوك ، ولم تزود الطـائرة بمدافع من هذا العيار لان مصممي الطائرة رأوا على ضوء الخبرات المتوفرة لهم ، ولكون الطائرة مصممة كقاذفة هجومية خفيفة لا كمطاردة ، انها ليست بحاجة الى مدافع من عيار ٣٠ ملم . ومن جهة اخرى كان بامكان اسرائيل ان تطلب تزويد هـذه الطائرات بمدافع من عيار ٣٠ ملم مباشرة من المصنع ودون اي ضجيج اعلامي . امـا الاخبـار الاخرى التي تسربها اسرائيل عن طريق الصحف الصهيونية في العالم،عن تطوير وتعديل الاسلحة كما في طائرة الميراج ، فمن الصعب بحث ذلك باسهاب دون معرفة طبيعة هذه التعديلات خوفا من أن تكون في مستوى اضافة حلقة لفتح الزجاجات لبندقية جليل(١٥). هذا مع التأكيد على انه من الصعب للغاية اجراء تعديلات اساسية تمس هيكل الطائرة او محركها او بعض اجهزتها الاساسية . وكما يتضح فالغرض من هذه « الحركات » تضخيم الامكانات التقنية الاسرائيلية القادرة علـى اجـراء تعديلات علـى الاعمـال الامريكية والفرنسية .

**الصاروخ غابرئيل**

ويشمل الفرع الثالث صناعة الاسلحة والمعدات التي تصمم وتنفذ في اسرائيل او علـى الاقل التي تدعي اسرائيل انها كذلك. ويلقي الاعلام الصهيوني عادة اضواء ساطعة على منتجات هذا الفرع ، وقد نشطت الاخبار عن منتجات حربية من صنع اسرائيلي فـي الاعوام الثلاثة الماضية ، فظهر الصاروخ البحري سطح ـ سطح «غابرئيل» والزورق حامل الصواريخ « رشاف » والصاروخ جو ـ جو « شافرير » والبندقية « جليل » . هذا بالاضافة الى تكاثر الحديث عن السوبر ميراج الاسرائيلية .

وكان الصاروخ « غابرئيل » اول نتاج لهذه الصناعة ، وقد احست اسرائيـل بخطورة هذا النوع من الاسلحة عندما اغرقت البحرية المصرية المدمرة الاسرائيلية ايـلات عام ١٩٦٧ بصاروخ سطح ـ سطح من طراز « ستيكس » السوفياتي الصنع وحـاولت الحصول على سلاح مشابه فلم تجد عند حلفائها الغربيين حاجتها نظرا لان بحرية الولايات المتحدة والدول الغربية الكبرى ، لم تكن قد ابدت حتى ذلك الحين ، اهتمامـا

بتطوير صواريخ سطح — سطح تطلق من السفن ، على اعتبار انهـا ضرورية فقـط للعمليات البحرية المحدودة نسبيا ، وان بحرية لها قوة جوية ضاربة كبحرية الولايـات المتحدة مثلا ، ليست بحاجة الى هذه الصواريخ ، ومن هنا بدات اسرائيل في تطويـر صاروخ سطح — سطح . لتكشف النقاب يوم ٦ ايار ١٩٧٠ عن صاروخها الذي طور وانتج في اسرائيل اي غابرئيل ( وهو يطلق من السطح الى السطح ويبلغ مداه ٢٢ كم ووزن عبوته الناسفة ١٨٠ كغم ) . وقد وصف هذا الصاروخ لرجال الصحافة الاجنبية بأنه « **اكثر الصواريخ التي من نوعه تطورا في العالم الغربي** »(١٦) و« **ليس له مثيل في العالم الغربي** »(١٧) ويزداد التطرف في مدح الصاروخ ليصبح « **اكثر الصواريخ التي من نوعه في العالم**»(١٨) ثم ينخفض ليصبح « مساويا لصاروخ ستيكس »(١٩).

وقد لاقى هذا الصاروخ نجاحا لا بأس به ، لسبب بسيط وهو عزوف الدول الغربيـة المتطورة عن انتاج هذا النوع من الصواريخ ، حيث انحصر انتاجها في الدول الصغرى مثل النرويج التي تصنع صواريخ من طراز بنغوين ، وايطاليا التـي تصنع صاروخ « نتونو » و« فولكانو » هذا بالاضافة الى الاتحاد السوفياتي الذي ينتج انواعا متعددة من هذه الصواريخ سلح بها العديد من قطعه البحرية وقد بدىء بانتـاج جميع هذه الصواريخ في أوائل الستينات .

وعلى الرغم من النجاح الحالي لصاروخ « غابرئيل » فان مستقبله كسلاح يمكن تصديره لا يدعو الى التفاؤل بسبب بداية منافسة المصانع الغربية له وتفوق انتاج هذه المصانع على الانتاج الاسرائيلي . فقد طرحت فرنسا وايطاليا معا صاروخ « أوتومات »(٢٠) وعرضت فرنسا صاروخ اكسوسيت(٢١)، وتعمل بريطانيا وفرنسا على انتاج الصاروخ سطح — سطح « شب مارتل »(٢٢) وتتفوق هذه الصواريخ بالاضافة الى الصواريخ السوفياتية على الصاروخ الاسرائيلي سواء من ناحية المدى(٢٣) او اجهزة التصويب الالكترونية ، او سرعة الصاروخ . ومن المحتمل جدا ان تجد اسرائيل نفسها مضطرة لشراء صواريخ سطح — سطح من مصادر غربية بالاضافة الى الاجهزة التي ستكون ضرورية لتوجيه الصاروخ الى مداه البعيد . خاصة اذا ما سلحت الزوارق العربية بصواريخ « ستيكس » الحديثة والتي يصل مداها الى ٤٠ كم ، وتظهر اهمية هذه النقطة اذا عرفنا ان لمدى اسلحة الزوارق والسفن الحربية بشكل عام الاهمية الاولى للتفوق على الخصم والمناورة معه وتدميره ، لان اي سفينة حربية تبقى عديمة الحيلة امام سفينة حربية معادية اذا كان مدى رماية هذه الاخيرة يزيد عن مدى رماية الاولى. كما ان السرعة المتدنية لصاروخ « غابرئيل » والتي لا تزيد عن ٦ر. ماك(٢٤) مقابل سرعة في حدود ١ ماك لصاروخ « ستيكس » ، تجعل بالامكان التصدي له بالمدافع الرشاشة المضادة من مختلف العيارات والموجودة على الزوارق الحربية واسقاطه قبل ان يصل الى هدفه .

**الزورق حامل الصواريخ « رشاف »**

أنزل يوم ١٩٧٣/٢/١٩ أول زورق حربي بني في اسرائيل ، وقد وصف قبل انزاله بأنه « **أداة الملاحة الاولى من نوعها التي تمت في العالم** »(٢٥) ووصفت اجهزته الالكترونية بأنها « **أجهزة متطورة أكثر من الاجهزة الموجودة في العالم** »(٢٦) ويعكس مضمون هـذه الكلمات بأن اسرائيل قد تفوقت على العالم اجمع في مجال الاجهزة والالكترون ، ومجال صناعة الزوارق الحربية !! والحقيقة ان قلة اهتمام الدول الغربيـة بتطوير زوارق سريعة مسلحة بالصواريخ ، في الفترات الماضية ، للاسباب التي سبق ذكرها قد ترك الباب مفتوحا لاسرائيل ، ولكن هذا لا يعني ان زورق « رشاف » هو الوحيد من نوعه في العالم . فليس في الزورق اي جديد أو اختلاف في الفكرة الاساسية عن زوارق أوسا

السوفياتية الصنع ولا يختلف عن زوارق شربور الفرنسية الصنع الا بالوزن مع فارق ان شربور أسرع من الزورق الاسرائيلي . كما ان « وجـود اجهزة ـ خاصة جهاز التوجيه ـ ليست موجودة في زوارق شربور «ساعر» »(٢٧) حسب قول قائد البحرية الاسرائيلية «تيلم» ،لايشكل اية عقبة لان بالامكان اضافة هذه الاجهزة او تبديلها ببساطة ودون عقبات فنية ، فمن الدارج جدا تغيير مدافع السفن والزوارق الحربية واضافة اجهزة او نزع اخرى منها ، كاضافة اسرائيل لصواريخ غابرئيل على زوارق شربور مثلا(٢٨) . اما كون زورق « رشاف » وحيد من نوعه في العالم فالمقصود منه غير واضح ، فان كان وحيدا من ناحية الوزن ، فمن النادر جدا ايجاد فئة واحدة من السفن لها نفس الوزن ، ابتداء من حاملات الطائرات الضخمة وانتهاء بزوارق الدورية الصغيرة . اما ان كان وحيدا من ناحية المهمات التي يستطيع ان يؤديها او الاسلحة التي يحملها ، فهو ليس كذلك لان هناك أعدادا من الزوارق لها مواصفات افضل من الزورق الاسرائيلي . سواء من ناحية قدرات الزورق عامة او لطبيعة التسليح ونوعيته . ومقارنة سريعة بين الزورق الاسرائيلي وبعض الزوارق العاملة حاليا في العالم او التي ستبدأ بالعمل في المستقبل القريب تظهر ان الزورق الاسرائيلي هو الاضعف .

تبلغ سرعة رشاف ٣٢ عقدة ، وتضعه سرعته هذه في مرتبة أدنى من زوارق « أوسا » السوفياتية وسرعتها ٣٨ عقدة ، و« تناستي » البريطانية وسرعتهـا ٤٠ عقدة ، او « الكومباتينت ٤ » الفرنسية والتي ستبلغ سرعتها ٤٥ عقدة(٢٩) . كما ان تسليح هذه الزوارق بصواريخ « ستيكس » و« اكسوسيت » يعطيها تفوقا ساحقا على الزورق الاسرائيلي ليس في مدى تذف الصاروخ فحسب بل لان تذف الصاروخ الى هذا المدى يحتاج الى اجهزة الكترونية اكثر كفاءة .

ولا بد من ذكر بعض الحقائق المتعلقة بهذا الزورق لايضاح مدى استقلالية اسرائيل في انتاجه ، ونرجع هنا الى أقوال قائد البحرية الاسرائيلية بنيامين تيلم ، الذي صرح « ان زورق « ساعر » صمم في ٦٤ ــ ١٩٦٥ وصمم رشاف بعد اربع سنوات من ذلك **تحت اشراف فرنسي** ، لقد وصلنا الى الاستقلال من ناحية مقدرتنا ، **مع نسبة ضئيلة جدا من الخارج** »(٣٠) . اما النسبة الضئيلة جدا المذكورة فقد عرفنا منها محركات الزورق الاربع التي صنعت في مايباخ بألمانيا ، ومن المؤكد ان مدفعي الزورق الآليين المضادين للسفن والطائرات عيار ٧٦ ملم هما من صنع غربي ، حيث ليس لدى اسرائيل كما نعلم صناعة لمدافع من هذا الطراز . وربما ايضا بعض الاجهزة الدقيقة ، بالاضافة الى الاشراف الفرنسي . وبرغم ما تقدم فان المسؤولين الاسرائيليـين لا يخجلـوا من التصريح بأن « اسرائيل قد سبقت الاساطيل الاخرى في العالم التي تبني زوارق صواريخ »(٣١) . ان من الامور المضحكة فعلا هذا السباق المعلن عنه من طرف واحد فقط والذي تظهر فيه عقدة السوبر الاسرائيلية بكل جلاء .

**الصاروخ جو ــ جو شفرير**

مهدت اذاعة اسرائيل لعرض اول صاروخ جو ــ جو من انتاج اسرائيل ، بكلمة من مراسل الاذاعة العسكري روني دانيال قال فيها « وقد اعتبر خبراء الطيران الاجانب الصاروخ « شفرير » كأحد الصواريخ جو ــ جو المتازة في العالم ، **وهناك من يقول انه أجودها وأكثرها دقة** »(٣٢) . وقال في اذاعة ثانية في اليوم نفسه « وحقيقة كون الصاروخ « شفرير » قد احتل مكانة الصاروخ سايدوندر الذي تسلح به طائرات الفانتوم ، تدل على **ان التطوير الاسرائيلي يفوق الأصل الامريكي** » . واضاف « وباستطاعة مهندسي « مصلحة تطوير وسائل القتال» الذين طوروا هذا الصاروخ وبنوه ان يسجلوا لصالحهم تفوقا تكنولوجيا وعسكريا عظيما »(٣٣) .

ومن غرائب الصدف فعلا « ان يشبه هذا الصاروخ سواء من حيث الشكل أو المزايا الصاروخ الامريكي سايدوندر/ب »(٣٤). وتمضي اسرائيل في مسلسلها الاعلامي ليصرح العازر داغان من « مصلحة تطوير وسائل القتال » أثناء عرض الصاروخ « يسعدنا ويشرفنا أن تشتري الولايات المتحدة الصاروخ »(٣٥).

وهكذا تتم التمثيلية الاعلامية بتوقعات اسرائيلية أن تشتري الولايات المتحدة صاروخ « شفرير » ، وهو أمر بعيد الاحتمال لان الولايات المتحدة تنتج منذ عام ١٩٦٥ صاروخا مشابها وذو ميزات افضل ، وهو الصاروخ سايدوندر ١ سي (Sidewinder 1 c) وهناك نموذجان من هذا الصاروخ ، الاول وهو النموذج ٩ سي يوجه بالرادار والنموذج الآخر ٩ د ويوجه بالاشعة تحت الحمراء . وهذا يعني ان هناك صفات مشتركة عديدة بين الصاروخين الامريكي والاسرائيلي ، مع فارق بسيط واحد وهـو أن وزن الصاروخ الامريكي أقل من وزن أخيه الاسرائيلي ( ٨٤ كغم مقابل ٩٣ كغم ) كما ان رأس التوجيه في النموذج الذي يعمل بالاشعة تحت الحمراء يختلف قليلا عن الراس الامريكي .
اما مقارنة الصاروخ الاسرائيلي بسايدوندر/ب فهو استغلال رخيص لجهل الآخرين بأمور الاسلحة ، فقد أوقف انتاج هذا الصاروخ عام ١٩٦٢ بعد أن صنع منه في الولايات المتحدة ٦٠ الف قطعة بالاضافة الى ٩ آلاف قطعة صنعت في المانيا ، وقد جددت معظم صواريخ سايدوندر/ب المتبقية وذلك بتزويدها براس توجيه محسن يعمل بالاشعة تحت الحمراء وسمي النموذج المحسن منها سايدوندر/اي (Sidewinder E) اما كون الصاروخ الاسرائيلي أجود الصواريخ جو — جو الموجودة في العالم فمسألة فيها نظرة ومقارنة بينه وبين « الاصل الامريكي » حسب تسمية مراسل اذاعة اسرائيل العسكري تبين ذلك . فمدى الصاروخ الاسرائيلي لا يتجاوز ٥ كم(٣٦)، مقابـل ١٨ كم للصاروخ الامريكـي سايدوندر ١ سي ، هذا على الرغم من انه أقل منه وزنا كما سبق وذكرنا . ومن جهة أخرى فان التقدم العلمي الاسرائيلي لم يصل بعد وليس من المحتمل أن يصل في المستقبل القريب أو البعيد أيضا لينافس المستويات الامريكية والسوفياتية والاوروبية . وتتضح المبالغة الاسرائيلية في تقدير هذا الصاروخ حين قال زيف بوتين رئيس « مصلحة تطوير وسائل القتال » « وفي النهاية ساعد هذا الصاروخ اسرائيل في تحقيق السيطرة على الاجواء في جبهة قناة السويس ، ولذلك فانه كان عاملا مهما في تحقيق وقف اطلاق النار بين مصر واسرائيل في شهر آب ١٩٧٠ »(٣٧). وهكذا نعود الى تكتيك الدعاية الاسرائيلية وتختفي طائرات الفانتوم بكل ميزاتها الفنية والتقنية ، من أجهزة ، وسرعة ، وحمولة ، ومدى ، وقدرة على المناورة خلف صاروخ « شفرير » .

## مسلسل الدعاية الصهيوني

حين دخلت اسرائيل ميدان صناعة الطائرات ، وبدأت بانتاج طائرة « عرفه » ، اصيب الصناعيون الاسرائيليون بما اصيب به الجيش الاسرائيلي في أعقاب حزيران ، وانطلقوا بعيدا مع أحلامهم والسنتهم ، فصرح متحدث باسم مصانع الطائرات في اللد لجريدة يديعوت احرونوت « ان صناعة الطائـرات الاسرائيلية يمكنهـا أن تنتج « اي شيء يطير » »(٣٨). وكالعادة قال مصممو طائرة عرفه « انه ليس لهذه الطائرة أي منافس في هذا الحقل من الطيران العسكري »(٣٩). وهذا صحيح اذا تجاهلنـا طائرات مثـل « السكاي فان » البريطانية ، و د. هـ. س — ٦ الكندية ، و « سي ٢١٢ افيوكار » الاسبانية وجميعها تفضل الطائرة الاسرائيلية ، خاصة وان هذه الاخيرة اثقل وزنـا بالنسبة لقوة المحركات من كل هذه الطائرات ، وهذا يعني استنفاد قسم اكبر من قوة المحركات لحمل جسم الطائرات فحسب .

والادعاءات المذكورة ليست غريبة عن الاعلام الاسرائيلي ، ولكن المستغرب أن العديد من النشرات الدورية ذات التخصص العالي في كافة المجالات العسكرية ، مثل المجلة

العسكرية الامريكية قد فقدت اتزانها وانجرفت مع تيار الدعاية الاسرائيلية وراحت تنشر أخبارا تستند فيها على مصادر باهتة ، مثل مراسل صحيفة يدعى اورديناد الذي له علاقات وطيدة بجيش الدفاع ، والذي صرح بأن اسرائيل تنتج طائرات من طراز « باراك » بمعدل طائرتين في الشهر منذ عام ١٩٧١ وعلى حد قول اوديناد هذا « فان الطائرة قادرة على نقل ٦ أطنان من المعدات وتزيد سرعتها بمرتين ونصف عن سرعة الصوت »(٤٠). ثم تعود المجلة ذاتها فتذكر « ان اسرائيل طورت حديثا واختبرت في الطيران بنجاح نموذجها الخاص الاسرع من الصوت « ميراج ٥ » المقاتلة القاذفة . ويتوقع أن تبدأ اسرائيل بانتاج طائرة نفاثة واحدة في الشهر عام ١٩٧٢ ، والطائرة الجديدة هي نفاثة خفيفة وسريعة تصل سرعتها الى ٥ر١ ماك على الاقل ... »(٤١). ثم يأتي عام ١٩٧٣ فلا تنتج اسرائيل طائرتها هذه بل تطلب مساعدة الولايات المتحدة التقنية لانتاج الطائرة(٤٢). ويكفي أن نورد أن طائرة واحدة لها مزايا كالتي أوردها « المراسل العسكري اورديناد » من المنتظر ان تكلف في الولايات المتحدة بين ١٢ — ١٥ مليون دولار(٤٣) ويحتاج تطويرها لمبالغ ضخمة لا قبل للميزانية الاسرائيلية بتحملها .

هذا بالاضافة الى الحديث عن أسلحة موجودة فعلا مثل بندقية جليل التي أطلقت عليها الصفات الاسرائيلية المعتادة ، حيث وصفت بأنها « تتفوق البندقية الامريكية م — ١٦ وبندقية آ.ك ٤٧ ( كلاشينكوف ) السوفياتية(٤٤). وأسلحة اخرى خيالية مثل صواريخ «جريكو» التي يبلغ مداها حوالي (٥٠٠ كم) وثمن الصاروخ الواحد ١٫٥ مليون دولار ، وقد تقرر انتاج ٤ — ٦ صواريخ شهريا »(٤٥). لقد قامت اسرائيل فعلا بانتاج بعض الصواريخ لاغراض البحث العلمي ، ولكن هذه ليست اسلحة ، وليس لها أي قيمة عسكرية ، فليس لمدى الصاروخ اي قيمة ان لم يكن موجها ، اما اذا كان بالامكان توجيهه فانه يكون مجرد قنبلة غير دقيقة باهظة التكاليف ، وليس للصواريخ بعيدة المدى المسلحة برؤوس تقليدية اي اهمية عسكرية ، بل هي مجرد أسلحة مظهرية ، تصبح مهمة اذا ما زودت برؤوس نووية ، أو بأي من أسلحة الدمار الشامل . ولاستخدام هذه الاسلحة في حرب عربية اسرائيلية اعتبارات دولية لن تستطيع دول المنطقة تخطيها . اما العمل على تطوير دبابة متوسطة طراز « تسبار » المخصصة للعمل في الصحراء ، والتي تحدثت عنها المصادر الغربية فقط ، او الاذاعة الاسرائيلية مستندة على مصادر غربية فهو من المشاريع التي تقابلها اجهزة الاعلام بموافقة ضمنية ، ولا شك ان لاسرائيل بعض الامكانيات لانتاج دبابة بمواصفات محدودة اذا ما أتيحت لها « مساعدة خارجية فيما يتعلق بالمحرك والهيكل وصب برج الدبابة »(٤٦). هذا بالاضافة الى بعض الاجهزة المعقدة والتي أصبح استخدامها ضروريا في الدبابات الحديثة ، ومدافع بريطانية عيار ١٠٥ ملم لتسليحها(٤٧). ويحق لنا ان نتساءل بعد ذلك ، ما الذي بقي من الدبابة ؟ وهل يمكن الحديث عن دبابة اسرائيلية ام أن الامر مجرد مشروع تجميع — هذا ان كان هناك مشروع «لتطوير» دبابة وليس فقاعة اعلامية — وما مدى أهميته في تحقيق اهداف اسرائيل بالاستقلال في انتاج الاسلحة والاقتصاد في النفقات وتعديل الميزان التجاري .

**« السوبر » الاسرائيلية**

يمكن النظر الى الصناعة الحربية الاسرائيلية والحملة الاعلامية المتعلقة بها من عدة وجوه ، الاول انها تظهر تفوقا تقنيا وبالتالي حضاريا وثقافيا على العرب ، وما لهذا من اثر معنوي سلبي على العرب وايجابي بالنسبة للصهيونيين . اما الوجه الثاني فانه يكرس ثقة الفرد الصهيوني بتفوقه حيث يتحول كل ما تمسه يديه الى أدوات متفوقة ليس لها مثيل في العالم . فدبابة « باتون » « المحسنة » تصبح « سوبر باتون » والشيرمان تصبح « سوبر شيرمان » والميراج تصبح « سوبر ميراج » هذا بالاضافة الى التهويل في قيمة هذه الاسلحة وفاعليتها فالدبابة القديمة التي أصلحت بأيدي صهيونية

تصبح في مستوى أحدث الدبابات الموجودة في العالم ، والصاروخ « شفرير » يسقط طائرة عربية في اليوم الاول لاستخدامه(٤٨)، هذا ما يتعلق بحملة الحرب النفسية . اما القيمة الحقيقية لهذه الصناعة فسنبحثها من ناحية النوع والكم . وبعدما تقدم من بحث عن قيمة ونوعية هذه الاسلحة فسوف نزيد بطرح الموضوع على الشكل التالي : وهو ان للدبابات العربية اي كان نوعها حظا أوفر بالنصر في مواجهة «السنتوريون المحسنة» من مواجهة دبابة م — ٦٠ غير المحسنة ، والافضل لنا ان تستخدم الطائرات الاسرائيلية صواريخ « شفرير » ضد طائراتنا بدلا من صواريخ « سايدوندر » او « ماترا » وان تستخدم صواريخ « غابرئيل » بدل صواريخ « اكسوسيت » . ويتعلق الشق الثاني بالكم ، حيث يعتقد البعض ان وجود مصانع أسلحة في اسرائيل سيحررها تماما من القيود الغربية وبالتالي من اعتبارات ميزان التسلح في المنطقة لانها ستنتج دبابات وطائرات بقدر ما تريد ، الامر الذي يتنافى مع القواعد الاقتصادية العامة ، والامكانيات الصناعية والاقتصادية الاسرائيلية ، لان للمصانع قدرة انتاجية محددة تتناسب بشكل او بآخر مع حجم الاموال الموظفة ، ولان للاقتصاد السليم قدرة معينة على توجيه نسبة محدودة منه نحو الصناعة الحربية ، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى لان تطوير أسلحة حديثة ومعقدة عمل لا يقف عند حد ويحتاج الى مبالغ خيالية ومتزايدة لا يستطيع اقتصاد دولة صغيرة مثل اسرائيل تحملها .

ان الجزء الوحيد من الصناعة الحربية الذي يمكن اعتباره ذو قيمة والذي يمنح العدو درجة معينة من الاستقلال ، ولفترات قد تطول الا انها تبقى محدودة بسبب التطور المستمر للاسلحة ، هو انتاج مختلف أنواع الذخيرة ، وقطع الغيار للمدافع والدبابات والطائرات ، والاسلحة المصنوعة بموجب ترخيص ، والاسلحة الصغيرة ، هي التي تشكل الخطر المادي الحقيقي ، اما الاسلحة الاخرى فخطرها المعنوي يفوق كثيرا مخاطرها المادية .

ومن المؤسف ان تساهم الدعاية العربية ، على المستوى غير الرسمي طبعا ، عن حسن نية او جهل بالامور العسكرية في انتشار الاعلام الاسرائيلي ، هذه المساهمة التي تتم على أساس ملاحقة ومتابعة تطور اسرائيل التقني ، أو لاسباب صحفية أخرى ، وكما سبق وقلنا فان نشر هذه الانباء كما هي دون تمحيص ، ودون التمييز بين الحقائق والاعلام هو اكبر خدمة نقدمها لنشاطات العدو المتعلقة بالحرب النفسية . فليس لهذه الصحف من عذر حين تستخدم التعابير الاسرائيلية التي وصفناها فيما سبق بعقدة « السوبر » مثل « ان جهاز الاتصال صنع اسرائيل **هو من أفضل الاجهزة المستعملة حاليا في العالم** »(٤٩) أو « ... بعد أن تبين ان **هذا الجهاز أفضل بكثير من ذلك الذي تستعمله قوات الولايات المتحدة** »(٥٠) او «انتاج صواريخ **يقال انها أكثر دقة من الصواريخ السوفياتية** التي غنمها الاسرائيليون من صحراء سيناء خلال الحرب واستعانوا بها لبناء صواريخهم الخاصة »(٥١) أو التذكير بالتفوق اليهودي بشكل غير مباشر مثل القول « ومعروف ان صاحب مصانع ميراج مارسيل داسو يهودي »(٥٢) أو القول « كان **المهندسون الاسرائيليون** العاملون في مصانع مارسيل داسو الفرنسية قد **صمموا طائرة الميراج ٥** »(٥٣) على الرغم مما في هذا القول من مغالطة . ونقل الغطرسة الاسرائيلية كأنها حقائق مسلم بها ، مثل قول مجلة نيوزويك « ان مهندسا اسرائيليا قال ان الحكومة الاسرائيلية ترددت في بناء صناعة للاسلحة خاصة بها ، اعتمادا على انها شريكة لفرنسا في صناعة السلاح »(٥٤) أو « أعلن متحدث باسم وزارة الدفاع الاسرائيلية ان اسرائيل متقدمة من ناحية التقنية الالكترونية العسكرية مثل الاتحاد السوفياتي »(٥٥) . ثم التذكير بانجازات اسرائيل الماضية لاعطاء الموضوع صفة الشمول مثل « كان الاسرائيليون قد بدأوا تصدير مدفع رشاش عوزي الى المانيا الغربية وهولندا وجهاز الاستخبارات الامريكية »(٥٦) وذلك رغم مرور سنوات عدة على « الخطأ » الذي ارتكبته المانيا الغربية

والولايات المتحدة . او باطلاق صفات درامية على الصناعة الحربية الاسرائيلية بوضع ارقام هذه الصناعة امام القراء ووصفها بأنها « مرعبة »(٥٧). ولا يشفع لهذا الاتجاه القول بأن من أسباب هزيمة حزيران اخفاء الحقائق عن الجماهير ، **لان تحويل الصحف العربية الى واجهات اعلانات للدعاية الاسرائيلية هو السبيل الامثل لتدمير المعنويات العربية .**

---

١ — **ملحق نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية** ١٩٧٣/٣/١٦ .

٢ — Jane's all the World Aircraft 1970-1971

٣ — **معاريف** ١٩٧٣/٢/٢٧ .

٤ — **الاسبوع العربي** ١٩٧٠/٦/٢٩ .

٥ — **الانا الدولية الايطالية** كانون ١٩٧٢/٢ .

٦ — **المصدر السابق** .

٧ — *Military Review*, December 1970.

٨ — **معاريف** ١٩٧٣/٢/١٣ .

٩ — **رصد اذاعة اسرائيل** ١٩٧٣/٢/١٢ .

١٠ — **المصدر السابق** .

١١ — **معاريف** ١٩٧٣/٢/١٣ .

١٢ — *Jane's Weapon Systems 1972-73*

١٣ — **معاريف** ١٩٧٢/٥/٢٩ .

١٤ — **انترناشيونال هيرالد تريبيون** ١٩٧٣/٣/٢٨.

١٥ — **رصد اذاعة اسرائيل** ١٩٧٣/٤/١١ — قال مدير الصناعة الحربية الاسرائيلي « من التحسينات التي ادخلت عليها ( يقصد بندقية جليل)وجود حلقة على البندقية لفتح الزجاجات».

١٦ — **ذي لندن تايمز** ١٩٧٠/٥/٦ .

١٧ — **نيويورك تايمز** ١٩٧٠/٥/٦ .

١٨ — **الديلي تلغراف** ١٩٧٠/٥/٦ .

١٩ — **الغارديان** ١٩٧٠/٥/٦ .

٢٠ — **الطيران والبحرية الايطالية** تشرين١٩٧٢/٢.

٢١ — **المرجع السابق** .

٢٢ — *Jane's Weapon Systems 1972-73*

٢٣ — يبلغ مدى صاروخ اوتومات من ٦٠ — ٨٠ كم ، وهذا يتجاوز مدى رادارات الزوارق السريعة ، ولذا يحتاج لاطلاقه الى هذه المسافة لطائرة هيلوكبتر لتوجيهه الى الهدف ، او يطلق من طائرة مضادة للسفن. يبلغ مدى الاكسوسيت ٣٨ كلم ، ومدى ستيكس المتطور ٤٠ كم ، مقابل ٢٢ كم لغابرئيل .

٢٤ — ليست هناك تقارير رسمية عن سرعة الصاروخ غابرئيل ، وقد قدرت موسوعة *Jane's Weapon Systems 1972-73* سرعته بـ ( ٧ر. ماك ) كحد اقصى .

٢٥ — **معاريف** ١٩٧٣/٢/٥ .

٢٦ — **المرجع السابق** .

٢٧ — **رصد اذاعة اسرائيل** ١٩٧٣/٢/٤ .

٢٨ — *Military Balance 1972-73*

٢٩ — **مجلة الطيران والبحرية الايطالية** ، أعداد شباط ، وتشرين ١٩٧٢/٢ .

٣٠ — **معاريف** ١٩٧٣/٢/٥ .

٣١ — **المرجع السابق** .

٣٢ — **رصد اذاعة اسرائيل** ١٩٧٣/٣/٢٦ .

٣٣ — **المرجع السابق** .

٣٤ — **المرجع السابق** .

٣٥ — **انترناشيونال هيرالد تريبيون** ١٩٧٣/٣/٢٨.

٣٦ — **الانوار** اللبنانية ١٩٧٣/٣/٢٩ .

٣٧ — **المرجع السابق** .

٣٨ — عن **المحرر** اللبنانية ١٩٧٢/٣/١١ .

٣٩ — **ديلي ستار** ١٩٧٢/٤/١٠ .

٤٠ — **رصد اذاعة اسرائيل** ١٩٧٢/١٢/١٥ .

٤١ — *Military Review February 1971*

٤٢ — بخصوص تطوير طائرات اسرائيلية نفاثة أسرع من الصوت ، راجع **شؤون فلسطينية** عدد ٢٢ ، ص ٢٠٠ .

٤٣ — راجع **المحرر** ١٩٧٣/٦/٢ .

٤٤ — **رصد اذاعة اسرائيل** ١٩٧٣/٣/١٤ .

٤٥ — الدكتور يوسف شبل ، **شؤون فلسطينية** عدد ١٢ ، ص ٢٣١ .

٤٦ — *Jane's Weapon Systems 1972-73*

٤٧ — **المرجع السابق** .

٤٨ — **انترناشيونال هيرالد تريبيون** ١٩٧٣/٣/٢٨.

٤٩ — **الحوادث** اللبنانية ١٩٧١/٨/٢٧ .

٥٠ — **المرجع السابق** .

٥١ — **الانوار** اللبنانية ١٩٧١/١١/٧ .

٥٢ — **المرجع السابق** .

٥٣ — **المرجع السابق** .

٥٤ — **المرجع السابق** .

٥٥ — **الحياة** اللبنانية ١٩٧٢/١/٣١ .

٥٦ — **المرجع السابق** .

٥٧ — **الحوادث** اللبنانية ١٩٧١/٨/٢٧ .

# المؤتمر الاسلامي العام (١٩٣١)

عادل حسن غنيم

نشأت فكرة عقد هذا المؤتمر بمناسبة ارسال لجنة البراق الدولية للتحقيق في قضية حائط البراق، والتي اقر تقريرها ملكية المسلمين للحائط وحق تصرفهم فيه، ولم يكن الهدف من عقد هذا المؤتمر هدفا قوميا في شكل اسلامي وانما كان هدفا دينيا ذا طابع سياسي، كذلك كان من أسباب انعقاد المؤتمر شرح حقيقة القضية الفلسطينية للعالم الاسلامي والعربي، وتوضيح المطامع الاستعمارية والصهيونية في فلسطين المؤيدة على طول الخط من الحكومة البريطانية(١). وقد اهتم العالمان العربي والاسلامي بقضية البراق، لكني اعتقد ان اهتمام العالم العربي بهذه القضية كان مدفوعا بالدرجة الاولى بدوافع اسلامية، يدلنا على ذلك تلك الشخصيات العربية التي اشتركت في هذا المؤتمر والتي كانت معروفة باتجاهاتها الاسلامية. ويذكر الاستاذ دروزة ان فكرة عقد هذا المؤتمر قد اثيرت عندما كان الزعيم التونسي عبد العزيز الثعالبي موجودا في القدس في تلك الفترة، فجرى حديث بينه وبين الحاج امين الحسيني وبعض اخوانه في الموضوع، وان الفكرة قد اتسعت فشملت قضية فلسطين على اعتبار انها قضية اسلامية، من الواجب تنبيه العالم الاسلامي اليها، وان الفكرة قد لاقت قبولا عند بعض الشخصيات الاسلامية البارزة، فدخلت مرحلة التنفيذ، وعينت ليلة الاسراء موعدا لانعقاد المؤتمر، وارسلت الدعوات الى عدد كبير من رجالات المسلمين وعلمائهم في مختلف بلاد العالم(٢).

ويذكر الحاج امين الحسيني — في بيان اذاعه باسم اللجنة التحضيرية للمؤتمر الاسلامي — ان فكرة عقد المؤتمر قد نشأت قبل عقده بسنين، عندما قدمت اقتراحات كتابة ومشافهة من كبار رجال العالم الاسلامي بضرورة عقد مثل هذا المؤتمر ليتعارف فيه مندوبو الاقطار الاسلامية ويتداولون الرأي في الشئون التي تهمهم، وان الرغبة الى عقد هذا المؤتمر قد قويت بعد ان وفد الى القدس في عام ١٩٣٠ وفود الاقطار الاسلامية للاشتراك في الدفاع عن حقوق المسلمين في البراق امام اللجنة الدولية(٣). كما يذكر الزعيم عبد العزيز الثعالبي — في تصريح له في ذلك الوقت — ان مسألة المؤتمر قد اثيرت قبل ذلك بعامين، وان الجهود بذلت في سبيل عقده بعد ظهور مسألة البراق، وان الفكرة قديمة لكنها لم تنضج الا في الاشهر الاخيرة(٤). ومن ناحية اخرى، فقد ذكر ميرزا مهدي رفيع الزعيم الهندي في مقال له، انه هو الذي اقترح على المفتي — في خطاب ارسله اليه — الدعوة الى مؤتمر اسلامي عام، وان هذا الخطاب قد نشر بجريدة الشورى في ٨ يوليو ١٩٣١(٥). كما ذكر شوكت علي الزعيم الهندي — في حديث له مع مندوب الاهرام ثم في حديث له مع جريدة البورص اجبسين الفرنسية نقلته عنها جريدة الثغر في ذلك اليوم — انه هو الذي دعا الى هذا المؤتمر وهو الذي فكر فيه، وان السبب الذي دفعه الى ذلك هو ما رآه من خلافات ومنازعات بين المسلمين، وان على هذا المؤتمر ان يسوي مسألة الاماكن المقدسة تسوية نهائية، وان يحدد مركز القدس في العالم الاسلامي(٦).

وسواء كان ميرزا مهدي او شوكت علي هو صاحب الفكرة ، او أن الفكرة قد نبتت في الحديث الذي جرى بين الزعيم التونسي عبد العزيز الثعالبي والحاج امين الحسيني — حيث ان هذه النقطة ما تزال تحتاج الى تحقيق — فالذي حدث ان الحاج امين الحسيني قد تبنى الفكرة واخرجها الى حيز الوجود . وكان الحاج امين يعتقد ان ناحية الضعف الاساسية في خطط العرب السياسية ، هي عجزها عن اثارة الرأي العام العالمي وكسب عطفه وتأليف جبهة قوية تستطيع الوقوف في وجه الصهيونية العالمية ، فاراد بهذا المؤتمر استغلال العاطفة الدينية عند المسلمين ، والتأثير على مئات الملايين من المسلمين المنتشرين في جميع انحاء العالم ، وخلق مشاكل سياسية خطيرة لبعض الدول الغربية وخاصة المملكة المتحدة(٧).

واثيرت في ذلك الوقت فكرة عقد المؤتمر الاسلامي في مكة بدلا من القدس ، وكان الملك عبد العزيز آل سعود قد تلقى عدة اقتراحات من زعيم حزب الاحرار في الهند وجمعية العلماء الاسلامية هناك ، ورسائل اخرى من بعض الاقطار الاسلامية تطلب عقد المؤتمر في مكة ، مرجحين ذلك عن عقده في بلاد واقعة تحت الانتداب البريطاني المباشر. وكان جواب الملك عبد العزيز على هذه الرسائل انه يحبذ عقد هذا المؤتمر في مكة ، لكنه لا يدعو الى ذلك ، بل يريد ان يكون الامر طبيعيا ، وان يترك لرغبة البلاد الاسلامية نفسها(٨). لكن هذه الفكرة لم يقدر لها ان تأخذ مزيدا من الاهتمام والترحيب ، لان اختيار القدس بالذات لعقد هذا المؤتمر كان أمرا مقصودا ، لارتباط المدينة بقضية انبراق ، وحاجة فلسطين في ذلك الوقت الى مزيد من اهتمام البلاد الاسلامية بها .

وكانت هناك حركة دائبة في ذلك الوقت لتنظيم اهمية القدس في ذهن العالم الاسلامي ، ففي يناير ١٩٣١ دفنت جثة محمد علي — الرئيس السابق للجنة الخلافة الاسلامية الهندية — في رحاب الحرم الشريف ، وتوبعت هذه السياسة عندما دفنت جثة ملك الحجاز السابق بعد ذلك بالقرب من جثمان محمد علي(٩). وقد اكتسب امين الحسيني بتفكيره في دفن رفات محمد علي في الحرم الشريف نفوذا كبيرا بين مسلمي الهند، وكانت فكرة الحسيني في تحويل جانب من المسجد الاقصى الى مدفن كبير لعلماء المسلمين ترمي الى تعلق الشعوب الاسلامية بالمسجد الاقصى ، وقد روى انه قبل ان يدفن محمد علي في المسجد الاقصى ، كان عدد الحجاج الهنود الذين يؤمون فلسطين لزيارة الحرم الشريف لا يزيدون على أصابع اليدين في السنة ، فأصبحوا بعد ذلك يفدون عليها مئات لزيارة الحرم اولا ثم لزيارة ضريح زعيمهم محمد علي(١٠).

وارسلت الدعوة لحضور المؤتمر الاسلامي العام حوالي منتصف اكتوبر ١٩٣١ ، وكانت موقعة من محمد امين الحسيني رئيس المجلس الاسلامي الاعلى بفلسطين(١١). وشهد المؤتمر عدد كبير من اعلام المسلمين ، يمثلون شعوب اثنين وعشرين قطرا من الاقطار الاسلامية وغير الاسلامية وهذه الاقطار هي تركستان الصينية وتركيا وتونس وجاوا والجزائر والحجاز وروسيا وسورية وسيلان وشرق الاردن وطرابلس الغرب والعراق وفارس وفلسطين وقافقاسيا ولبنان ومصر والمغرب الاقصى ونيجيريا والهند واليمن ويوغسلافيا(١٢). واشترك في المؤتمر ممثلو الحركات الوطنية في الشرق العربي(١٣). وذهب من العراق نواب وعلماء وادباء معروفون مثل المجتهد كاشف الغطاء وسعيد ثابت والشيخ بهجت الاثري وابراهيم الواعظ وماجد القرغولي وحسن رضا(١٤). واما ملوك المسلمين وامراؤهم ، فقد وجهوا الدعوة لحضور المؤتمر الى فيصل ملك العراق ونادر شاه ملك الافغان ، وابن السعود ملك السعودية ، والامام يحي ملك اليمن ، وامير شرق الاردن ، وسلطان حضرموت ، وامراء الولايات الاسلامية في الهند ، ورئيس الدولة السورية ، ومصطفى كمال رئيس الجمهورية التركية ، وفؤاد ملك مصر(١٥). لكن امام اليمن كان هو الوحيد من رؤساء الدول العربية الذي رحب رسميا بالدعوة

الى المؤتمر(١٦) قتبيل انعقاده ، بل كان أسرع المرحبين لعقد مثل هذا المؤتمر(١٧). ولم يكتف بارسال مندوبه، بل ارسل مقدار طن من بن المملكة «اكراما لاعضاء المؤتمر»(١٨). واما ابن السعود ، فقد عين ممثله ــ الشيخ كامل القصاب ــ بعد انعقاد المؤتمر بعدة أيام(١٩). واما تركيا فقد القى وزير خارجيتها توفيق رشدي بك بيانا في المجلس الوطني ردا علي استجواب يعبر عن القلق بشأن هذا المؤتمر ، اعلن فيه انه تلقى تأكيدات من الحكومة البريطانية بأنه لن يثار في المؤتمر اية مسائل سياسية ذات سمة معارضة ، وان الحكومة البريطانية لن تسمح باي اجراء يحدث في المؤتمر يكون معاديا للمصالح التركية ، وأكد الوزير ان بريطانيا العظمى لم تكن حامية او مشجعة للمؤتمر ، وان مسألة الخلافة لن تطرح للمناقشة ، واعلن أن الحكومة التركية تعارض في قوة اية حركة تستغل الدين للاغراض السياسية(٢٠). وبالرغم من موقف الحكومة التركية من المؤتمر ، فقد حضره بعض الاتراك غير الكماليين مثل الاستاذ رضا توفيق بك الفيلسوف والوزير السابق ، بينما منع من حضور المؤتمر الشيخ مصطفى صبري شيخ الاسلام السابق(٢١). وكان العلم التركي مرفوعا مع اعلام البلاد المشتركة في المؤتمر ، لكنه سحب من القاعة بعد تدخل قنصلية تركيا في القدس(٢٢).

ورأى المعارضون للحاج امين الحسيني في فلسطين في هذا المؤتمر ــ وقد أخذت تبدو علامات خطورته واهتمام الصحافة العربية به ــ دعاية قوية لخصمهم ، فجن جنونهم ، وأخذوا يكاتبون جماعة من المشجعين للمؤتمر في مصر ومن المقربين الى الملك فؤاد كعبد الحميد سعيد والشيخ التفتازاني ، ويخبرونهم بان الحاج امين الحسيني سوف يستغل المؤتمر استغلالا شخصيا وحزبيا ، وأخذوا في بث مثل هذه الدعاية في صحفهم وبين جماهير الشعب الفلسطيني ، فاوجدوا في النفوس شيئا من التوتر(٢٣). ونقرأ في الصحف المصرية في تلك الفترة برقيات مرسلة من رجال المعارضة في القدس ، يحملون فيها الحاج امين الحسيني مسئولية عدم توحيد كلمة الفلسطينيين استعدادا لعقد هذا المؤتمر(٢٤).

ووقفت القاهرة في بداية الامر موقف الحذر من هذا المؤتمر ، ويرجع ذلك الى الغموض الذي تضمنته الدعوة لحضور المؤتمر ، فلم يرد فيها تحديد لاغراض المؤتمر وموضوعات بحثه ، كما أن اللجنة التحضيرية للمؤتمر فاجأت العالم الاسلامي بهذه الدعوات ، دون أن يكون هناك تمهيد لها او اتفاق من البلاد الاسلامية عليها وعلى موضوعات بحث المؤتمر ومكان انعقاده(٢٥). كما يرجع هذا الحذر ايضا الى ما اثير في ذلك الوقت ، من أن المؤتمر سيناقش مسألة الخلافة ، وان هناك نية لتنصيب السلطان السابق عبد المجيد خليفة للمسلمين . وقد سبق ان خاب أمل الملك فؤاد في عام ١٩٢٦ عندما فشل المؤتمر الاسلامي الذي عقد في ذلك العام في اختياره خليفة للمسلمين ، لكنه لم يتوقف عن التطلع الى الخلافة(٢٦). وقد اشيع في ذلك الوقت ــ واغلب الظن ان الصهيونيين والمعارضين للمؤتمر هم الذين اشاعوا ذلك ــ ان الهدف من انشاء جامعة المسجد الاقصى هو منافسة الازهر الشريف(٢٧). وكانوا يهدفون من ذلك الى اثارة علماء الازهر في مصر ــ ولم يكن ذلك صحيحا بطبيعة الحال ، فقد كان الهدف من انشاء تلك الجامعة تلبية احتياجات العصر بافساح المجال لتعليم العلوم والطب والكيمياء وعلوم الميكانيكا وتدريس اللغات الانجليزية والفرنسية والالمانية والايطالية بالاضافة الى اللغتين العربية والفارسية ، على أن تلقى هذه العلوم على الطلبة في اطار الدين ، وبذلك تتمكن هذه الجامعة من تخريج مسلمين يجارون تقدم العصر ، ويكونون مزودين بالاسلحة التي تعينهم على مسايرة التقدم الحضاري(٢٨). لكن هذه الشائعة تعطينا فكرة واضحة عن تلك المشاكل التي كانت تثار في طريق المؤتمر ، وعن ادراك العناصر الصهيونية والاستعمارية والمعارضة لخطورة نشاط المؤتمر ، لو قدر له أن يتابع اعماله دون معوقات او مثبطات .

وقد فهم ان مما اثار المخاوف من المؤتمر ، كتب صادرة عن جمعية سرية الى بعض رجال الاسلام في مصر والعراق ، تحمل على اهمال امر الخلافة ، وتطلب التفكير في توسيدها الى أهلها في مؤتمر القدس ، ولم يستبعد الملاحظون ان تكون هذه الحركة دسيسة صهيونية بهدف احباط عمل المؤتمر واثارة المخاوف من حوله ، او انه كان للدعاية الصهيونية اثر ايجابي فيها(٢٩). ومن ناحية اخرى فقد أكدت بعض الصحف الاجنبية في ذلك الوقت — ونقلت عنها الصحف العربية — ان الغاية الاساسية من المؤتمر هي مسألة الخلافة ، رغم ما صدر بشأنها من تكذيبات ، وان انجلترا هي التي تلعب هذه اللعبة من وراء ستار ، وان الرأي يتجه الى تجريد الخلافة من سلطتها الزامية ، وان يكون كل ما للخلافة امتياز على نحو ما لمدينة الفاتيكان ، ثم اشارت الى أن الزواج الذي عقد بين ابن نظام حيدر أباد وكريمة الخليفة السابق عبد المجيد انما هو زواج سياسي يقصد به موضوع الخلافة ، وانه من الممكن ان يكون فاتيكان الخلافة الاسلامية في الهند(٣٠). ومن يتابع الصحف المصرية فترة انعقاد المؤتمر الاسلامي ، يلاحظ اهتماما من بعضها بموضوع الخلافة ، ودعوة الى جعل الخلافة في القاهرة ، واعتبارها أحق الاماكن بذلك « والذي يقابل بين مصر والاستانة ، ويحكم العقل المنزه عن الاغراض في هذه المسألة الاسلامية الهامة ، يتضح له ان لمصر مزية دينية سياسية لا توجد في دار الخلافة القديمة ، ولا في شرقي الاردن ولا في بغداد ولا في الحجاز ، فالجامع الازهر وهو المدرسة الدينية الكبرى التي طبق ذكرها الآفاق ، وعصبة البيت العلوي المحمدي اقوى من جميع بيوتات الملوك الاسلامية في الشرق ، واذا وجب ان نلقب ملكا بعد ملوك بني عثمان بخادم الحرمين الشريفين فانه لا يوجد سوى ملك مصر ، الذي ورث هذا اللقب عن اجداده الليوث »(٣١). « والواقع انه اذا كان لا بد للمسلمين ان يفكروا في رجع الخلافة بعدما ألغاها الاتراك لضرورات سياسية لا يوجد من يصلح لمركز الخلافة كما يصلح حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الاول ، الغيور على دينه ، الأمين لتقاليد بلاده ، المرتفع بها من عهد التبعية الى عهد الاستقلال ... »(٣٢).

وحرصا على ازالة ما علق باذهان المسئولين في القاهرة بشأن اغراض هذا المؤتمر فقد ذهب امين الحسيني الى القاهرة في اوائل نوفمبر ١٩٣١ ، واستقبله صدقي باشا رئيس الوزارة المصرية في ذلك الوقت وتحدث اليه في هذا الموضوع(٣٣). وكتب امين الحسيني الى صدقي باشا في نفس اليوم رسالة ، أكد له فيها ما دار من حديث بينهما عند لقائهما وان الموضوعات التي سيتناولها البحث ستكون بعيدة كل البعد عن ان تمس الشئون المصرية البحتة من سياسية وقومية ، او تتعرض لما يتعلق بالازهر الشريف ، ثم عاد امين الحسيني عند مغادرته مصر الى فلسطين ، فارسل رسالة اخرى الى صدقي باشا ، اكد له فيها ما جاء في كتابه السابق ، بشأن غايات المؤتمر وحدود برنامجه(٣٤).

وذهب الى القاهرة بعد ذلك احد رجال المعارضة في فلسطين ، واجتمع بمحمد علي علوبة باشا والدكتور عبد الحميد سعيد وغيرهم ، موضحا موقف المعارضة من المؤتمر الاسلامي ، واستقر الرأي على تفويض محمد علي علوبة باشا في مصارحة المفتي بالموقف ووجوب القضاء ولو مؤقتا على الشقاق الفلسطيني المحلي ، وكتب علوبة باشا بذلك الى المفتي مخبرا اياه بتفويض الدكتور عبد الحميد سعيد في السفر الى القدس للعمل على توحيد الصفوف وجمع الكلمة(٣٥). وسافر عبد الحميد سعيد رئيس جمعيات الشبان المسلمين في مصر الى القدس قبيل انعقاد المؤتمر الاسلامي بايام ، ليسعى للتوفيق بين الحاج امين الحسيني وبين معارضيه وفي مقدمتهم راغب بك النشاشيبي رئيس بلدية القدس ، واتصل الدكتور عبد الحميد سعيد في القدس باقطاب الفريقين ، واستقر الرأي على تأليف لجنة تضم اثنين من أنصار المفتي واثنين من انصار المعارضة

تكون مهمتها بحث اسباب الخلاف وتدبير الحلول المناسبة لازالته ، واتفق الفريقان على اسناد رئاسة هذه اللجنة الى موسى كاظم الحسيني ، لما له من منزلة في نفوس الجميع(٣٦). وعاد الدكتور عبد الحميد سعيد الى القاهرة ومعه كتاب ممن اللجنة التحضيرية للمؤتمر لرئيس الوزارة المصرية ، تؤكد فيها اللجنة تأييدها لما سبق ان أكده المفتي لرئيس الوزارة من أن ابحاث المؤتمر وموضوعاته بعيدة كل البعد عن أن تمس الشئون المصرية البحتة او ان تتعرض لما يتعلق بالازهر الشريف(٣٧). ولم يكد الدكتور عبد الحميد سعيد يصل الى القاهرة ، حتى جاءت البرقيات من القدس بأن المفتي لم ينفذ القرار المتقدم ، وتبين ان الحاج امين رأى الاكتفاء بدعوة خمسة او ستة من رجال المعارضة للاشتراك في المؤتمر واختار اسماءهمبنفسه(٣٨). وقررت اللجنة التحضيرية للمؤتمر دعوة عدد من رجال المعارضة للاشتراك مع اعضائها في تهيئة اسباب عقد المؤتمر ، وكان المعارضون يطلبون دعوة أشخاص منهم كأعضاء في المؤتمر لكن اللجنة التحضيرية قررت دعوة الهيئات الدينية والسياسية في فلسطين للاشتراك في عضوية المؤتمر ، وتضم هذه الهيئات معارضين ومؤيدين ، وهذه الهيئات هي : رئيس اللجنة التنفيذية العربية ، اعضاء الهيئة الادارية لمكتب اللجنة التنفيذية وعددهم خمسة ، رئيس المجلس الاسلامي واعضاؤه ، رئيس محكمة الاستئناف الشرعية العليا واعضاؤها، اعضاء محكمة الاستئناف النظامية العليا ، سبعة من قضاة الشرع الشريف والمفتون ، مندوبان عن جمعيات الشبان المسلمين ، عشرة اعضاء من اللجنة التحضيرية للمؤتمر . لكن رجال المعارضة لم يرحبوا بذلك ، لان اغلبية اعضاء هذه الهيئات كانوا محايدين او مجلسيين(٣٩).

وفي تلك الاثناء وصل شوكت علي الى مصر قادما من المملكة المتحدة ، وقرر التعجيل بالسفر الى فلسطين ليبذل جهوده في اصلاح ذات البين ، وما كاد يصل الى القدس حتى شرع في بذل مساعيه ، فاجتمع مساء يوم وصوله باقطاب المعارضة اجتماعا طويلا ، وبعد أخذ ورد اقترح عليهم حلاً للخلاف ، ان يدعى عشرون منهم الى الاشتراك في المؤتمر ، على ان يكون لهم ممثلون في لجان المؤتمر الدائمة ، فرضوا بهذا الحل ، وفي صباح اليوم التالي — وهو اليوم السابق ليوم افتتاح المؤتمر — كتب فخري النشاشيبي الى شوكت علي شاكرا جهوده ، ذاكرا اسماء الأعضاء العشرين الذين اختارتهم المعارضة للاشتراك في المؤتمر بناء على اقتراحه ، فقابل شوكت علي الحاج امين الحسيني وناقشه في الاقتراح ، لكن امين الحسيني رفضه ، فعاد شوكت علي الى المعارضة واجتمع بأقطابها ، وبعد بحث طويل اتفقوا على تأليف لجنة من المفتي وأحد انصاره ، ومن راغب النشاشيبي وأحد انصاره لحسم الخلاف بين الفريقين ، على ان يكون الحكم بينهما شوكت علي والدكتور عبد الحميد سعيد ، وذهب شوكت علي الى المفتي وعرض عليه هذا الاقتراح فرفض ، وعاد شوكت علي الى المعارضة وابلغهم بما تم ، متوسلا اليهم ان يضحوا في سبيل انجاح المؤتمر فوافق راغب النشاشيبي على التنازل عن جميع الاقتراحات دون قيد او شرط ، فكان رد شوكت علي انه سيصدر في اليوم الثاني بيانا للعالم الاسلامي ، يبسط فيه الموقف المشرف الذي وقفته المعارضة ، وان الدكتور عبد الحميد سعيد سيوقع معه هذا البيان . وفي صباح اليوم التالي — يوم افتتاح المؤتمر — كتب هذا البيان ، وعرضه شوكت علي على المفتي فلم يرتح اليه ، وحاول اقناعه بعدم نشره ، فأبى شوكت علي ذلك ، وامضى البيان مع الدكتور عبد الحميد سعيد ، ونشرته الصحف(٤٠). وقد اوضحا في هذا البيان ، انه تبين لهما ان رجال المعارضة يحملون في قلوبهم من الاخلاص والغيرة على الاسلام وعلى نجاح المؤتمر ، بقدر ما يحمله كل فرد منهم ، وانهما كانا يجدان دائما من رجال المعارضة قبولا ومعونة لما يقدمانه من حلول واقتراحات(٤١).

ومعنى هذا البيان ان المجلسيين كانوا متعنتين في انهاء هذا الخلاف ، بعكس رجال

المعارضة الذين كانوا يحاولون توحيد الكلمة وتصفية الخلاف ، لكن حقيقة الموقف ان المجلسيين كانوا يعتبرون انفسهم ممثلي عرب فلسطين ، وينظرون الى رجال المعارضة باعتبارهم لا يمثلون الا انفسهم ومصالحهم ، وانه لا يجب التوسع في قبـول ممثلين لرجال المعارضة في عضوية المؤتمر . واغتبطت المعارضة بهذا البيان اغتباطا كبيرا ، لانه نفى جميع التهم التي كان المفتي وانصاره يعزونها اليهم،وادرك كثيرون منذ نشر هذا البيان ان الموقف تجاه شوكت علي سيتغير ، واظهرت الاحداث بعد ذلك انهـم كانوا مصيبين في ظنهم ، فانه في اليوم التالي انتخب اعضاء مكتب المؤتمر ، ولم ينتخب شوكت علي ضمنه ، وعقد المؤتمر دون أن تشترك فيه المعارضة(٤٢).

ولم يكف رجال المعارضة عن اثارة البلبلة حول المؤتمر ، فطبعت منشورات عديدة موقعة من زعماء المعارضة حملوا فيها على الحاج امين وجماعته ، واتهموهم بالاستئثار بأمر المؤتمر ، كما كلفوا بعض رجالهم بالاتصال باعضاء المؤتمر للدعاية ضد الحاج امين ، وخصصت جريدة مرآة الشرق جزءا كبيرا من صفحاتها طوال ايام المؤتمر ، لانتقـاد الحاج امين والمجلس الاسلامي الاعلى(٤٣). وكان من المنشورات التي وزعتها المعارضة أثناء انعقاد المؤتمر، منشورا متضمنا حصرا بالاماكن المقدسة والمساجد ومقابر الشهداء والعلماء التي تغيرت معالمها وخربت آثارها وانتهكت حرماتها ، ودعا المنشور الى اعادة تلك الاثار الى ما كانت عليه(٤٤). وكان واضحا ان المنشور يشير باصبعه الى الحاج امين الحسيني ، ويعتبره مسئولا عن الحالة التي اصبحت عليها تلك الاماكن المقدسة. وقد قام المجلس الاسلامي الاعلى بالرد على ما جاء بهذا المنشور وتنفيذه(٤٥).

ولكي نفهم حقيقة الدوافع التي كانت تحرك رجال المعارضة ، ونلقي مزيدا من الضوء على فكرهم وفكر الحسينيين ، فلنستعرض بيانا للمعارضة في هذا الشأن ، وردا من الحاج امين الحسيني عليه . فلقد أذاع المعارضون بيانا على العالم الاسلامي، اوضحوا فيه سبب معارضتهم للمؤتمر الاسلامي : اولا — عدم استشارة الحاج امين الحسيني ذوي الرأي والمكانة من مسلمي فلسطين بشأن المؤتمر . ثانيا — ارسال الدعوة باسم المجلس الأعلى ، في الوقت الذي لم يكن هذا المجلس ليقرر عقد المؤتمر . ثالثا — صدور منشورات باسم اللجنة التحضيرية للمؤتمر الاسلامي ، هذه اللجنة التي لا يعلم مسلمو فلسطين عنها شيئا ، رغم اصرارهم على ضرورة نشر اسماء الاشخاص الذين تتألف منهم . رابعا — عدم نشر برنامج واضح عن الموضوعات التي ستعرض للبحث في هذا المؤتمر ، كما هي الأصول المتبعة في عقد مثل هذه المؤتمرات الهامة . خامسا — عدم ارسال دعوة حتى الان — حتى اذاعة هذا البيان — لحضور هذا المؤتمر لاية هيئـة اسلامية ممثلة في فلسطين ، او لاي شخص من ذوي المكانة القوية في البلاد ، لتتمكن هذه الهيئات وهؤلاء الاشخاص من درس الموضوع درسا دقيقا .

ثم اقترح بيان المعارضة ما يأتي حرصا على نجاح المؤتمر : اولا — دعوة قادة الـرأي وذوي المكانة من مسلمي فلسطين ، لانتخاب لجنة تحضيرية ممثلة ، تنظم كل ما من شأنه ان يكمل نجاح انعقاد المؤتمر . ثانيا — تنشر هذه اللجنة برنامجا تحدد فيه الابحاث التي سيتناولها المؤتمر ، على ان تراعى في ذلك كل الاعتبارات والمصالح الاسلامية في الاقطار الاسلامية الاخرى . ثالثا — ترسل هذه اللجنة التحضيرية الدعوة لبعض افراد المسلمين ، وللهيئات الاسلامية الفلسطينية الممثلة ، وذلك لتمثيل فلسطين نفسهـا في المؤتمـر .

وكان من الذين وقعوا على البيان ، عبد الرحمن التاجي الفاروقي ومحي الدين عبـد الشافي عضو المجلس الاسلامي الاعلى ، وخليل الخالدي رئيس محكمـة الاستئنـاف الشرعية العليا في فلسطين ، وعمر البيطار عضو اللجنة التنفيذية للمؤتمر العـربي الفلسطيني السابع،ورؤساء بلديات الخليل والرملة والقدس وجنين ونابلس وغزة ويافا

وعكا(٤٦). وواضح من هذا البيان ، وما ورد فيه من اقتراحات ، ان الهدف الرئيسي لرجال المعارضة ، هو الحد من سيطرة الحاج امين الحسيني على هذا المؤتمر واتاحة الفرصة للمعارضة كي تأخذ دورا فعالا في ادارة اموره .

واصدر امين الحسيني بيانا يرد فيه على بيان المعارضة، موضحا النقاط التالية: اولا ـــ انه استشار كثيرا من ذوي الراي والمكانة في فلسطين والاقطار الاسلامية الاخرى في الامر ، فحبذوا عقد مؤتمر اسلامي عام ووافقوا عليه . ثانيا ـــ ان المجلس الاسلامي الاعلى وافق في اجتماع عقده يوم ٢٦ يوليو ١٩٣١ على ضرورة عقد المؤتمر الاسلامي والدعوة اليه . ثالثا ـــ انه لم يكن هناك ضرورة لعقد اجتماعات كبيرة مـــن مسلمي فلسطين لانتخاب لجنة تحضيرية . رابعا ـــ انه يوافق على اشتراك سائر الفئـــات في اللجنة التحضيرية وفي المؤتمر ، بشرط الا يكون القصد من ذلك هو الهدم ، وان يكون المشتركون ممن عرفوا بالغيرة الاسلامية الصادقة . خامسا ـــ ان الادعاء بعدم نشر برنامج للمؤتمر هو مخالف للواقع ، لان كثيرا من الصحف المصرية والفلسطينية وغيرها نشرت البرنامج المذكور . سادسا ـــ ان تأخير دعوة اهل فلسطين للمؤتمر ، ترجع الى ان القائمين بأمر المؤتمر شرعوا اولا في ارسال الدعوات الى الاقطار الاسلامية النائية ، فلما استوثقوا من اجابتها ، دعوا الاقطـــار الاخرى ، الاقرب فالاقرب(٤٧).

وليس بخاف ان هذا البيان يعكس حرصا على ان يظل المجلسيون هم اصحاب الكلمة العليا، والا تعطى المعارضة فرصة حقيقية للحركة، كما يعكس ايضا حجة قوية وتبريرا معقولا ـــ مثلما ورد في تبرير تأخير دعوة أهل فلسطين ـــ رغم ما يتضمنه ذلك التبرير من تكتيك واضح ، وحرص على المباغتة والحركة في الوقت المناسب ، ورغبة من الحاج امين الحسيني في أن يرتب الامور وفق ما يريد .

وعقد رجال المعارضة في ١١ ديسمبر ١٩٣١ وخلال انعقاد المؤتمر الاسلامي العـــام ، مؤتمرا لهم راسه راغب بك النشاشيبي رئيس بلدية القدس ، وحضره اكثر مـــن الف من المدعوين بينهم رؤساء البلديات وكبار المزارعين واثنان من اعضاء المجلس الاسلامي الاعلى الاربعة(٤٨). كما دعا المعارضون لحضور هذا المؤتمر عددا من الشخصيـــات الاسلامية التي حضرت المؤتمر الاسلامي العام ، لكن لم يحضره منهم الا عدد قليل(٤٩). وانتخب المؤتمر مكتبا لرئاسة المؤتمر ، كان من بين اعضائه الشيخ اسعد الشقيري والاستاذ سليمان التاجي الفاروقي ـــ رئيس الحزب الوطني خلال العشرينات ـــ وعمر البيطار ، وفهمي بك الحسيني ، وسليمان بـــك طوقان ، وتوفيق بـــك العبداللـــه ، كما انتخب للسكرتارية عمر الصالح ، وحسن صدقي الدجاني .

وبعد القاء الكلمات وتقديم الاقتراحات ، قرر مؤتمر المعارضة ما يأتي : اولا ـــ تسمية هذا المؤتمر « مؤتمر الامة الاسلامية الفلسطينية » . ثانيا ـــ مطالبة الحكومة بتنفيذ مشروع قانون المجلس الاسلامي ، وفقا للاقتراحات التي تقدمت بها المعارضة للحكومة والتي يؤيدها هذا المؤتمر . ثالثا ـــ مطالبة الحكومة بمحاسبة المجلس الاسلامي ، من قبل محاسبين رسميين فنيين . رابعا ـــ نزع الثقة من رئيس المجلس الاعلى الاسلامي، وعدم الاعتراف به كرئيس للمؤتمر الاسلامي ، لان فلسطين لم تشترك في هذا المؤتمر، ولان تصرفاته في الدعوة للمؤتمر كانت شخصية بحتة . خامسا ـــ مطالبة الحكومـــة باستقلال ادارة القضاء الشرعي عن المجلس الاسلامي الاعلى ، تأمينا لمصالح المسلمين الشرعية . سادسا ـــ تحية الوفود الاسلامية التي حضرت الى فلسطين من الاقطار الاسلامية . سابعا ـــ مفاوضة الهيئات الاسلامية في جميع الاقطار الاسلامية ، لعقد مؤتمر اسلامي عام في احدى الممالك الاسلامية. ثامنا ـــ المحافظة على الاماكن الاسلامية المقدسة في فلسطين ، وارجاع ما فقد منها الى ما كان عليه . تاسعا ـــ مطالبة الحكومة بتنفيذ مطالب الوفد العربي الفلسطيني الاخير ـــ الذي انتخبته الامة باجمعها ـــ وهي

المطالب التي توصل البلاد الى استقلالها وامانيها القومية،وتدفع عنها خطر الصهيونية.
عاشرا ــ أصدار بيان برأي هذا المؤتمر تجاه المؤتمر الاسلامي العام .

وتألفت لجنة للسعي وراء تنفيذ هذه القرارات . مؤلفة من السادة : راغب بك النشاشيبي ، والشيخ سعيد الكرمي ، والحاج راغب الخالدي ، والاستاذ الشقيري ، وفهمي بك الحسيني(٥٠). وقد تكلف ذلك المؤتمر الذي عقد في فندق الملك داود بالقدس ــ اموالا كثيرة ، حيث شهده اكثر من الف شخص ، دفعت لمعظمهم نفقات السفر، وقيل ان زعماء المعارضة جمعوا من بينهم المبالغ لسد النفقات ، غير أن ما انفق كان اكثر مما يمكن جمعه ، ويكاد يكون من المحقق ان مبالغ اخرى قد دفعت لبعض الذين ساهموا في تجميع اعضاء المؤتمر وتسفيرهم ، وقد ادرك كثير من اعضاء الوفود الغرض الذي استهدفته المعارضة من عقد هذا المؤتمر ، واستهجنوا ما لجأت اليه من طرق ووسائل(٥١).

وقد اردت من التحدث عن موقف المعارضة من المؤتمر ، قبل ان أتحدث عن اعمال المؤتمر نفسه،ان اوضح الجو العام الذي عقد فيه المؤتمر، والذي ساهمت به المعارضة في تقوية مركز امين الحسيني ، سواء في نفوس اعضاء المؤتمر ام في نفوس جماهير عرب فلسطين ، فقد لجأت المعارضة في هجومها الى وسائل غير كريمة ، وكانت انتقاداتها دعائية اكثر منها موضوعية ، مما جعل اعضاء المؤتمر يقارنون بينها وبين امين الحسيني وجماعته ، فيجدون فرقا كبيرا في الاسلوب والحركة والتوقيت : فالمعارضة الفلسطينية حقيقة لم تكن تتحرك في الوقت المناسب ، ولم تكن تعرف ما يقال ومتى يقال .

وارادت الحكومة الفلسطينية ان تطمئن على ما سيثار في المؤتمر من موضوعات ، فأبلغت رئيس المجلس الاسلامي الاعلى بأنها لا تسمح بعقد مؤتمرات يبحث فيها امور خارجية او داخلية تمس احدى الدول الصديقة ، وطلبت اليه ان يوافيها ببيان عن الموضوعات التي سيتناولها المؤتمر بالبحث ، فوافاها بالبيان المذكور(٥٢).

وافتتح المؤتمر جلساته يوم ٧ ديسمبر ١٩٣١ ، واستمرت جلساته حتى ١٧ ديسمبر . وعقد خلال تلك الفترة سبع عشرة جلسة(٥٣). وحضره حوالي مائة وخمسين مندوبا بما فيهم مندوبو فلسطين(٥٤). وقد عقدت جلسات المؤتمر في مبنى مدرسة روضة المعارف بالقدس ، حيث كانت قد أعدت لهذا الغرض(٥٥). واقيمت حفلة الافتتاح في المسجد الاقصى . وقد القى فيها الحاج امين خطبة الافتتاح ، وكان واضحا من كلمته عدم الرغبة في مهاجمة احد او اثارة مشاكل امام المؤتمر « وليس القصد من هذا المؤتمر الاعتداء على امة من الامم او مهاجمة دين من الاديان ، او مخاصمة احد في هذا العالم، وانما القصد ان يعمل المسلمون لصالحهم يدا واحدة وصفا واحدا »(٥٦). وتحدث أيضا في تلك الجلسة كاشف الغطاء من كبار مجتهدي الشيعة في العراق ، والدكتور عبد الحميد سعيد وضياء الدين الطباطبائي والشاعر محمد اقبال والزعيم التونسي عبد العزيز الثعالبي وعبد الرحمن عزام ، والامير سعيد الجزائري ، ثم مصطفى الغلاييني من ادباء بيروت ، ثم رياض اسحق مندوب المسلمين في روسيا ، وعبد القهار مدكر مندوب جاوا ، ثم بهجت الاثري من علماء العراق ، والشيخ نعمان الاعظمي رئيس مدرسة دار العلوم في بغداد(٥٧).

وانتخب المؤتمر في جلسته الثانية مكتبا لادارة جلساته واعماله مؤلفة من : محمد امين الحسيني رئيسا ، وضياء الدين الطباطبائي رئيس وزراء ايران الاسبق ، ومحمد علي علوبة باشا وزير الاوقاف الاسبق في المملكة المصرية ، ومحمد اقبال شاعر الهند الكبير، والشيخ محمد زيارة مندوب الامام يحي وكلاء ، ورؤوف باشا مندوب سيلان ، وابراهيم بك الواعظ النائب العراقي ، ومحمد عزة دروزة ، وعبد القادر المظفر امناء للسر ،

وشكري القوتلي مندوب الكتلة الوطنية في سوريا ، ورياض الصلح مندوب مسلمي لبنان مراقبين ، واحمد حلمي باشا مدير البنك العربي في فلسطين امينا للمال ، والشيخ محمود الدجاني مساعدا لامين المال . وتألفت في المؤتمر ثمان لجان لبحث الشئون التي عرضت عليه وتقديم تقارير وافية عنها ، وهذه اللجان هي : لجنة الدستور ، ولجنة الدعاية والنشر ، ولجنة المالية والتنظيم ، ولجنة الثقافة وجامعة المسجد الاقصى ، ولجنة السكة الحديدية الحجازية ، ولجنة الاماكن المقدسة والبراق الشريف ، ولجنة الدعوة والارشاد ، ولجنة المقترحات(٥٨). وتقرر ان تؤلف كل لجنة ، لجنة تنفيذية تتولى صياغة الاقتراحات والقرارات ، وعرضها على اللجنة العامة التي تدرسها وتقدمها للمؤتمر(٥٩).

وتليت في المؤتمر اثناء انعقاده رسائل من جميع انحاء العالم الاسلامي ، من بينها رسائل من الملك فيصل ملك العراق ومن عباس حلمي خديوي مصر السابق ومن احمد جابر الصباح امير الكويت ، ومن سلطان لحج ، ومن مصطفى النحاس باشا ، واحمد شفيق باشا ، ووزير خارجية ايران ، وحمد الباسل باشا ، وعبد الوهاب عزام ، والامير عمر طوسون ، والامير شكيب ارسلان ، ومن اهالي سومطرة ، والطلبة المراكشيين في باريس ، ومن مسلمي بولونيا وفنلندة وغيرهم(٦٠). ومن الرسائل الهامة التي تلقاها المؤتمر رسالة من مسجوني اضطرابات ١٩٢٩ العرب « من أعماق السجون ، التي تسيطر فيها قوة المستعمر الغاشم ، ومن بيت الكرامة القومية ، ومسكن الذين باعوا انفسهم في سبيل أمتهم ، يرتفع صوت مرحبا بكم أيها المؤتمرون الاباة . »(٦١).

وحدث في الجلسة الثانية للمؤتمر ، ان اثار عوني عبد الهادي مسألة الانتداب البريطاني في فلسطين ، وقدم اقتراحا للمؤتمر ينص على طلب الغائه ، فعارضه شوكت علي طالبا استبعاد الاقتراح ، فانبرى رياض الصلح وحمل على شوكت علي قائلا « يظهر لي يا سيدي انك تجهل تاريخ الجهاد في بلاد العرب . ان الانتداب منشأ كل هذه البلايا في البلاد ، وهو الذي جزأ سورية هذه التجزآت ، فالانتداب معاهدة كان او حماية هو الاستعمار بأبشع صوره » . كما حمل عوني عبد الهادي بدوره على شوكت علي(٦٢). وكان شوكت علي الزعيم الهندي حسن الظن بالانجليز ، ففي تصريح له اثناء انعقاد المؤتمر قال « ان البريطانيين يحترمون العرب ويجلونهم ، واذا بقينا متضافرين متساندين ، فان الدعاية الكاذبة لا يمكن ان تؤثر فينا شيئا »(٦٣).

وكانت الجلسة العاشرة التي عقدت مساء ١٣ ديسمبر ١٩٣١ هي جلسة الانتداب ، فقد انهالت فيها الاحتجاجات على الانتداب البريطاني ، واعترض شوكت علي على هذه الحملة ، بحجة ان الانتداب سيزول بطبيعة الحال اسوة بالعراق وسوريا ، لان الروح الاستقلالية قوية في فلسطين(٦٤). وفي الجلسة الخامسة عشرة التي عقدت صباح ١٦ ديسمبر تلي اقتراح من حمدي الحسيني باستنكار الاستعمار ومقاومته(٦٥). وحدث في نهاية تلك الجلسة ان وقف بشير السعداوي، طالبا الاحتجاج على الاعمال الاستعمارية العنيفة في طرابلس وبرقة ، وعندئذ القى عبد الرحمن عزام كلمة حماسية ، حمل فيها على اعمال ايطاليا في طرابلس ، قرر المؤتمر على اثرها وقف الجلسة دقيقتين حدادا على استشهاد عمر المختار . وقد وجه عبد الرحمن عزام في كلمته الى ايطاليا ثلاث تهم : الاولى : ان عدد سكان طرابلس تناقص بدرجة كبيرة بعد استيلاء ايطاليا عليها، والثانية : ان الاراضي الواقعة بين الحدود المصرية وبرقة الغربية أصبحت خاوية خالية من سكانها ، والثالثة : ان مصادرة الاموال والاراضي مستمرة منذ عشرين عاما ، وان الاراضي المصادرة تستخدم لاسكان المهاجرين الايطاليين بقصد احلال العنصر الايطالي محل العنصر العربي(٦٦). وفي الجلسة السادسة عشرة التي عقدت قبل ظهر الاربعاء ١٧ ديسمبر وافق المؤتمر على اقتراح مقدم من الاستاذ عبد الرحمن عزام بطرح المسألة

الطرابلسية على بساط البحث في دور الانعقاد القادم للمؤتمر، وعاد المؤتمر الى الانعقاد مساء ذلك اليوم ، حيث عقد جلسته السابعة عشرة والاخيرة(٦٧) والتي استمرت حتى صباح الخميس ١٨ ديسمبر ١٩٣١(٦٨).

واحتج قنصل ايطاليا على ما اثير في المؤتمر ضد سياسة بلاده ، فأمرت السلطة البريطانية عبد الرحمن عزام بمغادرة فلسطين فورا ، وكانت السلطة البريطانية قد اخذت موقفا حياديا من المؤتمر ، الى ان بدأ المؤتمر يبحث في مسائل الاستعمار والمستعمرين فتدخلت في الامر ، واجل المسئولون عن المؤتمر بحثهم في تلك المسائل الى نهاية جلسات المؤتمر(٦٩). واذاعت الحكومة بيانين بشأن هذا الموضوع ، اوضحت في البيان الاول أنه بناء على أمر صادر من المندوب السامي « فقد ابعد عن فلسطين الاستاذ عبد الرحمن عزام العضو المصري في المؤتمر الاسلامي العام ، لالقائه خطبا تتعلق بالسياسة الايطالية في طرابلس الغرب ، من شأنها ان توتر العلاقات بين ايطاليا والحكومة المنتدبة » ويبدو أن هذا البيان لم يكن كافيا او مقنعا من وجهة النظر الايطالية ، لان حكومة فلسطين سرعان ما أذاعت بيانا جديدا بعد بيانها الاول « اتصل بالحكومة انه في اثناء انعقاد المؤتمر الاسلامي الذي التأم مؤخرا بالقدس ، القيت بعض خطب من شأنها ان تترك أثرا سيئا في فلسطين، ووجهت في معرض هذه الخطب تهم باطلة الى دول اجنبية . ان الحكومة تستهجن هذه التفوهات ، وتغتنم اول فرصة لاعلان استنكارها للبيانات التي ادلى بها في المؤتمر بشأن اجراءات حكومة ايطاليا في طرابلس الغرب ، ومما تتألم له الحكومة أن تكون قد وجهت تهم باطلة الى دولة متحابة في فلسطين »(٧٠).

وغادر عبد الرحمن عزام مدينة القدس — في حراسة بريطانية — الى مدينة غزة يوم الاربعاء ١٧ ديسمبر وهو آخر ايام المؤتمر ، وقد ترك هذا الابعاد اثرا سيئا في نفوس اهل فلسطين واعضاء المؤتمر ، واقيمت مظاهرات في بعض مدن فلسطين تحتج على هذا التصرف(٧١).

وقد اوضح اعضاء المؤتمر — في مقرراتهم — غايتهم من عقد هذا المؤتمر ، لكن من يقرأ تلك الغايات يلاحظ انها اسلامية بحتة،لا علاقة لها بالاستعمار والصهيونية واخطارهما، كأن الاسلام لا يهتم الا بنشر الفضائل والاخلاق السامية بين المسلمين . وتلك هي غاياتهم كما اوضحوها : اولا — تنمية التعاون بين المسلمين على تعدد مواطنهم ومذاهبهم ، ونشر الثقافة والفضائل الاسلامية ، واذكاء روح الاخوة الاسلامية العامة . ثانيا — حماية المصالح الاسلامية وصيانة المقدسات من كل تدخل وسيطرة . ثالثا — مقاومة المساعي والحملات التبشيرية بين المسلمين . رابعا — انشاء جامعات ومعاهد علمية تعمل على توحيد الثقافة الاسلامية وتعليم اللغة العربية للناشئة الاسلامية وان يبدأ ذلك بانشاء جامعة في بيت المقدس تسمى « جامعة المسجد الاقصى » . خامسا — النظر في الشئون الاسلامية الاخرى التي تهم المسلمين .

وقد ادرك المؤتمر اهمية الدعاية وخطورتها ، لكنه لم يهتم بنوعية تلك الدعاية ولا بالاماكن التي تؤسس فيها مكاتب الدعاية ، فلم يكن من اهدافها مثلا دعوة المسلمين الى جمع الاموال لشراء الاراضي ، وانما كان المطلوب هو القيام بالدعاية دفاعا عن المصالح والثقافة الاسلامية ونشرا لغايات المؤتمر ، ولم يكن المطلوب هو انشاء مكاتب للدعاية في البلاد الاوربية ، وانما اراد المؤتمر فقط تأسيس مكتب رئيسي للدعاية في القدس ومكاتب فرعية في البلدان التي حضر منها مندوبون لهذا المؤتمر ، كأن البلاد العربية والاسلامية كانت في حاجة اكثر من البلاد الاوربية الى تلك المكاتب ، واتخذ المؤتمر قرارا عاما بالعمل على ترقية الصناعات في الاقطار الاسلامية ، لكنه لم يوضح طريقة العمل لتحقيق هذا الهدف الهام ، ولا هو حاول بعد ذلك متابعة هذا القرار . ولم

يتعرض المؤتمر لمناقشة شيء عن الوحدة الاسلامية ، لكن كاشف الغطاء تعرض في خطابه الى الوحدة الاسلامية وطريقة نموها ، ودعا المؤتمر الى تحبيذ فكرة انشاء جمعيات الشبان المسلمين في الاقطار الاسلامية وفي ديار المهجر ، واعتبر المؤتمر قضية العرب الارثوذكس جزءا من القضية العربية الكبرى ، ولفت نظر الحكومة الى وجوب تمكينهم من انتخاب بطريرك عربي لهم ، وكان قد عقد في يافا في تلك الفترة المؤتمر الارثوذكسي العربي للاشراف على انتخاب بطريرك عربي للطائفة الارثوذكسية خلفا للبطريرك اليوناني الذي توفي . واتخذ المؤتمر الاسلامي قرارات هامة بشأن مقاومة الخطر الصهيوني ، لكن تلك القرارات لم تأخذ طريقها الى التنفيذ ، فلم تحدث مقاطعة للمصنوعات الصهيونية في جميع الاقطار الاسلامية ، ولم تتأسس الشركة الزراعية الكبرى التي يشترك فيها العالم الاسلامي كله لانقاذ اراضي المسلمين في فلسطين . واحتج المؤتمر على فظائع ايطاليا في طرابلس — برقه ، واستنكر تصرفات روسيا البلشفية ضد المسلمين وعدوانها على المقدسات الاسلامية في الاورال والقفقاس وغيرها ، وطالب الحكومة الفرنسية بالغاء الظهير القاضي بتنصير مسلمي البربر ، واعلن استنكاره لاي نوع من انواع الاستعمار في أي قطر من الاقطار الاسلامية ، ولعله بهذا التعميم تجنب الاشارة المباشرة الى بريطانيا ، مثلما حدث مع ايطاليا وروسيا وفرنسا(٧٢) .

وكان موضوع السكة الحديدية الحجازية من الموضوعات التي اهتم بها المؤتمر كثيرا ، وخول اللجنة التنفيذية للمؤتمر اتخاذ التدابير اللازمة لاسترداد اقسام الخط المغتصبة وتوحيد اجزائه وتشغيله من قبل هيئة اسلامية . واحتج المؤتمر على استمرار وضع اليد على هذا الوقف الاسلامي والتصرف فيه في المناطق الواقعة تحت نفوذ السلطتين الفرنسية والبريطانية في سورية وفلسطين، وطالب حكومتي فرنسا وبريطانيا بتنفيذ ما اعترفت به معاهدة لوزان من كون هذا الخط وقفا اسلاميا ، والتقيد بما ورد في صك الانتداب ، من أن السلطة المنتدبة لا تتعرض للاوقاف الاسلامية ، وتسليم هذا الخط الى هيئة اسلامية تتولى ادارته وفقا للغاية التي انشىء من أجلها ، واحتج المؤتمر على ما قرره مؤتمر الديون العثمانية المنعقد في الاستانة وباريس ، من تقسيم الخط الحجازي وتجزئته واعتبار كل قسم منه ملكا للبلاد التي يجتازها ، واعلن المؤتمر عدم اعترافه بهذا القرار(٧٣) .

واختار المؤتمر قبل انفضاضه لجنة تنفيذية من خمسة وعشرين عضوا تكون مهمتهم : اولا — تنفيذ قرارات المؤتمر والاشراف على لجانه ومكاتبه . ثانيا — تهيئة الوسائل لانعقاد دورة المؤتمر التالية . ثالثا — تأسيس لجان فرعية في مختلف الاقطار الاسلامية، وايفاد الوفود اليها تحقيقا لغايات المؤتمر(٧٤) .

وقد حدثت مناقشات كثيرة عندما تعرض المؤتمر لطريقة انتخاب اللجنة التنفيذية وعدد اعضائها ، وكان هناك فريقان : فريق — على رأسه شوكت علي — يرى ان يترك انتخاب اللجنة التنفيذية للشعوب ، وان يكون عدد اعضائها خمسين يقسمون على المناطق الاسلامية المختلفة ، لكل منطقة عضو واحد ، عدا الهند فلها ثلاثة ، وجاوة وسومطرة لها ثلاثة ايضا، ومصر وتركيا وايران وافغانستان لكل أمة فيها عضوان، واما الفريق الثاني فهو يعارض انتخاب اللجنة التنفيذية عن طريق الامم والشعوب ، ويرى ان يقوم المؤتمر نفسه بهذه المهمة ، وان اختلف هذا الفريق في تحديد عدد اعضاء اللجنة، وكان على رأس هذا الفريق عبد الرحمن عزام ورياض الصلح والثعالبي والطباطبائي وعلوبة باشا ، وقد وافق المؤتمر على رأي الفريق الثاني(٧٥) .

واختارت اللجنة التنفيذية مكتبا دائما من سبعة اعضاء مهمته تنفيذ قرارات اللجنة التنفيذية ، وكان اعضاء هذا المكتب هم : الحاج امين الحسيني رئيسا ، ومحمد علي

علوبة باشا امين مال ، وضياء الدين الطباطبائي سكرتيرا عاما ، ونبيه العظمة مساعدا للسكرتير العام ، وعبد العزيز الثعالبي ورياض الصلح وسعيد شامل اعضاء(٧٦).

وكان الصهيونيون حانقين من عقد المؤتمر وما ينطوي عليه من دعاية واسعة في العالم الاسلامي ضدهم ، وقد قيل انهم بذلوا اموالا طائلة بغرض التشويش على المؤتمر ، واصدرت الوكالة اليهودية بيانا مطبوعا ابان الاستعداد للمؤتمر ، جاء فيه ان المفتي عمد الى دعوة المؤتمر لتحويل تيار المعارضة ضد سلطته واعماله ، وليس من شك في ان الصهيونيين كانوا خائفين اشد الخوف من حركة المؤتمر ، وما ينطوي عليه من دعاية واسعة في العالم الاسلامي ضدهم(٧٧).

واستبعد تماما أن يكون الحاج امين الحسيني قد عقد ذلك المؤتمر تحويلا لتيار المعارضة ضد سلطته واعماله ، فلقد كان الرجل — رغم ضراوة المعارضة — قويا ، تساندده اللجنة التنفيذية العربية والمجلس الاسلامي الاعلى واغلبية الشعب العربي الفلسطيني، فلم يكن الهدف اذن من عقد هذا المؤتمر مقاومة تيار المعارضة وانما كان شيئا اخر ، فلقد ادرك الرجل في تلك المرحلة ، ان الفرصة مهيأة بعد اضطرابات البراق عام ١٩٢٩ لعقد مؤتمر اسلامي تشترك فيه كل البلاد الاسلامية ، فيحقق الرجل غرضا هاما ، هو توجيه انظار العالم الاسلامي نحو قضية فلسطين ، وتنبيهه الى ما يحيط بها من اخطار، وقد نجح الرجل في تحقيق ذلك الغرض دون شك ، وخلق رأيا عاما اسلاميا يساند القضية الفلسطينية في السنوات التالية ، لكن هذا العامل ترتبت عليه نتيجة اخرى ، هي تحقيق مجد شخصي للمفتي وتدعيم مركزه ونفوذه في انحاء العالم الاسلامي ، فتخطت شخصيته الحدود بعد ذلك المؤتمر ، واصبح شخصية اسلامية يعتد بها ، بل اصبح خلال الثلاثينات — خاصة بعد وفاة الملك فيصل عام ١٩٣٣ وموسى كاظم الحسيني عام ١٩٣٤ — من ابرز الشخصيات في العالم العربي .

ونود الان ان نعرف ما الذي استطاعت اللجنة التنفيذية للمؤتمر ومكتبها الدائم في القدس ان تنجزه من أعمال ، ولماذا لم يقدر للمكتب ان يستمر في اداء مهمته اكثر من سنوات معدودات : لقد قام المكتب — تنفيذا لقرارات المؤتمر الاسلامي العام — بابلاغ قراراته الى الجهات الرسمية كل فيما يخصها ، فأبلغ قرار استنكار الاستعمار الى جمعية الامم والى الحكومات الايطالية والفرنسية والبريطانية والهولندية ، كما ابلغ القرار الخاص بالبراق الشريف الى جمعية الامم والى المندوب السامي البريطاني في فلسطين ، وابلغ الاحتجاج الخاص بالسكك الحديدية الى جمعية الامم والى المندوب السامي الفرنسي في سورية والمندوب السامي البريطاني في فلسطين ، وأبلغ الاحتجاج الخاص بموضوع مسلمي طرابلس الى جمعية الامم ووزارة الخارجية البريطانية، وابلغ القرار الخاص بالظهير الفرنسي الى جمعية الامم والى وزارة الخارجية الفرنسية ، وابلغ القرار الخاص بفظائع البلاشفة في مسلمي روسيا الى جمعية الامم(٧٨).

ووضع المكتب نظاما داخليا له ، كما وضع نظاما لتشكيلات لجانه الفرعية ، وشرع في تأليف تلك اللجان في كافة البلاد الاسلامية ، مثل شرق الاردن وسورية والعراق وجاوا وايالات الهند ومصر(٧٩). لكن طريقة تشكيل تلك اللجان ووسائل عملها لم تكن طريقة منظمة، ففي خطاب من رئيس المؤتمر الى احد المصريين الذين شاركوا في اعمال المؤتمر، طلب رئيس المؤتمر منه « أن تبذلوا الجهد في اتخاذ الوسائل الضرورية للدعاية لمشروعات المؤتمر وتشكيل فروع له ، واعداد النفوس لتنفيذ مقرراته في قطركم ، بأوفى شكل على قدر الاستطاعة ، والتكرم بموافاته ( يقصد مكتب اللجنة ) بنتائج جهودكم المباركة »(٨٠). وقد يكون لكل بلد ظروفها ، لكن ترك الامر هكذا لبعض الرجال الذين حضروا المؤتمر يشكلون الفروع ويتخذون الوسائل للدعاية لمشروعات المؤتمر ، دون

تخطيط او توجيه او تحديد لاسس معينة للعمل ، لم يكن مما يشجع تلك الفروع على الاستمرار في مزاولة عملها ونشاطها بطريقة عملية وبناءة .

وكان أهم اعمال المكتب دراسة مشروع جامعة المسجد الاقصى ، فتألفت في القدس لهذه الغاية لجنة قوامها ثمانية عشر عضوا ، استمرت فترة من الوقت تعقد اجتماعاتها اسبوعيا (٨١). ووجه المكتب نداء الى المهندسين المسلمين للتطوع لوضع خرائط الجامعة الجديدة(٨٢). كما وجه كتبا الى ملوك المسلمين وامرائهم واضعا امامهم صورة لما يدور من أعمال المكتب الدائم للمؤتمر . آملا ان يساعدوه على تنفيذ مشروعات المؤتمر ، خاصة مشروع جامعة المسجد الاقصى(٨٣). وبدأ المكتب يتلقى تبرعات المسلمين وزعمائهم في هذا الشأن ، وكان القصد ان تتألف تلك الجامعة في بداية انشائها من ثلاث شعب : شعبة العلوم الشرعية ، وشعبة الفنون والصناعات ، وشعبة الطب والصيدلة(٨٤).

وعقد بالقدس مؤتمر للجان المؤتمر الاسلامي بمدن فسطين ، ورأس هذا المؤتمر ضياء الدين الطباطبائي الذي سبق اختياره سكرتيرا عاما للمكتب الدائم للجنة التنفيذية ، والقى الطباطبائي كلمة في ذلك الاجتماع وضح منها ان البرنامج الداخلي للجنة المؤتمر والذي كانت اللجنة تعمل على تنفيذه بفلسطين لم يكن يتضمن شيئا متعلقا بالاقتصاد القومي او المحافظة على الارض او التمسك بحقوق البلاد السياسية . فقد جاء في خطاب الطباطبائي ان المكتب الدائم سيجعل في مقدمة عمله : اولا — اصلاح وحفظ المعاهد الاسلامية والدينية وتأسيس مساجد في القرى الخالية منها . ثانيا — اتخاذ التدابير الضرورية للمحافظة على صحة المسلمين بانشاء مستشفيات وعيادات طبية وصيدليات وغير ذلك مما يحفظ على مسلمي فلسطين صحتهم . ثالثا — تهيئة الوسائل والمشروعات لمساعدة الفقراء والارامل والايتام . رابعا — ايجاد اعمال للعمال العاطلين . خامسا — الاهتمام بتعليم اطفال المسلمين وخاصة الايتام منهم بعد توفر وسائل الصحة ومحاربة الفاقة .

واوضح السيد الطباطبائي ان خطة اللجنة ان يشترك في لجان المؤتمر خمسون الفا من أهل فلسطين ، وأن يخصص الجزء الاكبر من اشتراكات الاعضاء للانفاق على الامور الخيرية والمحلية ، وكان اهم ما اتخذه المؤتمر من قرارات : اولا — طبع طوابع يلصقها اهل الجمعية الاسلامية على الرسائل والبطاقات ويرصد ريعها لفائدة المؤتمر . ثانيا — طبع نسخ من القرآن الكريم . ثالثا — طبع صورة للصخرة المشرفة وتوزيعها في اقطار العالم الاسلامي . رابعا — اخذ صور للأماكن المقدسة ونشرها بالسينما في أنحاء العالم(٨٥).

وواضح من تلك القرارات ان مهمة المؤتمر قد أصبحت اجتماعية بحتة ، وتحولت تشكيلاته الى جمعيات خيرية تعمل على مساعدة المنكوبين وطبع صور الاماكن المقدسة، وقد يستطيع ذلك كله ان يؤدي بعض المكاسب الثانوية ، لكنه بالتأكيد لا يحفظ كيانا ولا يصون ارضا ولا يقيم نظاما اقتصاديا . ويتابع المؤتمر سياسته الخيرية ، فيوجه نداء في اوائل عام ١٩٣٣ الى جميع الحكومات الاسلامية والشركات والجمعيات والهيئات والصحف ورؤساء الدين يطالبهم فيها بالعناية بالتاريخ الهجري والاهتمام باعياد رأس السنة الهجرية وعاشوراء والمولد النبوي الشريف وعيدي الفطر والاضحى وليلة الاسراء وشهر رمضان(٨٦).

ونشط مكتب اللجنة التنفيذية للمؤتمر الاسلامي بعض الوقت ، لكن سرعان ما انتابه الفتور والاهمال فرأى الحاج امين الحسيني والطباطبائي — في محاولة لانقاذ لجان المؤتمر من فتورها وتنفيذا لمشروع جامعة المسجد الاقصى وانقاذ اراضي البلاد بعد أن

اشتد الخطر عليها في أعقاب قيام النازية في المانيا — ان ترسل الوفود الى البلاد الاسلامية لجمع التبرعات ، وقد نفذت الفكرة فعلا حيث ارسل وفد الى بلاد العراق والهند والافغان وايران ، ضم الحاج امين ومحمد علي علوبة باشا وبعض المساعدين واستغرقت الرحلة ثلاثة أشهر ونصف شهر(٨٧). وقد استقبل الوفد بالترحيب في كل البلاد التي زارها خاصة في الهند ، وعقدت اجتماعات كثيرة في المدن الهندية حضرها عشرات الالوف من المسلمين وخطب فيها العلماء واصحاب المكانة ، داعين مسلمي الهند الى تسهيل مهمة الوفد(٨٨). وقد تبرع نظام حيدر اباد لمشروع جامعة المسجد الاقصى بمليون روبية وتبرع سلطان البهرة وبعض جماعته بنصف مليون ، وتعهد امير بهويال وغيره بمبالغ كبيرة ، وكان الوفد يتوقع ان يجمع بضعة ملايين ، لكن بريطانيا التي كانت لها السيطرة على الهند سارعت الى مقاومة المشروع وتمكنت من احباطه ، فقد اخبر السيد فيروز خان — وهو سكرتير اللجنة التي تشكلت في الهند لجمع التبرعات لهذا الغرض ووزير معارف البنجاب في ذلك الوقت — اخبر الحاج امين الحسيني انه اطلع على تعليمات مرسلة من حكومة لندن الى اللورد ولنجتون نائب الملك ، خلاصتها ان يعامل وفد المؤتمر الاسلامي بالاحترام والعناية الشخصية ، وان يحال بكل الوسائل دون نجاح مهمته لان من شأن ذلك ان يعرقل سياسة حكومة جلالته في فلسطين ، لان نجاح الوفد في جمع الاموال سيؤدي الى انقاذ أراضي فلسطين ، وبالفعل فقد منعت السلطة البريطانية في الهند خروج الاموال من الهند واحبطوا مهمة الوفد(٨٩). وقد جمعت أموال ولم ترسل ، ووصلت اخرى بعد فترة طويلة فترك ذلك كله اثرا في كيان المؤتمر .

وخدمت الظروف اسم المؤتمر بعض الشيء في الخلاف الذي حدث بين ابن السعود والامام يحي حول الحدود وعسير ومسائل الحج وتطور الى حرب واثار اهتمام العالم الاسلامي كله ، فاقترح الحاج امين تأليف وفد للصلح بأسم المؤتمر ، وتألف الوفد من الحاج أمين ومحمد علي علوبة وهاشم الاتاسي والامير شكيب ارسلان ، فسافر الى الحجاز واليمن ، وكان له بعض الفضل فيما تم بين العاهلين من صلح وتحالف(٩٠). وقد رافق الوفد سكرتيرا له علي رشدي عنان(٩١) وهو أحد المصريين الذين لجأوا الى فلسطين في أعقاب ثورة ١٩١٩ ، وعاش فيها حتى عام ١٩٤٨ ، وتخصص في مسائل التبشير والدعوة ، حتى أصبح علما بارزا في بابه . وقابل المسلمون في سائر الاقطار نجاح الوفد في مهمته بالارتياح والتقدير ، ولما عاد المفتي من الحجاز قوبل في جميع المدن والقرى التي مر بها مقابلة الفاتحين ، ونثرت عليه الورود والرياحين ، وخطب امامه الخطباء وانشد الشعراء شاكرين سعيه مقدرين عمله(٩٢). والحق أن الرجل كان يعرف في كثير من الظروف كيف يتحرك ومتى يتحرك ، وكيف يزيد من رصيده الشعبي . فعملية التوقيت في حياة المفتي من اهم معالم فكره واستراتيجيته .

على أن هذا الموضوع لم يعد الى المؤتمر حيويته ، حيث ظل يفتر ويتضاءل نشاطه بالرغم من محاولات الحاج امين والطباطبائي والثعالبي للابقاء عليه ، والتأثير على المجلس الاسلامي الاعلى لرصد ريع بعض أملاك الوقف لمشاريع المؤتمر الاسلامي مثل مشروع جامعة المسجد الاقصى،لكن تلك المحاولات ذهبت سدى(٩٣). ولم يقدر لمشروع الجامعة النجاح ، رغم أن مكتب المؤتمر كان قد قطع مرحلة كبيرة نحو التنفيذ(٩٤).

وقد بذلت محاولات لوضع تقويم اسلامي عام ، تجمع فيه الاحصاءات والمعلومات الوافية عن الاقطار الاسلامية من الوجهة الدينية والاجتماعية والاقتصادية والتعليمية وغيرها ، فطلب مكتب اللجنة التنفيذية من عدد من رجالات العالم العربي الذين حضروا المؤتمر جمع المعلومات الصحيحة كل عن بلده ، وموافاة مكتب اللجنة التنفيذية بها ،

تمهيدا لوضع هذا التقويم(٩٥). لكني لم اتبين على وجه التحقيق مقدار ما توصل اليه العمل في اعداد هذا التقويم.

وليس هناك شك في أن المؤتمر قد فعل شيئا في اتجاه تقوية الروابط بين القادة العرب والمسلمين في اقطار مختلفة، وزاد من اهتمام العالم العربي بقضية فلسطين، وفوق ذلك فقد قوى من مكانة المفتي شخصيا في العالمين العربي والاسلامي، لكن المؤتمر فشل في انشاء منظمة دائمة للعالم الاسلامي(٩٦). وكان لانعقاد المؤتمر، وللقرارات التي اتخذها ابلغ الاثر في نفوس المسلمين في جميع انحاء العالم، فقد ايقظ شعورهم والهب حميتهم، وجعلهم مهيئين لخدمة القضية الفلسطينية والتضحية في سبيلها(٩٧). وفي تقديري ان اهم ما انجزه هذا المؤتمر هو تجمع ذلك العدد الكبير من كبار رجالات المسلمين ومن ممثلي الاقطار الاسلامية في صعيد واحد، لمناقشة قضاياهم واستعراض مشاكل بلدانهم، والتعرف على الاوضاع السائدة في سائر الاقطار الاسلامية، واعطاء مزيد من الاهتمام لقضية فلسطين، وكان هناك بعض مظاهر رائعة لهذا المؤتمر، كان من أبرزها تجمع آلاف من رجال السنة المسلمين في المسجد الاقصى يأتمرون برجل من رجال الشيعة في العراق، تبديدا لاية خلافات مذهبية بين المسلمين.

---

١ — محمد اسحق درويش: **ذكريات**. ص ١٦ (وهي مجموعة اوراق غير مطبوعة تتناول موضوعات مختلفة وقد أعدها صاحبها عام ١٩٦٣ ردا على تساؤلات من الباحث).

٢ — محمد عزه دروزة: **حول الحركة العربية الحديثة**. صيدا، ١٩٥١. الجزء الثالث. ص ٧٥.

٣ — **السياسة**: ٣١/ ١/ ١٩٣١. بيان من اللجنة التحضيرية للمؤتمر الاسلامي العام.

٤ — **المقطم**: ٢٥/١٠/١٩٣١.

٥ — دار النشر للثقافة: **قضية فلسطين**. ص ٧٣، ٧٤ ولم اعثر على هذا العدد من جريدة **الشورى** بمكتبات القاهرة.

٦ — **الاهرام**: ٢/١٢/١٩٣١، **الثغر**، ٤/١٢/١٩٣١.

٧ — نجيب صدقة: **قضية فلسطين**. بيروت ١٩٤٦. ص ١٥٩.

٨ — **الثغر**: ٤/١٢/١٩٣١. بيان اللواء جمال باشا الغزي.

٩ — Esco Foundation for Palestine: *Palestine. A Study of Jewish, Arab and British Policies.* 2nd. ed. U.S.A., 1949., Vol. 2, p.762.

١٠ — **المقطم**: ١٩/١٢/١٩٣١. المقال الرابع لكريم ثابت من سلسلة مقالات عنوانها: «عشرة أيام في فلسطين».

١١ — **الاهرام**: ١٨/١٠/١٩٣١.

١٢ — عيسى السفري: **فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية**. يافا، ١٩٣٧، جزءان. ص ١٧٨.

١٣ — نجيب صدقة: **المرجع السابق**. ص ١٥٩.

١٤ — محمد عزة دروزة: **المرجع السابق**. ص ٧٩.

١٥ — **الاهرام**: ٢٢/١٠/١٩٣١.

١٦ — Esco: *Ibid.*, p. 762.

١٧ — **المقطم**: ٢٤/١٠/١٩٣١. نص خطاب الامام يحي الى الحاج امين الحسيني.

١٨ — **البلاغ**: ٢٠/١١/١٩٣١. خطاب الامام يحي الى الحاج امين الحسيني.

١٩ — **وادي النيل**: ١١/١٢/١٩٣١.

٢٠ — *The Jewish Chronicle:* 11 December 1931.

٢١ — **الاهرام**: ١٢/١٢/١٩٣١.

٢٢ — **وادي النيل**: ١١/١٢/١٩٣١.

٢٣ — محمد عزة دروزة: **المرجع السابق**، ص ٧٦.

٢٤ — **المقطم**: ٣، ٤/١٢/١٩٣١.

٢٥ — **البلاغ**: ٢٦/١٠/١٩٣١.

٢٦ — Esco: *Ibid.*, p. 762.

٢٧ — **الكرمل**: العدد ١٦٢٤ — ١/١١/١٩٣١.

٢٨ — **الثغر**: ٤/١٢/١٩٣١. حديث لشوكت علي.

٢٩ — محمد عزة دروزة: **المرجع السابق**، ص ٧٦.

٣٠ — **السياسة**: ٢/١٢/١٩٣١.

٣١ ـ **المقطم** : ١٩٣١/١٠/١٨ . مقال بقلم صفا بك مفتش معارف الآستانة سابقا .

٣٢ ـ **وادي النيل** : ١٩٣١/١٠/٢٤ .

٣٣ ـ **البلاغ** : ١٩٣١/١١/٧ .

٣٤ ـ **الاهرام** : ١٩٣١/١١/٨ ، **الاتحاد** : ١٤/١١/١٩٣١ .

٣٥ ـ **المقطم** : ١٩٣١/١٢/٢٢ . مقال للشيخ محمد الغنيمي التفتازاني .

٣٦ ـ **المقطم** : ١٩٣١/١٢/١٨ . المقال الثالث لكريم ثابت من سلسلة مقالات عنوانها : عشرة أيام في فلسطين .

٣٧ ـ **الاهرام** : ١٩٣١/١١/٢٩ . كتاب اللجنة لرئيس الوزراء .

٣٨ ـ **المقطم** : ١٩٣١/١٢/١٨ . مقال لكريم ثابت .

٣٩ ـ **البلاغ** : ١٩٣١/١٢/٧ .

٤٠ ـ **المقطم** : ١٩٣١/١٢/١٨ . المقال السابق.

٤١ ـ **الشعب** : ١٩٣١/١٢/٧ . نص البيان .

٤٢ ـ **المقطم** : ١٩٣١/١٢/١٨ . المقال السابق.

٤٣ ـ محمد عزة دروزة : **المرجع السابق** ، ص ٧٧ .

٤٤ ـ **الثغر** : ١٩٣١/١٢/١٤ .

٤٥ ـ **البلاغ** : ١٩٣٢/١/١ . نص البيان .

٤٦ ـ **مصر** : ١٩٣١/١١/٢٢ . نص بيان المعارضة .

٤٧ ـ **المقطم** : ١٩٣١/١١/٢٨ . بيان لرئيس المجلس الاسلامي الاعلى .

٤٨ ـ **الاهرام** : ١٩٣١/١٢/١٣ ، **مصر** . ١٣/١٢/١٩٣١ .

٤٩ ـ **وادي النيل** : ١٩٣١/١٢/١٣ .

٥٠ ـ **وادي النيل** : ١٩٣١/١٢/١٦ .

٥١ ـ محمد عزة دروزة : **المرجع السابق** ، ٧٧.

٥٢ ـ **الشعب** : ١٩٣١/١١/٣٠ . بيان للجنة التحضيرية للمؤتمر .

٥٣ ـ نجيب صدقة : **المرجع السابق** ، ص ١٥٩.

٥٤ ـ ذكر مندوب جريدة المقطم في المؤتمر انهم ١٥٠ مندوبا ( **المقطم** في ١٩٣١/١٢/٨ ) ، وذكر مندوب البلاغ انهم ١٥٣ مندوبا ( **البلاغ** في ٨/١٢/١٩٣١ ) ، وذكر مندوب الاهرام انهم ١٥٥ ( **الاهرام** في ١٩٣١/١٢/٨ ) .

٥٥ ـ محمد عزة دروزة : **المرجع السابق** ، ص ٧٩ .

٥٦ ـ **الجهاد** : ١٩٣١/١٢/٢٠ . نص خطبة الحاج امين الحسيني .

٥٧ ـ **البلاغ** : ١٩٣١/١٢/٨ .

٥٨ ـ **مقررات المؤتمر الاسلامي العام** : ص ٣ ـ ٥ .

٥٩ ـ **الاهرام** : ١٩٣١/١٢/٩ .

٦٠ ـ **البلاغ** : ١٩٣١/١٢/٨ ، **السياسة** : ٩/١٢/١٩٣١ ، **وادي النيل** : ١٩٣١/١٢/١١ .

٦١ ـ **مصر** : ١٩٣٢/١/١٩ .

٦٢ ـ **الجهاد** : ١٩٣١/١٢/١٣ .

٦٣ ـ **المقطم** : ١٩٣١/١٢/١٣ . حديث لشوكت علي .

٦٤ ـ **وادي النيل** : ١٩٣١/١٢/١٥ .

٦٥ ـ **الاهرام** : ١٩٣١/١٢/١٦ .

٦٦ ـ **المقطم** : ١٩٣١/١٢/١٧ ، **وادي النيل** : ١٩٣١/١٢/١٧ .

٦٧ ـ **وادي النيل** : ١٩٣١/١٢/١٨ ، **المقطم** : ١٩٣١/١٢/١٨ .

٦٨ ـ **الجهاد** : ١٩٣١/١٢/١٨ ، **الاهرام** : ١٨/١٢/١٩٣١ .

٦٩ ـ محمد عزة دروزة : **المرجع السابق** ، ص ٨٠ ، ٨١ .

٧٠ ـ **الاهرام** : ١٩٣١/١٢/١٨ . نص بلاغي الحكومة .

٧١ ـ **البلاغ** : ١٩٣١/١٢/١٨ ، **الجهاد** : ١٨/١٢/١٩٣١ ، **وادي النيل** : ١٩٣١/١٢/١٩ .

٧٢ ـ **مقررات المؤتمر الاسلامي العام** : ص ٥ ـ ٢٧ .

٧٣ ـ **البلاغ** : ١٩٣٢/٦/١٤ . نص الاحتجاج .

٧٤ ـ عيسى السفري : **المرجع السابق** ، ص ١٨٢ ، ١٨٣ .

٧٥ ـ **السياسة** : ١٩٣١/١٢/١٧ .

٧٦ ـ محمد عزة دروزة : **المرجع السابق** ، ص ٨١ .

٧٧ ـ محمد عزه دروزة: **المرجع السابق**، ص٧٧.

٧٨ ـ **البلاغ** : ١٩٣٢/٦/١٤ . نص القرارات والاحتجاجات .

٧٩ ـ **الاهرام** : ١٩٣٢/٧/٥ ، ص ٥ ، بيان عن أعمال المكتب الدائم للمؤتمر الاسلامي .

٨٠ ـ **البلاغ** : ١٩٣٢/٢/١٧ . نص الرسالة .

٨١ ـ **الفتح** : العدد ٣٠٦ ( ١٦ ربيع الثاني ١٣٥١ ) ص ٣ .

٨٢ ــ **الاهرام** : ١٩٣٢/٧/١٧ ، ص ٥ ، نداء من المكتب الدائم للمؤتمر الاسلامي العام الى مهندسي المسلمين .

٨٣ ــ **الاهرام** : ١٩٣٢/٧/٥ ، ص ٥ ، بيان عن أعمال المكتب الدائم للمؤتمر .

٨٤ ــ **الاهرام** : ١٩٣٢/١٢/١٧ ، ص ٥ ، بيان المكتب الدائم للمؤتمر الاسلامي العام في ١٤/ ١٩٣٢/٧ .

٨٥ ــ **الفتح** : العـــدد ٣٠٦ ( ١٦ ربيع الثاني ١٣٥١ ) ص ٣ ، ٩ .

٨٦ ــ **الفتح** : العـــدد ٣٣٠ ( ٧ شوال ١٣٥١ ) ص ١٠ .

٨٧ ــ محمد عزة دروزة : **المرجع السابق** ، ص ٨٢ .

٨٨ ــ ابراهيم السيد عيســى المصري : **مجمع الاثار العربية ورجال النهضة الفكرية** . دمشق، ١٩٣٦ ، الجزء الاول ، ص ١١٤ .

٨٩ ــ محمد امين الحسيني : **حقائق عن قضية فلسطين** . الطبعة الثالثة . القاهرة ١٩٥٧ . ص ١٣٨ ، ١٣٩ .

٩٠ ــ محمد عزة دروزة : **المرجـــع السابق** ، ص ٨٢ .

٩١ ــ **فلسطين** : السنة الثانية ــ العدد ٢٢ ( كانون الاول ١٩٦٢ ) ص ٣٣ ، ٣٤ .

٩٢ ــ ابراهيم السيد عيسى المصري : **المرجع السابق** . ص ١١٥ .

٩٣ ــ محمد عزة دروزة : **المرجـــع الســـابق** ، ص ٨٢ .

٩٤ ــ **الاهرام** : ١٩٣٢/٧/١٧ . ص ٥ ، بيان المكتب الدائم للمؤتمـــر الاسلامي في ١٤/٧/ ١٩٣٢ .

٩٥ ــ **البلاغ** : ١٩٣٢/٢/٢٤ .

٩٦ ــ Esco : *Ibid.*, p. 764.

٩٧ ــ نجيب صدقة : **المرجع السابق** ، ص ١٦٠ .

# «دراسة نقديه لفكر المقاومة ...»
# منهج خاطىء ونتائج مضللة

نزيه أبو نضال

منذ صدر كتاب الدكتور صادق جلال العظم «دراسة نقدية لفكر المقاومة الفلسطينية » شهدت أوساط المثقفين والمفكرين الفلسطينيين والعرب عموما ، وأوساط المقاومة خصوصا ، درجة متوترة من الحوارات والمناقشات . ولم يكن مرد ذلك لاهمية وحساسية الموضوعات التي طرحها الدكتور صادق فقط ، وانما لتوقيت هذا الطرح، وللنتائج الخطيرة التي وصل اليها .

ولم تقتصر ردود الفعل على المناقشات الكلامية وحدها بل تعدتها الى الكتابة أيضا ، والتي تراوحت بين ابداء الرأي في « بريد القراء » لاحدى المجلات ، الى تأليف كتاب كامل كما فعل منير شفيق بكتابه « الثورة الفلسطينية بين النقد والتحطيم » .

وفي الوقت الذي نرحب فيه بكل هذا الجدل الذي أثارته الموضوعات التي طرحها الدكتور صادق ، والتي تشكل الشغل الشاغل لكل كوادر الثورة الفلسطينية والمناضلين والمفكرين العرب منذ سنوات طويلة ، الا اننا وجدنا أنفسنا أمام مجموعة من الظاهرات السلبية تتعلق أساسا بجوهر هذه الحوارات وجدواها والتي علينا ان نتوقف أمامها مليا لنكون قادرين بعد ذلك على الانتقال لمناقشة الموضوعات المطروحة ، وهي المسألة التي تعنينا من كل ما يدور .

ان الفكر الماركسي والذي يمثل الثقافة العملية السائدة لمئات الملايين من البشر الان ، لم يتثبت وينتشر الا من خلال حركة واسعة من الجدل شهدتها القارة الاوروبية خصوصا ، منذ اواسط القرن التاسع عشر وحتى اوائل هذا القرن .. ولا زالت مستمرة .. كما ان اللينينية ( تحديدا في مسائل التنظيم وانجاز الثورة وحتى في مسائل الادب والفن والفلسفة ) لم تخرج منتصرة الا عبر آلاف المعارك الفكرية والحوارات ، منذ اواخر القرن التاسع عشر الى نهاية العقد الثاني من هذا القرن .

وعلى امتداد الصين الهائل شهد سبعماية مليون من البشر أكبر حركة جدل في التاريخ في السنوات الخمس التي ابتدأت عام ١٩٦٥ فيما عرف بالثورة الثقافية ، بين انصار خط ليو تشاو تشي وانصار خط ماوتسي تونج ، وغطت المنشورات ومجلات الحائط كل بقعة في الصين تقريبا ، الى ان ساد الخط الصحيح اخيرا .

ان استحضار هذه النماذج ، ليس خروجا عن الموضوع او استطرادا لتثبيت أهمية الجدل والحوار ، ولكن من اجل الانتقال الى كشف الظاهرات السلبية في الجدل الدائر الان في الساحة الفكرية في بلادنا حول ما كتبه الدكتور صادق العظم والردود عليه .

### د. صادق بين ( النقد ) والتحريف

أول ظاهرة سلبية تواجهنا في كتاب الدكتور صادق « دراسة نقدية ... » هي عدم الامانة في نقل النصوص والاستشهادات ، وهذا ما أوضحه ناجي علوش وتأكدنا منه في رده المنشور في « شؤون فلسطينية » العدد ٢١ ، كما أوضحه منير شفيق بشكل كامل في كتابه « الثورة الفلسطينية بين النقد والتحطيم » وما اكده لنا ابو اياد ايضا خلال حديثنا عن كتاب الدكتور صادق في احدى الجلسات . حين نقول ان عدم الامانة في نقل النصوص والاستشهادات هي ظاهرة سلبية ، فلا نعني سلبية بالمعنى الاخلاقي ( على اهمية هذا الجانب ) ، انما نعني ظاهرة سلبية تتعلق

بمنهجية الحوار ومنهجية التفكير كذلك . كيف ؟ ان اي قارىء محايد يتناول كتاب الدكتور العظم ( لا ننسى ان كلمة دكتور وحدها لها ايقاع ورنين في نفوس شعبنا تمنح صاحبها ما يمكن ان نسميه بالثقة الاكاديمية ، كما ان صادق جلال العظم اصبح اسما معروفا لدى جمهرة الناس حتى لاولئك الذين لم يقرأوا له شيئا ، مما يجعلهم أميل الى تصديقه وعدم الشك بالنصوص التي يوردها ) لا يكون بالضرورة قد قرأ او حفظ الاستشهادات الاصلية كاملة ، ولهذا فسيقبل كلام الدكتور العظيم ككلام ثقة ويبني عليه احكامه وتقييماته وهذا يقوده بالطبع — بعد ان ثبت تلاعب الدكتور صادق بالنصوص — الى نتائج واحكام خاطئة ومضللة سواء بالنسبة للافكار التي يناقشها او الاشخاص الذين ينتقدهم . هذه الظاهرة السلبية الاولى المتعلقة بمنهجية الحوار تقود الى ظاهرة أخطر وهي عدم ثقة القارىء بعد اكتشافه لهذه الحقيقة بكل ما يقرأ بعد ذلك من دراسات حتى لو وقعها سبعة دكاترة مشهورين مثل العظم .

غير ان هذه الظاهرة السلبية على خطورتها الشديدة ( أخلاقيا ومنهجيا ) تظل أقل خطرا واهمية ، لان الخلل الاساسي هو في منهجية التفكير الذي يقف وراء هذه الحوارات والنقد . لقد ثبت ان مقولة « التحليل الملموس للواقع الملموس » والتي لا يتعب الماركسيون والمتمركسون من استعمالها لا تعني شيئا عند الدكتور صادق فلقد قاده المنحى والاتجاه الخاطىء في التحليل الى مثل هذه « الفضيحة الفكرية والاخلاقية » فهو من أجل اثبات فكرة مسبقة في رأسه مفادها « ان البرجوازية الصغيرة قد سقطت بعد ان سقطت قياداتها وبرامجها وسياساتها وممارساتها» راح يجمع من هنا وهناك كل ما يدعم ويؤيد فكرته المسبقة من تصريحات وأحاديث ومقالات وممارسات دون ان يستشعر لحظة واحدة من الحرج عما يفعله من تخريب وتشويه وتلفيق واجتزاء وقطع وجمع واضافة ، كيفما اتفق وشاء بما يجمعه من نصوص واستشهادات ، ودون ان ينتبه وسط هذه الفوضى العلمية — وهذا هو المضحك — الى التناقضات الفاقعة التي وقع فيها .

لقد كان ذلك اساس الخلل في موضوعات الدكتور صادق ، لانه أساس الخلل في منهجيته وتفكيره وهنا بالضبط فضيحته ومأساته .

**ناجي علوش ومنير شفيق : دفاعا عن النفس ودفاعا عن الثورة**

في مجال كشفنا للظاهرات السلبية التي برزت واضحة في كتاب « دراسة نقدية لفكر المقاومة الفلسطينية » ولمجموعة المناقشات الدائرة حوله ، لاحظنا ان الدفاع عن الذات قد احتل حيزا كبيرا نسبيا على حساب مناقشة الموضوعات الهامة التي طرحها الدكتور صادق ، ففي الدراسة التي كتبها ناجي علوش بعنوان : [ « دراسة نقدية لفكر المقاومة الفلسطينية » : هل هو نقد لفكر المقاومة حقا ؟ ] نلاحظ ان حيزا لافتا للنظر قد خصص فقط لكشف التلاعب الذي فعله الدكتور صادق بنصوص ناجي علوش ، والحيز المتبقي قد خصص تقريبا للرد على الموضوعات المتعلقة بناجي مباشرة بينما أهملت نتيجة ذلك موضوعات هامة جدا كان على ناجي مناقشتها .

أما رد منير شفيق بكتابه « الثورة الفلسطينية بين النقد والتحطيم » فقد بدا أنه قد تجاوز هذه السلبية على الاقل في الصفحات الثمانين الاولى من كتابه ( ١٩٠ صفحة ) الا انه لا يلبث ان يغرق في تفصيلات غير هامة تتعلق ايضا باثبات التلاعب بالنصوص التي أوردها الدكتور صادق او بمناقشة مسائل ثانوية تتعلق بمنير مباشرة . وعلى حساب مناقشة القضايا الاكثر اهمية والتي مر على بعضها مرورا سريعا بينما أهمل البعض الاخر ، الا ان الردين قد أجابا بحسم ووضوح على معظم المسائل الاساسية في الكتاب وكشفا الدور الخطر والمخرب الذي قام به الدكتور صادق . واذا كانت مقالة ناجي القصيرة نسبيا في « شؤون فلسطينية » تشفع له بعدم مناقشة كافة القضايا ، فاننا عند منير شفيق يجب ان نتوقف قليلا لنكشف ظاهرة سلبية تتعلق أيضا بأساس عملية الجدل والحوار الدائرة الان ، خاصة وانه قد أفرد كتابا كاملا لهذا الغرض .

صحيح ان الدفاع عن النفس حق مشروع في كافة الاعراف والمجالات وصحيح ان الدفاع عن الذات هنا هو بمعنى ما دفاع عن الثورة وافكارها ، وهذا ما فعله ناجي ومنير بجدارة تامة ، الا اننا في القضايا الفكرية والسياسية كنا نتمنى ان نجد الصورة العامة للنقاش بشكل افضل :

أولا : على الرغم من تأكيدات منير شفيق المستمرة

بأن الخلاف بينه وبين الدكتور صادق هو « خلاف بين خطين .. موقفين طبقيين .. مفهومين لواقع بلادنا وللماركسية اللينينية » الا ان الملاحظ في كثير من الاحيان ان « الشخصي » كان يطغى على الموضوع ، وهذا كما أسلفنا بسبب متابعة منير التفصيلية للمسائل المتعلقة به شخصيا .

ثانيا : منهجية البحث . لقد حذر منير شفيق في مقدمة كتابه من ان كتاب « دراسة نقدية ... » يخلو من منهجية البحث ( وهذا صحيح ) ، ولهذا فان اسلوب الرد كان عليه اساسا أن يستجيب لهذا التحذير ، غير ان فعله منير هو عكس ذلك تماما اذ انه مضى مع الكتاب جملة جملة مما اوقعه هو الاخر بنفس الخلل ، ودون ان ينقذه من ذلك وضع العناوين للموضوعات والافكار التي يناقشها .

ثالثا : امام كثير من الموضوعات التي كان منير يستحضرها للمناقشة يكتفي بمقارعة الدكتور صادق على طريقة سقراط فيفحمه منطقيا ، بمعنى يهزمه في ( المجادلة ) ثم يدير ظهره للموضوع تماما ودون مناقشته ، منتقلا الى نقطة اخرى . وكأن الهدف هو فقط تسخيف الدكتور والهزء بأفكاره ، وليس المناقشة المعمقة للموضوعات نفسها وطرح البديل الفكري لها .

ان مجموع هذه الملاحظات على منهجية الحوار الدائر الان حول كتاب الدكتور صادق والمناقشات المرتبطة به لا بد من أخذها بعين الاعتبار اذا أردنا لحركة الجدل الفكرية والسياسية ان تمضي بشكل صحي وعلمي باتجاه فضح وكشف الافكار الخاطئة والمخربة وتثبيت ونشر الافكار والمواقف الصحيحة.

### اعادة ترتيب لافكار الدكتور صادق

حتى نستطيع الخروج بشيء واضح ومفيد من كتاب الدكتور العظم « دراسة نقدية ... » نجد من المهم ان نمسك بالخيط الاساسي للموضوع الذي أضاعه الدكتور ، وسط ركام هائل من الكلام غير المنظم ، والذي ساقه هكذا بلا أي منهج مدرسي او اكاديمي ، خاصة ان نصف حجم الكتاب ( ٢٥٥ صفحة ) قد ملأه بالاستشهادات والنصوص المنقولة والتي احتلت ١٢٤ صفحة كاملة . ان اعادة ترتيب افكار وموضوعات الدكتور صادق لا تعني حتى موافقتنا على هذا الاسلوب في الطرح ، الا اننا سنحصر انفسنا في البداية في حدود الكتاب قبل ان نخرج منه ونطرح تصورنا للمنهج ، ورأينا في الموضوعات والنقاشات الدائرة :

اولا : ان الثورة الشعبية الفلسطينية المسلحة والتي شهدتها المنطقة منذ عام ١٩٦٥ ، وصعدت صعودا عنيفا بعد حرب حزيران ١٩٦٧ لا يمكن ان نسميها ثورة ، لان في هذه التسمية الكثير من التجاوز ( ص ١١ ) .

ثانيا : ان حركة التحرر الفلسطيني او الكفاح المسلح الفلسطيني كما يفضل الدكتور ان يسمي الثورة قد انتهت خاصة بعد أيلول ١٩٧٠ واستنفدت مرحلة من مراحلها ( ص ١١ ) .

ثالثا : ان علينا تقييم المرحلة السابقة التي انتهت ، وان ينصب هذا التقييم على « فتح » باعتبارها اهم المنظمات الفدائية واكبرها وتشكيلها العمود الفقري لحركة المقاومة ( ص ١٢ ) .

ولان التقييم يعني عند الدكتور صادق هو ذكر السلبيات فقط ، ولان « فتح » هي حركة المقاومة، فسنمضي في ترتيب افكار الدكتور على هذا الاساس الذي وضعه .

رابعا : ان « فتح » أي المقاومة مثلت امتدادا لحركة التحرر العربية التي هزمت قياداتها وبرامجها وسياساتها وممارساتها في حزيران ، كما هزمت قيادات وبرامج المقاومة في أيلول (ص ٢٣) ذلك لان الفرع الفلسطيني من حركة التحرر العربي يتماثل مع الاصل من حيث الطبيعة الطبقية للقيادات والكوادر والبرامج والتصورات الايديولوجية ( ص ١٥ ) .

خامسا : وعند اكتشاف الدكتور صادق لهذه الحقيقة الذهبية ! وهي التماثل الطبقي بين حركة المقاومة وحركة التحرر العربي تصبح كافة الطروحات والممارسات الفلسطينية متشابهة مع مثيلتها لدى حركة التحرر العربي دون أن تتمكن لحظة واحدة من التجاوز والتخطي ، بل استعادة وتكرار ( خاصة على صعيد الممارسات في كافة الميادين ) . ( ص ١٩ ) .

— ان شعار حرب التحرير الشعبية لا يختلف عن الحرب النظامية الخاطفة لان العقلية السياسية الكامنة خلف الشعارين واحدة (ص ١٨) ( المقصود بالطبع العقلية الطبقية للبرجوازية الصغيرة ) . وما دامت العقلية واحدة والممارسات في كافة الميادين واحدة فقد اكتمل التشابه .

ان شعار « التحرير طريق الوحدة » ليس سوى تلبـــا ميكانيكيـــا للشـــعار الرســـمي السائد « الوحدة طريق التحرير » طبعا بسبب تشابــه العقلية الطبقية والممارسة . ومن هنا فلن يختلف أي شيء عن أي شيء ! وحتى التصفيات الدموية التي تشهدها قوى البرجوازية الصغيرة على يد بعضها البعض في المنطقة سببها الاساسي انها من طينة طبقية واحدة !! وقد يكون ذلك احد اشكال النقد الذاتي ! المبالغ به قليلا !

— ان تعدد المنظمات في الساحة الفلسطينية هو أيضا بسبب امتدادها من حركة التحرر العـــربي ( ص ٣١ ) . الواقع العربي مجزأ اذن الواقع الفلسطيني كذلك .

— ان عدم قدرة المقاومة الفلسطينية على تنظيم مشاعر الجماهير العفوية هو ايضا بسبب هـــذا الامتداد ، وهي بهذا المجال تشبه الحركة الناصرية ( ص ٣١ ) وهذا كله يعبر عن التصاقية فتح بالواقع العربي ( ص ٢٥ ) .

— وحتى في مسألة خطف الطائرات فان الامر لا يعدو كونه تشابها دراماتيكيا مع الخبطات التي تأتي من فوق كما كان يفعل عبدالناصر بدلا من تنظيم الجماهير ، وبهذا برهنت قيادة المقاومة انها أمينة على ارثها الكفاحي العربي ووفية لطبيعتها الطبقية ( ص ٥٩ ) .

هل نحن بحاجة للملاحظة بأن « فتح » أي المقاومة قد أعلنت مرارا قبل ايلول رفضها لهذه العمليات وبأنها تبنت قرارا في اللجنة المركزية لحركة المقاومة بتجميد عضوية الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بسبب قيامها بمثل هذه العمليات . نعتقد ان مثل هذه الملاحظة ستربك معادلات الدكتور صادق ، لقد اصبحت الجبهة الشعبية هنا هي المقاومة وليست « فتح » بل ان موقف فتح الرافض لا يشار اليه هنا ، لان المفروض ان توافق . أليست من نفس الطينة الطبقية والامتداد العربي ؟!

سادسا : واستمرارا في محاولة الدكتور صادق لتصفية « فتح » أي المقاومة سواء على صعيد الفكر او الممارسة او حتى في الاستفادة من تجارب الثورات الاخرى ، فانه يفرد صفحات عديدة ( ٢٥ صفحة ) لنفي أي شبهة تقارب ، او استفادة من تجربة الثورة الصينية ، لا على صعيد السياسة والتحالفات فقط ، وانما على صعيد الممارســـة وبناء الجيش الشعبـــي ايضا . والسبب ، ان الماوية وتعاليمها حول بناء الجيش الشعبي لا يبقى منها شيء بعد طرح ( أي حذف ) الحزب والهوية الايديولوجية والسياسة الحمراء — الماركسيـــة اللينينية — ( ص ١٣٨ ) .

سابعا : انطـــلاقا من كل ما تقدم ، ونظرا لعدم اعتبار النظام الاردني هو أحد اطراف التناقض الرئيسي جاء أيلول والهزيمة ، وانتهت هذه المرحلة من تاريخ النضال الفلسطيني .

ويؤكد الدكتور الصادق بأن هذه الدراسة هي لمرحلة انتهت وهدفها الفهم والاستفادة من البذور الايجابية التي خلفتها هذه المرحلة اذا أردنا ان نقطف ثمارا على المديين المتوسط والبعيد ( ص ١١ ) لاحظوا ان الدكتور صادق لم يتحدث عـــن الايجابيات كما انه لا يعتقد بأننا حتى على المدى القريب يمكن ان نشهد ثورة اخرى ، وهكذا ينضم صادق الى زميله الياس مرقص في تشييع المقاومة « واقامة احتفال الدفن المهيب الذي يليق بها » كما عبر مرقص ذات مرة .

ولكن هل يكتفي الدكتور العظم بهذا كله ويتوقف عنده ، بالطبع لا ، لان عليه ان يثبت حسن نواياه وحرصه على الجماهير والمنطقـــة فيحدد اقانيمه الثلاثة التي تملك العصا السحرية لحل كل معضلات بلادنا وايصالها للنصر .

الاقنوم الاول : النظرية الثورية ( ص ٢٥٤ ) .

الاقنوم الثاني : الحزب الثوري الماركسي اللينيني ( ص ٢٥٤ ) .

الاقنوم الثالث : ان نكون الى جانب الاشتراكية ( ص ٢٥٥ ) .

الا ان الدكتور العظم قبل ان ينهي كتابه ، وخلال حديثه عن الوحدة الوطنية بين منظمات المقاومة ، وبدون مناسبة ، او بمناسبة واضحة الافتعال يورد التصريح التالي لنايف حواتمه والذي وصفه بالتصريح الهام : « ان اسرائيل تنفذ منذ حزيران ١٩٦٧ برنامجهـــا الخاص بتصفيـــة القضيـــة الفلسطينية ، والملك حسين مصمم علـــى تنفيذ مشروع المملكة العربية المتحدة . **وفي مقابل ذلك ماذا عند المقاومة ؟** ان المقاومة وقفت الى الان عاجزة عن تقديم برامج عمل **مرحلية** وطنية تستجيب للمطالب السياسية والاجتماعية **المرحلية والراهنة** لشعب فلسطين . وفي تعبير آخر ، فان المقاومة بسبب سيطرة برنامج اليمين عليها ، اكتفت باعلان الرفض **المبدئي الاستراتيجي العام** من دون ان تتقدم

البرامج **التكتيكية** الضرورية لكل **مرحلة** ، والتي تؤدي بالنتيجة الى تحويل الرفض النظري الى قوة مادية ملموسة . ان المقاومة تقف الان مجردة من الاسلحة السياسية والاجتماعية القادرة على توظيف طاقاتها المسلحة لانشال كل هذه المشاريع وتقديم **البرنامج البديل** لشعبنا ليناضل تحت رايته» ( ص ٢٥٠ ) انتهى كلام حواتمه .

هذا الاستشهاد الطويل الذي أورده الدكتور صادق من تصريح نايف حواتمه ، اتبعه بتصريح للناطق الرسمي — وكان يومها الشهيد كمال ناصر — اتهم فيه الديمقراطية بخرق الوحدة الوطنية ، ثم يورد رد الديمقراطية على الاتهام بأنه من المؤسف ان الوحدة الوطنية لا زالت مقتصرة التنفيذ على قرار يتيم حول الوحدة الاعلامية ( ص ٢٥١ ) .

ان هذا الاستشهاد الطويل من كلام نايف حواتمه والهوامش الملحقة به ليست هي **بالتاكيد** ما يعني الدكتور صادق ، وان حاول ايهامنا بذلك ، لان الدكتور العظم بعد هذا الكلام بأربعة اسطر فقط يقول :

« لا بد من الاشارة هنا الى انه مع ان منظمات يسار المقاومة المعروفة قد فهمت بصورة افضل من غيرها **طبيعة المعضلات** التي تواجه حركة التحرر الفلسطينية ، والدلالات الاهم والاعمق لكل من هزيمتي حزيران ١٩٦٧ وايلول ١٩٧٠ ، وأدركت الاخطار الكامنة في التوجه العسكري **الضيق** لحركة فتح ، مع ذلك بقي فهمها لكل هذه الامور اقرب الى الصعيد الفكري والتأملي منه الى صعيد الممارسة العملية على مستوى الواقع المتحرك » ( ص ٢٥١ ) .

بعد هذا الكلام بصفحتين فقط يختتم العظم كتابه موصيا بأقانيمه الثلاثة السابقة . ان معرفتنا المسبقة بالحوارات الدائرة وراء الكواليس داخل الساحة الفلسطينية ، وما أثاره تصريح نايف حواتمه السابق ، والمتعلق **بالحقوق الراهنة والحقوق التاريخية للشعب الفلسطيني** ، هذا التعبير يعني باختصار شديد التنازل عن حق الشعب الفلسطيني في كامل ترابه الوطني والقبول بقرار التقسيم لعام ٤٧ او قرار ٢٤٢ لعام ٦٧ او اي مشروع آخر يأتي بعد ذلك .

وهذا ما أراد الدكتور صادق ان يقوله بالضبط ، وان لم يصرح به مكتفيا بايراده على لسان نايف ثم بعد ذلك تقديم المدائح ليسار المقاومة على فهمه للمعضلات التي تواجه حركة التحرر الفلسطينية . لقد فات منير شفيق اكتشاف هذه القضية الهامة في كتاب الدكتور صادق الا انه أدرك بعمق ان الاستمرار المنطقي لكل منهج الدكتور صادق يقود اليها . ومن خلال موقفه من مسألة « الامة » اليهودية . ولقد افرد منير فصلا كاملا من كتابه « الثورة الفلسطينية بين النقد والتحطيم» في كشف موقف الدكتور صادق من هذه المسألة .

وينقل منير شفيق النص التالي من حديث الدكتور صادق في ندوة شؤون فلسطينية العدد ١٢ « اذا اتفقنا على ان يهود اسرائيل يشكلون او هم في طريقهم لتشكيل امة او قومية ، كما قال الاستاذ الياس مرقص ، فلا بد من الاستنتاج بأن طابع الحقوق المتوجب الاقرار بها على المدى الاستراتيجي للشعب الاسرائيلي هو طابع الحقوق القومية ، وهذا الاقرار هو جزء من النضال الايديولوجي التحرري في الوقت الحاضر » ( ص ١٨٤ من الكتاب ) . كما يؤكد الدكتور صادق في ندوة مركز الدراسات الفلسطينية في جامعة بغداد بأن اليهود ما داموا أمة او أمة بطور التكوين فمن حقهم الانفصال عن الدولة الاشتراكية العربية الموحدة التي طرحها كحل للمسألة اليهودية او الاسرائيلية ( ص ١٨٢ من كتاب منير شفيق ) .

وهكذا يقودنا الدكتور العظم احيانا بشكل مباشر وأحيانا أخرى بشكل غير مباشر الى هذه النتيجة الخطيرة :

— الاعتراف بأمة يهودية .

— الاعتراف باسرائيل .

— ان يكون النضال في المنطقة طبقيا تشارك فيه البروليتاريا العربية واليهودية معا لتشكيل دولة عربية اشتراكية موحدة ذات قوميات ، ولان الدكتور العظم ماركسي لينيني ! فهو يمنح كل قومية حقها في تقرير مصيرها بما في ذلك حق الانفصال .

ولدى ادراكنا لهذه النتائج السياسية التي يؤمن ويبشر بها الدكتور صادق نستطيع ان نفهم بالضبط سر انزعاجه الشديد من البرنامج السياسي للثورة الفلسطينية الذي يتحدث عن تصفية الكيان الصهيوني ، واعتبار اليهودية دين وليست قومية، واقامة الدولة **الفلسطينية** الديمقراطية بديلا لاسرائيل .

كما نستطيع ان نفهم سر الاقانيم الثلاثة التي

طرحها . فما دامت الثورة اجتماعية طبقية فلا بد ان تكون مادة هذه الثورة جماهير البروليتاريا والفلاحين من عرب ويهود وحزبهم الماركسي اللينيني ورافعين بالطبع وعاليا راية الاشتراكية ( الاقنوم الثالث ) .

وهنا يتضح تماما خلافنا مع الدكتور صادق حول فهمنا لطبيعة العدو ولطبيعة الصراع وأطرافه وأدواته ، وهذا ما سنتحدث عنه بعد قليل .

**منهجيا**

لو وافقنا الدكتور صادق جلال العظم لمدة دقيقة واحدة على مقولته التي تؤكد ان المقاومة الفلسطينية قد انتهت في هذه المرحلة ، واننا من أجل بناء الحزب الماركسي اللينيني — طبعا المؤمن بالنظرية الثورية والاشتراكية ( أقانيم صادق ) — في المديين المتوسط والبعيد لا بد لنا من تقييم المرحلة السابقة ، فكيف نفعل ذلك ؟ لو سألنا هذا السؤال لاحد المبتدئين في تعلم الف باء الماركسية لاجاب على الفور وبدون تردد :

اولا : ندرس الظروف الموضوعية التي سبقت ورافقت الانطلاقة الثورية في فلسطين والاردن اساسا ثم دول الطوق في الدرجة الثانية وبعد ذلك الوضع العربي العام ... ندرس هنا على الخصوص نمط العلاقات الانتاجية السائدة والقوى الطبقية التي افرزتها هذه العلاقات كما ندرس مجموع المؤثرات والعوامل القهرية كالاذلال القومي او الديني او الكبرياء الوطني الخ ... كما علينا ان ندرس في هذا المجال المناخ السياسي العام وطبيعة الاحزاب والقوى القائمة ...

ثانيا : لا بد لنا من دراسة العدو وامتداداته من حيث تركيبته الاجتماعية والطبقية والنفسية ... مراكز القوة والضعف لديه... خططه الاستراتيجية والتكتيكية .

ثالثا: ندرس الوضع الدولي العام...توازناته... علاقاته ... احتمالات مواقفه المتعددة، وارتباطاته بالقضية الفلسطينية والعربية وبالعدو ايضا .

بعد وضع هذه الخريطة العامة — يجيب الماركسي المبتدىء — يمكننا ان نفهم خصوصية الوضع الفلسطيني ، وبالتالي ان نفهم طبيعة القوى التي افرزها هذا الوضع لتقود النضال في السنوات من ١٩٦٥ الى ايلول ١٩٧٠ .

بعد ذلك — لا زال الماركسي المبتدىء يتحدث — ندرس مسيرة الكفاح المسلح الذي تم والمتغيرات الموضوعية التي احاطت بهذه المسيرة فلسطينيا وعربيا ودوليا ، حتى يمكننا ان نفهم بعمق أين استطاعت المقاومة ان تحقق نجاحا وأين فشلت وكان بامكانها ان تنجح ، وهكذا من خلال دراسة تجربة الكفاح المسلح من كل جوانبه عسكرية كانت أم سياسية أم تنظيمية ... موضوعية أم ذاتية ، نخرج بصورة متكاملة تفيدنا في خطواتنا القادمة .

الدكتور العظم لا يمكن ان يقبل ما يفعله الماركسيون المبتدئون ، لانه كما يبدو ماركسي ( اكسترا ) او فوق الماركسية ، غير ان ما فعله بالنتيجة يشبه تماما ما يفعله مشايخ القرى او كهنة الاعتراف الكاثوليك ، فالاشياء مفرزة ومقسمة سلفا ... هذا خير وذلك شر ... هذا سلبي وذلك ايجابي...هنا خطأ وهناك صواب... أبيض واسود هذه هي الالوان التي يستطيع عقل الصادق ان يميزها... اما تدرج الالوان وتداخلها والتحام لونين ليشكلا لونا جديدا فمسائل لا علاقة للدكتور العظم بها ، ولهذا نجده في مقدمة كتابه « دراسة نقدية ... » يحيلنا الى هامش يعتذر فيه عن الحديث في ايجابيات الثورة ومنجزاتها :

« يجد القارىء عرضا مركزا وافيا لمنجزات الكفاح الفلسطيني المسلح في كتاب الدكتور حسام الخطيب « في التجربة الثورية الفلسطينية » منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٧٢ » ، ( هامش (1) ص ٩ ) .

لاحظوا ان حرص الدكتور العظم على معرفتنا لمنجزات الثورة تصل الى درجة اخبارنا عن دار النشر التي وزعت الكتاب .

هل نسأل بعد ذلك أين الديالكتيك الماركسي العلمي الذي يرفض ان يحاكم الاشياء ، ولا يستطيع ان يفهمها الا من خلال وحدتها الكلية وترابطها وتناقضها وتطورها ؟!

مأساتنا المفجعة ليست بأعداء الماركسية والعلم بل بأولئك المتمركسين الذين يتخموننا بنصوص واستشهادات من ماركس وانجلز ولينين وماوتسي تونج — خاصة ماوتسي تونج — دون ان يقدموا تحليلا ملموسا واحدا لواقعنا الملموس — اولئك الذين يحفظون عن ظهر قلب ما قاله ماركس عن الثورة الفرنسية او ما قاله لينين عن ثورة ١٩٠٥ ويحللون باستفاضة الظروف الموضوعية التي

احاطت بالانتفاضتين، لكن حين يتعلق الامر بالمجتمع الفلسطيني الذي يمتلك خصوصية نادرة وفريدة فهم اما ان يقفوا عاجزين تماما عن التحليــــل ويتناولون الظواهر فقط ، واما ان يبروا اقــدام هذا المجتمع ليدخلوها في قوالبهم الحديدية .

بعد ذلك نحب ان نلفت نظر الدكتور العظم الى مسألة هامة تتعلق بكتابه كاملا : ان الذي يطرح نفسه ماركسيا في بلادنا عليه ان يعرف ان مهمته ليست التعليق على احداث الماضي ( النقد الذاتي بعد الهزيمة ، دراسة نقدية لفكر المقاومة ) وانما مهمته اساسا الكتابة عن المستقبل مستعينـــــا بأحداث الماضي محللا الحاضر بمختلف جوانبــه راسما طريق المستقبل ... وحتى هذا الجهد على أهميته لو انجزه الماركسي بكامله يظل قاصرا اذا لم يهبط هذا الماركسي الى ارض الواقع ويعيش حركة الجماهير وتفاعلاتها الصخابة والمتنوعــة والمتناقضة ، من أجل ان يفهم اكثر وأعمق مـــا يحدث ومن أجل ان يسهم في صناعة المستقبل ... ليست مهمة الماركسيين تفسير التاريخ والمجتمعات والاحداث ... انما مهمتهم التغيير من خلال الفعل والممارسة ... هكذا علمنا ( البيان ) في ســـن مبكرة ... اما اذا فشلنا في الفعل والعمل فعلى الاقل ان نجيد كتابة التاريخ مثل أي مـــــؤرخ بورجوازي نزيه ، بأمانة وصدق ، ولنكف عن طرح انفسنا كماركسيين اذا كنا نحمل بعــض الاحترام لهذا الاسم .

**حول التوقيت**

ان النقطة السابقة تقودنا مباشرة للحديث عـــن توقيت تأليف الكتاب واصداره ، في نفس الوقت الذي تتعرض فيه الثورة الفلسطينية لحملة تصفية شاملة على كافــة الاصعدة السياسية والفكرية والعسكرية والارهابية ، عربيا ودوليا ، والثورة تدفع كل يوم من قياداتهـــا وكوادرها ومقاتليها للحفاظ على الثورة واستمرارها ، ومن أجل أن تبقى شعلة الرفض مضيئة في وجدان الامة حيث الصمت يكفن كل الجبهات .

هل حرص الدكتور العظم على صحة المريض في المدين المتوسط والبعيد يدفعه الى المشاركة في قتل المريض الان ؟!

نحن نعرف ان هذا هو ما نعله العظم ، فهل يعرف هو ما يفعل ؟

**حول الموضوعات والنتائج**

تتعرض بلادنا الان لشكلين من اشكال السيطرة الاجنبية .

الشكل الاول : احتلال عسكري استيطاني صهيوني في فلسطين كلها وسيناء والمرتفعات السورية ، ولا زال يطمع الى احتلال المزيد .

الشكل الثاني : النفـــوذ الامبريالي الامريكــي والانكليزي والذي يعزز سيطرته الكاملة او شبه الكاملة على العديد من الدول العربية ( قواعد عسكرية .. احتكارات مالية وبترولية .. قروض .. ربط انتاج واستهلاك هذه الاقطار بالرأسمال الاجنبي .. الخ .. )

وترتبط بهذين الشكلين للاحتلال الرجعية العربية العميلة للامبريالية وجناح من البرجوازية العربية التجارية والصناعية المتصلة بالرأسمال الاجنبي .

وفي مقابل ذلك تقف جماهير الامة العربية بعمالها وفلاحيها ومثقفيها الثوريين .. ببرجوازييها الصغار وبالجناح الوطني من البرجوازية العربية العقارية والصناعية والتجـــارية التـــي ترتبط مصالحهـــا بالاستقلال الوطني عموما .

ان سمة هذه المرحلة بالتالي ، هي مرحلة الثورة القومية الديمقراطية التي تستهدف طرد المحتــل الاجنبي ، وتصفيــــة أشكال هيمنته العسكريـــة والاقتصادية والثقافية والسياسية ، وتصفيـــة القوى العربية المرتبطة بالاحتلال لمصلحة جماهير الامة العربية التي من خلال تواصل نضـال طبقاتها الاكثر جذرية وثورية ستحدث تغيرات كيفية على برامجها السياسية وأطرها التنظيمية وصولا الى بناء دولتها الاشتراكية الموحدة والمحررة من كل اشكال السيطرة الاجنبية .

كيف يحدث ذلك على أرض الواقع ؟ ما هي القوى التي تخوض الصراع وتقوده ؟ ان الاجابة على هذه المسائل يقدمه ، وقد تدمه الواقع نفسه . اما النصائح المخلصة وغير المخلصة التي تتحدث عن النظرية الثورية والحزب الثوري الخ .. فانها تثير السخرية والحنق معا ..

هل الحزب الماركسي القائد لمرحلة النضال سابقا ولاحقا ينتظر من الدكتور العظم او من غيره أن يخبره بأن عليه الان دور القيادة ؟ او ان جماهير البروليتاريا تنتظر الاذن لقيادة طبقات الامة ؟! ربما كان العظم يعتقد أن السطور العشرة الاخيرة من

كتابه والتي ضمنها ( أقانيمه ) الثلاثة قد حلت كل المشاكل وبأن بامكانه أن يذهب ليستريح بعد أن أضاء بصيرة الطبقة العاملة بما تحتاجه وبالدور الذي عليها أن تلعبه .

الماركسيون الحقيقيون والمناضلون الثوريون في غياب حزب الطبقة العاملة لا يجلسون في بيوتهم والامة تتعرض لخطر التصفية والاستسلام ، وهم كذلك لا يرفعون سيوفهم في وجه القوة الوحيدة التي تتصدى للهجمة الصهيونية الامبريالية الرجعية ، وتقدم آلاف الشهداء من أجل دحر هذه الهجمة وافشالها . الماركسيون دائما بين الجماهير وفي معمعان قتالها اليومي ، هم الاكثر عملا ، والاكثر تضحية ، والاكثر قدرة على العمل مع الجماهير وقيادتها ، واذا لم يفعل الماركسيون ذلك فان شعبنا لن يحبهم أو يحترمهم ، ولن يمنحهم قط قيادته حتى ولو جاءوا بحزب ماركسي تفصيل على مواصفات العظم وأقانيمه .

الطريف في محاكمات العظم لفكر حركة المقاومة وممارساتها — تحديدا فتح — انه يطالبها بأن تطرح فكريا وسياسيا وتمارس مثل أي حزب ماركسي ولانها لا تفعل ذلك فان العظم لا يتردد لحظة واحدة عن شطبها واعلان افلاسها ، في الوقت الذي اعلنت « فتح » بأنها حركة وليست حزبا ماركسيا ولا ليبراليا . بتواضع قالت « فتح » انها تطمح من خلال المسيرة ان تتحول الى حزب مغتنية بالفكر والنظرية من خلال الممارسة .

وما دام الامر كذلك ، فان « فتح » هي حركة وطنية آمنت بالكفاح المسلح وحرب الشعب ، وحين انطلقت لم يتجاوز عدد أفرادها سواء في قوات العاصفة أو في تنظيم فتح السياسي المئات.

بعد حزيران ٦٧ ومع انطلاقة « فتح » الثانية وبعد الكرامة تحديدا عام ٦٨ تدافعت الجماهير نحو « فتح » سواء كمقاتلين أو كأعضاء في التنظيم ودون أن تكون « فتح » قادرة تنظيميا او عسكريا على استيعاب هذا التدفق البشري الهائل . كانت أمام خيار الرفض أو القبول ولم يكن القرار سهلا، الا ان مبررات القبول كانت أقوى .

- شباط ٦٨ تقدمت دبابات السلطة الاردنية لتصفية قواعد « فتح » في الاغوار .
- ٦٨/١١/١٤ واجهت « فتح » مؤامرة التصفية في الاردن ، وكانت تحتاج الى جماهير مسلحة لحماية الثورة ، والى أعضاء في التنظيم لقيادة هذه الجماهير لقيادة الميليشيا .
- نيسان ٦٩ واجهت المؤامرة في لبنان وكانت « فتح » بحاجة الى مقاتلين وميليشيا ايضا .
- تشرين ٦٩ المؤامرة الثانية في لبنان .
- شباط ٧٠ حملة التصفية الثالثة في الاردن .
- حزيران ٧٠ حملة التصفية الرابعة في الاردن .
- تموز ٧٠ واجهت الثورة مؤامرة روجرز والموافقة الوطنية العربية عليها .

ثلاثون شهرا فقط هي الفترة التي كان على فتح فيها أن تواجه كل هذه المؤامرات والتصفيات دون أن تنسى للحظة واحدة دورها الاساسي في الارض المحتلة التي فاجأتها هزيمة حزيران وهي تفتقد الى الاحزاب والتنظيمات والسلاح .

ونحن حين نسجل كل ذلك ، لا نقدم فتاوى او تبريرات للاخطاء والسلبيات ، والتي كان بعضها خطرا وقاتلا . الا أن كافة ملاحظاتنا وانتقاداتنا يجب أن تظل في داخل الاطر التنظيمية أو على الاقل ليس على صفحات الجرائد والمجلات والكتب، ولا نظن ان الدكتور العظم سيختلف معنا حول هذه المسألة التنظيمية البسيطة . وكان على الدكتور أن يلاحظ ذلك حين شن هجومه على بعض كوادر وقيادات « فتح » لانها لم تحدد موقفا من النظام في الاردن في الوقت الذي كانت تحمل فيه السلاح في احياء عمان ضد هذا النظام .

ان مسيرة الثلاثين شهرا من شباط ٦٨ الى تموز ٧٠ والمؤامرات الدموية التي واجهتها فتح خلالها ، ربما كانت تحتاج الى تنظيم حزبي متمرس في النضال لعشرات السنين ولديه آلاف الكوادر . فكيف تمكنت حركة وطنية صغيرة في البداية أن تصمد وتنمو ، ولا زالت حتى الان تقاتل داخل الارض المحتلة وخارجها ؟ هذا السؤال الهام لا يعني الدكتور العظم ، ولهذا لم يتوقف امامه .

نحن نعتقد ان الموقف السياسي العام والشعارات التي طرحتها « فتح » وممارستها لهذه الشعارات، هي صحيحة في خطوطها العامة ، غير ان هذه الصحة لا زالت تحتاج الى اغناء كل يوم بالتفاصيل التي يعززها ويؤكدها الواقع والممارسات ، وهذا درس ايجابي هام نخرج به من تجربة السنوات الماضية ، وكل توجه لنقض هذه الشعارات بالحديث عن دولة أو أمة يهودية او تقسيم الخ ... سيجهض مقدما أي حزب ،

وعلينا ألا ننسى أن سر ضعف الاحزاب الشيوعية العربية عموما ولا جماهيريتها هو الموقف الخاطىء من القضية الفلسطينية أساســا ، ومن قضية الوحدة العربية ثانيا ، ومن هنا فان دعوة الدكتور العظم الى بناء الحزب الماركسي الذي يؤمن بأمة يهودية واستقلال قومي لهذه الامة تذكرنا بتعبير شائع وطريف : « ان التاريخ يعيد نفسه مرتين ، الاولى على شكل مأساة والثانيــة على شكل مهزلة » .

ان مسألة بناء الحزب ، والحزب الماركسي العربي تحديدا من المسائل الاكثر اهمية وخطورة ، لان الحل النهائي لمعضلات المنطقة العربية الاستراتيجية والجذرية ، لا بد أن يتصدى لها أخيرا مثل هذا الحزب ، غير ان هذا لا يعني لحظة واحدة ان نقفز فوق الواقع المليء بالصدامات والتحديات والقوى المقاتلة وندينها هكذا بالفشل والافلاس بل والانتهاء ، من أجل الدعوة للحزب الذي لم يولد بعد . ان مثل هذه الخفة في تناول القضايا الوطنية والنضالية ، وكأن مثل هذا الحزب يشترط لولادته الفراغ الكامل من كافة القوى حتى يتمكن من الولادة او القيادة .

الحزب الماركسي الثوري العربي في ظروف بلادنا الراهنة يولد من خلال القتال والكفاح التحريري الشعبي المسلح مــن مئات الكوادر والمناضلين المتمرســين في معارك الشـــــعب اليوميـــــة ضد الاعداء الصهاينــة والامبرياليين وعملائهــم الرجعيين .

في بلادنا التــي تعيش مرحلة الثورة القوميــة الديمقراطية لا يولد الحزب الماركسي الثوري بين بروليتاريا المصانع أو جماهير الفلاحين المسحوقة بالنهب الاقطاعي ! ، انما يولد في مناخ الكفاح المسلح ضد أعداء الامــة ، ومن بين المقاتلــين العصابيين وفي ظل بنادقهم وايضا في شعارات حرب الشعــب والتحريــر الشامل والمجتمــع الديمقراطي الفلسطينــي ووحدة الامة وحـريتها وتقدمها .

## مقياس خاطىء

الدكتور العظم من اجل أن يبرهن على فرضية مسبقة تقول ان البرجوازية سقطت ببرامجهــا وقياداتها وممارساتها واحزابهــا وحركاتها وان عليها أن تتنحى لتسلم القيادة للبروليتاريا وحزبها! يستحضر حزيران ٦٧ وأيلول ٧٠ لانهما الدليل على الفشل الكامل السياسي والعسكري والطبقي .

هزيمة المعركة ، خاصة المعارك الكبيرة هي المقياس عند العظم ليحدد بعدها انتهاء دور طبقة كاملة ، وهذه جهالة تثير الاشفاق :

أولا : ان الذي يحدد دور الطبقة ليس رغباتنا مهما كانت طيبة ومخلصة ، وانما قوى وعلاقات الانتاج والاحزاب والقوى التي يفرزهــا الواقع الاجتماعي ، والثقافة السائدة او التي في طريقها لكي تسود حياة المجتمع وفكره .

ثانيا : اذا كانت الهزيمة مقياسا لفشل الطبقة أو حزبها فكيف يفسر الدكتور العظم ، اجتياح الالمان لاراضي ومناطق كاملة في الاتحاد السوفياتي في الاشهر الاولى من الحرب العالمية الثانية ، وكيف يفسر هزيمة الجيش الاحمر الصيني في مناطقه المحررة بعد حملات الابـــادة الخمس ونزوح هذا الجيش فيما عرف بالمسيرة الكبرى الى شمال غرب الصين في رحلة العشرة آلاف ميل . هذه المسيرة بدأت بـــ ٣٠٠ الف جندي أحمر وعند نهايتها كان العدد ٢٥ الف جندي أحمر . هناك ٢٧٥ ألفا بين قتيل وجريح ومنهزم وهارب .

حول هذه القضية سنستعين برأي قانوني ، وهو يحمل شهادة دكتوراه في الحقوق الا انه ثوري ومناضل ولا يجزع أو يفقد الثقة بعد الهزيمة ، انه فيديل كاسترو :

١ — بعد فشــل الهجوم علــى ثكنة المونكادا ( احتفلت كوبا يوم ٢٦ تموز الماضي بهذه الذكرى ) وقتل وأسر معظم المشاركين في الهجوم قدم كاسترو مرافعته الشهيرة باسم « سيبرئني التاريخ » التي تحدث فيهــا بحب وفخار عــن رفاقه الشهداء وبسالتهم وتضحياتهم ، وتحدث عن بعض الاخطاء التي رافقت تنفيذ العملية ومن وراء القضبان وضع نظام الجلاد باتيستــا في قفص الاتهام ، وهتف بشعار الثوار الكوبيين : « النصر او الموت .. سننتصر » . بعد حوالي سنتين ، سقط نظــام باتيستا وانتصرت الثورة .

٢ — في مقدمة « يوميات غيفارا في بوليفيا » التي كتبها كاسترو رد بعنف على الذين هاجموا ثورة بوليفيا وغيفارا بحجة ان الظروف الموضوعية غير ناضجة في بوليفيا للثورة ، وبأن غيفارا مغامــر رومانسي فقال ان الثورة الكوبية كان من الممكن ان تسحق في احدى حملات الحصار في السيرا مايسترا وان يستمر حكم باتيستا زمنا أطول ، الا

ان الشعب أخيرا كان سينتصر ، وانه كان بالامكان ان ينتصر غيفارا لو أن بعض الظروف المؤاتية ساعدته .

غيفارا في يومياته في بوليفيا يكتب متحسرا لو كان معي ٢٠٠ مقاتل فقط لاصبحت بوليفيا على ابواب النصر .

كاسترو لم يكن حين انتصرت الثورة شيوعيا أو حتى ماركسيا ، وغيفارا الماركسي لم يكن لديه حزب .

ما الذي يحدد الفشل النهائي للحركة الثورية او عدمه ؟ ومتى تكون الهزيمة نهاية لمرحلة كاملة ؟

الجواب هو : استمرار القتال .. استمرار ارادة القتال . الثورة الفلسطينية منذ أيلول ٧٠ لم تتوقف عن القتال ولم تفقد ارادة القتال ، وفقط نحيل الدكتور العظم على الصفحات الاخيرة من شؤون فلسطينية او ان يقرأ نشرة الرصد الاذاعي العبري التي تصدر عن مركز الابحاث ، لان الدكتور لا يثق ببلاغات الناطق العسكري الفلسطيني ، ولهذا نكتفي باحالته على بلاغات الناطق العسكري الصهيوني .

من هنا فان الهزيمة في معركة او أكثر من المعارك الكبيرة ( الجيش الاحمر الصيني ، الجيش السوفياتي ) لا يمكن ان تكون هي المقياس الذي يحدد من خلاله انتهاء دور طبقة أو انتهاء مرحلة نضالية أو حركة ثورية . ان دور الطبقة لا ينتهي حتى تسيطر عليها طبقة أخرى بادخال تغيير جذري على علاقات الانتاج .

كما ان دور الحركة الثورية لا ينتهي ولا تنتهي المرحلة النضالية ما دام القتال مستمرا .. ما دامت ارادة النضال مستمرة . وما دامت هذه الحركة هي قوة الرفض الوحيدة الشعبية والمسلحة التي تتصدى لاعداء الامة .

لقد أراد الدكتور العظم وحاول أن يدمر كل شيء وأن يبعث في العقول والقلوب الشك واليأس بجدوى أي نضال أو مقاومة أو حتى صمود مع الحركة الثورية الفلسطينية المسلحة لانها فشلت على كافة المستويات وفي جميع الميادين الايديولوجية والسياسية والعسكرية والتنظيمية . انه يقول : أيها المقاتل الفلسطيني المزروع في جبال الشيخ منذ ثلاث سنوات الق بندقيتك واذهب الى بيتك لتستريح لان قيادتك البرجوازية فشلت ولا فائدة هناك ..

ويا أيتها الكوادر العاملة في صفوف الثورة والمؤيدين لها في جميع انحاء الوطن العربي والعالم اخبركم ان هذه المرحلة النضالية قد انتهت فكفوا عن العمل والنضال واستريحوا ..

ان قيام اذاعة العدو الصهيوني باذاعة كتاب العظم في حلقات تتطلب منه ان يتبعه ببيان هام الى خلايا الثورة الفلسطينية في الوطن المحتل ينصحهم فيه بحل أنفسهم وبالتوقف عن توجيه ضرباتهم اللامجدية الى المحتل الصهيوني .

ان العظم يكاد يصرخ في كل سطر من كتابه :

الى الجميع كفوا عن العمل والنضال .. دعوا المنطقة هادئة ومستقرة والارض مستريحة والمناخ العام صافيا ومهيئا . فالدكتور سيزرع بذرة الحزب المباركة لتنمو في المستقبل وهذه البذرة لا تنمو الا وسط سكون شامل وصمت تام ، لان صوت الرصاص يزعجها ويمنعها من النمو ، وأي تصد للهجمة المعادية هو ضجيج مزعج للمولود الجديد.

« الان يمكننا ان نقول بدون مبالغة ان حركة التحرر الفلسطينية **قد استنفدت مرحلة معينة من مراحل تطورها** وان الحصيلة المباشرة والآنية لهذه المرحلة كانت سلبية ومرة الثمار » ( ص ١١ ) .

ثم يحدد الدكتور موعد الولادة القادمة فيقول : « الا أنه اذا أردنا للبذور الايجابية التي خلفتها هذه المرحلة ان تعطي ثمارا على **المديين المتوسط والبعيد** ، من غير النوع الذي عرفناه حتى الان ، فلا بد من طرح سؤال : لماذا استطاعت قوى الثورة العربية المضادة من **الحاق الهزيمة** بالكفاح الفلسطيني المسلح ( أو الثورة الفلسطينية مع ما في هذه التسمية من تجاوز ) في الاردن ؟ » (ص١١).

واضح هنا تماما ان العظم لا يريد من دراسته وتقييمه تقديم أي نقد ايجابي للمقاومة الراهنة مما يمكن ان نسميه « نصيحة » من أجل أن يناضلوا أفضل او يحددوا برامج سياسية أكثر صحة او يدعوهم للوحدة مثلا كما يفعل بعض المواطنين الطيبين . الا أنه يعلن الفشل الكامل للمقاومة وهزيمتها الساحقة ، كما يعلن انتهاء المرحلة بكاملها وينصحنا ان ننتظر الى المديين المتوسط والبعيد حتى يولد الحزب . طبعا لا يمكن أن يدعو الدكتور صادق جلال العظم الجماهير الى المشاركة في بناء هذا الحزب ، لان هذه مهمة ماركسية ( اكسترا ) من طراز الدكتور مستعينا بالطبع ببروليتاريا المصانع العربية ! وببعض الفلاحين

المستثيرين في الارياف شرط أن يكونوا مسحوقين طبقيا من الاقطاعيين العتاة !.

بوذا الحكيم له قول مأثور : « أنا لا أعرف شيئا عن سر الاله لكنني أعرف أشياء عن عذاب الانسان » .

ونحن لا نعرف شيئا عن الاحزاب التي تولد في المدين المتوسط والبعيد ، لكننا نعرف أشياء عن المؤامرة ( الناضجة ) الان . مؤامرة سحق وتصفية الثورة الفلسطينية والشعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية .

عرفناها في أيلول عمان وتموز الاحراج .
وعرفناها في البداوي والبارد والنبطية وصبرا وشاتيلا وبرج البراجنة وتل الزعتر وضبيه وجسر الباشا .

عرفناها في نيسان الفردان ببيروت وفي أيار ، حدثنا عنها بوضوح كامل وبصدق كمال ناصر وكمال عدوان وأبو يوسف ورياض عواد ومئات الشهداء والجرحى .

والغريب أيها الدكتور الصادق ان المؤامرات عموما تحاك وراء الكواليس بغموض وسرية لتفاجئنا على حين غرة الا المؤامرة التي نشهدها ونعيشها في هذه المرحلة شهودا وشهداء فهي ليست سرا فقادة العدو لا يمر يوم واحد دون ان يهددوا بمطاردة المقاومة في كل مكان لالحاق الهزيمة النهائية بها ( لاحظوا ان العدو لا يصدق كلام العظم عن هزيمة المقاومة وانتهائها ) كما ان مؤتمر المخابرات المركزية الامريكية الذي عقد في طهران قبل فترة قصيرة يضع على رأس جدول أعماله مقاومة الثورة الفلسطينية ، والبيت الابيض الامريكي ينشىء فرعا لمقاومة الارهابيين الفلسطينيين .

امام هذه المؤامرة الامبريالية الصهيونية الرجعية الآن ماذا نفعل يا دكتور ؟

هل نلقي السلاح ونستسلم ونرفع الرايات البيضاء انتظارا للحزب المهدي المخلص في المدين المتوسط والبعيد ؟

أم نقاتل وفي لهيب الكفاح المسلح يمكن للبذور الجيدة والقوية ان تنمو وتنضج ؟

يروى عن الاسبارطيين وكانوا شعبا قويا مقاتلا ان الطفل عند ولادته كان يترك بالعراء خارج البيت طوال الليل . كثيرون من هؤلاء الاطفال كانوا يموتون بسبب قسوة الطبيعة. ولم يكن الاسبارطيون يشعرون بالحزن على من يموت كانوا يقولون : هناك خلل ما في صحته وتركيبه البدني ، لو كان قويا لعاش رغم قسوة الطبيعة .

وما دمنا في مجال سرد القصص فلا بأس من استحضار مثل شعبي من بلادنا يقول : « لا بهاوش ولا يلم حجار » يعني لا يقاتل ولا يجمع حجارة للمقاتلين .

كنا نتمنى ان يكون الدكتور العظم أحد هؤلاء الا أنه كماركسي ! ( اكسترا ) ! وكثورجي من طراز نادر يرفض ان يقف متفرجا ، فتراه لا يجمع حجارة فقط ويضعها في يد الاعداء ( اذاعة العدو قدمت كتاب العظم في حلقات ) ولكنه يشارك هؤلاء الاعداء في رجم الثورة بالحجارة .

ان الثورة التي تنهال عليها قنابل الاعداء من كل اتجاه لن يضيرها كثيرا ان تتساقط عليها بعض الحجارة ، لكن يهمها ان تحدد بالضبط المواقع التي تنطلق منها قذائف الاعداء .

# مراجعات

## ناجي علوش ، نحو ثورة فلسطينية جديدة
( دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٧٣ )

كتاب ناجي علوش « نحو ثورة فلسطينية جديدة » هو عبارة عن مجموعة مقالات ودراسات ومناقشات وافتتاحيات كتبت خلال مدة خمس سنوات . فهو من جهة يطرح قضايا الثورة الفلسطينية ووضعها الداخلي ، برامج فصائلها ، علاقتها بالانظمة العربية وعلاقتها بالجماهير العربية ، أسلوبها الكفاحي المسلح ، مؤامرات التصفية ضدها ، مجزرة ايلول ، اخطاءها ، نقاط ضعفها وقوتها ، نتائج أعمالها العسكرية ومردودها السياسي ، أزمتها وأخيرا كيفية الخروج من الازمة . ومن جهة أخرى ، الكتاب يعتبر بمثابة دراسة ميدانية للثورة الفلسطينية اذ انه يسجل وقائع أعمالها وانعكاساتها على وضعها الخاص والوضع الفلسطيني وثم العربي ، ويخلص في النهاية الى تحديد نقاط الانطلاقة الثورية الجديدة للمقاومة الفلسطينية . الا ان الكتاب لم يخل من كثرة القضايا التي طرحها ، والموضوعات العديدة التي تطرق اليها ، وضخامة الحلول التي اقترحها ، مما ادى الى التكرار والحشو وقلة المراجع بالنسبة الى حجم الكتاب .

وفي عرضنا للكتاب سنشدد على نقطتين رئيسيتين وردتا فيه وهما : دروس حملة أيلول الأردنية ونتائجها ، علاقة الثورة الفلسطينية بحركة التحرر الوطني العربية . اذ ان هاتين النقطتين لا تزالان مدار نقاش حتى يومنا هذا ، حيث اشتدت شراسة الهجمة الامبريالية الصهيونية على الوطن العربي وازداد بالمقابل التسابق ، الحاصل بين الانظمة العربية في مسيرة الاستسلام الكامل للشروط الاسرائيلية ــ الاميركية ، في الوقت الذي تسجل فيه حركة التحرر الوطني العربية والمقاومة الفلسطينية سلسلة تراجعات نتيجة حملات التصفية والخنق والتطويق ، سياسيا وعسكريا . كما ان هاتين النقطتين برزت أهميتهما بعد حملة ايار في لبنان ضد المقاومة التي لن تكون الاخيرة ولن تنتهي عند الثورة الفلسطينية بل ستتجاوزها لنضال فصائل الحركات الوطنية في الوطن العربي وبالدرجة الاولى لبنان .

وقد طرحت أحداث ايار الدامية ، عدة نقاط أساسية ، ليست الا تكرارا لنفس النقاط التي طرحت بعد مجزرة ايلول الاردنية وهي : (١) وحدة فصائل حركة المقاومة ، والجبهة الوطنية المتينة التي يجب ان تقوم عليها مثل تلك الوحدة . (٢) دور المقاومة الفلسطينية فيتثوير الوطن العربي. (٣) دور الحركة الوطنية التحريرية العربية في معركة تحرير فلسطين . (٤) علاقة المقاومة بفصائل الحركة الوطنية العربية وعلاقة الحركة الوطنية العربية بالمقاومة الفلسطينية . (٥) الترابط الجدي ما بين الحركة الوطنية التقدمية اللبنانية والمقاومة الفلسطينية. (٦) اسلوب التعامل الثوري والعلاقة المتقدمة والنضال المشترك ما بين الحركة الوطنية اللبنانية وحركة المقاومة الفلسطينية . (٧) نقاط التمايز ونقاط التماثل ما بين الحركة الوطنية اللبنانية وحركة المقاومة الفلسطينية في الساحة اللبنانية وضمن الشروط العربية . (٨) البرنامج السياسي الافضل الذي يمتن العلاقات الرفاقية بين الحركة الوطنية اللبنانية وحركة المقاومة الفلسطينية ، وفق الظروف العامة والخاصة للثورة الفلسطينية المسلحة والنضال الديمقراطي اللبناني ، والاسس التي يمكن ان يقوم عليها مثل هذا اللقاء الذي يجب تطويره الى درجة التحالف المصيري .

ان جملة النقاط هذه قد طرحت في السابق ابان حملة أيلول وقبلها وطرحت ايضا ابان حملة ايار وقبلها ، وحتى الان لا يزال النقاش يدور حول

تطبيق هذه النقاط والسير بها متى النهاية . ولقد طرحها ايضا ناجي علوش في كتابه في عدة مجالات ونواحي ، وهذه خلاصتها :

## دروس ايلول وتجربة الاردن

يستخلص ناجي علوش ثلاث عشرة نقطة كدروس تطبيقية اكدتهـــا الثورة الفلسطينية في تجربتهـــا الاردنية ، ونتائج تلك التجربة بعد حملة ايلول الدموية . ونوجز هذه النقاط بالشكل التالي :

**اولا** : « ان الجماهير المنظمة المسلحة قوة هائلة جبارة ، وان هذه القوة قادرة على الصمود في وجه أعتى القوى العسكرية النظامية وأحدثهـــا تكتيكا ، وقادرة على ايقاع افدح الخسائر بها . . . »

**ثانيا** : « ان الوعي الثـــوري والتنظيم الثوري والقيادة الثورية عوامل متداخلة متكاملة ، وان هذه العوامل هي العوامل الاساسية في القتال . فاذا ما وجد الوعي والتنظيم والقيادة لم يكـــن القتال ضد العدو ممكنا فحسب ، بل عمليـــة مؤكدة . . . »

**ثالثا** : « ان وحدة الارادة ووحدة القيادة أكثـــر ضرورة في المعارك الشعبيـــة منها في المعـــارك النظامية ، وان فقدان وحدة الارادة ووحدة القيادة يقود الى الشلل والهزيمة . ولقد كانت المقاومة الفلسطينية مشتتة الارادة ومشتتة القيـــادة في معركتها . . . »

**رابعا** : « ان الانتفاضة علم ، وان الاعداد لها وتفجيرها وتحديد موعد التفجير وقيادتها أمور تحتاج الى وعي ثوري أصيل والى معـــرفة واسعة بالتناقضات المحلية والدولية والى قدرة على فهم امكانيات التحالفات وضروراتها ومهماتها . كما ان كون الانتفاضة علما يعني ضرورة فهم معنى الحرب عموما والحرب الشعبية خصوصا . . . »

**خامسا** : ان « علم الانتفاضة » يؤكد ان الروح الهجومية هي روح الانتفاضة، وان الروح الدفاعية موتها . واذا كانت هذه الحقيقة مؤكدة سلفـــا ومقدرة بالوقائع فان تجربة ايلول في الاردن تزيدها تأكيدا على تأكيد وتوضحها . . . »

**سادسا** : « ان قوتين سياسيتين ، متعارضتي الاهداف ، متناقضتي المنشأة ، لا يمكن ان يلتقيا في بلد واحد الا مرحليا وضمن ظروف معينة . ولقد كانت المقاومة قـــوة سياسية مناقضة للسلطـــة الاردنية العميلة من حيث الاهداف ، ومن حيث المنشأ . انها مـــن حيث الاهداف تطرح قضية التحرير عن طريق الحرب الشعبية المسلحة . اما النظام فيطرح موضـوع التسوية ، وهي من حيث المنشأ تمثل ارادة الجماهير الوطنية ، الكادحة والمعادية للاحتلال الصهيوني والامبريالية . اما السلطة فتمثل العائلة الحاكمة وحاشيتها ومرتزقتها والفئات الطبقية المستفيدة من وجودها ، والسلطة معادية للجماهير مرتبطة بالامبريالية . ومثل هاتين القوتين لا بد من صدامهما . . . »

**سابعا** : « ان توزيـــع قوات العدو هو احسن وسيلة لجعلها عاجزة عن تحقيق انتصار سريع ، أو جعلها قادرة على احتلال مواقعنا واحدا وراء الاخر ، وان السماح للعدو بتركيز قواته ومواجهتنا موقعا موقعا يقود الى هزيمتنا وانتصار العدو . . . »

**ثامنا** : « ان الجماهير المنظمة المسلحة تستطيع ان تلعب دورا فعالا في انتفاضة عامة شاملة تبدأ هي فيها بالهجوم ، كما انها تستطيع ان تلعب دورا فعالا في الدفاع عن المدن والاحياء وفي تشتيت قوى القمع وتدميرها ، ولكنها لا تستطيع ان تلعب دورا هجوميا في حرب نظامية . وعليه فان الجماهـــير المنظمة المسلحة بحاجة الى طلائع مدربة جيدا مسلحة جيدا قادرة على التخطيط والتنفيذ ، ذات قيادات تتمتع بالكفاية والوعي والاخلاص والالتزام، لتكون اداة الهجوم الضـاربة . . . »

**تاسعا** : « ان المقاومة الفلسطينيـــة في الارض المحتلة ، وضد العدو الصهيوني ، بحاجة الى الجماهير المسلحة لحمايتها من العدو الصهيوني ومن عملاء الصهيونية والامبريالية . . . »

**عاشرا** : « ان اية مقاومة فلسطينية لا تستطيع ان تشرك الجماهير العربية معها في القتال ، وفي تأمين الحماية اللازمة من هجمات العدو الصهيوني والعملاء العرب سوف تقود نفسها الى مأزق . ذلك ان العزلة عن الجماهير العربية ، لا تكون خطورتها في حرمان المقاومة الفلسطينية من طاقات الجماهير العربية وامكانياتها فحسب ، بل تعرضها لمؤامرات الخونة والعملاء واعداء الجماهير . . . »

**احد عشر** : « ان الانتفـــاضة لا تردد فيهـــا ولا مساومة ، وانها عندما تبدأ فيجب ان تندفع فيها قوى الثورة بكل حماستها وكـــل قواها ، وكل عبقريتها . فاذا ما حدث تردد او مساومة سقطت الانتفاضة . . . »

**ثاني عشر** : « ان الانظمة العربيـــة الرجعيـــة

العميلة كالنظام الاردني تعتبر ان تناقضها الاساسي والرئيسي هو تناقضها مع جماهيرها . وان مثل هذه الانظمة التي لم تدخل معركة مع العدو ولو مرة واحدة ، مستعدة لدخول أعنف المعارك ضد الجماهير اذا ما تنظمت وتسلحت ، او هبت للمطالبة بحقوقها ... »

**ثالث عشر** : « ان العناصر غير المعادية للنظام الاردني خاصة وللانظمة العميلة عامة ، داخل حركة المقاومة ، لعبت دورا كبيرا في عدم تعبئة الجماهير والكوادر والعناصر ضد النظام الاردني وغيره من الانظمة العميلة . كما لعبت دورا كبيرا في عدم دفع الصراع الى أقصى حدوده قبل أيلول وخلاله ، وقادت المقاومة الى التقهقر المشين بعد أيلول ... »

هذه خلاصة تجربة المقاومة في الاردن ونتائج حملة أيلول ، كما رآها ناجي علوش من خلال الممارسة. ولقد أدت الممارسة البعيدة عن جوهر هذه التجربة الى تصفية المقاومة نهائيا بعد حملة ايلول مباشرة، وخاصة فيما يتعلق بمهادنة المقاومة للسلطة واعتمادها على الانظمة العربية لفك التناقض الموضوعي القائم بين سلطة النظام وسلطة المقاومة . اذ يقول : « ولكن السلطة بدأت بعد أيلول عملية اخلال بهذا التوازن ، حتى رجحت كفتها. وكانت المقاومة تستصرخ الانظمة وتناشدها، بدلا من ان تستخدم قواها استخداما جيدا، وتعبىء جماهيرها تعبئة ثورية ، وتقاتل دفاعا عن مواقعها ومراكزها . ولهذا كانت صرخاتها تذهب أدراج الرياح ، وكانت الاتصالات العربية لا تجدي فتيلا». ( ص ٣٠٤ ) . وعلى هذا الاساس يمكن اضافة نقطة أخرى الى خلاصة تجربة المقاومة في الاردن، وهي ان من أولى مهمات الثورة وأي ثورة حتى لا تقع في الانحرافات والمساومات الرجعية والانتهازية اليمينية والتذبذب السياسي ، عليها أن تحدد موقعها الطبقي في المرحلة التاريخية التي تخوض فيها نضالها ، حتى ولو كان ذلك النضال قوميا ووطنيا لانه الموقع الطبقي للنضال التحرري الوطني على امتداد الارض القومية لذلك النضال ويفرض على الثورة منطلقا ايديولوجيا محددا ، وبرنامجا سياسيا واضحا ، وتنظيما ثوريا متينا ، وقيادة تقدمية صلبة لا تهادن ولا تساوم على مصلحة الثورة والثوار . ولذلك يحدد ناجي علوش ، العوامل المكونةلازمة المقاومة الفلسطينية، بقوله:

« ان هذه القضايا : الايديولوجية، معرفة الوضع الملموس ، تحديد نظرية النضال واساليبه ، تجسيد الوعي بالممارسة ، وقضية البنية القائمة لحركة المقاومة ، والحركة الوطنية العربية ، تتفاعل لتخلق هذه الازمة ... » ( ص ٤٠١ ) .

## المقاومة والحركة الوطنية العربية

بالاضافة الى ما ورد اعلاه حول دروس المقاومة انطلاقا من تجربة ايلول ، فان هذه التجربة ونتائجها السلبية ، طرحت لاول مرة بشكل جدي قضية حساسية وتكامل هاتين الحركتين . وقد برزت اهمية هذه النقطة بعد حملة ايار الفاشلة في لبنان . ويقول ناجي علوش حول قضيتي الوحدة والتحرير ، وتشابك مهام النضال الوطني الطبقي من أجل تحققهما ، ما يلي : « ان تحقيق الوحدة يحتاج الى كفاح طويل وشاق ، ضد الرجعية والامبريالية والصهيونية ، ولن تتحقق وحدة دون الصراع مع هذه القوى كلها ، ودون حروب صغيرة وكبيرة .

كما أن تحرير فلسطين يحتاج الى كفاح طويل ،كفاح ضد الصهيونية ، وضد الدولة الصهيونية ، كفاح ضد الرجعية العربية وضد الامبريالية العالمية ، وهو كفاح من اجل وحدة القوى العربية المقاتلة التي تحاول الرجعية العربية ودولة الاحتلال الصهيوني والامبريالية العالمية منع وحدتها .

ولان هذا الكفاح طويل ومديد وشاق ، ولانه كفاح ضد قوى كبيرة ، وذات امكانيات هائلة ، كان لا بد من أن يصبح قضية الجماهير العربية كلها ...» ( ص ٢٤٤ ) .

ويقول في مكان آخر : « يكفي ان ندرك ما معنى ان يكون تحرير فلسطين جزءا من معركة التحرر الوطني العربية حتى نعرف كيف نقيم علاقات مع الجماهير العربية . ان أول ما يعنيه كون معركة فلسطين جزءا من معركة « الوحدة » ومعركة تصفية الاستعمار والاقطاع ومخلفات القرون الوسطى في بلادنا . وهذه المعركة هي معركة الجماهير العربية فاذا حاولنا عزل قضية فلسطين عن هذه المعركة الشاملة عزلناها عن الجماهير العربية ... » ( ص ١٤٩ ) . وكما ان معركة تحرير فلسطين تمر عبر معركة تحرير الجماهير العربية من الطبقات الحاكمة وبالتالي عبر معركتها في الوحدة العربية أيضا ان معركة التحرير الطبقية والوحدة القومية تمر عبر معركة تحرير فلسطين

وبالتالي معركة الدفاع عن الثورة الفلسطينية . يقول ناجي علوش : « لهذا فان مشاركة الجماهير العربية في القتال وفي حماية الثورة مهمة اساسية من مهمات الثورة العربية ، وعلى كل الطلائعيين العرب ، سيان كانوا من الجبهة الوطنية لتحرير فلسطين او كانوا من الحركات والمنظمات العربية والمستقلين العرب ، ان يعملوا بوعي ودأب لجعلها حقيقة يومية ملموسة ... » ( ص ١١٠ — ١١١ ).

وينتقد الكاتب الذين كانوا يرفضون هذه الحقيقة العملية لطبيعة الثورة العربية وانطلاقتها الوحدوية والتحررية فيقول: « كانوا يرفضون ان يروا العلاقة الحميمة بين الثورة الفلسطينية والجماهير العربية، وكانوا يريدون ان يكون الفلسطيني مقاتلا والعربي مساندا وكانوا يريدون عربا مقاتلين تحت الراية الفلسطينية ، ولكنهم لم يدركوا أهمية أن يقاتل العرب تحت راية عربية ضد العدو الصهيوني...» ( ص ٤٩ ) .

ويتابع ناجي علوش نقده للرأيين القائلين بانعزال الثورة الفلسطينية عن واقعها العربي وأيضا الداعين لتجميد مهام التحرر العربي وتحميل عبء تلك المهام لحركة المقاومة الفلسطينية وحدها وجعل باقي فصائل التحرر الوطني العربية مجرد ملاحق للثورة الفلسطينية ، فيقول : « كان دعاة الاتجاه الاول يطرحون فلسطينية الثورة نقيضا لعروبتها ، وحتى عندما كان يطرح شعار : ثورة فلسطينية الوجه عربية العمق ، فان هذا الشعار لم يكن يتحول الى واقع ، وكان مما يقال — وهذا ما قاله بعض دعاة هذا الاتجاه ، وبعد مجزرة أيلول — الفلسطيني غير العربي ، ونتيجة لهذه الفلسطينية القاصرة لم تستطع الثورة ان تحول العلاقة مع مدها الجماهيري العربي الى علاقة يومية وفعالة .

وكان الاتجاه الاخر ، بالمقابل ، يحاول ان يحمل الثورة الفلسطينية كل مهمات الثورة العربية وكل مسؤولياتها ، ويحاول ان يضرب بسيفه الصغير هامات « الفراعنة الكبار » ... » ( ص ٥٠ ) .

وفي ختام احدى دراسات الكتاب المهمة « نحو استراتيجية جديدة للثورة الفلسطينية » يقول علوش : « ثورتنا تجتاز مأزقا . المأزق خانق . والقوى المعادية شرسة وبربرية لا تتردد ولا تتهاون . والمؤامرة لن تتوقف الا بدحرها وهزيمتها.

ولكي تستطيع ذلك لا بد لنا من ان نؤمن بقوة جماهيرنا وقدرتها ، ولا بد لنا من اعادة بناء قواتنا كلها ، المسلحة وغير المسلحة ، بطريقة تجعلها قادرة على احباط المؤامرة وهزيمتها ودحرها . وهذا لن يتحقق الا بخط سياسي صحيح، وخط تنظيمي صحيح وخط عسكري صحيح » . ( ص ٨٢ ) .

وللخروج من هذا المأزق التاريخي ، لا بد من القتال، وامام القوى الثورية مهمة ثورية اساسية، وهي القتال ، النضال على مختلف الجبهات ، وبشتى الوسائل والاشكال ، وهذا ما يشدد عليه ناجي علوش في نهاية كتابه ، بتصميم كلي : « ونحن في هذا الخضم خيارنا واضح : القتال ، كل اشكال القتال ، ولا شيء غير القتال . لان القتال وحده هو الذي يحقق لنا اهدافنا » .

**وليد نويهض**

## الدكتور الياس زين ، **هجرة الادمغة والهجرة المضادة من اسرائيل** ( سلسلة دراسات فلسطينية ، رقم ٧٩ ، مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٧١ )

تعتبر الهجرة اليهودية الى فلسطين من الاهداف المرحلية المهمة التي سعت الحركة الصهيونية الى تحقيقها . ولولا الهجرة اليهودية الكثيفة لما قام الكيان الاسرائيلي . ولولا تدفق المهاجرين بعد عام ١٩٤٨ لما تمكن هذا الكيان من الاستمرار في البقاء . ولهذا اكتسبت مسألة الهجرة أهمية بالغة لدى الاسرائيليين ، فاعتبر **بن غوريون** « ان بقاء اسرائيل يعتمد فقط على توفر عامل الهجرة الواسعة » ، ووجد **أشكول** « ان حق الحركة الصهيونية في الحياة يعتمد على نجاحها في مجال الهجرة » ، وأدرك **ناحوم غولدمان** « ان مستقبل الصهيونية العالمية يتوقف على سياسة الهجرة اليهودية الى اسرائيل خلال العشر سنوات القادمة » .

وبما ان اسرائيل تعتمد كل الاعتماد على الهجرة فان أية حركة نزوح منها ، يقوم بها أولئك الذين هاجروا اليها أو أولئك الذين ولدوا فيها ، كفيلة باثارة القلق في أوساط الرأي العام الداخلي وباحداث أثر عكسي سلبي في نفوس يهود الخارج المرشحين للهجرة الى الارض المحتلة . وبما ان اسرائيل ، لدى انهماكها بتنظيم الهجرة ، تحرص على استقطاب النخبة واجتذاب الصفوة من الفنيين والاختصاصيين فان اية محاولة لهجرة الادمغة منها تشكل خطرا على مستقبلها .

وموضوع الهجرة الى اسرائيل والنزوح منها ليس بالامر الذي يعني ويؤرق جفون الاسرائيليين فقط ، بل هو يعنينا نحن كذلك ويجب أن يحظى منا بكل عناية واهتمام . ففي كل مرة يهاجر فيها يهودي الى اسرائيل يزداد عدد البنادق المصوبة نحونا ويتضاعف عدد الادمغة والايدي التي تعمل ضدنا . وفي كل مرة ينزح فيها يهودي من اسرائيل يخف العبء عنا ويصابون هم بخيبة الامل في تأمين الامن والاستقرار .

ودراسة الهجرة الاسرائيلية ، ولا سيما هجرة الادمغة من اسرائيل ، مهمة شاقة . فاسرائيل تحيط هذه المسألة بالصعوبات وتحرص على اخفاء الارقام الحقيقية . ثم ان معظم اليهود الذين يغادرون إسرائيل لا يسجلون كمهاجرين . ان كثيرا من الطلاب الذين يتوجهون الى اميركا للدراسة يبقون فيها دون ان تدرج أسماؤهم في سجلات النزوح . بل ان العدد الاكبر من النازحين يكتم قصده عن الجميع لاسباب شخصية او اجتماعية. ولهذا كانت المراجع والدراسات حول موضوع الهجرة الاسرائيلية قليلة او نادرة ، وكانت المعلومات التي تنشرها الدوائر الرسمية والصحافة في اسرائيل عن عدد النازحين متضاربة. وازاء هذه الصعوبات أحجم معظم الباحثين عن معالجة الموضوع . غير ان الدكتور الياس زين صمم على التصدي له وأصبح — بعد نشر أبحاثه المتعددة عن الهجرة والنزوح في اسرائيل والاقطار العربية — من الاختصاصيين المرموقين في هذا الحقل . وفي كتابه الصادر عن مركز الابحاث يعالج مسألة النزوح الاسرائيلي من زاويتين : هجرة الادمغة ، وهي تتعلق بنوعية المهاجرين ، والهجرة المضادة العادية ، وهي تتناول مجموع النازحين العاديين .

في القسم الاول من الكتاب يعالج المؤلف هجرة الادمغة التي تعتبر من أخطر المشاكل التي تواجه اسرائيل ، والتي استفحل أمرها خلال اندلاع الازمة الاقتصادية في أواسط الستينات . وكان لها أسوأ الاثر في نفوس الاسرائيليين . ومع ان هذه المشكلة ليست وقفا على اسرائيل ( باعتبار ان كل الدول النامية وبعض الاقطار المتقدمة تشكو منها )، فان لتفاقمها في اسرائيل وقعا او معنى خاصا : ان اسرائيل كيان قائم أساسا على الهجرة وعلى استنزاف الادمغة في الدول الاخرى ، وكل نزوح منها لاصحاب الكفاءات العلمية لا يمكن ان يفسر الا انه نكسة لتجربة هذا الكيان واضعاف لمعنويات اليهود واحباط لمشاريع الانماء والتوسع فيه .

ويستعرض المؤلف هجرة الادمغة بالارقام ، ويبين أسبابها والاجراءات التي اتخذتها اسرائيل لمحاربتها أو الحد منها ، في الداخل والخارج . فقد أعارت اسرائيل هذه المشكلة اهتماما بالغا ووضعت تدابير مختلفة وابتكرت وسائل جديدة لمجابهتها وحث النازحين على العودة . لقد ادركت ان هجرة العلماء منها خسارة لا تعوض ، وهدر للمال الذي أنفقته على تعليمهم وتدريبهم ،

واستنزاف لاهم ما تملكه الدولة . بل ان نزوح العلماء يعني بالنسبة الى وضعها أكثر من خسارة أو هدر أو استنزاف : انه ضربة في الصميم موجهة الى الحركة الصهيونية ، انه صدمة كفيلة بزعزعة الاسس التي قامت عليها اسرائيل ، وفي طليعتها فكرة تجميع اليهود المنفيين . ويخرج المؤلف بالاستنتاج التالي وهو ان اسرائيل تعاني نقصا في عدد الاختصاصيين نتيجة لنزوح الادمغة منها وان هذا النزوح سيستمر بشكل اجمالي ، وربما تصاعد اذا ما بقيت العوامل التي تسببه .

ويكرس المؤلف القسم الثاني من الكتاب للحديث عن الهجرة المضادة من اسرائيل ويكشف لنا عن بعض الحقائق المهمة ، منها : ان ثمة عددا كبيرا من الذين يتركون اسرائيل بقصد النزوح لا يصرحون بذلك ، وأن أكثر من ثلث النازحين هم من مواليد اسرائيل ، وان الغالبية العظمى من النازحين تتجه شطر الدول الغربية ، وان أكثر من نصف النازحين هم من الشباب دون الثلاثين، وان النزوح لا يتم بشكل منتظم لانه يتوقف على الوضع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والامني في الداخل . وبالامكان تلخيص العوامل الرئيسية للنزوح بالعامل الاقتصادي ، والعامل الاجتماعي، والعامل الاداري البيروقراطي، والعامل الدعاوي، والعامل الامني الاستقراري . وللنزوح آثار سيئة لانه خسارة بشرية ومالية ومعنوية وعسكرية ، فبين اسرائيل وفكرة الهجرة اليها ارتباط وثيق ، وليس بالامكان تصور اسرائيل دون مهاجرين . واطماع اسرائيل مرتبطة بنموها العددي . والاسرائيليون يرزحون دوما تحت وطأة الشعور بالتفاوت العددي الهائل المتزايد بينهم وبين العرب. ثم ان نسبة المواليد بين عرب اسرائيل أعلى بكثير من نسبة المواليد اليهود فيها .

لقد اتخذت اسرائيل بعض التدابير للحد من النزوح، وأنشأت وزارة الاستيعاب لهذا الغرض . ولكن جميع الدلائل تشير الى فشل تلك المحاولات والاغراءات . ويبدو ان حركة النزوح ستستمر ما دامت العوامل أو المشاكل التالية قائمة : مشاكل التكيف والاستيعاب، والمشاكل الاقتصادية، ومشاكل انعدام الانسجام والانصهار داخل المجتمع الاسرائيلي ، ومشاكل فقدان الامن والاستقرار ، ومشاكل القلق النفسي والخوف من المستقبل . ان عدد النازحين من اسرائيل يقدر بربع مليون . ولعل فشل الدولة في توفير الطمأنينة والاستقرار لمن هاجر الى أرض « الميعاد » يبحث عن السلام والامن ، وهو السبب المباشر والوجيه في استمرار النزوح .

تلك لمحة مقتضبة عن الموضوعات التي عالجتها الدراسة القيمة التي وضعها الدكتور زين . وقيمة دراسته تكمن في أربعة أمور : **أولا** ، في انها تناولت موضوعا تنقصه المراجع وتعوزه الاحصاءات الدقيقة الشاملة ، وذلك في الوقت الذي أصبح فيه معظم الباحثين عندنا ينفرون من التصدي للمواضيع المستجدة التي تتطلب جهدا وتعمقا . **وثانيا** ، في أنها لم تكتف باستعراض الاوضاع وسرد الارقام ، بل حاولت كذلك ان تبحث عن الاسباب الظاهرة والخفية للنزوح الاسرائيلي وتحلل النتائج القريبة والبعيدة لهذه الظاهرة . **وثالثا** ، في أنها التزمت بالاسلوب المنهجي والموضوعي الذي أصبح سمة كل بحث جاد ، والذي ما زلنا بشكل عام نفتقر اليه في الوطن العربي . **ورابعا** ، في انها كشفت لنا عن الجهود الجبارة التي يبذلها عدونا الصهيوني في سبيل استقطاب الادمغة والحفاظ عليها واستردادها بعد رحيلها . فهذا العدو لا يحاربنا بالسلاح فقط ، بل يحاربنا كذلك بالادمغة المخزونة لديه . ومعاركنا معه لا تدور في ساحات القتال فقط ، بل تدور كذلك في ميادين الفكر ومختبرات الابداع وآفاق الحضارة .

ودراسة الدكتور زين توحي الينا ببعض الملاحظات:

١ ــ اعتمد المؤلف في بحثه ، لاسباب تتصل بتوافر الاحصاءات ، على النزوح الاسرائيلي الى الولايات المتحدة . والحقيقة ان هذه الدولة التي تملك امكانات مالية وتقنية خيالية تستقطب اليوم عددا ضخما من الادمغة من مختلف انحاء العالم ، وفي مقدمتها اسرائيل . والاسئلة التي تتبادر الى الذهن هنا كثيرة : هل يشبه نزوح الاسرائيلي الى الولايات المتحدة نزوح أي فرد آخر من اية دولة اخرى اليها ؟ أليس للاسرائيلي النازح وضع خاص في هذه الدولة يختلف عن وضع أي نازح آخر ؟ أليست العلاقات الوطيدة القائمة بين اسرائيل وهذه الدولة كفيلة بتحويل عملية النزوح الى مجرد حركة انتقال بين أقاليم دولة واحدة تقريبا ؟ ألا يعود وجود النازحين الاسرائيليين في مراكز اميركية حساسة على اسرائيل بفوائد قد تعجز عن الحصول عليها فيما لو منعت النزوح ؟ أليس من المحتمل ان تكون اسرائيل قد أخضعت عملية النزوح منها لمخطط يرمي الى تحقيق بعض المكاسب، او الاطلاع

على بعض الاسرار ، أو ممارسة بعض النفوذ ؟ الا تحتاج هذه المسألة الى دراسة وتأمل ؟

٢ ــ يذكر المؤلف ان عدد الاسرائيليين الذين منحوا الجنسية الاميركية ، ما بين حزيران ١٩٦٦ وحزيران ١٩٦٩ ، بلغ ١٨٣٦ نازحا . ولكن كل حديث هنا عن اكتساب الجنسية ينبغي ان يأخذ بعين الاعتبار مبدأ ازدواج الجنسية الذي تطبقه كل من اسرائيل والولايات المتحدة في علاقاتهما المتبادلة . وقد يكون حصول الاسرائيلي على الجنسية الاميركية مع احتفاظه بجنسيته ، او مع امكان استرداده لها عند فقدانها ، وسيلة بارعة مدروسة لخدمة الاغراض الصهيونية . وليس من المستبعد ان تكون اسرائيل ، بالتواطؤ مع السلطات الاميركية ، وراء هذا العمل الذي يزيد من نفوذ الصهيونيين في دوائر الدولة الاميركية . وتلك مسألة اخرى تحتاج الى دراسة وتنقيب .

٣ ــ قام المؤلف بتحليل عميق لاسباب هجرة الادمغة ونتائجها في اسرائيل . وكان بامكانه ان يقارن ، ولو بايجاز ، بين هذه الهجرة وبين هجرة الادمغة العربية . صحيح ان الدكتور زين نشر في العام الماضي دراسة حول هذه الهجرة الاخيرة ، ولكن القارىء العربي يرغب ، حينما يتابع اخبار عدوه ، في اجراء مقارنات بين أوضاعه واوضاع هذا العدو .

٤ ــ اشار المؤلف الى ابرز التدابير التي قامت بها اسرائيل لمجابهة هجرة الادمغة او لاستعادة الادمغة التي هاجرت منها . وبما ان الدول العربية تعاني نفس المشكلة وتبحث عن نفس العلاج ، فان تجارب عدونا في هذا الحقل يجب ان تكون موضع دراسة وتحليل ، وذلك لتحقيق غرضين : للافادة منها واختيار الوسائل الملائمة والناجعة لاستعادة الادمغة العربية المهاجرة ، ثم لوضع مخطط مضاد لاحباط المحاولات الاسرائيلية الرامية الى منع هجرة ادمغتها او استعادتها من الخارج .

٥ ــ اشار المؤلف بشكل بسيط ، عند حديثه عن اسباب الهجرة ، الى العامل الاقتصادي واعتبر ان عجز بعض اليهود القادمين من أوروبه عن تأمين مستوى معيشي لانفسهم شبيه بمستواهم السابق قد دفعهم الى مغادرة اسرائيل . والواقع ان تلك ظاهرة جديرة بالاهتمام والتوضيح ، لان عامل النزوح يختلف باختلاف الاقطار التي يأتي منها المهاجرون اليهود ، فالقادمون من اقطار غنية متقدمة يكونون عادة اكثر ميلا الى النزوح من أولئك القادمين من اقطار متخلفة . ولهذا كانت حركة النزوح بارزة بين اليهود الذين قدموا من الولايات المتحدة وكنده وفرنسه مثلا .

٦ ــ يعتبر عامل الامن والاستقرار من اعظم الاسباب التي يتوقف عليها مصير الهجرة اليهودية واتجاهها . فالهجرة الى اسرائيل تقوى مع انتشار الامن وتضعف مع اختلاله . ومما لا شك فيه ان استمرار الصراع بين العرب واسرائيل ، وبروز المقاومة الفلسطينية ، وتعقب الاسرائيليين ومهاجمة مؤسساتهم في الداخل والخارج ، وحرمانهم من الشعور بالامان ... ان كل ذلك كان من الدوافع التي حدت من الهجرة وشجعت على النزوح وجعلت النائب افنيري يقول في احدى جلسات الكنيست ، واثناء المناقشة التي دارت حول وزارة استيعاب الهجرة اليهودية : « الحافز الاكبر لاجتذاب الهجرة في المستقبل ليست القدس وليست المباني التي تحيط بها . الحافز الحقيقي هو السلام » . ان حالة اللااستقرار ، او حالة الملاحقة والاستنزاف، هي العدو الحقيقي لعدونا . والمثل يقول : عدو عدوك صديقك . فلماذا لا نصادق بتصميم ومثابرة عدو عدونا اذا كنا عاجزين عن خوض المعارك الكبرى ضده ؟

**الدكتور محمد المجذوب**

## الدكتور اميل توما ، جذور القضية الفلسطينية
## ( مركز الابحاث ، م. ت. ف. ، بيروت : ١٩٧٣ )

لم نكن على ما يبدو معنيين بدراسة الانتاج الادبي والفكري والسياسي في أرضنا المحتلة . لقد كان سور يقوم ما بيننا وبين اخوتنا هناك . وبينما كانوا هم يحاولون سماع كل كلمة ترددها الاذاعات العربية ، وقراءة كل كلمة تنشرها صحفنا كنا نحن عنهم لاهين . ومن هنا نستطيع ان نقول بأن بعدنا كان جفا ولكن بعدهم كان وفا .

وطالت الجفوة سنوات ، الا أنها لم تتحول الى قطيعة ذلك أن بعض المعنيين بالارض المحتلة أخذوا يكتشفون الحركة الادبية والفكرية فيها . وكان من هؤلاء الشهيد غسان كنفاني . ولقد حاول غسان ان يعرفنا بأدب الارض المحتلة : شعرا ونثرا ونقدا ، ثم تبع غسان اخرون ، وأخذت الصحف تنشر ما تقع عليه من قصائد وقصص . ومرت فترة ظن المرء فيها ان الارض المحتلة لا تنتج الا قصصا وقصائد ، مع أن ما نشر من قصصها وقصائدها خارج الارض المحتلة ليس الكثير .

وحين صدر كتاب صبري جريس : العرب في الارض المحتلة ، بدأنا نشعر ان هناك انتاجا في الارض المحتلة غير الشعر والقصة . ولكننا اكتفينا ولم نبحث عن المزيد . وكنا نمر مرور الكرام على صحف الارض المحتلة فلا نهتم الا بقصيدة تعجبنا لاول وهلة ، او قصة نجد فيها ما يشدنا اليها .

ومن هنا فنحن لا نعرف ماذا يصدر في الارض المحتلة قبل سنة ١٩٦٧ ، ولم نكلف أنفسنا بعد عناء أن نعرف . والكتب التي تطبع هناك — اذا استثنينا شعر عدد محدود من الشعراء — تبقى غريبة عنا حتى بالاسم والعنوان .

وقصة الكتاب الذي بين أيدينا قصة تستحق الرواية . لقد نشر على حلقات في مجلة الجديد التي تصدر في الارض المحتلة . ثم نشر في كتاب . ولم تثر الحلقات ولا الكتاب اهتمام احد ليكتب سطرا في صحيفة عربية ، خارج الارض المحتلة . وكنت ذات مرة أبحث عن مراجع في مكتبة مؤسسة الدراسات الفلسطينية فاكتشفت الكتاب . واستعرته للقراءة . وشعرت عند قراءته بالاغتباط الشديد ، لانني وجدت دراسة هامة تبحث جذور القضية الفلسطينية ، كما لم تبحث من قبل . ذلك أن هذه الصفحات التي تبلغ قرابة ثلاثمائة لا تضم معلومات فحسب ، بل تضم تحليلا أيضا . واذا كانت المعلومات هامة ومنتقاة بعناية ، ومستقاة من مراجعها الاصلية ، فأن التحليل يتسم بقدر كبير من العلمية والموضوعية والنفاذ . ومع أن عدد الكتب التي تعالج القضية الفلسطينية كبير ، فان هذا الكتاب يحتل مكانا خاصا بينها ، ويسد حاجة ضرورية .

وقد وعى المؤلف الهدف من اصدار كتابه على الرغم من فيض الكتب الصادرة . فهو يقول : « وقد لا يستطيع احد ان يزعم وجود نقص في الكتب والابحاث التي تناولت القضية الفلسطينية، فهي تكاد لا تحصى ولا تكف دور النشر عن اصدارها ، ولكن المرء يستطيع ان يدرك ان هذا الفيض بحد ذاته يوحي بتعقيد القضية وحاجتها الى تعميق الوضوح وتكثيفه » .

ويضيف المؤلف : « ولهذا احسست بضرورة كتابة هذه الحلقات . فكتب القضية الفلسطينية في العالم العربي لونتها الصهيونية ، بحيث اضاعت موضوعيتها ، وزيفتها الامبريالية حتى افقدتها الصلة بالعلمية ... أما الكتب في العالم العربي فاكثرها أهمل عناصر خطيرة اجتمعت في القضية الفلسطينية وضخم عناصر اخرى فأضاع التوازن ... »

ويضيف المؤلف أيضا : « وعلى هذا الضوء من التطاول على التاريخ ان أدعي ان هذا الكتاب سيضع الامور في نصابها ويحدد الخطوط الفاصلة في قضية لا تزال ملتهبة وتؤلف عقدة القرن العشرين الكبرى ... انما من حقي أن أقرر انه محاولة لفهم القضية الفلسطينية على ضوء فرضيات الاشتراكية العلمية في التاريخ» (المقدمة). ولذلك كله رأيت أن يعاد طبعه ، للاسباب التالية: اولا : لانه يغني معرفتنا بالقضية الفلسطينية وبجذورها ويعيننا على فهم طبيعتها وتعقيداتها . ثانيا : لانه من انتاج الارض المحتلة قبل سنة ١٩٦٧ . ثالثا : لانه يمثل تجربة رجل ، عاش القضية وناضل من اجلها منذ الثلاثينات ، وما زال يعمل حتى هذه اللحظة .

وقد اقترحت اعادة طبع الكتاب على مركز الابحاث، ولكن القضية ضاعت في الزحام . وكان أن أرسل الكتاب الى مركز الابحاث لاعادة طبعه ، كما أرسلت لي نسخة في الوقت ذاته ، ومعها مناشدة باعادة الطبع . ووافق مركز الابحاث ، بعد دراسة الموضوع . وها هو الكتاب يقدم للقارىء .

والحديث عن الكتاب يستلزم الحديث عن المؤلف . ذلك ان المؤلف ، وهو من رجال السياسة والفكر المعروفين جيدا في الارض المحتلة ، ليس معروفا خارج الارض المحتلة ، الا لقلة من المثقفين . وليس هذا غريبا ، لان ما نشر له خارج الارض المحتلة — فيما أعلم — لا يتعدى دراسة عن الوحدة ، أصدرتها دار الحقيقة في كتاب ، مع دراستين احداهما لالياس مرقص والثانية لمكسيم رودنسون .

يبلغ الدكتور اميل توما الخامسة والخمسين تقريبا ، اذ أنه ولد بعد الحرب العالمية الاولى . أنهى دراسته الابتدائية في مدرسة الطائفة الارثوذكسية وتعليمه الثانوي في مدرسة صهيون في القدس ، وانتقل بعد ذلك الى كمبردج لاتمام تعليمه الجامعي ، ولكن اندلاع الحرب العالمية الثانية حال بينه وبين اتمام دراسته . وقد ساهم منذ أيام دراسته في النضال الوطني من خلال الحركة الطلابية. وانتسب سنة ١٩٣٩ الى الحزب الشيوعي الفلسطيني . وكان فيما بعد ، سنة ١٩٤٣ ، من المناضلين في عصبة التحرر الوطني ، اي الجناح العربي من الحركة الشيوعية في فلسطين .

وحين اتخذت الامم المتحدة قرار التقسيم ، وانفجر الوضع في فلسطين ، وقف اميل توما ضد قرار التقسيم ، وناضل هو ورفاقه مع شعبهم ضد محاولات الصهيونية للسيطرة على البلاد . . ولقد خرج من البلاد مدة الى لبنان ثم عاد ليواصل نشاطه الفكري والسياسي ، من خلال « الحزب الشيوعي في اسرائيل » ، أي الحزب الشيوعي للعرب واليهود وانتقد موقفه من قرار التقسيم . وهو الان رئيس تحرير الاتحاد ، جريدة الحزب باللغة العربية .

وكان فعالا في ميدان النشاط الفكري ، كما هو فعال في ميدان النشاط السياسي . ولذلك فهو يساهم دائما بالكتابة في صحف الحزب ، وخاصة الاتحاد والجديد ، كما أنه أصدر كتابين : الاول عنوانه : العرب والتطور التاريخي في الشرق الاوسط ، والثاني عنوانه : « عقد على ثورة ٢٣ تموز ١٩٥٢ » .

ولقد أنجز ايضا دراسة مطولة حول تاريخ الوحدة العربية ، لم تنشر بعد ، كان قدمها اطروحة الى معهد الاستشراق في موسكو ، ونال عليها درجة الدكتوراه .

والدكتور اميل توما ، من بين القلائل في قيادة الحركة الشيوعية العربية، الذين يتضح في كتاباتهم خطهم القومي العربي ، ووعيهم النظري لاهمية قضية الوحدة العربية واهمية النضال من أجلها في معركة العرب الكبرى ضد الاحتلال الاجنبي والسيطرة الامبريالية والتخلف . ويلمس كل من يقرأ كتاباته هذا الاتجاه بوضوح . ولعل الكتاب الذي بين أيدينا يعطينا صورة واضحة وملموسة عن هذه الحقيقة .

يضم هذا الكتاب حصيلة سنوات طويلة من العمل السياسي والفكري ، وهو لذلك غني بمادته وتحليله ، ولا اعتقد ان هناك كتابا بالعربية يضاهيه في غناه وايجازه . وبما ان المؤلف يعتقد ان القضية الفلسطينية كانت نتيجة صراع ثلاث قوى هي : الامبريالية البريطانية والحركة الصهيونية والحركة القومية العربية ، ص ٧ ، فقد تناول هذه القوى الثلاث بالبحث ، مركزا على مصالحها وعلاقاتها وصراعاتها ، محددا مواقفها في المراحل المختلفة ، ملقيا الاضواء على العوامل التي صنعت هذه المواقف . ولذلك كله يهدينا الكتاب الى عوامل الصراع ، والى تقلباته وتعقيداته ، دون ان نحس بالغموض او الضياع . اننا نظل ، خلال قراءتنا الكتاب كله ، ممسكين بطرف الخيط . واذا كان المؤلف يزودنا بتطورات الموقف البريطاني الرسمي منذ أوائل القرن الماضي حتى الان من فلسطين والقضية الصهيونية ، فانه يزودنا أيضا بتطورات الحركة الصهيونية . ان هذه التطورات والعلاقات فيما بينها لا تتضح في كتاب كما تتضح في هذا الكتاب .

ولكن هذا كله ليس أهم ما يتسم به الكتاب . ذلك ان الكتاب يتناول تطور الحركة الوطنية في فلسطين تناولا موضوعيا ومنصفا . انه يفهم هذه الحركة ، يفهم دوافعها ومطامحها ، ولذلك يبرز طابعها الوطني والتقدمي ، وان كان يذكر سلبياتها أيضا .

ويعود المؤلف في كتابه هـذا الى أمهات الكتب المنشورة باللغة الانجليزية . ويثير الانتباه انه لا يعود الى المراجع العبرية،والمراجع متوافرة لديه.

تبقى قضية أخيرة تستحق المناقشة . ومع ان هذه القضية واحدة ، الا أنها ذات شقين : الاول : قرار التقسيم سنة ١٩٤٧ وموقف الاتحاد السوفياتي منه . والثاني : قضيـة « وجود شعبين » في فلسطين . ان المؤلف لم يناقش المسألة الاولى ، كما انه لم يناقش المسألة الثانية . والفصل الاخير الذي يطرح هاتين القضيتـين ، لا يرتفع الى مستوى الفصول السابقة ، مـن حيث التحليل والوضوح .

ويكتفي المؤلف عند الحديث عن التقسيم بالفقرة التالية : « وقررت اللجنة الدولية بأكثريتهـا تقسيم فلسطين الى دولتين عربية ويهودية . أما أقليتها فدعت الى اقامة دولة ثنائية القومية اتحادية الشكل ...

ولعل اللجنة في هذا اقتنعت بموقف ممثل الاتحاد السوفياتي أندريه غروميكو في اجتماع الامم المتحدة الطارىء آنذاك الذي أعلن أن الحل الامثل هو قيام دولة مستقلة في فلسطين ، اما اذا ظهر ان العلاقات السيئة بين العـرب واليهود تجعلـه مستحيلا فلا مناص من التقسيم » ( ص ٢٩١ — ٢٩٢ ) . ولا يكلف المؤلف نفسه عناء مناقشة الموقف السوفياتي مع ان هذا الموقف كان وما زال مثار مناقشة في الاوساط الوطنية العربية .

ولقد كان الموقف السوفياتـي بتأييد التقسيـم لمصلحة الحركة الصهيونية ، لانه انسجم مـع استراتيجيتها آنذاك باقامة دولة على جزء من فلسطين ، ولانه أعطاها المبرر دوليا ، برفض فكرة الدولة الواحدة ، وباحتلال اراض اوسع من الاراضي التي حددها قرار التقسيم . لقد تنازل السوفيات عن فكرة الدولة الواحدة ، وبذلك أخطأوا كثيرا . وانه لضروري تقييم هذا الموقف ضمن ظروفه الخاصة آنذاك ، حتى لا يأخـذ الشطط بتلابيبنا . ولكنه ضروري أيضا ألا نمر بهذه القضية مرور الكرام .

ان الشيوعيين العرب والاحزاب الشيوعية العربية مطالبة باعادة النظر في قرار التقسيم ، وموقف الاتحاد السوفياتي منه وموقفهم هم منه ايضا .

لقد استخدم الموقف الشيوعي مظلة لقيام دولة الاحتلال الصهيوني ، امام الرأي العام التقدمي في العالم . كما ان هذا الموقف أساء للحـركة الشيوعية العربية كثيرا . ثم ان « عقدة » هذا الموقف ما زالت تجر الى مواقف خاطئة .

اما قضية وجود الشعبـين فان المؤلف يطرحها بصيغتين : الاولى : وردت كما يلي : « وأمر واحد لم يعد خافيا . لقد أدت ثورة ١٩٣٦ الى مزيد من العزلة الاقتصادية بين الشعبين ، وبذلك عمقت الغربة السياسيـة القائمة بينهما منـذ البداية ... » ( ص ٢٦٦ ) . والثانية وردت كما يلي : « وأخفق المؤتمر ( مؤتمر لندن ١٩٤٦ ) لان الحلول المقترحـة اخذت مصالح بريطانيا بعـين الاعتبار ولم تأخذ مصالح الشعبين عاملا مقررا للاسراع في التسوية » . ( ص ٢٨٨ ) .

ومع ان المؤلف يؤكد على ان الشيوعيين العرب واليهود « ... دعوا الى اقامة جمهورية فلسطينية ديمقراطية مستقلـة ... » ( ص ٢٨٩ ) ، فان الحديث عن وجود شعبـين لا يتفق مع دعـوة الشيوعيين آنذاك . كما ان وجود شعبين يترتب عليه مواقف هامة وخطيرة . ولا يجوز ان تمر هذه القضية دون مناقشة . ان بعض « منظري » اليسار العربي الجـديد ربطوا بقضية وجـود شعبين على أرض فلسطين قضية حق تقرير المصير لكل منهما . وهذا ما يجب ان نهتم به جيدا .

ان قضية وجود المستوطنات الصهيونية على أرض فلسطين لا يجوز ان تناقش دون ظروفها التاريخية، ودون ارتباطاتها بالحـركة الصهيونية العالميـة والاستعمار العالمي ثم الامبريالية العالمية . ولا عن الدور الرجعي العدواني الذي تلعبه ضد الجماهير العربية وحركة التحرر الوطني العربية .

وها نحن نقدم الكتاب للقارىء ، ليرى رأيه فيه ، واثقين من أننا نقدم كتابا جديرا بالقراءة . ونحن بمراجعة هذا الكتاب نقدم للقارىء العربي ايضا خارج الارض المحتلة مؤلفا ليس بحاجة الى تعريف داخل الاراضي المحتلة ، وان كانت الظروف قد منعتنا سابقا من ان نعرفه . ونأمل ان يكون تقديم هذا الكتاب بادرة من مركز الابحاث لتعريفنا بالانتاج السياسي والفكري في أرضنا المحتلة .

**ناجي علوش**

## مذكرات حسني صالح الخفش — حول تاريخ الحركة العمالية العربية الفلسطينية ( مركز الابحاث في م. ت. ف. ، بيروت ، ١٩٧٣ )

حجرا جديدا أضافه المرحـوم حسني الخفش ، بكتابه ، الى البناء المتواضع من الكتب التي أوقفها أصحابها ومؤلفوها لمعالجة الحركة العمالية والنقابية الفلسطينية . وفي حدود علمي ، فان اول كتاب بالعربية عالج هذا الموضوع كان « التنظيم المهني » الذي أصدره الكاتب الماركسي الفلسطيني جبرا نقولا ، عام ١٩٣٥ . وبعده بنحو عشرين عاما اشترك كل من علي خريس وصلاح الصندي في اصدار كتاب « الحركة النقابية العمالية في الاردن » عقدا فيه خلفية تاريخية عن نشأة وتطور الحركة العمالية والنقابية الفلسطينية ، باعتبار الحركة النقابية في الاردن امتدادا لها . أما كتاب محمد جوهر الذي نشره له ، عام ١٩٦٩ ، اتحاد العمال العرب بالقاهرة تحت عنـوان « الحركة العمالية في الاردن » ، فيكاد يكون صورة طبق الاصل لكتاب خريس والصندي !

وقد يعجب القارىء لاني وضعت مذكرات المرحوم الخفش ضمن الكتب التي أرخت للطبقة العاملة الفلسطينية ، ولم أعتبره ضمن كتب المذكرات ، على ما بين المذكرات وكتب التاريخ من تباين . والواقع أن المرحوم الخفش خرج بكتابه هذا عما عودنا عليه الساسة العرب عند نشرهم لمذكراتهم ، اذ دأب كل منهم على تصوير نفسه وكأنه محور الكون ، وحامي حمى الوطن ، المنزه عن الخطأ ، المتسامح أبدا ، كما ويعمد الى تزيين أخطائه وتلطيخ سمعة الآخرين . وهو ما لم يفعله الخفش في مذكراته . بل جعل مـا عاصر من الحركة العمالية والنقابية الفلسطينية محورا لمذكراته . واذا كان تسجيله لتلك الفترة قد أتى موجزا في معظم أجزائه ، مفتقرا الى الوثائق والاسانيد ، فربما عاد ذلك الى ضياع الوثائق الخاصة بتلك الفترة وتسربها من بين أيدي الخفش مرتين، الاولى عند وقوع النكبة عام ١٩٤٨ ، والثانية بعد خروج الخفش من الاردن عام ١٩٥٧ ، عقب تنفيذ الملك حسين والمخـابرات الامريكية للانقلاب المعـادي للحركة الوطنية الاردنية .

وقد حوت المذكرات على بعض الامور التي ظلت خافية على جيلنا ، مثل انتخاب الدكتور عمـر الخليل أمينا عامـا لجمعية العمـال العربيـة الفلسطينية ، خلفا لسامي طه الذي اغتيل في أواخر ١٩٤٧ .

وقد بين المؤلف كيف حـاربت الحركة العمالية الفلسطينية — خاصة في الاربعينـات — علـى جبهتين : ضد الاستعمار والصهيونية ، وفي المجال النقابي والطبقي ضد أصحاب رؤوس الاموال مهما اختلفت جنسياتهم . واذا كـان تداخل الكفـاح السياسي مع الكفاح النقابي أمرا طبيعيا ، فهو في المستعمرات أكثر الحاحا ، لوقوع الطبقـة العاملة تحت وطأة قهر مزدوج ، من الاستعمار ومن الرأسمالية المحلية .

وقد ذكر الخفش ان النقابة الاولى في فلسطـين كانت تلك التي انشأها عمال السكة الحديد في فلسطين عام ١٩٢٣ ، وفي ربيع ١٩٢٥ انشئـت « جمعية العمال العربية الفلسطينية » ، التي نجحت — بدورها — في انشاء بعض النقابات . ومنذ عام ١٩٢٧ بدأ مسلسل الاضرابات العمالية في فلسطين . الا ان النشاط النقابي انحصر — في البداية — في التثقف والدعوة الى وحدة الطبقة العاملة ، والمطالبة بتحسين ظروف العمل ، بمعنى أنه انحصر في الاطار النقابي دون غيره . وكان هـذا مفهومـا نظرا لحداثة الطبقـة العـاملة وضعفها وضيق حجمها . وقد أشارت المذكرات الى الدور الذي لعبه ميشيل متري — وهو شيوعي فلسطيني — في تأسيس « جمعية العمال العرب » في منتصف الثلاثينات ، لمقاومة قانون تهويد العمل، وهو القانون الذي وضعته الصهيونية ويقضي بطرد العمال العرب من المشاريع اليهودية ، ومحاربتهم في مجالات العمل الاخرى ، وخاصة الحكومية منها. وبين الخفش كيف أدت الثورة الفلسطينية ( ١٩٣٦ — ١٩٣٩ ) الى اتساع البطالة بين العمال العرب الفلسطينيين ، والى اضعـاف الحركة النقابية الفلسطينية بالتالي خاصة بعد اعتقال بعض قادتها. والغريب ان الكاتب لم يشر الى المؤتمر العمالي الفلسطيني الاول الذي انعقد عام ١٩٣٠ ، على أهميته البالغة .

ويرى الكاتب ان المرحلة الثانية من الحركة العمالية والنقابية في فلسطين بدأت في عام ١٩٣٩ وانتهت بالنكبة عـام ١٩٤٨ . وأوضح كيف أدى نمـو

البورجوازية العربية الفلسطينية والتوسع في انشاء معسكرات الجيش البريطاني في فلسطين ، لمواجهة الخطر النازي أبان الحرب العالمية الثانية، كيف أدى كل ذلك الى اتساع الطبقة العاملة العربية الفلسطينية ونمو الحركة النقابية . كما ارتفعت معدلات الاضرابات العمالية .

ولم تكن الحركة العمالية لتعيش بمعزل عن حليفها الطبيعي وظهيرها : الفلاحين . لذا فقد عمدت الى مساعدتهم ماديا ومعنويا وأقامت لهم الجمعيات التعاونية لمساندتهم وتصليب عودهم في مواجهة الحركة الصهيونية .

على ان المذكرات لم تسلم من بعض الهنات ، في مجالي المعلومات والتحليل .

فعلى سبيل المثال ، ضغطت معظم قواعد جمعية العمال العربية من أجل عقد مؤتمر للجمعية ، لانتخاب قيادة جديدة ، تعكس علاقات القوى داخل الجمعية ، خاصة وان الصراع كان قد اشتد بين العناصر اليسارية وبين العناصر الاصلاحية فيها . الا أن العناصر الاصلاحية — وكانت تسيطر على القيادة — أدارت ظهرها لرغبة معظم القواعد . وانفجر الموقف حين أصر سامي طه — الامين العام للجمعية — على عدم تمثيل اليساريين في مؤتمر النقابات العالمي المنعقد في لندن في شباط ( فبراير ) ١٩٤٥ ، كما أصر على الموقف نفسه عند بحث تمثيل العمال الفلسطينيين في الدورة الثانية للمؤتمر نفسه ، والتي كانت ستنعقد في باريس في تشرين الاول ( اكتوبر ) من السنة ذاتها . عند هذا الحد ازداد الحاح العناصر اليسارية من اجل عقد مؤتمر الجمعية ، وعندما أصرت القيادة على تجاهل هذا المطلب ، بادر اليساريون — وكانوا يسيطرون على فروع الجمعية في القدس ويافا والناصرة وغزة — الى دعوة قواعد الجمعية الى مؤتمر ، عقد في آب ( اغسطس ) ١٩٤٥ ، وأعلن المؤتمرون استقلالهم عن قيادة الجمعية ، وتسموا باسم « مؤتمر العمال العرب » . وفي أوائل ١٩٤٦ عقدت الجمعية مؤتمرها تحت ضغط ما تبقى من قواعدها ، وخاصة بعد ان اطمأنت الى تخلصها من العناصر اليسارية ، التي كانت تهدد مراكزها.

أما رواية الخفش لقصة انشقاق المؤتمر عن الجمعية ، فيبدأها باعتراض اليساريين على شخص حنا عصفور ، الذي اختاره سامي طه ليمثل واياه العمال العرب الفلسطينيين في مؤتمر باريس المشار اليه . ويؤكد المؤلف ان سبب معارضة اليساريين كانت عدم انتساب حنا عصفور للعمال من قريب أو بعيد . وبعد ذلك يقول المؤلف انه لم يبق في مؤتمر العمال العرب — الذي يسميه خطأ المؤتمر العمالي الفلسطيني ( ص ٤٠ ) وفي مكان آخر : المؤتمر العمالي العربي ( ص ٤٢ ) — « الا عدد قليل من العمال بالاضافة الى اعضاء الحزب الشيوعي » ، وربما كان يقصد بأعضاء الحزب الشيوعي اعضاء « عصبة التحرر الوطني » ، التي ضمت الاعضاء العرب الذين انشقوا عن الحزب الشيوعي في أيلول ( سبتمبر ) ١٩٤٣ . وفي حين احتفظت المجموعة اليهودية الشيوعية باسم « الحزب الشيوعي الفلسطيني » ، حمل الشيوعيون العرب اسم « عصبة التحرر الوطني الفلسطينية » . اما بالنسبة لحجم مؤتمر العمال العرب فقد تضاربت الارقام حوله ، اذ يقدره السلفيتي بخمسة وثلاثين الفا . اما المستر غريفس ، مدير دائرة شؤون العمل في حكومة فلسطين ، فيهبط بالرقم الى ١٨ الفا فقط ، في حين ذكر أن اعضاء جمعية العمال العربية بلغوا — في صيف ١٩٤٦ — خمسة عشر الف شخص . ويرى المؤلف في انقسام مؤتمر العمال عن الجمعية « تجربة قاسية خاضها الحزب الشيوعي الفلسطيني [ الصحيح : عصبة التحرر الوطني ] وشعر بمرارة فشله بعد مدة قصيرة ، اذ أعلن الحزب [ الصحيح : العصبة ] بعدها في جريدته ان مؤتمر الحزب [ العصبة ] قد أدان القيادة السابقة لارتكابها جريمة شق الحركة العمالية ، ولذلك أقالها من مركز القيادة » ( ص ٤١ ) . وعرض المسألة على هذا النحو يفرغها من بعديها السياسي والطبقي . واذا كانت العصبة قد انتقدت الانشقاق ، وطردت من صفوفها بعض المتسببين فيه، مثل مخلص عمرو وبولس فرح وجريس رمان، فان السبب الحقيقي لطرد هؤلاء الثلاثة ظل خافيا لوقت طويل . وان كان قد عرف عن ثلاثتهم معارضتهم الشديدة لسير عصبة التحرر الوطني وراء المفتي ، واتهامهم قيادة العصبة بالذيلية للرجعية الفلسطينية. الا ان المؤلف — فيما يبدو — لم يستوعب المسألة بكل جوانبها . والواقع أن العصبة رأت في شق الحركة العمالية خطأ لا يمكن تبريره ، حتى ومع سقوط قيادة جمعية العمال في أيدي الاصلاحيين والنقابيين الصفر ، واكدت العصبة ان قوة الطبقة العاملة في وحدتها ، وأن

شمتها بحجة انتشالها وتطهيرها من العناصر الدخيلة امر ينتمي الى أوهام البورجوازية الصغيرة .

والقول باصلاحية ويمينية قيادة جمعية العمال العربية له ما يؤكده من القرائن والادلة. فبالاضافة الى ارتباطات هذه القيادة بحزب العمال البريطاني ، وببعض العناصر السياسية اليمينية الفلسطينية المشبوهة بعلاقاتها بالاستعمار ، نجد المؤلف نفسه يورد — دون قصد — « عدم الرغبة في ان يشترك في الوفد [ يقصد الوفد المسافر الى باريس ] عضو شيوعي ، لتمسك العمال العرب بالاتجاه القومي » !! ( ص ٤٠ ) كما انه يعترف بانضمام سامي طه عام ١٩٤٧ الى الهيئة العربية العليا ، وهي الهيئة التي تجمعت فيها العناصر الاصلاحية واليمينية الفلسطينية بل وعناصر الثورة المضادة ، والتي كانت — بلغة المؤلف — « تضم بعض الشخصيات الفلسطينية الاقطاعية والرأسمالية والعائلية » ( ص ٤٤ ) . هذا في الوقت التي كانت الهيئة تحارب فيه العصبة والمؤتمر ورابطة المثقفين العرب . وكل هذه المنظمات يسارية الاتجاه . ولم يشر المؤلف الى التصريحات العديدة التي كان يدلي بها بعض قادة الجمعية ، وعلى وجه الخصوص سامي طه ، والتي كانوا يتشدقون بها بمطابقة خطهم لخط حزب العمال البريطاني ! كما أسقط نهائيا اقدام جمعية العمال — مع بعض العناصر اليمينية — على تشكيل « حزب الشعب » المشبوه . وان كان الكاتب قد اعترف بتأييد الحزب القومي السوري — المعروف باتجاهاته اليمينية — للجمعية (ص٣٩).

وقد اتهم الخفش الهيئة العربية العليا بقتل ميشيل متري عام ١٩٣٨ ( ص ١٨ ) . هذا في حين لم تكن الهيئة العربية العليا قد خرجت الى النور بعد ، اذ أنشئت عام ١٩٤٦ ، والمؤكد انه يقصد اللجنة العربية العليا ، وهي سلف الهيئة العربية ، والتي أنشئت في نيسان ( ابريل ) ١٩٣٦ من ممثلي الاحزاب العربية الفلسطينية . وحتى هذه اللجنة لم تكن حزبا ، بل وكان ينقصها الحد الادنى من الانسجام . وأغلب الظن ان الخفش كان يعني بالهيئة العربية هنا المجلسيين ، أي أنصار الحاج أمين الحسيني ، مفتي القدس ورئيس المجلس الاسلامي الاعلى .

ويشير المؤلف الى « أبرز القيادات السياسية التي وجدت في صفوف العمال وهي : ١ — تيار الحزب الشيوعي ، ٢ — تيار الحزب الوطني — حزب الحاج امين الحسيني ، ٣ — تيار الحزب القومي السوري » ( ص ٣٨ ) . وقد أكد على معارضة الاتجاهين الاول والثاني لقيادة جمعية العمال العربية . وفي هذا المجال وقع المؤلف في خطأ مزدوج : الاول في قوله بأن تيار الحزب الوطني — هو حزب الحاج أمين الحسيني ، في حين ان الحاج أمين لم يكن يعمل ضمن أي من الاحزاب الفلسطينية ، بل كان مفهوما عنه عطفه على الحزب العربي الذي كان يرئسه جمال الحسيني . اما الحزب الوطني — وهو الشق الثاني من الخطأ — فقد كان حزبا صغيرا لم يعمر الا اشهر قليلة في العشرينات ، وقد تزعمه الشيخ سليمان التاجي الفاروقي ، الخصم الالد للحاج امين الحسيني . ولا أظن أن المؤلف يقصد هذا الحزب بكلامه،واغلب الظن انه يقصد به الحزب العربي الفلسطيني . وحين تورد المذكرات المحاولات العديدة للقادة الاصلاحيين للحركة الوطنية من أجل « اخضاع التنظيمات العمالية لسيطرتهم وتحطيمها في حالة فشلهم » ، ( ص ٤٣ ) يورد أمثلة اغتيال ميشيل متري عام ١٩٣٨ وحسن صدقي الدجاني عام ١٩٣٧ وسامي طه عام ١٩٤٧ . والسؤال الذي يفرض نفسه هنا : ما علاقة حسن صدقي الدجاني بالطبقة العاملة ؟! وهو المحامي الارستقراطي وقطب الثورة المضادة وسكرتير حزب الدفاع الوطني الفلسطيني ، الذي عرف بولائه للاستعمار البريطاني . وقد عرف عن الدجاني انه قتل بسبب موقفه المعادي من ثورة ١٩٣٦ الوطنية الفلسطينية، وليس أبدا بسبب انتمائه للطبقة العاملة او الحركة النقابية الفلسطينية . وما اشرافه على تكوين نقابة سائقي التاكسيات بالقدس ، الا امتدادا لنشاطه السياسي المعادي للشعب ، كما أنه يأتي ضمن اطار محاولات البورجوازية العربية الفلسطينية لاحتواء الطبقة العاملة وحركتها النقابية .

وأخطاء المعلومات والاعلام تكاد لا تحصى في هذه المذكرات ، فصاحب المذكرات يسمي اللجنة العربية العليا التي وافقت على حضور مؤتمر لندن عام ١٩٣٩ بالهيئة العربية العليا ( ص ٤٤ ) . كما يسمي المشروع الانشائي بمشروع موسى العلمي ( ص ٤٨ ) . وربما كان المؤلف قد نسي اسم المشروع ، فلجأ الى تسميته باسم صاحب فكرته والمشرف على تنفيذه . وفي مكان آخر يذكر المؤلف

صحيفة « الوحدة » على انها لسان حال الهيئة العربية العليا ( ص ٥٢ ) في حين لم تكن تلك الصحيفة سوى الناطقة بلسان الحزب العربي الفلسطيني في الاربعينات .

ويسقط صاحب المذكرات في المبالغة والتهويل ، حين يذكر ان عدد أعضاء جمعية العمال العربية بلغ ١٢٠ ألف شخص . ومرة أخرى حين يصف سامي طه بأنه « اكبر قائد نقابي في منطقة الشرق الاوسط » ( ص ٥٣ ) . ويبدو ان المبالغة في تقديس سامي طه لم تكن وقفا على المرجوم الخفش. اذ قام زكي الشيخ ياسين — عضو الهيئة الادارية لفرع نابلس — ببناء ضريح لسامي طه في قرية « بلد الشيخ » !! ( ص ٥٤ ) .

ومهما يكن من أمر الاخطاء المطبعية ، التي لم تتعد أصابع اليد الواحدة ، واخطاء المعلومات التي تفوقها بقليل ، فان كتاب الخفش لا بد سيثري المكتبة العمالية الفلسطينية، بما يثيره من مناقشات وملاحظات ، وما يشكله من حافز قوي لكتابة تاريخنا الفلسطيني بصفة عامة ، وتاريخ طبقتنا العاملة بصفة خاصة .

ع. ي.

## تعقيب من مؤلف « سياسة اسرائيل الخارجية في افريقيا »

**تلقينا الرسالة التالية من الاستاذ محمد علي العويني ، مؤلف كتاب « سياسة اسرائيل الخارجية في افريقيه » الذي سبق لشؤون فلسطينية ان نشرت مراجعة له في عدد يوليو رقم ٢٣ كتبها السيد سعيد جواد .**

١ — يدعي كاتب المراجعة ان الدراسة تتسم بغياب المنهج ، ولكنه لم يوضح لنا معنى المنهج بالمفهوم العلمي ، وكل ما قاله مجموعة من الكلمات الانشائية التي عادة ما نجدها في المباريات الصحفية ، ولا يلجأ اليها الدارسون [ انظر ص ١٦٩ من المراجعة ] .

٢ — يبدو ان كاتب المراجعة يرتبط بعدم الدقة حتى في المسائل الشكلية فمثلا ذكر اسم الدكتور عبدالملك عودة على انه الدكتور عبدالله عودة ويقول «ويختتم البحث في فصل عن تمويل السياسة الخارجية ومستقبلها في افريقيا » . والصحيح ان تمويل وسائل السياسة الخارجية الاسرائيلية في افريقيا هي خاتمة الباب الثالث ، اما خاتمة الكتاب فهي مستقبل السياسة الخارجية الاسرائيلية في افريقيا .

٣ — فيما يتعلق بتعريف السياسة الخارجية ، فلو رجع كاتب المراجعة الى النص الاصلي للرسالة « الاطروحة » لان المنشور هو ملخص لها في شكل كتاب ، لوجد انني أثرت التعريفات المختلفة للسياسة الخارجية ثم وصلت الى هذا التعريف الذي اشار اليه كاتب المراجعة ، ويمكن فهم ذلك ضمنيا بالنظر الى هامش ص ٩ من الكتاب المنشور ، وبعد ذلك يرتب الكاتب المعلومات بطريقة مغرضة ومشوهة بمعنى اخذ جزء من المعلومة وترك الاخر ، مما يجعل ما يقوله عن الكتاب غير صحيح بالمرة ، متناسيا ان العوامل المؤثرة هي مقدمة الكتاب أي تمهيد للدراسة .

٤ — يفتقر كاتب المراجعة بشكل كبير الى التمييز بين الموضوعات فهو يطالب المؤلف بالتعرض بالتفصيل لخصوصيات دولة اسرائيل والايديولوجية الصهيونية وكيفية نشأتها واسهامها في الصراعات الاستعمارية ، متناسيا ان ذلك يحتاج الى عديد من الرسائل الجامعية لبحثها ، وان ذلك ليس في صلب الاطروحة التي تعرضت له بشكل عام . ثم ينتقل كاتب المراجعة ويستشهد برودنسون بعيدا عن موضوع الكتاب ، ثم يتعرض لتقرير كامبل برمان وهذا التقرير محل مجادلات كثيرة حول صحته ويشهد بذلك الدكتور انيس صايغ .

٥ — يلجأ كاتب المراجعة الى الاسلوب الانشائي بمناسبة وغير مناسبة ويتحدث عن ظاهرة التخلف

ويستشهد برأي للشؤون السوفييتية الدولية هو في حقيقته تحصيل حاصل ، حيث ان هذا المعنى موجود في الكتاب ويلاحظ انه ورد بهذا الاستشهاد الصراع الطبقي ، وهذا يدخل في اطار تفسيرات كاتب المراجعة للظواهر وفقا لاعتبارات عقائدية اي التحيز والابتعاد عن الموضوعية ، اي انني اجد نفسي امام عقائدي يتعرض لكتاب علمي ومن هنا يسهل تفسير كل ما يذهب اليه .

٦ — أبدي أشد أسفي لان كاتب المراجعة شوه الارقام التي لا يجوز لاي شخص ان يشوهها فيقول ان المعونة التي تقدمها اسرائيل لافريقيا لا تمثل سوى ٥ ٪ من المعونات الخارجية للقارة ، وارجو من قراء شؤون فلسطينية ان يرجعوا الى الكتاب ص ٢٦٨ ليلاحظوا ان الرقم الحقيقي هو خمسة من المائة في المائة [ ٠٥ر٪ ] ثم يعود مرة اخرى الى استخدام الالفاظ العقائدية مثل « تخطيط اشتراكي خاص » وغير ذلك من الالفاظ المقحمة التي توضح للقارىء كيف ان الاعتبارات العقائدية هي المسيطرة على فكر كاتب المراجعة .

٧ — يخلط كاتب المراجعة بين ألفاظ لا يخلط بينها اي شخص يعرف الحد الادنى من المبادىء العلمية للثقافة السياسية ، فهو يخلط بين اتخاذ القرار ومناقشته بالنسبة للكنيست مما أوقعه في أخطاء لا يحسد عليها ، فلا يوجد تناقض كما ادعى كاتب المراجعة بين ضعف دور الكنيست في السياسة الخارجية وبين اتسام مناقشاته بالنضوج بالنظر الى اعتبارات التعليم ودور كبار السن ، وان ذلك لا يعني ان نضج التفكير مرتبط بسن معينة ، ثم يعود كاتب المراجعة ويخلط مرة اخرى بين التعبير عن الرأي العام واتخاذ القرار .

٨ — عندما تعرض كاتب المراجعة للمؤسسة العسكرية ، لجأ كعادته الى تشويه ما ذكره المؤلف ، ونسب اليها أقوالا لم يذكرها بسبب تمزيقه للوثائق وترقيعها [ انظر ص ٨١ — ٨٧ ] من الكتاب .

٩ — فهم كاتب المراجعة كعادته بشكل خاطىء المقصود بالدبلوماسية الشعبية عندما تعرض للهستدروت ، والمقصود هنا هو الدبلوماسية الشعبية بالنسبة لافريقيا ( انظر ص ٩١ — ٩٢ من الكتاب ) .

١٠ — عندما تعرض كاتب المراجعة لاهداف السياسة الخارجية الاسرائيلية في افريقيا اراد ان يلزم المؤلف بالتزامات عقائدية يراها نمطا فعاليا فهو يريد من المؤلف ان يتحدث عن الامبريالية العالمية متناسيا انني عرضت الفكرة بشكل خاص عندما قلت ان اهداف السياسة الخارجية تكشف عن الطبيعة الاستعمارية لاسرائيل اي ان القضية هي استعمال ألفاظ عقائدية والاستطراد بدون داع عند كاتب المراجعة .

١١ — يزعم كاتب المراجعة ان المؤلف لم يعرف حقيقة العلاقات الامريكية الاسرائيلية من الناحية التمويلية ، وانني انصح كاتب المراجعة بالرجوع الى ص ٣٤٥ — ٣٥٣ من الكتاب ليراجع ما كتبه ويثبت الاخطاء التي ارتكبها .

١٢ — يطلب كاتب المراجعة من مؤلف الكتاب ان يتعرض بالتفصيل للعوامل المتعلقة بالاقتصاديات الافريقية ... الخ . فقد تعرضت الدراسة لذلك في اطار موضوعها، اما ما يطالب به كاتب المراجعة فيخرج عن نطاق الدراسة .

١٣ — عندما تعرض كاتب المراجعة لاستغلال اسرائيل للتخلف شوه الوقائع ، فالدراسة تقول ان العوامل الافريقية التي ساعدت السياسة الخارجية الاسرائيلية هي الميراث الاستعماري ومشاكل الاستقلال الافريقي الخاصة بالتنمية والكوادر [ انظر بالتفصيل ص ١٣٨ — ١٤٧ ] .

١٤ — يتمادى كاتب المراجعة في عدم الدقة فينقل من الكتاب وسائل السياسة الخارجية الاسرائيلية في افريقيا على انها الوسائل التي ساعدت اسرائيل على تنفيذ سياستها .

١٥ — عندما يتعرض كاتب المراجعة لمعاهدات الصداقة فيما يتعلق بتقليد اسرائيل للدول الكبرى يذكر معلومات لا ندري كيف توصل اليها وتتنافى مع ما ذكر في الكتاب [ انظر ص ١٧٥ — ١٧٦ ] وينطبق نفس الشيء عند تعرضه للبيانات المشتركة.

١٦ — يتعمد الكاتب تشويه ما ذهب اليه المؤلف عن موقف اثيوبيا ممعنا في الاستطراد والحديث عن معلومات لا تتصل بما ذكر في الكتاب ، ومغفلا الفرق بين ما يقوله مسؤول اثيوبي وما يستنتجه المؤلف ، وينطبق ذلك عند تعرضه لغينيا والكنغو برازافيل وذلك بابراز جزء من ما كتب لاثبات ما يحلو له واهمال الجزء الاخر .

١٧ — لا يدرك كاتب المراجعة ما يسهل ادراكه ، فيرى ان هناك تناقضا بين قبول غينيا قيام علاقات

دبلوماسية مع اسرائيل واغلاق السفارة الاسرائيلية بعد حزيران ١٩٦٧ والواقع ان القبول كان موجودا بدليل اغلاق السفارة بعد ذلك ، ويبدو ان كاتب المراجعة لم يدرك الطبيعة الاكاديمية لتقسيم الوسائل السياسية في الفصل الاول من الباب الثالث في الكتاب مما يلتمس له العذر .

١٨ — يريد كاتب المراجعة ان يلزم المؤلف بآرائه العقائدية فيجهض كعادة العقائديين تفسيرات المؤلف ، ثم يقول « ان الطبيعة العقائدية للانظمة وقدرتها على فك ارتباطاتها بالحلقات الاقتصادية الاستعمارية وموقفها من حركات التحرير الافريقية والعالمية هي المؤشرات الحاسمة في تحديد سياستها تجاه القضايا العربية وفلسطين » . وانني اترك ذلك لقارىء شؤون فلسطينية الحكم على كاتب المراجعة ، ومدى علاقة ذلك بغسيل المخ العقائدي .

١٩ — توهم كاتب المراجعة ان هناك ألغازا بقيت دون تفسير لدى المؤلف عندما رتب بعض الوقائع في الكتاب بشكل مشوه — اي كاتب المراجعة — فهو يهاجم ويتساءل عن اشياء اجاب عليها المؤلف عندما تعرض للوسائل المختلفة للسياسة الخارجية الاسرائيلية في افريقيا ومنها الوسائل العسكرية.

٢٠ — لجأ كاتب المراجعة الى التشويه حتى في الارقام فيذكر في معرض الهجوم على المؤلف ولجنة التحكيم على الاطروحة ص ١٨٢ من الكتاب على انها ص ١٨٠ ، وهو يتعلق بتركيز اسرائيل على المفاوضات المباشرة حتى قبل حرب ١٩٦٧ ، فيفسر كاتب المراجعة الكل بالجزء وذلك باقتباس فقرة وتفسيرها تفسيرا لا يتمشى مع مضمونها ثم محاولا وصف ما كتبه « بالحتمية » مع العلم ان ما كتب لا يدل على ذلك اطلاقا ، ثم يتهكم ويسخر من لجنة مناقشة الاطروحة التي تكونت من اساتذة اكاديميين لا عقائديين لديهم مكانتهم الدولية .

٢١ — عندما تعرض كاتب المراجعة لفاعلية السياسة الخارجية الاسرائيلية في افريقيا لجأ الى التشويه وسرد الوقائع بشكل لا يتمشى مع مضمون الاطروحة مقحما اسلوبه الاستطرادي في اشياء أبعد ما تكون عن الرسالة .

٢٢ — نظرا لجهل كاتب المراجعة بالمفاهيم الاكاديمية فقد أساء فهم احد الاهداف الاسرائيلية في افريقيا وهو كسب الراي العام الافريقي لصالح اسرائيل فالدراسة ركزت على الراي العام الرسمي مع الاخذ في الاعتبار الرأي العام غير الرسمي ، لان الدراسة في مجال السياسة الخارجية للدول .

٢٣ — يبدو ان الكاتب اعتبر كل ما ذكرته مجلة الشؤون الدولية السوفييتية والحرية حقيقة لا يمكن مناقشتها — اما ما يقوله اساتذة العلوم السياسية فهو غير صحيح في رأيه — ويفسر ذلك بتكوينه العقائدي الذي ينبع بشكل واضح في ما كتبه .

٢٤ — عندما تعرض كاتب المراجعة لما جاء في الكتاب عن نجاح السياسة الاسرائيلية شوه ما لا يشوه ونقل عن المؤلف صياغة قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ لعام ١٩٦٧ في اطار اسلوبه الاستطرادي الفارغ من المعنى .

٢٥ — يعتبر كاتب المراجعة ان الوضع الجيوبوليتيكي لاسرائيل غير دقيق ويقول لماذا لاسرائيل ! الوضع الجيوبوليتيكي هو وضع خاص بالوطن والتراب الفلسطيني . وهذا يوضح سوء فهم كاتب المراجعة . فالدراسة تقول ان اسرائيل تمثل نمطا من أنماط الاستعمار الاستيطاني القائم على الاغتصاب كما يعتبر ان قيام اسرائيل على انقاض فلسطين خطأ فهو يقول ان الانقاض ان صح التعبير هي الاداة البريطانية المحتلة وهذا يوضح عدم الالمام بمفهوم الدولة فالمقصود بالانقاض هي الارض الفلسطينية وليس الشعب وأي طالب مبتدىء في علم السياسة يدرك ذلك .

٢٦ — يقول كاتب المراجعة ان صياغة الدول الكبرى غير دقيقة وغير علمية بل ومشبوهة ، ونحن ننصحه بسؤال اي شخص يعرف حدا ادنى من المعلومات العامة ليوضح له ان صياغة الدول الكبرى صحيحة وعلمية .

٢٧ — يتحدث كاتب المراجعة عن « مستلزمات المنهج التحولي في التحليل » وهذا يدل على عدم فهمه لمناهج البحث ، وكأن المناهج عنده هي ألفاظ خيالية فارغة من المعنى .

**محمد علي العويني**

# تعقيب من مؤلف « فلسطين عبر ستين عاما »

اطلعت على كلمة السيد مصطفى كركوتي ( عدد حزيران ١٩٧٣ من « شؤون فلسطينية » ) بشأن الجزء الاول من كتابي « فلسطين عبر ستين عاما ». وفي الحين الذي أؤكد ترحيبي بكل نقد لكتابي، فاني أشكر للسيد كركوتي اهتمامه بالكتابة عنه .

ولقد درست كلمة السيد كركوتي من جميع نواحيها ، فوجدت انه من واجبي الرد عليها ، اظهارا للحقيقة وخدمة للتاريخ ووضعا للامور في نصابها ، فهذه الكلمة ، كما يبدو ، هي محاولة للتعريض برجالات الحركة الوطنية ، اكثر منها محاولة للتعليق على محتويات الكتاب ، فضلا عن ان كاتبها نسب الي أقوالا وملاحظات لم ترد على لساني ، والتبس عليه بعض الامور والمواضيع فاشتط في التعليق عليها وتفسيرها ، واختلط عليه تاريخ الاحداث والظروف فأخطأ في تسجيله . اما بعد فأقول :

١ — يذكر السيد كركوتي في كلمته بأني لم اتحدث عن ( فلسطين عبر ستين عاما ) بل عن ( الحاج امين — الغوري عبر ستين عاما ) ! وهذا قول غير صحيح . اني اعترف بأني افردت قدرا كبيرا في كتابي للحديث عن الحاج امين الحسيني ، وهو أمر لا مفر منه لمن يؤرخ تاريخ قضية فلسطين ، نظرا للارتباط الوثيق المتواصل بين هذه القضية وبين الحاج أمين .

٢ — يعلق الكاتب على حديثي عن الجهود التي بذلها الحاج امين لتحويل قضية فلسطين الى قضية اسلامية عالمية ، فيقول ان هذا حدث في زمن « كان الاقطاع هو المهيمن على العالم الاسلامي والعربي » . فهل كان من مصلحة قضية فلسطين ان يبقيها الحاج امين في منأى عن « العالم الاسلامي والعربي » لانه على حد تعبير الكاتب المحترم ، ان الاقطاع .. كان يهيمن عليه ؟

٣ — يقول السيد الكاتب بأني « اكدت استمرار زعامة الحسيني للحركة الوطنية الفلسطينية الى نشاط المعارضة من العائلات الدينية ( النشاشيبي، الشقيري ، طوقان الخ ... ) ، اني لم اقل هذا قط ، ولم أصف هذه العائلات ، او غيرها ، بانها عائلات دينية . اما عائلة طوقان فاني لم اشر اليها من بين العائلات التي عارضت الحركة الوطنية ، فقد كان كبير هذه الاسرة ، حافظ آغا طوقان ، ومن بعده شقيقه عبد الفتاح ، من صميم الرجال الذين عملوا في الحركة الوطنية ومن قادتها .

٤ — ولم أقل في كتابي ابدا ، ما نسبه الي السيد الكاتب ، بأن « فريقا من الشبان الذين اعتنقوا مبادىء دخيلة هدامة » كانوا يدعون عكس ما ادعى من انه « لم يكن في فلسطين ، كما كان في غيرها من بعض الاقطار العربية ، اقطاع وعائلات اقطاعية » . واني أصر على قولي ، الذي يؤيده التاريخ والحقيقة، بأنه « لم يكن في فلسطين اقطاع وعائلات اقطاعية ، وان الاقطاع الوحيد هو الذي نجم عن امتلاك بعض الاسر السورية واللبنانية لمساحات واسعة من الاراضي في شمال فلسطين ».

٥ — ويقول السيد كركوتي ، باصرار عجيب ، بأن الحاج امين كان يتهم كل من يخرج عن طاعته بالعمالة والتآمر لمصلحة اليهود . وان جهوده استطاعت اجهاض دعوات الشباب التي كانت تخرج عن ارادته وتهدد سلطته التي كان يمارسها بشكل مطلق . ان هذا الزعم يفتقر الى المنطق وتعوزه الصحة والحقيقة ، فالشعب الفلسطيني نفسه هو الذي كان يجهض كل دعوة يراها مشبوهة ويقضي عليها ، سواء صدرت مثل هذه الدعوة من شباب او كهول او شيوخ ! والحقيقة الثانية التي يجب ان يعرفها الجميع ، هي ان الشباب ( وكان منهم الحاج امين وهو من اصغرهم سنا ) هم الذين دعوا الى الحركة الوطنية والجهاد ، وهم الذين تولوا زعامته وقادته .

٦ — ويقول السيد كركوتي اني تجاهلت « عن تعمد واصرار » الحركة النقابية ، فلم اكتب عنها غير سبعة سطور في كتابي ، وأود أن استرعي انتباه الكاتب المحترم الى انه لم تكن في فلسطين ( في التاريخ الذي تناولت عهده بالبحث ) اية حركة نقابية عربية اطلاقا .

٧ — ضمنت كتابي كل ما عرفته ، وكل ما كان معروفا ، عن ثورة فلسطين الثانية في اول ايار ١٩٢١ ، ولكن السيد كركوتي يدعي بأني اهملت الحديث عن هذه الثورة ونسيتها « لانها كانت من صنع قطاعات شعبية .. ولانها لم تكن خاضعة لرجال الاقطاع الفلسطينيين » . وليس من شك في نظري في ان أمر هذه الثورة التبس على السيد كركوتي فتخبط في حديثه عنها ، ولعله نسب قيامها الى صنع قطاعات شعبية ، لانها حدثت في اول

ايار — وهو عيد العمال — فالعمال العرب لم يحتفلوا بعيد العمال في اول ايار عام ١٩٢١ ، ولا احتفلوا به لاعوام اخرى تلته . ولكن اليهود هم الذين كانوا يحتفلون يومئذ بهذا العيد . وفي اول ايار ١٩٢٢ احتفل اليهود ( بعيد العمال ) في تل ابيب وسائر مستعمراتهم . وتوجهوا بمظاهرات صاخبة الى مدينة يافا وهاجموا اهلها ، مما ادى الى نشوب القتال بين العرب واليهود . ومع تقديري العظيم للدور الرائع الذي قام به العمال العرب في الثورة المذكورة ، فاني أؤكد بأنها كانت من صنع جميع فئات الشعب ! وأود أن أسترعي نظر الكاتب المحترم بأن السلطات البريطانية قبضت على عدد من الزعماء ( الذين يصفهم بأنهم من رجالات الاقطاع الفلسطينيين ) بتهمة اشعال نار ثورة اول ايار ١٩٢١ في يافا ومنطقتها ، اذكر منهم الشيخ شاكر ابو كشك ، ويوسف عاشور، وعبدالله السمارة ، وسليم عبد الرحمن ، وعلي علاء الدين ، واديب ابو ضبة .

٨ — يقول الكاتب المحترم بأني لا استطيع خداع حركة التمرد الفلسطينية والعربية والجماهير الملتفة حول قيادتها المعاصرة ، بحديثي عن « فشل المحاولات التي نافست الحاج امين على زعامة الحركة الوطنية ... » . ولست أدري لماذا يقحم الكاتب مثل هذا الموضوع في بحث لا علاقة له به اطلاقا ، ان ما ذكرته في كتابي من وقائع واحداث جرت قبل اعوام واعوام من قيام ما يدعيه من حركة التمرد الفلسطينية والعربية ، فكيف استطيع خداع مثل هذه الحركة ( قبل قيامها .. ) والجماهير الملتفة حول قيادتها المعاصرة ؟ فضلا عن هذا فهل كانت حركة التمرد الفلسطينية والعربية — التي يشير اليها — حركة ضد الحاج امين والحركة الوطنية الفلسطينية ، ام ضد الاوضاع البشعة التي تسود الامة العربية ؟

٩ — واستغرب جدا امعان الكاتب المحترم في اصراره الخاطىء على وصف الزعامات الفلسطينية على غير حقيقتها وواقعها ، وتماديه في التطاول عليها والتعريض بها . فهو يقول في كلمته : « ان تفرد طبقة ملاك الارض من الاقطاعيين وغيرهم من الزعامات العائلية والدينية والطبقة الكومبرادورية المهلهلة .. ان تفرد هؤلاء بزعامة الحركة الوطنية الفلسطينية في تلك المرحلة من تاريخ فلسطين كان سببه عدم نمو طبقة برجوازية راسمالية قوية نسبيا تقود النضال وتحول قسما من الفلاحين الفلسطينيين الى عمال في المدن » .

فاذا كان ما يقوله السيد كركوتي — على سبيل الافتراض — صحيحا ، فكيف يجوز له ان يلوم « الزعامات العائلية الدينية الطبقية .. » لانها تفردت بقيادة الحركة الوطنية ؟ وهل كان عليها ان تتخلى عن واجبها الوطني ، فلا تتولى قيادة الحركة الوطنية ، حتى يتم نمو طبقة برجوازية رأسمالية قوية الخ ..؟ ولو ان هذه العائلات ( حسب وصف السيد كركوتي لها ) انصرفت عن الواجب الوطني ولم تخض غمار الحركة الوطنية . فماذا كان السيد كركوتي ، وأمثاله يقولون فيها اليوم ؟

١٠ — ويتحدث السيد كركوتي عن الشهيد عزالدين القسام وحركته وثورته ، فيحاول ان ينفي ما أكدته في كتابي ، بالادلة والبراهين ، من ان الشهيد أسس حركته وقام بثورته بمعرفة الحاج امين وبالتعاون معه ، فيقول « ان الثورة التي قادها القسام في اواخر ١٩٣٥ على أساس مبادرة شعبية .. لم يكن للزعامات التقليدية الفلسطينية علاقة حقيقية بقيامها » ، كما يدعي الكاتب بأني اعترفت في كتابي بخروج حركة القسام من « تنظيم الحاج امين الحسيني السري » دون ذكر اسباب هذا الخروج .

والواقع اني لم أقل في كتابي ما زعم السيد كركوتي اني قلته . فالذي ذكرته في كتابي — وأراد الكاتب تجاهله وتفسيره على غير وجهه الصحيح — هو انه عندما تقرر في ١٩٣٥ توحيد جميع المنظمات السرية في منظمة واحدة ، رؤي ان يبقى القساميون خارج هذه المنظمة ، لاعتبارات واسباب اقتضتها مصلحة العمل يومئذ .

وأؤكد من جديد ( استنادا الى معرفتي التامة وعلى ضوء التجربة والممارسة ) الامور التالية :

أ — ان الشيخ عز الدين القسام بدأ تنظيم حركته ، قبل استشهاده في ثورته في تشرين الثاني ١٩٣٥ ، بعدة سنوات، بالتعاون والتفاهم والاتفاق مع الحاج امين الحسيني ، وتمكينا للقسام من العمل ، وتسهيلا لمهمته ، عينه الحاج امين مدرسا في جامع الاستقلال في حيفا . ولما تشكل الحزب العربي الفلسطيني ( المعروف بحزب المفتي ) في آذار ١٩٣٥ ، انتخب عز الدين القسام وحكمت النبلي وفؤاد عطاالله ، ممثلين لحيفا وقضائها في لجنة الحزب المركزية .

ب ــ كان الحاج امين يزود باستمرار الشيخ القسام وحركته بالمال ، عن طريق الشيخ كامل القصاب ( السوري ) لضمان السرية في العمل .

ج ــ عندما رأى الشيخ القسام القيام بالثورة علانية ( بعد اعمال سرية رائعة استمرت نحو خمسة اعوام ) في خريف ١٩٣٥ ، فانه لم يقدم على خطوته هذه الا بعد الاتفاق والتفاهم مع الحاج امين .

١١ ــ ولعل من أغرب ما قاله السيد كركوتي في كلمته ، وأبعده عن الحقيقة والواقع ، انه « لم يكن للزعامات التقليدية الفلسطينية علاقة بقيام ثورة القسام ، بالرغم من انها هيمنت عليها فيما بعد وقادتها الى حتفها بعد تشكيل الهيئة العربية العليا » ( الغوري عضو فيها وممثل حكومة عموم فلسطين في الامم المتحدة بعد عام ١٩٤٨ ) ، وهذا خلط عجيب في الوقائع والتاريخ .

أ ــ ان ثورة القسام العلنية بدأت وانتهت في تشرين الثاني ١٩٣٥ ، وبعد انتهاء هذه الثورة بوقت قصير تم انضمام او التحاق القساميين بمنظمة الجهاد المقدس بقيادة عبد القادر الحسيني .

ب ــ اعلن الجهاد المقدس ثورة فلسطين الكبرى في مطلع ايار ١٩٣٦ واستمرت حتى اعلان الحرب العالمية الثانية في أيلول ١٩٣٩ .

جـ ــ ان الهيئة العربية العليا تشكلت في حزيران ١٩٤٦ .. اي بعد ١١ عاما على انتهاء ثورة القسام .

د ــ اني مثلت الهيئة العربية العليا في الامم المتحدة في ١٩٤٧ و ١٩٥٠ و١٩٥١ و١٩٥٢ ثم في دورات الجمعية العامة للامم المتحدة من ١٩٦٠ الى ١٩٦٨ . ولم اكن ممثلا قط لحكومة عموم فلسطين في الامم المتحدة .

١٢ ــ ويقول السيد كركوتي ، « ان الهيئة العربية العليا التي كانت ــ ولا تزال ــ تسيطر عليها الزعامات الدينية التقليدية والعائلات البرجوازية والاقطاعية الفلسطينية ، وان هذه القيادات لم تنظر بارتياح الى ثورة عزالدين القسام ولم تعتبر ان استمرارها هو مهمتها الاساسية » . ويقول ايضا : « ان نضالات هذه القيادات كانت تبلغ ذروتها ضد الاستعمار الانكليزي والوجود الصهيوني المتزايد بأن تسير تظاهرات الاحتجاج وترفع لوائح وعرائض تجمع تواقيع الوجهاء عليها للاحتجاج ضد الامتيازات التي كان يمنحها الانكليز للمهاجرين الجدد من اليهود » .

ان تاريخ الجهاد الفلسطيني الرائع يشهد بعدم صحة مزاعم السيد كركوتي ، وان ما وقع في فلسطين خلال ١٩١٨ ــ ١٩٤٨ من احداث وتطورات واضطرابات وثورات ، يقطع تجاهل الكاتب للحقائق ، وتصميمه على التعريض بالزعامات الوطنية الفلسطينية ! ويجب ان يعلم الكاتب المحترم ، وان يتذكر على الاقل ، ان الانكليز واليهود كانوا يتهمون الحاج امين الحسيني والزعامات الفلسطينية .. باشعال نار الثورات الفلسطينية ( وبلغ عددها ١٠ ثورات خلال عهد الانتداب البريطاني ) ويحملونهم مسؤوليتها ، وكثيرا ما عرضوهم للاذى والاضطهاد والتشريد والابعاد والنفي والسجن بسبب مقاومتهم لليهود وعصيانهم وتمردهم على الانكليز ؟

واسترعي انتباه الكاتب المحترم الى ان الدكتور حاييم وايزمن ، زعيم الحركة الصهيونية ، واول رئيس لدولة اليهود في فلسطين المحتلة ، كتب في مذكراته الصادرة عام ١٩٤٩ ( عنوانها الخطأ والتجربة ) بأنه كان قد تم الاتفاق بين بريطانيا واليهود على اتمام عملية تهويد فلسطين عام ١٩٢٤ ، « لولا المقاومة التي ابداها العرب والاضطرابات والثورات التي اشعل نيرانها امين الحسيني المفتي » .

١٣ ــ ويمعن السيد كركوتي في تحامله على القيادات الفلسطينية .. فيقول : « على الغوري ان يدرك ــ قبل غيره ــ انه منذ اللحظة الاولى لاندلاع ثورة القسام التي تألفت من عناصر كادحة وفقيرة رفضت القيادات الاقطاعية الدينية وأحزاب العائلات الكبيرة الاستجابة لنداء الثورة ، وطالبت هذه القيادات الاقطاعية باعتماد الوسائل السلمية لانتزاع الحقوق الوطنية كالمظاهرات والمباحثات لان « الامور مرهونة بأوقاتها » .. وليس من مصلحة الشعب والبلاد ان يقوم اصطدام جدي مع الانكليز قبل ان تتم التهيئة الكاملة له » . كما جاء على لسان الغوري فضلا عن الحاج امين الحسيني . اني ادرك ما لا يدركه السيد كركوتي ، واعرف ما لا يعرفه ، وان ما اكتبه واسجله هو نتيجة لخبرة وممارسة ومشاركة في الحقل الوطني والجهاد ، في حين انه يكتب ، على ما يبدو ، اعتمادا على انباء وتعليقات سمع بها ، او دعايات

روجها الاعداء ضد الوطنيين وحملات مضللة شنها عليهم ذوو الاهواء والاغراض .

ونسي السيد كركوتي ان الشيخ عز الدين القسام كان ( رجل دين ) وان منظمته السرية العظيمة بنيت على اسس دينية ووطنية !

اما ما نسبه الى الحاج امين الحسيني من قول « بأن الامور مرهونة بأوقاتها .. الخ .. الخ .. » فهو قول صحيح ، ولكن سماحته ( اورده في مناسبة اخرى ) ليس له ادنى علاقة بحركة القسام وثورته ! فان الحاج امين وجه هذا الكلام الى فريق من الشبان ( كنت واحدا منهم ) اجتمعوا بالحاج امين لمباحثته في العمل والتنظيم السري .. الخ ..

١٤ ــ وينهي السيد كركوتي تعليقه العجيب بقوله: « وعلى بقايا الاقطاع الرجعي الفلسطيني ان تدرك ان قيادات هذا الاقطاع هي التي اجهضت الثورة التي قادها القسام في الداخل بعد ان عجزت عن اجهاضها من الخارج ، وذلك بعد ان ثبتت الثورة المسلحة اقدامها ، وحصلت بالقوة على تأييد الاحزاب الاقطاعية لها » .

ان ثورة القسم بدأت وانتهت في تشرين الثاني ١٩٣٥ ! وعقبتها ثورة فلسطين الكبرى ١٩٣٦ التي اعلنتها منظمة الجهاد المقدس ، بقيادة عبد القادر الحسيني . وهذه المنظمة هي القوة العسكرية الفلسطينية التي نظمها واوجدها الحاج امين وأسند قيادتها الى عبد القادر الحسيني .

ثم يعود الكاتب المحترم الى الخلط بين الاحداث والاخطاء التاريخية فيقول : « فبعد ثلاث سنوات من الثورة المتصلة ( يعني ثورة القسام .. ) تمكنت هذه القيادات من محاصرة الثورة واجهاضها بقرار ونداء موجه من الملوك والزعماء العرب بانهاء الثورة اثر زيارة قام بها ( نوري السعيد ) للقدس في آب ١٩٣٦ واجتمع خلالها بزعامات المدينة الاقطاعية لدراسة الوضع الناشيء عن قيام الثورة المسلحة في فلسطين ، وتولى الحاج امين الحسيني توجيه قرار ونداء الملوك والرؤساء العرب الى الثوار وتنفيذه .. » الخ الخ ..

اكرر القول ان ثورة القسام بدأت وانتهت في تشرين الثاني ١٩٣٥ ، وأن ثورة الجهاد المقدس نشبت في ايار ١٩٣٦ ، وتوقفت في تشرين الاول ١٩٣٦ ، فمدة الثورتين لم تتجاوز عاما واحدا .. ومع ذلك يقول السيد كركوتي انه « بعد ثلاث سنوات من الثورة .. تمكنت هذه القيادات من محاصرة الثورة واجهاضها بقرار من الملوك والرؤساء العرب .. الخ .. »

اما زيارة نوري السعيد فقد تمت ( للقدس وفلسطين ) في مطلع آب ١٩٣٦ ولكنها لم تكن ذات علاقة اطلاقا بموضوع نداء الملوك الذي صدر في ١٢ تشرين الاول ١٩٣٦، اي بعد ١١ شهرا فحسب ( وليس ٣ اعوام ) بعد نشوب ثورة القسام وانتهائها ..

هدانا الله جميعا الى سواء السبيل .

**اميل الغوري**

## شرف الكتابة
## وشرف الموت

« أحسست لاول مرة في حياتي بفخر اني كاتب من كتاب القصة العربية القصيرة ، حين استشهد غسان كنفاني . فبحياته التي انتهت هكذا ، انتقل من حيث الكتاب ، الى حيث الابطال وكان اول كاتب قصة يفعل هذا ، بل ، بالادق اول كاتب في كل تاريخ ادبنا العربي يعيش قضيته الى حد الشهادة احسست بفخر اني انتمي لغسان وانه من نفس جيلي . وان تاريخ الكتابة العربية، الكتابة ، وليس صفة الكتابة ، سيبدأ من هنا .. المرة الثانية التي احسست فيها بالفخر اني كاتب، حين تفضل الاصدقاء وعدهوا إلي بكتابة هذا التقديم لقصص غسان كنفاني القصيرة الكاملة ... انه شيء لا أحس له بفرحة ، انه شيء يجعلني احس بتشريف اعتقد اني غير جدير به . من أنا حتى اقدم كاتبا ، رفع عن الادب العربي كل عاره وغسل بدمه تقاعس مئات السنين ! من أنـا ، وماذا فعلت للقضية كي اقدم كاتبا فعل من أجلها ما أصبح في عداد الاساطير !

... وهناك النهاية ، تلك التي لم يكتبها غسان في قصصه القصيرة او الطويلة ، فنهايات مثل تلك لا تكتب . لقد ظل يكتب حتى بلغ الحد الاعلى للكتابة ، حتى لم يعد هناك ما يكتب . وهكذا كان لا بد للنهاية ان تكون عملا فوق الكتابة . وفوق آماد التصور وفوق الخيال . كان لا بد أن تكون ( العمل ، الشعر ) او الاستشهاد ارقى واعظم وانبل مراحل اي عمل فني او انساني على الاطلاق » .

بهذه الكلمات قدم يوسف ادريس للمجلد الثاني من الاثار الكاملة لغسان كنفاني . يضم هـذا المجلد جميع مجموعات القصص القصيرة التـي كتبها كنفاني . « موت سرير رقم ١٢ » ، « أرض البرتقال الحزين » ، « عالم ليس لنا » ، « عن الرجال والبنادق » . كما يضم مجموعة جديدة قديمة ، هي عبارة عـن جمع لبعض القصص القصيرة التي نشرها كنفاني ، في فترات متفاوتة في الصحف والمجلات العربية ، ولم تضمهـا مجموعاته القصصية . في هذه المجموعة « وقصص اخرى » نعود الى الجو المتوتر الذي تخلقه كتابة كنفاني . فرائحة الدم الحار الذي يخرج مـن جنبات وشرايين سعيد الحمضوني في قصة « المدفع » ، تعيدنا الى فلسطين الحلم الـذي لا يموت ، هذا الحلم لا ترويه الدماء وحدها ، بل يرويه عطش الشرايين الى الالتحام بفوهة المدفع . عطش الانسان الى الارض ، ليس عطشا رومانسيا . فالتحدي المأساوي ، يحيل الفلاح ، الى تاريخ كامل ، والقصة لا تصبح مجرد عملية جمع لمجموعة من الابطال المرتبطين بموضوع محدد. بل تتحول الى رؤيا تاريخية كاملة . يمتزج فيها التوتر بالحنين ، امـام فوهة المدفع ، او امـام شرايين الاشجـار . وهو في قصـة « البطل في الزنزانة » لا ينقل لنا هم رياض وحده ، بل ينقل هم العلاقة بين القصة والواقع . فالواقع اكثر غنى وتعقيدا من الخيال . وعذاب الخلق المتكامل بصيرورة العمل التاريخي لا يخرج الا مـن ذروة النضال .

وكما اكتشف يوسف ادريس في مقدمتـه « ان الموضوع الواحد ، يمكن ، في يد الكاتب الصادق الملهم ( قيمة ) يستخرج منها مائة سيمفونية ومائة كتاب بحيث ايضا ، كل سطر من هذا الكتاب ، كل حرف ، من الممكن ردها مباشرة الى هـذا الموضوع الواحد » فان ضياء العزاوي اكتشف هو الاخر ، كيف يستطيع الموضـوع الواحد ، ان يستحيل الى خطوط ، أشكال تتغلغل في الرؤيا الفنية ، وتشارك كنفاني رحلته الـى جسـد فلسطين .

## الموت الاول ...

« امضي الى غايتي
واعيني مغمضة
احمل في صرتي
خبزي ومجد ابي
وسيفي الابيضا »

بهذه الكلمات يفتتح عصام محفوظ كتابه الشعري الجديد « الموت الاول » ، فهو يحمل سيفه الابيض ليمشي بلا غاية وعلى رأسه تاج من الرماد . يعيد محفوظ تبويب دواوينه السابقة ، ليصل الى « الموت الاول » ، حيث لا قدرة على الشهادة ، سوى من طرف العالم ، من زاوية ضيقة مليئة بطعم الحصار . يقطع صوت الشاعر صوت الموت ، ولا وسيلة للوصول الى جسد الحبيبة سوى التلاشي امام عتبة الباب ، حيث يكثر المتفرجون ، على اخر مشاهد المسرحية .

يسير عصام محفوظ في تطوره الشعري ، ضمن خط بياني ، يبدأ بالايجاب ، — الالتفات نحو المشاكل اليومية — وينتهي بالسلب . وقصيدته في تطورها من المباشر ، الى الحلم الرمزي ، تصطدم بالسلب ، ولا تستطيع ان تقيم بينه وبين الايجاب نقطة تقاطع صراعية . لذلك تنحل اللغة في نسيج من الرؤية ، الذي ، حين يندمج بالحلم ، يتساقط على بوابة العالم وبداه تنزفان ولا وصول .

لم يخض عصام محفوظ رحلته هذه وحيدا . فلقد كان الطموح الاساسي لمجلة « شعر » هو محاولة دخول اوروبا على جواد عربي ، لكن الجواد ، ما لبث ان سقط في منتصف الطريق ، ودخل الشاعر عاريا من لغته ، ليكتشف العودة الى الموت لان الدخول ، دون انفجار الواقع العربي وتحوله، يبقى دخولا مستلبا ، وغير قادر على صنع مزيج جديد من الطموح والارض الواقعية .

واذا كانت « زليخة » بما تحمله من رائحة الارض، ورائحة الجسد ، تشكل محاولة الامتداد الرئيسية في شعر محفوظ صوب العالم ، وصوب علاقة الجسد بالارض ، المندمجة في سياق الحلم ، فان قصائد « الموت الاول » هي شهادة على استحالة هذه العلاقة لا سيما في قصيدتي : « فاصل احتفالي » و« القصيدة ذات الصوتين » :

— « لماذا لا تسمعني ؟ لماذا لا يسمعني احد ؟ سأقول لكم كل شيء
— لم يبق من دمك سوى قطرات . قل الكلمة اسرع
— العالم ينزلق على اطراف اصابعي سأقول الكلمة . ذلك من حقكم ؟
— اسرع . اسرع . اسرع .
— سأقول لكم . »

هكذا تنتهي القصيدة املم استحالة الحوار ولا معقوليته ، رغم أن الشاعر ، يستعين بقاموس الحب القديم ، ويعود الى المزامير وقصائد سليمان . لكن استحالة العلاقة ليست استحالة مجانية ، انها استحالة موضوعية كاملة . فالبقاء خارج الصراع ، ودخول اوروبا ، بعد ان سقط الجواد ، يفضي الى احساس عدمي ، يدمر الذات دون أن يمس الموضوع .

غير أن عصام محفوظ ، عندما تصدى لاعادة اختيار وجمع قصائده القديمة ، بعد أن أضاف اليها قصائد « الموت الاول » . انما ينطلق من زاوية مختلفة في تقييم دوره الشعري ودور مجلة « شعر » : « عبر تاريخنا اللغوي ، وهو جزء من تاريخ العالم كل عصر يمضي ، يأخذ معه تشابيه واستعارات وصورا ميتة ، وكل عصر يأتي يجلب معه تشابيه واستعارات جديدة اكثر تعقيدا وأشد غرابة بين المشبه والمشبه به في اللغة اليومية . ولغة الشاعر هي دائما طليعة هذا التغيير » . هذا الاصرار على تغيير مدلول الكلمات، واحداث ثورة في اللغة ، لم يقف الى جانبه اصرار اخر على تغيير العالم ، على الاندماج ضمن حركة تغيير جذرية للواقع العربي الذي يعيش الشاعر في وسطه . بل كان الشعر امتدادا مستقبليا ، يفتقد ارض المستقبل الواقعية . لذلك انحل الى الموت عند محفوظ . وانعطف نحو راحة الحب المتزاوج مع اسطورة المرأة بعد مزجها بالتوتر كما عند انسي الحاج . واصطدم يوسف الخال بجدار اللغة . فصمت . واذا كان لتجاوز ادونيس تجربة مجلة « شعر » من معنى ، فانه يقع في قدرة ادونيس على التغلغل في التراث والواقع في سبيل تدمير الواقع واعادة بنائه .

ان بيروت لم تكن هي التي نضج عليها الشعر الحديث . كانت فقط ، جسرا للتواصل العدائي

مع حضارة الغرب الامبريالي هـذا التواصـل العدائي ، هو الذي يشكل مفترق التحدي في حياتنا الثقافية .

غير أن مدرسة مجلة « شعر » . وان لعبت دور الجسر ، فان لعبور الجسر ، او حتى تدميره، وبناء تواصل داخل منطق الصراع ، لـذة ، وتجليات ابداعية ، استطاع فيها عدد محدود مـن الشعراء ان يرسموا لوحة صادقة وعميقـة الدلالات عن الالم الكبير الذي يعتصر ادبنا فـي مواجهة التبعية الامبريالية امام واقع لم تنضج فيه الثورة بل بقيت اندفاعات ترتد عن الجـدار وان احدثت فيه بعض الفجوات العميقة .

ان ديوان عصام محفوظ ، هو دعوة الى التأمل. دعوة الى اعادة تقييم مرحلة كاملة في حياتنـا الادبية ، تميزت بالحركية والصراع . وان كان تجاوزها هو المخرج الوحيد لانقاذها تاريخيا .

## مساهمة جامعية

ما هي مهمات النقد الجامعي ؟ . وكيف يستطيع هذا النقد المساهمة في بلورة منـاهج البحـث الاكاديمي وتطويرها ؟

على هذا السؤال حاولت كلية التربية في الجامعة اللبنانية ببيروت ، الاجابة ، باصدارها مجلـة « دراسات في الاداب والعلوم الانسانية » . لكن الجواب ، بقي سؤالا . لان العدد الحامل تواقيع ستة من كبار الكتاب : ادونيس ، ميشال عاصي، علي شلق ، ريمون طحان ، كمال يازجي وناصيف نصار ، تقدم ببحوثه المختلفة اجابة عادية . فمهمة النقد الجامعي ، بقيت عملا لا يختلف عن بقيـة فروع النقد من حيث المبدأ الاساسي . سوى في بعض الفروقات الهامة التي لا تمس نوعية توجه هذا النقد ، بل تتعاطى مع شكله ، رصانته ، وهدوئه . أي أن النقد الجامعي الذي قدمه العدد الاول ، لم يمس المسألة الاساسية التي يوفرهـا التفرغ الاكاديمي ، مسألة مناهج البحث، والقدرة من خلال الدراسة الهادئة والرصينة على اكتشاف معادلات نظرية جديدة ، تشكل تقدما في اطـار البحث العلميفي ميداني الاداب والعلوم الانسانية. أن هذه الملاحظة ، لا تريد ان تكون مجرد نقد سلبي ، لعمل لا يزال في بداياته ، لكنها تريد ان تضع حدا فاصلا ، بين النقد العادي . شرح النصوص والتعليق عليها . اضافة بعض الجوانب التاريخية المهملة . دراسة التراث العربي على اساس بعض النماذج المتطورة للنظريات الجمالية في الغرب ، وبين النقد الخلاق ، الذي يستطيـع عبر قراءة جديدة للعصور التاريخية المختلفة ، اضاءة جانب البحث النظري الذي يـؤدي الى اكتشاف ارض طيبة ، تحد من اثار البابليـة النقدية التي نعيشها .

لقد استطاعت ابحاث هذا العدد ، ان تقدم مساهمات ايجابية . وهي وان لم تطرح الاسئلة المنهجية بشكل رئيسي فقد قدمت بعض المساهمات الاساسية . استطاع ميشال عاصي ان يرصـد اكثر النقاط اهمية في بحثه « البلاغة في جماليـة الجاحظ » اذ عاد الى تقييم النتاج البلاغي عند الجاحظ ، وربطه بمجمل تاريخ علم الجمال عند العرب . وقدم ريمون طحان في بحثه « اللغـة العربية في اساليب المتفنعين بها » بحثا متكامـلا عن معنى الشعر والنقد وعلاقتهما بميدان التعبير الفني عند العرب . ويكرر ادونيس في « خواطـر حول مفهوم الحداثة . مدخـل لدراسـة عصر النهضة » فهمه لاصول التحول في الشعر التـي تعود الى العصر العباسي ، والتي تترافق مـع تعاظم دور المدنية ، والاثر الكبير الذي احدثته الانتفاضات الثورية في الاسلام وهو في بحثه يصل الى نقطتين هامتين الاولى هي أن المهم في دراسـة الشعر العربي في القرن التاسع عشر والربـع الاول من القرن العشرين انما هو تحديد معنـى الحداثة والثانية هي ان التحديد يجب ان يتـم بالقياس الى مشكلات الحداثة والتقدم في الشعـر العربي نفسه ، لا بالقياس الى هذه المشكلات في الشعر الاوروبي او غيره . » اما ناصيف نصار فانه في تحليله للمدرستين الاجتماعيتين الرئيسيتين في الفلسفة العربية المعاصرة . يوسف كرم وزكي نجيب محمود ، يصل الى استنتاج رئيسي : « ان السؤال الاساسي الذي تطرحه الوضعية الحضارية الجديدة في العالم العربي المعاصر ، على الوعـي الفلسفي الاصل هو اذن السؤال عن تـاريخية الوجود الانساني . واننا نستطيع الافادة الى أبعد الحدود من تاريخ الفلسفة لكي نحاول الاجابة عنه وندخل في الفلسفة لكن ينبغي ان نربط ربطا

محكما ، البحث في تاريخية الوجود الانساني ، واعتبار وضعيتنا الحضارية المتميزة ، لان الهدف انما هو الكشف عن القيم التي يجعلنا الالتزام بها نساهم نحن فعليا في تحقيق الانسان الكامل ».

ان الهدف الرئيسي من ملاحظاتنا حول هذا العدد الاول من مجلة « دراسات » هو الوصول الى نقطتين :

١ — التمييز النهائي بين الكتابة الوصفية — المعيارية وبين الكتابة العلمية .

٢ — التركيز على الدور الخاص الذي يستطيع العمل الجامعي ان يلعبه في اطار الدراسة العلمية .

## صراع على ارض التراث

يحاول هادي العلوي في كتابه « في الدين والتراث » ان يعيد النظر في بعض الظاهرات التراثية ، ملقيا عليها ضوءا تحليليا ، يريد به ، ان يعيد منهم التراث العربي من منظور نقدي عريض ، على أساس المنهجية الماركسية ، والكتاب يضم سبعة ابحاث تتناول بعض جوانب التراث العربي من خلال انعكاسها على حياتنا الثقافية . يميز العلوي في بحثه الاول « الاسلام والاستعمار الثقافي » بين الدين والتراث ، منتسبا الى التراث . « فثقافتنا لا تستطيع الانفصال عن التراث الفكري للاسلام . وطبيعي اننا اذ نذكر التراث ، نقصد العناصر التقدمية فيه » . لكن الكاتب لم يستطع ان يحدد بشكل دقيق ومفصل ماذا يعني بالتراث وكيف نستطيع الوصول الى التمييز بين عناصره التقدمية وعناصره الرجعية . هذه العمومية ، وعدم تحديد الالفاظ ، يقللان كثيرا من طموح الكتاب ، الذي هو في موضوعاته محاولة جدية لدراسة احد اهم المجالات المركزية ، التي يدور حولها الصراع في الوطن العربي .

اما البحث الثاني « تشريع الاستبداد ونشوء البيروقراطية في الاسلام » ، فانه اهم بحث في الكتاب . لانه يحاول ان يلاحق قضية الصراعات التي عصفت بالعالم الاسلامي منذ نشوء الاسلام حتى اواخر العصر العباسي حول مسألة الشورى ومفهوم الديمقراطية. وهذا البحث مليء بالمعلومات الواسعة حول هذا الموضوع ، وهو يعود الى المصادر الاولى في درسه لقضية تشريع الاستبداد، لكنه يتوقف عند حدود البنى الفوقية وحدها ، دون ربطها بقاعدتها المادية . ان ملاحظتنا هذه لا تعني استحالة او عدم مشروعية دراسة البنى الفوقية عبر عزلها عن بقية مستويات نمط الانتاج غير أنها تتطلب دراسة مسبقة تحيط بنمط الانتاج الذي تدرسه ، حتى تستطيع عملية عزل البنى الفوقية البقاء مرتبطة بالمستوى الاقتصادي . ان هذا البحث على اهميته البالغة بحث اولي بحاجة الى استكمال عناصره الاخرى .

يعيد العلوي في البحث الثالث « تحريم كنز الاموال اسراره ومتعلقاته » تثمين الدور التقدمي الذي لعبه ابو ذر الغفاري في العهد الراشدي وهو هنا يعيد دراسة قضية تحريم كنز الاموال — التي اثارت جدلا واسعا في الاسلام — من منظور الايجابيات التقدمية في التراث العربي . يعود بنا، الى العهد الراشدي حيث يقوم بتحليل دقيق للدوافع والظروف المختلفة التي احاطت بتفسيرات آيتي العفو والكنز .

ويتصدى في بحثه الرابع « الفكر العربي من وجهة نظر استشراقية » للمستشرق هاملتن جب في كتابه « المدخل في الادب العربي » والنقد الرئيسي الذي يوجهه الى هذا الكتاب يتمثل في نقطتين :

١ — احتقار جب للقارىء العربي « الغيبي » امام عقلانية القارىء الغربي « العصري » ويظهر هذا الاحتقار بشكل واضح في طريقة تعامله مع التراث العربي .

٢ — الفهم الخاطىء للكثير من الظاهرات الادبية. يعيد العلوي هذا الفهم الى عدم قدرة المستشرق الذي يعمل بعقلية استعلائية على التغلغل داخل العقل العربي واستنطاقه ما يقوله فعلا .

وتقوم الابحاث الثلاثة الاخيرة بالتركيز على نقطتين:

١ — مهاجمة الطريقة التي يستغل فيها الايمان في الوطن العربي . هذه الطريقة التي تخدم بشكل مباشر الطبقات الاكثر رجعية .

٢ — دراسة سريعة لاثار الشاعر الاموي الكميت بن زيد . .

ان اهمية كتاب هادي العلوي — رغم ان مجموعة مقالات متفرقة نشر بعضها في المجلات العربية — تكمن في طرحه للموضوع من زاوية تقدمية . فالمعركة على ارض التراث العربي ، هي جزء هام

من المعركة الايديولوجية التي تخاض الان على جميع المستويات . فبعد هزيمة حزيران ، اصبح التراث ميدانا واسما لمعركة ايديولوجية يريد بها الفكر اليميني استعادة جميع مواقعه التي فقدها في السابق . من هنا فان هادي العلوي ، يطرحه بعض الملاحظات الاساسية حول العلاقة بالتراث على ضوء المنهجية الماركسية يكون قد حاول دخول حلبة الصراع هذه .

## التفسير والنقد

بعد كتابه النقدي الاول « لعبة الحلم والواقع — دراسة في أدب توفيق الحكيم » يعود جورج طرابيشي في كتابه الجديد « الله في رحلة نجيب محفوظ الرمزية » الى النقد الادبي . فبينما حاول في كتابه الاول ان يقوم بعملية تحليل واسعة لادب الحكيم ، فانه يقوم في كتابه الجديد ، بقراءة جديدة لادب نجيب محفوظ . انطلاقا من روايته « أولاد حارتنا » والقراءة الجديدة هذه ، تريد التركيز على نقطة محددة ، كيف فهم نجيب محفوظ مسألة الله وعلاقته بالبشر في انتاجه الروائي الاخير ؟

١ — **الفصل الاول** : « نجيب محفوظ يعيد كتابة تاريخ البشرية » . وهذا الفصل هو مناقشة لرواية محفوظ الملحمية « اولاد حارتنا » حيث يرى الناقد أن رحلة محفوظ في كتابته لتاريخ البشرية تتمحور حول فهمه لعلاقة الانسان بالله ، التي تصل في نهاية الرواية الى التوفيق بين الجبلاوي وعرفه ( الله والعلم ) . ولقد استطاع طرابيشي ان يلتقط اكثر النقاط اهمية في هذه الرواية — عدم قدرة محفوظ على الارتفاع في معالجته لمسألة النبوة الى مستوى الواقع التاريخي بل بقي مقصرا دونه — ٢ — **الفصل الثاني** ويحمل عنوان الكتاب . وفيه يحاول طرابيشي دراسة قصة « زعبلاوي » في مجموعة « دنيا الله » وروايات « الطريق » ، « الشحاذ » ، « ثرثرة فوق النيل » ومجموعة « حكاية بلا بداية ولا نهاية » من منظور واحد . فهو يعتبر ان القضية المركزية في هذه الروايات والقصص هي استمرار لبحث محفوظ المضني في « أولاد حارتنا » عن موقف واضح من مسألة الله . يلتقط طرابيشي المفاصل الرئيسية لهذه القصص التي تجمعها قضية مركزية — البحث عن شيء غير موجود ، وهو القادر على اضفاء السعادة على الباحث عنه — وهو عبر التقاطه لتنوع الاسماء وتشابهها « جبلاوي وزعبلاوي » وللقضية التي يجري عنها البحث . الاب في « الطريق » ، « السعادة في « الشحاذ » ، ومسألة الصراع بين العلم والايمان في « حكاية بلا بداية ولا نهاية » ليستنتج أن هذه الاسماء والقضايا ، هي تنويعات لقضية واحدة ، قضية العلاقة بين الايمان والعلم والموقف التوفيقي الذي يصل اليه محفوظ في مواجهة هذه المسألة .

ان النقطة المركزية التي ينطلق منها تحليل طرابيشي نقطة بالغة الاهمية ، ويمكن الدفاع عنها . فمحفوظ يعلن بلا مواربة في « حكاية بلا بداية ولا نهاية » اصراره على متابعة الخط الذي انتهجه في « اولاد حارتنا » غير اننا في رواية « الشحاذ » على سبيل المثال ، نرى آثار هذه المسألة . لكنها هنا تختلط بمركب اجتماعي بالغ التعقيد ، وتصبح في الواقع مسألة ثانوية أمام الازمة العامة التي تعصف بالبرجوازية ، أزمة عدم قدرتها على الانتاج وافتقادها بالتالي لتوازنها الاجتماعي ، فمحمد الحمزاوي ، بعد أن نسي تاريخه النضالي افتقدت حياته القدرة على الاتصال بالاخرين فأقام بينه وبين ماضيه ، بين ممارسته الاجتماعية ووعيه لهذه الممارسة ، حاجزا كثيفا ألغى امكانية التواصل ، وجعله يحترق وحيدا بحثا عن ذاته الضائعة .

ان تركيز طرابيشي على جانب واحد من مسألة أدب نجيب محفوظ البالغة التعقيد ، قد اهمل اطار العلاقات الاجتماعية في البيئة البرجوازية الصغيرة والمتوسطة التي منها يستقي محفوظ مسار رواياته. من هنا فان التركيز على مسألة الله ، دون ربطها بالمسألة الاجتماعية . هذا الربط هو في رأينا النقطة التي استطاع محفوظ ان يطورها بشكل مركب في روايتنا المعاصرة . يفقد البحث النقدي نقطة بالغة الاهمية ، اذ يحيله الى تفسير من طرف واحد لعملية الكتابة الادبية .

## اشكال .. اشكال

تواجه القصة العراقية ، ولاول مرة في تاريخها الادبي ، موضوع الشكل القصصي بجرأة نادرة . فبعد قصة الاديب المصري صنع الله ابراهيم « تلك الرائحة » التي حاول فيها ان يبني بناء قصصيا من خلال رصد الواقع ودراسة تفاصيله ضمن بنية الانسان الذي لا حدود لعلاقته بهذا الواقع ، حاول فاضل العزاوي في روايته « مخلوقات فاضل العزاوي الجميلة » ان يقيم بناء روائيا دون الحاجة الى الحدث . فالرواية وأبطالها ، هي مجموعة انفعالات وأحلام ورؤى تنغرس جميعها على صفحة الوعي لتشكل هذه المخلوقات . واذا كان العزاوي في روايته الثانية « القلعة الخامسة » قد عاد الى شكل قريب من الشكل الحدثي المليء بالتداعيات والاحلام . فان جمعة اللامي حاول في قصته القصيرة « وثائق للاحشث » — الطريق حزيران — تموز ١٩٧٣ — أن يرسم قصته رسما ، مستعينا بالكولاج والشكل اللغوي عند ابولينير . « هناك اساليب فقط لان كل الاشياء هي كالدائرة . فانه من الغباء البحث عن يقين نسبي يمكن الاطمئنان اليه كثيرا . ولربما تكون الاعوام القادمة ، هي الاعوام التي يكون فيها الشكل قابضا على المضمون بشكل أكيد . ان الكرسي ليس هو الشكل أو الحيز بقدر ما هو الوظيفة كذلك . وهذه أشكالي ، هي تستطيع لكل الاشياء والعلاقات وتقديمها محنطة كأنها تطل علينا من زمن بعيد . اني أكتب هكذا لان اللغة الحالية خائنة ومزورة وفقدت قدرتها على التعبير . من المستحيل نقل « كلمات الزمن » الا من خلال اشكال تقريبية . ترى هل قادر على توجيه ما أريد من خلال هذه الاشكال » .

واذا كانت محاولات الشعر دخول لعبة الاشكال الابولينيرية ، لا تزال في بدايتها ، وتطرح العديد من علامات الاستفهام حول قدرة الشكل على اعادة صياغة الكلمة حيث يأتي المعنى بالغ التوتر وغير قادر على الانسكاب في صور شعرية . فان اللوحات المتتالية التي يريد بها جمعة اللامي نقل قضيته ، عبر محاكمته السريعة للغة ولحدود امكانيتها ، تجمد حركة الاستدارة في القصة . فالذي يبدو من خلال اللوحات الاربع التي يعرضها اللامي هو أربعة منعطفات ، كان بامكانها ان تتشكل تشكلا محوريا لتعطي ايصالا مباشرا . لكن الذي نراه هنا ، انما هو تجميد للحظات شعورية متتالية قبل قدرتها على النضوج والتشكل حدثيا . بل تبقى وكأنها صرخة تستعمل ايقاعات جديدة .

ان البحث عن الاشكال الجديدة ، هو بحث ضروري . لكن العلاقة بين الشكل والمضمون — اذا صح ان هناك امكانية للتمييز الفعلي بينهما — تبقى هي السؤال . فاحتراق اللغة في الشكل الجديد يفترض احتراقا وترميدا للمعاني القديمة . للرؤيا الماضية . وهنا تقع ازمة القصة العربية التي لا تزال تراوح في النسيج الحدثي ، واذا تجاوزته ، فالى التداعي دون قدرة على اختراق جدار التواصل مع قوى التغيير الجذرية .

**الياس خوري**

## مقابلة جديدة مع اسرائيل شاهاك

**هذه ترجمة لمقابلة عقدت مع السيد اسرائيل شاهاك ، رئيس جمعية حقوق الانسان الاسرائيلية السابق ، اجراها صحافي اجنبي زاره في تل ابيب منذ عدة أشهر وخص شؤون فلسطينية بنص المقابلة .**

**ما هي الاسباب لقيام جمعيتكم ؟**

السبب يتلخص في ضرورة الاحتجاج ضد انتهاك حقوق الانسان في اسرائيل والاراضي المحتلة . وأنا ارجو مخلصا ان تقدم احتجاجات مشابهة من كل انحاء العالم ضد هذه الانتهاكات التي أصبحت في منتهى الخطورة . واريد أن اشير هنا الى ان من الطبيعي جدا الا يوافق حزب العمل الاسرائيلي ، الحزب الحاكم ، أن يحتج جهاز مستقل على اعماله .

**ما هي الاشياء التي تحتجون ضدها بالضبط ؟**

في قرية الطيرة ، على سبيل المثال ، يسكن رجل اسمه عثمان ابو راس ، وهو مواطن عربي اسرائيلي . ومنذ ١٦ سنة يمنع هذا الرجل من مغادرة قريته دون ان توجه له أية تهمة او يقدم لاية محاكمة . كل ما في الامر ان الحاكم العسكري للمنطقة قد أصدر اوامره بذلك بناء على تعليمات من البوليس . وخلال كل هذه الفترة لم يسمح له بمغادرة القرية الا في مناسبتين ، الاولى لمرافقة زوجته المريضة الى الفحص الطبي في مدينة مجاورة ، والثانية لحضور حفلة زفاف صديقه اليهودي في تل ابيب . منذ ١٦ عاما وهذا المواطن يمنع من مغادرة قريته دون أن يقدم لاية محاكمة او توجه اليه أية تهمة ، واريد هنا ان اوجه سؤالي الى كل من يهمه الامر : الا يجب الاحتجاج امام كل العالم ؟ نعم . في رأيي انه يجب الاحتجاج ومحاربة مثل هذه الظاهرة . شخصيا سأواصل الاحتجاج حول هذه الحالة وما شابهها وسأرفع صوتي متوسلا بكل الاساليب التي اقدر عليها . سأتذكر مثالا آخر . علمت بأنباء مؤكدة بأن مواطنا اسرائيليا آخر اسمه شوقي الخطيب كان قد اعتقل قبل عدة اسابيع اشتباها بأنه جاسوس . وخلال وجوده في الموقف عذب وحرق عضوه الجنسي . علمت بذلك من سجين آخر اسمه رميل ريفنه وكان قد جيء اليه بشوقي الخطيب ليتأثر بجروحه ويفقد مقاومته منهارا . الان اذا وصلتني مثل هذه المعلومات اليس من واجبي ان احتج واقدمها لكل العالم ؟ نعم ان واجبي يدعوني لفضح مثل هذه الاشياء امام كل العالم . وحين أفعل ذلك فأنا اكشف عن مصادر هذه المعلومات. فالسيد رميل ريفنه وزوجته من معارفي الذين أثق بهم وقد اعلماني بهذه الحالة لاكشفها للعالم . أن رأي حزب العمل الاسرائيلي الحاكم ، انه اذا كان ولا بد من الاحتجاج ضد مثل هذه الامور فمن الافضل ان تعلن هذه الاحتجاجات في بلدان تستخدم مثل اساليب التعذيب هذه .

**هذه الحالات ، اهي فريدة من نوعها ؟**

انها ليست فريدة من نوعها اطلاقا ، هناك حالات كثيرة منها ، مئات عديدة ، بل عدة الاف منها . فبدون أية محاكمة تحدد اقامة العديد من الاسرائيليين العرب وتحدد تنقلاتهم ضمن قراهم او منطقة معينة حولها . وهذه حالة اخرى من التي نحتج عليها . نايف سليم عربي اسرائيلي من سكان قرية بقعين [ البقيعة ] ، كان جنديا في الجيش الاسرائيلي وخدم كأحد افراد حرس الحدود . والان بعد ان غير آراءه السياسية ، او على الاقل عبر عن رأيه السياسي الذي هو حق قانوني له ، حددت اقامته ضمن قريته . ولان هذا الرجل كان يمارس عمله في مدينة عكا المجاورة ، فقد

أدى ذلك الى فقدان عمله وأصبح اطفاله الخمسة بدون مصدر لعيشهم . هذه ليست حالة مؤقتة او عرضية . بل انها اشبه ما تكون بسيف ديموقليس مسلط على رؤوس كل عرب اسرائيل. ان أي من عرب اسرائيل يمكن ان يجد نفسه غدا في وضع نايف سليم او عثمان ابو راس .

**هل تعني ان لا حاجة للقوانين التي تجعل العرب معرضين لهذه المعاملة ؟**

كان هذا القانون ، في الواقع ، قانونا بريطانيا وضع اصلا ضد اليهود ويسمى « قانون الدفاع لسنة ١٩٤٥ » ، وبموجبه يخول الحاكم العسكري اصدار الاوامر ضد كل المواطنين — ولكنه في الممارسة موجه ضد كل عرب اسرائيل — والاوامر تتراوح بين تحديد الاقامة والقاء القبض والتوقيف والسجن والابعاد وأي من الاجراءات الاخرى دون ان توجد أية وسيلة قانونية للتدخل ضد احكام هذا القانون ، كما هو الحال في وضع السيد نايف سليم .

**ما هي الامور التي تقع في الاراضي المحتلة وتحتج منظمتك ضدها ؟**

اشياء عديدة نحتج ضدها ، وقبل كل شيء اجراءات تحديد الاقامة والتوقيف والسجن بدون تهمة والتعذيب ، وهي نفس الاجراءات التي تمارسها السلطة داخل اسرائيل . تجدر الاشارة هنا الى ان التعذيب يمارس في قطاع غزة اكثر مما يمارس في البقاع الاخرى من البلاد . هناك اجراءات اخرى تقتصر ممارستها على المناطق المحتلة . ففي « اسرائيل » يمكن احتجاز الافراد في السجن بدون محاكمة ويمكن اجبارهم على الاقامة في محل دون آخر دون أن يمكن نفيهم الى خارج « اسرائيل » . أما في المناطق المحتلة منذ ٦٧ فهناك مئات من حالات الابعاد ، وتشير المعلومات المتوافرة لدينا الى ان هناك ١٤٨٢ حالة ابعاد الى الاردن . وتكون الدوافع المسببة للابعاد ، في العادة ، بسيطة للغاية ، فالمعارضة الفكرية سبب مألوف جدا . ويتم اجراء الابعاد بكل سهولة ، فعادة يجيء البوليس في الساعة الثالثة فجرا الى مسكن شخص ما ويمهله نصف ساعة لاستبدال ملابس النوم وحزم حقيبة صغيرة ثم يؤخذ هذا الشخص الى الحدود الاردنية جنوب البحر الميت ، ويبعد من هناك دون ان يقدر على العودة . علما ان هذا كله يتم دون أية تهمة او محاكمة اطلاقا .

**ولكن السلطات تقول بان هذا الاجراء ينفذ « لمقتضيات الامن » ؟**

لا ... اذا كان هذا هو السبب فلماذا لا يقدم الشخص المعني للمحاكمة ويعطى فرصة الدفاع عن نفسه ، ولا تنس ان كل ما عمله هتلر كان لاسباب تتعلق بالامن . وشخصيا لا اقبل بأية سلطة تنصب نفسها مدع وحاكم وجلاد في آن واحد . وعلى أي حال من الاحوال فان النفي والابعاد عقوبة لا يجب اللجوء اليها اطلاقا . اذا ارتكب امرؤ ما مخالفة فيمكن معاقبته بالسجن، اما اذا ثبتت الخيانة العظمى عليه فيمكن اصدار حكم الاعدام بحقه . النفي عقوبة أسوأ ، لانها تفصل الانسان عن وطنه وتعزله عن عائلته ، اضافة الى انه يحرم من حق الدفاع عن نفسه . اذا نفي شخص ما الى الاردن ما الذي يقدر عمله ؟ ... لا شيء .

**ما رأيكم بالمستعمرات والاستيطان اليهودي في المناطق المحتلة ؟**

ان اقامة المستعمرات مسألة سياسية لذلك سوف لن انطرق للاجابة على الموضوع ، علما بأنني شخصيا ضد هذه الاجراءات . ولكنني اعتقد بأن اجراءات مصادرة الاراضي توجب الاحتجاج ، اذ ان بنود اتفاقية جنيف لعام ١٩٤٩ تحدد تصرفات القوى العسكرية المحتلة وتمنع بشدة مصادرة الاراضي لاغراض مدنية . واعتقد ان كل الاعراف الدولية تمنع مثل هذه المصادرات . واكرر هنا بأنني شخصيا ضد هذه المصادرة كما انني اعارض انشاء المستعمرات اليهودية في المناطق المحتلة . واذا ما قيل انه من حق اليهود ان يقيموا في الخليل مثلا ، فانه يجب في نفس الوقت ان يسمح للعرب ويكون لهم حق الاقامة في يافا مثلا . وتجب الاشارة هنا الى نقطة اخرى ، الا وهي ان اليهود الذين يستوطنون الخليل لا يعملون ذلك بمحض ارادتهم ، انهم يستوطنون بمساعدة الحكومة . فاذا كانت الحكومة تبني الشقق السكنية على اراض محتلة في الخليل ، فيا ترى لماذا لا تعمل هذه الحكومة نفس الشيء بالنسبة للعرب وتبني الشقق السكنية لهم في يافا ؟ فاما ان يكون الاجراء هذا ساريا او مانعا على كلا الطرفين . وشخصيا اعتقد بأن المساعدة على اقامة المستعمرات هو اسوأ ما يمكن ان يحدث لعرقلة السلام . واكثر

من ذلك اعتقد انها اسوأ من حالات التعذيب التي سبق ذكرها ، اذ ان التعذيب قد يقع في حالات وجود ما يهدد الامن ولكن ابعاد اناس عن ارضهم واحلال اناس اخرين غيرهم بمحلهم اعتبره اكثر خطورة اذ انه يمثل نهجا وسياسة مدروسة .

**مبادؤك هذه راديكالية رغم انك لست ماركسيا ولا اشتراكيا . حكومتك التي يفرض فيها ان تمثل نوعا من الحكم العمالي او الاشتراكي هي دون هذا الموقف الراديكالي . كيف تفسر ذلك شخصيا ؟**

في رأيي ، حين لا يكون الاشتراكيون راديكاليين في نفس الوقت فانهم يكونون أسوأ من غيرهم بكثير . والقرن العشرون مليء بالامثال — انواع من المجموعات التي تسمي نفسها اشتراكية وتتباين بأشكالها ، ولكنها حين لا تكون ليبرالية في نفس الوقت فانها تكون أسوأ من الرجعية بأشواط . ان العامل المشترك بين البشر يجب ان يكون ايمانهم ببعضهم كبشر بغض النظر عن العنصر والقومية والدين . هل من المعقول ان يتمتع المرء بحقوق معينة لانه يؤمن بقومية معينة فقط ! وهل من المعقول ان يكون مولد شخص عن ام يهودية ام غير يهودية عاملا فاصلا ؟ ان رئيسة الوزراء غولدا ماير من الوقاحة ان تقول بأنها مهمومة الليالي لانها تفكر متسائلة عن عدد الاطفال اليهود وعدد الاطفال العرب الذين يولدون كل يوم ... وهي تسمي نفسها اشتراكية . ان خلافي مع رئيسة الوزراء رئيسي ، وانا أصف موقفها هذا بأنه رجعي ومثير للاشمئزاز ، اذ ان مثل هذه المواضيع لا يمكن ان تثير الا اهتمامات اشخاص أمثال اينوك باول ببريطانيا . وشخصيا اشبه هذا الموقف ، وبدون ان أخاف التصريح بذلك ، بالمواقف النازية . أنا جندي اسرائيلي ، واذا وقعت الحرب فان الجنود العرب سيكونون أعدائي ، ولكن رغم ذلك لا يمكن ان يصبح الاطفال العرب اعدائي . شخصيا لا أجد ما يدعوني للتفكير والقلق بسبب عدد الاطفال المولودين من اليهود والعرب داخل او خارج اسرائيل . ونحن أمام رئيسة وزراء تفرق رسميا بين الاطفال المولودين بين مواطنيها ، وفيما اذا كانت امهات هؤلاء الاطفال عربيات او يهوديات . وهذا يمكن مقارنته بقلق رئيس وزراء السويد وتفكيره بعدد الاطفال اليهود الذين يولدون في السويد ، وفيما اذا كان عددهم أكثر من اللازم . ان البشرية يجب ان تتفق على مبدأ واحد على الاقل . ان الاطفال لا يمكن ان يكونوا أعداء. لا طفل من بين البشر يمكن ان يكون عدوا لي .

**هل هي مبالغة لو سميت سياسة اسرائيل الرسمية سياسة عنصرية ؟**

لا . أبدا . لقد وقفت شخصيا في الجامعة ووصفت تصريح رئيسة الوزراء المذكور بأنه ليس عنصريا فحسب بل هو نازي أيضا . ليس نازيا بالمعنى الذي تجسم في الاربعينات — وكنت آنذاك في معتقل بيركن بيلسن لمدة عامين — بل بالمفهوم النازي خلال العشرينات والثلاثينات . فقد بدأت جذور النازية في العشرينات باثارة الاسئلة حول عدد الاطفال اليهود بألمانيا ، وعن عدد اليهود الذين يحتلون كذا وكذا من المناصب . هذه كانت بداية النازية . أنا أحد الافراد الذين يحترمون القانون في مجتمعنا هذا ، وأعتقد بأن هذا المجتمع يشهد عملية تحويل نحو النازية ، وأجد انه من واجبي ، كما كان من واجب كل الماني قبل ٣٠ — ٤٠ عاما ، ان استخدم كل الوسائل القانونية لايقاف عملية التحويل هذه التي تمارس في مجتمعي وبين شعبي .

**ولكن ما الذي يمكن عمله في هذا المجتمع . أليس من الصعب ان يوفق المرء بين المثالية والصهيونية؟**

لا ليس صعبا . نحن بحاجة الى اناس عندهم الجرأة للاعلان عن الحقيقة ، خاصة وان عملية التحويل الى النازية قائمة على قدم وساق . ان النازية لم تنتصر في المانيا لكثرة معتنقيها بل لكثرة الالمان الذين لم يجدوا الجرأة ليقولوا بأن النازية بربرية وسوف تؤدي الى انهيار المجتمع من الداخل . والذي أرجوه من التعبير عن رأيي علنا وبدون تخوف هو المساهمة بايضاح الحق وتجنيد أكبر عدد ممكن من ابناء مجتمعي وبلدي لاثارة موضوع التحويل الى النازية والحيلولة دونه .

**معظم الناس في اوروبه الغربية يعتقدون بان في اسرائيل ديمقراطية حقيقية . فهل تسمي هذا النظام ديمقراطيا ؟**

قبل أي شيء ، لا يتمتع الاسرائيليون العرب بأي نوع من الديمقراطية ، كأن هؤلاء يعيشون في بلد آخر وتحت حكم مختلف كليا . وقد تردى الوضع في السنوات الاخيرة حتى بالنسبة لليهود . وشخصيا اعتقد بأن الوضع سيستمر بالتردي لفترة ما قبل ان يبدأ بالتحسن . ولكني اريد ان أؤكد على سؤال طرحته قبلا : كيف يكون بلد ما

ديمقراطيا حين تفرق رئيسة الوزراء فيه بين الاطفال ؟

**انك لا توافق على الراي الشائع في اسرائيل بضرورة مثل هذه السياسة لمتطلبات الامن ؟**

ان معظم حالات تحديد الاقامة لا مبرر او حاجة لها . ولكنني رغم هذا اخترت ان اتكلم عن حالة الاطفال لادلل على ما أذهب اليه ، اذ لا يمكن للمرء ان يجد تفسيرا مقبولا لاضطهاد الاطفال . ربما يمكن ايجاد تفسيرات لاضطهاد البالغين ولكن ليس بالنسبة للاطفال . واذا اصبح الطفل عدوا ، فلم يعد هنا اي مجال للمقارنة بين الصحيح والخطأ . وهذا لا يعني انعدام الديمقراطية فحسب بل يعني ان الدولة لا تكلف نفسها جهد تبرير اعمالها كما كان الالمان النازيون يبررون اعمالهم . شخصيا افضل ان ارى البلد اقل ديمقراطية شرط ان تكون له قوانين تساوي بين كل المواطنين . وفي اسرائيل لا تنطبق القوانين على كل المواطنين ، بل تفاضل بينهم تبعا للعنصر او الدين او القومية . نحن اليهود لا يمكن ان نتسامح ونغض النظر عن مثل هذا الاضطهاد اذا كان موجها ضد اقلية يهودية في أي بلد من بلدان العالم . ولذلك يجب علينا الا نتسامح تجاه الاضطهاد اذا كانت اسرائيل ترتكبه ضد اقليات اخرى .

**متى جئت « اسرائيل » ؟ ورجوعا بالذاكرة ، هل خابت آمالك ؟**

خيبة أملي كبيرة جدا . انني غير مفاجأ بالاضطهاد او الافتقار الى الديمقراطية ، بقدر ما انا خائب الامال لهذه الاكثرية الصامتة التي لا تهتم بالذي يحدث حولها . وهذا بالذات دعاني الى عقد المقارنة بين اسرائيل والمانيا . ان الذين يؤيدون اضطهاد العرب الان يمثلون أقلية ، على الاقل هم اقلية الان ولعدد من السنوات المقبلة . ولكن الاكثرية الساحقة غير مبالية بما يدور حولها ، فهي منشغلة بمشاهدة التلفزيون والافلام وتعمل لتحقيق اكبر دخل ممكن بشكل قانوني او لا قانوني . لقد قدمت الى هنا عام ١٩٤٥ وعلي ان اقول بأن خيبة أملي كبيرة جدا .

**هل يتحول المجتمع الى مجتمع رأسمالي ؟**

لا اريد تسمية ذلك بالرأسمالية ، فهناك مجتمعات رأسمالية ولكن الاكثرية فيها تبدي اهتمامات بما يدور حولها . ان الموضوع في غاية البساطة ، فنحن نتحول الى شعب مضطهد ( بكسر الهاء ) فمنذ خمس سنوات ونصف نضطهد مليونا من ابناء شعب آخر . ان استخدام القوة يؤدي الى طريق واحد : الحماقة . فالمرء لا يجد تبريرا معقولا للاضطهاد القائم في المناطق المحتلة ، انها الحماقة بعينها . فضباط الاستعمار البريطاني تحولوا الى ما يسمى « عميان الاستعمار » بمعنى انهم كانوا أشخاصا لا يستعملون تفكيرهم ، بل هم حمقاء فحسب . وهذا حالنا بالضبط ، فطالما نحن نمارس الاضطهاد في المناطق المحتلة فمكتوب علينا ان نصبح اكثر حماقة واكثر لاابالية . اذا لم نعط السكان في اسرائيل والاراضي المحتلة الحرية ، فان الاضطهاد سيزداد يوما بعد يوم ، وفي النهاية ستنقلب المعاناة علينا . واذا رجعنا الى التاريخ السويدي مثلا فاننا نجد خير مثيل لحالتنا اليوم . ففي القرن السابع عشر شنت السويد حربا سمتها حربا دفاعية احتلت بنتيجتها عددا من المناطق في عدد من البلدان منها الدنمرك والمانيا ، كل ذلك بحجة تأمين طرقها التجارية والتي تهدد وجود البلاد ككل . وكانت هذه حجتنا ايضا . ونتيجة للانتصارات العسكرية التي حققها السويديون أغدق ملك فرنسا مساعدته لهم . وهذا ينطبق على المساعدات التي يقدمها لنا رئيس الولايات المتحدة . وقد أدت الحرب السويدية الى قيام حكم استبدادي شبيه بوضع حكومتنا الاستبدادي اذ انها لا تعتمد بمواردها على الضرائب التي تجبيها من ابناء الشعب في الداخل بل من مواردها من الخارج . وهنا يمكننا القول بأن انتصاراتنا لم تعد تجدي كما كانت نتيجة انتصارات ملك السويد كارل الثاني عشر بدون معنى . واذا استمرينا بالمقارنة فما علينا الا ان نقول بأن السويد اندحرت حين ظهر القيصر الروسي بطرس الاكبر الذي استمر يحارب السويديين رغم اندحاره في البداية وتمكن من تحقيق النصر . فاذا برز في الطرف العربي زعيم كبطرس الاكبر ، زعيم يستمر بالقتال رغم الخسارة ، الى ان يحقق النصر الذي يشبه النصر الروسي . فكما لم يكن للسويد ما تعمله في روسيا والدنمرك والمانيا ، فلا مصلحة لاسرائيل في فرض نفوذها على مليون فلسطيني . ربما سنصبح اذكياء ونكتشف الحقائق ونفيق الى رشدنا كما فعل السويديون . ولكن السويديين لم يفيقوا الى رشدهم الا بعد ان اندحروا في حرب شرسة .

# تقرير حول احداث ميونيخ

## لجنة مناصرة الحركـــات الثورية
## في المنطقة العربية
## ( فرانكفورت )

كانت لحادث ميونيخ المشهور في صباح الخامس من سبتمبر ( ايلول ) الماضي في المدينة الاولمبية ردود فعل مختلفة كميا ونوعيا سواء على الصعيد العربي أم على الصعيد العالمي . ونظرا لاهمية هذا الحدث ونتائجه نرى أنه من الضرورة القصوى القاء نظرة قصيرة على الاحداث ذاتها والاشارة الى الخلفيات التي أدت الى رد فعل الامبريالية الالمانية ، ثـم نشر مواقف المعسكر الاشتراكي الرسمية. ان القيام بذلك هو محاولة متواضعة لاعلام العمال والطلاب العرب في المانيا الغربية ، خاصة ، بهذه الحقائق خصوصا لعلمنا أنه لم يصدر حتى الان اي شيء عن هذا الموضوع البالغ الاهمية باللغة العربية . ولا يهدف تقريرنا الى تحليل الحادث وتقييمه حيث ان ذلك يتطلب تحليلا علميا واسعا للمراحل المختلفة التي مرت بها المقاومة الفلسطينية والتعرض الـى وضعها الراهن ، الشيء الـذي يتطلب دراســة تحتاج وقتا طويلا ، ونرجو ان تتمكن لجنة مناصرة الحركات الثورية في المنطقة العربية من القيام بذلك في وقت لاحق .

**نظرة على وقائع العملية :**

على الرغم من علمنا بان العرب قد تتبعوا وقائــع عملية ميونخ ، الا أنه من الضروري سرد الوقائع مرة اخرى — وباقتضاب — لاعطاء صورة متكاملة من جهة ، ولكي تكون في متناول كل عربي يصل اليه هذا التقرير من جهة اخرى .

قامت مجموعة من منظمة أيلــول الاسود في يــوم الثلاثاء الموافق ١٩٧٢/٩/٥ الساعــة السادســة صباحا باقتحام مبنى الوفد الاسرائيلي في القريــة الاولمبية وتمت السيطرة عليه فورا . وحاول بعض افراد البعثة الاسرائيلية التعرض لافشال العملية مما أدى الى قتل بعض افراد البعثة وجرح البعض الاخر واستسلام الباقين . ثم بدأت الامور تســير بالشكل التالي :

١ — حاصرت الشرطة الالمانية المبنى بهدف الهجوم عليه لكنها انسحبت بعد انذار اعضاء المنظمــة .

٢ — تلا ذلك توزيع البيان الاول الذي تضمن المطالب التالية من الحكومة الصهيونيــة : الافراج عــن مجموعة من الاسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال. الافراج عن الياباني الاسير الذي اشترك في عملية مطار اللد ، الافراج عن الفلسطينيتين تريز هلسة وريما عيسى اللتين اشتركتا في عملية اللد الاولى ، ثم الافراج عن الضباط السوريين والضابط اللبناني الذين اختطفوا في عمليــة ترصنة ومجموعة مــن الاسرى المصريين . اجراء مفاوضات مباشرة او غير مباشرة مع السلطات الالمانية لخروجهم من الاراضي الالمانية وتسليم الرهائن في حال استجابة الحكومة الصهيونية لمطالبهم .

٣ — اعلنت حكومة اسرائيل عن عدم استجابتها لاي مطلب وتركت الامر للسلطات الالمانية . مضت فترة الانذار وبعدهـــا وسطت المانيــا عميد السلــك الدبلوماسي العربي — السفير التونسي محمــود المستيري — في التدخل لتمديد فترة الانذار وذلــك بحضور وزير الداخلية الالماني ( جينشر ) ومديــر الشرطة وعمدة ميونخ الذين وعدوا بتنفيذ المطالب وطالبوا بالمزيد من الوقت .

٤ — مضت مدة الانذار الثانية وجاءت السلطــات الالمانية لتعرض مبلغا من المال مقابل تسليم الرهائن وخروج الفلسطينيين بسلام . وكان الرفض طبيعيا واعلن الفدائيون الفلسطينيون انهم ليسوا بقتلة او سفاكي دماء وان هؤلاء الرهائن جنود في جيــش الاحتلال الصهيوني وربما اسهموا في قتل الشعب الفلسطيني ، ثم قدموا عرضا اخيرا وهو ان تهيء الحكومة الالمانية ثلاث طائرات مدنية تنقل كل منها مجموعة الى المكان المقترح ، وتعهد الفلسطينيون بعودة الطائرات سالمة وبالاحتفاظ بالرهائن في اي بلد غير المانيا الى ان تستجيب حكومة الصهاينة الى مطالبهم وتحدد لهذا العرض توقيت نهائي غير قابل للتمديد — مدة ساعتين تنتهي في العاشرة بتوقيــت ميونخ .

٥ — بعد محاولة فاشلة اخرى من قبل السلطات بتجديد العروض المالية عرضت السلطات علــى الفدائيين الفلسطينيين ان ينتقلوا مع وزير الداخلية ومدير الشرطة وبعض المسؤولين الالمان بثــلاث

طائرات هليكوبتر علـــى أن تتم عمليــة خــروج الفلسطينيين والرهائن بطائرة واحدة . استجاب الفلسطينيون بعد ان اتخذوا احتياطات الامن .

٦ ــ عندما طالت المسافة بين المدينة الالمانية والمطار تأكد الفلسطينيون من ان هناك مكيدة نصبت لهم ، بعد اعلامهم من قبل السلطات بان طائرة البوينــغ تنتظرهم دفعوا باثنين منهم لفحص الطائرة للتأكــد من خلوها من السلاح او من « مفاجئات » اخرى . وفجأة اطفئت الانوار وبدأت الكمائن الالمانية تطلق النار من كل اتجاه . عندها فجر الفدائيون قنابلهم بطائرات الهليكوبتر ممـــا ادى الى استشــهادهــم ومقتل الرهائن وبعض الطيارين الالمان .

**رد فعل الامبريالية الالمانية وخلفيات هذا الرد :**

حتى نتمكن من فهم رد فعل السلطات الالمانية على حوادث ميونخ يجب توضيح الخلفيات ، ثم الدور الهام الذي تقوم به الامبريالية الالمانية في منطقــة الشرق الاوسط وذلك يقودنا الى القاء نظرة علـــى العلاقات والتعاون بين الامبريالية الالمانية من جهـــة وبين دولة اسرائيل والرجعيات العربية من جهـــة اخرى ، وذلك على الاصعدة التالية : الصعيــد **الاقتصادي والعسكري** ، « **الابحاث العلميــة** » ، الصعيد **السياسي ــ الدبلومــاسي** ، والصعيــد **الدعائي** .

١ ــ نشرت صحيفة « زود دويتشي تسايتونج » التي تصدر في ميونخ بتاريخ ١٩٧٠/٣/٩ ان اسرائيل تصرف في يوم حربي واحد مبلغ ٣ر٢ مليون دولار . هذه المصاريف لا يمكن تغطيتها من القوى الذاتية . حسب احصائيات « وزارة الدفــاع الاسرائيلية » بلغت مصاريف « الامن » في عام ١٩٦٦ ــ اي قبل العدوان بسنة ــ مبلغ ٤ر٣ مليار ليرة اسرائيلية . اما الانتاج القومي داخل اسرائيل فقد ازداد بنسبة ثلاثة اعشار في المئة من عام ١٩٦٦ حتى عام ٦٨/ ١٩٦٩ . فمن اين اذن تحصل اسرائيل علـــى هذه المبالغ الضخمة التي تمكنها من القيام باعتداءاتهـــا المتواصلة ومتابعة تنفيذ مخططاتها التوسعية علـــى حساب الشعب العربي ؟؟؟ . والاجابة على ذلك في منتهى البساطـــة وهي انه بجـــانب المساعـــدات السخية من قبل الامبرياليـــة الامريكيـــة ، أهدت الامبريالية الالمانية دولة الاحتلال الصهيوني مبلـــغ ٤٥ر٣ مليار مارك الماني تحت اسم « تعويضات لاسر اليهود الذين قتلهم النازيون » تدفع على اقســـاط سنوية لغايـــة عام ١٩٧٥ . هـــذا بالاضافة الى القروض التي تمنحها المانيا الغربية لاسرائيل والتي بلغت في السنوات الخمس الاخيرة حـــوالي ١٥٠ مليون مارك سنويا ( صحيفة هامبورغر آبند بلات ١٩٧٠/٨/١٦ ) .

لقد طالبت جمعية الصداقة الاسرائيلية الالمانية التي تأسست عام ١٩٦٢ في مدينة فرانكفورت باعطـــاء اسرائيل مبلغ نصف مليار مارك لتتمكن من احـــراز تطور سريع في المجال الاقتصــادي « للتطور من اجل السلام» كما زعم سفير اسرائيل في المانيا عام ١٩٧٠ (دي فيلت ١٩٦٨/١٠/٢٤) . هذه الارقام نشرت في الصحف الالمانية نفسها وتعطي صورة واضحة عن الدعم الهائل من قبـــل الامبريالية الالمانية لدولـــة اسرائيل وما خفي كان أعظم .

أما على الصعيد العسكـــري فقد نشرت صحيفـــة «دي فيلت» بتاريخ ١٤ يناير ١٩٥٨ ان المانيا تقوم بتدريب خمسين ضابطـــا اسرائيليـــا في مدارسهـــا العسكرية وان هناك بعثة من الخبراء العسكريين الالمان في اسرائيل مهمتها المساعدة في بناء قـــواعد للصواريخ لمساعدة الجيش الاسرائيلي . ثم نشرت مجلة « در شبيغل » الاسبوعية الالمانية في عددهـــا رقم ٩ عام ١٩٦٥ قائمة بانواع الاسلحة المختلفة التي صدرتها المانيا الغربية لاسرائيل حسب اتفاقية سرية بين البلدين وكان حجمها كالتالي :

أ ــ ٦٠ طائرة نقل وهليكوبتر . ب ــ حوالي ١٠٠ عربة اسعاف . ج ــ ٤٠ ــ ٥٠ سيارة شحن . د ــ اعداد غير معروفة من الصواريخ المضادة للدبابات. هـ ــ اكثر من مظلة هبوط ( براشوت ) . و ــ ٦٠ دبابـــة . ز ــ قـــوارب حربية سريعـــة . ح ــ غواصتين . هذا بجانب اعداد وكميات غير معروفة من الاسلحة الاوتوماتيكية والرشاشات والذخـــيرة الخ ...

عدا ذلك قامت المانيا الغربية بمساعدة اسرائيل في بناء خمس محطات لتوليد الكهرباء ، الاسطـــــول التجاري ، شبكات المواصلات والتلغراف ، مصافي البترول وميناء ايلات والترسانة البحرية في حيفا . يضاف الى ذلك العديد من البنوك برأس مال الماني اسرائيلي لتمويل المشروعات المختلفة .

٢ ــ اما على صعيد ما يسمى بـ « الابحاث العلمية » فقد تجسدت مساعدة الامبريالية الالمانية في تشييد محطة ذرية عام١٩٥٦ في ديمونا تنتج ٨ كيلوغرامات يورانيوم ، المادة التي تستخدم في صناعة القنابل الذرية . لقد دفعت المانيا الغربية للابحاث في هذا

المجال ٢٥٠ مليون مارك لاسرائيل وارسلت علماء للمشاركة في تطوير العمل ( مجلة كولنر شتادت انتسايغر ١٩٧٠/٣/٤ ) .

٣ — وعلى الصعيد السياسي الدبلوماسي يتضح من تصريحات المسؤولين المختلفة مدى العلاقة بين الامبريالية الالمانية واسرائيل والتي بدأت في اوائل الخمسينات ايام اديناور عندما صرح لصحيفة اسبوعية يهودية « سيعرف حتما من قبل جميع دول العالم ان اسرائيل هي الممثل الشرعي الوحيد لليهود في العالم » . حتى اثناء العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ لم يتوقف تصدير الاسلحة من المانيا الى اسرائيل الذي كان له اثر فعال في السياسة العدوانية التوسعية لاسرائيل وقد صرح وزير خارجية المانيا حينذاك — فون برنتانو — ان المانيا الغربية لن توقف التصدير حتى في حالة اصدار قرار من الامم المتحدة ضد اسرائيل بانزال عقوبات اقتصادية او غيرها حيث ان المانيا ليست عضوا في هذه الهيئة وعليه فانها غير مقيدة بقراراتها .

وبعد عدوان يونيو ١٩٦٧ لم يخف ممثلو الامبريالية الالمانية شعورهم تجاه النصر الذي احرزته اسرائيل وقد عبر السفير الاسرائيلي لصحيفة « دي فيلت » في ٩ يونيو ٦٧ عن شكره العميق للموقف المناصر والصديق لالمانيا الغربية تجاه اسرائيل ، وعن فرحه واغتباطه بالمساعدات الفعالة التي حصلت عليها دولته اثناء العدوان . ويدعم هذه السياسة تصريح براندت المستشار الحالي لالمانيا الغربية اذ قال « بعد كل ما حصل لليهود في اوروبا باسم الالمان لا يمكن التحدث في المستقبل عن « حياد القلوب » اي ان اسرائيل يجب ان تدعم لتدافع عن كيانها وتطورها » .

٤ — اما على الصعيد الدعائي فيكفي ما ينكر يوميا في الصحف والمجلات الالمانية عن اسرائيل « البلد الذي يصنع المعجزات » الخ ...

هذا الاستعراض المختصر للدور الذي تلعبه المانيا الغربية يقودنا الى فهم حتمية الاعمال الفاشية التي قامت بها السلطات الالمانية كرد فعل على حوادث ميونخ تجاه الرعايا العرب عامة والفلسطينيين خاصة المقيمين في المانيا بالتعاون مع المخابرات الاسرائيلية . ماذا كانت مواقف المسؤولين الالمان؟ وما هي الاعمال التعسفية التي قامت بهاالسلطات الالمانية ؟ هذا ما سنلقي نظرة عليه ولنبدأ بتصريحات المسؤولين :

١) بدأ رئيس جمهورية المانيا حديثه حول احداث ميونخ بالتساؤل عمن يقع ذنب ارتكاب هذه « الجريمة » ويجيب بنفسه : — بالدرجة الاولى على منظمة اجرامية ارهابية تعتقد ان الكراهية وسفك الدماء هما سبيل وامكانية للصراع السياسي . وبالدرجة الثانية يقع الذنب على الدول التي لا تعمل شيئا لمنع هؤلاء المجرمين من تنفيذ اعمالهم ( المقصود بطبيعة الحال الدول العربية ) .

٢) طالب رئيس حزب المعارضة ( الحزب الديمقراطي المسيحي ) — وهو الحزب الذي يحمي مصالح الرأسماليين — طالب الحكومة الالمانية بحظر ٥٠ منظمة اجنبية في المانيا المعروف عنها انها تؤيد استعمال العنف كوسيلة لتحقيق اهداف سياسية وطرد جميع اعضائها من المانيا الغربية بغض النظر عن جنسيتهم اذ انها ( اي هذه المنظمات ) تعمل مع عناصر المانية راديكالية مما يؤدي الى زيادة خطورة تهديد مصالح وامن الدولة . ثم طالب ايضا بوقف « المعونات » التي تقدم للدول العربية اذا اتضح انها ، او قسما منها، يستخدم لدعم ما اسماه المنظمات السياسية الارهابية ( أي المقاومة الفلسطينية ) وطلب من الحكومة ان تعمل بشكل ايجابي وفعال على تجنيد وسائل الاعلام حتى يتمكن الشعب الالماني الغربي من التعرف على معنى وخطورة هذه المنظمات .

٣) صرح عمدة مدينة برلين انه من الضروري القضاء على كل المنظمات الالمانية الارهابية ( ويقصد بذلك اليسار الالماني ) التي تساعد وتدعم هذه المنظمات الارهابية ( الفلسطينية ) والتي تهدد امن ومصالح المانيا الغربية بشكل فعال ومستمر .

٤) صرح عضو الحزب الاشتراكي الديمقراطي الحاكم والمعروف « بصداقته القوية وصلاته الوثيقة والحميمة مع الدول العربية » والذي زار العديد من الدول العربية لاجراء مفاوضات من اجل اعادة العلاقات الدبلوماسية مع المانياالغربية ( المدعو فيشنفسكي ) — صرح بان المانيا الغربية لا توافق على ابقاء رعايا يعملون او يدرسون داخلها طالما انهم يدعمون الاعمال الارهابية او يوافقون عليها .

هذا الى جانب العديد من تصريحات رؤساء

وزارات ووزراء داخلية المقاطعات والمحافظات الالمانية المختلفة بدون استثناء .

**الطرق التي استخدمتها السلطات الالمانية لارضاء اسرائيل :**

١ — قامت حملة اعتقالات مسعورة في جميع المدن الالمانية بمساعدة المخابرات الاسرائيلية ( كالادلاء بمعلومات عن « المخربين » ... الخ ) ، وبدأت بتفتيش منازل الطلاب والعمال العرب المعروفين بقيامهم بنشاط اعلامي للقضية الفلسطينية وكان يتم ذلك عادة في ساعات الصباح الباكرة جدا ( بين الساعة الثالثة والخامسة ) وتعطى للمقبوض عليهم فرصة عشرين دقيقة لحزم امتعتهم ثم يقادون الى المطارات المختلفة ويرغمون على الرحيل الى دول يعلمون تماما ان التعذيب والسجن سيكون بانتظارهم فيها وقد طردت أغلبية الشبان والشابات الى الاردن او الى المناطق المحتلة . هذه الاعمال الهمجية التعسفية تتنافى مع ابسط الحقوق المدنية التي يمكن ان تعطى للاجنبي للدفاع عن نفسه وحقوقه . لقد استخدمت القوانين النازية من عام ١٩٣٣ وطبقت بشكل لم يسبق له مثيل منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية .

٢ — في الفترة الواقعة بين الثامن والرابع والعشرين من سبتمبر ( ايلول ) ١٩٧٢ رفضت المانيا الغربية السماح لـ ١٥٤١ عربيا بدخول المانيا ، وذلك حسب تصريح وزارة الداخلية الالمانية .

٣ — طوال الفترة التي تلت الاحداث لم يصدر اي تصريح من اي مسؤول الماني عن عدد واسماء الذين طردوا من المانيا ورفضوا رفضا باتا اعطاء اية معلومات بهذا الشأن بحجة ان ذلك قد يؤدي الى المخاطرة بارواح رعايا اخرين . هذا من جهة السلطات اما الدور الذي لعبته وسائل الاعلام الالمانية في تعبئة الجماهير بطريقة مفضوحة ضد كل ما هو عربي فسنتعرض له في القسم الثاني من هذا التقرير .

ولا نريد في هذا المجال التعرض لمواقف الدول العربية المختلفة وصحافتها والى اي مدى « حاولت المشاركة » في فضح وتعرية الامبريالية الالمانية وموقفها العدائي من الجماهير العربية وهنا تكفي الاشارة الى كتابات « العلامة » رئيس تحرير جريدة الاهرام المصرية محمد حسنين هيكل والى الغالبية العظمى من الصحافة العربية عموما مع استثناء بعض المجلات الاسبوعية اليسارية الصادرة في بعض الدول العربية .

**نظرة على العلاقات بين الامبريالية الالمانية والدول العربية :**

ما زالت العلاقات الاقتصادية بين المانيا الغربية والدول العربية وثيقة رغم موقف المانيا من اسرائيل فالميزان التجاري يتصاعد في صالح المانيا الغربية والتي تقدم ايضا مساعدات وقروض للدول الرجعية وانظمة البرجوازية العربية الصغيرة . والدليل على ذلك تراجعات الانظمة العربية بشقيها واعادتها للعلاقات الدبلوماسية في حين لم تغير المانيا من موقفها الثابت تجاه اسرائيل .

تلعب الاحتكارات الالمانية دورا اقتصاديا كبيرا في المنطقة العربية فنجد ، على سبيل المثال ، ان ١١٪ من واردات الاردن من المانيا الغربية و ١٠٪ من واردات العراق و ٩٪ من واردات المغرب و ٧٫٥٪ من واردات كل من تونس وسوريا والسودان وليبيا ومصر ولبنان . اما بالنسبة للصادرات لالمانيا فهي ١٢٪ من الجزائر ، ٢٣٪ من ليبيا و ١٢٪ من السودان هذا علما بأن الصادرات العربية في مجملها مواد خام تستخدم في الصناعات بينما صادرات المانيا من المواد المصنعة والاستهلاكية . كما تقوم المانيا بتمويل مشاريع عديدة للتنمية في بلاد عربية كالاردن في خطته الثلاثية للتنمية ٧٣ — ١٩٧٥ ففي قطاع المواصلات والنقل ستغطي المساعدات والقروض الالمانية هذه المشاريع وتمويل مشاريع زراعية لحاجتها الى منتوجات الاغوار وتساهم في بعض الصناعات واستخراج مواد تعدينية ويقوم بنك الاعمار الالماني بتمويل مشروع سكة حديد حطية — العقبة وقد بلغت القروض الالمانية الغربية للبنك الاردني ٣٠١ مليون مارك في عام ١٩٧١ .

وفي السودان قدمت المانيا قرضا قدره ٤٠ مليون مارك قبل اعادة العلاقات وتساهم في مشروعات تعمير الجنوب . وقد قام وفد اقتصادي الماني يصحبه سفير السودان في المانيا بزيارة للسودان وتسهم مع البنك الدولي في مشاريع تحسين سكك الحديد في السودان . اما في مصر فان المانيا تشترك في تمويل مشروع مد أنابيب البترول . وقد قدمت المانيا مساعدات للحكم المغربي قدرها ٥٠٠ مليون مارك ، ودعمت اليمن الشمالي

باسلحة قيمتها مليوني مارك بالاضافة الى مساعدات اخرى في المشروعات الاقتصادية ، كما حصلت شركة دومينكس الالمانية الغربية على امتيازات التنقيب عن البترول في ابو ظبي .

هذه اللمحة السريعة توضح كيف ترتمي الانظمة الرجعية العربية في احضان الامبريالية الالمانية وتوضح عجز الانظمة الوطنية عن قطع علاقاتها نهائيا مع السوق الامبريالية العالمية .

**مواقف « المعسكر الاشتراكي » من عملية ميونخ وتصرفات السلطات الالمانية الغربية :**

كانت مواقف الدول الاشتراكية ( والمسماة اشتراكية ) من عملية ميونخ وما لحقها من أعمال تعسفية متشابهة بشكل او باخر مع التشديد على جانب او اخر وعادة كانت هذه الدول تضمن موقفها السلبي من العملية ذاتها موقفا ناقدا لتصرفات الحكومة الالمانية الغربية وسلطاتها . واعتمادا على ما نشر في الصحف الالمانية نورد امثلة على هذه المواقف :

ورد أول تعليق من المانيا الديمقراطية ففي خبر لوكالة انباء المانيا الديمقراطية جاء ان الدوائر الرسمية في العاصمة ( برلين الشرقية ) قد ادانت الجريمة البشعة بشدة واضافت ان المانيا الديمقراطية لا تعترف بأن الارهاب وسيلة لبلوغ الاهداف السياسية ( زود دويتشي تسايتونغ ٧٢/٩/٦ ) . وبعد ان شرعت المانيا الغربية بطرد العرب وملاحقتهم كتبت صحيفة « النويس دوتشلاند» الصادرة في برلين الشرقية مقالا ادانت فيه بلهجة شديدة طرد العرب من المانيا الغربية واضافت ان تاريخ اوروبا الحديث لم يشهد مثيلا لهذه التصرفات . وقد ابدت الصحيفة تحفظها تجاه عملية ميونخ وقالت ان هذه العملية كانت حجة استخدمتها السلطات الالمانية الغربية لملاحقة العرب واضافت ان اشراك المخابرات الاسرائيلية مع السلطات الالمانية يجعل من هذه الاخيرة شريكا للمعتدين . ( الصحف الالمانية الغربية في ١٣/١٠/١٩٧٢ ) .

وفي وليمة اقيمت تكريما للرئيس العراقي احمد حسن البكر عند زيارته لموسكو ندد بودغورني بعملية ميونخ والعمليات الاخرى التي تضر بالقضية الفلسطينية ( صحف ١٦ — ٧٢/٩/١٧ ) . وبتاريخ ١٩٧٢/٩/٨ جاء في الصحف الالمانية ( مثلا « زود دويتشي تسايتونغ » ) ان وزارة الخارجية اليوغوسلافية أعلنت ان عملية ميونخ كانت عملية جنونية اضرت بمصالح الشعب العربي. وجاء ، نقلا عن وكالة الانباء الالبانية ان الشعب الالباني الذي وقف وما يزال يقف الى جانب الشعب الفلسطيني يدين هذه العملية المقيتة ، واضافت الوكالة ان الهجوم الذي شنه الفلسطينيون في ميونخ لا يخدم الكفاح العادل ضد المعتدين الصهاينة . كذلك ادانت الصحافة الهنغارية عملية ميونخ فقد كتبت صحيفة الحزب « ان الاساليب التي يستخدمها الاستعمار في حروبه العدوانية للاحتلال لا يمكن ان تستخدم في القضايا العادلة » وأدانت السلطات الالمانية الغربية لانها هي التي تسببت في الضحايا .

وفي العاشر من سبتمبر ( ايلول ) أعلن تيتو انه يعارض بشكل مطلق ما قام به الفلسطينيون في ميونخ وقال ان العملية الشيطانية لها أهداف شيطانية وهي صب حقد العالم على العرب .

اما الصين الشعبية فقد أعرب عن موقفها مندوبها في الامم المتحدة الذي أعلن انه يعارض الاعمال الفردية كالارهاب الفردي او خطف الطائرات ... الخ — ( زود دويتشي تسايتونغ ١٩٧٢/١١/٢٣ ).

## تقرير
## عن اعمال الاحتجاج ضد طرد العرب وضد حل الاتحادات الطلابية والعمالية الفلسطينية في المانيا الاتحادية

بعد قيام السلطات الالمانية بطرد المئات من الطلبة والعمال العرب عامة والفلسطينيين خاصة بأساليب فاشية — كما ذكرنا في التقرير الشامل — توافد على العاصمة بون العديد من الطلبة الفلسطينيين من مدن فرانكفورت ، بون وآخن معربين عن احتجاجهم بالاعتصام في مقر الجامعة العربية هناك والبدء بالاضراب عن الطعام وذلك يوم الجمعة الموافق ١٩٧٢/٩/٢٩ وكانوا يبغون بذلك تحقيق هدفين رئيسيين هما :

اولا — تفويت الفرصة على السلطات الهادفة الى القبض عليهم وترحيلهم فورا دون منحهم الحق في الدفاع القانوني عن « التهم » الموجهة اليهم ، وحتى لا تعطى الفرصة للشرطة الالمانية والمخابرات الاسرائيلية بالاعتداء عليهم بالضرب أثناء التحقيق معهم كما حصل في بعض الحالات .

ثانيا — تقديم مطالبهم الى الحكومة الالمانية وهي :

١ — الايقاف الفوري لاعمال الملاحقات والاعتقالات والترحيل التي تجري ضد الفلسطينيين والعرب .

٢ — تقديم الاثبات المادي من قبل الحكومة الالمانية على انهم وجميع من رحلوا والمقبوض عليهم « يمثلون خطرا على مصالح المانيا الغربية » .

٣ — كشف جميع المخططات التي تزمع الحكومة الالمانية تنفيذها مستقبلا ، ثم كشف الاشتراك المباشر للمخابرات الاسرائيلية في عمليات الاعتقال والطرد .

ومن ثم طرح المضربون التساؤل التالي : هل أصبحت المانيا الاتحادية دولة فاشية تحكمها الديكتاتورية العسكرية كما هو الحال في اليونان ، اسبانيا ، تركيا واسرائيل ؟؟؟ وتوجهوا الى الشعب الالماني يطالبونه بمساندة المقاومة الفلسطينية .

بدأ رد الفعل من قبل المنظمات الطلابية الشيوعية والتقدمية وبعض المنظمات الليبرالية ، وذلك بالقيام بشرح الحق العادل والمشروع للشعب الفلسطيني في الدفاع والقتال من أجل استرداد حقوقه القومية والرجوع الى وطنه المحرر ، ثم بالهجوم الشديد على ماهية القوانين الالمانية الغربية الرجعية الخاصة بالاجانب ، وعلى طريقة استخدامها وتطبيقها ضد الرعايا العرب عامة والفلسطينيين خاصة . وقد تم ذلك يوميا في جميع المدن الالمانية الكبيرة حيث وزعت مئات الالاف من المنشورات حول هذا الموضوع . ولقد قام اعضاء هذه المنظمات بتوزيع انفسهم الى مجموعات صغيرة انتشرت في المناطق الحساسة والرئيسية من المدن المختلفة لتوزيع المنشورات على المارة لكشف ما تقوم به السلطات الالمانية ولايضاح الموقف على حقيقته للرأي العام الالماني . لم يحظ هذا العمل بنجاح وصدى واسعين الا في أروقة الجامعات والمعاهد حيث ان الطلاب الشيوعيين واليساريين « يسيطرون على الموقف بشكل فعال » . اما بخصوص عامة الشعب فان الصحافة الالمانية المعروفة بعدائها الشديد للعرب وبترابط اصحابها الذين يمثلون مصالح رأس المال الالماني ترابطا عضويا مع حليفتهم اسرائيل ( ولا سيما صحف الرجعي أكسل شبرنغر ومجلاته الاسبوعية الواسعة الانتشار ) — هذه الصحف تمكنت من استغلال حادثة ميونخ لتعبئة الجماهير التي كانت مشدودة بلهفة جنونية الى الالعاب الاولمبية ، تعبئة شاملة وكاملة ضد كل ما هو عربي ، وخلق العداء الشديد ضد العالم العربي ووصف كل المقاومة الفلسطينية بأنها مجموعة من الارهابيين كل همها اثارة الرعب والقلق بين المواطنين الامنين في الخارج والقضاء على اليهود داخل اسرائيل وخارجها .

وقد قامت الصحافة وجميع وسائل الاعلام بهذه المهمة على أكمل وجه وتمكنت بالفعل من خلق هذه الروح العدائية التي كان من مظاهرها ان اعتدى بعض المارة الالمان بالضرب على اشخاص اشتبه انهم عرب ثم كان يتضح « بعد فوات الاوان » انهم اسبان او ايطاليون الخ...

كان ذلك عرضا سريعا وملخصا لردود الفعل التي بدرت من التنظيمات اليسارية الالمانية سواء على الصعيد الطلابي او الجماهيري .

ومن الجدير بالذكر هنا الدور الرئيسي والفعال والمنظم الذي قامت به كنفدرالية الطلبة الايرانيين في المانيا وكافة دول اوروبا الغربية والولايات المتحدة ، ذلك الدور الذي كان له اكبر الاثر في كسر الطوق الاعلامي الذي فرضته المانيا الغربية حول ما يدور داخلها ، ثم باعلام الرأي العام في هذه البلدان بالاساليب النازية الجديدة التي استخدمتها السلطات ضد الرعايا العرب بناء على اتفاق مسبق مع اسرائيل وذلك بحلها الاتحاد العام لطلبة فلسطين والاتحاد العام لعمال فلسطين وطرد الاغلبية الساحقة من المسئولين عن هذه الاتحادات بهدف القضاء النهائي على كل محاولة تهدف الى تعريف الرأي العام الالماني بالقضية الفلسطينية وبالدور الذي تقوم به اسرائيل — ككيان صهيوني — في العالم العربي ، ثم بفضح الدور الامبريالي الذي تلعبه المانيا الغربية في الشرق الاوسط عامة . وتتلخص اعمال الاحتجاج التي قامت بها كنفدرالية الطلبة الايرانيين بالنقاط التالية :

١ — بدأت الكنفدرالية اول اعمالها بارسال خطاب للسكرتير العام للامم المتحدة بتاريخ ١٩٧٢/١٠/١ هذا نصه :

« لقد أعطى حادث ميونيخ فرصة ذهبية للمجموعات والتنظيمات الفاشية في جمهورية المانيا الاتحادية وللعناصر اليمينية في حكومتها لتبدأ بشن حملة مسعورة ضد الاجانب الديمقراطيين والتقدميين المتواجدين في هذه الدولة . يبذل المطلعون والصحافيون والكتاب والسياسيون الفاشيون

والرجعيون — عبر التلفزيون والاذاعة والصحافة والاجتماعات العامة — كل ما في وسعهم لتسميم الجو السياسي في جمهورية المانيا الاتحادية ، وذلك عن طريق توجههم لاحلك العواطف عند الشعب ولاثارة الرعب والخوف ، هادفين بذلك خلق رأي جماعي سلبي لدى الشعب ضد جميع الاجانب . وبحجة محاربة الارهاب ، فان سلطات المانيا الاتحادية نفسها خلقت — متعمدة — جوا من الارهاب السياسي لا يشعر فيه أي اجنبي كان بالامن . في الاسبوعين الماضيين اعتقل عمدا أكثر من مائة عامل وطالب اجنبي وطردوا من البلاد عن طريق خرق فاضح للقانون والدستور الالمانيين وبشكل مشابه للجستابو المقيت . وعلى الرغم من ان جميع الذين طردوا بشكل غير قانوني هم من العرب ، فان ذلك يمهد الطريق لطرد آخرين من دول اخرى ، ولحظر شامل لنشاطات الاجانب ومنظماتهم حتى اذا كانت هذه النشاطات ضمن حدود القانون الالماني ومعترفا بها من قبل الدستور الالماني . ان التوجه الذي تخلقه السلطات الالمانية في اوساط الشعب تجاه الاجانب هنا ، له جميع صفات وسمات فترة سابقة ، أحلك الفترات في تاريخ المانيا الحديث . ان اجانب السبعينات يصبحون يهود الثلاثينات .

اننا نتوجه اليكم بان تستعملوا جميع صلاحياتكم المعنوية لوضع حد للسياسة العدائية ضد الاجانب التي تنتهجها السلطات الالمانية . اذا لم يتخذ أي اجراء حاليا ، فان التاريخ قد يعيد نفسه ولكن عندها لا تصبح فائدة للندم وللنقد الذاتي وسيكون ذلك بالتأكيد متأخرا جدا . »

وقد ارسلت نسخ من هذا الخطاب الى الشخصيات والمنظمات التالية : أ — رئيس جمهورية المانيا الاتحادية هاينمان ، ب — منظمة العفو الدولية أمنستي ، ج — اللجنة القومية للحقوقيين الامريكيين ، د — اللجنة الدولية للحقوقيين الديمقراطيين ، هـ — لجنة حقوق الانسان الدولية ، و — اللجنة الدولية للحقوقيين الكاثوليك .

٢ — اتخذت الكنفدرالية قرارا بالاعتصام والاضراب عن الطعام بالاشتراك مع بعض الشباب الالمان التقدميين لايمانهم العميق بضرورة التأييد المعنوي العملي للاضراب الذي بدأه الطلاب والعمال الفلسطينيون في مبنى الجامعة العربية .

بدأ الاضراب عن الطعام يوم ١٠/٥ الساعة الرابعة بعد الظهر في منزل الطلبة البروتستانت ( الانجيليين ) . وقد بلغ عدد المضربين ٣٥ طالبا ايرانيا والمانيا ، بعد البدء في الاضراب اصدرت الكنفدرالية بيانا صحفيا هذا نصه :

« بدأت منذ امس (١٩٧٢/١٠/٥) الساعة الرابعة بعد الظهر كنفدرالية الطلبة الايرانيين اضرابا في منزل اتحاد الطلبة الانجيليين في بون يشترك فيه عدا الطلبة الايرانيين طلاب المان ايضا . ان هدفنا من هذا الاضراب هو اعلان تأييدنا التام ومساندتنا لطالب الطلبة الفلسطينيين المضربين عن الطعام منذ ثمانية ايام . اننا نشجب بشدة التصرفات ضد العمال والطلبة العرب وعمليات الاعتقالات والترحيل والطرد ، ومن ثم حل المنظمتين العمالية والطلابية اللتين كانتا تحاولان اعلام الرأي العام الالماني عن الحق العادل والمشروع لكفاح الشعب الفلسطيني .

ان هذه التصرفات البوليسية لا توجه فقط الى العرب وانما تمثل خطرا وانعدام الامن لكل الاجانب في المانيا الغربية . هذه التطورات ، بالاضافة الى اعمال البوليس الالماني ومحاولات الغاء المواد المتواجدة في قانون الاجانب — وهي في حد ذاتها هزيلة جدا من ناحية الحقوق المعطاة لهم — يعطي مجالا للشعور والتفكير في تطور يسمح استمراره بخلق حالة في المانيا ، نعلمها نحن الايرانيين في بلدنا جيدا كما نعلمها من التاريخ الالماني في الماضي القريب ( أي وقت النازية ) . نحن نرى ان هذه التطورات لا تمس الشؤون الداخلية الالمانية فحسب ، بل الرأي العام العالمي ايضا .

لذا قررت كنفدرالية الطلبة الايرانيين بذل كل قواها بالاشتراك مع جميع القوى والمنظمات التقدمية لاعلام الرأي العام العالمي بهذا التطور الخطير . وسنعمل في نفس الوقت على القيام بالاحتجاج في الولايات المتحدة وفرنسا ، ايطاليا ، النروج ، السويد ، الدانمرك ، هولندا ، النمسا ، انجلترا ، واليابان ، وننطلق من انه من غير الممكن الصمت على الاعمال التي تحصل ضد الاقليات الاجنبية في المانيا الاتحادية تحت شعار « القانون والنظام » .

اننا نطالب كل القوى التقدمية في المانيا الاتحادية بمساعدتنا في اعمالنا » .

نسرد الان اعمال الاحتجاج التي جرت في المانيا

الغربية وباقي دول اوروبا الغربية والولايات المتحدة والعالم العربي حسب التوقيت الزمني :

يوم ٧–٨/١٠ : قام الطلبة الفلسطينيون في الجزائر باحتلال السفارة الالمانية احتجاجا على الاعمال التعسفية والضغط تجاه الرعايا العرب في المانيا . كذلك طالبت ١٤ منظمة طلابية في دمشق بضرب مصالح المانيا الاقتصادية في العالم العربي ودعت عمال الموانىء بعدم تفريغ السفن والطائرات الالمانية كاحتجاج على ما تقوم به السلطات الالمانية .

يوم ٨/١٠ : بدأت مجموعة من الطلاب الفلسطينيين في بيروت بالاضراب عن الطعام احتجاجا على حظر المنظمات الفلسطينية .

يوم ٨/١٠ : قامت مظاهرة ضخمة في مدينة دورتموند ( في منطقة الرور ) اشترك فيها حوالي خمسة عشر الف شخص ، كانت قد دعت اليها المنظمات الاشتراكية والتقدمية احتجاجا على القوانين الالمانية الرجعية التي تطبق على الاجانب وضد اعمال الطرد والاعتقال والمعاملة الفاشية التي يلقاها العرب هنا ، وضد حل المنظمات الفلسطينية . ولقد شارك في هذه المظاهرة الضخمة — الى جانب الالمان التقدميين — افواج كبيرة من العمال والطلبة الاجانب التقدميين مثل الاسبان ، الايطاليين ، الاتراك والايرانيين .

يوم ٩/١٠ : بدأ اربعون شخصا الاضراب عن الطعام في مكتب الجامعة العربية في باريس تأييدا لمطالب زملائهم في العاصمة الالمانية واحتجاجا على الاعمال الفاشية الالمانية وقد استمر الاضراب ثلاثة ايام .

يوم ٩/١٠ : الطلاب الفلسطينيون يحتلون مكتب الاعلام التابع لهيئة الامم في بغداد ويطالبون حكومة المانيا الغربية التوقف عن أعمال العنف ضد العرب ، والتراجع عن قرار حل المنظمتين .

يوم ١٠/١٠ : قامت مسيرة احتجاج امام السفارة الالمانية في لندن .

يوم ١١/١٠ : قامت بعض التنظيمات الالمانية اليسارية والتقدمية في جامعة فرانكفورت بالدعوة لعقد اجتماع حضره حوالي ٧٠٠ شخص القيت فيه محاضرات تشرح الترابط العضوي بين الامبريالية الالمانية واسرائيل الصهيونية والاسباب الحقيقية التي أدت الى اتخاذ الخطوات التعسفية وحل المنظمات .

يوم ١١/١٠ : مئات من المتظاهرين ابدوا امتعاضهم الشديد امام السفارة الالمانية في هولندا من الاعمال البوليسية ضد الرعايا العرب .

يوم ١١/١٠ : عقد اجتماع للطلبة في جامعة فيينا بالنمسا للاعراب عن احتجاجهم ولشرح الاوضاع في المانيا الاتحادية وللقضية الفلسطينية . في اليوم ذاته قدم مؤتمر المنظمة الايطالية ضد الفاشية المنعقد في ايطاليا ، احتجاجا شديد اللهجة وشجبا لما تقوم به المانيا ضد الاجانب .

كذلك ، وفي اليوم نفسه ، اصدرت منظمتا « اتحاد المحامين العرب » و « اتحاد الكتاب العرب » بيانا يحتجان فيه على اعمال المانيا التعسفية .

يوم ١٢/١٠ : عقد اجتماع طلابي في بون ( في مبنى الجامعة ) حضره حوالي ١٠٠٠ شخص يؤيد المعتصمين .

يوم ١٢/١٠ : مظاهرات امام مبنى هيئة الامم في نيويورك والقنصلية الالمانية في واشنطن .

يوم ١٣/١٠ : قام حوالي ١٥٠ طالبا بمظاهرة امام القنصلية الالمانية في نيويورك وكانوا مقنعين حتى لا يتعرف البوليس على هوياتهم ، وذلك احتجاجا على السياسة البوليسية العدائية ضد العرب في المانيا الغربية وذكر ان غالبية الطلبة كانت من العرب والايرانيين والاثيوبيين ومن دول امريكا اللاتينية . وقد وزعت المنشورات ورفعت لافتات تطالب الحكومة الالمانية برفع الحظر عن المنظمات الفلسطينية وايقاف عمليات الطرد . وقد تقدم ثلاثة من المتظاهرين مذكرة احتجاج الى القنصل العام يطالبونه بوقف الدعاية المسمومة ضد العرب والاجانب في المانيا .

يوم ١٤/١٠ : تظاهر الطلاب العرب والايرانيون اربع ساعات كاملة امام السفارة الالمانية في لندن. في اليوم ذاته بدأ طلاب فلسطينيون وعرب وايرانيون باضراب عن الطعام في مكتب الجامعة العربية في لندن ايضا .

يوم ١٨/١٠ : بدأ خمسون من الطلبة العرب ، الايرانيين ، النمساويين والامريكان بالاعتصام والاضراب عن الطعام في مبنى اتحاد الطلبة الاشتراكيين في العاصمة النمساوية فيينا ولمدة ثلاثة أيام .

يوم ١٨/١٠ : ثمانون طالبا عربيا وفلسطينيا احتلوا مبنى القنصلية الالمانية في كراتشي احتجاجا

على المعاملة البربرية ضد زملائهم في المانيا الغربية .

يوم ١٠/١٩ : بدأت مسيرة « دائرية » أمام مبنى القنصلية الالمانية في مدينة سان فرانسيسكو ، وذلك لمدة ٢٤ ساعة وانتهت بمظاهرة احتجاج ضخمة .

**« الاسس القانونية » لحظر الاتحاد العام لطلبة فلسطين والاتحاد العام للعمال**

قبل ان نختتم هذا التقرير نرى انه من المفيد للقراء ان نعرض عليهم قرار الحظر الذي اصدرته السلطات الالمانية . فالى جانب « الفائدة » القانونية التي تظهر بجلاء ما هي « الحقوق » التي يتمتع بها الاجانب في ظلال « الديمقراطية » الالمانية الغربية ، هناك « فائدة » اخرى وهي التعرف على نظرة وموقف القيمين على تنفيذ القوانين الالمانية الغربية تجاه نشاطات الاتحادات الفلسطينية وتجاه القضية الفلسطينية بشكل عام والكفاح المسلح بوجه خاص .

لهذه الاسباب نقدم في الصفحات التالية ترجمة النص الكامل لقرار الحظر .

بون ٣ اكتوبر ١٩٧٢

طبقا للمواد ٣ ، ١٤ ، ١٥ فقرة ١ من قانون الاتحادات العامة ( قانون الاتحادات ) بتاريخ ١٩٦٤/٨/٥ (صحيفة القانون الاتحادي ، ص ٥٩٣) والذي تغير مؤخرا بقانون في ١٩٦٨/٦/٢٥ ( نفس الصحيفة ، ص ٧٤١ ) أصدر التالي :

**قرار الحظر**

١ — يحظر الاتحاد العام لطلبة فلسطين في منطقة سريان مفعول هذا القانون ( قانون الاتحادات ) ويصبح بهذا محلولا .

٢ — تحجز وتصادر اموال الاتحاد العام لطلبة فلسطين .

٣ — سوف يتقرر تنفيذ هذا القرار فورا دون التعرض للاموال .

**الاسباب**

١—١ طبقا للمادة ١٤ الفقرة ١ من قانون الاتحادات يمكن حظر الاتحادات التي يكون جميع او معظم اعضائها او رؤسائها من الاجانب ، وحسب نفس القانون يمكن الحظر عندما تصبح الممارسة السياسية خرقا خطيرا للامن الداخلي او النظام العام لجمهورية المانيا الاتحادية .

١—٢ بالنسبة للاتحادات التي مركزها في الخارج والتي تقع اعمالها او تنظيماتها ضمن منطقة مفعول هذا القانون تسري عليها المادة ١٤ من قانون الاتحادات التي تتفق مع المادة ١٥ الفقرة الاولى .

٢—١ الاتحاد العام لطلبة فلسطين اتحاد اجنبي في عرف المادة ١٥ فقرة ١ واعضاؤه متواجدون ضمن سلطة هذا القانون — كما هو معروف — وكلهم اجانب ( فلسطينيون ) .

٢—٢ الاتحاد العام لطلبة فلسطين اتحاد اجنبي في عرف المادة ١٥ فقرة ١ وهو حسب دستوره « تنظيم طلابي يمثل الطلبة الفلسطينيين في جميع انحاء العالم » . الهيئة التنفيذية — وهي اعلى سلطة للاتحاد — تتكون من ممثلي فروعه في جميع انحاء العالم ومقرها القاهرة .

كونفيدرالية الاتحاد العام لطلبة فلسطين في منطقة سريان مفعول قانون الاتحادات تعتبر فرعا غير مستقل عن الاتحاد العام لطلبة فلسطين وكما هو معروف تتألف الكنفدرالية في منطقة سريان هذا القانون من ٢٦ فرعا محليا يتراوح عدد اعضائها بين ٦٠٠ — ٨٠٠ عضو .

تتوافر في الاتحاد العام لطلبة فلسطين الشروط التي تسمح بالحظر .

٣—١ يعرّض الاتحاد ، عن طريق ممارسته السياسية ، الامن الداخلي لجمهورية المانيا الاتحادية للخطر ( مواد ١٤ ، ١٥ فقرة ١ ) .

٣—١—١ الاتحاد العام لطلبة فلسطين يمارس النشاط السياسي . وهو لا يعمل في المانيا حسب شروط تسجيله وانما — حسب المعروف عنه — عالميا « العودة الى الارض المغتصبة بجميع الوسائل المذكورة في دستور الاتحاد » وهذا يتضمن حسب المادة ١٣ فقرة ٤ ( الى جانب اشياء اخرى ) « اعداد الشباب العربي الفلسطيني للكفاح من اجل العودة » . هذه الاهداف السياسية ليست موضع التقييم هنا ، لكن من خلال الممارسة ، ينقل الاتحاد العام لطلبة فلسطين ، الى داخل المانيا الاتحادية ، القوة كوسيلة لحل الخلافات السياسية والتي هي خلافات عالية لا تحسم في حدود المانيا .

الاتحاد العام لطلبة فلسطين يتعاون تعاونا وثيقا مع الاتحاد العام لعمال فلسطين .

٣-١-٢ يعرّض الاتحاد العام لطلبة فلسطين عند تحقيقه لاهدافه الامن الداخلي لالمانيا الاتحادية للخطر .

٣-١-٢-١ الاتحاد تنظيم سياسي يرتكز عمله على التآمر والسرية . وحقيقة ان الكنفدرالية مسجلة طبقا للمادة ١٩ من قانون تنظيم الاتحادات — كذلك الامر بالنسبة لبعض فروعها المحلية — ، الا ان المعلومات المعطاة عند التسجيل كانت في بعض الحالات غير صحيحة ، حيث ان الدستور مغاير للدستور الاساسي للفرع الرئيسي في القاهرة الذي تطبقه في الحقيقة ، كما ان بعض المعلومات ناقصة. عن طريق الاخفاء المتعمد لحقيقة الاهداف والعمل السياسي عن السلطات الالمانية ، لكي يستحيل اختبار شرعية عملها ، تعرّض الكونفدرالية الامن الداخلي للخطر .

٣-١-٢-٢ في العديد من القرارات الداخلية والمطبوعات والمناشير يعترف الاتحاد العام لطلبة فلسطين ان العنف والارهاب وسيلة لتحقيق سياسته — ليس فقط ضمن حدود « فلسطين » .

وتحتوي « النشرة الداخلية » للاتحاد العام — الهيئة التنفيذية — في القاهرة مقالا ( بتاريخ ١٩٧١/١٢/١٨ ) يتضح منه ان الاتحاد العام لطلبة فلسطين في المانيا الغربية قد رحب بمصرع وصفي التل رئيس الوزراء الاردني وجاء في هذه النشرة : — « ان كنفدرالية المانيا الغربية والنمسا ... أصدرت نشرة دورية بعنوان « تحية للابطال » حيث فيها الثوار الاربعة الذين نفذوا حكم الاعدام بالعميل وصفي التل » . وقد طالب المؤتمر العاشر للكنفدرالية الذي عقد في ايبرباخ — هايدلبرغ من ٢ — ٥ يناير ١٩٧٢ بعزل اثنين من قادة حركة التحرير الفلسطينية من مناصبهم لانهما وقفا موقف المنتقد من مقتل وصفي التل .

وبالتعاون مع الاتحاد العام لعمال فلسطين يصدر الاتحاد العام لطلبة فلسطين جريدة فتح التي تمجد في عددها السادس — بدون تاريخ — استراتيجية وتكتيك حرب العصابات ( التوبامار وس ) خارج نطاق فلسطين . وفي المؤتمر الوطني الخامس لاتحاد طلبة فلسطين الذي حضره مندوبون من جميع انحاء العالم وعقد في عمان من ٧/٣١ — ١٩٦٩/٨/٦ تقرر بالنسبة « لدور الطالب في الكفاح » ان : « يلتزم جميع الاعضاء بالتدريب العسكري اثناء الاجازة الصيفية ليتمكنوا من ممارسة الكفاح المسلح » .

طبقا لاهداف الاتحاد العام لطلبة فلسطين قام بعض افراده علنا بأعمال عنف مختلفة في المانيا الاتحادية وعلى سبيل المثال محاولتين من ١٢/٦/ ١٩٧٠ و ١٩٧٠/٩/٢١ لاحتلال السفارة الاردنية في بون بالقوة بسبب الصدامات في الاردن والتي شكلت الخلفية لنشوء منظمة ايلول الاسود حسب أقوال قادتها ، والتي تحملت مسئولية الهجوم على الفريق الاسرائيلي في القرية الاولمبية في ميونخ بتاريخ ١٩٧٢/٩/٥ .

وبتاريخ ١٩٧٢/٩/٢٧ عثر في بروتوكولات فرع فرانكفورت — دارمشتادت على اشارات تدل على ان اتخاذ خطوات اخرى لاستعمال العنف قد اخذ بعين الاعتبار .

٣-١-٢-٣ ان الخطر على الامن الداخلي يتمثل ايضا في ان الاتحاد العام لطلبة فلسطين يدعم منظمات فلسطينية تعمل بوسائل حرب العصابات بالرغم من ان هذه المنظمات لا تقصر عملها في « الكفاح الثوري » على ارض فلسطين فقط وهذا هو السبب الاهم في تعريض الامن الداخلي لالمانيا الاتحادية للخطر .

وقد دعا المؤتمر العاشر للكنفدرالية بالمانيا الاتحادية الى تعبئة جميع الطاقات من هذا النوع .

يوجد تعاون واتصال شخصي بين الاتحاد العام لطلبة وعمال فلسطين وهذه المنظمات كما ان اعضاء بارزين في اتحاد عام طلبة فلسطين هم في الوقت نفسه اعضاء عاملون في منظمات لا يمكن ان يستبعد انها او احداها مسئولة عن حوادث الارهاب في المانيا الاتحادية وضد خطوط الطيران العالمي ، والتي لها خلايا تآمرية في المانيا . وهكذا يصدر رئيس الاتحاد العام لطلبة فلسطين في المانيا الاتحادية من عام ١٩٦٩ عبدالله افرنجي، والذي غادر المانيا الاتحادية في نهاية سبتمبر ١٩٧٢ ، الى جانب عمله في الاتحاد ، يصدر المجلة الشهرية « الثورة الفلسطينية » والتي تصدر في فرانكفورت . وقد عثر لديه ولدى العديدين من المسئولين في الاتحاد على دفاتر ايصالات وطوابع تبرع لهذه المنظمات . كذلك وجدت لديه اثناء التفتيش — بسبب الشك في

مخالفته لقانون حيازة الاسلحة — خمسة أجهزة لاسلكية مهيأة لاستخدامها في الاعمال التخريبية .

وقد كان المسئول القيادي الافرنجي حلقة اتصال مع الارهابيين الذين قاموا بالهجوم على الفريق الاوليمبي الاسرائيلي في ١٩٧٢/٩/٥ والذي أعلنت « ايلول الاسود » مسئوليتها عنه . وقد كان عكرمة عقاني ، على سبيل المثال ، مسئــــولا سياسيا في فتح سنة ١٩٧٠ وفي نفس الوقت المسئول الاول عن الكنفدرالية في المانيا الاتحادية.

الاتحاد العام لطلبة فلسطين يدعم منظمة ايلول الاسود الارهابية صراحة ففي جريدتهم التنظيمية ( الثورة ) الصادرة بتاريخ ١٩٧٢/٦/٢ نشر دون تحفظ بيان لمنظمة ايلول الاسود يشرح ويبرر في صفحات طويلة خطف احدى طائرات شركة سابينا الى اللد في ١٩٧٢/٥/٨ ويناشد بالقيام بنشاطات « ثورية » اخرى .

اما جريدة ( الاتحاد ) الصادرة عن اللجنـــــــة التنفيذية لاتحاد عام طلبة فلسطين في القاهرة فقد نشرت في ديسمبر ١٩٧١ ان « الابطال » الاربعة الذين قتلوا رئيس الوزراء الاردني وصفي التل هم مؤسسو منظمة ايلول الاسود والتي يصل عدد اعضائها ٥٠٠ عضو « وهم متفرقون في جميـــع انحاء العالم لافناء جميع الخونة والعملاء الذين يريدون الاضرار بالثورة الفلسطينية » .

٣—١—٢—٤ علاوة على مراعاة القلق الذي يمكن تفهمه في صفوف الشعب بسبب الاعمال الارهابية لمنظمات مثل ايلول الاسود ونشاطات ودعايات منظمات فلسطينية راديكالية قليلة العدد مثــل الاتحاد العام لطلبة فلسطين فان هذه الاعمــال والدعاية يمكن ان تهدد العلاقة السلمية المنشودة بين الشعب الالماني وحوالى ٥٠،٠٠٠ عـــربي يعيشون في المانيا الاتحادية ويحترمون القانون ، وهذا قد يشكل خطرا على الامن العام في المانيا الاتحادية .

٣—٢ بما انه من الثابت ان الاتحاد العام لطلبة فلسطين يهدد الامن الداخلي لالمانيا الاتحاديـــة فمن الممكن اذن تطبيق قانون الحظر حسب البند ٣ فقرة ١ والفقرة الاولى من البند ١٤ و١٥ من قانون الاتحادات ( تهديد مصالح هامة اخــرى لالمانيا الاتحادية ، مخالفة للهدف او العمل ضد قانون العقوبات والعمل ضد فكرة التفاهم بين الشعوب ) .

بعد هجوم الارهابيين اثناء الالعاب الاولمبية في ميونخ بتاريخ ١٩٧٢/٩/٥ أعلن مرارا عن ضربات قادمة في المانيا . ويجب ان يؤخذ بالحسبان ان الارهابيين الفلسطينيين الذين يدعون أنفســــهم مكافحين للتحرير سوف يحاولون تدبير وتنفيذ أعمال عنف في المانيا الاتحادية والتي سوف تعتمد على الاتحاد العام لطلبة فلسطين . ويزيد من هـــذا الخطر ان الاتحاد يخفي اعماله عن المسئولـــين الالمان ، ولان الدعاية لاستخدام العنف كوسيلة سياسية وتمجيد الارهاب بين اعضائه يزيد الارض اخصابا لاعمال ارهابية وحمايتها والتدبير لهــا ولازالة العقبات وضمان استمرار العمليــــات الاخرى .

وهذا لا يتعارض مع التحفظ العلني الذي أعلن عنه الاتحاد العام لطلبة فلسطين لان ذلك كان صوريا . كما وتوجد دلائل على ان هذا لم يحدث الا لوضع موانع امام السلطات الالمانية حتى لا تحظر هذه المؤسسات .

لهذا يحظر الاتحاد العام ويحل . هذا القرار يعتبر في صالح العرب المقيمين في المانيا الاتحادية — بصرف النظر عن بعض الراديكاليين — لكي لا يتأثر التعايش السلمي بينهم وبين الشـــعب الالماني بسبب نشاطات مثل تلك الخاصة بالاتحاد، او عن طريق توجيه النقد لهم بدون تمييز .

وطبقا للبند ٣ فقرة ٢ من قانون الاتحادات سوف يسلك هذا السبيل من قبل السلطات في المقاطعات.

٥ — أمر مصادرة الاملاك والاستيلاء عليها يخضع لبند ٣ الفقرة ١ .

٦ — التنفيذ الفوري للحظر والحل وكذلـــك الاستيلاء على الاملاك هو في الصالح العام ( بند ٨٠ الفقرة ٢ رقم ٤ من قانون تنظيم الادارة ) . وبهذا فقط يمكن استحالة تنظيم ضربات قادمة من الاتحاد الذي يعتبر قاعدة اساسية وتنظيميـــة ومنطقية لاعمال الارهابيين الاجانب .

# القضية الفلسطينية في كتب التاريخ المدرسية الاميركية

## للدكتور الياس زين

كيف ترد حوادث القضية الفلسطينية في كتب التاريخ الاميركية التي تدرس في مدارس المرحلة الثانوية ؟ ما هو موقف المؤلفين من القضية وشعب فلسطين واليهود عامة ؟ هل هو موقف ايجابي أو موضوعي أم متحيز ؟ هل يروون القصة كاملة أو هل يظهرون كل الحقائق أو بعضها؟ هل موقفهم عادل حيال القضية وشعب فلسطين المشرد ؟

ان الغرض الرئيسي من هذا البحث هو محاولة الاجابة على هذه الاسئلة وما شابهها . وذلك بدرس محتوى كتب التاريخ التي تدرس في المرحلة الثانوية في المدارس الاميركية ، وتحليل المحتويات بالنسبة للقضية الفلسطينية خلال عقدين من الزمن ، اي منذ قرار الامم المتحدة للتقسيم في عام ١٩٤٧ وقيام اسرائيل في عام ١٩٤٨ الى حرب سنة ١٩٦٧ . وبكلام اوضح نستهدف في بحثنا هذا درس كل ما دون في ٣٤ كتابا تاريخيا اميركيا معدا خصيصا للمرحلة الثانوية في تلك البلاد ثم تحليل المحتويات في ضوء الحقائق التاريخية للقضية الفلسطينية . ومما يذكر ان جميع ما دون في تلك الكتب انما ورد في معرض الحديث عن سياسة الحكومة الاميركية الخارجية وخاصة سياستها في الشرق الاوسط .

ولا ريب في ان هذا البحث التحليلي هو المحاولة الاولى من نوعها في هذا السبيل ، بحيث لم يتطرق احد من الباحثين لمعالجة مثل هذا الموضوع الخطير . ولعل الدافع الرئيسي للقيام بمثل هذا المشروع الفريد كان وجود الباحث في جامعة جنوب الينوي في العام الدراسي ٧١ — ١٩٧٢ ، حيث تحتفظ مكتبة الجامعة المذكورة بمجموعة كبيرة من كتب التاريخ المعدة خصيصا للمدارس الثانوية الاميركية تحت عناوين مختلفة . وبعد قراءة هذه الكتب وجد مغالطات وحقائق مشوهة بالنسبة للشعب الفلسطيني وقضيته العادلة ومواقف منحازة للشعب اليهودي واسرائيل . ولا يمكن للباحث الموضوعي والمتفهم للقضية الفلسطينية ان يقف مكتوف الايدي تجاه تلك المغالطات وتزوير الحقائق والتاريخ الفلسطيني المعاصر . ولعل الخطر كل الخطر ، يتلخص في ان الشبيبة الاميركية الناشئة لا تقرأ عن القضية الفلسطينية سوى وجهة النظر الصهيونية ، اي حقائق مبتورة ومشوهة وناقصة . هذا يعني ، بالاختصار ، ان رجال الغد الاميركيين ، اي طلاب المرحلة الثانوية ، لا يتلقون الحقائق عن القضية الفلسطينية كما هي بالذات بل كما يردها الصهيونيون الذين يقدمون للعالم جانب واحد من الحقائق وبالتالي معلومات مزورة ومشوهة ، لا تمت الى الطرق العلمية والموضوعة بشيء ، ولا الى واقع القضية الفلسطينية وللشعب الفلسطيني المجاهد .

هذا ولقد جمعت المعلومات من الكتب التي استطعت الحصول عليها من مكتبة جامعة جنوب الينوى ثم درستها وحللتها في ضوء النقاط التالية: قرار التقسيم في عام ١٩٤٧ ، قيام اسرائيل في عام ١٩٤٨ ، حرب السويس والعدوان الثلاثي في عام ١٩٥٦ ، حرب حزيران ( يونيو ) في عام ١٩٦٧ ، واخيرا وصف عام لاسرائيل وللعرب . وبنتيجة البحث والتدقيق والتأمل تبين ان القضية الفلسطينية تذكر من طرف واحد ( الصهيوني ) ، وان الكتابة اجمالا تفتقر الى الموضوعية والطريقة التاريخية والعلمية في تقصي الحقائق التاريخية ، وان وجهة النظر العربية بالنسبة للقضية غير واردة عامة ، وان الكتب مشحونة بالحقائق المشوهة والمبتورة ، وان المؤرخين لا يتطرقون لخلفية القضية واساسها ، وان عبارة اللاجئين الفلسطينيين لا تذكر ، وكذلك عبارة الشعب الفلسطيني المشرد لا ترد اطلاقا ، وان الصورة المدونة للعرب هي في انهم قوم متخلفون غير ان المؤرخين يذكرون اسرائيل والشعب اليهودي بشيء من الفخر والاعتزاز وان كلمة اسرائيل مرادفة لفلسطين،وان اليهود قوم مشردون وعانوا ما عانوا من المانيا النازية ابان الحرب العالمية الثانية، غير ان اضطهاد اسرائيل للفلسطينيين وتشريدهم لا يذكر بتاتا ، وان اسرائيل قد حصلت على « استقلالها » في عام ١٩٤٨ ، وان الامم المتحدة

قد ساعدت على قيام اسرائيل وانشائها في فلسطين كحق شرعي للشعب اليهودي المشرد والمضطهد . ويلاحظ ان المؤرخين ربما يستخدمون الكلمات والعبارات بشكل مدروس للتأثير النفسي على القارىء او التلميذ ، وكذلك انهم يتخذون مواقف يمكن ان يقال عنها انها عنصرية تجاه العرب ، حيث يستعملون عبارات وكلمات تتهجم على العرب ، الخ .

**قبل قيام اسرائيل**

بعد هذا ، نأتي الآن الى عرض الحوادث وتحليلها ، بالتسلسل التاريخي للقضية الفلسطينية . وسنبدأ برواية اولئك المؤرخون بالفترة التي سبقت قيام دولة الصهاينة في فلسطين المحتلة . كتب المؤلف « روجرز » من جامعة جنوب كارولينا يقول : « في غضون عشرين سنة بعد عام ١٩١٧ ( اعلان وعد بلفور ) استوطن الوف اليهود في فلسطين ، حيث حققوا تقدما كبيرا في الزراعة والصناعة كما بنوا مدارس وانشأوا مشاريع ري وحسنوا البلاد بوجه عام . ونكر اليهود الذين اضطهدوا من قبل النازيين والمناطق التي وقعت تحت الاحتلال النازي-اثناء الحرب العالمية الثانية ، في فلسطين « كأرض ميعاد لهم »(١). وكتب البروفسور « بتروفيتش » والبروفسور « فيلبس » من جامعة ويسكونسن الشهيرة ، ما يلي : « في اعقاب اعلان بريطانيا تحديد هجرة اليهود في عام ١٩٣٩ ، نظم اليهود في فلسطين مقاومة سرية وذلك لاظهار المطالب الصهيونية بالقوة ، اذا دعت الضرورة . وبعد انتهاء الحرب قامت عدة منظمات صهيونية بارهاب ثوري للمطالبة بتقرير المصير » ( للشعب اليهودي )(٢). وذكر مؤرخان آخران في هذا المجال : « وفي ابان الحرب العالمية الثانية ، هاجر الى فلسطين الوف اليهود من اوروبا وذلك خوفا من الاضطهاد النازي وعملوا الخطط لانشاء أمة يهودية جديدة في فلسطين . ولكن العرب القاطنين في فلسطين لم يريدوا ذلك »(٣).

والآن نأتي الى ذكر بريطانيا وقرار التقسيم . كتب مورخان عن ذلك ما يلي : « في عام ١٩٤٧ طلبت بريطانيا من الامم المتحدة مساعدتها لحل القضية الفلسطينية واعلنت عن عزمها من الانسحاب في السنة التالية . فالفت لهذا الغرض لجنة للتحقيق . وبنتيجة التحقيق اوصت الجمعية العامة التابعة للامم المتحدة بقيام دولتين منفصلتين في فلسطين : الواحدة يهودية والاخرى عربية . تقبلت الخطة اسرائيل وشكلت دولة اسرائيل الجديدة عام ١٩٤٨ . وعندما انسحبت الجيوش البريطانية من اسرائيل ، اندلعت نيران الحرب بين اسرائيل وجيرانها العرب »(٤). وكتب المؤرخ « ريشارد كوران » ، من جامعة كارولينا الشمالية يقول : « الا ان تقسيم فلسطين ازعج العرب واحتجوا على ان حقوق الفلسطينيين العرب قد انتهكت . وتطلع العرب الى فلسطين وكأنها لهم ، نعارضوا بالقوة لمنع انشاء الدولة اليهودية ، وبدأوا الحرب »(٥).

واما بالنسبة لعلاقة اسرائيل بالامم المتحدة ، نجد ان بعض المؤرخين يعدون انشاء اسرائيل من اعظم الانجازات التي قامت بها المنظمة. قال البروفسور « كوبلن » من جامعة ستانفورد : « كان قيام استقلال بلد اسرائيل من اعظم الانجازات التي قامت بها الامم المتحدة »(٥). وقال « بايلي » من جامعة ستانفورد ايضا : « تعتبر الامم المتحدة المسؤولة بالدرجة الاولى عن خلق دولة اسرائيل اليهودية الجديدة ونتيجة لذلك نشبت نزاعات خطيرة بين اليهود وجيرانهم العرب الحانقين » ( الغاضبين )(٧).

**قيام اسرائيل في سنة ١٩٤٨**

وعلى صعيد قيام اسرائيل في سنة ١٩٤٨ ، كيف يصف المؤرخون قيام الدولة الصهيونية ؟ وكيف يصفون ايضا ردود فعل العرب على ذلك ؟ ويمكن تلخيص وصف المؤرخين بأن اسرائيل نالت « استقلالها » بعد انسحاب بريطانيا من فلسطين وان اليهود أعلنوا « استقلال » دولتهم الجديدة بعد سنوات من الاحلام وان العرب هاجموا الدولة الجديدة . واليك ما قاله بعض المؤرخين حول ذلك . فلنبدأ اولا بوصفهم لسحب بريطانيا ثم اعلان اسرائيل . يقول « ستيفن بروانز » : « في عام ١٩٤٨ تركت الجيوش البريطانية اسرائيل حيث اندلع القتال بينها وبين جيرانها العرب . وأبان الاضطهادات النازية في الحرب العالمية الثانية هرب عدد كبير من اليهود الى فلسطين ، حيث اعلنوا جزءا منها جمهورية اسرائيل المستقلة »(٨). ومما قاله اخرون : « اعلن اليهود بفرح قيام دولة اسرائيل ولكن العرب رفضوا قبول الامم المتحدة وهاجموا اليهود » . « عندما انهت

بريطانيا انتدابها على فلسطين » . « اقام اليهود دولة اسرائيل واندلع الحرب بينها وبين جيرانها العرب » . « اعلنت اسرائيل استقلالها في ١٥ ايار ( مايو ) في عام ١٩٤٨ » . « اصبحت فلسطين مستقلة في عام ١٩٤٨ » . « اعلن اليهود استقلال دولة اسرائيل » . ومما قاله « كارتي » : «عندما انهت بريطانيا انتدابها على فلسطين طوعيا ، اعلن اليهود في فلسطين في يوم ١٥ ايار ( مايو ) ١٩٤٨ استقلال دولة اسرائيل الجديدة . وهذا العمل جعل اسرائيل تخوض حربا مع جيرانها الاقطار العربية — مصر والاردن ولبنان وسوريا والعراق والملكة العربية السعودية »(٩). وهكذا يتضح ان قيام اسرائيل يرتبط « بالاستقلال » وانسحاب بريطانيا من فلسطين بعد انتدابها ولم يذكروا ان قيامها كان بالقوة والحديد والنار والتشريد والاغتصاب والعدوان . ومن جهة ثانية يعتبر المؤرخ « هارتمان » : « ان من اهم انجازات الامم المتحدة ، كان انشاء استقلال دولة اسرائيل في فلسطين »(١٠). وذكر اخر : « اعلن اليهود قيام دولة اسرائيل في الجزء الغربي من فلسطين ، حسب قرار الامم المتحدة » . ويقول « بلات » و « درامونـد » ان الولايات المتحدة اعطت مساعدات وتشجيع لاسرائيل الموالية للغرب والديمقراطية الوحيدة في الشرق الاوسط »(١١). ويقول « براغدن » ان عددا كبيرا من الامريكيين ايدوا على نطاق واسع دولة اسرائيل التي اقيمت في وطن اليهود الاصلي ، ولكن العرب كرهوا اسرائيل ، بيد انهم لا يتفقون بعضهم مع البعض مما جعل التعاون ( مع العرب ) مستحيلا »(١٢). وقال « بلات » ان هذه الامة الجديدة كانت تحقق حلم ٢٠٠٠ سنة من الزمن للعديد من اليهود»(١٣). وادعى « هارولد ايبلغ » : « ان بلدنا ( الولايات المتحدة ) يريد ان تكون صديقة لدولة اسرائيل الديمقراطية الصغيرة ولكن وجدت ذلك صعبا في ان تكون صديقة للاسرائيليين وللعرب في نفس الوقت »(١٤).

واما تعليقات المؤرخون الامريكيون لردود فعل الدول العربية لاعلان اسرائيل فهي الحرب والعدوان والغضب الساطع الهجوم والغزو ، وما شابه ذلك . قال « براون » استاذ التاريخ في جامعة ولاية نيويورك : « اعلنت الامة اليهودية اسرائيل دولة مستقلة ، وفورا اعلنت خمس بلدان عربية الحرب على اسرائيل »(١٥). وذكر « ميشال بترونيتش » من جامعة وسكانسون : « اعلن الزعماء الصهيونيون استقلال فلسطين اليهودية في ١٩٤٨ ودعوا امتهم اسرائيل . والدول العربية — شرق الاردن ، مصر وسوريا والعراق — غزت فلسطين ، حيث بدأ العرب حرب الاستقلال الاسرائيلي »(١٦). وقال « روجرز » من جامعة جنوب كارولينا : « اعلن اليهود دولة اسرائيل كدولة مستقلة جديدة . الا ان الدول العربية شنت حربا ضد الدولة الجديدة فورا »(١٧). وقال « كسنر » : « غضبت الدول العربية لان جيش اسرائيل ارغم عددا من السكان العرب في فلسطين الى ترك البلاد الجديدة »(١٨). وزعم « مازور » : « هاجمت جيوش سوريا ولبنان والاردن والعراق ومصر ، اسرائيل معلنة عزمها على طرد اليهود ورميهم في البحر »(١٩). وادعى « كوران » « ان العرب شنوا حربا اثر قيام اسرائيل بـ ١١ دقيقة ولكن اليهود دحروا العرب ، الا ان الرئيس ترومان اعترف بها »(٢٠).وادعى « روزلي » : « ان جيوش عربية من سوريا ومصر ولبنان والاردن هاجمت الاسرائيليين ، ولكن الجيوش العربية الغازية هزمت في الحرب العربية الاسرائيلية »(٢١). وكتب «لاين»: « عارض العرب قيام اسرائيل اعتقادا منهم ان فلسطين تنتمي الى بعض الاقطار العربية »(٢٢). وكتب « هنري كراف » استاذ التاريخ في جامعة كولومبيا : « تعهد العرب ، اعضاء الجامعة العربية ، لتحطيم اسرائيل ، الدولة الطفلة ، احدى الديمقراطيات القليلة التي ظهرت في السنوات الاخيرة . والجيوش العربية غزت اسرائيل ولكن هزمت في الحرب »(٢٣). وقال « ارثر بواك » رئيس دائرة التاريخ في جامعة ميشغان : « هاجم العرب — الاردن وسوريا ومصر — جارتهم اسرائيل ، واما بقية فلسطين فقد احتلت من قبل مصر والاردن»(٢٤). وذكرت « اندرسون » ان الامم المتحدة توصلت الى عقد هدنة بين العرب واليهود في « اسرائيل » في عام ١٩٤٩(٢٥). وكتب استاذ التاريخ « ستافريانوز » من جامعة نورث وسترن : « اعلن اليهود استقلال دولة اسرائيل في الجزء التي منحته اياهم الامم المتحدة . وفي اليوم التالي اعلنت الجامعة العربية الحرب على اسرائيل وجمعت جيوشها للهجوم على الدولة الجديدة وسحقها تماما وازالتها »(٢٦). وذكر « جاردنر » : ان الدول العربية المحاطة باسرائيل عارضت قيام البلد الجديد ، مدعين بان

الارض هي ملك للعرب يجب ان تبقى تحت سلطة العرب. وعندما اعلنت استقلالها، هاجمها العرب، واندلعت الحرب »[27].

مما تقدم يتضح ان ذكر العرب يرتبط بالكلمات السلبية والتي ترمز الى العدوان مثال عارض، هاجم، غزا، طرد، رمى بالبحر، غضب، سخط، بينما ذكر اسرائيل يرتبط بالكلمات والعبارات الايجابية، كالاستقلال والوطن.

**حرب السويس، ١٩٥٦**

ولكن في حرب السويس والعدوان الثلاثي على مصر في عام ١٩٥٦، نجد ان المؤرخين الاميركيين المذكورين يستخدمون كلمات وعبارات تتسم بشيء من العدوان بالنسبة لاسرائيل، ربما يعود ذلك الى ان موقف اميركا، في ذلك الوقت، كان ضد الغزو والعدوان، وجدير بالذكر ان الكلمات البارزة التي تكررت في ذكر العدوان على مصر: « غزت » اسرائيل، تكررت سبعة مرات، « هاجمت » اربعة مرات، « احتلت » اربعة مرات ايضا، « شنت » مرتان. الا ان المؤرخين المذكورين لا يدينون اسرائيل بل يبررون هجومها وغزوها بان مصر نفسها استولت على القنال، او لان مصر كانت تخطط لغزو اسرائيل، او لوضع حد لهجمات الفدائيين الذين كانوا ينطلقون من قواعد مصرية، اي ان الهجوم كان ثمة ما يبرره بالدفاع عن المواطنين الاسرائيليين ضد هجمات الفدائيين. واليك الان عرضا سريعا لما كتبه المؤرخون في ذكر هجوم اسرائيل على مصر والعدوان وهجوم فرنسا وانكلترا ايضا ( العدوان الثلاثي ). كتب استاذ التاريخ في جامعة كولومبيا « دايفد منزي » واستاذ التاريخ في جامعة برنستون « ارثر منك »: « هاجمت الجيوش الاسرائيلية مصر في ٢٩ تشرين الاول ( اكتوبر ) سنة ١٩٥٦ وخلال اربعة ايام سحقت جيوش الجنرال عبد الناصر واحتلت جميع شبه جزيرة سيناء »[28].

وقال « بلات »: « غزت اسرائيل مصر وبسرعة احتلت شبه جزيرة سيناء المصرية، كما هاجمت قواعد الفدائيين الذكن كانوا متسلحين باسلحة روسية »[29]. وزعم « هنري بردغن » ان اسرائيل كانت غاضبة من جراء الهجمات على مواطنيها من القواعد المصرية، فبدأت هجوما على مصر في محاولة لتحطيم تلك القواعد [30]. وبرر « كارتي » هجوم اسرائيل بقوله: « غزت اسرائيل مصر لتحطيم هجوما مصريا مخططا ومدروسا لغزو اسرائيل من قبل مصر »[31]. وبرر ايضا « مازور » بقوله: « رفضت مصر السماح للسفن الاسرائيلية او لسفن بلدان اخرى تحمل شحنات الى اسرائيل بالمرور في قنال السويس، فغزت اسرائيل سيناء »[32]. هذا وأورد مؤرخون اخرون العبارات التالية: قامت اسرائيل بهجوم ناجح ضد مصر في سيناء، وشنت اسرائيل هجوما على مصر، وتوغلت القوات المصرية في الاراضي الاسرائيلية، واما بالنسبة لهجوم فرنسا وانكلترا، اعترف مؤرخ واحد وهو « بلدون » من جامعة بتسبرغ: « غزت اسرائيل مصر واحتلت سيناء، وربما كان ذلك باتفاق مسبق مع بريطانيا وفرنسا »[33]. وزعم « شورتس »: ان مصر استولت على القنال في ١٩٥٦. فارسلت انكلترا وفرنسا واسرائيل جيوشا الى المنطقة. الا ان الامم المتحدة ارسلت قوة لحفظ السلام في السويس بعد ترتيب وقف اطلاق النار »[34]. بيد اننا نجد ثلاثة كتب يمكن ان يقال ان موقف مؤلفيها حياديا. اعلن « جيمس كويلن » من جامعة ستانفورد: غزت جيوش اسرائيل سيناء وبسهولة احتلت شبه الجزيرة، ولكن الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ادانتا الغزو »[35]. وصرح « هارتمان »: « عندما غزت جيوش اسرائيل وفرنسا وبريطانيا العظمى، مصر، اعتبر الرئيس ايزنهاور هذا العمل خطأ »[36]. وكتب « ولتر ولبنك »: « شنت اسرائيل هجوما ناجحا في مصر، كما هاجمت بريطانيا وفرنسا مصر ايضا وانزلتا جيوشهما. الا ان معظم الرأي العام العالمي وجد في تلك الهجمات العودة الى استخدام الاساليب الامبريالية القديمة »[37].

**حرب سنة ١٩٦٧**

والان نأتي الى حرب ٥ حزيران ( يونيو )، فكيف يصف المؤلفون الاميركيون هذه الحرب؟ فمما لا ريب فيه اننا ننتظر منهم ان يكونوا اكثر مما كتبوا في وصف الحوادث السابقة. ومما يجب ذكره ان معظم الكتب كانت قد كتبت قبل عدوان ١٩٦٧ باستثناء ثمانية فقط، ولكن ان هذه الكتب كافية لتقدم لنا فكرة واضحة عما يجول في فكر بعض المؤرخين في اميركا. كتب استاذ التاريخ في جامعة شيكاغو « ريشارد ويد »: انه « منذ قيام اسرائيل تعهدت مصر وسوريا والاردن والعراق باسترجاع « الارض السليبة » في فلسطين. واعلن ناصر بان العرب مستعدون لاسترجاع الارض السليبة في فلسطين »[38]. وكتب « روزلي » على نفس النمط

يقول : « تعهدت دول مصر وسوريا والاردن والعراق والكويت ولبنان والملكة السعودية والسودان ومراكش والجزائر واليمن لتحطيم الدولة ذات التاسعة عشر سنة من العمر . وبذلك تكون اسرائيل ذات ٢٫٧ مليون من السكان واجهت اكثر من ١٠٠ مليون من العرب العدائيين . وصرخ العرب : « الى تل ابيب » في شوارع القاهرة ولكن في ستة ايام سحقت اسرائيل اعدائها »(٣٩).

وقال « شورتس » : « اقفلت مصر خليج العقبة ، منفذ اسرائيل الوحيد الى البحر الاحمر . وفي حزيران ( يونيو ) اندلعت الحرب بين اسرائيل والبلدان العربية . وفي وقت قصير احتلت سيناء والجولان والضفة الغربية من نهر الاردن »(٤٠).

وقال « بواك » انه « ٤ حزيران « يونيو ١٩٦٧ » قررت حكومة اسرائيل ان الامل الوحيد هو ان تضرب اولا . وفي اليوم التالي هاجم الطيران الاسرائيلي المطارات المصرية وحطم طيران ناصر على الارض »(٤١). وعلق « بايلي » « ان رمال الصحراء انفجرت في حزيران ١٩٦٧ عندما هاجمت اسرائيل الصغيرة جيرانها العرب الذين كانوا يهددونها وهزمتهم في حرب دمار استمر ستة ايام »(٤٢). وزعم « باري » : « مصر كررت تهديد اسرائيل ، فاندلعت نيران الحرب في حزيران ١٩٦٧ . الا ان اسرائيل ضربت بقوة وبسرعة هائلة . وفي غضون ساعات قليلة حطمت سلاح الجو العربي المتفوق عددا وعدة ، واستولت على مئات الطائرات على الارض »(٤٣). واعتبر « شورتس » عمل اسرائيل عملية صليبية ضد المسلمين . فكتب يقول : « تحاربت اسرائيل وجيرانها المسلمون مع بعضهم البعض في سنة ١٩٦٧ . الا ان اسرائيل حققت نصرا ساحقا في ستة ايام »(٤٤). واعترف « كراف كروت » ان الطيران الاسرائيلي استطاع خلال ايام قليلة تحقيق نصر مبين وساحق على اعدائه العرب. ولدهشة العالم والى سرور الغرب ، لم يكن هذا نصرا فقط بل هزيمة للسوفيات »(٤٥).

من كل ما تقدم عن حرب ١٩٦٧ يستنتج ان المؤلفين الاميركيين يبررون عدوان اسرائيل على الدول العربية بان الحرب لم تكن سوى رد فعل لعداء العرب وتهديدهم لها ، وان الهزيمة الفعلية كانت للسوفيات ، وان الحرب كانت ضد جمال عبد الناصر ، غير انهم يصفون اسرائيل بانها دولة صغيرة ، تريد ان تعيش ، لذلك يجب ان تدافع عن نفسها بشتى الطرق . ويلاحظ ان عبارة « العرب اعداء اسرائيل » تتكرر ، بينما لم ترد اي عبارة على ان اسرائيل نفسها عدوة العرب .

كان هذا وصفا دقيقا لقيام اسرائيل وعدوانها على الدول العربية وتوسعها ، والان نأتي الى ذكر ما قاله المؤلفون الاميركيون في وصفهم لاسرائيل من الوجهة الحضارية . وتشير جميع الدلائل الى انهم ان وصفهم يتسم بطابع التقدم والمدنية . فنجدهم يقولون، لدى ذكر اسرائيل ، امة عصرية ، حديثة، متقدمة ، ديمقراطية ، حولت الصحراء الى جنة ، حققت عجائب في الزراعة والصناعة ، بينما نجد ان وصفهم للعرب معاكس تماما لوصفهم لاسرائيل ، فينعتون العرب بالتخلف ، الفقر ، الجهل ، الاقطاعية ، العدوان ، والى ما هنالك من كلمات على هذا النمط .

**وصف اسرائيل والعرب**

ففي معرض وصفهم لاسرائيل ، نجد كلمات الاطراء والمدح والثناء . كتب « ولبنك » يقول : « اسرائيل خلقت من اراضي صحراوية كانت سابقا تحت سلطة المسلمين . وقد نجحت في التغلب على الصعوبات الجغرافية ، وهي تستخدم الان مواردها لبناء امة حديثة . ومن خلال الاساليب الحديثة في الري والزراعة ، استطاع الاسرائيليون ان يبنوا ارضا زراعية منتجة من قسم كبير من صحرائهم »(٤٦).

وزعم « بتروفتش » : ان « العرب تابعوا تصميمهم على تحطيم البلد الجديد ( اسرائيل ) ، بيد ان اليهود اللاجئين من اوروبا جلبوا معهم مهارات ، واستثمارات حكيمة ، مستخدمين روح وطنية قوية ورغبة منهم لبناء وطن لليهود . فجعل اليهود من اسرائيل قطرا حديثا وغنيا . هنا فقط ، في الشرق الاوسط ، يصل مستوى المعيشة الى مستوى اوروبا . فالوسائل التربوية جيدة وتشبه الوسائل في الدول المتقدمة . ونجحت الانظمة السياسية الديمقراطية تماما فيجو من الاستقرار والتقدم»(٤٧).

وذكر « روجرز » ان « الشعب الاسرائيلي قد حقق عجائب في الزراعة والصناعة ، وجلب حياة جديدة الى فلسطين الحديثة »(٤٨). ويفتخر «بواك» بقوله : « على الرغم من البدايات المضطربة ، استطاعت اسرائيل ان تحقق تقدما ملحوظا في انماء الزراعة والتجارة والصناعة . وشعبها النشيط قد غير بلد متخلف الى امة حديثة مزدهرة »(٤٩). وكتب استاذ علم الانسان في كلية ولاية كاليفورنيا«ايونج»: «اسرائيل حكومة ديمقراطية مبنية على نمط اوروبا

الغربية . فالانتخابات حرة ومفتوحة والتغييرات في القوى الحزبية تحصل بواسطة الوسائل السلمية . هذا ولا تزال اسرائيل تشعر بانها محاطة بدول عربية معادية . فالعلماء الاسرائيليون انشأوا قرنا ذريا . وقد كان من المتوقع بحلول ١٩٦٠ الوصول الى تحطيم الذرة . وفي السنة التي تلتها ، (١٩٦١) اطلقت اسرائيل بنجاح صاروخا فضائيا »(٥٠).

ويعتبر استاذ التاريخ في جامعة نورث وسترن ، استفريانوز « ان خبرة اسرائيل في فلسطين (المحتلة) مثلا يحتذى بها بالنسبة للبلدان النامية . فاقتبس كلمة نطق بها قائد افريقي زار اسرائيل فقال : اعرب قائد افريقي زار اسرائيل مؤخرا وهو من الذين تلقوا علومهم في اسرائيل عن اعتقاده بالكلمات التالية : « حققتم ( للاسرائيليين ) تقدما اجتماعيا وتقنيا مرموقا بدون تضحية قيم انسانية . اسرائيل هي خيارنا الوحيد » . وعلق على ذلك بقوله : « ان هذه الكلمات التي اتت من افريقي لهي من الاهمية بمكان لتلخيص اهمية انجاز اسرائيل وتقدمها للعالم في عقد الستينات »(٥١).

كانت هذه بعض عبارات المدح والاطراء بالنسبة للتقدم والازدهار التي حققته اسرائيل في فلسطين المحتلة ، ولكن ، من جهة ثانية ، نجد ان وصف المؤلفين الاميركيين للعرب يختلف تماما لوصفهم للاسرائيليين . فكتب « مازور » يقول : « حمل اليهود الاوروبيون معهم مدنية العالم الحديث ( الى فلسطين ) . بيد ان معظم العرب الفلسطينيين ، عاشوا تقريبا في وضع شبيه بالاقطاعية . فهناك عدد قليل من الاثرياء ، أصحاب الاراضي ، يملكون معظم البلاد ، بينما الفلاحون عاشوا في فقر وجهل »(٥٢). وزعم استاذ التاريخ ، « ستيج » ، في جامعة نورث وسترن : « ثمة اوضاع فقر سيئة موجودة في مناطق من العالم العربي ، حيث يوجد ثروات هائلة جنبا الى جنب الفقر الذي لا يصدق »(٥٣). ويربط « ايونج » معارضة المصريين لاسرائيل بالدين ، فيدعي : « ان الوطنية المصرية المتطرفة دفعت بالمصريين ايضا الى معارضة عنيفة لقيام اسرائيل . فبعض هذه المعارضة ، قامت من جراء ظهور للمرة الثانية كره الاسلام القديم الى « الكفار » ، والبعض الاخر الى الحقيقة وهي ان اليهود ، بالنسبة للمسلمين ، يمثلون القوة الغربية »(٥٤). وذهب « بواك » الى القول : ان « جماهير الشعب في الشرق الاوسط غير معدة للحكم الذاتي »(٥٥). والكلام عن العرب ، يقودنا بطبيعة الحال الى الحديث عن الزعيم الراحل جمال عبد الناصر ، فقد زعموا ( المؤلفون ) انه ديكتاتور ، يريد رمي اسرائيل في البحر ، كما يريد تزعم العالم الاسلامي ، ودعا العرب الى سحق اسرائيل في عام ١٩٦٧ . غير انه لم يفلح .

كتب « ماكوير » يقول : « ان جمال عبد الناصر كان يكره اسرائيل كثيرا وهدد بتحطيم تلك الامة»(٥٦). واما « شورتس » فوصف ناصر انه « من اقوى الحكام العرب ، ديكتاتور مصر ، كان ناصر قوميا متطرفا ، الرد ان يخلق من مصر زعيمة كل الامم الاسلامية في الشرق الاوسط وشمال افريقيا. اراد ايضا تحطيم الامة اليهودية ( اسرائيل ) التي يعتبرها عدد من المسلمين عدوتهم »(٥٧). وقال « بونز » ان ناصر كان قد دعا البلاد العربية لسحق اسرائيل وجعلها مقاطعة عربية ، الا ان اسرائيل هزمت الجيوش العربية »(٥٨). وفي معرض الحديث عن قنال السويس وناصر ، كتب « ويد » من جامعة شيكاغو يقول : « تعهد جمال عبد الناصر ( في عام ١٩٥٦ ) بطرد اليهود ورميهم في البحر ، وانهاء سلطة بريطانيا في السويس »(٥٩). وكذلك كتب « بايلي » على غراره عندما قال : « وهاجمت اسرائيل وبريطانيا وفرنسا ( في عام ١٩٥٦ ) مصر ، وكانوا مصممين لتدويل القنال والتخلص من ناصر ، هتلر الشرق الاوسط »(٦٠).

واما الصور الفوتوغرافية التي رافقت الكلمات المدونة عن العرب ، فلم تكن افضل من الكلام . فمعظم الصور كانت تظهر معالم التخلف في البلاد العربية في حين كانت الصور عن اسرائيل تبرز معالم التقدم والازدهار والعمران .

بعد كل ما تقدم من معلومات وافكار ، يتضح ان الصورة التي يسعى المؤلفون الاميركيون ان يقدموها للقارىء هي تلك الصورة التي من شأنها ان تثير العواطف الايجابية والتعاطف مع اسرائيل والشعب اليهودي . فاسم اسرائيل يرتبط بالتقدم والمدنية والحضارة والديمقراطية والسلام والاستقلال وتقرير المصير للشعب اليهودي ، والاضطهاد النازي والازدهار والحلم الذي تحقق بعد ٢٠٠٠ سنة والانجازات الضخمة في الزراعة والصناعة وقرار الامم المتحدة ، والدولة الجديدة والاستقرار السياسي ، الخ . غير ان ذكر العرب والدول العربية ، على العكس من ذلك يرتبط بكلمات وعبارات من شأنها ان تثير العواطف بشكل سلبي

للغاية ، فتبرز معالم التخلف والعدوان في شتى المجالات . لذا نجد ان ذكر العرب يرتبط بالحرب والعدوان والهجوم والقوة والغضب والسيطرة والكره والسخط والمعارضة والفقر والجهل والبغض والتخلف والصحراء القاحلة والعصابات والرفض والعداء والاقطاعية والاحتلال والغزو والديكتاتورية والانحلال والرمي في البحر والتفكك السياسي ، والى ما هنالك من كلمات ومفاهيم التي تثير العواطف سلبيا في البلدان الغربية .

**حقائق يصمت عنها المؤلفون**

واخيرا لا بد لنا من ان نذكر بعض اهم الحقائق التي يصمت عنها المؤلفون الاميركيون في كتبهم حول القضية الفلسطينية . انهم ذكروا كل شيء الا الحقيقة الكاملة للقضية . فلم يذكروا مثلا ان اسرائيل احتلت فلسطين بالقوة بالتواطيء مع بريطانيا ، وانها طردت الشعب الفلسطيني ، سكان البلاد الاصلية لالوف السنين ، وانها تتوسع دوما على حساب جيرانها العرب ، ولم يذكروا جرائم الصهاينة في فلسطين المحتلة التي تشبه جرائم النازيين انفسهم وتفوقها ، وان اسرائيل لا تحترم ميثاق الامم المتحدة ولا تتقيد بقراراتها ، ولم يذكروا حياة اللاجئين منذ ربع قرن في المخيمات ، الخ .

ويجدر هنا ان نعيد الى الاذهان ان « التاريخ » يعني « البحث » و « التنقيب » عن الحقيقة ، اي ان المؤرخ الباحث يسعى وراء الحقيقة بدقة وامانة واخلاص ويعرضها بصدق وذكاء وتجرد فكري تام ، بعيدا عن الاهواء والاراء الشخصية التي لا تعتمد على الحقائق . والمعروف ان المؤرخ يجب ان يعتمد على جميع المصادر وليس على مصدر واحد والا يسكت عن الحقائق والا يخفي اي دليل لا يتفق ورأيه .

**الحل** ؟ والسؤال بعد كل ما تقدم ما العمل وما الحل ؟ يمكن للدول العربية ان تنشيء مكاتب عربية دائمة في معظم المدن الاميركية حيث يستخدم الطلاب العرب هنالك والمفكرون العرب والاجانب الذين يساندون القضية لالقاء محاضرات في المدارس والجامعات حول القضية وابراز الحق العربي ، وان تشرف على طبع كتب تاريخ عن القضية تقدم الحقائق باسلوب سهل ، وان تأسس مكاتب سياحة عربية في اميركا لتشجيع السياحة الى الارض العربية ، وان توجه دعوات الى المؤلفين انفسهم وغيرهم من رجال الفكر والصحافة الى زيارة المنطقة العربية ، وان تنشر حملات في الصحف والمجلات حول القضية باسلوب سهل من قبل رجال يفهمون العقل الاميركي . وكل ذلك يجب ان يمول باموال عربية ، بنفس الطريقة التي يمول بها شراء الاسلحة ، لان الكلمة المطبوعة اقوى من السلاح وامضى من السيف .

---

١ — Lester B. Rogers, Fay Adams, and Walker Brown, *Story of Nations* (New York: Holt, 1968), pp. 578-79.

٢ — Michael B. Petrovich and Phillip Curtin, *The Human Achievement* (Morriston, N.J.: Silver Burdett Co., 1967), p. 743.

٣ — Sol Holt and John R. O'Connor, *Exploring World History* (New York: Globe Book Co., 1969), p. 570.

٤ — Melvin Schwartz and John O'Connor, *Exploring American History* (New York: Globe Book Co., 1969), p. 418.

٥ — Richard N. Current et. al., *United States History* (Glen View, Illinois: Scott, Foresman and Co., 1967), p. 675.

٦ — I. James Quillen and Edward Krug, *Living Our America* (Chicago: Scott, Foresman and Co., p. 604.

٧ — Thomas A. Bailey, *The American Pageant: a History of the Republic* (Lixington, Mass.: D.C. Heath and Co., 1971), p. 945.

٨ — Stephen H. Bronz, *The Challenge of America* (New York: Holt, Rinehart and Winston, Inc., 1968), p. 773.

٩ — Merle Curti and Lewis Paul Todd, *Rise of the American Nations* (New York: Harcourt, Brace and World, Inc., 1966), p. 733.

١٠ — Gertrude Hartman, *America : Land of Freedom,* Second Edition. (Lixington, Mass.: D.C. Heath and Co., 1961), p. 669.

١١ — Nathanul Platt and M. Jean Drumond, *Our Nation from its Creation: A Great Experiment*, Second Edition (Englewood, N.J.: Prentice Hall, 1966), p. 844.

١٢ — Henry W. Bragdon and Samuel P. McCuthen, *History of a Free*

*People* (New York: the MacMillan Co., 1967), p. 729.

Platt and Drumond, *op. cit.*, — ١٣
p. 844.

Harold H. Eibling, et. al., *The* — ١٤
*Story of America* (River Forest, Illinois: Laidlaw Brothers, Publishers, 1965), p. 581.

Richard C. Brown, et. al., *The* — ١٥
*United States of America : A History for Young Citizens* (Morristown, N.J.: Silver Burdell Co., 1963), p. 774.

Petrovich and Curttin, *op. cit.*, — ١٦
p. 744.

Rogers et. al., *op. cit.*, pp. 758-59 — ١٧

Mabel B. Casner et. al., *Story of* — ١٨
*the American Nation*, Second Edition (New York: Harcourt, Prace and World, Inc., 1967), p. 671.

Anatole G. Mazour and John M. — ١٩
Peoples, *Men and Nations: A World of History* (New York: Harcourt, Brace and World, Inc., 1968), p. 788.

Current et. al., *op. cit.*, p. 675. — ٢٠

Daniel Roselle, *Annotated Edi-* — ٢١
*tion: A World History*, (Boston: Ginn and Co., 1969), p. 711.

Frederic C. Lane et. al., *The* — ٢٢
*World's History* (New York: Harcourt Brace and World, 1959), p. 704.

Henry F. Graff and John A. — ٢٣
Krout, *The Adventure of the American People* (Chicago: Rand McNally and Co., 1968), p. 762.

Arthur E.R. Boak et. al., *The* — ٢٤
*History of our World* (Boston: Houghton 1969), p. 761.

Vivienne Anderson, *Your Ame-* — ٢٥
*rica*, Second Edition (Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall, Inc., 1967), p. 636.

Leften S. Stavrianos, et. al., *A* — ٢٦
*Global History of Man* (Boston: Allyn and Bacon, Inc., 1968), p. 472.

William E. Gardner, *Story of Our* — ٢٧
*Country* (Boston: Allyn and Bacon, Inc., 1963), p. 539.

David S. Muzzey and Arthur S. — ٢٨
Link, *Our American Republic* (Boston: Ginn and Co., 1965), p. 676.

Platt and Drumond, *op. cit.*, — ٢٩
p. 841.

Bragdon and McCuthen, *op. cit.*, — ٣٠
p. 730.

Merle Curti, *op. cit.*, p. 781. — ٣١

Mazour and Peoples, *op. cit.*, — ٣٢
p. 783.

Leland D. Baldwin et. al., *His-* — ٣٣
*tory of Our Republic* (Princeton, N.J.: D. Van Nostrand Co., Inc., 1964), p. 687.

Schwartz and O'Connor, *op. cit.*, — ٣٤
p. 418.

Clarence L. Steeg, *The American* — ٣٥

Hartman, *op. cit.*, p. 685. — ٣٦

Walter K. Wallbank, *Man's Story* — ٣٧
(Chicago: Scott, 1964), p. 724.

Richard Wade et. al., *A History* — ٣٨
*of the United States* (Boston: Houghton Mifflin Co., 1970), p. 690.

Roselle, *op. cit.*, p. 717. — ٣٩

Schwartz and O'Connor, *op. cit.* — ٤٠
p. 428.

Boak et. al., *op. cit.*, p. 763. — ٤١

Bailey, *op. cit.*, p. 1033. — ٤٢

Marvin Perry, *Man's Unfinished* — ٤٣
*Journey Around History* (New York: Houghton Mifflin Co.), p. 800.

Schwartz and O'Connor, *op. cit.*, — ٤٤
p. 682.

Graff and Krout, *op. cit.*, p. 765. — ٤٥

Wallbank, *op. cit.*, p. 740. — ٤٦

Petrovich and Curtin, *op. cit.*, — ٤٧
p. 744.

Rogers and Adams, *op. cit.*, — ٤٨
p. 760.

Boak, *op. cit.*, p. 761. — ٤٩

Ethel E. Ewing, *Our Widening* — ٥٠
*World: a History of the World's People's* (Chicago: Rand McNally Co., 1967), p. 311.

Stavrianos, *op. cit.*, pp. 494-95. — ٥١

Mazour, *op. cit.*, p. 787. — ٥٢

Clarence L. Steeg, *The American* — ٥٣
*People: Their History* (Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall, Inc., 1967), p. 759.

Ewing, *op. cit.*, p. 308. — ٥٤

Boak, *op. cit.*, p. 760. — ٥٥

Edna McGuire, *Our Free Nation* — ٥٦
(New York: the MacMillan Co., 1959), p. 683.

Schwartz and O'Connor, *op. cit.*, — ٥٧
p. 669.

Bronz, *op. cit.*, p. 783. — ٥٨

Wade, *op. cit.*, p. 611. — ٥٩

Bailey, *op. cit.*, p. 991. — ٦٠

# العرب واسرائيل والغرب :
# دراسة للتطورات والصور النمطية

للدكتور ميشال سليمان

دائما* ما تحاول الدول والامم ان تغرس وتنمي في صغارها فكرة سيئة عن العدو في مقابل صورة عن أنفسهم كمناضلين من أجل الحق والعدل بغض النظر عما تكون عليه الحقائق . كما يحاول الخصوم ان يستقطبوا حلفاء عسكريين وسياسيين من بين الدول الاخرى وذلك بادعاء ان مصالحهم تتطابق أو على الاقل تتشابه مع المصالح القومية. ولكن التطور الطبيعي بالنسبة للحلفاء يقتضي الحصول على أفكار مرضية عن كل طرف(١).

اما بالنسبة للصراع في فلسطين والصراع العربي الاسرائيلي فلم يستطع الفلسطينيون والعرب عامة عرض قضيتهم بشكل مؤثر في الغرب ولا حتى بين حلفائهم المزعومين . بينما نجح على الجانب الاخر الصهاينة والاسرائيليون نجاحا ساحقا في تحديد المشكلة بمفهومهم الخاص وفي اقناع معظم الغربيين على تقبلها رغم التضحيات الهائلة التي تتحملها مصالحهم القومية(٢). هذا ولقد ناقشت في مكان آخر بعض الاسباب التي تكمن وراء هذه الظاهرة غير المتكافئة(٣). ان هدفي من كتابة هذا البحث هو عرض بعض عناصر النماذج الممثلة التي يستخدمها الاسرائيليون ومن هم وراءهم لتدعيم قضيتهم في الغرب وخاصة في الولايات المتحدة ولدحض واضعاف القضية العربية .

لقد تأثرت الصورة التي كونها الغربيون عن العرب ومن بينهم الفلسطينيين نتيجة لعدة عوامل يرجع بعضها الى عهد الحروب الصليبية والى العداوة التي خلقتها تلك الحرب المقدسة ضد المسلمين . كما ان معرفتهم بالمنطقة غالبا ما تكون عبارة عن معلومات مشوشة حصلوا عليها من كتب العهد القديم ومن الاحداث الخيالية كالنوع الموجود في رواية ألف ليلة وليلة او في كتابات « لورانس العرب » الى جانب العناوين العنيفة التي تظهر في الصحف المعاصرة . ويتوج هذا كله جهد المجموعات الصهيونية في عرض وجهة نظرها فقط ولا شيء غيرها في هذا الصراع . ويجب ألا يغيب عن خاطرنا انه قد اسيء الى اليهود كثيرا عبر التاريخ كما ان الصهاينة وآخرين بدأوا حملة لتغيير معالم الصورة السيئة التي كانت سائدة عن اليهود — كل ذلك خلال الحرب في فلسطين . هذا ولقد أصبح الكثيرون ، الذين أرادوا بدورهم آخرين أن يصبحوا مثلهم ، محترفي المعاداة لمعادي السامية مما خلق موقفا أثار بعض أحرار اليهود ذو الحساسية أمثال دافد ريزمان . وعلى الرغم من ذلك ، وكما يقول ريزمان ، « فان الكفاح الشديد ضد معاداة السامية » قد قطع « شوطا طويلا نحو فرض وجهة نظر واحدة بين اليهود » بالنسبة للقضية الفلسطينية(٤). ونتيجة لذلك لم يحجم أحرار الغرب فقط عن مهاجمة الصهيونية ولكنهم كذلك لم يدخروا وسعا في سبيل اعلاء شأنها ومن ثم أصبحوا في جوهرهم أحرارا جامدين ذوي عقلية غير متفتحة بالنسبة للقضية الفلسطينية الاسرائيلية(٥).

هذا وقد أعطى الصهاينة للغرب ، وربما لانفسهم نتيجة لكثرة التكرار ، صورة عن العرب تصنفهم بأنهم غير متحضرين ، متعصبون دينيا ، معتدون ، يتجاهلون أراضيهم الشاسعة ، يبذخون في ثروتهم الهائلة ويهددون في نفس الوقت اسرائيل — الدولة الصغيرة المسالمة الشجاعة التي استطاع شعبها أن يزرع الصحارى ، وذلك حتى يستطيعوا تبرير استيلائهم على فلسطين . ولذا فقد وجد كثير من الغربيين ، وخاصة من الذين قد يلتزمون عن غير ادراك بنظرية داروين الاجتماعية ، الاطمئنان في مساندة والاعجاب بمن ظنوه « الشعب الافضل » في الصراع الفلسطيني(٦). ونتيجة لانتشار القصص المتكررة عن بطولة الاسرائيليين الخارقة والروح القتالية العالية فقد تلاشت تماما من الاذهان صورة اليهودي غير المحارب او الجبان وتقبل العالم الرواية الاسرائيلية التي تصور اسرائيل على أنها دولة شجاعة يبلغ تعدادها ٢ر٥ مليون استطاعت ان تهزم القوة المتحدة لعدة دول عربية يصل عدد سكانها الى ما بين ٦٠ و١٠٠ مليون نسمة .

---

* تدم هذا البحث في ندوة بغداد عن « الكيان الاسرائيلي» التي عقدت في نيسان ١٩٧٣ باشراف مركز الدراسات الفلسطينية بجامعة بغداد .

**جدول ( ١ )**

يوضح الجدول رقم ( ١ ) ارتفاعاً نشيطاً في التعاطف مع اسرائيل في الولايات المتحدة وذلك منذ ان اشتدت وطأة الصراع في ١٩٤٧ . كما وجدت نتائج مشابهة في بلدان غربية اخرى وعلى الاخص بريطانيا وفرنسا والنرويج والدانمارك . كما يبين جدول رقم ( ٢ ) بوضوح التعاطف المتزايد الذي يظهر في رغبة الامريكيين القوية في القاء اللوم على العرب لانهم سبب هذه الخصومات في منطقة الشرق الاوسط .

**جدول ( ٢ )**

كيف أصبح الجمهور الامريكي يتقبل بدون نقد وجهة النظر الاسرائيلية وان يظهر تعاطفا شديدا نحو القضية الصهيونية الاسرائيلية ؟ أولا لا بد ان نذكر ان العرب أنفسهم كانوا وما يزالون غير قادرين على عرض وجهة نظرهم للعالم الخارجي . الا ان النجاح الهائل الذي أحرزه معارضوهم يجب رده الى الحملة العالمية المنظمة للحركة الصهيونية ليس فقط لمحو اية تصريحات خاطئة عن اليهود واسرائيل ولكن لوقف طبع او توزيع اية مطبوعات توجه النقد لاسرائيل بغض النظر عما اذا كانت مجافية للحقيقة ام لا. كما استخدمت وسائل متنوعة كل واحدة منها تعزز الوسائل الاخرى وذلك لنشر فكرة طيبة عن اسرائيل .

ان هذه الطريقة الناجحة جدا في التنشئة الاجتماعية تستخدم كافة وسائل الاتصال كالصحافة والراديو والتلفزيون والجرائد والمجلات والكتب والنشرات والسينما ... الخ وكذلك المدارس والجامعات والجماعات المتجانسة والكنائس وأماكن العمل ... الخ . هذا وعلى سبيل المثال كانت دراساتي عن الصحافة الامريكية وطريقة تغطيتها أنباء الشرق الاوسط خلال حربي ١٩٥٦ و١٩٦٧ قد اظهرت التحيز الواضح لاسرائيل والعداء للعرب ، وهذا ما تؤكده دراسات اخرى كثيرة(٧) .

هناك ضرورة لوجود بحوث منظمة في كافة المجالات المذكورة اعلاه وذلك ليس فقط لاثبات وجود الصور النمطية ولكن كذلك من اجل العمل الجاد لتوفير التقارير الموضوعية . هذا وأقوم حاليا بعمل دراسة عن الكتب التي تتناول تاريخ العالم والتي تدرّس في المدارس الثانوية بالولايات المتحدة وهي تعد جزءا من دراسة تقوم بها لجنة تابعة لهيئة دراسات الشرق الاوسط (MESA) بهدف تقصي امكانية وجود تحيز ما في الكتابة عن دول الشرق الاوسط . وتبين لنا انه غالبا ما تكون الكتابة هنا صورة مماثلة ( وان كانت أكثر سذاجة ) لتقارير الصحافة ، بمعنى انه حتى عندما توجد دراسة يزعم انها موضوعية او اكاديمية عن الشرق الاوسط فانها لا تخلو من التحيز او الصور النمطية المبتذلة . ويدل على ذلك ان « ٢٩ كتابا من ٤٦ كتابا راجعها اعضاء اللجنة عن تاريخ العالم وتاريخ الشرق الاوسط او الدراسات الاجتماعية كانت غير مقبولة بتاتا وذلك اما لانها متحيزة او مليئة بالاخطاء او تعرض لجانب واحد او انها دون المستوى عامة . هذا وتتراوح السبعة عشر كتابا الباقية ما بين ممتازة وجيدة او مقبولة رغم وجود بعض الاخطاء البسيطة او التشويهات الخفيفة بالنسبة للمسألة العربية — الاسرائيلية »(٨). وذلك لان الصورة العامة التي تقدمها هذه الكتب عن الشرق الاوسط تبرزه بمثابة منطقة متخلفة مليئة بالمشاكل . هذا ومن المفيد ان نذكر انه رغم وجود جهد عام لتصحيح بعض المفاهيم الخاطئة والشائعة عن الاسلام الا أن العرب لم يعطوا حقهم بالنسبة لمساهمتهم داخل الامبراطورية الاسلامية او بخصوص علاقاتهم باسرائيل والغرب . وفيما يختص بالديانة او القومية مثلا فان هناك كذلك لبسا ربما يكون نتيجة للجهل ، ولهذا فانه غالبا ما يشار الى العرب على أنهم يتكلمون نفس اللغة ويدينون كذلك بنفس الديانة ، اي الاسلام . هذا ويعامل اليهود والصهاينة كما لو كانوا شعبا واحدا وهي فكرة يعززها التأكيد المستمر بأن اليهود الحاليين ينحدرون من سلالة يهود العهد القديم من التوراة وان عودتهم لفلسطين وتأسيسهم للدولة اليهودية هناك يعد أمرا طبيعيا . وغني عن البيان ان معظم المناقشات التي تتناول اسرائيل والصراعات العربية — الاسرائيلية تكون مساندة لاسرائيل ومعادية للعرب . وتدل على ذلك المقتطفات التالية التي توضح وجهة نظرنا :

« لقد تمسك اليهود بديانتهم وعاداتهم بالرغم من وجود هذا الشتات او التفرق وأخذوا يحلمون بأنهم سيعودون يوما ما لارض الميعاد ولكن لم يتحقق هذا الحلم الا في القرن العشرين عندما سمح لليهود باعادة تأسيس دولة يهودية في فلسطين وهي التي تعد اليوم امة اسرائيل »(٩).

« تعتبر اسرائيل أمة قديمة تعمل لكي تصبح أمة عصرية »(١٠).

« ان مشكلة اسرائيل الرئيسية هي عداوة جيرانها العرب المستميتة »(١١).

« [ في ١٩٦٧ ] كانت كل من مصر والاردن وسوريا والعراق والكويت والسودان وتونس ومراكش ولبنان والمملكة العربية السعودية والجزائر واليمن قد هددت بسحق وتدمير اسرائيل . كما تحدثت محطات الاذاعة العربية عن « حرب مقدسة » والمليونين و٧٠٠ ألف اسرائيلي وجدوا أنفسهم يواجهون أكثر من ١٠٠ مليون عربي يحملون لهم العداء ويحيطون بهم من كل جانب »(١٢).

« لم يكن العرب أنفسهم [ في الامبراطورية الاسلامية ] أكثر من غزاة غلاظ أو في أحسن الاحوال رجال اعمال وشؤون عامة »(١٣).

« اما في المجتمع الغربي المعاصر فهناك فجوة طبقية صارخة ، حيث نجد قلة ضئيلة من كبار أثرياء التجار وملاك الاراضي ونجد في الطرف الاخر الاغلبية الساحقة منصغار الفلاحين المعدمين»(١٤).

« لقد خلق السد [ العالي في اسوان ] مشاكل عديدة ... هناك مياه كثيرة تساعد القواقع التي تتكاثر في الكائنات وتنشر البلهارسيا ... لم يعد هناك أي طمى في المياه الموجودة أسفل السد ... لقد تعدل مجرى المياه أسفل السد مما سبب تآكل الارض وتغيير في عادات صيد السمك . هذا ويقلل المسؤولون المصريون من اهمية هذه المشاكل »(١٥).

وأخيرا ففيما يلي تفسير لعداء العرب تجاه اسرائيل نجده يتجاهل تماما العرب الفلسطينيين واقتلاعهم من وطنهم :

« ان هذه الكراهية للغرب تساعدنا على تفسير عداء العرب الشديد لدولة اسرائيل .. هذا وتمثل انجازات [ اسرائيل ] الاجتماعية والاقتصادية تهديدا واثارة مستمرة للعالم العربي المحيط بها »(١٦).

ان الملاحظة والخبرة الشخصية الى جانب التقارير المكتوبة والسمعية والبصرية تكون اساسا التصورات التي نرسمها في مخيلاتنا عن الشعوب او البلدان . ويمكننا القول ان معلومات الغالبية العظمى من الغربيين تكونت أساسا من التقارير الصحافة والراديو والتلفزيون والسينما وذلك لانه لم تسنح لهؤلاء الناس الفرصة لزيارة الشرق الاوسط . فما هي اذا هذه التخيلات التي كونها هؤلاء الناس عن شعوب الشرق الاوسط وبلدانه ؟ يوضح الجدولان الثالث والرابع اجابات مدرسي التاريخ العالمي في المدارس الثانوية في ولاية كانساس بأمريكا على السؤال التالي : ما هي الصفات الخاصة التي تعزوها لكل مجموعة من المجموعات التالية : العرب واليهود ...؟(١٧).

## جدول ( ٣ )

سنورد فيما يلي عدة ملاحظات عن هذه النتائج . هذا ومن الاجدر اولا ان نذكر ان ٤٠ ٪ من الذين أجابوا رفضوا رفضا باتا الاجابة على السؤال المذكور أعلاه ، بينما ذكر بعضهم بكل وضوح انهم غير متعصبين وانهم يفضلون عدم استعمال الصور النمطية . وهنا لا يسعنا الا ان نثني على ونشجع مثل هذا الاتجاه . ولكن ، ولسوء الحظ ، الاحجام عن التعبير كتابة عن الصور النمطية لا يعني بالتبعية ان الفرد لا يفكر ولا يتصرف على اساس تلك الانماط التي توجد في مخيلته .

هذا وتختص الملاحظة الثانية باليهود والفلسطينيين كشعوب عانت آلاما كثيرة . ورغم ان عددا متساويا من الذين أجابوا على الاستفسار أشار الى هذه الخاصية(١٨). الا ان ذكر اليهود كان في كل مرة تقريبا يحمل معنى الاضطهاد بينما اعتبر الفلسطينيون ضحايا ظروف قاسية . وغني عن البيان انه في عصر الليبرالية والتسامح يمكن للشعب المضطهد ان يكسب التعاطف والمساندة أكثر من الشعب الذي يقع ضحية للظروف . بالاضافة الى ان لفظ الاضطهاد يوجه اتهاما للسامع ويحمله بعض من المسؤولية والذنب ولكن « قضاء الطبيعة » كما تصوره كلمة « ضحايا الظروف » يعفي السامع من أية مسؤولية او شعور بالاثم . ولكن اذا قال قائل ان الاضطهاد عادة ما يرتبط بالارهاب الديني ، وهذه هي الحقيقة ، فانه كان من الاجدر بالتبعية وصف الفلسطينيين على انهم مضطهدون ما دامت القضية تصور في الغالب على انها صراع ديني وذلك لان الغربيين لا يفرقون الا نادرا ما بين العرب والمسلمين . وكما هو واضح من جدول ٣ فان المسلمين ينظر اليهم كمجموعة دينية واحدة بينما يلقي الغربيون على اليهود والاسرائيليين نوعا ما من الخصائص القومية او الشخصية .

**جدول ( ٤ )**

ثالثا ، تبين لنا هذه الاشارات المحددة ما اذا كان المجيبون متعاطفين مع الشعوب التي تناولتها هذه الدراسة ام لا . وكما ذكرنا من قبل فغالبا ما يشار الى اليهود على انهم مضطهدون وأهم من ذلك انهم يعتبرون أكفاء ومخلصين ومجتهدين ومتعلمين وأذكياء وشجعان . هذا ولم تذكر الا قلة ضئيلة من الصفات السلبية كما يوضح ذلك جدول ٤ ، فقد استخدم أقل من ٧ ٪ الفاظا مثل « بخلاء » ، « عقدة الاضطهاد » او «عشائريين». كما أن أقل من ٤ ٪ من العينة عبرت عن أية سلبيات تجاه الاسرائيليين . هـذا وبينما ظـن الكثيرون ان اليهود شعب مضطهد لم يعتقد احد ان الاسرائيليين يواجهون أي اضطهاد ، بل سماهم ١١ ٪ من أفراد العينة بالمقاتلين الاشداء ذوي النزعة العسكرية وبالمحاربين ، الخ .

واخيرا نجد ان الذين ساندوا المصريين بوضوح وهم يمثلون ٢٤ ٪ كانوا يشيرون بالدرجة الاولى الى شعب مصر القديم او الفرعوني ولم يقصدوا المصريين العرب الحاليين ، ويدل على ذلك وجود تعليقات معينة مثل « بناة الإهرام » « البنـاة العظمـاء في التاريخ » ، « المساهمـون » ، « الحضارة » الخ . والدلالة الاخرى هي النسبة المئوية العالية للاجابات السلبية التي تمثل ٣٦ ٪ والتي تزيد على الاتجاه السلبي الواضح تجاه العرب ككل .

اذن على وجه الاجمال كان المشتركون بالدراسة أكثر نقدا للفلسطينيـين والمصريـين والعـرب والمسلمين منهم لليهود والاسرائيليين ، بمعنى ان الصور النمطية التي يعتنقها حتى القطاع المتعلم من الامريكيين تشبه الى حد كبير ( وتبدو كأنها انعكاسا ) لتلك الصور الموجودة في الصحـافة الامريكية عموما وفي كتب التاريخ العالمي التي تدرس في المدارس الثانوية في امريكا .

## ملخص الافكار والنتائج

لقد أظهرت دراستنا انه نتيجة لاسباب عدة من بينها الجهد الاعلامي العربي الضئيل الذي تقابله حملة دعائية اسرائيلية صهيونية على مستوى عال من المهارة والعزم ، فان الرأي العـام الغربي أصبح يقتنع ويقبل بدرجات متفاوتة الصور النمطية التالية ( وربما غيرها ) عن العرب والاسرائيليين والشرق الاوسط عامة :

١ — تعتبر اسرائيل الخلـق الجديد لاسرائيـل الغابرة (Eretz Israel) وانهـا تمثل البعث الجديد للشعب اليهودي الذي يعتبر بأجمعه متحدرا من سلالة اليهود القدامى الذين عاشـوا فـي فلسطين .

٢ — ان اسرائيل هي الممثل والمندوب والوصي على جميع اليهود حيثما وجدوا .

٣ — يعتبر اليهود أكثـر شعب واجه اضطهادا عبر التاريخ .

٤ — يتكون اليهود من جنس او جنسية واحدة الى جانب انهم مجتمع ديني .

٥ — يعتبر اليهود والاسرائيليون « شعبا » بمعنى انهم كائنات بشرية لها رغباتها وآمالها وأحزانها .. الخ وليسوا مجرد سكان لدولـة معينة او « أعداء للعرب » .

٦ — لقد تغير المفهوم القديم عن اليهودي كانسان جبان غير محارب وأصبح الان يعتبر محاربا قديرا وحتى كشخص عنده نزعة حربية .

٧ — بالاضافة الى الصورة السابقة ، اي النزعة الحربية ، هناك صورة أخرى ترسم الاسرائيليين كأنهم محبون للسلام . هذا وان لم يصوروا بصورة شعب محب للعرب الا انه لا توجد اية اشارة على انهم يكرهونهم .

٨ — دائما ما تصور اسرائيل على انهـا قلعة الانسانية والديموقراطية في الشرق الاوسط .

٩ — ينظر الى اسرائيل على انها دولة صغيرة محاصرة تحارب أعداء كثيرين يفوقونها قوة — كل ذلك لتأكيد حقها في الحياة ، وغالبا ما يشار هنا الى مثل صراع داود مع جوليات الجبار خاصة عندما يذكر ان ٢ — ٣ مليون يهودي يواجهون ٦٠ — ١٠٠ مليون عربي .

١٠ — ينظر الى العرب علـى انهم متخلفون ينقسمون الى قلة غنية واغلبية ساحقة تعيش في فقر مدقع وهذه الحالة البائسة تعد السبب وراء كراهيتهم لدولة اسرائيل المتقدمة .

١١ — ان ما يفسر سبب رفض العرب لاسرائيل هو كراهيتهم للغرب .

يجب ان نلاحظ هنا ان نمطي ١٠ و ١١ وضعـا خصيصا للاجابة على تساؤلات الغربيين عن سبب كراهية العرب لاسرائيل ، خاصة وان اسرائيل

لا تصور أبدا على انها سبب اثارة كراهية وعداء العرب .

١٢ — ينظر للفلسطينيين وخاصة من يسمون باللاجئين على أنهم ضحايا للظروف ، وهكذا فان اسرائيل لا تذكر كسبب لورطتهم هذه او في حالة ذكرها فان الاسرائيليين يبرأون بكل صراحة .

١٣ — ان عداوة العرب لاسرائيل هي المعوق الوحيد للسلام في الشرق الاوسط .

١٤ — ينتمي العرب في أذهان عامة الغربيين الى بلدان معينة ( العراق ، مصر ، لبنان ، الخ ) أو لاماكن معينة ( الاهرامات — البترول — الصحراء .. الخ ) أو لافراد ( ناصر ) ولكنهم لا يصورون عادة على انهم شعب ، بمعنى انهم كائنات بشرية لها رغباتها وآمالها وأحلامها وتشعر بالحب والحزن .. الخ .

*

يخيل الي انه اذا اراد العرب ان يرسموا استراتيجية ناجحة لمواجهة الدعاية الاسرائيلية الصهيونية في الغرب فالنقاط التالية تستوجب الاهتمام :

١) انه لا يمكن ان تقتصر حملة عربية دعائية ناجحة على قلة مختارة من الغربيين ذوي المراكز العالية في الحكومة والتجارة والجامعات والصحافة ، الخ لانهم حتى لو اقتنعوا تماما بالقضية العربية فستكون كلماتهم جوفاء بالنسبة للغالبية الساحقة من الغربيين الذين لا يؤمنون بالقضية فتأثيرهم اذا سيكون ضئيلا . ان ما نحتاج اليه حقا هو مسح دقيق شامل للمجتمع الغربي ولنفسيته وحتى يمكننا الحصول على مثل هذا التحليل فلا بد من التعاقد مع مؤسسة خاصة لاستطلاع الرأي وذلك لان هيئات استطلاع الرأي المعروفة مثل جالوب وهارس ، الخ ترفض أن تقوم بمثل هذا المسح كما انه لن يتمكن باحث واحد او مجموعة منهم من القيام بهذا العمل بشكل مرضي .

لا يكفي طبعا ان يصنف الناس على انهم اما أصدقاء أو أعداء لان ذلك في الحقيقة يعد خداعا للنفس . ان المسح المطلوب يجب ان يحدد مواقف العناصر المختلفة المكونة للمجتمع الغربي بالنسبة للقضايا الهامة الخاصة بالعالم العربي والعلاقات العربية الغربية . وعلى سبيل المثال ، لا بد أن يتعرف العرب على اتجاهات الصغار والكبار ( مقسمون حسب اعمار زمنية معينة مثل ٥٠ وما فوق ، ٤٠ — ٥٠ ، ٣٠ — ٤٠ ، ٢٥ — ٣٠ ، ٢٠ — ٢٥ ، ١٥ — ٢٠ سنة وهكذا ) والذكور والاناث ، والطبقات المتوسطة والفقيرة والغنية ، وكذلك المجموعات المهنية ( المهن ، الاعمال التجارية، العمل .. الخ ) وفئات الدخل المنخفضة والمرتفعة ( مثلا أقل من ٥٠٠٠ ، من ٥٠٠٠ — ١٠،٠٠٠ دولار وهكذا ) وكذلك القطاعات المتعلمة حسب درجاتهم ( الجامعة ، المدارس الثانوية ، المدارس الابتدائية .. الخ ) . هذا ولا بد لهم كذلك أن يتعرفوا على الاتجاهات الغربية نحو العرب ( المصريين والعراقيين الخ ) ، وفلسطين واسرائيل وشئون التجارة بين البلدان .. الخ . ثم يلي ذلك ، وبكل دقة واحكام ضرورة تحديد سبب اعتناق الغربيين لمثل هذه الآراء . عندئذ فقط يمكن للعرب معرفة كيفية تغيير المواقف التي يجدونها عدائية لهم أو غير متعاطفة معهم .

٢) ان المجتمعات الغربية لا تعرف الا القلة الضئيلة جدا عن الشرق الاوسط عامة والعرب خاصة ، وحتى معرفتهم بهذا الجزء القليل تكون على شكل صوره مشوهة للحقيقة .

٣) من بين جميع بلاد الشرق الاوسط ، الغربيون أكثر معرفة باسرائيل أولا ثم مصر الفرعونية ( القديمة ) . هذا وقد ذكر مدرسو تاريخ العالم بالمدارس الثانوية في كانساس أن العراق هي أقل دولة لديهم معلومات عنها ، بمعنى انهم يودون معرفة المزيد عنها .

٤) عادة ما يصدق الغربيون ويخلصون عندما يدعون انهم غير متحيزين بالنسبة للموقف في فلسطين والصراع العربي الاسرائيلي فهم في الحقيقة لا يدركون هذا التحيز ، والدليل على ذلك هو أن أقل من ٢٪ من عينة مدرسي المدارس الثانوية بكانساس يعتقدون ان كتبهم المدرسية كانت متحيزة لاسرائيل بينما وجد كل الاعضاء الثمانية للجنة (MESA) المختصة بتصورات الشرق الاوسط ( كلهم باحثون مهتمون بالشرق الاوسط ) ان الاغلبية الساحقة من هذه الكتب محرفة ومشوهة حقا وخاصة في عرضهم المتحيز لاسرائيل(١٩).

٥) لقد خلقت الفاجعة التي حلت بالفلسطينيين نوعا من التعاطف يمكن تحويله ، لو أحسن استخدامه ، الى مساندة سياسية ايجابية ( أو غير سلبية في أسوأ الاحوال ) .

٦) كما يبين لنا جدول ٤ ان الرأي المحـــايد أو المتعاطف أو الايجابي مع العرب والمنتشر بـــين قطاع من الامريكيين المتعلمين يعتبر الاتجاه الغالب، ولذا فانه يمكننا ، بل ويجب علينا ، الاستفـــادة منه فقد آن الاوان لكي يكف العرب عن الرثـــاء لانفسهم ( كالقول انه اسيء الى العرب كثيرا .. الخ ) . وكما قال أحد المشتركين في ندوة بيروت عن الاتصال بين الشرق والغرب ( مايو ١٩٧٢ ) : « ترتكز اكثر حملات العرب الاعلامية على الفلسفة القائلة بان صورتهم يمكن ان تكون على أكمل وجه لو رسمت من وجهة النظر السلبيةوالمعادية»(٢٠). ولكنها فلسفة خاطئة لان التركيز أو الاهتمام لا بد وان يعتمد على عرض صورة ايجابية لشعب مليء بالحياة . وهذا هو المطلوب وعلى الاخص بالنسبة للفلسطينيين ، وبمعنى اخر ، ان العرب ليسوا **مجرد** أو حتى بالاهم « اعداء لاسرائيل » . لا بد ان يراهم الغرب والعالم **ككائنات بشرية تنبض بالحياة** .

**جدول ( ١ )**

**تعاطف الامريكيين مع العرب والاسرائيليين**

| هيئـة استطلاع الرأي | التاريخ | اليهود واسرائيل | العرب | رفض كلاهما | عدم ابداء الرأي |
|---|---|---|---|---|---|
| جالوب (Gallop) | ١٩ نوفمبر ١٩٤٧ | ٢٤٪ | ١٢٪ | ٣٨٪ | ٢٦٪ |
| نـــورك (NORC) | فبراير ١٩٤٨ | ٣٥٪ | ١٦٪ | ٤٩٪(١) | — |
| سرك — س (SRC-C) | نوفمبر ١٩٦٤ | ٢٥٪ | ٧٪ | ٢٨٪ | ٤٠٪ |
| هاريس (Harris) | ١٠ يونيـــه ١٩٦٧ | ٤١٪ | ١٪ | ٤٠٪ | ١٨٪ |
| جالوب(رأي مطلع) (Gallop) | حرب يونيه ١٩٦٧ | ٥٦٪ | ٤٪ | ٢٥٪ | ١٥٪ |
| جالوب(رأي مطلع) (Gallop) | ينـــاير ١٩٦٩ | ٤٩٪ | ٥٪ | ٤٦٪(١) | — |

أ — رفض كلاهما وعدم ابداء رأي .

المرجع : جمع من :

**Hazel Erskine, «The Polls: Western Partisanship in the Middle East,»** ***Public Opinion Quarterly,*** **Winter, 1969-70, Vol. XXXIII, No. 4, pp. 627-40.**

## جدول ( ٢ )

## آراء الامريكيين فيما يختص بالقاء اللوم على العرب والاسرائيليين

## ١٩٤٦ — ١٩٦٧

| هيئة استطلاع الرأي | | التاريخ | اليهود واسرائيل | العرب | رفض كلاهما | عدم ابداء الرأي |
|---|---|---|---|---|---|---|
| جالوب | (Gallop) | ينـاير ١٩٤٦ | ١٢٪ | ١٠٪ | ٢٣٪ انجليز ١ ٪ آخرون | ٥٣٪ |
| نـورك | (NORC) | نوفمبر ١٩٥٣ | ٩ ٪ | ١١٪ | ١٣٪ | ٦٧٪ |
| نـورك | (NORC) | نوفمبر ١٩٥٥ | ٥ ٪ | ١٥٪ | ١٨٪ | ٦٢٪ |
| نـورك | (NORC) | نوفمبر ١٩٥٦ | ١٩٪ | ٢٩٪ | ١٤٪ | ٣٨٪ |
| نـورك | (NORC) | ابريل ١٩٥٧ | ١١٪ | ٤٠٪ | ١٨٪ | ٣٠٪ |
| هاريس | (Harris) | ١٠ يونيه ١٩٦٧ | — منذ مدة طويلة والعرب يريدون شن حرب على اسرائيل : ٦٣٪ موافقون ، ٥٪ غير موافقين ، ٣٢٪ غير متأكدين . — منذ مدة طويلة واسرائيل تريد شن حرب على العرب : ١٦٪ موافقون ، ٤٥٪ غير موافقين ، ٣٩٪ غير متأكدين . | | | |

المرجع : جمع من :

Hazel Erskine, «The Polls: Western Partisanship in the Middle East,» *Public Opinion Quarterly*, Winter, 1969,70, Vol. XXXIII, No. 4, pp. 627-40.

## جدول ( ٣ )

## تصورات مدرسي الثانوي بولاية كانساس عن العرب واليهود والاسرائيليين

| المجموعة | الشعب او البلد | الديانة | الطابع القومي | ظروف الدولة العسكرية | ظروف الدولة الداخلية | حكومي | الاضطهاد... ضحايا الظروف |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| العرب | ٢٩٪ | ١٣٪ | ٢٧٪ | ١١٪ | ١٩٪ | ١ ٪ | — |
| المصريون | ٣٠٪ | ١ ٪ | ٣٦٪ | ٥ ٪ | ١١٪ | ١٧٪ | — |
| الفلسطينيون | ٣ ٪ | ١١٪ | ٢٥٪ | ٨ ٪ | ٢١٪ | — | ٣١٪ |
| المسلمون | ٨ ٪ | ٥٨٪ | ٢١٪ | ٤ ٪ | ٨ ٪ | — | - |
| اليهود | ١٠٪ | ٢٠٪ | ٤٦٪ | ١ ٪ | — | — | ٢٣٪ |
| الاسرائيليون | ٨ ٪ | ١٣٪ | ٥١٪ | ١١٪ | ١١٪ | ٦ ٪ | — |

**جدول ( ٤ )**

**اتجاهات مدرسي الثانوي بولاية كانساس نحو العرب واليهود والاسرائيليين**

| المجموعـة | ايجابي | متعاطف | محايد | سلبي |
|---|---|---|---|---|
| العـرب | ٤ ٪ | ٢ ٪ | ٦٤٪ | ٣٠٪ |
| المصريون | ٢٤٪ | ٣ ٪ | ٣٧٪ | ٣٦٪ |
| الفلسطينيون | ١٠٪ | ٢٤٪ | ٤٨٪ | ١٨٪ |
| المسـلمون | ١٧٪ | ٣ ٪ | ٦٠٪ | ٢٠٪ |
| اليهـود | ٣٩٪ | ١٨٪ | ٣٦٪ | ٧ ٪ |
| الاسرائيليون | ٥٢٪ | ٥ ٪ | ٣٩٪ | ٤ ٪ |

## الحواشي

١ — انظر
David Finlay, Ole R. Holsti and Richard R. Fagen, *Enemies in Politics* (Chicago: Rand McNally and Company, 1967)
وللاطلاع على الآراء الامريكية المتباينة تجاه الشعبين الصيني والياباني خلال وبعد الحرب العالمية الثانية ، انظر
«Trade Winds» column of *Saturday Review* (May 7, 1966, p. 14).

٢ — في رأي الخبيرة البريطانية اليزابيث مونرو انه « لو نظرنا على المصالح القومية البريطانية فقط ، لكان [ وعد بلفور ] من أكثر الاخطاء التي ارتكبت في تاريخنا الامبريالي » . انظر
Elizabeth Monroe, *Britain's Moment in the Middle East, 1914-1956* (London: Methuen, 1965), p. 43.

٣ — Michael W. Suleiman, «The Arabs and the West: Communication Gap,» *Il Politico*, Vol. XXXII, No. 3 (1967), pp. 511-529.

٤ — David Riesman, *Individualism Reconsidered* (Glencoe, Ill. The Free Press, 1954), p. 139.
الرقابة علـى الاخبـار والمطبوعات لاسبـاب « الامن » موجودة في اسرائيل منذ قيام الدولة. ولكن في ١٩٦٩ تذمر اعضاء جمعية رجـال الصحافة الاجانب في اسرائيل ان « تفصيلات هامة للاخبار احيانا يعترض عليها من قبـل المراقبة لاسباب يظهر انهـا تتعلق بالهيبة او الصورة النمطية فقط » . راجع
*International Herald Tribune* (Paris), Dec. 12, 1969, p. 4.
هذا وقد لجأت السلطات الاسرائيلية منذ ١٩٦٧ الى ادراج اسمـاء ناقـدي الحكومـة مـن الاسرائيليين الموجودين في الخارج في اللوائـح السوداء مع رفض تجديد جوازات سفرهم وذلك لكي ترغمهم على العودة الى اسرائيل .

٥ — انظر
Milton Rokeach's Discussion of *The Open and Closed Mind* (N.Y.: Basic Books, 1960).

٦ — راجع
A. B. Zahlan in his «Support for Israel: A Legacy,» *Middle East Newsletter* (Jan.-Feb., 1969), pp. 11-15.

٧ — انظر مثلا
«An Evaluation of Middle East News Coverage in Seven American Newsmagazines, July-Dec., 1956,» *Middle East Forum*, Vol. XLI, No. 2 (Late Autumn, 1965); and «American Mass Media and the June Conflict,» in Ibrahim Abu-Lughod, ed., *The Arab-Israeli Confrontation of June 1967: An Arab Perspective* (Northwestern, Ill.: Northwestern Univ. Press, 1970), pp. 138-54.

٨ — Farhat J. Ziadeh, «Report of the Middle East Image in Secondary Schools Committee,» (Mimeographed), Nov. 1, 1972, p. 1.

٩ — T. Walter Wallbank and Arnold Schrier, *Living World History* (Chicago: Scott, Foresman, 1969), p. 54.

١٠ — Ralph S. Yohe et al., *Exploring Regions of the Eastern Hemisphere* (Chicago: Follet Educational Corporation, 1969), p. 406.

١١ — المصدر نفسه ، ص ٧٠ .

١٢ — Daniel Roselle, *A World History: A Cultural Approach* (Boston, Mass.: Ginn, 1969), p. 717.

١٣ — Wallbank and Schrier, *op. cit.,* p. 190.

١٤ — المصدر نفسه ، ص ٧٠ .

١٥ — Pierre Etienne Dostert, *Africa, 1971* (Washington, D.C.: Stryker-Post Publications, 1971), p. 99.

١٦ — Wallbank and Schrier, *op cit.,* p. 704.

١٧ — أرسلت الاستمارة الى ٤٢٥ مدرسة في ولاية كانساس واجاب عليها ما يزيد قليلا عن ٤٠٪ .

١٨ — مع ان نفس العدد ذكر هاتين الصفتين الا ان النسبة المئوية تختلف لان العدد الاجمالي لافراد المجموعة الاولى يختلف عن العدد الاجمالي لافراد المجموعة الثانية .

١٩ — Ziadeh, *op. cit.,* p. 3.

٢٠ — رسالة خاصة من وليام جرمان ( ٥ حزيران ١٩٧٢ ) .

# الدعاية الصهيونية في بريطانيا : « الجويش اوبزرفر » كحالة للدراسة

م٠ ع٠

تتأثر الدعاية بطبيعة النظام السياسي والاقتصادي القائم ، وفي ظل النظام البرلماني البريطاني حيث تتوازن السلطات، وتسود الديمقراطية الليبرالية، والنظام الحزبي ، وجماعات الضغط وجماعات المصالح و« اللوبيهات » ، وتبرز قوة المؤسسات الاقتصادية الامر الذي يؤثر على وسائل الاعلام وفعاليتها ، من حيث دور هذه القوى في التأثير على وسائل الاعلام وتكييف منطقها الاعلامي . واذا كانت هناك حرية نظرية لوسائل الاعلام ، من حيث تعدد هذه الوسائل ، واختلاف اتجاهاتها ، الا ان المصالح هي القوة المحركة خلفها وان كان هذا لا يمنع من ابراز وجهات نظر معارضة ، في اطار ما يسمح به النظام الليبرالي .

وفي ظل هذا المناخ تسير الدعاية الصهيونية ، من خلال افراد الجاليات اليهودية ذوي الميول الصهيونية ، والمؤسسات الصهيونية في انجلترا، ومن خلال اعضائها المنتشرين في وسائل الاتصال الجماهيري المختلفة ، ومن الافراد غير اليهود ذوي الميول الصهيونية المنتشرين في الصحافة والاذاعة والتلفزيون ومجلس العموم ومجلس الوزراء والاحزاب والمؤسسات الثقافية والتعليميةوغيرها، فضلا عما سبق هناك الصحافة الصهيونية الممثلة في الجويش اوبزرفر والجويش كرونيكل ، وهي في طبيعتها تسير في اطار المخطط الصهيوني .

تعتمد الجويش اوبزرفر على التشويه بشكل اساسي اي وضع الحقائق ناقصة ، او توجيهها وجهة صهيونية ، وترتيبها في شكل مغرض بقدر الامكان ، مع تبرير المخطط الصهيوني والعمل من أجل اخضاع مستقبل الرسالة الدعائية بهذا المخطط .

ومن امثلة التشويه في الجويش اوبزرفر خلال شهر يناير ١٩٧٣ تشويه تغطية زيارة مائير للفاتيكان واظهار الحقائق في شكل قسوة ، وتبرير وجهة النظر الصهيونية على حساب وجهة نظر الفاتيكان . وهناك تشويه شائع وهو اطلاق كلمة « ارهابيين » على « الفدائيين » وتشويه قرار الرئيس عيدي امين الخاص بقطع العلاقات مع اسرائيل ، وتشويه مبررات الاضطرابات الطلابية في جامعة القاهرة . ويصبح التشويه اكثر تأثيرا اذا اعتمد المستقبل على هذا المصدر وغيره من

المصادر المؤيدة لاسرائيل . كما ان استخدام الصور ووضعها بشكل معين ، يساعد في رسم التشويه والمساهمة في تحقيق المخطط الصهيوني . وهكذا تصبح الجويش اوبزرفر وسيلة دعائية صهيونية ، من خلال عرضها الدعائي والتشويه . وتتسم المصادر بشكل عام بالغموض فهي على حد ما تذهب اليه المجلة « مراسلنا الخاص » / مراسلنا الخاص بالشرق الاوسط / او ذكر بعض الاشخاص ، وهي مصادر بشكل عام تتمشى مع طبيعة العرض الدعائي للرسالة، اي محدودية المصادر ، والشك في طبيعتها ، وهذا يتمشى مع المخطط الدعائي للمجلة .

وتتسم الموضوعات المعروضة بالتعدد فتتراوح بين الجوانب العسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها كما انها تركز على اسرائيل والصهيونية وما له علاقة بها . وقد انعكس ذلك على العرض الدعائي كما سيتبين فيما بعد .

**المنطق الدعائي في الجويش اوبزرفر** : نقصد بالمنطق الدعائي في هذا الصدد الديناميات الخفية وراء العرض الدعائي والتي تشكل اطارا منطقيا، وقد توصلنا اليها من خلال تحليل مضمون الجويش اوبزرفر في شهر يناير ١٩٧٣ . وقد ركز المنطق الدعائي على : —

١) اسرائيل ومصر في حاجة الى السلام لتحسين الوضع الاجتماعي والاقتصادي .

٢) رغم الانجازات الاجتماعية لاسرائيل ، فما زال هناك نقص في بعض المجالات فهناك نقص في الخدمة الصحية ، وهناك مصاريف تدفع في التعليم الثانوي وكثير من طلبة الجامعات عليهم ان يعملوا من اجل تمويل دراساتهم ، ويوجد نظريا تكافؤ في الفرص ومن هناك خطوط تقسيم اجتماعية عميقة من التطبيق العملي ، وبالنظر الى التضخم على الحكومة ان تقدم تنازلات تجاه الاجور ، وهكذا تعتمد اسرائيل على التمويل الخارجي للبقاء كما ان مصر تحتاج الى المساعدة المالية المتوفرة في العالم العربي .

٣) تحطم اسرائيل الاجهزة العسكرية السورية ، كما تعاقبها لايواء « الارهابيين » .

٤) يعد التصادم على الحدود الاسرائيلية السورية احراجا لمصر المرتبطة نظريا مع سورية وليبيا في شكل اتحاد فيدرالي سياسي وعسكري .

٥) القذافي كان في الماضي ينتقد انعدام العمل العربي والاستسلام اما الان فهو غير واضح ، كما ان السادات يعارض فكرة تسوية جزئية بين اسرائيل والدول العربية بمفردها وان البديل الوحيد هو حرب شاملة ولكن هذا يحتاج الى نوع من الشجاعة كالتي اظهرها هتلر عندما هاجم روسيا ، والسادات معجب بهتلر ولكن من غير المحتمل ان يقبل هذا التحدي ، وان السادات طلب من المجلس الوطني الفلسطيني ان يوجد فصائله ، ويحصل على تأييد العرب في المناطق التي تديرها اسرائيل ، اما عرفات فقال ان الثورة الفلسطينية تهدف الى تحطيم النظام الاردني والعمل على تصعيد العمليات ضد اسرائيل ، ويعارض المجلس خطة الملك حسين الخاصة بالملكة العربية المتحدة كمقدمة لاتفاقية سلام مع اسرائيل .

٦) هاجم الرئيس بومبيدو زيارة ماثير لباريس لحضور اجتماع الاشتراكية الدولية واعتبر الدعوة الموجهة لمائير من السياسيين الاشتراكيين تدخلا في الشئون الداخلية لفرنسا ، والتي جاءت قبل الانتخابات الفرنسية مباشرة ، بالاضافة الى اهمية الصوت اليهودي في مناطق مختلفة من فرنسا .

٧) تتجه كل من بريطانيا وسورية نحو استئناف العلاقات الدبلوماسية المقطوعة عام ١٩٦٧ ، وكانت سورية قد اتهمت بريطانيا والولايات المتحدة بالاشتراك مع اسرائيل في حرب الايام الستة .

٨) تنوي الولايات المتحدة ان تنشط عام ١٩٧٣ ، من اجل تسوية سلمية لازمة الشرق الاوسط .

٩) الروابط الاقتصادية بين اسرائيل والضفة الغربية من الاردن حقيقة وهذه الروابط ظاهرة ايجابية وتضع اساسا لمستقبل التعايش الاقتصادي .

١٠) يعاني اليهود السوفييت من الاضطهاد ويحتجون على ضريبة الهجرة .

١١) الولايات المتحدة راضية عن اسرائيل وستجدي محاولات اسرائيل من اجل تسوية جزئية للشرق الاوسط مع التركيز على اعادة فتح قناة السويس للملاحة وستقوم الولايات المتحدة بدور جديد وذلك بعدم فرض تسوية والقيام بدور القائم

بالتفاعل للوصول الى المحادثات عن قرب تحت اشراف الولايات المتحدة ، واصرت مصر على تعهد اسرائيلي مسبق من اجل الانسحاب الكلي ، ويرى سيسكو ان ذلك غير واقعي . ويعتقد الامريكيون ان حالة اللاسلم واللاحرب ذات قيمة عظيمة للروس .

١٢) اسرائيل معرضة لصدمات جديدة في افريقيا ، كما ان قوة البترول العربي تسرق اصدقاء اسرائيل ، فقطعت خمس دول افريقية علاقاتها الدبلوماسية باسرائيل وهي اوغندا وتشاد والكنغو برازافيل والنيجر ومالي ، وقالت اسرائيل لا يوجد شيء في العلاقات الثنائية بين اسرائيل وهذه الدول يبرر قرارها الخاص بقطع العلاقات الدبلوماسية ، وللقذافي دور في ذلك بالاضافة الى دور الملك فيصل .

١٣) تخصص اسرائيل اكثر من ٣٥٪ من ميزانيتها الكلية للدفاع هذا العام ، وان الانفاق العسكري الضخم يميز اسرائيل عن الدول الاخرى ، وهناك ظواهر غير ملائمة رافقت نمو السياحة في اسرائيل ، لذلك من الاهمية تشجيع السياحة والقضاء على شكوى السياح ، كما حسن الاسرائيليون الاوضاع الزراعية للعرب في الاراضي العربية المحتلة في عدوان ١٩٦٧ . وتصدر الضفة الغربية منتجاتها الزراعية لبعض الدول العربية .

١٤) تعاني مصر من زيادة معدل الامية ، والذين يريدون تعليم اطفالهم عليهم ان ينفقوا الاف الجنيهات على الدروس الخصوصية في السنوات الاولى من الدراسة ، وان اقل من ٢٠٪ من حجرات الدراسة التي خططت لها وزارات التعليم المصرية للبناء بين ١٩٦٠ — ١٩٧٠ تم بناؤها فعلا، وان معدل الرسوب في امتحانات وزارة التعليم ١٩٦٨/١٩٦٩ وصل الى ٧ و ٤٥٪ في المدارس الابتدائية ، ٥ و ٢٨٪ في المدارس الاعدادية ، ٨ و ٤٥٪ في التعليم الثانوي . كما تبيح مصر التعليم المجاني من الحضانة الى الدكتوراه ، وتقوي الحملة ضد الامية ، وفي عام ١٩٥٢/٥٣ كان هناك فقط ٤٢٫٥٠٠ طالب جامعي ، وارتفع العدد في ١٩٦٠/١٩٦١ الى ٩٣٫٠٠٠ وفي ٧٠/٧١ اصبح العدد ٢٠٠٫٠٠٠ طالب جامعي .

وقال مدير جهاز الخدمة المدنية المصري منذ سنوات قليلة معلقا على نتائج الاختبارات المعقودة للعاملين في الخدمة المدنية — ان ٦٦٪ من الحاصلين على الليسانس والماجستير في الاداب حصلوا على صفر في الاختبارات الخاصة لتحديد الكفاءة ، وذلك في الاعمال المتعلقة بتخصصهم ، وان مستوى المتحنين يدعو الى الاسف ، فخريجو كليات الزراعة جاهلين بمبادىء الجغرافية ، وان خريجي اللغة العربية والاداب يرتكبون اخطاء نحوية تدعو الى الخجل ،وخريجو الهندسة على مستوى منخفض جدا في المعلومات العامة وكذلك خريجو التجارة والاداب ومعاهد التدريب المهني ، كما ان التعليم المصري في الماضي ركز على تخريج موظفين وتكنوقراط ، ويأخذ خريجو الجامعة وقتا حتى يجدون عملهم ، كما يشكل الموظفون عبئا على ميزانية الدولة ،وهناك ضعف في معرفة اللغات الاجنبية ، ولا توجد عادة الحوار او اجراء المناقشات بالنسبة للطلاب .

١٥) شلومو هيلل وزير البوليس الاسرائيلي من الملونين ، وقد ولد في بغداد اما يهود العراق وسورية فيعانون من الاضطهاد .

١٦) انخفض معدل الهجرة من الغرب منذ حرب سنة ١٩٦٧ ، وان اكبر مشكلة هي انخفاض الهجرة من الولايات المتحدة .

١٧) بينما يعترف الفاتيكان بسيادة الدول العربية في الشرق الاوسط فما زال يرفض الاعترافبالدولة اليهودية ، وان هذه المقابلة هامة وتشكل مرحلة في تقرير العالم لوجود اسرائيل ، فهي تخلق سابقة لاستمرار الحوار بين روما والقدس على مستوى عال ، وهذا يساعد في تقوية علاقات اسرائيل مع اوروبا، وكل الذين اعتذروا للمتحدث الصحفي للفاتيكان فشلوا في توضيح اهمية هذا الاجتماع بين البابا بولس السادس وغولدا مائير ، وان هذا اول اجتماع من نوعه منذ انشاء اسرائيل ، وهذا يعني اعتراف الفاتيكان الواقعي باسرائيل ، وان مائير قالت انها كانت سعيدة بالاجتماع وذهبت مائير الى ان البابا لم يطلب تدويل القدس ، وهذا هو هدف الفاتيكان منذ ١٩٤٨ ، وانه شكرها لطريقة اسرائيل في معاملة الاماكن المقدسة المسيحية ، وجاء في بلاغ الفاتيكان ان البابا بعد أن استمعادمعاداة اليهود، جدد وجهة نظره حول مشكلة اللاجئين ووضع الجاليات المختلفة التي تعيش في الاراضي المقدسة ، وان البابا عبر عن امله في ان العدالة قد تكون اساس السلام والتعايش بين كل الشعوب في الشرق

الاوسط وان الهدف من بيان الفاتيكان هو اخذ رد فعل العالم العربي في الاعتبار ووضع الاقليات المسيحية هناك ، حيث ذكر المتحدث ان البابا استقبل الملك حسين وشخصيات اخرى في العالم العربي ، وهناك علاقات ودية مع مصر ولبنان وسورية وللفاتيكان علاقات دبلوماسية مع عدة دول عربية مثل تونس والجزائر والكويت والعراق وان الموقف تجاه اسرائيل لم يتغير .

وذهبت مائير الى انها قالت للبابا انه لا يوجد هدف موضوعي لحل مأساة اللاجئين الفلسطينيين، وعندما عرض البابا هذه المسألة قالت ان عدد اليهود الذين قدموا من الدول العربية لاسرائيل كانوا اكبر في العدد .

وللبابا اتصال ثابت مع اسرائيل منذ ١٩٦٤ ، وفي اكتوبر سنة ١٩٦٩ زار ايبان وزير خارجيةاسرائيل الفاتيكان .

ويلاحظ ان المنطق الدعائي يكشف السعي لاعتراف الفاتيكان باسرائيل .

١٨) السادات غير مستعد لفتح قناة السويس في اطار المبادرة الامريكية ، ويعمل السادات من اجل تنشيط سياسة عدم الانحياز ، ولكن تيتو قابل ذلك ببرود ، ويأمل السادات ان يعيد هيبته باعادة نادي عدم الانحياز بالاضافة الى وضعه في العالم العربي ، والسوريون يلمحون بانهم سينسحبون من اتحاد الجمهوريات العربية ، وان عرفات عاد من جديد ينتقد مصر بقبولها وقف اطلاق النار ، وان اكبر تحد يواجه السادات يكمن في الجبهة الداخلية وذلك من جراء الاوضاع الطلابية .

١٩) يصعد الفلسطينيون العنف الثوري ، كما أن المجلس الوطني الفلسطيني برر استمرار العنف وهذا واضح من تشكيل اللجنة التنفيذية .

٢٠) الملك حسين على استعداد للموافقة على انشاء مستعمرات اسرائيلية استراتيجية على طول نهر الاردن اذا اعادت اسرائيل الضفة الغربية كمنطقة ذات حكم ذاتي ولكن منزوعة السلاح في اطار المملكة .

٢١) بعد انتهاء الولايات المتحدة من حرب فيتنام يشعر المراقبون السياسيون ان ذلك سيمكن نيكسون من التحول الى الشرق الاوسط .

٢٢) طرد عيدي امين الاسرائيليين وتحول من صداقة اسرائيل الى عداوتها وانه اقترض عدة ملايين من الليرات الاسرائيلية من أجل المطارات واجهزة التدريب وعدد من المشاريع الاقتصادية التي انتهى الاسرائيليون منها او كانوا على وشك الانتهاء .

٢٣) ما زالت اسرائيل تعاني من عدم الاندماج الاجتماعي رغم حصولها على الاستقلال عام ١٩٤٨ ، وستأخذ اسرائيل اكثر من جيل لاحداث الاندماج ، وانتقل ذلك الى الشئون الدينية بالخلاف بين الحاخام الاشكنازي والحاخام السفاردي .

٢٤) يتمثل الاثر الرئيسي لاتفاقية فيتنام حول الشرق الاوسط في تصريح نيكسون القائل ان كل دولة يجب ان تؤمن مستقبلها ، وفي اطار هذا المضمون تريد واشنطن من اطراف صراع الشرق الاوسط ان يتفاوضوا للوصول الى تسوية بشكل مباشر ما امكن ذلك ، وقد تجد الولايات المتحدة نفسها غير قادرة على اجبار المصريين للجلوس على مائدة المفاوضات ، وان اسرائيل ترحب بمبادرة روجرز ، وان روجرز يشيد باسحق رابين، كما ان ايبان يمتدح الرئيس الامريكي السابق جونسون .

٢٥) هناك قيود على نشاط الفدائيين من سورية، فيلزم موافقة قيادة الجيش السوري على اي عمليات تشن ضد اسرائيل .

٢٦) قال شلومو هيلل وزير البوليس الاسرائيلي اذا كان العرب على استعداد للوصول الى السلام ، فعلى اسرائيل ان تتكبد ثمنا غاليا نسبيا لكي يتم الوصول الى السلام ، والشعب العربي يريد السلام كالاسرائيليين تماما واسرائيل على استعداد للوصول الى السلام في المستقبل القريب .

٢٧) رغم نمو الوعي السياسي والتعليم منذ حرب ١٩٦٧ ، فان العرب في غزة ليسوا على درجة ملائمة في معاملاتهم الاجتماعية ، كما أن سكان الضفة الغربية غير مهتمين بالانباء الواردة من العالم العربي وعلى سبيل المثال فالاجتماع الاخير لوزراء الخارجية العرب ومؤتمر رؤساء الاركان العرب الذي اعقبه ، لم يجذب الانتباه وكانت مثل هذه الاجتماعات تثير الاهتمام قبل ١٩٦٧ .

**مدى قابلية المنطق الدعائي للتصديق :** تتوقف

القابلية للتصديق على نوعية مستقبل الرسالة الدعائية وطبيعة درايته بالرسالة الدعائية ومعرفته بموضوعها ، والخصائص البيئية للنظام السائد ، وما يرتبط بها . والمسائل المتعلقة بمرسل الرسالة .

وسنتناول هنا مدى قابلية المنطق الدعائي للتصديق ، في اطار الحقيقة البعيدة عن التشويه.

وقد قمت بتدقيق ما ذهبت اليه الدعاية عن نتائج الاختبارات المعقودة للعاملين في الخدمة المدنية ، فوجدت ان ما ذهبت اليه الدعاية لا اساس له من الصحة ، كما أن المنطق الدعائي شوه صورة عرب غزة والضفة الغربية عندما ذهب الى انهم غير مهتمين ، ولكن الحقيقة تثبت انهم مهتمون بدليل القيام بالاعمال الفدائية وهي درجة عملية اعلى من الاهتمام .

كما يصف المنطق الدعائي الفدائيين بالارهابيين ، كما سير المنطق الدعائي حقيقة الحاجة الى السلام واعتماد اسرائيل على التمويل الخارجي وقوة اسرائيل العسكرية والتعرض للزعامات العربية وموقف العرب الخاضعين للاحتلال من اسرائيل ووضعية اليهود السوفييت والاقتصاد الاسرائيلي والتعرض للدول العربية ، والموقف الدولي ، في اطار الاستراتيجية الاسرائيلية وخدمتها .

ولكن طالما ان هذه المجلة توزع اساسا على مستقبل صهيوني او موالي للصهيونية ، وبهذا الشكل تعتمد على مستقبل لديه استعداد مسبق للتصديق .

**الاعلام العربي في بريطانيا :** يتمثل الاعلام العربي المشترك في لندن من خلال مكتب جامعة الدول العربية ، بالاضافة الى دور السفارات العربية هناك ، وذلك عن طريق الاتصال بمؤسسات صناعة القرار السياسي المباشرة وغير المباشرة، بالاضافة الى القيام بأعمال العلاقات العامة ، وذلك بالوسائل الخاصة بالمقابلات والاتصالات والاذاعة والتلفزيون والصحافة والافلام والكتب والمجلات ، ولكن الاعلام في حد ذاته وسيلة من وسائل السياسة الخارجية ، اي يغلب عليه الطابع التنفيذي ، ويحد او يساعد من فاعليته طبيعة السياسة الخارجية او مؤسساتها ، وهنا يؤخذ في الاعتبار درجة التقارب بين السياسة الخارجية التي يخدمها الاعلام الموجه لبريطانيا والسياسة الخارجية البريطانية ، ومعروف ان السياسة الخارجية لبريطانيا تجاه قضية فلسطين لها مبررات تاريخي خاص بوعد بلفور والانتداب البريطاني والاعتراف باسرائيل والعلاقات على مستويات مختلفة بين اسرائيل وبريطانيا ، بالاضافة الى العلاقات بين بريطانيا والدول العربية ، والمصالح البريطانية في الشرق الاوسط، والعلاقة بين بريطانيا والولايات المتحدة في اطار الاستراتيجية الغربية ، والعلاقة بين بريطانيا واوربا الغربية ، كل ذلك ساهم في تحديد موقف بريطانيا تجاه المشكلة والذي يتسم باستخدام الالفاظ الغامضة ، والحلول الوسط ، ومن هنا تظهر المعضلة التي تواجه الاعلام العربي في بريطانيا .

كما أن اثر الجويش اوبزرفر يمتد الى الجاليات الصهيونية في مختلف انحاء العالم ، وهي بوجه عام تهدف الى تضخيم زيادة تأييد السياسة الاسرائيلية والصهيونية بين مستقبلها .

# النشاط الاسرائيلي في الهند

للدكتور محمود نديم حسون

تأخذ الاحداث في منطقة الشرق الاوسط دورا كبيرا ومركزا في الصحف الهندية وتحظى باهتمام الرأي العام في الهند . والهندي المثقف يناقش موضوع القضية الفلسطينية بشكل عام عن اطلاع ومتابعة ، ويربط القضية بالمصلحة التي تعود بها على الهند . وشبه القارة الهندية رغم اتساع رقعتها وتعدد ولاياتها ( ٣٢ ولاية ) التي تحكم اقليميا ، ورغم التناقضات التي تمتد جذورها عميقا في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية ، فانها تتطلع الى القيام بدور كبير في المنطقة وتعد نفسها للقيام بدور الدولة العظمى ، تساعدها في ذلك امكانياتها السكانية وموقعها الجغرافي ومساحتها الكبيرة بالاضافة الى ظروف اقليمية ودولية ، ومساندة فعلية سواء ظاهرية او خفية من دول عظمى لتقف حاجزا امام التيار الصيني الذي يهدر كالموج في شرق آسيا والذي يسعى لامتداد نفوذه في كل شبر من تلك المنطقة .

وقد بدأت مكاسب الهند تتحقق بانتصارها في صراعها الهندي الباكستاني حول باكستان الشرقية وانفصال بنغلادش واعتراف كثير من الدول بها .

وقد تعرضت القضية الفلسطينية وازمة الشرق الاوسط لحملة معادية للعرب خلال الحرب الهندية الباكستانية ، ولم تنقطع هذه الحملة حتى يومنا هذا وان كانت تتصاعد او تنخفض بدرجات متفاوتة حسب الاحداث في منطقتنا العربية . واستطاعت فعلا القوى الصهيونية الهندية المعادية للعرب ان تستغل التناقضات الطائفية بين المسلمين والهندوس فيها ( والتي استغلت مرات عديدة سابقة ) وان تزج بالعرب في معركة الهند كأنهم الطرف الاخر للنزاع المرتبط بباكستان دينيا وعقائديا ومصلحيا .

وقد أكد ذلك الموقف العربي الرسمي الذي يربط اعتراف بعض الحكومات العربية ببنغلادش بموقف باكستان ومفاوضاتها او اعترافها بالدولة الجديدة. وهذا ادى الى تحرك النشاط الاسرائيلي نتيجة لتأييد اسرائيل للهند في معركتها مما أتاح للقوى المعادية ان تعمل بسرعة لتشوه الوجه العربي ، ولتثبت مواقعها الجديدة التي اكتسبتها ابان الازمة ، وعلى ظهور اصوات من المعارضة البرلمانية ( وكلها احزاب يمينية ) تطالب بضرورة اعادة النظر في السياسة الخارجية للهند ، وكذلك ظهور اصوات معلقين سياسيين يطالبون بالاعتراف باسرائيل وبرفع التمثيل الدبلوماسي الى درجة سفارة .

**النشاط المعادي :**

يتخذ النشاط المعادي للعرب مظاهر عديدة منها :

١ — نشاط القنصل الاسرائيلي ومحاولته بناء روابط علمية ثقافية بين الهند واسرائيل .
٢ — جمعيات الصداقة الهندية الاسرائيلية .
٣ — مواقف في البرلمان من اعضاء متعاطفين مع اسرائيل . ٤ — مواقف بعض الاحزاب اليمينية مثل احزاب ( السواتنترا ) و ( جانا سنغ ) .
٥ — مواقف الصحافة ووسائل الاعلام المتعاطفة مع الحركة الصهيونية واسرائيل .

وقد وزع القنصل الاسرائيلي رسالة يدعو فيها المسلمين الهنود لزيارة بيت المقدس. وكانت الغاية من توزيع هذه الرسالة الضغط على الحكومة الهندية بواسطة المسلمين لتغيير موقفها تجاه اسرائيل . كما قامت الدعاية الاسرائيلية في اوساط المسلمين بحملة ضد العرب حلفاء الشيوعية المناهضة للاسلام .

أما بالنسبة للتعاون العلمي ، فقد مهدت القنصلية الاسرائيلية للتعاون بين معهد وايزمان الاسرائيلي ومعهد التكنولوجيا الهندي بدلهي بأن كلف معهد وايزمن الاستاذ ( س. ك. سيري ) باعداد ابحاث علمية خاصة ، وكذلك تم التعاون مع اساتذة من معاهد هندية مختلفة مثل المعهد التكنولوجي في كانبور .

وقد قامت المعاهد الاسرائيلية بتنمية هذه الصلة العلمية مع عدد كبير من الباحثين وتوجيه الدعوات لهم . فقام المهندس ( أ. غوش ) الذي أعد ابحاثا عن المطر الصناعي بزيارة اسرائيل ومناقشة أبحاثه في معاهدها . وتتجه الخطة الاسرائيلية نحو الاوساط العلمية والثقافية هادفة الى : أ — تثبيت صورة التقدم العلمي الاسرائيلي وتفوقه في ذهن

الاوساط العلمية والمثقفة الهندية . ب ـ خلق جو معاد للعرب « المتخلفين الذين يريدون هدم اسرائيل العلمية » . ج ـ اقامة تعاون مع الهيئات العلمية للفائدة المشتركة كما تدعي اسرائيل . د ـ نشر الكتب والابحاث العلمية الاسرائيلية . هـ ـ الاستفادة من ابحاث العلماء الهنود .

وتجرى الاتصالات عن طريق القنصل وبالتعاون ايضا مع الخبراء اليهود والامريكان العاملين في المؤسسات العلمية الهندية . هذا مع العلم بأن امريكا انشأت مفاعلا ذريا كبيرا في الهند شمال بومباي ، وهو أكبر الاربعة مفاعلات الذرية الموجودة .

وقد مهد القنصل الاسرائيلي لزيارات عدد من العلماء الاسرائيليين الى الهند مثل زيارة البروفسور ( ي. منكوف ) من ادارة هندسة المعادن بالقدس في مايو الماضي والذي القى عددا من المحاضرات في المعاهد الهندية ، كما نشط القنصل الاسرائيلي في بومباي بانشاء جمعيات صهيونية هندية في ولايات عديدة من الهند .

وقد تقدم النائب ( ابراهيم سليمان سيت ) استفسارا في اجتماع البرلمان بتاريخ ١٩٧٢/١٢/١٣ الى نائب وزير الداخلية السيد محسن عما اذا كانت الحركة الصهيونية تعمل في بومباي وأماكن اخرى من الهند ، وكذلك عن نشاطات الحركة الصهيونية وأهدافها في الهند .

ورد نائب وزير الداخلية على السؤال بأن هناك منظمتين صهيونيتين تعملان في بومباي الاولى تسمى رابطة بومباي الصهيونية والثانية تسمى المنظمة الهندية الصهيونية وهناك منظمة ثالثة تعمل في بونا ، ولا يعلم عن التنظيمات الاخرى في ولايات الهند المختلفة .

وقد رد على جزء السؤال الثاني بأن أهداف المنظمات الصهيونية المعلنة هي : ١ ـ بناء وطن قومي للشعب اليهودي في اسرائيل . ٢ ـ تطبيق المخطط الصهيوني . ٣ ـ تعميق الوحدة بين الشعب اليهودي . ٤ ـ تشجيع دراسة التاريخ اليهودي وكذلك تراثه ولغته وادبه وجعل اللغة العبرية لغة حية في العالم . ٥ ـ توثيق العلاقات الثقافية والتجارية بين الهند واسرائيل . ومن الواضح ان توثيق الروابط بين الهند واسرائيل يأتي بعد تطبيق المخططات الصهيونية وتنفيذ مآربها في المنطقة وبالتالي تعود الفائدة الرئيسية على اسرائيل . بالاضافة الى ما سبق ، تقوم القنصلية الاسرائيلية بحركة نشطة في الهند وتعزز اتصالها المستمر مع بعض النواب في البرلمان لاثارة المواضيع المحرجة للقضية العربية واستغلال الاحداث العالمية لمصلحة اسرائيل ، فمثلا قدم عدد من النواب ( مثل راجا صبحا ، باتل ، رتنا سوامي وغيرهم ) الى ممثل الجامعة العربية في نيودلهي الاستاذ جلال الرشيدي بتاريخ ١٩٧٢/٩/٨ احتجاجا على حادثة ميونيخ اثناء الالعاب الاولمبية وذلك بتشجيع من القنصل الاسرائيلي .

وقد قامت بعض الصحف المحلية بنشر هذا الاحتجاج واستغلاله ، كما استغلت الصحافة بشكل عام الحادثة لتسيء الى العرب والى القضية الفلسطينية . وعندما قام الطلبة العرب بالاعتصام في مبنى الجامعة العربية احتجاجا على تصرف المانيا الغربية بعد حادثة ميونيخ ، قام النائب ( لاكابا ) بتشجيع من القنصل الاسرائيلي باستجواب الحكومة في اجتماع البرلمان بتاريخ ١٩٧٢/١٠/٢٧ عما اتخذته من اجراء حاسم ضد الطلبة العرب ، هذا مع العلم بان مكتب الجامعة العربية لم يقدم أي شكوى ضد الطلبة العرب اثناء الاعتصام . كما قام النائب ( براساد ماثور ) يطالب الحكومة باتخاذ اجراء ضد الطلبة الفلسطينيين في الهند لمنع أية حوادث مماثلة لعملية ميونيخ قد يقوم بها الطلبة الفلسطينيون .

أما النائب ( بيلو مودي ) فقد طالب الحكومة بمراقبة الطلبة الفلسطينيين وملاحقتهم والتأكد من اقاماتهم واذا كان بعضهم يقيم بدون جوازات او اقامة رسمية . وقد طالب أكثر من عضو في البرلمان بضرورة اعادة النظر في السياسة الخارجية للهند تجاه اسرائيل وبالاعتراف بها ورفع درجة التمثيل الدبلوماسي معها . وقد اجاب وزير الخارجية ( سردار سواران سنغ ) في ١٩٧٢/١١/٣٠ بأن الهند معترفة باسرائيل وان لها نوعا من التمثيل في الهند وليس هناك فائدة في الوقت الحاضر من رفع التمثيل الدبلوماسي معها .

ولكن هذا التصريح لم يمنع ( باتوان سينغ ) وهو من الكتاب السياسيين من ان ينقد كلام وزير الخارجية في حديث اذاعي يوم ١٩٧٢/١٢/١ مدافعا عن اسرائيل فيقول : « ماذا يعني وزير الخارجية

عندما يقول ان ليس هناك فائدة قومية من جراء رفع العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل ؟ اننا ليس لنا علاقات تقريبا مع اسرائيل وانه لغريب من وزير الخارجية ان يستنكر عدوان واحتلال دولة لاراضي دولة اخرى في حالة اسرائيل وفي نفس الوقت يوافق على تبادل السفراء مع الصين في الوقت الذي تحتل فيه الصين الافا من الاميال المربعة من اراضينا » ومن المعروف ان الاذاعة هي جهاز رسمي في الهند .

ومن النشاط المعادي في الهند كما ذكرنا سابقا مواقف بعض الاحزاب المتعاطفة مع اسرائيل ونشاط الصحافة ووسائل الاعلام التابعة لهذه الاحزاب بالتهجم على القضية العربية واشارة الحقد والبغض للعرب في الهند ، فحزبا السواتنترا والجاناسنغ الهنديان طالبا الحكومة بمراقبة العرب الذين اساءوا استخدام ضيافة وكرم الهند ، كما ان صحيفة ( مذر لاند ) الناطقة باسم حزب ( الجاناسنغ ) طالبت باغلاق بعثة الجامعة العربية في الهند . وقد ظهرت تعليقات كثيرة اخرى تثير الراي العام الهندي ضد العرب كما ظهرت رسومات الكاريكاتير لتزيد من هذا الشعور المضاد مثل ما قام به الرسام (دوسهيردار) في جريدة ( الهندوستان تايمز ) . وبلغ التهجم على العرب اقصاه عند صدور بعض الخطابات المتفجرة من الهند في الاسبوع الاول من (نوفمبر) ١٩٧٢ واتهام الطلبة الفلسطينيين بها .

وكان موضوع الخطابات المتفجرة مادة للتهكم والتندر والنقد الموجه للعرب وخاصة بين صفوف المثقفين الهنود ، وقد كان اتجاه بعض الصحف الهندية القاء اللوم بشكل مباشر على العرب مثل ما حدث في صحيفتي ( ستاتسمان ) و ( مذر لاند )، وبعض الصحف القت اللوم بشكل غير مباشر مثل صحيفة ( الهندو ) و ( ميل ) اللتان تصدران في مدراس بجنوب الهند .

اما صحيفة ( مارش اف ذا نيشن ) فقد هاجمت العرب في مقالة رئيسية بتاريخ ١٩٧٢/١٠/٧ كما القت باللوم الكبير على الحكومة«لانها بقيت صامتة تجاه العدوان العربي في ميونيخ»واكدت الصحيفة انه لا بد من ان يخطف الفلسطينيون طائرة ويهبطوا فيها بالهند ويخرجوا سالمين ، وعلقت صحيفة ( مذر لاند ) بتاريخ ١٩٧٢/١١/١٥ بأن الهند ليس امامها خيار سوى ان تقوم بارسال الفلسطينيين جميعهم من حيث اتوا .

**الموقف الهندي :**

ورغم هذه السلبيات في الهند ضد العرب فان موقف الهند الرسمي مؤيد للعرب وان موقف حزب المؤتمر الحاكم الذي حقق فوزا ساحقا في انتخابات المجالس التشريعية للولايات الهندية يعد مواليا للحق العربي ، ولم تتخل الحكومة الهندية ممثلة برئيسة الوزارة السيدة ( انديرا غاندي ) وكذلك بوزير خارجيتها ( سردار سواران سنغ ) عن الوقوف مع الخط العربي في المجالات الدولية .

ولا تزال الحكومة الهندية ترفض رفع درجة التمثيل الدبلوماسي مع اسرائيل ، كما ان صحف الحزب مثل صحيفة ( ناشيونال هيرالد ) تقف موقفا معتدلا واحيانا تقف مدافعة عن وجهة النظر العربي . وقد رد وزير الخارجية الهندي على أسئلة عديدة في البرلمان مؤكدا سياسة الهند الرسمية « بأن الهند وقفت الى الجانب العربي لان الحق في جانبهم ، وان الهند ضد الاستيلاء على اراضي بالقوة ، وطالما ان اسرائيل لم تقم بالجلاء عن الاراضي التي احتلتها بالقوة فان الهند مصرة على تنفيذ قرار مجلس الامن،وارجاع الاراضي المستولى عليها الى الدول المعنية صاحبتها » . واذا كان هذا هو الموقف المعلن من الحكومة الهندية على المستوى الدولي فان الملفت للنظر في هذه الايام موقف الصمت الذي تتخذه الحكومة الهندية من النشاط المعادي للعرب والقضية الفلسطينية خاصة ، كما صمتت عن التهجم الكبير على الطلبة الفلسطينيين وتقييد حرياتهم وتفتيش منازلهم ابان ازمة الخطابات المتفجرة رغم تأكيد وزير المواصلات السيد ( بهوجانا ) بشكل حاسم بانه لا يمكن اتهام العرب بهذه الخطابات وذلك عندما أثير هذا الموضوع في البرلمان بتاريخ ١٩٧٢/١١/١٣ .
كما اشارت افتتاحية صحيفة ( نيوايج ) بتاريخ ١٩٧٢/١١/٢٦ عن موضوع هذه الرسائل المتفجرة من الهند الى انه كان هناك مخابرة من القنصلية الامريكية في بومباي الى بوليس المدينة يخبره من استلام رسالتين ملغمتين ، وان خبير المتفجرات لديها قد أبطل مفعولهما ، وكذلك عرض المسؤول الامريكي مساعدة الخبير لابطال مفعول أية رسالة لدى البوليس . وقد شرحوا بوضوح طريقة ابطال مفعول هذه الرسائل . وابلغ البوليس هذا النبأ الى الصحف ولكن القنصلية طلبت من البوليس

عدم نشر هذا الخبر واتصل البوليس لمنع النشر الا ان صحيفة ( بلاتز ) نشرت النبأ معلقة عليه باتهام اسرائيل والصهيونية بتدبير هذه الرسائل بالتعاون مع القنصلية الامريكية وتساءلت الصحيفة : هل تضم البعثة القنصلية الامريكية خبراء متفجرات وما هي مهمتهم وتساءلت الصحيفة ايضا عن مدى علم القنصلية بالمواد المتفجرة المستعملة في هذه الرسائل وكيفية ابطال مفعولها.

ورغم هذا قام البوليس باستجواب العديد من الطلاب الفلسطينيين كما بدأ يضع مراقبة على الشباب الذي ذهب الى الهند ليبحث عن العلم في جو علمي وليس في جو من المضايقات ، ومع هذا بقيت الحكومة الهندية صامتة تجاه هذا التصرف وتركت القوى المعادية تستغل هذه الظروف لصالحها ولتشوه الوجه العربي امام الرأي العام الهندي .

والملفت للنظر هذه الايام موقف هذه الفئات المعادية وترابطها مع الصهيونية واسرائيل وتنسيق اعمالها ضد كل ما هو عربي . وبدأت هذه الفئات باستغلال اذاعة الهند الرسمية للدفاع عن قضية اسرائيل ، مثل الاحاديث التي يذيعها الكاتب ( باتوان سنغ ) دفاعا عن اسرائيل ومثل بعض الاحاديث المعادية للعرب في برنامج ( أضواء على الاحداث ) .

وأعود الى القول ، اذا كان موقف الهند مؤيدا للعرب على المستوى الدولي فلماذا لا تأخذ نفس الموقف في الداخل . وأعود الى التساؤل لماذا يعادى الطلبة الفلسطينيون في الهند . ولماذا لا يطلق لسانهم فعلا ليعبروا عن مأساتهم وحقيقة الوجود الصهيوني ووجه اسرائيل الخادع . هل ازعج هؤلاء الطلبة القنصل الاسرائيلي في بومباي وهل ازعج هؤلاء الطلبة عملاء الصهيونية في الهند.

وأعود الى التساؤل اذا كان موقف الهند مؤيدا للعرب في حقهم في فلسطين وفي اراضيهم المحتلة فلماذا سمحت لليهود الهنود بالهجرة الى اسرائيل وهي تعلم ماذا تعني هذه الهجرة الى القضية العربية وهي تعلم التوسع المخطط الذي تقوم به اسرائيل ، واذا كانت سمحت سابقا بهذه الهجرة فلماذا لا تقبل هؤلاء اليهود الهنود الذين يرغبون في العودة الى الهند من اسرائيل بعد تجربتهم الفاشلة في اسرائيل وبعد اكتشافهم للزيف الصهيوني والتفرقة العنصرية فيها ومعاملة اليهود الهنود كمواطنين من الدرجة الثانية .

وتأكيدا لهذا ما اثاره النائب ابراهيم سيت في البرلمان بتاريخ ١٩٧٢/١٢/٧ عن عدد اليهود الذين هاجروا لاسرائيل وعما اذا كان هناك تمييز عنصري ضد هؤلاء في اسرائيل وعما اذا كان بعضهم يرغب في العودة للهند ومدى تقبل هذا من الحكومة الهندية . وقد اجاب نائب وزير الداخلية بالتأكيد عن علمه بحوادث التمييز العنصري وأكد ان هناك بعض الهنود الذين يرغبون في العودة الى الهند وعن عدم تقبل الحكومة لهؤلاء بعد . فاذا كان اليهودي الغربي ( كالامريكي مثلا ) يحمل جنسيتين وولائين لدولتين ويستطيع العودة الى امريكا مثلا واستعادة جنسيته الاولى ، فلماذا لا يعود الهندي اليهودي الى الهند . فاذا كانت اسرائيل تمارس التمييز العنصري فلماذا تقبل حكومة الهند هذا التمييز .

ان علاقات الهند مع العالم العربي خلال عهد نهرو وحتى الان قد أملتها عدة عوامل نتيجة الكفاح المشترك ضد الاستعمار وعوامل الامن والاستقرار الاقتصادي وقد وجدت الهند حليفا محايدا في الامة العربية ووجدت فكرة نهرو عن عدم الانحياز استجابة ايجابية في العالم العربي .

والدول العربية تزداد اهتماما بالهند بشكل مستمر في مجال التجارة والتعاون الاقتصادي والتكنولوجي . وهذا لا بد ان يدفع الهند لان تقف دوليا وداخليا مؤيدة للحق العربي والقضية الفلسطينية وحق الشعب الفلسطيني بالعودة الى وطنه ، وان تؤيد هذا الحق بأن تقف في وجه القوى الاسرائيلية والهندية المعادية في شبه القارة الهندية وان تدعم نضال الطلبة الفلسطينيين في الهند وايضاح قضيتهم امام الرأي العام الهندي .

**النشاط العربي المضاد للهند :**

تساؤلات كثيرة يمكن توجيهها للنشاط العربي المضاد في الهند فهناك سفارات وقنصليات عربية بالاضافة الى بعثة الجامعة العربية ، فهل املحت هذه الهيئات الدبلوماسية ان توقف المد الاعلامي الصهيوني في الهند وان تضع الحواجز والعراقيل أمام النشاط المعادي.هل استطاع الاعلام العربي لهذه الهيئات الدبلوماسية ان يزيل من لدى الجماهير الهندية صورة الرجعية والتخلف والطائفية . والنقاط التي جهدت الدعاية الصهيونية والمعادية

لتثبيتها في ذهن الرأي العام الهندي والعالمي . هل استطاع الاعلام العربي في الهند ان يرد على ما أثير في البرلمان عن استيراد الفتيات الهنديات للعمل في البلاد العربية . وهل استطاع ان يصل الى الجماهير الهندية في الولايات العديدة ومخاطبة جماهيرها وقواها السياسية والاجتماعية والشعبية واجراء حوار مع اوساطها المثقفة . هل استطاعت هذه الهيئات الدبلوماسية باعدادها وموظفيهـا الوصول الى الجامعات الهندية والى مراكز العلم وبناء روابط مع اساتذة الجامعات والعلمـاء والباحثين الهنود . هل استطاعت هذه الهيئات ان تضع خطة مشتركة للعمل في الهند وان تقوم بعمل دراسات موضوعية لتوزع القوى السياسية والاجتماعية ومواقعها الطبقية وكيفية الوصـول اليها . هل استطاعت هذه الهيئات الدبلوماسية ان تبتعد عما تدعيه الدعاية الصهيونية وان تكون تصرفات اعضائها مثلا كريما للعربي الجديد الثائر الذي لديه القدرة على تحرير وطنه المغتصب .

الواقع ان الاجابة على هذه التساؤلات سلبيـة وانفتار التعاون المتكامل بين اعضاء البعثات ، كـل يمثل خلفية معينة يبعـد امكـانية وضـع خطة عمل مشترك ويبعد امكانية الوصول الى القوى السياسية والثقافية والجماهير الهنديـة لتوضيح الرأي العربي الموحد .

كل بعثة دبلوماسية عربية لها مجلة ، وبعثـة الجامعة العربية تصدر مجلة ( العرب ) الفخمة ذات الورق المصقول والتي تثير القارىء الهندي الذي يقرأ الصحف والمجلات الهندية بورقهـا الرخيص وطباعتها البسيطة . ان صحيفة (العرب) هذه تمثل بفخامتها الوجه البراق الخادع للعرب لتعطي الحقيقة المرة من العجز والتواكل . ان بمثل تكاليف مجلة ( العرب ) هذه يمكن اصدار ثلاث مجلات عادية مما يطالعها القارىء الهندي ويمكن ان تطبع منها أعداد أكبر لتصـل الى الولايات الهندية المتعددة . هل أقول انه مـن المضحك اني ذهبت لزيارة معهد المهندسـين في مركزه بنيودلهي ودخلت المكتبة لاجد في موقـع رئيسي منها نشرة ( أخبار اسرائيل ) بينما لم أجد أي نشرة للنشاط العربي هناك علما بأن نيودلهي تعتبر مركز ثقل عربي لوجود السفارات العربية والبعثة العربية هناك بينما القنصلية الاسرائيلية بعيدة حوالي ( ١٢٠٠ كم ) في بومباي .

هل أقول اني تعرفت على السيد ( فيشوا جوبتا ) في نيودلهي وهو ناشر ورئيس تحرير لثلاث صحف هندية ومركزه بنيودلهي ( مركز الثقل العربي ) ويخبرني انه يفتقر الى النشرات التي توضـح المواقف العربية الاتية للاحداث العربية والعالمية. ان النشاط العربي في الحقيقة يقوم به الطلبـة العرب وخاصة الطلبة الفلسطينيون وهذا حق يقال في جانبهم ويدعم نشاطهم ممثل منظمة التحرير الفلسطينية . وهذا النشاط يفوق كثيرا امكانياتهم المادية والمعنوية ، واني ادعو اتحاد الطلبـة الفلسطينيين العام لدعم فرعهم في الهند من الناحية المادية او ان يؤمن هذا الدعم بصورة او بأخرى حتى يستطيعوا ان يصلوا الى الجماهير الهندية والى الاحزاب والمعاهد المختلفة ، فان لديهم القدرة العلمية والوعي الكافي لطرح القضية الفلسطينية بأسلوب موحد وضمن اطار الثورة والتحـرر والحركة النضالية للشعب الفلسطيني .

# شهريات

## ( ١ ) المقاومة الفلسطينية

### انكسارات في الجدار

في الشهر الماضي طرح سؤال جاد عن مدى فاعلية الحصار العسكري والسياسي ، والنفسي ايضا ، وجدواه والذي فرض من حول المقاومة الفلسطينية منذ أيلول ١٩٧٠ تحديدا حيث مثل هذا الحدث ( مجزرة أيلول ) بداية مرحلة كانت فرضياتها الاساسية المنطلقة من واقع الحصار الذي تعرضت له المقاومة مثقلة بتشاؤم يشبه اليأس الانتحاري ، المفهوم أحيانا اذا أخذت المعطيات الفلسطينية والعربية من حيث هي واقع سكوني غير قابل للانكسار . فانتكاسة المقاومة في الساحة الاردنية واقفال هذه الجبهة في وجه الكفاح الفلسطيني المسلح ، وحظر الانطلاق من قواعد الجنوب اللبناني بحكم الامر الواقع ، بالاضافة الى صمت الجبهات الاخرى التقليدي ، كل ذلك طرح على المقاومة تحديا كاد ان يكون مصيريا وكان مفروضا على المقاومة أن تجابهه معلقة استمرارها ، بل وجودها ذاته ، على هذه المجابهة. وكانت مواجهة هذا التحدي ، ولا تزال ، تضغط في ايجاد خرق في جدر الحصار هذه تنفذ من خلاله المقاومة نحو ممارسة عملها في ساحة الصدام الرئيسية — الارض الفلسطينية — والا فقدت المقاومة بالفعل مبرر وجودها وتحولت الى « احتياطي ثورة » في أحسن الاحوال وأكثرها تفاؤلا . وقد لعبت كثافة الحصار حول المقاومة دورا مهما في طرح الحلول والمشاريع التي استهدفت تصفية القضية الفلسطينية تلك الحلول التي راهن أصحابها — مهما اختلفت نياتهم ومقاصدهم — على ان المقاومة بثقل القيود التي تكبلها والتي تمنعها من الانطلاق غير قادرة على المواجهة والتصدي لهذه الحلول من جهة ، وعاجزة — او مفروض عليها العجز — عن مواصلة نضالها المسلح ( مبرر وجودها ) من جهة أخرى . لقد كانت المراهنة على عجز المقاومة أخطر فرضيات المرحلة التي ابتدأت بأيلول غير ان الشهر الماضي هز هذه الفرضية حتى الاعماق وكانت عمليات الداخل ( راجع جدول العمليات العسكرية في هذا العدد ) نقضا فعليا لهذه الفرضية صادرا عن ارض صلبة استندت اليها المقاومة وهي في قلب التحدي الكبير : ان تكون أو لا تكون . فوصول المقاومة الى تل ابيب ( ٧/٩ ، ٧/١١ ، ٧/١٩ ) والخضيرة ( ٧/١٩ ) وكريات اربع ( ٧/٢٥ ) وحيفا ( ٧/١٦ ) والخليل ( ٧/١٦ ) وجنين ( ٨/٨ ) والقدس ( ٧/١٩ ) وطبريا ( ٧/١٧ ) ، وصولها الى كل هذه الاماكن على الرغم من جدر الحصار التي تحيطها بكل غلاظتها يعني شيئا واحدا : ان علائم جديدة بدأت تظهر على جانبي المسيرة الفلسطينية ان كانت عمليات العمق بعض هذه العلائم البارزة فان تسليط الضوء على بعض هذا البعض ووضعه في اطاره الصحيح يكشف دلالات على ما سوف يكون عليه المستقبل . بعض هذه العمليات التي أشرنا اليه نراه في اثنتين قيمتهما ليست في تأثيراتهما العسكرية او السياسية وانما فيما توحيان من مؤشرات الى كيفية مواجهة المقاومة لطوق الحصار المفروض من حولها . العملية الاولى كانت طعن جندي اسرائيلي خارج الحرم الابراهيمي في الخليل والاستيلاء على سلاحه . وقد ذكرت « رويتر » (٧/١٦ ) ان بعض السكان قال ان رجلا ركض نحو الجندي بعد طعنه واستولى على مدفعه الرشاش وذخيرته . والعملية الثانية كانت الانفجار الذي حدث في أحد أسواق القدس وقد ذكرت « رويتر » كذلك ( ٧/١٩ ) ان القنبلة التي انفجرت كانت من صنع محلي وأوردت تصريحا لناطق باسم الشرطة الاسرائيلية بأن القنبلة كانت زجاجة كوكتيل مولوتوف . هاتان العمليتان ينبغي ان توضعا في اطارهما الصحيح : اكتشاف وسائل الكفاح المناسبة للظروف المعطاة ، او كما أكد الاخ ابو عمار لمحرري « روز اليوسف » ( ٧/٢٣ ) : « لقد

تمكنا من صنع المتفجرات داخل الارض المحتلة عندما لم نستطع توصيلها الى مناضلينا بالداخل ». وبذلك فالثورة تخلق هي أدواتها وتبتدع من الوسائل ما تجده ملائما لتحقيق أغراضها وتجاوز العقبات الموضوعة في طريقها ما دامت ارادة القتال متوفرة لديها .

## الانطلاق دوليا

بينما كانت المقاومة تنفذ عسكريا من طوق الحصار المفروض عليها وتنفذ بعض عملياتها الابداعية في الداخل كانت ، في الميدان السياسي ، تنطلق دوليا محلولة اليدين لتقيم من خلال محادثات الاخ ابو عمار في برلين الشرقية اوسع العلاقات مع حلفائها الطبيعيين في العالم . وقد بدأ التمهيد لهذه المحادثات في ٧٣/٦/٢٤ في بيروت وفي ٦/٢٧ صدر بيان مشترك عن محادثات تمت بين وفد من اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي الالماني الموحد برئاسة جيرهارد جرونبيرج ، عضو المكتب السياسي وسكرتير اللجنة المركزية للحزب ووفد منظمة التحرير الفلسطينية برئاسة الاخ ياسر عرفات . وكانت ابرز فقرات البيان المشترك ما يلي : « وافق الجانبان على ان تحقيق سلام دائم وعادل في الشرق الادنى لن يتم الا من خلال تحرير سائر الاراضي العربية المحتلة وعودة الشعب العربي الفلسطيني الى وطنه وضمان حقه في تقرير مصيره ... وقد شدد الحزب الاشتراكي الالماني الموحد على مواصلته لضمان كامل الدعم لحركة المقاومة الفلسطينية في نضالها العادل من أجل الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني ... وشدد الحزب الاشتراكي الالماني الموحد ومنظمة التحرير الفلسطينية على تحالفهما المتين مع الاتحاد السوفياتي وباقي الدول الاشتراكية كضرورة أساسية للنجاح في النضال المشترك ضد الامبريالية ... وقد تداول ممثلو الحزب الاشتراكي الالماني الموحد ومنظمة التحرير الفلسطينية في مسائل التعاون المشترك المقبل وتعميق العلاقات الاخوية والدعم في نضالها المشترك » .

وكان المهرجان العالمي العاشر للشبيبة الذي عقد في برلين الشرقية في الفترة ما بين ٧/٢٨ و٨/٥ فرصة مناسبة لاستكمال المحادثات التي بدأت في بيروت . وقد هيأت الجهات الالمانية الديموقراطية أفضل الاجواء التي أحاطت بالمحادثات . فقد ذكرت وكالة انباء المانيه الديمقراطية ان ابو عمار استقبل في المطار ليلة ٧/٢٨ استقبالا رسميا ووديا وكان في استقباله في المطار السيد جيرهارد جرونبيرج والسيد ألفرد نويمان ، النائب الاول لرئيس وزراء المانيه الديموقراطية . وذكرت « فلسطين الثورة » ( ٨/١ ) ان ابو عمار كان ضيف شرف في مهرجان الشبيبة وجلس على منصة الرئاسة الى جوار قادة الحزب الاشتراكي الموحد، كما أوردت وكالة الصحافة الفرنسية ( ٨/٢٩ ) ان العلم الاسرائيلي لم يرتفع في المدينة الرياضية حيث عقد المهرجان . ومن الاجواء الايجابية الظاهرة التي أحاطت بالمحادثات ان يوم التضامن مع الشعوب العربية وهو اليوم الثالث من أيام المهرجان قد استهل بمؤتمر صحافي عقده ابو عمار. وذكرت وكالة انباء المانيه الديموقراطية ان الاجتماع الذي خصص ليوم التضامن ذلك حضره اكثر من ستة آلاف فتى وفتاة من جميع القارات حيث رحبوا ترحيبا وديا خاصا بالسيد ياسر عرفات . في هذه الاجواء الايجابية بدأت المحادثات في ٧/٢٨ بين الوفد الفلسطيني والوفد الالماني الديموقراطي الذي رئسه السيد جرونبيرج وضم في عضويته السيد نويمان . ووصفت وكالة الانباء الفلسطينية ( وفا ) المحادثات بأنها على جانب كبير من الاهمية وانها ستقود الى مرحلة جديدة ومهمة في العلاقات الفلسطينية — الالمانية . وقالت الوكالة ( ٨/٢ ) ان المسؤولين الالمان أكدوا خلال الاجتماعات تصميم المانيه الديموقراطية بشكل حازم على تدعيم النضال الفلسطيني المسلح بكافة اشكال الدعم والمساندة . وذكرت « فلسطين الثورة » ( ٨/٨ ) انه عقد يوم ٨/٣ اجتماع مهم بين الاخ ابو عمار والرفيق اريش هونيكر ، السكرتير الاول للجنة المركزية للحزب الاشتراكي الالماني الموحد . وقد استمع ابو عمار في بداية الاجتماع الى معلومات من السيد هونيكر عن نتائج اجتماعات القرم لقادة الاحزاب الشيوعية والعمالية في البلدان الاشتراكية. واضافت الصحيفة ان ابو عمار والسيد هونيكر توصلا الى وجهة نظر متماثلة حول مختلف القضايا وفي طليعتها القضية الفلسطينية واعلنا ان قوة الاتحاد السوفياتي وقوة الاسرة الاشتراكية وتعزيز تحالف القوى المعادية للامبريالية في العالم ، كل

ذلك يجعل من الممكن توجيه ضربات قاسية للامبريالية في أجزاء واسعة من العالم . كما بحثا في كيفية تصعيد الجهود في النضال المشترك ضد الامبريالية والصهيونية ومن اجل السلام والاستقلال الوطني والتقدم الاجتماعي . كذلك أكدا على ضرورة تعزيز وتعميق التعاون بين منظمة التحرير الفلسطينية والحزب الاشتراكي الالماني الموحد حسب الاتفاقية المعقودة بينهما . وقد ذكرت وكالة انباء المانيه الديموقراطية ان هذه الاتفاقية المشار اليها قد وقعت يوم ٨/٣ بين الاخ ابو عمار والسيد جرونبيرج لمواصلة التعاون بين الطرفين . ومن جملة ما تضمنته الاتفاقية افتتاح مكتب لمنظمة التحرير الفلسطينية في برلين . وهذا المكتب سيكون اول مكتب رسمي للمنظمة في دول الكتلة الاشتراكية .

ان هذه المحادثات التي تمت في برلين سوف تمثل مستقبلا نقطة تحول في تاريخ القضية الفلسطينية ان من حيث موقف منظومة الدول الاشتراكية من القضية او من حيث علاقات المقاومة الدولية وانعكاس هذه العلاقات على مسيرة المقاومة نفسها . اذ انه يبدو من الواضح ان هذا الموقف الالماني الديموقراطي الصريح والجاد في دعم المقاومة ليس موقفا متفردا بل ان الاجواء التي وضع فيها توحي بالتأكيد بأنه موقف المنظومة الاشتراكية باجمال وقد قامت المانيه الديمقراطية بدور طليعي فيه . ويؤكد هذا الامر المؤتمر الصحافي الذي عقده الاخ ابو عمار في برلين ونورد هنا مقتطفات من هذا المؤتمر ( كما وردت في فلسطين الثورة ٨/٨ ) تشير الى هذه الحقيقة . قال ابو عمار : « أؤكد أمامكم ان نضالنا العادل الذي يستند الى الدعم والتأييد من رفاقنا وأصدقائنا في المنظومة الاشتراكية سينتصر وسنتغلب على الاعداء المشتركين الامبرياليين والصهاينة وسيظل ثوارنا وشعبنا يذكرون المواقف المشرفة التي وقفها الاتحاد السوفياتي حزبا وحكومة وشعبا جنبا الى جنب مع بقية البلدان الاشتراكية في أحلك وأصعب الاوقات التي نجمت عن الغزوة الصهيونية لبلادنا ... ان شعبنا وثوارنا ينظرون بتقدير كبير لكل انواع الدعم التي يقدمها لنا رفاقنا في المنظومة الاشتراكية ... وعن رأي الثورة الفلسطينية في موقف الاتحاد السوفياتي من أزمة الشرق الاوسط قال : يجب ان نذكر هنا بشكل واضح وصريح الوقفة الصديقة التي وقفها الاتحاد السوفياتي مع أمتنا العربية خاصة بعد عام ١٩٦٧ . ان هناك محاولة مستمرة للتعكير على العلاقات الاخوية بيننا وبين الاتحاد السوفياتي ولكنني اقول باسم الاحرار والمناضلين في أمتنا ان هذه المحاولات ستبوء بالفشل وانا متأكد بأن الدعم السوفياتي سيستمر وسيتصاعد من اجل ان نتغلب على العدو الامبريالي الصهيوني » .

## عمليات الغموض

لف الغموض والارتياب في الشهر الماضي ثلاث عمليات تتعلق بخطف الطائرات كانت اثينا مسرحا لاثنتين منها والثالثة اتخذت عددا من العواصم مكان عرض لها . وكانت عملية اثينا الاولى قد تمت في ٧/١٩ عندما احتجز فدائي فلسطيني كما وصفته وكالات الانباء سبع عشرة رهينة في فندق اماليا في اثينا مدة اربع ساعات بعد فشله في محاولة نسف مكتب العال ( الخطوط الجوية الاسرائيلية ) . وقالت صحيفة « الفيتروس كوسموس » اليونانية ان « الفدائي كان ينوي تفجير شركة العال لانها تشكل مركزا اسرائيليا لاعمال التجسس والدعاية ضد العرب » ( رصد اذاعة اسرائيل ، عدد ٢٧٥ ) . وقد كان احتجاز الرهائن مقابل طلب الفدائي بالسماح له بمغادرة اليونان سالما . وذكرت وكالات الانباء ان الفدائي نقل من الفندق حيث كان يحتجز الرهائن الى المطار في سيارة تابعة للسفارة العراقية يحيط به السفير العراقي والقائم بالاعمال المصري اللذان اشتركا مع السفيرين الليبي واللبناني في مفاوضته، وغادر اليونان الى الكويت ثم توجه الى جهة مجهولة . وكان السؤال الذي أثير مباشرة في أعقاب العملية هو من هي الجهة التي تقف خلفها ؟ وكان الجواب غامضا تماما كغموض العملية نفسها . فقد أوردت « رويتر » ( ٧/٢٠ ) من الكويت ان « احد قادة المقاومة » روى تفاصيل المؤتمر الصحافي الذي عقده الفدائي الفلسطيني في اثينا بقوله انه عندما سئل عن التنظيم الذي ينتمي اليه أجاب « أنا من تنظيم ضحايا الارض المحتلة ».

واجاب عن سؤال آخر حول ما اذا كان ينتمي الى منظمة التحرير الفلسطينية أو فتح بقوله « لم يكن لي انتماء لمنظمة التحرير الفلسطينية او لفتح او لاي تنظيم آخر بل أؤكد مجددا انني من تنظيم ضحايا الارض المحتلة » .

كان هذا « التنظيم » مستحدث السمعة غير انه لم يمض غير أقل من يوم واحد حتى أثير هذا الاسم مجددا مرتبطا هذه المرة بحادث اختطاف طائرة الجمبو اليابانية ( ٧/٢٠ ) من امستردام والتي حلقت فوق عدد من العواصم الاوروبية والعربية وحطت في مطار دبي ثم واصلت رحلة الرعب والغموض الى مطار دمشق فمطار قريب من بنغازي في ليبيا حيث قام خاطفوها بتفجيرها بعد انزال الركاب منها يوم ٧/٢٤ . من الذين قاموا بخطف الطائرة ؟ ذكرت « النهار » ( ٧/٢٢ ) ان الخاطفين اعلنوا في البداية انهم ينتمون الى منظمة الجيش الاحمر اليابانية اليسارية وبعد ذلك اعلن احد الخاطفين ان الذين قاموا بالعملية اعضاء في منظمة ابناء الارض المحتلة . ان غموض الاسم مع غموض مطالب الخاطفين ( ترددت انباء عن مطالبة الخاطفين باطلاق سراح الفدائي الياباني اوكاموتو ، كما ترددت انباء اخرى عن مطالبة الخاطفين بفدية مقدارها خمسة ملايين او خمسة عشر مليون دولار كذلك أورد بعض الانباء نفيا لهذا المطلب ) دفع قيادة الثورة الفلسطينية الى عقد اجتماع في ٧/٢٤ صرح في ختامه ناطق باسمها بأن القيادة عقدت اجتماعا مطولا لدراسة حادث اختطاف الطائرة اليابانية الذي اقدمت عليه مجموعة ادعت انها تنتمي الى جبهة تسمى ابناء الاراضي المحتلة وقد خرجت القيادة اثناء الاجتماع بمجموعة من النتائج التالية : ( ١ ) ان منظمة الارض المحتلة المزعومة غير موجودة على الاطلاق على الساحة الفلسطينية وهي بالتأكيد لا تنتمي الى المناطق المحتلة ولا علاقة لها بنضال ابناء هذه المناطق . ( ٢ ) ان الحادث يسيء الى النضال الفلسطيني والى سمعة الثورة لكونه عملا لا يستند الى اي مبرر وطني ولا يخدم هدفا من أهداف الثورة . ( ٣ ) ان موقف المختطفين وتحركاتهم تثير الشك والريبة خاصة وان احتجاز ١٤٠ مدنيا لمدة أربعة ايام قضية لا تتفق مع الطبيعة الانسانية للثورة . ( ٤ ) في الوقت الذي يتصاعد فيه النضال الجماهيري والنضال المسلح داخل الاراضي المحتلة تأتي هذه العملية محاولة طمس هذا النضال ولتحويل الانظار عنه تحت ستار الانتماء الى الاراضي المحتلة . ( ٥ ) ان قيادة الثورة تجري تحقيقا مفصلا للكشف عن ملابسات هذا العمل والجهة التي تقف وراءه ودوافعها .

اما رد الفعل الاسرائيلي الاولي فقد كان الايحاء بأن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين هي التي وراء عملية خطف الطائرة . فقد اوردت الاذاعة الاسرائيلية في يوم العملية ذاته تعقيبا قال كاتبه « اذا اردنا التحدث عن الطرف العربي في العملية فليست لدي معلومات حتى الان عمن تكون المنظمة التي تقف وراء العملية ولكن عملية اوكاموتو في ايار ١٩٧٢ كانت من تنظيم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين برئاسة جورج حبش . واريد ان أؤكد هنا ان جورج حبش قد عاد اخيرا الى النشاط بعد ان غاب عن المسرح عدة اشهر ، لقد كان مريضا وفجأة ظهر على المسرح وبدا مجددا يعالج شؤون منظمته . والواقع انه اقترح مرة بلسان منظمته وقف عمليات خطف الطائرات ولكن يبدو انه لا يمكن الاعتماد على اقواله » « رأ ملحق العدد ٢٧٥ » غير ان الجبهة الشعبية نفت مسؤوليتها عن الحادث وذكرت « الهدف » ( ٨/٤ ) ان الدوائر الامبريالية والعميلة ركزت جهودها الاعلامية لالصاق حادث اختطاف الطائرة بالجبهة الشعبية واكتفت الجبهة في البداية بأن شاركت في اصدار بيان منظمة التحرير الفلسطينية [ المشار اليه سابقا ] لكن استمرار الحملة استدعى اصدار بيان توضيحي ، وقد نفت الجبهة في البيان « نفيا باتا وقاطعا وجود اي علاقة بينها وبين مختطفي الطائرة اليابانية التي كثر اللغط حولها . والجبهة اذ تنفي نفيا قاطعا علاقتها بالحادث تدين العمليات البعيدة عن الافق السياسي الثوري التي لا تخدم القضية الثورية عامة وقضية شعبنا العادلة خاصة . وتدين الجبهة كل جهة تحاول ان تضفي على هذا الموقف غموضا او لبسا لانها بذلك تخدم معسكر العدو . وتقوم الجبهة في الوقت هذا بمتابعة ذيول هذه العملية مع بقية فصائل حركة المقاومة لتطويقها » . وكان صدى نفي منظمات المقاومة ان يكون لها صلة بالحادث لدى اسرائيل ما افصح عنه تعليق للاذاعة الاسرائيلية ( ٧/٢٣ ) كما يلي : « أكدت منظمات التخريب العربية حتى الان ان الخاطفين لا ينتمون اليها . وهذا الامر يزيد من غموض القضية باسرها . وهذه ليست اول مرة تتنصل

فيها منظمات التخريب من عمليات ارهابية ويبدو ان هذا الامر اصبح عندهم سياسة معلنة » .
وكانت اثينا من جديد ميدانا لعملية اخرى اثارت الشك والتساؤل لما حفلت به من غموض فقد هاجم عربيان يوم ٨/٥ ركاب طائرة امريكية متجهة الى نيويورك واسفر الهجوم عن مقتل ٣ اشخاص وجرح ٥٥ آخرين . واوردت الانباء ( النهار ٨/٧ ) ان المهاجمين قالا انهما كانا يستهدفان بعمليتهما طائرة تابعة لشركة الخطوط العالمية الامريكية متجهة الى تل ابيب وليس طائرة للشركة نفسها متجهة الى زوريخ ونيويورك واستطردا انهما لم يكونا يعلمان بأن الطائرة الاولى اقلعت بالفعل فالقيت القنابل اليدوية على ركاب الطائرة المتجهة الى الولايات المتحدة . كذلك نقلت وكالة الصحافة الفرنسية ( ٨/٥ ) استنادا الى مصدر قريب من وزارة الداخلية اليونانية ان الشخصين اللذين قاما بالعملية اكدا انتماءهما لمنظمة ايلول الاسود واعلنا انهما تلقيا تدريبهما في ليبيا وانهما يقيمان بصفة عادية في القاهرة وان الهدف من مهمتهما كان قتل المسافرين الذاهبين الى تل ابيب . وقد صرح مصدر مسؤول في قيادة الثورة الفلسطينية ( وفا ٨/٦ ) ان الثورة الفلسطينية تنفي نفيا قاطعا اية علاقة لها بحادث مطار اثينا و « ان هذا الحادث ليؤكد ما قلناه عندما قامت مجموعة باختطاف الطائرة اليابانية مؤخرا من ان هناك قوى مشبوهة تتحرك وتعمل للاساءة الى النضال الفلسطيني . ان وراء هذه العملية المشبوهة تقف القوى المعادية للثورة الفلسطينية وللشعب الفلسطيني ... ان الثورة الفلسطينية اذ تنفي نفيا قاطعا اية صلة لاي من تنظيمات الثورة بهذه العملية تطالب السلطات اليونانية بالكشف عن هوية الفاعلين وعن الجهة التي تقف وراءهم » وذكرت ( وفا ) ان قيادة الثورة كلفت جهاز امن الثورة بالتحقيق في العملية وارسال احد رجال الامن الى اثينا في مهمة خاصة بهذه العملية .

وقد ترددت انباء في بعض الصحف ان منفذي العملية ينتميان الى مجموعة تطلق على نفسها اسم الشهيد ابو يوسف ( محمد يوسف النجار ) وقد ادلى مصدر مسؤول في حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح بتصريح نشرته ( وفا ) ٨/٨ جاء فيه « ان حركة فتح وهي تشجب بشدة هذه الاساءة للقائد الشهيد الذي اغتالته الصهيونية الارهابية بالمشاركة مع المخابرات المركزية الاميركية في هجومها الغادر على بيروت ترى في محاولة الصاق هذه الحادثة باسم احد قادة فتح تأكيدا جديدا على الاهداف المشبوهة لحادثة اثينا لتشويه صورة النضال الفلسطيني ومنظماته وبالتالي تبرير اية عملية ارهابية ضد شعبنا » . وقد ذكرت ( وفا ) كذلك ان اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية انتهت من اجتماعاتها في دمشق ظهر يوم ٨/٨ وانه من المقرر ان يصدر باسم منظمة التحرير بيان ينفي علاقة كافة فصائل المقاومة بعملية اثينا الاجرامية . واضافت الوكالة الفلسطينية ان البيان سيؤكد ان ما سمي وحدة الشهيد ابو يوسف ليس له اي اساس من الصحة وهو امر وهمي مختلق وان هذه الوحدة غير موجودة ابدا وليس لاي فصيل من فصائل المقاومة اية علاقة بحادث اثينا الاجرامي .

كان رد الفعل الاسرائيلي على حادث اثينا كما يلي : ١ — ذكرت الاذاعة الاسرائيلية ( ٨/٦ ) « ان المراقبين في القدس يعتبرون ان منظمات المخربين هي المسؤولة عن المذبحة في اثينا وذلك على الرغم من ان اية منظمة تخريبية لم تنسب لنفسها مسؤولية العملية . ويعتبر المراقبون ذلك بمثابة اتجاه جديد في الاعلام بالنسبة للمخربين » وقد اكد الاعلام الاسرائيلي قضية انتهاج الاعلام الفلسطيني اسلوبا جديدا في نفي مسؤولية المقاومة عن بعض العمليات اكثر من مرة بالنسبة لهذه الحادثة بالذات كما تواتر هذا التأكيد منذ اغتيال الون ، الملحق العسكري الاسرائيلي في واشنطن، كذلك طرح الاعلام الاسرائيلي مزاعم اخرى مرافقة منها ما ذكرته الاذاعة الاسرائيلية ( ٨/٧ ) من ان « هناك عددا كبيرا من المنظمات بحيث يصعب على قيادتهم وعلى ياسر عرفات ان يعرف ماذا يفعل الجميع وأصبحت كل جهة تفعل ما يحلو لها » .
٢ — حملت اسرائيل السلطات اليونانية نصيبا من المسؤولية فقد ذكرت « هآرتس » (٨/٦) « ان هذه العملية الارهابية تثبت ان انظمة الامن في مطار اثينا غير كافية ، كما ان التساهل الذي ابدته الحكومة اليونانية في الحوادث السابقة يجعل المخربين العرب يكررون عملياتهم » . وقالت « دافار » ( ٨/٦ ) « ان المجرمين سارعوا الى تسليم انفسهم لشرطة اثينا لانهم يدركون انهم بهذا لا يتعرضون لخطر على حياتهم وان هنالك احتمالا كبيرا ان يخرجوا دون عقاب » .

مرة اخرى من يقف وراء هذه العمليات الغامضة؟ هل هي المخابرات الاسرائيلية كما اكدت صحيفة البعث السورية ( ٨/٦ ) ام هو مخطط معادي كما كتبت « فلسطين الثورة » ( ٨/٨ ) : « ان ما جرى للطائرة اليابانية وتم في مطار اثينا يقع موضوعيا تحت مظلة الاهداف الاميركية والصهيونية حتى لو كانت ادوات التنفيذ غير اميركية وغير اسرائيلية . ان الحوادث الاخيرة تشير الى مخطط خطر بدأ اعداء الثورة بتنفيذه . وهذا المخطط يستهدف اولا تشويه النضال الفلسطيني ويستهدف ثانيا اظهار الفلسطينيين وكأنهم عصابات من القتلة تستوجب ملاحقتهم في كل مكان . ان شعبنا بريء من كل هذا » . هل الامر هو كذلك حقا ام ان هناك خطأ ما قد ارتكب ، مغامرة غير محسوبة النتائج غير محكمة الاساليب والادوات ؟ ان الغموض الذي احاط بهذه العمليات الثلاث يجعل الاجابة حاليا في حكم المستحيل .

**عصام سخنيني**

## تحركات أهالي المخيمات الفلسطينية في الجنوب ضد سياسة التعطيش والاهمال التي تتبعها وكالة الغوث

شهدت المخيمات الفلسطينية في جنوب لبنان ، خلال الاسابيع الاخيرة ، تحركات شعبية واسعة ضد سياسة الاهمال والتعطيش التي تتبعها وكالة الغوث تجاه أهالي المخيمات .

ففي يوم الاثنين ٧٣/٧/٣٠ أعلن سكان مخيم البرج الشمالي في منطقة صور الاضراب الشامل عن تناول مخصصات الاعاشة والحليب والوجبة الغذائية اليومية ( التي تقدم للاطفال دون سن السادسة وبعض العجزة ) ، ومقاطعة كل مؤسسات وكالة الغوث وذلك احتجاجا على استمرار تجاهل الوكالة في تلبية بعض مطالبهم اليومية المشروعة التي تعتبر بمثابة الحد الادنى الضروري والحيوي لمجرد الاستمرار في العيش .

ويأتي في مقدمة هذه المطالب : ( ١ ) مسألة توفير المياه بصورة دائمة عن طريق حفر بئر ارتوازية مع مضخة وخزان للمياه واقامة شبكة لتوزيع المياه داخل المخيم . ( ٢ ) وجود طبيب يحضر يوميا الى المخيم ( وليس ثلاث مرات في الاسبوع ولمدة ساعتين فقط كما هو الوضع حاليا ) . ( ٣ ) ضرورة توفير الدواء والاعتناء بالصيانة الصحية داخل المخيم باقامة شبكة للمجارير وزيادة عدد عمال التنظيفات ، ( حاليا هناك ٨ عمال لاكثر من ١٠ آلاف نسمة هم عدد سكان المخيم ) ، وتوفير شاحنة لنقل النفايات والاوساخ بعيدا عن المخيم . بالاضافة الى ضرورة القيام بتوزيع أدوية لمكافحة الحشرات والجرذان التي تنتشر بكثرة في كافة أرجاء المخيم . والجدير بالذكر هنا ان الوكالة لا تقوم بواجبها أيضا في مكافحة الامراض السارية الناجمة عن تراكم القذارة والنفايات وضعف مستوى الصيانة الصحية والطبية . وفي مقدمة هذه الامراض : مرض الجرب والحكاك والحبوب المحمرة وغيرها . ( ٤ ) مراقبة توزيع التموين ( الاعاشة ) والتشديد على الحفاظ على نفس كمية المخصصات ، التي توزع شهريا ، وتحسين اصنافها .

وتعتبر مشكلة عدم توفير المياه بصورة دائمة من أبرز ما يعاني منه سكان مخيم البرج الشمالي . فالمياه لا تأتي الى المخيم اثناء النهار الا لبضع ساعات وبكمية محدودة ، بينما تنقطع معظم ساعات النهار وطوال الليل . وفي الوقت الذي يزيد فيه عدد سكان هذا المخيم عن ١٠ آلاف نسمة ، نجد ان عدد مراكز توزيع المياه هي ١٨ مركزا فقط ! وهكذا يضطر الاهالي للسير مئات الامتار والانتظار في صفوف طويلة حتى تتاح الفرصة للمرأة او للرجل لكي يملأ جردله أو جرته !

وتبلغ كمية المياه التي تصل الى كل سكان المخيم ١٦٠ مترا مكعبا يوميا يذهب منها حوالي ٤٠ مترا الى مؤسسات ومراكز الوكالة داخل المخيم وما يقارب ١٠ الى ١٥ مترا من المياه التي تتساقط هدرا على الارض . وهذا يعني ان معدل ما يصل الفرد الواحد في اليوم من المياه لا يتعدى ١٠ ليترات فقط !

وازاء سياسة التعطيش والاهمال التي تتبعها وكالة الغوث لم يجد أهالي المخيم سوى اعلان

الاضراب والاعتصام في مكتب الوكالة في صور ، وذلك بعد ان فشلت كافة الاتصالات التي أجراها الاهالي مع وكالة الغوث في صور وبيروت لتحقيق هذه المطالب . فمنذ عدة سنوات والاهالي لا يحصلون ، من كل اتصالاتهم بالمسؤولين في الوكالة ، الا على الوعود المعسولة والكلمات العامة الفضفاضة و« النوايا الحسنة » .

وقبل أن يقوم الاهالي بتحركهم حاولوا ان يعطوا الوكالة فرصة اخيرة ، فعمدوا الى تكثيف لقاءاتهم مع المسؤولين في الوكالة طوال شهر تموز المنصرم. ففي ٧٣/٧/٩ جرى لقاء بينهم وبين مدير الوكالة في منطقة صور السيد محمود فارس ، وتم لقاء آخر في ٧٣/٧/١٦ بينهم وبينه جرى فيه الاتفاق على تحديد موعد نهائي من قبل الوكالة بصدد موقفها من تلبية المطالب المرفوعة. وفي ٧٣/٧/٢٩ حضر السيد مارسيل بورديو المدير العام للوكالة في لبنان مع بعض معاونيه على اساس البت في أمر المطالب بصورة نهائية . ولكن اجتماع الاهالي به لم يسفر سوى عن ترداد نفس الوعود العامة المملة بدرس وبحث « امكانية » تحقيق المطالب والتذرع بضعف الميزانية. وهكذا ثار الاهالي على سياسة التسويف والماطلة ، بعدما بلغت الاوضاع الاجتماعية والصحية في المخيم حدا لا يطاق .

وقد جاء في بيان وزعته اللجنة المشتركة لنادي الشباب العربي الفلسطيني واتحاد الشبيبة الفلسطيني داخل المخيم على الاهالي ، جاء في هذا البيان « لقد اعلمناكم ان الوكالة وعدتنا بأن يكون اليوم الاحد ٧٣/٧/٢٩ هو آخر يوم للرد على مطالبنا . فاجتمعنا بالسيد بورديو المدير العام للوكالة في لبنان وقدمنا له مطالب المخيم .. ولكننا لم نلمس منه الا وعودا براقة أعطيت لنا عدة مرات وكانت حبرا على ورق .. وخلاصة ذلك ان الوكالة ليست لديها نية لتحقيق هذه المطالب بالمحادثات والاجتماعات العادية وكل ما تبغيه هو الاستهتار بكم وبحقوقكم ولذلك فان الاضراب والاعتصام هو السبيل الوحيد لتحقيق هذه المطالب ، فالوكالة لم تترك لنا سبلا أخرى نسلكها » .

**تحرك أهالي مخيم القاسمية — البرغلية :**

وقد رافق تحرك مخيم البرج الشمالي قيام أهالي مخيم القاسمية — البرغلية ( الذي يضم حوالي ٧ آلاف نسمة ) بالاعتصام في مكتب الوكالة بصيدا في ٧٣/٨/١ احتجاجا على سياسة الاهمال الفاضحة التي تتبعها الوكالة بحق هذا المخيم . فوكالة الغوث لا تعترف مطلقا بوجوده كمخيم مما يجعله محروما من أي نوع من انواع الخدمات الاجتماعية والصحية والتربوية . فمثلا لا يوجد في هذا المخيم أي مركز لتوزيع المياه ، فيضطر الاهالي للسير بضعة كيلومترات لجلب المياه كل يوم . اما المدرسة التابعة للوكالة فهي تبعد عن المخيم حوالي ٥ كيلومترات . وهذه السنة بالذات ، ذهب ضحية حوادث السير خمسة من التلاميذ في المخيم نظرا لكون الطريق الوحيد المؤدي الى المدرسة هو نفسه الطريق العام الذي تمر عليه السيارات بين صور وبيروت !

وقد رفع سكان أهالي مخيم القاسمية — البرغلية هذين المطلبين الى وكالة الغوث :

١ — اعتراف الوكالة بالمخيم وتقديم كافة الخدمات لسكانه اسوة بغيره من المخيمات الاخرى. (وبصرف النظر عن تدني مستوى هذه الخدمات ) .

٢ — نقل المدرسة من مكانها البعيد الى مكان قريب من المخيم ، وذلك تفاديا لتعرض التلاميذ بكثرة لحوادث السير .

وقد قام الاهالي بتعليق اعتصامهم بصورة مؤقتة ( لغاية ٨/١٥ ) انتظارا لنتيجة المفاوضات التي دارت من خلال « المديرية العامة لشؤون اللاجئين في لبنان » بين اللجنة السياسية العليا للفلسطينيين وبين وكالة الغوث .

ولكن الاهالي عادوا في يوم ٨/١٦ الى تصعيد اعتصامهم بعد ان فشلت الجولة الاولى من المفاوضات مع الوكالة .

اما اهالي مخيم البرج الشمالي فقد استمروا في اعتصامهم دون توقف وقاموا بتصعيد تحركهم بالاعتصام مع اهالي مخيم القاسمية — البرغلية في مكتب الوكالة بصيدا يوم الخميس ٧٣/٨/١٦ .

**الوكالة ترفض تلبية المطالب حتى الان !**

وعلى صعيد نتائج المفاوضات مع الوكالة بصدد تحقيق هذه المطالب ، فقد عقد اجتماع يوم الخميس في ٧٣/٨/٩ بمكتب رئيس المصلحة الادارية المشتركة في وزارة الداخلية السيد منير عانوتي ، بين هذا الاخير ممثلا عن وزير الداخلية بهيج تقي الدين وبين توفيق الصفدي ممثلا عن اللجنة السياسية العليا للفلسطينيين في لبنان من جهة ،

وبين السيدين شابيرو واحمد الحوت كممثلين عن وكالة الغوث من جهة ثانية .

وكانت نتيجة هذا الاجتماع سلبيــة تماما ، اذ رفضت الوكالة تلبية مطالب أهالي مخيمي البرج الشمالي والقاسمية ــ البرغلية عن طريق تكرار نفس الحجة الملة المعتادة وهي « عدم توفر المبالغ المطلوبة لتنفيذ هــذه المطالب » . وقد ادلى الاخ توفيق الصفدي على اثر الاجتماع بتصريح جاء فيه « كان موقف وكالة الغوث من المطالب سلبيا ، وتذرعت بعدم توفر المبالــغ المطلوبة لتنفيذ هذه المطالب ، وهذا الموقف يجعل وكالة الغـــوث مكشوفة في الدور الذي تقوم به . ويعزز نضال الجماهير الفلسطينية العادل ضد سياسة الاجحاف، وحتى نيل المطالب المحقة بكافة الوسائل الممكنة». والواقع ان حجة « عدم توفر المبالغ المطلوبة » انما تعكس السياسة التي تنفذها الوكالة عن طريق ابقاء توفر او عدم توفر الشروط المعيشية الضرورية اليومية لسكان المخيمات تحت تحكم وتصرف القوى الامبريالية التي تمولها .

**الوكالة ترفض ان تتعامل مع اي صفة لمؤسسة تمثل الشعب الفلسطيني :**

واذا ما تمعنا بالكيفية التي تمت بها المفاوضات مع الوكالة ، فاننا نلاحــظ ان الوكالة ترفض التعامل والتفاوض مباشرة مع اللجنة السياسية العليا للفلسطينيين في لبنان وغيرها من المؤسسات الشعبية والنقابية والسياسية الفلسطينية .

فقد تمت المفاوضات الفاشلة التي أشرنا اليها من خلال المديرية العامة لشؤون اللاجئين في لبنــان ( وهي مؤسسة تابعة لوزارة الداخلية اللبنانية ). ولم تقم بصورة مباشرة بين اللجنة السياسية العليا للفلسطينيين وبين الوكالة !

والواقع ان الوكالة ترفض مبدأ التعامل مباشرة مع أي صفة تمثيلية للشعب الفلسطيني كشعب له قضيته الوطنية وليس كمجموعات من اللاجئين .

**أهالي المخيمات الاخرى والقوى الوطنية اللبنانية تعلن تأييدها للمعتصمين ومطالبهم العادلة :**

لقد أعلن أهالي المخيمات الفلسطينية الاخرى في الجنوب تأييدهم المطلق لتحــرك ومطالب أهالي مخيمي البرج الشمالي والقاسمية ــ البرغلية . وعلى اثر فشل المفاوضات الاولى مع وكالة الغوث تداعت اللجان الشعبية في كافة مخيمات الجنوب الى عقد سلسلة من الاجتماعات لبحث الخطوات العملية التي ينبغي اتخاذها ضد سياسة الوكالة. وقد أصدرت اللجان الشعبية في نهاية اجتماعاتها بيانا هاما الى اهالي المخيمات نددت فيه «بسياسة وكالة الغوث التعسفية تجاه اهلنا بالمخيمات ابتداء من سياسة التجويع ومــرورا بسياسة التجهيل وانتهاء بسياسة التعطيش والحرمان من التطبيب بالاضافة الى قطع اعاشات الاطفال الجدد وحرمان الطلاب من الكتب والمدارس وترك المخيمات مهملة بدون رعاية صحية وتفشي الامراض الفتاكة » . ويهيب البيان بكافة سكان المخيمات الى الوقوف صفا واحدا بوجه سياســة الوكالة « الممالئــة للامبريالية والصهيونية » .

وقد أصدرت اللجنة الصحية في مخيم تل الزعتر ببيروت بيانا أعلنت فيه تأييدها لمطالب مخيمي البرج الشمالي والقاسمية ــ البرغلية ، بعد ان طرحت فيه المشاكل التي يعاني منها سكان المخيم . وفي النهاية حذر البيان الوكالة من الاستمرار « في سياسة التسويف والماطلة في تنفيذ المطالب » .

وفي ٧٣/٨/٢٠ قام الاخ شوقي ارملي امين فرع اتحاد الحقوقيين الفلسطينيين في لبنان مــع وفد من اعضاء الاتحاد بزيارة الاهالي المعتصمين في مكتب الوكالة بصيدا . وقد أصدر فرع اتحــاد الحقوقيين الفلسطينيين في لبنان بيانا دعا فيه « كل شريف من أبناء أمتنا الى دعم مطالب اهالــي المخيمات » وندد البيان « بالوضع القاسي غــير الطبيعي الذي يعيش فيه ابناء الشعب الفلسطيني تحت رحمة وسيطرة القوى الامبريالية والصهيونية» من خلال السياسة التي تنفذها وكالة الغوث .

وعلى صعيد الجماهير والقوى الوطنية اللبنانية ، فقد أعلنت الاحزاب والقــوى الوطنية في صيدا والجنوب في ٧٣/٨/٤ عن تأييدها ودعمها لمطالب اهالي المخيمات . كما أعلن السيد حسيب عبد الجواد رئيس اتحاد نقابات عمال الجنوب عــن تضامن العمال اللبنانيين مع مطالب اهالي المخيمات المعتصمين . وقد عقد في نفس التاريخ المذكور اعلاه اجتماع مشترك بين اللجــان الشعبية في مخيمات الجنوب وبين ممثلين عن الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية ، أكدت فيه الاحزاب والقوى الوطنية اللبنانية عن تضامنها ومساندتها .

وفي صور أصدرت الاحــزاب والقوى الوطنيــة والتقدمية في ٧٣/٨/١٣ بيانا نددت فيه بسياسة

وكالة الغوث ومموليها الامبرياليين واعلنت عن دعمها المطلق لمطالب اهالي مخيمي البرج الشمالي والقاسمية – البرغلية . كما ابرق « الشباب الوطني في صور » في ٧٣/٨/١٤ الى المسؤولين اللبنانيين والفلسطينيين والصحف معلنا عن « تأييده الحازم لاهالي المخيمات حتى تتحقق مطالبهم العادلة » .

والجدير بالذكر ان عددا كبيرا من الصحف اليومية والمجلات الاسبوعية اللبنانية ابرزت انباء تحركات اهالي المخيمات الفلسطينية في الجنوب . كما كتب بعضها منددا بالسياسة التي تتبعها وكالة الغوث ضد الشعب الفلسطيني .

**الوكالة « ومموّلوها » :**

ان الاعمال الفاضحة التي تمارسه الوكالة ضد المخيمات الفلسطينية يطرح تساؤلا جديا حول أسباب السياسة التي تتبعها الوكالة من خلال معاملتها الشعب الفلسطيني المكافح بهذه الطريقة اللاانسانية المزرية .

والواقع ان حرص الذين يمولون الوكالة على « اغاثة » الشعب الفلسطيني لا ينبع من اعتبارات انسانية ، بل من اعتبارات سياسية على رأسها الحفاظ على « استقرار » المنطقة وتخدير الفلسطينيين بمساعدات هزيلة لا تغني عن جوع ولا تسد اي حاجة حقيقية .

وللتعرف على مستوى الخدمات التي تقوم بها الوكالة ، فاننا نجد انه عبر سنوات ١٩٥٠ – ١٩٦٩ انفقت ما مجموعه ٦٩٦ مليون دولار على اللاجئين الفلسطينيين اي بمعدل ٣٤ مليون دولار للعام الواحد . وقد بلغ معدل ما ناله الفرد الفلسطيني ٣٠ دولارا فقط للعام الواحد ايضا اي بمعدل ٢ر٥ دولار في الشهر اي بما لا يتجاوز ٧ ليرات لبنانية في الشهر . وهذا المبلغ هو دون الحد الادنى لاجرة أي عامل مياوم !

اما مصادر التمويل طوال هذه السنوات فقد كانت على الوجه التالي : الولايات المتحدة الامريكية تبرعت بمبلغ ٤٥٦ مليون دولار . بريطانيا تبرعت بمبلغ ١١٠ ملايين دولار . بينما تبرعت الدول الامبريالية الاخرى او الدائرة في الفلك الامبريالي ببقية الميزانية . وهذا يعني ان وكالة الغوث هي مشروع امبريالي اميركي – بريطاني من حيث الاساس والدور الذي يلعبه . اذ ليس صحيحا ان انشاء الوكالة وتأمين ميزانية سنوية لها ينبعان من احساس الامم المتحدة ودولها بمسؤوليتها تجاه ما جرى للشعب الفلسطيني . فلم يحدث ابدا في تاريخ القوى الاستعمارية ان شعرت بالعطف والمسؤولية تجاه ضحاياها !

المهم ان نعرف ان ميزانية الوكالة محسوبة بدقة متناهية لتخدم اغراض « المولين » . وعلى سبيل المثال ، عندما أنشوء جيش التحرير الفلسطيني عام ١٩٦٥ في قطاع غزة طلب الكونغرس الاميركي من وكالة الغوث قطع اعاشات المجندين في جيش التحرير على اعتبار ان جيش التحرير يقوم باطعامهم اثناء تاديتهم الخدمة العسكرية !

وقد لجأت الولايات المتحدة و « المولون » الامبرياليون الاخرون الى عدة اجراءات للتحكم في سياسة الوكالة نذكر منها :

١ – عدم جعل ميزانية وكالة الغوث جزءا من ميزانية الامم المتحدة . وهذا مما يضطر رئاسة الوكالة الى شن حملة سنوية لجمع التبرعات من الدول الامبريالية « المعنية بوضع » الفلسطينيين .

٢ – تقوم الدول المعنية بدفع التبرعات على عدد من الاقساط طوال السنة المالية وليس على اساس دفعة واحدة . وهذا يعتبر بمثابة عامل ضغط على الوكالة . لان الدولة المتبرعة تستطيع تغيير موقفها في حال حصول ما يستوجب تعديل سياستها تجاه الوكالة .

٣ – عملت الدول الامبريالية او الدائرة في فلكها ( والتي تمول الوكالة ) الى خفض احتياطي رأس المال العامل الذي كانت تملكه الوكالة من حوالي ٤٨ مليون دولار عام ١٩٥٢ الى حوالي ٣ ملايين دولار عام ١٩٧١ . وذلك بهدف افقاد الوكالة اي قدر من المرونة في وضع برامجها بحيث يكفي ان يتأخر قسط واحد من الاقساط لكي تنهار كل البرامج التي وضعتها في حيز التنفيذ .

ان السؤال المطروح على كافة القوى الوطنية العربية هو الى متى تظل مسألة ان يشرب الفلسطينيون او لا يشربوا مربوطة بقرار يتخذه الكونجرس في الولايات المتحدة الامريكية او الدول الامبريالية الاخرى !!

**هاني م.**

## (٢) القضية الفلسطينية عربيا

### من الدولة الفلسطينية الى العودة الى الاردن

كان الشهران الماضيان شهري الدولة الفلسطينية. لقد طرحت على الصعيد العربي كما لم تطرح من قبل . وحين بدأت الرقاب تشرئب بحثا عن «الفكرة الهائمة» ، غابت « الدولة الفلسطينية » عن صفحات الصحف وبرامج الاذاعات . وظل الجمهور الفلسطيني بين الصمت والاعلان حائرا متخوفا بينما ظلت بعض القيادات الفلسطينية تبحث في السراب عن الماء .

وبرز فجأة على السطح موضوع جديد . انه موضوع العلاقات الاردنية — العربية ، وعودة المياه الى مجاريها بين الاردن وشقيقاته العربيات، وعودة الحياة الى الجبهة الشرقية بالطبع . وكانت عمان تحاول ، منذ ايلول سنة ١٩٧٠ ، ان تصفي الثورة الفلسطينية من جهة وان تحافظ على علاقاتها العربية من جهة اخرى . ولكن تصفية قواعد الثورة في جرش وعجلون ، في تموز سنة ١٩٧١ ، دفعت عددا من الدول العربية لقطع علاقاتها مع الاردن ، ثم جاء مشروع المملكة العربية المتحدة فدفع جمهورية مصر العربية الى قطع علاقاتها .

وظل الاردن ، خلال هذه المدة ، يحاول عابثا ان يستعيد علاقاته العربية ، فيخرج من العزلة ، ويفرض العزلة على الثورة الفلسطينية . وراحت الوفود الاردنية وجاءت ، وزار الملك حسين اكثر من بلد عربي ، على رأسها المملكة العربية السعودية اكثر من مرة ، وكتب الملك حسين اكثر من رسالة . ولكن هذه المحاولات جميعا كانت تصطدم بعقبة العلاقة بين الاردن والثورة الفلسطينية . وكان النظام الاردني ، في هذه الفترة ، يواصل حملات التصفية والملاحقة والتحريض ضد الثورة ، كما كان يواصل العمل لتوثيق علاقاته مع بعض دول الخليج وايران ، ويسعى جاهدا لضمان استمرار تأييد الولايات المتحدة الاميركية . وظل الاردن حريصا على ان يرفض فكرة الحرب ، مع دولة الاحتلال ، او ان يكون جزءا من محور الحرب ، حتى عندما تكون حربا كلامية . وتوضح رسالة الملك حسين الى القوات المسلحة ، التي نشرتها الصحف في حينه، هذا الموقف بجلاء .

وحين قامت السلطة اللبنانية في ايار بهجومها على الثورة ، ظن النظام الاردني ان كل شيء قد انتهى ، وان الثورة سوف لا تقوم لها قائمة . الا ان حسابات النظام الاردني وكل القوى المضادة اصطدمت بصخرة المقاومة ، فخاب امل المراهنين على نهاية الثورة نهاية مفجعة . ولكن هذا الفشل اخرج فكرة الدولة الفلسطينية من جديد الى حيز السياسة اليومية . وانشغل الوطن العربي بالفكرة السرابية . وبدأت الاسئلة تطرح : اين ؟ كيف ؟ ولماذا ؟ ولم تجد الاسئلة من يجيب عليها غير الحبيب بورقيبة . قال الحبيب بورقيبة ما لم يقله احد . واوضح ان الكيان الاردني كيان مصطنع ، وان الدولة الفلسطينية يجب ان تقوم في شرق الاردن . وثارت ثائرة النظام الاردني ، فنظم المظاهرات وارسل الوفود احتجاجا على تصريحات الحبيب بورقيبة . وكان من بين الوفود وفد ذهب الى تونس ليسمع من الحبيب بورقيبة ما لم يسمعه من الاذاعات والصحف . وقطع الاردن علاقاته مع تونس.وهنا أخذ النظام الاردني يفكر بقضية الدولةالفلسطينية مليا . لقد بات واضحا ان ما طرحه الحبيب بورقيبة يحظى باهتمام بعض الدول العربية ، كما كان واضحا انه ليس معزولا عن « ألاعيب » بعض الدول الكبرى . ولذلك اخذت النظامالاردني الخشية . فلقد بدا واضحا للحاكمين في عمان ان هنالك امكانية لمحاولة حل مشكلةالفلسطينيين على حسابهم . واخاف هذا « التحول » بعض الدول العربية التي تخاف اي تغيير في المنطقة . وجاءت من هنا فكرة الالتفاف على الثورة الفلسطينية . فالنظام الاردني ، المستهدف الاول بعملية التغيير ، راح يلهث وراء عودة علاقاته مع الدول العربية ، خاصة مصر وسورية ، لانه يعلم ان انهاء عزلته العربية ، وعودة المعونات المقطوعة ، هو الوسيلة الوحيدة لعزلة الثورة ، ولمنع اي تغيير . ولهذا اخذ النظام الاردني يلوح باستعداده لبدء صفحة جديدة من العلاقاتالعربية، وللمساهمة في بناء الجبهة الشرقية ، ويؤكد حرصه على وحدة الصف العربي وعدم الخروج عليه بالموافقة على اي مشروع من مشاريع الصلح المنفرد .

وكان النظام الاردني يستهدف من ذلك : أ — العودة الى الحظيرة العربية . ب — استعادة المعونات . ج — عزل الثورة الفلسطينية . د — محاصرة اية امكانية لجعل النظام الاردنيموضوع « مراهنة » .

ولكن النظام الاردني الذي ارخى فيما يتعلق بموضوع الثورة الفلسطينية ، بادىء ذي بدء ، عاد وتشدد . وسيتابع المناورة لينا وتشددا ليتمكن من ان يحقق الاهداف التي يريد .

واذا كان هذا ما يشغل الاردن ، فانه ايضا ما يشغل بال المملكة العربية السعودية . انها طبعا تخشى اتجاه الثورة الفلسطينية يسارا ، ويقلقها تطور العلاقات الفلسطينية السوفياتية خاصة وعلاقاتها مع الدول الاشتراكية عامة . ثم ان المملكة العربية السعودية تخشى اي « تغيير » في الاردن لا تسيطر عليه . ولذلك بدأت المملكة العربية السعودية مساعيها التي بدأتها منذ ايلول والتي تتلخص فيما يلي : أ — ضمان استمرار الوضع في الاردن ، وعدم اجراء اي تغيير لا يضمن مصالح المملكة السعودية . ب — ضمان عدم حدوث اي تغيير في بنية الثورة الفلسطينية ، يجعلها قادرة على ان تحدث تغييرا في الوضع العربي .

ومن هنا بدأت المملكة العربية السعودية ضغطها باتجاه تسوية علاقات الثورة بالنظام الاردني ، لان تسوية هذه العلاقات ضمانة اساسية من ضمانات استمرار الوضع الراهن في الاردن والثورة . ولان هذه التسوية تضمن ايضا عدم حدوث اي تغيير يهز الانظمة العربية في المنطقة . ولهذا كله طرحت قضية عودة الثورة الفلسطينية الى الاردن ، ضمن اطار الجبهة الشرقية واصبح موضوع العودة الى الاردن هو موضوع الركض اللاهث وراء السراب .

واذا كان الشهران الماضيان هما شهرا الركض وراء سراب الدولة الفلسطينية ، فان هذا الشهر والشهر القادم سيكونان شهري الركض اللاهث وراء العودة الى الاردن . وكما ان ليس هناك دولة فلسطينية فليس هنالك عودة الى الاردن في الظروف الراهنة الا ضمن اطار عملية تصفية كاملة للثورة الفلسطينية . والاردن لا يرفض عودة « الثورة » اليه ، ولكنه يريدها ان تعود مقلمة الانياب والاظافر ، متنازلة عن مطامحها . اي ان الاردن يقبل الثورة اذا تنازلت فعلا لا قولا عن اهدافها في تحرير فلسطين ، وكفت عن ان تكون أداة تحريض وتعبئة جماهيريين ، وأصبحت جزءا من مخطط الانظمة العربية . ومثل هذه «الثورة» هو المطلوب الان من الانظمة العربية ، الهاربة من القتال الى سراب الحلول الدولية .

ان المصالحة بين الثورة والاردن ستكون وسيلة النظام الاردني للخروج من مأزقه الداخلي والعربي ، واذا كان يهم بعض الانظمة العربية ان تنقذ النظام الاردني مرة اخرى ، فعلى الثورة الفلسطينية ان تكون حذرة ، وان تواصل تعبئة قواها وجماهيرها باتجاه التحرير ، لانها بهذا تزيد مأزق النظام الاردني حدة ، وتخرج من مأزقها .

ويجب ان تتنبه الثورة الفلسطينية جيدا «لالاعيب» السياسة العربية . ان هذه السياسة العاجزة تطلق « بالوناتها » لتغطية عجزها ، ولدفع الجماهير العربية على طريق « السراب » . وما ان ينفجر « بالون » حتى يطلق اخر . وعلى الثورة الفلسطينية ان تفجر بالون الدولة الفلسطينية ، وبالون العودة الى الاردن في ظل وصاية رسمية عربية ، وكل البالونات المشابهة. ان الانتصارات التي حققتها الجماهير الفلسطينية والثورة الفلسطينية معرضة الان لالتفاف النظام الاردني وبعض الانظمة العربية . ولا وسيلة للخلاص ، وللخروج من هذا المأزق العربيوالدولي الا بالاعتماد على النفس ، بناء القوى الذاتية وتعبئة الجماهير واستمرار القتال والنضال على نطاق اوسع فأوسع ، وبضراوة اشد وأكثر اصرارا .

**ناجي علوش**

# الاردن : ملحق القضية الفلسطينية عربيا

## التحرك .. داخل الطوق

## والعودة الى الاصل البريطاني

قبيل حلول الذكرى الثانية لاخر هجمة عسكرية كبيرة شنها النظام الاردني ضد حركة المقاومة الفلسطينية في احراج جرش وعجلون صيف العام ١٩٧١ ، كانت الحكومة الاردنية الجديدة برئاسة زيد الرفاعي تفوز بثقة مجلس النواب بأغلبية كبيرة درجت على نيلها سائر الحكومات الاردنية المتعاقبة . وكان الملك حسين قد كلف مستشاره السياسي الخاص تشكيل حكومته الحالية بتاريخ ١٩٧٣/٥/٢٦ وسط حديث مسهب عن جو « الانفراج » الداخلي و« الانفتاح » على العالم العربي ، بعد ثلاث سنوات من سياسة القمع داخليا والعزلة عربيا . ولكي يعزز الرفاعي توجهات السياسة الاردنية الجديدة ، والتي أملتها ضرورات اقتصادية وسياسية ملحة ، بدأ فور تكليفه منصب رئاسة الحكومة الطلب الى الجهات المختصة بالغاء ترتيبات تصاريح السفر الى خارج الاردن ، كما طلب الى وزير الاقتصاد الاردني الاسراع في تقديم الدراسات والتوصيات اللازمة لمعالجة موضوع الغلاء المستفحل في الاردن ( الرأي ١٩٧٣/٥/٢٨ ) . وفور تسلم زيد الرفاعي لمهات رئاسة الحكومة عين الملك حسين عبدالمنعم الرفاعي — عم رئيس الحكومة وابرز الدعاة لسياسة الانفتاح على العالم العربي — ممثلا شخصيا له ورئيسا للوفد الاردني لدى جامعة الدول العربية في القاهرة ( الرأي ١٩٧٣/٥/٣١ ) . وتوالى بعد ذلك بروز ملامح توجهات السياسة الاردنية الجديدة بسلسلة من الاجراءات والتدابير على الصعيدين الداخلي والعربي ، كان أبرزها ايعاز رئيس الحكومة الى الجهات المختصة ، بناء على رغبة الملك ، « بدراسة اوضاع العدد القليل المتبقى من المعتقلين والمحكومين تمهيدا للافراج عن كل من هو مؤهل منهم للعودة الى الحياة المدنية » ( الرأي ١٩٧٣/٦/١١ ) ، وصدر قرار « اللجنة العليا لشؤون الارض المحتلة » بتخفيف قيود المرور عبر الجسور المفتوحة مع الضفة الغربية التي فرضها النظام مؤخرا فيما يتعلق بالانتقال وكمية العملة المرخص بحملها الى الضفة الغربية (الرأي ١٩٧٣/٦/٣ ) .

غير ان كل هذه الاجراءات والتدابير لم تكن كافية، في حيز الواقع العملي ، لتشكل تراجعا حقيقيا وملموسا عن « نهج أيلول » بكل انعكاسات ومدلولات هذا النهج على الصعيدين الداخلي والعربي . ومما زاد في تعقيد المهات المنوطة بحكومة الرفاعي الجديدة ، اصطدامها منذ أيامها الاولى بعقبات ومفاجآت غير منتظرة . فقبل أن يتم جميع أعضاء الحكومة حلف اليمين الدستوري ، كان وزير الخارجية المصري الدكتور محمد حسن الزيات يفتتح بتاريخ ١٩٧٣/٦/٦ مناقشات الدورة الاولى من اجتماعات مجلس الامن الخاصة بأزمة الشرق الاوسط ، بخطاب مطول عن حقوق « الامة الفلسطينية » بدولة لها داخل حدود قرار التقسيم الصادر عن الامم المتحدة في العام ١٩٤٧ .

ازاء هذا الطرح الرسمي المصري ، المتناقض تماما مع التصور الاردني لحقوق الشعب الفلسطيني ، وجدت حكومة الرفاعي نفسها أمام تعقيدات جديدة في مجال علاقاتها مع القاهرة التي تعتبر مفتاح علاقاتها الطبيعية مع سائر العواصم العربية الاخرى منذ تأسيس امارة شرق الاردن عام ١٩٢١ وضم الضفة الغربية عام ١٩٥٠ ، وحتى الان . واذا كان هذا التطور—العقبة في الموقف المصري لم يمنع عبد المنعم الرفاعي ممثل الملك الشخصي من السفر الى القاهرة « لتوضيح وجهة النظر الاردنية ... بغية التوصل الى تفاهم مشترك... بين الدولتين الشقيقتين » ( الرأي ١٩٧٣/٦/١٩ )، فانه لم يمنع كذلك دعاة العزلة في تحالف الحكم القائم في عمان من التعبير عن وجهة نظرهم وضيق ذرعهم بالسياسة المصرية ازاء حقوق الشعب الفلسطيني ، من خلال افتتاحية جريدة الرأي الصادرة في يوم ١٩٧٣/٦/١٤ ، التي تطعت صمت عمان ازاء تصريحات الزيات ، بالهجوم على المحاولات التي يقودها الوزير المصري «للانحراف» بقرار مجلس الامن الدولي رقم ٢٤٢ ، الذي بموجبه أقر المجلس للاردن « بالحق في استرجاع الضفة الغربية كاملة كجزء سلخه الاحتلال عن اراضيه ».ووصفت الرأي وجهة نظر الزيات بأنها « تتلاقى مع المخطط الاسرائيلي » . واضافت قائلة: « ان اسرائيل تتمنى ان تكون الجهات المطالبة

باسترداد الاراضي دولا في المنفى او منظمات او كيانات وان لا تكون دولة قائمة واعضاء في المنظمة الدولية وبيدها قرار يعترف لها بحق استـرداد اراضيها » ( الرأي ١٩٧٢/٦/١٤ ) . كما لم يمنع ذلك ايضا صحيفة « الاقصى » التي تصدر عن قيادة الجيش الاردني كأحد ابرز الصحف الاردنية المعبرة عن سياسة العزلة و« نهج ايلول » ، من الهجوم على موقف الزيات ومطالبته بقرار التقسيم للعام ١٩٤٧، وذلك غداة وصول عبدالمنعم الرفاعي الى القاهرة ، واصفة دعوة الوزير المصري بأنها اعتراف صريح باسرائيل وخروج عن الاجماع العربي وقرارات مؤتمر الخرطوم . حيث قالت الاقصى بوضوح شديد « **ان الاردن لا يستطيع ان يتخلى عن الضفة الغربية وعن فلسطين طالما ان ابناءها الذين اختاروا الوحدة يعانون من وطأة الاحتلال والقهر . والاردن لا يستطيع ان يسلم بأن يرسم لهم الدكتور الزيات او غيره المصيـر والمستقبل الذي يجب ان يؤولوا اليه في غيبة تامة عنهم ، وهم في وضع لا يستطيعون فيه ممارسة اختيارهم لمصيرهم** » ( الاقصى ١٩٧١/٦/٢٠ ). وهكذا جاءت مذكرة الحكومة الاردنيـة الى وزراء الخارجيـة العرب ، والمتعلقة « بأبعاد دعوة وزير الخارجية المصري في مجلس الامن الى اقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية المحتلة من الاردن والاخطار التي تنطوي عليهـا هذه الدعـوة بالنسبة للقضيـة الفلسطينية وحقوق الشعب الفلسطيني » ( الرأي ١٩٧٣/٦/١٥ ) ، لتشير الى اول تحرك أردني رسمي تجاه الطرح المصري في مجلس الامن ، يلبي رغبة دعاة العزلة في مؤسسـة الحكم الاردني وينسجم مع ما عبرت عنه صحيفة « الرأي » في اليوم السابق على توزيع المذكرة . غير ان ذلك — كما سبق ان ذكرنا — لم يمنع عبدالمنعم الرفاعي من السفر الى القاهرة يوم ١٩٧٣/٦/١٨ والعودة منها الى عمان يوم ١٩٧٣/٦/٢٥ برسالة جوابية من الرئيس السادات الى الملك حسين ( الرأي ١٩٧٣/٦/٢٦ ) .

هكذا تبدى اصرار الحكومة الاردنية الجديدة على الخروج من مأزق العزلة الداخلية والخارجية التي عاشها الاردن خلال السنوات الثلاث الاخيرة ، بوصول ممثل الملك الشخصي الى القاهرة بعد مذكرة الحكومة الاردنيـة التي تضمنت انتقـادا لتصريحات وزير خارجيتها . وتجلى هذا الاصرار كذلك من خلال مواصلة الرفاعي زياراته الى كل من دمشق والكويت بعد ذلك مباشرة ( الدستور ١٩٧٣/٣/٢ ) . ومن ناحيـة اخرى ، واصلت الحكومة الاردنية خطواتها « الانفراجية » علـى الصعيد الداخلي في محاولة منها لكسب اكبـر القطاعات الشعبية الى جانبها . وكانت الحكومة بخطواتها هذه تخاطب القطاعات الفلسطينية على وجه التحديد ، تلك القطاعات التي لحقها أشد الضرر من جراء سياسات الحكم القمعية خلال السنوات الماضية . فبعد الغاء الحكومة لتصاريح السفر الى خارج الاردن ، واعلان عزمها عـن معالجة موضوع الغلاء المستفحل ، والافراج عن عدد من المسجونين الذين في غالبيتهم المطلقة من أعضاء وعناصر حركة المقاومة الفلسطينية ، عمدت الحكومة الى الغاء تصاريح السفر الـى الضفة الغربية ، وخفضت الرسوم الجمركية على الادوية بمقدار ٥٠ ٪ ( الـرأي ١٩٧٣/٦/٢٠ ) . كما أفرجت عن ١٨١ معتقلا ومحكوما ( الدستور ١٨/٧٣/٧ ) . ثم ألغت الرسوم التي فرضتها على منتوجات الضفة الغربية في أواخر العام ١٩٧٢ اعتبارا من ١٩٧٣/٨/١ ( الدستور ١٩٧٣/٧/٢٦). وفي اول شهر آب ( اغسطس ) ١٩٧٣ قـررت الحكومة الاردنية الغاء اذن الزيارة للفلسطينيين الراغبين في زيارة الاردن ، وهو التقليد الذي جرت على اتباعه الحكومات الاردنية المتعاقبة منذ العام ١٩٤٨ ( الدستور ١٩٧٣/٨/١ ) .

واضح مـن خلال تلك الاجـراءات المكشوفـة والاتصالات المتعددة ، ان الهدف الاساسي الذي حكم تحرك النظام الاردنـي بمجموعه خلال هذه الفترة ، هو مواصلة ادعاء النظام « بحقه » في تمثيل الشعب الفلسطيني والنطق باسمه . وكانت اجراءات النظـام التي قصـد بها استرضـاء الفلسطينيين سواء داخل الضفة الشرقية ام في المناطق المحتلة ، رد فعل سريع لمشاعر الذعـر والفزع التي أصيبت بها عقب تصريحات كل من وزير الخارجية المصرية والرئيس التونسي الحبيب بورقيبه . فقد اكتشف النظام مجددا انه معرض لفقدان خاصيتـه السياسية في المنطقـة ، تلك الخاصية التي كانت مصدر الدعم المادي والسياسي له من قبل الامبريالية ، باعتبـاره يمثل الاداة الناجعة لقمع الشعب الفلسطيني ومصادرة حقوقه الوطنية والسياسية . من هنا كان رد فعل النظام على تصريحات الوزير المصري والرئيس التونسي باستنفار كافة اجهزة ووسائط الاعلام الاردنيـة

للتحدث عن وحدة الضفتين والشعب الواحد والاسرة الواحدة . فأبرزت صحيفة « الرأي » شبه الرسمية تصريحات عبد الحميد شرف مندوب الاردن لدى مجلس الامن ، تحت عنوان رئيسي كبير في صدر صفحتها الاولى كما يلي : **« سكان الضفة الغربية مواطنون اردنيون ومصيرهم مرتبط بمصيرنا »** ( الرأي ١٩٧٣/٦/١١ ) . كما أبرزت الصحيفة في مناسبة ثانية تصريحات الياس فريج رئيس بلدية بيت لحم ، والمعروف بولائه للنظام الاردني ، تحت عنوان مماثل هو **« سكان الضفة الغربية يطالبون بحق تقرير المصير ضمن اطار الوحدة بين الضفتين »** ( الرأي ١٩٧٣/٦/٢٠ ) . أي انه في خضم الحديث في بعض الاوساط العربية والدولية عن حقوق الشعب الفلسطيني ، بدأ النظام الاردني من خلال وسائط اعلامه يتحرك باتجاه تكريس وحدانية تمثيله للشعب الفلسطيني . تأكد النظام مجددا ، من خلال ردود فعله المتباينة ، على ان مصيره السياسي مرهون باستطاعة تمثيل الشعب الفلسطيني ومصادرته ماديا وسياسيا . من هنا نستطيع ان نفهم ما مثله تحرك النظام الاردني ضد تصريحات وزير الخارجية المصرية ، وردة الفعل الحادة التي جابه بها تصريحات الرئيس التونسي بورقيبة الى جريدة « النهار » البيروتية يوم ١٩٧٣/٧/٦ والتي جاء فيها ان الاردن تاريخيا هو جزء من فلسطين وبالتالي فانه كيان مصطنع . فقد وصفت صحيفة « الدستور » الاردنية تصريحات بورقيبة هذه بالغرابة وقالت في افتتاحيتها الرئيسية انها ملامح مخطط « الوطن البديل » ( الدستور ١٩٧٣/٧/٧ ) . كما قام زيد الرفاعي باستدعاء القائم بالاعمال التونسي في عمان وابلغه « دهشة واستغراب الحكومة الاردنية للتصريحات التي نسبت الى فخامة الرئيس التونسي الحبيب بورقيبه » . وطلب رئيس الحكومة من القائم بالاعمال التونسي ان تقدم حكومته تفسيرا رسميا لتلك التصريحات . وبعث رئيس مجلس الامة الاردني كامل عريقات ببرقيات الى الجامعة العربية والى البرلمانات العربية ورئيس مجلس الاتحاد البرلماني الدولي والسكرتير العام للاتحاد ، قال فيها : « ان الشعب في ضفتي المملكة يستنكر هذه التصريحات . واكد ان شعب الضفتين سيناضل ويكافح بكل عزم وتصميم من اجل الحفاظ على وحدة الضفتين بقيادة جلالة الحسين » . وعلى خط مواز لتحرك الحكومة ومجلس النواب جاء استنكار « الاتحاد الوطني العربي » لتصريحات بورقيبة داعيا الى « اليقظة والحذر والى المزيد من تلاحم الصفوف » ( الدستور ١٩٧٣/٧/٨ ) . ورغم ان النظام الاردني كان يرغب في ان يبقي حملته واحتجاجاته ضد تصريحات الرئيس التونسي ضمن أطر محدودة ، الا انه وجد نفسه لاول مرة في تاريخه يقوم بقطع العلاقات مع دولة عربية . فقد كانت الدول العربية هي التي تبادر الى قطع علاقاتها مع الاردن دائما في كل مرة يقدم فيها النظام على الانفراد بموقف يشذ فيه عن الاجماع العربي والمصلحة العربية العليا . فبعد ان قام السفير الاردني في تونس بمقابلة الرئيس بورقيبة بناء على رغبة حكومته ، طالبا منه نفي ما جاء على لسانه في جريدة « النهار » البيروتية ، وجد النظام الاردني نفسه غير قادر على التراجع عن تهديداته بقطع العلاقات الدبلوماسية مع تونس عندما اكد بورقيبة انه لن يتراجع هو الاخر عما جاء في مقابلته مع مندوب « النهار » في ١٩٧٣/٧/٦ . وبالفعل استدعت وزارة الخارجية الاردنية سفيرها في تونس « للتشاور » ( الدستور ١٩٧٣/٧/١٤ ) . وعقب عودة الملك حسين من زيارته الى ايران ثم لندن بتاريخ ١٩٧٣/٧/١٥ ، اعلنت الحكومة الاردنية من جانبها قطع العلاقات الدبلوماسية مع تونس ( الدستور ١٩٧٣/٧/١٨ ) . وانطلقت بعد ذلك حملات الاعلام الاردني تهاجم بورقيبة واصفة مشروعه بأنه مؤامرة لتصفية القضية الفلسطينية، مبرزة بالمقابل « حرص » الاردن الشديد على شعب فلسطين وحقوقه الوطنية والتاريخية في أرضه . ولكن المضمون الذي حملته كل الشعارات الاعلامية لمهرجان « الاتحاد الوطني العربي » الذي عقد في عمان لهذه الغاية (الدستور ١٩٧٣/٧/٢٧)، قدمت الدليل مجددا على ان فهم الحكم الاردني لحقوق الشعب الفلسطيني ليست أكثر من منح التأييد للعرش الهاشمي ، الذي زج بالالاف من ابنائه في السجون والمعتقلات ، واقام له المشانق والمذابح في سائر مدن ومناطق الضفة الشرقية . يبقى هناك تساؤل اساسي في موضوع قطع الاردن علاقاته السياسية مع تونس ، هو ما مدى صحة اشارة بورقيبة خلال مقابلته مع « النهار » عن موافقة اميركا على مشروعه ؟

اذا كنا لا نملك دليلا كافيا للاعتقاد بأن اميركا هي وراء مشروع الرئيس التونسي ، فان جملة المعطيات في التحرك السياسي الاردني خلال الفترة الماضية

يمكن أن تجيب على هذا التساؤل ، لافتين النظر الى النفي الاردني المتكرر لدور اميركا في مشروع بورقيبة ، الى الحد الذي صرح فيه رئيس الحكومة زيد الرفاعي لجريدة « الرأي العام » الكويتية ان لدى حكومته « تأكيدات مكتوبة من واشنطن ان لا دور لاميركا في الدعوة البورقيبية وان تصريحات الرئيس التونسي لا تمثل سوى وجهة نظره » ( الرأي العام ١٩٧٣/٧/٢٦ ) . ففي ٦/٢٧/ ١٩٧٣ وقبل ان يعلن بورقيبة وجهة نظره الخاصة في الكيان الاردني ، كان الملك حسين يطير بصحبة زوجته الجديدة الى طهران في زيارة شددت وسائل الاعلام الاردنية على وصفها بأنها « زيارة خاصة » ( الرأي ١٩٧٣/٦/٢٨ ) . فجاءت زيارة الملك هذه الى طهران بعد زيارة رئيس الوزراء الايراني الى عمان مباشرة ومقابلته الملك حسين ورئيس وزرائه زيد الرفاعي ( الرأي ١٩٧٣/٦/٢٣ ) . وبينما كان الملك يمضي ايام زيارته غير المحددة الى طهران ، تناقلت وكالات الانباء العالمية ما جاء على لسان الرئيس التونسي لصحيفة « النهار » البيروتية . فاستدعى الملك رئيس وزرائه الى طهران يوم ١٩٧٣/٧/١٠ ليطير معه الى لندن في اليوم نفسه بصورة مفاجئة ، في زيارة وصفتها كل من الصحف البريطانية والاردنية بأنها « زيارة رسمية » ( الدستور ، الرأي ١٩٧٣/٧/١١ ) . فكانت زيارة الملك هذه اول زيارة يقوم بها الى بريطانيا منذ

شهر تموز ( يوليه ) ١٩٧١ ، اي قبل وقوع مجازر الاحراج وجرش مباشرة في ذلك العام . وطوال العامين الماضيين ظل النظام الاردني يتوجه بقوة في سائر علاقاته السياسية والاقتصادية والعسكرية الى الولايات المتحدة الاميركية ، حيث احتلت علاقات الملك ببريطانيا المرتبة الثالثة بعد علاقاته بكل من اميركا والمانيه الغربية على التوالي . من هنا يمكن لمس اهمية هذه الزيارة الى بريطانيا صانعة الكيان الاردني ، في وقت بدت فيه اميركا وكأنها قد تخلت عن نظام الملك وغدت مستعدة للتضحية به من اجل اعادة ترتيب خارطة المنطقة العربية بما يخدم مصالحها الاستراتيجية . فكانت لقاءات الملك حسين ومحادثاته المكثفة مع مختلف

المسؤولين البريطانيين تشير الى ان نظام الملك قد عاد الى بريطانيا يطلب منها الدعم والمساندة والوفاء بما ترتبه عليها التزاماتها الادبية والسياسية تجاه مملكته . فعلى المستوى السياسي عقد الملك حسين لقاءات مكثفة مع كل من ادوارد هيث رئيس الوزارة البريطانية، واليك دوغلاس هيوم وزير الخارجية. وعلى مستوى المحادثات العسكرية والتسليح عقد لقاء مع اللورد كارنغتون وزير الدفاع . اما على مستوى المحادثات الاقتصادية وطلب المساعدات فكان لقاء الملك مع رتشارد وود الوزير المسؤول عن المساعدات البريطانية لما وراء البحار . فما الذي يمكن استنتاجه من هذه المحادثات الواسعة التي شملت اكثر من مسؤول بريطاني وجرت على مختلف الاصعدة السياسية والاقتصادية والعسكرية ؟. بداية ، لا بد من القول انه بالرغم من توجه النظام كلية خلال العامين الماضيين باتجاه الولايات المتحدة الاميركية، فان الاخيرة لم تساهم في اخراج النظام الاردني من مأزق الاحتلال الاسرائيلي لنصف الارض التي يدعي السيادة عليها وتمثيل شعبها . وقد أوضحت زيارة الملك الاخيرة لواشنطن في شباط ( فبراير ) الماضي ، ان اميركا لا ترغب في ان يكون الاردن هو مدخل التسوية العربية — الاسرائيلية ، وانها تعمل من اجل ان تكون مصر هي المدخل لهذه التسوية . وعلى ضوء التطورات الاخيرة في الشهرين الماضيين ، والذعر الذي أصاب النظام الاردني من اشارة الرئيس التونسي الى موافقة اميركا على مشروعه ، فانه يمكن القول ان زيارة الملك حسين الى بريطانيا لا يمكن الا ان تقع ضمن اطار محاولة اردنية لاعادة صياغة علاقات الملك بكافة حلفائه الامبرياليين ، حتى لا يظل ، سيرا لعلاقاته مع دولة واحدة قد تتعارض مصالحها الاستراتيجية البعيدة المدى مع مصالحه في المنطقة . ومما يعزز من تخوفات الملك هذه ، معرفته الاكيدة بأن الاردن ليس قاعدة مصالح اقتصادية للامبريالية مثل ايران او السعودية وانما قاعدة مصالح سياسية . وقد انعكست هذه الحقيقة على علاقات الامبريالية الاميركية بحلفائها في المنطقة . فبينما نجد انها زودت ايران والسعودية بأحدث الاسلحة ، وجعلت من اسرائيل ترسانة للاسلحة المتطورة ، فان مساعداتها العسكرية للاردن لم تصل الى هذا المستوى . لذلك فان محادثات حسين — كارنغتون العسكرية هي محاولة للحصول على اسلحة بريطانية متطورة ، او محاولة لدفع اميركا لتزويده بتلك الاسلحة ، لتبقى وحدها المحتكر الوحيد لتصدير السلاح لدول المنطقة ، تماما كمحاولة الملك فيصل شراء اسلحة فرنسية عند زيارته الاخيرة لباريس الامر الذي دفع بأميركا لتزويده

بأحدث الطائرات . وما يمكن قوله حول محادثات الملك حسين مع المسؤولين البريطانيين في مجالي السياسة والدفاع ، يمكن قوله في مجال محادثات الملك حول المساعدات الاقتصادية ، خاصة وان محادثاته في هذا الصدد استغرقت وقتا اطول ، وان فرص نجاحها أفضل ، بحكم التسهيلات الكبيرة التي تمنحها الحكومة الاردنية للاستثمارات الاجنبية في الاردن من اجل انجاح خطتها الاقتصادية الثلاثية .

لقد شكلت زيارة الملك حسين الى بريطانيه ، الى جانب زيارات ممثله الشخصي الى عدة عواصم عربية ، ابرز ملامح التحرك الاردني على الصعيد الخارجي خلال الفترة القصيرة الماضية . اما زيارة الملك حسين الى طهران وزيارة رئيس وزرائه الى السعودية بتاريخ ١٩٧٣/٧/٢٨ لاجراء محادثات مع الملك فيصل ووزير الدفاع السعودي سلطان بن عبد العزيز لمدة يوم واحد فقط ، فانهما تقعان كذلك ضمن اطار تحرك النظام لتمتين تحالفاته مع سائر حلفائه في المنطقة ، وتلتقيان في الهدف والنتيجة مع زيارة الملك الى لندن ، التي كانت بهدف طلب الدعم المادي والادبي ليس لعرش الملك حسين فقط وانما للكيان الاردني الذي بدا بعد خمسين سنة وكأنه عرضة للزوال والاندثار .

تبقى الى جانب كل ما تقدم علامتان بارزتان في التحرك الاردني خلال الفترة الماضية ، تستوجبان منا تسليط الضوء عليهما مجددا .

أولا : ان المحاولات الاردنية لفك طوق العزلة العربية عن النظام ، والتي بدأها المستشار الخاص للملك حسين بزيارة القاهرة في ٦/١٨/ ١٩٧٣ وختمها بزيارة دمشق مصطحبا معه الممثل الشخصي للرئيس السادات بتاريخ ١٩٧٣/٨/١٢ ، انتهت وسط احاديث صحفية اردنية تقول بقرب عقد مؤتمر قمة بين كل من الملك حسين والرئيس السادات والرئيس حافظ الاسد ( الدستور ١٠/ ١٩٧٣/٨ ) . وتضيف بعض المصادر الصحفية المصرية حول الموضوع نفسه ان الاردن قد وافق على احياء الجبهة الشرقية وتجميد مشروع المملكة العربية المتحدة والقبول بعودة التواجد الفدائي في اراضيه ، مقابل اعادة مصر لعلاقاتها معه ( اخبار اليوم ١٩٧٣/٨/١١ ) . ومهما كانت جدية النفي الاردني لمثل تلك الاخبار على لسان عبدالمنعم الرفاعي ، فانه من الثابت الان ، وبعد اجراء الملك حسين محادثة هاتفية مع الرئيس السادات وتبادل عدة رسائل معه ، ان النظام الاردني قد استطاع ان يدفع بعلاقاته مع الانظمة العربية خطوة كبيرة الى الامام ، ربما تكون مقدمة لاعادة العلاقات معها في المستقبل القريب .

ثانيا : بقدر النجاح النسبي الذي حققه الحكم الاردني في مجال اعادة علاقاته مع الانظمة العربية، كان قدر الفشل الذي أصابه في مجال محاولاته المتكررة لتجيير ولاء الضفة الغربية لصالحه. فرغم اقدام النظام على الغاء ضريبة الانتاج على صادرات الضفة الغربية عبر الجسور المفتوحة ، والتي اعتبر فرضها في أواخر العام ١٩٧٢ اخطر تطور في العلاقة بين الضفتين منذ العام ١٩٦٧ ، فان هذا الاجراء لم يستطع كسب ولاء جماهير الشعب الفلسطيني في الضفة المحتلة ، بل بالعكس من ذلك كرس انصراف جماهير الضفة الى مقاومة الاحتلال بكل اشكال النضال المتاحة . وكرس هذا الاجراء بالمقابل ضلوع البرجوازية التجارية المستفيدة من تجارتها عبر الجسور في مخططات النظام التآمرية على جماهير شعبنا الفلسطيني بأسره . وما وصول الشوا الى عمان قبل الغاء ضريبة الانتاج المشار اليها مباشرة ( الدستور ١٩٧٣/٨/١ ) ووصول وفد الغرف التجارية الى عمان قبل الغاء الضريبة بأيام معدودة ( الدستور ١٩٧٣/٧/١٣ ) ، الا تكريس لهذه العلاقة التي تجيء على حساب مجموع المصالح الوطنية للشعب الفلسطيني بأسره .

**عيسى عبدالحميد**

## ( ٣ ) القضية الفلسطينية دوليا

جاءت عملية القرصنة الجوية التي قامت بهـا أجهزة الدولة الصهيونية توضح للمجتمع الدولي صحة التقييم الفلسطيني لطبيعة الكيان الاسرائيلي. ولعل هذا الوضوح هو الذي دفع مجلس الامن الى اتخاذ قرار ادانة اجماعية لاسرائيل . فبالاضافة الى ان ذريعة اسرائيل في انها سوف تلاحق ما تسميه بمنظمات«التخريب»في كل مكان لم تعد واردة فالمجتمع الدولي لم يسلم بهذا الوصف الاسرائيلي للمقاومة الفلسطينية بل حدد في سلسلة مـن القرارات الصادرة عن الامم المتحدة – ورغـم المعارضة الشرسة للولايات المتحدة – اعـترافه بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وفي النضال بشتى الوسائل من اجل هذا الحق . الا ان اسرائيل اعتقدت ان باستطاعتهـا ان تستنبـط قوانينها وتخالف أبسط قواعد التعامل الـدولي والحضاري وتمارس شتى انواع الارهـــاب لان الولايات المتحدة تعطيها الضوء الاخضر المسبق لكل ممارساتها العدوانية والتوسعية والارهابية. استنادا لهذا الارتهان الاميركي لمختلف اهدافهـا وأعمالها، أخذ العالم يعي طبيعة العلاقة العضوية بين البعد الامبريالي للولايات المتحدة واسرائيل . وفي حين ان المجتمع الغربي كان يبدي استعدادا لفهم سياسة اميركية تحمي الكيان الاسـرائيـلي الا ان قطاعات هامة أساسية منه رفضت ان تتحول هذه السياسة الاميركية الى حماية أهداف اسرائيل العدوانية والتوسعية في المنطقة .

تجلى هذا التباين بين الغرب الاوروبي والولايات المتحدة اثناء مناقشات مجلس الامن المتعلقة بأزمة الشرق الاوسط بناء على طلب مصر حيث استعملت الولايات المتحدة حق الفيتو وظهرت معزولة عـن المجتمع الدولي في تأييدها ومساندتها لاسرائيل . ادرك العالم – باستثناء الولايات المتحدة – من خلال مناقشات مجلس الامن فيما يتعلق بأزمة الشرق الاوسط اجمالا مدى استهتار اسرائيل بارادة هذا المجتمع وبمقرراته . كان هذا الادراك هو بمثابة توضيح اكثر لحقيقة معاناة الفلسطينيين ولبـدء ترسخ مصداقية مجابهتهم مع الكيان الصهيوني حتى في الاوساط التي كانت متعاطفة مع هـذا الكيان .

جاء الفيتو الاميركي بمجلس الامن في نفس الوقت الذي كانت الولايات المتحدة تواجه ازمة دستورية حادة جاءت في اعقاب انكشاف مدى الفساد في السلطة التنفيذية – خاصة رئاسة الجمهورية . وكان للشكل الذي استتبع فضيحة واترغيت ان العلاقة العضوية بين الامبريالية الاميركية واسرائيل تخلت عن المفارقات الشكلية في اخراج هذه العلاقة فكان خطاب المندوب الاميركي سكالي مجرد تكرار يكاد يكون حرفيا للموقف الاسرائيلي الرسمي وبدون أي مساهمة او اجتهاد اميركي خاص في هـذا الشأن . هذا التطابق الاميركي مع الاهـداف الاسرائيلية الكاملة وبالشكل الذي ظهر أرغم حتى جريدة متلائمة مع المخططات الاسرائيلية العـامة مثل النيويورك تايمس ان تنتقد هذا الانصيـاع الاميركي في الشكل لورقة العمل الاسرائيلية فيما يتعلق بتفسير القرار ٢٤٢ .

ثم جاءت عملية قتل المواطن المغربي أحمد بوشيكي في النرويج وما تبع ذلك من اجراءات كانت احداها طرد الملحق العسكري الاسرائيلـي في النرويج . كشفت عملية قتل بوشيكي لدولة اسكندنافيـة كالنرويج عن درجة تمادي الدولة الصهيونيـة في استغلال الحصانة الدبلوماسية لتغطية أعمـال اجرامية وارهابية . وقد بين التحقيق مدى ضلوع سفارة اسرائيل في تخطيط وتنفيذ أعمال الارهاب والاجرام . أظهرت حادثة اغتيال بوشيكي بمـا لا يرقى اليه الشك ان تذرع اسرائيل بان ما تقوم به من قتل في الخارج ومن أعمال ارهابية ما هي الا امتداد لسياسـة ملاحقـة « المخربـين » الفلسطينيين . لم تؤد هذه الذريعة الواهية الى ما توخته اسرائيل من انها سوف تخفف من وطأة الادانة وعدم علانية التحقيق كما انها لم تتمكن من ادخال النرويج في المتاهات التي تعودت اسرائيل ادخال الرأي العام بها بعد قيامها في مخالفات وتجاوزات واعتداءات وجرائم واضحة . فالجهاز الرسمي الذي انشأته اسرائيل في رئاسة الوزارة لمكافحة نشاط «المخربين» استباح لنفسه تحت هذا الستار القيام بأعمال تناقض لا أبسط القواعـد الدبلوماسية والتعامل بل بديهيات العلاقـات الحضارية في المجتمع الدولي . ان تقوم اسرائيل بهذه الجريمة في ارض النرويج بعد مسلسـل الاغتيالات التي قامت بها أجهزتها وبعثاتها الرسمية في عدد من العواصم الاوروبية – باريس ، روما

الخ ــ على أنها تنوي ممارسة ارهابها في كل مكان ما دام باستطاعتها ان تبقي هذه الجرائم مخفية بنتيجة تواطؤ مع أجهزة أمن استعمارية او لاسباب أخرى او ما دام باستطاعتها ان تقوم بحملات الابتزاز والتشهير ضد كل من ينسوي التساؤل او التحقيق او يطالب بضرورة المثابرة في القاء الاضواء للحيلولة دون التستير المستمر لهذه الجرائم الاسرائيلية .

ان أهمية حادثة اغتيال احمد بوشيكي تكمن في ان أجهزة الارهاب الاسرائيلية انكشفت على حقيقتها كما ان دور البعثات الدبلوماسية الاسرائيلية في الخارج من حيث انها بؤر لتنفيذ جرائم محددة تحت غطاء الحصانة الدبلوماسية صار اكثر وضوحا . كما ان عناد النرويج في ملاحقة عملية كشف كل أبعاد القضية لم يلن امام مختلف الضغوط التي حاولت اسرائيل ممارستها . كما ان النرويج اعتبرت ان كون الهدف كان أحد قادة المقاومة وليس أحمد بوشيكي نفسه وبالتالي فان خطأ الهدف يجب ان يخفف من وطأة الملاحقة والتحقيق ليس سوى عذرا موازيا في قيمه الذنب. أضف الى ذلك ان تمسك اسرائيل في اعطاء نفسها الحق بالقيام بأعمال اجرامية من ابتزاز واغتيال بحجة استباق أعمال ينوي ضحاياها القيام بها هو منتهى الصفاقة في التحدي من حيث ان جهازا رسميا يقدم على معاقبة هدفه وتصفيته استنادا الى النية عند المستهدف .

أدت الازمة النرويجية ــ الاسرائيلية الى تسليط الاضواء الكاشفة على طبيعة المجابهة الوحشية التي تلجأ اليها الصهيونية وكيف انها لا تتورع عن استعمال أية وسيلة اطلاقا من اجل غاياتها ، كما ان سلوك اسرائيل في النرويج ووقاحة امعانها في تأكيد « حقها » في الاجرام الدولي بين لقطاعات كبيرة من الرأي العام ان القضية الفلسطينية ليست وليدة عملية غزو استعماري واغتصاب وترسيخ احتلال من قبل حركة صهيونية عنصرية فحسب ولا كون القضية الفلسطينية ناشئة عن واقع التشرد والنزوح للشعب الفلسطيني وبالتالي حقه في النضال من أجل التحرير والعودة فقط بل ان القضية الفلسطينية اكتسبت ابعادا دولية وحضارية جديدة من حيث طبيعة تركيب واهداف الكيان الذي تجابهه وتقاومه . أي ان اغتيال بوشيكي فتح امام أعين قطاعات بعيدة عن ازمة الشرق الاوسط وحيادية بالمعنى الحرفي كيف ان الصهيونية العالمية ــ واسرائيل ما هي الا تحقيق جزئي لها ــ تدول القضية الفلسطينية وبالتالي تدفع العالم ان يكتشف حقيقة مآربها ومن خلال هذا الاكتشاف شرعية وطبيعية الرد الفلسطيني .
صحيح ان ما ارادته الصهيونية ــ واسرائيل ــ هو ان يكون العالم الغربي خاصة سجين المفاهيم والمنطلقات الصهيونية الا ان حادثة النرويج وما تنطوي عليه من حقائق عن الفكر الصهيوني والسلوك الاسرائيلي دفع البلد المسالم في شمال اوروبا ان يجابه التحدي الاسرائيلي بالشكل الطبيعي والمشروع . هذه المجابهة البسيطة بدت للعالم وكأنها تطور جذري لان اسرائيل عوملت في الغرب وكأنها مستثناة من تطبيق المعايير المتداولة في العلاقات وبالتالي جاء اسقاط النرويج للاستثناء تطورا صحيا وايجابيا ، كأن اسرائيل لم تكتف بما كشفته حادثة اغتيال أحمد بوشيكي من مخططاتها الاجرامية والمخالفة لكل أصول التعامل الدولي والانساني فراحت تلجأ الى اساليبها المعتادة والتي هي ميزة جميع الكيانات الاستعمارية والعنصرية والنازية عبر التاريخ المعاصر . اذا ادين سلوك فالادانة تكون بالنسبة لهذه الكيانات حافز للمزيد من التجاوزات التي استجلبت الادانة لان الذهنية النازية والاستعمارية ــ واسرائيل هي آخر معاقل هذه الذهنية في العصر الحديث ــ تتعمد اهانة المجتمع الدولي بدلا من الامتثال ، كما تفعل الدول المتمدنة ، لارادته المشروعة . لم تعمل اسرائيل على مداواة ما أصابها من عزلة دبلوماسية وادانة معنوية بل بالعكس ، لان ما يعتبره العالم المتحضر مرضا تعتبره النازية المعاصرة دليل عافية . لذلك كان خطفها الطائرة اللبنانية المتوجهة من بيروت الى بغداد في ٨/١٠ بواسطة اختراق سلاحها الجوي الاجواء اللبنانية وارغامها الطائرة اللبنانية على الهبوط هو بالنسبة اليها بمثابة تفنن وتجديد في أساليب اسرائيل الارهابية وليس عاملا جديدا يطرأ على سياستها وسلوكها . من هنا تشكلت عندنا قناعة بان الادانة لا تكفي لان تحجر اسرائيل عند موقفها لا يهزه او يؤثر به سوى مجابهة اسرائيل بشكل مباشر من خلال معاقبتها بما يتناسب مع مستوى تحديها ، لذلك فان مناقشات مجلس الامن اثبتت ان قطاعات كثيرة من العالم اتجهت الى هذا الموقف . حتى ان بعض الدول الناقدة لاسرائيل من موقع التعاطف العام معها ادركت ان تجاوزات اسرائيل لم تعد مجرد تجاوزات مرحلية او ظرفية

بل نمط ملازم لطبيعة كيانها ومنطلقاتها . هـذا الادراك جعلها تندفع الى المطالبة بما هو أكثر من الادانة وبالتالي تلاقت مع الدول الاشتراكية ومع الدول غير المنحازة في الاصرار على اتخـــاذ الاجراءات المناسبة التي من شأنها معاقبة اسرائيل لردعها بشكل حاسم .

ان تعاظم قوى المطالبة بانزال العقوبات باسرائيل في مجلس الامن هو الذي يكشف مرة اخرى دور الولايات المتحدة المزمنة في تواطؤها وارتباطها مع اسرائيل . ان موقفها في مجلس الامن كان مقتصرا على الايحاء بانها سوف تلجأ الى الفيتو مرة اخرى اذا ما أصر المجتمع الدولي على المعاقبة . كان هم الولايات المتحدة ان يبقى الاستفزاز الاسرائيلي للمجتمع الدولي أقوى من حرية المجتمع الدولي في اتخاذ الموقف المناسب . أي ان الولايات المتحدة أرادت ان يكون الموقف ــ الرد دون مستوى التحدي ــ الفعل . لذلك ادت الولايات المتحدة مهماتها نحو اسرائيل بالوقت الذي ارادت ان تبدو وكأنها ليست خارجة عن الارادة الجماعية هذه المـرة مثل كل المرات السابقة .

الا ان القبول بالمنطق الذي يريد ان يظهر الولايات المتحدة كشريكة للارادة الدولية في ادانة عملية القرصنة الاسرائيلية بدلا من انها كانت شريكة لاسرائيل ــ مع توزيع الادوار بينهما ــ يعني انه يقرأ قرار مجلس الامن قراءة سطحية او خاطئة . في الشكل شاركت الولايات المتحدة في ادانـــة اسرائيل على عملية القرصنة الجوية . الا انه لم يكن لها من مفر الا ان تفعل ذلك نظرا لان أية موافقة منها على عملية الخطف الاسرائيليـــة سيشرع باب الخطف واستحالة الاستمــــرار في مطالباتها المتكررة بانزال العقوبات على الخاطفين وهي اكثر دولة عانت طائراتها من الخطف . لذلك فقد كان مستحيلا على الولايات المتحدة ان تسجل على نفسها انها أضفت شرعية ما على أسلوب خطف الطائرات حتى ولو كان الخاطف هو دولة اسرائيل .

الا ان هذا ليس هو الموضوع ، الموضوع هو ان الولايات المتحدة وحدها حالت دون ان تفرض على اسرائيل العقوبات البديهية التي طالما طالبــت بتطبيقها على كل الخاطفين . من هنا فان مشاركتها في الادانة كانت رفع عتب بينما كانت حيلولتها دون انزال العقوبات باسرائيل هو جوهر التعبير عــن ارتباطها العضوي مع اهداف اسرائيل وتبنيهــا الفعلي لكل اساليبها . ولا غرو في ذلك فان رئيسا مثل نيكسون أمر بتكثيف قصف كمبوديــا في الايام الاخيرة التي سبقت ١٥ آب ( اغسطس ) ــ وهو اليوم الذي فرض فيه الكنغرس الحظر على هذا القصف ــ لا يمكن الا ان يرى في ســلوك اسرائيل الارهابي والاجرامي نموذجا متكررا لما اقدم عليه في الفيتنام وفي كمبوديا وبالتالي يكون التحالف مع اسرائيل ليس تحالف مصالح فحسب بل شراكة في ورشة هدم القيم الحضارية .

ك . م .

## ( ٤ ) المناطق المحتلة

### مشروع بورقيبة وردود الفعل في المناطق المحتلة :

عند أوائل تموز الماضي طرح بورقيبة مشروعا لحل النزاع العربي الاسرائيلي بواسطة انشاء دولة فلسطينية تشمل المناطق المحتلة : الضفة الغربية وقطاع غزة ، وكذلك الضفة الشرقية لنهر الاردن ، باعتبار ان هذه الضفة هي جزء من فلسطين او كما يقول المنطقة الصحراوية لفلسطين ، وما الاردن الا اسم نهر فقط ، وان شرق الاردن هو قضية مصطنعة والاساس فلسطين . ويعيد مشروع بورقيبة الى الاذهان المشروع الذي قدمه « اريه اليآف » في كتابه « ارض الغزال » بخصوص انشاء دولة فلسطينية ، فمثل بورقيبة يعتقد اليآف ان شرق الاردن هو جزء من « ارض اسرائيل » ( يعني فلسطين ) ، وان « ارض اسرائيل الكاملة » اي فلسطين والضفة الشرقية لنهر الاردن هي بمثابة وطن يسكنه شعبان ، ولذا ينبغي اقامة دولتين ما بين الصحراء والبحر المتوسط ، الاولى دولة اسرائيل والثانية الدولة الفلسطينية التي تشتمل على معظم الضفة الغربية وقطاع غزة ، وشرقي الاردن بكامله ، ويكمن الفارق الاساسي في المشروعين في مقدار « كرم وسخاء » كل منهما بالنسبة لما يمنحانه للدولة الفلسطينية ، ففي حين يتفقان على منح الدولة الفلسطينية كامل الضفة الشرقية ، يختلفان في المقدار الذي يمنحه كل منهما من الاراضي الفلسطينية لهذه الدولة .

ما هي ردود الفعل في المناطق المحتلة حول دعوة بورقيبة ؟ برزت ثلاثة مواقف تجاه الدعوة بين اوساط « الزعامة التقليدية » ومن تسميهم اسرائيل « الزعامة الشابة » خارج نطاق التمثيل النضالي والشرعي للشعب الفلسطيني .

( ١ ) موقف انصار الكيان الفلسطيني: لقد أيدت هذه الفئة تصريحات بورقيبة بشأن اقامة دولة فلسطينية، وعبرت عن رضاها باصدار بيان دعت فيه شعوب المنطقة والعالم الى أخذ اقوال الرئيس بورقيبة بعين الاعتبار، وبالاضافة الى ذلك اخذت تعزز من حملتها على النظام الاردني خلال المقالات التي يكتبها ابرز زعماء هذه الفئة محمد ابو شلبابة الذي وصف النظام الاردني لمعارضته دعوة بورقيبة بأنه « وحده العميل والخائن ، وانه يعمل من اجل ضياع حقوق الشعب الفلسطيني في الوقت الحاضر، تماما كما عمل مع الاستعمار البريطاني ، ومع الصقور في الحركة الصهيونية على اضاعة حق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم سنة ١٩٤٩ وما بعدها ... أي ان النظام الهاشمي كان وما يزال وسوف يظل المعيق وحجر العثرة والمحرض ضد الشعب الفلسطيني ، وسيظل النظام الذي يفضل ضياع كل شيء ، ضياع الارض والشعب والقضية، على ان ينال الشعب الفلسطيني حقوقه المشروعة. ولا شك ان هذه الحملات المسعورة الغوغائية التي يشنها النظام الهاشمي ضد دعاة الدولة الفلسطينية الكبار من أمثال الرئيس التونسي ووزير خارجية مصر ودعاة الدولة الفلسطينية من الافراد العاديين في الشعب الفلسطيني ، نقول لا شك ان هذه الحملات المسعورة تؤكد ان النظام بدأ يترنح » .

( ٢ ) موقف رئيس بلدية الخليل المعارض لدعوة بورقيبة من خلال واقع ازدواجية العمالة للسلطتين الاردنية والاسرائيلية ، ويتسم موقفه بالتذبذب والتأرجح لكونه يحاول التوفيق في ارضاء السلطتين . ففي أوائل شهر تموز استنكر الجعبري دعوة بورقيبة بشدة بقوله : « وبكل أسف أقول ان الحبيب بورقيبة قد سكت دهرا ونطق كفرا » وبذلك أرضى النظام الاردني ، الا أنه عاد في أواخر نفس الشهر وأخذ يبتعد عن السلطة الاردنية ، حين دعا الى اقامة دولة فلسطينية « .. انني اعتقد ان الشعب الفلسطيني لن يذوب وسيبقى ما بقي الدهر ، وان انجع حل للقضية الفلسطينية هو انشاء دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة والعودة الى قرار التقسيم عام ١٩٤٧ . وعندها تكون الدولة الفلسطينية همزة وصل ومحبة بين الدول العربية واسرائيل في ظل سلام عادل وأمان دائم . اما ما يقال بأن الاردن هو فلسطين ، وفلسطين هي الاردن، وجميع الاردنيين فلسطينيون ، وجميع الفلسطينيين أردنيون ، فهذا لم يقره التاريخ في يوم من الايام».

( ٣ ) موقف معظم الزعامة التقليدية : اتسم موقف معظم الزعامة التقليدية بمعارضة دعوة بورقيبة . ومما ساعد هذه الفئة على بلورة موقف معارض ، كون السلطتين الاسرائيلية والاردنية تتفقان في معارضة دعوة بورقيبة، وان كانت الاسباب

مختلفة . فقد أذيع ان حوالي ١٥٠ شخصية من الضفة الغربية من بينها أربعة رؤساء بلديات وعدد من الصحفيين ستتوجه في وفد الى عمان ، حاملة عريضة موجهة الى الملك حسين ورؤساء الدول العربية والسكرتير العام للامم المتحدة والجامعة العربية ، يعرب فيها موقعوها عن تمسكهم بوحدة الضفتين ، واستنكارهم لتصريحات الرئيس بورقيبة ، وازاء هذه البادرة إتخذ الملك حسين خطوة لتعزيز نفوذه في الضفة الغربية تمثلت في الغاء الرسوم المفروضة على منتوجات الضفة الغربية المصدرة الى الاردن .

## خريطة شمعون بيرس :

اسوة ببعض الزعماء الاسرائيليين الذين انهمكوا عقب حرب حزيران بما يعرف بـ « الخرائط الامنية » او « خرائط السلام ! » التي تعبر تعبيرا صادقا عن الروح التوسعية لهؤلاء الزعماء، والتي غدت في بعض الاحيان تنافس صاحبها على الشهرة ، بلور في الاونة الاخيرة وزير المواصلات شمعون بيرس خريطة تحمل اسمه ، وبذلك تضاف خريطة اخرى الى قائمة الخرائط الاسرائيلية الرامية الى ابتلاع الاراضي العربية بهذا الشكل او بذاك ، بطريقة الهضم السريع او الهضم البطيء .

ما هي خريطة شمعون بيرس ؟ لكي يبرر بيرس وجود خريطته يعرب عن اعتقاده ان خطة الون او خطة اليآف او جميع الخطط على مختلف أنواعها كما جاء على لسانه لا أمل لها في موافقة العرب عليها في هذا الجيل ، فهو يعتقد ان العربي ليس على استعداد للتنازل عن القدس ، كما ان اليهودي ليس على استعداد هو الاخر لتقسيم القدس ، كما وان العربي ليس مستعدا للتنازل عن المثلث ، وفي نفس الوقت لا يقبل اليهودي ان تصبح الحدود في عام ١٩٧٣ مرة اخرى على بعد ١٣ كم من نتانيا . ليصل بعد ذلك الى القول بوجود نوعين من الحلول عندما يعيش شعبان في بلد واحد ، الاول تقسيم البلد والاخر تقسيم السلطة اي اقامة اتحاد فدرالي ، ويقف بيرس مع الحل الثاني « هيا بنا نقسم البلاد الى أقضية، كما هو متبع في عدد من الدول ، مثل كندا وبلجيكا وسويسرا . انني اتحدث بين نهر الاردن والبحر المتوسط بين نقطة ما جنوبي رفح وحتى رأس الناقورة وجبل الشيخ ، ومن رفح حتى شرم الشيخ » . ويفضل بيرس الاسلوب الكندي ، ويرى انه يمكن تقسيم خريطته الى ثمانية اقضية : يهودا ، السامرة ، القدس ، غزة ، النقب ، تل ابيب ، حيفا ، الجليل .

اما القدس فهي عاصمة قضاء وفي الوقت نفسه عاصمة الدولة الفدرالية ، كما هو الحال بالنسبة لمدينة واشنطن في الولايات المتحدة . وتقوم هذه الاقضية بواسطة سلطاتها المحلية المنتخبة بادارة الشؤون الداخلية لكل قضاء ، اما فيما يتعلق بالتمثيل في الحكومة الفدرالية فيقترح بيرس ان يمثل كل قضاء بنسبة عدد سكانه وليس بحجمه الجغرافي ، وتقوم الحكومة الفدرالية بمهام الشؤون الرئيسية مثل الخارجية والامن . ويبدو ان هاجس التكاثر الطبيعي لدى العرب لا يقلق بال بيرس كثيرا ، لاعتقاده بأن الهجرة اليهودية من الاتحاد السوفياتي ستستمر بأعداد كبيرة، وفي نفس الوقت سيؤدي الارتفاع في مستوى معيشة العرب الى انخفاض في نسبة التكاثر الطبيعي لديهم . ومن الجدير بالذكر هنا ان نذكر بأن نسبة التكاثر الطبيعي لدى السكان العرب في فلسطين المحتلة سابقا هي من أعلى النسب في العالم .

متى سيطبق بيرس خريطته ؟ ان بيرس يضع هذه الخريطة بمثابة خيار أمام العرب فاذا تم التوصل الى تسوية في المستقبل المنظور بين الطرفين فلا حاجة للخريطة ، واذا لم يحدث ذلك ، فما على العرب الا ان يتوقعوا تطبيق خريطته او كما يقول: « انني أميل شخصيا الى الاعلان بأننا سنطبق ذلك خلال عشر سنوات ، ليس حالا ، لنقل للعرب كلاما بهذه اللغة : ايها الاعزاء ، اذا لم يحدث بيننا خلال الاعوام العشرة القادمة شيء ما ، فان هذا هو ما سيحدث ، وانني حتى ذلك الحين سأقوم رويدا رويدا ببناء جميع المؤسسات التي ذكرتها . وانني أعارض القيام بذلك على الفور ، لسببين ( ١ ) طالما ان هنالك أملا بالتفاهم مع العرب فانني سأبقي الباب مفتوحا ، ( ٢ ) انني اعتقد بأنه من غير المستحب ازكاء التناقضات بيننا وبين الدول الكبرى » ( يديعوت احرونوت ١٣/ ٧٣/٧ ) .

من الملاحظ ان خريطة بيرس شبيهة الى حد كبير بـ « خريطة الاقاليم » ( انظر المناطق المحتلة ش.ف. عدد ١٨ ص ١٩٩ ) الخاصة برعنان فايتس رئيس قسم الاستيطان التابع للوكالة اليهودية ، حيث قسم المناطق المحتلة سابقا وحديثا الى ثمانية اقاليم ، ثلاثة اقاليم عربية ، وخمسة اقاليم يهودية ، الا ان الخريطة الجديدة تختلف عن اختها لكونها لا تتطرق الى قضية اللاجئين العرب. ويمكن القول ان خريطة بيرس تعني ابتلاع الاراضي العربية وتكريس ذلك بواسطة خلق مؤسسات شرعية مزعومة ، ويعبر هذا الابتلاع عن نفسه بقول بيرس في رد على سؤال عما اذا كان سكان الضفة الغربية وقطاع غزة يقبلون بذلك : « ينبغي توجيه السؤال الى جميع سكان البلاد ، فاذا ما سئلت الاقلية فقط ، فانني اعرف الجواب ، الاقلية ( العرب ) ستقول بانها تريد العودة الى الاردن. انني اريد ان اجري استفتاء يشمل كل من يعيش بين نهر الاردن والبحر المتوسط : ان النظام الفدرالي ليس نظام شراكة انه سلطة الاكثرية في طريقة جيدة » .

**معطيات حول زيارات الصيف :**

اخذت الحركة على الجسور المفتوحة على ضفتي نهر الاردن تنشط في الاونة الاخيرة بسبب «زيارات الصيف» ، فقد قدر عدد الزوار الذين سيفدون الى المناطق المحتلة ما بين ١٥٠ — ١٧٠ الف نسمة ، ومن المعروف ان زيارات الصيف قد بدأت خلال العام الثاني للاحتلال واخذت تتصاعد من عام الى عام . ففي عام ١٩٦٨ بلغ عدد الزوار ١٧،٣٠٠ وفي عام ١٩٦٩ بلغ ٢٢،٣١٥ ، وفي عام ١٩٧٠ بلغ ٥٣،٤٠٢ ، وفي عام ١٩٧١ بلغ ١٠٦،٤٣٨ وفي عام ١٩٧٢ بلغ ١٥٢،٨٠٩ . ويتوافد هؤلاء من الضفة الشرقية بالاساس ، ومن الكويت والسعودية ولبنان وبقية الاقطار العربية ومن مناطق مختلفة من العالم .

وتستفيد اسرائيل من زيارات الصيف في عدة ميادين اهمها الميدان الاقتصادي ، اذ ينفق هؤلاء مبالغ كبيرة من النقود داخل اسرائيل ، كما ان قسما من الزوار يتوجه للعمل في المرافق الاقتصادية الاسرائيلية لفترة صغيرة، اما الميدان الاخر والذي لا يقل اهمية عن الميدان الاقتصادي ، فيتمثل في اهتزاز الصورة المسبقة المرتسمة في ذهنية الانسان العربي تجاه اسرائيل. والحقيقة ان هذه الصورة تبدأ بالاهتزاز لعدة اسباب من بينها : ( ١ ) الدعاية العربية غير الذكية التي درجت عليها وسائل الاعلام العربية (٢) الفترة الزمنية القصيرة نسبيا والتي لا تمكن الزائر —وهو بمثابة سائح— من الوقوف على سياسة التمييز المبني عليهامجتمع المهاجرين والمستوطنين،وسياسة القمعوالاضطهاد التي يعاني منها عرب المناطق المحتلة سابقا وحديثا ( ٣ ) المعاملة غير الانسانية التي يلاقيها الكثيرون من الزوار شرقي النهر .

وفي المقابل فان اسرائيل تتأثر من زيارات الصيف بفضل عاملين : الاول يتمثل في تواجد اعداد كبيرة من الشعب الفلسطيني فوق ارضها وترابها مما يعزز فيها الارتباط بالوطن. الثاني والاهم من ذلك ان النشاط الفدائي يزداد في فترة الصيف — وهذا ما اعترفت به الصحافة الاسرائيلية من خلال وجود مقاومين بين الزوار . وبالرغم من اهمية هذا العامل بالنسبة للنضال العربي ، الا انه يواجه مقاومة من النظام الاردني لا تقل عن مقاومة اسرائيل له ، وليس ادل على ذلك من اعتراف الصحفي الاسرائيلي ايلي ايل ( معاريف ٧/٦/ ٧٣ ) حين قال : « ان اسرائيل والاردن يشتركان في التخوف من تسلل مخربين وتمرير مواد ناسفة».

**مستوطنة منيان ومطاردة السكان الاصليين :**

برزت عند مطلع شهر تموز الماضي مستوطنة اسرائيلية جديدة في منطقة مشارف رفح شمالي سيناء ، تحمل اسم منيان ، تيمنا باسماء القتلى الاسرائيليين العشرة الذين لاقوا مصرعهم على اثر سقوط طائرة هليكوبتر في منطقة العريش . وبهذا تتعزز شبكة المستوطنات الاسرائيلية في هذهالمنطقة التي غدت تتشكل من مستوطنات « سدوت أ » و« سدوت ب » والمركز الاقليمي و« منيان » .

وفي غضون الاحتفال بميلاد هذه المستوطنة كشفت بعض الصحف الاسرائيلية عن قصة مشينة ارتكبتها قوات الاحتلال قبل ما يزيد عن نصف عام ، عندما اقدمت على قتل الشيخ سالم حسن احد الشيوخ

المتمردين على بيع الاراضي التي شيدت فوقهـا المستوطنات الاسرائيلية بعد ان تم اجلاء سكانها بالقوة وبشكـل وحشي . فقد كان المتحـدث العسكري الاسرائيلي في حينه قد ذكر عند مقتـل الشيخ انه لم يستجب لاوامر الجنود الذين امروه بالتوقف عندما كان يقود سيارته ، ولذا اطلقـت عليه النار ، اما صحيفة هعولام هزيه فقد كشفت النقاب في عددها الصادر ٧٣/٧/١١ على لسان اقارب الشيخ انه لم يلاق مصرعه بالقرب مـن الحاجز الذي يقف عنده الجنود ، وانما في مكان اخر بعيد عنه ، ولم يكن هنالك مبرر لكي يؤمـر الشيخ بالتوقف فيه . كما كشفت النقاب ايضا عن عدم وجود تقرير من قبل الاطباء عن سبب الوفاة ، كما وان السيارة التي كان يقودها قد استولـى عليها الحاكم العسكري ولم يعدها حتى الان ، ويدعي اقرباء المغدور انه اذا ما اطلقت النـار على الشيخ وهو يقود سيارته كما تدعي السلطات، فان الاحتمال الراجح ان تكـون السيارة قـد تدهورت ، كما ويريدون الوقوف على الثقوب التي احدثتها العيـارات النارية من جهـة الخلف او الامام . وكل الدلائل تشير الى ان الشيخ قتـل عمدا بقصد ارهاب ابناء القبائل وارغامهم علـى بيع اراضيهم ، وليـس خطأ كما زعم المتحـدث العسكري الاسرائيلي .

ومن الجدير بالذكر ان الالاف من ابناء العشائـر اشتركوا في تشييع جثمان الشيخ في مقبرة «الشيخ زويد » . و« عندما وارى التراب جثمانه » كما تقول هعولام هزيه « اقسم الرجال بانهـم لن يستسلموا ... انهم لن يتخلوا عن اراضيهـم حتى ولو اطلق جنود الحكم العسكري النـار عليهم جميعا ... » .

وبالرغم من هذا الاصرار العنيد ، والاعمـال المشينة المعروفة والخافية ، فان الحاكم العسكري لمدينة رفح المدعو عوفير بن دافيد ما زال يضغط على سكان مشارف رفح الذين اجلوا عن اراضيهم، للتنازل عنها مقابل مبالغ من المال ، متبعا اساليب التهديد والوعيد ، مثل تهديد المخاتير بالغـاء مناصبهم ، وتهديد المعلمين بالطرد من وظائفهم ، والاشتراط على كل من يود شراء سيارة بيـع ارضه ، وتوجيه التهديد حتى لاولئك الذين تعاونوا مع الاستخبارات الاسرائيلية، مثلما حدث لاحد أفراد البدو الذي يملك سلاحا مرخصا لتعاونه مـع الاستخبارات الاسرائيلية قبل حرب حزيـران ، حين استدعى الى المدعو عوفير ، وقيل له : « اذا لم يقم ببيع ارضه فسيقدم للمحاكمة بتهمة حيازة سلاح غـير مرخص ، وعندما رفض ذلـك اودع السجن دون محاكمة ... » .

ومن الجدير بالذكر ان محكمة « العدل » العليا في اسرائيل قد رفضت في الاونة الاخيرة شكـوى السكان الاصليين لاعادتهم الى اراضيهم ، ومنـذ ذلك الحين وهم يعيشون تحت وطأة التهديـدات والضغوط المتصاعدة ، الامر الذي دفع عددا من السكان للخروج من دائرة النضال العنيـد الى دائرة اليأس ، فقد ذكرت هعولام هزيه « ان الاف البدو اليائسين يدرسون امكانية الهجرة الى مصر وطلب المساعدة من هيئات دوليـة » واضافـت « انهم من خلال يأسهم اقترحوا على وزير الدفاع ان يبيعوا للحكومة الاراضي اللازمة للاستيطـان اليهودي ، شريطة ان تبقـى في حوزتهم بقيـة الاراضي ، الا ان اقتراحهم رفض ، ثم اقترحوا بيع نصف اراضيهم شريطة ان يسمح لهم بزراعة النصف الاخر ، وكان نصيب هذا الاقتراح الرفض ... وغدا واضحا للبدو اليوم ان الحكم العسكري معني بشيء واحد فقط : طردهم التام والكامل من المنطقة » .

ومن المعروف ان سلطات الاحتلال تصـر علـى الاستيلاء علـى هذه المنطقـة لبناء شبكة مـن المستوطنات فيها تصل الى ١٢ مستوطنة ، وبناء مدينة هناك تعرف باسم « يميت » تتسع لربـع مليون يهودي .

## اضراب المعتقلين في سجن نابلس :

عند بداية شهر تموز الماضي اعلن المعتقلون فـي سجن نابلس الاضراب عن العمل وكذلـك عـن مقابلة ذويهم احتجاجا على المعاملة السيئة التي يلاقونها هناك ، ويعتبر هذا الاضراب امتـدادا للاضرابات التي قام بها معتقلون عرب في السجون الاسرائيلية وخاصة في سجن عسقلان ونابلس ، وقد كشف المضربون في سجـن نابلس وعددهـم حوالي ٤٠٠ معتقل موجهة اليهم تهمة الانتماء الى المنظمات الفدائية ، عن المعاملة السيئة في السجن وذكروا ان الطعام الذي يقدم لهم سيء كما وان

العناية الصحية سيئة ، هذا مع العلم أن حوالي ٤٠ شخصا من هؤلاء يعانون من قروح في المعدة و ٤ اخرين مصابين بمرض السل ، كما اوضحوا ان سلطات السجن تحول دون حصولهم على الكتب ، هذا بالاضافة الى الاجر الزهيد الذي يتلقونه مقابل يوم عمل ، والذي لا يمكنهم من شراء علبة سجاير رخيصة حيث يتلقون ٣٦ اغوراه في اليوم بينما ثمن علبة السجاير تزيد على ٦٥ اغوراه . لم تستطع سلطات السجن فك اضراب السجناء ، الامر الذي دعا وزير الدفاع موشيه دايان الى الاهتمام بالموضوع شخصيا حين قابل رئيس بلدية نابلس معزوز المصري، وطلب منه حل المشكلة مع وزير الشرطة شلومو هليل ، وبالفعل اجتمع معزوز المصري ونائبه وليد الشكعة وعضو البلدية وليد استيتية بوزير الشرطة وقدموا له عدة طلبات تتعلق بتوفير الطعام للمساجين بصورة حسنة وتحسين المعاملة والنظر في الشكاوى التي يقدمها المساجين وزيادة اجورهم من ٣٥ اغوراه الى ٤٠ اغوراه وكذلك نقل المساجين من ابناء نابلس من سجون الرملة وعسقلان وبئر السبع الى سجن نابلس او القدس وذلك للتخفيف على اقاربهم من مشقة السفر لزيارتهم . ومن الجدير بالذكر هنا ان السجون الاسرائيلية التي تضم الاف المقاومين العرب اخذت تستقبل في الاونة الاخيرة دفعات اخرى على اثر ما يذاع عن اكتشاف خلية للمقاومة هنا وهناك وتقديم افرادها للمحاكمة . ففي الاونة الاخيرة انهمكت المحاكم الاسرائيلية في محاكمة اعداد كبيرة من المتهمين بالعمل الفدائي ، وتميزت هذه المحاكمات بالاحكام القاسية الشديدة من جهة وبردود الفعل الوطنية من قبل المحكوم عليهم من جهة اخرى والتي تبلغ ذروتها في الهتاف الخالد وسط المحكمة « عاشت الثورة الفلسطينية » فقد هتف عدد من المتهمين بهذا الهتاف ، ومن بينهم على سبيل المثال الشاب عطا تيمري البالغ من العمر ١٧ سنة والذي حكمت عليه المحكمة بتهمة انتمائه الى تنظيم فدائي ، مدة ١٥ عاما ، وحين صدور الحكم قال لمحاميته « لا بأس ليست مدة طويلة ! » ثم أخذ يلوح بيديه قبل خروج القضاة قائلا : «تحيا الثورة الفلسطينية» . فما كان من رجال الشرطة الا ان انقضوا عليه في محاولة لضربه ، غير ان المحامية منعتهم من ذلك ، ومع ذلك فقد أسرعوا بطرد أهله من قاعة المحكمة ، ثم القي الشاب في سيارة بناء على امر احد رجال الشرطة « اقذفوا به مثل كيس » وكان تعليق والدته كما ذكرت صحيفة الاتحاد ( ٧٣/٦/٥ ) : اليس لهم رب ؟ أليس لهم ضمير ؟ وقد نقلت صحيفة الاتحاد مشهدا اخر يمثل نضال سكان الهضبة السورية ، عندما صدرت احكام قاسية بحق عدد من افراد شبكة المقاومة التي اكتشفت هناك بقولها : «...أخذت النسوة والرجال يلوحون بايديهم ويهتفون في وجه الجند ورجال المخابرات الذين كانوا في الساحة : لماذا تجردتم من الضمائر ما الذي فعلناه بكم ؟ ... وصاحت النسوة لن نطلب الرحمة منكم .. لا نريد رحمتكم .. خذوا ايضا اطفالنا .. هنا لم تجر محاكمة بل مسرحية » وتوجه المجتمعون الى مندوب الصليب الاحمر وقالوا له : ابلغ العالم والامم المتحدة بما رأيت ، وقل انه ليس لديهم لا ضمير ولا رب ! وعندما اقتربت السيارة التي نقلت المحكومين من الاقرباء اخذوا يلوحون بايديهم ويهتفون « لا تقنطوا اننا معكم » ( الاتحاد ١٩/ ٧٣/٦ ) وهكذا في الوقت الذي يتمرد فيه المعتقلون العرب على اوضاعهم السيئة في السجون الاسرائيلية ، تفتح هذه السجون ابوابها لمزيد من المناضلين .

**عبد الحفيظ محارب**

# ( ٥ ) اسرائيليات

## اسرائيل وازمة الشرق الاوسط

بمناسبة المناقشات التي بدأت في مجلس الامن حول ازمة الشرق الاوسط وما انتهت اليه تلك المناقشات باستخدام الولايات المتحدة للفيتو ضد مشروع قرار الدول غير المنحازة ، وقبل ان نبين كيفية نظرة اسرائيل الى المبادرة المصرية لعقد مجلس الامن ، وموقفها من اقتراح قيام الدكتور فالدهايم بزيارة للمنطقة ، وقبل ان نتطرق الى احتمالات النزاع وتقييم الوضع العام من وجهة النظر الاسرائيلية ، من المفيد ان نستعرض باختصار وان نشير الى المنهج الذي كان يحكم السياسة الاسرائيلية في موقفها من قرار مجلس الامن ومن كل مسعى اخر من اية جهة كانت لتسوية هذه الازمة .

ان النهج الذي تسير عليه السياسة الاسرائيلية منذ حرب ١٩٦٧ يرتكز على الاسس التالية :

١ — معارضة اي ذكر لحقوق الشعب الفلسطيني المشروعة في وطنه وبالتالي نفي حقه في الوجود السياسي والقومي على ارضه والتصريحات الاسرائيلية الرسمية بهذا الخصوص اكثر من ان تحصى وعلى سبيل المثال نورد ما قالته رئيسة وزراء اسرائيل في مقابلة اذاعية ردا على سؤال بهذا الشأن حيث قالت : « ... فامام العرب الفلسطينيين كل الامكانية لتحقيق كيانهم القومي في الاردن . فبين البحر المتوسط والصحراء الشرقية هناك مكان لدولتين فقط ، دولة يهودية ودولة عربية . ونحن نرفض اقامة دولة عربية اخرى » ( رصد اذاعة اسرائيل م. عدد ٢٧٩ ) . اما دايان فقال في مقابلة مع مجلة تايم الاميركية ما يلي :

« لم يعد لفلسطين وجود لقد انتهت ، كان يجب ان اقول آسف ، لكنني لست آسفا فهناك فلسطينيون وكان هناك بلد يدعى فلسطين ، وقد قسمت فلسطين بين اسرائيل والاردن لذلك هناك شعب فلسطيني لكن ليس هناك دولة فلسطينية ، لقد اختفى ذلك البلد سنة ١٩٤٨ . ويجب ان تكون فلسطين جزءا من دولة الاردن ، سمها منطقة فلسطينية في اتحاد الاردن ، سمها ما تشاء لكن لا تسمها دولة مستقلة » (النهار ٧٣/٧/٢٥).

٢ — المحافظة على اسرائيل قوية عسكريا وماديا كشرط للمحافظة على وقف اطلاق النار وكضمان لدفع العرب في النهاية الى القبول بشروط اسرائيل للسلام ولتسوية جميع القضايا المعلقة .

٣ — معارضة تدخل الدول الكبرى في النزاع لفرض اي حل على المنطقة ، وبالتالي تحديد فهم خاص لدور الامم المتحدة بالنسبة للنزاع ، معبرة عن معارضتها لاي ضمانات دولية ، انطلاقا من « الدرس المستفاد » من حرب ١٩٥٦ .

٤ — تصفية الوجود السياسي والعسكري للشعب الفلسطيني المتمثل في المقاومةالفلسطينية. وان هذا الامر يقع على عاتق الدول العربية التي يتواجد الشعب الفلسطيني على اراضيها ، والا فانها ( اي اسرائيل ) ستقوم بهذه المهمة الى ان يتحقق هذا الهدف ، الذي هو بحد ذاته شرط للتوصل الى السلام في المنطقة .

٥ — التأكيد على ان لا عودة الى خطوط الرابع من حزيران ( يونيو ) ١٩٦٧ ، وان الوجود الاسرائيلي في شرم الشيخ وقطاع غزة ، والجولان والقدس لا يخضع للمفاوضات .

٦ — ان مبدأ المفاوضات المباشرة هو الطريق الوحيد للتوصل الى حل جميع القضايا .

لقد حرصت اسرائيل على تأكيد هذا المبدأ الاخير خلال السنوات الست الماضية منذ انتهاء حرب حزيران ( يونيو ) . ففي بيان الحكومة الاسرائيلية في اعقاب صدور قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . جاء ما يلي :

« ان الحكومة الاسرائيلية بعد ان استمعت الى عرض وزير الخارجية حول مناقشات مجلس الامن والقرار المتخذ في ١٩٦٧/١١/٢٢ قررت ما يلي : « ستستمر حكومة اسرائيل بالعمل بموجب سياستها المعلنة وفقا لقرار الكنيست بتاريخ ٦٧/١١/١٣ » . وكان ذلك القرار قد تضمن ما يلي :

« ان الكنيست تسجل امامها بيان رئيس الوزراء الصادر في ٦٧/١٠/٣٠ وقرار الحكومة الصادر في ٦٧/١٠/٢٧ الذي ينص : «على ضوءالمناقشات

في الجمعية العامة في دورتها الخاصة ، تسجل الحكومة باسف حقيقة كون الدول العربية ما زالت متمسكة بموقفها بعدم الاعتراف بدولة اسرائيل ، وعدم اجراء مفاوضات معها ، وعدم عقد سلام معها . وتعبر دولة اسرائيل عن املها بان لا تتجاهل دول العالم وشعوبه هذه الحقيقة الخطيرة التي تتناقض كليا مع القانون الدولي ومع مبادىء ميثاق الامم المتحدة . وان اسرائيل ازاء موقف الدول العربية هذا ، ستستمر بالمحافظة على الوضع كما حددته اتفاقية وقف اطلاق النار، وستدعم وضعها بما يتناسب مع الاحتياجات الحيوية لامنها وتطورها . **وان حكومة اسرائيل تعود وتؤكد انه فقط بالسلام الدائم على اساس المفاوضات المباشرة بين الدول العربية واسرائيل يكمن فقط الحل لقضايا المنطقة** » ( هآرتس ١١/١٣ و ١٩٦٧/١١/٢٩ ) .

وكانت الحكومة الاسرائيلية قد وجهت تحذيرا لمجلس الامن على لسان رئيس وزرائها الراحل ليفي اشكول ، لدى اختتامه المناقشة السياسية في الكنيست في ١٩٦٧/١١/١٣ حيث قال « ... **كل قرار تتخذه الامم المتحدة يتجاهل ضرورة اجراء مفاوضات مباشرة بين الاطراف سيؤدي الى ازمة جديدة والى استئناف حالة الحرب** ( عل همشمار ١٩٧٣/٦/٢٢ ) .

وعلى الرغم من ان قرار مجلس الامن ٢٤٢ لم يتضمن بندا صريحا حول المفاوضات المباشرة ، فان كون القرار صيغ بعبارات غامضة وعامة مقصودة على حد قول جميع المراقبين لكي يتاح لكافة الاطراف الموافقة عليه ، اضطر اسرائيل الى اعلان موافقتها عليه في وقت لاحق ، بناء على الفهم الخاص الذي حددته للقرار . وهذا الفهم الاسرائيلي يرتكز على امرين : الاول هو ان القرار لا يدعو الى الانسحاب الكامل من الاراضي العربية ، بل من اراض احتلت ، وهذا يعني — حسب المفهوم الاسرائيلي — وجوب اجراء مفاوضات مباشرة لتحديد الحدود الجديدة المتفق عليها والمعترف بها بين الاطراف ذات العلاقة بالنزاع . اما الامر الثاني فيتعلق بما ورد في القرار من ان « يطلب مجلس الامن من الامين العام تعيين ممثل خاص للذهاب الى الشرق الاوسط كي يقيم ويحتفظ باتصالات مع الدول المعنية بغية تحقيق اتفاق والمساعدة في الجهود المبذولة للوصول الى تسوية سلمية مقبولة طبقا للنصوص والمبادىء الواردة في مشروع القرار » ( نص القرار ٢٤٢ كما ورد في يوميات فلسطينية المجلد السادس ص ٢٣٢ ) . بالنسبة لهذه النقطة فان اسرائيل تؤكد وتصر على ان مهمة هذا الممثل تقتصر على العمل من اجل ايصال الاطراف المتنازعة الى طاولة المفاوضات وان المفاوضات التي تتم برعايته هي مجرد مرحلة اولية تسبق المفاوضات المباشرة وليس من مهامه العمل من اجل تنفيذ بنود هذا القرار . انطلاقا من هذا الفهم الاسرائيلي لمهمة يارينج تجمدت مهمته وفشلت عندما رفضت اسرائيل الموافقة على مذكرته التي تقدم بها للدول المعنية في شهر شباط ( فبراير ) ١٩٧١ ، لكونها تضمنت تعهدا باعلان اسرائيل موافقتها على الانسحاب الى الحدود الدولية بينها وبين مصر ، دون الاشارة الى مصير قطاع غزة ، فحتى مثل هذا التعهد رفضته اسرائيل .

**مناقشات المجلس وزيارة فالدهايم**

هذا هو الموقف الاسرائيلي ازاء كل المبادرات التي سبقت دعوة مصر الى انعقاد مجلس الامن لبحث قضية الشرق الاوسط واقتراح قيام دكتور فالدهايم بزيارة المنطقة . فما هي الدوافع التي تعتقد اسرائيل انها كانت وراء التحرك المصري هذا ؟. حول هذا الموضوع كتبت صحيفة معاريف في ٧٣/٧/١٧ ما يلي :

« ان استئناف المناقشات حول الشرق الاوسط في مجلس الامن يهدف بشكل اساسي الى انقاذ ما يمكن انقاذه من المبادرة البائسة التي قام بها وزير خارجية مصر ، محمد حسن الزيات . ومن المتوقع جدا ان يؤدي فشل هذه المبادرة الى القضاء على الزيات سياسيا » . وتضيف الصحيفة قائلة « ... وعندما بادر الزيات في شهر ايار ( مايو ) بطلب اجراء مناقشات خاصة في مجلس الامن كان يعلم ان الامم المتحدة هي النطاق الوحيد الذي تستطيع بلاده فيه تحقيق انتصار حاسم ، بعد سلسلة الفشل ، ليس فقط فيساحة المعركة ، بل ايضا في موسكو ولندن وباريس ، حيث لم يخرج من هذه البلاد باي شيء ملموس . لقد اخطأ الزيات في التكتيك الذي اتبعه حيث لم يعر انتباها لامر في غاية الاهمية ، وهو ان قرار مجلس الامن اصبح في عرف الدبلوماسية الحاضرة شبيها « بالبقرة المقدسة » التي لا يتجرأ احد على المساس بها . وخطأه يكمن في

محاولته تعديل او تفسير القرار » . واخيرا توقعت الصحيفة عدم انتهاء المناقشات بقرار يستطيع الزيات ان يطرحه كانتصار للدبلوماسية المصرية ( هنا اشارة الى احتمال استخدام الفيتو الاميركي وهو ما حصل بالفعل ) .

وبخصوص اصرار مصر على مشروع قرار لصالحها ، ترى الصحف الاسرائيلية ان هذا الاصرار جاء نتيجة لما تمخضت عنه المحادثات الاخيرة في موسكو ، حيث اتضح ان الاخيرة ليست على استعداد لمد مصر باية مساعدة فعالة اذا ما قررت البدء بالحرب في المستقبل القريب .وترى صحيفة معاريف الاسرائيلية « ان تصلب مصر في سعيها الى اتخاذ قرار يؤكد على وجوب انسحاب القوات الاسرائيلية من جميع المناطق ، مع توقع استخدام الفيتو الاميركي ضده ، كان يهدف الى حمل الولايات المتحدة على ذلك ، بهدف الاساءة الى التفاهم الذي تم التوصل اليه في محادثات القمة في واشنطن . اما بالنسبة لموقف الاتحاد السوفياتي فان الصحيفة ترى ايضا ان السوفيات سيؤيدون بحزم الموقف المصري بهدف دحض ما يقال عن أن السوفيات قد « باعوا » العرب في محادثات القمة » ( معاريف ١٩٧٣/٧/٢٠ ) .

**زيارة فالدهايم**

قالت صحيفة معاريف في عددها الصادر في ٧/١٧/ ٧٣ « ان الهوة بين مفهوم الامم المتحدة لتحقيق السلام وبين مفهوم اسرائيل تكمن في تصريح فالدهايم الذي قال فيه : يجب البدء بمحادثات بدل المناقشات الفارغة في مجلس الامن ، وانه يرى ان هذه المحادثات يمكن ان تجري برعاية الامم المتحدة ، الامر الذي لا تراه اسرائيل ، لانها ما زالت تعتقد ان المحادثات يجب ان تكون مباشرة بينها وبين جيرانها » . اما بالنسبة للاسباب التي دعت مصر الى دعوة فالدهايم للقيام بهذه الزيارة فتقول معاريف : « ان دعوة مصر لفالدهايم لزيارة المنطقة تبدو وكأنها اخر ورقة في جعبة الدبلوماسية المصرية ، ولكنها ورقة خاسرة » وتضيف الصحيفة : من الجدير بالذكر ان فالدهايم كان قد اعرب عن رغبته في زيارة المنطقة قبل اكثر من سنة . ولكن زيارته هذه المرة تختلف عن رغبته السابقة في كونها جاءت كمبادرة مصرية . وهذه المبادرة في اساسها خطوة يائسة من جانب مصر » . وتساءلت هذه الصحيفة عن السبب الذي حدا بمصر الى اقتراح مثل هذه الزيارة ؟ وتجيب الصحيفة على هذا التساؤل بقولها : ان السبب بسيط ، فالقاهرة تعلم جيدا ان مهمة يارينج اصبحت في حكم الاموات « ومحاولتها للحصول على تفسير مريح لها لقرار مجلس الامن حكم عليها بالفشل نظرا لموقف الولايات المتحدة . ومن ناحية اخرى فقمة واشنطن اولدت فأرا ، فما الذي بقي امامها للعمل ؟ فاما ان تنفذ تهديداتها وتستأنف اطلاق النار واما ان تقوم بنشاط سياسي مكثف يبرر صبرها » ( معاريف ٧٣/٧/٢٠ ) .

اما موقف اسرائيل من الزيارة بشكل عام فانه يتلخص في الرد الاسرائيلي الذي قدمه السفير تكواع لفالدهايم حيث جاء فيه : « ان القدس مستعدة لاستقبال فالدهايم بكل ترحاب ، لكن يجب عليه ان يعلم سلفا بانه لا يستطيع القيام بمهمة الوساطة وليس كمتمم لمهمة يارينج ، اما اذا كانت لديه افكار ذاتية حول دفع التفاهم بين الاطراف الى الامام ، فاسرائيل ترحب بذلك » . وتضيف الصحيفة : لقد فهم فالدهايم هذا التلميح ووافق عليه » ( معاريف ١٩٧٣/٧/٢٠ ) . ومن هنا يتضح ان اسرائيل تريد فصل هذه الزيارة عن اي ربط بمناقشات مجلس الامن الحالية او اية قرارات اخرى للامم المتحدة . وقد جاء هذا الامر واضحا في احد التعليقات السياسية حول زيارة فالدهايم التي اذيعت من اذاعة اسرائيل حيث ورد ما يلي : « لا شك في انه لو تمت الموافقة على المشروع ( مشروع قرار الدول غير المنحازة ) لكانت الزيارة قد الغيت ، لكن عدم اقرار المشروع فتح الطريق امام السكرتير العام للقيام بجولته ( رصد اذاعة اسرائيل ، م. عدد ٢٨١ ، ٧/٢٧/ ١٩٧٣ ) .

**نظرة اسرائيل الى الامم المتحدة ودورها :**

ان سجل اسرائيل حافل بعدم الاكتراث بقرارات الامم المتحدة ، وعدم الالتزام بتنفيذ قراراتها . وتصريحات الساسة الاسرائيليين في اكثر من مناسبة كانت تؤكد ان اسرائيل لن تتقيد باي قرار حتى لو كانت الدولة الوحيدة التي تعارضه. وهذا الموقف من الامم المتحدة اصبح اكثر حدة وتطرفا نتيجة للدعم الاميركي العسكري والسياسي المتواصل لمواقف اسرائيل . هذا الدعم الذي ليس كما يعتقد البعض ناتجا عن فشل الاعلام العربي في التأثير على الرأي العام الاميركي وبالتالي على السياسة الاميركية ، بل هو نتيجة طبيعية لالتقاء

مصالح الامبريالية الاميركية بمصالح الحركة الصهيونية العالمية ودولة اسرائيل . فسياسة الالتقاء مع الولايات المتحدة لم تؤد كما يعتقد المنادون بها الى تغيير موقف الولايات المتحدة في النزاع العربي — الاسرائيلي بل ادت الى زيادة دعم السياسة الاميركية لاسرائيل .

ان نظرة اسرائيل الى الامم المتحدة كنظرة المساهم الصغير في شركة كبيرة ، ولذلك فهي لا تعلق امالا كبيرة عليها ، ومن ناحية اخرى فان اسرائيل تعلم ان مصير اي قرار او توصية يتعلق بدرجة كبيرة بالدول الكبرى بشكل عام وبالولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي بشكل خاص ، وهي وقد ضمنت التأييد الاميركي لا تعير اي وزن لقرارات ومساعي الامم المتحدة ، حيث اعلنت اكثر من مرة ان بحث مشكلة الشرق الاوسط في الامم المتحدة ما هو الا مضيعة للوقت ، وان كل ما هو مطلوب من الامم المتحدة هو بذل المساعي الحميدة على الاكثر من اجل ايصال الاطراف الى طاولة المفاوضات المباشرة . وفي دراسة اعدتها وزارة الخارجية الاسرائيلية حول مدى مساهمة الامم المتحدة في حل النزاعات الدولية ( الدراسة تتناول الفترة بين ١٩٦٠ — ١٩٧٣ ) تبين ان قسط الامم المتحدة في هذا لا يتعدى الصفر . ففي النزاعات الكبيرة مثل فيتنام او قضية برلين لم تسهم الامم المتحدة قطعيا ، وفي الحالات التي عالجتها مثل الحرب الهندية — الباكستانية لم يكن لجهودها وتوصياتها اية فائدة بل بالعكس كان هناك تجاهل تام لها ( معاريف ١٩٧٣/٧/٢٠ ) .

اما سفير اسرائيل السابق في واشنطن يتسحاق رابين فقد عبر عن رأيه في الامم المتحدة ودورها بقوله : « ان تغير نظرة الولايات المتحدة وعلاقتها — وبعد ذلك ايضا الاتحاد السوفياتي — ازاء الامم المتحدة يشكل نتيجة هامة وايجابية من وجهة النظر الاسرائيلية . ( اي ان اسرائيل سبقتهما الى مثل هذه النظرة ) ويضيف رابين : لا اريد ان اطيل اكثر من اللازم بالنسبة للامم المتحدة — فانا متهم بان لي حكما مسبقا ازاء هذه المنظمة . وبدون ان نكثر من التفاصيل ، يبدو لي انه اذا كان اليوم في عالمنا استعمار جديد ، فهذا هو محاولة الامم المتحدة في احتلال مكانة الدول الامبريالية . فالامم المتحدة تحاول اليوم وضع حلول للنزاعات المحلية وفرضها على الدول ذات العلاقة ، بدل ان تقوم بالمهمة المخصصة من اجلها حسب ميثاقها — اي ايصال اطراف النزاع الى المفاوضات والى الاتفاق فيما بينها ، الامر الذي يتعارض مع المبدأ الاساسي والبسيط من ان المسؤولية الفعلية عن عملية اقرار السلام يجب ان تكون على عاتق اطراف النزاع » ( معاريف ١٩٧٣/٧/١٣ ) .

والان ما هي نظرة اسرائيل الى التطورات التي استجدت على واقع الاحداث في الشرق الاوسط منذ حرب ١٩٦٧ . لقد اشار سفير اسرائيل السابق في واشنطن يتسحاق رابين الى هذا الامر ، في مقال نشرته صحيفة معاريف الاسرائيلية بتاريخ ١٩٧٣/٧/١٣ تحت عنوان « الطريق البطيئة نحو السلام » . يقول رابين في مقاله المذكور ما يلي :

« ويقع الشرق الاوسط الان تحت تأثير تحولين اساسيين حدثا منذ حرب الايام الستة : التحول الاول يرتبط بالتغييرات التي حدثت في اعقاب نتائج حرب الايام الستة ، والتحول الثاني في التغيير الاساسي الذي طرأ على مجمل العلاقات الدولية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ، وتأثير هذا التحول على الشرق الاوسط .

وبالنسبة للتحول الاول يمكن تلخيص اقوال رابين بالنقاط التالية :

١ — خطوط الدفاع الحالية التي تستند على خطوط وقف اطلاق النار قد غيرت الوضع استراتيجيا لصالح اسرائيل .

٢ — لم تعد هناك حاجة لتجنيد قوات الاحتياط بمجرد سماع التهديدات العربية او الشعور بالتحركات العسكرية العربية كما كان الامر في السابق .

٣ — ازدياد الفجوة بالنسبة للقوة العسكرية الشاملة بين اسرائيل والدول العربية بشكل فاق جميع التقديرات التي كانت قائمة قبل حرب الايام الستة ، والعامل الاساسي في هذا التفوق يكمن في التفوق النوعي للمجتمع الاسرائيلي على المجتمع العربي .

٤ — ان وقف اطلاق النار الذي تم التوصل اليه نتيجة للمبادرة الاميركية له اهمية عظيمة اذ منذ ثلاث سنوات واسرائيل تحافظ على خطوط وقف اطلاق النار دون ان تضطر لخوض معارك فعلية من اجل ذلك .

٥ — ان وفاة عبد الناصر وما تمثله شخصيته بالنسبة للعالم العربي قد ادت الى تضاؤل قدرة العرب على تنسيق نشاطاتهم العسكرية والسياسية .

٦ — واكثر من هذا ، فمنظمات « الارهاب » الفلسطينية قد فشلت في تحقيق الحرب الشعبية او حرب العصابات الحقيقة ، وهذا يعود الى امرين : اولا ، سياسة اسرائيل في المناطق حالا بعد الحرب ، المتمثلة في سياسة الجسور المفتوحة ونشاط جهاز الامن ، وثانيا بفضل تصفية الملك حسين لنشاط ووجود المنظمات في الاردنوالحيلولة دون تحويل عمان الى هانوي العرب .

اما بالنسبة للتحول في المجال الدولي فيمكن تلخيص اراء رابين بما يلي :

١ — تحول الولايات المتحدة بفضل ادارة نيكسون وسياسته العالمية الجديدة الى بؤرة العالم المثلث الاقطاب : الصين ، الولايات المتحدة ، والاتحاد السوفياتي ومن ثم للتفاهم مع السوفيات لتصفية نقاط التوتر في العالم . وفي نطاق هذا التفاهم اخذت الولايات المتحدة على عاتقها عدم استخدام قواتها في النزاعات المحلية على اساس ان الاتحاد السوفياتي سيحذو حذوها في ذلك .

٢ — ونتيجة لهذا التفاهم كان خروج السوفيات من مصر ( .... ) . وعلى الرغم من ان مصر هي التي طلبت ذلك ، فهذا الطلب جاء بعد ان تأكد المصريون من ان السوفيات غير مستعدين لدعم مصر بشكل فعال في حربها ضد اسرائيل اذا لم تتحقق اهدافهما المشتركة بالطرق السلمية .

٣ — هذا التفاهم خفف من حساسية الولايات المتحدة ونظرتها الى الاوضاع في الشرق الاوسط حيث كانت تعتبر الوضع هناك وكانه « برميل من البارود » كما قال الرئيس نيكسون في شباط ( فبراير ) ١٩٦٩ . وهكذا زال خطر المواجهة العسكرية في الشرق الاوسط بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة .

٤ — تغير نظرة الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي الى دور الامم المتحدة بالنسبةللنزاعات الدولية ، حيث تعمل هاتان الدولتان على اخراج كل قضية حساسة من نطاق معالجة الامم المتحدة. اما بالنسبة لاحتمالات النزاع في الشرق الاوسط فيرى رابين ان هناك اربعة احتمالات :

١ — تجدد الاعمال العدائية ، نظريا ، نحن في حالة حرب ، لكن ما اقصده هو تجدد الحرب الفعلية خصوصا على الجبهة مع مصر .

٢ — التقدم نحو تسوية سياسية شاملة اي : الانتقال الحاد من الحرب الى السلام وهذا بواسطة الدبلوماسية .

٣ — الانتقال تدريجيا من الحرب الى السلام وخلال فترة زمنية طويلة ، اي التقدم نحوالتسوية الشاملة على مراحل ، حيث كل مرحلة قائمة بحد ذاتها ، لكنها جزء من التقدم العام نحو التسوية الشاملة التي تحدد تفاصيلها فيما بعد .

٤ — استمرار الوضع الراهن ، اي ان يكون هناك نشاط سياسي، وحتى تجدد للاعمال العدائية من وقت لاخر ، ولكن بشكل اساسي يبقى الوضع الحالي المتمثل في انعدام التحرك الحقيقي نحو السلام ، دون امكانية تجدد الاعمال العدائيةلفترة طويلة .

وبعد ان يحلل رابين مدى الفرص القائمة امام كل واحد من هذه الاحتمالات، يستنتج ان الاحتمال الثالث هو الاحتمال الاكثر قبولا لدى اسرائيل . ويرى رابين امكانيتين لتحقيق هذا الاحتمال اي التسوية على مراحل :

١ — تتفق الاطراف على ماهية المرحلة الاولى ، وتحدد مبدئيا ما يتطلبه الحل المفصل لهذهالمرحلة، دون الدخول الى تفاصيل التسوية الشاملة . هذا على افتراض انه عندما تتحقق المرحلة الاولى ، تنشأ ظروف مريحة اكثر للمباحثات ولدرس المراحل القادمة نحو التسوية الشاملة .

٢ — امكانية اخرى ، سمعت بها اساسا في واشنطن تقول: تتفق الاطراف حول خط الانسحاب النهائي ، لكن الانسحاب يمتد خلال فترة زمنية طويلة تكون فيها كل مرحلة ليست فقط مرحلة من الانسحاب بل ايضا مرحلة في بناء السلام ، اي مقابل انسحاب محدود يعطي المصريون جزءا من السلام ، وبهذه الطريقة تمتحن نوايا السلام ليس بعد الانسحاب النهائي بل في كل مرحلة من مراحله ، ولقد وصف احدهم هذا الامر بقوله : « قليل من السلام » مقابل « قليل من الارض » . لكن رابين يرى ان الامكانية الثانية ليست مقبولة لدى اسرائيل لانها تطرح في مرحلة مبكرة جدا موضوع تحديد الحدود النهائية ذلك الموضوع الذي لا يمكن الاتفاق حوله في هذه المرحلة .

اما الاساس الاول والاكثر اهمية من اجل الانتقال من حالة الحرب الى حالة السلام فيراه رابين في المحافظة على وقف اطلاق النار حيث ان تلك الحقيقة تخلق بمرور الزمن بشكل واع او باللاوعي ظروفا احسن للتقدم نحو السلام . اما كيفية تحقيق ذلك فيراها رابين بما يلي :

١ — افشال الامال العربية بانه يمكن بواسطة القوة تحقيق اي شيء في المجال العملي او المجال السياسي .

٢ — افشال ايمان العرب بان الطريق الى السلام يمر من موسكو ، التي بدورها تحمل واشنطن على قبول مواقف الروس والمصريين ومن ثم تفرضها على اسرائيل .

٣ — افشال الامال العربية والروسية من انه بواسطة الامم المتحدة ، من الممكن فرض تسوية على المنطقة تعارض رغبة اسرائيل والولايات المتحدة »

وينهي رابين تصوراته هذه بقوله : لقد سبق وثبت ان شعار « لا خيار » كان عاملا رئيسيا في انتصارات اسرائيل في حروبها . واعتقد ان العرب سيصبحون قريبين جدا من السلام بشكل واقعي فقط ، بعد ان يثبت لهم دون ادنى شك ، بان جميع باقي الامكانات والاحتمالات مسدودة امامهم تماما ، وهكذا ، فعندما لا يكون لهم مجال للاختيار ، سيضطرون الى السير في طريق السلام .

**أحداث أسدود واسرائيل الثالثة**

أشار الصحفي باروخ نادل في معرض تعليقه على أحداث اسدود في صحيفة يديعوت أحرونوت ١٩٧٣/٧/١٦ ، الى مقال كان قد نشره في نفس الصحيفة حول الموضوع قبل شهر ونصف . وقد جاء في المقال المذكور ما يلي : « هناك في أسدود قضية معقدة وحبلى بالمخاطر ... ففي استيعاب الجورجيين ارتكبت جميع الاخطاء » .

والان امامنا الخيار التالي :

« اما ايجاد سبل على النطاق القومي لتخصيص الموارد المادية والانسانية من أجل الاستيعاب الاجتماعي — الحضاري لمهاجري جورجيا ، واما اغماض أعيننا واتاحة الامكانية **لخلق اسرائيل ثالثة** ، الى جانب اسرائيل الثانية » .

ويضيف نادل قائلا : « ولكن يبدو اننا اخترنا الامكانية الثانية ، على امل ان لا يعكر صفو حياتنا سوى بعض المقالات الصحفية ، لكن مهاجري جورجيا اتخذوا قرارا آخر » .

وقضية مهاجري جورجيا ، على الرغم من انها قضية عمالية بحتة اذ انها تتعلق بمشكلة ٤٧ من المهاجرين الجورجيين الذين فصلوا من عملهم المؤقت في الميناء في فصل الصيف كالعادة ، فان الاسلوب الذي عولجت به والشكل المطلبي الذي عبرت به ، أثار ردود فعل على صعيد علاقات العمل وعلى صعيد الطوائف ، واعاد الى الاذهان — مع الفارق — الاسلوب الذي اتبعته السلطات الاسرائيلية ازاء يهود شمال افريقيا في الخمسينات بعد مظاهرتهم في وادي الصليب في حيفا ومظاهرة اول ايار سنة ١٩٦٦ في أشدود ، حيث قمعت السلطات تحركهم المطلبي — الطائفي بعنف وقسوة .

**تسلسل الاحداث**

تصف صحيفة يديعوت أحرونوت الاسرائيلية الصادرة في ١٩٧٣/٧/١٧ تسلسل الاحداث كما يلي : « قبل شهر ونصف فصل من ميناء أسدود قرابة ١٤٠ عاملا مؤقتا كما هو متبع في الميناء في صيف كل سنة . وكان بين المفصولين هذه المرة ٤٧ عاملا من مهاجري جورجيا ، الذين ذهلوا لسماعهم ذلك ... وبعد ان افاقوا من هول الصدمة أخذوا يتوجهون الى مكاتب العمل لتأمين عمل دائم لهم ، لكن غالبيتهم لم تنجح في ذلك . لقد كان العمل في الميناء مربحا بالنسبة لمهاجري جورجيا ، وهذا يعود الى اسلوب المقطوعية والدفعات التشجيعية في العمل هناك ، حيث كان باستطاعة العامل تحصيل اجر شهري يتراوح بين ١٥٠٠ — ٢٠٠٠ ليرة اذا كان على استعداد لبذل جهود كبيرة والعمل ساعات اضافية ، لذلك وجد مهاجرو جورجيا ان العمل في المصانع حيث الحد الاقصى للاجور يتراوح بين ٧٠٠ — ٨٠٠ ليرة شهريا لا يناسبهم ، نظرا لارتفاع الاسعار والنفقات الاخرى . ومن جهة ثانية فكثير من أصحاب المصانع كانوا يرفضون تشغيلهم على الرغم من ان مكاتب العمل الحكومية كانت ترسلهم الى هناك » .

وتضيف الصحيفة بهذا الخصوص : « لقد عانى مهاجرو جورجيا من نفس العداء الذي عانى منه المغاربة » . وتحاول تعليل ذلك بكونهم يتكلمون لغة غريبة عن الاهالي ، والى عاداتهم وعالمهم

الطائفي المغلق ، الامر الذي ساعد في انتشار الشائعات حولهم واولد الخوف منهم. لكن الحقيقة تكمن في طبيعة المجتمع الاسرائيلي التعددية من حيث الفوارق والاختلاف في الثقافة والحضارة والعادات والتقاليد الدينية والمدنية . ان عقدة الشعور بالنقص التي لازمت اليهود في اوروبا بالذات انتقلت معهم الى فلسطين ، ووجد الاشكناز منهم تنفيسا لها في نظرتهم الاستعلائية تجاه العرب واليهود الشرقيين الذين بدورهم وازاء شعورهم بالنقص ازاء الاشكناز ، حولوا حقدهم وكراهيتهم تجاه العرب . وفي أسدود بالذات حيث حوالي ٥٠٪ من السكان هم من أصل مغربي لعب هذا الشعور دورا سلبيا في النظرة الى مهاجري جورجيا الذين وان لم يكونوا من أصل شرقي فانهم بتقاليدهم وعاداتهم ونمط حياتهم المغلق ، ولكونهم في غالبيتهم من حيث مهماتهم الوظيفية ينتمون الى الشرائح الوسطى والدنيا في التركيبة الاجتماعية في اسرائيل ، عمال ، باعة، وسطاء ، الخ... لهذا كله رفضهم المجتمع المحلي الذي غرسوا فيه ، وهم بدورهم تجاوبوا وزادوا من العداء تجاههم بانغلاقهم وتكتلهم الطائفي المحض . ان الانتماء الطائفي حتى بالنسبة لاولئك القدامى ما زال يلعب دورا مركزيا في حياتهم ، ويبرز في كل مناسبة تفرضها الظروف . ونفس الشيء ينطبق على المهاجرين الجدد ، وخصوصا يهود روسيا والجورجيين بالذات .

في هذا الجو تبنى يهود جورجيا مشكلة قضية عمال اسدود كقضية تمييز لاحقة بهم كطائفة . وهكذا قامت الطائفة ، بعد الاضراب عن الطعام الذي أعلنه المفصولون باعداد العدة للقيام بأعمال عنف لفرض مطالبهم على المسؤولين الاسرائيليين ، ورغم التحذيرات التي اطلقها رئيس بلدية اسدود طالبا الاسراع بمعالجة قضية المفصولين ، لم تعمل السلطة والوزارة المعنية أي شيء لحل الازمة . وبهذا الخصوص يقول رئيس بلدية اسدود : « يوم الاربعاء بعد الظهر ١٩٧٣/٧/١١ أرسلنا برقيات الى وزير الاستيعاب ووزير العمل ووزير المواصلات والى سكرتير عام الهستدروت ، وصفنا بها الوضع، وعبرنا عن تخوفنا من تطورات الاحداث طالبين منهم التدخل ، لكننا لم نتلق أي رد ، وكأن الامر لا يعنيهم ... » ويستمر رئيس البلدية قائلا : « أنا لا أفهم كيف يحدث هذا ، فقد ادعى بيرس ( وزير المواصلات ) انه لم يطلع على ما يجري في اسدود الا بعد فوات الاوان . انا أحترم السيد بيرس ، لكن تفضل ( مشيرا الى الصحفي الذي أجرى المقابلة ) اقرا نص هذه الرسالة التي أرسلها اتحاد مهاجري روسيا الى السيد بيرس في التاسع من تموز ( يوليو ) ١٩٧٣ « لقد مر اسبوعان ونصف على وعد ممثلكم بمعالجة قضية الثمانين عاملا الذين فصلوا من بين مهاجري جورجيا في ميناء اسدود ، وحتى الان لم نتلق منكم أي جواب . ان قضية هؤلاء المفصولين تشكل عاملا محرضا بين جمهور هؤلاء المهاجرين . نحن نعتقد ان القضية تتطلب حلا سريعا اذا كنا نريد منع حدوث انفجار للامور هنا ، ننتظر ردكم السريع » . ( معاريف ١٩٧٣/٧/٢٠ ) .

وهكذا تفجر الوضع ومنذ صباح الخميس الباكر ١٩٧٣/٧/١٢ وفدت الى أسدود قوافل من مهاجري جورجيا من جميع انحاء البلاد ، حيث قاموا باحتلال المباني العامة وتعطيل حركة السير في المدينة باقامة المتاريس والحواجز على الطرق الرئيسية ، واخذوا يستعدون لاقتحام الميناء . ويبدو ان الشرطة التي حذرت ايضا مما يمكن ان يحدث منذ بدء الاعتصام بمكاتب البلدية ومجلس العمال ، لم تكن تتصور ان تصل الامور الى هذا الحد ، فسارعت الى طلب النجدات التي وصلت متأخرة بعد ان كان الوزير بيرس قد حضر بنفسه الى اسدود وتفاوض مع زعماء الطائفة وتوصل الى اتفاق معهم وهذا هو نص الاتفاق كما اوردته معاريف في ١٩٧٣/٧/١٦ :

١ — مع استئناف موسم العمل في الميناء في الاول من تشرين اول ( اكتوبر ) ١٩٧٣ يعود الى العمل اربعة وثلاثون من مهاجري جورجيا الذين كانوا يعملون في الميناء وفصلوا خلال الاشهر الاخيرة .

٢ — تقوم وزارتا العمل والاستيعاب باجراء الترتيبات اللازمة لتعويض كل واحد من المضربين الاربعة والثلاثين ، لم يعمل منذ فصله وحتى التوقيع على هذه المذكرة ( أي حتى الثاني عشر من تموز ( يوليو ) ١٩٧٣ ) .

٣ — حتى الاول من تشرين الاول ( اكتوبر ) ١٩٧٣ يتلقى المستخدمون مخصصات مساوية للاجر اليومي العام المتبع بين عمال التفريغ والشحن المبتدئين ( دون الاجر التشجيعي ) لكي يتمكنوا من دخول دورة لتعلم اللغة العبرية ودورة مهنية اخرى .

٤ ــ كل مستخدم يلتزم بالمقاييس المتبعة في الميناء يثبت بعد مرور ثلاث سنوات على عمله وهـــذا يشمل فترة العمل السابقة ــ كما هو متبع بالنسبة لباقي المستخدمين .

**ردود الفعل :**

لقد قوبل هذا الاتفاق بالنقد من بعض الجهات والتفهم والتأييد من الجهات الاخرى . فالحكومة مثلا بعد ان استمعت الى تقرير وزير المواصلات ومفتش عام الشرطة حول الاحداث اتخذت ما يلي :

«لقد سجلت الحكومة امامها تقرير وزير المواصلات، وقد أيد الوزراء الذين اشتركوا في النقـــاش الاعتبارات والقرارات التي اتخذها وزير المواصلات والشرطة واعربوا عن تقديرهم لاسلوب المعالجة ». واضاف بيان الحكومة « ان الجهات ذات العلاقة في الامر ستحرص على استمرار معالجة القضايا التي أدت الى احداث اسدود . وان هذه الجهات مصممة على تحمل كل ما هو مطلوب لضمان سير الحياة المنتظم وللحيلولة دون خرق النظام والقانون في اسدود وفي كل مكان آخر » ( معاريف ١٦/٧/١٩٧٣ ) وقال بيرس في معرض تبريره للاتفاق امام الوزراء : « لا يمكن فهم ما حدث دون الشعور بالجو الذي ساد اسدود في الاسبوع الماضي ، ذلك المنظر المؤلم لاربعة وثلاثين رجلا مفترشين الارض منذ اربعة أيام دون طعام ، الامر الذي شكل خطرا على حياتهم ، ولنتصور ماذا كان يحدث لو ان احدا منهم مات نتيجة لذلك ! » وأضاف بيرس : « سادتي يجب ان نذكر ان ما حدث لم يكن اضرابا عن الطعام بسبب المطالبة بعلاوة غلاء ، بل هو تعبير عن مطلبهم في حقهم في العمل ، أي ببساطة من أجل لقمة الخبز » ، ( معاريف ١٦/٧/١٩٧٣ ) .

ان خضوع بيرس والسلطات الاسرائيلية لمطالب مهاجري جورجيا جاء نتيجة لثلاثة عوامل رئيسية :

١ ــ عنصر المباغتة والسرعة في التحرك التي أبداها الجورجيون ، جعل السلطات امام الامر الواقع ، فاما استعمال القوة واما الرضوخ ، اذ كما يبدو مما سبق لم تكن السلطات تتوقع ان تصل الامور الى هذا الحد وان تأخذ القضية الشكل الذي اخذته ــ قضية طائفية ــ .

٢ ــ اقتراب موعد الانتخابات وخوف حزب العمل من استغلال استعمال القوة ضده في الدعـــاية الانتخابية .

٣ ــ الخوف من الانطباع السيء الذي ســيتركه استعمال القوة ضد المهاجرين على حركة الهجرة من الاتحاد السوفياتي .

اما على الصعيد الشعبي فقد كانت ردود الفعل بين مؤيد ومعارض للاسلوب الذي تمت به معالجة القضية . وقد كانت المعارضة الرئيسية من قبل اصحاب المصانع ومصلحة الموانيء بمن فيهم مدير ميناء اسدود وبهذا الخصوص فقد عبر مدير عام مصلحة الموانىء عن استيائه من الطريقة التي تم التوصل بها الى الهدوء . اما المدير الجديد لميناء اسدود فقد قال : « أنا على يقين من ان الاتفاق الذي تم التوصل اليه سيؤدي الى مشاكل جديدة » ، وقد استشهد بما قاله سكرتير لجنة عمال التشغيل في ميناء اسدود يهوشواع بيرتس من انه من الان فصاعدا لن يفصل العمال المؤقتون في الميناء لان « ما ينطبق على مهاجري جورجيــا ينطبق ايضا علينا » ( يديعوت احرونوت ١٥/٧/١٩٧٣ ) .

أما اصحاب المصانع فقد عبر عن استيائهم احد اصحاب « مصانع روجوزين » في اسدود الذي اشار الى خطورة ضبط النفس المبالغ فيه الذي أظهرته الشرطة عندما استولى المضربون في اليوم الاول للاضراب على مصلحة الاستخدام وسجنوا الموظفين « ان ضبط النفس هذا قد شجع المضربين في الاستمرار بخرق القانون والنظام في المدينة » ، ( يديعوت احرونوت ١٥/٧/١٩٧٣ ) .

**هاني عبدالله**

الانتخابات البرلمانية العامة في اسرائيل ، لانتخاب الكنيست الثامنة ، أصبحت على الابواب ، وموعدها شهر تشرين الثاني المقبل .

وقبل الخوض بما شهدته ايام شهر تموز الماضي على هذا الصعيد ، يجدر بنا ان نشير الى عدد من احكام قانون الانتخابات العامة المعمول به في اسرائيل .

١ — عدد أعضاء الكنيست ١٢٠ عضوا .

٢ — كل اسرائيل تشكل منطقة انتخابية واحدة ، تجري فيها الانتخابات العامة مرة واحدة ودفعة واحدة كل أربع سنوات .

٣ — يضع كل حزب قائمة مرقمة بالتسلسل بأسماء مرشحيه ، ويتخذ لنفسه رمزا من حرف أبجدي واحد أو أكثر ، وعندما يضع صاحب الحق في الانتخاب ورقة عليها أحد رموز القوائم في صندوق الاقتراع يكون قد اقترع لصالح قائمة كاملة وليس لصالح مرشح واحد أو أكثر منها فقط .

٤ — يمكن ان يأتلف حزبان او اكثر ويضعا — او تضع — معا قائمة انتخابية واحدة .

٥ — يوزع عدد الاصوات الصالحة على مئة ويكون الناتج هو عدد الاصوات التي تجعل من المرشح الاول في القائمة عضوا في الكنيست .

٦ — يقسم ما تحصل عليه القائمة من أصوات على الناتج من قسمة الاصوات الصالحة على مئة وعشرين ، ويكون الناتج هو عدد الاعضاء الناجحين من القائمة .

٧ — يوزع فائض الاصوات على القوائم بحسب حجمها ، وذلك بناء على قانون أقرته الكنيست مؤخرا وعرف هناك باسم « قانون بدر عوفر » وعارضته الاحزاب الصغيرة بشدة لانه في غير صالحها .

حتى الان تشير تطورات معركة الانتخابات الى ان تغيرات كثيرة قد طرأت وستطرأ على الاحزاب والكتل والتجمعات السياسية ، الامر الذي يذكر بما حصل على هذا الصعيد اثناء معركة الانتخابات العامة قبل الماضية .

اذ قبل تلك الانتخابات — التي جرت في نوفمبر ١٩٦٥ — انفصلت رافي عن حزب مباي ، وشكل ماباي مع احدوت هعفودا ما عرف باسم «التجمع» ، وانشق المركز الحر عن حيروت ، والاحرار المستقلون عن حزب الاحرار ، وشكلت حيروت والاحرار كتلة غاحال . وانشق الحزب الشيوعي الاسرائيلي — ماكي ، حيث احتفظ جناح ميكونس سنيه باسم الحزب وعرف الجناح الاخر باسم القائمة الشيوعية الجديدة — راكاح ، وغير ذلك من انشقاقات وتحالفات .

ثم جاء العدوان في حزيران ١٩٦٧ ، واتجهت التطورات الحزبية اثر العدوان وعشية الانتخابات العامة سنة ١٩٦٩ نحو التجمع والتكتل . وانتهت حرب الاستنزاف سنة ١٩٧٠ لتبدأ الاحزاب بعدها مرحلة جديدة من التشرذم والتكتل في وضع اشبه ما يكون بخلط الاوراق ، وبرز هذا الاتجاه بشكل واضح في شهر تموز — يوليو الماضي .

كيف كان ذلك ؟

١ — على جبهة المعارضة غير اليمينية المتطرفة :

أ — انشقت حركة « هعولام هزي — قوة جديدة » التي كان لها عضوان في الكنيست هما أوري افنيري وشالوم كوهين ، وذلك في شهر شباط — فبراير الماضي ، وأقام كوهين مع « الفهود السود » تنظيما جديدا اسماه « الديموقراطيين الاسرائيليين » ورمزه « داي » .

ب — عقدت المنظمتان اليساريتان متسبين والاتحاد الشيوعي الثوري يوم ٧٣/٧/٢ مؤتمرا صحافيا اعلنتا فيه تأليف لائحة انتخابية برئاسة رامي ليفنة الذي أصدرت المحكمة الاسرائيلية حكما عليه بالسجن لمدة عشرة اعوام بتهمة العضوية في ما تسميه اسرائيل « شبكة التجسس والتخريب » . ( رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٧/٣ ) .

جـ — انشق الحزب الشيوعي الاسرائيلي — ماكي ، من جديد ، وتزعمت الانشقاق استر فيلنسكا . ( رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٧/١٦ ) .

د — غير اوري افنيري اسم ما تبقى من حركته من « هعولام هزي — قوة جديدة » الى « المعسكر الراديكالي الاسرائيلي » ورمزه « ميري » ، واعلن عن انضمام المنشقين من ماكي اليه وكذلك انضمام « سياح » و« نس » .

هـ ـ شكل ما تبقى من ماكي بزعامة ميكونس مع عدد ضئيل من أعضاء « سياح » السابقين وعدد من المحاضرين تجمعا منافسا لـ « ميري » اطلق عليه اسم « موكيد » بزعامة ضابط متقاعد فـي جيش الاحتلال هو العقيد مئير بعيل ويليه في القائمة شموئيل ميكونس . ( معاريف ٧٣/٧/٢٣).

و ـ دعا دان ليئور ـ أحد أعضاء مبام البارزين ـ الى خلق حزب جديد يضم مبام وماكي وسياح ، ودعا ايضا الى خروج مبام من « التجمع العمالي » ( معاريف ٧٣/٣/٢٣ ) .

٢ ـ على جبهة اليمين المتطرف :

أ ـ استقال العميد اريك شارون مـن جيش الاحتلال ، ودعا الى اقامـة « تجمع مضاد » ينافس « التجمع العمالي » ويشكل معارضة قوية او بديلا محتملا لتأليف الحكومة المقبلة ، ويضم الى جانب غاحال المركز الحر والاحرار المستقلين والقائمة الرسمية .

ب ـ رفض الاحرار المستقلون دعوة اريك شارون، وأعلن السكرتير العام للحزب انهم يفضلون البقاء داخل الائتلاف الحكومي حيث يشكلون معارضة فيه على الانضمام الـى « التجمع المضاد » . ( معاريف ٧٣/٧/٢٦ ) .

جـ ـ كشف حزب الاحرار المستقلين عـن انه يبحث مع المركز الحر في اقامـة تجمع يضمهما بالاضافة الى القائمة الرسمية لتشكيـل قائمة جديدة . ( معاريف ٧٣/٧/٢٦ ) .

د ـ اعلن شموئيل تمير ، زعيم المركز الحر ان اقامة التجمع المضاد الذي اقترحه اريك شارون أمر ممكن . ( معاريف ٧٣/٧/٢٧ ) .

هـ ـ قبلت غاحال اقتراح شارون . ( معاريف ٧٣/٧/٢٧ ) .

٣ ـ اما على صعيد حزب العمل الحاكم فقد ظلت الخلافات بين اجنحته المتعددة تبرز وتختفي ويتخذ كل تكتل منها مواقف معتدلة ومتطرفة بناء على قوة او ضعف الكتل الحزبية الاخرى التي تجمعه بها وجهة نظر او مطلب معين ، ومثلا حين أعلنت غاحال قرارها باقامة « التجمع المضاد » زاد اصرار دايان على مواقفه الاقرب الى سياسة غاحال ، وذلك ما فسره ران كسلف في هآرتس ٧٣/٨/١٠ ، على انه اطمئنان دايـان الى قوة « التجمع المضاد » وامكان تشكيله مع رافي في حال انفصالها من جديد عن حزب العمل لكتلة برلمانية قوية تؤلف ـ مع غيرها ـ الحكومة المقبلة .

لكن ما يبدو واضحا حتى الان ، ان جميع هذه التطورات ما زالت غير ثابتة المعالم والاتجاه ، بل ان بعضها مما اقر نهائيا ـ مثل اقامة «ميري» ـ لم يزد عنكونه اتفاقا بشأن الانتخابات للهستدروت، وان كان مرشحـا للاستمرار حتى الانتخابـات البرلمانية العامة دون ان يقر ذلك رسميا .

رغم ذلك فان من الممكن ملاحظة ان الانشقاقات قد ضربت حتى الان التجمعات والاتجاهات اليسارية والمحسوبة على اليسـار ، في حين ان اليمـين المتطرف هو الآخذ في التكتل والتجمع .

ولقد لاحظ زئيف شطرنهل في معاريف ٧٣/٧/٦ ان كل « الشبكة السياسية تتحرك نحو اليمين » ، وبدا ذلك الاتجاه واضحا منذ حرب حزيران ، حيث ازدادت يمينية حزب مباي ، وانتهى حزب احدوت هعفودا حيث شكل مع مباي حزب العمل، وانتهى دور حزب مبام الذي شكل مع حزب العمل « التجمع العمالي » ، وما زال هذا الاتجاه هو المسيطر وهو السمة الاساسية للتطـورات السياسية على صعيد الاحزاب في اسرائيل .

ولعل أبرز ما يؤكد هذه الحقيقة ، مجموعة نتائج الاستفتاءات التي تجريها معاهد الاستفتاء للرأي العام في اسرائيـل وتنشرها الصحف هنـاك . فقد تبين من استفتاء أجرته شركة نداف كينسـان للاستفتاء ونشرته معاريف يوم ٧٣/٧/٢ ، ان ٧٣٪ من الذين وجهت اليهم أسئلة حول مصير الاراضي المحتلة « اعربوا عن رأيهم بضرورة خلق حقائق واقعة في الاراضي المحتلة مثل اقامة مستوطنات ومدن اسرائيلية وشراء أراض » .

ونشرت هآرتس يوم ٧٣/٨/٣ نتائج استفتاء أجرته مؤسسة « بوري » حصلت فيه غاحال ( بعد تحويل الارقام الى أعضاء في الكنيست ) على ٣٢ مقعدا أي بزيادة أكثر من ٢٣ ٪ وزاد المركز الحر من نائبين الى خمسـة نواب اي بزيادة ٢٥٠ ٪ ، وخسر « التجمع العمالي » ستة من نوابه أي ما يعادل ١٢ ٪ تقريبا .

على صعيد آخر ازداد تواجد كبار ضباط جيش الاحتلال المتقاعدين في قوائـم مرشحي الاحزاب والكتل السياسية للانتخابات البرلمانية العامة .

فبالاضافة الى العميد اريك شارون ترددت أسماء

عدد كبير آخر من العمداء والضباط من رتب أخرى ، وكان من ابرز هذه الاسماء خلال الشهر الماضي ، العقيد مئير عميت والعميد حاييم هرتسوغ والعميد عوزي نركيس ، وذلك طبعا بالاضافة الى غيرهم من الذين سبقوهم في دخول ساحة العمل الحزبي والسياسي ، مثل دايان وبارليف وألون ورابين وغيرهم كثيرين .

وقد انتقد عدد من الصحافيين الاسرائيليين هذا «الاحتلال» العسكري للمناصب والمواقع السياسية من قبل كبار ضباط الجيش ، من هؤلاء يهوشواع غلبوع في معاريف ٧٣/٧/١٣ ، وليفي اسحق هيروشلمي في معاريف ٧٣/٧/٢٤ الذي انتقد الاحزاب التي تهتم بضم الضباط الى قوائمها الانتخابية ، وتتجاهل رجال الفكر الذين كانوا في السابق هم الاكثر حظوة لدى واضعي قوائم المرشحين .

أخيرا نصل الى العرب في الارض المحتلة سنة ١٩٤٨ أي الذين لهم حق الانتخاب .

ان راكاح هي القوة الاكثر تنظيما والاكثر تأثيرا في هذا الوسط ، وهي القوة الوحيدة عمليا المتواجدة في الشارع العربي باستمرار وليس فقط في اثناء معارك الانتخابات مثل غيرها من الاحزاب التي تتنافس على أصوات العرب .

وقد نشرت جريدة عل همشمار سلسلة من ثلاثة مقالات كتبها عضو مبام العربي قاسم زيد ، تحت عنوان « كيف تعمل الاحزاب في القطاع العربي ؟ »، وقال في الحلقة الاولى ( عل همشمار ٧٣/٦/٢٦ ) ان عددا كبيرا من أصحاب حق الاقتراع العرب لا يخفون الخيبة من طريقة عمل حزب العمل القديمة. وانتقد بشكل واضح عدم قبول العرب أعضاء في حزب العمل ، وقال « ان حزب العمل سيفعل خيرا لو انه أعلن عن اقامة حزب توأم لانصاره العرب » . وجاء في الحلقة الثانية ( عل همشمار ٧٣/٦/٢٨ ) « استغراب » زيد حصول الحزب الوطني المتدين على عدد من الاصوات في القطاع العربي تكفي لادخال مرشح الى الكنيست ، و« اكتشف » من ذلك حقيقة ان المصالح الشخصية هي الدافع وراء حصول هذا الحزب الوطني المتدين على أصوات العرب .

وفي الحلقة الثالثة ( عل همشمار ٧٣/٧/٣ ) توصل قاسم زيد الى حقيقة ان راكاح هي القوة المنظمة الوحيدة في الوسط العربي داخل الارض المحتلة .

**عماد شقور**

## ( ٦ ) القضية الفلسطينية عسكريا

### المحاولة الفاشلة لخطف قادة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

في الوقت الذي تبدو فيه جميع الجبهات العسكرية العربية ــ الاسرائيلية هادئة ، تبرز جبهة الصدام الفلسطينية ــ الاسرائيلية نشطة لا تخلو من المفاجآت الدامية . وتمتد هذه الجبهة اليوم لتشمل الاراضي المحتلة ، والارض العربية المجاورة لاسرائيل ، وخاصة لبنان ، وكل بقعة من بقاع العالم . ويأتي هذا الاتساع الهائل لجبهة الصدام بين قوات الثورة الفلسطينية وقوات العدو من خواص ثلاث يتميز بها هذا الصراع : اولها وجود اكثر من نصف الشعب الفلسطيني خارج الحدود الجغرافية لارضه الاصلية بسبب سياسة التشريد المنهجية التي مارستها الصهيونية منذ عام ١٩٤٨. وتتمثل الخاصية الثانية في انتشار الاهداف الصهيونية الاقتصادية والسياسية التي ترتكز اليها قوة اسرائيل، وتوزعها في جميع أنحاء العالم. اما الخاصية الثالثة فهي الترابط العضوي بين الصهيونية ــ وهي حركة امبريالية من نوع جديد ــ والامبريالية العالمية ، ومحاولة الثورة الفلسطينية اضعاف الجزء عن طريق ضرب الكل .

ولقد كانت ج.ش.ت.ف. اول من طرح شعار « وراء العدو في كل مكان » واول من وسع جبهة الصدام ومدها الى مختلف ارجاء العالم مع الاستمرار في القتال داخل الارض المحتلة ، على **مسرح الصدام الرئيسي** بين قوى الثورة العربية بما فيها قوى الثورة الفلسطينية من جهة والقوى المضادة الامبريالية ــ الصهيونية ــ الرجعية من جهة اخرى . ثم اشتركت بعض المنظمات الاخرى في تسديد عدد من الضربات لاهداف تقع خارج الارض المحتلة واخرى تقع خارج الشرق الاوسط كله . وبرزت في هذا المضمار منظمة ايلول الاسود التي استهلت عملياتها بضربة موجهة الى احد عناصر الرجعية العربية ( قتل وصفي التل في عام ١٩٧١ ) لتشن بعد ذلك **حرب عصابات عالمية** تمتد على كل بقعة من بقاع الارض .

ورد العدو على العنف الثوري التحريري الذي يمارسه شعب مضطهد مشرد يريد العودة الى ارضه وممارسة حقه بالحياة ككل شعب من الشعوب بعنف مضاد قمعي اشتركت به أجهزة اسرائيل ومؤسساتها الرسمية بالتعاون مع التنظيمات الصهيونية العالمية ، وامتدادات وكالة الاستخبارات المركزية الامريكية في العالم العربي ، وفي العالم أجمع . ومقابل شعار « وراء العدو في كل مكان » رفع العدو شعار « وراء المخربين في كل مكان » . واذا كان الشعار الاول يعني ضرب افراد العدو ومؤسساته والحاق الاذى بمن يمدون له يد العون التي تساعده على التمادي بعدوانه ، والسعي في نهاية المطاف الى تدمير هياكل الدولة العنصرية ــ الفاشية ــ الامبريالية المعرقلة لتطور المنطقة ، وبناء دولة ديمقراطية تمارس دورها الحضاري ضمن اطار دول العالم ، فان الشعار الثاني يعني قيام دولة خارجة عن القانون الدولي ومتحدية له بضرب افراد ومنظمات الشعب الفلسطيني بغية ابادته واحتلال ارضه وشطبه من التاريخ ، وفرض سيطرتها على المنطقة العربية لابقائها خاضعة للنهب الامبريالي . وحتى لا يكون في هذا التمييز بين العنفين أية ذاتية يكفي ان نقدم مقياسا موضوعيا للحكم ، انه المقياس العالمي الذي يرد على السؤال : **من يؤيد ومن يدين ؟** ان العنف الثوري التحرري الفلسطيني يلقى تأييدا من مجموعة الدول الاشتراكية ، ومن دول عدم الانحياز ، ومن الشعوب المضطهدة الخاضعة لكل انواع العسف ، ومن القوى والشخصيات التقدمية داخل المعسكر الامبريالي نفسه، ومن بعض دول المعسكر الامبريالي الداخلة في تناقض جزئي مع الامبريالية الامريكية ، ومن جماهير الشعب العربي التواقة الى التحرر والتقدم . اما العنف القمعي المعادي فلا يؤيده سوى الامبرياليين اعداء الشعوب والمستفيدين من آلامها ومآسيها ، والرجعيين والعنصريين الذين يمارسون ضد شعوبهم أساليب القمع والاستغلال نفسها بما في ذلك الرجعيين العرب المتحالفين مع الامبريالية والعائشين على فتات موائدها .

وينعكس هذا المقياس العالمي الموضوعي على كل قرار تأخذه المنظمات الدولية ( مجلس الامن ، هيئة الامم المتحدة ... الخ ) وعلى كل موقف تتخذه المؤتمرات والمنظمات العالمية ، اذ تقف القوى المؤيدة للتحرر والتقدم الى جانب الثورة

الفلسطينية وحقوق الشعب الفلسطيني ، على حين تقف القوى القمعية وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية الى جانب اسرائيل ومواقفها العدوانية التوسعية .

من وقف مع الثورة الامريكية ضد الاستعمار البريطاني ومن وقف ضدها ؟ من وقف مع الشماليين المؤيدين لتحرير العبيد في امريكا ومن وقف مع الجنوبيين ؟ من وقف مع الجمهورية الاسبانية ضد فرانكو ومن أيد فرانكو بالسلاح والخبراء والجنود ؟ من وقف ضد المانيا الهتلرية وايطاليا الفاشستية ومن حارب ضدهما ؟ من دعم الكوريين والفيتناميين ومن ايد الامبرياليين تجار الحروب ؟ **من يقف مع خط سير التاريخ والتقدم ومن يسبح عكس التيار التاريخي ؟ هذا هو السؤال الذي يحدد طبيعة العنف العادلة وغير العادلة .**

ان قوات الثورة الفلسطينية تشن حرب عصابات تجابهها اسرائيل والامبريالية بحرب عصابات مضادة . وبمجابهة حرب التحرير الشعبية العربية طويلة الامد ستمارس اسرائيل والامبريالية الحرب المضادة طويلة الامد . ولقد أطلقنا صفة المضادة على أعمال اسرائيل والامبريالية ، لانها — بالمقياس التاريخي — جزء من الثورة العالمية المضادة الرامية الى قهر الشعوب. ان حرب العصابات الفلسطينية تجابه اليوم حرب عصابات مضادة اسرائيلية — امبريالية . وبين هاتين الحربين فرقان : اولهما ان حرب العصابات الفلسطينية تقوم بها جماهير شعب نام ، وتستخدم فيها تكتيكات ووسائط تتناسب مع امكاناتها المحدودة وموازين القوى المائلة ( حاليا ) ضدها . على حين ان حرب العصابات المضادة الاسرائيلية — الامبريالية عبارة عن عمليات تقوم بها دولة بكل أجهزتها ومؤسساتها والاجهزة والمؤسسات الامبريالية والصهيونية الداعمة لها ، وتستخدم فيها تكتيكات ووسائط تتناسب مع امكاناتها المادية الكبيرة ، وموازين القوى المائلة ( حاليا ) لصالحها ، وهامش حرية العمل العريض الذي تقدمه لها واشنطن . الامر الذي رفع « القرصنة الجوية في اسرائيل الى مستوى سياسات الدولة » ( وكالة تاس السوفييتية ١٩٧٣/٨/١٣ ). اما الفرق الثاني بين حربي العصابات فهو ان حرب العصابات الفلسطينية حرب عادلة وحرب العصابات الاسرائيلية — الامبريالية حرب غير عادلة — بالمنظور التاريخي — حتى لو كان وراءها كما تدعي اسرائيل هدف أمني او دفاعي . فالدفاع لا يعطي الحرب بالضرورة شرعية وعدالة وخاصة اذا كان الدفاع يتم لحماية مكتسبات عدوان سابق، لان الدفاع في هذه الحالة يكون استمرارا للعدوان وجزءا لا يتجزأ منه . « ... وبصورة عامة فان الحرب مشروعة من جهة الامة المضطهدة ( سواء كانت الحرب على الصعيد العسكري هجومية ام دفاعية ) » ( لينين، المؤلفات الكاملة، الجزء ٣٥ ).

ضمن هذا الاطار ينبغي النظر الى حادثة خطف طائرة الركاب المدنية التابعة لطيران الشرق الاوسط من قبل طائرات سلاح الجو الاسرائيلي في ١٩٧٣/٨/١٠ والذي كان يستهدف « اعتقال قادة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين » ( حديث وزير الدفاع الاسرائيلي موشي دايان في ندوة تلفزيونية بتاريخ ١٩٧٣/٨/١١ ) . واذا شئنا تقييم العملية من مختلف الوجوه وجدنا انها انتهت بفشل ذريع على كافة الاصعدة ، رغم تبجحات موشي دايان الذي قال « ان العملية لم تكن فاشلة على رغم ان قادة الجبهة الشعبية لم يكونوا على الطائرة » ... « ان الهدف الذي اخترناه لانفسنا هو الهدف الذي قمنا بتحقيقه » ( الندوة التلفزيونية المذكورة آنفا .

ويكمن الفشل على صعيد المهمة نفسها في انها لم تحقق هدفها ، اذ لا يزال قادة ج.ش. ت.ف. في قواعدهم وبين جماهيرهم يمارسون أدوارهم على طريق التحرير والعودة . كما ان فشل العملية الذي هو في جوهره فشل للاستخبارات الاسرائيلية هز الصورة التي حاول العدو ان يرسخها في اذهان العالم لعملياته « الدقيقة المدروسة بعمق » ولاجهزة استخباراته « القوية القادرة التي لا تخطىء » بالاضافة الى اهتزاز ثقة القيادة الاسرائيلية نفسها « بنقاء » أجهزة استخباراتها « المطلق » ، واضطرارها لوقفة مراجعة قد تهز أجهزة الاستخبارات هذه من جذورها وتزرع الشك بين افرادها وتعرقل عملها لامد غير قصير .

ويبدو ان الفشل الذي أصاب العدو أكبر بكثير على صعيد السياسة الدولية . وبالرغم من ان جميع انعكاسات هذا الفشل السياسي — محليا ودوليا — لم تظهر حتى الان فان بوسعنا ان نحدد مبدئيا الانعكاسات التالية :

١ — فقدان اسرائيل لكل حججها الخاصة بمحاربة

« القرصنة الجوية » ، واضطرارها الى الصمت والتوقف عن مطالبة العالم بالحد من هذا النوع من العمليات الموجهة ضدها طالما انها تمارس العمل نفسه كدولة . فلقد استهجنت صحيفة **الفيغارو** الفرنسية عملية خطف الطائرة مع ان زعماء اسرائيل « لم يترددوا قبل بضعة اسابيع في التنديد بشدة بمثل هذه الوسائل » ( الفيغارو ١٩٧٣/٨/١١ ) . وقالت جمعية الطيارين المدنيين البريطانية بان اعتراض الطائرة اللبنانية كان « مخالفا تماما للتعهدات التي قدمتها اسرائيل دوليا عن طريق فريق الطيارين بمنع انتهاك المجالات الجوية واعمال القرصنة » وذكر غوردون هيرلي الناطق باسم الجمعية « انه يجعل بياناتهم [ أي الاسرائيليين ] في المكسيك في شهر كانون الاول الماضي عندما أيدوا قرارا بفرض عقوبات على البلدان المسؤولة عن أعمال شبيهة بالعمل الذي حدث تافهة » ( **النهار** ١٩٧٣/٨/١٢ ) . وذكرت صحيفة **الاوبزرفر** البريطانية « انه ليس في امكان أي جانب من الجانبين مواصلة هذه الحرب دون المخاطرة بقتل او اصابة بعض الابرياء واشاعة الفوضى في المواصلات العالمية . وهو تصرف خطير للغاية عندما يصدر عن حكومة وليس عن مجموعة من الارهابيين » ( الاوبزرفر ١٢/٨/ ١٩٧٣ ). وقالت **الغارديان** ان هذه العملية «تنسف طلب اسرائيل اتخاذ اجراءات ضد البلدان المتورطة في خطف الطائرات » ( **الغارديان** ١٩٧٣/٨/١٣ ).

وبالرغم من تأييد العديد من الصحف الاسرائيلية للعملية فقد شككت صحيفة **هموديع** بادعاءات مخططي عملية اعتراض الطائرة وأكدت ان عملية اسرائيل من شأنها ان تشكل أسبقية سيئة نظرا لان « من المحتمل ان تستخدم كذريعة للمخربين [ منظمات الثورة الفلسطينية ] لمواصلة عملياتهم دون استطاعة اسرائيل ان تحصل على تأييد دولي في صراعها » ( رصد اذاعة اسرائيل ملحق العدد ٢٩٤ ، ١٩٧٣/٨/١٣ ) . وانتقدت صحيفة **هآرتس** مخططي العملية الذين « أهملوا الحقيقة ان دولة اسرائيل تشن منذ نحو اربع سنوات حملة سياسية ضد اختطاف الطائرات » ثم اضافت « ان الاذى الذي سيلحق باسرائيل في أعقاب هذه العملية هو انها ستخسر صورتها في اذهان الناس على انها الدولة التي تحترم حرية الطيران المدني الدولي » ( **هآرتس** ١٢/٨/ ١٩٧٣ ). وقالت صحيفة **عل هامشمار** ان «العملية ستظهر في العالم كأنها هجوم على حرية الطيران المدني ، تلك الحرية التي تقاتل اسرائيل من أجلها » ( ١٩٧٣/٨/١٢ ) . وتساءلت صحيفة **القدس** « كيف يمكن تفسير التناقض بين رغبة اسرائيل المعلنة في وجود طيران مدني سلمي وأعمالها ضد طائرات الركاب المدنية » ( ١٢/٨/ ١٩٧٣ ) .

وتزداد صعوبة الموقف الاسرائيلي وحراجته من سوء اختيار الهدف . فلقد حددت العملية هدفها باعتقال قادة ج.ش.ت.ف. على اعتبار ان هذا الاعتقال يبرر الخطف ويحمي على المدى البعيد أمن المواصلات الجوية طالما ان هذه الجبهة تمارس عمليات خطف الطائرات وتعرقل المواصلات الجوية وتهدد حياة وأمن المسافرين المدنيين الابرياء . ولكن المخططين الذين يدعون امتلاك العصمة وحسن التقدير نسوا ان ج.ش.ت.ف. قد توقفت عن عمليات التعرض للخطوط الجوية منذ أمد بعيد ، وأقلعت عن استخدام هذا الاسلوب ( التكتيك ) الذي يعرض المدنيين للخطر رغم استمرارها في التمسك باستراتيجية ضرب الاهداف الامبريالية والصهيونية والاسرائيلية في كل مكان . ففي حديث مع تريفور جونز أحد محرري اليونايتدبرس بتاريخ ١٩٧٣/٨/١٢ قال الدكتور جورج حبش الامين العام لـ ج.ش.ت.ف. ردا على سؤال المحرر حول وجهة نظره عن عمليات خطف الطائرات عموما خاصة وان ج.ش. ت. ف. كانت احدى رائدات اعمال الخطف الجوي فقال : « ــ هذا صحيح . نحن بالفعل كنا الرواد في هذا المجال . ولكن بعد ذلك وجدنا ان اصدقاءنا في أنحاء العالم لا يستطيعون ان يفهمونا ولا يستطيعون ان يفهموا حقنا في استخدام مثل هذه الوسائل بسبب حربنا الخاصة ووضعنا الخاص كشعب فلسطيني . ولذا فاننا بعد ذلك توقفنا عن هذه الاعمال . انتقدنا أنفسنا وكنا صريحين مع أنفسنا . كنا صريحين مع شعبنا وكنا صريحين مع الناس في كل العالم . لكن اسرائيل لم تكن صريحة . لقد كانت اسرائيل تستنكر ذلك دائما . وتدعو العالم الى اتخاذ اجراءات . وانتم ترون ماذا يحدث . لقد أوقفنا الخطف في حين ان اسرائيل التي كانت تستنكر الخطف ، تمارسه الان . أعتقد ان اسرائيل والمستر نيكسون يجب ان يشعرا بالعار بعد الان بحيث لا يتحدثان عن الارهاب والخطف » ( **النهار** ١٩٧٣/٨/١٣ ) .

وكان الدكتور جورج حبش الامين العام لـ ج.ش.ت.ف. قد اوضح موقف الجبهة من خطف الطائرات قبل ذلك . ففي المؤتمر الصحفي المنعقد بتاريخ ١٩٧٢/٣/١٤ رد الدكتور حبش على سؤال حول مدى تمسك الجبهة بقرارها الخاص بايقاف عمليات خطف الطائرات بقوله : « ... غير اننا بالنسبة لاي خط من خطوطنا التكتيكية والاستراتيجية فاننا نتمتع دائما بالقدرة على مراجعة هذا الخط على ضوء ما تعززه الممارسة من نتائج ، وبالنسبة لهذا الخط بالذات ، خط خطف الطائرات ، وجدت لدى زيارتي لعدد من البلدان الاشتراكية ان هذا الموضوع — المفهوم من قبلنا وقبل جماهيرنا — ليس مفهوما من قبل اصدقائنا . ان تحالفاتنا الثورية العالمية موضوع اساسي جدا بالنسبة لنا، واننا لا نستطيع ان نتصور قدرتنا على الانتصار على معسكر اسرائيل والامبريالية والصهيونية والرجعية الا من خلال كونه جزءا لا يتجزأ من معسكر الثورة العالمية المعادي لمعسكر الامبريالية. وعلى ضوء ذلك ، وحرصا على تحالفاتنا ، خاصة تحالفاتنا الثورية الدولية ، وقنت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في دورة اللجنة المركزية المنعقدة في ١٩٧١/١١/٥ امام الموضوع بالذات . واتخذت قرارا بايقاف هذه العمليات » ( الهدف ١٨/٣/١٩٧١ ) .

هكذا حددت الجبهة موقفها من مسألة خطف الطائرات منذ أكثر من سنتين ، ثم أكد الامين العام لـ ج.ش.ت.ف. هذا الموقف في حديثه مع مجلة **الاخبار** الاسبوعية الناطقة بلسان الحزب الشيوعي اللبناني في مطلع آب ١٩٧٣ أي قبل المحاولة الاسرائيلية الفاشلة باسبوع واحد عندما قال : « لقد استبعدنا خطف الطائرات من عملنا السياسي منذ ١٩٧١ » ، ولكن يبدو هذه المرة ان المسؤولين الاسرائيليين هم الذين لا يقرأون .

٢ — تعرضت الحكومة الاسرائيلية لحملة نقد داخلية تحمل ، رغم محدوديتها ، دلالات هامة . فلقد انتقد اسحق شاكيد رئيس جمعية الطيارين المدنيين الاسرائيلية اعتراض الطائرات الحربية لطائرة الركاب اللبنانية ، وقال في مقابلة اذاعية في ١٩٧٣/٨/١٢ « انه لا يستطيع الموافقة على العمل الذي قامت به الطائرات الحربية الاسرائيلية يوم الجمعة الماضي لان جمعيته هي في طليعة الجمعيات التي تكافح اختطاف الطائرات وأية أعمال اخرى تسيء الى الطيران المدني » ( النهار ١٩٧٣/٨/١٣ ) . وأيد اسحق بن أهارون الامين العام للتجمع العمالي « هستدروت » موقف شاكيد. وهاجم النائب أوري افنيري وزير الدفاع موشي دايان وحمله مسؤولية خطف الطائرة اللبنانية وقضية بوشيكي الذي اغتاله عملاء اسرائيليون في النرويج واسقاط الطائرة الليبية فوق اراضي سيناء . وانتقدت صحيفة **هآرتس** العملية ونعتتها بانها « حرب من دون اعتبارات سياسية » (**هآرتس** ١٩٧٣/٨/١٢ ) . ووصفت صحيفة **القدس** العربية الصادرة في مدينة القدس العمل الاسرائيلي بانه « يشكل تصعيدا للنشاط ضد الطائرات المدنية وخطرا على الامن العام والفردي في الشرق الاوسط» (نقلته النهار ١٩٧٣/٨/١٣). وندد الحزب الشيوعي الاسرائيلي بالعملية في بيان رسمي أكد فيه « ان اختطاف الطائرة المدنية اللبنانية بركابها الثلاثة والثمانين هو عمل من أعمال الغانغستر الدولية ، وهو عمل اجرامي عرض للخطر حياة الركاب ، ويشكل انتهاكا فظا للقوانين الدولية » ( وكالة تاس ، ١٩٧٣/٨/١٣ ) . ومن المنتظر تفاعل العملية داخل اسرائيل أكثر فأكثر عندما ستظهر نتائجها الدولية السلبية بوضوح ، وعندما ستلاحظ القوى الواعية في اسرائيل ان أجهزة اسرائيل الدبلوماسية والسياسية والاعلامية موظفة لتبرير التصرفات الطائشة المغامرة لعدد من المهووسين العسكريين والمدنيين في الحكومة الاسرائيلية .

٣ — تدهور سمعة اسرائيل كدولة ، وانخفاض مستوى مصداقية ادعاءاتها حول طبيعتها الحضارية واحترامها للقوانين الدولية . ولقد نددت صحف العالم بالعملية ووصفتها بأنها « قرصنة جوية » و « عدوان على أمن الطيران وسلامته » ، و « تحد للقوانين الدولية » ، و« اجرام على مستوى الدولة » ، و « عمل مهين لمبدأ الامن المعترف به عالميا » و « عمل أحمق وغير قانوني »، و « عملية لا يمكن للعقل تحملها » . وشجبت اتحادات الطيران الدولية — بما في ذلك اتحاد الطيران الامريكي — العملية وادانتها واعتبرتها « جرما ليس له ما يبرره » . وصرح الكابتن تشارلز جاكسون الامين التنفيذي للاتحاد الدولي لجمعية الطيارين المدنيين ( الذي يضم ٥٠ الف عضو ) ان الاتحاد « يستنكر في شدة الاعتراض المذكور الذي يبدو انتهاكا صارخا لميثاق لاهاي

الذي يستنكر استخدام القوة او التهديد بها ضد الطيران المدني » ولاحظ انه يبدو ان الاستيلاء على الطائرة التي أجبرت على الهبوط في اسرائيل « مخالف للتعهدات التي أعطتها اسرائيل بعد مقتل ١٠٨ أشخاص عندما أسقطت الطائرات الاسرائيلية طائرة ركاب لبيبة فوق صحراء سيناء في شهر شباط الماضي » ( النهار ١٩٧٣/٨/١٢ عن وكالات الانباء ) .

وكانت ردة الفعل العالمية ضد العملية كبيرة ، اذ استنكرت جميع الدول الاشتراكية ودول عدم الانحياز هذا العمل الاجرامي ، ولم تقصر الدول الغربية — بما في ذلك الولايات المتحدة وبريطانيا والمانيا الغربية واوستراليا — في التنديد باسرائيل، ولسنا ندري اذا كانت حكومات جنوب افريقيا ، والاردن ، وروديسيا قد نددت أيضا ام انها لا نزال تفكر بذلك[!] علما بأنها كانت « سباقة » دائما لاستنكار عمليات المنظمات الثورية الفلسطينية المشابهة ضد الاهداف الاسرائيلية او الامبريالية . وفي ١٩٧٣/٨/١٥ أقر مجلس الامن بالاجماع ادانة العملية وأرفق ادانته بتحذير يؤكد « ان المجلس في حال العودة الى مثل هذا العمل سيفكر في اتخاذ القرارات او الاجراءات الملائمة التي تكفل تنفيذ قراره » ( النهار ١٩٧٣/٨/١٦ ) . وتحمل هذه الادانة أهمية خاصة نظرا لان الولايات المتحدة الامريكية شاركت بها بعد أن أسقطت من مشاريع القرارات المقدمة كل الفقرات المتعلقة بفرض عقوبات رادعة على اسرائيل رغم ميل معظم الوفود الى اتخاذ مثل هذا القرار ، واضطرارهم للتخلي عنه خوفا من الفيتو الامريكي . وهكذا ، ورغم جسامة الجرم وتلبس المجرم ، وقف الغطاء الامريكي كالعادة حاجزا أمام ارادة العالم. ووقف العالم مرة أخرى عاجزا عن معاقبة اسرائيل لخطفها طائرة مدنية بعد أن وقف عاجزا عن معاقبتها لخطف بلد وتشريد شعب . ولكن هذا لا يعني ان الاثار السلبية للعملية الفاشلة ستكون صغيرة ، بل ان من المؤكد انها ستكون اكبر بكثير من توقعات الحكومة الاسرائيلية التي تتبجح بأنها درست على أعلى مستوى تفاصيل العملية ، واحتمالات تطورها ، والانعكاسات التي يمكن ان تنجم عنها . ولسنا نملك الان ، ولن نمتلك قبل مدة طويلة ، معلومات دقيقة عن المناقشات التي دارت داخل الحكومة الاسرائيلية قبل اتخاذ القرار . ولكن بوسعنا تصور عوامل القرار كما يلي :

**١ — العوامل السلبية :**

— ردود الفعل العالمية على عملية الخطف حتى في حالة النجاح ( ولا شك ان اسرائيل المعتادة على مجابهة الرأي العام العالمي بالاعمال المثيرة والامر الواقع ، والمعتمدة على الغطاء الامريكي قد قللت من قيمة هذا العامل ) .

— ردود الفعل العربية بعمليات مماثلة ( يبدو هنا ان عدم وقوع رد عربي على عملية اسقاط الطائرة الليبية قد شجع الاسرائيليين على تجاهل هذا العامل ) .

— ردود الفعل العربية والعالمية في حالة رفض الطيار للانصياع الى الاوامر واضطرار الطائرات العسكرية الاسرائيلية الى اسقاط الطائرة . ( هنا يبدو ان اعتماد الاسرائيليين على خضوع قائد الطائرة للتهديد خوفا من ان يكون مصيره كمصير طياري الطائرة الليبية قد شجعهم على تخفيض قيمة هذا العامل ) .

— رد فعل الثورة الفلسطينية ( ان هذا العامل موجود دائما في احتمالات اسرائيل سواء تمت العملية أم لم تتم نظرا لحالة الصراع المسلح القائمة والمستمرة بين قوات الثورة الفلسطينية بكافة فصائلها وقوات الاحتلال الصهيوني ) .

**٢ — العوامل الايجابية :**

— ضخامة الهدف بالنسبة للمخاطرة ( السياسية ) التي يمكن أن تنجم عنه .

— دقة المعلومات التي تؤكد وجود الهدف المطلوب وتؤكد نجاح العملية الامر الذي يخفف من السلبيات امام العالم المستعد لاستخدام « المقياس المزدوج » ، والتساهل أمام « العبقرية » القادرة على تنفيذ الاعمال المظهرية الناجحة .

— عدم وجود أية مخاطرة عسكرية نظرا لانفتاح الاجواء اللبنانية امام الطيران الاسرائيلي الذي يخترق حرمة هذه الاجواء بصورة منهجية شبه يومية . ولقد اعترف المراسل العسكري لصحيفة **جيروزاليم بوست** ان من الاسباب التي بررت العملية في نظر السلطات الاسرائيلية « البساطة الشديدة التي يتسم بها تنفيذ المخطط باعتبار ان اجواء لبنان فالتة وان الطائرات الاسرائيلية تتجول فيها باستمرار دون أن يصيبها حجر » ( المحرر ١٩٧٣/٨/١٤ ) .

— امكانية اتمام العملية بسرعة لا تسمح للطيران

السوري بالتدخل في الوقت الملائم ، والقدرة على التصدي له اذا ما تدخل بواسطة الدوريات المعادية التي تحدث عنها بلاغ وزارة الدفاع اللبنانية بتاريخ ٧٣/٨/١٠ والتي كانت تحلق خلال العملية فوق مرجعيون وصيدا وصور والدامور وفوق البحر على ارتفاعات متفاوتة ( النهار ٧٣/٨/١١).

ويبدو من عناصر اتخاذ القرار ان العملية لم تكن باعتقاد اسرائيل مغامرة سياسية او عسكرية شائكة ، ولم تكن تدخل في جملة **اعمال المخاطرة** ، او حتى أعمال **المخاطرة المحسوبة** ، واذا كنا لا نتفق تماما مع التقييم السياسي الاسرائيلي فاننا نجد تقييمها العسكري صحيحا لا خلل فيه . وهذا ما يجعلنا نضع العملية كلها في اطار استغلال اسرائيل للتفوق الاستراتيجي ، والشلل العربي الناجم عن ضعف ارادة القتال ، بغية القيام بعمليات تكتيكية ناجحة سلفا ولا تحمل في توقعاتها أي احتمال للفشل او المخاطرة .

ومن المعروف ان اتخاذ قرار المعركة يستند الى حساب احتمالات الخسارة والربح مع وضع هامش حيطة للمناورة . ولا يزج القائد بقواته في المعركة الا بعد ان يضمن بأن الربح المنتظر — ماديا ومعنويا — سيعوض الخسارة المنتظرة. وهو يبالغ الى حد ما في تصور المخاطر والخسائر ، ويصغر حجم الربح المنتظر ليضمن لنفسه هامش المناورة. فان وجد ان الخسائر المتوقعة اكبر من الربح المنتظر ، ورأى ان الربح في حالة النجاح عاجز عن تعويض النتائج المادية والمعنوية الناجمة عن الخسائر ، أوقف العملية او لجأ الى الابتكار أو الخداع او المفاجأة بأنواعها لتقليل الخسائر وزيادة احتمالات النجاح . ولقد قام الاسرائيليون ولا شك بكل هذه الحسابات ، وكان تقييمهم العسكري دقيقا لا غبار عليه ولكنه محروم من الافق السياسي. وقد تثبت الايام القليلة المقبلة مدى انعكاس هذا الخطأ السياسي على اسرائيل وخاصة بعد الفشل المهين الذي حاق بالعملية كلها .

وما دمنا في معرض الحديث عن القرار الاسرائيلي فان علينا ان نتحدث عن خلل في التفكير الكامن وراء هذا القرار . ويتمثل هذا الخلل في اعتقاد مخططي حرب العصابات الاسرائيلية المضادة بأن ضرب قيادات الثورة الفلسطينية سيشل هذه الثورة ويجعلها عاجزة عن متابعة الصراع .

ان للقيادات ولا شك مكانة هامة وتأثيرا كبيرا ، وتلعب الكفاءات القيادية والكاريسيما القيادية دورا بارزا في استقطاب الجماهير ودفع الحركة الثورية وسلامة خططها السياسية والعسكرية . وبالرغم من اهمية القيادات الثورية ودورها الطليعي فان من المؤكد ان غيابها لا يوقف الثورة الجماهيرية ولا يحد من اندفاعها ، بل قد يؤدي على العكس الى تأجج جذوة النضال وارتفاع مستوى الحقد على العدو. وقد يؤثر ضرب الزعماء على الانقلابات ، او العصابات الصغيرة او الانتفاضات البلانكية المعتمدة على النخبة ، او البؤر الثورية التي لم تتبلور بعد ولم تتغلغل بين الجماهير . ولكن الثورة الفلسطينية حركة جماهيرية تغلغلت في كل قرية ومدينة ومخيم داخل الارض المحتلة وخارجها . ولقد تجاوزت هذه الثورة تنظيميا وجماهيريا مرحلة النواة الثورية ، وأصبحت جزءا من حياة الشعب الفلسطيني الرافض للاحتلال الاسرائيلي والاوضاع العربية التي أدت الى هذا الاحتلال . وهي تملك من الناحية التنظيمية صفوفا قيادية اولى وثانية وثالثة ... الخ . وكلما سقط صف حمل لواء النضال الصف الذي يليه . ويعرف كل قائد ثوري ان حمل السلاح ضد العدو يعني ان حياته لم تعد ملكه ، وانه قد يقدمها في كل لحظة على درب النضال الطويل والشاق . الامر الذي يجعل تهديد العدو بقتله جزءا من حياته اليومية ، وأمرا اعتاد عليه ولم يعد يشكل بالنسبة له اي ردع معنوي . وليس في الثورة الفلسطينية — أو أية ثورة أخرى— قائد واحد يعتبر ان حياته تساوي أكثر مما تقدمه هذه الحياة من دفع للثورة خلال وجوده ، ومما تقدمه للجماهير من مثل عند استشهاده . وينبع حرص القائد الثوري على حياته من حرصه على كل ما هو ثمين في الثورة ، كما تنبع تضحيته بهذه الحياة عند اللزوم من قناعته المسبقة بأن حياته لم تعد ملكا له ، وان عليه ان يقدمها بكل رضى ما دام ذلك يعني خدمة الثورة .

وبالاضافة الى جماهيرية الثورة الفلسطينية ، ووجود الصفوف القيادية المتعاقبة ، واستعداد القادة الثوريين لتقديم أرواحهم كضريبة قبلوها عندما رفضوا القهر وحملوا السلاح ، فان ضخامة هدف الرهان — ان يكون الشعب الفلسطيني او لا يكون — يجعل سقوط اي قائد على الطريق عاجزا عن ايقاف المد الشعبي الجارف والحماسة المتصاعدة ضد العدو .

هنا يكمن الخلل في اعتقاد الفاشيين الاسرائيليين بأن قتل زعماء الثورة الفلسطينية الحاليين سيوقف الثورة . لقد كان من الممكن توقف الثورة الكوبية — مؤقتا — في عام ١٩٥٦ لو ان فيدل كاسترو وتشي جيفارا ورفاقهما الاوائل استشهدوا عند نزولهم على الشاطىء الكوبي ، او عندما كانوا نواة ثورية صغيرة في السييرا مايسترا . ولقد تعثرت الثورة في بوليفيا بعد استشهاد ارنستو تشي جيفارا في عام ١٩٦٧ وتشتت بؤرته الثورية التي لم تستطع تحقيق التلاحم الكامل مع الجماهير وبقيت نواة صغيرة متحركة في الادغال البوليفية . ولكن القمع القيصري بعد ثورة ١٩٠٥ وقتل زعماء الثورة الروسية وسجنهم ونفيهم الى سيبيريا وتشريدهم في أوروبا وأمريكا لم يمنع اندلاع ثورة فبراير ١٩١٧ ، كما ان اختطاف الفرنسيين لطائرة تحمل عددا من زعماء الثورة الجزائرية في عام ١٩٥٦ لم يوقف الثورة من السير على طريق النصر رغم خسارة مجموعة من خيرة قادتها . فلقد اتسمت هاتان الثورتان بأنهما ثورتا الجماهير العريضة التي كان للزعماء فيها فضل التوجيه والقيادة وضبط النبض دون ان يكونوا عمادها الوحيد الذي لا غنى عنه . ولا تخرج الثورة الفلسطينية عن هذه القاعدة . فهي ثورة شعب صمم على النضال لانتزاع حقه وتحرير أرضه . وسيتابع هذا الشعب مسيرته مهما استشهد على الدرب من قيادات . هذا أمر يؤكده تاريخ ثورات الشعوب ، ولكن مخططي العمليات المضادة في تل أبيب يتجاهلون أبسط حقائق التاريخ ، وقد يكون هذا التجاهل الاحمق أحد مقاتلهم .

لقد انتهت عملية القرصنة الجوية الى فشل . هذا ما تؤكده الحقائق الصارخة الا اذا كان الهدف من العملية كلها «تخويف» قادة الثورة الفلسطينية [!!] وافهامهم بأن اسرائيل ستلاحقهم في كل مكان . ولكن التخويف لا يجدي مع من يعتبرون الخطر خبزهم اليومي ، كما ان الاقناع بقدرة اسرائيل على المطاردة في البر والبحر والجو أمر لا يستحق كل هذه المغامرة السياسية وما تحمله من عواقب داخلية وخارجية .

وبالرغم من فشل العدو بفضل تدبير قادة ج.ش.ت.ف. الذي لم تعلن الجبهة عن دوافعه ، فان من حقنا ان نتساءل كيف عرفت استخبارات اسرائيل موعد سفر القادة وخططت العملية على اساسه ؟ ان من المؤكد ان الثورة الفلسطينية تعلمت على صعيد الامن الكثير من دروس الماضي ، ولكن من المؤكد ايضا انه لا يزال في أمنها — وخاصة في لبنان — ثغرات لا بد من سدها بتدابير تطبق قواعد السرية والامن والحيطة التي أصبحت علما له أصوله المستوحاة من تجارب الحروب السرية في العالم . مع الاخذ بعين الاعتبار لخصائص الوضع الامني في لبنان ( كثرة الاجانب وحرية تنقلهم واقامتهم في بلد سياحي ، نشاط الاستخبارات الامريكية والتسهيلات التي تقدمها له مؤسسات ديبلوماسية وثقافية واقتصادية أجنبية وقواعد اجتماعية — اقتصادية محلية ، حجم جهاز الامن وطبيعة اعداده ... الخ ) تلك الخصائص التي تفرض على الثورة الفلسطينية تطبيق تدابير الامن المستخدمة في **منطقة غير أمينة ومعرضة لتغلغل معادي نشط** .

وبالاضافة الى كل هذه التدابير فان من التدابير الملحة المطروحة اليوم خلق **جهاز توقع** يضم عدة أشخاص مختصين ومؤهلين ، مهمتهم دراسة فكر قادة العدو ، وتكوينهم النفسي ، وأسلوب محاكمتهم العقلية ، وردود فعلهم ، وأساليبهم في العمل ضد قوات الثورة . والاستناد الى المعلومات والخيال والاستنباط لتوقع ما يمكن ان يبتكره العدو من أساليب جديدة ، ودراسة تدابير الامن الموجودة حاليا والتي ينبغي اتخاذها للرد على الاخطار المحتملة من كل نوع . ولا يمكن لهذا الجهاز ان يعمل بفاعلية الا اذا نظر بعيني العدو ، وفكر بعقله ، واستخدم خياله ، ووضع نفسه مكانه ، ورسم ما يمكن ان يرسم العدو نفسه من خطط لضرب الثورة وقواعدها وقادتها ومؤسساتها ، ثم حدد التدابير الكفيلة باحباط هذه الخطط .

ان العملية الاسرائيلية الفاشلة حلقة واحدة في سلسلة التدابير المعادية المضادة ضد الحلقة العربية الاضعف ماديا (لبنان والثورة الفلسطينية). وستستمر هذه السلسلة ، وقد تتصاعد عملياتها وتزداد عمقا مع الابتكار الدائم لاساليب جديدة ، مع هامش مناورة واسع لا يحده ضغط دولي فعلي ( عقوبات ) أو استعداد قتالي عربي رادع . وسيبقى الوضع كذلك ما دامت الجبهة الشرقية لم تتم رغم محاولة الدكتور حسن صبري الخولي الممثل الشخصي لانور السادات الذي صرح بعد زيارة لسوريا دامت ثلاثة ايام وزيارة الاردن لمدة اربعة ايام بأنه كان يسعى الى « تجميع الطاقات

من اجل شيء واحد نعمل له في مصر على كافة المستويات وهو المعركة » ( المحرر ٧٣/٨/١٤ ) ، وما دام الهدوء يسود الجبهة المصرية ، وما دامت القوات المسلحة اللبنانية ( الجيش وقوى الامن ) لم تطبق بعد خطة دفاعية تحد من حرية حركة قوات العدو على أراضي لبنان وفي سمائه وفوق مياهه الاقليمية ، وما دامت الدول العربية الاخرى لا تستخدم كل أسلحتها العسكرية وغير العسكرية للحد من حرية الحركة السياسية المعادية المغطاة بالدعم الامريكي .

لقد تحدث الدكتور محمد حسن الزيات وزير الخارجية المصرية بعد العملية عن ضرورة اتخاذ « رد عربي رادع » ( المحرر ١٩٧٣/٨/١٤ ) ، وكان الفريق أول احمد اسماعيل علي وزير الحربية المصري والقائد العام للقوات المسلحة قد اعلن في ٢٢ تموز ١٩٧٣ « ان القوات المسلحة تقف مستعدة لتحرير الارض متمسكة بأن ما اخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة » ( النهار ١٩٧٣/٧/٢٣ ) فاذا أخذنا هذين القولين بمعناهما وحجمهما الكاملين وجدنا ان الارادة السياسية تتطلب العمل العسكري ، وان الجهاز العسكري يعلن عن وجود القوة [ الاداة ] اللازمة لهذا العمل والمستعدة له. ويبقى ان تنسجم الارادة السياسية مع الحقيقة العسكرية المعلنة ويبدأ العمل العسكري كاستمرار للسياسة بوسائل أخرى عنيفة بعد أن فشلت الوسائل الاخرى باعتراف وزير الخارجية الذي يطالب بعمل رادع — عسكري أساسا .

اما الخطة الدفاعية اللبنانية ، وتقوية الجيش اللبناني فأمر لا يزال في مضمار التمنيات والافكار ، وهو محط اهتمام القوى السياسية اللبنانية التي تتحاور حوله منذ أمد بعيد . ففي الوقت الذي يطالب به الرئيس كميل شمعون رئيس حزب الوطنيين الاحرار بـ « سياسة دفاعية شاملة »... و« تخطيط حديث لانشاء جيش حديث » ... و« اسلحة ثقيلة مهما كان مصدرها والى سلاح حديث يضاهي بجودته السلاح الموجود بين أيدي العدو الاسرائيلي بنوعيته وفاعليته » ( النهار ١٩٧٣/٨/٥ ) ، فاننا نجد قوى سياسية لبنانية تتخوف من مثل هذه الخطوات ، وتخشى تحول الجيش [ في الواقع الاجتماعي — الاقتصادي — السياسي اللبناني الحالي ] الى قوة قمع اكبر وأكثر فاعلية ، او قوة انقلابية تفقد البلد استقراره . وبالرغم من مطالبة الاستاذ كمال جنبلاط الامين العام للحزب التقدمي الاشتراكي بتدعيم الدفاع وحماية الثورة الفلسطينية فانه يرى ان دور الجيش مرتبط بطبيعة النظام — فالجيش صورة عن النظام الذي يخلقه ولا يخدم سوى مصالح الطبقات السائدة في هذا النظام — ، وما دامت تحفظاته على النظام قائمة فان تحفظاته على تسليح الجيش وزيادة عدده قائمة ، وهو لا يتردد في المطالبة بتحويل ميزانية الجيش [ بتكوينه الحالي ] الى التنمية والاعمار ، ويرى ان كل قرش يصرف على التسلح يرمى في البحر من دون فائدة ، ويؤكد « ما بعمري قلت ان النظام الحالي يحارب اسرائيل على الاطلاق ، دائما كنت اقول لا النظام الحالي ولا الجيش الحالي بيحاربوا اسرائيل ، لان هذا الجيش من هذا النظام » ( النهار ١٩٧٣/٧/٣٠ ) .

فالى ان تقوم الجبهة الشرقية التي يلغمها النظام الاردني . والى ان تتحرك الجبهة المصرية التي نجهل سر جمودها رغم وجود الداعي السياسي والاداة العسكرية . والى ان تحسم القوى السياسية اللبنانية مسألة بناء الجيش ووضع الخطة الدفاعية . والى ان تمارس الدول العربية البترولية ضغوطها الفعلية على واشنطن،فان حركة الثورة الفلسطينية معرضة لضربات العدو المتحرر من كل قيد سياسي او عسكري الامر الذي يجعل أمنها ( أمن قواعدها ومخيماتها ومؤسساتها وقياداتها ) يحتل المركز الاول في اهتماماتها . ولا يمكن لهذا الامن ان يحقق اغراضه الا اذا كان أمنا دفاعيا — هجوميا ، وكان مسؤولوه يتمتعون بالكفاءة التقنية العلمية والخيال اللازم لكل ابداع.

**المقدم الهيثم الايوبي**

# جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية من ١٤/٧/ — ١٣/٨/١٩٧٣

| الرقم | تاريخ العملية اليوم | تاريخ العملية الساعة | موقعها | نوع العملية | السلاح المستعمل | خسائر العدو البشرية قتيل | خسائر العدو البشرية جريح | خسائر العدو المادية | خسائر المقاومة شهيد | خسائر المقاومة جريح | خسائر المقاومة أسير | المصدر | تاريخه |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ١ | ٧/١١ | ١١،٠٠ | طولكرم | اعدام(١) | مسدس | ١ | | — | — | — | — | وفا | ٧/٣ |
| ٢ | ٧/١٦ | ٧،٣٠ | الحرم الابراهيمي/ الخليل | هجوم | السلاح الابيض | | ١ | الاستيلاء على سلاح احد الجنود | — | — | — | تصريح عسكري رقم٧٥٤ | ٧/١٦ |
| ٣ | ٧/١٩ | — | الخضيرة | تفجير | عبوات ناسفة | غيرمحدد | | تدمير المجمع الرئيسي للهاتف | — | — | — | تصريح عسكري رقم٧٥٥ | ٧/١٩ |
| ٤ | ٧/١٩ | — | القدس | تفجير | عبوات ناسفة | غيرمحدد | | تم تفجير العبوة في سوق محني يهودا بالقدس | — | — | — | تصريح عسكري رقم٧٥٦ | ٧/١٩ |
| ٥ | ٧/٢٥ | — | كريات اربع/الخليل | تفجير | عبوات ناسفة | غيرمحدد | | تدمير جزء من المصنع واندلاع النيران فيه | — | — | — | تصريح عسكري رقم٧٥٧ | ٧/٢٥ |
| ٦ | ٧/ ٧ | ٢١،٣٠ | بيسان/الغور الشمالي | تفجير | لغم | غيرمحدد | | تدمير سيارة لاندروفر | — | — | — | تصريح عسكري رقم ٧٥٨ | ٧/٢٥ |
| ٧ | ٧/٢٩ | — | شمال بتاح تكفا | تفجير | عبوات حارقة | غيرمحدد | | حرق ٩٠ دونما من الاراضي الحرشية | — | — | — | تصريح عسكري رقم٧٥٩ | ٧/٣٠ |
| ٨ | ٨/ ٣ | — | غزة | تفجير | عبوات ناسفة | — | — | تدمير جزء من خط سكة الحديد وتعطيله | — | — | — | تصريح عسكري رقم٧٦٠ | ٨/ ٧ |
| ٩ | ٨/ ٦ | — | عين يهاف/جنوب البحر الميت | تفجير | لغم | غيرمحدد | | تدمير جرار زراعي | — | — | — | تصريح عسكري رقم٧٦١ | ٨/ ٧ |
| ١٠ | ٨/ ٦ | — | بين اللد وتل ابيب | تفجير | عبوات ناسفة | غيرمحدد | | تدمير جزء من مقهى ومطعم نوح | — | — | — | تصريح عسكري رقم٧٦٢ | ٨/ ٧ |
| ١١ | ٨/ ٦ | ٧،٣٠ | جنوب غرب(٢) القدس | تفجير | عبوات ناسفة | غيرمحدد | | تدمير خط سكة الحديد وتدهور عربة واشتعال النيران فيها | — | — | — | تصريح عسكري رقم٧٦٣ | ٨/ ٧ |

## جدول بالعمليات العسكرية التي اعترف بها العدو الصهيوني من ٧/١٤ ــ ١٩٧٣/٨/١٣

| الرقم | تاريخ العملية اليوم | تاريخ العملية الساعة | موقعها | نوع العملية | السلاح المستعمل | خسائر العدو البشرية قتيل | خسائر العدو البشرية جريح | خسائر العدو المادية | خسائر المقاومة شهيد | خسائر المقاومة جريح | خسائر المقاومة مفقود | المصدر | تاريخه |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ١ ــ | ٧/١٦ | ٧،٣٠ | الحرم الابراهيمي/ الخليل | هجوم | السلاح الابيض | ــ | ١ | ــ | ــ | ــ | ١ | ن. عدد ٢٧١ ص ٢٨٨ | ٧/١٧ |
| ٢ ــ | ٧/١٩ | ١٠،١٧ | القــدس | تفجير | زجاجة فيها مواد حارقة | ــ | ٥ | تفجير في سوق محني يهودا في القدس | ــ | ــ | ــ | ن. عدد ٢٧٤ ص ٣١٦ | |
| ٣ ــ | ٥ /٨ | ــ | عين ياهف/جنوب البحر الميت | تفجير | لغم | ــ | ١ | تدمير الجرار الزراعي | | | | | |

١ ــ تم تنفيذ حكم الشعب بالعميل عبد الكريم ابو مصيصه لتعاونه مع العدو الاسرائيلي .

٢ ــ اعترف العدو بالعملية مدعيا بان القطار قد خرج عن خطه مما ادى الى تعطيل حركة القطارات ، ( نشرة رصد اذاعة اسرائيل [ التي تصدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية ] العدد ٢٨٨ ص ٤٤٨ بتاريخ ١٩٧٣/٨/٦ ) .

ملاحظة : تصــدر التصاريح العسكرية عن الاعــلام العسكري في القيــادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية .

غازي خورشيد

# ملف عن
# دول عدم الانحياز والقضية الفلسطينية

**اولا : مقدمة :**

كان لقاء بريوني عام ١٩٥٥ هو التعبير الاول عن ظهور كتلة دولية معادية للاستعمار ، والخطوة الاولى لتبلور فكرة عدم الانحياز . وعدم الانحياز كان في جوهره موقفا سياسيا في العلاقات الدولية يرفض الاستقطاب المطلق في العالم ويرفض الاحلاف العسكرية ، ويعتقد ان الاستقلال الوطني وحرية الاختيار لكل دولة هو الوضع الطبيعي للامور .

ولا شك في أن هذه الدول حين تتخذ موقفا برفض ان يكون الحق للقوة ، فهي انما تحاول حماية نفسها عن طريق ايجاد عالم اكثر امنا بالنسبة لها، خصوصا وان تجمع دول عدم الانحياز جاء في أوج المواجهة الحادة بين المعسكرين الدوليين. **فمكافحة الاستعمار ، وتشجيع استقلال الدول المستعمرة، والفصل بين المعسكرين وكسر منطق الحرب الباردة ، وابعاد شبح حرب عالمية ثالثة ،** تنعكس في الشروط الخاصة بالانضمام الى دول عدم الانحياز . وقد تحددت هذه الشروط في مؤتمر تحضيري عقد عام ١٩٦١ في القاهرة تمهيدا للمؤتمر الاول لدول عدم الانحياز ، وكانت مهمته تحدد الشروط التي يحق للدول استنادا اليها ان تشترك في المؤتمر الاول وتدخل في دائرة الدول غير المنحازة . هذه الشروط هي :

١ — اتباع سياسة مستقلة تقوم على اساس التعايش السلمي .

٢ — عدم الاشتراك في اي تحالف عسكري جماعي.

٣ — تأييد الحركات التحررية الاستقلالية .

٤ — عدم الاشتراك في أي تحالف عسكري ثنائي مع الدول الكبرى وعدم السماح بوجود قواعد عسكرية اجنبية في اراضيها .

بين مؤتمر القمة الاول لدول عدم الانحياز الذي عقد في العام ١٩٦١ والمؤتمر الرابع الذي سيعقد في شهر ايلول ( سبتمبر ) من هذا العام ، حدثت تطورات عديدة، خاصة في الساحة الدولية،سيكون لها ولا شك أثر على اتجاهات المؤتمر القادم .

فالاستعمار بشكله التقليدي المباشر ، على الاقل، انحسر الى حد كبير ، وازدادت درجة استقلال الدول الصغرى والمتوسطة ، واتجهت الدول الكبرى لانهاء الحرب الباردة في اوربا ، وحدث تقارب بين المعسكرين ، وضعف التماسك الذي كان قائما داخل كل من المعسكرين وظهرت شقوق داخل كل منهما .

ولقد انعكست هذه التطورات ، وخاصة جو التهدئة العالمي ، على مؤتمر وزراء خارجية دول عدم الانحياز الذي عقد في جورجتاون عام ١٩٧٢ . فظهر ان هذه الدول تشعر وتخشى ان يؤدي التفاهم وحل المشاكل بين الكبار الى اهمال قضايا الاقتصاد والتنمية للدول الصغيرة ، ولوحظ في هذا المؤتمر ان هم الدول اقتصادي بالدرجة الاولى .

وظهر في المؤتمر اتجاهان من الاراء حول الاتجاه العام لدول عدم الانحياز ودورها . أ — الاتجاه الاول يقول بأن مبدأ عدم الانحياز لا زال كما هو ، والمشكلة في التطبيق ، والمطلوب تنشيط دور دول عدم الانحياز . ب — اما الاتجاه الثاني فيقول بضرورة اعادة تقييم شاملة لدور هذه الدول في ضوء الواقع الجديد ، والتركيز على القضايا الاقتصادية والتجارية ، ومحاولة متابعة اثار التقارب بين الاقطاب والذي يقلب ، في نظرهم ، طريقة تطبيق مبدأ عدم الانحياز بأسره من عالم واقع وسط قطبين متناحرين ، الى عالم واقع وسط عالم يحكمه قطبان في طريقهما الى تعاون اوثق .

ليس لدول عدم الانحياز اطار تنظيمي معين تلتقي

في ظله ، بل هي تشكل ما يمكن تسميته باللقاء او التجمع . ولهذا لا تنبثق عن مؤتمرات هذه الدول هيئات تنفيذية لمتابعة القرارات او هيئات تمويلية ، كما لا تحدد مصادر للتمويل يمكن الاعتماد عليها . ويبدو ان هذا الامتناع عن اضفاء الطابع التنظيمي على مجموعة عدم الانحياز يهدف الى تجنب تعميق الخلافات بين دول المجموعة وتحاشيا لانفراط عقدها .

هذه الدول وان بدت انها لا تلتقي حول الفكرة العامة لعدم الانحياز ، الا انها ذات اتجاهات سياسية متباينة تظهر عندما تكون هناك قضايا تتطلب اتخاذ مواقف محددة . فبعض دول عدم الانحياز قد سجل تحفظات على قضية عدوان اسرائيل على الدول العربية ورفض ادانة هذا العدوان . كما رفض مثلا ان يقبل بالجزائر عاصمة ومقرا لمؤتمر قمة عدم الانحياز عام ١٩٧٠ . وفي الامم المتحدة وعند التصويت على قضية سياسة تغير خريطة التصويت وتتخذ صورة تغلب عليها الجوانب السياسية والاستراتيجية . وحين تلتقي الدول ذاتها في مؤتمر للتجارة الدولية مثلا تتغير خريطة التصويت ويصبح الحلفاء غير الحلفاء .

**ثانيا : قرارات مؤتمر عدم الانحياز بشأن فلسطين:**

عقدت حتى الان ثلاثة مؤتمرات قمة لدول عدم الانحياز ، كما عقد عدد من المؤتمرات التحضيرية او التمهيدية . اما مؤتمرات القمة الثلاثة فهي :

المؤتمر الاول عقد في بلجراد عام ١٩٦١ .

المؤتمر الثاني عقد في القاهرة عام ١٩٦٤ .

المؤتمر الثالث عقد في لوساكا عام ١٩٧٠ .

وسيعقد المؤتمر الرابع في الجزائر في شهر ايلول من هذا العام ( ١٩٧٣ ) .

كان الاجتماع الاول لدول عدم الانحياز الذي دعيت اليه منظمة التحرير الفلسطينية هو الاجتماع الاستشاري لهذه الدول الذي عقد في بلجراد في شهر تموز ١٩٦٩ . وقد حضرت منظمة التحرير المؤتمر بصفة « ضيف » . وفي مؤتمر وزراء الخارجية الذي عقد في جورجتاون عام ١٩٧٢ تقرر اعطاء منظمة التحرير صفة « العضو المراقب » بدلا من صفة « ضيف » ، وقد اعطيت الصفة لحركات التحرير التي دعيت الى المؤتمر كضيوف والمسجلة رسميا بهذه الصفة في مؤتمر لوساكا .

اما قرارات المؤتمرات بشأن فلسطين فهي :

**١ — قرار المؤتمر الاول لدول عدم الانحياز — بلجراد ١٩٦١ :** ادان المؤتمر « السياسات الامبريالية المتبعة في الشرق الاوسط » واعلن تأييده لاستعادة الحقوق الكاملة لشعب فلسطين العربي في ضوء ميثاق الامم المتحدة وقراراتها .

**٢ — قرار المؤتمر الثاني لدول عدم الانحياز — القاهرة ١٩٦٤ :** ادان المؤتمر « السياسة الاستعمارية » في الشرق الاوسط واعرب عن تأييده « لاستعادة شعب فلسطين العربي لجميع حقوقه الكاملة في ارضه بما في ذلك حقوقه الاصيلة والثابتة في تقرير المصير » .

**٣ — قرار المؤتمر الاستشاري لدول عدم الانحياز — بلجراد تموز ١٩٦٩ :** « ... وبعد أن استمع المؤتمر الى ممثلي منظمة التحرير الفلسطينية يؤكد المجتمعون من جديد قرار دول عدم الانحياز عام ١٩٦٤ الذي اعلن فيه رؤساء دول وحكومات الدول غير المنحازة طبقا لميثاق الامم المتحدة تأييدهم الكامل لاعادة الحقوق الكاملة للشعب الفلسطيني بعودته الى أرضه السليبة . ويعلن المجتمعون تأييدهم الكامل للشعب الفلسطيني في كفاحه من أجل التحرر من الاستعمار والعنصرية ومن أجل استعادة حقوقه ... » .

**٤ — المؤتمر التحضيري لدول عدم الانحياز — دار السلام نيسان ١٩٧٠ :** « ... في هذا الخصوص نادى المشتركون بتنفيذ قرارات الامم المتحدة الصادرة في هذا الشأن وخاصة قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ ، وطبقا لقرارات مؤتمرات عدم الانحياز السابقة ، فانهم يؤكدون ايضا ضرورة الاستعادة الكاملة لحقوق الشعب العربي الفلسطيني في وطنه المغتصب ، ويعلنون تأييدهم الكامل لنضال الشعب العربي الفلسطيني من أجل التحرير ضد الاستعمار والعنصرية واعادة حقوقه المشروعة » .

**٥ — قرار المؤتمر الثالث لعدم الانحياز — لوساكا ايلول ١٩٧٠ :** « ان ملوك ورؤساء دول وحكومات عدم الانحياز ... ويؤكدون عدم جواز حيازة الاراضي بالقوة ويطالبون بالانسحاب الفوري من كل الاراضي التي احتلتها اسرائيل بعد الخامس من حزيران ١٩٦٧ . ويعلنون احترامهم الكامل للحقوق المشروعة لشعب فلسطين ، وان صيانة هذه الحقوق شرط أساسي لتحقيق السلام في الشرق

الاوسط . ويطالبون بصيانة حقوق الشعب العربي في فلسطين في العودة الى اراضيهم ويؤكدون مساندتهم لهم في نضالهم لتحقيق حريتهم الوطنية في معركتهم ضد الاستعمار والصهيونية . ويؤكدون ضرورة التمسك بتنفيذ قرارات الامم المتحدة الخاصة بهذا الموضوع ... » .

٦ — مؤتمر وزراء خارجية الدول غير المنحازة — جورجتاون آب ١٩٧٢ : « ... اولى المؤتمر اهتماما خاصا بدراسة الوضع الخطير في الشرق الاوسط وادان استمرار اسرائيل في احتلالها الاراضي العربية كما أكد مساندته التي لا يحيد عنها لقضية الدول العربية العادلة والنضال العادل لشعب فلسطين العربي في سبيل استرداد حقوقه الوطنية ... » .

**ثالثا : دول عدم الانحياز :**

ان دول عدم الانحياز هي اجمالا الدول النامية ودول العالم الثالث ، وخاصة القارة الافريقية التي تشكل اكثرية ساحقة في مجموعة عدم الانحياز . ولقد ازداد عدد الدول المجموعة بشكل كبير بين المؤتمر الاول والمؤتمر الثالث .

ففي المؤتمر الاول كان عدد الدول ٢٥ دولة فقط بالاضافة الى مراقبين من ثلاث دول اميركية لاتينية. وحضر المؤتمر الثاني ٤٧ دولة بالاضافة الى مراقبين من عشر دول . اما في المؤتمر الثالث فكان عدد الدول ٥٤ دولة بالاضافة الى مراقبين من ثماني دول اميركية لاتينية . وهذه هي الدول التي حضرت مؤتمر لوساكا [ باستثناء الدول العربية وعددها ١٢ دولة ] :

**افريقيا** : ٢٩ دولة : اثيوبيا ، بوتسوانا ، توجو ، زامبيا ، سيراليون ، غانا ، الكاميرون ، كينيا ، ملاوي ، موريشوس ، جمهورية افريقيا الوسطى ، بورندي ، داهومي ، السنغال ، الصومال ، غينيا ، الكونجو الديموقراطية ( كنشاسا ) ، ليبيريا ، مالي ، نيجيريا ، اوغندا، تنزانيا ، رواندا ، سوازيلاند ، غامبيا ، غينيا الاستوائية ، الكونغو الشعبية ( برازافيل ) ، ليسوتو ، وموريتانيا .

**آسيا** : ٩ دول : افغانستان ، سيلان ، نيبال، اندونيسيا ، لاوس ، الهند ، سنغافورة ، ماليزيا، وقبرص .

**اميركا اللاتينية** : ٣ دول : جامايكا ، غيانا ، وكوبا .

**اوروبا** : دولة واحدة : يوغسلافيا .

**الاعضاء المراقبون** : ٨ دول : الارجنتين ، بيرو، فنزويلا ، البرازيل ، ترينداد وتوباجو ، كولومبيا، بوليفيا ، وتشيلي .

**رابعا : علاقات دول عدم الانحياز باسرائيل ومواقفها من القضية الفلسطينية :**

**١ — الدول الافريقية :**

تنبهت اسرائيل منذ وقت مبكر الى اهمية القارة الافريقية على الصعيدين السياسي والاقتصادي وبدأت تسللها الى القارة منذ العام ١٩٥٧ . وفي افريقيا ، والدول النامية عموما ، تجنبت اسرائيل اسلوب الاستعمار القديم ، وعرضت « خدماتها » لمساعدة « دول صديقة » في اهم المجالات التي تحتاجها الدول النامية والتي تركها الاستعمار القديم في مستوى الضعف . فاسرائيل ترسل الخبراء والمستشارين الى هذه الدول كما تستقبل الموفدين من هذه الدول لتلقي تدريبات مختصة في اسرائيل . وتشمل المساعدات والتدريبات التي تقدمها اسرائيل مجالات عدة : تنظيم وتدريب الجيش والشرطة ، والخدمة المدنية ،وشق الطرق والبناء ، ومجالات الزراعة المختلفة ، وتنظيم النقابات والتعاونيات ... الخ . وتقدم اسرائيل الان مساعدات لاكثر من ١٥ بلدا افريقيا . وقدرت المساعدات التي قدمتها عام ١٩٧٢ بـ ٥٥ مليون دولار ذهب معظمها الى الدول الاربع الاتية : نيجيريا ٤١ ٪ من مجموع المساعدات ، اثيوبيا ١٨ ٪ ، ساحل العاج ١٤ ٪ ، وكينيا ١١ ٪ . وقد حققت اسرائيل نتيجة لذلك علاقات وطيدة ونامية مع عدد كبير من الدول الافريقية .فلاسرائيل الان تمثيل دبلوماسي مع ٢٧ دولة افريقية ، وتتخذ بعض هذه الدول من القدس مقرا لممثليها الدبلوماسيين في اسرائيل . كما أن لاسرائيل ٢٠ اتفاقية للتعاون مع دول افريقية . كما تنعكس هذه العلاقات في المواقف التي تتخذها هذه الدول في الامم المتحدة . وتنعكس هذه العلاقات من جهة اخرى في نمو التبادل التجاري والاقتصادي . ففي البداية كانت اسرائيل تستورد من افريقيا اكثر مما تصدر لها ، اما الان فالصادرات الاسرائيلية في ازدياد بينما وارداتها تنخفض من افريقيا ، ومعظم

الصادرات الاسرائيلية هي صادرات صناعية تستورد افريقيا ما قيمته ١٠ ٪ من مجموع الصادرات الصناعية الاسرائيلية .

بعد عدوان اسرائيل عام ١٩٦٧ اتخذت بعض الدول الافريقية ، ذات الانظمة التقدمية ، مواقف تدين العدوان الاسرائيلي وتؤيد العرب . فقطعت غينيا علاقاتها باسرائيل ، وصنفت اسرائيل بعض الدول الاخرى على انها « مشكلة » على ذلك الاساس وهذه الدول هي : مالي ، تنزانيا ، زامبيا ، وبورندي .

وفي نهاية عام ١٩٧٢ واوائل ١٩٧٣ تعرضت العلاقات الاسرائيلية والافريقية الى نكسة كبيرة حيث قامت خمس دول بقطع علاقاتها مع اسرائيل وهذه الدول هي : اوغندا ، تشاد ، مالي ، النيجر ، والكونغو الشعبية ( برازافيل ) .

وتخشى اسرائيل ان تتعرض لمزيد من النكسات خصوصا في بعض دول غربي القارة والتي يكثر فيها السكان المسلمون مثل السنغال ، الكمرون، ونيجيريا . ونتيجة لذلك بدأت اسرائيل تركز علاقاتها مع دول جنوب القارة بشكل خاص مثل :

بوتسوانا ، وسوازيلاند ، وليسوتو . وهي دول تدور في فلك النظام العنصري بجنوب افريقيا . وقررت اسرائيل فتح ثلاث سفارات لها في كل من رواندا ، سوازيلاند وبوتسوانا .

وفيما يلي أبرز علاقات الدول الافريقية ( عدم الانحياز ) مع اسرائيل :

**اثيوبيا** : ان العلاقات بين اثيوبيا واسرائيل من أقدم واقوى العلاقات . فهيلاسلاسي يعتبر نفسه من سلالة داوود ويصر على أن يحمل لقب « أسد يهوذا » . والوجود الاسرائيلي واضح في كافة نشاطات الحياة في اثيوبيا . فالاسرائيليون يشرفون على تنظيم السير وهندسة الطرقات في العاصمة ، والمسؤول عن مرفأ اثيوبيا الرئيسي اسرائيلي ، ويشرف الاسرائيليون على صناعة الادوية ، كما يوجد مشرفون في مراكز استشارية وتدريبية عامة في الجيش الاثيوبي ، ويعملون الى جانب القوات الاميركية ، وكذلك في المخابرات . واثيوبيا وان كانت تقف الى جانب تنفيذ قرار مجلس الامن الصادر عام ٦٧ الا انها لا تخفي تأييدها الكامل لاسرائيل . وتعبر عن ذلك في الامم المتحدة بموقفها القائل بعدم فصل سحب القوات عن القضايا الاخرى .

**جمهورية افريقيا الوسطى** : لاسرائيل علاقات قوية ومتنوعة مع جمهورية افريقيا الوسطى . فقد كان لاسرائيل هناك بعثة وشركات . ونقلت جمهورية افريقيا الوسطى سفارتها الى القدس . الا ان العلاقات بين البلدين ساءت في اواسط العام ١٩٧١ حيث قامت جمهورية افريقيا الوسطى بتصفية شركة اسرائيلية تعمل في استخراج الماس وطردت العاملين فيها من البلاد .

وعلى الصعيد الدولي تتخذ جمهورية افريقيا الوسطى مواقف مؤيدة لاسرائيل كما تمثل ذلك في الامم المتحدة على اثر عدوان ١٩٦٧ وفي الدورة الاخيرة عام ١٩٧٢ .

**اوغندا** : تتخذ الان موقفا معاديا جدا لاسرائيل وتحاول اقناع بعض الدول الافريقية الاخرى لكي تحذو حذوها في قطع علاقاتها باسرائيل وتصفية الوجود الاسرائيلي بداخلها ومحاربتها في المجالات الدولية .

**بوتسوانا ، وليسوتو ، وسوازيلاند** : ان هذه الدول الثلاث [ ويمكن ان يضاف اليها ايضا ملاجاسي وملاوي ] دول صغيرة خاضعة الى حد كبير لتأثير ونفوذ جنوب افريقيا . ومن المعروف ان العلاقات بين اسرائيل وجنوب افريقيا قوية للغاية ، ويتعاون البلدان في أكثر من مجال وخاصة في المجال العسكري . وقد عمدت اسرائيل الى زيادة نفوذها في هذه الدول ولها بعثات فنية في ليسوتو وسوازيلاند وملاوي . وتتخذ هذه الدول مواقف مؤيدة لاسرائيل .

**بورندي** : هناك علاقات دبلوماسية بين بورندي واسرائيل الا انه يمكن القول ان هذه العلاقات ليست قوية اذ ليس لكل منهما ممثلون دبلوماسيون في البلد الاخر . بعد عدوان حزيران اتخذت بورندي موقفا معاديا جدا لاسرائيل . وفي الامم المتحدة تعلن ان اسرائيل يجب ان تنسحب من الاراضي المحتلة . كما تعلن انه لا بد من حل المشكلة الفلسطينية .

**تنزانيا** : كان لاسرائيل وجود قوي في البداية في تنزانيا . وقد عمل نيريري ، الرئيس التنزاني ، لاخراج الخبراء الاسرائيليين . وعند عدوان حزيران اتخذت تنزانيا موقفا شديد العداء لاسرائيل ، ثم اغلقت اسرائيل قنصليتها في زنزبار . وتأزمت العلاقات بين البلدين في اوائل عام ١٩٧٠ بسبب موقف تنزانيا المؤيد للعرب . وسحبت اسرائيل

سفيرها من دار السلام وتناقص عدد الدبلوماسيين الاسرائيليين هناك . الا انه هناك جماعة داخل الحكم في تنزانيا تميل الى اسرائيل وتقول بأن قطع العلاقات مع اسرائيل سيضر بالبلاد اقتصاديـا وسياسيا .

**توجو :** لاسرائيل علاقات قوية في توجو ولها وجود ملموس هناك يتمثل بوجود بعثة اسرائيلية لتدريب الشباب ، كما ان اسرائيل تزود توجو بالاسلحة. وفي الامم المتحدة تقف توجو موقفا مؤيدا صراحـة لاسرائيل ، تعبر عنه بالدعوة الى احترام سيادة وسلامة كل دول المنطقة .

**داهومي :** وداهومي ايضا من الدول التي لاسرائيل وجود قديم فيها . فاسرائيل مثلا هي التي أنشأت الياتصيب الوطني هناك ، كما ان لها بعثة ناحل في داهومي . وقد عبر رئيس جمهورية داهومي عن موقف بلاده تجاه القضية ( ١٩٧٢/٨/٢٩ ) بأن بلاده « تقف على الحياد في قضية الشرق الاوسط ، الا ان اسرائيل قد ساهمت بقسط وافر بتنمية فلاحتنا » . تقف داهومي في الامم المتحدة اجمالا مع اسرائيل . وسفارتها في القدس .

**السنغال :** لاسرائيل وجود في السنغال . فالشركة التي تتولى انتاج السكر في السنغال تكونت برأس مال صهيوني . ولاسرائيل بعثة لتدريب الشباب في السنغال . ومع ذلك فان السنغال تقف الى جانب القضية العربية في كل المجالات الدولية في الامم المتحدة ، عدم انحياز ، ومنظمة الوحدة الافريقية . وفي الامم المتحدة تكون السنغال عادة من الدول المبادرة الى تقديم مشاريع قرارات مؤيدة للعرب . وقد سبق للرئيس سنغور أن صرح بأن الطريقة التي أنشئت بهـا اسرائيل الحقت اضرارا بمصالح الفلسطينيين الذين يعيش أكثر من مليون منهم في المخيمات . وفي السنغال تأييد شعبي وقوي للقضايا العربية . ويوجد فريق في الحزب الحاكم وفي الجمعية الوطنية يؤيد اسرائيل الا ان اثره محدود نظرا الى التأييد الشعبي العام للعرب وللنفوذ الشخصي للرئيس سنغور بين اعضاء الحزب .

**سيراليون :** وقفت سيراليون في المناسبات الدولية الى جانب اسرائيل . ساعدت اسرائيل سيراليون في بناء الاكاديمية العسكرية ، كما عملت ثلاث شركات اسرائيلية لاقامة وتشغيل مصفاة النفط في العاصمة فريتاون . بل وحدث على اثـر حرب حزيران ان أعلن مفتي سيراليون امام ١٥ الف مسلم في احد المساجد « ان الاماكن المقدسة هي بين أيد صالحة تحت الاشراف الاسرائيلي » .

**الصومال :** في الصومال نظام تقدمي حدد هويته الى جانب نضال الشعوب المقهورة وضد الاستعمار والعنصرية في كل مكان . وتعتبر الصومال نفسها في حالة حرب مع اسرائيل . وليس لها بالطبع اية علاقات بها .

**رواندا :** وهي من الدول التي وقفت موقفا مؤيدا لاسرائيل ، صريح العداء للعرب . وتعبر رواندا عن ذلك بالوقوف الى جانب اسرائيل في المناسبات الدولية والدعوة الـى المفاوضات بين العـرب واسرائيل « لان الجهود لمحو اسرائيل قد كتب لها الفشل » . لاسرائيل بعثة ناحل في رواندا ، كما قررت اسرائيل اخيرا افتتاح سفارة لها هناك.

**زامبيـا :** قدمت اسرائيـل في السابق بعـض المساعدات لزامبيا خاصة في مجـال الزراعة . وكانت بينهما علاقات اقتصادية وتجارية قوية الا انها ضعفت شيئا بعد التأميمات التي حدثت في زامبيا . على الصعيد السياسي ليس لزامبيا بعثة دبلوماسية في اسرائيل وان كان للاخيرة سفارة في لوساكا . اما في المناسبات الدولية فزامبيا تتخذ موقفا مضادا لاسرائيل بصورة مستمرة . وتعتبر ان حل أزمة الشرق الاوسـط يجب ان يتضمن الانسحاب الاسرائيلي كشرط مسبق لاية محادثات سلام ، وكذلك اعطاء حالة اللاجئين الفلسطينيين الاعتبارات الانسانية اللازمة .

**غانا :** كان لاسرائيل وجود قوي قديم في غانا حيث قدمت اسرائيل لغانا مساعدات في مجالات كثيرة : مدرسة طيران ، وبحرية وناحل وزراعة ...الخ. لكن المساعدات العسكـرية صفيت تدريجيـا . وتحسنت العلاقات بعد الاطاحة بنظام نكروما . وعبر رئيس مجلس الثورة في غـانا عن تقديره للمساعدات التي منحتها اسرائيل لغانا في مختلف المجالات . كما تعتبر غانا اسرائيل دولة صديقة . والعلاقات التجارية ناميـة بين البلدين وكذلك العلاقات في الميادين الاخرى . وقد وقفت غانا بصورة مستمرة الى جانب اسرائيل في المحافل الدولية .

**غينيا :** كانت غينيا اول دولـة تقطع علاقاتهـا باسرائيل اذ اعلنت ذلك في الخامس من حزيران ١٩٦٧ . وتعتبر غينيا اسرائيل أداة امبريالية ،

كما ترى بأنه لا يمكن فصل القضية العربية عن أماني الشعوب الافريقية • وهي تعتبر نفسها في صف واحد مع الشعوب العربية في محاربة اسرائيل والامبريالية .

**غينيا الاستوائية** : تتخذ غينيا الاستوائية موقفا معاديا لاسرائيل ومؤيدا للعرب وقضية فلسطين . فقد أعلنت في الامم المتحدة ان على اسرائيل ان تفهم ان الاسرة الدولية لن تبقى غير مبالية لاحتلالها الاراضي العربية ، وان السلام لن يتحقق بدون انسحاب اسرائيل والاعتراف بالحق الشرعي للفلسطينيين بتقرير مصيرهم .

**الكمرون** : تتخذ الكمرون موقفا اقرب الى تأييد العرب على الصعيد الدولي . لكن علاقاتها باسرائيل قوية . فمنذ العام ١٩٦٦ قام ضباط الجيش الاسرائيلي بانشاء شبكة « ناحل » في الكمرون ، كما عمل الخبراء الاسرائيليون على نشر القرى الزراعية الشبيهة « بالموشاف » في الكمرون. وفي الكمرون الان معهد تدريب يشرف عليه الاسرائيليون .

**الكونجو الديمقراطية ( زائير )** : ان علاقات اسرائيل من اقوى العلاقات بزائير واعمقها في افريقيا . وزائير من الدول القليلة التي تتلقى مساعدات عسكرية بحتة من اسرائيل . وقد وقعت اتفاقية للتعاون العسكري بين البلدين في أيلول ١٩٧١ ، وتقضي باستمرار عمل المدربين الاسرائيليين في جيش زائير . كما توجد بين البلدين معاهدة صداقة تنص على تشجيع التبادل الثقافي .

**الكونجو الشعبية** : كانت الكونجو هدفا للتسلل الاسرائيلي . لكن النظام التقدمي هناك أدان العدوان الاسرائيلي بشدة ، ثم اخذت العلاقات تتدهور بين البلدين الى أن أعلنت الكونجو قطع علاقاتها باسرائيل في ٣١ كانون الاول ١٩٧٢ ونددت بالسياسة التوسعية لاسرائيل . وكان سبق للرئيس نجواي ان اعلن أن بلاده تدين السياسة الاسرائيلية الهتلرية ، وان موقف بلاده واضح وصريح من مشكلة الشرق الاوسط. وان «سياستنا هي الدفاع عن فلسطين وحقوق شعبها ضد الدويلة المعتدية اسرائيل التي تخدم أهداف الاستعمار والامبريالية في المنطقة » .

**كينيا** : تحاول كينيا على الصعيد الرسمي ان تأخذ موقفا محايدا من أزمة الشرق الاوسط . فهي تعارض استمرار حالة الحرب ضد اسرائيل ، وفي الوقت نفسه لا توافق على احتلال اسرائيل للاراضي العربية . الا ان النفوذ الاسرائيلي قوي للغاية في كينيا وخاصة في المجالات الاقتصادية والثقافية . يساعد على ذلك النفوذ الاميركي والبريطاني القوي في كينيا . وتبذل اسرائيل الان جهودا للسيطرة على منطقة الساحل ، معقل الطوائف الاسلامية ، حيث تتمركز العناصر المؤيدة للعرب ، وخاصة بعد ظهور اتجاهات مؤيدة علانية للمقاومة الفلسطينية هناك . وتحاول اسرائيل من خلال عملائها الضغط على الصحافة المؤيدة للعرب ، كما تعمل لاقصاء العناصر المعادية لها عن مراكز الحكم .

**ليبيريا** : لاسرائيل علاقات متينة سياسية واقتصادية وفنية مع ليبيريا . تقف ليبيريا الى جانب اسرائيل في المحافل الدولية ، وتدعو جميع الاطراف لتنفيذ قرار مجلس الامن . وعبر رئيس ليبيريا عن هذا الموقف في رسالة له الى جولدا مئير عام ١٩٧١ ، اذ قال ان بلاده ستطلب من منظمة الوحدة الافريقية اتباع سياسة اكثر توازنا تجاه ازمة الشرق الاوسط . وقد نقلت ليبيريا سفارتها الى القدس .

**ملاوي** : تتخذ ملاوي موقفا عدائيا صريحا تجاه العرب ، وترتبط باسرائيل بعلاقات وثيقة في كافة المجالات . ولا ينفصل موقف ملاوي هذا عن سياستها العامة اذ هي تدور في فلك جنوب افريقيا وتؤيد بصراحة السياسات العنصرية لجنوب افريقيا وروديسيا ، وكافة السياسات الاستعمارية في افريقيا ، وملاوي ترفض ان توصف اسرائيل بالمعتدية ، وتعتبر عمل المقاومة الفلسطينية متعارضا مع ميثاق الامم المتحدة . وقد قيل عام ١٩٦٨ ان ملاوي ارسلت مئات المقاتلين للعمل في القوات العسكرية الاسرائيلية . ولم ينف رئيس ملاوي ذلك اذ قال « ان لدى الافريقيين اسبابا لمقاتلة العرب الذين استعبدونا قرونا طويلة ».

**مالي** : قطعت مالي علاقاتها مع اسرائيل في بداية هذا العام . وكانت مالي تتخذ موقفا معاديا لاسرائيل في المحافل الدولية وتعتبر ان هناك حربا بين الشعب الفلسطيني واسرائيل الا انها اتسعت الى أبعد من ميدان المعركة الاصلية . وتطالب ان تتخذ الامم المتحدة اجراءات عنيفة ضد اسرائيل كالطرد من عضويتها .

**موريتانيا** : لم تقم موريتانية أية علاقات مع اسرائيل على الاطلاق .

**نيجيريا** : ركزت اسرائيل على نيجيريا منذ وقت طويل بالنظر لاهمية هذه الدولة ، أكبر الدول الافريقية . ولاسرائيل علاقات بنيجيريا حتى قبل حصول الاخيرة على استقلالها . ووطدت اسرائيل علاقاتها باقاليم نيجيريا الثلاثة باستثناء الاقليم الشمالي حيث السكان مسلمون ويزيد عددهم على نصف سكان البلاد . تقدم اسرائيل لنيجيريا مساعدات مختلفة : مشاريع المياه ، شق الطرق ، اقامة الفنادق ، وتنظيم الزراعة .

ولاسرائيل عدة شركات تعمل في نيجيريا . وقد اهتزت العلاقات بين البلدين اثناء الحرب الاهلية في نيجيريا حيث قدمت اسرائيل مساعدات عسكرية الى بيافرا . تقف نيجيريا في المحافل الدولية مؤيدة للعرب ، الا ان علاقاتها باسرائيل ، خاصة العلاقات التجارية ، في نمو مستمر . فقد ارتفعت صادرات اسرائيل الى نيجيريا من ٢،٥ مليون دولار عام ١٩٦٧ الى ٥ ملايين دولار عام ١٩٧١ ، في حين لا تكاد اسرائيل تستورد شيئا من نيجيريا ، اذ لا تزيد قيمة هذه الواردات على ٣٠ الف دولار فقط .

## ٢ — الدول الاسيوية :

عملت اسرائيل منذ البداية لتحقيق وجودها في آسيا ، واستطاعت اقامة علاقات قوية مع عدد من الدول خصوصا في الشرق الاقصى . الا ان هذا النجاح كان دون نجاح اسرائيل في افريقيا . وارسلت اسرائيل بعثاتها لبورما وكمبوديا ولاوس ونيبال وتايلاند والفلبين . وتعمل اسرائيل حاليا لتقوية علاقاتها مع عدد من هذه الدول خصوصا المرتبطة منها بالمعسكر الغربي بصورة صريحة ، مثل كمبوديا ، كوريا الجنوبية ، فيتنام الجنوبية ، تايلاند ، سنغافورة واليابان .

أما علاقات اسرائيل بالدول غير المنحازة في آسيا فهي عموما ضعيفة : فهناك اربع دول لا تقيم علاقات دبلوماسية مع اسرائيل ، وعلاقتها مع الهند ضعيفة . وتتخذ هذه الدول مواقف مضادة لاسرائيل كما سيتضح فيما يلي :

**افغانستان** : ليس لافغانستان أي نوع من العلاقات مع اسرائيل . وهي تقف باستمرار موقفا شديد العداء من اسرائيل في كل المناسبات . كما انها تؤيد قضية فلسطين والقضايا العربية بصورة دائمة وصريحة .

**اندونيسيا** : تقف اندونيسيا في المناسبات الدولية مؤيدة للعرب وضد اسرائيل . فاندونيسيا هي أكبر دولة اسلامية ولها علاقات تقليدية مع الدول العربية . الا ان علاقات النظام [المتمثل بسوهارتو] بالمعسكر الغربي مكنت اسرائيل من اقامة علاقات اقتصادية مع اندونيسيا . كما قامت بعثة اسرائيلية على اثر حرب حزيران بزيارة اندونيسيا وعرضت على المسؤولين هناك قطع غيار لطائرات الميج .

وفي بداية هذا العام صرح وزير خارجية اندونيسيا بأنه ليست لدى اندونيسيا اية مشكلة بالنسبة الى الاعتراف باسرائيل بعد ان تسحب قواتها من الاراضي العربية طبقا لقرار مجلس الامن .

**سنغافورة** : تهتم اسرائيل اهتماما كبيرا بسنغافورة — المدينة — الدولة التي تعتبر هونج كونج ثانية . وتوطد علاقاتها معها ، وتقدم لها المساعدات والخبراء . وتتخذ اسرائيل من سنغافورة مركزا لتجنيد افراد من القوات المختلفة المنسحبة من فيتنام لا سيما الطيارين الاستراليين . وكان بين اسرائيل وسنغافورة علاقات عسكرية وثيقة حيث كان المستشارون الاسرائيليون يقومون بتدريب جيش سنغافورة كما ترسل هذه قواتها الى اسرائيل للتدريب على الدبابات التي اشترتها من اسرائيل عام ١٩٧٠ . الا ان سنغافورة قامت عام ١٩٧١ بابعاد كل الخبراء العسكريين الاسرائيليين بعد ضغط شعبي كبير احتجاجا على وجودهم . ويوجد بين البلدين اتفاقيات . ولاسرائيل علاقات اقتصادية وتجارية قوية مع سنغافورة اذ تأتي هذه في المرتبة الرابعة بين الدول الاسيوية التي تستورد من اسرائيل . وقد ارتفعت صادرات اسرائيل الى سنغافورة من ٣ ملايين دولار عام ١٩٦٩ الى ١٠ ملايين عام ١٩٧١ . وتستورد اسرائيل منها بحوالي ٢،٥ مليون دولار . وتقف سنغافورة الى جانب اسرائيل في الامم المتحدة على الرغم من انها صوتت الى جانب اعتبارها عضوا مراقبا في دول عدم الانحياز ، اثناء مؤتمر جورجتاون .

**سيلان** : قطعت سيلان ، بعد ان جاءت بندرانيكه الى الحكم ، علاقاتها باسرائيل ، او بالاصح أعلنت تجميدها لهذه العلاقات الى ان تنسحب اسرائيل من الاراضي المحتلة .

**لاوس** : تحاول لاوس ان تتخذ موقفا واسعا من نزاع الشرق الاوسط . لكنها تمتنع عن التصويت

على القرارات التي تدين اسرائيل .

**ماليزيا** : ليس لماليزيا علاقات دبلوماسية مع اسرائيل وتقف ضدها في المناسبات الدولية . وترى انه لا يتحقق السلام في الشرق الاوسط دون احترام الحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني . الا ان بين البلدين علاقات اقتصادية جيدة .

**نيبال** : تقوم بين نيبال واسرائيل علاقات دبلوماسية على مستوى سفارة . تحاول نيبال ان تأخذ موقفا متوازيا بالنسبة لازمة الشرق الاوسط . فهي لا تخفي عطفها على اسرائيل ، ولكنها في الوقت نفسه ترى ان على اسرائيل ان تنسحب من الاراضي المحتلة ، وانه لا بد من اعتبار مشكلة اللاجئين في أي حل .

**الهند** : تقف الهند الى جانب الدول العربية منذ قيام اسرائيل . ورفضت جميع المحاولات التي بذلتها اسرائيل لاقامة علاقات دبلوماسية معها ، واكتفت الهند باعترافها باسرائيل اعترافا واقعيا . ولاسرائيل قنصل عام في بومباي ، وتحاول اسرائيل نقل قنصليتها الى الهند الا ان هذه ترفض ذلك . وتحرص اسرائيل على ان تكون الهند نقطة انطلاقها نحو آسيا ولذا فان قنصلها هناك هو بدرجة مفوض ، مع العلم ان حزب المؤتمر الهندي مؤيد للعرب . الا ان لاسرائيل نفوذا في اوساط الصحافة وفي الاحزاب اليمينية الموالية لاميركا . تقف الهند مواقف مضادة لاسرائيل في كافة المجالات الدولية ، وأعلنت على لسان رئيسة وزرائها انها تدين اسرائيل ويجب التأثير عليها لكي تنفذ قرار مجلس الامن ، وانه « لا يمكننا تجاهل حق الشعب الفلسطيني المقدس في وطنه الذي طرد منه » .

**قبرص** : تقف قبرص الى جانب القضايا العربية بصورة دائمة . لاسرائيل سفارة في نيقوسيا ، وقد كان لقبرص تمثيل غير مقيم في اسرائيل الا انها ألغته منذ عام ١٩٦٣ . ويقول المسؤولون القبارصة — اليونانيون ان وجود السفارة الاسرائيلية يعود الى وقت قديم وكان نتيجة الضغط من تركيا . الا ان لاسرائيل علاقات قوية متعددة مع قبرص: علاقات ثقافية ، تبادل الوفود ، وتدريب قبارصة في شؤون الزراعة . وهناك اتفاقية تجارية بين البلدين ، وتزيد صادرات اسرائيل الى قبرص عن ٥ ملايين دولار في العام . وتزور قبرص أعداد كبيرة من السياح الاسرائيليين ، وللتشجيع على ذلك قامت اسرائيل بتخفيض رسوم السفر الى قبرص.

**٣ — دول امركا اللاتينية :**

تعتبر دول اميركا اللاتينية ، بوجه عام ، كتلة الى جانب اسرائيل . وساعد على توطيد العلاقات بين اسرائيل ودول القارة عدة عوامل : النفوذ والتأثير الاميركي ، النفوذ الصهيوني من خلال الجاليات اليهودية ، والمساعدات الاسرائيلية التي تقدمها لدول القارة . ولاسرائيل بعثات عسكرية وغير عسكرية في عدد كبير من تلك الدول . والنفوذ الصهيوني قوي في وسائل الاعلام ، وكذلك النفوذ المالي . ففي عام ١٩٧٠ مثلا جمعت الطائفة اليهودية في الارجنتين (٤٥٠ الفا ) مبلغ ٢٠٠ مليون دولار . وتعتمد اسرائيل على أصوات دول القارة في الامم المتحدة . ففي عام ١٩٧٠ عارضت ١٦ دولة فقط مشروع قرار اسيوي — افريقي ، كان منها ٨ دول من اميركا اللاتينية . وفي عام ١٩٧٢ قبلت اسرائيل عضوا مراقبا في منظمة الدول الاميركية .

*

بالنسبة لعدم الانحياز هناك ثلاث دول فقط تشترك في المؤتمرات كاعضاء عاملين هي : جامايكا ، غيانا ، كوبا .

تتخذ **جامايكا** بوجه عام موقفا مؤيدا لاسرائيل ، الا انها احيانا تقف الى جانب بعض القضايا العربية . وفي **غيانا** نظام تقدمي معادي لاميركا وتتخذ موقفا صريحا في تأييد القضايا العربية وكفاح شعبنا ، كما انعكس ذلك في مؤتمر وزراء خارجية دول عدم الانحياز الاخير الذي عقد في غيانا . وبالطبع تقف **كوبا** الى جانب القضية الفلسطينية ونضال شعبنا . وتعلن دائما ان لا سلام في الشرق الاوسط دون الاحترام الكامل للحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني .

**الاعضاء المراقبون في مجموعة عدم الانحياز :**

**الارجنتين** : في الارجنتين نفوذ صهيوني قوي للغاية ، خاصة وان الطائفة اليهودية تتركز اجمالا في العاصمة بوينس ايرس ، ويسيطر الصهيونيون على مفاتيح الحياة الرئيسية في البلاد . ويسيطرون على وسائل الاعلام ولهم نفوذ واسع في السياسة الخارجية والاقتصادية . وتشمل العلاقات بين اسرائيل والارجنتين مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والفنية . وتبذل اسرائيل نشاطا مكثفا في الارجنتين ، وتشتري منها حوالي ثلث ما تشتريه من جميع دول

القدرة . الا ان هناك احتمالات كبيرة لتحول السياسة الارجنتينية بعد وصول الحركة البيرونية الى الحكم . ففي العام الماضي أعلنت هذه الحركة ممثلة في حزب العدالة الذي يضم الغالبية من نقابات العمال ، تأييدها للعرب وللقضية الفلسطينية ، وشكلت بالفعل لجنة باسم « لجنة الانصاف والتضامن مع فلسطين الحرة » .

**البرازيل** : منذ مدة والديكتاتورية العسكرية في البرازيل توطد علاقاتها المختلفة مع اسرائيل . وتسيطر المؤسسات الصهيونية على اكثر من ٩٠ ٪ من وسائل الاعلام في البرازيل . وقد نقلت المنظمة الصهيونية العالمية مركز نشاطها من الارجنتين الى البرازيل . وبين البلدين اتفاقية بشأن الاستخدام السلمي للطاقة الذرية . وتساعد اسرائيل البرازيل على دعم سلاحها الجوي .

**بوليفيا** : تقف بوليفيا موقفا صريحا في تأييدها لاسرائيل . وتعمل اسرائيل في استثمار الثروة المعدنية في بوليفيا . كما توجد بين البلدين اتفاقية تقدم اسرائيل بموجبها مساعدات لبوليفيا في عدد من المشروعات المختلفة وخاصة المشروعات الزراعية . وفي بوليفيا بعثة إسرائيلية .

**بيرو** : منذ عامين تصوت بيرو الى جانب القضية العربية في الامم المتحدة ، الا ان البيرو هي من الدول القليلة التي تتلقى مساعدات عسكرية مباشرة من اسرائيل .

**تشيلي** : تقف الى جانب القضية العربية . وقد هاجر عدة الاف من اليهود من تشيلي بعد حكم الليندي بسبب السياسة الاقتصادية لهذا النظام. النفوذ الصهيوني ضعيف في تشيلي وفي حكومة الليندي عناصر يهودية الا انها غير صهيونية .

**فنزويلا** : تقدم اسرائيل لفنزويلا مساعدات خاصة في المجالات الزراعية واستغلال المياه الجوفية . وفنزويلا مؤيدة لاسرائيل بوجه عام . سفارتها في القدس لكنها لا تعارض القرارات المؤيدة للعرب في الامم المتحدة .

**كولومبيا** : تقدم اسرائيل مساعدات تقنية الى جيش بوليفيا . وتقف كولومبيا صراحة الى جانب اسرائيل في المجالات الدولية . وبين البلدين اتفاقية تجارية .

**يوغسلافيا** : يوغسلافيا هي الدولة الاوروبية الوحيدة في مجموعة دول عدم الانحياز ويوغسلافيا لعبت دورا اساسيا في خروج دول عدم الانحياز كتجمع او كتلة دولة الى حيز الوجود . وتلعب دورا بارزا في محاولة تنشيط دور هذه الدول . منذ عدوان اسرائيل ٦٧ قطعت يوغسلافيا علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل ، وهي تقف موقفا شديدا في ادانتها للعدوان الاسرائيلي . وقد صرح مسؤولون يوغسلاف ان يوغسلافيا قدمت وتقدم دعما سياسيا وماديا للمقاومة الفلسطينية . الا ان تيتو صرح بانه يعتقد « ان هناك قسما من الفلسطينيين يريد تصفية اسرائيل وهو أمر لا اعتبره مقبولا » . ومع ذلك فان لاسرائيل علاقات اخرى بيوغسلافيا وخاصة في المجال التجاري اذ يبلغ حجم التبادل التجاري بينهما حوالي ٢٠ مليون دولار ، اي كما كان تقريبا عام ١٩٦٧ .

**ملاحق :**

**١ — مواقف دول عدم الانحياز من القضية في الامم المتحدة ١٩٦٧ :**

| | تأييد | عداء | وسط |
|---|---|---|---|
| أثيوبيا | | — | |
| جمهورية افريقيا الوسطى | | | — |
| أوغندا | — | | |
| بوتسوانا | | — | |
| بوروندي | — | | |
| تنزانيا | — | | |
| توجو | | — | |
| داهومي | | — | |
| رواندا | | | — |
| زامبيا | — | | |
| السنغال | — | | |
| سوازيلاند | — | | |
| سيراليون | | — | |
| الصومال | — | | |
| غامبيا | | — | |
| غانا | | — | |
| غينيا | — | | |
| غينيا الاستوائية | — | | |
| الكامرون | | | — |
| زائير | | | — |

| | تأييد | عداء | وسط |
|---|---|---|---|
| الكونجو الشعبية | — | | |
| كينيـــا | | | — |
| ليبيـريــا | | — | |
| ليسـوتو | | — | |
| ترينداد وتوباجو | | — | |
| تشيلي | | — | |
| فنزويلا | | — | |
| يوغوسلافيا | — | | |
| مـــلاوي | | — | |
| مـــالي | — | | |
| موريتانيا | — | | |
| موريشوس | | | |
| نيجيريـــا | — | | |
| افغانستــان | — | | |
| أندونيســيا | — | | |

| | تأييد | عداء | وسط |
|---|---|---|---|
| سنغافورة | | | — |
| ســيلان | — | | |
| لاوس | | | — |
| ماليزيــا | — | | |
| نيبـــال | — | | |
| قبرص | — | | |
| الهنـــد | — | | |
| جـــامايكا | | — | |
| غيـــانـــا | | — | |
| كــوبـــا | — | | |
| الارجنتين | | — | |
| البرازيل | | — | |
| بوليفيـــا | | — | |
| بيرو | | — | |

**٢ ـ الدول التي لم تؤيد مشروع القرار الاسيوي ـ الافريقي الذي تبنته الامم المتحدة عام ١٩٧٢ :**

افريقيا الوسطى ، توجو ، غانـا ، ليبيريـا ، بوليفيا ، فنزويلا ، وكولومبيا .
ليسوتو ، ملاوي ، لاوس ، سنغافورة ، البرازيل ،

**٣ ـ دول عدم الانحياز التي قطعت علاقاتها باسرائيل بعد ١٩٦٧ :**

يوغوسلافيا ، اوغندا ، غينيا ، مالي ، والكونجو الشعبية .

**٤ ـ الدول التي نقلت سفاراتها الى القدس :**

جمهورية افريقيا الوسطى ، زائير ، داهومي ، ليبيريا ، كولومبيا وفنزويلا .

**٥ ـ الدول التي تتلقى مساعدات من اسرائيل :**

**مساعدات عسكرية :** زائير ، سنغافورة ، وبيرو.

**مساعدات خاصة :**

| البلد | المهنــة | البلد | المهنــة |
|---|---|---|---|
| داهومي | ناحل | ليسوتو | ناحل + شباب |
| توجـــو | ناحل | ملاوي | ناحل |
| السنغال | شباب | | |
| سوازيلاند | شباب + ناحل | بوليفيا | ناحل |
| رواندا | ناحل | الكمرون | ناحل + معهد تدريب |

## ٦ — تقييم عام لمواقف دول عدم الانحياز من القضية :

| الدولة | جيد | سلبي | وسط |
|---|---|---|---|
| أثيوبيا | | — | |
| جمهورية افريقيا الوسطى | | | — |
| أوغندا | — | | |
| بوتسوانا | | — | |
| بوروندي | | | — |
| تنزانيا | — | | |
| توجو | | — | |
| داهومي | | — | |
| رواندا | | — | |
| زامبيا | — | | |
| السنغال | | | — |
| سوازيلاند | | — | |
| سيراليون | | — | |
| الصومال | — | | |
| غامبيا | | | |
| غانا | | — | |
| غينيا | — | | |
| غينيا الاستوائية | — | | |
| الكمرون | | | — |
| الكونجو الشعبية | — | | |
| كينيا | | | — |
| ليبيريا | | — | |
| ليسوتو | | — | |
| ملاوي | | — | |
| مالي | — | | |
| موريتانيا | — | | |
| موريشوس | | — | |
| نيجيريا | | | — |
| افغانستان | — | | |
| اندونيسيا | | | — |
| سنغافورة | | — | |
| سيلان | — | | |
| لاوس | | — | |
| ماليزيا | — | | |
| نيبال | | | — |
| الهند | — | | |
| قبرص | | | — |
| جامايكا | | | — |
| غيانا | — | | |
| كوبا | — | | |
| الارجنتين | | | — |
| بوليفيا | | — | |
| بيرو | | — | |
| تشيلي | — | | |
| فنزويلا | | — | |
| كولومبيا | | | — |
| يوغوسلافيا | — | | |

* قدم مركز الابحاث هذه المذكرة الى اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية بمناسبة انعقاد مؤتمر القمة للدول غير المنحازة في الجزائر .

# عارف العارف فلسطيني فريد

كنا في شؤون فلسطينية نترقبه طيلة شهر يوليو . فقد اتصل بنا منذ اشهر ووعدنا بزيارة مركز الابحاث ، كعادته في كل صيف عندما يأتي الى لبنان لقضاء اسبوعين او ثلاثة أسابيع في ربوعه ، في الاسبوع الاول من يوليو . ولكن عارف العارف تخلف عن المجيء الينا هذا الصيف . وجاءنا بدلا منه ، اخبار انتقاله الى رحمته تعالى .

عارف العارف فلسطيني فريد .

بعد مشاركة فعلية في النضال الفلسطيني ضد الصهيونية ( كان في الواقع احد قادة واحدة من اول الثورات الفلسطينية في مطلع العشرينات ) ، وبعد تسلم مسؤوليات سياسية وادارية في فلسطين وفي شرق الاردن ، اختار لنفسه متابعة الخط الذي بدأه منذ مطلع الانتداب البريطاني على فلسطين : العمل لفلسطين عن طريق تأريخ فلسطين. ولمدة نصف قرن وعارف العارف يؤرخ لفلسطين . حتى أصبح ، بحق ، عميد المؤرخين الفلسطينيين .

أرّخ المدن الفلسطينية ( القدس ، غزة ، بئر السبع ، الخ ... ) . وأرّخ الاحداث الفلسطينية ( نكبة ١٩٤٨ ونكبة ١٩٦٧ الخ .. ) وأرخ الجماعات الفلسطينية ( عشائر البدو ، مثلا ) . واهتم بالاثار الفلسطينية ، واحبها ودرسها ، واشتغل ، لمدة طويلة ، قيما على المتحف الفلسطيني في القدس . واهتم بالكتب ، وطالعها واقتناها . وانشأ في بيته مكتبة هي من اغنى المكتبات العربية الخاصة في فلسطين بعد نكبة ١٩٤٨ .

ولكن اسهامه الاكبر في التاريخ الفلسطيني كان في مجال آخر : في اوراقه ويومياته التي كان يسجل فيها ، ولمدة خمسين سنة كاملة ، أحداث فلسطين يوما فيوما ، وأحيانا ساعة فساعة — حتى أصبحت اضخم مجموعة من المعلومات عن الاحداث الفلسطينية، وادقها واقربها الى الاحداث .

وانه ليشرف مركز الابحاث ان يكون قد حصل على جزء كبير من هذه اليوميات. فمنذ ثلاث سنوات وعارف العارف يزود المركز باجزاء متلاحقة منها . كنا نهربها من الارض المحتلة بطرق شتى لنضمن وصولها سالمة . وقد تجمعت لدينا ، حاليا ، اثنتا عشرة مجموعة كاملة . وهي تؤرخ الاحتلال الاسرائيلي لما تبقى من فلسطين منذ صيف ١٩٦٧ . ويدور معظمها حول العنف الاسرائيلي في معاملة عرب فلسطين . فيها سجلات كاملة بأسماء الفلسطينيين الذين استشهدوا ، والذين سجنوا ، والذين عذبوا ، والذين هدمت بيوتهم ، والذين ابعدوا .

انها سجلات ثمينة ووثائق في غاية الاهمية . وقد استعملها مركز الابحاث ، ولا يزال، في العديد من دراساته ومذكراته في فضح الوحشية الاسرائيلية .

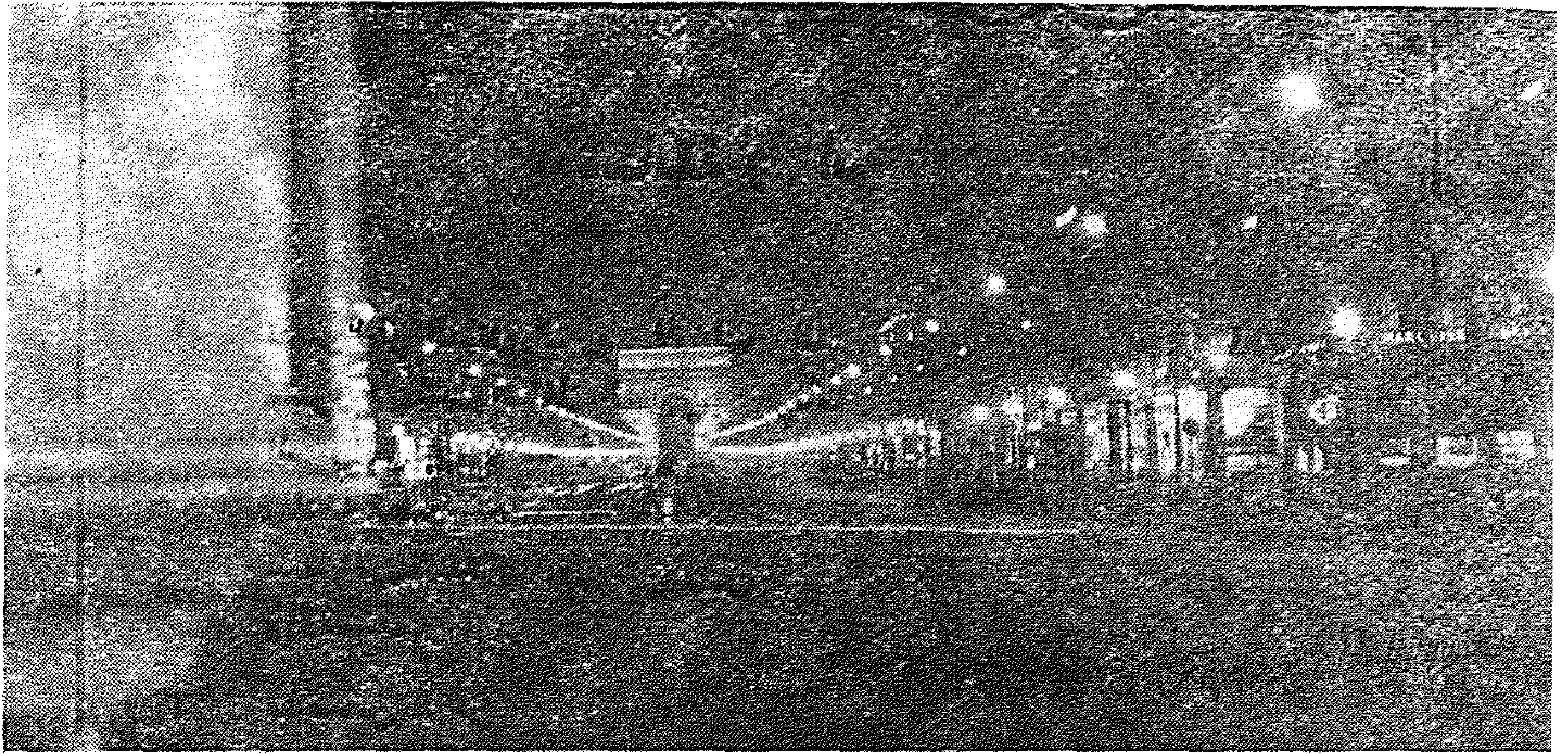
ومن الصدف ان يكون المركز قد طبع هذه الاجزاء الاثني عشر وأعدها لتكون في خدمة الباحثين المتخصصين من خارج المركز في الشهر نفسه الذي غاب فيه عارف العارف عنا الى الابد . وقد قصدنا من طبعها تسهيل اقتنائها على المكتبات والمراكز المتخصصة الاخرى ، حتى لا يحتكر مركزنا لوحده مجال الافادة منها . ويجد القارىء في مكان آخر من هذا العدد اعلانا عن هذه الوثائق وكيفية الحصول عليها — اذ انها لن تعرض في المكتبات لان عدد النسخ المطبوعة منها محدود .

رحم الله عارف العارف .

غيره كان يحفظ معلوماته وخبراته في ذاكرته ، ويغلق عليها ، الى أن تموت معه . اما هو فكان يسجل ويسجل ، ويجمع ويستفسر ويتحرى . وكان يقول لنا : انا اعطيكم المعلومات وانتم تستفيدون منها وتحفظونها من بعدي وتنشرونها . وها نحن اليوم ننشر ، في الاف الصفحات ، مجموعة قيمة من هذه الوثائق . ولكن صاحبها يغيب عنا قبل أن يسمع كلمة الشكر منا .

لقد أعطى الكثير . وستظل ذكراه عطرة ما دامت كتبه ووثائقه مصدرا أساسيا لكل دارس فلسطيني .

**أ. ص.**

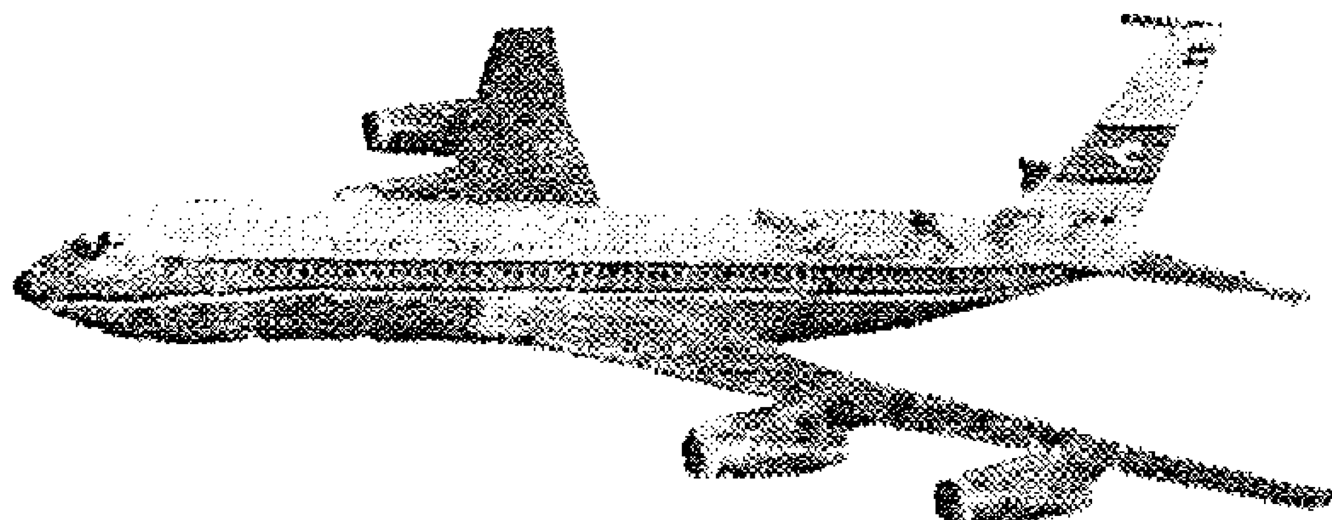


# رحلات يومية من الكويت والخليج العربي
# إلى عواصم أوروبا الرئيسية



الثلاثاء : الكويت - اثينا - جنيف - لندن الساعة ١١,٣٠
الأربعاء : الكويت - لندن بدون توقف الساعة ١٥,٠٠
الخميس : الكويت - روما - فرنكفورت - لندن الساعة ١١,٣٠
الجمعة : الكويت - روما - باريس - لندن الساعة ١١,٣٠
السبت : الكويت - اثينا - فرنكفورت - لندن الساعة ١١,٣٠
الأحد : الكويت - روما - باريس - لندن الساعة ١١,٣٠

سافروا بطائرات الخطوط الجوية الكويتية واجعلوا رحلاتكم سهلة ممتعة بمشاهدة العروض السينمائية التي أصبحت تقدم خلال جميع الرحلات ، وذلك علاوة على الموسيقى المنوعة التي يمكنكم الاستماع إليها على ٦ أقنية مختلفة .

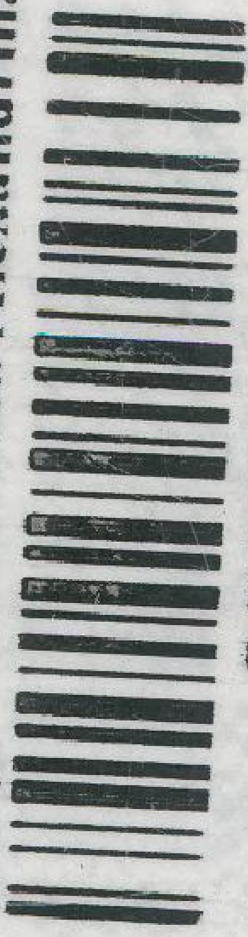


# الخطوط الجوية الكويتية

## Palestine Affairs

Published monthly in Arabic by the Palestine Research Center; *Editor,* Dr. Anis Sayegh; *Annual Subscription* (airmail) : Lebanon and Syria LL 30, other Arab countries LL 40, Asia, Africa and Europe LL 60, elsewhere LL 90; *Annual Subscription* ( surface mail ) : Countries outside the Arab World LL. 45. *Address :* P. O. Box 1691, Beirut, Lebanon; Tel. 351260; Cables: MARABHATH.

**السعر ٢١/٢ ل.ل. في لبنان وسوريا**
**٣١/٢ ل.ل. في سائر الاقطار العربية**



Bibliotheca Alexandrina
0535853